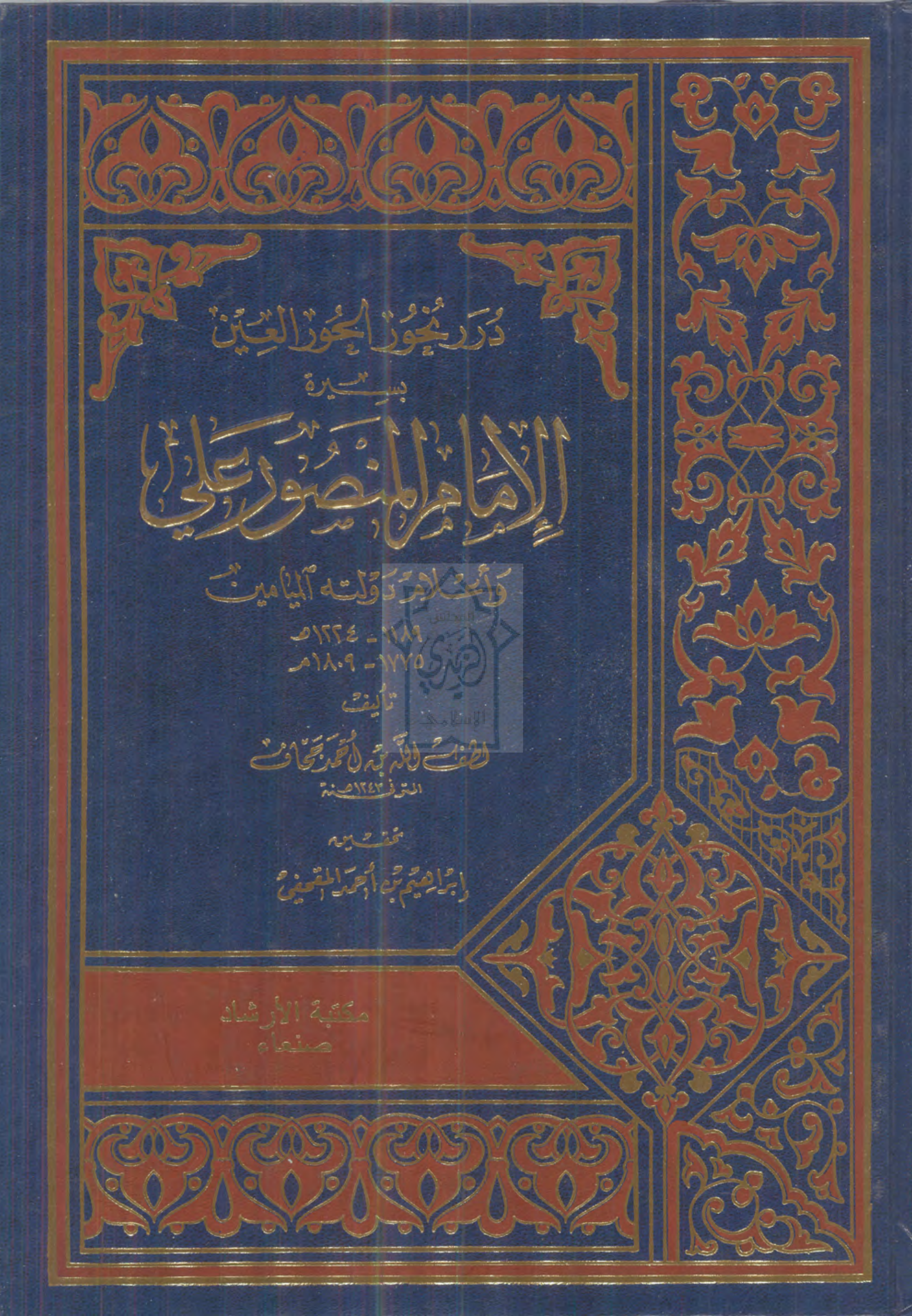

دُرَرُ نُحُورِ الحُورِ العِينِ
بِسِيرَةِ
الإمامِ المنصورِ علي
وأعلامِ دولته الميامين
١١٨٩ - ١٢٢٤هـ
١٧٧٥ - ١٨٠٩م
تأليف
لطف الله بن أحمد جحاف
المتوفى سنة ١٢٤٣هـ
تحقيقه
إبراهيم بن أحمد المقحفي
مكتبة الإرشاد
صنعاء

ثقافة



دُرَرُ نُحُورِ الحُورِ العِين

بسيرة

الإمام المنصور علي

وأعلام دولته الميامين

١١٨٩ - ١٢٢٤هـ

١٧٧٥ - ١٨٠٩م

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

دُرَرُ نُحُورِ الحُورِ العِينِ

بسِيرة

الإمام المنصور علي

وأعلام دولته الميامين

١١٨٩ - ١٢٢٤هـ

١٧٧٥ - ١٨٠٩م

تأليف

لطف الله بن أحمد جحاف

المتوفى ١٢٤٣هـ سنة

تحقيق

إبراهيم بن أحمد المقحفي



مكتبة الارشاد

ملتزم الطبع والنشر والتوزيع
مكتبة الارشاد فقط
الطبعة الأولى
١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م





مكتبة الارشاد
شارع ٢٦ سبتمبر - صنعاء - الجمهورية اليمنية
تلفون: ٢٧٢١٩٠ / ٢٧١٦٧٧ / ٢٧٩٢٨٩ ص.ب ٣٠١٩

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة

تأتي أهمية هذا الكتاب مِن أنه يُسجِّل لفترةٍ مِن تاريخ اليمن تمتد لمدة خمسة وثلاثين عاماً، هي التي حَكَم خلالها الإمام المنصور علي بن المهدي العبّاس، والممتدة من ١١٨٩هـ إلى ١٢٢٤هـ. كَتَبها المؤلف بأسلوب الحوليات حيث جعل لكل سنةٍ فصلاً قائماً بذاته يتحدث فيه عن ماجريات الأحداث مع الترجمة لعدد مِن الأعلام بحسب تاريخ وفاتهم.

وبالتالي فقد قَدّم لنا تاريخاً لأحداث اليمن مع تراجم عدد كبير من الأدباء والشعراء، ورجال الفقه والقضاء وكبار أعيان اليمن الذين كان لهم وجودهم القوي والفاعل بالقرن الثاني عشر الهجري وبداية القرن الثالث عشر.

وتتأكد أهمية الكتاب أن المؤرخ الكبير محمد زَبارة نَقل أغلب مادته في كتابه «نَيْل الوَطَر». كما أن الدكتور سيّد مصطفى سالم استمد منه مادة كتابه «نصوص يمنية عن الحملة الفرنسية على مصر». حيث استلّ منه ما كتبه جَحّاف عن الحملة الفرنسية. وكذلك فعل الأستاذ الدكتور حسين العمري في كتابه «مئة عام من تاريخ اليمن» فقد كان أهم المصادر التي أعتمد عليها في كتابه، وهو أيضاً ـ أي الكتاب ـ مصدر أساسي لكثير من المؤرخين اللاحقين بدون استثناء.

والمؤلف يكتب عن معايشةٍ للأحداث ومعرفةٍ بالأشخاص الذين كَتَب عنهم. فهو يتحدث عن أمور كان قريباً منها وعايَش شخوصها وخَبَرها عن قُرْب.

إن عنايتنا بالكتاب ونشره تنبع من أنه يحكي عن مرحلة هي من نسيج تاريخ اليمن العام. وينبغي أن ننظر إلى الكتاب من منظور مرحلته وزمانه وليس بزاوية رؤيتنا اليوم. ونحن لا يمكن أن نُلغى أي مرحلة من تاريخنا السابق.

فالنَّظر إلى محتوى الكتاب هو من منطلق المراجعة والدّرس للفترة الزمنية، سواء رضينا عنها أو لم نقبل بها، ولكنها دخلت في نسيج تاريخ البلد والأمة. مع تحفظنا بشأن التقييم الذي وضعه المؤلف أو رؤيته للأشخاص الذين شكّلوا مادة الأحداث وكان لهم حضورهم القوي من خلال زعامتهم الاجتماعية أو القبلية.

وتَحفُّظَنا نابع من أنه أطلق بعض الصفات التي قد يؤاخذنا عليها حفدتهم اليوم، من مثل: الطغاة، أو أهل الفساد. ولكن الذي يشفع لنا عند هؤلاء أن المؤلف يتحدث من وجهة نظر الدولة التي كانت في صراع دائم مع هذه الرموز القبلية.

ومادة الكتاب هي من المواد القليلة التي تُؤرخ لمثل هذه الشخصيات، وتتحدث عن الأدوار التي لعبوها في مسيرة تاريخ اليمن. خاصةً إذا ما أدركنا أن التاريخ لا يذكُر إلاّ الفاعلين والمُؤَثِّرين والصّانعين لعناصر الأحداث، ولا يشير إلى العابرين بل يغضّ الطَرْف عن الزائرين للحياة والعابرين بأطرافها.

وقد كان اعتمادي في التحقيق على مخطوطتين، أولهما: نُسخة المؤرخ محمد زَبارة، والأخرى: هي الخاصة بالعلامة محمد المنصور. وكلتاهما تَوفّرتا عندي بفضل جُهد وتعاون الأستاذ عز الدين تقي الذي أفادني كثيراً في هذا الجانب. وكان لتعاون العلامة يحيى الدّرة دوراً مشكوراً حيث مكّنني من تصوير نسخة المؤرخ زَبارة عندما تولّى الإشراف على تقسيم تركة المُفتي أحمد زَبارة وكان من ضمنها محتويات مكتبة والده المؤرخ الكبير.

والشكر الجزيل للعلامة الفاضل السيد محمد المنصور الذي أتاح لي ولغيري الإستفادة من مكتبته الثمينة والقيّمة، بل إنه قد صَوّر جميع محتويات المكتبة في أفلام ميكروفيلم جَعَلها مادةً سهلةً ومُيَسَّرةً للباحثين والدارسين. كما لا أنسى العون الذي لقيته من الاستاذ محمد شرف الدين.

ولأن الدكتور سيد مصطفى قد كَتَب عن المؤلف وكتابه هذا بشكل علمي لا أستطيع أن أصل إلى مستواه، فقد استحسنت أن أكتفي بما كتبهُ وأن أجعله بمثابة المقدمة لهذه الطبعة.

مؤملاً أن يكون عملي هذا في نشر الكتاب خفيفاً وهيّناً على تلك الفئة التي لا يرضيها أي إنجاز للآخرين. وحسبي أن يجد الجيل الجديد في مادة الكتاب ما يعطيهم صورة عن مرحلةٍ من تاريخ اليمن، وأن ينظروا إلى مقدار المعاناة التي كان عليها حال الناس وخاصةً مظاهر الجوع التي حكى عنها المؤلف في سياق حديثه عن أخبار سنة ١٢٢٣هـ التي قال عنها بأنها سَنةُ الفناء والجدب والدمار. ولن أقول شيئاً عن مظاهر الجوع تلك وعن حالة الناس التي وصلوا إليها، ولكنني أُحيل القارىء الشاب إلى الكتاب ليعرف بنفسه عن تلك المُعاناة ويحمد الله على ما هو عليه اليوم من النعمة والرخاء.

وليس لي بَعْد، إلاّ أن أحمد الله تعالى على إعانته لي في عملي. والله من وراء القصد.

إبراهيم المقحفي

المؤلف والكتاب

دراسة[١] بقلم:
الدكتور سيّد مصطفى سالم

... ومؤرخنا الذي نقف عنده هو «الفقيه العلامة الحافظ المؤرخ الفهامة لطف الله بن أحمد بن لطف الله بن أحمد جحاف اليمني الصنعاني، ومولده بصنعاء في نصف شهر شعبان ١١٨٩هـ ـ ١٧٧٥م. وكما كان مولده في صنعاء فقد نشأ وتلقى العلم بها» من جماعة من علماء العصر منهم الشيخ العلامة السيد علي بن إبراهيم عامر «والسيد العلامة علي بن إبراهيم بن عبد القادر، وغير هؤلاء من أعيان العلماء». وكان من جملة هؤلاء أيضاً شيخ الإسلام العلامة محمد بن علي الشوكاني، صاحب المؤلفات العديدة التي اشتهرت على مستوى العالم الإسلامي، والذي قدم لنا ترجمة وافية لتلميذه النابه لطف الله جحاف، فقد قال عنه أنه: «قرأ عليّ في النحو والصرف والمنطق والمعاني والبيان والأصول والحديث، وبرع في هذه المعارف كلها، وصار من أعيان علماء العصر وهو في سن الشباب، ودرس في فنون، وصنف رسائل أفرد فيها مسائل، ونظم الشعر الحسن وغالبه في أعلى طبقات البلاغة، وباحث كثيراً من علماء العصر بمباحث مفيدة يكتب فيها ما ظهر له ثم يعرضها على مشايخه أو بعضهم، ويعترض ما فيه اعتراض من الأجوبة». ويواصل الشوكاني الحديث عن تلميذه، ويشيد بمقدرته على الحوار العلمي، فيقول: «وقد كتب إلى من ذلك بكثير بحيث لو جمع هو ما أكتبه عليه من الجوابات لكان مجلداً، ولعل غالب ذلك محفوظ لديه وعندي منه القليل». كذلك أطنب الشوكاني في وصف قدرات تلميذه العلمية وإمكانياته الشخصية، وذلك دون مبالغة أو زيادة، إذ أبرز في آخر الترجمة نواقصه وعيوبه دون مواربة فقد وصفه بقوله: «وهو قوي الإدراك، جيد الفهم، حسن الحفظ، مليح العبارة، فصيح اللفظ، بليغ النظم والنثر، ينظم القصيدة الطويلة في أسرع وقت بلا تعب، ويكتب النثر الحسن والسجع الفائق بلا تروي ولا تفكر وهو طويل النفس ممتع الحديث كثير المحفوظات الأدبية، لا يتلعثم ولا يتردد فيما يسرده من القصص الحسان، ولا ينقطع كلامه بل يخرج من الشيء إلى ما يشبهه ثم كذلك حتى ينفض المجلس وإن طال، وله ملكه في المباحث الدقيقة

(١) نص مُنْتَزع من مقدمة كتابه «نصوص يمنية عن الحملة الفرنسية على مصر».

مع سعة صدر، وإذا رام من يباحثه أن يقطعه في بحث لم ينقطع بل يخرج من فن إلى فن، إذا لاح له الصواب انقاد له، وفيه سلامة صدر زائدة بحيث لا يكاد يحقد على من أغضبه، ولا يتأثر لما يتأثر غيره بدونه، وهو الآن من محاسن العصر، وله إقبال على الطاعة وتلاوة القرآن بصوته المطرب، وفيه محبة للحق لا يبالي بما كان دليله ضعيفاً وإن قال به من قال، ويتقيد بالدليل الصحيح وإن خالفه من خالف، وهو الآن يقرأ عليّ في صحيح البخاري، وفي شرحي «للمنتقى» (لابن تيمية)، وقد سمع مني غير هذا من مؤلفاتي وغيرها. وبهذا الوصف الطويل العميق يضعنا الشوكاني أمام شخصية علمية بكل ما تحمل هذه الكلمة من دلائل، وخاصة لأنها صادرة من شيخ المؤرخ وأستاذه. ومن جانب آخر، قدم لنا أحد تلاميذ المؤرخ ترجمة أخرى نقلها المؤرخ محمد زبارة، فقد قال عاكش الضمدي: «لقي عدة من علماء اليمن وغيرهم، فاستفاد منهم وأفاد، وكان جانحاً للخمول[1]، زاهداً عن المناصب، قانعاً باليسير من دنياه، ثم هجر العلوم المتعارفة كلها كالصرف والنحو والمعاني والبيان، وانقطع إلى كتاب الله تعالى، واستخرج من اللطائف والمعارف البحر العباب، وألف تفسيراً سماه «العلم الجديد». ويلاحظ أن هذا التلميذ المخلص قد أضاف إلى معلوماتنا شيئاً جديداً عن أستاذه يتمثل في الإشارة إلى المؤلف الجديد الخاص بالتفسير الذي نبه إليه في نهاية عبارته، إذ أن هذا المؤلف لم يرد ذكره لدى من ترجم حياة لطف الله جحاف مثل الشوكاني وزبارة أو حتى كحالة في كتابه «معجم المؤلفين» عند ذكره لمؤرخنا هذا.

نخرج من هذا كله أن لطف الله جحاف كان صنعاني المولد والنشأة ـ بل والإقامة حتى الوفاة ـ فأفاده هذا في أن يكون قريباً من رجال العلم فنهل من علمهم ما شاء، وفي أن يكون قريباً من رجال الحكم والسياسة فاتسعت مداركه وخبراته بالحياة، وأخرج لنا مؤلفاته التاريخية الكبيرة التي سنتحدث عنها فيما بعد. ويتضح لنا هنا أيضاً أن مؤرخنا هذا كان يتمتع بكل الصفات التي تتمتع بها الشخصية العلمية، مثل دقة البحث، والاتصال بمعاصريه من العلماء والحوار معهم، والبحث عن الحقيقة مهما كلفه ذلك من جهد، وسعة الصدر للوصول إليها، وتقبله للنقد دون خوف، مع سعة الإطلاع على علوم عصره، وقدرة على الحفظ والفهم، وغير ذلك مما شهد به أستاذه الشوكاني.

وقد أفادته الحياة في صنعاء أيضاً بتوطيد علاقته بحكامها مثل الوزير الحسن بن علي حنش والإمام المتوكل ثم ولده المهدي، فقد كانت تسودها الود والتقدير والاحترام، وإن أثار هذا حسد وحقد زملائه من العلماء والفقهاء كما سنرى. وقد صور

---

(١) يقصد أنه كان بعيداً عن حب الظهور.

لنا الشوكاني جانباً من هذه العلاقات بقوله: «وقد اختص بالوزير العلامة الحسن بن علي بن حنش وصار لديه بمنزلة ولده لا يفارقه في غالب الأوقات، وتستمر المباحثة بينهما في عدة فنون، وإذا طال بينهما الخلاف أشركاني في البحث وأرسلا إليّ مما تحصل من ذلك فأكتب ما يظهر وأرجعه إليهما». وفي مجال آخر يذكر أن: «صاحب الترجمة ـ أي مؤرخنا ـ صار الآن متصلاً بمولانا الإمام المتوكل على الله أحمد بن المنصور وله عنده حظ وافر».

ويعني ما سبق أن لطف الله جحاف لم يكن صنعانياً يعيش الحياة الزاخرة التي تموج بها دائماً حياة العواصم فحسب، بل أيضاً عاش عند قمة الحياة العلمية والسياسية في صنعاء، فانعكس هذا من ناحية على انتاجه العلمي الذي خلفه لنا كما سنرى، كما انعكس من ناحية على علاقاته بزملائه العلماء أو بمعاصريه من القادة والحكام. وشأنه في ذلك شأن من يصل إلى القمة دائماً، إذ تظل حياته تتقاذفها رياح الشد والجذب، وتحيطها مشاعر الحب والعداء، وتعبث بها تيارات الود والصدام. وقد حدث هذا لمؤرخنا بوضوح فقد هاجمه شيخه وأستاذه الشوكاني في نهاية الترجمة التي قدمها له هجوماً عنيفاً لاذعاً، ووصفه بصفات مشينة غير لائقة. فقد اتهمه بأنه استغل علاقته بالحكام والأئمة في الوشاية بأصدقائه ومعارفه بل وأقرب الناس إليه مثل الوزير الحسن بن علي الحنش، كما مال إلى الترفّع والتعالي على من كان يتقرب إليهم من قبل من هؤلاء الأصدقاء، بل ووصل إلى حد مكاشفة من يقدر على مواجهته بالمكروه، أو الدس في السر ضد من لم يقدر على مواجهته. وزادت مساوئه ـ كما يقول الشوكاني ـ في أنه سمح لنفسه بالتعدي على «الوصايا والأوقاف فيأخذ أكثرها لنفسه ويحرم الضعفاء من مصارفها ويصول عليهم بالاتصال بالإمام (المتوكل). ويواصل الشوكاني قذفه له فاتهمه بأنه وصل إلى درجة الغرور العلمي، وإلى محاولة الظهور باستمرار ولو عن طريق الجدل المجرد والمغالطة في المسائل العلمية إلى الحد الذي كان يضحك الناس منه، وإلى أنه كان لا ينتصح بنصائح شيخه، حتى وصل الأمر إلى أنه «صار يتكلم في مواقف الإمام بمسائل فيها الترخيص فيما حرمه الله تحبباً وتقرباً بحيث أن السامع إذا سمعه اقشعر جلده، وكان يتجنب ذلك في حضوري كثيراً ويفعله إذا غبت». وقد تصاعدت التهم المنسوبة إلى مؤرخنا حتى اشتهر عنه أنه اشتغل بالجاسوسية لحساب الإمام المتوكل حتى على وزرائه، وأنه ربط نفسه بوزراء السوء يداهنهم ويتملقهم، وذلك بعد وفاة الإمام المتوكل وتولى ابنه المهدي الحكم بعده، إذا لم تكن له المكانة لدى المهدي كما كانت له لدى والده المتوكل حتى أن هؤلاء الوزراء استعملوه لخدمة أغراضهم الخاصة فنسبوا إليه ما يناسب أطماعهم من الفتاوى الشرعية.

ولا شك أن هذه التهم تشين مؤرخنا إذا صحت، وتجعلنا نقف عندها بعض الوقت، ذلك لأن الصفات الشخصية تسحب نفسها في أغلب الأحيان على الإنتاج العلمي لصاحبه وتؤثر فيه، وهذا هو ما يهمنا من وراء إثارة قضية التهم الموجهة إلى مؤرخنا هذا، التي ذكرها معاصره الشوكاني.

ويبدو أن الشوكاني هنا قد تناقض مع نفسه، فقد ذكر عن لطف الله جحاف في بداية ترجمته ما يختلف تمام الاختلاف عما ذكره في نهايتها، ويبدو أيضاً أنه أدرك ذلك، فدافع عن نفسه بقوله: «وما ذكرت ههنا إلا حقاً. كما أني ما ذكرت في أول الترجمة إلا حقاً، ولكن اختلفت الأحوال فاختلف المقال، وبعد مضي قريب سنتين من خلافة مولانا الإمام المهدي أودعه الحبس وتشفّعت له فأطلق، وأبعده من حضرته فالله يصلحنا ويصلحه». فهو يؤكد هنا صدق موقفيه، أي عندما أشاد بمحاسن لطف الله جحاف في البداية، وعندما أبرز مساوئه في النهاية، ولكنه في نفس الوقت يعزو ما حدث من تغيير في صفات مؤرخنا وسلوكه إلى تغيير الظروف والأوضاع التي مر بها المؤرخ وعاشها والتي قادته بعمقها وتناقضاتها إلى الهوة التي انتهى إليها في أخريات حياته.

وتفسير الشوكاني هذا فيه شيء كبير من الصحة فتغير الظروف في أغلب الأحيان يؤدي إلى تغير الأوضاع، وخاصة لما عرف في النفس البشرية من ضعف، كما تكرر عبر التاريخ انحراف بعض العلماء عن جادة الصواب، لانزلاقهم في مهاوي السياسة، أو لجموحهم في جمع الثروات. وربما كان الشوكاني محقاً في بعض ما اتهم به لطف الله جحاف وخاصة من ناحية ما أصابه من غرور وما يؤدي إليه من سقطات، فمؤرخنا حقق ما حققه من نجاح علمي وسياسي في وقت قصير، إذ توفى وهو لم يتجاوز من العمر أربعة وخمسين عاماً. غير أنا نشتمّ من حديث الشوكاني الكثير من المبالغة إذ أن أغلب المساوىء التي عددها عن تلميذه وصلته عن طريق الاستماع، وليس عن طريق المشاهدة العينية أو المواجهة، وذلك كما اعترف، هو في حديثه سالف الذكر أن لطف الله جحاف كان يتجنب الافتاء غير الصحيح في حضوره، وأنه ظل يكن لأستاذه الاحترام العميق ويطلق عليه شيخ الإسلام. ومن ناحية أخرى، فإن الإنتاج العلمي الغزير والعميق الذي تركه مؤرخنا يجعلنا نشك في أنه تفرغ للدسائس ومؤامرات القصور، إذ أن هذه الأمور تحتاج من أصحابها الوقت الطويل والتفرغ لحبكها. وربما ترجع مبالغة الشوكاني ـ التي نقف عندها ـ إلى ما ذهب إليه الأخ عبد الله الحبشي، إذ قال: «ولا نجد لهذا سبباً سوى أنه لما ارتفعت مكانة العلامة لطف الله جحاف وأصبح من علماء الدولة الكبار داخل الشوكاني ما نعهده عند أصحاب الحرفة الواحدة من حقد وغيرة».

وأخيراً فقد كانت وفاة لطف الله جحاف في صنعاء أيضاً في عام ١٢٤٣هـ ـ ١٨٢٧م.

مؤلفاته ومنهجه التاريخي:

وقد ترك لنا ـ عند وفاته ـ تراثاً كبيراً كما أشرنا، يتمثل في عدة مؤلفات ذكرها من ترجم له؛ كما ذكر هو بعضها ـ مع قليل من الوصف والتعليق ـ خلال مقدمة كتابه «درر نحور الحور العين». غير أننا لم نستطع الاطلاع عليها جميعها لعدم تواجدها بين الأيدي الآن، أما لضياعها عبر السنين والأحداث، وأما لاختفائها في المكتبات الخاصة داخل البيوت.

ويلاحظ أن مؤلفات لطف الله جحاف تعكس طبيعة العلم والثقافة في عصره فكما كان تعليمه موسوعياً، فقد كانت مؤلفاته كذلك، إذ ألف في التاريخ والحديث والفقه والتفسير والأدب، كما نظم الشعر الجيد بشهادة أستاذه الشوكاني. فله كتاب «المرتقى إلى المنتقى» شرح فيه كتاب «منتقى الاثار» لابن تيمية، ويوجد الجزء الأول منه بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء، ويقع في ٢٥٠ ورقة، ويبدو أن هذا الشرح نتاج قراءته لكتاب «المنتقىِ» مع شيخه الشوكاني كما جاء في الترجمة الخاصة به. وله كتاب «ديباج كسرى فيمن تيسّر من الأدب لليسرى» وكتاب «العباب في تراجم الأصحاب»، وهو كتاب تراجم كما يتضح من عنوانه، وقد قال عنه في مقدمة كتابه «درر نحور الحور العين» أن: «فيه ما في هذا الكتاب من الأعلام وغيرهم من أولى النهي والأحلام». وله كتاب بعنوان يلفت النظر هو «فنون الجنون في جنون الفنون»، ويبدو أنه كتاب في النقد ألفه في أخريات حياته كما يظهر من العبارة التي أشار فيها إليه في مقدمة كتاب «درر نحور الحور العين» أيضاً، فقد قال: «ذكرت فيه عدة من الأكابر واعترضت كثيراً من معارفهم التي أودعوها بطون الدفاتر». وله كتاب «قرة العين بالرحلة إلى الحرمين» وقد كتبه بعد حجته عام ١٢١٧هـ، وهو ليس من قبيل كتب أدب الرحلات فحسب، بل ترجع أهميته إلى مادته العلمية أيضاً، وقد وصفه صاحبه في المقدمة سالفة الذكر أيضاً بقوله: «وهو على صغر حجمه مفيد في أخبار الأمم. وله كتاب في التفسير أيضاً، وهو الذي أشار إليه تلميذه عاكش الضمدي؛ بعنوان «العلم الجديد»، كما سبق أن رأينا خلال الترجمة.

أما كتاباته التاريخية فقد سطرها في كتابين كبيرين، الأول بعنوان «التاريخ الجامع»، وهو الذي أكمل فيه ما وضعه السيد علي بن صلاح الدين الكوكباني من كتاب «أنباء الزمن في تاريخ اليمن» ليحيى بن الحسين بن القاسم، وقد أوصل لطف الله جحاف في هذا الكتاب تاريخ بلاده إلى عهد الإمام المهدي الذي عاصره. والكتاب الثاني بعنوان «درر نحور العين بسيرة الإمام المنصور وأعلام دولته الميامين» وهو الكتاب الذي استخرجنا منه النصوص الخاصة بالحملة الفرنسية على مصر، ويقع في مجلد تتجاوز صفحاته الخمسمائة.

ولأهمية هذا الكتاب، ولاعتمادنا عليه في هذه الدراسة، فهو يحتاج إلى نظرة خاصة تبرز فيها محتوياته ومنهجه وفهم مؤلفه للتاريخ إلى جانب أسلوبه وغير ذلك من المعلومات المتعلقة به حتى تتضح أمامنا شخصية المؤرخ وطبيعة كتابه.

تؤكد كتابات لطف الله التاريخية ـ كما يتضح من كتابيه سالفي الذكر أن صاحبها كان ابناً مخلصاً لمدرسة التاريخ الإسلامية التي كانت سائدة إلى عصره، بل وظلت متبعة في اليمن بوجه خاص إلى سنوات قريبة، وتتصف هذه المدرسة بتقسيم الأحداث حسب الحوليات، والاهتمام بذكر الأخبار وتوثيقها، مع ترتيبها ترتيباً زمنياً ومع قليل من التعليق، أكثر من الاهتمام بموضوعية الحوادث، وبربط الأحداث وتحليلها وتفسيرها. فقد التزم مؤرخنا ـ كما فعل معاصروه مثل عبد الرحمٰن الجبرتي ـ بتقسيم كتاباته التاريخية إلى سنوات. وليست إلى أبواب وفصول، وأصبحت السنة هي عنوان الفصل أو البديل له في الواقع. وقد اضطره ذلك ـ كما فعل معاصروه أيضاً ـ إلى تقسيم الموضوع الواحد إلى مجموعة من الأخبار والأحداث حسب وقوعها، فيذكر الموضوع مفتتاً طبقاً للترتيب الزمني دون التمسك بالوحدة الموضوعية. وتبعاً لذلك ـ وتوخياً للدقة ـ نجده يقسم السنوات إلى شهور، والشهور إلى أيام، وخاصة بالنسبة للأحداث القريبة منه، أو التي عاصرها، وخاصة أنه كان قريباً من رجال السلطة والسياسة كما ذكرنا في ترجمته. ونتيجة لهذا كله، فقد وقع الخلط في كتاباته التاريخية بين الأحداث الداخلية الخاصة باليمن، وبين أحداث البلدان الأخرى ـ أي الأحداث الخارجية ـ التي اهتم بتتبعها وتسجيلها.

هذه هي الملامح العامة للمدرسة التاريخية التي تأثر بها لطف الله جحاف وهذا هو منهجه الذي التزم به في كتابه «درر نحور الحور العين بسيرة الإمام المنصور علي وأعلام دولته الميامين». وهو كما يتضح من عنوانه خاص بتاريخ اليمن في عهد الإمام المنصور علي بن المهدي العباس، مع ذكر تراجم رجالات دولته في نهاية كل عام. وطِبقاً لالتزامه بالمنهج التاريخي السائد في عصره، فقد قسمه إلى مقدمة وعدة أقسام حسب سنوات عهد الإمام المنصور الممتدة من ١١٨٩هـ إلى ١٢٢٤هـ / ١٧٧٥ ـ ١٨٠٩م. وجعل كل سنة وكأنها فصل قائم بذاته، ولم يجعل مؤرخنا كتابه وقفاً على تسجيل أخبار اليمن الداخلية في تلك الفترة، بل زوده بما كان يصله ـ أو يسمعه أو يقف عليه ـ من أخبار العالم الإسلامي، شأنه في ذلك شأن المؤرخين المسلمين الكبار الذين تجاوزت كتاباتهم أخبار بلدانهم المحلية. وقد جمع ـ كما أشرنا ـ في سياق واحد بين أحداث اليمن المحلية، وبين الأخرى الخارجية، نظراً لالتزامه بمنهج الحوليات. لهذا فقد عثرنا على أخبار الحملة الفرنسية على مصر ـ على سبيل المثال ـ متناثرة بين باقي الأحداث

مما اضطرنا إلى التنقل بين صفحات الكتاب لالتقاط مجموعة النصوص الخاصة بها.

وقد أشار المؤرخ في المقدمة إلى «شمولية» كتابه، وأنه لم يقصره على أخبار اليمن فحسب، فقال: «ولم أقتصر على حوادث اليمن، ولا حبست التراجم على من بهذا القطر قطن، بل ذكرت من عارض المنصور من الصدور، وشرحت كثيراً من أحوال أهل الآفاق الحرية أخبارهم بأن تفرد بمسطور، وذكرت عدة حوادث من التهايم والجبال والحجاز والحرمين والعراقين ومصر والشام والروم والسند والهند والغرب بعد الفحص والتفتيش؛ والبحث الكامل عما حصل فيه التشويش». ولا شك أن اهتمام لطف الله جحاف بتقصي أخبار العالم الإسلامي وتسجيله زاد من أهمية وعمق كتابه، وجعله يضاهي الكتب التاريخية الكبيرة التي عاصرته، **بل لا نبالغ إذا ذهبنا إلى أن مؤرخنا يقف على قدم وساق مع مؤرخ كبير مثل عبد الرحمـٰن الجبرتي في مصر من حيث القدرة على التأليف**، وإن قل عنه من حيث الشهرة والسمعة. ولا يرجع ما ذهبنا إليه إلى ما دونه المؤرخ اليمني من أخبار العالم الإسلامي فحسب، **بل يرجع أيضاً إلى قدرته على التسجيل والتقصي والتدقيق بالنسبة لأخبار اليمن المحلية. فكتابه هذا يعتبر سجلاً وافياً مفصلاً لتاريخ اليمن في عهد الإمام المنصور، أو بمعنى آخر لمدة خمسة وثلاثين عاماً من تاريخ اليمن. فهو لم يترك شاردة أو واردة إلا وأحصاها**، فقد تتبع منازعات الإمام المنصور مع القبائل المختلفة لتدعيم سلطته واهتم بذكر أخبار العزل والتولية لموظفي الدولة ويذكر إيرادات الدولة ومصروفاتها بل ويذكر أحوال اليمن المناخية وخاصة سقوط الأمطار إلى غير ذلك من التفصيلات المتنوعة التي تغني تاريخ اليمن في تلك الفترة أيما إغناء. ويذكرنا هذا المؤرخ وكتابه القيم بما انتهينا إليه من رأى قبل ذلك، وهو أن اليمنيين قد كتبوا تاريخ بلادهم ـ بشكل وافٍ عميق ـ على طول فتراته وخاصة الفترات الإسلامية وإلى عهد قريب، وإن بقي هذا التراث الكبير مخطوطاً متناثراً إلى الآن ينتظر الجمع والدراسة.

وقد رسم مؤرخنا أيضاً منهجه بالنسبة للتراجم التي أثبتها في هذا الكتاب، فقال ـ بعد أن ذكر منهجه بالنسبة للتراجم في كتبه الأخرى ـ «وإنما أذكر في هذا من عرفت وفاته، وقد أذكر مولده إن تيسر، وربما سنح ذكر رجل من الأحياء، ودعت الحاجة فيما يتعلق به من أشياء، ولكنه على سبيل الندرة، وقد ذكرت الأفاضل الذين أدركتهم، وشاهدتهم، وأخذت عنهم ومن كان في زمني أو تقدم قليلاً من الملوك والأمراء والوزراء، وغيرهم ممن لهم شهرة ظاهرة ليطلع على أحوالهم من يأتي بعدي، وقيدت من الألفاظ ما لا يؤمن فيه التصحيف على الظريف، وذكرت لأهل التراجم ما سمعت منهم، أو حدثني الغير عنهم، وجمعت في الأخبار ما بين فائدة وعائدة، وحلم وجهل،

وجد ومجون ومعقول وجنون، ومنظوم ومنثور، ومضحك ومبك، وموعظة ونسك، وأثبت ما وقع من مكاتبة الملوك والطوائف، ثم يواصل حديثه فيشير إلى من اعتنى بالتراجم في عصره ـ مثل القاضي العلامة أحمد بن محمد قاطن وشيخ الإسلام العلامة البدر محمد بن علي الشوكاني، والسيد العلامة عبد الله بن عيسى بن محمد بن حسين صاحب كوكبان، والعلامة إبراهيم بن عبد الله الحوثي، والعلامة علي بن قاسم حَنَش ـ وفي واقع الأمر فإن ذكره لهؤلاء يعبر عن أمانته العلمية، فهو لم يغمط حقهم، بل على العكس أبرز أسماءهم وأشاد بمؤلفاتهم.

وإلى جانب «الشمولية» التي لمسناها لمؤرخنا من خلال كتابه هذا كما أشرنا، فيمكن أن نصفه أيضاً «بالعلمية»، التي استطاع أن يؤكدها بوضوح كذلك. فقد رسم خلال مقدمته أيضاً الغرض من تأليف الكتاب، ومنهجه فيه، بل وتواضع في تقديم كتابه التواضع العلمي المطلوب من العلماء، ثم التزم بمنهجه طوال الكتاب التزاماً دقيقاً، هذا بالإضافة إلى دقته وعمقه في تقصي الحقائق كما يتضح من بين صفحات وسطور الكتاب، فقد قال في المقدمة: «أما بعد، فهذا مختصر لطيف، ومؤلف نحيف، لم يسألني أحد أن أضعه، ولا عوّل عليّ فرد من الناس أن أجمعه، مقصور على دولة الإمام المنصور، في حوادث أعوامه والشهور، واتّبعت فيه من يستحق الإثبات في مسطور، وربما ذكرت من لا أعلمه بالحال المشهور:

لعلمـــي أن غيـــري عنـــده مـــن عجـــائبـــه التـــي خَفيـــت غـــرائـــب

وربما قال القائل قَصّرت في فلان، وطَوّلت في فلان، وأهملت فلان، مع أني لو بلغت في وصفهم الغاية التي لا تُدرك، لم أسلم من القيل والقال على كل حال، والضعف من شأن ابن آدم فيما فعل وقال، وإنك أيها المُطلع ربما رأيت ما لا تستحسن، ووقفت على ما تجزم بأنى فيه مُسيء غير محسن، فاعذرني فإني لست بالرجل، وسل الله لي العافية وقل:

غفـــر الله للمـــؤرخ لطـــف الله فيمـــا جنـــاه بيـــن يـــديـــه
وعفـــا عنـــه كـــل مـــا كـــان قـــد فَـــرّ ط فـــي دهـــره وعـــن والـــديـــه
وامحـــي عنـــه سيئـــآت ولا تـــؤا خـــذه فيمـــا فيـــه فـــاه بفـــوه

وتجاوز فيما وقفت عليه من الغلط، فربما كثر في الشخص اللغط، وتباينت عند المؤرخ الأوصاف في ذلك النمط، فأقام من أقعده الحظ وحط وأقعد من أقامه العلا في الوسط:

فـــإذا قلـــت فـــي فتـــى غيـــر مـــا فيـــه مـــن لغـــط

فأنا عائد على النفس باللوم في الغلط

وقد أثبت لك أيدك الله بتوفيقه، وجعلك من خاصة الخلاصة في فريقه، أموراً جمة من حوادث السنين، وذكرت لك كثيراً من أحوال الأدباء والعلماء والمتعلمين والعمال والمتولين، ولم أدع الإحصاء، ولا أن الخبر كان بهذا الدفتر مُستقصَى، وإنما جعلته للإيقاظ وقرع العصى، على أني لقصور باعي، وقلة إطلاعي، لو جاريت غيري لقهقرت في سيري». وهكذا يواصل المؤرخ عرض منهجه في أسلوب متواضع يعتذر فيه عن التقصير وعدم الإجادة. وما يلفت النظر بالنسبة للمؤرخ ويزيد من تقديرنا له ولقدراته العلمية، هو صفاء ذهنه الذي ظهر في التزامه بالمنهج الذي رسمه لنفسه طوال صفحات الكتاب، فهو يرى أن كتابه كتاب أحداث وأخبار وليس كتاب تراجم، وأن التراجم التي حرص على ذكرها إنما يضعها في نهاية أحداث كل عام كعادة غيره من المؤرخين المسلمين، وأنه لا يريد الخلط بين الأحداث والتراجم فتضيع هذه بين تلك أو العكس بالعكس. لهذا ـ وعلى سبيل المثال ـ نراه ينوه إلى ذلك عندما اضطر إلى الخروج عن منهجه كما أشار بنفسه في ثنايا أحداث عام ١٢١٣هـ، فقد قال: «وفي أول رجب من هذ العام نصّب الإمام لفصل الخِتام علي بن عبد الله الجلال الهاشمي وأحمد بن يوسف زبارة الهاشمي وضمهما إلى من بالديوان من الحكام، وعند ذكرنا لهما ترجمناهما، وإن كان على غير شرطنا في هذا الكتاب، فهو في العبارة الأخيرة ـ كما يتضح ـ يعتذر عن الخروج على المنهج الذي رسمه لكتابه، مع الإشارة إلى هذا الخروج في حينه.

وإلى هنا ربما يكون قد اتضح أمامنا ترجمة حياة المؤلف، ثم مؤلفاته بوجه عام، ومؤلفاته التاريخية بوجه خاص، كذلك المدرسة التاريخية التي انتمى إليها مؤرخنا، وفهمه لمعنى التاريخ، ومنهجه في التأليف التاريخي ومدى التزامه به، وأخيراً منهجه وأسلوبه اللذين التزم بهما في كتابه الهام «درر نحور الحور العين».

بسم الله الرحمٰن الرحيم

خطبة الكتاب

أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه. الحمد لله العظيم الشأن، القديم الإحسان، الذي كل يوم هو في شأن، المنزّه عما يقوله الملحد والشان، الملك الذي لا يغيره الحدثان، ولا يشاركه في الوصف والحدِّثان، ولا يثنيه عن المشيئة ثان، الباقي الذي بلى به على كَرِّ المد الجديدان، والمتحدد بالفنا فيه القاصي والدّان، فهو الحي الذي لا يموت وكل من عليها فان. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الأحد الدّيان، شهادة يُواطي فيها القلب اللسان. وأشهدُ أن محمداً عبده ورسوله المبعوث إلى الإنس والجان. صلى الله عليه وعلى الدايمة الحق والبيان، وعلى أصحابه الشادخين بسيوف الحق هام الكفر والبهتان، والتابعين لهم بإحسان.

أمّا بَعْدُ:

فهذا مختصر لطيف، ومؤلف تحيف، لم يسألني أحدٌ أن أضعه، ولا عوَّل عليَّ فردٌ من الناس أن أجمعه، مقصور على دولة الإمام المنصور، في حوادث أعوامه والشهور. واتبعْتُ فيه ممن يستحق الإثبات في مسطور، وربما ذكرت من لا أعلمه بالحال المشهور. شعراً:

لعلمـــي أن غيـــري عنـــده مِـــنْ	عجـائبــه التـي خفيـت غـرائـب

وربما قال القائل قصَّرت في فلان، وطوَّلت في فلان، وأهملت أمر فلان. وفضلت شأن فلان. مع أني لو بلغت في وصفهم الغاية التي لا تُدرك لم أسلم من القيل والقال عليٍ كل حال. والضعف من شأن ابن آدم فيما فعل وقال، وإنك أيّها المُطّلع ربما رأيت مالاً تستحسن، ووقفت على ما تجزم بأني فيه مُسيءٌ غير مُحْسِن، فاعذر بـي فإني لست بالرجُلُ، وَسَل الله لي العافية وقلْ:

غفـــر الله للمـــؤرخ لطـــف	الله فيمـا جنـاهُ بيـن يَـدَيـه
وعفـى عنـه كـل مـا كـان قـد فـرَّ	ط فـي دهـره وعـن والـديـه
وَمْحـي عنـه سيّـآتٍ وَلاَ تـؤا	خِـذْهُ فيمـا فـاه فيـه بِفيْـه

وتجاوز فيما وقفت عليه من الغلط، فربما كَثُر في الشخص اللّغط، وتباينت عند

المؤرخ الأوصاف في ذلك النّمط، فأقام من أقعده الحظ وحط، وأقعد من أقامَهُ العُلا في الوَسط.

فـــإذا قلـــت فـــي فتًـــى غيـــر مـــا فيـــه مِـــن لَغـــط
فـــأنـــا عـــائـــدٌ علـــى النفـــس بـــاللـــوم فـــي الغلـــط

وقد أثبت لك - أيدك الله بتوفيقه وجعلك من خاصه الخلاصة في فريقه - أموراً جمّة من حوادث السنين، وذكرت لك كثيراً من أحوال الأدباء والعلماء والمتعلمين، والعمّال والمتوليين. ولم أَدّع الإحصا، ولا أنّ الخبر كان بهذا الدّفتر مُسْتقصىً. وإنما جعلته للإيقاظ وقرع العَصَى، َشعراً:

وحصـــرُك مُجهـــداً أخبـــارَ يـــومٍ بعيـــدٌ أن ينـــال علـــى الـــدوامِ
ففـــي يـــوم مـــن الأيـــام لـــو شئـــت حصـــراً مـــا قـــدرت علـــى التمـــام
فسبحـــان الـــذي أحصـــىٰ البـــرايـــا ومـــا صَنعَتـــه عـــامـــاً بَعْـــدَ عـــامِ

على أني لقصور باعي وقلة اطلاعي، لو جاريت غيري، لقهقرت في سيري. ولو ماريت أهل دَيري، لما رأيت ميمون طيري، وأنا أعرف بنفسي من ابناء جنسي:

أنـــا فـــي مجـــاز الحقيقـــة منســـي وفـــي حقيقـــة المجـــاز شِبْـــه إنْـــسِ
فـــأرانـــي مثـــل الهبَـــا وغيـــري جبـــلٌ شـــامـــخ علـــى الأرض رَاسِـــي
لـــو فتشتنـــي وجـــدت صنـــدوقـــاً فـــارغـــاً أو راجعتني الفيتني في القصور بالغاً؛
مـــا بيـــن عـــيّ قـــد جمعـــت وبيـــن سُـــوء تكلـــم
لـــم أدر حتـــى قلـــت هـــذا كيـــف كـــان تعلمـــي

فأما حضوري مواقف العلم. ومزاحمتي لأهل الفضل والحلم، ومطارحتى للأمثال والاشباه، فما شاء الله لا قوةَ إلا بالله. وأما خبري ففي حيز العرب الجفاة، ونسبي في أهل الكدّ الحُفَاة.

أنـــا فـــي بكيـــل صـــرت منتسبـــاً ولـــم أكُ مـــن نِـــزارِ
فـــي حيّـــز العـــرب الجُفـــاة مميـــزاً بـــالاختبـــار[١]
مـــا إنْ لِجحّـــاف بـــن مُـــرهِبَـــةٍ تَـــرَا فضـــلاً يُبَـــاري
هـــذَا ومـــا ألفـــت يُعْـــربُ عـــن قصـــورٍ فـــي انحســـارِ
أدخلـــت نفســـي بيـــن أقـــوامٍ تســـامـــواً فـــي الفَخَـــارِ
فنسيـــت نسيـــانـــي علـــى الاغمـــا ض مقـــداري بـــداري

---

(١) ب: مميزاً بالاختيار.

وسمَّيتُ هذا الكتاب: درر نحور الحُور العِين، بسيرة الإمام المنصور وأعلام دولته الميامين. ولم أقتصر على حوادث اليَمن، ولا حبست التراجم على من بهذا القطر قَطَن، بل ذكرتُ من عارضَ المنصور من الصدور، وشرحت كثيراً من أحوال أهل الآفاق الحَرِية أخبارهم بأن تفرد بمسطور. وذكرت عدة حوادث مِن التهايم والجبال، والحجاز والحرمين، والعراقين، ومصر، والشام، والروم، والسِّند، والهند، والغرب، بعد الفحص والتفتيش، والبحث الكامل عما حصل فيه التشويش. وقد ألفت كُتباً في هذا الشأن، فمنها قرة العَين بالرحلة إلى الحرمين، وهو على صغر حجمه مفيد في اخبار الأمم، ومنها «فنون الجنون في جنون الفنون». ذكرت فيه عدّة من الأكابر، واعترضت كثيراً من معارفهم التي أودعوها بطون الدفاتر، ومنها «ديباج كسرا في مَن تيسّر من الأدب لليُسرى»، ومنها «العباب في تراجم الأصحاب» وفيه ما في هذا التاريخ من الاعلام، وغيرهم من أُولى النهي والاحلام، وإنما أذكر في هذا مَنْ عَرفت وفاته، وقد أذكر مولده إن تيسَّر، وربما سنح ذِكر رجل من الأحياء، ودَعت الحاجة فيما يتعلق به من أشياء، ولكنه على سبيل الندرة. وقد ذكرت الأفاضل الذين أدركتهم، وشاهدتهم، وأخذت عنهم. ومن كان في زمني أو تقدم قليلاً من الملوك والأمراء والوزراء وغيرهم ممن له شهرة ظاهرة ليطّلِع على أحوالهم من يأتي بعدي.

وقيّدت من الألفاظ ما لا يؤمَن فيه التّصحيف على الظريف، وذكرت لأهل التراجم ما سمعت منهم، أو حدثني الغير عنهم، وجمعت في الأخبار ما بين فائدة وعائدة، وحلم وجهل، وجِدّ ومجون، ومعقول وجنون، ومنظوم ومنثور، ومضحك ومُبكٍ، وموعظة ونُسك، أثبت ما وقع من مكاتبة الملوك والطوائف.

وقد اعتنى[١] جماعة ممن في وقتنا بالتراجم كالقاضي العلامة أحمد بن محمد قاطن وكتبه التي اعتمد عليها كثير من المتأخرين كدمية القصر برجال أهل العصر، وكشيخ الإسلام العلامة البدر الشوكاني في كتابه الذي سمّاه: البدر الطالع بمن بعد القرن السابع، ذيَّل به ابن خلكان، واعتمد فيه على الدرر الكامنة في أهل المائة الثامنة لابن حجر، وعلىٰ الضوء اللامع للسخاوي في أهل القرن التاسع[٢] ومن بعدهم، وعلىٰ ذيل ابن شاكر، وغير هذه من تراجم أئمة الزيدية كالطبقات ليحيـى بن الحسين وغيرها. خلا أنه شحَّ بهذا المؤلف أن يظهره في وقته. وممن ألف في زمننا هذا السيد العلامة عبد الله بن عيسى بن محمد بن حسين صاحب كوكبان بكتاب أفرده بتراجم من عرف

(١) اعتنى: اعتنا.
(٢) أ: السابع، وهو خطأ.

بالملاقاة أو المعاصرة سمّاه: الحدائق المُطلَعة من زهور ابنا العصر شقائق[1]، وقد طالعته فوجدته التزم فيه أن لا يذكر سُوى[2] من له شِعر، وهذه فرعٌ من فروع التاريخ مستغنَى عنها، فنقل الأحوال أهم منها، وربما نقَل شيئاً يسيراً من الأحوال لا يذكر، وله «اللواحق» ذَيّل فيه الحَدَائق[3]، ترجم فيه لمن لم يذكره في الحدائق، ولم أقع عليه.

وممن أَلَّف في زمننا هذا رفيقنا العلامة الصّارم إبراهيم بن عبد الله الحوثي رحمه الله، كتاباً سمّاه «نفحات العنبر ممن بَعد القرن الحادي عشر»[4]، جَمَع فيه فأوعى، وأحسن صُنعا.

ولما أكمله سار به إلى كوكبان، فرفعه الأعيان، على الأجفان، وترك منه جانباً هنالك، فذهبت به أيدي الضياع، ولم نقعَ منه إلا على البعض، وهو ممتع بديع، وإن لم يكن فيه الإكثار من الأحوال. فهؤلاء أجلّ من رأينا في التاريخ، وما عَدَا تأليفهم فأما هذيان وأما غير صحيح، كُتِم خوفاً من أن ينتقده إنسان. وكان قَبْلنا قد تصدى العلامة علي بن قاسم حنش رحمه الله تعالى، بذكر أحوال السنين، فجمع من عام سبع وستين ومائة وألف، مُكمِّلاً لما فات المؤلف الشهير محسن بن الحسن أبو طالب، فإنه ألف كتابه الذي سمّاه: طِيْب أهل الكِسا، وبلغ إلى قريب السبعين وانقطع فكمّلهُ من عام سبع وستين[5]. وقد كان علي بن قاسم حنش سار في حادثة أبـي علامة، وعَرَفها معرفة تامة، فشرحها كما ينبغي في غير كتابه هذا، وذَكَر الحوادث في كتابه علىٰ صفتها، وأدخل فيها تراجم يسيرة. ولمّا انتهى به التأليف إلى آخر عام الدولة المهدويّة العباسية، أحجم عن الانتقال منها إلى دولة الإمام المنصور، وصار في حيرة من ذلك الأمر، رأى أنه عظم فيها الخطب، واتسع الخَرْق، وزاد الكرب، فكان قد عزم على وضع ديباجة

---

(١) ويُسمى: حدائق التُحف فيمن تردى برداء الأدب والتُحف. عندي منه نسخة مخطوطة.

(٢) سُوىٰ: سوا.

(٣) اسمه: اللواحق بالحدائق.

(٤) يقوم بتحقيقه حالياً أحد أحفاده هو الأستاذ الباحث القدير عبد الله بن عبد الله الحوثي. وهو بعنوان: نفحات العنبر في تراجم نبلاء اليمن بعد القرن الثاني عشر. من سنة (١١٠١هـ) إلى ١٢٠٠هـ حيث أخترمته المنية قبل أن يكمله، وترك بعض كراريس منه في كوكبان، جمع والده منه في ثلاثة مجلدات، وأحرق ما عثر عليه بعد ذلك. قال الاستاذ عبد السلام الوجيه: والموجود منه من أهم كتب التراجم في هذا القرن.

(٥) كتاب «طِيْب أهل الكساء» بلغ فيه مؤلفه إلى سنة (١١٧٠هـ)، وزاد فيه المذكور إلى سنة (١١٨٩هـ). كما أن له ـ أي العلامة علي بن قاسم حنش ـ كتاباً آخر يختص بسيرة الإمام المهدي عباس بن الحسين.

يعتذر فيها عمّا جرى، ويُظهِر أن ذلك الخبط الواقع من الوزراء. ثم أضرب عن ذلك صفحاً، وطوى كشحاً فانتدبت لوصف حوادث هذه الدولة، وذكرت ما جرياتها المهولة، واعتمدت أن أتحرى الصدق، وأقوله. وخشيت من القيل والقال، ونصحني في الترك كثير من الأمثال، فقصدت سيف الإسلام أحمد بن الإمام ـ لا زال ظل عدله ممتداً علىٰ الأنام، فاستشرتهُ في ذلك، فرغّبتني وحَسَّن لي الدخول في تلك المسالك، فاطلعته على كراس جعلته في عام تسع ومائتين، وعام عشرين ومائتين[1]، وهما متباينتان في الخوف والأمان، وقد كان فيهِما من الأمر وكان، فلمّا رآه استصوبه، وعزم عليَّ أن أكمله ليستكتبه.

وَدَخَلَت سَنَةُ تسعٍ وثمانين ومائةٍ وألف

فيها: أَدّعى الإمام المنصور بالله، يوم الخميس تاسع عشر [من] رجب، بعد العصر، وبايعه الخاصة والعامة بقبّة والده التي بـ (بستان السلطان) فما اختلف عليه إثنان، وخرج منها وطلع قصر صنعاء، فدخل عليه الأكابر يهنّونَهُ ويعزُّونَه، ولم تزل ترد عليه المبايعة من أهل البلاد الشاسعة، وهو يعلن ما ورد بالأشعار والإستبشار. ومدحه عدة من الأكابر كالسيد العلامة علي بن أحمد بن محمد بن إسحاق بقصيدة بديعة مستهلها:

إن الخلافة لا ترضى من الأمم ... كفواً لها غير أهل الحلّ والحَرم
وليس في الكون من ترضى كفائتهُ ... غير الهمام الأشم الكوثر الفَهِمُ
إمامنا الملك المنصور مالكُنا ... جمّ العُلىٰ باهر الأوصاف والشيم

وهي قصيدة بديعة، وامتدحه عمّ المذكور يعقوب بن محمد بن إسحاق بقصيدة تأتي. وما أحسن ما أرّخ هذه الدعوة بعضهم، بذكر الوقت واليوم والعام والعدد[2] فقال:

وإن شئت تعرف ميقاتها ... فأرِّخ لعصر بيوم الخميس[3]
[سنة ١١٨٩]

---

(١) إ: وعام عشر ومائتين.

(٢) أ: بالعدد.

(٣) مجموع حروف وكلمات التاريخ المذكور بالأعداد، طبقاً لحساب الجُمّلْ، مُجَمَّلاً كالآتي:
لعصر = ٣٩٠ تفصيل حروفها على الترتيب: ٣٠، ٧٠، ٩٠، ٢٠٠
بيوم = ٥٨ تفصيل حروفها على الترتيب: ٢، ١٠، ٦، ٤٠
الخميس = ٧٤١ تفصيل حروفها على الترتيب: ١، ٣٠، ٦٠٠، ٤٠، ١٠، ٦٠
———
١١٨٩هـ

ومثله ما في قصيدة الضيا الصادق محمد بن زيد:

لا زلت تسمُو إلى ما شئت من رُتَب ... في المجد اعيت منالاً فكر مطلبي
تَنقاد طَوْعاً كما يحكي مؤرّخها ... لك المحامد في عشرين من رجب[1]

[سنة ١١٨٩]

والقصائد في مديحه عديدة، وابدع ما قيل فيه قصيدة أديب الوقت أحمد بن أحسن بركات:

فضائل مولانا الإمام وحيشهِ ... وجود يديه الجمَّ ضاق به العَدُّ
فراحته تهديك رائحة العَطَا ... كأن ندا كفيّه بين المَلاَ نَدُّ
ويلقاك منه البشر قبل لقائه ... كما يلتقيك النشر إن ورَدَ الوَردُ
عروس جياد الخيل تزهو إذا عَلَى ... عليها وتهواه المطهمّة الجَرْدُ
كتيبتهُ الدّهما أشهى لناظِري ... من الغادة البيضآء مالَ بها القَدُّ
له السَّنَد المشهور في سنن العُلىٰ ... فيروي أبوهُ ما رواه له الجَدُ
على ماجدٍ أردىٰ بخيبرَ مرحباً ... ولم يك في الإسلام يسبقَه فَرْدُ
تشابه أفعال الأئمة مِنْهُمُ ... كما أن أشبال العرين هي الأسدُ
ألم تَرَ في سعوان هانَ عزيزُها ... كما فرّ في صِفّين من ولدت هِنْدُ
وكل إمامٍ منهمُ تَرْكُ العُلىٰ ... لكل علي في الأئمة من بَعدُ
لهذا روىٰ المنصور بالله مجدَهُ ... كما قد روىٰ المهدي فاتصل المجد
محامد يرويها الأخير عن الذي ... تقدم منهم ما لغايتها حَدُّ

وهذه القصيدة عَوده في جيد الأدب. ومن أجود ما امتُدح به في عام الدعوة قصيدة القاضي إسماعيل بن عبد الله الخطيب بقعطبة التي أوّلها:

مَوْلَىٰ البسيطة والعافون أعبُده ... ما خاب مَن بات يرجوهُ ويقصُدَهُ
غرس الإمام الذي ما زال منذ نَشَا ... المال يشكوه والعليا تحمدُه
أغرّ تستوقف النّعمآ تُوعدُه ... عَفواً ويعثر بالإنعام مَوعِدُه

وسيمرّ بك تراجم عُدّة ممن امتدح الخليفة.

[وسم الخيل بالمنصور]

وفيها: شهر شعبان، أمر الإمام أن تُوْسّم الخيل بلقبه فَوُسِمَت في جميع الجهات اليمنية والتهامية.

---

(١) تُحسب بنفس الطريقة السابقة.

[فتح دار الضرب]

وفي غرته أمر بفتح دار الضرب، فضربت السكة بأسمه، وأخرجت يوم الجمعة[1] التاسع عشر من شعبان، فأمر الناس بالمعاملة بها وأبطل الضَّربَة المهدويّة.

وفي يوم الأربعاء، سابع عشر من شعبان قلّد الإمام أخاه ـ علم الإسلام ـ ولاية صنعاء وأضاف إليه الجَنَد.

وفي يوم الإثنين تاسع وعشرين من شعبان خرج الإمام في عساكره وفرسانه وأرباب دولته إلى خارج صنعاء فأنال الجُند مما يُجرىٰ، أموالاً وعطايا ذهباً وفضّة، فانجبرت بذلك قلوب منكسرة.

[صُلْح شرف الدين ابن إسحاق]

وفيها: تم الصلح بين الإمام وقبائل أرحب، وأرتفع من بينهم السيد العلامة شرف الدين بن إسماعيل بن محمد بن إسحاق وكان أظهر الخلاف أيام الإمام المهدي، وخرج في أكثر أولاد جده محمد بن إسحاق، منهم: يوسف بن محمد، وناصر بن محمد، والحسين بن محمد، والصادق بن محمد، وعباس بن محمد، وغيرهم من آل إسحاق، وكانوا تفرقوا في بلاد القبلة ثم صولحوا ودخلوا حضرة الإمام المهدي إلاّ العلامة شرف الدين فإن الإمام المهدي لم يرضىٰ إصلاحه، لكثرة خلافه. وكان آل إسحاق لمّا خرجوا أيام الإمام المهدي قد دعوا إلى الخلاف: عالِمَهُمُ الصدر الرئيس، أحمد بن محمد، فاعتذر لسبق العهد مع الإمام.

وكان أخوه الصادق يقول له: لا عهد له، فيقول أحمد بن محمد: هكذا كلام الجهلة. وكان الصادق كثيراً ما يزوّر الخطوط، بحيث إذا زوَّر خطاً لا يكاد يظهر إلا للمتأمل الماهر المعرفة، فزوَّر خط أحمد بن محمد وكأنه جواب علىٰ الخارجين في الخلاف، اشتمل على تصويب خلافهم، وأكثر فيه من الحظ على إعلان كلمة الفساد، وإثارة القبائل في جميع البلاد، وأعمل الحيلة في وصول الجواب المزوَّر إلى حضرة الإمام. فوصل وأرسل الإمام المهدي لأحمد بن محمد وعرض عليه ذلك، فرد عليه بالحق وقال: قد سبق مني كل عهدٌ أني لا أثير عليك أحداً وان شئت أن أتعهد لك ثانياً فَعلت، وأما الخط فخط الصادق وهو كاذب به عليَّ ومزوّرٌ له، فصدّقه.

نَعم، كان صلح السيد العلامة شرف الدين علىٰ مالٍ مُجرَىٰ[2] على الدوام، مما أقطعوه جملة من دنّ وصاب.

---

(١) زيادة من «أ».

(٢) مُجرىٰ: مجرا.

وفيها: بلغت الأخبار عن مولاي محمد بن عبد الله السعيدي الهاشمي الإدريسي، صاحب الغرب في خروجه إلى ديار الكفرة لمصادرتهم. وكانت إذ ذاك قد خرجت عليه طوائف من النصارى الساكنين بجبل طَرّ[1] بطآء مهملة مفتوحة فراء مهملة مشددة ـ وهي أقصى محلة بها إحدى ممالكهم، وذلك قبل اصطلاحهم معهُ، وأخذ عليهم مراكب بحرية، وبها من الأموال شيءٌ لا يحصى. وهذه الدولة للأدارسة بالغرب قريبة التملك والاستيلاء، ولم نر أحداً ترجمها أو ترجم رجلاً من رجالها، فإن غاية ما نقله أهل العُنية بالتاريخ أن ذكروا بني مَرّير، وانقطع علم المتطلعين باليمن عن المعرفة بحقيقة أولئك، وكنت أهُمُّ أن أكتُب إلى الحرمين الشريفين للسؤال عن أحوال أمر الغرب والاستفصال عما هم عليه، ومن أي عام ملكوا ذلك المحل؟ وكيف عادت لهم به الدُّول فقدّر الله. أن حَجَجْنَا البلدة الحرام، ولاقينا كثيراً من الأعلام، ونقلنا أخبار الأمم، وأودعنا ذلك بطن كتابنا الموسوم بـ «قرة العَيْن بالرحلة إلى الحرمين» فنقلنا فيه عن أهل الغرب، ومصادرتهم لمن يليهم من الكفار ما يَبْهر، ولْنُلِمُّ بذكر أولهم تسلطاً. هذا الزمن الأخير بالغرب، فنقلنا بعض الخبر عن الأستاذ إمام الحرمين، شيخنا الصالح بن محمد الفُلاَّني[2] وبعض الخبر عن جماعة من المغاربة دخل حديث بعضهم في بعض، ونقلنا في ذلك خبراً وافق حديث أولئك عن السيد محمد بن الحسن المغربي النازل بصنعاء عام أربع وعشرين، فاتفق الجميع على أن أول ملوك الأدارسة هذا: محمد الرشيد، وكان ظهوره ببلاد أجريد[3]، وسار عنها فامتدّت مملكته من تلمسان إلى الساقية الحمراء، بقي بالمملكة سبع سنين، وقام بالأمر بعده إسماعيل السعيد وعليه كثر الاختلاف وظهرت الفتوق بالأطراف فاشتدَّ وأظهر غلظةً وجبروتاً وسفك الدّماء، وصفّد الأعداء، ودفنهم أحياء، وكان أول ظهور الاختلاف عليه بفاس فنزل عليها محاصراً فافتتحها ودخلها فاستقر بها أيّاماً يدبر أمر الغرب، ثم سار إلى المدينة الحمراء فتسلمها، وجاءَهُ خبر بتضرب أحوال مَرّاكش، فسار إليها فحصرها ثمانية أشهر ثم دخلها عنوة في يوم خميس أو جمعة، وأطلق السيف بها ثلاثاً ففني تحت السيف خلق لا يحصون، ثم هَدَم شيئاً من قصورها ودورها، وسورها، وأقام عنه بها خليفة، وسار عنها إلى فاس

---

(١) **جبل طَرّ**: جبل في المغرب.

(٢) **صالح بن محمد الفُلاّني**: عالم بالحديث مجتهد، من فقهاء المالكية، من أهل المدينة، ووفاته بها سنة (١٢١٨هـ). له مؤلفات انظرها في كتاب: الأعلام (٣/ ١٩٥).

(٣) **بلاد الجريد**: هو شط منخفض في جنوب تونس قرب الصحراء ـ المنجد في الأعلام ط (٢١) ص (٢٠٠).

فبقي بها أياماً واشتغل بمصاولة البداوَة من العرب المسلمين، وتكلم الناس في شأن مدينة سوس وأعمالها فسار إليها فتسلمها وبقي بها أياماً قلائل وتجهّز منها إلى تلمسان وقد غلب عليها العَدُوّ من الترك فحاربهم يوماً كاملاً، فأذهب بالسيف خلائق، وكانت الدائرة عليهم وتسلمها وسار عنها يطوي البلاد ويصول على أهل الأغوار والانجاد، واستشار الناس هنالك: أي مذهبٍ يَؤمُّهُ من تلك الممالك؟ فوقعت المشورة على بلاد جزاير فدخلها وبقي بها أياماً وتواطأت له ممالك الغرب الأدنىٰ[1] وتحدث عن الغرب الأقصى فسالمته ملوك النصارى من النمسه بنون مكسورة فميم ساكنة بعدها سين مهملة ـ والدَّوبَرَ ـ بمهملة وموحدة بينهما واو ساكنة آخره مهملة ـ والفلمك ـ بكسر الفاء واللام بعدها ميم شديدة ـ والسَّبَنْيُول ـ بفتح المهملة والموحدة فنون ساكنة بعدها تحتية فواو ساكنة آخره لام ـ وغيرهم، وهادته بأنواع الهدايا والتحف، ثم حَضرهُ الأجل هنالك فمات بجزاير وقُبر بها. فكان مدة بقائه في المملكة ثلاثاً وستين سنة، وقام بالأمر من بعده أحمد الصغير فلبث بالمملكة عامين إلا أربع ليال، فمات وقُبر بالمدينة الحمراء، وقام بالأمر من بعده عبد الملك فلبث أربع سنين ونصف ومات بفاس وقام بالأمر من بعده عبد الله فلبث سبع سنين، ورأى من نَجَابة ولده محمد وشهامته ما دل على قهر للأعداء فخلع نفسه وأقام ولده محمداً مقامه ومات ذلك العام، وقُبر بفاس الجديدة، وقام بالأمر من بعده وله محمد فَغَزا الأطراف وصاول أهل الخلاف، وأرجف وأخاف، وافتتح مداين عنوةً، فذلت له الجبابرة وصالحته، وقد كان يبعث الجيوش على النصارى براً وبحراً، وله بهم وقعات مشهورة ونكايات مذكورة، وكان يغنم الغنايم الواسعة فينيل بها طوائف أهل الإسلام. وسيَمُر بك إن شاء الله بعض من ذلك في هذا الكتاب.

وقد استوفينا أخبار مولاي محمد، وما جرياته، واختلاف ولديه اليزيد وهشام، وما كان من أمرهما، وذِكر مقتل اليزيد وقيام القبائل وتحزبها على اختلاف أهوائها، كل طائفة مع الآخر. وكيف أفضى الأمر من بعد إلى مولاي سليمان وهو القائم بالغرب عامنا هذا خمس وعشرين ومائتين وألف كل ذلك مفصلاً بكتابنا: قرة العين.

ولبث بالمملكة مولاي محمد ثلاثاً وثلاثين سنة، ومات بالسواحل. وقام بالأمر من بعده ولده اليزيد فصاول الأعداء أو عارضه أخوه هشام ثم قتله بمراكش، والأكثر علىٰ أنه قُتل بالمدينة الحمراء، فلبث في المملكة ثلاث سنين وأشهراً، ثم لم يرض الناس هشاماً بعده، فقصدوا مولاي سليمان وهو عن ذلك الأمر معرض مُقبل علىٰ طلب العلم بفاس الجديدة، ولم يكن في دولة الأدارسة بالعرب بعد إسماعيل أحدٌ يساوي مولاي محمد. وتبعه سليمان فما قصَّر وكان لمولاي محمد من الأولاد: علي وهو

---

(١) الأدنى: الأدنا.

الأكبر، وسليمان. وعبد الرحمـٰن. والمأمون. ويزيد. وسلامة. وهشام. والطيب. وعبد القادر. والحسن. والحسين. والعَرَبي. وزين العابدين. وعبد الملك. وقد أتينا في الرحلة على أكثر أخبارهم.

[ذِكْرُ دولة النجديين]

وفي هذا العام: غَزَت قبائل عبد العزيز النجدي[1] إلى بداوات نجران فالتفت عليهم قبائل يام، فكانت ملحمة دارت بها الدائرة على أهل نجد، وذلك أول أمر نجم لهذه الطائفة بجهات اليمن. وقد تكلم الناس في هذه الفتنة قديماً وحديثاً ولم نر مَنْ ترجم هذه الطائفة التي ملأ ذكرها ما بين مطلع الشمس ومغربها.

وكان أول ما تحدث الناس عنهم لما كاتبهم علامة الدنيا البدر السيد محمد بن إسماعيل الأمير رحمه الله، وأرسل بتلك القصيدة إلى رئيسهم الداعي لهم إلى التوحيد محمد بن عبد الوهاب، وأثنى عليه بها، وأولها:

سلامٌ على نجدٍ ومن حَلّ في نجدِ ... وإن كان تسليمي على البعد لا يجدي
لقد صدرت من سفح صنعاء سقي الحيّا ... رُباها وحيّاها بقهقهة الرّعدي
سَرت من أسيرٍ ينشد الريح إن سَرت ... ألا يا صبَا نجدٍ متى هجت من نجدِ
يذكرني مسراك نجداً وأهلَهُ ... لقد زادني مسراك وُجداً على وجدي
قِفي واسألي عن عالمٍ حل سوحَها ... به يهتدي من ضل عن سُبل الرشدي
محمدُ الهادي لسنة أحمدٍ ... فيا حبذا الهادي ويا حُبَّذَا المهدي
لقد أنكرت كل الطوائف قوله ... بلا صدرٍ في الحق منهم ولا وردي
وما كل قول بالقبول مقابلٌ ... وما كل قولٍ واجب الرد والطّردي
سوى ما أتىٰ عن ربنا ورسوله ... فذلك قول جل قدراً عن الرَّدي
وأما أقاويل الرجال فإنها ... تدور على قدر الأدلة في النَّقدي
وقد جاءت الأخبار عنه بأنه ... يُعيد لنا الشرع الشريف بما يُبدي
وينشر جهلاً ما طوى كل جاهل ... ومبتدعٌ منه فوافق مَا عِندي
ويعمر أركان الشريعةِ هادماً ... مشاهد ظل الناس فيها عن الرشدي
أعادوا بها معنى سواع ومثله ... يغوث وودٌّ بئس ذلك من وُدِّ
وقد هتفوا عند الشدائد باسْمِها ... كما يهتف المضطر بالصّمد الفردِ
وكم عقروا في سوحها مِن عقيرةٍ ... أُهِلَّت لغير الله جهراً على عمدِ
وكم طائف حول القبور مُقبِّل ... ويلتمس الأركان منهن بالأيدي

---

(١) هو عبد العزيز بن محمد بن سعود. من أمراء آل سعود في دولتهم الأولىٰ.

وحرّق عهداً للدلائل دفتراً | أصاب ففيها ما يجل عن العَدِّ
غُلُوٌّ نهى عنها الرسول وفِريَةٌ | بلا مِريةٍ فاتركه إن كنت تستهدي
لقد سرني ما جاءني من طريقهِ | وكنت أرى هذي الطريقة لي وحدي

ثم بدَّع البدر المنير أهل المذاهب ونعى عليهم طريقتهم المذهبية فقال:

وأقبح من كل ابتداع سمعته | وأنكاه للقلب الموفق للرشدي
مذاهب من رام الخِلافَ لبعضها | يُعض بأنياب الأساود والأسُدي

ثم أثنى البدر بها على أهل الحديث من السلف الصالح ومن تبعهم فقال:

سلام على أهل الحديث فإنني | نشأت على حُب الأحاديث من مهدي
هُموا بذلوا في حفظ سُنة أحمدٍ | وابلاغها من جهدهم غاية الجَهْدِ
أولئك أمثال البخاري ومسلم | وأحمد أهل الجِدّ في العلم والجَدِّ
بحورٌ أحاشيهم علىٰ الجزر انَّما | لهم مَدَدٌ يأتي من الله بالمدِ
رَوَوْا وارتووا من بحر علم محمدٍ | وليست لهم تلك المذاهب من وُردِ

ثم نقم على أهل التصوف وكفّرهم وكفر ابن عربي وقال:

واكفَر أهل الأرض من قال انّهُ | إلـٰهٌ وانّ الله جَلّ عن النَّدي
فسماه كل الكائنات جميعها | من الكلب والخنزير والقرد والفهدِ
وان عذاب النار عُذْبٌ لأهلها | سواءٌ عذاب النّار أو جنة الخُلدِ
وعُبّاد عجل السامريُّ على هُدًى | ولائِمهم في اللَّوم ليس على رُشدي
وينشدنا عنه نصوصُ فصوصه | ينادي خذوا في النظم مضمون ما عندي
وكنت أُمرءاً من جند إبليس فارتمَى | بي الدهر حتى صار إبليس من جُندي

حتى قال في المنظومة

يلـذون عند العجز بالذوق ليتهم | يذوقون طعم الحق فالحق كالشُهْدِ

والقصيدة هذه نحو أربعة وسبعين بيتاً، ولمّا وصلت هذه الأبيات إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب عظمت نفسه عليه وجارا مَنْ مَاشَاهُ بهذه الطريقة على سفك الدماء وتكفير أهل الأرض، فكتب البدر المنير محمد بن إسماعيل الأمير أبياتاً يصف رجوعه عما قاله في النجدي وبيَّن فيها سبب غَلطه، فقال:

رجعتُ عن القول الذي قلت في النجدي | فقد صح لي عنه خلاف الذي عندي
ظننت به خيراً وقلت عسى عسى | نرى ناصحاً يهدي العباد ويستهدي
فقد خاب فيه الظن لا خاب نُصحَنا | وما كل ظَنٍّ للحقائق لي يَهدِي

وقد جاءنا من إرضه الشيخ مُزبدٍ ... فحقق من أحواله كل ما يبدي
وقد جاء من تأليفه برسائل ... يكفِّر أهل الأرض فيها على عَمدِ
ولفّق في تكفيرهم كل حُجَّةٍ ... تراها كبيت العنكبوت لدى النّقدِ
تجاريْ على إجرا دماً كل مسلمٍ ... مُصَلٍّ مُزَكٍّ لا يحول عن العهدِ
وقد جاءنا عن ربنا في بَرَاءةٍ ... براءتهم عن كل كفرٍ وعن جحدِ
واخواننا سماهمُ الله فاستمع ... لقول الإله الواحد الصمد الفَردِ
وقد قال خير المسلمين[1] نهيت عن ... فما بالَهُ لم ينتهِ الرّجُل النجدي
وقال لهم لا ما أقاموا الصلاة في ... أناسٍ اتوا كل القبائح عن قصدي
ابِن لي ابِن لي لم سفكت دماؤهم ... ولم ذًا نهبت المال عمداً على قَصدي
وقد عصموا هذا وهذا بقول لا ... إله سِوى الله المهيمن ذو المجدي
وقال ثلاث لا يحل بغيرها ... دم المسلم المعصوم في الحلّ والعقدي
وقال عليٌّ في الخوارج إنّهُمُ ... من الكفر فرُّوا بعد فعلهم المُردي
ولم يحفر الأخدود في باب كِندةٍ ... ليحرقهم فافهم إذا كنت مستهدي
ولكن لقومٍ قد أتوا بعظيمة ... فقالوا عليٌّ ربنا منتهى القصدي[2]
وهذا هو الكفر الصريح وليس ذا ... برفض ولا رأي الخوارج في المهدي[3]
وقد قلت في المختار اجمع كل مَن ... حوى عصرَهُ من تابعي وذي رشدي
على كفره هذا يقينٌ لأنَّه ... تسمّى نبياً لا كما قلت في الجعدي[4]
فذلك لم يجمع على قتله ولا ... سوى خالد ضحّى به فهو عن قصدي
وقد أنكر الإجماع أحمد قائلاً ... لمن يدعيه قد كذبت بلا جحدي
روى ذلك ابن القيم الأوحد الذي ... أتى بنفيس العلم في كلما يُبدي
كدعواك في أن الصحابة أجمعوا ... على قتلهم والنهب والسلب والطردي
لمن لزكاة المال قد مانعاً ... وذلك من جهل بصاحبه يردي
فقد كان أصناف العصاة ثلاثة ... كما قد رواه المسندون ذوي النقدِ
وقد جاهد الصدّيق أصنافهم ولا ... يُكفر منهم غير مَن ضَلّ عن رُشدي
وهذا لعمري غير ما أنت فيه مِن ... تجاريك في قتلٍ لمن كان في نجدي

---

(١) أ: خير المُرْسَلين.

(٢) قال عبد الله بن سبأ، وقد كان أدعىٰ بعجرفته وغباوته وكفره الاهية علي بن أبي طالب، ورُوي عنه رضي الله عنه أنه استتابهم فلم يتوبوا فأحرقهم. راجع كتاب: الأعلام (٤/ ٨٨).

(٣) يقصد المهدي المنتظر، الذي يظهر آخر الزمان.

(٤) **النابغة الجعدي**: شاعر مخضرم من المُعمرين، كان سيد قومه، وَفَد على النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم. توفي سنة (٥٠هـ) تقريباً (٦٧٠م) ـ المنجد في اللغة ص (٥٦٧).

فإنهم قد بايعوك على الهُدىٰ   ولم يجعلوا لِلَّهِ في الدين من نَدّي
وقد هجروا ما كان من بِدَعٍ ومِن   عبادة من حلّ المقابر في اللّحدِ

حتى قال رحمه ذو الجلال:

نَعم واعلموا أني أرى كل بدعةٍ   ضلالاً على ما قلت في ذلك العَقدِ
ولا تحسبوا أني رجعت عن الذي   تضمنه نظمي القديم إلى نجدِ
بلى كلما فيه هو الحق إنما   تجاريك في سفك الدماء ليس من قصدي
وتكفير أهل الأرض لَست أقوله   كما قلته لا عن دليل به تهدى
وها أنا أبري من فعالك في الورى   فما أنت في هذا مصيب ولا مهدي
ودونكها مني نصيحة مشفق   عليك عسى تهدي بهذا وتستهدي
نعم ثم ان الكفر قسمين فاعلموا   وكل من القسمين أحكامه أبدى
فَكُفر اعتقادٍ حُكمه السفك للدما   وسبي الذراري وانتهاب ذوي الجحدِ
إلى أن يقروا بالشهادة للذي   له الخَلق والأمر الإله الذي يهدى
وأن يشهدوا أن الرسول محمداً   نبيٌّ أتى بالحق في الشرع والرشدِ
وان يشهدوا أن المعاد حقيقة   يعيدهمُ رب العباد الذي يبدي
خلا مَن له منهم كتاب فإنه المعا   هد والايفا حتمٌ لذي العهد
وكفرٌ لمن يأتي الكبائر لا سِوَى   وليس ككفر بالمعيد وبالمُبدي
كتارك فرض للصلاة تعمُّداً   وتارك حكم الله في الحل والعقد
كذا سارق أو شارب الخمر أو زنا   فعنهم نفى الإيمان أحمد ذو الجَدّ
ومن صدّق الكُهّان أو كان آتياً   لإمرأة في حشها غير مستهدي
ومن لأخيه قال يا كافر فقد   بها باءَ هذا أو بها باءَ من يهدي
وليس لهذا الكفر يصبح خارجاً   عن الدِّين فافهم ما اقرره عندي
وهذا به جمع الأحاديث والذي   أتى في كتاب الله ذي العز والمجد
بَلىٰ بعض هذا الكفر يخرج فاعلاً   له أن يكون للشرع والدين كالضِّد
كمن هو للأصنام يصبح ساجداً   وساب رسول الله فهو أخو الجَحْدِ
وهذا الذي فصّلته الحق فاتّبِع   طريقته إن كنت للحق تستجدي
وحاصل هذا في النفاق وغيره   من الفسق والشرك الذي كُلّه مُردي
فإن قلت قد كفّرت من قال أنّهُ   الَـدَّ وإن الله جل عن النِّدِ
فسماه كل الكائنات بأسرها   من الكلب والخنزير والفهد والقردِ
مع أنه صلاّ وصام وجانب التوسـ   ـع في الدنيا ومال إلى الزهدي

فقلت استمع مني الجواب ولا تكن غبياً جهولاً للحقائق كاللّدِ[1]
فإن الذي فيه سالت مجاهرٌ بنفي الإله الواحد الصّمد الفردِ
ونفى نبوّات النبيين كلهم فما أحمد الهادي في ذاك بالمهدي
وتصويب أهل الشرك في شركهم فما أبو لهب إلا كحمزة في الجَدِ
وهارون أخطأ حين لام جماعةً عكوفاً على عجل يخور ولا يهدي
فإن لم يكن هذا هو الكفر كله فعقلك عقل الطفل زُمّل في المهدي
فقد كفّر الشيخ ابن تيميةٍ ومن سواه من الأعلام في السهل والنجدي

وقد أتينا على محل الفائدة من هذه القصيدة، وفيها ما ترى من تحقيق التكفير وغيره، ومن يلزمه اسم الكفر ومن ينبُو عنه. وقد أتينا على هذا الكلام هنا جملة ويأتي إن شاء الله تمام تفصيله في تكفير أولئك لأهل القبلة ـ عام ثماني عشرة ـ عند ذكرنا لقتل عبد العزيز. ولا بدّ أن نتمم هاهنا الفائدة بذكر نسب أعظم الدعاة إلى هذه الطريقة، فأولهم الشيخ محمد بن عبد الوهاب، نقلنا نسبه عن عبد الله بن المبارك الأحسائي رسول سعود إلى الإمام المنصور، وعن عبد العزيز بن أحمد حامل كتب سعود إلى المنصور، قالا: هو محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن أحمد بن محمد بن راشد، قال عبد العزيز بن أحمد: وما بعد راشد لا يحفظه، وهو محفوظ عندنا ينتهي إلى تميم، وقد أتينا على أنساب هذه الطائفة وذكرنا أوصاف من اشتهر من أتباعهم وذكرنا أولاد محمد بن عبد الوهاب وأولاد عبد العزيز وأولاد أولاده عند ذكرنا مقتل عبد العزيز عام ثماني عشرة ومائتين وألف، ومما لم نذكره هنالك في نِسبة أولئك ما حدثناه بعض المكيين قال: محمد بن عبد الوهاب الحُريملي تصغير حَرْمل بمهملتين نسبة إلى قرية تسمى حريملة بتاء تأنيث أو ألف تأنيث بينها وبين الدّرعية يومان[2] قال: والسبب الداعي له إلى القيام أنه قرأ القرآن وطلب العلم، وأنها قرعت مسامعه آية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾[3].

[ابتدأ أمر محمد عبد الوهاب النجدي ومن أجابه]

وكان محمد بن عبد الوهاب قرأ بالمدينة، وسار إلى دمشق فقرأ بها، ثم سار إلى البصرة يقرأ، وعاد إلى بلدته، وأنشأ علمه، ودعا الناس، وحذّر وأنذر، وتكلم في التوحيد، وكفّر من أشرك بالله من القبوريين وغيرهم من أهل الاعتقادات بالشجر

(١) اللِّد: شديد الخصومة.
(٢) حريملة: قرية في نجد شمالي الرياض.
(٣) سورة البقرة، الآية (١٥٩).

والحجر، فأجابه محمد بن سعود وولده عبد العزيز ومالا إلى طريقته فأقاماه عالماً بديار نجدٍ، ونفّذا ما قاله. وكان المنكر كثيراً بديار نجد فتغزيا وصالا على من يليهما وكان منهما ما كان.

[ولاية علي العماري للمخا]

وفيها: عقد الإمام بولاية بندر المَخَا لعلي بن صالح العماري، شهر شعبان ثاني شهر من عام الدعوة. وكان بينه وبين الوزير الأعظم، علي بن يحيى الشامي، إحنٌ سابقة. وكان علي بن يحيى يظنه لكمالاته إن خلىَ بالإمام استماله إليه، فحسَّن في خاطر الإمام توليته البندر ففعل. وسيأتي لذكره ماجريات عام وفاته عند ترجمتنا له، وقد لمّح إليه الأخ علي بن إبراهيم الأمير في رسالته المذكورة في ترجمته عام وروده إلى بندر المخا وعرض بكرمه.

وفيها: خلع الإمام عن بندر المخا الأمير سعد بن يحيى العلفي.

وفيها: يوم الخميس تاسع عشر رجب توفى المهدي العباس، وقد ضم ترجمته القاضي أحمد بن محمد قاطن في كراس، وترجم سيرته وأيام خلافته رفيقنا العلامة علي بن قاسم حنش ـ رحمه الله ـ بمجلد ضخم، فأغنى ذلك عن إعادة ما هنالك.

[علي بن محمد طامش[1]]

وفيها: يوم السبت خامس شهر شوال، توفى علي بن محمد طامش الصنعاني، اشتغل بادىء أمره بالتجارة وكسب الحلال، ثم انكسر عليه رأس المال فمال إلى الاشتغال بالعلم الهادي إلى مرضاة ذي الجلال، وكانت له ضِيَاع اكتفىٰ بما يحصل له منها، ولازم حضرة البدر المنير محمد بن إسماعيل الأمير، وسمعه يثني على مؤلفات ابن حزم ويصفُه بالإنصاف فتطلب منه كتبه بصنعاء فلم يظفر بشيء منها فسار إلى مكة وأخرج منها «المحلى شرح المجلى لابن حزم» واشتغل به دهراً طويلاً، وجنح من بعد إلى مذهب الظاهرية[2] وكان لا يعمل إلا بالحديث الصحيح، فنال من العِلْم منتهى مراده. وكان حريصاً على تعليم الناس الخير، إذا رأى النازلين بصنعاء من الحضار والمسافرين قصدهم وحسّن لهم العمل وإفراغ الوسع فيما يرضى الله تعالى. وكان يذهب إلى عدة من المتمذهبين فيميلهم إلى حديث رسول الله ﷺ بحسن صناعة، وكان يحمل كتبه على عاتقه ويخرج في اليوم الثاني قاصداً للمتعلمين إلى منازلهم فيعلمهم.

---

(١) نشر العَرف (٢/ ٢٤٦).

(٢) **مذهب الظاهرية**: هو الذي أنشأه الإمام داود الظاهري المتوفى ببغداد سنة (٢٧٠هـ)، ويقوم مذهبه على أساس مفاجأة ونفي القياس في الأحكام الشرعية والتمسك بظواهر النصوص.

[الأمير سعد بن يحيى العلفي[1]]

وفيها: خامس شهر القعدة توفى الأمير سعد يحيى العلفي المقدم ذكره قريباً. وُلّي للإمام المهدي[2] أعمالاً مع سيده يحيى بن أحمد العلفي الأموي واشتغل بولايات بعد وفاة سيده، فذكر أحمد بن محمد العُلفي الأموي وكان خصيصاً بالمذكور، قال: ما رأيت أشجع ولا أجود، ولا أنفس من سعد يحيى، ومع جوده فكان حريصاً على جمع المال، بخيلاً لا يهتدي لجمعه، ماهراً مع تألف للرجال ومحبة للأبطال، مائلاً إلى الرفاهية، جالباً للصناع، أهل الصياغة والحياكة، مشغوفاً بعمل المركبات المفرطات من المعاجين والمشروبات. ظهرت على يديه في الولايات آيات. وتعجب أرباب الدولة من بلوغه إلى أنهى المراتب المحمودة الغايات. وكان يتخذ المماليك الحسان، لخدمته ومواجهة الناس بالديوان. فجمّل بهم موقفه، واستمال بهم طباع من لازمه وألفه، فكان يوم مواجهته موسماً للسرور، مطوي الشغلة بكثير من الأمور، لا يحضره مشائخ الرعايا والتجار، وأهل الكد والعَمله القائمين للدولة بالدار، إلا وقد فتح فيه للأنس والراحة الباب، المنسي بالحساب. وأمر حسان عبيده بمشاغلة الكتاب. فإذا راقت طباعهم، ورق للناظر اجتماعهم، داروا عليهم بالشرابات المخدِّرة، والمعاجين التي تولد خيالاً للفكرة، فيصير كاتب بيت المال كالأعمى. لا يفرق بين الاسم والمسمى. فيكتب كما شاء الأمير. ويفوت من الحاصل الكثير.

وحدّث علي بن يحيى حَنش وكان أرسله المهدي العباس كاتباً على الأمير وكاشفاً لبلاد ريمة. قال: حاولت أن أبعث إلى الإمام بشرح حال الأمير فلم يتيسر لي ذلك لحرص الأمير على ما أصنع، فحان لي فراغ فكتبت أذكر من أحواله ما يوجب رفعه. فلم يعد لي جواب. ولا كان للرسول بَعد ذلك مآب، فعززت فلم أقف على أثر للجواب، وإذا كل رسول ببلاد ريمة على مراد الأمير، يأخذ الكتب من المتعلقين بالدولة، ثم يذهب يعرضها عليه، فما استحسنه أمضاه، وما غاضه غطاه، قال: وكتبت إلى الإمام بالثناء على الأمير، وعرضته عليه وكتبت فيه: وحال الأمير مع الرعية أحسن حال، فلما قرأه الأمير أعجبه واستدعىٰ رسولاً قال: فقمت إلى المغرىٰ وبيدي القلم فنقطت الحاء المهملة نقطة أخرجت اللفظ من الحسن إلى الخساسة، ثم مكّنه الأمير فسار به الرسول. قال: فما عجبي إلا من فهم الإمام المهدي العباس فأنه عرف المقصد معرفة تامة.

---

(١) نشر العرف (١/ ٧٢٨)، نيل الوطر ص (٢٢٨).

(٢) المهدي العباس.

قال المؤلف ـ غفر الله له ـ قد كانت الرعايا عام ثلاث وثمانين كثرت منهم الشكاية بالأمير بكثرة مطالبه، وأرسل الإمام الفقيه سعيد بن علي القرواني للكشف فلم يحصل شيئاً وآل أمره إلى أن عيّن له الأمير مالاً وأرجعه، ثم بعث الإمام بعده الفقيه تقي بن أحمد العنسي[1]، وكان رجلاً صالحاً ذا دين فسار في زي الغرر والتكتم فوصل كأنه من الفقراء وكان عامر العلفي عيبة سر الأمير في صنعاء قد كتب بأمره إلى الأمير فلما وصل تقي العنسي إلى الجبي ـ من بلاد ريمه ـ[2] وجد الأمير خارجاً في جماعة من أصحابه للتنزه والرياضة، فلما رآه وقع في قلبه أنه المذكور وكان لا يعرفه غير أنه رآه مائلاً عنه فلما قرب منه قصده الأمير وقال: أعوذ بالرحمـٰن منك إن كنت تقيّاً، ثم خادعه كما هي عادته فلم ينخدع تقي.

وسيّر الإمام عقبه ـ عام أربع وثمانين ـ علي بن صالح العماري متولياً لريمه وقابضاً على الأمير، فسار في غفلة غير محتفل بخيل ولا رجل، فلما وصل وجد الأمير في حال عجيب بين أهل إنسه وراحته، ليس عليهم سوى ثياب البذلة، فقبض عليهم ومنعهم من الدخول والخروج، وسمّر الأبواب في تلك الحال، وسمّر خانات البانيان الصيرفي، وكان قد أرسل إلى الجبي من يقبض على وكلاه[3] في ذلك اليوم، ثم بعد ذلك قعد للاستراحة معهم. وبعث إلى القاضي محسن بن أحمد اللاحجي فأطلعه على ما بيده من الإمام، وأطلق العماري لسعد يحيى وأصحابه ما لا بد لهم منه من الفراش والنحاس، ولمّا خلى ليلته بالأمير أعطاه طاسة مملوءة ذهباً وقال له: الجميل أبقى وأريد منك السعاية في مخارجتي.

وكان الأمير قد كتب إلى الوزير الصالح أحمد بن علي النهمي بذلك فكان من العماري أن قبض الطاسة وأرسلها إلى الإمام[4]، فوصلا صنعاء في حالة واحدة، فلما وقف الوزير ـ النهمي ـ علىٰ كتاب الأمير أرسله إلى الإمام فأرسل الإمام بكتاب العماري إلى الوزير وفيه التصدير بالطاسة، وكان الأمير قد أرسل إلى عامر العلفي يأمره بالاحتراس على ما معه في صنعاء، وأرسل بخاتمه لكنه لم يصل إلا وقد سُمِّرت بيوت الأمير بصنعاء في اليوم الذي سمرت به في ريمة، واستدعىٰ الإمام الأمير فحدثني غير واحد من أصحابه أنها كان له حافظية فيها جميع ماله وعليه ببيت ريمة حال بينه وبين

---

(١) في الأصل: العيني. والتصحيح من نشر العرف. وهو جد آل تقي أهل صنعاء، ومن حفدته اليوم الأستاذ مطهر بن أحمد تقي رئيس الهيئة العامة للسياحة.

(٢) زيادة من نشر العرف.

(٣) وكلاء الأمير.

(٤) المهدي العباس.

أخذها ضرب المسامير عليها، فبعث إلى السيد علي بن أحمد بحر المتصوف بالمنصورة من أعمال بيت الفقيه وإلى السيد عبد الرحمـٰن البزاز يسألهما عن أمر كتمه عنهما. فقال السيد علي بن أحمد بحر لرسوله: خذ هاتين القطعتين، وأعطاه بياضتين بهما كتب ونقوش. وقال: قُل له يجعل واحدة في إحدى يديه والآخرة في الأخرى ويتقدم إلى البيت وسيفتح له كل مغلق واذكر له أن الإذن منا وقع بأخذ الحافظية لا سِوى فإن تعَدَّى إلى غيرها سُلِب ماله وعقله، ففعل ذلك فانفتحت له الأبواب وعمى عن نظره الحجاب وأخذ الحافظية وخرج ولم يشعر به أحد.

وقد نقل بعض أصحاب الأمير إنها كانت له حافظية أخرى على حمولة توجهت إلى صنعاء قبضها الإمام المهدي من الطريق وإن الأمير أرسل إلى السيد عبد الرحمـٰن البزاز يسأله عن أمر هل يظفر به الإمام أم لا؟ فأجابه بأنه يفوته ولا يطلع عليه. قال: فأخبرنا أن الصندوق الذي كانت به الحافظية قرب إلى بين يدي الإمام فأمر برفعه. وهذه من عجائب ما يُحكىٰ وكان الأمير يتطلب المشعبذين من كل ملة ويجلهم ويسألهم.

وحدّث الضياء إسماعيل بن زيد الخيواني قال: ما زلت أتعجب من كثرة أموال الأمير[1] وسمعت الإمام المهدي يقول: خاننا الأمير في مائة ألف قرش[2]، هذا وهو للإمام موفى مضعف في الأعمال اللوازم.

وذكر محمد بن الحسن الأهجري الهاشمي أن الأمير ألقى عليه حديثاً ومحسن بن محمد فايع يسمع ومعهما سعيد بن علي القرواني وقد سألوه عن كثرة مدخوله فأنها قد حدّثت الركبان بكثرة ما جمعه من المال فقال: أتحلفون بالله لا تحدثتم عني مادمت على الحياة فقالوا: نعم فحلف بالله الذي لا إلـٰه إلا هو أنه رأى النبي ﷺ وعنده أبو بكر وعمر وهما بمحل نفيس. قال: فدنوت منه فقبلت قدمه الشريف وقلت: سل الله لي قيراط البركة فالتفت عليه الصلاة والسلام إلى عمر وقال: أعطه قيراطين قال: فناولني عمر قيراطين ففزعت وهما بيدي. قال محمد بن حسن الأهجري: وكانا معه محفوظين بِحُقّةٍ من فضة لا يحطهما عن جيبه سفَراً ولا حضراً. وقال: فلم أدر من أين تأتيني هذه الدراهم، فأما مدخلها فمعروف غير منكور.

قال المؤلف غفر الله له: عرضت هذا الخبر علىٰ: محمد بن صالح بن أبي الرجال فقال: قد حدثني بهذا الحديث أحمد بن محمد العلفي الأموي واستحلفته فحلف بالله أنه لصادق في خبره وأن تلك الحُقّة التي بها القيراطين كانت مما أُغلق عليه في ريمة، وأنه

---

(١) سعد بن يحيى.

(٢) القِرش: نوع من العُملة. وأوردها زبارة: مائة ألف ريال.

إنما كان جُلّ قلقه عليها، وأنه أخذها مع الحافظية، فقلت لمحد بن صالح: إني لفي شك من صحة هذا، فقال لي: قد رأيت مثله في كتاب (خلق الإنسان) حكاية رواها عن جعفر الصادق أنه لما قارب الحلم أراد والده تزويجه، وأنه رأى النبي ﷺ في المنام وهو يقول: تريد تُزوج جعفراً؟ قال: نعم يا رسول الله، قال: خذ هذه الصرة واشتر له حميدة البربرية وأن محمداً فزع والصرّة بيده قال: فخرج فتطلب جارية اسمها حميدة فورد تاجر عظيم إلى المدينة فطلبوا منه جارية فعرض جواره أجمع وجعفر ينظر فما رأى شيئاً يعجب حتى قال التاجر: لم يبق لي إلا جارية متمرضة فقال: اخرجها فأخرجها فلما رآها جعفر زهقت نفسه فأخرج والده الصرة فشهق التاجر وقال: هذه صرة النبي ﷺ التي رأيتها في المنام قيمة لهذه الجارية فباعها ابنه. قال القاضي محمد بن صالح فهذا يصدق هذا.

وحَدّث الضياء إسماعيل بن زيد الخيواني قال: كان الأمير جريئاً كذوباً فاجراً خبيث الطوية، قال المؤلف غفر الله له: أنا لا أعرفه فأقص خبره ولكني تلقيت الخبر عن هؤلاء المختصين به، ولمّا صادره الإمام المهدي قال له: لو أبقيت عليَّ لأنفذت إليك أضعاف ما قبضته مني، قال: من أين؟ فخاف إن عيَّن الموضع أن يصادر به فقال: بالجاه فقال له المهدي العبّاس: عيّن فخادع وقال: مثقال وزير الشريف بجدة أخي من أبي وأمي لو طلبت منه شيئاً لما تخلف، وكان مثقال يقر بأن الأمير سعداً شقيقه.

وحدّث محمد بن الحسن الأهجري. قال: لما صادر الإمام الأمير وفاجأه الأمر ذهبت عليه أموال واسعة فقد منها طاسة أعرفها وكان بها ثمانية آلاف دينار كان يلقيها كل ليلة على مقره بين يديه ويلقي عليها أحجاراً نفيسة من الياقوت والزمرد واللؤلؤ والمرجان والماس وغيرها، ومما فقده شيئاً من العنبر لا يقلّه الرجل.

وحدّثنا إنه كان في مبدأ أمره مع سيده في بلاد ريمة والجبَى وأنه استعمله علي الجبي، ولما رفع سيده سار في ركابه إلى حضرة المهدي العباس ثم ذهب مع سيده إلى بندر المخا واستقر هناك يتفرّس في الأعمال ويتخلل أحوال العمال ثم توفى سيده فاستعمله الإمام المهدي على العدين وجعل الأمر منوطاً بالشيخ عبد الولي[1] تاجر العدين، ثم رفعه واستعمله على بلاد حفاش، ثم عزله واستعمله على الجَبي، واستعمل إسماعيل بن يحيى ولد سيده على ريمة ثم رفعهما، وكان الأمير قد أوفى بجميع اللوازم ولم يف إسماعيل بن يحيى بالبعض وخاف من الإمام فاختفى بصنعاء فظفر به الإمام ونكل به وأدنا الأمير منه وأعاده على ولاية ريمة والجبي فذكر لنا عن مباشري أعماله أنه

(١) في النسختين: عبد الولي، وفي نشر العَرف: عبد المولى.

جمع بها أموالاً لا تحصى وأنه عدم عليه الوعاء للدراهم، وكان لا يشكوه أحد من أهل البلاد ولا يذكره بعدلٍ ولا فساد[1].

وَدَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعِينَ ومائةٍ وَأَلْف

فيها: خلع الإمام أحمد بن سعيد الشرقي عن بلاد حُفاش لمّا اختلفت عليه الرعايا وبايَنَتْه، فاشتد بكلامه عليهم وسفّههم فأحاطوا به من كل وجه وحصروه، فبعث إلى الإمام يسأله الغارة عليه وشكى[2] إلى الوزير علي بن حسن الأكوع ما كان منهم وما لقي من الضيق والشدة فأرسل الإمام أحمد بن محسن الحيـي ببني جبر[3] واستدعىٰ معهم علي صَبرِ، فوصل في بني جبر إلى باب الإمام، ولمّا عزم علي صَبِرِ علىٰ السَّير وقع خلاف بينه وبين أحمد بن محسن فعاد عنه مغاضباً إلى باب صنعاء، وانتهب المارّة خارج صنعاء وسار أحمد بن محسن في جماعة من جند الإمام فلتقته الرعايا وعقرت بين يديه كما هو طاغوتهم في الطاعة ـ فألزمهم الغرامة التي أنفقتها الدولة، فالتزموا بها، وأقام الإمام: أحمد بن محسن الحيـي هنالك كاتباً. وكان أحمد بن سعيد الشرقي حديد اللسان مضحكاً في حركاته. قال له الإمام المنصور: سنرسلك إلى حُفاش فقال: ارمي بـي من تشاء إني شهاب، فقال: ما هذا السواك الذي على رأسك؟ فقال: لا تحدثني عنه أنا أرمي به حين أخرج من باب اليمن. وكان يكنى نفسه بأبـي الهجّام ويُظهر الشجاعة، وكان له من الولد علي بن أحمد وحسين، فكان عليّ من أذكياء العصر عارفاً عاملاً بالسنة ذو حدة وقلق في الطبع، وكان حسين مثل أبيه في الحدّة مع عرفان تام وإظهار الشجاعة وكان يكني نفسه بأبـي الزَار.

وكتب أحمد بن سعيد الشرقي كتاباً قبل موته إلى الوزير أحمد بن إسماعيل فايع وأوصى أن لا يبلغ إليه إلا بعد موته، يذكر فيه أنك ظالم غشوم جبار قد فعلت من المنكرات ما قد علمه الخاص والعام، ولمّا وصلت تعزيته إلى الوزير جاءه بعد يومين كتاب فقال: ممن هذا؟ فقالوا: من أحمد بن سعيد الشرقي فقال: من المقبرة أم من أين؟ ثم فتحه فرأى فيه ما أغاظه فما زال يضحك منه.

وفيها: خرجت قبيلة بكيل في قوم واسعة وبلغت أطراف أرحب وطلبوا ما لهم من مقررات، فجمع الإمام الوزراء والأمراء، وألقى عليهم المشورة، ودار الكلام بين

---

(١) أضاف المؤرخ زبارة: وآخر ما تولاه سعد العلفي من الأعمال: ولاية بندر المخا وعزله الإمام عنه في سنة (١١٨٩هـ) ثم كانت وفاته في خامس ذي القعدة من سنة (١١٨٩هـ).

(٢) **شكى**: شكا.

(٣) **آل الحَيِّي**: عائلة تنتمي إلى بلاد خولان العالية. **وبني جَبْر**: قبيلة معروفة من قبائل خولان.

علي بن يحيى الشامي وعلي بن أحسن الأكوع وحسين بن زيد المحرابي، وتكلم علي بن أحسن الأكوع وقال: الرأي: أن نَجْنَح معهم إلى الصلح، فقال حسين بن زيد المحرابي: هذا لا يتم، أَمْس الدعوة كانت على قتالهم واليوم الجنوح إلى مكالمتهم، هذا لا يكون. فجمع الإمام قبائله وأتباعه وواجههم بديوان الحرض وأعطيٰ أهل الخيل عطية الفعل، فسار الخبر إلى بكيل، فأظهروا الطاعة وإنهم إنما وصلوا لِغَرض السلام على الإمام وتقبيل أكُفِّه والأقدام.

وكان القاضي عبد الله بن أحسن البرطي بصنعاء منذ أيام ثم فارقها سار إلى نهم مغاضباً للدولة، وكان أخوه القاضي أحمد بن أحسن منكراً لما صنعه أخوه. نعم ثم دخل جماعة من القضاة إلى حضرة الإمام. ثم خرج القاضي أحمد بن حسن البرطي عقب وصوله إلى أخيه وسائر القبائل فدار بينهم كلام آل بِهِم علىٰ الصُّلح على مالٍ يُؤدَّى.

وفيها: شحّت الأمطار وظهر النقص في الثمار وتسلط الجوع على أهل الأمصار، ولم تخرج إلا وقد ظهر الفناء في الناس وأسرع في الناس المرض والموت.

[قصة مع العمَّارى بالمخا]

وفيها: أو في التي تليها نزل جماعة من أشراف أبي عريش على متولي بندر المخا علي بن صالح العَمّاري يقصدون نَواله وأفضاله، فأكرمهم وأَنَالَهُم وسيّرهم فخرجوا من باب المخا وهم سبعة نفر فوجدوا قافلةً فانتهبوها، وكان سايسها خرج بها من مَوْشَج وكان على جَمَل السايس خمسة أكياس ذهباً، كل كيس فيه خمسمائة مَشْخص مُصدّرةً لبيرخان الهندي. فسمع أهل البندر الصايح يصيح: الغارة الغارة[1]، فأتبعهم متولي البندر خيلاً ورجلاً بقاع المخا، فأدركوا خيّالاً وعبداً منهم، ثم تبعت جماعة من الفرسان من فاتهم، وكانوا خرجوا بعد العصر فوصلوا إلى زبيد عند مضي الثلث الأول من الليل فلم يدركوا أحداً منهم، وكان العامل قد أرسل سنبوكاً[2] إلى الحديدة ومثله إلى اللُحية للتحريج عليهم فسبقهم السنبوك إلى اللحية فأدركوا بها وظَفَر بهم فرحان الماس فضبطهم حتى أرجعوا ما أخذوا وأطلقهم.

[انتزاع أعمال الوقف من عامر]

وفي شهر ربيع الآخر انتزع الإمام ولاية الوقف عن السيد العلامة التقي علي بن محمد بن عامر لأسباب داحضة انتصب له بها الوزير علي بن الحسن الأكوع منها أن

---

(١) **الغارة**: النجدة.

(٢) **سنبوكاً**: أي قارباً، وهو دون السفينة، يُستخدم للركوب عليه في البحر.

الوزير بنى مسجداً بأسفل صنعاء يُعرف بمسجد الهادي[1] وهو قبلي مسجد النهرين وأراد إدخاله المسودة العامة، فامتنع الناظر وطلب من الوزير وقفاً لذلك المسجد يقوم بحاجته من الفراش والقناديل واجرةً للسادن والساني والقائم، فشق على الوزير ذلك.

ومنها: أن عبد الرحمـٰن بن أحسن الأكوع ـ أخا الوزير ـ كان له معرفة خفية في الفروع، وكان الوزير يلقبه بالقاضي فلا يُدعىٰ إلا به منضماً إلى اسمه فيقال القاضي عبد الرحمـٰن، وإنه دخل يوماً مسجد الأبهر فتخلّف إمام الصلاة فتقدم القاضي عبد الرحمـٰن إلى المحراب ليصلي بالناس وعليه ملبوس الفخر والخُيلاء، فجذبه مِنْ خلفه يحيـى بن علي المسوري الهاشمي المؤَذِّن بالأبهر ـ وكان عالماً عاملاً ذا سُنّة ـ وقال له: أما ترضى بذا الفخر والخيلاء وأخّرهُ وقَدّم من الضعفاء رجُلاً صالحاً، فشكاه القاضي عبد الرحمـٰن إلى الوزير، فبعث إلى متولي الأوقاف أن إخلع هذا المؤذِّن وأقم للوضيفة غيره، فلم يسعده إلى ذلك.

ومنها: أن مذهب الناظر مخالف للوزير، فما زال الوزير يتعلل على ناظر الوقف[2] بعلله الفاسدة، فأسعده الإمام إلى خلعه. علىٰ أنه كان هذا المتولي للوقف عالماً عاملاً يقوم الليل أكثره بالصلاة ويصوم غالب الأيام ويعين على نوائب الحق. ولمّا مات متولي الأقاف الشيخ[3] عبد الله بن محيـي الدين العراسي[4] لم يجد الإمام المهدي من يقم على الأوقاف مثل علي بن محمد بن عامر فاستدعاه في شهر شوال عام سبع وثمانين ومائة وألف وأبان له أنه يريده على نظارة الأوقاف، فسمعت أحمد بن المنصور بالله الحسين وهو يقول: رأيت علي بن محمد بين يدي الإمام المهدي وهو يراجعه في أمر الوقف ويقول: قد جعلنا لك أجرة على النظارة نصف العشر، فقال: لا والله إلا العُشر، فتركه الإمام واستدعاه في اليوم الثاني وأرادهُ على نصف العُشر فأبىٰ. وقال: ستجد غيري بربع العُشر فأما أنا فلا أقوم عليه إلا بالعُشر. فتركه الإمام واستدعاه في اليوم الثالث وأعاد عليه ما قاله اليوم الأول فأبـى إلا علىٰ العُشر. فقال الأمام المهدى: نعم. فقام بوظيفة الوقف أتم قيام، وتحدث عن اجتهاده الخاص والعام، وما زال على حاله الجميل. قال أحمد بن المنصور بالله الحسين: ولما خُلع هذا الولي عن وظيفة الوقف وجيء بمحمد بن أحسن حُطبة إلى بين يدي الإمام المنصور سمعته وهو يقول: يا مولانا أما أنا فغير محتاج إلى شيء من غلة الوقف إلا غداء حماري وعشاه، قال:

---

(١) **مسجد الهادي**: هو المعروف اليوم بمسجد الحُرْقان.

(٢) **ناظر الوَقْف**: متولي الوقف.

(٣) الشيخ: زيادة من نشر العرف (٢/ ٢٣٦).

(٤) العراسي. من نشر العرف، ولم يذكر في الأصل سوى اسمه فقط دون لقبه.

فعلمت أن الوقف ذاهب، وكان الأمر كذلك. ثم مِنْ قَدَر الله أن الوزير علي بن أحسن الأكوع قَدّم محمد بن حسن حطبة بعد أن أذْعن له بأنه سيفعل ما أراده فلم تمر القلائل إلا وقد عاد هذا المتولي عدواً للوزير، وما زال يسعى في نكبته. وقد ترجمنا هذا المتولي عام خمس ومائتين وألف بما فيه كفاية.

[خروج يام والقَتْلة التي كانت بهم]

وفيها: خرجت قبائل يام من نجران فمرت ببلاد سحار[1]، واعتدت على بداوتها، فَنَكَّفت[2] سحار عند قومها وكان القوم قد بلغوا إلى حدود تهامة، منه فمكنت لها سحار بالطُرق، فلما رجعوا لم تشعر طائفة يام إلا بالقتل والضرب والنهب، فاشتدت يام فلم تنفعها الشدة وتمكنت سحار منهم فسلبوهم جميع ما أجلبوا به من الأطماع، وشردوهم ومزقوهم كل ممزق، حتى اشتهر أن كبيراً من يام رأى امرأة من سحار. فقال لها: أنا في ذِمتك، فأنزلته عن فرسه وأدخلته بيتها وكان بين يديه مخلاة مملوءة ذهباً وفضة وحُلي وأنها دعت ولداً لها وأغوته بالمال فتقدم أولاً فذبح الرجل اليامي وأخذ ماله وفرسه.

[يعقوب بن يوسف المتوكل]

وفيها: يوم الإثنين ثامن عشر صفر توفى يعقوب بن يوسف بن المتوكل على الله إسماعيل، وكان كريماً فارساً شجاعاً ذا وجاهة (وله خط بديع وشغف بعمل الأطياب)[3]، ولازم السيد يحيى الشظبي المتصوف بتعز، وأخذ عنه طريقه القوم فعرف شيئاً من رموزهم وأخبر عنه أنه رأى شجرة نبتت بين يدي الشظبي قضبانها من فضة، وانها أظلت حاضري مقامه حال الذكر، فلما كمل الذكر اضمحلت. ولقّنه استغفاراً يقوله بعد كل صلاة وعند كل غفلة:

أستغفر الله العظيم الذي لا إلـه إلا هو الحي القيوم من كل ما كره الله من قول وفعل وعمل وخاطر وذنب وخطيئة وحركة وسكون واعتقاد ونية وأتوب إليه.

وكان من بعد ذلك ملازماً لأحمد بن عبد الرحمـٰن الشامي فزوجه ابنته ورغب فيه.

وأخذ عن أحمد بن عبد الرحمـٰن الأكثر من سنن البيهقي، ولم يفارقه أكثر أوقاته، ولما مات صلى عليه الإمام وحضر دفنه.

---

(١) سَحَار: قبيلة ومنطقة مركزها مدينة صَعدة.

(٢) نكّفت: التجأت إلى قبيلتها تطلب العون والمساندة على مَن عاداها.

(٣) ما بين المعقوفتين زيادة من نشر العَرف (٣/ ٣٧٤).

وفيها: يوم الجمعة ثالث جمادى الأولى توفى **القاضي مهدي الخطابي** كان عارفاً بفروع الزيدية.

وفيها: يوم الجمعة خامس شهر رمضان توفى أحمد بن صالح السحولي حاكم ذي السفال.

وفيها: مات مجنون بيت أبـي الرجال إسماعيل بن حسن بن أحمد[1]، كذا أرّخه القاضي محمد بن صالح على ترددٍ، وكان شاعراً فصيحاً مُفَوَّهاً مجيداً أدركته الوسوسة وتحكمت به الأوهام والخيالات لملبسه وتكدرت معيشته وتغيَّرت حالته، وما زال يتحدث أن الإمام المهدي العباس مُضمِرٌ له في نفسه شرًّا لأمورٍ نُقلت إليه سرًّا، فزادت أوهامه وكثرت في النوم أحلامه، وتغولت له الغيلان فتحدث عنها بماجريات يتعجب لها كل إنسان، وكان يشير بيده إلى سُكان الهوى ويشخص ببصره ويعيده سريعاً ويقول: كاذبين كاذبين، ثم يقول: هذا غلط والصواب كاذبون أي هم كاذبون، وكان يقول إن بالهوى سكاناً لهم في السحر ملكة عظيمة بلغ من سحرهم أنهم يسرقون لسانه ويتكلمون بها بكلام خبيث فلا يشك السامع في أن المتكلم إسماعيل بن أبـي الرجال. قال: وأكثر ما يتكلمون بها في سب الإمام المهدي فإذا بلغه أن إسماعيل شتمه وطعن فيه كان ذلك سبباً لإبانة شِبْر من أعلا قامته، وكان لا يتجاوز من شرقي صنعاء سوق الملاحين، ولا يتجاوز من غربها صومعة طلحة، ويقول: إن تجاوزت أحد المحلين رأيت الإمام المهدي قائماً على فرسه في أرباب دولته ورأس إسماعيل مضروب بين يديه وجثته منكوسة مشدودة بالخشب، وأنه يترائىٰ في المحلين المذكورين الأغلال وشُعَل النار حائمةً حول جثته وكان ربما ألقى نفسه وطرحها على الأرض واضطرب من قبح إشارات سكان الهوى إليه. وكان نازلاً بمنازل مسجد داود بصنعاء فإذا أقبل وقت الصلاة نزل المسجد فصلى قصراً، ويقول ذَهب من العقل نصف وبقي نصف فعليّ نصف صلاة، ويصلي الرباعية ركعتين، ثم يصعد إلى منزلته ويُسرِّج مصباحاً ويخرج إلى جيرانه، فيقول: اشهدوا عليَّ، ويُلقي على فمه خرقة ثم يشد على شفاته بحبل وثيق ويعود إلى منزلته ولا يتنفس إلا من منخريه وإنما يفعل ذلك وثوقاً بأن السحرة لا يأخذون لسانه فإن أخذوها وتكلموا بها فقد أشهد على نفسه بأنه ما نام إلا وقد شد فمه.

وكان من عادته إذا نام أن لا يطفىء مصباحاً فإذا استيقظ[2] وقد طفىء المصباح خُيِّل إليه أن السحرة أطفؤه طلباً لأخذ لسانه في ظلمة بحيث لا يراهم أحد، فيخرج

---

(١) نشر العرف (١/ ٣٤٨)، ملحق البدر الطالع ص (٥٨)، هِجر العلم (١/ ٥٦٥).
(٢) استيقظ: كتبَها الناسخ (استيقض).

فيوقظ جيرانه وهو مشدود الفم فيشهدهم على أنه قام وفمه موثق كما نام عليه ثم يلحظ بعينيه الهوى ويردهما مع رفع صوته بقوله: كاذبين كاذبين. وربما سكن وقعد فلحظ بعينيه الهواء. وأعادهما في الحال وقال بصوتٍ خفي كاذب كاذب يا ساحر يا عبد الإمام.

وقعد لدى القاضي أحمد بن صالح بن أَبِي الرجال وقد حضر الطعام فسمع عجلة بئر فأمسك يده عن الطعام فقال له القاضي: تَغَدَّ فقال: ألا تسمعون إلى هذه العجلة ما تقول وما يقول الجَعير[1] الذي تحتها؟ قالَ: خل هذا الخيال وتَغَدَّا، فقال: بل اسمعوا ما تقول، فقال القاضي: ما تقول؟ قال: تقول إسماعيل مجنون وتكرره صوتاً بعد صوت وتمد الصوت على حرفي اللين الواو والياء والجعير يقول بسرعة: اربطوه اربطوه. فتعجّبوا من وضعه هذا الصوت بأزاء تلك الحكاية المساوية.

وكان أيام رمضان ينزل على السيد العلامة أحمد بن محمد بن إسحاق فيفطر عنده ويكره جميع من يحضر مقامه. ويقول: والله لو رأيت مالكاً في خزنة جهنم ورأيتك في هؤلاء لوقعت إختياراً على حجر مالك وتركتك وقومك لحالك. وكان يعطيه ليلة عيد الإفطار شمعة، فتأخرت عنه عيداً فكَتب إليه أبياتاً يذكر فيها جوده ويستطرد ذكر قطعة الشمعة ذلك العام، من أبياتٍ لا أحفظ إلا بيت قصيدها وهو:

يَمُن بهامنا بها منّاً على ذي صبابةٍ ولكن من حيث المُفَنّد لا يدري

فَذِكْره للمن والصبابة وذِكر المفند والتوجيه بها مما يدل على إحسانه القول واختياره جيده. وكان إذا رأى غلاماً جميلاً تحدث عنه وعن حسنه ثم يقول وآخر الأمر غضضت بصري وحفظت ذكري وصفعت جُفَري.

ولمّا رأى حاله القاضي أحمد بن صالح قال: كل المجانين في عافية من مشاق التكليف إلا إسماعيل فإنه انتقل بجنانه إلى تكليف أشد وأشد. وقال القاضي محمد بن صالح: كان إذا ثابَت إليه نفسه استرسل في ملح المقال مع معرفة وفهم. ولقد كتب إليه القاضي أحمد في موقف هذا المقطع أحجية في بلنسية لينظر مايقول:

أيا عالم العصر ما بلدةً محاسنها في الهوى تذكر
حجىٰ ما يقابل تصحيفها بحقك أربعة أشهر

فذهب مفكراً وأرسل إلى القاضي بهذا الكتاب لفظة: صَدَرَ إليكم هذا النظم حلاً

---

(١) **الجعير**: وهي عجلة لرفع دلو الماء من البئر أو إنزاله بواسطة الماشية، وهي أسفل العجلة العلوية طولها قدر متر وقطرها نحو (٣٠) سم تقريباً.

فإن يك صادف مَحلاً وإلا فقد أوردت ما صدر إليكم، وعوّلت بحلة عليكم، فالذي يقرب من الذهن ما ترونه صدر، وصادف حلّها قبل عزم المملوك من مقامكم الرفيع، ولا والله قد اطلعت نظم الأحجية الواردة على بشر:

وإنما رجل الدنيا وواحدها ... من لا يعول في الدنيا على رجل

ثم كتب:

ألا أيها الكوكب النيِّر ... ويا أيها القمر الأزهر
ويا من له فوق هام السماك ... منابر مجدٍ بها يُذكر
حميد الخصال فقيد المثال ... فمثلك في البال لا يخطر
وهبت لنا منك أحجيَّةً ... يرى الفهم عن حلها يقصر
فخذ ما ترى يا أخا المكرمات ... من الشعر حلاًّ لما يشعر
فإن يكن النظم حلاًّ لها ... وإلا فدونك ما يصدر
فتلك إذاً بلدة روضة ... براها الإله لمن يشكر
فلما بغى من أحاطت به ... ولم يبق من أهلها أذور
أعيدت رسوماً[1] بلا رَوْنقٍ ... وهذا جزاء لمن يكفر

ولمّا تحكمت به الوساوس خرج عن صنعاء هارباً بنفسه خوفاً مما حدثه به الخيال من أن المهدي العباس قد سمع فيه أقاويل السحرة أهل الوسواس وأزمع على ضرب عنقه، فقصد بلاد خولان، وما زال يسأل كل إنسان عما عليه السلطان من ذلك الأمر الذي كان وهو يترقب من ربه الأمان، ولم يجد بُدًّا من التوسل إلى الإمام برسالة توجب التحنن عليه، والعطف. وبعث بها إلى القاضي أحمد بن صالح شهر صفر سنة سبع وثمانين ومائة وألف، ومُستهلها:

وهذا نظام غريب الديار ... نظام تجل عن المستعاري
شبيه النظام ولكنه ... حلال الكلام عن السرق عاري
أحيطوا بها نظراً أنها ... إلى الله مفتاح باب اليساري
عسى أن يرى بعدها غارةً ... فلطف الإله على الكل ساري

أعوذ بالله السميع العليم. من الشيطان الرجيم. الطّيار السحّار. الذي ما برح في أوجِ الهوى أناء الليل وأطراف النهار. هو وجماعة له أعوان أشرار. خلقوا من نار. وشغَلتهم تمزيق عرضي. وسبِّي وأذيتي الأذية البالغة. بالسب الفاحش. والكيد العظيم

---

(١) في الأصل: وعادت رسوماً. والتصحيح من نشر العرف (١/ ٣٥١).

المهلك. والسمومات المُهلكة من ذلك. وأكثر ما يأذونني ويبالغون في هلاكي بسحرهم وغدرهم. ومكرهم وزورهم. وبهتانهم وسموماتهم. إذا صليت أو رتبت. أو درست أو مدحت سيدي المولى أمير المؤمنين المهدي لدين الله. فأقول لهم: اتقوا الله راقبوا الله قولوا لي من غريمي من أرسلكم؟ قالوا: ما نقول لك من غريمك، إنما أمرنا واحد من الناس. أن نحرق عرضك ونمزقه ونخزيك بين الناس، ونكيدك بهذا السحر. ونكذب عليك بكل فاحشة، ونسممك ونقلقك أشد القلق. ونتكلم على الله وعلى الملائكة، وعلى جميع خلق الله. ويقول هو أنت من أجل أنك لا تدخل صنعاء. ولا ترقد إلا من غير أمان. وتبقى خائفاً بكل مكان. وأنا أبرأ إلى الله عز وجل براءة الذئب من دم ابن يعقوب من جميع ما نسبوا إليّ وأماطوه من أذاهم عليّ، وأنا مُنَزَّه عند الله وعند من يعرف مقداري. والله سبحانه وتعالى عالم وداري، وأكثر ما اشتدت أذيتهم لما توسنت إلى الله بهذه القصيدة راجياً بها أن تكون مفتاح باب الفرج، وتخلّصت آخرها في المالك المهدي. قالوا لأجل أني لا أدخل صنعاء. ولو كان غيري أن قد جُنّ في يومين أو دون أو قَرَح وافتض قلبه من القهر والترويعات. وما عرف المملوك من الغريم. وما هي الحجة. وهذه النكتة من أشراط الساعة. وأما الحبس فلست من أهله لا من طريق جنان. ولا من طريق حجة. فأنا بصيرة نفسي وسميتها: درة اليمن وتحفة الزمن وسلوة المظلوم الممتحن. وعدد أبياتها مائة وستة عشر بيتاً بها يُفتتن. قال المؤلف غفر الله له: ولم يُنقَل منها إلا ما طاب لنا:

لي حُسن ظن في رِضىٰ الرحمٰن ... الواحد المشكور بالإحسان
يا من أحاط بكل شيءٍ علمه ... يا عالماً بخفي سِرّ فُلان
يا كاشف الكرب العظيم ومستجيب ... دعا الضريع الخائف الحيران
قد ضاقت الأحوال بي ذرعاً فكن ... يا رب عوناً لي على الشيطان
شيطان سحر قد تعلق بالهوى ... وأتى بألفاظٍ بغير معاني
سب الإلـه مع الملائكة الكرا ... م مع الأنام مع إمام زماني
ورَمَى بسُوءٍ من أناخ مهاجراً ... أفنى الزمان بطاعة الرحمٰن
ولقد سمعت من الذين تَأَبَّطوا ... في الجوّ شرًّا أيهاذا الزاني
شهدوا عليّ بمحض زورٍ باطل ... والحق ماشهدا به الملكان
جاوزت حدَّ الفضل حتى أنني ... سمّيت بالزاني وبالديمان
يا ويلهم سحروا تقيًّا مؤمناً ... حَسَداً على تقواه والايمان
لما رأوه قد تفرّد بالمفا ... خر والتقى والفضل والإحسان
وكسوه جلباب الدناسة والخسا ... سة وارتضوا بالإثم والعدوان
قوم أباليس يطيروا في الهوى ... خُلقوا شياطيناً من النيران

قد صرت من فرط الهموم مشابها طيفاً سرى أو شبه شيء فان
يا طالما أمسيت في ليلي على جمر الهموم مفارق الأوطان
ما زلت أسمع كل حين في الهوى أصوات قوم السِّحر في آذاني
قالوا ظلمت وما ظلمت وإنما قول العِدَى ضرب من الهذيان
زعموا بأن السحر مالي خوليا هُزُؤاً لقصد الحبس في غمدان[1]
والمرءُ في كل الأمور بصيرةٌ عن نفسه في السرّ والإعلان
وأنا القتيل بكل سيف مُرهفٍ أُرمىٰ بسُوءِ القول كل أوان
مزجوا بدائهم الدواء وإنما عين الدَّواء ما حلّ بي وبراني
والمرءُ في الدنيا خيالٌ زائل دارٌ سلوت بها عن السلوان
فاحسن بخاتمة وكن لي حافظاً من شرّ شُؤْم نوائب الحدثان
واحفظ أمير المؤمنين وكن له عوناً على الأشرار والأقران
الماجد المفضال والعلم الذي حُمدت فضائله بكل لسان
البَهْنَس[2] الضرغام من شهدت له يوم النزال عوالي المران
شمس الهدى غيض[3] العدا بحر الندىٰ مولى التُقى[4] والفضل والإحسان
وخضم علم لم يزل مُتَفَنِّناً في غاية التحقيق والإتقان

وهي طويلة كما ذكرنا لك غير أنا نقلنا أجود ما فيها. أخذ المترجم له عن القاضي أحمد بن صالح في النحو والصرف والمعاني والبيان ولما أصابه من داءِ الوسوسة ما أصاب. قال له القاضي أحمد: لعل المتعلق بك ما لي خُوليا[5]. فقال: بل ما لي عقليا. وكان يقول: نحن المجانون، إن لمنا المجانينا ويقول إعرابه وإعراب مساكين في الابتداء بالواو والنون يقول نحن مساكون ومجانون.

[حسن بن محمد الأخفش]

وفيها: يوم الثلوث، تاسع رمضان، توفى الحسن بن محمد **الأخفش** الهاشمي الكوكباني[6] جَمَع بين الوزارة والقضاء للإمام المهدي العباس وأقامه لما نكل قاضي حضرته يحيى بن صالح السحولي كما سنفصل ذلك في ترجمة القاضي

---

(١) تحوّل قصر غَمدان المشهور إلى سجن، وظل كذلك من عهد المؤلف إلى سنوات قليلة ماضية.
(٢) **تبهنس**: تبختر.
(٣) **غيض**: (غيظ).
(٤) **التُقى**: (التقا).
(٥) **مالي خوليا**: لفظة أعجمية تعني هستيريا أو مرض الأعصاب.
(٦) نشر العرف: (١/ ٥٠٣).

يحيى[1] إن شاء الله تعالى. وكان له معرفة تامة بالفروع واشتغل مِنْ بَعد بكتب الحديث فَجَمع منها شيئاً واسعاً ونسخها. وكان سبب اتصاله بالمهدي عُلو صيته وشيعان ذكره بأخيه أحمد في فتنة أحمد أبـي علامة[2] فإنه كان بحفاش وكان أحد المنتصفين من جماعة أبـي علامة، فلما نكّل الإمام بقاضي حضرته وقع في خاطره طلب أولاد محمد الأحفش: أحمد، وحسن وعلي، ورأى أن أحمد أحق من يقوم بالبلاد التي كان نظرها إلى القاضي يحيى، والحسن لمقام الحكومة، وعليٌّ يبقى بكوكبان متعلقاً بأمورهما هنالك.

وقد استقصى أحوالهم رفيقنا علي بن قاسم حَنَش في كتابه: التتمة لأخبار الدولة المهدوية[3] وكان الحسن مشاركاً لأخيه في الأموال التي اكتسباها، فيقال إنها بلغت تركتهما فوق مائة ألف قرش[4]. وكان الحسن محباً للملبوس متأنقاً في المعيشة راغباً في العمائر وجرت له قضية غريبة وهي أن صالح عزْان عرضت عليه جنبية للبيع، وكان وكيلاً للإمام المهدي فبذل فيها ثمانين قرشاً فرانصه فلم يسعد مالكها، وبلغ بها إلى الأمام المهدي فردها، فشراها الحسن بن محمد الأخفش بمائة قرش فرانصة، فبلغ الإمام فاهتم لذلك وأرسل إلى قاضيه الولي ناصر بن حسين المحبشي يطلب منه جنبيته وكانت لا تساوي قرشاً واحداً. فلما وصلت إلى الإمام دعا بخادم رِكابه محمد بن علي سُنبل حال اجتماع الحكام جميعاً بديوان الإمام لفصل الشجارات فقال له الإمام: ادخل عليهم وقل لهم قال الإمام إنكم تتمنون هذه الجنبية وتقوّمونها، فعجبوا من ذلك وقال بعضهم: هذه جنبية القاضي ناصر المحبشي، وأجمعوا على أن ثمنها لا يتجاوز نصف القِرش فَعَرف الحسن بن محمد ما أراد بذلك الإمام فخرج عن الديوان وأرسل بتلك الجنبية معتذراً.

وكان هو وأخوه أحمد من عجائب الزمان وغرائبه. تروى عنهما أخبار مضحكة، أراد أحمد أن يتصرف ببعض الأموال وهي مشتركة بينهما فأنكر عليه الحسن فأرسل إليه رسولاً يقول له: إن أخاك أحمد يقول لك لا تعترض فما سيتربَّعُ في قعر جهنم إلا هو لمباشرته للمظالم وهذا من خلاعته وطيشه. وكان أحمد يحب أن يقال له أنه أشبه الناس بالخليفة وأنه دخل عليه الحلاق فدنا منه ثم قهقهر فقال: ما لك؟ فقال: رأيت الشبه

---

(١) في حوادث سنة (١١٧٢هـ)،

(٢) عن أبـي علامة انظر: المقتطف من تاريخ اليمن، ص (٢٥٢).

(٣) يتضمن الكتاب المذكور الحوادث من سنة (١١٧٠) إلى سنة (١١٧٩هـ). أنظر أعلام المؤلفين الزيدية للأستاذ المحقق والكاتب الكبير عبد السلام الوجيه ـ ص ٧٠٤.

(٤) قِرْش: عند زبارة (ريال).

بالإمام المنصور فداخلني رعب الخلافة فقال: قد شاع إني أشبه الناس به. وكان يأمر أهله في بيته أن لا يدعوه بغير الإمام، وهو الذي طلب من الإمام المهدي مظلّة، وقدم بين يدي طلبته خمسمائة قرش فما أسعده، وكان قد أولاه الإمام المهدي بلاد تعز والحجرية فصحبه في سفره إلى تعز عبد الله بن الحسين الشامي الهاشمي فرأىٰ من بخله وجنونه وحماقته ما حمله على أن وضع رسالة سماها: الدر المكنون في سيرة العامل المجنون. وهي رسالة مضحكة تركناها خشية الإطالة ولأن المذكور ليس ممن مات بهذه الدولة وإنما أجرينا ذكره لأنه أصل آل الأخفش.

وَدَخَلَتْ سَنَةُ إحْدَى وتِسْعِينَ ومائةٍ وألْف

فيها: خلع الإمام عن ولاية ذمار: محمد بن عبد الله بن محسن بن حسين لأشياء أثارها عليه علي بن حسن بن محمد العفاري. منها أنه كان العفاري يبيع الطعام ويزيد في ثمنه قليلاً فزجره المتولي لحرصه، فتنابذا عداوةً، فبذل العفاري مالا وقدمه بين يدي الواسطة وسأل العمل على بلاد ذمار لابن أخيه محمد بن يحيى بن محمد العفاري ولما وصل محمد بن عبد الله صنعاء صادره الإمام بمال، فلم تطب نفسه به، فصادره الواسطة الحسن بن علي حنش، وأبقى عليه مبارك كشيمة الحبشي وألزمه أن لا يدعه من المشاغلة حتى يُسَلِّم ما فرضه الإمام عليه. وأبقاه ببيته وجعل لمبارك الحبشي إقامة اليوم خمسة قروش، فكان يأتيه كل يوم إلى بيته يقبض منه الخمسة القروش ويذهب، فسولت له نفسه يوماً الخروج عن صنعاء فخرج عند شروق الشمس، فبلغ الإمام خروجه فاتبعه مبارك الحبشي، فأدركه وقد فارق صنعاء، وكان عازماً على المسير إلى برط، فجاءَ به فأودعه الإمام السجن، فما زال به حتى جاء إسماعيل بن محسن ابن الحسين وضمن للدولة بما عُيِّنَ عليه. وكان المتقرر عليه أحد وعشرين مائة قرش فأسعد الوزير إلى خروجه. فلما أبلغه ذلك، كتب من السجن إلى الوزير أن من العجب طلبك للضمين في هذا وأموالي تقاوم زهاء أربعة وعشرين ألفاً فرانصة[1]، ثم سلم تلك المقررة عليه وخرج من السجن. قال المؤلف غفر الله له: كانت[2] مدينة ذمار لا تحمل شيئاً من المال وإنما

---

(١) **ريال فرانصة**: عملة نمساوية من الفضة كانت متداولةً في اليمن إلى العهد الجمهوري، ومضروب علىٰ إحدىٰ وجهيها صورة الملكة النمساوية ماريا تريزا.

(٢) جاء في هامش الأصل التعليق التالي:

مصداق ما ذكره المؤلف رحمه الله ما أخبرني الفقيه الفاضل علي بن أحمد سعيد عن أبيه أنهم لما عَزموا مع المهدي رحمه الله إلى ذمار في خروجه سنة (١١٨٨) وصل إليه علماء ذمار وكان أجلّهم الفقيه العلامة علي بن أحمد بن ناصر الشجني فذكر له المهدي أنك لا تترك جهادنا والتنبيه على ما يحسن، ثم لم يشعر بعد أيام أعني سيدنا العلامة علي بن أحمد إلا بارتحال المهدي، فاهتم بلقائه وهو على ركوبه فقال له الإمام: أين ما توصّيناك من التنبيه؛ والآن لا تتركه إلى =

كان المتولي يقبض نزراً يسيراً من أسواقها لا يبلغ السبعين القرش، وكان المترجم له محبًّا لأعمال الدولة فتقبلها بأربعة عشر ألف قرش، فلذا وصفناه بالحرص فقد كان يقعد من بعد صلاة الفجر لينظر من تقوم عليه شائبة حُجةً فيؤدبه عليها بمال، وكان يأمر بالمتخاصمين عند الحاكم فيؤتى بهم إليه فيفرض عليهم، وإن جاءه رجل شاكي بطعام عمله الخباز وزعم ذلك الشاكي أن الخباز لم يحسن عمله فاستدعى الطعام فأبلغ إلى مكانه فأعجبه فأكله وردّ الأناء فارغاً. وقال للشاكي: ما هو إلا طعام طيب، وبمثل هذا العمل استخرج حقوقاً للدولة. وما زال أهل البلدة يشكونه حتى رفع هذا العام؛ وقد قيل إنه كان يغتاظ من العفاري في بيعه الطعام بالزيادة على سعر الدولة، وأنه كان يبيع بالزيادة على كتم ويحصّل ما زاد من السعر للدولة.

[العفّاري يتولّى بلاد يريم]

وفيها: عقد الإمام ببلاد يريم لإسماعيل بن حسن العفاري، فسار إليها وكان بها فساد بين بني سيف وبني مبارز أهل القفر[1]، وكان ظهور الفساد آخر سنةٍ مات بها الإمام المهدي فلما دخلها حزم البلاد وغزا الجهة القفريّة واستقر بها شهراً وتسلّم الحقوق وأظهر قوةً على الرعايا وشدة، وغزا بعض قُرى بني الصوطي وهم من بني مبارز فتحزبوا ونازلوه قتالاً ظفروا فيه بخمسة نفر من أصحابه فقتلوهم وأحرقوهم ولم ينج إلى رحاب[2] إلا بمشقة لاقى[3] بها أهوالاً. واستقر هنالك أياماً وكتب إلى الإمام بما لاقى

= صنعاء. فقال: مِن طريق مَن يكون؟ فقال: معي باب وبوّاب فيكون من الباب، وعزم الإمام صنعاء وبقي مدة ولم يتفق لسيدنا العلامة ما يرفع به حتى صادف أن بعض الفقهاء ذكر للخزّان الجرافي أن مخضرات ذمار واسعة مِن القَضْب ونحوه وليس يجيء منها للزكاة إلا اليسير، وضمن له ذلك تقدير معلوم، فذكر الخزان ذلك للإمام فقال له: هذا لا يتم وما فيه إلا بغله، فالتزم ذلك الرجل وعرفه أنه إذا بدا إليه أمرا أرسل له بزنجير إلى ذمار فجعل له رأياً في ذلك، ولما وصل ذمار ألزم تاجرها الصالح حسين محسن بقدر من ذلك ففزَع إلى سيدنا العلامة فأمره بإحضار رسول، وكتب إلى المهدي وعرّفه أن هذا المديون صار يخرج من صدقاته ورواتبه للفقهاء والمساكين أضعاف ذلك، وأمر الرسول أن يبلغه من الباب ولا يشغل بالانتظار للجواب، فبلّغه ولم يتركه البواب عن الانتظار، وحال أن بلغ إلى المهدي أرسل بزنجير وجماعة ضبطوا المتضمن لذلك وأوصلوه صنعاء ومنعه عن ذلك. وقال: ما وقع منك الوفاء بالشرط فعاملناك بما التزمت، وأسقط ذلك الذي ضمن به وسمح.

(١) بني سيف وبني مبارز: قبيلتان ومنطقتان من يحصب السفل بمديرية القفر محافظة إبّ، وهو المعروف باسم قَفْر حاشد، والكائن ما بين جبال وصاب العالي وجبال يريم الغربية.

(٢) رحاب: قرية في جنوب غرب مدينة يريم، تقع أسفل جبل إرْيان.

(٣) لاقيٰ: (لاقا).

فأرسل من حضرته أحد نقباء بني ردمان[1] في جماعة آخرين على بني الصوطي، فما انحسمت بهم مادة فأوجب ذلك رفع العامل مع معارضه بسبب آخر كان في نفس واسطه المخازين أحمد بن علي الفضلي، وقد قيل ان السبب منافسة العامل للشيخ محسن مُرّة نائب الخزّان هنالك، وبذلك السبب أيضاً رُفع القاضي العارف **محمد بن عبد الله الإرياني** من حكومة يريم، ثم تفاقم الأمر وكثر اللغط من أهلِ البلاد فعقد الإمام لوزيره العلامة الحسن بن علي حَنَش بواساطتها، فوجَّه إليها عاملاً محمد بن عبد الله بن محسن بن الحسين، وحاكماً مهدي بن حسن الكبسي، وكاتبا الأمير يحيى بن محسن حنش. فاستقربها العامل نحواً من تسعة أشهر ورُفع لضعف عزيمته أواخر سنة اثنين وتسعين.

وفيها: نفذت مشايخ بني القوسي[2] في محطة من الحَدَا علىٰ بني الصوطي فلم يظفروا بطائل.

وفي شهر ربيع نكّل الإمام بوزيره الحسين بن زيد المحرابي[3] وانتهبه وسجنه وصادره بالأمير فيروز المهدي، فضاقت الأرض بما رحبت، فحمله الغيظ على أن يقتل نفسه، فأخذ سلاحاً وشق بطنه، فاستدركه الموكلون به وخاطوه فشفي. وكان السبب في ذلك متعدداً، فمن الأسباب مصادرته لأهل صنعاء بالفِرَق حتى ضَجُّوا وابتهلوا إلى الله بالدعاء عليه في الجوامع والمساجد. (ومنها) ما جرىٰ بينه وبين الوزير علي بن حسن الأكوع[4] لما استأذن من الإمام أن يُفَرِّق حقوق القبائل على جميع الوزراء، فتلكأ المترجم له وقال: هذا خلاف العادة المهدوية، وأجابه علي بن حسن الأكوع بأن هذا عن نظر من إمام الزمن. ثم أن المهدي قد كان يقبض هذه الحقوق من وزرائه ويدّخرها من عام إلى عام ويخرجها للقبائل والبغاة، وكان الوزير الأعظم علي بن يحيى الشامي[5] راية مع الحسين بن زيد المحرابي إلا أنها لم تؤثر عنه في ذلك المعنى كلمة.

---

(١) **بني رَدْمان**: من قبائل بني الحارث في شمال صنعاء.

(٢) **آل القَوْسِي**: هم زعماء قبيلة الحَدَا، بطن من مَذْحج، نسل الحَدَا بن مُرَاد بن مالك، وهو مَذْحج بن أدَد بن زيد بن يشجب بن عُريب بن زَيْد بن كهلان بن سبأ. لهم حُضور بارز في تاريخ اليمن الحديث، وهو ما سنلاحظه من تكرار ورود أخبارهم في هذا التاريخ.

(٣) **حسين بن زيد المحرابي**: استوزره الإمام المهدي العباس ثم استوزره المنصور علي بن العباس في أول خلافته. وكانت وفاته سنة (١٢٣٢هـ).

(٤) **علي بن حسن الأكوع**: من كبار آل الأكوع الأعلام. وزَر للمهدي العباس ثم لولده المنصور علي. كان مشاركاً في بعض العلوم، ونَظَم شعراً في الأدبيات. له محاسن كثيرة منها مسجده المعروف قبلي مسجد النهرين بأسفل صنعاء القديمة (ويُعرف الآن بمسجد الحُرقان) وله الماجل بمسعود الكول في سنحان. وله غير ذلك من المحاسن. وكانت وفاته بصنعاء سنة (١٢٠٣).

(٥) **علي بن يحيى الشامي**: استوزره الإمام المهدي وجعله ناظراً على بلاد وصاب الأعلى والأسفل =

ومن الأسباب تطاوله على جماعة من الوزراء والأمراء واستخفافه بهم وعدم احتشامه لمواقف الإمام ومعاداته لسيف الخلافة بن المهدي العباس[١]. وكان يظن بالإمام استحسان ما صدر منه. وأرّخ واقعته الأديب محمد بن حسين دلامه[٢] وذكر مصادرة فيروز له، وجّه به توجيهاً بديعاً فقال:

لقد نَفَتِ الأقدارُ محرابَ فِتنةٍ ... أقام به الشيطانُ في الأرض مخلصا
إضافته للنفس نقصٌ على الفتى ... فأعرضت عن ياء الإضافة مخلِصا
فختَّمه منصورُها خاتَم الردى ... بفَيْروزه المعدودِ سيفاً لمن عَصى
لئن كان في عام طغى فليقل له ... مؤرخُهُ يا قانطاً مات وافتصى

ولفظة افتصىٰ أي: هلك في العرف اليمني. ومن الأسباب عداوته لسيف الخلافة العَلَم قاسم بن الإمام المهدي، وقد أشار إلى ذلك الأديب الحسين بن أبي الغيث الهاشمي[٣] من قصيدة يقول فيها:

ومن رام أن يبغى عليه سفاهةً ... فيقعده من بين رجليه مرودُ

[يام تقصد صعده]

وفيها: تجمعت قبائل يام أهل نجران وقصدوا صعده لعلمهم باتحاد أمرهم مع قبائل سحار، وقد قَصَصْنَا عليك في العام الأول ما كان من سحار إليهم ولما حاصروا صعده وقاربوا تسلمها جنح أهلها إلى مصالحتهم فاشترطوا عليهم ثمانية آلاف قروشاً فرانصة. ثم ألقى الله بينهم العداوة والبغضاء فتفاشلوا وافتتنوا ذات بينهم فعادوا بخفي حُنين.

[عمارة ضِياع وبيوت بئر العزب]

وفيها: اشتغل الإمام بشراء البيوت والضياع ببير العزب[٤] بمسجد البهمة[٥] وعمّر بها الدور والقصور وأنفق عليها أموالاً جليلة وكان مُغراً بها.

= وبلاد حَيْس وبلاد الرُوس من أعمال سنحان في جهات صنعاء. ثم تولىٰ الوزارة العظمى عقب وفاة الوزير أحمد علي النهمي. ومات بصنعاء سنة (١١٩٧هـ).

(١) فقرة زائدة في النص المنقول بكتاب «نيل الوطر» (١/ ٣٧٩).

(٢) **محمد بن حسين دلاَمه**: شاعر أديب، ولد بمدينة ذمار سنة (١١٥٠) تقريباً، ومات بصنعاء في سنة (١٢٠٩هـ).

(٣) هو الحسين بن أبي الغيث بن المطهر بن عز الدين.

(٤) **بير العَزب**: من أحياء مدينة صنعاء، ويمتد اليوم من ميدان التحرير غرباً إلى قاع العُلفي.

(٥) **مسجد البَهْمَة**: من المساجد العامرة في بير العزب، وهو اليوم علىٰ قارعة شارع جمال، وخلفه يقع القصر الجمهوري.

[وصول محمد النهاري]

وفيها: وصل الضرير المعروف بالسيد محمد النهاري إلى حضرة الإمام من دَنّ وصاب[١] وكان يَجمع الجن وله معرفة بشيء من علم الأسماء، وقد حدث عنه الناس بالعجائب والغرائب. نعم كان الإمام المهدي يبلغه ذلك الأمر عنه فظن أن هذه مُحرّفه وسحر فأمر بأشخاصه فَغُل بالحديد وأنزل من وصاب، فلما بلغوا مسجد زاجد[٢] دخلوا ليقيموا به ليلتهم فلم يشعروا إلا بخفق أجنحة وهيشه أطفت الشِمَاع فأدرك الناس لذلك وحشةً فأسرجوا سرجهم في تلك الحالة فما أضاءت إلا وقد فُقِد الرجل ولم يقفوا له بتلك النواحي والضاحات على أثر مع ضرره، وورد البريد بعد يومين يُخبر عنه بأنه لم يصبح تلك الليلة إلا بـ (رَيْمه)[٣] فترك وتغاضى له الإمام المهدي، فلما كان بعد مضي هذا الوقت من خلافة المنصور أرسل إليه فبادر مسرعاً، ولمّا وصل إليه جمع الجن بحضرته بدار محمود فلما رأوا الإمام المنصور غزوه بوالده وهنأه الكل منهم بالخلافة ولَقّبوه بالمنصور، وقد اختلف غير واحدٍ في شأن هذا الضرير فالناس فيه بين مهدٍ ومضلل وأخبر جماعة من أهل محله أنهم عرفوه يتساهل بأمر الصلاة، قالوا وأما من يحضره من الجنّ فهم أهل صلاح وفلاح وأمانة، وهذه الطريقة ما زلنا نبحث عنها حتى وقفنا على خبرها.

قال المؤلف: غفر الله له هذه الطريقة أخذها عن القلاليحي وكان له معرفة باهرة، والقلاليحي عن الفقيه حسن المنقذي ـ نسبة إلى منقذه بميم مفتوحة فنون ساكنة فقاف مفتوحة فذال معجمة فتاء تأنيث ـ بلدة قريبة من ذمار، وهو عن رجل من أهل الغرب فأما سبب أخذ هذا المترجم له عن القلاليحي فإنه كان في صغره يسأل القلاليحي أن يعلمه هذا الأمر الجامع فلا يجيبه إليه، وكان القلاليحي كثيراً ما ينزل بالسيد[٤] يوسف زبارة الحاكم بالدن فتسلل الضرير إلى بيت القاضي خفية واسترق السمع من خلف الباب فأدركه القلاليحي فخرج وضربهُ ولطمه ثم استعفاه فيها فلم يَعفه فما زال به حتى قال: لا أعفو عنك حتى تعلمني، فعلّمه أسماء جماعة مخصوصين من الجن. وأما حسن المنقذي صاحب ذمار، فإنه نزل به رجل من المغاربة أيام صاحب المواهب[٥] فمرض

---

(١) دَنّ وُصاب: هو جبل الدّن في وصاب العالي. يقع غربـي قَفر يَرِيم.

(٢) زاجد: مركز إداري من مديرية وصاب العالي.

(٣) رَيْمَة: منطقة جبلية واسعة في الأطراف الشمالية من جبال وصاب العالي.

(٤) هو السيد يوسف بن الحسين بن أحمد زبارة خطيب صنعاء المتوفى سنة (١١٧٩هـ).

(٥) صاحب المواهب: لَقب الإمام المهدي محمد بن أحمد بن الحسن بن القاسم. وكان قد اتخذ بلدة (المواهب) عاصمةً له لمّا دعىٰ إلى نفسي بالإمامة سنة (١٠٩٢هـ). وهي من بلاد عَنْس تبعد عن مدينة ذمار شرقاً بنحو عشرة كيلو مترات. =

عنده في منزله فاحتفل بأمره وقام بخدمته وحدّث عنه بالعجب، وان مما أخبر عنه أنه كان في شدة مرضه يغلق عليه منزلته من خارج ويخرج إلى الصلاة فيرى الرجل قد سبقه قائماً في الصف يصلي فيشك في أمره، ثم يقوم بعد الصلاة مبادراً إلى الخلوة فيجدها مقفلة والرجل داخلها في توجع وأنين، فعلم أن له شأناً، فلما شفى قال له: إني ذاهب وقد وجب حقك عليَّ، وسأله وُعاءً نظيفاً، فأعطاه وعاء صيني، فأخذه المغربي وخط فيه خطاً كالألف وناوله وقال له: ضعه في الطاق وانظره صباح كل يوم تجد به رزقاً لا تحتاج معه إلى السؤال، وسار، فلما أصبح حسن المنقذي نظر الوعاء فوجد به قرشاً فرانصة، ثم في اليوم الثاني كذلك وفي اليوم الثالث كذلك فلاحظته الأطماع فوضع خطاً بقرب الخط الذي وضعه المغربي وأصبح وإذا بالوعاء قرشان ثم أصبح اليوم الثاني فكان كذلك فزاد به الطمع فوضع خطاً ثالثاً فلما أصبح فإذا ثلاثة قروش. ولما توسط في نهاره، إذا بالمغربي قد أقبل فدخل عليه فتناول الوعاء فطمس ما به وسار عنه فأعاد المنقذي خطاً فلم ير شيئاً فخرج وتبع المغربي وما زال يسأل عنه حتى دخل مصراً فسأل عنه فأخبر بأنه قد نزل العراق فلما دخلها قيل له: قد عاد مكة فسار فأدركه بها فلما رآه، قال له: طال سفرك فقال: محبةً في صحبتك ولازمه. قال: هات وعاءً أصنع[1] لك به خُطّاً، وعليك عهد الله أن لا أضفت إليه خُطّاً، فقال: الرغبة في صحبتك ليس إلاّ، فلما طالت الملازمة مات وقد أنتجت له الصحبة تعليم أسماء يجمع بها الجن، فعاد إلى ذمار فخدمه القلاليحي. وقال بعض الناس: خبرت هذا الضرير وجماعته من الجن فما رأيت لهم منفعة دنياوية أصلاً ما خلا نقل خبر من البلاد النائية[2] أو حمل كتاب إلى بعيد، فقد صح لنا ذلك بالإختبار والتتبع.

[علي بن يوسف زبارة]

وفيها: يوم الجمعة تاسع ربيع أول، توفى علي بن يوسف زبارة[3]. كان فاضلاً زاهداً وله معرفة يسيرة بالفتوح مع ملازمة للطاعة وكثرة الذكر لله تعالى.

[علي بن موسى أبو طالب]

وفيها: يوم الخميس سادس عشر ربيع الأول توفى علي بن موسى بن علي بن قاسم بن أبـي طالب أحمد بن القسم[4] كان شاعراً بليغاً مفوهاً عالماً نبيلاً أخذ عن

---

(١) أ: (أضع).

(٢) النائية: (النايبه).

(٣) **علي بن يوسف زَبارة**: عالم فاضل، ذكره صاحب نَشر العرف (٢/ ٢٩٩) وأورد تدريج نسبه إلى الجد الأعلىٰ. كما ترجم لوالده.

(٤) نشر العرف (٢/ ٢٧١).

الحسن بن زيد الشامي وعن أحمد بن صالح بن أبـي الرجال وعن أحمد بن محمد قاطن وغير هؤلاءِ، وحج عام خمس وثمانين ومائة وألف، ولاقي بالمدينة الشيخ محمد السمَّان[1] وأخذ عنه إجازة في علم التصوف، ثم بدا له الرجوع وتنكب عن قصده وظن به الظنون لما بلغه عنه أشياء أنكرها. وكان آية في حفظ الشعر مُفاخَراً بين الأقران جرى[2] بحضرته ذكر المعري والمتنبي فجاءوا بالحماسة، فقضى للمتنبي وجاءوا بالمدح فقضى له وجاءوا بالفخر فقضى له وجاءوا بالتشبيب والنسيب فسكت فراحوا عنه، وكان متعصباً للمتنبي فلاقاهم مرة أخرى وقال: ما زلت بالموقف الأول خاشياً من ذكركم درعيات المعري فإنها أجود وأجود.

[موقف عِلم بين يدي الرشيد]

وعنه حدثنا أخوه أحمد بن موسى ناقلاً لذلك الخبر عن خطه أن الرشيد وجّه إلى المفضل الضبي فحضر مجلسه وولداه الأمين والمأمون عن يمينه ويساره، فقال الرشيد: كم في ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾[3] من اسم؟ فقال: ثلاثة، فقال الرشيد: وما هي؟ قال: الياء لله عز وجل، والكاف الثانية لرسوله، والهاء والميم للكفار. فقال الرشيد: صدقت وقد أفادنا هذا بذلك وأشار إلى الكسائي وقال: فهمت يا محمد (يريد الأمين) قال: نعم. ثم قال للمفضّل الضبي: هل عندك مسألة تسأل عنها؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين بيت الفرزدق:

أخـذنـا بـآفـاق السمـاء عليكـمُ لنـا قمـراهـا والنجـوم الطـوالـعُ

فقال الرشيد: قد أفادنا هذا الشيخ قبلك وقال: قمراها الشمس والقمر كما قالوا في العمرين لأبـي بكر وعمر. قال المفضل: فلِمَ استحنوا هذا؟ قال الرشيد: إذا كان أحد الاسمين أخف غلبوه فيدخل الآخر تحته ولأن أيام عمر وفتوحاته أكثر. وقال المفضل الضبـي: بقيت مسألة أخرى، فالتفت الرشيد إلى الكسائي فقال: أفي البيت غير ذلك شيء؟ فقال المفضل: بقيت الغاية التي افتخر بها الفرزدق قال: ما هي؟ قال: أراد بالشمس إبراهيم الخليل وبالقمر محمد ﷺ والنجوم الخلفاء من آبائك قال: فازداد سرور الرشيد بذلك فأمر الربيع أن يحمل إليه مائتي ألف درهم. قلت: وهكذا ينبغي أن تُذاكر الملوك لا كما نعرفه الآن. ومما حدّثنا عنه قال: سأل الرشيد جماعة كانوا عنده عن قول الراعي:

---

(١) **الشيخ محمد السمّان**: صوفي. ولد، وتوفي بالمدينة (١١٣٠ ـ ١١٨٩هـ). من آثاره: النفحات الإلـهية في كيفية سلوك الطريقة المحمدية، الوسيلة في الدعوات والأذكار.

(٢) جرى: (جرا).

(٣) سورة البقرة، الآية ١٣٧.

قتلوا ابن عفان الخليفة مُحْرِماً | فدعىٰ فلم أر مثله مخذولا

فقال أكان مُحْرِماً بالحج؟ فقال الكسائي: نعم. فقال الأصمعي: لا والله. فقال الكسائي: فماذا؟ قال: كل من لم يأت شيئاً تستحل به عقوبته فهو محرم، وألا أخبرتني عن قول عدي بن زيد:

قتلوا كسرى بليلٍ مُحرِماً | فتولّى لم يُمتَّع بكفن

فإن كسرى لم يحج، فقال الرشيد للأصمعي: أما أنت يا أصمعي فلا تطاق في الشعر لكنه[1] نقل المُبَرّد في الكامل أن عثمان قُتِلَ في أيام التشريق فَيُنظر انتهى.

واشتغل علي بن موسى بالأدب ولازم محمد بن هاشم الشامي[2] وكاتبه وكاتب سعيد بن علي القرواني[3] وامتدح الإمام المهدي العباس وانقطع إلى آل شمس الدين بحصن كوكبان. ومن مُستجاد شعره ما كتبه إلى بعض أهل عصره وفيه الجناس:

أعز المعالي والعوالي ومن له | من الفخر بيت فيه غيرك لم يرقى
بأية ما ذنب هجرت أحبّةً | مدامعهم من بعد بُعْدك لم ترقى
وما وجدوا ما بين هجري[4] معرضاً | وبين كؤوس الحتف مترعة فرقا
فِردّ لهم طيب الحياة بزورةٍ | بقيت قرير العين ما غنت الورقا

ومن شعره يمتدح الصارم إبراهيم بن محمد بن حسين صاحب كوكبان:

حتام تُصْلِي القلبُ منك وقودا | وإلامَ أبقى في هواك عميدا
وعلامَ أمنحك المودة[5] والوفا | مني وتمنحني جفاً وصدودا
وأصون عهداً أبرمته يد الهوى | وتخون أنت مواثقاً وعهودا
ويبات طرفي والسهاد سميره | ولدمعه فوق الخدود خدودا
وأظل أرجو منك وصلاً شافياً | وتظل ترهقني جفاك صعودا
وإذا وعدت بزورةٍ أودعته | مطلاً فعاد الوعد منك وعيدا

---

(١) لكنه: (لاكنه).

(٢) الشامي. زيادة من «ب».

(٣) **سعيد بن علي القَرواني**: فقيه عالم أديب، كان له صوت جميل فكان ينشد في المحافل. وهو من بلدة قَرْوىٰ من خولان العالية وإليها يُنسب. مولده في مدينة شبام كوكبان سنة (١١٤١هـ)، ووفاته بصنعاء سنة (١٢٠٤هـ).

(٤) **نشر العرف**: هجرك.

(٥) ب: المحبة.

أَوَ ما علمت بأنني من معشرٍ قصدوا الذي جعل الخطوب عبيدا
مولاي إبراهيم نجل محمدٍ من سَعْيَه في الناس صار حميدا
مولىٰ النَّدا مولىٰ الجدا من لِلعُدا آسْدا الردا وأذاقهُم تنكيدا
ملك الصواهل والعواسِل والذوا بل والعوامل طارفاً وتليدا
ولقد شكت بيض الصفاح يمينه وأتت بإعثار العُداة شهودا
ولبطشه ذلّت رقاب عداتِهِ فلذا غدا صنديدهم رعديدا
فتراهُمُ عند الطعام عصافراً وتراهم يوم الطعان اسودا
قرت عيون بني أبيه بمجدهِ إذ صار فرداً في الزمان وحيدا

وله قصيدة بديعة يمتدح بها المهدي العباس في خروجه خَوْلان[1] أولها:

ما دار ذكر اللّوى والجزع والبان إلا وهيّج أشجاني وأشجاني
ولا سرى برق نعمان الحِمَىٰ سحراً إلا وفاضت هوامي دمعي القاني
ولا سَرِىٰ من رُبىٰ نجدٍ نسيم صَبا إلا صبوت إلى عيش الصبا الهاني
ولا ترنم ذو طوقٍ على فنن إلا أثار جوى وجدي وألهاني
آه لقلبي الذي ما زال ممتحناً حليف شوقٍ معنًى في الهوى عاني
سباه يوم اللقا بالخيف غصن نقا عليه بدر دجا من ليل فينان
غزال أنسٍ رشيق القد ذو هيفٍ حَمىٰ وُرُود لِمَاه طرفه الجاني
إذا تبَسم خلت الدّر منتظماً في سلك عقد يواقيت ومرجان

وهي طويلة. وذكر القاضي أنه تأخر منه جوابها فكتب إليه مستنكراً هذا المقطع:

ولقد أقول لمن براني صدّه وغدا جفاه والتباعد متلفي
إن لم يكن وصل لديه فعُد به أملي وما طل ان وعدت ولا تفي

ولما عاد من مكة قَصد آل شمس الدين ونزل بكوكبان وكان أديب الوقت محمد بن هاشم وسعيد بن علي القرواني قد ناظرا وصوله بصنعاء فجاءهما الخبر بعدوله عنهما إلى كوكبان، وكانا بموقف راحة واجتماع فكتبا إليه قصيدة بديعة جيّدة فصّلاها وجعلاها حكمية عربيّة وملحونة، فالعربي منها جد محض، والملحون مزح محض، فهي ابنتهما وبكر فكرتهما [لم يسبقهما باليمن غيرهما]،[2] قالا رحمهما الله تعالى:

---

(١) في النص الذي أورده زَبارة. نشر العرف (٢/ ٢٧٥). أنه قالها في مدح شيخه القاضي أحمد بن محمد قاطن.

(٢) ما بين المعقوفتين زيادة في نشر العرف.

جـــد:

سلام على حاوي المحامد عن يد ... ومن في المعالي والنَّدى يَده الطُّولىٰ
سلام يحاكي منه نفح سماته ... وناضر خلق يخجل الروض مطلولا

هــزل:

عليك يا ابن موسى من محمد ومن سعيد ... ومن سائر الخُبره وفيهم خبير جديد
وزُعْبه من الشوق الذي ما عليه مزيد ... عجيبه وهم مِن شيعتك والغرام يزيد

جِـــد:

وإنا على ما تعهدون من الوفا ... وعقْدُ التصافي[1] لم يُحَل قط مَحْلُولا
وخيل اشتياق في الطراد لو انبرت ... لطافت بنا عرض البسيطة والطولا

هــزل:

ولكن ربطناها على مذود القلوب ... فلولا الخطام من شوقها شقت الجيوب
فيا لطمتي لو تفتلت من صلا شعوب ... ويرخى لها التزجيم لا تِدِّي البعيد

جـــد:

وما شجو ثكلىٰ ابتزها الدهر فردها ... تنوح على رسمٍ عَفَى كان مأهولا
بأكثر من شجو القلوب لنأيكم ... لدى طللٍ أضحى به الدهر مطلولا

هــزل:

فما طنّ لك خليت الأخوان في لِوى ... يُطلّوا من الشباك ومشوار إلى الحَوِي
وصَحوا يحبوك يا علي من قوي قوي ... كمنَّك حَلَىٰ والله على ما نقول شهيد

جـــد:

وسلّ صخر قلب عنك يخبرك أننا ... كصب تَحسَّى قرقف الراح مشمولا
سكارى ولكن لا ارتياح لَعِلّنا ... إذا ارتحت من صافي المدامة منهولا

هــزل:

أمانه فكيف الشمس في البرد في الظِّلع ... إذا جرتك رجلك وتخرج لنا بِرَع
وجَرْمَك[2] عليك يقهف من البرد كالنطع ... وشمس الضحى تعشش إلى أن تصل زبَيد

---

(١) ب: وحبل التصافي.

(٢) **الجَرم**: بفتح الجيم، مجموعة قطع من صوف تُخاط مع بعضها فتكن غطاءً صوفياً وثيراً، وهو الجرم الذي كان يُستعمل قبل ظهور أغطية النوم الحديثة.

جـــد:

وقد قام جاري الماء في قايظ[1] الضحى — وعـن طبعـه العـادي أصبـح معقـولا

وكاد يذوب العضب في الجفن حائلاً — إلـى المنتهى مـن بـرده آض[2] محلـولا

هـــزل:

ولكن قات الحصن ينسيك كل شيء — فتمسي وتصبح وأنت ضاحك ومنتشي

مفعرر[3] مكركر[4] فيه من الصبح إلى العشي ولا زلت طول الدهر في عيشك الرغيد

جـــد:

ولمـا بـدا فصـل الـربيـع تضـاعفـت — قوى الشوق إذ خلنا التواصل مأمولاَ

وقـد نشـرت أيـدي السحـاب مطـارفـاً — على أرضنا من سندس الروض مرمولاَ

هـــزل:

فلو تبصر النَّاوَه بدت من سَوى براش — وشنت على بيت اللهيده[5] إلى العِشَاش[6]

وسالت سوايل من نُقم تروي العِطاش — وحَنّت رواعـد تـرعـد الـواديـيـن رِعيـد

جـــد:

وأبـرق بسّـام الحيـا فـي ربـوعنـا — بسحب شج أخراه في الشجّ كالأولى

ونظّـم فـي جيـد الـزمـان قـلائـداً — يقـول لسـان الحـال عنهـا لنـا قـولا

هـــزل:

فقلنـا قصيـده حـاليـه بـالثنـا عليـك — تجي تبصرك أو به شي أشواق من صَلَيْك

وتشكي لنا من فرقتك يا علي عليك — وأنت الحكم فاحكم علينا بما تريد

جـــد:

فهـل لـك فـي أشـواقنـا بعـض لـوعـةٍ — يكـون بهـا حبـل المـودة مـوصُـولا

فقـد ذاب مـن حـر الجفـا قلـب تـائـقٍ — إليـك إذا كـان التـوسـل مقبـولا

---

(١) قايظ: (قايض).

(٢) **آض**: صار.

(٣) **مفعرر**: كثير الغنج.

(٤) **مكركر**: كثير الضحك.

(٥) **بيت اللهيدة**: قرية في وادي سعوان من أعمال بني حِشَيش في شمال شرق صنعاء.

(٦) **العِشَاش**: وادٍ بالقرب من منتزه حدّه في الطرف الغربي من صنعاء.

هــــزل:

فبادر مع الجمّال الينا على الجِمَال وشرّف علينا مثلما البدر في الكمال
وفي يمنتك عُصيه وحاشَيْك[١] في الشمال ونلقاك بالتشوير والشمع والعَصيد

جــــد:

سَنَحْسُبُ إن قد كنت في أرض مكةٍ فجئت بثوب النّسك والفضل مشمولا
ووافيتنا برًّا تقياً مطهراً كعرضك من لوث المعائب مغسولا

هــــزل:

كما يُوصل الكبسي مُكَنِّد لزُعبته وقد لَفَّ فيها كيس نَوْمِه وبرمته
وقد لاح نور الحج من جنب نخرته عليه السلام حين جاء على الخيط في القصيد

جــــد:

ووافىٰ إلى الأهلين من بعد فرقةٍ يكون بها حدّ التصبر مفلولا
فكان كغيثٍ زار أرضاً محيلةً وصار به موضوع أهليه محمولا

هــــزل:

وشلّوا من الشباك صوتين مِحجِره وقد جاوبت من فوق الأجْبي مئة مَرِه[٢]
وجينا على الغاغه بنشوه وفعرره وقال المسبح حين ريناك يوم عيد

جــــد:

وغطرف من فوق البشام حمائمٍ بألحان شجوٍ تترك اللُّب مذهولا
وطِبت معاداً مثلما طِبت مبدءًا كما راق ثغر مازج الأري معسولا

هــــزل:

وقَنْبرت[٣] في المنظر مِحسْكم على اخوتك وإن حَد ضحك فَلْحست فمك ونُخرتك
وأخرجت سُبْلة عمّتك فوق عبيتك وقلت له اسكت أنت يعني كَرِيه بليد

جــــد:

عليكَ من الإجلال تاج مهابة أرىٰ كونه من جوهر المجد معمولا
على غُرَّةٍ زانت سناها بنورها كضوء هلالٍ كان للشمس إكليلا

---

(١) **وحاشَيْك**: الحذاء.
(٢) **الأجبي**: السطوح. **مِحجرة**: زغروده. **مئة مَرِه**: مئة مرأة.
(٣) **قَنبرت**: جَلست.

هـــزل:

وقد لاحت الهيبة على وجهك الصبيح   مترخِم مبرطِم ما تقل يا علي فليح
مِشَرْجح بصوتك فيه جيسار وفيه بحيح   تحاكىٰ بِهْنَجام بعد ما تمَسّد الوريد

جـــد:

فـدم سـابقـاً فـي حلبـة المجـد والعُـلا   علـى طـرف فخـرٍ بـالـزواهـر مـرحـولا
كـأن مقــاد الــريــح تحـت عنـانــه   إذا هــب مــن بــرد الكـلالـة مشكـولا

هـــزل:

تجاري صلاح زيْدَان ماشي بلا نعال   وتمشي مع الرعيان إلى قنحة الجبال
وقد طال من صَبّيك في وصفك المقال   عليك السلام يكفيك ذا القول أو نزيد

جـــد:

وسلّـم علـى حـامـي الحقيقـة واضـح الطـريقـة مـن أضحـىٰ علـى الجـود مجبـولا
ومــن يحتــوي ذاك المقــام الأولــى   لهـم كـل دهـر بـالمحـامـد مشغـولا

ولله درهما ما أجل قدرهما وألطف نظمهما. وأجاب عليهما علي بن موسى أبو طالب فقال:

جـــد:

أعــرف عبيــر ضــاع فــي الأفــق نشــره   فـأصبـح عـرف المسـك إذ فـاح متفـولا
أم الــرَاح فــي جــام اللطـافـة أفـرغـت   فلــم يبــق منهــا للتصبُّــر معقــولا

هـــزل:

وأوقـدت الأشـواق فـي مهجتـي وقيـد   وخلت شجون المستهام تعتصد عصِيد
وتلعـب بميدان الحشـا والفـؤاد جريـد   فمشـوار إلـى قيفـه ومشـوار إلـى زَبيـد

جـــد:

أم السحـر فـي رقـم الطـروس فلـو رأى   نـــوافثــه هـــاروت أصبـــح مـــذهـــولا
أم الـزُّهـر فـي سلـكٍ مـن الـدُر نُظِمـت   وصـــار علـــى هـــام البـــلاغـــة إكليـــلا

هـــزل:

لقد هزت الحَقْوَيْن مني على الجنوب   وخلـت عَلِـيْ لمّـا رأىٰ نظمهـا يلُـوب
ويسحب جوالب فكرته عندها سحوب   يُغِّــرد بمعنــاهــا وينشــد بهــا نشيــد

جـــد:

نظـامٌ هـو السحـر الحـلال غـدا بمـا   تَضَمَّنــهُ عقــد الفَهــاهَــة محلــولا

بــه كــل معنــى للبــلاغــة لــم يــدع | لـذي أدبٍ فـي حلبـة النظـم مـأمـولا

هـــزل:

كلام ما أطعمه يا خوان أحلى من الشوي | يخلـي شـريـم الـذهـن والفكـر مستـوي
يسكـب إلـى قعـر القـريحـة ويلتـوي | وينـزع نظـام مـن سـاعته يشبـه القـديـد

جـــد:

وأنّــى لــه يحكــي نظــام عصــابــةٍ | لهم صار صعب النظم والنثر مذلولا
لهـم فـي كِـلاَ النـوعيـن حسـن صنـاعـةٍ | وجـودة سبـك سـالـف الـدهـر مـا نيـلا

هـــزل:

تـراه يمتخـج فـي ذروة اللطـف لا يُلَـع | ويخـوي إلـى ريمـه وينبَـع إلـى بُـرَع
ويصبح لديه طاهر وسحبان من سَنع | وينسـى بـه النّحـاس وجحظـه مـع لبيـد

جـــد:

فهيّــج مــن شجــو ووجــدٍ ولــوعــةٍ | غـراميـةٍ أضحـىٰ بهـا الجسـم مهـزولا
وحـرَّك منـي كـل مـا كـان سـاكِنـاً | وصيّــرنــي حلــف التفكــر مخبــولا

هـــزل:

أتـانـي وهـو لاَبِـس لكمخـه ومشمشـي | وفـي قَنْحته جِسْكَـام وفـي فَنْجته وشـي
وفيه مزط بُوباسه وفيه مزط بويشي | يقـولَ هُـدّه الله مَـن تلـوّه لـذا القَصِيـد

جـــد:

ومــا ذاك إلا أن فــي السفــح جيــرةً | لهـم أذعنـت بـالسبـق جيـرتـه الأولـى
بنـوا بيـت فخـرٍ عـن عُـلاه تقـاصـرت | عــزائــم أربــاب المفــاخــرة الطــولا

هـــزل:

لهم يا خبير في الكَرّ صنعة وفي الخراش | تهافت إليها مِنْ صَلاَ العاشق الفراش
وتبعـث لـواعـج للقـوابـر وللخفـاش | وتُمسي بها الحِذْيه على عظمها تميد

جـــد:

إليهـم تنـاهـىٰ كـل فخـرٍ ولـم يـزل | نــوالهــم للمبتغــي الجــود مبــذولا
ومنهـم نشـا محـض البـلاغـة إذ غـدا | بـأذيـالهـم حَبـل الفصـاحـة[1] مـوصـولا

---

(١) ب: صمد الفصاحة.

هـــزل:

وفي سفحهم ركَّز خيام الهوى دُريك وتطرح رحال الشوق في سوحهم دشيك
ومن قال يناويهم فقد يكذب الجبيك ففي ريعهم رُكن العُلا قد غدا مشيد

جـــد:

ومـا إن لهـم فـي كـل مجدٍ معـانـدٌ ولا حـــاســـد إلا وأصبـــح متبـــولا
وليـس سـواهـم فـي البـريـة فتيـةٌ اغدا جُودهم تحت الشمائل مشلولا

هـــزل:

لطائفهـم فـي الأرض تعلـو مـن السَّمَـا وأخـلاقهـم كـالـزهـر فـي مبغـم الكمـام
وراحـاتهـم أكـرم وأسمـح مـن الغمـام لـذا ودّهـم فـي كـل مهجـة غـدا جديـد

جـــد:

سمـوا بمعـاليهـم علـى هـامـة السمـا فصـارت لهـم زهـر اليـواقيـت تحجيـلا
وأضحـت لهـم غـر المنـاقـب والعُـلا علـى قمّـة المجـد المـؤثـل إكليـلا

هـــزل:

وهـم شـامـة المجـد العجيـب وغُـرتـه وهـم زوجـوا خـال القـريـظ بعمتـه
وهـم حلقـوا للشعـر دقنـه وشِعْـرتـه وهـم قلـدوا جيـده بلـؤلـؤ غـدا فـريـد

جـــد:

وهـم مُلِئـوا جـوداً ومجـداً وسـؤدداً ومكـرمـةً عـرض البسيطـة والطـولا
ولـم يـدعـوا فخـراً لمفتخـر لَـمْ يَطِـق لعـلاهـم ذو الفصـاحـة تفصيـلا

هـــزل:

ومن سوحهم غَنّت على العُود قَوبَره وحنـت لهـم حَـوْج الحمـام بحـوجـره
لأن الغصـون فـي سـاحـة البيـر مـزهـره تِزقزق لها صُم الجلاميد مع الحديد

وكان رحمه الله تعالى جواد مطلقاً قليل ذات اليد، وهو الذي مازحه أحمد بن حسن بركات فقال: مضىٰ قَبلنا علي بن موسى الرضا وأدركنا علي بن موسى السُخْط.

[المحدث الهاشمي علي بن صلاح الدين]

وفيها: يوم الخميس العشر من جمادى الأولى توفي علي بن صلاح الدين بن يحيى بن الحسين بن علي بن الإمام شرف الدين[1]، الإمام المجتهد النحرير الحافظ

---

(١) نشر العرف (٢/٢١٦)، ملحق البدر الطالع (١٦٥)، هجر العلم (٤/١٨٨٧)، مصادر الحبشي (٧٠)، معجم المؤلفين (٧/١١٢)، الأعلام (٥/١٠٧)، أعلام المؤلفين الزيدية للأستاذ =

الاخباري المحدث الحجة، مولده تقريباً سنة عشرين ومائة وألف بصنعاء وبها نشأ فأخذ في الفقه عن هاشم بن يحيى وعن إبراهيم بن خالد القرشي، ثم سار عنها إلى كوكبان ودأب في المعارف، واشتغل بعلم الحديث ورجاله، وأفنى[1] عمره فيه فبلغ مبلغاً سَامَا به القُدماء مع حافظه سليمة وطبع قلق يعتريه حدّة، غير أنه ما مر على لسانه الكذب.

ومن مؤلفاته: «إتحاف الخاصة بتصحيح الخلاصة»[2] تَعقّب به أحمد بن عبد الله الخزرجي[3] في خلاصته الموضوعة في رجال الحديث فتلقاه العلماء بالقبول وتناقله المحصلون فجاء مصححاً للخلاصة ومكملاً. ومنها كتابه الذي سماه «منهج الكمال النفسي» لمعرفة الكلام القدسي[4]» جمع فيه الأحاديث القدسية ورتبها على حروف المعجم. ورأيت مَنْ جَمَع الأحاديث القدسية فأوسع في الجمع حتى جاءَ مجلداً ضخماً كبيراً رجلاً من أهل العراقين منسوب إلى شيراز شذّ عني اسمه وإن كان نَقْدُه دون نقد المترجم له.

ومنها تاريخه الذي وضعه لأئمة اليمن وابتدأ فيه بذكر الإمام الهادي يحيى بن الحسين رحمه الله، وبلغ فيه إلى دولة الإمام القسم بن محمد رضي الله عنه، سمّاه «المختصر المستفاد من تاريخ العماد» يعني به أنباء الزمن ليحيى بن الحسين بن القسم. وله «درر الأصداف المُنتقاة من سلك جواهر الإسعاف» وهو من أنفس المختصرات[5]، وفي أيامه اختصر الإسعاف حسين بن يحيى القرشي فترك ما أثبته المترجَم لهُ وأثبت ما تركه فرأى المُخْتَصَرين أحمد بن حسن بركات فقال من حَصَل له الإسعاف استغنى عنهما وصار في السلامة من تطلبهما، وطلب بعض الناس من أحمد بن حسن بركات مختصري الإسعاف فتطلبهما فلم يجدهما فاشترى الإسعاف وجآء به إلى المتطلب فقال له: ما هذه أردت.. فأقسم بالله ما رأى مختصرين فيهما ما في الأصل من غير زيادة ولا نقصان سوى هَذين.

= عبد السلام الوجيه ص ٦٨٧.

(١) وأفنى: (أفنا).

(٢) خ سنة (١١٤٣) بقلم المؤلف جامع (٤٠٦) ـ مصادر الحبشي.

(٣) **أحمد بن عبد الله الخزرجي**: عالم بالرجال، من تصانيفه: خلاصة تذهيب الكمال في أسماء الرجال صنفه سنة (٩٢٣هـ). معجم المؤلفين (١/ ٢٨٨).

(٤) أشار الأستاذ عبد الله الحبشي إلى أن منه نسخةً بمكتبة الفاتيكان تحت رقم (١١٠١)، قال الأستاذ عبد السلام الوجيه: لعله (منهج الكمال فيما جاء في الحديث من كلام ذي الجلال) المنسوب إلى علي بن صلاح الصعدي استناداً إلى هدية العارفين.

(٥) اختصر فيه الإسعاف شرح شواهد البيضاوي والكشاف.

ومن فوائده ما رَدَّ به على صاحب القاموس في مادة وَدَق. قال المازني: وصوَّبه الزمخشري أن عليًّا رضي الله عنه لم يصح أنه تكلم بشيء من الشعر غير قوله:

تلكم قريشٌ تمناني لتقتلني ... فلا وربك ما بَرُّوا ولا ظفروا
فإن هلكت فرهنٌ ذمتي لَهُمُ ... بذات وَدْقين لا يعفو لها أَثَرْ

وذات ودقين هي الداهية، فقال رحمه ذي الجلال أقول يردّه ما رواه مسلم وغيره من الأبيات المرتجز بها في خيبر انتهى. قال المؤلف غفر الله له: هذا الرد ليس بشيء قد كانت العرب لا تعد الرّجز من الشعر ولذا كان يرتجز النبي ﷺ: أنا النبي لا أكذب، أنا ابن عبد المطلب. والله أعلم.

وقد ترجم له القاضي[١] رحمه الله، وأثنى عليه خيراً وذكر أنها جرت عليه نكبَات ولحقته بليّات حتى مات محبوساً غريباً محزوناً كئيباً، قلت: والبليّات التي ذكرها القاضي فيما يزعم الناس من أنه قتَل بنتاً لَهُ وأنه قتل زوجته، ولا حاجة بنا إلى شيء من ذكرها. وله شعر قليل منه ما كتبه في الحرص على كتب العلم والحظ على لزومها وعدم بذلها لمريدها، وأجاد في ذلك فقال مع حسن التعليل:

لا ترسل الكتب إن ما كنت ذا حذرٍ ... ولا تعرها فإن الكتب طَيَّاره
أما تراها بأجناح مُهيئة ... تريد أن لا تراها غير دَوّاره

وله شعر رَثّى به شيخه إبراهيم بن خالد[٢]، منه بيت التاريخ:

فأرخ طاب بالطُوبا مقام ... لإبراهيم في الجَنات مأوى

ومن شعره ما كتبه إلى القاضي أحمد بن محمد قاطن[٣] رحمه الله تعالى:

نسيمُ الصَّبَا وافَت بنشر الأحبَّةِ ... وأذكت سعيراً بالفؤاد وشَبَّتي
وفي طي ذاك النشر مما أتت بهِ ... إلى قلبي الخفاق رمز أحبّةِ
فطار عن القلب القريح منامُهُ ... وخلّى سهادي بعده وكر مقلةِ
فهل لي على ما بي من الوجد مُسْعِدٌ ... سواك صفي الدين دونك قِصّتي

ومن شعره الإلٰهي:

أدعوك بالكف الذي جعل الفتى ... من شأنها متضرعاً متذللا

---

(١) القاضي أحمد قاطن في دمية القصر.
(٢) هو إبراهيم بن خالد العلفي. انظر زبارة: نشر العرف (١/ ٢١).
(٣) **أحمد بن محمد قاطن**: ستأتي ترجمته في تاريخ وفاته سنة ١١٩٩هـ).

أغفـــر ذنـــوبـــي كلهـــا متجـــاوزاً عنهـــا وإن كـــانـــت تـــوازن يـــذبـــلا

قلت وَلِيّ القضاء بـ (ظفير حجّه)[1] ثم عُزل وعاد صنعاء فكان يحضر ديوان الإمام لفصل الخصومة، ولمّا دَعَا أحمدَ بْن محمد بن حَسين[2] فسار إلى حضرته ودرّس بها[3] وجرت له مجريات أحرَجت صدره، دعته إليها حدّة الطبع حتى فرّ عن كوكبان أيام عبد القادر بن محمد وراح إلى جبل برط مثيراً لعزائم أهل الفساد بالخروج على المهدي العباس، فبث الرسائل بالقبائل ومما كتبه:

ألا أبلغـــا أهـــل البـــداوة والقـــرى ومن سار في حرّ الهجير ومن سَرىٰ
وطـــوفـــا بـــلاد الله فـــي كـــل مَهْمـــةٍ وكـــل تنـــوفٍ لا صُـــوىً فيـــه مقفَـــرا
وفـــي كـــل قطـــرٍ فـــي تهامـــة شـــاسـع إلـــى عـــدنٍ أو أَبيـــنٍ ثـــم مـــا ورا
عـــزاءٌ لـــه صمـــت مســـامـــع كلمـــا سَرى راكب في الناس نجداً ومغورا
فقـد مـات ديـن المصطفى في زمـاننـا ولـــم نـــر محـــزونـــاً عليـــه فيعـــذرا
أبـــاهلكـــم هـــل كـــان ديـــن محمـــدٍ يســـاوي الـــذي تـــأتـــونـــه الآن مُنكـــرا
وهـــل كـــان فـــي أبيـــاتـــه كبيـــوتكـــم مفـــارش حـــاكـــوهـــا لكســـرى وقيصـــرا
وهـــل قـــد حشـــا الحـــلاج نسجـــاً لـــه أتـــى مـــن الهند مصنوعـاً كمـا الـروض نـورا
وهـــل جمعـــت أبيـــاتـــه مثـــل دورُكـــم وســـائـــد ديبـــاج تـــرُوقـــك منظـــرا
وقـــد وشيـــت مـــن فضـــةٍ ذهبيـــةٍ طـــرائـــق فيهـــا للحيـــاة مُصَـــوّرا
وهـــل قـــد كســـى المختـــار حيطـــان بيتـــه حـــريـــراً يعـــود الطـــرف منـــه مُحَيَّـــرا
فتحسبهـــا مـــن جنـــة الخلـــد زخـــرفـــت وهـــي لهـــبٌ يـــوم القيـــامـــة سُعِّـــرا
وفـــي دوركـــم مـــا ليـــس نُحصيـــه كثـــرةً نحـــاســـاً وبلّـــوراً كمـــا الـــروض أزهـــرا
وزخـــرف تبـــرٍ مثـــل بيـــض نعـــامـــةٍ بهـــا اللـــؤلـــؤ المنظـــوم أضحـــىٰ محـــرّرا
أفيقـــوا أفيقـــوا واحـــذروا المـــوقـــف الـــذي سيظهـــر فيـــه مـــا كتمتـــم عـــن الـــورىٰ
واعجـــب شـــيء أنكـــم تـــدعـــون مـــا عليـــه نبـــي الله كـــان بـــلا مِـــرا
وآلاتُـــهُ صفـــر الغِســـال ومخشـــبٌ وتَـــوْر وصـــاعٌ قصعـــة قـــدح القـــرىٰ
وليـــس ســـواهـــا غيـــر أن فـــراشـــه حصيـــر إذا مـــا نـــام فـــي الجســـم أثـــرّا
ومـــن آدم كـــانـــت وســـادتـــه وقـــد حشـــاهـــا بليـــفٍ صـــح نُقـــلا مخبـــرا

---

(١) الظّفير: جبل وبلده في شمال مدينة حجّة بمسافة نحو ١٥ كيلومتراً.

(٢) هو المولى أحمد بن محمد بن الحسين من آل شرف الدين، وكان دعا إلى نفسه بالإمامة في كوكبان سنة (١١٦١هـ). انظر زبارة: نشر العرف (١/٢٥٨).

(٣) يقصد بمدينة كوكبان.

ثكلتكم هذي طريقته فهل طريقتكم إلا طريق من اجترى[1]
كقارون حاشا أن يعد نظيركم أبو مسلم أو من طغى وتجبّرا
ولم يكفكم هذا القبيح وشِبْهُهُ لحتىٰ زعمتم أنكم صفوة الورا

وساق نظماً بكت له القضاة والعلماء حتى قال:

هلمُّوا إلى النهج السّوِي وبادروا إلى طود حلم بدر علم لمن يَرى
هلموا إلى شمس الفضائل والتُّقى هلموا إلى الداعي لكم أيُّها الورى
هلموا إليه قائلين مقالة سمعنا أطعنا أو نموت فنعذرا
هلمُّوا إلى ساداتكم وهُداتكم وللفضل من سادوا قريباً ومعشرا

وسعى بعض الأكابر في استرجاعه عن (جبل بَرَطْ) إلى حضرة الإمام على أن يفرض له في بيت مال المسلمين شيئاً ففعل، فدخل وعكف على التدريس وكف بصره وما زال بحضرته حتى مات، وأصيب ببلية غير بلية زوجته وهي أن ابنته كانت على شفير بئر فسقط من يدها بالبئر الحبل والدلو فخافت من والدها القتل أو الضرب المبرح ففرّت من البيت الذي هي به بصنعاء والتجأت إلى بعض شرائف آل الإمام، وما زالت مختفية حتى مات، فنسب الناس إليه أنه قتلها فحبس لذلك السبب، سَجنهُ الإمام المنصور فبقي بالسجن ثلاثة أيام ومات رحمه الله.

وله يد في الحديث قوية، سأله بعض الناس عن مراسيل كبار التابعين هل هي مقبولة أم لا؟ فقال: لا نَقبل إلا ما أسندوه فقال قد حرّروا ذلك وقالوا: نَقبل رواية من لا يرسل إلا عن عدل. فقال قد كنت قررت هذا غير أن ابن حجر صرح بأن تعاليق البخاري كلها غير صحيحة عنده، ولو رواها بصيغة الجزم. فإذا كان هذا في حق البخاري، فما ظنك بغيره من أئمة النقل. انتهى.

[قاسم بن الصادق]

وفيها: يوم السبت تاسع وعشرين جمادى الأولى، توفى قاسم بن الصادق بن المهدي محمد بن أحمد[2]. وهو ممن سعى أيام المهدي العباس بحده في الفتنة إلى أن نكّل المهدي العباس فيها بمحمد بن علي وعلي بن طالب وأودع المُترجَم له السجن. وقد أتى كثير من أصحابنا المترجمين على ذِكر السبب كشيخنا البدر محمد بن علي الشوكاني في كتابه الذي كمّل به وفيات الأعيان للقاضي أحمد بن خلكان وسمّاه «البدر الطالع لمن بعد القرن السابع» ورفيقنا الشريف إبراهيم بن عبد الله الحوثي وكتابه «نفحة العنبر».

---

(١) في ب: افترىٰ.
(٢) نشر العرف (٢/ ٣٢٧).

والمُترجَم له ممن وَدّ الخلاف والمباينة وصحب أحمد بن محمد بن إسحاق في خلافه ونزوله الدَّن[1] وعنه أخذ المعارف العلمية بفهم بعيد لا يتناول الدقائق. وكان يحضر قراءة أحمد بن محمد علىٰ الشيخ عبد الرحمـٰن الهندي في حاشيته على اليزدي فيراجع الشيخ عبد الرحمـٰن بما لا يتعلق بالبحث فيقلق منه ويتكلم بالرَّطانة. وحدثني أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق أن الشيخ عبد الرحمـٰن كان يقول: قاسم بن الصادق ذهنه عنين لا يفتض المعنى. ويضحك منه. قلت: وهو الذي روى لجده محمد بن أحمد[2] هذه الأبيات:

فيـــم اقتحـــامـــك للهمـــو م تجـوب فـي ظلـم الغيـاهـب
أو مـــا تـــرى هـــذي البقـــا ع الخضـر قـد ملئـت مضـارب
وجيـــادنـــا فيهـــا كمـــو ج البحـر مضطـرب الجـوانـب
ورمـــاحنـــا فـــي عثيـــرٍ كـالبـرق يلمـع فـي السحـائـب

وكان الكثير لا يساعده على نسبتها إلى المهدي محمد بن أحمد، ولمّا سجنه: المهدي العباس كتب إليه بعد طول سجنه قد أذهبت الأكلة أسناني، وتهدم بنياني. فأجاب عليه: إن الأكلة لأسنانك من قبيل الوقزة والوقزة. في العُرف الصنعاني تقال على الدودة التي تعلق بالأسنان وعلى من أرجف. ولما أيس المترجَم لَهُ من الخروج من السجن سمع أن الحسين بن عبد القادر[3] لما طال حبسه توجه بأبيات امتدح فيها رسول الله ﷺ متوسلاً به إلى الله عز وجل وبعثها مع حاج اليمن وأمرهم أن يلقوها بجانب القبر النبوي بعد قراءتها في الحجرة الشريفة، وأنه أطلق في اليمن الذي قرئت فيه. فتشبه المترجم له هنا به قاطعاً بنيل المراد، فعمل قصيدة وأرسلها مع حاج اليمن وقدّر خروجه يوم قراءتها وجمع الفاقة ومتاعه في ذلك اليوم. فلم يطلق فتحيّر إلى اليوم الثاني وجمع متاعه[4] وتأهب للخروج فلم يكن شيء من ذلك. فلم يزل متحيّناً شهر الله المحرم كله. ولما وصل الرسول الذي بعثه بتلك الأبيات أنكر عليه واتهمه بعدم قراءتها فأشهد علي القراءة جماعة ممن زار النبي ﷺ فقالوا: سمعناه قرأها بالحجرة الشريفة، فقال: لو قُرِئت لظهرت لي أمارة. فقال بعض الناس: قد أحال المصطفى الإطلاق على ولده العباس، فاشتد عليه الحاصل. قلت وأطلقه المهدي العباس مع أولاد عبد الرب بن أحمد، وهيب في آخر يومٍ من عمره.

---

(١) دَنّ وصاب، وقد سبق الحديث عن مباينة إسحاق للمهدي العباس ونزوله إلى المنطقة المذكورة.

(٢) هو المهدي صاحب المواهب محمد بن أحمد بن الحسن بن القاسم.

(٣) انظر الأكوع: هجر العلم (٤/ ١٨٧٨).

(٤) في ب: ولفّ متاعه.

[أحمد بن يوسف الحديث]

وفيها: يوم الخميس خامس وعشرين جمادى الآخرة، توفي أحمد بن يوسف بن حسين بن حسن بن القسم[1] المسند المُحَدِّث، بالروضة البهيّة وحُمل إلى صنعاء. ومولده بها عام إحدى عشرة ومائة وألف، وبها نشأ، وقَصد في شبابه المواهب حضرة المهدي محمد بن أحمد، في جماعة من آل حسين بن حسن ليختار الأرشد عليهم قائماً، فصوَّب النظر في المترجم له وصعّده وقال إن له شأناً يفضل على أهله به، فأما في الأمر الدنيوي فهذا وأشار إلى محمد بن حسين بن حسن المعروف بالمستكا. فبلغ النهاية في علم الحديث ورجاله وغلب عليه ذلك العلم فصار له علماً. وكان يقال أحمد بن يوسف الحديث. بَرَع في المعارف وأخذ عن يوسف بن الإمام المتوكل إسماعيل، وعن عبد الله بن أحمد بن إسحاق، وعن عدة من الاعلام كهاشم بن يحيى الشامي وحضر درس البدر المنير، وعنه أخذ ولده يوسف ومحمد بن هاشم وزوجته فاطمة بنت علي الحوثي في فقه الزيدية والنحو والصرف والحديث، وكانت تحضر معها أختها زكية بنت علي ويقعدان فيتراجعان ويتكلمان معه بالصواب، وكتب بخطه كثيراً من المؤلفات، وحصّل وألف، ومؤلفاته مرضية تدل على قوة ساعده، أجلّها تخريجة لمجموع الإمام زيد بن علي فإنه عَني به والتزم شرطاً غير معتبر عند المخرجين فجعل التخريج من كتب الحديث من طريق علي عليه السلام ليكون ذلك أقوى شاهداً علىٰ من ادّعىٰ الكذب على المجموع، وربما لم يقف على طريق عن أمير المؤمنين فبيّضه.

وكان رحمه الله متواضعاً جدًّا لا يرى لنفسه حقاً، يجيب دعوة الداعي صغيراً كان أو كبيراً عالماً أو جاهلاً. وأراده المتوكل القاسم بن الحسين علىٰ الرياسة فأباها ثم عرض عليه تزويجه إحدى بناته فأبى ذلك، وكان في الفراسة نسيج وحده شهد له الماهرون بها. وقد ترجمه غير واحد وافتتح به إسحاق بن يوسف تراجمه وترجمه الشوكاني في البدر وعبد الله بن عيسى بن محمد في كتابه الحدائق وغيرهم من المترجمين. وله في النظم يد طولى، فمن مستجاد شعره وأفانين سحره قوله في الغزل:

عـــاد طـــرف الحُـــبّ عـــن وسنـــه	وفـــــؤادي ذاب مـــــن شَجنـــــه
كيـــف يخفـــى حُبّـــه كلـــفٌ	ســـرّه بـــالـــدمـــع مـــن عَلَنـــه
وغـــــزال بـــــات يمنحنـــــي	لحظـــه والمـــوت مـــن مِننـــه
بـــزّ مضنـــاه الحجـــا ونضـــىٰ	سقـــم جفنيـــه علـــى بـــدنـــه
مـــال فـــي بحـــر الغـــرام بـــه	مـــال ميـــل الـــريـــح مـــن غُصنـــه

---

(١) نشر العرف (١/ ٣٠٦).

يـــا لأربـــاب الهـــوى لِشَـــج مستهـــام القلـــب مـــرتَهَنِـــه
يتحَسَّـــى الـــدمـــع وهـــو دمٌ ويَمُـــجّ اللـــوم مِـــنْ أذنـــه

وهذا مما يدلك على لطفه وسهولة طبعه ورقة شمائله. وله في الرِّقة والانسجام ما لم يَدُر بِهِ في موقف الأنس جام؛ قال:

قـــد كـــان تشبيـــه وجـــه خِلّـــي بـــالبـــدر عنـــد التمـــام ظُلمـــا
وكـــان يسبـــي النُّهـــىٰ بخـــدٌ تـــألـــفَ النـــارُ فيـــه والمـــا
حتـــى اغتشَـــى صُبـــحَ وَجْنَتيـــهِ ليـــلٌ مِـــنْ الشَّعْـــر وأدلّهمـــا
وأصبـــح المـــآءُ فيـــه غـــوراً وعـــادت النـــارُ بَعْـــدُ فَحْمـــا
وصـــحّ جسمـــي ومقلتـــاه شَيْئـــان لا يَعْـــدَمـــان سُقْمَـــا
وكـــان فيـــه الغـــرام حتمـــاً فعـــاد عنـــه السُّلـــو حتمـــا
يـــا بَـــرْدَهُ عـــارضـــاً بقلبـــي حَمِـــدْتُـــهُ والحَبيـــب ذمّـــا
وأنـــــه أيّمـــــا دوآءٍ يَحْسِـــمُ داء الغـــرامِ حَسْمَـــا

وله في الغزل أيضاً:

أغـــزالـــة سنحـــت لعينـــك أم رَشـــا نفـذت لـواحظُهـا سهـامـاً فـي الحشـا
أنـا لـم أكـنِ أنسِيـت ظبيـاً آنِسَـاً أبـداً ولا شمـسٌ بهـا غُصـنٌ مَشَـا
هـي غُـرَّة سَفَـرت فغـرّك حُسنُهـا عَلَنَـاً ونفّـر عـن هـواه وفتّشـا
أعلـيّ لَـومٌ أن دُهشـت بطَلْعَـةٍ غـراء وحُـقّ لمثلهـا أن يُـدْهشـا
مـاسـت فخـرّ البـانُ يَخضـعُ سـاجـداً وبـدت فغـاب البـدر مـن خجـل عِشَـا
وارتـك خـدًّا بـالعيـون مضـرَّجـا حفـراً وقـداً بـالظنـون مخمَّشـا

ولما اشتغل بالحديث تكلم فيه الجاهل والخبيث ورموه بالنّصب، فأنشأ قصيدة غراء يمتدح بها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال:

وأعْيِـد فتّـان اللـواحـظ طـرفُـهُ لعـوبٌ بـألبـاب الـرجـال سحـورُ
تملكنـي رقّـاً هَـواهُ فمـدمعـي طليـقٌ وقلبـي فـي يـديـه أسيـرُ
وايقـض وَجْـدِي طَـرْفُـه وهـو نـائـمٌ وانشـط أشـواقـي وفيـه فتـورُ
إذا عبّـر الأفـواه عنـه عبـارةً تضـوَّع منـه عنبـرٌ وعبيـرُ
إذا نحـن خضنـا فـي علـي وفضلـه فمـا هـو إلاّ جنـةٌ وغـديـرُ

وهي قصيدة جيدة طويلة، وكان يرى من أهل وقته جفوة لا أراها لغير سيادته واشتغاله بعلم الحديث، وقد أشار إلى ذلك متشكياً وفيه لزوم ما لا يلزم مع الجناس التام:

ومعشــــرٍ لا يـــزال دأبُهُــــمُ نَقْـضُ الأقـاويـل بـالأفـاعيـل
قـد كنـتُ للنـائبـات أَدْخُـرُهـم فصـح لـي أنهـم أفـاعـي لـيَ
تبـاً لهـم كيـف أصبحـوا عُمُـداً وأمـس كـانـوا مـن المفـاعيـل

وكان رحمه الله محبًّا للطاعة ملازماً للجماعة، حج مع والده يوسف بن الحسين[1] ولاقىٰ أعلام مكة. وكان يخضب بالسّواد ثم بدا له الترك فخرج إلى الناس فأنكره كثيراً إذ كان لا يظهر عليه الخضاب فَبَدا ولحيته كالثغامه[2]. وكان مولعاً بروضة حاتم[3] مفضلاً لها على سائر النزه، وله فيها قصيدته التي تناقلها الناس في فضلها، وناقَضَهُ محمد بن هاشم[4] بمثلها وقَضَى بالفضل لبير العزَب. وذكرنا قصيدة محمد بن هاشم في ترجمتنا له سنة سبع ومائتين. قال المترجَم لَهُ:

إنمـا الـروضـةُ فـي أيّـامهـا روضـة تستـوقـف الطـرف أنيقـه
جنّـةٌ ذات قطـوفٍ قـد دَنَـت حسنهـا أوراق أعنـابٍ وَرِيْقـه
رازقـي وبيـاض[5] البسـا مـن خـدود البيـض ابشـاراً رقيقـه
وعيـون[6] كعيـون العيـن قـد حَـدّقـت منـه بهـا كـل حـديقـه
ولهـا جـوٌّ رقيـقٌ لـم يـزل كـل مـن حَـلّ بهـا يَسقـىٰ رحيقـه
كـم جنـان حـول صنعـاء قـد غـدت عنـدهـا مثـل مجـاز وحقيقـة
هـي ان حققهـا نعتـاً لهـا شِبْـه مَلـكٍ وهـي أتبـاع وسُـوَقـه
أنـا لا أرضـى بـأن تغـدو بهـا فـي الأراضـي الغـوطـة الغنّـاء شقيقـه
وبـدرٍ إن أنـا قلـدتهـا مـن نظـامـي فهـي بـالمـدح خليقـه
لسـت أوفيهـا وإن بـالغـت مـا هـي فـي الحـق بـه عنـدي حقيقـة
يـا سقـاهـا الله أخـلاف الحيـا وكفـاهـا كلمـا تخشـى طـروقـه
وحبـاهـا اللطـف منـه دائمـاً مـا غـدا الصبـح بهـا يبـدو شـروقـه

---

(١) استبعد المؤرخ زبارة أن يكون قد حجّ مع والده، وقال: إن في هذا القول نظر مع قوله ولادته سنة ١١١١ إحدى عشرة ومائة وألف وما في ترجمة والده بنفحات العنبر من أن وفاة والده سنة (١١١٥) خمس عشرة ومائة وألف.
(٢) **الثغامة**: شجر أبيض الزهر ينبت في الجبل. المنجد في اللغة (٧١).
(٣) **روضة حاتم**: هي مدينة الروضة في الطرف الشمالي من مدينة صنعاء، وقد صارت اليوم ملتصقة بصنعاء وكانت سابقاً ذات رياض ومزارع غنية بالأعناب وصنوف الفواكه.
(٤) محمد بن هاشم الشافعي.
(٥) من أسماء أنواع العنب.
(٦) المرجع السابق.

وعلـــىٰ أحمـــد صلـــىٰ الله مـــا شـن صـوب المُزن فـي الأرض بـروقـه
وعلـــى الآل نجـــوم الاهتـــداء صلـــواتٌ هـــي عـــن حَبْـسٍ طليقـه

ومما حدثنا عنه والدنا أحمد بن لطف الله جحّاف قال: قعدت مع أحمد بن يوسف بموقف عبد الله بن أحمد بن إسحاق فخضنا في الفتنة ومصائبها، فقال رجل: نعوذ بالله من كل فتنة، فقال: لا تقل هكذا ولكن قل أعوذ بالله من فضلات الفتن. فقال الرجل: ما المانع من هذا؟ فقال: ما من الناس أحد إلا وهو مفتون ألم تسمع ما قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾[1]. وفي السنن أن النبي ﷺ خطب والحسن والحسين يعثران وعليهما قميصان أحمران فنزل عليه السلام عن المنبر فأخذهما فوضعهما في حجره على المنبر وقال: صدق الله إنما أموالكم وأولادكم فتنة، رأيت هذين الصبيين فلم أصبر. هذا لفظ الحديث والله سبحانه يقول في عموم غير مخصص: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾[2] فامتحن الله الخلق بعضهم ببعض، وقد امتحن الله الرسل بالكفار والعلماء بالجهال وامتحن الكفار بالرسل هل يطيعون أم يكفرون وامتحن الجهال بالعلماء هل يهتدون بهم وامتحن الملوك بالرعية والرعية بالملوك والفقراء بالأغنياء والأغنياء بالفقراء والأقوياء بالضعفاء والعكس والمالك بالمملوك والعكس، قال: وهذا لم أسبق إليه. قال ابن مسعود: لا يقولن أحدكم اللهم إني أعوذ بك من الفتنة فإنه ليس منكم أحد إلا وهو مشتمل على الفتنة فأيكم استعاذ فليستعذ بالله من فضلات[3] الفتن.

[أحمد بن محمد إسحٰق المُحَدِّث]

وفيها: يوم الجمعة سادس وعشرين جمادى الآخرة توفي أحمد بن محمد بن إسحاق بن المهدي أحمد بن الحسن بن القسم[4]. كان عالماً محققاً إخبارياً ذا سُنّةٍ ظاهرة، جمع بين علمي المعقول والمنقول، صحيح الخط ضابطاً ما مرّ قلمه على كتاب إلاّ وثق ناظره بالصواب، مع فكر سليم وطبع مستقيم ومروّة كاملة وأخلاق فاضلة. أخذ عن والده المجتهد محمد بن إسحاق جل معارفه وعن أحمد بن صلاح الخطيب[5] وعن

---

(١) سورة التغابن، الآية (١٥).
(٢) سورة الفرقان، الآية (٢٠).
(٣) كتب الناسخ هامشاً يقول: أُخذ من خط المؤلف بالفاء والذي سمعته من بعض الباحثين هكذا: من مُضِلات الفتن بالميم.
(٤) نشر العرف (١/ ٢٣٧)، وعن الأعلام من آل إسحاق. انظر الأكوع: هجر العلم (٣/ ١٥٧٦خ) وفيه إشارة إلى مصادر تراجمهم.
(٥) أحمد بن صلاح الخطيب الشامي.

المولى هاشم بن يحيى[١] وعن أحمد بن إسحاق بن إبراهيم ابن المهدي، وفي الفقه عن القاضي حسين السياغي وعن محمد بن زيد بن محمد بن الحسن، وأسمع في الأمهات عن الشيخ أبي الحسن السندي[٢] وعن محمد بن حيوة السندي، واسمع أكثرها بصنعاء، وتلقاها عن الشيخ عبد الخالق المزجاجي وعن محمد بن الطيب المغربي بمكة.

وكان قليل الاعتراض على العلماء محسناً إلى الطلبة مقصوداً مضيافاً، وتخرج في علم المعقول بالشيخ عبد الرحمٰن الهندي، واسمع عليه حاشيته التي ألفها بالهند على شرح التهذيب في المنطق قال بعض الناس: ذلك المؤلف كان قد عني بجمعه وتأليفه له بالهند وإنه لما سار عنها غرقت النسخة في البحر ولما حط رجله باليمن رجع فهمه فحررها وعني بتهذيبها وتنقيحها بصنعاء اليمن وجاءت في دفتر ضخم، وكان المترجم له كثيراً ما ينقل أبحاثها في حال قراءته. وحدثنا بعض الثقات أن الشيخ عبد الرحمٰن لما ارتحل عن اليمن المرة الأولى وقضى نهمته من سفره فَقِدَ نسخته التي عني بها ولما عاد ما زال يشكو فقده إياها فجاءه المترجم له بنسخته من «شرح التهذيب» وعليها حاشيته مستكملة فسجد لله شكراً. وكان شيخنا الأستاذ علي بن إبراهيم بن علي بن إبراهيم بن أحمد بن عامر قد انقطع إلى المترجم له وتتلمذ له وأخذ عنه في علمي اللغة والمنطق واستفاد، قال: وأرسله الإمام المهدي في جيش إلى حَيْس[٣] عام اثنتين وستين ومائة وألف لجهاد الساحر الظاهر بـ (العُدَيْن)[٤] وهو رجل يقال له الحشاش وكان ينتسب إلى نحلة التصوف فانضم إليه خلق من الرعاع والأوغاد، وكان زعم أنها لا تعمل السيوف والرصاص في اتباعه، وأرسل جماعة إلى العُدَيْن وجماعة إلى جبل رَاس[٥] فقتلوا طائفة ثم رماهم بعض الناس بالبنادق فقتلت منهم فعرف الناس تمويهه ومحرمته فانهزموا وولوا الأدبار. وقَصدوا بعد ذلك بلدة حيس فدخلوها عنوة لعدم المانع لهم وقلة الرتب بها، فأرسل الإمام المهدي العباس المترجم له لحربه فسار فأوقع بهم وحمل روساً عديدة إلى باب الخليفة، ثم عاد حضرة الإمام.

ثم جرت بين المترجم له وبين المهدي العباس مواحشة ففرّ عن صنعاء بعد إعمال الحيلة في الخروج منها، وصحبته ولده علي بن أحمد وشرف الدين بن إسماعيل

---

(١) هاشم بن يحيى الشامي.

(٢) سمع عنه لمّا دخل مكة للحج.

(٣) حَيْس: بلدة تهامية في جنوب زَبيد بمسافة (٣٥) كيلومتراً.

(٤) العُدِيْن: بضم العين، سلسلة جبلية في الجهة الغربية من بلاد إبّ، وهي تطل على بلاد حَيْس في تهامة.

(٥) جبل رَاس: جبل وبلدة في الشرق الجنوبي من زبيد، وشمال شرق حَيْس.

وأحمد بن الحسن بن إسحاق وقاسم بن محمد كل هؤلاء مِن آل إسحاق وإسماعيل بن حسن بن المهدي أحمد، وورد على المهدي خبر فرارهم، وكانوا إذ ذاك ببلاد أرحب فاستقروا بها أياماً، وبلغ القاضي حسن العنسي خروج أحمد بن محمد مُغاضِباً فكتبَ إلى الإمام المهدي يسأله ما لا يخذل به القبائل عن طاعته وإجابته فأسعفه وبذل له مالاً، فبلغ أحمد بن محمد ذلك عند توجهه إلى سوق العِنان[1] فراسله وهو بالطريق يسأله الموافقة فامتنع، فسار مرشد بن طشّان عن رأي عقدهُ القاضي بينه وبينه، جَنَح فيه إلى السعي بالصلح الموافق لمذهبه وهواه، يقول فيه: يشترط لَكَ علىٰ الإمام إطلاق وصاب وأعمالها عن الواسطة، فهرّه وظلّل رأيه ونفى تشيعه، فراح عنه من يومه وعاد صباح اليوم الثاني في مصلحته[2] عاقداً للراية معه أينما توجه، وسأله عن مراده؟ فأخبره بقصد بلاد وصاب. وقد كان المنصور بالله الحسين أقطعهم حقوقها وزكواتها فسار ودخل شاطب[3] فاستقر به أياماً ثم سار عنه ودخل ظفار فبعث عليه المهدي العباس صالح بن ناشر وصالح بن عايض وجهز أمير الجُند أخاه أحمد بن المنصور ومحمد الحيـي كاتباً ومشيراً، فناجزه القتال أياماً، فضاق به الحال ولاح له مذهب، فخرج عنها ووثب على الدّن، فواجهه أهلها فبقي به شهوراً. ثم بدا له أن يضرب السكة بأسمه، فبعث عليه المهدي العباس البعوث وأمر عليهم سليم المتوكل، فسار عن ذمار ـ وكان عاملاً بها فطوى الطريق يوماً واحداً إلى هنالك وحط رجله بوصاب، وحاصَر مَن بالدّن شهوراً، فلما استطال القتال وضاق الحال ونَفِذَ علىٰ مَنْ بالدّن الزاد والمآل أغاثهم الأمير سليم نميرة خِفيةً تقيمهم ليومهم شَفَقَةٍ على أولئك وسألهم الخروج إليه، واشترط الوصول حضرة المهدي العباس على أن يسلم للإمام من خراج البلاد ما أنفقه على الأجناد فجنحوا إلى الخروج واستسلموا إلى يديه بعد أخذ المواثيق منه والتزامه لهم بما يستحقونه.

وسيّر الإمام المهدي عبد الله بن لطف الباري الكبسي لتقرير صلحه والنظر في شروطه، فعاد إلى صنعاء معظماً مُكرّماً، وكان بوصاب قد أظهر الدعوة وتلقّب بالهادي. ولما عاد كانت لا تُرد شفاعته عند المهدي العباس وأرباب دولته، وكان يدنيه منه ويستشيره في مهماته، وله مجريات قد أتى عليها نقلة أخبار الدولة المهدوية، وكان أحمد بن محمد قد أقام له خطيباً: قاسم بن الصادق بن المهدي محمد بن أحمد ليثير عزمات جماعات مع أنه كان يرى أن له حقاً في تلك الطلبة، فكان ينوه بحقه على المنبر ويقول: اعلموا رحمكم الله أن لنا عليكم حقاً. كما أن لكم علينا حقاً وسأل الإمام الأمير

---

(١) **سوق العِنَان**: منطقة جنوبي وادي أَملح من بلاد صعدة. بها مركز بلاد بَرَطْ.

(٢) مصلحته: (مسلحته).

(٣) **شاطِب**: بفتح الشين وكسر الطاء. بلدة من أعمال ذي بين لقبائل سُفيان.

سليم عن حال أولئك الذين كانوا بالدن؟ فقال: كلهم ذو وجهين إلا ما كان من أحمد بن محمد فليس له إلا وجه واحد سواءٌ سريرته وعلانيته.

قلت: كان رحمه الله بحر علم لا تغيره الدلاء، وإخباري حافظ، ولم أقف في السالف على شيء من شعره على قلته. قال ولده عبد الكريم: إنما لم يُنشر عنه الشعر لأنه كان قليل النظر فيه وفي دياوينه، وإنه منذ عرف يمينه من شماله لا يُؤثَر عنه أنه شرىٰ ديوان شعر لمطالعته أو سأل أحداً يعيره، علىٰ أنه كان بصيراً به مُجِيداً فيه، كتَبَ إلى المطهر بن يحيى بن إسحاق لمّا وصل منه عتاب لعدم معاهدته مع ما هو فيه من الضيق بالسجن فقال المُترجَم لَهُ:

أتتني سيوف من عتابٍ قواطعُ ضيآء الهدى من نحوكم ولوامعُ
بعيشك خَبِّرني أعتبٌ بعثته بطرسك أم نصل من البِيض قاطعُ
بعثت سطوراً للعتاب فأصبحت سهاماً لها في القلب مني مواقعُ

وكتب إليه أخوه إسماعيل بن محمد من قصر صنعاء على هذا الوزن يعاتبه بها أيضاً وأجابه، ولم أقف عليها. ومن شعره ما كتبه إلى القسم بن حسين بن إسحاق رحمه الله:

يا مبدياً من النوى غرائباً ومائلاً عن اللقا جانبا
رفقاً بِصَبٍ قد غدا لهجركُمْ من وجده يسامرُ الكواكبا
والطرف منه لا يزال دائماً لدمعه على الخدود ساكبا
وجسمه مما به من الضنا له النحول قد غدا مصاحبا
وصبره قد خانه لَمّا رأى جفاكم لشيِّقٍ محاربَا
فهل عسى ذاك الوفا عائداً عليل هجرٍ منكم وآيبا
وهل زمان بالحمى قد انقضى[1] يأتي إلى الصب العميد واثبا
وهل لبعدٍ قد أتى عميدكم مِن باعث أم خلتموه كاذبا
أم هل ترون وصله محرماً وقطعه عن اللقاء واجبَا
فصبكم قد خال باب وصلكم منغلقاً ودونه الحواجبا
لكنه قد ارتجىٰ لفتحِه حامي الذمار يعطي الرَّغائبَا
ابن الحسين المنتقى أخا العلىٰ لا زال للمجد الأثيل صاحبا

ولم أقف على غير هذا له من الشعر إلا على مقطَعين له في غاية الجودة والسّلاسَة أحدهما في العذار قال:

---

(١) أنقضى: (انقضا).

جعل العذار على صحيفة خده سُوْراً لماء الحسن كَيلا يطفحا
وأرىٰ سلاسله شباكاً مَدَّها ليصيد قلباً في هواه ماصحىٰ

والآخر في المقابلة بين ثلاثة وثلاثة مع التوجيه واللف والنشر المرتب قال:

أفدي الذي حاز الجمال كله ولم يدع للغير من بقيّة
ضوء النهار والزهور والشفا في خده وثغره والشفة

وهو في مقطعاته أحسن منه في مطولاته، قال حفيده الأديب محسن بن عبد الكريم بن أحمد: جدي أحمد إن أطال قصَّر، وإن قصّر أطال.

[حسن بن علي الأبيض]

وفيها: يوم السبت سادس رجب توفي الحسن بن علي بن الحسين بن علي بن المتوكل على الله إسماعيل الملقب الأبيض[1]. كان نجيباً كريماً وَلّي للإمام المهدي أعمالا، تولى قُطر قعطبة ورداع وعتمه، وولي بلاد سنحان مرات، وكان قد أزمع على الفرار أول دولة الإمام المنصور في جملة من فرّ من آل إسحاق، وكان قد أسّر إليهم بذلك أحمد بن محمد بن إسحاق فعاقه عائق المرض وأمَّره الإمام المهدي في خروجه لمناجزة خولان على قبيلة ذي محمد[2]. قال المؤلف غفر الله له: وكان له ولآبائه بلاد اليمانيتين من خولان[3] قطعة أقطعوها، فدخل عليه ـ شيخ والدي ـ أحمد بن حسن بركات فرأى ببابه جماعة من اليمانيتين وقد تمالؤا على رفع أصواتهم بالشكْوَى، ففزع المترجَم لَهُ من أصوات أولئك وقال: انظروا ما هذا العقيق[4]؟ فقال أحمد بركات: هو عقيق يماني. فقال المترجم له: العقيق مخلوق لآل محمد، يشير إلى ما يحفظه الناس في العقيق وهو:

من كان يعتقد الولاء لحيدرٍ ويحب آل محمد تحقيقَا
فليلبس الحجر العقيق فإنه حجرٌ لآل محمد مخلوقا

قلت: وما رأيت في القول بالموجب أحلىٰ من قول أحمد بركات، ولم أقف من أخبار المترجم له على شيء غير هذا.

---

(١) نَشر العَرف (١/ ٤٩٣).
(٢) **ذو محمد**: الفرع الثاني من قبائلِ ذو غيلان بن محمد بن شعبان بن نسر بن عمرو بن دُهمة بن دهم بن شاكر من بكيل. والفرع الآخر هم ذو حُسين.
(٣) **اليمانيتين**: منطقة من بلاد خولان العالية في شرقي صنعاء، هي اليمانية العليا واليمانية السفلى.
(٤) **العَقِيق**: الصوت بضوضاء أو الصِيَاح.

[إبراهيم بن المتوكل]

وفيها: يوم الخميس سابع وعشرون شهر رجب توفي إبراهيم بن المتوكل علىٰ الله القاسم بن حسين[1] تخرج بالسيد عبد الله العادل الشاعر المشهور[2] ورغب في مجالسته على انقباضه، وكان قد لازم المهدي العباس قبل أن تفضي إليه الخلافة فأنِس به وأدناه منه ورغب في صحبته، ولما أفضت الخلافة إلى المهدي العباس زاد انقباضه وانغلق عن الناس، فقام المهدي برعاية حقوقه. وما زال مُنْعماً عليه. ولامه بعض الناس على شدة الانقباض فقال: سمعنا أن مروان بن محمد الحمار ـ آخر بني أمية ـ جِيءَ إليه بعهد الخلافة وهو في أهل أُنْسِهِ، فسجدوا جميعهم لله شكراً ـ إلا واحد منهم فإنه لم يسجد فكلمه في ذلك فقال: أأسجد لله على أن طِرْت عنّا، فقال له: على أنك تطير معي أبداً فسجد شكراً. قلت: وكذلك خليفة الوقت المنصور ما زال ملاحظاً جنابة.

[القاضي إسماعيل السالمي]

وفيها: شهر شعبان، توفي القاضي إسماعيل بن محمد السلمي[3] أحد حكام الإمام المهدي والمنصور، وهو الذي أشار إليه قاسم بن محمد الأمير الحاكم[4] في أبياته كما ذكرنا ذلك في ترجمته عام أربع وتسعين.

[محسن بن أحمد بن عبد القادر]

وفيها: يوم الخميس أحد وعشرون شعبان، توفي محسن بن أحمد بن عبد القادر بن الناصر الهاشمي الكوكباني[5]. الشاعر المجيد، كان من عجائب الزمان كثير المزاح والمفاكهة. له حسن صناعة في الوصف مع كمال الرصف. ولما رأى الناس غافلين عن علم السيمياء والكيمياء، بدا له دعوى معرفتهما فسلك في التغمير طريقاً. وكان له معرفة بشيء من علم الفلك فربما عمل العمل ونسبه إلى علم الحرف المعروف بالسيمياء، وله ما جريه نذكرها. قد كان سلك طريق الحجاز للحج فجاءهم مطر شديد فتقشعت بعده السحاب وتكشفت الشمس وفقدت بذلك المحل النار، ورأى أهل تلك البادية يتطلبون ناراً فسألهم هشيماً فجاءوا به فقال: أرأيتم إن أوجدت لكم ناراً ماذا

---

(١) انظر بقية تدريج النسب في: نَشْر العَرف (١/ ٦٣).

(٢) **عبد الله العادل**: هو العلامة الأديب عبد الله بن صلاح العادل الصنعاني المتوفى سنة (١١٦٥هـ)، له ديوان شعر جمعه الفقيه الوزير أحمد بن علي النِهمي.

(٣) نَشر العَرف (١/ ٤٠٣).

(٤) هو السيد الأديب القاسم بن يحيى الشهاري المعروف بالأمير، قاضي الإمام المهدي وولده المنصور.

(٥) نَشر العَرف (٢/ ٣٤٧)، أعلام المؤلفين الزيدية (٨١٠)، مصادر الحبشي ٢٨٠.

يكون منكم؟ قالوا: نجعل لك جُعلاً قال: سأدعو الله على هشيمكم أن يحرقه، فالتفوا عليه فأمرهم بالتفرق والبعد عنه. وأخرج زجاجته[1] التي يقرأ بها الخط فقابل بها الشمس فلم يشعروا ـ وقد بعدوا عنه ـ إلا وقد طلع الدخان، فوقعوا عليه بغباوتهم وغمارتهم وتمسحوا به يطلبون دعوته لعاقرهم أن تلد ولغائبهم أن يعود فقال: لا أفعل إلا أن تصلوني للآية الأولى فوصلوه بطعام وسمن وجميع ما يحتاجه المسافر فدعا لهم بمطلوبهم وراح مزوداً لا يلوي على أحدٍ.

وبمثل هذا رماه أهل مصره من قرابته بانتحال جيد شعره، وكان قد قصد اليمن الأسفل ودخل إلى تعز مستقر مملكة الغسانية فقالوا إن ما قاله كان من كتاب أدب أخذه من خزائن الغسّانية لم يظفر به أحد سواه، فَنَسب ما نبقه منه إلى نفسه وهو من ذلك المدعىٰ. وقد نقل هذه الدعوى القاضي أحمد رحمه الله وردّها بشاهد لا يدفع، وسننقل كلام القاضي قريباً إن شاء الله. فمن مجيد شعره ما هنّأ به محمد بن الحسين بن الناصر بقدوم ولده عبد القادر مِن قتلةٍ كانت بينهم وبين أرحب وعيال سِرَيح عام تسع وخمسين ومائة وألف، وضمنها قصيدة ابن هاني الأندلسي فقال:

لمـــا تقـــدم للقتـــال الحيـــدري ... فَتقـت لكـم ريـح الجـلاد بعنبـرِ
وبلغتـمُ فـي كـل مجـدٍ غـايـة ... وأمـدّكـم فلـق الصبـاح المسفـر
وأضفتـم وحـش الفـلاة عُـداكـمُ ... بـالنصر مـن وِرق الحـديـد الأخضـرِ

ومن محاسنه قوله وأفاد وأجاد:

سُـف كـأس المـدام يـا ذا الـذكـاءِ ... قهـوة حـرمـت علـى الثقـلآءِ
بنـت كـرم تـأوي إلـى مجلس الانـس ... وتغشـى منـازل الكُـرمـاءِ
زوجـوهـا بـالمـاءِ مِـن عهـد عـادٍ ... عتقهـا الآبـاء لـلأبنـاءِ
ليس تبغـي مهـراً سِوَى، العقـل ممـن ... يـرتـوي مـن عقيقـة حمـراءِ
إن كـاسـاتهـا نجـومٌ تـرامَـا ... مـن أكُـف البـدور فـي الظلمـاءِ
فهـي شهـبٌ تـرمـي شيـاطيـن هـمٍ ... حلّقـت فـي فـؤاد كـل فتـاءِ
فـاسقنيهـا فـداك روحـي ومـالـي ... قهـوة البسـت شعـاع الضحـاءِ
فسقـانـي صِـرفـاً وقـد عسعس الليـل ... وغـاب الـوشـاة مـع رقبـائـي
ثـم وَالاَ لـي الكـؤوس إلـى أن ... صـارم الفجـر شـق جيـب الـدجـاءِ

وقد مد هاهنا الفتَا والضحى والدجا بالضرورة، ولَهُ وأحسن:

---

(١) لعله يقصد بالزجاجة التي تُكبِّر الخطوط وقد أحرق بها الهشيم بتعريضها لأشعة الشمس فأحرقته لهشاشته.

إن اللّواحظ ما زالت تقاتلنا بسحر هاروت أفناناً فأفنانا
هيهات لا قِبَل للعالمين بها فسحرها روت في الأعيان أعيانا

وله في وصف الشعبة وهي مُتنزه بين شبام وكوكبان ويصف جبل كوكبان بالمطبوق.

ويقصر شعب بوان إذا ما رأى شعبي بأنهارٍ تدفّق
فنزهته ترى الدنيا جميعاً يحف بها من الغرب المطوّق

وله مما يدخل في دفتر الإحسان مقطع في شاذروان:

وشاذروان روض قد نزلنا به صوت الجريش وقد حَلاَ لي
تصعَّد كالقضيب الماس لَوناً وماس وقد تعذب بالّلآلي

وقال القاضي[1] رحمه الله في ترجمته ما لفظه: وكثير من قراباته يرميه بانتحال الشعر وإنه ظفر في تعز لمَّا بقي فيها مدة بشعر شاعر قديم فادّعاه لنفسه، وليس الأمر كذلك فإنه فعل مشجراً في قدوم النيَل للمهدي وفيه تاريخ قُدومه وأنا أورده، قال وفيه معان صوفية:

وَجْدٌ يزيد وحسن صبر ينقصُ ونوَىً بها دمع يذال ويرخُص
صِلْ من يرى العزّ المؤثّل ذلةً في الحبّ فهو على التذلل يحرصُ
لولا الهوى ما ذل شيء وهو لا يهوى الخلاص ولا أراهُ يخلصُ
إيه عَداك اللوم كرر ذكرهم ودع الجهول وذا الجهالة يغمص
لي في هواهم مذهبٌ أعلى من العليا لديه كل غالٍ أرخص
في حبة ذلٌّ أعز بِه وفي ترك الهوى عزٌّ يذل ويدعص
للّنه قلبٌ طار من ذل الهوى فغدا بإشراك المحبّة يقنصُ[2]
فإذا هويت هويت لكن صاعداً لا زلت أنت على الصبابة أحرصُ
رُمت السُّلو فلم أطقه ولم تزل عين العذول إلى سلوي تشخَصُ
خلّيت ذا الخلخال في خلخالها لعموم فضل لا أراه يخصَّصُ
عارٍ من الأطماع في من دونه فحباه إن يخطو إليه ينكُصُ
مالي أداجي ما أريد وانَّهُ لم يخف حتى للعيون يحصحص
يا عمر ما قصدي سوى المهدي مَن باتت مطايانا إليه ترقص

---

(١) القاضي أحمد قاطن.
(٢) في ب «ينقص» تصحيف.

سـرّ الإلـٰـه إذا تخلـص جـوهـرٌ كـانـت جـواهـره أعـزّ وأخلـصُ
ولقـد أقـول لمـن يـؤم مـؤمّـلاً ملـك الـزمـان ملكـت مـا لا ينقُـصُ
راع الفضـائـل بحـر جـود تحتـهُ بحـر مـن الجـرد السـلاهـب احـرص
خـاب الـذي يـرجـو سـواه وفـاز مَـنْ يـرجـوه بَعـد الله فهـو المخلـص

والتاريخ لوصوله صنعاء في المحرم هذا.

وصـل الفيـل فـأرخ عـام يسـر ورخـاءِ[1]

عام ثمان وثمانين ومائة وألف. وقد جعل التاريخ مأخوذاً من أول كل بيت حرفاً، إلا ثلاثة أبيات فإنه أخذ حرفين من أول كل منهما، وهي في حبة ذل. وقوله: سر الإلـٰه. وقوله: خاب الذي يرجو سواه. وهذا شيء لا يستطيع الحاسد أن يقول انتحله المترجم له من كتاب. انتهى.

[فائدة في التاريخ]

ونقلنا من خط شيخنا إبراهيم بن عبد القادر بن أحمد حاكياً عن عمه كلاماً فيما يؤرخ بالليالي وما يؤرخ بالأيام، قال: إعلم أن شهور العرب تؤرخ بالليالي. فيقال: لخمس ليالٍ خَلون من شعبان، وشهور الروم تؤرخ بالأيام فيقال: لخمسة أيام خلت من حزيران، وفي ذلك حكاية رواها النَقلة وهي أن المتوكل العباسي أمر إبراهيم الصولي أن يكتب ما تأخر من الخراج، فكتب: حُرِّر في خمس من حزيران ثم ألقى ذلك التحرير فأعجب به من حضر إلا أحمد بن يحيى البلاذري فقال: في هذا خطأ، فراجع الحاضرون النظر فلم يقرروا فيه الخطأ، فأقبل عليه المتوكل وقال: هات بيّن فقال إن الشهر الرومي لا يؤرخ بالليالي لأن أيام الروم قبل لياليها، كما أن الشهر العربي لا يؤرخ بالأيام لأن لياليه قبل أيامه، فقال الموصلي: صَدَق يا أمير المؤمنين.

[محمد اليزيدي المُحدث]

وفيها: شهر رمضان، توفي محمد بن محمد ناصر اليزيدي الكوكباني ثم الصنعاني[2] الأديب المفلق مولده سنة ست وعشرين ومائة وألف، اشتغل بعلم الآله بكوكبان ثم تغذّى من علم الحديث فارتوىٰ وعمل بالدليل ونفى عن نفسه التقيد بالقيل والقال وعانا الأدب فبرع فيه. وارتحل عن كوكبان إلى صنعاء فاتّجر في الكتب العلمية، ثم قلّده المهدي العباس

---

(١) تفصيلها بحساب الجُمل كالآتي:
ع أ م ي س ر و ر خ ا.
٧٥ + ١ + ٤٠ + ١٠ ٦٠ + ٢٠٠ + ٦ + ٢٠٠ + ٦٠٠ + ١ = ١١٨٨.

(٢) نشر العرف ٣/ ٢١٠، هجر العلم ٤/ ١٩٠٠.

ولاية الأوقاف الخارجية فارتفعت الفضله ونمت، فحسده بعض أهل زمنه، فما زال بالإمام حتى عزله عنها. قال القاضي في الدمية: وُلّي الأوقاف فقام بها أتم قيام، ولمّ شَعْثَ ما تفرق منها منذ أعوام مع ورع شديد وسعي في الصلاح رشيد، وذكَر أنها وقعت عليه شحناء من بعض من لا معرفة له بالحقائق وأنه قد كان أراد الاعتذار فحذره القاضي مِن ذلك إلا أن يعذره الإمام وأنه من بعدُ عُذرَ على وجه جميل. قلت: بل عُزل عن تلك الولاية وشدد عليه في الحساب. وأرخ وفاته أخوه عبد الله بن محمد بن ناصر فقال:

عـامٌ بـه سيـف الفنـا قـائـم ... مجـرد عـن غمـده مُنتضـىٰ
فليعـزم العبـد علـى الصبـر والتسليـم ... لـلأمـر وحسـن الـرضـا
وحسـن الاستعـداد للمـوت أن ... يهجـم حتـى لا يـرى معـرضـا
وليلـزم الـذكـر بتـاريخـه ... الحمـد للـه علـى مـا قضـا[1]

ورأى أخوه كثرة الفناء بهذا العام فقال:

فـلا تسألـوا عمـن مضـى فـالـذي أرى ... سُـواء لكمـوا عمـن بقـى فهـو أجـدرُ

ويأتي لأخيه هذا ذِكْر عام خمسٌ وتسعين ومائة وألف عام وفاته. وعن المترجم له حدثنا الأخ عبد الله بن سعيد القرواني رضي الله عنه قال: وعدنا محمد بن محمد أن يأتينا وتخلف عنا فكتب إليه والدي كتاباً فيه:

أخلفتنـا الـوعـد وذا ... ك أيـةُ المنـافـق

فكان جُملة جوابه: الحمد لله أخرج أبو داود والترمذي عن زيد بن أرقم حديثاً لفظه إذا وعد الرجل أخاه ومن نيته أن يفي له فلم يَفِ ولم يجيء للميعاد فلا إثم عليه انتهى فاعذروني فإنه عاقني عن وصلكم أي عائقٍ والسلام.

ومن شعر المترجَم لَهُ هنا ما كتبه من كوكبان إلى القاضي أحمد[2] وهو بصنعاء أيام المنصور بالله الحسين بن القسم وفيه من الرِّقّة والانسجام ما ترى:

مغـرمٌ طـال عهـده بـالـرقـادِ ... بيـن أحشـائـه كـوري الـزنـادِ
نـومـه واصطبـاره فـي انتقـاصٍ ... وهـواه وشـوقـه فـي ازديـادِ
يـا رعـى الله دهـرنـا بـالمصلـى ... وسقتـه السحـاب صـوب العهـادِ
بـأبـي شـادن تغـار غصـون الـرو ... ض مـن ليـن قـدِّه المَيَّـادِ

---

(١) الحمد لله على ما قضى
٨٣ + ٦٥ + ١٠١ + ٤١ + ٩٠١ = ١١٩١

(٢) القاضي أحمد قاطن.

فهو في روضة الملاحة غصنٌ ... يتغنّى عليه طيرُ فؤادِ
أنا صادٍ لميم مبسمه العذ ... ب فمن لي منه بميم وصادِ
يا غزالاً له الفؤاد كناس ... لك لحظٌ يسطو على الآسادِ
لست أرجو المَزار منك ولكن ... أنا آتي سعياً على ميعادِ
هذه أصبحت جفونك مرضَى ... فهبِّي انني من العُوَّادِ
أنت في الحسن واحدٌ مثلما أني ... في الحب واحدٌ بانفرادِ
ولك الخُرّد الملاح جنودٌ ... والمحبون كلهم أجنادِ
قد أتانا منك الخيال ولكن ... حجبته سرادقات السهادِ
فإذا كنت باعثاً بخيال ... فأعنه بِسُلَّم من رقادِ
إن يطل ذا الصدود والهجر والبين وكُثر الجَفا وطول البعادِ
فسأشكوك يا حبيب إلى من ... هو قاضي الأحكام في كل نادِ
ماجدٌ لا شريك في العلم والفضل شريك له ولا ابن إيادِ
وفقيه أفكاره شدن للنعمان ما لم يشده شعر زيادِ
فهو قاض وعالمٌ وأديب ... وكريم يُعَدّ في الأجواد
أنبأتنا أفعاله وسجاياه بطيب الآباء والأجدادِ
قد سررنا بأن سمعنا لعليا ... ك حديثاً مصحح الإسنادِ
بك تاهب على شبام أزال ... فهنيئاً لها بلوغ المرادِ

ولما وصلت هذه الأبيات إلى القاضي تباطىء[1] عن جوابها فكتب المترجم له إليه معاتباً مورياً.

يا تاركاً لجواب الصّب حين رأى ... بمقلة النقد شعري غير مطبوع
هلاّ جعلت فدتك النفس محتسباً ... حبلي بحبلك موصولاً بمقطوع

[عبد الرحمٰن بن أحمد صاحب كوكبان]

وفيها: يوم الأربعاء، سادس وعشرين رمضان، توفي عبد الرحمٰن بن أحمد بن محمد بن حسين صاحب كوكبان[2]. مولده في شهر رجب عام سبع وأربعين ومائة وألف، أقْدمه والده علىٰ المهدي العباس عام أربع وسبعين بعد أن قتل أحمد الأحمر[3] وخرج قاسم الأحمر الحاشدي ليأخذ بثأر أخيه فوصل بجنود واسعة حتى بلغ القُمَّامة

---

(١) تباطىء: (تبطًا).
(٢) نَشر العَرف (٢/ ٤٢)، هجر العلم (٤/ ٨٨٦).
(٣) **أحمد الأحمر**: من آل الأحمر زعماء قبيلة حَاشِد.

(بضم القاف بعدها ميم مشددة فألف فميم فتاء تأنيث)[1] فدخلها فخالج الإمام من أحمد بن محمد أوهام ونقل إليه موالاته لقاسم الأحمر فبعث ولده هذا إلى حضرته بصنعاء وأرسل أخاه عبد الرب على القُمّامة وسيّر معه فَتاهُ (يُمن أحمد). وجهّز الإمام المهدي على قاسم الأحمر الأمير سليم المتوكل والنقيب فرحان الماس فانتصفوا من قاسم بن أحمد الأحمر. ولما وصل المترجَم له حضرة المهدي العباس أكرم نزله وأعطاه عطاء واسعاً ووهب له فرساً ولوالده فرساً.

وكان في إمارة عمه عبد القادر بن محمد مقدّماً في الحروب، فخرج في جمع تَجمّعت به حاشد لاسترجاع أقطاعهم التي بسط عليها عبد القادر بن محمد بسبب إخافتهم السبيل واستباحتهم الأموال، فأوقع بهم عبد القادر أولاً فانهزموا فتلقاهم المترجَم لَهُ وجنح معهم إلى الصلح وذلك عام ثمان وثمانين. ووجّهه عبد القادر في واقعة أخرى من بني حَبِش[2] في هذا العام في شهر محرم وهي الواقعة التي امتدحه بها أديب الوقت أحمد بن أحسن الزهيري[3] بقصيدة منها:

رَمَى بنواصيَّ الأرحبيّةِ أدهَما ... وقد جَبَّ أجبالاً وفَضَّ فضاءَ
فهبت عليهم زعزعاً ريحُ عزمِهِ ... ولو أَمَنُوا هبّت صباً ورخاءَ

وكان المترجم له - رحمه الله - يحب مقامات الفرح والسرور، واشتغل آخر أيامه بمذمرة - بميم فذال معجمة ساكنة فميم مفتوحة فراء مهملة فياء تأنيث - متنزّه خارج كوكبان، وبها عانىٰ[4] الأدب، فمنه وقد سالت السيول بها:

نظرت إلى الرياض عقيب مُزْنٍ ... وخَدَّ الأرض يجرح بالسَّحابِ
فشابه خدّها خدّي جريحاً ... بدمع ساقه رعد انتحابي

ومن شعره وهو بمذمَرَة أيضاً

أما والتفات الروض عن خدّه القاني ... من الورد يزهو فيه عارض ريحاني
وأجياد أغصانٍ تحلت بنورها ... فمن لؤلؤ رطب وتبر ومرجان
كسته يد الأرجا مطارف سندس ... عليها من الأنوار[5] أحسن ألوان

---

(١) القُمّامة: قرية في جبل المصانع، غربي مدينة ثُلا ومن أعمالها.
(٢) بني حَبِش: بفتح الحاء وخفض الباء. جبل غربي الطويلة من بلاد المحويت.
(٣) أحمد الزهيري: أديبٌ شاعر، وخطيب مصقع. ستأتي له ترجمة في سياق هذا الكتاب، وذلك في عام وفاته سنة (١٢١٤هـ).
(٤) عانىٰ (عانا).
(٥) في ب: عليها من الألوان.

لقد أسكرتني خمرة من نظام من حوى المجد والعلياء فليس له ثان
عليٌّ عَلِيُّ الاسم والفعل والنّدا بنىٰ مجده فوق السماك وكيوان

وشعره جيد ومن نصائحه وحكمه هذه الأبيات:

احذر مقالة كاذب في وده تصفو مودّته إذا لم يغضبِ
وتراه إن أثريت صار ملازماً وإذا تَرِبْتَ رايته كالأجنبي
واصبر على رَيب الزمان فأنَّهُ بالصبر يحصل ما تشا من مطلبِ

[القاضي أحمد بن صالح أبو الرجال]

وفيها: يوم الخميس خامس شوال، توفي القاضي أحمد بن صالح بن محمد بن أحمد بن صالح المؤرخ بن محمد بن علي بن محمد بن سليمان بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن أحمد بن سليمان بن أحمد بن محمد بن أحمد بن أبي الرجال[1]. العالم النحرير الشهير اللغوي الأصولي الأديب الاخباري المتفنن، مولده عام أحد وأربعين ومائة وألف، تخرج بأحمد بن حسين الهبل وأخذ عنه في العربية بجميع أنواعها وفي المنطق، وعن إسماعيل بن محمد بن إسحاق وعن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن إبراهيم، وعن محسن بن إسماعيل الشامي وعن يوسف العجميُّ في المنطق. وعنه أخوه محمد بن صالح والأستاذ علي بن إبراهيم بن عامر والحسن بن إسماعيل المغربي والقسم بن يحيى الخولاني وخلق من الأعلام كثيرون. أدناه الإمام المهدي العباس منه وألزمه تهذيب ولديه أحمد وقاسم فتخرجا به، وارتفعت درجتهما وكان المهدي العباس لا يسمع فيه مقالة لائم، قيل لأحمد بن صلاح الخطيب: لو دخلت على الإمام فأخذ عنك في المعارف، فقال: لا أدخل على رجل يعرض ما فهمتُه على فهم أحمد بن صالح وكانت بينه وبين أحمد بن صالح مناقضات في صوم يوم الشك أشرنا إليها في ترجمة أحمد بن صلاح الخطيب[2]. وقد حضر المترجم له درس البدر المنير محمد بن إسماعيل الأمير وأخذ عنه والتزم رحمه الله في القراءة طريقاً فكان يبدأ مع المبتدئين بقراءة النحو فيحققون مَعَهُ متوسط المؤلفات منها، ويطالعون معه الكتب المطولة

---

(١) نشر العرف (١/ ١٣٧)، البدر الطالع (١/ ٥٩)، خلاصة الأثر (١/ ٢٢٠)، أعلام المؤلفين الزيدية (١١٧)، معجم المؤلفين (١/ ٢٥٢)، الأعلام (١/ ١٣٧)، طبقات الزيدية الكبرى، هجر العلم (١/ ٥٦٠) (قال الأكوع: وذكر صاحب بغية المريد أن وفاته كانت في البستان في ضوران سنة (١١٠٠هـ)، وتابعه على ذلك صاحب الجامع الوجيز، وليس بشيء لاعتمادنا علىٰ ترجمة مستفيضة له كتبها أخوه محمد بن صالح بن أبي الرجال). وهو ما يؤكد أن وفاته ـ كما أشار المؤلف ـ في سنة (١١٩١هـ).
(٢) وذلك في عام وفاته سنة (١١٩٦هـ).

كالألفية وما عليها من الشروح و «شرح الكافية» لنجم الدين الرضى، ثم ينتقلون إلى قراءة «شرح التلخيص في المعاني والبيان» ومنهم من يعارض القراءة بقراءة المطوَّل، ومنهم من يؤخره ثم ينتقلون إلى شرح الغاية لابن الإمام في الأصول ثم ينتقلون عنها إلى الكشاف وهذه عندهم النهاية في التحقيق وهي طريقة أحمد بن حسين الهبل ثم ينتقلون إلى «صحيح مسلم» وشروحه، لا يتجاوزونه إلى غيره وإنما يطالعون سائر الكتب الحديثية مطالعةً.

وبيت أبـي الرجال المشهور بين أهل الأنساب انهم من ولد عمر بن الخطاب وقد ذكر هذا القاضي أحمد بن صالح بن أبـي الرجال أحد جدود المترجم له في ترجمة جده علي بن حسن بن سرح بن يحيى بن عبد الله بن يحيـى بن عبد الرحمـٰن بن عبد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب. قال: وعلي بن حسن يجمع نسب القضاة آل أبـي الرجال الذين في الرياضَه في الحجاز والذين في تَبشِر والذين بظاهر بلاد الأشراف. قال عبد الله بن العباس الشرجي: ذكر في كتاب «لطائف المنن في ذكر من دخل من قريش الشام أو اليمن». وكذا في كتاب «العقد الفريد في أنساب بني خالد بن أَسِيْد» أن الحسن المذكور جدّ القضاة آل أبـي الرجال دخل العراق في دولة بني العباس فسكن الحيرة وكان من أهل الفضل والعلم والشجاعة والكرم والصدقات فمال إليه الناس بالإحسان؛ وكانت امرأته من الصالحات الكاملات ولم يرزق منها ولد إلا بعد مدة طائلة، فلما بلغ الولد سنتين جمع أهل بلاده ـ وكان يملك من الخيل قدر مائةً وكان صاحب آلاف ـ فأراد ختان ولده هذا في يوم عيد عرفة فجلس في يوم الوقوف في بعض أماكن البيت والولد نائم عنده، فقام يصلي فدخل ثعبان من طاقة المكان فلدغ الولد وأدبر الثعبان، فافتقد[1] ولده فألفاه ميتاً فصلّى ركعتين وحمد الله وأثنى عليه ولم يُظهر لأحدٍ، ثم راح إلى زوجته وقال لها: أما تعلمين أن جميع ما نملك من الخيل والرزق والبلاد من الله ونحن وصلنا فقراء فقالت: نعم. قال: فإذا أخذ منّا ما أعطانا وتركنا فقراء كما كنا ماذا يكون؟ قالت: نحمده ونشكره. قال: والولد الذي أعطاه كذلك؟ قالت: نعم. قال: قد استرجع الولد علينا فلا تُغَيّري سُرور الناس بالعيد واظهري الفرح والسرور وقولي وقتٌ آخر تحبينه أي لموته. فقامت فصلت ركعتين وحمدت الله سبحانه وأثنت عليه وأظهرت السرور، وقُبر الولد خُفيَةَ في الليل ولم يطّلع عليه أحدٌ، ثم أنه باشر زوجته ليلة ثالث العيد فحملت فولدت له أربعين ولداً ذكوراً في قُرعةٍ واحدة ففرقهم في بلاده فأرضعوهم، فعاشوا جميعاً وما مات واحد منهم حتى ركبوا الخيل وأولدوا، وما مات الحسن أبوهم إلا وقد ولد لكل واحدٍ من عياله خمسة أولاد فَسُمِّـي بأبـي الرجال لهذا.

---

(١) فافتقَد: أي عاين أو فَتّش.

[عجيبـة غريبـة]

قال المؤلف غفر الله له: قال القاضي ونظير هذا ما ذكره الذهبـي في النبلا في ترجمة أبـي عبد الله البجلي قال: قال البجلي كان ببغداد قائد من قوّاد المتوكل وكانت امرأته تلد البنات فحملت مرةً فحلف القائد إن وَلِدت هذه المرة بنتاً قَتلْتكِ السيف، فلما جلست للولادة هي والقابلة ألقت من مثل الجراب وهو يضطرب فشقوه فخرج منه أربعون ابناً وعاشوا كلهم ببغداد ركباناً فرساناً خلف أبيهم وكان اشترى لكل منهم ظئيراً. ونحوه ماحكاه أحمد بن ركانة. قال: أخبرني الكرماني أن امرأة عندهم بكرمان ولدت كيساً فيه خمسة وأربعون ولداً عاش أكثرهم ورأيت بعض نسلهم ويعرفون ببني الهِرْشِ.

ونحو هذا ذكره البريهي في بعض علماء الحجرية وبلاد المعافر. قلت: وقد يسمّى بأبـي الرجال جماعة ذكرهم النساب. منهم بعض بني الحسين السبط كمحيـي الدين الجيلاني عند من أثبت نسبه وهو الأظهر، ومنهم. من ولد عمر بن علي بن أبـي طالب رضي الله عنه ذكره نقيب النقباء المرتضى الحسيني في شجرته ومنهم محمد بن عبد الرحمٰن الأنصاري أحد رجال الصحيح، ومنهم بطن بالأحساء أحسبهم من طي والله أعلم، ومنهم المنتسبون إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه. ولعمر بن الخطاب عقب كثير قال في «قلائد الجمان»: العمريون موجودون إلى الآن بكثرة بمصر والشام وغيرهما وقد ذكر في «مسالك الأبصار»[1] وفَدَ منهم طائفة على القائد الفاطمي بالديار المصرية في وزارة الصالح طَلاَئِع بن رُزِّيك[2] في طائفةٍ من قومهم بني عدي ومقدمهم شمس الدولة حلف بن نصر، وذكر في «مسالك الأبصار» أن آل عمر بن الخطاب جماعة واسعة بدمياط والبُرلُس وأحال في بسط ذلك على كتابه المسمى بـ «فواصل السمر في فضائل آل عمر» وذكر أن بوادي بني يزيد من بلاد الشام فرقة منهم. وكذلك بالقدس وعملون والبلقا انتهى.

قال في القلائد ومن المنسوبين إلى عمر بنو فضل الله كُتَّاب السِّر الشريف بمصر والشام، وذكر القر السَهَامِي أنهم من ولد حلف بن نصر المقدم ذِكره ومِنْ العُمريـين القاضي شمس الدين العمري والقاضي نصر الدين البُرْلُسي الكاتبان ومنهم الحفصيون ملوك أفريقية وهم أولاد أبـي حفص أحد العشرة أصحاب ابن تَوْمَرْت لكن في نسبتهم شيء، قيل هم من قبيلة عمر لا عَقبِه، وقيل من البربر. انتهى.

ومنهم بصنعاء العدد الكثير منهم أبو زيد بن محمد بن أبـي الخطاب العدوي والله

---

(١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تأليف: ابن فضل الله العمري.

(٢) انظر: الأعلام (٣/ ٢٢٨).

أعلم. كذا ذكره في مطالع البدور، وللمُتَرجَم له ـ رحمه الله ـ أدب غض قد تداوله الناس، فمنه ما كتبه إلى يحيى بن الحسن بن إسحاق بن المهدي:

سَفَــرت عـــن الــدُّر الــذي ... تُصْغِــي القلــوب إليــه سَمْعَــا
ولهـــا معـــانٍ ذات حســـ ... ـــن تسلــب الألبــاب طَبْعَــا
جـــاءت بـــأنـــواع البـــديـ ... ـــع وأحسنـــت فيهـــن صُنْعَــا
لـــو أنَّ فـــرســـان البيـــان ... دَرَوْا بمـــا جـــادتـــه وَضْعَــا
لاستنبطـــوا منهـــا معـــانٍ ... تتـــرك البُلغـــاء صَـــرعـــىٰ
لكـــن نِطـــاق علـــومهـــم ... عـــن حصـــرهـــا قـــد ضـــاق ذرعـــا
مـــا مثلهـــا وأبيـــك قـــد ... قَــرَع المســـامـــع قـــط قـــرعـــا
فَـــانْعِـــمْ بمـــا أولاكَ مَـــنْ ... جَمَــع الفضـــائـــل فيـــك جمعـــا
يـــا مَـــن تســـارعـــت المعـــارف ... نحـــوه وتـــراً وشَفْعـــا
يَجْـــدُوا بهـــا شـــوقـــاً إلَيْـــهِ ... فتَقْطَـــعُ الفَلَـــوَات قَطْعـــا

ومنه جوابه علىٰ علي بن أحمد بن محمد بن إسحاق بن المهدي المنثور منه والمنظوم، والمنظوم يدل على أنه كان من أرباب الفصاحة والرجاحة قال:

وفـي كـل قلـب إن نظتـه لهـا غِمْـدُ ... لصـارمهـا المـاضـي مـن الحسـن افـرنـد
غـدائـرهُ الـلاتـي بهـا الليـل يَسْـوَدُّ ... حمـائلـه مـن فـاحـمٍ قـد تظفَّـرت
لـذلـك لا يُسطَـاعُ للنَّظَـر الـرَّدُ ... يُشَـامُ التمـاع البـرق إنْ لَحُظَـت بِـهِ

من قصيدة طويلة بديعة المنوال[1] قد أكثر الناس من نقلها في الأسفار والسفائن.

قلت: وتولى كتابة الأوقاف الصنعانية وَوَزر للقاسم بن الإمام المهدي على بلاد الحَيْمة ووصاب وحفاش ثم نزعت عنه حُفاش وشكىٰ بعض أهل الحَيْمه من آل أبي الرجال الخرَّاصين فسجنهم الإمام من غير شعوره فوَجَدَ من ذلك وتصدَّر للقراءة[2] وتخرّج به عالَم كثير.

وحدّثنا أخوه البدر محمد بن صالح بمنزلنا قال: ما رأيت كيوم اجتمع فيه كثير من الأعلام بموقف القاضي شمسُ الدين فسمع مَنْ يقول بِحضرته: بمثلِ هؤلاء تَتَزَيَّن المحافل. فقال القاضي: لا تقل هذا فلو أوردنا عليهم الآن مسألة لما تفَصَّوا عنها[3]،

---

(١) تجد النص الكامل للقصيدة في: نشر العرف (١/ ١٤٠).
(٢) للقراءة: أي للتدريس.
(٣) تفصّوا عنها: تَفحصوها.

فقال المتكلم: أرني ذلك، فقال لأولئك: كيف تجمعون أسماء الأيام وأسماء الشهور؟ فتراجعوا طويلاً فأصابوا في البعض وأخطأوا في الأكثر فقال: اسمعوا وأمليٰ عليهم الجواب بالصواب، ثم أخذوا محابرهم فقال: أما يوم الأحد فيقال: أحدٌ وأحَدانِ مُثَنًّى وآحادٍ في القليل وفي الكثير: أحداثٌ وأُحُودٌ كما في أسَد وأسود، ويوم الإثنين جَمْعهُ أَثْنَا وقيل: الاثَانِيْنَ وهو خطأ، ويوم الثلاثاء للمثنى الثَّلاثَاوَانِ وللجمع الثلاثاوات، ويوم الأربعاء الأرْبَعَاوان والأربعاوات، والخميس والخميسان والأخمِسة في القليل وفي الكثير خُمُسٌ وخميسات وأَخْمِسَة، وفي الجمعة جُمْعتان وجُمَعٌ وجُمعاتٌ بضم الميم وإن شئت فتحت للتخفيف وإن شئت سَكَّنت، وسبت وسَبْتان وأسبُت في القليل والكثير سبوتٌ وسَبْتَانٌ، وتقول في الشهور محرم ومحرمان ومحرمات وإن شئت محارم وصفر وصفران وأصفار وصفرات، وربيع وربيعان وأَرْبِعَه في القليل والكثير رُبُعٌ ورَبيعات، قال: فأما ربيع الكَلاَ فيجمع على أَرْبَعة وربيع الجدْوَل على أربَعاً، وقال بعضهم: لا يجمع بل يقال شهور ربيع وليس بشيء وجمادى وجُمادَيَان وجمادَيَاتٍ بفتح الدال ورَجب ورَجَبان وأَرْجِبَان وأَرْجِبَات وَرَجَبَات ويقال: أرجاب، وشعبان وشعبانان وشعبانات وشعابين، ورمضان ورمضانان ورمضانات ورِمَاض. وقال بعضهم: بل يقال شهور رمضان وليس بشيء، وشوال وشوالان وشوالات وشواويل وذُوْ القعدة وذُوْ الحجة وذَوَات القعدة وذَوَات الحجة، قال: فكيف تجمعون السماء؟ قالوا سَماوات، قال هذا جمع السماء المعروفة فإذا كان المطر؟ قالوا: لا ندري قال: جمعها سِمى. انتهى.

[حسـن المؤيـدي]

وفيها: توفى حسن بن علي المؤيدي، يوم السبت خامس عشر شوال.

[الشيخ ناصر المحبشي]

وفيها: يوم الجمعة أحد وعشرين شوال، توفى الشيخ ناصر بن حسين المحبشي[١] حاكم الخليفة المهدي أولاه بعد أن مضىٰ[٢] عليه نحو ستين عاماً من عمره فكان أوحد أهل الزمان ديناً وورعاً وزهداً وتعففاً وقنوعاً، ولما أولاه الإمام المهدي القضاء بلغ البدر المنير محمد بن إسماعيل الأمير فحزن لذلك[٣] وكتب إليه نصيحة قد تناقلها الناس

---

(١) نشر العرف (٣/ ٢٥٣)، هجر العلم (٢/ ١٠٩٣).

(٢) مضى: (مضا).

(٣) منبع حزنه ما كان عليه حال القُضاة في عصره، من سلوك الفساد، وفي ذلك يقول بعض الشعراء واصفاً قضاء عصره:

قُضـاة زمـانـنـا أضحـوا لصـوصـاً ... عمـومـاً فـي البـريـة لا خصـوصـا =

في دواوينهم وهي:

ذبحتَ نفسك لكن لا بِسِكّين ... كما رويناه عن طه وياس[1]
ذبحت نفسك والستون قد وفدت[2] ... عليك ماذا ترجي بعد ستين
ذبحت نفسك يا لهفي عليك وقد ... كنا نعدك للتقوى وللدين
أي الثلاثة[3] تغدو في غداة غدٍ ... إذ يجمع الله أهل الدون والدين
فواحدٌ في جنان الخلد مسكنه ... واثنان في النار دار الخزى والهون[4]
يأتي القيامة قد غُلّت[5] يداه فكن ... يوم التغابن فيها غير مغبون
فإن يكن عادلاً فُكّت وإن يكن الأخرى ففي النار من أقران قارون
فإن تقل اكرهونا كان ذا كذباً ... فنحن نعرف أحوال السلاطين
وان تقل حاجة مست فربتما ... فأين صبرك من حين إلى حين
والله وصَّى بهِ في الذكر في سُوَرٍ ... كم في الحواميم منه والطواسين
قد شد خير الورى في بطنه حجراً ... ولو أراد أتاه كل مخزون
ما مات والله جوعاً عالم أبداً ... سل التواريخ عنه في الدواوين
ليس القضا مكسباً للرزق نعرفه ... كما عرفناه في أهل الدكاكين
إلا لمن للرُّشا كفاه قد بُسطت ... بَسط اللصوص شباكاً للثعابين
سل الهُدى والغنى مِمْن مَن خزائنه ... سبحانه بين حرف الكاف والنون
وحيث قد صرت مذبوحاً فخُذ نُبُذاً[6] ... للنصح ما بين تخشين وتليين

= يرون الغُنم أموال اليتامى ... كأنهم تلوا فيها نصوصا
وخفنا منهم لو صافحونا ... لَسلّوا من خواتمنا الفصُوصَا

(١) قال الناظم رضي الله عنه: حديث من جُعِل قاضياً فقد ذبح نفسه بغير سكين أخرجه الخمسة إلاّ النسائي من حديث أبي هريرة مرفوعاً.

(٢) ب: ورَدَت.

(٣) حديث القُضاة ثلاثة: اثنان في النار، وقاضٍ في الجنة، رجل عَلِم الحق فقضىٰ به فهو في الجنة. ورجل قضى للناس علىٰ جهل فهو في النار. ورجل عَرف الحق فجار في الحكم فهو في النار. أخرجه أهل السنن الأربعة والحّاكم مرفوعاً من حديث بريدة.

(٤) منزله.

(٥) حديث: «ما من أمير عَشَرةٍ إلاّ يؤتىٰ به يومَ القيامةِ مَغْلُولاً، لا يَفُكُّه إلاّ العدلُ، أو يُوبقُه الجَوْرُ». أخرجه أحمد بن حنبل وغيره. وحديث: «مَا مِن حاكم يحكم بين الناس إلاّ يُحشر يوم القيامة ومَلكٍ آخذٌ بقفاه حتى يوقفه علىٰ جهنم ثم يرفع رأسه إلى الله تعالى. فإن قال الله تعالى ألقه ألقاه في مهوى أربعين خريفاً» أخرجه أحمد والبيهقي من حديث ابن مسعود مرفوعاً.

(٦) ب: فَخُذ جُمْلاً.

إيَّاك إيَّاك كُتَّاباً وحجَّاباً مع خَدَمٍ … فهمهم أكل أموال المساكين
وجانب الرشوة الملعون قابضها … نصًّا فسحقاً لاخوان الملاعين
وفي الرُّشا خفيات ويعرفها … من كان ذا همةٍ في الحفظ للدين
واحذر قريناً تَقُل بئس القرين غداً … كم حاكم بقرين السوء مقرون
ولا تقل ذا أمين الشرع أرسله … فكم رأينا أميناً غير مأمون
واحذر وكيلاً يريك الحق باطله … يزفه بين تنميقٍ وتحسين
ولا تُنفذ أحكاماً ومستنداً … أحكام رجمٍ بتبخيت وتخمين
لا تجعلن بيوت الله محكمة … ولا تحلّق من خلف الأساطين
لتنظرن بين أقوام صراخهمُ … صراخ ثكلىٰ ولكن غير محزون
لا يستطيع المصلي من صراخهموا … يأتي بفرضٍ ولا يأتي بمسنون
وثمة أشياء ما بينتها لك في … نظمي وتعرفها من غير تبيين
إن عشت سوف ترى منها عجائبها … إن كان قلبك حياً غير مفتون
ومن يمت قلبه لا يهتدي أبداً … لو جئته بصحيحات البراهين
هذي النصائح إن كان القبول لها … مهراً ظفرت غداً بالخرَّد العِين
ما لم ظفرت أنا بالفوز منفرداً … بأجر نصحي يقيناً غير مظنون
ثم الصلاة على خير الورى أبداً … وآله السادة الغرّ الميامين

ولما وصلت إليه هذه الأبيات بكى وقال: أمرٌ كُتب عليٰ ناصر، وقال: قد عاهدت الله أن لا أحيف ولا أميل. قال المؤلف غفر الله له: وكانت هذه النسخة نصب عينيه عمل بها حتى توفاه الله، وهو الذي أرسل إليه المهدي العباس يطلب جنبيته المتسلح بها وكانت لا تساوي قرشاً فأغاظ بها حكامه في ديوانه كما ذكرنا ذلك مفصلاً في ترجمة الحسن بن محمد الأخفش من هذا العام، وهو الذي أرسله الإمام في شأن الدعوى على القاضي أحمد بن محمد قاطن في بيته بمدينة ثلا فهدمه كما فصَّلنا ذلك في ترجمة القاضي رحمه الله.

[عبد الله بن أحمد بن إسحاق]

وفيها: يوم الجمعة أحد وعشرون شوال، توفى عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن إبراهيم بن المهدي أحمد بن الحسن بن القاسم[1]، الحافظ، الحُجة، المحدث، الإخباري، الحديثي، الأصولي، الفقيه، الهاشمي، الشاعر، المجيد، أُمَّه هاشمية وهي زينب بنت محمد بن حسين بن حسن بن القاسم، كانت مباينة له في المذهب مائلة إلى

---

(١) نشر العَرف (٢/٧٩)، البدر الطالع ١/٣٧٥، هجر العلم (١/٥١٧)، أعلام المؤلفين الزيدية (٥٦٣)، مصادر الفكر الإسلامي (٣٩٠).

الرفض، قرأت القرآن وحفظت شيئاً من مسائل الاعتقاد فَرَمت من خالفها بالكفر، وكانت لا ترى معرفة ولدها شيئاً في جانب معرفتها، وكانت تلعن أحمد بن علي النهمي لِمَيْل ولدها إليه.

أخذ عن والده وعن البدر محمد بن إسماعيل الأمير وطبقته، واستجاز بمكة لما حج عام اثنتين وستين ومائة وألف، أبا الحسن السندي والشيخ عطآء الله بن أحمد الأزهري المصري وأجازاه، وله حجة أخرى إلى البيت العتيق لاقىٰ بها جماعة فاستجازهم.

ترجمه القاضي أحمد بن محمد قاطن في الثبت فأشار عليه بالسعي في الحاجات وبذل الجهد في المهمات، وصفه بالصدق والنصح وعدم المداهنة والمماراة. وترجمه علي بن الحسن الحوثي في كتابه الذي سماه «عُصارة القَنْد في ما قيل في سَمرقند»[1] وهو كتاب لطيف.

وكان لعلي بن حسن الحوثي منزلاً يقصده المترجم له إليه ويتروح فيه بالنزول عليه، فسمّوا ذلك المنزل (سمرقند) قطعوا به الدهر الطويل، وكان ثالثهم أحمد بن يوسف المعروف بالحديث المقدم الذكر، وكانوا إذا قعدوا في يوم أُنسهم تساجلوا الأشعار الرائقة ثلاثتهم. ومما نظموه ارتجالاً بسمرقند مساجلةً قال المترجم له:

كيف يخفىٰ سر الغرام ودمع … العين أضحى مترجما عن لسانك
وأراد شاهد النحول دليلاً … ليس فيه شك لدىٰ إخوانك
لا ترجى الخلوص من غمرة الصبوة … والحب أخذٌ بعنانك

فقال أحمد بن يوسف:

إن لَمَس السماء بالكف لو حققت … أَدْنَى إليك من سلوانك
يا سموحاً على الشكا طارحني … فنُنُور الغرام من أفنانك
ثم نُخْ نادباً لمحبين نوحي … واذر فيض الدموع من أجفانك
جمع الحب بيننا وافْتَرقنا … في محبٍ فليس بابي كبابك
لو رأت مقلتاك قدّ جبيني … يتثنى لملت عن أغصانك

والمساجلة كثيرة طويلة تركناها اختصاراً. وأخذ المترجَم له عن القاضي أحمد بن

(١) اسمه الكامل: «عُصارة القَنْد، ونَفحة الورد، فيما قيل في سمرقند». يقصد غرفةٍ سمّاها سمرقند كان يدير فيها مع أصحابه أطراف الحديث في شؤون الحياة مع شيء من الطرائف واللطائف. فالكتاب يجمع فنوناً من الأدب والشعر.

محمد قاطن فأسمعَ عليه سنن الترمذي، وعنه خلق لا يحصون. لحَظَتهُ السعادة فأحبه المأمور والأمير واتصل بأحمد بن علي النهمي الوزير وأدناه المهدي العباس منه وأراده على القضاء فأبى وقد شرحنا ذلك في ترجمتنا ليحيى بن محمد بن عبد الله ـ قاضي القضاة ـ عام أحد ومائتين. وأرسله المهدي إلى كوكبان عند دعوة أحمد بن محمد بن حسين الأخيرة فحسم مادة الشقاق وعاد. وقد ذكرناه وذكرنا شيئاً من شعره في ترجمة قاسم بن محمد الأمير الحاكم الهاشمي عام أربع وتسعين.

وكان رحمه الله رحب الصدر، حلو الحديث، بحراً زاخراً في التاريخ يداعب أهل المعارف ويماشي الجاهل ويلاطف. وهو الذي كشف السرّ في شأن أحمد بن صلاح الخطيب وأحواله التي يُقضى منها العجب العجيب.

ولمّا ألف البدر المنير محمد بن إسماعيل الأمير حاشيته العدة على العمدة لابن دقيق العيد، طلب منه القراءة في شرح العمدة فأسعفه وصحبه فيها محسن بن إسماعيل الشامي، ثم اعتذر إليه البدر بعد أيام عن القراءة بالضعف والكبر وكتب إليه هذه الأبيات:

مولاي يا فخر العُلا والدِّين ... وإمام كل محقق وقرين
عُذراً لشيخك من نسي ماقد حوىٰ ... لما ارتدى بملابس السبعين
فغدوت طفلاً في العلوم وقبل ذا ... ما كنت من أقران سعد الدين
مُذ صرت شيخاً عدت طفل معارف ... وغدوت مفتقراً إلى التلقين
شيب الخدود سَرَى إلى خدّ الذكا ... فاجتاح ما فيه من التحسين
والشيب في الأذهان أعظم موقعاً ... وأضرّ في التدريس والتدوين
إن شاب فَؤادُ المرء شاب فؤاده ... وجفنه حُور معارفٍ كالعين
نفرت عن الأذهان ثم تحجبت ... ببياضِ أوراق وسُود متون
وأرى المعاني كالغواني راعها ... شيبي فَرُحْن بصفقة المغبون
ما للشيوخ وللصِبَا وهل ترى ... ضَبَّ الفَلاةِ مواصلاً للنون
فاعذر فذاك أولو الذكاء ... وبقيت للتدريس والتأليف والتبيين
والعُذر منك ومن حسام الدين مَنْ ... قد فاق في التحقيق كل فطين
وبقيت بحر عوارفٍ ومعارف ... يغشاك طُلابُ الدُّنا والدين

فأجاب المترجم له بقوله:

يا من أشاد معالماً للدين ... وهدىٰ إلى المفروض والمسنون
أنت المحقق للعلوم بأسرها ... مَن لا أرى أحداً له بقرين

كم مُشكل عنه كَشَفْت لثامه | وكَسَوْتَه حُلَلاً من التبيين
كم سُنّةً أحييتها ونشرتها | وخدمتها بالدَّر والتدوين
ورفعت أعلام الهداية داعياً | من رام إحراز الهدى بيقينِ
وشهرت من ماضي لسانك صارماً | أغناك عن سُمْرٍ وبيضُ جفونِ
ما شِبتَ كلاً إنما أنوارُ ما | أوتيت قد صَدعت على الخدّين
فجلت حسام الذهن فانطبعت بِهِ | صُور الدقائق إذ صَفَا في الحِينِ
لا علم إلا ما أفدت فَعُدّ عن | ذكر الشريف وذكر سعد الدين
فلأنت في حفظ الحديث ونقده | كمحمدٍ[1] والفاضل ابن معين
بعلاك أقسم أنني في خَجْلةٍ | لما بعثت بِدُرِّك المكنون
وهضمت نفسك وهو شأن أولي العُلاَ | وأردت صرفي عن ورود مُعينِ
أيحل صرفي عن خضمٍ زاخرٍ | درًّا وتغشاه البريّة دوني
أما حسام الدين طال له البقا | فمحله عندي أعزّ مَصُون
ما كنت أرضى أن أُخص بمَوْردٍ | عنهُ فلهو على الورود معيني
ما صدَّه إلا شواغل دهرنا | فناءً بقلب للبعاد حَزين
فامنحه في الخلوات دعوة مشفقٍ | لتفكُهُ عن أَسْرِ هَمٍّ ديونِ
واعذر فقد قابلت دُرك بالحصا | وبذلت ما عندي من المخزون
واستره عن عين النقادة مغضياً | عن عيبه ليُعَدّ في الموزون
وبقيت كشافاً لكل مُلمةٍ | جلّت ومفتاحاً لشرح متون

وطلب المترجم له ـ رحمه الله ـ من البدر المنير محمد بن إسماعيل الأمير مؤلفَه «سُبل السلام شرح بلوغ المرام» ليحصّله ويدرس فيه، وأصحب كتابه هذه الأبيات:

سيدي أنت مفردٌ في زمانك | لا مجار يُعَدّ من أَخْدَانِكْ
أنت من أحرز العلوم واضحَى | عَلَماً يُهْتَدى بسحر بيانك
كل من كان في المعارف ذا بَرْ | قٍ لَعَمْري السِكِّيتُ في ميدانك
لم تزل ناصِراً لسُنّة طه | بمواضٍ سللتها من لسانك
وعجيب ممن يحاول مَرْقاك | وزُهْر السماءَ تحت مكانك
فامش فيما تريده غير مُصْغٍ | لملامٍ أتاك من اخوانك
إنها محنَةٌ بها يُبْتَلى مَنْ | كان في العلم شأنه مثل شأنك
واعتصم بالإله في القول والفعل | فَجُنْدُ الإله من أعوانك
جِدّ فدتك النفوس من كل سوء | لي بسفرٍ يُعَدّ من إحسانك

(١) البخاري.

هو (سُبلُ السلامِ) لله ما حاز فكم فيه من نفيسِ جُمَانك
واغتفر للمحب وافىٰ بِجَزْعٍ طَمعاً أن ينال من مرجَانِكْ

فأجاب البدر المنير لا زالت عليه رحمةُ القدير:

جئت بالمعجزات من تبيانك تَتَحدَّى من ليس من أقرانك
الدراري قل لي نظمت أم الدُّر أم عقود النجوم من عقيانك
أَم أُتِيْحَتْ[1] لك الجنان عياناً فنظمت الزهور من بُسْتانك
أنت أنت الإمام في العلم والنظم ونحن الأجناد في سلطانك
لا أجاريك إنما أتجارى أيَراعِيْ مُقاومٌ للسانك[2]
أنت في ثروة من النظم والنثر ونحن الجميع من خُزَّانك
كل معنًى نَحُوم حول تعاطيه وجدناه في فصيح لسانك
وطلبتم سُبْلَ السلام فأهلاً ببلوغ المرام من إحسانك
كيف لي كيف لي بنشر علومي وبتقريرها بحُسن بيانك
قد بذلنا ما قد رُزقنا من العلم لأهل الذكاء من إخوانك
ورجونا فيها الثواب فَصِلْنَا بدعاءٍ سرًّا وفي إعلانك

ومن شعره العذب وهو في غاية الرقة والانسجام:

يا بارقاً أوْمضىَ وقت الغروب اسلت من سُحب جفوني غروب
رفقاً بقلبي فهو ممَّا به من نار أشواقي سريعاً يذوب
فكم به قَضَّيت من لذّةٍ قلبي لذكراها غدىٰ في وجوب
سريْت في ليل شبابي على نَهْدِ خلاعاتٍ شديد الوثوب
في مَهْمَة الأفراح مع رُفْقَةٍ ما منهم غير سموح طروب
تقلَّدوا من فتكهم صارماً به دم العنقود أضحىٰ سكوب
حتى أنخنا بِربُىٰ جَنَّةٍ غزلانها الغادات ذات الكعوب
ساحاتها تختال في حُلةٍ من سندس الوشي كهيفاء لعوب
قد أبدعت أيدي الحيا نسجها وزررَّت بالنَّور منها الجيوب
وشبَّ ساري الريح من مرجها مجامر الزُّهد بأيدي الهبوب
وأرقصت أغصانها وِرْقها إذا أسمعتها من غناها طروب
يا برق رفقا بي فقد غادَرَت تلك الغواني فؤادي نُدوب

---

(١) ب: أبيحت.
(٢) ص: لسنانك.

فكـم بـذاك الحـي مـن غـادة ... كـالشمس لكـن مـا لهـا مـن غـروب
تُثنـي قـوامـاً مثـل غصـن النقـا ... فليتـه نحْـوي ثنتـه الجَنُـوب
تحـرجـت عـن وصـل مُضْنَّـىً بهـا ... وقـد سَبَـتْ البـابنـا والقلـوب

وهذا من بدائعه وروائعه، وحلاوته وسهولته ظاهره. ومن شعره الحسن ما كتبه إلى أحمد بن الحسن بركات وقد حجر عليه قيمة أرض ببير العياني بالروضة البهيّة:

صفـي الـديـن دمـت لنشـر علـم ... يشـار إليـه فـرداً بـالبنـانِ
لقـد أضحكـت مـن يهـواك لطفـاً ... بـأن وَرَّيـت عنـه بـالفـلانـي
علـى مثلـي تُجّـوِزُ ذاك مَهـلا ... فـإنـي منـه فـي أعلـى مكـان
ورُبّ حفـي أمـرٍ عنـد غيـري ... غـدَى بـالحَـدس عنـدي كـالعَيـان
نَعـم قـد كـان ذاك البيـعُ ممـن ... هـو السبَّـاق فـي يـوم الـرّهـانِ
وقـد قبـض القـروش لهـا صـريـفٌ ... كتـرجيـع المثـالـثِ والمثـانـي
وحجـرك أن يكـن صـدقـاً مُخِـلٌّ ... ومـا أحلـى التسلـي بـالأمـانـي
فبـايعُـهُ الغنـيُّ وأنـت أدرى ... بمـا فـي الشـرح فقهـاً والبيـان
وعـن مجـدٍ أدر خبـراً فـإنـي ... قطعـت الـوصـل عنهـا مـذ زمـانـي
وبشّـرنـي أأنـت طليـق قلـبٍ ... عـن الغـزلان أم فـي الأسـر عَـانـي
فـإن الحُـبَّ راحتـه عتـابٌ ... واقسـم مـا الهـوَى غيـر الهَـوانِ
وقلبـي مثـل قلبـك مستَطِيـرا ... إلـى تلـك المعـاهـد والمغـانـي
إذا مـا البـرق أومـض فـوق نجـدٍ ... عِشـاءً فـاض عنـه سُحْـب شـانـي
كـأنَّ البـرق يُغْمَـدُ فـي جفـونـي ... فيقْـدَحُ نـارَ وجـدٍ فـي جَنَـانـي
يكـاد الشـوق يحملنـي ولكـن ... نـذيـر الشيـب يـأمـر بـالتـوانـي
وقـانـا الله الحـاظـاً مِـرَاضـاً ... لهـا فعـل المهنَّـد والسِّنـانـي
وطـارحنـي بـأبيـاتٍ رقـاقٍ ... كمنظـوم الفـرائـد والجُمـانـي
فشعـرك يـا صفـي الـديـن سحـرٌ ... ولا سحـرٌ سـوى سحـر البيـانِ
لقـد ألقـت أزمتهـا القـوافـي ... بكفـك مثـل إلقـاء المعـانـي
ودُمْـت مفيـد آدابٍ وعلـمٍ ... علـى رغـم الحـواسـد والشـوانـي

وأجاب أحمد بن الحسن بركات بقوله:

إمـام الفضـل والحَبْـر المُجَلّـي ... بمضمـار البـلاغـة والمعـانـي
أخـا العلـم الـذي مـلأ النـواحـي ... فـدَان لفضلـه قـاصٍ ودانـي
رُويـدك بـي فمثلـك لا يُجَـارَى ... إذا صلّيـت خلفـك فـي الـرهـانـي
ألا يـا ليـت شعـري هـل لشعـري ... دخـولٌ خَلْـف شعـرك فـي مكـانِ

فقــد يبــدو هــلال الشــك حينــاً ... وشمــس الأفــق ثــابتــة المبــانــي
وعــن مــن حَــلّ نجــداً لا تسلْنــي ... وسَـلْ مـن حـل قبلـي هـل سـلانـي
فمــن فَلــكِ الغُــلالــة قــد بــدا لــي ... هــلالٌ كــم أضــلّ وكــم هــدانــي
ولســت مفــارق الغــزلان حتــى ... أجــوز علــى الصــراط إلــى الجنــانِ
سقــى رَبْــع الأحبّــة صــوب غيــثٍ ... فكــم غــانٍ بســاحتــه[1] سقــانــي
سـلاه مــا سقــانــي هــل سقــانــي ... مــدامــاً أو حــديثــاً عــن فِــلانِ[2]
وحَجــري لا يَــدُل بــأن حجَــرى ... ضعيــف أو مطــالبتــي أمــانــي
فــاعجــب مــن مطــالبتــي لحقــي ... فــراقــك للطهــاميــر الــرَزانِ
فــأخــذ التــرب بــالتبــر المصفّــى ... كــأخــذ الــروم مــن بيــر العيــانــي
فجــد بــالأربعيــن حــويــت منهــا ... ألُــوفــاً ليــس تُحصــى بــالبَنَــانِ
ولا تخشــى الفــوات ففــي يمينــي ... حســام صــارم ثبــت الجَنَــانِ
سنــانٌ فــي قنــاة الشــرع أمضــىَ ... إلــى قلــب الظلــوم مــن الطِعــانِ
عمــاد الــديــن أفضــل مــن تَصــدَّى ... لفصــل الحكــم فــي هــذا الــزمــانِ
همــام أن هَتفــت بــهِ لِكَــرْبٍ ... يُجِبْــكَ بــلا مَــلالٍ أوْ تــوانِــي
ولا بــرحــت يمينــكَ فــي نَــوالٍ ... لمحتــاج واطــلاقٍ لَعَــانــي
أفَضْــتَ علــيَّ طــولاً منــك دُرًّا ... يُقَصِّــر عنــدهــا الحســنُ بــن هــانــي
وبــذلُ الفضــة البيضــا أدْنَــى ... إلــى فَــكِّ الأسيــر مــن الجنــانِ

قلت: وكان المترجَم لَهُ رحمه الله عظيماً في الناس مُبَجّلاً كريماً مطلقاً، يستروح إلى الغزل والخلاعة، وكان يجله الصغير والكبير. وكانت له هِرّة سمّاها فلّه فولدت له هراً سمّاه حُمران، واشتهر ذلك فمات الهر فشاع خبر موته فرثاه علي بن حسن الشاعر المعروف بالخُفَنْجي بقصيدتين تناقلهما عنه ظرفاء الجلساء غير أنه شعر ملحون ولم نتعرض في كتابنا هذا لشيء منه إلا ما في قصيدة محمد بن هاشم وعلي بن موسى أبو طالب.

وكان كثير الأشعار قد كاتب وكوتب، وجمع شعره ولده[3] العلامة أحمد بن عبد الله بن أحمد.

[ومما نقلناه عنه من الفوائد]

سُئل رحمه الله عن الفرق بين قوله: إذا نعس أحدكم وهو يصلي وبين قوله: إذا صلى وهو ناعس في حديث عائشة رضي الله عنها عند الستة بلفظ قالت: قال

---

(١) ب: براحته سقاني.
(٢) ومن ذاك الحديث: أَدِر كؤساً ألَذّ لديّ من خمر الدنان.
(٣) خ بمكتبة المؤرخ زَبارة.

رسول الله ﷺ: «إذا نعس أحدكم وهو يصلي فليرقد حتى يذهب عنه النوم، فإن أحدكم إذا صلَّى وهو ناعس لا يدري لعله يذهب يستغفر فيسبّ نفسه» انتهى. قال: نعس وهو يصلي النعاس فيه علةٌ للأمر بالرقود وترك الصلاة، وقوله إذا صلى وهو ناعس الصلاة فيه علة الاستغفار المشوب بالنسيان والخَبط فيكون معنى الحديث إذا نعس المصلي فليرقد فإنه إذا صلى في حال النعاس نسي نفسه.

ومما نقلناه: سؤال ورد عليه عن معنى حديث أبـي هريرة وهو في «الأمهات»: من حضر الجمعة بإنْصَاتٍ ودَنَى من الإمام غفر له ما بين الجمعة إلى الجمعة وزيادة ثلاثة أيام، وذلك ان الحسنة بعشر أمثالها فإن كان المراد ما بين الجمعتين من الأيام فبينهما ستة أيام وان أدخلنا الجمعتين في عددهما بلغ العدد ثمانية أيام، فزيادةُ ثلاثة أيام على الأول تكون تسعة وعلى الآخر تكون إحدى عشرة، فقال: المراد ما بين الساعة التي يصلي فيها الجمعة وبين مثلها من الجمعة الأخرى وهي في نصف اليوم لأن الأيام التي بين الجمعتين ست وانضاف إليها نصف يوم من الجمعة الأولى ونصف يوم من الأخرى فيكون سبعة أيام، وزيادة ثلاثة أيام فتكون بعشرة، وذلك معنى الحديث. وهو كما قال الفقهاء: من أقرّ لرجل بمائتي درهم إلا عشرة فقال أبو حنيفة يلزمه تسعة، وقال صاحباه: بل عشرة بأدخال الطرفين، وقال أبو ثور: بل ثمانية لسقوط الطرفين. وحدثني والدي عنه بما قضيت منه العجب، فمن ذلك ما كتبه عنه بالروضة البهيّة في موقف أنس قال سمعته وهو كالبحر المتلاطم فنقلت عنه قضية أسندها إلى الأصمعي. قال: كنت أغشى الأعرَاب فأكتب عنهم حتى عرفوا مرادي فمررت يوماً بالبصرة فقالت لي امرأة إن ذلك الشيخ عنده حديث غريب، فأتيت شيخاً عاجزاً فسلمت فردّ عليّ السلام قال: مَنْ أنت؟ قلت: أنا الأصمعي، قال: الذي يتبع الاعراب فيكتب ألفاظهم؟ قلت نعم وقد بلغني أن عندك حديثاً معجباً فأخبرني بأسمك ونسبك؟ قال أنا حذيفة بن سَوْر العجلاني وُلِد لأبـي سبع بنات متواليات وحَمَلت أمي فقلق أبـي قلقاً كاد قَلَقُه يقتل وجه قلبه من خوف بنت ثامنة، فقال له شيخ من الحي: ألا استغثت بمن خلقهن أن يكفيك مآرِبَهُن، قال: لا جَرَم لا أدعوه إلا في أحب البقاع إليه، فإنه كريمٌ لا يضيع قصد قاصدِيه، ولا يخيب آمال آمِليه. فأتي البيت الحرام وقال:

يـا رب حسبـي مـن بنـاتي حسبـي ... شيَّبْـن رأسـي وأكلْـن كسبـي

إن زدتنـي أخـرى قلعـت قلبـي ... وزدتنـي همًّـا يـدق صلبـي

فـإذا بهـاتـف يقـول:

لا تقنطـن بمـا غُشيـت يـا ابـن سَوْرٍ ... بِـذَكَـرٍ مـن خيـرة الـذكـورِ

ليـس بمسمُـودٍ ولا منـذورِ ... محمـدٍ فـي فعلـه مشكـورِ

فرجع أبـي واثقاً بالله جل جلاله فوضعت بـي أمي فنشأت أحسن ما نشأ غلام عنه، وبلغت مبلغ الرجال، وقمت بأمر أخواتي وزوجتهن وكن عوانس، ثم قضىٰ الله تعالى أن سَتَرهُنَّ ووالدي، ثم مَنَّ الله عليَّ أن أعطاني وأوسع وأكثر فله الحمد، وَوَلِدْتُ رجالاً كثيراً ونساءً وان بين يدي اليوم ثمانين رجلاً وامرأة.

[يوسف بن محمد بن عامر]

وفيها: يوم الاثنين سادس وعشرين ذي الحجة توفى يوسف بن محمد بن علي بن عامر كان قد أشرف على معارف اللغة ثم جاء جماعة من غلاة الرافضة بيت مصطفى فخدعوه فصار بَعْدُ إمامياً.

[الحسن بن محمد بن حسين]

وفيها: ليلة الثلاثاء لعشر، خلون من شهر القعدة، توفى الحسن بن محمد بن حسين صاحب كوكبان[1] عن اثنين وثلاثين سنة. مولده يوم الأربعاء ثالث وعشرين صفر سنة ١١٥٨هـ كان كثير الذكر حسن الأخلاق كريم الطباع. ومن شعره ما أجاب به على شيخه عيسى بن محمد:

يـــا إمـــامـــاً جَـــلاً بعِلـــم البيَـــان وعَـــلاَ رفعـــةً علـــى الـــزبـــرقـــانِ
قـــد أَتَـــىٰ مـــن نظـــامِـــه بمعـــانٍ مـــا ســـواهُ لمثلهـــا بمعـــانِ
لا يطيـــق الجـــواب عنـــه فصيـــحٌ أَتُقـــاس الحصبـــاء بـــالمـــرجـــان

كذا ترجمه في الشقائق.

[حسين بن محسن المغربـي]

وفيها: ليلة الأربعاء لسبع خلون من ذي الحجة، توفى الحسين بن محسن المغربـي[2] كان فاضلاً عالماً ذا دين وعفة أخذَ عن عبد الله بن أحمد بن إسحاق في دقائق العلوم، وكان عبد الله بن أحمد يُعجَب من بُعد فَهمه للدقائق لكنه لا يَمُر بشيء منها حتى يتفهّمها، فحدثني أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق عن أبيه أنه قال: حفظ الحسين بن محسن مِن معارفنا ما شذ عن حفظنا فسبقنا فيها. وكان له بالحديث ورجاله معرفة تامة قال أحمد بن محمد بن إسحاق: ما رأيت أعلم منه بالحديث ورجاله.

---

(١) نشر العَرف (١/ ٤٩٩)، ملحق البدر الطالع (٧٧)، هجر العلم (٤/ ١٨٨٧).
(٢) نشر العرف (١/ ٦١٨).

قلت: وكان كاتباً يجري عن نظره حفظ الأمور المتعلقة بالوقف الخارجي، وهم أهل بيتٍ لزموا التواضع والمسكنة والثبات على العلم، ولمّا مات بعث الإمام المنصور إلى خَلَفِهِ بكسوةٍ ليلي أحدهم وضيفته، وأرسلها إلى محمد بن صالح ابن أبـي الرجال فبعث بها إليهم وجعلوها شورى بينهم، فبقيت ثلاثة أشهر لا يرى أحدٌ منهم تأهّلَه لتلك الوظيفة وأعادوها بعد ذلك فعذرهم الإمام وكان محباً أن يقوم واحد منهم مقام الحسين بن محسن غير أنهم لزموا العفاف والتجنب على العمل.

وَدَخَلَت سَنَةُ إِثْنَتَيْنِ وَتِسْعِيْنَ ومائةٍ وَأَلْف

[خروج ذو محمد إلى حُفَاش؛ ونزول أحمد محسن الحيـي]

وفيها: خرجت قبائل بكيل ذو محمد وعليهم كبار آل جزيلان فقصدوا قبلة ملحان وبها السيد حسين الشرعي فجمع قبائله من حاشد وغيرها وسار بهم فالتقى الجمعان فتصاولوا فلم يَنْجع فيهم وما زال مذكياً للعيون متتبعاً للمقاصد وعلم أنه لا قدرة له عليهم فجمع أهل الرأي من أصحابه واستشارهم فأشار عليه كاتب الإمام أحمد بن محسن الحيـي بسلوك طريق المصالحة فأبـى، فانتثرت الأمور وتلاشَى الحال بينه وبينهم وكادوا أن يتملكوا على الرعايا، فجمع أهل الرأي ثانية فجنح الأكثر إلى المصالحة وأَخَذ عليه النقيب علي بن محمد عمران وزاهر الحشّار بمهملة فمعجمة مشددة آخره راء مهملة ـ المصالحة لأولئك، وسار إليهم علي بن محمد عمران بالصلح فدار بينهم على تسليم ثلاثة آلاف قرش فرانصة وثلاث كسوات وثلاث خيل، فَمَنّ بها الإمام عليهم وترحّلوا عن تلك المحلات وبنىٰ الإمام علي قطع مقرراتهم وأن لا يسلم إليهم في ذلك العام شيئاً مما يعتادونه، فما زالوا يتطلبون الشر ويوجهون إلى كل محلة من يأتيهم بخبر عن سائر المحلات القليلة الحرس. حتى كان شهر شعبان وخرجت ذو محمد فنزلت باب صنعاء فعاثوا به أياماً فلما لم ينالوا خيراً توجّهوا نحو تهامة وراحوا من (عَصِر) فقتلوا من وجدوه بالطريق واستباحوا المسافرين وبلغوا (صُنْفُوراً) وأقاموا به يتربصون بأهل الديار والدوائر، ولكون ذلك المحل متوسطاً بين الحيمة ورَيْمه وحراز والبنادر والحوازْ حتى هجموا جميعهم خارج بيت الفقيه الزيدية فانتهبوا عِشَاشاً من خوارجه فأثقلوا، وعادوا طريقاً آخرة خرجوا بها إلى سائلة (مَوْر). كل ذلك قصداً لملاقاة إخوانهم من أهل البغي الذين خرجوا مع حسين بن علي بن قاسم صاحب صعدة فانضموا مع قبائله من ذو محمد وبني صُرَيْم وخيار وعاقلهم ابن ناشر وقبائل العُصَيْمات وسَحَار، وكان الداعي لهذا السيد الطَمع في الإمام والطلب للزيادة منه على المعتاد بعد أن كاتب أياماً إلى وزراء الإمام يطلب منهم الإعانة لَهُ ولأهله في الشفاعة عند الإمام بتفويض المعتاد ويحتجّ عليهم بأن التغاضي سيجر إلى الفساد فأيّسهُ الإمام سدًّا للذرائع، فخرج فسار إليه متولي

حجة الشريف **المجاهد يحيى بن محسن بن علي بن محسن بن المتوكل** في جيش قليل، ففاجأهم صبيحة تلك الليلة بسائلة (مَوْر) وتعلق بشواهق جبالها، وكان قد حمل آلة حربه وباروته ورصاصه ورقىٰ هنالك أعلى ذروة الجبل في أربعة نفر من أبطال الأبطال وأبقىٰ سائر أصحابه بمتارسٍ حرَّابه في وسط الجبل وأمرهم بفتح الحرب، فتصافوا للقتال وقُتِل من البغاة جماعةٌ، فلما رأوا ذلك اشتدوا على مَنْ بأوسط الجبل والتف خمسمائة من شجعانهم فركبوا ظهر الخيل من جهة الغرب وصعدوا عَرْشان ـ بمهملتين فمعجمة فألف فنون ـ جبلَ عدني سائلة مَوْر فلم يشعر أصحاب الشريف المجاهد يحيى بن محسن إلا وقد أحاطت بهم القبائل فانهزموا بمرأى منه ومسمع، وظفر البغاة بأحد رؤَساء الشريف يحيى بن محسن وهو السيد عبد الله الدَّعَّاني وآخر من أصحابه فانكسر خاطره لعلمه أنه لا مجال لمصادرة أولئك الأبطال، ورأى جمعه قد تبدَّد ولم يشعر عند قائمة الظهيرة إلا بأربعة وعشرين نفراً من أصحابه قد عادوا متفقدين له فأَسْعَرَ بهم حرباً حارة إلى قريب العصرِ، وظنت تلك الخارجة أنه في أُلوفٍ من المقاتله فانهزموا وعادوا ولم يجدوا مجالاً في الذهاب إلى مَأمَنهم إلاّ من سائلة مَوْر، وجائتهم أخبار غير واقعه بأنها التفَّت عليهم من ورائهم جنود جراره، فجنحوا إلى مصالحته على أن يمروا من المحل الذي هو به فأبَى لعلمه بأن الخديعة ممكنة، فضايقهم بالحرب وهم يناجونه بالصلح، فلما غربت الشمس أجابهم إلى ذلك مشترطاً ألاّ يبيتوا ليلتهم إلا بالظُهَيْرَة ـ تصغير ظهر ـ فأذعنوا وطلبوا من أصحابه عشرة يرفقونهم، فأنزل عليهم عشرة ممن أَثّر فيه الجوع فوصلوا، فطلبوا منهم الإمهال حتى يفرغوا من عشائهم فأمهلوهم وأكلوا معهم وراحوا على المَشَاعِل ولم يفك أحد من حمائله شيئاً إلا بالظهيرة وهم على خوف من أن يغدرْهُم الشريف يحيى بن محسن، ورجع السيد حسين بن علي بن قاسم بمن معه من سَحَار إلى بلادهم.

وقد كان السيف أحمد بن المنصور بالله الحسين أرسل من بلده عمران ولده محمد بن أحمد بعساكر جراره ليحسم المادة، فوصلَ إلى قيلاب ـ وهو الحدّ بين كوكبان وحَجّة ـ وجاء الخبر بأن الشريف يحيى بن محسن قد كسر المركز وعاد فكرّ راجعاً إلى أبيه.

وفيها: أظهر الفساد وأعلن بكلمة البغي والعِناد علي بن راجح الخولاني، فراسل القبائل ووعدهم الخير ومنّاهم حتى اجتمع عليه أكثر أهل الجهات الخولانية وقادهم متوجهاً بهم بلاد آنِس فعاث بها، وبلغ إلى الأطراف، وتخطّف من وُجد من أهل القرى وانتهب السَّفْر حتى أثقل، ورام العَوْد فجهّز عليه الإمام المنصور من حضرته الأمير فيروز المهدي في جماعة من البطِانة وافِرَةً فصادفه على الرجوع بقاع جهران آخر اليوم، وكان

الأمير فيروز قد أعدّ بكل طريق تسلكها البهائم جماعة يصادرون من مَرَّ منهم، ثم تصافوا للقتال حتى حجز بينهم الليل فتوثب الجيش المنصوري على الخولاني فأسقاه كأس العَنىٰ والنَّصَب، وظفر بجميع ما أجلب، وفرّ كل باغٍ قبل وجهه. وعاد الأمير مؤيداً منصوراً، وقد قال بعض الشعراء في تلك الوقعة مؤرِّخاً لها:

خَبِّرْ بما شاهدت عينٌ وما كانَ — وصحْ بِوَيْلٍ على أَرْجاءِ خَولانا
وقم خطيباً فذا دير الجماجم لا — دير المسالمِ فيه الهام قد بانا
مُنَدِّماً كل سالٍ في قبائلهِ — بما ظفرت ولا تحفل بمن بانا

إلى أن قال مؤرخاً:

وقل لفيروزها قل للإمام أتىٰ — التاريخ يا مجده أفنيت خولانا

[ولاية الجرموزي للجبي]

وفيها: عقد الإمام للشريف إبراهيم بن عبد الله الجرموزي(١) ولاية الجبي وأعمالها، فوصلَ على جدب بالدّيار ونقص في الثمار وشحةٍ في الأمطار تألّف الرعايا بعد تفرقهم في البلاد وتشتتهم في الأغوار والانجاد فاشترى ثلاثمائة بقرة للحراثة وفرّقها في جماعةٍ مِن الرعيّة وأقرضهم أموالاً وطعاماً فعادوا من المحلات النائية وأقاموا دورهم وزرائعهم، وكان عند وصوله وتفقده لأحوال الرعايا قد أخذ على الوزير الأعظم علي بن يحيى الشامي أن يقرضه ثلاثة عشر ألف قرش فرانصه وإلا لم يقم للرعية أمرٌ، فبذلها الوزير وبادر بإرسالها كذا ذكر لي متوليها من لسانه، وأضاف الإمام إليه في تلك الأيام ولاية بيت الفقيه ابن العُجيل. وقد أتينا على ما كان منه من الوفاء إلى الإمام وما دار بينه وبين الوزير الأعظم علي بن يحيى وما كان بينه وبين متولي بلاد رَيْمة الفقيه حسن بن عثمان الأمَوي(٢). وأتينا على الأسباب التي نشأت عنها العداوة والبغضاء بين هذا المتولي وبين الحسن بن عثمان عند ذكرنا لأحوال سنة أربع وتسعين بما فيه كفاية وَافية للمتطلّع علىٰ عيون الحوادث.

[القبض على عبد القادر بن محمد صاحب كوكبان]

وفيها: في شهر شعبان أيضاً، قُبِض على متولي الديار الكوكبانية الشريف العلامة عبد القادر بن محمد(٣) لليلتين بقيتا من الشهر، قال الأستاذ عبد القادر بن أحمد في

---

(١) أنظر عنه: نيل الوطر (١/ ١٦)، (هجر العلم (٤/ ٢١١٠).

(٢) هو حسن بن عثمان العلفي.

(٣) أنظر: نشر العَرف (٢/ ٧٦)، ملحق البدر الطالع (١٢٣)، هجر العلم (٤/ ١٨٨٥)، وسيذكر المؤلف له ترجمةً وافيةً عام وفاته سنة (١١٩٨هـ).

سفينةٍ وقفت عليها بخطة بعد تاريخه الوفاة: كان رحمه الله نافذ الأحكام في جميع الجهات الكوكبانية إلا أنه في آخر ولايته قصّر فيما يعتاده الناس من الكيلات والجرايات لقحط شديد بلغ قدح الحنطة فيه ثلاثة ريال فرانصة وتعطلت مخازين المذكور حتى أن حرس كوكبان في أكثر شهر شعبان تركوا الحراسة، وكان آمِناً لسطوة الأيام فلم يتخذ في بابه غير حاجب واحد، فوثَبَ عليه في تلك الليلة جماعة أرسلهم أخوه الصارم إبراهيم بن محمد بن حسين وتَقَدمهم ولده الشجاع العباس بن إبراهيم فدخل ولم يشعر أن الرجال خَلْفه وظنَّ أنّ دخوله لغرضٍ من أغراضه فوثب عليه وأمسكه، ودخل الرجال بعده فأوثقوه وضُرِب على ساقه القَيْدُ وأودعه السجن وقام بالأمر بالجهات الكوكبانية الشريف إبراهيم بن محمد بن حسين.

قلت قد أجمل القضية شيخنا الأستاذ رحمه الله، ولا بدّ لنا من أن نشرحها لنُؤَدِّي ذلك الخبَر على التمام لمّا رُبط الشريف عبد القادر بن محمد ومرت عليه سنة كاملة بلغ إبراهيم بن محمد أنه قد تحدّث أخواه علي بن محمد بن حسين ويحيـى بن محمد بن حسين أنهما سَيَرْبِطَانِه فاسْتَشَاط غَضباً، فطلب أوَّلاً أخاه علي بن محمد وربطه وأودعه دار الأدب بيت سلطان. ثم أرسل الشريف إبراهيم ولده يحيـى بن إبراهيم علىٰ عمه يحيـى بن محمد بن حسين إلى بيته ليأت به إليه أو يربطه فلم يخرج، وأراد إثارة الفتنة وحصلت المواحشة فأرسلوا إلى الأستاذ عبد القادر بن أحمد فسار إلى يحيـى بن محمد بن حسين فدخل عليه فاستخبره حين وصل إليه: كم معك من الزَّانة المُعدّة للحرب؟ فلم يجد عنده شيئاً، فصالح على أنه يُربط فرُبط، وباشره بالرباط يحيـى بن إبراهيم وأطلعه إلى والده إبراهيم فتهدّده وقيده ثم أودعه بيت سلطان. وسَنُفصّل ما كان منهم في دار الأدب فنقول:

أمّا علي بن محمد بن حسين فبقي في الحبس واشتغل بدرس القرآن حتى حفظه عن ظهر قلبه، واشتغل بعد ذلك بإحياء علوم الدين للغزالي فكتبه بيده في السجن ولما بلغ نهاية الإحياء مات رحمه الله.

وأما يحيـى بن محمد فتَشفّع له كثيرون عند أخيه الشريف إبراهيم وضمنوا عليه، وكان قد حفظ القرآن أيضاً عن ظهر قلب وطالع كُتباً هنالك صَلُح بها حال دينهِ ودنياه، فأطلقه بعد أن مضت عليه سبع سنين، فأخرجه فبقي نحواً من سنتين ومات إبراهيم، ولما حُبِس الشريف عبد القادر بن محمد وأخوه يحيـى بن محمد وعلي بن محمد طلب عبد القادر أن يُفرد بمقصورة عن أخويه، عاتباً عليهما التراخي عن الذب عنه، ورأى أن لا يخالطهما وكانت تلك فيهم سُنةً جارية. وقد أتينا على التفصيل هاهنا فيما

جرى[1] على الجماعة وسيأتي لك التفصيل فيما جرى على الشريف العباس وأخيه يحيى بن إبراهيم وكيف كان رباطهما من قصاص الغيب، وسيأتي خبر حبس علي بن محمد وأخيه يحيى بن محمد عام أربع[2] وتسعين.

قلت ومولد الشريف عبد القادر بن محمد رحمه الله أول شهر ربيع الأول عام خمس وعشرين ومائة وألف. ومن شعره المنقول عنه مكاتباً للشريف عبد الرحمٰن بن أحمد وأخيه يحيى بن محمد بن حسين وكان في حال عماره.

أبناؤنا إبناؤنا مع كنزنا ... حل فما قد حل كنزاً أو بَنَا
ان لم نحل فأي وقت يُرتجىٰ ... عمّا بَنَا من ذا التهافت أو بَنَا

وأجاز هذين البيتين أديب الوقت الناظم محمد بن هاشم فقال:

بحبي الذي لم يُبن من أحبابنا ... دنياه في دار البقا أحبابنا
والكنز في الترب السغيب من الثرا ... عند الثرى أولى بنا أو لا بِنا
أحلا مُنىٰ دار الغرور كأنه ... أحلامُنا لو حققت أحلامُنا

ومما نُسب إليه مما أجاب به على الشريف ظافر صاحب أبي عريش:

هذا وعندي شاهدٌ لا أمترى ... فيما يخَبّر وهو نعم الشاهد
قلبٌ يُريك من الصديق وغيره ... ما لا تريك العين وهي تشاهد

ويقال إن له هذا:

إذا ما ادّعى ذو الفضل نقصاً تواضعاً ... وكُل كمالٍ قد غدىٰ تحت أَسْره
فذاك كضوء الشمس مهما تراكمت ... عليه غيومٌ لا تطيق لستره

قلت: وتوفى المترجَم لَهُ رحمه الله، ليلة الجمعة رابع عشر من شهر رجب سنة ثمان وتسعين ومائة وألف، وسيأتي وقد جئنا هاهنا بذكر جُمل من أخباره ومجرياته.

ومن شرطنا في هذا الكتاب أن لا نُترجِمُ للشخص إلا في سنة وفاته إلا من كان حياً وجرى بنا الكلام إلى ذكره فربما ترجمناه وهذا قليل في كتابنا هذا.

وكان له رحمه الله مَيْلٌ إلى الطاعة ورغبةٌ في الصدقة وحُنوٌ على الضعفاء والمساكين وقرب جناب، خلا أنه رماه جماعة من أهله بأنه كان ظاهر الميل عن الخصم ويستند إلى ما يقوله الصديق، وهذا من الضعف البشري. وقد كانت في أيامه جماعةٌ من

---

(١) جرى: (جرا).

(٢) هكذا، ولكن الأصح ثمان وتسعين لأنه لم يذكره إلاّ فيها.

أَرْحَب نَصبوا له العداوة فأقدموا على شجَر البنِ ببلاد المغرب فقطعوها على رعيته، ففكَّر وأرسل عليهم من يقطع أعنابهم ببلادهم. وكان استواؤُه على الإمارة بكوكبان عام أحد وثمانين عقب موت أخيه أحمد.

[عبد الله دايل صاحب اللحية]

وفي شهر رجب من هذا العام مات شيخ الطريقة الصوفية العارف الشريف: عبد الله دايل[1] العلوي الحسيني ببندر اللُحية، قارب عمره المائة السنة، ويُحكى عنه مكاشفات، وأخذ عنه بالإجازة جماعات. ومما يُحكى عنه أنه قال لأحد قرابته أوسع الطعام وفسح المقام فلم يشعر ذلك القريب إلا بورود كتاب من عامل اللحية أنه سينزل عليه صباح ليلته تلك قصداً للتبرك به، فعجب الحاضرون من ذلك.

[حسن بن محمد بن حسين صاحب كُوكبان]

وفيها: يوم الجمعة خامس عشر من صفر، توفى الحسن بن محمد بن حسين صاحب كوكبان[2] عن تسع وثلاثين سنة. مولده يوم الإثنين عاشر صفر، أخذ عن أخيه عيسى بن محمد، وكان له في الأدب طريق ظاهره وحفظ ورصانة. ترجمه عبد الله بن عيسى في الحدائق[3] قال وله من الشعر هذه الأبيات الثلاثة إلى أخيه عيسى بن محمد.

طود حلم رسَا على كوكباني ... بحر علمٍ طفَى بدُرّ البيان

جاءني نظمه يحثُّ على ما ... أغفلته معاشر الإخوان

فجزيتم خيراً على عقد درٍ ... فاق في نظمه بديع الزَّمان

الشيخ سعد الدين صاحب العُدين:

وفيها: توفى مأوَى الفقراء ومتحمل الكَلّ سعد الدين بن عبد الولي بالعدين[4]. كان فاضلاً تقيًّا صالحاً ذا دين، أديباً حلو الحديث كريماً لا يدع الصدقة الواسعة في صباح كل يوم، وله مشاركة في العلم يسيرة يحفظ فقه الشافعية حفظاً متقناً، وله في الأدب يد قويّة فمن جواب له على الأستاذ المجتهد البدر المنير محمد بن إسماعيل الأمير.

---

(١) أورده زَبارة. نشر العرف (٢/ ٩٧) بالذال والباء: ذابل، ولعله خطأ مطبعي. وقد طلبت من الأستاذ عبد الباري طاهر ومن ولده الأستاذ وضّاح أن يتأكدا لي من سلامة نُطق اللقب؛ فكان توافق رأيهما أنه بالدال: دايل.

(٢) نشر العرف (١/ ٤٩٩)، ملحق البدر الطالع (٧٧)، هجر العلم (٤/ ١٨٨٧).

(٣) الحدائق المُطلَعة من زهور أبناء العصر شقائق.

(٤) نشر العرف (١/ ٧٢٥).

نظام أتىٰ ممّن رَقى ذروة المجد — فذكرني عهداً وأكّد لي وُدِي
ولم أك بالناسي لعهدٍ وإنما — يزيد اشتياقي نحو واسطة العقدِ
ولي كبدٍ حرّى وقلب مشوق — إلى سيد السادات والعلم الفردِ
وأعني بهِ بحر العلوم الذي اجتلت[1] — به ظلمات الجهل في اليمن السعدي
سلالة قوم عظم الله قدرهم — وأسكنهم من فضله جنة الخلد

منها في وصف البدر الأمير:

ولو نظروا علياه والفضل أنشدوا — ألا للمعالي ما تُعيد وما تبدي

وكان رحمه الله غنيًّا مَلِيًّا مرزوقا وقالوا لو توجَّه لبيع التراب لربح فيه، ولِغناهُ قضيَّة مستغربة: حدّثني غير واحد عنه أنه وصل بندر المخا فواجهه الرَّخاء وكان قبل ذلك ممن يعاني خَلاَص البنِ من قشره فدخل المخا في حصار أحمد بن عبد الله الوادعي لإسماعيل بن محمد بن إسحاق. وقد لقى إسماعيل بن محمد من العَنَا والنَصَب ما لا مزيد عليه وألجأته الضرورة إلى بيع منقولاته[2] وانه مات في المخا بعض الأغراب من الهنود ولم يكن له وارث سوى بيت المال وكان قد حَوَّل ما معه من البزّ الضعيف[3] إلى البندر، وكان للشيخ سعد الدين نحو ستمائة ريال يريد بها بضاعة فحمله عُقّال الأسواق على شراء مال الهندي فاستضعفه وأجبر على ذلك فقال ليس لي سوى ستمائة ريال فقالوا نُؤجل لك أجزل الثمن إلى الموسم القادم وهات ما لديك فَقُوِّم ذلك البز بنحو ثلاثة آلاف ريال، فلما وصل محله عائداً بما أجلب به عزم على الصدقة منه على الفقراء وعاهد الله أن لا يبيع منه شيئاً حتى يستر منه عَورات، ففعل وتفقّده فوجد في باطن كل قطمة منه نوعاً من فاخر الثياب وأغلاه وأعلاه، صنع بها ذلك الغريب هكذا خوفاً من العثور عليه، فبلغ قيمة ذلك ألوفاً من المال واسعةً، ففتح الله عليه فتحاً مبيناً فأنال منه ضعيفاً وحاسراً ومسكيناً.

وابتلى رحمه الله في آخر أيامه بكف بصره وامتُحن بقضيَّةٍ وهي أنه كان بعض قضاة الإمام المهدي العباس رحمه الله، أشار على الإمام بإشخاصه من بلدة العُدَيْن إلى الحضرة، فأرسل له الإمام فاعتذر وشكا الضرر الحادث فلم يشْكَ، فسأل الله وابتهل أن يكفيه ذلك الهم ثم لزم الطاعة وتوجه إلى امامه. وكان خائفاً، فبلغ الحضرة في حال موت الإمام المهدي ـ رضوان الله عليه ـ فاستقر أول الدعوة لدى الإمام المنصور بالله

(١) في أ: انجَلت.
(٢) وذلك في سنة (١١٤١هـ).
(٣) البزّ: القماش.

علي بن المهدي العباس فأحسن نُزله وجَبَر خاطره وأرجعه.

وكان هو وأخوه عبد الولي مطموعاً فيهما لسعة أموالهما، أرسل أحمد بن المتوكل[1] عليهما رسولاً يشخصهما إليه فأشفقا من ذلك، ثم جدّ في طلبهما فابتهلا إلى الله بالدعاء إن يكفيهما أمره، ثم خرجا واستصحبا ثلاثين ألف قرش فرانصة يستدفعان بها بلاءهُ فما هو إلا أن دخلا باب مدينة تعز وإذا الناعية تنعي أحمد بن المتوكل، فعاد وعَلِما أن الله تعالى قريب مجيب. وهكذا أشبه بما قدمناه قبلها.

وكان سعد الدين مشغولاً بالطاعة وإنالة المساكين، وكان قد عمر داراً للضيافة ينزل بها الضعفاء والمساكين. وكان ينيل كل قاصد ما يليق به وينزل كل يوم إلى مُجَمّع به حَملة كتاب الله فيدارسهم وبين يديه صندوق مملوءاً مالاً لا يقوم عن المجلس حتى ينفق ما فيه. وله خَلَف صالح يشكرهم الغادي والرابح.

[رزق سعد الله]

وفيها: يوم احد وعشرون شهر القعدة، توفى العلامة رزق بن سعد الله محمد[2] مملوك محمد بن علي بن الحسين بن أحمد بن الحسن بن القاسم[3]. أخذ في الآلات عن القاضي أحمد بن حسين الهبل مُرافقاً له القاضي أحمد بن صالح بن أبي الرحال، وأخذ عن عبد الله بن أحمد بن إسحاق وعن المولىٰ إسحاق بن يوسف ابن المتوكل، وبرع في المعارف، وكان من مهرة الصَّنْعَانيين. قال لي بعض أصحابه لم نحدِّث نفوسنا بأنه يغلب فهمه إنسان، وسمعت بعضهم يقول هو ابن سيناء الوقت. وما زال يَدْأب في التحصيل وكَتَب بخطه سلاسل الذهب شيئاً واسعاً ملأ الخزائن، ومن فخره بخطه قوله:

لست بالذلّة أرضى ... وأنا فَذّ النقاده
قلم الديباج في كفي ... به نلت السيادة

قلت: ولا أدري ما قلم الديباج إلا أنه ذكر أحمد بن علي بن عبد السلام التكريتي في بغية الألباء مختصر معجم الأدباء لياقوت الحموي في ترجمة إسحاق بن إبراهيم البربري المحرر أنواعاً للأقلام منها قلم الطومار وهو أجلّها يكتب في طومار تام بسعَفَهِ إلى ملوك الأطراف، ومنها قلم السجلات، وقلم العهود، وقلم المؤامرات، وقلم الأمانات، وقلم الديباج، وقلم المذبح، وقلم المرصّع، وقلم الثلث، وقلم صغير النصف، وقلم خفيف الثلث، وقلم المكاتبات، وقلم النرجس، وقلم الرقاع، وقلم

---

(١) هو أمير تعز.

(٢) نشر العَرف ١/٦٣٨.

(٣) المتوفى سنة (١١٧٠هـ) بسجن المهدي العباس.

البياض، وقلم الوَشي. وغير هذه الأقلام مما لانعرفه بديارنا اليمنية وإنما ذَكرت ذلك لذكر المترجم له قلم الديباج.

وما زال حاله مستقيماً حتى نزل يوسف العجمي الرافضي بصنعاء وذلك في سنة [١١٥١] إحدى وخمسين ومائة وألف. وكان من أهل التحقيق لكتب الحكماء وعلوم الفلسفة فاشتغل به ولازمه وأخذ عنه معارف الفلسفة ودان بما دان به خلا الرفض فإنه تنزّه عنه.

وحكى لنا الأكثر اختلال عقيدته. وكان القاضي أحمد بن صالح بن أبي الرجال يرميه بالدّاء العضال. قال الشريف العلامة أحمد بن عبد الله بن إسحاق كان يعترض على حكمة الباري سبحانه وتعالى ويتكلم بما لا يجوز التَّفَوُّه به، وكان يقول كان الأولى في الآية الفلانية أن يقال كذا وفي الآية الأخرى كذا وفي الحديث كذا ويعكس ما جاءَ عن صاحب الشريعة الغرّاء وهذا من بلايا علم الحكماء.

وكان يعظم الفلسفة وأهل الحكمة واليونانيين ويهاب اعتراضهم واشتغل بعلم الفلك والكواكب وأكب على الازياج وحكم بها حكماً جازماً. قلت وقد رأيت بخطه كلاماً فصّل فيه صُوراً من صُور النجوم زعم أنها في السماء كذلك، فصوّر التّنين والدجاجة وحامل رأس الغُول وممسك العنان والعقاب والفرس والأرنب والشجاع والكلب الأكبر والكلب المقدم وذَكر ثمانية وأربعين صورة زعم أنها على صُورٍ صحيحة، وقال في آخره وهذه الصور الثمانية والأربعون البروج وغيرها توهمها اليونانيون من الكواكب المرصودة التي هي ألف واثنى عشر كوكباً من غير الظفيرة، وقال وقد عدها عبد الرحمٰن الصوفي من الكواكب المرصودة، وقال هذه الصورة قد أثبتها المؤرخون في الأزياج وأثبتوا محلها من فلك البروج وقرروا عروضها على التحقيق. ثم قال ولما كان مستند هذه القضية هو الوهم ففيها ما فيها وإنما ما يليق بالإنسان الاعتراض فيها على الحكماء أهل اليونان لأنهم هم والله سبحانه أعلم.

قلتُ انظر إلى هذه الوساوس التي علم المترجَم لَهُ أن مستندها الوهم وقال فيها ما فيها فكيف يقول: لا يليق الاعتراض فيها على الحكماء وتراه يفترض حكمة الباري. نعوذ بالله تعالى من الضلال بعد العلم، ومما نقلته عن بعض مخالليه ممن أثق بربانيته وأمانته أنه قال: سمعت رزق سعد الله وهو يقول: قال الله في آية الميراث: ﴿للذكر مثل حظ الأنثيين﴾ العقل يقضي بالعكس فأين ضل هذا وأين ذهب به الحياء عوذاً بالمالك من ذلك في كل المساكل.

وإذا ضلت العقول على علـ ـم فماذا تقوله النصحاء

وليته قال: إن مستند الحكماء وأهل اليونان المشاهدة لكنه علم أنه لا تساعده على ذلك المشاهدة:

دع ما تراه وخذ شيئاً سمعت به   في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحلِ

وقد ولع كثير مما شاهدنا بهذه الوساويس واشتغل بهذه الزوايغ وجهلوا راميها بالغي والجهل وحضوا المُنكِر على قراءتها طمعاً في زيغه ويكفينا في الرد عليهم قول نبينا ﷺ: «كل ما لم يكن عليه أمرنا فهو رد». ومعنى كلام أولئك السفهاء أنه غير مردود وإن علمنا به أولى من جهلنا له، ولعمري أن في جهله السلامة في الأولى والأخرى وقد قال بعض الناس:

إذا قيل ما حكم العلوم التي بها   تفرَّد من بين الأنام الفلاسفه
فقل سفه إن خالف الحق الهُدىٰ   وإن وافق الحق المبين فلاسَفَهْ

والذي جر هذا الشاعر إلى هذا الرأي هو الجناس عوذاً بالله من الوسواس فإن هذا الشعر مما يحض على النظر في كتبهم والحاذق لدينه يعلم أن باب مدينته علم رسول الله ﷺ وأكابر الصحابة لا يعرفون من هذه العلوم شيئاً ولله الحمد.

وسمعت البدر العلامة الشوكاني وقد ذُكِر عنده رزق سعد الله فقال: جندي تحلَّى بما ليس له أهل، وقد جاء واضع العلم في غير أهله كمقلد الدر الخنازير. وقد أخذ عن المترجَم لَهُ عدة من الناس كالعلامة علي بن عبد الله الجلال وقال لي: كان بمحل من العرفان وصحة الإيمان ولكنه كان يميل إلى الإغرَاب فيعدم الإنصاف ويحرم الجواب، وأخذ عنه رفيقنا العلامة علي بن إسماعيل النِهمي وحسّن طريقته ونفىٰ عنه ما ينسب إليه.

وكان المترجَم لَهُ ـ رحمه الله تعالى ـ يقول في حق يوسف العجمي: ما ترك الأوائل باباً مغلقاً إلا فتحه. ورافق رزق سعد الله في القراءة علىٰ يوسف العجمي القاسم بن حسين بن إسحاق وكان بِعضده بثرة كالبيضة فقال: يا قاسم لولا أن بك هذه البثرة لأصابك داء الصرع ولكنها تمنعه فعمل عملاً أثار له حرارة غريزية فتحللت تلك البثرة فصرع وما زال الصرع ملازماً له حتى مات[1] وللمترجم له شعر ليس بالقوي فمنه ما كتبه إلى النقيب الماس المهدي في وقعة المداره[2] من قصيدة طويلة أولها:

عزمت بسيف للخليفة منتضى[3]   به النصر والفتح المبين كما يرضَى

---

(١) في سنة (١١٦٥هـ).

(٢) المداره: قرية في أعلا قاع جَهْران.

(٣) في أ: مستنضى.

جعلت دم القتلى دواءً لدائهم ... ومزقتهم في كل ناحيةٍ دحضا
فقُل لبكيل كم يكن لقتيلهم ... وهلاّ فَدَى القتلا ببعضهم بعضا
فإن يذكروهَا يحقنون دماءهم ... وإلا فكم جُرْحٍ بِهم يألَفُ المَضَّا

ومن شعره:

سمحت بطيف خيالها فأعادها ... حذر النجوم الحارسات رقادها
هيفا يكلفها الجمال بأنها ... تبدي على شمس النهار سنادها
بيضاء بل حمراء بل سمراء قد ... لبست أديم الحسن حين أرادها
حوراء مَن وقعت عليه عينها ... قادته واستهوته وهو أقادها
خضراء ناهدة الكعُوب كأنها ... إن ما مشت قلت النسيم أمادَها

قلت: وقد وقف أديب وقتنا محمد بن صالح بن أبي الرجال رحمه الله تعالى على شيء من شعره فأعجبه وولع به وكتب إلى المترجَم لَهُ هذه الأبيات، قال رحمه الله تعالى:

معانيك فيما سوَّد الحِبر أقمار ... بها يهتدي للنظم من هو محتارُ
وما ابيض لون الطرس إلا لأنه ... تغشته منها في الحقيقة أقمارُ
وقد طار في الآفاق شعرك فهو في ... الورى فلك إن ما تأملت سَيّارُ

وله يهزل بالغزال بعد الالتجاء:

لك الحمد صيرت الجلاعيز عبرةً ... فكم مَنْطَبٍ في كف حامله كَلاًّ
لك الحمد كم من أغيدٍ ناعمٍ غدىٰ ... به نمش تُرمى به عينه النجلا
لك الحمد كم خلصتني من يد امرءٍ ... تمرد في حصن من المُقلةِ الكحلا
لك الحمد لما أن علمت بأنه ... يتيه خلقت الدقن تُلبِسه ذلاً
لك الحمد أنت الآن تعلم أنه ... مريض كما قِدْماً تَلِفْنا به جَهلا
فأمسيت خلواً فارغ القلب سالياً ... وأمسَى بهِ غَمٌّ من الهَمّ واستولى
يفكر محتاراً بغير بصيرة ... يقول لنا قد كان لي منظر أحلا
لك الحمد لو ألهمته قبل يومنا ... التلطف للعشاق كان هو الأولىٰ
فقد صَارَ مرحوماً يُعزَّىَ لمثلِهِ ... كئيباً حزيناً فارق اللب والعقلا
لك الحمد أن الدقن كالموت مثلماً ... سعير الهوى من أعظم الموت أن جَلاَ
لك الحمدُ إن عرضت للغيد مهجتي ... فظنيت أن الحبَّ في بابه سهل
ولكنني أوتيت عينين حرساً ... على القلب ما يلقاه فاستصغر القتلا
لك الحمد أما الآن فاغفر خطيئتي ... فإني توهمت الحلول ومَا حلا

وفي هذا البيت: توهمه الحلول، وهو كفر غفر الله تعالى له.

لك الحمد أما الطاسي الخاسي الذي ... تمشح عن أن يحمل الشعر قد وَلاّ
وقد زق زرنيخاً وزنبق بطنه ... وقد غل لكن سوف يأتي بما غَلا
لك الحمد كم صيرت في الشعر زينة ... وشوهت بعضاً حين ألبسته المخلا
وأولى القفا والوجه ما دل أنه ... كخنثى وانثَى قط لم يشبه الفحلا
لك الحمد يا من أتقن الصنع كلما ... رأينا فتًى قد أحكم العقد والحلا

وحدثنا بعض أصحابه أنه خرج يوماً لصلاة العصر بالمسجد الجامع بصنعاء فلقي غلاماً جميلاً بباب الجامع فقال علي البادرة:

يا منية النفس والفؤادِ ... وسالب الفضل والرشاد
يسرني أن أرُى ضجيعاً ... لقدِّك العادِلِ المُمَادِ

وتقدمه الغلام إلى الجامع ولمّا أقيمت صلاة العصر مرَّ من بين يديه قبل أن يكبر فقال حين رآه: شغلونا عن الصلاة الوسطى، فضحك أهل الصّف الذي هو به، ولما قَضى الصلاة حدّث الحاضرين أنه نظم بيتين داخل الصلاة وهما:

الحُسن يختلب العقول ويُلبس الليث المذَلَّه
وترى المصلي وهو أشغل ما يكون بريم أَبْلَهْ

ولازم آخر أيامه الشريف الولي يوسف بن أحمد بن يوسف ابن حسين بن حسن بن القاسم[1] وتحلَّى بما تحلى به من طُرُق المحدثين وسلك طريق التصوف وترك لذلك كثيراً من أعراف الناس، وكان يتحدث بقصد مشيخة المتصوفة إلى التهائم في كل عام ليأخذ عنهم من معارفهم مع ما عنده من تأثيراتها لقراءته علوم الحكماء والقدماء. وقد تكلم بعدما ساءت فيه الظنون فإنه قيل له: لو حججت؟ فقال: قد كان ذلك، فأُنْكِر عليه قوله، فقال: سلكنا طريقة أهل الله تعالى ووقفنا بحضرتهم حتى أوصلني بعض شيوخهم إلى مكة فطفت حول البيت وسعيت وصليت بمقام إبراهيم ووقفت بعرفة والحمد لله.

وكان له رحمه الله تعالى في التاريخ يد طولى لا يساميه فيه نبيه، وهو أول من اعتنى بجمع تاريخ الحموي ونشره بصنعاء وكان يقول شريت أوراقاً فجمعتها فخرج منها تاريخ الحموي وكتب منه نسخاً والله يتجاوز عنا وعنه جميعاً آمين اللهم آمين.

---

(١) هو المُلقب بالهندي المتوفىٰ سنة ١٢٠١هـ).

ودَخَلت سَنَةُ ثَلاَثٍ وَتِسْعِينَ ومائةٍ وَأَلْف

[عقد الولاية لحسن العُتمي]

وفيها: عقد الإمام الولايات لجماعاتٍ فللحسن بن عثمان الأموي[1] في رمضانها ببلاد ريمه وأعمالها وهي ثلاثة أخماس: البلاد وخمساها الجبي، وقد قدّمنا في السنة الأولى التي قبل هذه أن الإمام عقد بالجَبِي للسيد الرئيس إبراهيم بن عبد الله الجرموزي[2] وأشرنا هنالك إلى أنه وقع بين الفقيه حسن عثمان الأموي وبين الرئيس إبراهيم بن عبد الله الجرموزي الهاشمي مواجهة، وذلك أن الرئيس إبراهيم بن عبد الله دَرّت له الخيرات وانثال عليه الجماعات، فبعث في هذه السنة بمال إلى الوزير الأعظم علي بن يحيى الشامي ووعده الخير إلى آخر سنة أربع وتسعين وحاسب بثلاثة وسبعين ألفاً بعث بها إلى الوزير الأعظم، وحاسب في مقابلة الحسن بن عثمان بنحو أربعة وخمسين ألفاً فبعث علي بن يحيى الشامي إلى الحسن بن عثمان يستفصحه الخبر ويعلمه بما ساق إليه إبراهيم بن عبد الله الجرموزي الهاشمي وأنه لا أقل من أن يبعث إليه بمثل ما بعثه إبراهيم بن عبد الله الجرموزي، وأرسل الوزير إلى إبراهيم بن عبد الله يحثّه على تصوير كتابٍ يتضمن ضمانة لريمة بما ذكر الوزير، وأجمل القول هكذا، فصوَّر الكتاب وأرسله فَعجّل به علي بن يحيى إلى الحسن بن عثمان فأسرّها في نفسه وبعث باثنين وخمسين ألفاً، وصبَر على ذلك، ونَظم بلاد ريمة وأعمالها وأَمّنها وأَمَّن طرقاتها حتى كان من خبر المتوليين ما ذكرناه في ولاية إبراهيم بن عبد الله الجرموزي لبندر المخا وما كان من أمره وأمر الوزيرين عثمان وما لاقاه إبراهيم بن عبد الله وخبر موت محمد بن عثمان الأموي مستكملاً.

وفيها: عقد الإمام بلاد عتمة للسيد محمد بن أحمد الأخفش فبقي بها إلى شهر شعبان سنة أربع وتسعين ومائة وألف.

وفيها: عقد الإمام ببلاد حراز للأمير محمد ذو الفقار، فبقي بها إلى ربيع الأول من سنة أربع وتسعين ومائة وألف.

وفيها: عقد الإمام ببلاد قعطبة للشريف الهمام أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المهدي فبقي بها إلى عام أربع وتسعين ومائة وألف.

[وَقْعَة أُمّ سَرْجَين]

وفيها: سارت الطّاغية ذو محمد وانفصلت عن برط يقودهم حسين بن علي بن

---

(١) الوزير الحسن بن عثمان العُلُفي. ستأتي ترجمته في حوادث سنة (١٢١٦هـ).
(٢) انظر زبارة: نيل الوطر (١/ ١٦).

قاسم صاحب صعده، وخرجوا في نحو ثلاثة عشرة مائة بخلوط معهم معلنين للفساد، ولمّا جاءت الأخبار بخروجهم عن بلادهم ألْزَم الإمام قبائل همدان[1] أن يمنعوهم من النفوذ، فَرتّبوا جميع الحدود وآل الأمر إلى أن تصافوا للقتال فجرى بينهم حرب انتصَفَ فيه إحدى الطائفتين من الأخرى، وكَثُر القتل في جماعة ذو محمد، وهي الوقعة المعروفة بـ (أُمّ سَرْجَيْن) وعدَلوا بعد تلك القتلة إلى ظهر حَضُوْر[2] ولم يمكنهم الوصول من همدان إلى باب صنعاء، فجهّز الإمام المنصور عليهم الأمير الهمام عباس بن إسماعيل بن محسن بن المتوكل وكان بالغِرَاس[3] فأشخصه إليه واستعمل بالغراس ولده علي بن العباس، وسار في خمسمائة مِنْ نِهْم[4] وخمسمائة من قبائل أَرْحَب[5] وخرج إلى بَوْعَان[6] من ناحية حَضُور، وحصل الحرب بين أصحاب الإمام وذو محمد، ووصل السيف أحمد بن المنصور الحسين مُغِيْراً من عمران إلى مَتْنَه[7] فوجد البغاة قد فرّوا، وكانت جملة القتلى من ذو محمد سبعين نفراً وأربعة وستين من همدان، فأرسل الإمام المنصور السيد محمد بن حسن حَطَبة ينظر القتلى ويحصي أسماءهم لأنها انهزمت الأجناد المنصورية أولاً وحصل فيهم قتل ذريع وفرّ جماعة العباس بن إسماعيل عنه فاعتقله البغاة في جماعة من أصحابه ثم كروا راجعين على أميرهم فقاتلوا حتى استخلصوه، ثم كانت هزيمة في البغاة واحتزّ فيهَا رؤسَاً وبعثها باب الإمام، وحصلت الشكاية من همدان على الإمام وفتحوا مطالب فلم يجبهم إلى شيء من ذلك، فعادوا وتصالحت طائفة همدان وذو محمد على شرع معروف بينهم وكتبوا المواخاة[8] وانحسمت مادة الفريقين بعدها.

[دخـــول ذهبـــان]

وفي يوم الثلوث، في شهر رجب من هذا العام، التفّت الطغام وخرج القاضي عبد الله بن حسن العِكَام في قبائل ذو حسين ومعهم من أفراد ذو محمد وحطّوا

---

(١) **هَمْدان**: قبيلة ديارها في شمال غرب صنعاء.

(٢) **حَضُوْر**: جبل في بني مطر بالغرب من صنعاء، وقد يُقال له جبل النبـي شُعيب.

(٣) **الغِرَاس**: بكسر ففتح. بلدة لبني الحارث في شمال شرق صنعاء بمسافة نحو (٢٥) كيلو متراً.

(٤) **نِهْم**: بكسر فسكون. من قبائل بكيل. ديارهم في الحدود مع بني حِشَيْش وأرحب بالشرق الشمالي من صنعاء.

(٥) **أَرْحب**: قبيلة من بكيل، وتقع أراضيها في شمال صنعاء فيما بين جبال نِهم شرقاً وجبال عِيال يَزيد غرباً.

(٦) **بَوْعان**: بفتح فسكون من قُرى بني مطر، تقع جوار الطريق الغربية لصنعاء، علىٰ بعد نحو (٣٠) كيلو متراً.

(٧) **مَتْنَه**: بفتح فسكون ففتح. قرية وسوق لبني مَطَر، فيما يلي بَوْعان.

(٨) **المُوَاخاة**: عقد ارتباط لمواجهة الحوادث والصعاب معاً.

بذهبان[1] وانتهبوا أهله وسلبوا كل فرد حاله ومالِه، وقتلوا رجلاً من آل هاشم وأمسوا تلك الليلة، وخرج جماعة النساء والرجال مكشوفي العورات، وخربوا البيوت إلى يوم الخميس تاسع الشهر، والتفوا قضهم بقضيضهم إلى غربي بير العَزَب[2] ودخلوا قاع اليهود وقد كان فيها جماعة يسيرة من أصحاب الإمام فنهبوا نحو رُبعها، والإمام إذ ذاك بداره القريبة المعروفة بالبَهْمة[3] وأخبرني صاحبنا البدر محمد بن يحيى السُحولي أن علي بن حسن الأكوع[4] قال في إحدى هذه الليالي تَبقىٰ[5] أبواب صنعاء مُفتّحةً وتخرج التوابع عن صنعاء، لأن القاضي عبد الله قد تحدث بأنه سيفعَل ويفعل، وسمع هذا الكلام الوزير أحمد بن إسماعيل فايع فما زال في تلك الليلة دائراً في دائر[6] صنعاء مذكياً للعيون مُفرِّقاً للمال في جماعات لأنه سمع الوزير الأعظم علي بن يحيى الشامي وهو يقول: لعله قد حصل لعلي الأكوع خليفة، وكان قد اشتهر عنه التحدث عن العَلَم قاسم بن الإمام المهدي ما اشتهر لذا حرصوا على التثبّت وإذكاء العيون ولما حصلت هذه الإرجافات من القاضي وأتباعه وتعدّوا إلى بعض بيوت بير العَزَب فخرج الأمير ريحان ببعض من الجند فحصل هنالك شائبة قتال فتنكّبوا عن القاع إلى وادي عَصِر واستقروا هنالك نحو ثمان ليال يتخطفون ويقتلون، وهرب أهل الحواز وبير العَزَب إلى صنعاء، ثم راحوا عن عَصِر وقصدوا دار سَلْم[7] فوجدوها حصينة فعطفوا على سَنَاع وحدّه[8] ووجدوا جِمالاً للوقف مُحمّلة فراش جامع سنع ومسجد السيالي فنهبوها واستقروا بهذه المحلات بعد أن أخرجوا أهلها من بيوتهم نحواً من عشرة أيام وأحرقوا أبواب البيوت وطاقاتها وأتوا على ثمار الجوز، ثم وقع الصلح من الإمام علي ترحلهم وتسليم بعض ما هو لهم معتاد وتأخير البعض، وارتفعوا يوم الخميس سابع وعشرين رجب، وجاءت طريقهم غربي صنعاء ونفذوا إلى غربي الروضة فوجدوا

---

(١) **ذَهْبَان**: بفتح فسكون ففتح. قرية لبني الحارث في شمال شرق صنعاء.

(٢) **بير العَزَب**: منطقة كانت خارج سور مدينة صنعاء القديمة، وموقعها اليوم ميدان التحرير إمتداداً إلى قاع العُلفي غرباً المعروف سابقاً باسم قاع اليهود.

(٣) **البَهْمَة**: من أحياء مدينة صنعاء، ويقال له (بير البَهْمَة)، وهو جوار بين العزب. انظر الحجري: مساجد صنعاء ص (٢٢).

(٤) الوزير الشهير علي بن حسن الأكوع. انظر زبارة: نيل الوطر (٢/ ١٢٩)، وستأتي ترجمته في سنة (١٢٠٣هـ).

(٥) في أ: تُخَلّىٰ.

(٦) **دائر صنعاء**: سورها المحيط بها كالدائرة.

(٧) **دار سَلْم**: بفتح السين ثم لام ساكنة. قرية في جنوب مدينة صنعاء.

(٨) **سَنَاع وحَدّه**: قريتان في عرض جبل الطويل، بالجهة الغربية الجنوبية من صنعاء.

ماشِيَةً[1] أهلِها ترعَىٰ فانتهبوها وغزىَ منهم جماعة على أهل بني حُوَات[2] وأخذوا بيتاً من بيوتهم ثم خرجوا عنه وتقدّمت منهم شرذمة نحو الرحبة فحصروا بيتين من بيوتهم وأخرجوا مَن بها من المُرَتّبين وأمسوا تلك الليلة هنالك، وعزموا صبح يومهم متوجهين بلادهم المدمَّرة.

[النكبة بالوزير علي بن حسن الأكوع]

وفيها: في ثالث شهر رمضان من السنة، دخل الإمام من بير العَزَب وطلع القصر وقد أضمر في نفسه الوقيعة بوزيره ووزير أبيه علي بن حسَن الأكوع[3] فأجلّه في تلك الأيام حتى كان يوم الجمعة وأرسل إليه صَبَاحَها بمركوب عظيم من مراكبه ولما قضى صلاة الجمعة أمر بأن يركب على فرس أعظم منه حتى عجب الناس وتحدّثوا بأنه قد غلب عليه، وفي صبيحة السبت[4] نكّل به فطلب آل الأكوع كلهم ومن يتصل بهم من أعوانهم وأودع الجميع في السجن وقبض جميع ما معهم من الأشياء الظاهرة وألزم الأمير سرور أن يَبْقَى عليهم لتخليصهم، وجعل له في كل يوم خمسين قرشاً، وقبض جميع الخيل والدّواب وعيَّن على الوزير ستين ألف قرش وعلى سائر بني الأكوع أربعين ألفاً وصادرهم الأمير سرور جميعاً واستقروا بالحبس نحواً من شهرين وأُخرجوا، وكان أخو الوزير عبد الرحمٰن بن حسن الأكوع[5] مُكِبٌّ على فروع الزيدية فلم يعذره من الدخول معهم فتجمع من أصحابه جماعة وسَوّدُوا مكتوباً إلى الإمام يستشفعون لَهُ ويعتذرون أن ما له من ذنب، فحبس الإمام مَنْ ظَفر مِنْ أولئك الشكاة ولم يُخرِج واحداً منهم إلا بضمان أن لا يعود مراجعاً أو شاكياً لأحدٍ منهم فضمنوا وأُطلقوا، وكان علي بن حسن الأكوع قد بدرت منه بوادر منها عدم الضبط لأحوال بكيل بعد التظهر بأنه لا يقوم في وجهه أحدٌ منهم، ومنها استخفافه بجانب الخليفة، ومنها الكِبْر فإن رأى أن لولاه لمَا قام الأمر، ومنها ما قدّمناه قريباً من تحدُثه بفتح أبواب صنعاء تلك الليلة، ومنها استِزْراؤه بإراء من سواهُ سَيَما إن كان مَنْ له الرأي من أصحاب الخليفة المنصور بالله، ولقد سمعتُ الفقية الحسن بن علي حَنَش[6] يقول: كنت بموقف الإمام بدار البَهمة وقد

---

(١) **الماشية**: الحيوانات.

(٢) **بني حُوَات**: من قرى بني الحارث في شمال صنعاء.

(٣) تاريخ أعلام آل الأكوع ص (٩٩)، هجر العِلم (٤/ ٢١١٩)، البدر الطالع (١/ ٣٣٥)، نيل الوطر (٢/ ١٢٩).

(٤) جاء في هامش النسخة ب: بل الربوع.

(٥) هجر العلم (٤/ ٢١٢٠)، البدر الطالع (١/ ٣٣٥)، نيل الوطر (٢/ ٢٦)، تاريخ أعلام آل الأكوع.

(٦) نيل الوطر ١/ ٣٤٨.

خرب جدارٌ من جدران البساتين فدخل علي بن حسن وقال كيف تسكت عن هذا وهو ثلمة في الخلافة؟ قال فرددت عليه وقلت له ليست الخلافة جداراً مثلوماً.

قلت وكان التشيع المفرط دأبهم والغلوِ المجاوز وكان أكثرهم إنما نهمته سب السلف والحط على الأكابر والتظهر بمحبة الال وهذه المحبة أفعال قلبيّة أظهارها بين الناس والتحدث بها كمثل ما يتحدث الإنسان للناس أنه صائم فبئس ما صنع والله أعلم بما في القلوب، ولقد أجاد محمدُ بن حسن دِلامه الشاعر في وصف تلك النكبة فقال:

قـــل لبنـــي الأكـــوع إن الـــذي	أبـــادكـــم نجـــلُ أبـــي طـــالـــب
بـــاللّفـــظ قلتـــم نحـــن شيعيّـــه	وليـــس ذاك القـــول بـــالصـــائـــبِ
كـــم مـــن فقيـــر مـــن بنـــي هـــاشـــم	رَوَّعتـــمُ يـــاقـــدوة النـــاصبـــي
وقـــد أتـــى المـــاجـــد رب العُلـــىٰ	المنصُـــور ســـاقـــي الســـم للكـــاذِبِ
فقـــال منكـــم معلنـــاً ملكـــهُ	وليـــس بـــالنـــاهـــب والغـــاصِـــب

ونسأل الله العفو والتجاوز عن ما لا يرضاهُ.

[تولّى الغَشم بلاد يريم]

وفيها: رفع الإمام عن ولاية يريم محمد بن عبد الله بن محسن بن حسين الهاشمي كما قدمناه لضعف عزيمته، وحدثت في أيامه فتن لم تُحسم لها مادة، ونفذت مشائخ بني القوسي بمحطةٍ من الحَدا على بني الصوطي فصاولوهم ولم يظفروا منهم بطائل فسكت عنهم ولزم بيته، فعَقدَ المنصور بالولاية للفقيه علي بن يحيى الغَشْم فغزَى بني الصوطي إلى القَفْر وكانوا متمنعين سِيَمَا مع ما كان لهم من التمنع على قبائل الحدا فإنها عظمت نفوسهم وأظهروا الفساد فالْتأم لغزو علي بن يحيى الغَشْم بعض الحال. وحَدثت في أيامه شجارات بين الرعيّة وبين الشيخ محسن مُرّه نائب الخزان أحمد بن إسماعيل الفضِلي فوصلوا شاكيْين إلى المنصور فلم يُنصفوا وأعادهم إلى البلاد مضبوطين وصحبتهم السيد علي بن أحمد الكبسي محاسباً بينهم وبين الخزان الشيخ محسن مُرَّه، ونزلت رُسُل على الرعيّة والمشائخ، ولزمت الرعيّة بسبب ذلك غرامات عظيمة. وأعقب ذلك طلوع أهل مدينة يريم شكاه بعلي بن يحيى الغشم وتظلّموا إلى الإمام من ظلمه وعسفه وجَوْره، فخلعه عنها في عام أربع ومائتين كما سيأتي بيانه.

[القاضي حسن الحسوسه]

وفيها: أمر القاضي حسن الحسوسه على التوسط للقبائل، ولم يبق إلا أيام قلائل نحو ستة أو سبعة أشهر ثم خُلِعَ، وكان من الوزير الأعظم علي بن يحيى الشامي منافسة بها تسبب لخلعه وأدْلىٰ بما كتبه الشيخ حسين خليل من بلاد جبلة وهو العامل عليها أن القبائل ذو محمد وصلوا برقاع مسودة في الواسطة فيها زيادة على معتادها.

[الجَوْر على ذَيْفان]

وفيها: أعلن الفساد وأظهر الطغيان قبائل ذيفان[1] وسَرَى الشر والفَساد إلى قبيلة عَقَبات وجَوْب عَمْران[2]، فسار عن رأي الإمام السيد أحمد جحّاف صاحب حَبُور والسيد علي الشرعي فجاءت محاطهم علي جَوْب لمقاتلتهم فحطّوا عليهم ثلاثة أشهر ولم يَنْجع فيهم فسيّر الإمام عمه أحمد بن المنصور بالله الحسين[3] في شهر ربيعٍ فتقدم علي جوب فضايقهم حتى خرجوا متسلمين، وأما أهل ذيفان فانقادوا للصلح وقُتِل مع السيف أحمد بن المنصور في جوبٍ أمير الخيالة سَعْد مُوَلَّد، وارتفع السيف الصفي إلى المنصور صنعاء وأبقى هنالك عاملاً فتاه مرجان أحمد.

[خروج حَبّار علىٰ إبراهيم بن محمد بن حسين]

وفي شعبان من هذا العام سارت قبائل أرحب على الأمير إبراهيم بن محمد بن حسين[4] فوصلوا باب شبام يوم الربوع لأربع بقين من شهر شعبان، وفي الخميس كان المصاف فَجهّز إبراهيم بن محمد عليهم علي بن محمد بن حسين في خمسين رجلاً فحملت عليهم أرحب فثبتوا لهم وانجلت المعركة عن قَتْلَى، وفيها يقول الأستاذ علي بن إبراهيم بن عامر من قصيدة امتدح بها الأمير إبراهيم.

ومـا وردت حَبّـار إلا تـوهمـاً	علـى ظَمَـأٍ أن السيـوف جـداول
فقـد صـدرت عنهـا رِواءً لـو أنهـا	صفت مشربـاً واستعـذب الـري نَاهِـل
محت أسطراً خُطَّت نحـو شان منهـمُ	بـألْسنهـا قـد أعجمتهـا عَـوَامِـلُ
فلـو جنحـوا للسَّلـم مـن قبـل تُنْتَضَـى	لمـا فـارقـت منهـا الـرؤُس الكَـلاكِـلُ
ومجَّـت لعـابـاً لافحـاً فـي وجـوهها	أسـاود روم للحتـوف تـوافِـلُ
فـواغـر أفـواه الثعـابيـن كُلّمـا	نفخـن قَتَـامـاً تُسْتَطـار مشـاعِـلُ
حكـى شكلهـا الحيَّـاة لكـن صفيـرهـا	زَئيـر وفـي الأحشـاءِ منهـا الغـوائـلُ
كَـراسيُّهـا أذنـابهـا وعيـونهـا	وراءً ولا تخفـى عليهـا المقَـاتِـلُ
فمـن لاذ منهـم بـالمتـاب فـأَمِـن	ومَـنْ سَلَـك العَميـاء منهـم فَـوَاكِـلُ

---

(١) ذَيفان: من قبائل عِيَال سِرَيْح، وديارهم في نواحي رَيْده.

(٢) عَقَبات: قبيلة ومنطقة بالقرب من ذَيْفان. وجَوْب: ـ بفتح الجيم وسكون الواو ـ قرية في جبل عيال بزيد، تبعد عن عمران بمسافة (١٥) كيلو متراً.

(٣) نيل الوطر (١/ ٩٨).

(٤) إبراهيم بن محمد بن حسين أمير كوكبان. انظر زَبَاره: نيل الوطر (١/ ٣٦). وستأتي ترجمته في حوادث سنة (١٢٠١هـ).

[علي بن حميد المُنجِّم]

وفيها: يوم الإثنين رابع عشر محرم، توفى علي بن حميد المنجم[1] عن سن عالية وكان مدركاً للحساب وسير الكواكب حاكماً بها جازماً، خالطه الكثير من أهل الفن وأقروا له بالسبق فيه، صحب أبا عبد الله يوسف بن صلاح القاسم المنجم الشهير وأخذ عنه؛ ويُقال أنه أدرك شرف الدين القاسم ولم أر أحداً صحح ذلك، وأخذ عنه جماعة من المشتغلين بعلم الحساب، منهم محسن بن عبد الله بن مفضَّل الوزيري الهاشمي. وعنه حسن القاضي وحسن بن إسماعيل السنيدار ومحمد بن إسماعيل النهمي وغيرهم.

وكان فرداً في تقرير حركات الفلك وحساب الأزياج لا مثل له مع كمال ورصانة. كتب إلى الإمام المهدي العباس: إني أرى في تقويم هذا العام بخاسة المكاييل وأخاف غلاء السعر، فأوّل الإمام ذلك الوسواس ببخس الكيالين فأمر بمكاييل المسح أي عرض على فم المكيال حديداً مطروقاً فكانوا يملأون المكيال ويمسحونه على الحديد فلا يحصل تطفيف على المشتري. وكتب إلى الإمام مرةً أخرى: في تقويم هذا العام مشاعيل تتقد على رؤوس البانيان وأرى لهبها متقداً من أجسامهم فألبسهم الحمرة وبدَّع بهم واستغاثوا به من بعد فأعفاهم عن قمص الحمرة إلا العمائم فلم يعفهم منها فكانت سُنةً جارية في أعناق الذين كفروا.

نهي الشارع عن إتيان المنجمين

واعلم أن علم الحساب وسير الكواكب على قديم مُعتبر لكن محقه صاحب الشريعة الغراء ﷺ وحذر منه ومن أهله. وفي معجم الطبراني بسند رجاله ثقات أن النبي ﷺ قال: «من أتى كاهناً أو منجماً صدقه أو لم يصدّقه فقد كفر بما أنزل على محمد». فانظر إلى هذا الوعيد الشديد في إتيان المنجمين والكهان سواء صدّقهم الرجل أو لم يصدقهم. فنعوذ بالله من ذلك ونسأله الهداية فإنا بما أُنزل على محمد مؤمنون. وسألت محسن بن عبد الله بن المفضل المنجم عن صاحب الترجمة فقال لي: كان إماماً في علم الفلك حاكماً به، فقلت: لا أسعده الله. فقال لي: لا تقل هكذا فإن علم النجوم أول ما علمه الله تعالى آدم. فقلت: كلا. إنه كان يروَى لنا في ذلك أحاديث.

قلت: ولعل ما كان يرويه لهم هو حديث أخرجه ابن أبـي حاتم عن حميد السامي في قوله تعالى: ﴿وعلّم آدم الأسماء كلها﴾ قال: علّم آدم أسماء النجوم، لكن ليس فيها مستند كما ترى.

---

(١) نشر العرف (٢/١٩٦).

[يحيى بن حسن بن إسحاق]

وفيها: في ثامن وعشرين محرم، توفي يحيى بن الحسن بن إسحاق بن المهدي أحمد بن الحسن ابن القاسم بن محمد رضي الله تعالى عنهم[1]. كان من أوعية المعارف جواداً كريماً، لَهُ يد في الآلات ومعرفة بالتفسير. اعتراه الذهول والنسيان. فربما فعل الشيء وظن أنه لم يفعله. وإذا أُريد منه البحث في أي كتاب لم يهتدِ إلى صواب. فإذا روجع باللسان أبان عن معرفةٍ وتبيان. وكان أعجوبةً في الحفظ لمعارف العلم مع استيلاء الذهول على فكره. أخذ عن المجتهد البدر المُنير محمد بن إسماعيل الأمير وحضَر درسه الحَفل. وعنه القاسم بن حسين بن إسحاق. وأخذ عن شيخنا علي بن إبراهيم عامر فأَسْمَعَ عليه العِصْمة في أصول الدين للحسن بن أحمد الجلال الهاشمي وأكملها فراح بعد كمالها علي بن إبراهيم مكة المشرفة فرآه في المنام وهو يقول نفعتنِي بتلك القراءة، فلمّا عاد من سفرته وجده قد مات رحمه الله تعالى. وحضر درس الجهبذ الأستاذ عبد القادر بن أحمد وكاتبه بأدبه الغض، فمن أفانين سحره ومستعذب نظمه ونثره ما كتبه إلى شيخنا عبد القادر بن أحمد:

بسم الله الرحمٰن الرحيم

حفظ الله للأنام وجيهاً عزّ فيهم شبهٌ له ومناظر
شيد الله اسمه فوق بنيا نِ الأعالي من الورَى والأكابر

المولىٰ الذي امتاز باعتبار الأخبار، وحاز درجة الاشتهار، ببذل عوارف الليل والنهار، طود العلم الراسخ، وشاهق المجد السامي الشامخ، وغصن دوحه الباذخ، العلم المفرد، وجيه الدين عبد القادر بن أحمد، لا برح بدر علمه طالعاً في سماء الكمال، مسفراً بأنوار الوجاهة محفوفاً بهالة الجلال، وأُنهِي إليه السلام الأعطر، المُفخم بنفحاته نوافح المسك الأذفر، وأُعطّر بأَرَجِه أرجاء ساحاته العليّة، وذورته المطهرة الوجيهية، التي هي مجمع العترة الكرام، ومطلع بدر المجد التام، لا زالت مَعَاهده مُعَاهدة بعهاد الأنعام، مكلوةً بعين العناية الصمدانية في حوادث الأيام. أما بعد فصدور الحقيرة نائبةً في إهداءِ السلام، وسنَى الإكرام، مصحوبة بأبيات ساحبة أذيال الحياء والخجل، متوارية بالتماس أسبال الستر والإغماض عن الخَطأ والخَطل، منشدةً في مقامٍ تُستَقل فيه العَثرات العظام، وتستمد الإغضاء والتجاوز كما هو مركوز في طباع الكرام.

فهناك أن تَرَ ما يشينُ فوارهِ كرماً وأن تر ما يزين فافشِه

---

(١) نشر العَرف (٣/ ٣٢٠)، أعلام المؤلفين الزيدية (١٠٩٥)، هجر العلم (٣/ ١٥٨٨).

وهذه الأبيات سلك المحبُ في نظمها البديع، بديع التشريع:

صب تهيج شجونه بسجوعها ورق الحمايم
إن غرَّدت بغصونها شاقت معنى القلب هايم
مُضْنَى على شرط الوَفا في الحب لم يبرح ملازِم
يخفي الهوَى ويصونَهُ عن كاشح في الحب لايم
لولا شهود دموعه ما زال للأشجان كاتِم
لكنها هملت على خدى من جفني غمايم
شوقاً إلى ظبي الصَّرِيم مُورَّد الخدّين ناعم
يا طيْب أوقاتٍ بِه كانت للذاتي منواسِم
أحسوا بها خمراً للمّا من ثغر ساحي الطرف ساجم
فكأنها مدح الوَجيه أبي العلا خير المكارِم
الحبر عبد القادر المحمو د. فياض المكارم
بحر المعارف منتقى ال أعلام من خير الصمايم
لله درّكَ يا وجيه الجاه يا ماضي العَزايم
أخبار جودك أبطلت ما جاء عن كعب وحاتم
فاقصد إلى ساحاته كَيْمَا تَنَل أسنَى المغانِم
لا زال في العلياء مُرْ تقياً إلى أوج النعايم

فأجاب الوجيه الأستاذ عبد القادر بن أحمد بأبياتٍ منها التشريع كما قدَّمنا:

مافاحَ طيب شذا الصَبا إلاّ صَبا نحو المعالم مُغرمٌ مشتاق
وأباح سفح الدمع في سفح الأحبة ما يكاتم قلبُهُ الخفّاق
ما العيش إلا لإمْرءٍ سكرانَ من خمر المباسم ما له أفراق
ومهفهفٍ كالبدر من أنواره نور الكمايم لم يُشْبهُ مَحاق
هُو علتي وتعلتي مهما يحارب أو يسالم ليس لي إطلاق
فإذا بدا اختفت الغزا لة فهي في سُجف الغمائم ما لها اشراق
وعذرت فيه كأنه قول ليحيى في العوالم زال منه شقاق[1]
نظماً له فَطْماً لَهُ فكأنه غيث لشايم وابلٌ دفَّاق
مذ أعربت ألفاظُهُ عن لحن أصوات الحمايم زُيْنَت به الأوراق
حاز المناقب حين حا ز مراتباً فوق النعايم دونها السُبَّاق

---

(١) زيادة من: ب.

فبعلمِـــــهِ وبنظمِـــــه يَـزِدان نَجْـدٌ والتهـايـم بَعْـــــدُ والآفـــــاق
لا زال يسعَـــى نحـــوَهُ ما يشتهي سعي الرواسم دأبهـــــا الإعنـــــاق

وقد امتدح السيد صارم الدين إبراهيم بن محمد بن حسين وترجمه ولده العلامة العماد يحيى بن إبراهيم في «الدر المنضَّد بممادح إبراهيم بن محمد» وأورد له أشعاراً في والده بعضها مُنْتَحل وليس بالمقصود للمترجم له الانتحال ولكنه يأخذه الذهول فيمدح فيعطيه حِفْظَهُ شيئاً فيكتبه وهو لا يشعر أن القائل له غيره، ولقد بلغ من ذهوله أن فتح كتاباً وهو قائم فما زال يُقلِّب أَوْراقه حتى أتى على آخره من وقت الظهيرة حتى غربت الشمس فأيقظه أهله من سِنَة ذهوله.

وكساه الإمام المهدي في عيد الأضحى فلبس الكسوة ونسِيَ العمامة فخرج على رأسِه القاوق فلقيه بعض أصحابه وردّه إلى بيته وخشي أنه إن تركه عاد عليه الذهول ومشى كذلك بلا عمامة.

وهذه القصيدة التي أوردناها له مما قاله في أخريات أيامه فإنه كتبها في العشر الوسطَى من شهر رجب عام ثمانية وثمانين ومائة وألف رحمه الله تعالى ومن محاسن شعره قوله:

رَجونـا الأمـاني حيـن كـانـت وعُـوُدهـا لنا عن أبـي يحيـى نُقُوشاً على صَخْرِ
إذا وعـــدتنـــا منـــه وعـــداً نفـوسُنـــا قبضنـا بـأيـدينـا علـى ذلـك الأمـرِ
إليـك فـريـدَ الـدَّهـر أهـدى قـلائـداً لـديهـا يتيـم الـدُّر يـوصـف بـالقَهـرِ

وحدّثني عنه شيخنا الأستاذ علي بن إبراهيم عامر أنه قعد بين يديه في جماعةٍ يديرون كلاماً في الاتباع أنّه يؤتىٰ بلفظ واحدٍ بعد الأول ولا يصح أن يفردَ. قال: فـاعترض بـأن أبا عبيد ذكر في الغريب الإتباع بلفظين وأنه يُقال حَسَن بَسَن قَسَن، وأمّا أنـه لا يصح أن يُفـرد فاعترضه بـأن ليس ذلك على الإطلاق فمن الاتباع ما يمكنُ أن يُفرد كما في قولهم: غني مَلِي، وجديد قشيب، وخايب هايب، وخفيف دفيف أي سريع.

وَدَخَلَت سَنَةُ أَرْبَعٍ وَتسْعِينَ وَمائَةٍ وَأَلْف

فيها: عقد الإمام بولايات الجماعات وخلع آخرين، فعقد بولاية حُبيش لإسماعيل بن ناصر حيدرة الهاشمي في شهر جمادى، وعقد بولاية حُفاش لأحمد بن محسن الحيي في شهر الحجة. وعقد بولاية عتمة لأحمد بن علي زبيبه الهاشمي.

وفيها: خلع عن حراز الأمير محمد ذو القفار.

وفيها: خلع عن قعطبة أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم، وخلع عن عتمة محمد بن أحمد الأخفش.

وفيها: أطلق الإمام علي بن قاسم حنش من دار الإعتقال وكان بسجن الإمام المهدي العباس رحمه الله تعالى لأمورٍ صدرت قد ذكرناها في ترجمته بكمالها[1] وذكرنا الأسباب التي تعلق بها عند الإمام المهدي وذكرنا شيئاً من مجريات أحواله وشيئاً من شعره وأمثاله.

[خلاف علي بن أحمد إسحاق وخروجه من صنعاء]

وفيها: خلع لطاعة الإمام عن عنقه السيد علي بن أحمد بن محمد بن إسحاق بن المهدي أحمد بن الحسن بن القاسم بن محمد[2] فهرب عن صنعاء وكان لخروجه موقعٌ في النفوس مهيل لأنه أجابه خلقٌ لا يحصون، فخرج على فرس مغمراً في خروجه بأنه مُستدعَى لحضور وليمة جعلها لولده إسماعيل وقدّم قبل هذا بين يدي الإمام معذرة هي أن أهل الزوجة بِذَهْبَان، وكان لا يزال يرسل بشيء من متاعه ومحتاجه إلى بلاد أرحَب على كتم شديد، واستدعى جماعة من آل صُوفَه أهل برط[3] فوصل إليه بعضهم متخفياً فأسرّ إليه حاجته فقضَاها وكتم أمرها وأخفاها ولما قارب المسير وعزم على التغيير طلب من الإمام مركوباً يخرج عليه فأعطاه، فخرج عن صنعاء وأخذ السير ولم يظهر أمره إلا من آخر ذلك اليوم، وأظهر للقبائل أنه خرج غضباً لله تعالى ولأرحامه. وكانت بينه وبين الوزير الأعظم علي بن يحيى الشامي منافسة لأمور دنياوية فحدّثني الصاحب البدر محمد بن يحيى السحولي عن والده أن علي بن أحمد ما زالت منه الشكوى المَرّة بعد المَرّة من زياد الحبشي لمّا تولى بلاد حَيْس لتعلله شركائهم القائمين على أموالهم كان يُفرِّق عليهم أموالاً لا يحتملونها ولم يحصل لهم إنصاف من علي بن يحيى وهو المتوسط على أمور آل إسحاق، فأضاف علي بن أحمد أعيان الدولة فنزلوا عليه وفيهم يحيى بن محمد بن عبد الله قاضي الديوان[4] ومرجع الحكام يحيى بن صالح السحولي وعبد الله بن حسن بن علي بن المتوكل وأكابر الناس. وممن استدعَى علي بن يحيى فلما حضرت العصر انفرد بيحيى بن محمد ويحيى بن صالح السحولي وعبد الله بن حسن وبث عليهم الشكوى من الوزير وأنه قد رفع أمره إلى الإمام فأرجعهم الديوان،

---

(١) ستأتي ترجمته في سنة (١٢١٩هـ).

(٢) نيل الوطر (٢/ ١٢٠).

(٣) **آل صوفة**: من قبائل بكيل، ديارهم في جزر والدعاص من برط. وهم فخيذة من آل صلاح بن كول بن أحمد بن سويدان.

(٤) انظر عنه: زبارة. نيل الوطر (٢/ ٤٠٠).

فتوجّع من ذلك عبد الله بن حسن وساعد علي بن أحمد فقال يحيى بن محمد: اسكت يا عبد الله فكلامك هذا خطأ لا يقوله اليهود، ويحيى بن صالح يقول له مع حضوركم الديوان: تُفصل الأمور، فوصل في تلك الحالة علي بن يحيى الشامي واستأذن فحجبه طويلاً مع إذنه له بالدخول في جملة العامة المدعوِّين ثم فر بعد ذلك كما قدمنا واستقر ببلدة شعب[1] معسكراً هنالك وكان يريد أن ينضم إليه وجوه آل إسحاق وبعض الأكابر فتخلّفوا عنه إلا اليسير، ولم يتمكن له كلمة.

وكان شديداً الأدمة، ضخماً رُبعهْ، فيه تشيع مفرط. كتب إلى جماعات من الأشراف يستميلهم ويمنيهم فنفروا عنه، واستشار كثير من وجوه القبائل في محط رحله فأشاروا عليه باللحوق بوصاب ليتقوّىَ بها فأبى وتحصن بشعب وفي نفسه من وصاب إلا أنه لم يجد النصاب.

وكان قراره في أرحب في شهر رجب من هذا العام، وجاءه الخبر بأن المنصور قد جمع عليه ألفافاً من القبائل فاغتمّ لذلك ووجم، وجَهّز الإمام عليه الأمير سرور في جَيش كثيف من البطانة والسيد المجاهد عباس بن إسماعيل في قبائل خولان وآل خليل بهمدان فضبطوا أطراف الحدود في الجاهلية[2] وحطوا بأثناء رمضان، وخرج الأمير زياد فوصل إلى الروضة وعاد وما زالت المحاط مناجزة إلى أثناء شهر الحجة من ذلك العام ببني جرموز[3] وحصل بين الفريقين حرب لم ينجح، وذكرنا عَوْد الأمير زياد من الروضة لأنه توجه من حضرة الإمام على علي بن أحمد، وكان بينهما بعض مواحشة فَطلب زياد القدوم علىٰ المذكور وضمن للإمام ضبطه، وبلغ علي بن أحمد خروجه من صنعاء فقال: والله لو فارقها لفارقها يريد أنه كان قاتله وكان يسميه في أهله زياد بن أُبيه حطًا عليه ونقما. وكتب منها إلى القاضي يحيى يتوجع من علي بن يحيى الشامي ويقول: ورضينا لو أبدلونا بالشامي عراقي، وفي عُرف أهل صنعاء السابق إلى أفهامهم أن العراقي اليهودي؛ لذا حسنت هذه التورية في مقام التوجع.

ولمّا طال مكثه عزم الإمام على أن يرسل إليه حاكمه يحيى بن صالح السحولي وأخاه قاسم بن المهدي وإسماعيل بن إبراهيم بن المهدي وغيرهم من الأكابر لحسم المادة بدخوله صنعاء مع إجابته إلى جميع المطالب، فاشترط على الإمام خيلاً وعبيداً ودراهم تُجرَى له في كل شهر ومصرَّفات لمن يعول ترَى، وكيلات، واستماع

---

(١) **شعب**: منطقة في أَرْحب.

(٢) **الجاهلية**: محلة ببلاد همدان في شمال صنعاء.

(٣) **بنو جرموز**: منطقة من بني الحارس، تبعد عن صنعاء شمالاً بنحو ٢٥ ك.م.

الشفاعات، والإنفراد بوصاب وحَيْس، وليس للدولة إلا الكاتب كما كان العهد عليه مع الآباء. فأجابه الإمام إلى ذلك المرام، فاشترط آخراً البقاء بأرحب فأمهله الإمام وتركه في العناء.

وقد سقنا أخبار علي بن أحمد علىٰ حوادثها وما جرَى له بتلك النفرة، وأتينا على أخبار صلحه وما كان منه فيما يأتي من تاريخنا هذا[1]، وأطلنا القول.

ولمّا سار عن صنعاء وهو أول متخلف خرج على المنصور ظن الناس ظنوناً في أمره وقال الأستاذ شيخنا علي بن إبراهيم بن عامر بعد أن ورد عليه إلى داره فما رأى بها أحداً فسأل عنه فأخبر الخبر فقال:

وقفت على دار الأحبَّة موهناً ... أسائل والمسؤول غير مجيبِ
تحدِّثنا والصمت فيها جبلةً ... حديثاً وعيناه بفهم قلوبِ
تقول أقاموا للسرَىٰ أعوجيةً ... تشق أديمي حندسٍ وسهُوبِ
إذا انِسُوا فما علوا كل سابحٍ ... وهَزَّتهموا أكوار كلِّ نجيب
ولو أن مطلوباً لهم متعلقٌ ... بكيوان نالوه منال قريبِ
إذا صدّقوا ما كان لي من مَخيله ... فلم يك ظنّي فيهمُ بكذوبِ
ولا بدّ من يومٍ يطير شرارُه ... فيصلَى العِدَى فيه بحر لهيبِ
يسيرون والأعْداء خزر عيونها ... ولحظ الردَى يرنو بعين رقيبِ
يخوضون أثباج الدياجي ولم يكن ... لهم وزرٌ إلاّ ذوات كعوبِ

[قتل الأمير زياد ووصيته]

نعم عاد الأمير زياد باستدعاء الإمام المنصور له إذ كانت في خلال مناجزة علي بن أحمد قد خرجت من باب صنعاء قبائل خولان مغاضبين ونهبُوا حمائل التجار من الطريق عدني مدينة صنعاء، وأغار على القبائل المنهوبة قبائل سنحان وتبعوهم حتى بلغوا قرية أَسْنَاف[2]، واجتمعت بهم قبائل أسناف في يوم شديد بأسه واقتتلت الطائفتان وسلبت الحمائل عن خولان، فعقب ذلك خروجهم في شهر رمضان معلنين للطغيان مُعْتَلِّين بقطع مصاريفهم من المنصور فوصلوا بلاد آنس وانتهبوا من وجدوه من أهلها، وخَوّفوا المسافرين وقطعوا السبيل، فأرسل عليهم المنصور زياداً وكان مُهاباً مِقداماً فخافت القبائل الجيوش المنصورة فكرُّوا راجعين نحو بلادهم، فسار زياد على قدم العجَل إلى

---

(١) ستأتي ترجمته في سنة (١٢٢٠هـ) وفي سياقها الحديث عن ذلك.

(٢) **أسناف**: قرية في وادي اليمانية السُفلىٰ من بلاد خَوْلان العالية. تبعد عن صنعاء شرقاً بمسافة نحو (٤٠) كيلومتراً.

الشَّرَزَه[1] وتَخلّف عنه أكثر أصحابه لتأخيره لهم، وتقدم الليل بنفسه في نحو عشرة أنفار وراح على بغلته فكانت الدائرة عليه فأحاطوا به فقتلوه وقتلوا صهره ابن بقراط ورجلاً من عبيده، وتخطف بقية أصحابه جماعة من خولان من الطريق فغلّوهم بالحديد وساروا بهم إلى الإمام، فاستدعىٰ حاكم حضرته القاضي يحيى بن صالح السحولي واستفتاه ثم أمر بضرب أعناقهم. وتتبعوا بصنعاء جماعات خولان فوجدوا بالجامع الشيخ محمد حسين الفهدي فجاءوا به فأمر بضرب عنقه معهم، فكانت جملة القَتْلَى من خولان ثلاثين نفراً وعُلِّقت رؤوسهم بباب اليمن وأصلح الإمام شأن علي بن أحمد بن إسحاق بهدنة ستة أشهر، وراح إلى شِراع[2] فبقي بها وارتفعت المحاط.

[توسط الشيخ محمد خليل علىٰ بكيل]

وفيها: خلع الإمام عن واسطة الباب القاضي حسن الحسوسة للسبب الذي قدمنا في سنة ثلاث وتسعين وأقام على القبائل الشيخ محمد بن أحمد خليل[3]. وكان أبيض طويلاً ذا دهاءٍ ومكر وخداع، بصيراً بالأمور معقباً في شأنه، فقام بالأمر على التمام وثبت ثباتاً بيناً. وَوَسطه على تعز والحُجريّة وقَعْطبة ورَدَاع وغيرها، وانثالت عليه قبائل حاشد وبَكِيل ويام فتصدّر للعظائم. وقد أتينا في كتابنا هذا على بعض أخباره مما ستقف عليه[4].

[أحمد بن محسن مُغلّ]

وفيها: حصلت الشكاية بعلي بن يحيى الغشم متولي البلاد اليريمية فخلعه الإمام عنها في شهر شعبان وقلّد الولاية أحمد بن محسن مُغلّ الهاشمي فكان واهي العزيمة ضعيف الرأي سيء التدبير انبثق عليه قفر يريم، وأظهر في أيامه بنو سيف الأسفل وبنو مبارز الخلاف، ونشأت فتنة عظمى بين بني سيف الاعلا وبني سيف الأسفل، وانتهب أحد الفريقين منهم الآخر وضيْعَت السُبُل وكثرت القَتْلَى، فخلعه الإمام لوهي عزيمته ورجّح الإمام أن يكون الحافظ لها إذ ذاك الأمير المجاهد يحيى بن محسن حنش للنيابة حتى ينظر لها مَنْ يَراه، فضبطها وقرر أحوالها وساد وقارب فارتفع محله عند الإمام وعقد له عليها عهداً في الآتى من العام. ورفع الإمام عنها الحاكم مهدي بن حسن الكبسي في أوائل هذا العام وأولىٰ الحكومة القاضي حسن بن حسن العفاري وطالت به المدَّة فيها.

---

(١) الشَرَزة: بفتحات. قاع في شرقي سَنحان.

(٢) شِرَاع: بكسر ففتح. قرية في بلاد أَرْحَب.

(٣) نيل الوطر (٢/ ٢١٩).

(٤) ستأتي ترجمته في سنة (١٢٢٠هـ).

[كتاب من سُلطان عُمَان]

وفي هذا العام: وصل كتاب من سلطان عُمان إلى بندر المخا وبها الفقيه علي بن صالح العمّاري متولياً، يشكو السلطان بِدَعاً عديدة ببندر المخا والحديدة، وقد أثبتنا كتابه هنا لحسن بلاغته وجُودة فَصاحته، وألحقنا به جواب عامل المخا. ولفظ كتاب السلطان:

«من إمام المسلمين ورأس المجاهدين أحمد بن سعيد، أسعده الله بتقواه، وسلك به إلى رضاه. إلى عالي الجناب، وصفوة الأحباب، العالم النبيه، والكامل الفقيه، والعامل الصالح، علي بن صالح، سلامٌ عليك أرَقّ من ماء الغمام، وأطيب من عرف الخزام. وبعد فإنا نحمد الله على كل حال، ونصلي ونسلم على سيدنا محمد وآله خير آل، ثم لِتَعلَم أيها الرجل العاقل، واللبيب الكامل، أنه اتّصل بمسامعنا العليّة، وبلغ إلى سدتنا السنية، من رعايانا المترددين إلى بنادر اليمن، ممن يتكسب بالتجارة وهي المكسب الحَسَن، بأنه أبدع عليهم بِدَعاً عديدة، بعضها في بندر الحديدة، وبعضها في بندر المخا، المحفوف بالخير والرّخاء. وكنا في شُغل بالجهاد لأعداء الله تعالى من الطائفة الافرنجيّة، محتفلين بتجهيز الأجناد والعسكر، في جانبي البحر والبر، واستطالت المنابذة في العامين الأولين، حتى مَنّ الله تعالى علينا بالنصر والظفَر، فأخذتهم جنودنا المنصورة أخذةً رابية، ولم يبق لهم في البحر ولا في البر باقيَة، ولذا لم نكتب إليكم في الموسمين بما شكاه رعايانا، ولا انبهناكم بما وقع عليهم من الضيم وهم في كنف حمانا. ولقد كدنا أن نَهم بتجهيز بعض أفلاكنا المعدودة للقتال، بشحنها من المال والرجال ونُوجهها إلى بنادر اليَمن، لا بغياً على أهلها، ولا طمعاً في أخذها، إلاّ أن جزآء سيئة السيئة مثلها. وقد علمت أيها الكامل، غب الفتنة، ومآل عاقبة المحنة، وما سُفك فيها من الدّماءِ، ويُستحل من الدّهماء فأذهب بعض غيضنا، وسكن ما كاد أن يطيش من حِلمنا، ما أخبرنا به الولد ماجد من كمالك، ووفور عقلك، ونباهتك، وشُكر الرعايا إياك، بحسن المعاملة، والعَدل الذي به توفر الخيرات، وتنمو بفعله البركات. فاءنّا مع ما بلغنا أَذِنَا لمن لم نأذن له بالتجارة في البصرة، بأن ينفذوا إلى بَنَادِركم بالتجارة، ووفرنا إرسال الخشب إلى المخا للبضائع المختارة، وليس ذلك إلا لوصف الولد ماجد وغيره من الوافدين، ولمّا تحققنا رجاحة مكاتبتك، وصح لنا حسن ملاحظتك، وجَّهنا بكتابنا هذا في مركبنا (فتح الخير) صحبة الولد راشد بن ماجد، وأوصيناه مشافهةً بما يلقيه إليك، ويتلوه عليك، فإن ينحسم الشقاق، ويحصل الوفاق فَنّعما هو وإن يكن إلاّ ما قد كان، فقد أعذر من أنذر.

ولا الكتب إلا للمشرفية عندنا ... ولا رسل إلا الخميس العرمرم

والله المستعان، وعليه التكلان. حُرر في شهر ربيع الأول سنة ١١٩٤ أربع وتسعين ومائة وألف.

ويتلوه جواب علي بن صالح العماري؛ قال:

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد الأنام، وعلى آله حلفاء الحق بنصّ الكتاب، وقرناء الذكر بلا ارتياب. إلى حضر الإمام الماجد، المجيد، أحمد بن سعيد، شيّد الله تعالى مجده، وأدام سعده. وبعد فإنه وصل الرقيم، والمكتوب العظيم، وفهمنا ما شرحتم، وتصفحنا ما ذكرتم، وصرحتم بشكوى رعاياكم، ممن يفِد إلى البلاد الإماميَّة، من تلقائكم. فاعلم أبقاك الله تعالى وتولاك، أن لليمن ملكاً يَتحامىٰ الملوك بِحِمَى حماه، ويرهبه كل من سواه ويخشاه، ويذل لسطوته كل من ناواه ولا يرضَى بالجور فيما تولاه، ولا بالظلم في كل ما حواه، ولا بإحداث بدعةٍ في مملكته، ولا إسقاط عادة في بلد دولته. وأما ما ذكرتم من عشور الحديدة، فهو على ما سَلَف، مستمر ومتبوع على أثر الخَلَفِ، وما أبنتم في مرقومكم من أي جهةٍ كان التظلم، بل تركتم التفصيل وأجملتم. وأما عشور المخا فما ثمة بدعة ولا نرضىَ بها قط، ونحن بما أمرناهم بذرع الطيقان فقط، لأن التخمين لا يخلو عن مجازفَة، إمّا عليهم أو على بيت المال، فحصل منهم التضرر بذلك والإحلال، وأنشدك الله تعالى هل هذا خطأ أم صواب. وأما ما أودعتم في غضون الكتاب، من الإرعاد والإبراق، وذكر الجهاد والأجناد، فلقد كدنا أن نقول يا للَّه العَجب، مِنْ بَعُوضَة تطن في أذُنِ فِيْل، ولكن حشمنا المجلس الجليل، وكففنا لسان القَلم عن التطويل، والله تعالى حسبنا ونِعْم الوكيل. انتهى.

وقد ذكرنا في سنة ثلاث وتسعين ما كان من جماعة المفسدين باليمن الأسفل وما دار بينهم وبين العُمَّال ومَا آل إليه الحال، وما زال ذلك مستمر إلى أوائل هذا العام، فكتب إسماعيل بن أحمد الكبسي الأعرج[1] ـ وكان يرى رأي المعتزلة ـ رسالةً إلى الإمام ينقم عليه السكوت ويستميله إلى المجد ويستعطفه على الرعايا، وصدّر تلك الرسالة بقصيدة أوَّلها:

ألا فليـرثّ الـديـنُ مِـن كـل شـاعـرٍ	ويبكـي علـى أركـانـه والشعـائـرِ
ويـا معشـر الإسـلام أنعـوه جهـرةً	فـلا عظـم الـرحمٰـن أجـر المُسَـارِرِ
وشنّوا دموعاً يخجل السحب سفحها	وشقـوا قلـوبـاً لا جيـوب السـواتـر
فـإن أخلفـت سُبـل السحـاب لفقـده	فقـد خلقـت دفعـاً لسبـل المحـاجـر

---

(١) أنظر: نيل الوَطر (١/ ٢٦١)، البدر الطالع (١/ ١٤٠)، هجر العلم (٤/ ١٧٨٨).

فلو نال جلموداً من الصخر ما بكم لسال دموعاً لم تسل بالنواظر
فما حملت قدماً جديسٌ هَوانكم وقد دافَعت عن ظلمها بالبواترِ
ولو نظرت خَنسآء صخرٍ مصابكم لأذهلها عن ندب أهل المقابر

وأطال في الندب حتى قال:

ولو عاينت عين الوصي مقامكم على الضيم أضحى كفه كل حاسِرِ
سيقفُوه ذم للإمام امامه طلائع نصرٍ توجت بالبشاير
فمن كان من نسل الوصي سميَّهُ سيتبعه فـي فِعلـه والمآثر
مآثر مجدٍ يحسر الطرف دونها وتسمو على هام النجوم الزواهر
سيمحو ظلام الظلم أنوار عدله ويفري قلوب الظالمين بباتر

وما زال حتى قال:

وهذا ندائي مسمع كل مَنْ لَهُ من الدين حظ لا نداء لكافر
قبائل كهلان وتُبّع حِمْيرٍ وتابع ديني كل بادٍ وحاضر

وهي قصيدة جيدة طويلة، وقد أتينا منها على ما تضمن الحال الداعي له إلى ذلك المقال. وهو ـ كان الله له ـ من علماء الوقت العاملين، خفيف إلحادِ، قليل ذات اليد. دأب في المعارف واشتغل من باديء أمره بالعلم وأهله فأفاد واستفاد، له معرفة بالأصولين والعربية والمنطق، واشتغل بفروع الزيدية وقصده كثير منهم، وفيه تشيع صحيح محمود خلا أنه لا يزجر من تعدّىٰ طوره من أهل الرفض، أكثر شغفة بمجالسة الأعلام، ضَرَب الناس به المثل في الزهد.

أخبرني الثقة أنها جاءته صلة من بعض أرباب الدولة وكان في غنية عنها فردّها عليه، وحدّثني بعض مخالليه أنه قُبِض من بعد كل ماجآءهُ، وهو ممن رفع الله تعالى عنه الحرج بالعرَج، وأشار إلى ذلك في قصيدة كتبها الحافظ الحسن بن يحيى بن أحمد الكبسي معاتباً له لمّا تأخر عن زيارته لانقطاعه عن الخروج بسبب الألم الذي أصاب رجله فقال:

لما مشيت على قدم في الناس من ألم ألَمْ
قطعوا وصالي جهرةً إذ صرت فيهم كالعَدم
خالفتهم في مشيهم وخرقت إجماع الأُمَم
لا الطير تشبهني ولا صنف الوحوش ولا النِعم
لم يذكر الرحمن قسمي في الكتاب وقد قسمْ
بل صرت كالعنقا بِلا مثلٍ وكالجذر الأَصَم

باينتُ غيرَ موافقٍ ... فلئن جَفَوْتُم لا جَرمْ

قد أنكروني إذ مشيت باثنتين مع القَدَم

قالوا غدوت مثلثاً ... وأنا الموحَّد في القِدَم

هذا تجاهل عارفٍ ... والجهل يعقبه الندم

عرضتموا بمقالكم ... سفهاً وعرضي مُحترَم

ان شئت قلت تجاهلا ... ومن ابتداك فقد ظَلم

أولستُم ثَنَوِيَّةٌ ... في مشِيكم وبذا يُذَم

يا* فرد ارحم مفرداً ... وأفِض عليه يَدَ النعم

وأقِلْهُ واصلح شأنَهُ ... واعضد قواه بذي الكرم

شرف المعالي بحرها ... من صار للعلماء عَلم

أنس الفريد إذا غدا ... مستوحشاً ممّا ألَمْ

من دار كأس حديثة ... من نثر درٍ أو نظَم

صارت جميع جوارحي ... سمعاً لمنطقه الحِكَم

لكن عَزَّ منالُهُ ... إلا بتسويد القلم

عجباً لتسويد الصحا ... ئف كيف تأتي بالنِعم

إن كان ذنبي ودّكم ... فأنا المُصِرّ فلا ندم

وإذا أسأت بغير ذا ... فأنا المطيع لمن حكم

لَمْ آت كرهاً بالعَصَا ... في بيته يؤتَىٰ الحِكَم

صدرت بتسويدٍ عسىٰ ... تأتي بما قلمي رَقَمْ

قد أفصحت في مَهدِها ... بالعَتب لكن لم ألَمْ

حيَّاك ربك دائماً ... ما دام عفوك لي وتَم

ولله أبوه ولا فَض فُوه، فلقد جاء من أفانين سحره بمخترع، ومن محاسن شعره بما أبدَع. وهذه القصيدة بديعة المنوال مع كمال الانسجام مع جَودة براعة الاستهلال، وحُسن الختام. وقد وجه فيها بتوجيهات بديعة، وأشار إلى أمثالٍ وحِكم، وأشار إلى انقطاعه لذلك الألم الذي أدركه وكان مدة انقطاعه عن الناس تنيف على السِت السنين، ثم شفاه الله تعالى، فهو الآن يمشي بالعَصَى على يسرى رجليه مع أطراف القدم اليمنى. وما أبدع قوله: لم آت كرهاً بالعَصَى، رأيته يُدرّس بجامع الروضة البهية في «البحر الزخار» و «شرح الأساس» و «الاعتصام» و «الأحكام» و «أصول الأحكام»، وهذه من كتب أئمة الزيدية، وقد درّس في «الموشح» و «شرح الجامي» و «شرح التلخيص» وأكثر أيامه بالروضة البهية وانتقل من بعد واستوطن صنعاء. ومن مذهبه الجهرُ ببسم الله الرحمٰن الرحيم في الصلوات السريّة والجهرية، وراجعته في ذلك فإذا المستند أخفى

من الشُّبهات وكان له حُجة لو استند إليها وهي ما أخرجه الحاكم في المستدرك وحديث أبو الطفيل عن علي وعمار رضي الله عنهما أن النبـي ﷺ كان يجهر في المكتوبات بسم الله الرحمـٰن الرحيم. الحديث، قال الحاكم في آخره: هذا حديث صحيح الإسناد ولا أعلم في روايته منسوباً إلى الجرح. يثابر على حضور الجماعة، يتولى مهنته بنفسه، يمشي إلى الأسواق لمنافعه، خشن الثياب ليّن الخِطاب، دمث الأخلاق، كثير الدعاء والالتجاء، محباً لمواقف الذكر، كثير الصلاة على جامع الخيرات ﷺ في جميع الساعات. صحب علي بن أحمد بن إسحاق أياماً وصحب علي بن إبراهيم بن عامر أياماً وطارحهما سحر الأدب وراجعهما. أخذ عن الحافظ قاسم بن محمد الكبسي وعن شيخه الولي إسماعيل بن عبد الله الكبسي وبه تخرج.

حدّثني بعض الناس أنه رأى ليلة موت شيخه إسماعيل بن عبد الله أن على بابه شماعاً وفوانيس تتقد قد ملأ ضوؤها الفضاء. فقال: ما الشأن؟ فقالوا: هذا شعار أعراس إسماعيل بن عبد الله فأصبح فسأل عنه فقيل له مات صبيحة تلك الليلة.

وللمترجَم لَهُ القضية المشهورة حين ورد إلى ديوان الإمام وبه الحكام ولم يقُم عند الدخول أحد منهم إلا ما كان من علي بن زيد بن عثمان الهاشمي القاضي الوزيري فإنه استعظم دخوله فقام له وأجلّه، فما زال المترجم له يراها لعلي بن زيد حتى وجَّه بأبياتٍ إلى الديوان ناقماً على الحكام تجمّلهم بفاخر الثياب، وانتصب للجواب عنه رفيقنا القاضي العلامة إسماعيل الحسين بن أحمد السياغي الحيمي إذ كان والده من جملة حكام الديوان. وتسلسلت المراجعة وأفضت إلى المنابذة، وترافعا في ذلك إلى الأعلام، وقد أتينا على خبرها عند ذكرنا لوفاة رفيقنا الحسين بن أحمد السياغي[1] رحمه الله تعالى.

والمترجَمْ لَهُ عفى الله تعالى عنه ممن قام وقعد في خلاف أهل الروضة، ولمّا خرج سيف الإسلام أحمد بن الإمام مناجزاً لأهلها كان أول فارٍ عنه لاذ ببلاد الكِبْس[2] وبقي بها أياماً، فطلب من سيف الإسلام الأمان فأمَّنه ودخل ـ في جواره ـ صنعاء واستغفر من ذلك وسأل القَضَاء فأولاه سيف الإسلام ذلك في سنة أربع وعشرين ومائتين وألف.

وفي اليوم الثالث عشر من شهر رجب صبيحة السبت، اعتقل الأمير إبراهيم بن محمد ولد عمه علي بن محمد بن حسين وأخاه يحيى بن محمد بن حسين في يوم الأحد، رابع عشر رجب، فبقيا في السجن ست سنين.

---

(١) سنة (١٢٢١).

(٢) **الكِبْس**: بكسر الكاف وسكون الباء. قرية كبيرة بوادي اليمانية السُفلى من بلاد خولان العالية.

[رسالة من إبراهيم الأمير]

وفي هذا العام ورد كتاب من جار البلد الحرام، الصارم الشهير، إبراهيم بن محمد الأمير، لمّا وصل إليه من المنصور كتاب أمان، وكان قد دخل عليه في عام أحد وتسعين إلى داره بالبهمة، وناصحه، خلا أنه قرّع في النصح، وأنكر التوسع عليه بالبنيان. ولما دخل باب ميدانها قبل الوصول إليه سمعه من حوله وهو يقول: اللهم إني أسألك خير هذه البلدة، وخير أهلها، وخير ما فيها، وأعوذ بك من شر هذه البلدة، وشر أهلها، وشر ما فيها. وعلم بعد خروجه أن له أعداء، وأنه لن ينجو من شرورهم، فأما من المنصور فقد علم حسن طويته، وعدم حمله، ولومه، فقصد ليلته المسجد الجامع بصنعاء ونحّى الإمام عن صلاة العشاء، وصلى بالناس، فقرأ في الركعة الأولى: ﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ ﴾[1] حتى بلغ إلى قوله تعالى: ﴿ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ ﴾ ثم ركع وقام في الثانية فقرأ فيها: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا ﴾[2] الآيات. فعلم الناس أنه ذاهب عن صنعاء، وأصبح خارجاً عنها ونَحَى نحو الحديدة. ولحدته صعد في يوم الجمعة منبرها ونَحَّى خطيبها عنه فذكَر للناس انتكاس الزمان وتغير أمر السلطان، وأنه قد حان ظهور المنتظر، وأنهم لا ينتظرون إلا الساعة وهي أدهَى وأمّر. وتحدّث عن أعداؤه بين يدي الإمام بأنه فتنة للأنام فأمر بإشخاصه من البندر، فوصل الرسول عقيب أن نشر الشراع بالمركب، فأدبر. وكان لفظ جواب إبراهيم بن محمد الأمير:

بسم الله الرحمٰن الرحيم الحمد لله الذي جعل الكعبة البيت الحرام مثابةً للناس وأمناً فضلاً منه على العباد ومنّـاً، والصلاة والسلام على صاحب المقام الأسنىٰ، وعلى آله الفائزين بأحسن الحُسنىٰ، الذين اختارهم الله تعالى أمناً على أهل الأرض، وشفعاء يوم العرض، وأقام بهم السُنّة والفرض، وجعل منهم أئمة يهدون بأمره، في سر القول وجهره، وأمَّن بهم من المخافة، وأقام بهم حق، وأقعد من يريد خلافة، واختار منهم الإمام بن الإمام بن الإمام بن الإمام، والهُمام بن الهمام بن الهمام بن الهمام أحيا الله به مناهج الإسلام، ومعارج جده سيد الأنام، وحفظه عن غِيَر الأيام، وحمَى حِمَاه على كَرّ الأعوام، وأهدى إليه سلاماً من باب السلام، وركن الاستلام، وأفضل مقام وأسنَى شعائر الإسلام، وأتحفه بتحية تدعو إلى دار السلام.

وبعد حَمْد مَن لا يُحمد سواه، على الدعاء لكم في أجل الحظَرات باختلاف

---

(١) سورة آل عمران / الآية: (٦٨).

(٢) سورة آل عمران / الآية: (٩٥، ٩٦).

اللغات، بأشرف المقامات، وفي جمع ومنَى وعرفات، بالنصر والتمكين، والظفر والفتح المبين، وحياطة المؤمنين، وصيانة المسلمين، بعدل من اختاره رب العالمين، ولم يزل اللسان رطباً بالدعاء من كل مُدَّعىٍ، خصوصاً في مقام جدكم سيّد الشُفعاء، في حضرة فاطمة الزهراء سيدة نساء الدنيا والآخرة، وعند قبة أهل البيت الغراء، خصوصاً بعد وصول خط الأمان، إلى أشرف مكان، في أجلّ زمان، فلقد ارتاحت له خواطر أهل الإيمان، ودُعيِ لكم عند الأركان، وجزاكم الله أفضل ما جزَى المحسنين، وضمكم في سلك الآمنين، يوم الدين.

والمرجُو عطفكم على من بين أيديكم من الأرحام، كما هو عادتكم في عموم الإنعام، سيَما وحالهم كما لا يعزب عن فهمكم الثاقب، في مثل هذه الأعوام لازلتم في حفظ ذي الجلال والإكرام، وإن سألتم عن أخبار الحرمين الشريفين، فمن ما تقر به العين، أمنٌ في الديار، ورخاء في الأسعار، وكثرة في الأمطار، وإن كان درب المدينة لا يخلو عن أخبار، فأحوال مكّة مما يُسَرُّ به الخاطر، ويقر به الناظر، وقد وصل المحمل من الديار الشامية، والآخر من الجهات المصرية، كما عوَّدهم رب البرية. على أن الدروب لا تخلو من بعض فِتَن، ونرجو الله تعالى رفع المحَن. وإغماد سيوف الفتن، ما ظهر منها وما بطن، والدعاء لمولانا مبذول والقبول من الله تعالى مأمول. وصدر من التبركات المكيّة ما يُسمّى باسم الهديّة، وإن كان قدر الحضرة المنصوريّة أجل من أن يُهدَى إليه اليسير، ولكنه أرشد إلى ذلك البشير النذير، وفي الأمثال الهدايا على قدر مُهديها كما يقال، والمقصود التبرك بما وصل من حضرة الجود، وبيت المعبود، ومن مقام سيّد الأنام، عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام. وأياديكم مُقبَّلة على الدّوام، وصلى الله على سيّدنا محمد وعلى آله مسك الختام.

[يـــوميـــات]

وفي شهر شعبان منها رفع الإمام عن ولاية عُتُمه السيد محمد بن أحمد الأخفش وعقد بولايتها للسيد أحمد بن علي زبيبة.

وفي شهر جمادى عقد بولاية حبيش للسيد إسماعيل بن ناصر حيدرة.

وفي شهر الحجة عقد بولاية حُفَاش لأحمد بن محسن الحيـي بعد ان كان في العام الماضي بها كاتباً.

[حسين بن يحيـى الكبسي]

وفي ربيع الأول رفع الإمام الأمير محمد ذو الفقار من حراز ورفع السيد أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم من بلاد قعطبة.

وفيها: ليلة الجمعة ثامن من عشر ربيع الأول، توفي حسين بن يحيى الكبسي[1]. كان صالحاً زاهداً ذا تقوَى لا يقبض المال، حدّثني والدي عنه قال: ذهبتُ إليه بصدقةٍ فوافيته باب مسجد الابهر فَناولته فتنحّى عني وقال: أعوذ بالله، وما زال يردد هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربـي حقاً، فسألته فقال رأيت كأني وقعت في عينٍ حميئة منتنه فاستعذت بالله من ذلك وترقبت بعض المهالك فهي هذه اذهب لا حاجة لي بها، قال ولا أعلم في زمني من رد المال سواه.

[محسن بن صلاح السحولي]

وفي ثاني وعشرين جمادى الأولى، توفي محسن بن صلاح السحولي[2]، وكان عارفاً.

(وقد قال سيدي العلامة محمد بن يحيى بن أحمد الكبسـي ان من مشائخه هذا القاضي العلاِمة المتقن المُتفتن محسن بن صلاح بن قاسم بن صالح بن الهادي السحولي الشجري الآنسي. وكان عجّل من الفهم والكدّ والتحقيق والاعتصام بحبل الله سبحانه وحبل رسوله وأهل بيته، وكان يناظر صهره السيد العلامة المحقق القسم بن محمد، بن عبد الله الكبسـي في مسائل الخ)[3].

[المُحدِّث محسن بن إسماعيل الشامي]

وفيها: يوم الجمعة خامس وعشرين من شعبان، السيد محسن بن إسماعيل الشامي[4] كان إماماً في المعارف حافظاً ذكياً مُتقناً محدثاً، أخد عن البدر المنير وعن السيد أحمد بن إبراهيم بن إسحاق وطبقتهما، وأخذ عنه الفخر عبد الله بن محمد الأمير وعلي بن هادي عرهَب وغيرهما. وكان مع تبحره في العلم يتحرَى في العمل لا يَدع أربعاً قبل الظهر وأربعاً قبل العصر ولا يقوم عن مُصَلاّه بعد صلاة الفجر حتى تطلع الشمس ويصلي ثماني ركعات، دخل على المهدي العباس وناصحه فانتصح فأحبه وراسله بالنصائح وبث في الناس فضائله وحمد خصاله وشهد له في الخلافة بالكمال، وقال إنه يعزّ وجود مثله في الرجال هذا مع تشدده وإنكاره المخالفات. ولمّا مات وزير الإمام المهدي العباس أحمد بن علي النهمي أدناه الإمام منه فأنكر أشياء صدرت من العمال فاستعان به على التوسط لبعض الأعمال وعلقه بوساطة جِبْلة وإبّ وحُبَيْش ورفع

---

(١) نشر العرف (١/ ٦٣٤)، ملحق البدر الطالع (٩٠)، هجر العلم (٤/ ١٧٨٦).

(٢) نشر العَرف (٢/ ٣٧٤).

(٣) ما بين المعقوفتين زيادة من النسخة ب.

(٤) نشر العَرف (٢/ ٣٥٧)، البدر الطالع (٢/ ٧٦)، هجر العلم (١/ ٣١٩).

عنها السيد الحسن بن عبد الله الظفري، فولّىٰ على هذه المحلات السيد قاسم الجرموزي قيل كان ذلك بخداع خدعه به بعض أصحابه فشكته الرعايا بِسَلْب الأموال فطلبه الإمام وألزمه رَفع العامل عنها، فرفعه فلما وصل كتم ما جمعه فتهدده الإمام وأخذ جريده وهَمّ بضربِهِ فأذعن للتسليم، وعابِ الإمام على المترجَمْ لَهُ ذلك فاعتلّ بأن الوزير علي بن حسين الجرافي اكتسب أموالاً وحمّل حقوقها الرعايا فشكواهم لِتحمّلهم ما علىٰ الجرافي من الحقوق، فكان ذلك سبباً للعداوة بينه وبين علي بن حسين الجرافي، ونسب إليه الجرافي انه تخلّص أهل جِبْلَه بنحو مائة الف قرش كتمها عن الإمام فتشدد في تلك الدعوَى وما زال منكراً على الإمام قبولها وسماعها من علي بن حسين الجرافي ولم يشعر إلا بخبر جاءه بأن الإمام قد قرر أمر جبلة وتلك البلاد وبعث عليها متولياً، فأرسل إلى الإما م بالبغلة واستقر على حالته الأولى راضياً بها.

وكان رحمه الله تعالى كثير الولع بالطاعة فإنه ما تغيّر أيام وزارته عن حالته الأولى، فما ترك الاعتكاف العشر الأواخر -بل اعتكف أيام اشتغاله بأعمال الإمام بمسجد الخرّاز[1] ومات رحمه الله تعالى وفي نفسه ابحاث منها ما سأل به قاسم بن محمد الكبسي عن حديث أبي داود يكون في آخر الزّمان قوم يُخضّبون بالسواد كحواصل الحمام لا يريحون رائحة الجنة فقال: نسألكم عن هذا هل المراد أنه يكون الخضب بالسواد علامة للذين لا يريحون رائحة الجنة أم يُحمَل على ظاهره ويكون السبب المانع من أن يريحون رائحة الجنة هو استعمال الخضاب؟ فإنه قد ورد الحديث خَبر: ما غيّرتم الشيب بالحناء والكتم. وذاك خضاب السواد، وقد روي عن الحسن والحسين ومحمد ابن الحنفية وغيرهم كأبن القيم وغيره انهم خضبوا بالسواد. وقال الحسن انه يُسوِّد أعلاها وتأبى أصولها وليس الذي يسوّد أصولها هو الأصل، وكذلك تردد في حديث أبي هريرة عند البخاري ومسلم صنفان من أهل النار وهما قومٌ معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس؛ ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البُختِ المائلة لا يَدْخلن الجنة ولا يجدن ريحها؛ وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا.

وكان كثير المشاجرات في مهماته واستقر آخر مدته في الروضة البهية من أعمال صنعاء، ومات بها رحمه الله تعالى.

[أحمد بن محمد المصطكا]

وفيها: في شهر رمضان، أحمد بن محمد بن أحمد المصطكا[2] من ولد حسين بن

---

(١) انظر: الحجري. مساجد صنعاء ص (٥١).
(٢) نشر العرف (١/ ٢٢٩).

حسن بن القاسم بن محمد. أولاه الإمام المهدي محاسبة العمال بعد موت محمد يحيى ولُقِّب بالمصطكا لبياضه، والناس يقلبون الصاد سيناً والطاء تاءً.

[علي بن يحيى الخولاني]

وفيها: يوم الخميس سابع شهر القعدة، علي بن يحيى بن أحمد الخولاني المعروف بالسعيدي[1] كان هو ووالده من الصالحين وله قضية مشهورة.. حدّثنا ولده المتقي عبد الله بن علي الخولاني عمّا جرىَ لوالده عام حجة في ركوبه البحر من بندر اللحية وكيف انكسرت بهم السفينة كما حدثه والده. وكانت الواقعة في عام خمس وخمسين ومائة وألف، قال: ركبنا في بندر اللحية فوافينا جبل كُتُنْبُل ـ بكافٍ ثم مثناه فوقية مضمومتين فنون ساكنة فموحدة مضمومة آخره لام ـ فاندقّت بنا السفينة وكان بها نحو ثمانين فغرقوا جميعاً، إلا الأقل، فمنهم من سبح ومنهم من تعلّق بلوح من ألواحها. وكنت أنا وجماعة قد تعلقنا بلوح وما زال الموت فيهم واحداً بعد واحد حتى لم يبق سوى خمسة عشر نفراً. قال: وكان معنا بعض الهنود وله زوجة مُغرىً بها فأشفق عليها ونزل من اللوح وسبح وما زال يجمع أخشاباً ويصل بعضها ببعض ويربطها بحبال، رام بذلك النجاة بها والخلوص من بين أصحابه، ولمّا أكمل عملها جاء فدعاها من بينهم فرمت بنفسها إليه، وما زالا على تلك الأخشاب في مقاساة شديدة من الأمواج فاضطربت بهم يومين وجاءهم عاصف شديد فألحق الهندي وزوجته بمن سلف. وبقي المترجَم وأصحابه على ذلك اللوح خمسة أيام فجاءهم الفرج على يد رجل مر بمركبه عائداً من جدة فأخرجهم إلى القنفذة واستقروا بها لدى عاملها ثلاثة أيام، وساروا فأدركوا الحج إلا المترجَم لَهُ فإنه تأخر وحج عاماً قابلاً.

[أحمد العنسي البَرطي]

وفيها يوم الأربعاء ثامن عشر شهر القعدة، أحمد بن حسن العنسي البرطي العكام. صحب المنصور أياماً فسأله عن طائفة بكيل وما الذي ينجع فيهم؟ فقال: إهمالُهم والسكوت عنهم، فأودعها أذناً واعية لكنه أضرّ السكوت، وقد ذكرناه فيما سلف من كتابنا.

[قاسم الأمير الحاكم]

وفيها: يوم السبت ثاني عشر الحجة، قاسم بن يحيى الشهاري، المعروف بالأمير[2] قاضي الإمام المهدي وولده المنصور. كان رحمه الله تعالى مُغرىً بالأدب

---

(١) نشر العرف (٢/ ٢٩٥).

(٢) ملحق البدر الطالع (١٨٩)، نشر العرف (٢/ ٣٣٦)، هجر العلم (٢/ ١٠٩٤)، أعلام المؤلفين الزيدية (٧٨٤). =

وأهله وله خلاعات في جِده وهزله. يجتمع بالأعيان والأسافل مطرحاً للأعراف. دار في البلاد لولاية الحكومة وأقام بصنعاء حضرة الإمام المنصور.

ويُحكى من مضحكاته عنه، أنه رفَع إلى المهدي العباس بشهادة بعض ولده على رؤية هلال شهر رمضان فلم يثق الإمام بشهادته، فلما كان من الغد لم يرد الهلال، فقال لولده: والله لو جئت به في يدك ما وثقت بك.

ويُحكىٰ عنه أنه رفع إلى المهدي العباس في عام آخر بشهادةٍ قامت لديه على هلال رمضان فلم يقبلها الإمام ولم يُشْعِر للصوم بها فأصبح مُفْطراً، فقيل له أو ليس قد قامت لديك الشهادة؟ فقال: نعم، ولكنها لم يرتضها للإمام.

ويُحكىٰ أنه قد توسَّل إليه بعض الأغراب، وقد أبلغ إلى الإمام المهدي بساعةٍ يونانية بها صورة ديك، فلما رآها الإمام كسر رأس الصورة فتشفّع له بهذه الأبيات وضمّنها تضميناً بديعاً:

يـا أيهـا الملـك الميمـون طـائـره ... تُفـدِيـك أنفسنـا ممـا تحـاذرُه

أيـة قضيّـةُ طيـرٍ حَـالُـه عجـبٌ ... أبيـن مـن جسمـه مـا فيـه نـاظـرُه

ومـا لـه فـي الهـوَى حـظ فيسعـده ... كـلا وفـي التـرب مـا خطـت أظـافـره

بـل جـاء فـي سـاعـةٍ سـاع بـلا قـدمٍ ... فكـان أول يـوم الـوصـل آخـره

لا يجبـر النـاسُ عظمـاً أنـت كـاسـره ... ولا يهيضـون عظمـاً أنـت جـابـرهُ

وفي شعره سهولة وانسجام، وكان له محبة لنظم العيش، ووَلع بمخالطة الدّولة، ولما كسى الإمام جماعة من القضاة كان يراهم دونه كتب هذه الأبيات:

تَبَـاهَـى القضـاة بشيـلانِهـم ... وفـازوا بمنسـوجهـا النـاعـم

وعنـدي شـالٌ كمقلـوبِـه ... وانسـاب عيـن بهـا القـاسـم

ومـا كنـت يـا مـالكـي قـاصِـراً ... لـدَى الحكـم عـن رتبـة السَّـالمـي

ولمّا ولاّه الإمام المهدي القضاء ببلاد المخادر لم توافق مزاجه فشكىٰ ـ بعد طلوعه منها ـ علىٰ المولى عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن إبراهيم لوجاهته عند الخليفة والوزير فدله علىٰ أنه سيكتب إليه إبياتاً يتوجع فيها من سكون المخادر ويُعرِّض فيها بذكر حاكم الحضرة يحيى بن صالح السحولي رحمه الله تعالى، وكتب إلى المترجَم لَهُ:

يـا خيـر مـن فخـرت بـه ... سـود المحـابـر والـدفـاتـر

وإمـام أربـاب البـلا ... غـة كـاتـبٌ منهـم وشـاعـر

علـم الهـدى حـاوي العـوا ... رف والمعـارف والمفـاخـر

لا كان دهرٌ قد رمى ... بشريف ذاتك في المخادر
أرض خلت عما تُسَرّ ... به المسامعُ والنواظر
لا عِلم فيها بل ولا ... أدب ولا خِدْنٌ مُسَامِر
وغدوت فيها مصحفاً ... لكنه في بيت ساحر
مولاي صبراً فالخطو ... ب كما يقال لها أواخر
ولقد وصلت إلى حمى ... مروي الأسنة والبواتر
الماجد المهدي الذي ... خضعت له الصيد الأكابر
ملك به تزهو الجحا ... فل والمحافل والمنابر
فعساك أن تحضى بما ... ترجو وترجع عنه شاكر
عوّل على المولى العما ... د فإنه نعم المؤازر
العالم الحبر الذي ... ساد الأوائل والأواخر
أخلاقه الروض النضير ... لكل من وافاه زائر
صدر يقوم بكُلّما ... أضحى بسهم الدهر عاثِر
وهو الوزير إذا دجا ... ليلُ الأسنة بات ساهر
فَيَفِلُّ بالتدبير مجمو ... ع الكتائب والعساكِر
بجنان ليثٍ لا تُرَوّعُهُ ... مِنَ الدهر الدوائر
فاشدُد يديك فإنهُ ... نعم المعاونُ والمُنَاصِر
وأفضِل وبادر بالوصو ... لَ غداً حماك الله باكِر
لنقيل في رَوضٍ لَنَا ... بالغرب جَادَتُه المواطِر
واسلَمْ ودم في نِعمةٍ ... ما ناح فوق الغصن طائر

وأمرهُ عبد الله بن أحمد أن يجيب عليه، فأجاب قاسم بن محمد بهذه الأبيات:

أثواقب الزهر الزواهر ... أم روضة أبدت زواهر
أم لؤلؤ الأصداف لا ... بل سلك شفاف الجواهر
أم سحر بابل ما أرى ... أم أعينُ العِين السواحر
أم نظم فخر الدين من ... حاز المعالي والمفاخر
أعني سلالة أحمد المشهور ... نبراس الأكابر
كشاف ليل المشكلات ... بِصُبْحِ فَهْمٍ منه سافر
حاز العلوم فما لَهُ ... في عصره أبداً مناظر
وحوى الكمال فَمَجْدُه ... مَثَلٌ من الأَمْثَال سائر
مولاي دام لك العُلا ... وأمنت طُراً ما تحاذر

كاتبت رقك بالذي ... ما كان يخطر لِي بخاطِر
قلّدتني بمدائح ... منها نفيسُ الدّر غائر
وقدحت زند قَريحتي ... بحسامِ ذهنٍ منك بَاتِر
أذكرتني دهراً جَنَى ... والدهر لاَ ينفك غادر
فارقت صنعا مُكرهًا ... فيه واعتضت المخادر
ورحلت لا متحيراً ... وصبرت حتى قيل صابر
ما مصر ما بغداد ما ... حلبٌ لها أبداً مناظر
لم أسلُ عنها دائماً ... غيري علِي السلوان قادر
بلد بها رَبْع العُلا ... والعلم والآداب عامر
وخليفة الله الذي ... فاق الأوائل والأواخر
القائم المهدي الذي ... بعلاه تفتخر العشائر
ملكٌ بهِ وبِجَدِّه ... وأبيه تبتهج المنابر
إن سار ظَلَّلَه القَنَى ... أو حل حَفَّ به الأكابر
عَمّ الوَرَى بنَوالِه ... من واردٍ منهم وصادر
ما زلت في نعمائهِ ... مُتَفَيِئاً بادٍ وحاضر
لكنني أخرت عَن ... أمرٍ به قد كنتُ آمِر
أصلحت فيه سريرتي ... والله يعلم بالسَّرائر
ولقد صبرت وحقّ لِيْ ... وأنا على الحالين شاكر
ولقد انخت مطيَّتي ... ووضعت منساة المسافر
بِحمَى عماد الدين من ... أضحى لهذا الدين ناصر
وأقام للشرع الشريف قناته عند التشاجر
يحيى بن صالح مَنْ غدَى ... قدراً على هام الزواهر
ورجوت من رب السما ... إن الأمور لها أواخر
وإليكها بَدَويَّة ... ما كُحِّلَت منها النواظر
فامنُن بحسن قبولها ... كَرَماً وكن للعيب ساتر

ولما أكملا تلك الأبيات وعلقاها بدفتر الإثبات استدعى عبد الله بن أحمد حاكم الحضرة العماد السحولي وقد كان ألقاها بمقامه بحيث يراها الحاكم، فلما وصل تغافل عنه عبد الله بن أحمد رأى الأبيات الشعرية فقرأها، وكان يحب المدحة فولع بها وقال: متى كان هذا؟ فقال: في أيام قريبة. فاجتهد الحاكم عند الإمام بإعانة المترجَم له وحسَّنَ له أن يولّيه حكومة الحُديدة ففعل وراح إليها المترجَم لَهُ فأقام بها أياماً حتى تموّل ورُفِع عنها. وأقيم بصنعاء حاكماً بديوان الإمام حتى وافاه الحِمَام. وله في حبيب كالغزال

الشرود اسمه علي:

أما أنا فمذهبي ... إلى خَفَا حبُّ علي
وذا غدير مدمعي ... علىٰ الولا يشهدُ لي
من ذي الفقار لحظه ... قد صح بالنص الجلي
يا عاذلي في حبه ... بالله كن مُعتزّ لي

وله لُغْز في البُرْدقال، قال:

وما اسمٌ نصفة اسمٌ ... وفعله نصفه الثاني
وصدر الكل محبوبٌ ... وثانيه لنا شاني
فكم تلقاه مجروراً ... بحرفٍ منهُ نشوانِ

وله مع مُطَهّر بن إسماعيل بن يحيى بن الحسين بن القاسم ما جريه بديوان الإمام، قد أتينا على ذكرها عند ترجمتنا له عام سبع ومائتين وألف. وللمترجَمْ لَهُ مؤرخاً عمارة المنارة بمسجد موسى عام ستين ومائة وألف:

يا حبّذا منارة ... فاقت علىٰ كل بنا
قد أكسبت من شادها ... فخراً وأجراً وثَنَا
أعني به المنصور مو ... لانا الحسين الحسنا
ومن حمى بالبيض ... والسمر العوالي اليَمَنَا
فهنّه مؤرخاً ... قد حاز ذكراً حسنا
١١٦٠

وله مؤرخاً لعمارة قبة الإمام المهدي العباس بأسفل صنعاء في عام أربع وستين ومائة وألف.

يا حبذا من قبَّةٍ ... فاقت على صنع الأول
أسسها على التُقى ... خليفة العصر الأجلّ
مهدينا العباس مَنْ ... دانت له كل الدول
يرجو رضاءَ ربِّه ... بلّغَهُ الله الأمل
تاريخها نادىٰ بها ... حي على خير العمل
١١٦٤

وله في التشبيب والغزل ومطارحة الأدباء أخبار حسان، وقد أتينا على شيء من شعره العذب في أول كتابنا هذا. انتهى.

[التنكيل بمتولي المخازن]

وفيها: نكّل الإمام بمتولي مخازينه أحمد بن علي الفضلي في شهر القعدة، وبقي عليه الأمير سرور، وقَبض بيوته وأمواله وأقام لها علي بن حسين الجرافي ثم سكن الشر قليلاً.

وخرجت قبائل خولان من آخر هذا العام متصفةً لأولئك الذين ضرب الإمام أعناقهم وأوغلوا في البلاد.

[إسماعيل السَلفي]

وفيها: بمنى ثاني أيام التشريق توفى إسماعيل بن يحيى السلفي(١). كان أديباً شاعراً نحوياً لغوياً. اشتغل بالحديث ودرسه، وأخذ عن محسن بن إسماعيل الشامي وعن عبد الله بن أحمد بن إسحاق وعن علي بن إبراهيم بن عامر وعن عدة. وكان له شعر رائق منه ما كتبه إلى أخيه وشقيقه الحسين وقد تخلف عن مجلِس أُنس وورّى بالشقيق وأبدع:

يا شرف الدين والمعالي انهض إلى مجلسٍ أنيقِ
تجمَّع الزَهْرُ فيه طُرّاً ولم يَفتُنْا سِوى الشقيقِ

وله مقطعات حسان منها في الخال، وفيه حسن التعليل:

أودعتَه قلبي وعاهدتَه في كتمِه خوفاً من الافتضاح
فخان في العهد وأبداه لِلْحُسّاد خالاً في الخدود الصِّباح

ومنها:

أيها المُغرَى بهجري إن هَجْر الصّب ظُلمُ
لا تَسُوءْ ظنك فيه إن بعض الظن إثمُ

ومنها وقد رأى يحيى بن صالح سَبَا مُقري‌ءأولاد عبد الله بن محيي الدين العراسي يعذله في القرب منهم فظعن يحيى سبا فقال المترجَم له:

قالوا العراسي قد سباك جماله وغدىٰ فؤادك بالبعاد معذَّبا
لا والصبابة ما سباني حُسنَهُ ذاك الجمال وإنما يحيى سَبا

قلت وقد ترجمه القاضي أحمد قاطن في الدميه وأورد له شعراً نفيساً.

---

(١) نشر العرف (١/ ٤١٥).

وَدَخَلَت سَنَةُ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ وَمائَةٍ وَأَلْف

وفيها: عقد المنصور بولايات لجماعاتٍ، فعقد بالجبي لحسن عثمان الأموي ورفع عنه إبراهيم بن عبد الله الجرموزي الهاشمي.

وفيها: عقد بيريم للأمير يحيى بن محسن حنش في شهر ربيع.

وفيها: عقد ببلاد عَنْس لأحمد بن إسماعيل بن إبراهيم في شهر رجب.

وعقد ببلاد حَرَاز للأمير محمد ذو الفقار شهر رجب.

وعقد ببلاد جِبْلة وإبّ للأمير ناصر بن يحيى المجزبي في شهر شوال.

وعقد للأمير عنبر المهدي ببلاد حُبَيْش في شهر القعدة.

وعقد ليحيى بن علي الغشم ببلاد أنس.

وعقد ببلاد بيت الفقيه لأحمد بن محمد الشرعي الهاشمي في شهر رجب.

وعقد ببلاد الحَيْمه لإبراهيم بن علي الهمداني في شهر ربيع الآخر.

وفيها: خلَع عن بلاد عتمة أحمد بن علي زبيبة الهاشمي.

وخلع علي بن إسماعيل بن ناصر حيدرة عن حُبيش.

وخلع عن المخا العلامة علي بن صالح العماري.

[فساد خولان]

وفي ربيع هذا العام خرجت قبائل خولان أخذت ثأر أولئك الذين ضربت أعناقهم فأوغلوا في السير وشقّوا بلاد آنس وعُتُمه وانتهبوا بالطريق وسلبوا، فأقلق المنصور خروجهم فسيَّر لهم الأمير فيروز فخرج في جماعاتٍ من العساكر وتبعه نحو ستين من الخيّاله فوصل إلى ذمار وسار بهم إلى وادي الحار وبلغ الزمامين فلم يواجهوا وتفرقوا عنه، فكمن لهم فراحوا عنه من مشرعه فساءه ذلك، ولحق أهل الفساد في جماعة يسيرة من قومه وأغذّ السير في الليل فلم يقف على طائل وعاد إلى ذمار وكتب إلى الإمام مفصحاً بما جرَى له وأنه لم يدع جهداً في التتبع لآثارهم، فطلب الإمام مَنْ بحضرته من الخيالة فطلعوا وأمرهم بالنفوذ في جملة العساكر إلى اليمن الأسفل وذلك لمّا حصَلت المفاوتة والشقاق، وقامت الحرب على ساق، ولم يحصل وفاق بين ذو محمد الذين بالحُجريّة وبين العامل بتعز السيد علي زبيبة، فطلعوا من الحجرية وحَطُّوا بالمكتب على بلاد جبلة وناجزوا من بها.

وكان العامل عليها الشيخ حسن خليل فوصل الأمير فيروز وكانت قد تقدمت من المنصور بالله رُسُلاً بعثهم بالكتب إلى العمال ليلتفّوا علىٰ ذو محمد، فطلع السيد حسين زبيبة من تعز نائباً عن أخيه لتسليم الإقامة فأبوا وطلع من حُبيش السيد أحمد زبيبة وطلع من المخادر الأمير عنبر المهدي، وطلع من العُدَين علي بن إسماعيل بن إبراهيم وأحاطوا بذو محمد في كل وجه، فمحطة علي بن إسماعيل بالمغاسق وتقدم بعض أصحابه إلى الزيادي تحت التعكر، والأمير فيروز وأصحابه في الجباجب تحت جبلة، وحسين زبيبة تحت قرية آذن. فاستمر الحْصار نحو خمسة وعشرين يوماً وأيست ذو محمد من الخلاص، ثم انكشفت تلك عن قَتلَى من الجانبين وتوجه إليهم في خلال المحاصرة علي بن منصر ومفلح أبو راس ومقبل حُبَيْش فحصل الصلح على تسليم ما هو لهم منجماً نصفه من اليمن الأسفل ونصفه من حضرة الإمام وعاد الأمير فيروز.

[خلاف بين بني سيف العالي والسافل]

وفي شهر ربيع أيضاً رُفِع الحاكم حسن حسن العفّاري بما صدر من بني سيف الأسفل من أعمال يريم وذكرِ للإمام انه وصل الشيخ محسن بن أحمد شيخ بني سيف الأعلىٰ والشيخ صالح زيد محرَّم ونفر من رعية بني سيف الأعلىٰ. وشكوا من جماعة بني سيف الأسفل بأنهم غزوهم في الليل وانتهبوا الماشية وصار التّغزي ديدنهم. فطلب العامل وهو الأمير يحيى بن محسن حنش جماعة الواصلين من المشائخ وغيرهم وأفصح لهم بأنه عازم على المسير بعد أن أخذ رأي المنصور، وكان قد تقدم من الإمام المنصور كتاب في شهر ربيع الأول إلى الحاكم يطلب التحقيق عن شأن الشيخ حسين البراح وحسين بن صالح جربان شيخي بني سيف الأسفل هل ثمة امتثال منهما من تسليم الواجبات فقد شكى الخزان علي بن حسين الجرافي عدم تسليمهما ما أوجب الله عليهما، فبعث الحاكم إليهما فاعتلا بما لا يُقْبَل، فطلب الشيخ محسن بن أحمد وصالح بن زيد محرّم الرفع بتمنع المذكورين، فرفع إلى الإمام المنصور بذلك مفصحاً له بأنهم ما زالوا على العَجرفة من سابق الأيام وأنهم تمنّعوا في عمالة أحمد بن محسن الغرباني الهاشمي ومَنْ قبله في أيام عمالة علي بن يحيى الغشم، فعاد الجواب من الإمام المنصور يقول فيه:

إنه لما وصل هذا الرفع من حاكم جهة يريم ومن العامل والكاتب وتكررت منهم رفوعات كثيرة ونحن نميل إلى العفو والحلم صيانةً لمثل هؤلاء الذين عرّضوا نفوسهم وأموالهم للهلاك وغرّهم حلمنا حتى تمادوا في الطغيان، أوجبنا على العامل ومشائخ البلاد جميعاً والعسكر أهل السلاح، النفوذ عليهم وسوَّغنا لهم أخذهم وضبطهم أينما كانوا، وعلى جميع البلاد المجاورة التي صاروا يأوون إليها عدم قبولهم ومن ظهر منه

أنه آوى أحداً منهم استوجب العقاب البالغ. وقد صدر من مقامنا عيّنه من قبائل أرحب ونِهْم حسبما بأيديهم، والحذر التسهيل فالأمر عام لجميع من قد ظهر منه التسهيل في الأمر والخروج عن الطاعة. وكان هذا الأمر في شهر جمادى الأولى من العام.

قلت والنافذ من الحضرة النقيب حزام ردمان ومحمد بن علي بن يحيى حَنش علىٰ بني سيف الأسفل، وكان طريقهم سوق الإثنين. وتقدم الأمير يحيى بن محمد حنش بمحطهِ من يريم فاتفقوا به في بني سيف الأسفل وأقام بهم هنالك خمساً وأربعين ليلة يمهد الأمور ويرجف على الرعايا مرعداً مبرقاً فانقادوا بعد جمعهم للطاعة والامتثال للأوامر، وجعل هدنة بين بني سيف الأعلا والأسفل ستة أشهر، وعاد إلى مدينة يريم، واستقرت الأحوال واطمأنت النفوس. وسيأتي خبر الفصل بين الطائفتين في عام ست وتسعين مفصلاً.

[زيارة أمير كوكبان لمدينة صنعاء]

وفي شهر شعبان من هذا العام نزل السيد عبد الله بن إبراهيم بن محمد بن حسين صاحب كوكبان إلى حدّه لمعرفتها وطيافه دارهم التي بالسيّالي، ثم راح عنها إلى قرية القابل إلى دارهم التي بها، وأرسل له المنصور بمائة مشخص منكراً عليه عدم دخوله إلى حضرته فاعتل بعدم استئذانه لوالده ثم راح إلى والده فأعاده وبادر بدخوله حضرة الإمام مستصحباً هدية الواصل، فتلقّاه المنصور بالبُشرى والإكرام العام وأنعَم عليه بفواضل الأنعام وكساه من ملبوسه الفاخر وأنزله ببيت السيد محسن بن محمد فايع ببير العَزَب وأجرَى له ولأصحابه الكفاية التامة، ثم كساه كسوة أخرى فاخرة من ملبوس الشتاء وطارده على فَرس جواد بالميدان، وخلع عليه الملبوس الذي عليه. ثم طلب الفسح والذهاب فلم يأذن له إلا بعد مضي تمشية عيد الإفطار، فرأى من القوة المنصورية ما حدّث به بَعْدُ في المواقف، وراح عنه شاكراً ذاكراً رطب اللسان بالثناء.

[دخول بكيل إلى صنعاء]

وفي شهر شوال من هذا العام سارت قبائل بكيل عن بلادها كما هي عادتها ناشرة لأعلام الفساد، وامتلأت بهم الأغوار والأنجاد، وكتبوا إلى المنصور يطلبون منه الجمهور، فاستبقاهم في حدود الرحبة وأجرى لهم الأرزاق، ووصل من فضله الجزيل كبارهم بمالٍ واسع دفعاً عن الضعفاء، فما زالوا بذلك المحل ثلاثة أشهر وهو يجري لهم الأرزاق، ثم زحفوا بعجرفتهم وبغيهم فمالوا على الرحبة، فأهلكوا زرائعها، وأعنابها، وأخربوا بيوتها، وملكوا حصوناً. وخرج عليهم علي بن أحمد بن إسحاق طامعاً في التقوِّي بهم على إيصاله إلى وصاب أو يطرحوا على صنعاء فَيُقضى له مآرباً ويقيم له مذهباً، فقابلوه بوجوههم مرجفين به على المنصور. وحصل مع العامة من ذلك المُقيم

المقعد، وتنحّى كثير من أهل الحَوَاز[1] ودخلوا بمتاعهم صنعاء، وتوسل القبائل إلى المنصور بكتبٍ لاثُوا خطابها واستعجلوا جوابها، فأنعم عليهم بأموالٍ واسعة، وأرغم بالمال كُبَّارهم فعادوا بلادهم فاستقالهم علي بن أحمد بن إسحاق لمطلوبه فاعتلّوا له بعلل ولم يرفعوا إليه رأساً، فساءهُ منهم ذلك.

وفي شهر القعدة من هذا العام، وصلت قبائلِ حَمِدَه[2] من بلاد عَمْران ونشروا أعلام الفساد والطغيان، والناشر لها الشيخ عبد الله القُفَيْلي بعد نزوله إلى حُفاش لمناجزة ابن جزيلان، وكان ذلك في سنة ثلاث وتسعين كما قدّمناه وإنه وصل إلى صنعاء حضرة الإمام وصحبته السيد حسين الشرعي وبقي أياماً وخرج مغاضباً معتلاً بأن الإمام لم يُوفِه الغرامات، وأعلن الفساد هو والسيد حسين الشرعي بـ (حَمِدَه) وذلك في شهر جمادى، واحتج الإمام على عمّه الصفي وألزمه الخروج إلى هذه للإصلاح فتبرأ من التوسط على البلاد، وما زالت تضطرب بالفتن إلى شهر شعبان فطلب الإمام يحيـى بن محسن بن علي وكان بـ (حجّه) فسار إلى عَمْران مقاتلاً ومتولياً فبقي بها شعبان ورمضان يسادد ويقارب حتى انكف القُفيلي، فسار إليهم الأمير يحيـى بن محسن بالوادي الذي بين حَمِدَه وبيت جعر.

وكان قبائل حَمِدة قد نكَفَّت واستدعت أكثر قبيلة حاشد، وانضم إليها قبيلة ذو محمد آل صوفة عليهم علي بن يحيـى بن إسحاق، وتشتتوا فبعض منهم بحمدة وبعض منهم بـ (رَيْده) فلاقاهم فتصافوا وحمل في طائفة يسيرة حتى قارب حمدة فخرج عليه رعيل كالغمام فانكسر مجروحاً مصاباً برصاصة في عضده الأيسر وجُرحت فرسه وجرح جماعة من أصحابه، وحمته جماعة من التوابع وفرّ الآخرون. وما زال بفرسه في ذلك الحال يضرب يميناً وشمالاً، ولم يثبت معه سوى عشرة من البطانة إلى غروب شمس ذلك اليوم، وعاد وقد أبلى بلاءً حسناً.

ثم أصلح الإمام المنصور شأنهم وراح عن عمران يحيـى بن محسن بن علي وقد كثر اللغط من شأنه من الصفي أحمد بن المنصور، واستقر بـ (حجّه) وخمدت بعد ذلك الشرور.

ومن مظاهر الرحمـٰن الرحيم في هذا العام رخص في الأسعار وغزرة في الأمطار وعطف على أهل الديار، أكتال الناس القدحين الحنطة بقرش فرانصة، وثلاثة أقداح ونصف من الذرة بقرش فرانصة، والشعير أربعة أقداح بقرش، والسليط بلغ عشرة أرطال

---

(١) **الحواز**: المقصود القرى الواقعة في أطراف صنعاء.

(٢) حَمِدَه: قرية في قاع البَوْن بالقرب من رَيْده.

بقرش، والحمد لِمُكَدِّر الليل على النهار على باوغ الأوطار.

[دخول الشريف سرور إلى المدينة]

وفي هذا العام كانت الفتنة بين الشريف سرور وبين أهل المدينة المنورة، زادها الله جلالاً ومهابةً، فراح عن مكة في جيشٍ جرّار وحاصر أهلها حتى خرجوا إليه ودخلها قهراً، فأخرج عنها عُمّال السلطنة وقرّر أمورها وأحوالها وأخذ شيئاً واسعاً من أموالها المعلّقة على قبر سيّد الأنام ﷺ. استعان به في مرضاة العَلاّم، وعاد مؤيَّداً منصوراً.

[قتال سرور لقبائل حرب]

ولمّا استقر بمكة أياماً جاءه الخبر بأن أهل المدينة ومَن فيها من المهاجرين استغاثوا بقبائل حرب[١] وأخرجوا عامله منها، فثَنَى عنان عزمه وعبأ الأزواد وراح بجيشٍ جرّار لحرب قبيلة حرب وصحبهُ قبيلة هُذَيْل[٢] على حرجٍ في صدورهم، فلما بلغ كراع الغميم وهو المعروف الآن بـ (خُلَيْص)[٣] خانته قبيلة هذيل وعادوا عليه فرموه، فلف بطانته وسائر القبائل وصال عليهم فانتصف منهم وقتل نحو السبعين وأسر منهم طائفة وافرة، ولم يتم له أمر في الانتصاف من حرب.

[ترجمة سرور بن مساعد]

ولنذكر شيئاً من أحوال هذا الشريف الماجد، فهو سرور بن مساعد بن سعيد بن زيد المكي الأصل والنشأة، مولده تقريباً كما أخبرني بعض المكيّين سنة سبعين ومائة وألف، أفضَى[٤] إليه الأمر وهو في نحو ست عشرة سنة أخذ أم القُرَى[٥] قهراً بالسيف، وناجز عمه أحمد بن سعيد مناجزة شديدة، وأعانه على ذلك مال والده وكان مخزوناً لدى عمته صالحة حرسته له حتى بلغ الحُلُم فاستعان به وصاول عمه حتى أخرجه عن مكة، وثنيت له الوسادة فتتبع الأشرار والحرامية وأهل الفساد وأخلَى ديارهم، فذلّ من سطورته العاصي وطهّر بيت الله تعالى من الدَّنَس، وثبت على الحرامية العيون والحرَس، ونفى أشرار المماليك عن مكّة فطار صيته في الأقطار وحَمِدَهُ العالم، في الشرق والغرب والحجاز واليمن والهند والروم، أكبر نُهمة الحاج التحدث عنه وعن مجرياته، وحدَّث عنه الكثير بانتصابه لفصل الخصومات وتأمين الطرقات. غزَى مراتٍ عديدة إلى الأعراب

---

(١) حَرْب: حلف قبلي أغلبه من العدنانية. تمتد ديارهم من جنوب ينبع إلى القُنفذة، وحول المنطقة الجبلية الممتدة من المدينة المنوّرة إلى مكة المكرمة.

(٢) هُذَيْل: قبيلة مشهورة ديارها حول مكة والطائف.

(٣) خُليص: بضم الخاء المعجمة، وادٍ فيه قرى كثيرة وهو من أعمال إمارة مكة.

(٤) أفضى: (أفضا). وقد تكرر مثل ذلك كثيراً لذلك سنغمض عن الإشارة إلى شبيهة.

(٥) أم القرى: من بلدان منطقة دَوْقَه وأعمال إمارة مكة.

والبوادي، فأذعن له العصاة ورفعوا قدره حتى شاع وذاع عند سلاطين الدنيا، فساقوا إليه الأموال وتملّك حُبه بقلوبهم، وزوّجه سلطان الغرب الإدريسي ابنته وأعلن بالنكاح في بلاده ووصلته من الصِلات، وكان يأتي إليه الغريب الديار فيذكر له ما جرى عليه ممن في حوزته من الأشرار فينتصف له منه، وكان لا يشكو إليه أحد من الحرامية بأنهم سلبوه إلا واستفصله عن المحل وقال: اذهب وآتني يوم كذا، فلا يأتي يوم كذا، إلا وسَلَبه محفوظ. ولمّا أخرج في هذا العام عمال السلطان من المدينة هَمّ صاحب الروم بقتله أو ضبطه فأخرج الباشا أمير الحاج عازماً على ذلك فاحترس منه، فلم يظفر عليه بطائل، وفيما ذكرنا على الإجمال من أحواله كفاية، وبلغ من هيبته في الصدور أن أنكر الأكثر موته وداموا على الإنكار على مر الأعوام والشهور.

[قبائل ختعم تسلب الحجاج]

وفي هذا العام نفذ حج اليمن فقصدوا طريق الحجاز، فبلغوا محلةً يقال لها: الصُلُبات ـ بصاد مهملة مضمومة فلام مشددة مضمومة بعدها موحدة فألف فتاء تأنيث ـ قريةٍ من أعمال بلاد غامد، ففاجأتهم قبائل الأكلُب وهم بنو تغلِب وقبائل آل السيَّار وهم من خُثعم، فباشروهم بالطعن والضرب والسلب، فقتل من حاج اليمن والحجاز وقحطان نحو الخمسين، وانتهبوا نحو المائتين من البغال والحمير، موقرة بضائع الحاج وتجارته، وكان ذلك بعد العود من قضاء مناسكهم حسبما سنفصله في عام ست وتسعين، فالحادثة كانت نهار الخميس ثالث شهر الله المحرم عام ست وتسعين، وإنما قدمنا هذا لأنهم كانوا يتحدثون عند ورودهم بأن أهل الصُـلُّبات أسمعوهم ما يؤلم فأنتج بعد العَود هذا.

[ولي الله الحسن بن صالح الحدَّاد]

وفيها: يوم الخميس خامس وعشرين جمادى الآخرة، الحسن بن صالح الحدّاد الثابتي[1] رأس أهل العبادة والاجتهاد، وكهف الضعفاء والأرامل، المؤذن بجامع صنعاء. مولده سنة خمس عشرة ومائة وألف بصنعاء، مات والده وهو رضيع فكفله جَدّنا الفقيه الزاهد العلامة أحمد لطف الله حَجّاف رحمه الله تعالى، وحفّظه القرآن على الأداء المعروف عن ظهر قلبٍ، ثم دأب في القراءة فحصَّل في النحو قسطاً انتفع به، وقرأ الأصول قراءة خفيفة وأقبل على علم الحديث فأخذ فيه عن هاشم بن يحيى الشامي، وعن عبد الله بن لطف الباري الكبسي، وحضَر درس البدر المنير محمد بن إسماعيل الأمير، وتخَلّى للعبادة واجتهد فيها وكان يدخل في صغره علىٰ الإمام المتوكل على الله

---

(١) نشر العَرف (١/ ٤٨٣).

القاسم بن الحسين فيدنيه منه وكساهُ مراراً عديدة وكان يقول أرى على هذا مخايل الصّلاح.

وكان حسن الصوت لا يسمع تلاوته أحد إلا تحيَّر[1] لِحُسن صوته، واشتغل به المنصور بالله الحسن القسم، وكان يستدعيه كثيراً من الأحيان نصف الليل فيذهب إليه ويأمره بالتلاوة. ولمّا مات جَدّي والدي وكان في كفالته سنة خمسين ومائة وألف دخل على الإمام المنصور وألقى إليه هذه الأبيات للأديب القارىء محسن الخُبانـي مرثاة وهي:

أأسلو ولي دمعٌ يسيل وقد أبْرَى	فِراق الذي أهوى عظام الذي أَقْرَا
وهيّج أحزان الفؤاد وفي الحشا	لهيبٌ بنارٍ أشعلت شرراً أَحْمَرَا
وأجرَى دماً دمع المحبين فُقده	ولولاه ما أدخلت لي أملاً صدرا
ووالله ما أبكي الحياة وإنّما	فراق الذي بالأمس كنت به مُغْرَى
صفي الهدى والزهد والدين والتُقى	وخيرة من أحيا العلوم التي تُقرَا
به شرفت أبناء قوم وأُحييت	مآذن يسمعنا الآذان بـهِ جَهرا
وكم لابن لطف الله من أنعمٍ ومِن	مفاخر لا أحصي لتعدادها قدرَا
لـه اللّـهُ من فذٍ قضى الله أمره	عليه وقد كنا نراه لنا ذخرا
وأوحش لمّا غاب عنا نداؤه	وهيهات أن ننسَى له أبداً ذِكرَى
فقل قدَّس الرحمٰنُ في الخُلد روحه	وأرّخ له الفردوس تُفْدَى لَهُ أجرا
	سنة ١١٥٠

فقرأها المنصور بالله الحسين وترّحم عليه وقال: كان أحمد بن لطف الله من أهل الورع وقد أقمناك مقامه، ولما أَسَر المنصور الحسين آل إسحاق أمره بملازمته لمدارسة كتاب الله العزيز عن ظهر قلبه، فما زال يدارسه حتى توفاه الله تعالى. وكان يبعث إليه بالصلات لأهل الحاجات ويدنيه من مقامه، وجرت بينه وبين وزيره الشيخ محسن راجح بعض مواحشة فلما مات الإمام المنصور أدناه ولده المهدي العباس منه وكان يحبه من السالف فرفع له ذِكراً، وعرف له قدراً، وساق إليه الخير، وأناط به آمال المحتاجين، وأمر بصرف صدقةٍ جارية على يده لا تنقطع يوماً، فجعل في كل يوم من الأسبوع قيمة صدقة طعاماً سبعة قروش فرانصة، وفي يوم الجمعة ثلاثين قدحاً طعاماً، تقسط لأهل الحاجات وثلاث صلات في كل عام في الشتاء مرة، وفي شهر رمضان مرة، وفي ذي الحجة مَرّةً. وكان يبعث إليه خلال أيام السنة بالدنانير والدراهم فيفرقها على الضعفاء،

---

(١) تحيَّر: تأخر عن مراده لقصد استماعه.

وكان لا يدع الشفاعة لدى المهدي العباس فيقبَلها، فيعرّفه من عمارة مسكن لفقير أو إعانة متزوج أو قضاء دين مُعْسِرٍ أو تبليغ ابن سبيل متحير، وأَرَادهُ على العمل فتحاماه خوفاً من الله تعالى.

وكان طاهر اللسان لا يذكر بالعيب إنساناً مُوَزِّعاً أوقاته بالطاعة. كان يقوم النصف الأخير من الليل فيتوضأ ويصلي ثلاث عشرة ركعة حتى يصبح ثم يصلي الفجر، وكان يقعد بمصلاّه أحياناً حتى تطلع الشمس فيصلي ثماني ركعات ثم ينام فيقوم فيصلي الضحى ثم يصلي أربعاً قبل الظهر وأربعاً بعده وأربعاً قبل العصر وست ركعات بعد المغرب ويصلي العشاء وينام ويقوم النصف الأخير لا يفتر لسانه عن الذكر، لا يمر به يوم لا يبكي فيه من خشية الله تعالى.

وحصلت وحشة بينه وبين القاضي أحمد بن محمد قاطن أيام توليته الأوقاف، فكان أهل الوظائف إذا تأخرت عنهم النفقات قصدوا صاحب الترجمة فينزل على الإمام المهدي فيشكوه، وأخّر عليهم في بعض الشهور الأقوات فاجتمعوا إلى المترجم له ولم يعذروه من النزول معهم إلى الإمام فنزل قبل وقت الظهر فلما وصلوا باب الإمام رفعوا أصواتهم بالأذان فطلبه الإمام لمقابلة القاضي أحمد وآل الأمر إلى أن قال: قد استوجبت الحبس لأمرك لهؤلاء بالأذان قبل الوقت فتلى عليه ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ﴾[1] وبقي بالسجن عشرين يوماً ثم خرج عن صنعاء وقصد الروضة للمهاجرة وكان في نفس جماعةٍ من أهل العلم خروجه، وآل الأمر إلى خروج عبد الله بن لطف الباري الكبسي الهاشمي من صنعاء إلى ذهبان مهاجراً لذلك السبب فأعاده الإمام إلى الوظيفة ونكّل بالقاضي أحمد قاطن وأبدى عللاً توجب حبسه وأعاد المترجَم لَهُ لوظيفته.

[أحاديث في الأذان والإقامة]

ولمّا خرج من صنعاء إلى الروضة للمهاجرة بها، سكن بيتاً كان له هنالك فعمر بأعلاه شبه منارة، فكان يؤذن بها، فقيل له: إنك مُغرَى بالاذان فقال: لأكمل بذلك اثنتي عشرة سنة، فإني سمعت عن عالم صنعاء محمد بن إسماعيل الأمير حديثاً وصفه بالصحّة أن عمر بن الخطاب قال: سمعت النبي ﷺ يقول: (من أَذَّن اثنتي عشرة سنة وجبت له الجنة وكُتِب له بتأذينه في كل مرّة ستون حسنة، وبإقامته ثلاثون حسنة). هذا لفظه، وكان يحب المؤذنين ويدعوهم ويقول لهم: ثَبت لنا عن بلال أنه كان يؤذن بين يدي رسول الله ﷺ وأنه كان يدخل إصبعيه السبابتين في أذنيه وأنه كان يستدبر وأنه كان

---

(١) سورة يوسف، الآية (٣٥).

يشفع الأذان ويوتر الإقامة، وفي بعض الروايات أنه كان يشفع الإقامة وأنه كان يرتِّل الأذان بأمرٍ من النبي ﷺ، ويَحْدِر الإقامة وأنه يغفر للمؤذن مدا صوته وأنه يشهد له الشجر والحجر وأن المرأة تؤذن وتقيم وتؤم النساء كما صح عن عائشة وأنه لا يؤذن ولا يقيم في السفر في شيء من الصلوات إلا في صلاة الصبح فإنه كان عليه السلام يأمر بالأذان والإقامة فيها وكان يقول لهم كل هذا صحيح عن رسول الله ﷺ. كذا حدثني والدي عنه، ولمّا خرج من السجن وحبس القاضي أحمد قاطن رحمه الله تعالى قال بعض أدباء العصر شعراً:

قد أضرم الحداد في غسق الدُجَى ... ناراً لشكواه إلى رب السما

ولكم تحرك كيره بزفيره ... فيثير من شرر الإجابة أسهما

وكمن له رجل من أهل الشر في الليل في الجامع فدخل الجامع وليس فيه أحد من الناس فقام الرجل شاهراً للسلاح يريد قتله فارتاع له وقال: حسبنا الله ونعم الوكيل، واستسلم فسقط الرجل مغشياً عليه وبلغ الإمام المهدي العباس ذلك وأراد حبس الفاعل فأخفى أثره. ورجم بيته رجل من أهل الشر في الليل وتكرر منه ذلك فبلغ الإمام فبعث عيناً عليه حتى أمسكه وأودعه السجن سنة كاملة.

وكان رحمه الله تعالى طيب العيش يلبس الفاخر من الثياب، محباً للطيب، أصابه حصر البول فبعث إليه الإمام المهدي بِمَن يبضع للحصاة، فوصل إليه البضاع وأمر أن يستعمل مخدراً لئلا يجد ألم البضع فقال له: لا سبيل إلى ذلك وسأصبر، ثم باشره فلما وجد الألم استغاث بالله وأكثر من قول: يا غياث المستغيثين، فلما وقف البضاع على الحجر في المثانة استبعدها، فقال له: بُلْ لتنزل الحجر عن محلها، فبال فنزلت فدخلت قصبة الذكر فاسترجع البضاع، فقال مالك: فأخبره وأرشده إلى استعمال المخدر فقال: لا سأصبر فشق قصبة ذكره واستخرجها وهو صابر وعاش بعد ذلك صحيحاً، إلا أنه انقطع نسله وكان قد ولد له من قبل ولداً ذكراً وسماه يحيى ومات صغيراً. قال المؤلف غفر الله تعالى له. ولما وقعت الوحشة بينه وبين القاضي أحمد دعىٰ زوجته وخيّرها بين البقاء على تلك الحالة وبين نفسها فاختارته.

وحصلت بينه وبين الوزير علي بن حسن الأكوع وحشة وسببها إقبال الإمام عليه فكان مع ذلك يجامله ويميل معه إلى الإلفة، ولما شَرى الوزير البيوت التي غربي الجامع في صنعاء على باب بستانه القبلي عمر داراً مكانها وكان أخربها أولاً وملأ الطرقات تراباً فكتب له المترجَم له هذه الأبيات يشكو تضييق التراب على جيرانه.

جمال الهدى هنيت ما قد عمرته ... وزادك رب العرش من فضله برا

وبلّغك المأمول من كل مطلب وأولاك في الدنيا نعيماً وفي الآخرىٰ
وسوحكم الميمون يشكو إليكم تراب به قد ضاق من وسعه صدرا
فمنّ بتنفيسٍ عليه فإنه حِمَاك حماك الله يا من علا قدرا

فوصلت إليه هذه الأبيات فأمر بحمل التراب. قلت: وضعف بصره في آخر أيامه فأذّن في شهر رمضان المغرب وظهر بعد أذانه الشفق فنقم عليه أخو الوزير القاضي عبد الرحمٰن بن حسن الأكوع وكان مبايناً له وقال: كيف يقلد الناس أعمى فقال: إنما أشكوك إلى الله تعالى فلم تدر الأيام والليالي حتى عمي القاضي عبد الرحمٰن. قلت: وجاهره بالعَمى السيد أحمد بن آدم مؤذّن مسجد موسَى لمّا وصل إلزام من المهدي العباس لجميع أهل الصوامع أن لا يؤذن أحدٌ منهم المغرب والفجر إلا بعد أن يؤذن المترجَم لَهُ، فلما حضر الجمع وقرأ عليهم رأي المهدي العباس قام المترجَم له وقد ضعف بصره ضعفاً مجاوزاً فصَكّ وجهه بدعامة المسجد الجامع فقال أحمد بن آدم: كيف نتبع هذا الأعمى الذي صكّ وجهه فأصابه بكلمته غيظ كظمه وبكى لذلك فلم تمض الأيام حتى أصاب أحمد بن آدم العَمى ورأيته يمشي بقائد في الطرقات واعتذر آخر أيامه من الإمام المهدي وتضجّر من الحياة وعدم القدرة على الوصول إليه، فتوجع له من ذلك الإمام وكتب أعلا تعريفه: حماك الله تعالى طال ما رَوَّحتنا بإعانتك للضعفاء وشكوت الحياة فما أحسن ما قاله أبو الطيب:

وإذا الشيخ قال آهٍ فما مَل حياةً ولكن الضعف مَلاَّ

ولمّا مات الإمام المهدي[1] حزن حزناً شديداً وعاف الحياة بعده وكان لا يرد حاجة يرفعها إليه وتخلى عن الدنيا ولبس الخشن من الثياب ودعىٰ والدي أحمد بن لطف الله رحمه الله تعالى وقال له: لا أملك في الدنيا من أموال التجارة والزراعة شيئاً، ولا أملك درهماً ولا ديناراً وقد عزمت على بيع بـ (بير العَزب) فأسعفه والدي إلى بيعه، فلما حصلت دراهمه صرفها كلها في وُجوُه الخير، ثم عاد على متاعه وملبوسه فباعه، وصرف قيمته في أصل الحاجات، وبعث إلى الإمام المنصور بالله بكتاب يطلب منه شراء بيته بـ (صنعاء)، واشترط سكونه فيه إلى الموت فأسعفه وأرسل من يقوّمه بالثمن فبذل للمقوم له عشرة قروش فرانصة على أن يزيده في الثمن فقال: لا يجوز لي، فقال: المال من بيت مال المسلمين والمشتري أمير المؤمنين والبائع حسن الحدّاد سيصرف الثمن في وجوه الخير قال: نعم. وزاد ثمن البيت مائة وخمسين قرشاً حجراً، ولمّا وصلت إليه القيمة شرَى بها بيوتاً صغاراً لأهل الحاجات وفك ديوناً لضعفاء شكوا أمرهم عليه.

---

(١) سنة (١١٨٩هـ).

ولما قام بالخلافة المنصور بالله علي بن العباس أجلّه ورفع شأنه واستدعاه إلى مقامه وأناط به أمور الصلات والصدقات إلا أنه لم يوفرها كما كانت أيام والده، ولما حضرته الوفاة قال: اسندوني أصلي العصر فصلىَّ ثم سلّم والتفت يميناً ورفع إصبعه السبّابة وقال: أشهد أن لا إلـه إلا الله ففاضت نفسه. وقد رآه رحمه الله تعالى بعض الأعلام بعد موته محمولاً على تخت والخدم عن يمينه وشماله فقال: وجدنا ما وعدنا الله حقاً.

[العلم الرباني الحسن بن زيد الشامي]

وفيها: العالم الرباني شهر جمادي الأولى، الحسن بن زيد الشامي الهاشمي(١). كان رحمه الله تعالى عالماً عاملاً محدثاً له بصر بتعليم الجَهلة من الناس وحُسن مقصد في مساعي الخير. سكن ببلدة مَسْور فهدَى الأكثر ثم سكن بهجرة سَنَاع فصلح به عالم من الناس ، وسكن بير العزب فانثال عليه أهلها وسكن بالجراف وحبب إليه الخير والصلاح، واتصل بالإمام المهدي العباس فأحبه وقبل شفاعته، وكان نهمته السعي في الصدقات وقضاء الحاجات فكان يقصد الناس إلى بيوتهم ليبين لهم وجوه الحلال والحرام ويجتهد في نقل ما يتوجه عليهم ويكتب لهم الأدعية المأثورة، وكان إذا لقى المرأة في الطريق دعاها وبيَّن لها حكم الحيض وكيفية العمل فيه، ويأمرها أن تعلم نساء آل فلان وآل فلان ويقول لهذه: اذهبي إلى أهل حافتك فعلّميهم كذا ويأخذ عليهن أن لا يغتبن رجلاً ولا امرأة ويحذرهن من البهت والكذب والزور، ويعود على الرجال فيجمعهم لديه ويحذرهم وينذرهم فكان أهل القبول للكلمة يتواصون بقصده ويتواعدون لزيارته فيداويهم من مصائبهم بحديثه، وكان لا يدع الأغنياء من الموعظة الحسنة، فيستخرج بها منهم ما أمكن للضعفاء والمساكين.

ترجمه القاضي أحمد بن محمد قاطن في كتابه التحفة فقال:

هو المحقق الذي لا تفوته دقائق العلوم. والمدقق الذي توضح من مشكاته حقائق الحدود والرسوم. والقانتُ الأواه. والفائت أهل زمانه إيمانه وتقواه. والبصير بالتربية لمن أراد السلوك إلى الطريق المحمدية. والنصير لكل مظلوم يدفع الشكوك عن التهم بكل قضية. شغلته خدمة الفقراء والإشفاق عليهم والتذكير بهم. والإحسان إليهم. وبذل طاقته في النصيحة لأئمة المسلمين. والهداية للمسترشدين. وموالاة الصالحين. والإعراض عن الدنيا بجملتها. والمواصلة لإخوانه. والإشفاق على خِلاّنه. وله طريق في الصبر على المتعلمين عجيبة الأسلوب. وتحقيق لهم يقرب فيه غاية المطلوب. مع ورع صحيح. ومتجر في كل الخيرات ربيح. كل من عرفه أحبه. ومن جانبه وقع في قلبه

---

(١) نشر العَرف (١/ ٤٧٣)، البدر الطالع (١/ ١٩٨).

منه رهبة. فيه من الأخلاق النبوية المماثلة التامة. والمشابهة العامة.

حتى قال القاضي رحمه الله تعالى: فهو بحر العلم المتلاطمة أمواجُه. الواضحة فجاجُه. يُلتَقَطُ الدُرّ من بين شفتيه وتستفاد الفرائد بين يديه. لا تراه إلا في إحياء العلوم. والعبادةِ للحي القيوم. وله نفس لطيفة. ودعابات شريفة. وآيات في الكرم بينه. وسمات في الظَرف صينه. وله في المرائي اعتقاد. وعلى منكرها انتقاد.

حتى قال القاضي: ومع كمال أمانته وديانته. وحسن نيته وصيانته. فكلمته مقبولة. وعلى العيون محمولة. عند المأمور والأمير. واسع الجاه على الإطلاق لا يقدح فيه إلا حاسد. ولا ينتقص منه إلا معاند.

هذا كلام القاضي مع تصرف فيه، وذكر القاضي رحمه الله تعالى أنه أخذ عن هاشم بن يحيى الشامي، وأخذ عنه عدة من الناس لا يأتي عليهم العد. ولمّا مات العلامة أحمد بن عبد الرحمـٰن الشامي وكانت وصيته غير مُسندة إلى أحد أناطَها المهدي العباس بالمترجَمْ لَهُ ففرح بها فرحاً شديداً إذ كان فيها وصية للفقراء وأهل الحاجات فخزل منها أموالاً واسعة وأعطاها جماعةً من المساكين وقرر قواعدها لهم ليستغلوها فغني بذلك عالم كانوا في صباح يومهم فقراء وأمسوا أغنياء، وجعل لهم مسودة حافلة تحفظها من البيع، وأخذ على من هي في يده إقامة الرّقية.

وكان يُتعِبُ نفسه في السعي للفقراء، ولما رآه هاشم بن يحيى رحمه الله تعالى قال: ارفق بنفسك أتريد أن تغني من أراد الله فقره؟ هَوِّن على نفسك، فقال: قد أمرنا بالسعي فقال لَهُ: نعم ولكن بالتي هي أحسن فقال: لا أحسن من هذا.

وكان رحمه الله تعالى قد قام وقعد عند دعوة محمد بن إسحاق وظن الظنون في الخير، فلما رأى الحال أنكره وأعرض عن محمد بن إسحاق بالمرَّة. حدّثني والدي رحمه الله تعالى عنه أنه قال ما زلت بالمهدي العبّاس حتى جعل لي سبعين قرشاً فرانصة في كل شهر أنفِقها على الضعفاء قال: وقلت له: وهذه غير ما أشفع فيه وأرفعه إليك مما تدعو إليه الحاجة فقال: نعم، فكان يستخرج في كل شهر أكثر من ذلك المقرر ومع هذا فكان لا يدع الترسُل على الإمام المهدي ويرفع إليه ما تشكوه الرعايا من الولاة. وكان المهدي العباس رحمه الله تعالى يقرأ ما جاء منه ويعتذر إليه ويشكو له عدم المعين على الخير وما زال بالإمام المهدي حتى جعل محمد بن إسماعيل حنش على المخزان ليقبض من الرعايا الحقوق الواجبة فأسعفه وقصده الفقيه إسماعيل بن محمد حنش فقال: تعلم أن الزكاة صائرة إلى من لا تحل له فقال المترجَمْ لَهُ: المراد صِيَانة الرعايا وعَمل صرفها باب آخر إلى الإمام.

قال المؤلف غفر الله تعالى لَهُ وأخبرني الوزير حسن بن علي حنش أنه كان يتولّى لإسماعيل بن محمد حنش أعمالاً للزكاة فيشترط عليه ما اشترطه المترجَمْ لَهُ من أن الطائفي والقبّاض لا يزاد في الإقامة لهما على دجاجة تذبح في وقت العشاء، ومنَع المكيال الذي يُطفّفُ به أهل المخازين وقد كانوا يجعلون مكيالاً يستوفون به من الرعايا وافياً ومكيالاً يَبخسون به المخروج. وورد على المترجَم له رجل أفّاقي لَهُ معرفة بعلم السّيمياء ظاهرٌ عليه التقوى والصلاح إلى هجرة سَنَاع وله جِراب تمر يأكل منه وقت فاقتِهِ فاستدعاهُ فامتنع فقال: احضر ولا تأكل معنا فحضر وأكل تَمَراتٍ ثم عَرّف الإمام المهدي بمحلهِ فأرسل له بعشرة قروش فرانصة فلما رآها كرهها وقال للحسن بن زيد افتح الطّاق ففتحها فرأى على الأرض ذهباً واسعاً فطمع فيه للفقراء فنزل إلى الأرض فلم يجد شيئاً فعاد متعجباً وقال له أعطنا في هذا الذي اريتنا لنعطي منه ضعفاء الناس فقال: لو أذن لنا في التصرف لأعطيناك، وحدّث بتلك القضية المهدي العباس وقال: أما أنت فمأذونٌ لك فأعطاه مائتي قرش فرانصة يفرقها على ضعفاء العباد، وكان يعد النوائب والخطوب عقوبات فإذا وقع له نكبة قال: هذه جزاء العمل السَّيىءِ الفلاني. وامتُحن ـ مع علمه بالسُنّة ـ بالشك في الوضوء، وتحدّث بأن تلك سيئة وتَرقّب نائبة فابتلى بسلس البول فكان يقول عقوبة الشك السلس. وكان إذا رأى المُبْتَلى بالشك في الوضوء أمره بالاستعاذة بالله تعالى من الوسوسة. قلت هو في حديث عند أبـي داود عن ابن عباس: نعوذ بالله من وسوسة الوضوء.

انكسرت رجله بخزائن مطهر في الجراف فقال هي عقوبة لترك الورد في الصباح وأنه ما قال في يومه: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، وكان المجبّر يأتيه مع اشتداد ألم الكسر وكان أثقله عليه حين يفك الأعضاء التي عليها العصابة قال: فسألت الله تعالى اللطف فكان يلقى علي النوم حال مباشرة العمل. وكان رحمه الله تعالى يستدل على أن تعذيب أطفال المشركين الوارد في الأثر إنما هو كهذا بحيث لا يجدون ألماً.

ولما مات الإمام المهدي رحمه الله تعالى حزنه حزناً شديداً فاستقر بصنعاء أياماً ثم رحل عنها إلى محل ولادته مَسْوَر خَوْلاَن ومات بها رحمه الله تعالى.

[جواز النافلة بعد الفجر وبعد العصر]

قال المؤلف غفر الله تعالى لَهُ: كانت له مذاكرة مع بعض معاصريه في جواز ركعتي الفجر بعد صلاتها قبل طلوع الشمس وأورد فيها ما أخرجه ابن جرير عن جابر أن رسول الله ﷺ صلى الفجر فلما قضى صلاته بصر برجل يصلي فرقبه حتى قضى صلاته ثم أرسل إليه فقال: ما صلاتك هذه بعد المكتوبة؟ فقال: يا رسول الله أتيت وأنت في الصلاة، ولم أكن صليت ركعتي الفجر فدخلت في صلاتك وآثرتها على الركعتين فلما

سلّمت صليت الركعتين، قال جابر: ولم ينكر ذلك عليه رسول الله ﷺ ولم يغير. قال: فهذا دال على الجواز وفيه أنه لا يجوز النهي عن الصلاة وإن كان المصلي في وقت الكراهة لأن النبي ﷺ وَقبه ولم ينهره. قلت: ولهذا الحديث شواهد منها: ما أخرجه ابن أبي شيبة عن قيس بن عمر: رأى النبي ﷺ رجلاً يصلي بعد صلاة الصبح ركعتين فقال: أصلاة الصبح مرتين؟ فقال الرجل: إني لم أكن صليت الركعتين قبلهما فصليتهما الآن. فسكت رسول الله ﷺ وأخرج عبد الرزاق عن ابن جريج قال: سمعت عبد ربه عن سعيد أخا يحيى بن سعيد يُحدّث عن جده قال: خرج أبي الصبح فدخل النبي ﷺ في الصبح ولم يكن ركع ركعتي الفجر فصلى مع النبي ﷺ فقال: ما هذه الصلاة؟ فأخبره فسكت النبي ﷺ ومضى ولم يقل شيئاً.

قال المؤلف غفر الله تعالى لَهُ: ومع ذكر هاتين الركعتين نذكر الركعتين بعد العصر فإنه قد شاع المنع عنهما والنهي في أحاديث طافحة إلا أن في سنن أبي داود من حديث علي عليه السلام أن النبي ﷺ نَهى عن الصلاة بعد العصر إلا والشمس مرتفعة. هذا لفظه. قال المنذري. وأخرجه النسائي. قلت: ولفظ النسائي: نَهى عن الصلاة بعد العصر إلا أن تكون الشمس بيضاء نقية ورجال أسناده ثقات، وهو عند مالك في الموطأ وأحمد والبيهقي بلفظ لا تصلوا بعد العصر إلا أن تصلوا والشمس بيضاء مرتفعة. وفي مسلم أن عمر كان يضرب الأيدي على صلاة بعد العصر. قال في الفتح: وروى عبد الرزاق سبب ضرب عمر أيدي الناس على ذلك فروى عن زيد بن خالد أن عمر رآه وهو خليفة ركع بعد العصر فضربه وقال: يا زيد لولا أني أخشى أن يتخذها الناس سلماً إلى الصلاة في الليل لم أضرب فيهما، فهذا كما تراه صريح من عمر في جواز تلك السنة ولكنه خشي أن يستطيل الأمر ويقع حين الغروب المنهى عنه. وروى يحيى بن بكير عن تميم الداري نحو رواية زيد بن خالد.

وحدثني أن المترجَم كان إذا أذّن لا يصلي بأحد ولا يصلي بعد المؤذن وكان يروي في ذلك حديثاً. قلت: هو ما أخرجه البيهقي في السنن عن جابر مرفوعاً: نَهى أن يكون الإمام مؤذناً.

[أحمد بن يعقوب الحكيم الهاشمي]

وفيها: يوم الثلاثاء خامس وعشرين شهر رجب، أحمد بن يعقوب الحكيم الهاشمي[1] الماهر المتطبب الهندي أصلاً ومنشأ، وصل إلى صنعاء عام إحدى وسبعين ومائة ألف في زي الفقراء فنعته بكتاب الأمير سعيد سعد المجزبي للإمام المهدي

---

(١) نشر العرف (١/ ٣٠٤)، ملحق البدر الطالع (٥٠).

العباس وهو ببندر زَبيد فبعث إليه واستفصحه عن خبره وكان عائداً من الحج قاصداً بلاده الهند فاستوقفه وما زال يراسل إليه فوجد عنده معرفة بالطب نافعة وكانت معرفته بالطب منحة من الله تعالى ويذكر أنه دَعَى له بعض مشائخه بالفتوح في يومي الأحد والربوع، قال بعض من عرفه: فكان لا يكاد يخطىء الدواء في هذين اليومين فأمّا في غيرهما فربما حصل النفع وربما لا يحصل، ولما تتّبع المهدي العباس أخلاقه وشمائله رآه بمحل من الصلاح والعفاف وعدم التهور فأدناه من مجلسه وبعثه إلى المرضى وأهل العلل وشكر صنيعه للناس فانتفع به العالم.

وكان رحمه الله تعالى لا يقر لأحدٍ بأنه يملك في الأرض ذرة ويقول: كلها لله تعالى ولا يَرى لأحدٍ فضلاً على أحد ويقول كل الناس عباد الله تعالى. ومن كلامه: من الغبن أن يصعد الروح ويرجع لا يمتزج بذكر الله تعالى. وكان كثير الذكر وإذا طلبه الإمام لا يحتفل بتسوية الهيئة كما هي عادة الناس في الدخول على الملوك، حدثني ولده علي بن أحمد أنه كان يرى ما وصل إليه كما يراه الآخر فلا يحتفل بشيء منه وأنه أرسل له المهدي العباس بشيء من آلات الصين الفاخرة فشرعها بمقامه قال: فما دارت أيام قلائل إلا وقد ذهب جمعه كان يدخل عليه الدّاخل فيعجبه فيسأله فيعطيه. قال لي: ومن عجيب أمره أن الصينية التي يتقهوى فيها إنما تحفظها بعض نسائه خوفاً من أن يأخذها عليه الغير. وحدّثني أنه فرش الإمام الدار التي أنزله بها فما دارت يُويْمات حتى كشط كل ذلك من سماحته وعدمِ مبالاته. وكان يسعى في الخير ويثابر على إعانة الضعفاء ويستخرج من الخليفة أموالاً جمة.

وأدرك الإمام في بعض أيامه تغيراً في المزاج وقلقاً في الطبع، فجاء إليه فجسَّ نبضه فوجده صالحاً فقال: العلة تنبىء عن جمع المال والدواء والإنفاق على أهل الحاجة، فبذل الإمام مالاً للصدقة فاستوَى مزاجه واعتدل طبعه. وجيء برجل من أهل الجرائم وقد احتوت الناس باب دار الإمام فقال: تنظر هذا؟ قال: نعم قال: فاتق الله تعالى فإني أخاف أن يؤتَى بك يوم القيامة هكذا. وكان المهدي العباس لا يطرح الحشمة مع أحد سواه وبدت من الإمام غضبه عليه فراح عنه واشتغل بتدبير أمره للسفر، فبعث إليه فقال: ما شأنك؟ فقال: أنا رجل هندي غريب الديار لا يطمعني شيء ولي جارية منك خذها لا حاجة لي بها، فوقفه وقرر خاطره.

واشتغل آخر أيامه رحمه الله تعالى بجمع الكتب الطبية والدينية وغيرها ونسخها، وتوسع بعد ذلك في شراء الأموال، وكان الحكيم إسماعيل العجمي يحسده، وكذلك حسين فتح الله اللاهوري وامتحناه فلم يُعوِّل بواحدٍ منهما.

ومات رحمه الله تعالى وله اثنا عشر ولداً ما بين ذكر وأنثى، منهم: علي وهو

الأكبر وعبد الرحمٰن وعبد الله وعبد الرحيم وعبد الكريم. ويُروَى أنه كان لا يخطىء في جس النبض. وأنه لما حضرته الوفاة لم يهتد إلى إدراك نبضه، وصار إذ ذاك أجهل الناس بمعرفته، وكانت تأتيه الأرملة والضعيف فيذهبان به أينما أراد، وربما جاءه رسول الخليفة فلا يجيب حتى يقضي لهما وطراً.

[عبد الله بن محمد اليزيدي]

وفيها: عبد الله بن محمد بن ناصر اليزيدي[1] كان شاعراً بليغاً ذا سَمْتٍ حسن، وَلاّه عيسى بن محمد بن حسين عملاً في الأثلاث الموقوفة وعزله بأحمد بن حسين الزهيري فقال شعراً:

لقد أمر الروح الأمين ابن أحسن ... بكشف الذي في الثلث من عمل مخفي
وبالكشف صار الستر للعرض لازماً ... ألا فأعجبوا للستر من جانب الكشفِ

فأجابه الزهيري معتذراً بقوله:

نعم كان مني الكشف للبحث فانجلَى ... إلى الغرض المقصود بالعمل المرضي
ولكنه عن أحسن الناس مسلكاً ... يبالغ في ذا الكشف ستراً على العرضِ

فائدة

وجرى ذكر حديث: صلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة، قال سعد الدين بن سعيد القرواني: لقد سمعت عبد الله بن محمد وهو بمقام أبي يقول حَسْبنَا ذلك، فبلغت صلاة واحدة في المسجد الحرام عن خمس وعشرين سنة وستة أشهر وعشرين ليلة، فأما صلاة يوم وليلة في المسجد الحرام خمس صلوات فإنها بلغت عن مائتي سنة وسبع وسبعين سنة وتسعة أشهر وعشر ليال.

وقدمنا ذكر أخيه محمد بن محمد عام إحدى وتسعين ومائة وألف وذكرنا لهذا المترجَم لَهُ أبياتاً هناك مؤرخة لعام إحدى وتسعين ومن شعره في ذلك العام وقد رأى كثرة من غادرهُ الحِمَام:

فلا تسألوا عمن مضى والذي أرى ... سؤالكم عمّن بقى فهو أجدر

[يعقوب بن محمد بن إسحاق]

وفيها: شهر الحجة يعقوب بن محمد بن إسحاق ببني جرمور[2] وكان خرج على المنصور مع علي بن أحمد بن محمد بن إسحاق، وكان بعد موت الإمام المهدي يثني

---

(١) نشر العرف (٢/ ١٣٩)، هجر العلم (٤/ ١٩٠٠).
(٢) نشر العرف (٣/ ٣٧٠)، ملحق البدر الطالع (٣٩٥)، هجر العلم (٤/ ٢٢٠٩).

على المنصور ويقول إن الله عقد له البيعة وأن تدبير الله تعالى معاضد لتدبيره. وكان رحمه الله تعالى عارفاً محققاً مدققاً وشاعراً فصيحاً مُفَلِقاً، أخذ عنه عدّة كالقاضي أحمد بن أحمد أبو الرجال وطبقته، وأخذ عن أخيه إسماعيل بن محمد وعن والده.
ومن شعره يمدح الإمام المنصور عام الدعوة:

نظام هنائي لؤلؤٌ وفرائد ... على عنق العلياء منه قلائدُ
لِمَلْكٍ دَعَى فاهتزت الأرض فرحةً ... وعاد عليها بالمسَرَّاتِ عائد
ويومٌ أَسَى قلبي ضحاً ثم سرني ... أصيلاً وقد حاز الخلافة ماجدُ
نَفى الخوف من كل القلوب بدعوةٍ ... يكاد لِدَاعيها تلبي الجَلامدُ
إمامٌ كريمٌ من كرامٍ أئمةٍ ... تشابه مولودٌ كريمٌ ووالدُ
شجاع به تقوى الجيوش على اللقا ... ومن جاشه للجيش قلبٌ وساعدُ
يرجَّى نداهُ كل ماشٍ وراكبٍ ... ويَخشى صداهُ الأُسد وهي خَواردُ
وما مات من أبقاه للملك قائماً ... وما الأفق عند الشمس للبدر فاقِدُ
فللّهِ يوماً قمت فيه وساعةً ... لطالعها المسعُود حَظُّك راصِدُ
ستملك أقطار البلاد جميعها ... ويدنو إليك النازح المتباعدُ
ويصبح عاصي الأرض للأمر طائعاً ... له سائقٌ خوفاً إليك وقائدُ
فياسعةٍ جاءت بأربح مَتْجر ... لها الله من فوق السماوات عاقِدُ
لقد صافحت منك الخلافة ماجداً ... له شاهدٌ من فضله ومُشاهِدُ
تخَيّرت الكفؤ الكريم من الورَىَ ... بمهرٍ هو البيض الرقاق الحَدائِدُ
يحق الهَنا مني لها بِك لا بها ... فأنت مليكٌ قُمت أو أنت قاعِدُ
ودُم آمراً طول الزمان وناهياً ... لحكمك تدبير الأله معاضِدُ
وهاك هنا نظَّم الفِكْرُ دُرَّهُ ... تَمنّاهُ في أعناقِهِنَّ الخرائدُ
قُصَارَى أمانيه القبول وأن يرى ... لدى الملك حظي عنده وهو ساعِدُ
وصلى إله العرش ما ناح ساجعٌ ... وما ارتقصت خضر الغصون الموائد
على جدك المختار ثم وصيُّهُ ... سَمِيّك ما صلّى وسلّم عابِدُ

[محسن بن محمد فايع]

وفيها: يوم السبت رابع عشر شعبان، محسن بن محمد بن علي فايع الشامي الهاشمي. كان له وَلَعٌ بالخير يسعى في إعانة المساكين ويمشي إلى الخليفة في قضاء الحاجات ويثابر على استخراج ما يستر العورات. نشأ رحمه الله تعالى في السَفَه والخلاعة أيام الإمام المنصور الحسين مع ميل إلى مواقف الأُنس والراحة ومحبة للسماع، ثم أَقْلع وبايَن البَطَالة وحمل نفسه على الإقبال على الله تعالى ولازم الذِكر

وشهد جماعة المسلمين بالمساجد وتابع الصيام وأنفق ما وجد على الضعفاء وجالس الفقراء وصبرَ على أذاهُم وجَدّ في الخير واجتهد.

تولّى في سالف أيامه جِبْله وكتب ببندر زَبيد أياماً، ولمّا باين الطريق الأولى وتخلى عن الأعمال السلطانية أقره المهدي العباس على كتابة زبيد فكان يجعل له كاتباً نائباً عنه، ولما رآه المهدي مثابراً على الخير أولاه صدقة من صدقاته الفائضة وأناط به مالاً جزيلاً لذوي الحاجات، في ذي الحجة ليستعينوا بها على ضحاياهم، مقداره أربعة آلاف قرشاً معدودة. وكان يسعى في كل ما قدر عليه من مرضاة ربه.

وله الزيادة الواسعة في مسجد الفليحي بصنعاء، وكان يضيق بالمصلين فأنفق عليه جل ماله. وبنى لله تعالى مسجداً في ساحة معمَّر، عمره في آخر مدته[1] وكان لمحبته لذلك يُحمل في مرض موته على النعش إلى المسجد فينظر عمله ويتفقده، ووقف له ولتلك الزيادة التي زادها بمسجد الفليحي وقفاً واسعاً.

وكان يدور بالطرقات فيلاقي الأعراب والوافدين فيحملهم معه، وكان يقصد أهل العاهات ويباشر عللهم المخوفة رجاءً فيما عند الله، ومرضت امرأة من الضعفاء تعلقت بها جراحه حتى أنتنت ففرّ عنها الناس فكان يأتيها بالدواء في الليل بحيث لا يراه أحد ويتعهدها عقيب صلاة الفجر بما تحتاجه من ماء وطعام. وكان كثير العوارض والأمراض متلقياً لها بالشكر والثناء، وكان يهين نفسه ويوطيها فربما قصد الأسافل ونزل عليهم بالسوق ويضاحكهم حتى يستزري صنيعه المتكبر. وحدّثني بعض الناس أنه رآه مرّة وعليه فاخر اللباس وحوله الخدم قال: فما شعرت إلا بنزوله عن المركوب وسط الطريق ونزع سراويله وقعد بين الناس يتفقد ما به من القمل المؤذية، فقال له بعض الناس: ما هذا؟ قال: رأيت الخبيثة قد طمَحت فنزلت لأواقعها وأهينها.

ولمّا تاب رحمه الله تعالى وأقلع عن بَطالتهِ لم يستطع تَرْك التنباك، ومرض فعاده البدر المنير محمد بن إسماعيل الأمير فأراد خدمهُ كل تحويل آلة التنباك عن المحل فقال: لا والله حتى يُفتي في تحريمها عالم الأمة البدر، فلما قعد عنده سأله عنها فقال: هو حلال مباح، فَأَنِسَ بذلك.

وكان رحمه الله تعالى يحضر درس البدر المنير محمد بن إسماعيل الأمير ويقصده إلى بيته رفعاً لشأن العلم وأهله. ولما مات الإمام المهدي العباس حزنه حزناً شديداً وتلهف عليه وبكى وقال: مات والله كهف الأرامل ومحب الخير والمعين على نوائب

---

(١) يُسمّى باسمه فيقال له إلى اليوم: مسجد فايع، قال الحجري: وهو من المساجد العامرة في حافة سَمْرِه غربـي السائلة في الجهة الشمالية ـ مساجد صنعاء ص (٨٧).

الحق، ولمّا قام ولده الإمام المنصور علِي قصده وثابر على الخير وطالبه الحقوق الأولى وألحّ عليه وربّما قعد بساحة داره وحلَف بالله تعالى لا راح عنه إلا وقد قضى حاجته للمساكين فإن تغاضى عنه لم يبرح هنالك.

ولا يزال، فذكره مع أعوانه الداخلين عليه واحداً بعد واحد، وضاربِ مرّةً عبيده حتى غيّروا هيئته فسمع الإمام مصاولتهم له فقال: ما هذا؟ فقالوا: منعناه من دخوله عليك فأبَى فصاولناه، فاستدعاه فلما وصل إليه قال: والله ما رحت عن بابك حتى تنيل الفقراء وهذا آخر ما أطالبك به فاصبِر عليَّ هذه المرّة ولن تراني مطالباً لك بعدها، فكان كما قال فإنه مات في ذلك العام.

وقد ترجمه القاضي أحمد بن محمد قاطن وقال: له اليد الطولى بمعاونة الفقراء وإتعاب نفسه في الطلب لهم وتَفقُد أحوالهم ولا يأنف من الدخول إلى من به علة منهم ويسعى في علاجهم وقضاء حوائجهم، وهو على هذا الحال من أيام الإمام المنصور الحسين القاسم وإلى حال الرقم، وما جُعِل بنظره من الصدقات توخّىَ به أجل القُربات مع عدم الذكر والرياء والسمعة، بل يعدّ نفسه من المقصرين. وبنظره صدقة الحَبْس فتراه يبالغ في الشفقة عليهم محباً لوصلهم ويسعى بقدر حاله في مخارجتهم، ثم له شغلة بعمارة المساجد والزيادة فيها والمنازل والإحسان إلى المتعلمين بها في شهر رمضان وغيره. وعلى الجملة فلا نظير له في هذا الباب بل لا يوجد من يصبر صبره في مُقاسات الأسباب. وذَكَر القاضي أنه حسَّن أفعاله عند المهدي العباس وذكره بجميل الأوصاف وأنه يقلّ وجود مثله لمثل الخليفة فصدقه وحمد الله تعالى على ذلك. قال القاضي: وقد رأيت له مناماً حسناً وهو أني دخلت الجنة ومنبر هنالك بخمس درج وشيخه العلامة أحمد بن عبد الرحمٰن الشامي في درجة من الدرجات والمترجَم له أعلىٰ منه بدرجتين قال: فتعجبت وسألت شيخي عن ذلك فقال: السيد محسن عَرف المحرمات وتاب عنها وأنا لم أعرفها أصلاً فنال ذلك بكف نفسه وصبره. والإقلاع عن فعلها بالمرّة، وبَشّر المترجَم له بهذه الرؤيا. انتهى كلام القاضي.

قلت: وفعله للمحرمات كان عن جهل منه وغباوة فلما علم أخذ الله تعالى بناصيته وقاده إلى الخير، فالإقدام على المحرمات مع العلم بتحريمها من الخذلان وتسويل الشيطان والاستهانة بشريعة الرحمـٰن. وكان رحمه الله تعالى له شغله بالأدب، وله قصائد جيّدة موشحة أورد له منها القاضي، وقد تتبعت أشعاره فلم أجد له شيئاً معرباً إلا أبياتاً كتبها إلى مطهر بن إسماعيل بن يحيى بن الحسين بن القاسم رضي الله تعالى عنهم مستعطفاً له لوحشة كانت بينهما ولكن تلك الأبيات ركيكة فأهملتها. وكانت بينه وبين ولد أخيه الوزير أحمد بن إسماعيل فايع بعض مواحشة فتجنبه وأعرض عنه بسببها وكان

يشكوه لعدم مساعدته في إنالة المساكين.

وكان والد المترجَم له من أهل الحجاز مما يلي ديار نجد نزل بأهله على قارعة الطريق يسأل الصدقات عليه وعلى نسائه وترقّى به الحال حتى كان يجلب الخيل أيام المهدي محمد بن المهدي أحمد بن الحسن صاحب المواهب فأحبّه وأبقاه لديه حتى أفضت الخلافة إلى المهدي المتوكل على الله القاسم بن الحسين فعلقه بالنظر في أمور الخيل والجمال وما تحتاجه من الأقوات والتفقد لملبوسها وعددها، وجَمَع أموالاً واكتسب شيئاً كثيراً من المحلات. وكان له أولاد أكبرهم إسماعيل ثم محسن وأقيم إسماعيل بعد موت والده في وظيفته. وكان إسماعيل عند المهدي العباس وجيهاً ومات وقد بلغ عشر التسعين وبنى له قبة للقبر عَدني مسجد القاضي حسين الحيمي بأعلا صنعاء وجعل لها وقفاً وجعل على القبر رجلاً يتلو فوقه كتاب الله دائماً، وكان محبًّا للصدقات وأفعال الخير. استطردنا هذا لعدم وجداننا لذكرهم في شيء من التواريخ لئلا يخلو كتابنا هذا عن فائدة شاردة.

وكان المترجَم له رحمه الله تعالى قد حفر قبراً له أيام حياته وكان ينزل إليه ويوطن نفسه به ويتلو فيه كتاب الله تعالى ويبكي ويمسح بدموعه اللحد.

[أحمد بن قاسم الكبسي]

وفيها: السيد أحمد بن قاسم بن محمد الكبسي، يوم أحد وعشرين شوال.

وَدَخلت سَنَةُ سِتٍ وتِسْعِينَ وَمِائَةٍ وَأَلْف

فيها: عقد الإمام بولايات لجماعات ورفع عن الأعمال آخرين.

وفي شهر محرم رفع عن بلاد يَرِيم يحيى بن محسن حنش، **وفي** شهر صفر أعاده إليها.

وفيها: عقد بولاية حفاش للقاسم بن محمد الحيي في شهر ربيع.

وفيها: عقد بولاية حيس لإسماعيل بن يحيى الجرموزي الهاشمي، شهر جمادى الأولى.

وفيها: عقد لولاية المخا لإبراهيم بن عبد الله الجرموزي، شهر جمادى الأولى.

وفيها: عقد بولاية عتمة للأمير سعد المنصور شهر رجب.

وفيها: رفع عن بلاد عنس أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم شهر رجب.

وفيها: عقد بولاية بلاد عنس لمحد بن عبد الله بن محسن بن حسين الهاشمي شهر رجب.

وفيها: رفع عن ولاية حُبيش الأمير عنبر المهدي المعروف بعنير بِدَه بشهر رمضان.

وفيها: عقد للأمير عنبر أيضاً ببلاد العُدَيْن.

وفيها: عقد بولاية وصاب الأعلىٰ لعلي بن محمد الشرعي الهاشمي شهر القعدة.

وفي نهار الخميس ثالث شهر الله المحرم عَدت قبائل بني تغلب وخَثعم على حاج اليمن فتفرقت عُصَبُهم في ذلك اليوم أيدي سبا لأنه استطال عليهم المَعدَى خمس مرات، وتقطّعوهم بالاكام والملاوي واستفصحوا الخبر عن السبب فقيل لهم إن بني تغلب قد أجابت داعية نجد ودخلت مع خثعم من ذلك العام وأن تقطعهم لهم بأمرٍ من الشيخ عبد العزيز الدرعي فلما ذهبوا باسلاب حاج اليمن إلى عبد العزيز قال: أسأتم فإني ما بعثتكم للسلب ولكن لتأتوني برأس أميرهم، فقالوا: طب نفساً سيقدمون عامهم هذا ونأتيك برأس العصبة وسنأتي على خبرهم. وما كان من أمر الشريف سرور من مساعد مع حاج اليمن في آخر هذا العام مفصَّلاً مستوفى.

[الإمام يصاهر آل الأكوع]

وفي ثاني صفر من هذا العام بنى الإمام بأبنة الفقيه عبد الله بن حسن الأكوع متولي المخا، واستدعىٰ لعقد النكاح الأكابر والرؤساء. وكان تلك الليل بـ (بستان السلطان) حاضراً لزواجه بعض اخوته فبقي به إلى أن أنزلت زوجته إلى بستان المتوكل بأسفل صنعاء فخرج وأمر بإلهاب المشاعل فأُوقِدَت بين يديه نحو ثلاث مائة منها. وأمر بإيقاد الشموع وخرج في عالم الخيل والرَّجل وحمل جنده الشموع[1] واستدعَى أرباب دولته في اليوم الثاني واستقر هنالك خمسة عشر يوماً ثم نهض وحمل الأثقال إلى داره بـ (بير العَزب) دار البَهْمَة، وأخرج زوجته الشريفة بنت عبد الرحمن وأمر بإخراج زوجته بنت الأكوع. وما زال تلك الأيام مشغولاً بشراء البيوت التي بمحل دار الإسعاد فهدمها وأمر بتأسيس دار الإسعاد بـ (الطَوَاشي)[2] وأَمَر بدار العلف المقابلة لدار الفتوح فهدمها.

[عودة الخلاف في بلاد بني سيف]

وحَصَلَ: في شهر ربيع الأول مطر عظيم دام على البلاد يوم وليلة انتفع به الناس، وكان ذلك في شباط.

وفي ربيع، من هذا العام بعد انقضاء الهدنة التي ذكرناها في عام خمس وتسعين

---

(١) وَرَدَت: (الشِمَاع).
(٢) **الطَوَاشِي**: من أحياء مدينة صنعاء القديمة.

بين بني سيف الأسفل وبني سيف الأعلا من أعمال بلاد يريم قد كان بنو سيف الأسفل يَدّعُون أن ناصر بن حسن المقتول من قبائلهم قَاتِلُه مِن بني سيف الأعلا، وأفضى ذلك إلى ثوران الفتن وكثر التّغزي والنهب والسلب من كلا الجهتين، وقُتِلَ في خلال ذلك علي عامر السَّبَل وهو معدوَد من كبار بني سيف الأسفل. وازدادت الشحناء والأحقاد بينهم، وبرز أمر من المنصور بأن يتوسّط المشائخ والعقال ويحضر العامل الرئيس يحيى بن محسن حنش ليحسموا مادة الشقاق، فاجتمعوا فحضر عُقّال بني سيف الأسفل الشيخ حسين حسن البراح وصلاح بن عبد الله السَّبْل وعلي بن حسين الذيباني. من بني جربان وصالح سعيد مفتاح وعبد الله ناصر سعيد وأحمد بن زيد المرادي وأحمد الوشاح وغيرهم، والتزموا عنهم وعمن لم يحضر منهم بأنهم قد صاروا مُسقطين ومُبْتَريين[1] من كل حق يستحقونه على بني سيف الأعلا من قُراش[2] وغيرها وأبطلوا جميع الدعاوَى، وأن من فَتح منهم في شأن الدعوى كلاماً مما يثير الفتن فقسامته خمسمائة قرش حجراً. وكذلك حضر عقال بني سيف الأعلا وهم محسن أحمد وعبد الله بن حسين البريهي والشيخ زيد صالح حسن مُحرَّم وعبد الله بن إسماعيل شُجاع الدين ومحمد عبد الفتاح، وأسقطوا كل حق يدعونه على بني سيف الأسفل وانحسمت مادة الشقاق واجتمع أهل بلاد القَفْر وصلح شأنهم وخمدت نيران الفتن وحمدت الرعايا من يحيى بن محسن حنش توليهم لكمال رعايته لهم.

[تمرد جبل راس]

وفي شهر ربيع من ذلك العام ظهر تمرد من أهل جبل راس والمزاحن بميم فراء معجمة فمهملة فنون وغيرها من أعمال العُدَيْن فنفّذ عليهم الرئيس الماجد علي بن إسماعيل بن إبراهيم في جماعةٍ من بطانته لحسم مادة الشقاق فصلحت أحوالهم.

[من أنواع الجَوْر علىٰ المواطن]

وفي شهر جمادى الآخرة وصلت الشكاة من بندر زَبيد إلى حضرة المنصور يتوجعون من غراماتٍ حملوها عن الأجبار فطلبوا حاكماً يقصب البلاد فأرسل المنصور قاضيه أحمد العمّاري وأصحبه بجماعة من الجند لضبط المتمردين وتضمن حكم المنصور الذي بيد قاضيه أن ما كان مشترىً من عام اثنين وخمسين ومائة وألف قصب وحمل الاجبار جميع اللوازم وما كان من قبل فلا يقصب إذ قد وقعت في ذلك أحكام أيام المتوكل على الله.

---

(١) من الإبراء. أي العفو عنهم.

(٢) القُرَاش: بضم ففتح، هي الدواب.

[خروج أحمد قاطن من الحبس]

ولليلتين بقيتا من جمادى الأولى، ليلة السبت، أَطلق الإمام: القاضي أحمد بن محمد قاطن وكتب إطلاقه بيده وأرسله إليه بعد صلاة العشاء، كذا نقلته من خط الأستاذ عبد القادر بن أحمد وكان الساعي لطف الباري بن أحمد الخطيب.

[بكيل والإمام في مواجهةٍ قتالية]

وفي تاسع عشر شهر جمادى الآخرة وصل القاضي الباغي عبد الله بن حسن البرطي إلى الرحبة وبقي بها خمسة أيام يترقب إصلاحه بشيء من المال فلم يلتفت إليه الإمام وسار إليه علي بن أحمد بن إسحاق من شراع حتى بلغ الرحبة فتلقاه وأسر إليه المسير في تلك الليلة والنهوض على باب صنعاء فأجازه وسارا بمن معهما من أهل الفساد ومضيا ليلة الإثنين ثاني وعشرين من الشهر وأصبَحا بـ (حدّه) وكان مضيهم من غربي قاع اليهود فرمتهم الرتب، وعزم المنصور على مناجزتهم فجمع بطانته وألفاف القبائل وتقدم بهم إلى سَنَاع فشتت القاضي أصحابه بحدة وسناع وبيت سبطان ولمّا زحف الإمام بأجناده رَتّبهم ثلاث طوائف؛ فطائفة وجَّهَها من فج عطّان وأمّر عليهم الأمير مرجان، وطائفة أرسلها إلى عَقبة بيت سَبَطان وعليهم الأمير ريحان والسيد محسن عقبات معه بذلك المكان، وطائفة بالضِبر مصادرة أَمَّر عليها ولده سيف الإسلام أحمد. فجنحت طائفة من البغاة على الأمير مرجان حتى انكسر فتقدم سيف الإسلام أحمد من وسط القوم وساق بالقهر الخيّالة والرجالة ففشل البغاة وتنكبوا، وما زال القوم في كرَّة وفرَّة والقاضي المخذول قد أيس من النجاة لأنه لم يبق ممن لديه من يحميه وتطلّب طريقاً ينحوها للخلاص. وما زال الحرب إلى وقت العصر وقد قُتل وجُرِح من أصحابه عدّه تنيف على الأربعين منهم سبعة عشر قتيلاً، واستُشهد من أصحاب الإمام وزيره عبد الله بن أحمد النهمي والأمير ناجي المنصور والشيخ محمد بن صلاح ردمان والأمير ياقوت المهدي وعلي بن فتح يحيى سرور ورجلان من التوابع، وحزن الإمام قَتْلَ عبد الله بن أحمد النهمي، إذ كان محبوباً عنده، وأمر بحمله في التخت وكان به رمق. وأرّخ وفاته رفيقنا الأخ أديب الوقت علي بن إبراهيم الأمير فقال:

لله فخر الدين من باسل	قد جاد بالروح بلا مهلةِ
وفاز بالخير فارِّخ لَهُ	بشرى لعبد الله بالجنَّةِ

وأرخه نثراً فقال: إن عبد الله بن أحمد مات شهيداً. وأرخ تلك الوقعة ممتدحاً للإمام المنصور بالله والدي العلامة أحمد بن لطف الله جَحّاف فقال:

هِلالُ المعالي من سما المجد أشرقا	وأرعد سحب الانتصار وأبرقا

وهبت رياح النصر من كل جانبٍ وأُهلك من بالشر قام وأُغرقا

وما زال نهر السيف في الجو جارياً بيوم الاعادي سيله المتدفقا

وخيلٌ عليها كلُ أروعَ شاخصٌ إلى الموت طرفاً ظل شزراً محملِقَا

يرى الأرض مضماراً له فيلاعب الأ سنة ينحو من ورا الغرب مشرقا

ويستصغر الأهوال وهي عظيمةٌ فيسطو إلى الدهيا مستعظم البقا

يَود كؤوساً فُرّغاً من دم العِدَى تَفيضُ فيدعو غائضهِ إلى اللقا

تردّى ثياب الحرب قبل دعائه إليها وأصغى السمع طوعاً وأطرقا

وقال ألا نُدعَى ليوم كريهةٍ فنجني بها غصناً من المجد مورقا

فلم يدر إلا والمنادي يقول ذا مبيد العِدا المنصور دام له البقا

فقيل يَؤُم الحرب أم غيرها يرى فقيل بلى بل للذوابل أطلقا

فقد أطعم الأسد العرين لحومها فأشبعها والنسر وافاه مشفقا

فما زالت القتلى تمج دمائها بحدّة والمجروح أضحى معوقا

وما منهم شخص شكا غير طعنةٍ بها رجله للجسم تحفر خندقا

فقل عندها ما يوم صفين عابس وقد كان فيها السيف يسلب مخنقا

ومذ برز المنصور في زيّ حربه وسلّ حساماً فيه برقٌ تألقا

توالت على الأعداء منه صواعق البنادق فيها الموت للجسم مَزّقَا

فقل لإمام العصر أرخ مفاجئاً بَحَدّة للأرواح رمحك أزهقا[1]

وأُصيب من جماعة الباغي أخوه القاضي محمد بن حسن العنسي، وبقي يومان ومات بقاع ذمار، وقتل حويدر بن سُكَّر من ذو حسين، وجماعة كثيرون لا أعرف أسمائهم. ولمّا حان وقت العصر تطلَّب القاضي المخذول طريقاً ينجوها من أعلىٰ جبل عيبان، فلم يشعر إلا برواعد البنادق من أعلا ذلك الجبل. فقال: من ذا؟. فا أُخْبِر بأنه الخليلي كبير بلاد البستان في جيشٍ جرار فَأَيس من النجاة. غير أن الإمام رجع في تلك الحال صنعاء، ففرّج عن الظالمين، وأصبح القاضي مشمراً للساق بعد أن قاسىٰ المشاق وقصد جهات وُعلان[2] فعاث بالطريق وانتهب المارّة وكَرِهَ مصاحبة علي بن أحمد بن إسحاق فأهانَهُ. غير أنه حمل الضيم وراح معه ونحَى نحو اليمن الأسفل فترفّعت الرعايا إلى الحصون.

[مقتلة رباط القلعة]

وصَادَف حرباً حاراً برباط القلعة من بلاد يريم بقاع الحقل، فقتل من أصحابه

(١) أوردها زبارة في ترجمته. انظر: نيل الوطر (١/ ١٨٢).

(٢) وُعْلان: قرية كبيرة بجوار طريق صنعاء الجنوبية، على بعد نحو ١٥ كيلومتراً.

خمسة عشر نفراً، ومن الرعية أهلِ حصن ذِلْمان[1] ـ بمعجمة فلام ساكنة فميم فألف فنون ـ ستة نَفَرٍ، وقصد جبل بَعْدان فَوجّه الإمام عليه الأمير مرجان صنعاني في جيش من البطانة وقبائلِ نِهْم وخولان، فكانت وقعة بجبل الشماحي بالشين المعجمة والحاء المهملة، فشاهد من صدق الفعل لوائح الهلاك. ففادَى نفسه بمالٍ لقبيلتي نِهم وخولان ففرّجوا عنه من غير شعور الأمير وفرّ ليلاً وقصد فجرة قيظان[2] وأعمل الشر، وحال مابين الجند والمواد المنساقة إليهم فأغار على ذلك الماجد يحى بن محسن حنش ونفذها من طريق أخرى، وجنح القاضي الباغي بعد محاولة شديدة إلى المصالحة وتوسّط بأحمد بن محسن الحيي فلم يسعد الإمام إلى ذلك المرام ـ وبت القول بمصادرته، فخاف المخذول إن توجَّه باب صنعاء أن يفاجئه الإمام، ففر عابراً للشرق وخرج على (ذَنَه) بمعجمة مفتوحة فنون وهي بلاد وعرة لا ساكن بها[3] فحمل الماء والزاد، وتوجه إلى شُوم البلاد وصحبته على بن أحمد مصابراً للأهوال، مشتت الحال ذاهل البال. وكان قد سعىٰ في إصلاحه، مع الإمام جماعة من آل الشايف، وذو محمد حال المسير وكانوا بشامي الروضة البهية إذ ذاك ولم يتم لهم أمر.

[رجوع الأمير مرجان إلى صنعاء]

ولمّا عادوا من تلك السفرة عاد الأمير مرجان حضرة الإمام بمن معه من نِهْم وخولان، ودخل بهم صنعاء يوم الخميس سابع عشر رجب بدار الاسعاد وكانت إذ ذاك غير كاملة البناء ليس بها نجارَة ولا جص إلا بعض أماكنها.

ولمّا استقر الأمير مرجان، طمع في نيل الجائزة. وتحدث عنه بعض أصحابه بما سمع منهُ، فأنها عظمت عليه نفسُهُ فطالب الوزير الأعظم علي بن يحيى الشامي بأموالٍ زعم أنه أنفقها على الأجناد، وتسلّفها من أهل البلاد فأفصح الوزير بأنه سلم لهُ أموالاً هي أوسع من النفقة فزعم أنه تحمل فوقها اثنتي عشرة مائة قرش فرانصه، فشكاه الوزير إلى الإمام فأسرَّها في نفسه إذ كان الإمام قد تحقق ماكتم مِرجان من أموال صالح عزّان الخزان لمّا صادره، فلما كان عيد الفطر وعاد الإمام من مشهد الصلاة أخذ بالطريق جَربةً، فضربه بها ضرباً شديداً.

ولضربه سبب آخر. قالوا: لمّا وصل محمد فرحان من بندر اللحية، طالبه الإمام بمالٍ. فشكى بأنه لا يجد ما يفي بمطلوب الإمام. فصالحه الوزير على أربعة آلافٍ تقع

---

(١) **ذلمان**: من قُرى بني مُنَبِّه ببلاد يريم.

(٢) **فجرة قيظان**: حصن في جبل بني الحارث من بلاد يريم، يقع بجوار منار بَعْدان، وهو حصن عالٍ منيف وله منعة وسيطرة على الطريق المؤدية إلى حقل قَتاب للمجتازين من بَعْدان.

(٣) **ذَنَه**: هو وادي سبأ المشهور في مشرق اليمن حيث كانت تقع مأرب القديمة.

عند الطلب فرضي، وسار من ليلته إلى الأمير مرجان وأخبره بما كان فحرضه على الحرص واظهار العجز وعدم القدرة على تحصيلها فبحث عن السبب الوزير فوجده مشورةٍ من مرجان فأنهىٰ الأمر إلى الإمام آخر شهر رمضان.

ولمّا دخل عليه مرجان استفصله الإمام عن محمد فرحان فشكى قلة ذات يده، فتيقن الإمام صحة الخبر المنقول عنه، ولما نكّل به أودعه السجن وتتبع أمواله فلم يقف لها على أثر، إذ كانت مدفونة ببيته فما دلهم عليها إلا مملوكه.

وبقي في السجن بـ (صنعاء) أياماً، وأطلقه وأرسله إلى زبيد وعلّقه بعمل خفيف، فتجمّع له مال فطلع إلى الإمام وأودعه في السجن ثانيةً فلبث به أياماً. وأطلقه آخذاً عليه أن يغيب شخصه عن صنعاء فتحوّل إلى ذمار وما زال بها إلى أن مات.

[انتزاع الحُديدة عن الوزير أحمد فايع]

وفيها: انتزع الإمام بندر الحُديدة عن وزيره أحمد بن إسماعيل فايع[1] وكان السبب أن المقرر وصوله من الـبَندر في كل شهر ثلاثة آلاف قرش فرانصة فقط. وما فاض من الحقوق والزيادات منها يدخره العامل للنوائب، بالغاً ذلك القابض ما بلغ، لأنها تحدث الحادثة فتتسهّل لها الأموال بوجود المُدّخر لدىٰ العامل كما صنع الإمام المهدي العباس لما منع من حمل البن إلى الشام فإنه شكى التُجّار أن ذلك أضر بأسبابهم فوجّه لهم المهدي العباس الثمن من العامل فتسلّموا مالهم منه. وربما قلّت أموال التجار فيعجزون عن شراء ما أجلبته الأغراب فيقرضهم العامل إلى أجل فيسلمونها له وقد أدخلوا أرباحاً تعود على الدولة بالنفع وربما حدثت النائبة للخليفة فيطلب من البندر الأربعة آلاف إلى اثنى عشر ألفاً فيتسلمها من العامل. وهذه عادة لهم في سائر البنادر كبيت الفقيه واللُحية والمخا، فما زال الوزير أحمد بن إسماعيل يطلب من عامل بندر اللحية زيادة على المعتاد. وكان العامل بها إذ ذاك الأمير وفقه الله، فكتب إلى الإمام يشكو مطالب الوزير وأصبح الشاهد على صحة دعواه كتاب المهدي العباس إليه ومضمونه: أن السبعة عشر آلاف التي لديك، الأمر مجزوم من سابق ببقائها في تقوية البندر وصلاحه، فلمّا رأى المنصور ذلك منع العامل من تسليم مطلوب الوزير، وبالغ في حفظ القاعدة الأولى. فتكلم الوزير وقال: لم يبق للوزارة معنى إن لمح الإمام إلى العامل وأهمل واسطته، ثم تحدّث بأن ليس ثمة فائدة في وساطة البندر وأن الأهوال التي صار يصادر متعلقات البندر بها لا تفي بعمالتها المألوف، وقال: ليس معي منها في الشهر سوى خمسين قرشاً. وأخبرَ بهذا الوزير الأعظم علي بن يحيـى الشامي فردّ عليه:

---

(١) نيل الوطر (١/ ٧٣)، وستأتي ترجمته في عام (١٢١٩هـ).

بأني سأتحمّل الأثقال عن الإمام في هذا البندر بلا عماله، وانتُزعت عنه، وقد كان الناس يشكون تأخر مصاريفهم أيام وساطة الوزير أحمد بن إسماعيل فايع ويتضررون منه.

[مناجزة حاشد لصاحب كوكبان]

وفيها: في عاشر رجب كانت الوقعة بين متولي. الديار الكوكبانية[1]: الأمير إبراهيم بن محمد بن حسين وبين قبيلة حاشد في (حَجَر الزكاتي)، وشَرْحها: أن المتولي أمرَ جماعةً من أصحابه أن يبسطوا على قطعة صالح بن ناشر وهي في بني الذوَّاد من أعمال عَطوه[2] فقبضوها وأخرجوا الرتبة من الحصن، ولم يحصل بينهم حرب إذ كانوا غافلين عن هذه الدّاهمة، فجمع ابن ناشر نحو اثنتي عشرة مائة من حاشد أو يزيدون على ذلك وسار بهم قاصداً لحصن كوكبان منتصفاً منهم، فجهز الأمير إبراهيم بن محمد ولده يحيى عليهم في جماعةٍ يسيرة وأرسل خمسين نفراً من بطانته تترتب في الحصون الخارجة. فتصافوا بحجر الزكاتي واغتشى جمع حاشد أولئك، فقبضوا يحيى بن إبراهيم ومنِ معه وسلبوهم السلاح وساروا بهم إلى رَيْده، وطلع بعض آل جزيلان مصلحاً وعَقَر عند قبر محمد بن حسن وعند جماعة آل ناشر طالباً أن يدخل الجميع في حكمه فرضيوه، فتوجه على جمع حاشد إرجاع الملازيم من أولاد آل شرف الدين وغيرهم، وعلى الأمير الخطير إبراهيم بن محمد أن يطلق لهم البلاد. فمالوا إلى ذلك جميعاً وعاد يحيى بن إبراهيم إلى حضرة والده منتصف شهر رجب.

وإلى تلك الحادثة أشار عبد الله بن عيسى وقاسم بن عبد الرب شَاعِرا بلدة كوكبان[3] يندبان بها الأمير إبراهيم بن محمد للانتصاف من أولئك الأجلاف من قصيدة طويلة يقولان فيها:

انهـــض بعـــزمٍ للسيـــوف تُـقَـطَّـــع	وبصـــولـــةٍ تـــدع الجبـــال تَصـــدَّع
فلقـــد عهـــدتـــك للقسِـــيّ مســـدِّداً	ولقـــد عهـــدتـــك للعـــوالـــي تشـــرعُ
فـــاجمـــع جمـــوع الأرحبيّـــة كلهـــا	وقُـــد الخيـــول الاعـــوجيّـــة تُـــرفَـــعُ

حتى قالا فيها:

ولئـــن غُلِبنـــا فُـــرطَ يـــومٍ واحـــدٍ	فلَنـــا الـــزمـــان جميعـــه لا نـــدفَـــعُ

---

(١) هجر العلم (١٨٨٦/٤)، نيل الوطر (٣٦/١)، وله ترجمة في عام وفاته سنة (١٢٠١هـ).

(٢) **عطوه**: وادٍ أسفل جبل مَسْور المُنتاب وفي شرقي بني العوّام من بلاد حجّة.

(٣) ستأتي لهما ترجمة، الأول في أخبار سنة (١٢١٦هـ) والثاني: في سنة (١٢٢٤هـ).

[مَطَر فيه بَرَدْ]

وفيها: خرج المنصُور يوم الجمعة ثاني شهر شعبان بير العزَب، واستقر بها إلى آخر الشهر. وعاد بأهله صنعاء فصام بها شهر رمضان. وكان من أمر مرجان في باب شعوب ما كان.

وفي هذا العام وقع مطر عظيم على وادي ضَهْر وَبَرَد. فسألت مسايلة حتى أخرب كثيراً من العمائر واتى على ثمرة العنب فما أبقى بها ما يؤكل ونزل بـ (بيت نَعم) سيل عظيم اقتلع أعنابهم وخرب مراهقهم(١). فسبحان القادر على كل شيء.

[نزول الإمام علىٰ ولده الصفي]

وفي منتصف شهر شعبان استدعى سيف الإسلام أحمد بن المنصور والده الخليفة وأهله إلى بيته بـ (بير القاضي) أعلىٰ محل (بير العزب) واحتفل به غاية الاحتفال. فبقي لديه من يوم الثلاثاء إلى يوم الجمعة وراح عنه.

[خروج القاضي وطائفة بكيل]

وفي ثاني وعشرين شهر شوال، وصل الباغي المخذول عبد الله بن حسن العنسي، وصحبته علي بن أحمد بن إسحاق إلى أطراف الرحبة وأقاموا هنالك.

وفيها: سار ابن جزيلان ببعض من ذو محمد وبني الشايف عن ديار بَرَطْ فوصلوا حضرة الإمام، وفرّ الناس من مخارفهم(٢) واقتطفوا ثمرة الأعناب ولاذوا بصنعاء.

[اشراف أبـي عريش]

وجاءت الأخبار بأن أشراف أبـي عريش غزت اللُحيّة وجماعة من يام، فنهبوا أطرافها وأحرقوا عششاً منها، وكان العامل بها الأمير محمد فرحان قطع عليهم المعتاد، وكان والده قد أجرى للاشراف مالاً لإصلاح حالهم له، وسَكّن شرهم بتسليمه اليهم فبعث المنصور من حضرته بنى الشايف في خمسمائة من حي بكيل لحفظ البندر وبادر بعزل محمد فرحان وعقد بالولاية لمحمد حيدر فصلح الحال بإجراء ما هو لهم.

[فساد أهل التُربيه]

وفيها: ظهر تمرّد من أهل التُربية من أعمال زبيد وتعللوا بأمور أوجب الفساد فتقطع السَّفر عن الوصول إلى البنادر فنفذ المنصور النقيب فرحان ياقوت في شهر الحجة بجماعةٍ من أصحابه وأَصحَبهُ رأياً في جميع المشائخ لضبطهم إلى عامل البندر يحيى بن

---

(١) **المراهِق**: جمع رَهَقْ حواجز أحقاب الحقول الزراعية.

(٢) الأماكن التي يخترفون فيها.

محمد النجم، فضبطهم وأوصلهم مقام العامل فذكروا شُبَهاً موجبة للفساد على عاملهم، فأحال أمرهم إلى الحاكم إسماعيل بن محمد الربعي فامتنع من الرفع بالعامل إلى الإمام وارتطمت الأمور وتزايدت الشرور ولم يلتئم أمر يكون به الصلاح منهم؛ وطالت المدة على الأمير فرحان لشدة تعصُّب أهل زبيد وعدم انقيادهم إلى الأمر السديد فاستأذن الأمير وطلب الرجوع فأذن له الإمام المنصور، ولمّا راح جنحوا إلى المسالمة ورفع المظالمة.

وفيها: نحىٰ أمير الحاج محمد بن حسين المراجَل[1] بعصب اليمن قاصداً بيت الله الحرام، وجاءت طريقه المعتادة الحجاز، وهي الطريق المعروفة التي ابتدع سفرها والده الحسين بن مهدي الكبسي فلمّا قاربوا بني تغلب خافوا بطشهم بهم فعدلوا تهامة الحجاز وساروا بالجوف والروحاء على مشقةٍ صادروها.

فبلغ بني تغلب عدولهم فكتبوا إلى النماص يرغّبون الحاج في سلوك طريق الصُلَّبات وبلاد خثعم واشترطوا جُعْلاً واسعاً، وحلفوا بالله لا غدروا بهم ولا نالوا منهم سوءاً، وأناطوا الأمر بالقاضي مَنّاع بتشديد النون قاضي تَبالَه من بلاد خثعم.

فأبَى أمير الحاجِ وعُصَب اليمن بأن يمرّوا بهم ويحملوا مشقة السير في غير الطريق. وهذه المحلةُ ـ أعني تبالة التي بها القاضي منّاع هي التي بعث إليها عبد الملك بن مروان أميره الحجاج بن يوسف متولياً فاستصغرها فقال: ما لي ولولايةٍ تسترها أكَمة، فرجع وضرب الناس في ذلك مثلاً وقالوا أهون من تبالة على الحجاج.

نعم، ووصل إلى أمير الحاج كتاب من القاضي منّاع يصدق ما زعمته بنو تغلِب فلم يسعده إلى ذلك، وكان القاضي من الفصحاء الأذكياء له شغلة بأهل اليمن ومذاكرة معهم في ورودهم عليه وسؤالات، ورأيت من شعره ما رثّى به حسين بن مهدي الكبسي المراجل وكان له به عقيدة، قصيدةً مطلعها:

خطبُ ألَمّ بأرضِ نجدٍ أفجَعَا ... وأفاض دَمع العين مني أربَعَا
رُزءُ أصاب صغارنا وكبارَنا ... وأقام وسط القلب حزناً مُوجعَا

يقول فيها ذاكراً للحسين بن مهدي بإجابة دعوته لربَّه:

قد كان شمساً يُستضاءَ بنورها ... ويُجيب دعوته الإلٰه إذا دعا

ولمّا خلص أمير الحاج بأهل اليمن إلى مكة المشرفة، قصد الشريف الهمام سرور بن مساعد شاكياً عليه ما نزل به وبأصحابه العام الماضي من قبائل الأكْلُب وآل

---

(١) من آل الكبسي.

السيّار، وأفصح عن جُملة القَتْلَى، وقد أتينا على عِدّتهم في سنة خمس وتسعين وما ذهب عليهم من المتاع والدّواب فتوجّع لهم الشريف سرور، وسألهم: ما المُطْمِع لهم في سلوك هذه المهالك! والساحل أَوْلىٰ لهم؟ فأفصحوا عن قلة ذات اليد وأَبَانوا العجز عن تحمل مشاق الساحل، فقال: لا بأس عليكم سأصحبكم كتاباً إلى الحرامية الأنجاس وليكن مروركم عليهم إلى تبالة أو إلى أي محل شئتم وإياكم المحاذرة، وكتابي بأيديكم. ولفظ كتاب الشريف سرور تغمده الله تعالى بالرحمة هذا:

يعلم الواقف على هذا والناظر إليه من الغلمان المكرمين مِن قبائل أكلُب وآل السيّار أنه وصل إلينا الكبسي يشكو أنكم أخذتم عليه وعلى جماعته زهاب وبغال، فإن تردّوا وإلاّ فنحن أَدرَى بكم وأنتم مجنايون من مكة وأسواقها والطائف وأسواقه ولكل نبأٍ مستقرٌ وسوف تعلمون.

ثم دعىٰ عبيده في تلك الحال وأمرهم أن يسلبوا جميع من وجدوا بأسواق مكة وأسواق الطائف من قبائل الأكلُب وآل السيار، فسلبوهم بمكة في ذلك اليوم. ولمّا عاد حاج اليَمن ووصل بهم المراجَل إلى سوق رغدان[1] وجد به جماعات من الأكلب وآل السيار فعرّفهم أن يصلوا إليه ليقرأ عليهم كتاب سرور بن مساعد، فوصلوا فقرأه عليهم فقامت الأكلب وقالوا: أنت والشريف سرور مأخوذين إن شاء الله تعالى ولا بد نتملككم، وأطاعت في تلك الحال قبائل آل السيار وقالوا: لا بأس عليكم ونبرأ إلى الله وإلى الشريف من ذلك الصنيع. ومعنى قول الشريف مجنايون في عُرف أهل مكة أي مقطوعون عن الدخول إليها.

[الفقيه أحمد بن حسن بركات]

وفيها: يوم الإثنين سادس عشر محرم، أحمد بن حسن بن سعيد بركات[2] المفسر الواعظ المعبر الأديب الشاعر المفلق، كان جيد الشعر عالماً بفنونه مطبوعاً عذب الألفاظ وله التوليد الغريب في النظم العجيب يغزو بفكره على المعاني النادرة فيستخرجها من مكانها ويبرزها في أتم صورة ولا يترك المعنى حتى يستوفيه. وله القصائد المطولة والمقطعات المقبولة، كثير المُلح، على شعره طلاوة. رأيته مدح الخلفاء ومَنْ دونهم من أرباب المراتب ولقي الأكابر، واشتغل به الكثير من الناس.

---

(١) رَغدان: من قرى بني خثعم في سراة غامد بمنطقة جازان (المعجم الجغرافي السعودي، ص (٥٠٣).

(٢) نشر العرف (١٠٧/١)، ملحق البدر الطالع (٢٥)، هجر العلم (٢١٠٦/٤)، أعلام المؤلفين الزيدية (٩٠)، كما أن المؤلف سيذكره عند ذكره لوفاة الأديب محمد بن صالح أبـي الرجال في عام (١٢٢٤هـ).

أخذ عام حجته عن الشيخ محمد حيوة السندي وأسمع عليه رسالته في العقائد، وأخذ عن هاشم بن يحيى وعن البدر المنير محمد بن إسماعيل الأمير وعن محمد بن إسحاق وغيرهم. وعنه الإمام المهدي العباس بن المنصور وعلي بن المنصور والوزير علي بن صالح العماري وأحمد بن لطف الله جحاف ومحمد بن صالح بن أبي الرجال وأحمد بن يحيى بن إسماعيل بن حسين بن المهدي أحمد بن الحسن. وخَلْق.

تصدّر للوعظ بجامع صنعاء. فهدَى أُمماً وألآن قلوباً قاسية، وقرَى في التفسير وأخذ عنه في الآلة خلق كثير.

مولده ليلة الإثنين ثاني عشر شهر ربيع الأول عام خمس وعشرين ومائة وألف، كذا ذكره القاضي[1]. اتصل بعبد الله بن سعد المجزبي وأخيه سعيد ورغب في مجالستهم، وكان لائماً لنفسه من خلطتهم فسمع بعض الناس بموقف آل المجزبي وقد استرسل في تحريم شجرة الحشيش، فقال: الحشيش لقمة من طعام بيت المجزبي، وكان حاد الطبع كثير النفرة سليم الخاطر، يواصل الرفيع والوضيع، لا يرَى على نفسه غضاضة من إتيان من جَفاه وبَايَنَه، يقنع باليسير من العيش. وما أحسن قوله:

أنا عند الجفاء أزداد حباً	لخليلي إذا جفاني الخليلُ
أصل القاطعين في هذه الد	نيا لعلمي بأنها ستزول
وكفاني أني إذا أشغل النا	س كثير منها كفاني القليل
بعد خمسين حجة وثلاثٍ	نحو دار البقاء حان الرحل

[تعبير رؤيا عجيب]

وكانت له في التعبير يد قوية، قصّ عليه الأمير يحيى بن سعد المجزبي رؤيا. فقال: رأيت أني على مائدة حضرها آل المجزبي جميعاً وقاموا عنها، فأكلت بقيتها، فقال: سترث من رأيت جميعاً، فماتوا واحداً بعد واحد وانحاز إليه جميع ما خلّفوه إلى الرائي. وكان يعجب من القُصّاص المتصدرين ويتغير مزاجَه منهم فرأى جماعة وقد حلّقوا بين يدي رجل جاهل بـ(باب اليمن)، ما زال يذكر لأمير المؤمنين علي بن أبي طلب عليه السلام فضائل لا يقبلها الرواة ولا توجد في كتب النَقَلة فاعتراه غضب من أكاذيب القاص إذ كان شيعياً يرتاح إلى نقل الفضائل المأثورة قال: فتقدمت إليه فقلت له: أصلحك الله لا تُحدِّث بهذه فإنها أكاذيب صان الله علياً عنها، فشتمه القاصّ ولعنه ولعن أصحاب رسول الله ﷺ وأغرى جماعته به فشتموه وسبوا السلف فراح عنهم وقال:

تعالوا إلينا إخوة الرفض إن تَكُن	لكم شُرْعةُ الانصاف ديناً كديننَا

(١) القاضي أحمد قاطن.

مَدَحنا عليّاً فوق ما تمدحونَهُ　　وسبيّتموا أصحاب أحمد دوننا
وقلتم بأن الحق ما تدعونَهُ　　ألا لعن الرحمٰن منّا أضلَّنَا

ولما رأى تلك الأبيات الأستاذ البدر محمد بن علي الشوكاني قال سالكاً ذلك المنهج:

قبيحٌ لا يماثله قبيحُ　　لعمر أبيك دين الرَّافضينا
أذاعوا في علي كل نُكْرٍ　　وأخفوا من فضائله اليقينَا
وسبُّوا لا رُعُوا أصحاب طه　　وعادوا من عداهم أجمعينا
وقالوا دينهم دين قويم　　ألا لعن الإلٰه الكاذبينا

وللمترجَمْ لَهُ مقطع كتبه وقد سار عنه جماعة إلى منتزه حَدّه، وصحبهم محمد بن علي بن حسين بن علي بن المتوكل الملقب الباقر فقال موجهاً موريَاً:

يا عُصبةً قد رفضونا بلىَ　　نصّب إمام وقضوا بالفراقِ
إمامنا الباقِر يا سادتي　　وهو أبو جعفر بالاتفاق

واستدعاه الوزير أحمد بن إسماعيل فايع، فطال به الوقت عنده فأدرك عطشاً فأخذ كوزاً لا يشرب منه إلا الوزير فانتهره الخَدَم وشاهدهم الوزير وأقرهم على انتهاره ليرى ما يصنع فأدركته حدّه مفرطة، فقام عنه وكتب إليه:

ولئيم اتيتُه يوم قُرٍّ　　فإذا المآء عنده معدومُ
وأتى كوزه فلم يسقنِي منه　　فلم أدر أيَّنَا المجذومُ

وكان يشكو عدم الصديق العطوف ويتطلب الصاحب الصادق الألوف فلم يظفر به فقال:

من بعض خمسٍ بعد عشرين مضَت　　قد سَبَقَتْها مئةٌ وألفُ
اطلب في هذا الوجود لم أجد　　من عطفته رحمة وألفُ

وله مكاتبات لعلي بن صالح العمّاري رحمه الله تعالى، منها:

فيا بدر لا بدر ابن عمّار أنما　　هتفتُ ببدرٍ للمكارم عمّاري
ويا سيف لا أعني ابن حمدان إنما　　دعوتُ بسيفٍ في يد المجد بتّارِ
ويا بحر لا ما يحمل الفلك إنّما　　أهبت ببحرٍ بالمكارم ذخّارِ

وكان في السابق يجوب الديار وينتقل في الأقطار ولما حطّ رحله ببلدة رَدَاع وجد ملبوس أهلها الشقة وخبّازهم رجل يقال له العنقاء فقال موجّهاً موريَاً:

ولمّا قصدت الشرق أخبر خُبْرَهُ   وجدت رداع العرش أحقرها زرقا
فمن رام منها خرقة نال شقة   ومن يبتغي أكلاً بها طلب العنقا

وسأله والدي رحمه الله تعالى عن عام حجة، فقال: حججت بالسنة التي فرّت الاعجام بها من طهماسب، وقال: ما رأيت محلاً غاصاً بالرجال ما رأيت مكة غاصة بالأكراد والأعجام فارين بأهاليهم وواجه بها في ذلك العام غلاء الطعام فأنفق ما معه وعزم على زيارة قبر سيد الأنام فتوجّع من ذلك فدلّه بعض أصحابه على الوزير يوسف قابل وكان ذا وجاهة عند الشريف مساعَد فامتدحه بقصيدة بديعة فلما قرأها لَم يصبر ساعةً عن ملاقاته وبعث إليه رسلاً يستعجلونه فلما دخل عليه وجده فوق ما يظن وراح به إلى باشة الشام، فأعجب به وأراده على الصحبة فقال: أما إلى المدينة فذاك وأما إلى الشام فَلا، وأمر بحمله على الفالكي لمسايرته فكانوا يحملونه معارضاً لتخت الباشا، ولما قضى الزيارة استأذن في الرجوع فحزنه وأعطاه مالاً واسعاً، وعمد الباشا وجماعته فسلبوه ملبوسه قطعاً قطعاً تبركاً بها، ثم كساه وأمر بحمله إلى بندر ينبُع وأمر أن يُحمل إلى الحديدة.

وكان يألف مقام المنصور الحسين ويغشاه في أكثر الأوقات غير أنه سخِر مرة بالوزير علي بن أحمد راجح بين يدي المنصور فما زالت تلك في نفسه حتى زحزحه عن مقام المنصور وأقصاه عنه. وكانت تعتريه حدّة فكتب إليه بعض أخوانه يصف له حال أحمد بن عبد الرحمٰن الشامي وما كان عليه من الرصانة والسكون وبُطوّ الكلام وعدم الحركة في الحديث والمشي رويداً فكتب إليه جواباً منظوماً ومنثوراً منه.

وزعمت أنك ناصحي   ورميتني جَهْلاً بحِدَّة

أخرج ابن سعد عن سليمان بن أبي حثمة قال: قالت الشفا بنت عبد الله ورأت فتياناً يقصدون في المشي ويتكلمون رويداً: ما هذا؟ قالوا: نُسّاك، قالت: كان والله عمر إذا تكلّم أسمع وإذا مشى أسرع وإذا ضرب أوجع وهو الناسك حقاً.

وكان الوزير علي بن صالح العماري يرغب في حضور مجلسه ولما رآه قوي الإيمان شديداً على الحكماء ومعارفهم جمعه مع ضده رزق بن سعد الله محمد لاشتغاله بعلوم القدماء وكان بينهما مسائل يخالف أحدهما فيها الآخر. فمنها أنه سألهما عن الشمس والقمر هل يدخلان في عداد الكواكب؟ فقال رزق بن سعد الله هما كوكبان فقال المترجَمْ له: كذبت لا يُطْلَق على واحد منهما كوكب أَمَا سمعت الله تعالى يقول: ﴿فلما رأى كوكباً﴾ ثم قال: ﴿فلما رأى القمر﴾، ﴿فلما رأى الشمس﴾ فلا نسميهما بغير الذي في المصحف، ثم قام وأراد الذهاب، فقال له الوزير أين تريد؟ قال: اذهب انظر الاية

في مصحفي فقال: هذا مصحف، فقال: هذا لا يجدي شيئاً مع هذا الضال. وما ألطف قوله وقد استحثه بعض اخوانه أن يتبعه الحمام فتبعه فوافاه خارجاً من الحمام فقال مُورْياً:

أيا صاحبي بالله كيف وعدتني ... وأخلفت وعداً لم يكن بالمؤمَّل
وَعَدْت إلى الحمام ثم سبقتني ... ولم تلقني إلا بوجهٍ مغسَّلَ

ولما أهدى بعض العمال للإمام المهدي العباس الأسدين بعد وصولهما من بلاد الحبشة، كتب إليه:

أبلغ إمام العصر عن مسترشد ... كتب السؤال إلى ذراه محرَّرَا
هذي الأسود أتت إليك مطيعةً ... فمن الذي يعصيك عن هذا الوَرَا
ما شان مَنْ خضعت له أقرانه ... ما شان مَنْ دانت له أُسد الشرا
أترَى أتى مَلك السباع مخبّراً ... أن الملوك تؤُم بابك زُوّرَا
أم خاف من ملكٍ سواك ولم يجد ... عوناً لديه فقد أتَى مستنصرا
أمْ أمَّ سَوْح إمامنا ليكون مِن ... أجنادِهِ فتراه يطلُب عَسكرَا
أو أنه أَلِفَ الأسود فما رأى ... غير الخليفة قد حكاه مُخبِّرَا
أو لا فسل هذا الذي صفّدته ... فعسى يكون على الإجابة قُدَرا
إن كان ليث الغاب حين أمرته ... نادَى فلَبَّى إذ دعاهُ الآخِرَا
فمر الملوك بما تشاء فانَّهُ ... يأتيك كَسرا حين تدعو قيصَرا

وقوله: إذ دعاه الآخر، فيه سِنَاد عند أهل العروض، وقد كثر وقوعه في الشعر وهو أن يمشي بما يخالف في إعرابه مَمْشىً، مما يوافق سابقه.

وكان يخرج عن صنعاء ويقصد الأشراف آل شرف الدين ويمتدحهم ولهم كمال الانسة به، فمما كتبه إلى عيسى بن محمد بن حسين:

يا آل شمس الدين إن قريحتي ... نَسَجت لكم بالمدح بُرِدًا معلمَا
يا أيها الروح الذي مَلأ الملا ... علماً وخاض من البلاغة ادهما
سلبت محاسنك الصفات وأشرقت ... شمساً وأبدت للبرية أنجما

ومن أفانين سحره ومستجاد شعره ما كتبه إلى علي بن محمد بن حسين أديب كوكبان وعلمها[1]:

أتراني ارتشفت خمر الدنانِ ... أم تنزهت في رياض المعاني

---

(١) انظر عنه: هجر العلم (٤/ ١٨٨٧).

مـن نظـام الكـريـم فخـر بنـي الـد نيـا أديـب الـزمـان تـاج الأوان
أنـت كـالشمس يـا علـيّ وإن كنت مقيمـاً فـي السعـد مـن كـوكبـان
حسبـك الله مـن أراد يجـار يـك تَـردى فـي أوّل الميـدان
بيـن قلبـي وبيـن قلبـك فـرق أطليـق كمـوثـق بعنـان
أنـت خـالٍ مـن الغـرام وقلبـي فـي يـدي فـارس الأعنـة عـانـي
ملـك سيفـه الصقيـل ولحظـاه سـواء فـي الفتـك بـالأقـران
قـدّه والقنـاة عنـد لقـاء الأ سـد فـي حـومـة الـوغـى سيّـان
جـده والجـدود فـي المـلأ الأعـلا فمـن دون قـدره الملـوان
خلقـه روضـة النـديـم فيـا سُبْحـا ن منشـيء الـريـاض مـن إنسـان
مِـنْ بنـي النـاصـر الكـرام ملـو ك الأرض زهـر الـربيـع فـي نيسـان
واحـد منهـم كـألـفٍ إذا مـا لبـس السـابغـات عنـد الطعـان

وله من معانيه البديعة:

أَمثلـي يخـلّ بشـرط الـوفـاء ويـرضـى بنقـض عهـود الأخـاءِ
ولـي مهجـة اشـربـت حبّكـم وقلـب أقـرَّ لكـم بـالـولاءِ
وفـي كـل وادٍ أسقـي الـورَى محـاسنكـم بكـؤوس الثنـاءِ
ولكـنّ لمّـا روَى عنكمُـوا أحـاديـث تقضِـي ببُغْـض اللقـاءِ
رأيـت الفـرار بكـم طـاعـةً فـواريـتُ شخصـي بثـوب التنـائـي
سلـوا النـاس غيـري عـن حُبّكُـم فمـدح الفَتَـى النَّفْـس عيـن الهِجَـاءِ

وله إلى علي بن محمد بن حسن وأرسلهما إلى ظَفِران[1] وقد وقع بَرَدٌ شديد في نيسان، فسقط والأزهار في نيسان، فقال مشبهاً فيها قلبه بغربال، فبعث بها مع مملوك جميل إلى مخدومه:

إن يـومـي كمثـل أمسـك يـامَـن بـك أصبحـت مثـل مـا بـك أَمْـسِ
فـإذا مـال عنـك غصـنٌ فمـن خـو ف مُصَـاب الغصـون عنـدك أَمْـسِ
كيـف تسلـو ومنـزلـي مطلـع البـدر وفـي كـوكبـان مطلـع شمـسِ
وإذا صـدت ظبـي وحـش بمـرمـا ك فقـد صدت بـالـذكـاء ظبـي أنسِ
سقطـت عنـدك الـورود وأضحـت مـن ورود الخـدود تـرويـح نفسـي
أجمـال الأنـام عـذراً فقلبـي لنبـال اللحـاظ أصبـح تـرسـي
فتـراه كنخـل التـرب لا يحـ ـفـظ سـراً ولا يضيـق بحـدسِ

(١) ظَفِران: بفتح فكسر ففتح، حصن منيع في وصاب العالي.

فـإذا الـروح صـار عنـدك فـالجسـم كميـتٍ وكـوكبـان كـرمـسِ

وكان يجتمع بكوكبان بعلي بن موسى من آل أحمد أبو طالب صاحب الروضة، وكانت تبدر منه بوادر يتألم لها المترجَمْ لَهُ فقال: لا نزال نسمع بعلي بن موسى الرضَى فرأينا علي بن موسى السخط، وكتب إليه مازحاً له:

علي بن موسى الرضَى قد مضى فجاء علي بن موسى السّخَطْ
شريفان ذاك عَلاَ رتبة وهذا ثوى بِمحلّ السَقْط

وكان رحمه الله تعالى لا يَدع حضور الجماعة في أوقاتها، ويعود المرضَى، وكان يقعد باب مدينة صنعاء مناظراً لخروج جنائز المسلمين فيشيّعها عَرَف الميت أم لم يعرفه، وكان يقوم عن أصحابه إن سمع النداء بالصلاة، وكان لا يذهب إلى أصحابه حتى يستصحب بجيبه قِلاًّ[1] فإذا سمع النداء بالمغرب أكله وقام إلى الصلاة ولم ينتظر أصحابه ومأكولهم. وكان يُحيي ليله بالصلاة ولمّا حضرته الوفاة دعَى والدي العلامة أحمد بن لطف الله جَحّاف رحمه الله تعالى فقال: رأيت الليلة كأني أطلقت من السجن، وأوّلتها بالموت والخروج من الدنيا فإنها سجن المؤمن، ثم قال له: أنت وصيي فأكتُب، قال له: ما أكتب؟ قال: اكتب بسم الله الرحمٰن الرحيم:

بالخمسة الغّر من قريش وسادس القوم جبرايلُ
بحقهم رب فاعفُ عني فحسن ظني بك الجميل

ثم قال: أشهَدُ أن لا إلـه إلا الله وأن محمداً رسول الله، جاءنا بالبينات والهُدَى، وهدانا عن الضلالة والردَى، فإنا بما أنزل عليه وعلى من قبله من الأنبياء مؤمنون، ثم قال اكتب: لا أملك من الدنيا شيئاً سوى بيتي والكتب لا أملك منها سوى كتاب الأزرق في الطب ثم سكت ساعةً وقال:

علمي معي أينما يمّمت كان معي إن كنت في السوق كان العلم في السوقِ
أو كنت في البيت كان العلم يصحبني في جيب صدري لا في جيب صندوقي

ثم أوصي والدي أن يغسّله ويكفنه بثوبه الذي عليه وأمره أن يجعل سُبْحَته بيده فأنكرها والدي، فقال: غير مُحرَّم ذلك اسمع وصيتي، قال فتابعت وصيته. ولمّا مات رثاه أديب الوقت محمد بن حسن دُلامَه[2] الشاعر الذماري الأصل فقال وأجاد تاريخ الوفاة:

---

(١) القِلاَّ: الحبوب المقليّة.

(٢) محمد بن حسن دُلاَمه: بضم الدال المهملة. أديبٌ شاعرٌ، عالم بالفروع. قال الشوكاني: «وُلِد تقريباً سنة (١١٥٠) بمدينة ذَمار ثم ارتحل إلى صنعاء واستمر بها، وكان يمدح أكابرها. وشعره =

لقـد نُعـي الشيـخُ الـرفيـعُ مقـامَـهُ … بـأوّل عـام عُـدّ مـن بـركـاتِـه
صفـي الهـدى إنسـان عيـن زمـانِـه … ومـن حسنـات الـدهـر مـن حسنـاتِـه
ومـن جمعـت فيـه العلـوم وأجْمَعـت … علـى فضلـه فينـا رواة ثُقـاتِـه

حتى قال:

فيـا حبّـذا راقٍ إلـى غُـرَفِ العُـلاَ … بخيـر فعـالٍ كـان فـي خلـواتـه
ويـا حَبّـذا التـاريـخ جـآء لعـالِـمٍ … أعـاد علينـا الله مـن بـركـاتِـهِ

وقد أتينا على بعض أخباره وأشعاره عند ذكرنا لوفاة الأديب محمد بن صالح بن أبي الرجال في عام أربع وعشرين ومائتين وألف وأتينا على أبياتٍ له مجيباً علىٰ عبد الله بن أحمد بن إسحاق في ترجمته تروّح الخاطر وشيئاً من شعره مفرقاً في مؤلفنا هذا، ولَهُ وهو من مخترعاته:

لامٌ ولـم يَـدْر أنـه نصَحَـا … سكـران مـن خمـر غيّـه فصَحَـا
بعـد ثـلاث وأربعيـن مَضَـتْ … فـي شـوط مضمـار عُمـره مَـرَحَـا
عـاف الـدنيّـات منـذ لاح لَـهُ … عَـذاره كيـف فـي المشيـب لَحَـا
دع حسبُـك الله ذا المـلام فكـم … يُغـرِي أخـا الغَـيّ كـل مـن نصَحَـا
هـذا ومَـن صـار قلبـه كُـرةً … بكـف غـانٍ يسـومُـه البُـرَجَـا
كشـارب الخمـر كلمـا جُليَـت … أعـرض عمـا يقـولـه النُصَحَـا

ومن مستجاد شعره ما أجاب به على بعض أخوانه مفتخراً ومنبهاً له بعظيم قدره:

أيُعجِزُ مثلـي النظـم أو يُفْحـم الشِعْـرُ … وفيـه أطـاعتنـي اليـراعـات والحِبْـرُ
ولـم يبـق بحـرٌ لـم أخـض فيـه مَـوجُـه … ولـم يُعْيِينـي فـي خوضِـهِ المدّ والجزرُ
إذا خضـت فـي البحـر البسيـط مُصليـاً … يسلّـم لـي أهـل البسيطـة والبحـرُ
ولكـن لمّـا خُضـتُ بحـرك سـابحـاً … غـرقـت بـه دهـراً وليـس لـه قَعْـرُ
فصـادفـت فـي تيـاره النـون فـاتحـاً … لِفيـهِ فـاضحـاً جـوفـه وهـو لـي وكـرُ
وفـي ظلمـات البحـر عُمِـرت حقبـةً … وليـس لغيـر الله فـي خـاطـري ذِكـرُ
فنـاديـت فـي تلـك الشـدائـد مُعْلنـاً … بسبحـانـك اللهـم فـانفـرج العُسْـرُ
تـرامـت بـي الأمـواج فـي كـلّ سِاحـل … وهـا أنـا عـارٍ بـالعـراء ولا صَبْـرُ
نجـوت بـلا استغفـر الله إنمـا … تـذكـرت أنـي حيـن عَـربَـدنـي السكـرُ

= كثير سائر، وكان حَسن المحاضرة رقيق الحاشية». وستأتي له ترجمةٌ في هذا الكتاب عند ذكره لوفاته سنة (٢٢٤هـ).

تخيلــت أنــي بــالفــرات وأن لـــي صنـاعـةُ مَـلاّحٍ وقـد وقـف النهـرُ
وألقيْــتُ فــي وســط البُحيــرَة راميــاً بنفسيَ كـي تـرضَى ومـا بيننا الجسرُ
نعـم ليس شـرب الـراح شـأنـي وإنمـا نظـامـكَ وأفـانـي فقـل لـي هـو الخمـرُ
وإلاّ فبيّــن لــي متـى كنـت عـاصـراً متـى كنـتَ نبّـاذاً متـى فنّـك السحـرُ
متى صغـت للقرطـاس تـاجـاً مـرصعـاً جـواهـر ألفـاظ متـى رخـص الـدّرُّ
أقل عثـرتـي قـد صـرت ولهـان حـائـراً فمـن بعـض مـا لقيـت يتضح العـذرُ
وكـان الـذي لـوكـان مـاكـان كـائـنٌ ولـم يكـن القـول الـذي صدقـه هجرُ

[أحمد بن صلاح الخطيب الشبامي]

وفيها: يوم السبت عشرين من جمادى الآخرة أحمد بن صلاح بن يحيى الخطيب[1] الهاشمي الشبامي، نزيل صنعاء، أخذ عن والده في علم النحو والقراءات، وعن أحمد بن إسحاق بن إبراهيم بن المهدي حتى برع في العلوم العقلية ورغب في الكتب الحديثية أسمَع منها شطراً صالحاً، وبحث في التفسير، ونظر لنفسه وعمل بمقتضى الدليل، وأفضى الأمر إلى زهده وورعه، فكان يزجر من واصل أرباب الدولة في صنعاء وكوكبان، وعزم أن لا يأكل إلا ما كان حلالاً طلقاً، وما شاه بعض أهل العلم على ذلك حتى ألزمه قبول عطية السلاطين فاعتذر بأن ما في أيديهم مخلوط بالزكاة ولا تحل لهاشمي. وتنقّلت به الأحوال حتى أغلق على نفسه ورد من قصده، وخولط في عقله، وألّف رسالات فكان يخبط في كثير منها، وتحدث عنه الناس بمجريات يطول بنا نقلها واختلف فيها اختلافاً كثيراً.

ترجمه القاضي أحمد قاطن في كتابه «دمية القصر» و «التحفة» فذكر معنا هذا وقد تتبعت أحوال المترجم له وحقيقة ما كان عليه وحدثني أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق، قال: قصد أحمد بن صلاح صنعاء فقرأ بها وحقق، ثم تخلّى واشتغل بالقاضي أحمد بن عيسى العنسي وكان مجنوناً يلقب بالقاضي برمان يألف المزابل ويتتبع الأوراق الساقطة فيأخذها ويميط عنها الأذى فتبعه أحمد بن صلاح إلى منزلته بالأبهر[2] ودخل عليه متخللاً لأحواله فوجده عاقلاً تام الفطنة سليم الفكرة، فقال له: ما أوجب هذه الحالة؟ فقال: حملت علماً لا أستطيع معه مماشاة الناس. فقال له أحمد بن صلاح: هل تستطيع أن تعلمني مما علمت رشداً فقال: نعم ولعله لا يقدر عليه غيرك، واستخرج رقاعاً منثورة، فلقنه ما بها ثم خرج عنه. وقد حصل له حال فقصد عبد الله بن أحمد بن

---

(١) نشر العَرف (١/ ١٤٣)، البدر الطالع (١/ ٦٢)، هجر العلم (٢/ ١٠٢٠)، أعلام المؤلفين الزيدية (١٢٢)، معجم المؤلفين (١/ ٢٥٤)، مصادر الفكر الإسلامي (٢٥٩).

(٢) من مساجد صنعاء. وموقعه اليوم شارع جمال، خلف القصر الجمهوري.

إسحاق الهاشمي ـ وكان له صديقاً ـ فاستقر عنده حيناً، قال: أنا عيسى بن مريم وأنا المهدي المنتظر، فتعجب من ذلك وكان يعرفه بكمال العقل والفطنة، فاستفصل أمره فأخبره بما تحمّله عن برمان العنسي فقال له: فلِمَ تدّعي أنك عيسى وأنك المنتظر؟ فقال: خرجت فرأيت الهوى مملوءاً خيلاً ورجلاً وسكاناً به لا يأتي عليهم العدّ، فبما بقي أحد منهم إلا حيّاني بالسلام، فنصحه عبد الله بن أحمد وأخذ عليه كتم ما حدّث به، فقال: سمعاً وطاعة فراح عنه ولزم الخمول، انتهى.

قلت: وذكر القاضي في «الدمية» أن يحيـى بن محمد العنسي أخا القاضي علي بن محمد الشاعر المشهور كان يشاهد الجن ولا يحتجبون عنه، وأسند القاضي ذلك عن شيخه الأستاذ أحمد بن عبد الرحمـٰن الشامي رحمه الله تعالى، قال القاضي: فقلت له ولعله يتخيّل ذلك، فقال: ليس بخيال لأنه مُكَمّل عاقل لم نعثر عليه بالكذب، ويختص الله بما يشاء من يشاء، كذا ذكر القاضي رحمه الله تعالى فلا أدري أحمد بن صلاح أدرك يحيـى بن محمد وأخذ عنه كما حدثنا بعض الناس أم لا، ولا أدري ولده أحمد بن يحيـى أخذ عن والده تلك الطريقة أم لا.

واشتغل المترجَم له في آخر أمره بمسألتين قَطَع أوقاته فيهما: القول بوجوب صوم يوم الشك ولا يقول به أحد من أهل الإسلام، والاخرة القول بأن الفرجين من أعضاء الوضوء. قال أحمد بن عبد الله بن إسحاق سمعت والدي يقول: تحصل علم أحمد بن صلاح في هاتين المسألتين. وقد صادره في مسألة وجوب صوم يوم الشك القاضي شمس الإسلام أحمد بن صالح بن أبـي الرجال رحمه الله تعالى، وبتّ القول معه بالتجهيل وعدم النظر وشبهته في ذلك ما أخرجه أحمد والبخاري ومسلم والأربعة عن أبـي بكر مرفوعاً: «شهران لا ينقصان: شَهْرَا عيد رمضان وذو الحجة» فكان يجزم بأن عدم النقص يدل على أنهما ثلاثون. فصوم يوم الشك واجب، ولم يفهم أن المراد لا ينقص أجرهما والصارف لذلك حديث: «طالما صمت تسعة وعشرين» وحديث ابن حبان عن عمر مرفوعاً: «الشهر ثلاثون والشهر تسعة وعشرون، فمن صام تسعة وعشرين فقد صام شهراً كاملاً». علىٰ أنه كان يستدل على نقص شعبان وذي القعدة بحديث هو في «مجمع الزوائد»: «لا يكمل شهران ستين ليلة» وهو حديث لا يدري حاله علىٰ أنه يعارضه حديث: «فإن غمّ عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوماً». وهو حديث متفق على صحته عند أهل الإسلام فبطل استدلاله.

وكان الوزير الصالح أحمد بن علي النهمي يتعجب من شأنه فيبعث إليه بمال فيقبله بعد أن كان يتورع من قبول مال السلطان.

قلت: وأخبرني بعض مصاحبيه عن حالاته التي كان يكاشف الناس فيها وإنه سأله

فقال: تسمع بالمسفّلة التي تأتي بخبر المقبورين؟ قال: قلت نعم. قال: فإنه يعتريني حال كحالها، أَمَا تراني تأخذني حالة كحالة النائم؟ قال: وقال لي: أتعرف انفصال الأرواح عن الأشباح؟ قال: قلت أسمع ذلك، قال: هو ما تسمع.

وحدثني الثقة قال: كنا ليلة نتذاكر فلم أشعر إلا وقد أخذته سِنة خفيفة فقام وقال: رحم الله أحمد بن يوسف الحديث، قال: فقلنا متى مات؟ قال: الآن خرج روحه، قال: قلنا له إنه بالروضة، فأخذته سِنةٌ وقام فقال: نعم وسُيدخلون جنازته صبح الليلة. فأصبح مَن عنده ينتظرون الجنازة فوصلت.

وكان رحمه الله تعالى كثير النفقة على المساكين لا يدع ما وصل إليه إلاّ فرّقه بعد أخذ محتاجه منه. وكان يزمزم الكلام تارة عن يمينه وتارة عن شماله وكان يقول: سكان الهوى في الكثرة كالهبا، وكان رحمه الله تعالى دنس الثياب لا يتحمّل ولا يتحاشى من ذكر الكلام القذع سيّما مع من باينه، وله في ذلك أخبار يضحك منها السامع.

مات بمسجد محمود[١] بدرب الأوساط.

[علي مصطفى العجمي وأول وصول الزجاج]

وفيها: في ربيع آخر السيد علي مصطفى العجمي[٢]. هو أول من أخرج الزجاج الألواح إلى اليمن وكان لا يُعْرَف بها، وقَدِم على الإمام المهدي بأنواع التحف وأخرج له ألواح الصيني فبنَى ديواناً بـ (بستان المتوكل) وصفّح جدرانه بذلك الصيني. وأول مَن أبرَّ النخل بصنعاء الإمام المهدي وصلح. وأول من أخرج صِيْب التوت الأبيض إلى اليمن وغرسه بالبستان، ورغب في اليمن وأهله وأظهر به مذهب الإمامية على أشد خفية، واستمال جماعات إليه وبث لهم من علوم الإمامية ما رغبوا فيه معهُ. وعانا باليمن أمور التجارة والكسب فكان صبوراً على مشاقها، سهل القضاء، سهل الاقتضاء. وأخرج غيْلاً شامي إلى صنعاء وأنزله إلى الروضة وهو المعروف الآن بغيل مصطفى[٣].

[يعقوب بن أحمد المهدي]

وفيها: يوم السبت ثامن عشر رجب، يعقوب بن أحمد بن عبد الرحمـٰن المهدي كان عالماً مُحققاً.

---

(١) **انظر كتاب الحجري** مساجد صنعاء، ص (٩٥).
(٢) نشر العرف (٢/ ٢٧٠).
(٣) لمعرفة المزيد عن الغيل المذكور انظر كتاب الأستاذ عبد الوهاب عسلان: غيول صنعاء، ص (١٠٠).

وَدَخَلَت سَنَةُ سبعٍ وَتسْعينَ وَمائَةٍ وَألْف

وفيها: عقد الإمام بولاياتٍ لجماعات، ورَفَع آخرين. فَعقدَ بولاية بيت الفقيه ابن العُجيل لمحمد بن عبد الله العلفي الأموي بشهر شعبان.

وفيها: عقد بولاية جبلة وإبْ لصالح بن مطهر القانِصي بشهر صفر وخلعه في شهر رمضان من هذا العام.

وفيها: عقد ببلاد حجة والظفير للماجد يحيى بن محسن بن علي بن محسن بن المتوكل في شهر رمضان مجدداً.

وفيها: عقد ببلاد حُبَيْش لمحمد بن أحمد العنسي البرطي من غرة شهر ربيع وخلعه في شهر رمضان من هذا العام.

وفيها: عقد الإمام ببندر اللُحية والزيدية للأمير عبد الله جوهر شهر شعبان والقاضي بها أحمد حسن البَهكلي.

وفيها: خلع عن حُفاش قاسم بن محمد الحيـي.

وفيها: خلع عن بلاد يَريم الماجد عمه يحيى بن محسن حنش في شهر ربيع وأعاده عليها شهر رجب من هذا العام.

وفيها: عن جبلة وإبَّ الأمير ناصر بن يحيى المجزبي في شهر محرم.

وخلع عن حبيش إسماعيل بن حسن العفاري في شهر محرم.

وخلع عن بلاد أنس علي بن يحيى الغشم في شهر صفر.

وخلع عن بيت الفقيه ابن العجيل أحمد بن محمد الشرعي الهاشمي في شهر رجب.

وخلع عن حَيْس إسماعيل بن يحيى الجرموزي في شهر جمادى الأولى.

وخلع عن ريمة والجبـي الحسن بن عثمان الأموي الوزير في شهر صفر.

وخلع عن بلاد حراز الأمير محمد ذو الفقار في شهر جمادى.

وخلع عن الحيمة إبراهيم بن علي الهمداني في شهر رجب.

وخلع الأمير سعد المنصور عن عتمة في شهر جمادى.

وخلع محمد بن عبد الله بن محمد بن حسين الهاشمي في شهر ربيع.

وفي يوم الإثنين حادي عشر شهر الله المحرم توفى علي بن يحيى الشامي الوزير الأعظم بعلة الاستسقاء وسيأتي ذكره آخر عامنا هذا.

[واقعـــة سعـــوان]

وفي مفتح العام هذا والقاضي المخذول عبد الله بن حسن [العِكام] وجماعة بكيل حاطه على الإمام بأطراف الرحبة من ثاني وعشرين شوال، وهو لا يرفع إليهم رأساً. فشكى الناس الضرر وتخوفت الطرق.

وفي ثاني يوم من شهر صفر تحرك بمن معه من حي بكيل وقادهم من أطراف الرحبة جيلاً بعد جيل فوصل بهم سعوان فاستقر به ليلة ورموا بأسفل جبل نُقُم ليروّعُوا مَن بصنعاء ويحرجوا صدر الإمام وكان لديه بقية من ذو محمد وذو حسين الذين أرسل طائفة منهم في العام الماضي إلى جهات اللُحية كما فصّلناه، وأصبح الإمام من تلك الليلة عازماً على قصد البغاة، فطلب بطانته واجتمع إليه من سائر القبائل عدة، فخرج ورتّب جيوشه فألزَم ذو محمد أن يحطُّوا بسوائل نُقُم وقدّم بطانته فقابلت سعوان وحطّت بأسافله وألزم طائفة بكيل ذو حسين الخارجين معه أن يزحفوا من سوائل نُقُم لفتح الحرب فلم تَقْرَح في شمس ذلك اليوم بندق لأن ذو محمد وذو حسين الذين مع القاضي، استقروا بالبيوت متحصنين فلما بلغهم رجوع الإمام، أَمِنوا وخرجوا وظنوا أنهم مستأصلون شأفة حي بكيل المطيعة، وقال بعض الناس: ظهر خداعهم إذ كانت الكتب منهم على أن لا يخرج أحد منهم على الآخر، فلما أيس من نصحهم عاد آخر نهار ذلك اليوم ببطانته وأبقى في وجه العدو، الماجد الرئيس عباس بن إسماعيل بن محسن بن المتوكل بقبائل ذو محمد وذو حسين، فحظّهم على القدوم فتَوانَوا، فنَصب خيمتِه تحت جبل نُقُم، وحدّثني علي بن قاسم حنش أن له يداً في فتح الحرب يومئذٍ مع عباس بن إسماعيل، قال: سألت الوزير الحسن علي حنش عن حال الإمام في رجوعه؟ فقال: انكسر خاطره. قال: فقلت: إذا سمح بعشرين مشخص قام الشرّ بينهم.

فرفع الوزير إلى الإمام يطلب منه ذلك فأرسلها، قال: فلقيت أربعة نفر من ذو محمد فقلت لهم: إن أعطيتكم عشرة مَشَاخِص على أن ترموا مركز ذو حسين فتسيل منهم الدماء، أتفعلون؟ قالوا: نعم. قال: وقصدت أربعة من ذو حسين الذي مع الإمام فقلت مثل ذلك على أن ترموا مركز ذو محمد أتفعلون؟ قالوا: نعم، قال: وأودعتها لهم عند بعض فقهائهم فخرجوا ورموا ولا يشعر أصحابهم بأنهم قد خُدعوا فأصيب نفر من بـ(سَعْوان) فقالوا ظهر من أصحابنا الغدر فنهضوا. ولم يشعر الرئيس عباس بن إسماعيل إلا بأبن سِنّه الحسيني على فرسِه باب خيمته ففشل وحوله جماعة من ذو محمد، فقام ستة منهم فاحتوشوا ابن سنه فقتلوه وأنثالت طائفة من ذو محمد البغاة على

خيمة الرئيس عباس بن إسماعيل فقامت محطته وهو بخيمته وأرادوه على النهوض فقام وأخرجوه عن عرض الخيمة فارين به، وثَبتوا ساعةً مصاولين فانتهبت البغاة من مطرح عباس بن إسماعيل خمس جمال وانفتح الشر وتزايد، وقُتِل من الفريقين عدّه واحتزّ أصحاب الإمام ثلاثة عشر رأساً، وجرحوا نحو خمسين نفراً من المفسدين، وقُتل من جُند الإمام رجلين.

قال المؤلف غفر الله له: وكَتَب إليّ حاضر المعركة علي بن العباس بن إسماعيل وهو أصدق حديثاً في ذلك، قال: إنما تَبَطّتِ[1] القبائل عن القدوم لعدم نيلهم الزلاج[2] فأقام الإمام من أوّل اليوم إلى قريب الغروب، قال: فأرسلني والدي العباس إلى الإمام وأودعني من الكلام ما ألقيته إليه فقلت: أمرني والدي أن أكلمكم في هذا الشأن بأنه يحسن منكم كتاب إلى الكافة من قبائل ذو محمد وإلى الوالد العباس بن إسماعيل: أما بَعْد فإنَّا رَجّحنا مَسَاكُم حيث انتهيتم والمادة والعطاء سيصدر إليكم وطِيْبوا نفساً وقِرّوا عيناً. قال: فكلمته بذلك فكتب الكتاب وأنا بين يديه ثم ناولني الكتاب وعاد صنعاء، فوصلت به إلى والدي العباس فقرأه عليهم فقالوا: الأمر مطاع ثم دخل خيمته وهُمْ بمحاطهم، ودعَى رجلين من أرحب قال: ولم يكن لديه غيري فلمّا قعدا بين يديه أعطاهما خمسة قروش فرانصه وأمرهما النفوذ إلى محط القاضي ويطلبوا منه وفقه خالية، فإذا خرج عند أصحابه أوهموه أنهم يريدون نصيحته لتكون لهم يدٌ عنده، فأخلَى لهم مَوْقفَه فتكلما له بأنهما تخللا أخبار ذو محمد وقالا له: تعلم ما سبب مَساهُم؟ قال: لا. قالا: اجمع رأيهم مع الإمام أن يغزوك في الليل وقد ضمنوا للإمام على مالٍ واسع ضبطك إلى حضرته فكن على حذر، فلما سمع خبرهما أقامه وأقعده وطلب خاصته وبث ذلك عليهم، وقال: والله لا بِتْنَا بهذا المحل حتى نهجم عليهم وإذا لم يسعدني أحد كانت الدائرة في هذه الليلة عليه. قال علي بن العباس فيما كتبه ليَ: فلم نشعر ونحن بالخيمة إلا بالصارخ جاءتكم القوم يا قوم، قال: فانبَعَثَتْ قبائلُنا ذو محمد كالأسود الضارية إلى محل الصارخ. فقال بعض عُقّالهم وكان بحضرة العباس لأصحابه: أصابه الله، والله ما كنا عازمين على إخراج رصاصة إلا برصاصَه من ذهب والآن حف بنا الموت من كل جانب. قال فهجم عليهم أبـي سِنه في ثمانية أفراس إلى باب الخيمة فألتقاه العباس بسيفه فهدّه وهدّ أفراسِه ثم أقبلت قبائل ذو محمد فقتلوه في هذا الوقت واحتزت من رؤوسهم بعد الملحمة العُضمى ثلاثة عشر رأساً ودخلت باب الخليفة. وامتدح الإمام مؤرخاً لذلك العام شاعر العصر البليغ محمد بن هاشم بن

(١) **تَبَطت**: أي تباطئت.

(٢) **الزلاج**: المقابل المادي.

يحيى[1] بقصيدةٍ بديعة بليغة:

نصرٌ أضاء له عند الوغىٰ صُبُح ... ينير والليل منهُ قد بدى جنحُ
أرى جيوشاً على البيداء يسير لها ... في النجد نجدٌ وفي سفح الفلا سفحُ
ذكرتهم يوم سَعْوَان الذي شهدت ... له شهودُ قنىً تعديلها الجرحُ
عطف على وقْعةٍ كبرى بفادحةٍ ... أخرىٰ لِوَقْدِ لظاها في العِدَ الْفحُ
ذكرتهم بخميسٍ عنه ما غفلوا ... وهل نسوا ذكر هَولٍ لم يَصِحُ
دعوتهم بالعوالي والسيوف فما ... لبّى بذاك لهم سَيْفٌ ولا رُمْحُ
كأنهم فرقاً من هول فتكك قد ... ماتوا وواراهم من ذِلِّهم قُبحُ
ظنوا بأرواحهم جُبْناً وما سَمَحوا ... أن البخيل يوارى شخَّصه الشبحُ
فحين أغضيت عنهم رحمةً لهمُ ... راموا لآثار باقي الجيش أن يَنْجُ
قد بادرتهم سحابٌ من بنادقها ... من كل أفعَى لعادي سُمّها رَشحُ
كأن صِل سجستان أتاحَ لها ... طُرقاً ليقْتل من أعيانها اللمحُ
فسال منهم على البيداَء بحر دمٍ ... لجيش قتلىٰ هُمُ في موجهِ سَبْحُ
هذا هو المفخر العالي المشيد فكم ... يطول في منهج العَليا له الشرحُ
هنيَّت منه مقاماً علوت بهِ ... فيه تروقُ لنا الأشعار والمدحُ
لازال دهرك بالإقبال مبتسماً ... ما افتر صبحٌ وأبدى نجمه جنَحُ
يحفك السعد في دَوْر الزمان به ... لطائر اليُمن في روض الهَنا سطحُ
ذوو المسرات في الإقبال أرَّخه ... عام به العِزّ للمنصور والفتحُ

سنة ١١٩٧

وأصبح القاضي من ليلته مقوضاً خيام فساده عائداً نحو بلاده، وقد أضرّ به البقاء وأدركه الشقاء وطالت مدة الانتظار وكانت عاقبته مع الصبر الطويل الدمار. وأقام يوماً بالرحبة وراح منه إلى بَوسان[2] واستقر بها ثلاثة أيام وطار عن تلك الأقطار لا بلّغهُ الله الأوطار، بعد أن قاسَى المشاق أربعة أشهر ما وقف منها على طائل، وكسى الإمام المنتصفين وأنالهم عطاءً واسعاً وسيّرهم.

وصول حسن بن عثمان العُلفى لِعُهدة الوزارة:

وفيها: طلب الإمام الحسن بن **عثمان** الأموي عن بلاد ريمة والجبي فوصل حضرته فقلده عهد الوزارة العظمَى ورفع له محلاً أسمى، وسكن الشر بُرْهَةً بعد وصول

---

(١) محمد بن هاشم بن يحيى الشامي. ستأتي ترجمته في أخبار سنة (١٢٠٧هـ). عند ذِكر وفاته.

(٢) **بَوسان:** من قرى شاكر بمديرية أرحب في شمال صنعاء.

القاضي المخذول بلاده المدمَّرة، فمكث بها شهرين وحرّكه داعي القلق فسار عن بلاده ناشراً لأعلام فساده، وخرج في ربيع ومضى بمن صحبه من الأشرار وفي صحبته علي بن أحمد بن إسحاق، فوصل يوم ثالث عشر إلى بَوسان ثم سار عنها يوم سابع عشر ومضى من باب صنعاء.

وكانت تأتيه بـ (بَوْسان) جماعات من قرابات المقتولين بـ (سَعْوَان) فيطلبون منه الأخذ بثأرهم ويذكّرونه قتلهم، فوصل بهم إلى سواد الحَصَبه وبات بهم ليلته وراح بهم نصف الليل وتلّفت يميناً وشمالاً فوجد الحَواز قد تحصَّنت بالدوائر والمراتب فقصد بيت الخولاني، وذلك يوم الأحد تاسع عشر ربيع آخر قاطعاً طريق اليَمن، فلم يتحرك المنصور لوصوله ولم يرفع له اليد رأساً، فاستباح صافية باب صنعاء. وحصل مع الإمام عارض ثَبَّطه عن الحركة، فبقي هنالك خمسة وثلاثون يوماً وكان يقصد بأصحابه الليل إلى جبل نُقُم فيرمون بالبنادق إلى صنعاء فيروّعون أهلها حتى سئم البقاء هنالك وملّ أصحابه مرافقته، وبعث الإمام مع وزيره الصالح حسن بن علي حنش بثلاثمائة قرش حجراً لجماعةٍ من رؤساء أصحابه يخادعهم بها مشترطاً عليهم المسير عن باب صنعاء، فوصَلت إليهم على خُفَية فنفروا عن القاضي أشدّ النفرة وبتُّوا القول معه على عزمٍ لا يشوبَه تَوانِي، فراح معهم مخذولاً خائباً. وكان مسيره يوم الجمعة بعد الصلاة ثالث وعشرين جمادى الأولى، وبات قريباً من الحَصَبة، وحصل قران بين المريخ والمشتري ويزعم أهل الحساب أن ذلك لشأن والله أعلم بما كان. وفي ليلة النصف من ربيع الآخر انخسف القمر واستغرق الخسوف جميعاً وذلك حال وصول الباغي بمن معه.

[قبض دواليه لبعض حصون الحيمة]

وفي أيام حصاره لباب صنعاء تسلق الشيخ دَوَالِيَه صاحب أَرْحب إلى بعض حصون الحيمة فقبضَهُ، فثارت عليه الرعيّة وألجأوه إلى ضيق شديد، فإنهم أقاموا عليه الحرب ليلاً ونهاراً لا يفترون ساعة واقتسمت الرعية أثلاثاً فثلث منهم يقوم بالحرب من صباح اليوم إلى العصر ثم يروحون ويأتي الثلث الثاني بنشاط من العصر إلى مضي ثلث الليل الأول ثم يروحون ويأتي الثلث الثالث بنشاط فينصب الحرب عليه بقية الليل، ولمّا ضاق به الحال خرج في ثلاثة من أصحابه وترك البقيّة بالحصن، فتسلمتهم الرعية، وأشخصتهم إلى حضرة الإمام فأودعهم السجن.

[قبض دَوَاليه لحصن ثلا]

وسار (دَوَاليه) يتربّص بالحصون الدوائر، فوصل قريباً من (حصن ثِلاَ) وفكّر وقدر وتسلّق إليه ليلاً فوجد رتبته في غفلة فراح إلى النقيب حسن رَدْمَان ومَنّاه الخير، فوعده المسير معه واللحوق به، فقال دواليه: شأنك التخلف؟ فقال: لا. فقال: إن كنت صادقاً

أصحبتني ولدك في نفر يسير، فأسعده وراح بولده متسللاً في الليل، فلاقىٰ في الطريق رجلاً من حَرس الحصن فقتله ورقىٰ إلى الحصن، فدخله من خُلة كانت خُربت ورتبته نائمون فتملّكه، ولم يشعر بمن بمدينة ثلا إلا بالرمي عليهم من الحصن، فسقط في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا فأزعج الإمام ذلك فاحتفل بالغارة. وطلب عمه الصفي أحمد بن المنصور بأنه الحسين في يوم ثاني بلوغ الخبر. وأخذ عليه المسير، فطلب الإمهال فلم يمهله وخرج معه بنفسه إلى خلف ضلاع هَمدان، وانفصل عنه عمه فوصل ليلته المقبلة حوالي ثِلاَ قَبْل العشاء، وأصحبه الإمام قبائلاً كانت بالغِراس وهمدان من نِهْم وخَوْلان وبني جَبْر، الله أعلم كانوا متطلبين للشِرّام أم لا؟ فساروا معه، فحاصر بهم حصن ثلا نحو خمسة عشر يوماً حتى أخرجهم منه على صُلح، وأغار على أولئك كبيرهم حسين ردمان فوصل بجماعة من أرحب ناشراً لأعلام الفساد فقامت الحرب بينهم على ساق، فكانت الدائرة منهم على قبيلة أرحب. وأثخنهم الجند المنصوري وأخذوا سلاحهم وأسروا جماعةً، منهم كبير محطتهم النقيب على رَدْمَان واحتزّت منهم ستة عشر رأساً أُوصِلَت باب الإمام ونحو خمسين أسيراً، وذكرنا خروجهم أنه كان على جهة الصلح وذلك أن الذين بالحصن لمّا ضاق عليهم الأمر طلبوا الأمان فاشترط (دواليه) على الإمام جامكيّة فأسعد الإمام إلى ذلك مشترطاً وصوله الحضرة بين يدي عمه الصفي فتسلّم وخرج إليه فتفقّد الصفي الحصن وسَدّ خلته وحصنه وأصلح دوائره وبقي معسكراً هنالك شهرين إلى أول شهر رجب وطلبه الإمام فأقام ولده محمداً نائباً عنه بثلا واستدعىٰ (دواليه) إليه فسيّره بين يديه حتى أوصله إلى الإمام فما زال بصنعاء ملازِماً للخدمة وتوسَّل إلى الإمام بإخراج الذين أُسروا بالحيمة فأطلقهم من السجن، وقال الفقيه الصالح مقبل بن صلاح الطيار أبياتاً أرخ فيها خروج (دواليه) من الحصن ولم أنقل منها سوى بيت التاريخ:

هــذا وقــد أرّخــوه صــدقــاً قــد أَمّــن اللّــهُ كــل خــائــف

وكان وصول الصفي أحمد بن الإمام المنصور بالله الحسين بمن معه إلى الإمام وهو بدار الصافية من بير العَزَب مشتغلاً بشراء البيوت وتفسيح الساحة، فكساه ثانية وأنعم عليه وبذل لمن وصل بين يديه أموالاً لنصحهم وسيّرهم عنه.

[خلاف الشيخ الحيدري]

وحصل لتلك الفتكة صولة في بلاد الجبل وعيال سريح من أعمال عمران، وكانوا قد رفعوا رؤوسهم للشر فتوسلوا بجماعة من عقال حاشد، علىٰ أن يسلّموا للدولة العلف المعتاد سَوقه دراهم معدودة، وضمنوا بالمنكسر عليهم، وتدخل بيَارق الدولة بلادهم ويردوا المقررات لعقالهم ما خلى الشيخ راجح بن أحمد الحَيْدَري فإنه تحاشىٰ من

الطاعة واستكبر فحوّل له الإمام بحوالة على عامله بـ (حجّه) الماجد يحيى بن محسن بن علي بن محسن المتوكل في خمسمائة قرش فسار بخمسين نفراً ووصل إلى (شَرِس) قريباً من بيت طفيان ولم ينَلِ خيراً إذ كان الماجد يحيى بن محسن قد سمع انحراف قلب الإمام عليه فعاد فنَجم نَجُم الخلاف والطغيان واستحكم الشر والعصيان بقبائل عمران، وكان الشيخ راجح بن أحمد الحيدري قد بغىَ وتعدّىَ طوره واستمال الطغام فانضمت إلى كلمته قبيلة الجبلِ وبني سريح والأشمور وكُحلان وما إليها وبني قُطيل وبلاد السُودة والأقهوم وبنِي طَلْق، وقطع المارّة والمسافرين وترصّد الإمام لمن وُجِد في تلك البلاد فقبض جماعةً وأودعهم السجن، وبقي أياماً، وطلبهم إلى باب داره وأحضر السيف وأخذ عليهم إلزام أهل بلادهم رَدّ الحمائل المأخوذة أو ضرب أعناقهم، فامتهلوا ثمانية أيام ولم يقدروا على شيء.

[القبض علىٰ الحيدري]

وخرج الإمام تلك الأيام عن صنعاء واستقر بـ (بير العزب) وكان يدخل منها لصلاة الجمعة ويعود، وبعث إلى الماجد يحيى بن محسن بن علي يَحُثُّهُ على التحايل لقبض الشيخ راجح، فما زال يراسله بأن الحوالة التي نزلت لها من قبل قد حصلت اضعافها، وقد أعديت لك ما قبضت من البلاد لتجعلها للنوائب بعد أن رأيت في الدولة ضُعفاً وعلمت أنك انفردت بنفسك لعلمك بأن الدولة لا تقدر على صغير ولا كبير فإن وافقتني كنت أنا وإياك يداً واحدة على الفساد وتسلمنا بلاد القبلة، فانخدع وسار إليه. فحدثني الماجد يحيى بن محسن أنه بَنَى على الصلح معه وإلزامه الطاعة وأراد تهوين شره، قال: فلما رأى مني ذلك قال لي: كنت أظنك أسداً من الأسود فإذا أنت حمار سُبلَه. فازداد الشر بينهما وسمع منه العماد ما يغيظ، وكان في عصابة مشتدة فألزمهم ضبطه فغلّوه بالحديد وغَلُّوا أصحابه يوم الأحد ثاني عشر رجب، وسار به العماد يحيى من ذلك المحل ونَحَى به جهة الزيدية من بلاد تهامة فوصل إلى الأمير سرور فخرج معه وسار به بنفسه بجندٍ متين، ونَحَوا به طريقاً أخرى خشية من أهل الجَبَل، ثم صحبهم العماد بزي العسكر حتى قارب صنعاء مما يلي الحَيْمَه وبعث إلى الإمام كتاباً مع الأمير سرور مصحوباً بالشيخ الحيدري ومن معه فوصلوا به يوم الجمعة آخر شهر رجب إلى باب دار الفتوح دار صبره، وخرج الإمام من صلاة الجمعة فلما رآه أمر بضرب عُنقه وكان. ووصل على جمل إلى الباب يضربون بجانبه مَرْفَعاً للتعزير به وصَلبه في السِّيبه ثلاثة أيام وحسّن الجماعة الداخلين معه للصلح من أهل عمران والجبل، وأجاز عامله الماجد يحيى بن محسن بن علي وأقطعُه حقوق بني نَصَّار وبني الدُّوّه[1] وكساه

(١) بني نَصّار وبني الدُوَّه: من أعيان بلاد حجة.

وأصحب ذلك حصاناً جواداً وكتاباً يصفه المنصور فيه بالدهاء والشجاعة، وأجاب الماجد يحيى بن محسن بجواب صدّره بهذين البيتين:

أعطيتنـــي المنقـــود والملبـــوس والمطلـــوب تتبعـه الجـواد السَلْهبـا
ومطهمـــاً لـــو ســـابقتـــه لجـــودةٍ ريـح الصَّبَـا لكَبَـت وسـار وَمَـا كَبَـا

وما أشرتم مما الهمكم الله إليه من ضرب عنق الباغي فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصّالحات، وآخره هذه الأبيات[1]:

يـا إمـام الهـدَى ويـا ابـن الـذي جـا ءَ إلينـــا بمحكـــم القُـــرآن
والـــذي عـــدل الصفـــوف ببـــدرٍ وأتـــى بـــالبيـــان والبـــرهـــان
قـــد شفيـــت النفـــوس منـــا بعـــزم صـــادق بـــالنكـــال لـــلأقـــران
وأزلـــت الـــذي تطـــاول للبغـــي فـــأمـــدَى بـــالسعـــي فـــي الطغيـــان
هكـــذا لا بـــرحـــت فـــي المجـــد تسمـــو فـــي علـــوٍ تعلـــو علـــى كيـــوان
لـــك فـــي الخلـــق رتبـــةٌ لا تضـــاهَـــى فـــي التُقـــى والعُلَـــى وعنـــد الطعـــان
لـــك زهـــد الـــرسـول فـــي كـــل حـــالٍ ونـــزال الـــوصـــي للشجعـــان
فتهنَّـــى الـــذي أنـــالَـــك مَـــوْلا كَ مـــن النصـــر والمُنَـــى والأمـــان
وابـــق فـــي الملـــك كلمـــا عبـــد اللهُ ولا زلـــت فـــي كـــلا الـــرحمـن
وإليـــك الســـلام يُنمَـــى، وأرّخ لتـــدم فـــي سعـــادة وأمـــان

سنة ١١٩٧

[النكبة بعنبر المهدي]

وفي جمادى الآخرة من هذا العام، شرَى الإمام بيت إسماعيل النهمي بجانب دار الفتوح، وبيوتاً أخرى وجعل إليها محموله من دار الفتوح، وقطعت عام خمس وعشرين بعد موته.

وفيها: في شهر جمادى الأولى هُدِم مسجد ابن الحسين[2] وزيّد فيه وكان ضيقاً بالمصلين.

وفي يوم الأحد رابع عشر شعبان نكّل الإمام الأمير عنبر المهدي، وأحضره تحت طاقته بدار الفتوح وجرّده من ثيابه وأمر بضربه وإسكانه ملّة الحمَام مبالغةً في تعزيره،

---

(١) أعاد زبارة نشر الأبيات في ترجمته للسيد يحيى بن محسن المتوكل، وذلك بكتابه نيل الوطر (٢/٣٩٨).

(٢) انظر: مساجد صنعاء ص (٤).

فبقي بها شهر، وقيلت في تلك الواقعة الأشعار فمما قاله الأديب محمد بن حسن دلامة مورياً من أبياتٍ:

جـــــاد بـــــالأنعـــــام حتَّـــــى بَخَّـــــر المَلّـــــة بعنبـــــر

ولآخر:

ولخـــدمـــة الحمـــام قـــام وأنَّـــهُ ألقـــىٰ بملتـــه الكـــريهـــة عَنْبَـــرا

وكان السبب في نكاله، أن طلب منه الإمام مشاطرته فيما أخذه من أهل العُدَيْن فأبَى، وما زال به فلم يفعل ثم أخرجه عن الملة وأودعه السجن.

وفي شعبان نكّل الإمام بوزيره علي بن حسين الجرافي[1]، وكان علىٰ المخازين فقبض عليه أموالاً جزيلة وبعث علىٰ السيد أحمد المحرابي صهر الجرافي ضباطاً فأشخصه من حُبَيْش بعد استدراجه من ذي جِبْلَة وقبض على أموالهما ونهض عن بير العَزَب محملاً أثقاله صنعاء، فصام بها بدار الفتوح، واستحث العمَله على العجلة بدار الاسعاد، وكان يسير إليها فيبقى بها اليوم واليومين. وشرَى بيوتاً جمّة لتوسيع ميدانها وأخذ نحو النصف من مقشامة الطواشي ومقشامة محمود ومقشامه غزل الباش، وسيَّر في شوال من حضرته، سعيد بن علي القرواني يحصر أموال الجرافي والمحرابي التي باليمن الأسفل فحصرت وقبضها مستغلاً لها، وضمها بعد إلى أملاكه، وأقام على المخازن حسن العفاري.

[نزول القاضي البرطي إلى تهامة]

وفي شهر رمضان من هذا العام سار عبد الله بن حسن العكام متوجهاً نحوتهامة وهي المرة الثالثة في هذا العام، مريداً أخذ بندر من بنادرها كل ذلك لما أعيته الحيلة بعد إضراره بالناس ونهبه وقطع السبل وتحيير المسافر، فقصد زبيد ونهب في أطرافها وبيت الفقيه بن العُجيل وبه يومئذٍ حميد بن عبد الله برتبة في أدراكه، وأدركه من الخوف ما لا يخطر على بال، ولقد حدّثني بعض أصحابه أنه تغوّط علىٰ فراشه يوم قدوم القاضي وبال وزلزله التخيل للوبال فدخل كنيف داره مستخفياً وبذل لحَفظة البندر مالاً جزيلاً، وكان القاضي قد زحف بجموعه فضبط أطراف البندر وانتهب أهله وأحرق عشّتَهم وقتل منهم صغاراً وكباراً واستحل حرمتهم وذلك في شهر رمضان فأرسل الله عليه وعلى أصحابه ثماني عشرة صاعقة محرقة، فَقُتِل بها منهم ثلاثة عشر وبَدّد الله شملهم وقطع دابرهم، فرجعوا بعد أن أثقلوا وانصرفوا صرف الله قلوبهم وملأ بيوتهم وقبورهم ناراً.

---

(١) ستأتي ترجمته في أخبار سنة (١٢١٠هـ).

[ضرب أعناق جمّة من ذيفان]

وفي جمادى من هذا العام غزت جماعة من أرحب وغيرها يقدمهم عبد الله بن ناجي الضلعي على السادة آل الدعاني وغيرهم كانوا قد أفسدوا فتسلّم منهم حصن ذَيفان[1] وبعث بخمسة نفر منهم فضرب الإمام أعناقهم باب دار الفتوح، وكان السبب أن حسين ردمان والسيد محمد الذيفاني صاحب حصن ذيفان تاوَّوْا الأشرار من ذيفان وعيال سريح وأظهروا به أحكام الطاغوت، والساكنون بذلك الحصن للحفظ: سادة أهل ذيفان ومدبرهم حسين ردمان بقبيلة أرحب، ولم يكن بين بلاد ذيفان وأرحب إلا مقدار ميل، وقد كان عبد الله بن ناجي الضلعي في الأيام الأولى بـ (وُصَاب) فطلع إلى حضرة الإمام ولمّا تحقق حال بلاد عمران وما اعتورها من طوارق الحدثان بعث إلى أهله وسَيّرهم إليه، والمتولي على بلاد عمران تلك الأيام أحمد بن قاسم بن زيد بن المتوكل، فما زال الشيخ الضلعي يَرُوح ويَغْدُو على أحمد بن المنصور بالله الحسين عن رأي من الإمام لتدبير أمر البلاد.

وفي خلال ذلك تسلم (مفلح دواليه) حصن ثِلاَ بضرب من الخداع كما قدمنا إلى ذلك الإشارة في العام الأول وفصلناها، فخرج أحمد بن المنصور الحسين في جند من نِهْم وخولان وصحبته الشيخ الضُلعي وهرب في خلال ذلك حسين ردمان من حصن ذَيْفَان لمّا بلغه ما وقع بحصن ثلا وأصاب أصحابه الذين كانوا هنالك، فمضى من خارج سور عمران مغيراً، فأمسَى هنالك وراح اليوم الثاني وأمسى بـ (ظيَّان) قطعته، ثم راح عنها فتسلّم الناصرة غربي حصن ثلا فلاقته جيوش الصفي أحمد بن المنصور الحسين فانهزم بمن معه وانكسرت رايته حتى بلغ إلى (ظيّان) وقطعته بعد قتل وسلبٍ وأسرٍ، وتعقبّه خروج دواليه إلى الصفي، وأنيطت البلاد العمرانية الصفي وحصن ذيفان مضبوط بالأشرار، ولما عاد الصفي إلى حضرة الإمام وفي صحبته الشيخ الضلعي نظر الإمام رأياً راجحاً بأن أخذ على الشيخ الضلعي الخروج بأهله إلى بيته ليدبّر الحيلة في إخراج من بالحصن، فاستقر شهراً وساعده القدر فدخل الحصن وكتب إلى حضرة الإمام بأن أهل (ذَيْفان) قد ولّوا الأدبار إلى بلاد أَرْحَب. وذكرنا خروج القاضي عبد الله العنسي وتوجهه إلى بلاد عمران وكان ذلك باستدعاء حسين ردمان، خلا أنه لما رأى منعة حصن ذيفان تنكب القاضي عنه وسار إلى محل يقال له: الضِبْر ـ بضاد معجمة فباء موحدة ساكنة فراء مهملة ـ فاستقر به شهراً ثم راح عنه. وأما أهل ذيفان فإنهم تجمعوا بأرحب ودخلوا بيوت الدرب وقتلوا أربعة نفر في باب دارٍ وازدحموا هنالك، وحُصِر الشيخ الضلعي ستة

---

(١) ذَيْفان: حصن ومنطقة من أعمال رَيْده.

أيام، وكَتَب إلى الإمام فأجابه بأن يكتب رايات في وصول من أراد، فكتب وأمدّهُ الإمام ووصل إليه ممن طَلَب اثني عشرة مائة، وكان حصن الجمعال ـ بجيم فميم ساكنة فعين مهمله فألف فلام ـ مقبوضاً من قبل، فلما أحسوا بأس الجند هربوا، ثم عاد ردمان مرة ثانية علىٰ الضُلعي وحَاشِد فتصافوا وانهزموا، ثم عادت الكرّة الثالثة على حاشد فهربوا حتى تحصّنوا بذيفان بعد أن قتلت العقال من حاشد جميعها ولم يبق سوى ناصر الغُزِّي الحاشدي[1]، ثم تفرقت حاشد أيدي سبأ ولم يبق في المركز سوى الشيخ الضُلعي، فاستقر نحواً من شهرين وجاءه الأمر بعمارة حصن ذيفان فعمّره ورتّبه وجعل به من عُقّال حاشد زيد الرضي في جماعة، وعاد الشيخ الضُلعى، حضرة الإمام بعد إصلاح تلك الجهة، وكان جملة القتلى في هذه الأيام من قبائل أرحب وقبائل حاشد وقبائل عمران وعيال سريح وأهل الجبل ثلاثمائة وستين قتيلاً، وقد كان الوفاء بمحتاج الجند حاصل من جميع المحتاج. وقد سُقنا الخبر هاهنا وأعدنا بعض ما كان في العام الماضي تبييناً وتفصيلاً وتتميماً.

[من أخبار العلامة عبد القادر بن أحمد]

وفي آخر هذا العام نزل من حصن كوكبان الأستاذ العلامة عبد القادر بن أحمد بن الناصر[2] إلى قرية القابل أيام الخريف، واستقر بدارهم المقابلة لباب القرية إلى اثني شهر صفر في العام الآتي.

وحصل في هذا العام وباء أصاب الناس منه الجدري وأصاب الخيل علة العِتَيْر.

[استيلاء الشريف سرور علىٰ المدينة المنوّرة]

وفيها: حاول الشريف سرور بن مساعد الاستيلاء علىٰ الحرم النبوي فتولاه قهراً وأخرج مَنْ به من الكياخيه، وبلغ سلطان الروم ذلك فألزم باشة الحاج أن يحذّره السطوة، فأيقظه البابا بإغلاظ القول له عند وصوله، فحصَّن بيوته ورتّب مكة بالعساكر وتنكب عن الباشا ثم قصده وأظهر له أنه قد كان منه ما كان ولكنه جوَّز رضاء السلطان لمجريات حصلت من الكياخية في أعزّ مكان.

[وصول صلة صاحب المغرب إلى مكة مع الصّغار]

وفيها: بعث مولاي محمد سلطان المغرب[3] مع أمير الحاج الصفَّار متولي فارس

---

(١) **ناصر الغُزِّي**: من مشائخ بني صُرَيم بطن من العُصَيْمات الحاشدية، يُنسبون إلى الغُز بن مذكر بن يام بن أصبأ بن دافع بن مالك بن جُشم بن حاشد، قال الحجري: وهم من صميم حاشد عُرفوا بهذا الاسم فلا يُظن أنهم من الغز الذين وصلوا إلى اليمن في القرن السادس.

(٢) ستأتي له ترجمة وافيةٌ عند ذِكر المؤلف لوفاته سنة (١٢٠٧هـ).

(٣) وردت: ملك الغرب).

وفي صحبته ولده عبد السلام بن مولاي محمد بن عبد الله بن إسماعيل بن محمد الرشيد الهاشمي الإدريسي بِصِلةٍ جعلها في الأشراف الفاطميين وأمر بصرفها إلى المتوليين بالشام والعراق والحجاز والحرمين واليمن. هذا المشهور بين الناس، وأمّا ما حدثني به القاضي أحمد بن إسماعيل حنش من أنها معونة في الجهاد فسيأتي التفصيل للخبر في سنة إحدى ومائتين. وهذه الصلة التي بعثها من غنائم استفادها من غزواته لبلاد الأندلس فوصلت إلى الشريف سرور فبعث بها إلى الجهات المخصوصة المعينة، وأرسلها الشريف سرور علي يدي رسول صاحب المغرب الشريف أحمد بن عبد الله بن أحمد بن الطاهر بن عمران المغربي فوصل بها حضرة الإمام المنصور، وكانت كما قيل أربعون ألفاً ذهباً مشاخصة وفضة وستون ألفاً فرانصه.

[علي بن يحيى الشامي الوزير الأعظم]

وفيها: الإثنين حادي عشر شهر محرم، علي بن يحيى الشامي الوزير الأعظم[1]. تقلبت به الأحوال وكان باديء أمره صعلوكاً وأمه أخت إسماعيل بن محمد فايع، فغاضبها يوماً بسبب إحراقها لجذع من الضأن حنذته فغضب عليها ودخل عليه ولدها علي بن يحيى في اليوم الثاني فقال إسماعيل بن محمد فايع: يا علي انظر لك ولأمك بيتاً، وأظهر له كراهتها فكأنما ساخت به الدنيا، فخرج لا يدري أين يذهب ولم يقدر يحصِّل لها بيتاً، فبينا هو في الطريق إذا هو بالوزير الصالح أحمد بن علي النِهمي مارٌّ في حاشيته، فحيّاه بالسلام فلم يرد عليه فعجب الوزير الصالح من ذلك، فاسترجعه وسأله عن عدم رَدّه للسلام فأبان عِلته، فراح عنه ولم يعد من حضرة الإمام إلاّ بمرسوم فيه تقرير علي بن يحيى على كتابة (اللُحيّة) فبلغ إسماعيل بن محمد فايع ذلك فشكر للوزير ما صنع، وسار علي بت يحيى إلى بندر اللحية كاتباً، فبقي بها نحواً من اثنتي عشرة سنة ثم رفعه عنها وسيّره إلى (المخا) للكتابة، فبقي بها نحواً من أربعة أعوام. ورأى الوزير من كمالاته ما بهر فشكره عند الإمام، فأمره برفعه من المخا فرفعه فاستوزره الإمام المهدي وجعله ناظراً على أصاب الأعلا والأسفل وحيس وبلاد الروس من أعمال سنحان، وتلك الأعمال أكثر حقوقها لآل إسحاق بن المهدي فتعلّقوا به، وأضاف إليها التوسط على المخادر وخبان وتلك أعمال أكثرها إلى إبراهيم بن المهدي وأبقَى له مرجوع كتابة اللحية. وما زال على الحال الجميل حتى مات الوزير الصالح أحمد بن علي النهمي فترشّح للوزارة العظمَى فلم يشعر إلا بوصول محسن بن إسماعيل النهمي وكان كاتباً على الحديدة فدخل على الإمام فسأله عن متوليها (وفّق الله) فشكره وظهر من الإمام الرغوب في محسن بن إسماعيل النهمي فأصاب علي بن يحيى همٌّ وغَمّ فأرسل

---

(١) نشر العَرف (٢/ ٢٩٧).

إلى سعد بن يحيى وبث له ما يَجِن صدره، وقال: أريد منك كلاماً بين يدي الإمام بأن يقول علي بن يحيى قد خدمكم أيام الفقيه أحمد ورأيتم من كمالاته ما رأيتم فإن رأيتم القيام بعمل مع عبد الله بن أحمد النهمي فلا تجدون له نظيراً، فوقع ذلك من قلب الإمام فأخَّرَ محسَّن بن إسماعيل النهمي وقدّم علي بن يحيى فكانت عداوة بينهما، وأقر المهدي محسن بن إسماعيل على عمله بالحديدة. وكان يشكو محسن بن إسماعيل حاكمها طـه بن عبد الله السَّاده صاحب ذي جِبلة، فأرسل علي بن يحيى إليه رسولاً يستفهمه عن سقطات محسن بن إسماعيل فأعرب عنها، فما زال علي بن يحيى يتسبّب لرفع الحاكم ليقضي له غرضاً في محسن بن إسماعيل النهمي، فرفعه الإمام عنها فأعجب محسن بن إسماعيل وساء أخاه محمداً وكان عاقلاً بصيراً ناظراً في العواقب. ولما استقر الحاكم بصنعاء سأله الوزير علي بن يحيى عن السقطات التي لمحسن إسماعيل فَبَثّها، فقال منها: أن محسن بن إسماعل كتب على الإمام غرامة في ثلاث قلاع عمرِها بالبحر سبعة آلاف قرش، وإني أعرف الغرامة لا تزيد على ألفين، وسائر الغرامة فَرقها على التجار، وسخّر لها أهل الكدّ من العَمله، وقرر عليه ذلك، فكانت في نفس الإمام، ثم قال: ومن سقطاته أنه لما مات فلان البانيان حُصِرت تركته بخط الحاكم فكان فيها تسعة أقلام من البن الصّافي وكان بلغ الحاكم أن محمد بن إسماعيل صلّحها بالكشط إلى سبعة أقلام ـ بتقديم السين على الباء الموحدة ـ فطلب الإمام من محسن خط القاضي فيما حصره من تركة البانيان فوجد ذلك التصليح صحيحاً، وأبان عللاً أخرى أوجبت رفع محسن بن إسماعيل من الكتابة مع إقرار (وفق الله) على الولاية للبندر وقد كان العمل فيه على محسن بن إسماعيل وليس إلى المتولي شيء من الأمور.

ومن العجب أن الإمام أغلظ القول لهذا الحاكم فسقط قواه. وأخرج من مقامه محمولاً ثم بعد أذِنَ له في المسير واتفق أن هذا الحاكم سأله سائل عن قصته بين يدي الإمام المهدي فوصفها فلما بلغ وصف إغلاظ القول له وما سمعه من الإمام سقطت قوته بمجرد وصفه، فما قام من مجلسه ذلك حتى قبض روحه وخرجت نفسه.

وكان علي بن يحيى له في الدهاء والكمالات عجائب وغرائب. ولما مات أحمد بن علي النِهمي كتب الإمام إلى العماري وهو بـ(رَيْمه) وكان عاملاً عليها أن يتأهب للوصول، وأراده أن يكون ظهيراً لعبد الله بن أحمد النهمي، ثم طلبه وجعل وساطة ريمه وبلاد آنِس لعلي العماري، فَسَاء علي بن يحيى ذلك وما زال واجداً منه حتى قام المنصور فكان أعظم من سعَى بين يديه في إخراج علي العماري عن صنعاء، وكان الإمام المهدي قد تحدث في آخر أيامه أنه سيبعث على المخا علي بن صالح العماري متولياً فبادر المنصور فوجّه له عمالة المخا، وقد سبق ذكر ذلك في غرّة الدعوة

المنصورية. ولما تعلّقت بعلي بن يحيى عِلّة الاستسقاء ورأى كثيراً من المتطلعين إلى القيام بتلك الوظيفة شكر بحضرة الخليفة الحسن بن عثمان الأموي وحظّه عليه وأرشده إليه فأودعها اذناً واعية.

[شرف الدين بن عبد الرحمـٰن المهدي]

وفيها: شرف الدين بن عبد الرحمـٰن بن المهدي محمد بن أحمد يوم الأحد تاسع جمادى الآخرة. تزوج المنصور ابنته عام اثنتين وتسعين وأشعر أعراسها إشعاراً حدّث به الركبان.

[الفقيه أحمد عامر]

وفيها: الإثنين تاسع وعشرين شعبان، أحمد بن عامر الحدائي عالم العصابة الزيدية عن سبعين سنة. انتفع به خلق أخذوا عنه في شرح الأزهار، وتخرّج به كثير. وكان صالحاً تقياً يُعَد في بُلْه أهل الجنة.

[زكيه بنت المنصور]

وفيها زكيه بنت المنصور بالله الحسين، يوم الربوع ثاني عشر جمادى الآخرة.

وَدَخَلَت سَنَةُ ثَمَانِي وَتِسْعِين وَمِائَةِ وَأَلْف

فيها: عقد الإمام بولايات لجماعات وخلع عن الديار آخرين، فعقد ببيت الفقيه ابن العجيل لصالح بن عبد الله الأموي شهر رجب.

وفيها: عقد لحميد بن عبد الله الأموي بندر المَخَا شهر صفر.

وفيها: عقد بريمة لحسين بن أحمد الأموي.

وعقد ببلاد الجبي لأحمد بن عبد الواسع.

وفيها: خَلع عن بيت الفقيه ابن العجيل حميد بن عبد الله الأموي، شهر محرم.

وخلع عن بندر المخا إبراهيم بن عبد الله الجرموزي الهاشمي، شهر صفر، وسَنَقُصّ عليك من آثاره.

وخلع عن بلاد حجة والظفير يحيى بن محسن بن علي الهاشمي شهر رمضان.

وفيها: عقد لعلي بن إسماعيل بن إبراهيم بتعز وما إليها.

وعقد بوصاب الأعلا للسيد أحمد بن محمد الشرعي شهر رمضان.

وعقد لمحمد بن المنصور بالله الحسين ببلاد العُدَين.

وعقد ببلاد ذمار لولد أخيه أحمد بن عبد الله بن المهدي العباس.

[غدر حسن عثمان بأبراهيم الجرموزي]

وفيها: غدر الوزير الحسن بن عثمان الأموي بأبراهيم بن عبد الله الجرموزي الهاشمي بأن رفعه عن بندر المخا وكان بينهما بعض وحشة قد ذكرنا سببها عام اثنين وتسعين، ولمّا وصل إبراهيم بن عبد الله قَدّم بين يدي الإمام نفائس التُحف والهدايا وقدّم إليه اثنا عشر فحلاً من الخيل عليها نسج الذهب، وأرسل بمظلّة تحيّر الركب وتحدّث الناس عن محاسن ذلك العامل، وكان جملة ما حاسب به في عمالته ثلاثمائة ألف وسبعة وثمانين ألفاً قروشاً معدودة داخلاً في هذه الجملة جميع مخرجات البندر ولوازمه، ولما استقر أياماً طلب منه الوزير مائة ألف، فقال: لا أستطيع بعدما قد سقت إليك وإلى الخليفة شيئاً ما ساقه الغير، فمَكَر به وخدعه، وقد أخذت الخبر عنه وهو صاحب القصة رحمه الله تعالى فقال:

لمّا لم يجد الوزير ما يدلي به عَليَّ بعث بعقد الولاية للبندر إليّ وجعل لي مسخرة مغلقة للحساب، وكنت قد أعددت النفائس للإمام إن أعادني خمس عشرة مقرمةً من ملبوس النساء بسبع عشرة مائة قرش حجراً، وخمس وسائد عانىٰ عَمَلها لي بعض الأعاجم بخمسمائة قرش حجراً، وثماني عشرة طاقة زَرْبفتاً منسوجاً بالذهب مطلياً بالحرير نفيس قُومْن باثنتين وعشرين مائة قرش، وناموسيّة بديعة الشكل فبعثتها إلى الوزير فردها وقال: أنت تريد هذه بالقيمة، وقد أوفيت ما عليك، فأحفظها حتى نقدمها في العام الآتي. وسأل الوزير الإمام أن يطلبه شاشاً لكسوة الجُند، فطلبه فشرَى ذلك المطلوب بأربع وثلاثين مائة قرش دَيْناً من الأسواق، وسأل الوزير الإمام أن يطلبه شالاً فاعتذر بأنه لم يجد شيئاً في الأسواق، فغضب الوزير وحنق وألقى إلى الإمام أنه قد كتم عنهم حساب موسم، ثم أمره بالنهوض للمسير فقدّم حمائله وسيَّر أهله وأرسل إليه الوزير وقد أضمر له الشر أن يطلع إلي الإمام ليتوادعه فلما وصل قبض عليه وأمر بإرجاع حمائله وقد خرجت عن صنعاء، ونفّذ من يُسمِّر بيوته، وسجنه ببيت إسماعيل النِهمي بدار الفتوح، فأخمَدَ ذكره وصيّره أفلس من ابن يَومَين.

[ظهور العنبرة بِزَيْلَع]

وفيها: ظهرت عنبرة عُظمى بساحل زيلع وجَفَّتْ، فأدركها التجار وأهل تلك الناحية، وأرادوا أخذها ولكنهم تخوّفوا من والي البندر حميد بن عبد الله الأموي وكان بالمخا، فبعثوا إليه بالخبر فأرسل أحد المراكب في البحر ليحملها إليه وأرسل العَمَله المزاولين، ولمّا وصلت إليه قُوِّمت بأربعين ألف ريال فرانصة؛ فأودعها مخازِيْنهِ وبعث بحمل جمل منها للإمام.

وفيها: أظهر الفساد ناصر الخَوقَري بـ(صُهْبَان) و(العَربِيِيْنَ) فسيَّر الإمام عليه علي بن إسماعيل بن إبراهيم مع ولايته لتعز وأصحبهُ أحد المدافع وأمره أن يحصره بالحصن الذي تسلمه فلا قاربه وأرسل عليه من أجناده النقيب سعيد أبا حُلَيْقَه في اثنتي عشرة مائة فصاوله بذلك الحصن، واضطر الخوقري إلى مصالحة علي بن إسماعيل على يدي أبي حليقة، فجنحَ مَعهُ إلى ذلك بعد أن بعث أبو حليقة برؤوس وأسرَى من جماعة الخوقري إلى علي بن إسماعيل، وتسلم الحصن وطلع بالخوقري فما زال محبوساً في مخيم علي بن إسماعيل حتى ارتفع عن الولاية، هذا ومدينة تعز في قوةٍ وشدةٍ لكثرة من بها من الجند الإمامي خيلاً ورجلاً فإنه وصل علي بن إسماعيل إليها وبها من الخيل نحو خمسين فرساً لوجوه من الناس، منهم جماعة من أولاد عبد الله بن المتوكل في ستٍ من الخيل وبني المجاهد في خمسٍ، وبيت الدويدار في ثلاثٍ، وعيال صفي الدين عباد في فرسين وإليهم المخزان تلك الأيام، وفرسين لال الشهاري أنساب أحمد بن سعيد الشرقي، وأحمد شَاوِش له فرس عتيق، وفرس لمحسن الصُربي ـ بِمُهملتين فموحدة ـ وبها من العبيد الخيّالة سلطان أبو يابس وهو أحد الذين غضب عليهم الإمام في واقعة سعوان، فإن سلطاناً هذا هو الذي ذكر للإمام المهدي أن ولده علياً قتل فكرهه وأرسله إلى تعز، ومنهم يُمن المهدي ويَسَّار المهدي وفتح الهندي وطاشخان وفتح المولد وفرحان قاسم بن المهدي وعلوان شُجَين. هؤلاء كلهم بتعز أهل خَيْل، وخَيْل المشائخ المَحَيّا وغيره.

[فساد القاضي بعمران]

وفيها: نشر أعلام الفساد القاضي المخذول عبد الله بن حسن العنسي لا أقاله الله فوصل بلاد أرحب وعسكر بها شهراً ونصفاً، والتف عليه من الطغام والغوغاء كثيرون، وفاجأ بلاد عمران وأعمالها، فوصل إليها مع تضرب أحوال أهلها وانتهب في قاع البون وأتلف ثماره وبقي بمحطته مناجزاً لعمران، ثم بعث إلى أهل الجبل من يتغَزّاهُم، وبنَى عليهم بالقدوم لإهلاك الديار أو تسليم أموال اشترطها، فساقوا إليه في ذلك جملةً من الطعام، وزعموا أنها الحقوق وذكروا له مباينتهم للدولة، وكان كما بلغ ـ والله أعلم ـ أن الذي حمله عشرة آلاف قدحاً طعاماً، وسمعت بعض الناس يذكر أضعاف ذلك. ولم يرفع الإمام في هذا العام إليه رأساً، ولا تحرك لكبير ولا لصغير فعاد بلاده.

[غيل وابل الذي أخرجه آل أبي طالب إلى الروضه]

ومن مظاهر القادر في هذا العام خفة البرد وحصول المطر في كانون وصلاح الثمار، وتبع مطر في نيسان وتفجرت في هذا العام الأنهار، واستخرج السادة آل أبي طالب أهل الروضَه غيلٍ لهم يُعرف بغيل وَابِل كان مدفوناً لا يعرف كبارهم جريه وإنما

يسمعون به[1] وازدادت الغيول الآخرة وظهر نفعها وبركتها خلا ان الأسعار الأغلب عليها الغلاء فسبحان القابض الباسط.

[من أخبار القاضي العنسي]

وفي اليوم العاشر من شهر رجب جاءت الأخبار بأن القاضي المخذول سار عن بلاده وتابعه جماعة على فساده وسارت معه ذو محمد وآل الشايف فوصل بجَمعه دار أعلا من أعمال الرحبة فلم يحتفل الإمام بشيء من شأنه ولا رفع إليه رأساً فتوسل إليه الإصلاح فلم يسعده إلى ذلك، خلا أنه جمع الرتب بالروضة وشعوب وبير العَزب وتحدث بنو الشايف بقصدهم السادة آل شمس الدين إلى كوكبان فخاف القاضي بمسيرهم استشار نظامه وسقوط كلامه فتوسل بهم إلى الإمام فما زالوا به حتى مال إلى الإصلاح على شريطة أن لا يعاد ذكر ما مضى من تقريراته الذاهبة، فرأى أن له هنالك شهراً ونصفا لم يقف من الإمام على طائل فتسلم بعضاً من ماله وعاد بلاده، وتوسل السّادة.

آل شمس الدين إلى الإمام بحسم مادة الطغام، وشكوا وصول المتغزية على رعيتهم، فأخذ عليهم الإمام أن لا يقصدوا البلاد الكوكبانية، وأنالهم منه مالاً فعادوا بلادهم.

وتوسع الإمام في هذا العام، بشراء بيوت قريبة من دار الإسعاد.

[تولى محمد بن أحمد بن المنصور بلاد العُدَيْن]

وفيها: سار محمد بن أحمد بن المنصور متولياً على العدين وكان طريقه على حبيش فأصلح شيئاً من أمورها، وسار عنها ببني عواض فأوقع بهم، فذلّوا وكانوا في منعه وشدة، واشتهر عنه أنه بَدَّع بهم وحلق رؤوسهم ونزع العِسْوَب وضَخُمت ولايته ودرت له الأرزاق بها، وسار إلى العدين وقد بلغه أن في آل حورية امرأةً جميلة فتزوّجها واستنزلها من حبيش وأشعر تلك الوليمة إشعاراً عظيماً وأنفق عليها أموالاً جزيلة.

[ابتداء ظهور محمد بن علي سعد باليمن الأسفل]

وفي هذا العام كان ابتدأ ترقي الأحوال بمحمد بن علي سعد الشهير بولاية العدين والبلاد السفلى أجمعها، فأول أمره أنه لما توجه إلى العدين محمد بن أحمد بن المنصور

---

(١) ذكر الأستاذ عبد الوهاب عسلان في كتابه «غيول صنعاء» أنه غيل قديم، وأن المراجع التاريخية تشير إلى أن الذي استخرجه طغتكين بن أيوب، وأنه لمّا انتقلت الدولة والخلافة إلى الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد جعله لولده أبـي طالب أحمد بن القاسم بن محمد فَسُمِّيَ به.

وبلغه تنكب بني عواض عن الطاعة جاءه محمد بن علي سعد الصغير نائباً عن أخيه الكبير يطلبه تحصيل دين له في بني عواض ويشكو مطلهم، فأبلغ القاضي علي العُوَاجي مطلبه ذلك إلى المتولي فاستفصله عنهم وماذا ينفع فيهم؟ فقال: لا ينفعك سوى أخي هذا الشاكي، فأدناه وسأله المسير إليهم والشدة عليهم، فاشترط عليه أن لا يقبل من محسنهم ولا يتجاوز عن مسيئِهِم، وأنه متى وصله الشاكي أعاده إليه، ففعل فتوجَّهَ إليها بعزيمة وشدة فأذاقهم من الجَور ما وطّيَ علوّهم وسلكهم للطاعة، ونزل على أثره متولياً للعدين يحيى بن علي زبيبة فعلّقه بذلك العمل وقوّي يده على بني عواض، فما زال ذكره في نمو حتى تملّك البلاد وتولىّ من أهلها من تسلل للفساد وستأتي أخباره بعد حين.

[تأخـر الأمطـار]

ومن مظاهر القادر القاهر، تأخر الغيث عن شهر تموز حتى كان اليوم العاشر في شهر آب وأرسل الله السحاب وأوجب تتابع الغيث تأخير خروج الإمام في ثالث عيد الإفطار كما هي العادة المعروفة في تمشيته بجموعه، وخرج في يوم السبت رابع شهر شوال.

وفي ليلة النصف خسف القمر فانطمس ثلثه وكان عقيب طلوعها.

[فســاد الحَـدا]

وفيها: أفسدت قبيلة الحدا وتعدّت طورها فقدم عليها الإمام أحمد بن عبد الله بن المهدي العباس فبذل جهده في إصلاحها فلم يتيسر له فطلع إلى زراجه وبث جموعه إليها وحصل المصاف بينهم فلم يظفر عليهم وعاد إلى ذمار وتكررت بعد ذلك عليها العمال فلم ينعملوا.

[خـروج القاضي وهي المرّة الرابعة هذا العام]

وفي ثاني عشر شهر القعدة تحرك القاضي المخذول نابذاً للطاعة وسار صحبته علي بن أحمد بن إسحاق ناحياً جهة الشرق من بلاد خولان صحبة جماعة منهم، وقصد جبل بعدان.

[خروج الشايف واستقراره بمنطقة سَعْوَان]

وفيها سار الشايف ووصل إلى صرف[1] وبقي به ثلاثة أيام، ثم نفذ إلى سعوان، فأقام به نحو عشرين يوماً ومعه جماعة من آل عفرا، فسلب أهله أموالهم وأوقد شرعة أعنابهم.

---

(١) صَرِف: بفتح فكسر. بلدة من أعمال بني حِشَيْش في شمال شرق صنعاء.

[خرج ذو محمد وبقائهم بباب صنعاء]

وفيها: سارت ذو محمد وحطو رحلهم بـ (ذَهْبان)[1] وتغزوا إلى جميع الطرقات وانتهبوا مائتي رأس من الغنم ودخل جماعة منهم حضرة الإمام فحبس ثمانية من عقالهم وسيّر أفرادهم بمال، ولم تزل القبائل حول باب صنعاء شهراً ونصفاً، وتفرقوا شيعاً فبعض لحق بالقاضي وبعض استقر بصنعاء وبعض عاد إلى البلاد، وما زال الشر بهذا العام قائماً واليمن الأعلا والأسفل يغلي قِدْرُهُ بالفتن وأكثر السُبُل والمناهج متقطعة، وطلب الإمام قبائل نِهْم وخولان وأرحب وأراد تجهيزهم البلاد ثم بدا له رجوعهم فعادوا وحصل قِران بين المشتري والمريخ وزعم المنجمون في ذلك وزعموا.

[التعزير بجماعةٍ من أهل البطالة]

وفيها: عَزَّر الإمام بجماعةٍ من المنهمكين في الفساد وشرب الخمر وأحضرهم باب دار الفتوح وأمر بضربهم الحد، وطاف بهم في الأزقة والأسواق تُضْرَب على ظهورهم المرافع، وسفَّر جماعة منهم إلى جزيرة زيلع وأخرب ثلاثة بيوت من التي كانوا يجتمعون بها.

[أول تَرقّي أبي حِليقه]

وفيها: طلع أبو حليقه من حضرة علي بن إسماعيل وقد تأثّل مالاً وقاد رجالاً وتوسّل إلى الوزير أحمد بن إسماعيل فايع بألف ريال على أن يجعل له عملاً تظهر له به رئاسة، فقبضها منه وخيب أمَلِه فأوجب خروجِه للفساد، وقد ذكرنا ذلك في عام ثلاث ومائتين وألف وذكرنا هنالك كيف كان بدءُ أمه.

[الحسين بن عبد القادر الروضي]

وفيها: ليلة الإثنين لثلاث بقين من محرم ترجمان السُنّة من آل القاسم، نخبة أبناء البتول الهواشم، الحسين بن عبد القادر بن علي بن الحسين بن المهدي أحمد بن الحسن بن الإمام المنصور بالله القسم بن محمد[2]. مولده شهر ربيع الأول عام عشرين ومائة وألف بالروضة البهيّة من أعمال صنعاء. ترجمه ولده العلامة يحيى بن الحسين فقال: أخذ عن هاشم بن يحيى وعن البدر المنير محمد بن إسماعيل الأمير وعن إبراهيم بن خالد وعن يوسف بن حسين زبارة وعن محمد بن زيد بن محمد بن الحسن وعن الحسن بن زيد الشامي، وعنه والده عبد القادر وأولاده يحيى وعلي وأحمد وعبد الله وأحمد بن لطف الله جحّاف وخلق كثير.

---

(١) **ذَهْبان**: قرية من بني الحارث، في شمال صنعاء ما بين ثَقْبان والجِرَاف.

(٢) نشر العَرف (١/ ٥٥٥)، ملحق البدر الطالع (٨٢).

نشأ بالروضة وكان مولعاً بها، فحفظ العربية بجميع فنونها ثم ولع بالحديث وعمل بمقتضى الدليل ورغب فيه، وحطّ على الصوفية والمتمذهبة، وحذّر من مزالق الأقوال والتمويهات، واختار العزلة والفرار من الناس، وطلب الحلال الطّلق مع زهد ورغوبٍ عن الدنيا وانقطاع إلى الله تعالى وعمل بما جاء عن رسول الله ﷺ لا يُساميه في ورعه وزهده أحد من أبناء عَصره. لم يجمع بين قميصين ولا عمامتين ولا عبائتين ولا غيرها من أي ملبوس وإذ طال كُمّهُ على الكف قطعه، ولم يلبس في عيد جديداً، ولم يلبس جنبية طول عمره، ولم يملك بيتاً ولا ضيْعةً ولا شجرة، وكانت له جرايَه كآل الإمام يسوقها إليه عمه الرئيس محمد بن علي بن الحسين طعاماً ودراهماً وسمناً وسليطاً وغير ذلك، فرآها بعين بصيرته لا تسوغ له وهو هاشمِي فردّها على عمه وأبى قبولها، فلامه بعض الأعلام فسكت مستمعاً ثم زجره بأغلظ كلام.

وكان له جراية من حضيْرة عِنب لها شجر يشرعها به عند الحاجة، يدرس بها كتاب الله تعالىٰ للموصي بها، فوصل إليه بعض ورثة الموصي فشكىٰ له الضر والحاجة، فقال له: هل تحسن القراءة؟ قال: نعم. قال: أسمعني، فقرأ عليه سوراً من كتاب الله العزيز فأعجبه حسن الأداء والتلاوة، فنبذ إليه تلك الوصية وقال: أنت أحق بها. وسأله أن يكتم عنه ذلك مخافة أن يلومه أهله.

واختاره الإمام المهدي العباس للصلاة بالناس بمسجده الذي بالبستان مسجد التقوى صِلَةً له وبراً به، فقام بتلك الوظيفة وجاء يوماً إلى المسجد فقيل له: إن الإمام قد استدعاك فَفرّ عن المسجد واختفى، ثم أرسل له ثانيةً فاختفى فقام بالإمامة أحد أولاده فعذره بعد ذلك الإمام.

وكان حسن الخط لا يكاد يغلط، سريعاً حين يكتب، عانىٰ صنعة الخط فأجادها وهو في اثني عشر سنة وجعلها له حرفة يستغني بها، فكتب بيده أكثر من ثلاثمائة مجلداً، وكان كثيراً ما يتمثل بقول القائل:

مَن كنت عن ماله غنياً	فلا أبالي ولو جَفَاني
أودّهُ إن أراد وُدِّي	وأقطع الوَصل إن قَلانِي
ومن رآني بعَين نقصٍ	رأيتهُ بالذي يَرَاني

ولما نظم البدر المنير محمد بن إسماعيل الأمير بلوغ المرام واشتغل عن تمامه كلّمه المترجَم له تكميلاً بديعاً خال من عيب التضمين. وقال والدي أحمد بن لطف الله رحمه الله تعالى: قعدت عنده فرأيت بين يديه منظومة الحسن بن إسحاق للهدي النبوي فتأملتها فوجدته أسقط باب الأوقات فأخبرته فأخذ القلم وكتب في الحال مسرعاً بجانب الكتاب:

يـا طـالبـاً معـرفـة الأوقـات | اسمـع مـا صُحّـح بـالثقـاتِ
فـي أولٍ وآخـرٍ للخمـسِ | فـأوَل الظهـر زوال الشمـسِ
آخـرهُ والظـل مثـل المنتصَـب | والـوقـت للعصـر هنـاك ينقلـب
آخـره المثـلان ثـم قـد ورَد | مـا لـم تكـن تصفـر لطفـاً ومـدَد
وقـد أتـى نقيّـةً أو حيَّـة | وكلهـا تقـريبـة مـرضيّـه
إن غـرَبـت فـذاك وقـت المغـرب | مـا لـم يغـب شفقهـا فـي المغـربِ
والفجـر وقتـه طلـوع المنتشـر | إلـى طلـوع الشمـس بعـد يستَمِـر

وكان رحمه الله تعالى كثير الزواج مطلاقاً، وورث من بعض زَوجاته ما يساوي مئة قرش فرانصة فلم يمرّ عليه شهر حتى أنفقه في وجوه الخير. وله في غزل الشعر اليد الطولى فمما قاله في شبابه وفيه حسن التعليل البديع:

جيـدُك يـا زينـب والقـدُّ قَـد | فـاقَـا علـى غصـن النقـا والظِبَـا
لا غـرو إن زدت بـأمـرَيْـن فـي الـ | جمـال قـد زِدتِ علـى الـزيـن بَـا

وله رحمه الله تعالى مُلْغِزاً في قنديل أو زيت:

وشـيءٌ لـه جُـرْمٌ حقيـرٌ وانـه | لقد ناب بعد العصر ليلاً عن الشمسِ
لـه فـي بيـوت الله فضـل لأنـه | يجالس أهل العلم والذكر والدرس

وله في الجناس التام وقد سمع بعض آل الإمام يتلهف على تفريق المهدي العباس للأصحاب فاخر اللباس فقال:

صبـراً علـى هـذا الـزمـان وأهلـه | فملـوكـهُ قـد أصبحـوا أمـلاكِ سُـوْ
فـارْج الإلـه ولا تَسَـل عنهـم كسـوا | فـي العيـد مـن يعتـادهـا أم لا كَسَـوا

وله وقد رأى بعض العبيد وأسمهُ فرج لطم بانياناً كافراً بالله تعالى فأخرج عينه وفيه تورية بديعة:

وكـافـر أصبحـت جـوارحـه | يـزيـدهـا سـوء كفـره حـرجـا
فيسـر الله مـن فضـائلـه | يـومـاً لأخـراج عينـه فـرجـا

وله إلى ابن عمه محمد بن أحمد بن علي بن الحسين بن المهدي المعروف بمحمد يحيى:

عيون المها أمضَى من البيض والسمر | تَقِدّ فـؤاد الصـب مـن حيـث لا يـدري
وأسهمهـا أقـوى نفـوذاً إلـى الحشـا | من النبل ترمي في الحشا لهب الجمر

إذا نظرت كم من قتيل وإن مشت ... فأين غصون البان أو لين السُمر
يكاد يسيل الدمع من مقلتي دماً ... إذا نظرت عيناي مبسمها الدري
وجدت لها بالقلب والروح دائماً ... وما سمحت بالوصل حيناً من الدهر
وبعت نفيس العُمرِ منها بوصلها ... وقد عوضتني منه مستقبح الهجر
فيا عجباً للصَّب ماذا ينالُهُ ... ويا رحمتا كَم للعذول من الوزرِ
لك الله دع وادي المحبة جانباً ... وسِر غيرهُ إن كنت بالحب لا تدري
وحث ركاب السير بالأمر قاصداً ... ركاب المطايا مسرعاً طلعة البدر
همامٌ رقَى في ذروة المجد والعُلىٰ ... وحاز جليلات الفضائل والقدرِ
له أدب كالروض باكَرهُ الحيَا ... فراق لتفتيش الكائم بالزُهرِ
له الريّ من بحر الفضائل كلها ... كما غيره يمتص من قاطرٍ نَزْرِ
إذا ما علىٰ ظهر الجواد فإنما ... ترى البحر يجري بالمنير من البدرِ
فما قصدته العين إلا لتستضي ... ولا الكف إلا للجزيل من التبرِ
ولا السمع إلا لاشتياق خطابهِ ... فبادر مشتاقاً إلى لفظِه الدري
ولا القلب إلاّ كي ينال بسوحِه ... هُدىً مِن علومٍ قد أُفيضت من البحرِ
فيا عز دين الله دُم في سعادةٍ ... وعزٍ ويسرٍ في الطويل من العُمرِ

وله رحمه الله تعالى ـ بعد أن مهر في المعارف واعتزل الناس ولزم الزهد والورع ـ أشعار كلها في الحظ على لزوم الكتاب والسنة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فمنها قوله:

أنا مِن بني المختار تَبّاً ... للعِداة الرافضه
وسيوف ألفاظي لمن ... سَبّ الصحابة قارِضه

ورأى رحمه الله تعالى أبياتاً للقاضي علي بن حسن بن جابر الهبل رمىٰ بها صالح بن مهدي المقبلي وهي:

المقبليُّ ناصبيّ ... أعمى الشقا بصَرَه
فرّق ما بين النبي ... وأخيه حيدَرَه
لا تعجبوا من بُغضه ... للعِترة المطَهَّرة
فأمُّه مَعْرِفةٌ ... لكن أبوه نَكِرَه

فقال:

المقبَليُّ ناصحٌ ... للمؤنين البَرَرة
أحبّهُ أهل الكمال ... وقلاه القَصَره

جمَّع بين الصَّحب في ... وِداده وحَيْدَرَه
وبُغضُ آل المصطفى ... سيئةٌ مُستكْبَرَه
فمن رَمَى الشخصَ بها ... رمى بأي مُنكره
يسأله إلهُنا ... بَيِّنة مُقرره
والصَّحبُ لا يبغضهم ... إلا خبيثُ المَخْبَره
دلّ كلامُ بعضهم ... بأنَّه قد كَفَرَه
إذ في كتاب ربنا ... بهم يَغيضُ الكفَرَه
وفيه كم من آيةٍ ... بمدحهم مُصدَّره
ما قلتَ في مُهاجرٍ ... لله أو مَن نَصَرَه
ما قلتَ في عَشَرةٍ ... بجنةٍ مُبشَّرَة
ما قلتَ في الجمع الذي ... بايع تحتَ الشَّجَرة
وأهل بدرٍ كلهم ... قد بُشِّروا بالمغفِرَه
لا تعجبوا لِمن رَمَى ... أهل العلوم البَرَرَة
فما يَضر شامِخاً ... رَميتُه ببَعَره
وقَذْفُه بقوله: ... إن أباهُ نَكِره
إثمٌ وبُهتٌ أم ترى ... شاهَدَهُ وحَضَره
يا عجباً لما جَناهُ ... من عظيمٍ حَقَّرهُ

وله في أيام المنصور بالله الحسين ناصحاً ومنادياً، عاذلاً للمعرضين عن سنن سيد المرسلين ﷺ:

يا ناصح القوم قد أبلغتهم حججاً ... فما وعتها من المنصوح آذانُ
لأنهم شغلوا عنها بزُخرُفةٍ ... حوت أعاجيبها دورٌ وحيطانُ
مات الذين إليهم سقت موعظةً ... والتابعين لهم دانوا كما دانوا
وأحدثوا في الملاهي كل نادرةٍ ... غريبة ضمها الموسوم بستانُ
شادوا قصوراً وفيها من مفارجهم ... ملاعب ما رآها قط إنسانُ
وكم عمائر في صنعا مزخرفةٍ ... ووسطها من صنوف الوشي ألوانُ
وكم طيالات خيل إنما رُبطت ... للفخر ملبوسها الديباج أفنانُ
قد استبدوا ببيت المال أجمعُهُ ... وأخذه من ذوي الإسلام عدوان
قالوا إمامهمُ إسماعيل عالِمُهم ... أفتاهمُ بمقالٍ فيه بُرهَانُ
يقول أن جنود الترك كافرةٌ ... دانت لهم من جميع القطر بلدانُ
وبعدهم قد ملكناها بقوتنا ... صارت إلينا حلالاً بعدما بانوا

وكـل شخـص مـن الـزُرّاع عـاملنـا ... علـى الـذي بيـديـه أينمـا كـانـوا
أصـولنـا تقتضـي هـذا فـلا حـرجٌ ... بمـا أخـذنـا ولا والقـول بهتـانُ
إبليـس سـوّل هـذا والنفـوس دعـت ... إليـه رغبتهـا فيهـا لهـا شـأن
هـذي الخيـالات لا تجـدي ليـوم غـدٍ ... إذا قضـى بيـن أهـل الأرض ديّـانُ

وله في الحض على الصوفية وأهل المذاهب الأربعة[1] وغيرها، هذه القصيدة التي أولها:

سـرى نسيـم قبـاء والصـب مـرتقـبُ ... فـارتـاح شـوقـاً لهـا وانـزاحـت الكـربُ

حتى قال مثنياً على القرابة والصحابة:

فـالله أيـدنـا بـالأقـربيـن ومَـا لاَ ... أصحاب أهل التقى فازوا بمن صحبوا
جـاءت فضـائلهـم فـي الـذكـر بيّنـةٌ ... مـا فـي فضـائلهـم شـكٌ ولا رِيَـبُ
قـامـوا بنـافلـة الأعمـال خـالصـةً ... لله واجتهـدوا فـي فعـل مـا يجـبُ
لله كـم جـاهـدوا الكفـار واجتهـدوا ... في الـدّيـن ثـم إلى العليـاء قـد وثبـوُا
وإذ حَمَـوا بيضـة الإسـلام طـار بهـم ... طـوائـر الكفـر فـي الأقطـار تضطـربُ
فالآل والصَحب قد سادوا وقد سُعِدَوا ... وقـد أطـاعـوا وقـد نـالـوا وقـد قـربُـوا
وبَلّغـونـا عـن المختـار سنتَـهُ ... لـولا عنـايتهـم مـا دُوِّنَـت كتُـبُ
ويـلٌ لقـومٍ أطـالـوا الفـرق بينَهُـمُ ... وقصّـروا فـي .... لمـا يجـبُ[2]
تكلّفـوا كلمـا لا يكلفـون بـهِ ... وبعـد ذا قـد غلـوا فـي الحب أو ثَلبُـوا
وإن أردت تفـاصيـل الأمـور فخـذ ... مـن التـواريـخ فيهـا البسـط والعجـبُ
إن الأعـاجـم قـد دانـت لِملّتِـهِ ... مـع الـوضـوح كمـا دانـت لهـا العـربُ
صلـى عليـه إلـه العـرش مـا طلعـت ... شمسِ النهـار وسـادت نحـوه العُصَـبُ
فـالحمـد لله نحـن الفـائـزون بـه ... فضـلاً علـى أمـمٍ مـن قبلنـا ذهبـوا
ودينـهِ الحـق فـألـزم مـا أتـاك بـهِ ... مـن الأحـاديـث عنـد العصبـة النُجـبُ
فـالعـالمـون بهـا أهـل التُقـى وبهـم ... تبيّـن الحـق عَـن ضـدٍ بمـا كتبـوُا
مـن حـاد عـن سنـة المختـار معتقـداً ... إن الأئمـة مـن أربـابهـا كـذبُـوا
فقـد تبـوّأ بُهتـانـاً وزنـدقـةً ... وفـاتـه الأكـرَمـان الـديـن والأدبُ
فـاحـرص علـى السُنَّـة الغـراء مُطـرِحـاً ... مَـذاهبـاً فـرقتهـم كلمـا انقلبـوا
تفـرقـوا وعصـوا قـول الإلـه ولـم ... يـراجعـوا الحـق بـل عـادوا كمـا ذهبـوا

---

(١) في ب: المذاهب المبتدعة.

(٢) الفراغ من الأصل في النسختين.

داءُ التصوف فاسأل عنه عافية ... فالحق أبلج ما عن وجهه حُجُبُ
لما ادّعوا وحدةً إبليس بيَّنَها ... ونافَثِ الحق فهي الزور والكذبُ
كم بدعةٍ أحدثوها لا دليل لها ... وكم أنافوا بدعواهم وما اقتربوا
وأفسدوا من أناس بالضلال وكم ... قد أضرموا نار كفرهم لها حَطبُ
فَهُم قد اجتنبوا سُبل الرشاد وَمَا ... تطّهروا عن نجاساتٍ إذا اجتنبُوا
نعوذُ بالله من بلوى عقائدهم ... ونستجير بهِ من كل ما نسبُوا
ما كان دين رسول الله ما انتحلوا ... ولا الصحابة ما في دينهم رِيَبُ
فالزم طريقاً جلياً واضحاً بلجاً ... ما فيه مَيْلٌ ولا حَيْفٌ ولا نَكَبُ
هذا اعتقادي وديني في الحياة وفي ... موتي وقبري وبعثي فيه احتسِبُ

وله رحمه الله تعالى وعفى عنه:

أنا من علي والرسول وسبطِه ... والأم فاطمة البتول الطّاهره
فعليَّ أنصر دينه وأقوم في ... مدح الصحابة ما حييت مُجَاهَره
فَدع الذين تعصّبوا بعمائم ... وملابس الخَزِّ الحسان الفاخِره
وتلبسُوا بالعلم واتخذوا إلىٰ ... سب الصحابة فاضحات الآخِره

وله في الحظ على قراءة الحديث والعمل بما صح من الآثار في كتب الرجال، وداعياً للمهدي العباس إلى ذلك، ومبيناً لطريقته وهاجراً للمذاهب كلها:

لُذْ بالكتاب وسنة المختارِ ... فهما نجاتك يوم عُقبَى الدارِ
فالعلمُ قال اللَّهُ قال رسوله ... لا في اتباع الراي والأنظار
فدع التمذهب للرجال فذاك من ... أنواع كيد عدوك الغرَّارِ
تُركت له سنن الرسول وأحدثت ... بدع وأحقاد بغير تماري
وأثار كل تعصب وتحزبٍ ... وعداوةٍ لصحائف الأخيارِ
كم ينكرون على الذين تمسّكوا ... بعلومهنَّ ببالغ الإنكار
يا ويحهم ما في مقال محمدٍ ... نُكْرٌ فتلك مقالة الكفار
فارفَع وضُم وخُذ بسنة أحمدٍ ... في الدين معتصماً بحبل الباري
وانظر أليس الله ربي كافياً ... ويخوفونك بالضعيف العاري
وأنبذ مقالة جاهل متعنتٍ ... لهج بِسَبْ صحابة المختارِ
دعواه حُبّ الآل وهوَ بمعزلٍ ... عن كُنه ما في باطن الأسفارِ
قل للجهول انظر إلى ما دوّنت ... في المسندات جهابذ الأخيار
تجد المناقب ظِمنها اضعاف ما ... تروى وأولى منه بالإيثارِ
قد أسندوهُ وأنت ترسله وقد ... نقدوا وأنت بزمرة الأغمارِ

ونجـوا بحـب صحـابـةٍ وقـرابـةٍ ... وخسـرت بـالتفـريـد أي خَسَـارِ
فـاشـدد يـديـك على علـوم محمـدٍ ... ومقـالـةٍ فـي الشفـع والايتـارِ

حتى قال:

هـذا ومِـن فَضـل الإلـه ومنّـهُ ... لمحـب هـذا المنهـج المختـارِ
أن الخليفـة نجـل آل محمـدٍ ... مَهـديّنـا القمّـاع للفجّـارِ
حـامـي حمـا الإسلام بـالسُمر القَنـا ... والعـاديـات وسيفـه البتّـارِ
قـد صـار فـي ظـل الحـديـث مقيلَـهُ ... وجَنَـا هنـاك فـواكـه الأثمـارِ
وأشـاد قبتـه البـديعـة قـاصـداً ... لـلأجـر ثـم قـراءة الآثـار
يـا أيهـا المـولـى الـذي عـزمـاتـه ... تعلـو علـو كـواكـب الأسحـارِ
مُـر بـالقـراءة فـي الحـديـث وكتُبـه ... جهـراً لتكفيهـم عـن الأشـرارِ
وأقمـع جهـالـة سـابـح ظـن الحَصَـا ... دراً فظـل يغـوص لـلأحجـار
هـذا وسـر فينـا بسيـر المـرتضـى ... بـاب المـدينـة قـاتـل الكفـارِ
واذكـر وقـوفـك مفـرداً فـي مـوقـفٍ ... فيـه القَضَـا للـواحـدِ القَهّـارِ

وكان رحمه الله لا يدع ذكر الله إلا عند قراءة كتابٍ أو تسبيح، مخْبتاً زاهداً براً تقياً، واختصر كثيراً من الكتب المبسوطة، وكتب مجلدات كل مجلد من عدة علوم، وله أشعار كثيرة ذهبت بها أيدي الضياع.

[عبد القادر بن محمد، أمير كوكبان]

وفيها:[1] عبد القادر بن محمد بن حسين[2] عن أربع وسبعين سنة، تولى إمارة كوكبان بعد أخيه أحمد بن محمد بن حسين وسار بالسيرة الحسنة، وذكرنا ما كان منه من التساهل والتفريط في عام اثنين وتسعين وأنه أوجب ربطه، ونزع الأمر عنه، ووعدنا هنالك بتمام الخبر وأشرنا إلى قصاص الغيب بين جماعة المتولين فاعلم أنه لما دخل السيد الصارم إبراهيم بن محمد بن حسين حضرة الإمام المهدي العباس، وكان من أمره ما كان من الحبس والخروج، وكان أخوة أحمد قد تولى أمرة كوكبان وبث دعوة أخرى بعد الأولى، اثارة على ذلك حبس أخيه إبراهيم فأطلق المهدي العباس إبراهيم وكساه ووعده الخير فترقبه فأوهمه ولاية الجهات الكوكبانية فخرج بوجه غير الذي دخل به فعجب منها المتولي أحمد بن محمد ثم أبدَى لأخوته ما خرج به من حضرة الإمام وأوهمهم فتحيَّلوا في ضبطه ودار الكلام بين أحمد وعبد القادر فلم يقدروا ثم راجعوه

---

(١) سنة (١١٩٨هـ).

(٢) نشر العرف (٢/ ٧٦)، البدر الطالع (١٢٣). هِجر العلم ٤/ ١٨٨٥.

فلم يرجع فبتوا القول معه على مراجعة الإمام فإن كان قد أزمع على ذلك سلّماها إليه وإن كان غير مبتوت فلا يسمعان ما جاء به، فأسعفهما فكتبا في تلك الليلة كتباً عديدة يُحَصِّنان بها المعاقل فكان قد خرج عنهما فأرسلا إليه بعد أن تفاوضا في ربطه وإيداعه دار الأدب فجاءهما فأغلظ له القول وَسفّها رأية وجهّلاه ونالا من عِرضهِ فأخذ السلاح وسلّه على أخيه أحمد فأتقاه بوسادة ووثب عليه المترجَم له من خلفه فأوثقه وكانا قويين معاً إلا أن عبد القادر أشد قوة من إبراهيم وما زالا في عناء، وأخوهما أحمد قاعد ينظرهما لم يتزلزل عن موضعه فدعاه عبد القادر إلى أن يأخذ السلاح من كف إبراهيم فتثاقل فقال عبد القادر: إن لم تفعل تركته يقتلك، فقام وأخذ من كفه السلاح فتمكن منه عبد القادر فربطه وأودع السجن، فلبث فيه أربعة عشر عاماً وأطلق.

وكانت أمه الشريفة تقيه بنت حسين المتوكل في ذلك اليوم قد ضبطت حصن كوكبان وتسلّمت دوائره فطالبوها بتسليمهن إليهما فامتنعت فَتُرِكت وشأنها، ففتحوا الأقفال وكسروا الأبواب واستقام لهم الأمر.

ولما مات أحمد بن محمد بن حسين رحمه الله ليلة الإثنين لعشرين خلت من شعبان سنة إحدى وثمانين ومائة وألف خَلفَهُ على الأمرة عبد القادر فبقي على ذلك إلى سنة اثنتين وتسعين كما قدمنا، وربطه إبراهيم جزاءً وفاقاً وأعانه عليه ولده العباس بن إبراهيم ويحيى، وسيأتي لك ما كان من خبرهما وربطهما عند ذكرنا لحوادث سنة اثنتين ومائتين وألف مفصلاً بكماله.

[أحمد بن محمد، أمير كوكبان ودعوته]

وقد ذكرنا من أحوال عبد القادر ما سلف، ولنشير إلى شيء من أخبار أخيه العلامة أحمد[1] وإن لم يكن داخلاً في شرط كتابنا هذا، ولكنه جر الذكر إليه ذكر أخيه فنقول هو أحمد بن محمد بن حسين بن عبد القادر بن الناصر بن عبد الرب بن علي بن شمس الدين بن الإمام شرف الدين، مولده خمس وعشرين القعدة عام اثنتين وعشرين ومائة وألف. أخذ بصنعاء المعارف عن عبد الله بن لطف الباري الكبسي وعن محمد بن زيد بن محمد بن حسن وعن غيرهما وأخذ عن الأستاذ عبد القادر بن أحمد، وكانت بينه وبين المهدي العباس حروب وملاحم فإنه لمّا مات المنصور بالله الحسين دَعَا إلى نفسه بعد أن بايع لولده العباس بعام فأرسل إليه المهدي العباس شيخه عبد الله بن لطف الباري للإجابة والإصلاح على أن لهم البلاد الكوكبانية منضماً إليها حُفَاش وملحان فلم يجب إلى ذلك فبعث إليه جنوداً جرارة حصل فيها قتل كثير ألجأ إلى أن مال إلى الصلح

---

(١) البدر الطالع (١/ ١٠٤)، نشر العرف (١/ ٢٥٨)، هجر العلم (٤/ ١٨٨٢).

والمبايعة، وأرسل المهدي العباس قاضيه يحيى بن صالح السحولي فقرّر أمر الصلح، ثم نقض الصلح بعد عام فثنى المهدي العباس عنان الحرب ثانية حتى ألجأه إلى المصالحة والمسالمة، وقد أورد له القاضي أحمد قاطن شعراً منه:

وروضٌ هبــت الأرواح فيــهِ ... وعـانقـت الغصـون البـاسقـاتِ
فلـم أر كـالنسيـم لجمـع شمـلٍ ... يـؤلـف بيـن أرباب الشَّتـاتِ
فكـذبٌ مـن يقـول أريـج واشٍ ... فمـا الـواشـي يكـون بـذى الصفـاتِ

[إسماعيل بن هادي المفتي الهاشمي]

وفيها: شهر رجب، إسماعيل بن هادي المفتي الهاشمي[1] حقق في الآلات، ولازم أحمد بن صالح بن أبي الرجال، وولع بالحديث والتفسير وأجازه الأعلام، وأخذ عن القاضي أحمد ورثّاه عند موته محمد بن محمد بن أحمد بن حسين المعروف بالبنوس[2] بقصيدةٍ يقول فيها:

يـا لَـهُ فـادحٌ ألـمَّ وخطـبٌ ... منـه كـادت شـمّ الجبـال تمـورُ
ومصـاب أجـرى الـدمـوع فـأضحت ... سـافحـات كـأنهـن بحـورُ
إذ فقـدنـا حبـراً وبحـراً خِضَـمـاً ... حجبتـه عـن العيـون صخـورُ
طَـود علـم مضَـى وللقلـب وَجْـبٌ ... وحنيـنٌ وأنـةٌ وزفيـرُ
سيـدٌ مـاجـدٌ ونـدبٌ كـريـمٌ ... وصبـورٌ لـه الخطـوب وقـورُ
حـاولـت نيـل مـا حـواه فحُـولٌ ... فـاعتـراهـا لـذي المـرام قصـورُ

من قصيدة طويلة.

[إسماعيل بن إبراهيم المهدى]

وفيها: إسماعيل بن إبراهيم بن المهدي محمد بن أحمد ـ صاحب المواهب[3] يوم الخميس ثامن شهر القعدة، وكان جواداً كريماً مقداماً بصيراً بالأعمال، اشتغل بعلم الكيمياء وعاناه أياماً وبذل في تحصيله أموالاً فلم يظفر منه بطائل، وتفقه بعلم الزيدية فأدرك حَظاً ووضع كتاباً في الفقه، وسهّله بألفاظ عُرفيّة تفهمه المرأة والصبي، وألّف رسالة في أن آل أحمد أبو طالب أهل الروضة ليسوا بأكفاء لبني هاشم آل الإمام، وألف

---

(١) نشر العرب (١/ ٤١٣)، البدر الطالع (١/ ١٥٥).

(٢) **محمد البنوس:** عالمٌ، فقيهٌ، شاعر. ولِّي الأوقاف اليمنية ولم تطل مدة إقامته فيها، وكان صالحاً ورعاً صدوقاً طاهر اللسان، توفي سنة (١٢١٥هـ)، نيل الوطر (٢/ ٣٠٩).

(٣) نشر العرف (١/ ٣٤٢)، البدر الطالع (١/ ١٣٧)، معجم المؤلفين (٢/ ٢٥٦)، أعلام المؤلفين الزيدية (٢٢٥).

رسالة في إباحة السمَّاع، ولم أقف على شيء من هذه المؤلفات. وتعانىَ علم الطب فأدرك بالتجريب والمطالعة، وكان حسن الشكل حسن الملبوس ذا بشاشٍ وحشمة، حافظاً للرئاسة مُفخماً لها.

[إسماعيل العياني]

وفيها: إسماعيل بن إبراهيم العياني الهاشمي يوم الجمعة ثاني عشر شهر ربيع الآخر.

[السيد علي القناوي]

وفيها: علي بن عمر القناوي الهاشمي المتصوف المصري بمصر، جاب البلاد فدخل الحرمين والعراقين وخراسان والروم وأطراف الهند وبلغ به المسير إلى اليمن فأقام به برهة من الزمن ولاقَى أعلامها فأخذوا عنه ثم رجع عنها وعاد إليها وطلع كوكبان ولاقَى من بها من أهل العرفان، واتصل بالرئيس إبراهيم بن محمد بن حسين ووصل إلى عيسى بن محمد ولقّنه شيئاً من معارفه ثم سار عنها، ووصل حضرة المهدي العباس عام تسع وثمانين وهو إذا ذاك في قتال قبيلة أرحب ثم راح عنها إلى بلاده، وعاد إلى صنعاء عام ثلاث وتسعين، ومن شعره في كتاب منثور إلى الرئيس إبراهيم بن محمد بن حسين صاحب كوكبان يصف آل شمس الدين:

أناسٌ إذا ما الليل أظلم وجهه ... فأيْديهمُ بيضٌ وأوجههم زُهْرُ
يصولون أحساباً ومجداً مؤثلاً ... ببذل أكفٍ دونها المزن والبَحرُ
أضآءت لهم أحسابهم فتضاءلت ... بنورهم الشمس المنيرة والبدرُ
فلو لاَمس الصخر الأصم أَكُفّهم ... لفاض ينابيع الندى ذلك الصّخرُ
شكرت لهم آلاءَ نَعماء إذ بدت ... وما ضاع معروف يكافئه شكرُ

وكان كتابه هذا قد اشتمل على ذكر وقائع، منها أنه قال: وأحوال الكنانة وعلمائها ودولتها وأمراؤها بخيرٍ وعلى خير، وإنما ذاك دون ما كانت عليه في زمن أبو الذهب والأقوات متحسنة رتبةً وسطى، وسببه تأخر النيل سنة تسعين. وأما الدولة الرومية فأخبارها بأزهارٍ فائح النجابة يلوح، وعنان حربها قائد كل جموح، وإنها وجهت بجيش عظيم إلى العجم وأفِرد على مصر معونة ستة آلاف مقاتل وذلك بسبب البصرة، ونرجو لمن أطاع مولاه وخالف هواه أن يكون محفوفاً بتأيده ونصره.

[إشارة إلى شرح القاموس]

وكان إبراهيم بن محمد بن حسين قد أخذ عليه أن يبعث له تاج العروس شرح القاموس لشيخه محمد المرتضى الحسيني فبعث منها بشرح الواو والياء، المُسمّى

بالإعيا، وذكر أن الأصل عشرة مجلدات وأنه تعذر في تلك الأيام تحصيلها وذكر أنه حصّل منها نسخة أبو الذهب قبل وفاته ووضعها في خزانة الوقف وإنما أرسل بشرح حرف الواو والياء ليعلم المطلع أنه قد كمل هذا الشرح، فقد كان الشك في كماله حاصلاً، وقد وقفنا على هذا الجزء من شرح القاموس بحصن كوكبان. وقد ضمته خزانة العلامة عبد الله بن عيسى، وذلك مع وصولنا إلى آل شمس الدين في موكب المتوكل على الله أحمد بن المنصور عام ثمان وعشرين ومائتين وألف، فأحببنا نقل أول المجلد العاشر ليعرف الناظر صنع الشارح الماهر. قال مجد الدين باب الواو والياء؛ قال الشارح ما لفظه، قال الأزهري: يُقال للواو والياء والألف أحرف الجوف وكان الخليل يسميها الأحرف الضعيفة الهوائية وسميت جوفاً لأنه لا أحياز لها، فتسبب إلى احيازها كسائر الحروف التي لا أحياز إنما تخرج من هواء الجوف فسميت مرة جوفاً، ومرة هوائية، وسميت ضعيفة لانتقالها من حال عند التصرف باعتلال انتهى. وقال شيخنا: الواو أبدلت من ثلاثة أحرف في القياس ألف ضارب فقالوا في تصغيره ضويرب والياء الواقعة بعد ضم كموقن من أيقن، والهمزة كذلك كمؤمن من آمن وما عدا ذلك إن ورد كان شاذاً، وأما الياء فقالوا: إنها أوسع حروف الإبدال، يقال: إنها أبدلت من نحو ثمانية عشر حرفاً أوردها المرادي وغيره انتهى. وقال الجوهري: جمع ما في هذا الباب من الألف، إما أن يكون منقلبة من واو مثل دعَى أو من ياء مثل رمَى وكل ما فيه من الهمزة فهي مبدلة من الياء أو الواو نحو القضاء وأصله قضاى لأنه من قضيت والعزا وأصله غزاو لأنه من عزوت، ونحن نشير في الواو والياء إلى أصولهما. هذا ترتيب الجوهري في صحاحه وأما ابن سيده وغيره فإنهم جعلوا المعتل عن الواو باباً والمعتل عن الياء باباً فاحتاجوا فيما هو مُعتلّ عن الواو والياء أن ذكروه في البابين فأطالوا وكرروا تقسيم الشرح في الموضعين، قلت وإلى هذا الترتيب مال المصنف تبعاً لهؤلاء ولا عبرة بقوله في الخطبة أنه اختص به من دونهم، وقد ذكر أبو محمد الحريري في كتاب المقامات في السادسة والأربعين منها قاعدة حسنة للتمييز بين الواو والياياء وهو قوله:

إذا الفعل يوماً غُمَّ عنك هجاؤهُ	فالحق به تاء الخطاب ولا تقف
فإن ترقيل البا ياء فكتبه	بياء وإلا فهو يكتب بالألف
ولا تحسب الفعل الثلاثي والذي	تعداه والمهموز في ذاك يختلف

وأما الجوهري فإنه جعلهما باباً واحداً، قال صاحب اللسان: ولقد سمعت من ينتقص الجوهري، يقول: إنما لم يجعل ذلك باباً واحداً إلا لجهله بانقلاب الألف عن الواو وعن الياء ولقلة علمه بالتصريف قال: ولست أرَى الأمر كذلك، قلت ولقد ساءني هذا القول وكيف يكون ذلك فهو إمام التصريف وحامل لواءه بل جديله المحكك عند

أهل النقد والتصريف، وإنما أراد بذلك الوضوح للناظر والجمع للحاضر، فلم يحتج إلى الإطالة في الكلام وتقسيم الشرح في موضعين فتأمَلْ. وأما الألف اللينة التي ليست متحركة فقد أفرد لها الجوهري باباً بعد هذا الباب، فقال: هذا باب المبني على الفات غير منقلبات عن شيء، فلهذا أفردناه. وتبعه المصنف رحمه الله تعالى كما سيأتي. انتهى ما صدّره شارح القاموس على قول مجد الدين باب الواو والياء وأكثر شرحه بالتصريف، ونقل الشواهد الشعرية على أكثر الألفاظ، والترجم للمدن المذكورة وللرجال والنساء والصبيان والعقارات وكل ما يتعلق باللفظ.

[ذِكر لبلاد الروم وقسوة قلوب أهلها]

وذكر في كتابه أن فلاناً قال له: لو جعلت رحلتك إلى الروم عوضاً عن اليمن لكان أولى، وأنه أجاب بأنه دخل الروم في عمره مرة واحدة فأدرك من ذلك قسوة في قلبه دامت في باطنه عشر سنين. وقال: ونتعوذ بالله أن لا يعيدنا إليها كيف ذلك وبعض الصالحين يقول: أخشى أن يقال لأهل الروم يوم القيامة أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها، وقال في آخره: حرر سلخ ربيع الآخر سنة إحدى وتسعين ومائة وألف، ذكر معنى هذا في الحدائق والدّر المنضد.

وقد ترجم المذكور القاضي أحمد قاطن فذكر أنه اتصل بالإمام المهدي في خروجه إلى اليمن وأنه عاد إلى بلاده ورجع إلى اليمن عام أحد وسبعين.

[ذِكر من أخذ عن القناوي]

قال المؤلف غفر الله له، وقد أخذ عنه علم الطريقة القاضي أحمد والوزير الصالح أحمد بن علي النهمي وشيخنا الأستاذ عبد القادر بن أحمد وأحمد بن عبد الرحمٰن الشامي ومحمد بن هاشم بن يحيى وسعيد بن علي القرواني وعبد الله بن عيسى الهاشمي وخَلْق من أهل اليمن.

[نسب السيد علي القناوي]

وذكر شيخنا الأستاذ عبد القادر بن أحمد نسبه فقال: وأما نسب شيخنا فهو حفظه الله تعالى علي بن عمر بن محمد بن عمر بن علي بن هش بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمٰن بن الحسين بن محمد بن الولي الكبير ابن محمد عبد الرحيم القناوي ابن أحمد بن حجُّون ـ بتشديد الجيم ـ بن أحمد بن محمد بن جعفر بن إسحاق بن الزكي بن محمد المأمون ابن علي بن حسين بن حور بن محمد بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين ابن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، انتهى باختصار كثير، هذا لفظ شيخنا الأستاذ ومن خطه ما لفظه: في شكر الواهب لتلميذ شيخنا المترجَم له وهو السيد محمد بن عبد الجواد الحسيني القناوي ما لفظه: وجدّه

الثالث عشر من المغرب من سَبْتَه من بني أسد واسمه عبد الرحيم حج مراراً وأقام بمكة ثم بالمدينة ثم ببلدهِ المُسمّى بـ (قِنا) زنة حِمَا وهي من أعمال صعيد مصر الأعلا، واشتهر بالولاية الكبرى وتربية المريدين وانتشرت عنه الطريقة بتلك الجهات وانتفع به خلق كثير من العارفين، وقبره مشهور مزور هنالك وخلفه إلى عصرنا في خير خلف.

[كرامة لجد السيد علي القناوي]

ومن ذريته العارف بالله السيد **علي** هش سُمِّي بذلك لأنه أضافة رجل من أصحابه فذبحت له زوجة الرجل دجاجاً هي تحتاجهن للبيض فلما وضعت بين يديه، قال السيد هش: فطارت الدجاج حيّة، والتَفتَ إلى صاحب البيت فقال له: يكفينا وإياك المَرق، وذكر لهذا الاسم قصةً أخرى. وذكره القاضي بالتقوى والصلاح والوجاهة عند الملوك.

[السيد محمد الحَفناوي]

وذكر القاضي شيخ المترجَمْ لَهُ السيد محمد بن عبد الجواد. فقال: هو السيد محمد بن سالم بن محمد الحفناوي الشافعي الأزهري المصري، وأثنى عليه بظهور الكرامات وذكر أن فضلاته من حلق الشعر وتقليم الأظفار تؤخذ للتبرك، وهو مع هذا لا يرضى، ثم قال القاضي: ومن غريب مما ذكر لنا السيّد علي بن محمد القناوي أن بعض الصناجق حبس جماعة، وجاء بعض من يشفق عليهم يطلب من الحفناوي الشفاعة ففعل إلى الصنجق تعريفاً فلم يسعد إلى إطلاقهم ولم يشعر إلا وأولئك المحبوسون عنده فسألهم كيف كان خلاصهم؟ فقالوا: رأينا شخصاً يقول لنا اخرجوا من الحبس وفكّ قيودنا وأخرجنا، فأخبرنا الحفناوي: وسأله أن يدخلوا عليه فأذن له فلما رأوه قالوا: هذا هو الرجل الذي أخرجنا فحمد الله تعالى وأثنى عليه ولم يسع السنجق سوى المجيء إلى الحفناوي يعتذر إليه

وذكر القاضي أحمد قاطن أن القناوي لقنه صلاة منورة للأبصار والبصائر وهي هذه: اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد طبيب القلوب ودَوائِها وعافية الأبدان وشفَائِها ونور الأبصار وضيائها وعلى آله وصحبه وسلم. وذكر القاضي هناك طريقة النَقْشَبَنْدِي وهي فرقة ترى الذكر القلبي ونقل قَسَم الجلالة عن شيخه أحمد بن عبد الرحمن عن عبد الخالق المزجاجي عن والده الزين بن عبد الباقي عن التاج بن زكريا العثماني عن محمد بن عبد الباقي اللاهوري عن محمد خَرْجَكِي عن محمد الدّرويش عن السيد محمد زاهد عن الشريف عبيد الله النجاري عن الشريف نظام الدين الخاموش عن الشريف **علي** بن حسين الجرجاني عن الشريف علاء الدين العطار النجاري عن الشريف محمد بن محمد النجاري عن الشريف أمير كلال الحسيني عن الشريف علي الراميتني عن الشريف محمود الفَغْنَوِي عن الشريف عارف الربوكري عن الشريف

عبد الخالق الغجدواني عن الشيخ يوسف بن أيوب الهمداني عن أبـي علي الفاريدي عن أبـي الحسن الجرقاني عن أبـي زيد البسطامي عن جعفر الصادق عن محمد الباقر عن زين العابدين عن الحسين بن علي وهو من أمير المؤمنين علي بن أبـي طالب رضي الله عنه. وهو من حضرة سيد المرسلين ﷺ.

قال شيخنا الأستاذ عبد القادر بن أحمد: رفع هذا الإسناد إلى النبـي ﷺ لا يصح عند المحدثين بل هو كذب موضوع لما تقرر في الأصول أن كل حديث لا يوجد في دواوين الإسلام التي جمعها الأئمة فهو باطل، وللصوفية أحاديث كثيرة من هذا النمط يعتقدون صحتها ويزعمون في بعضها أنهم رأوا النبـي ﷺ يقظةً فسألوه عنها وأخبرهم أنها من كلامه، فتدبَّر كتبه خادم السنة عبد القادر بن أحمد وذكر الإسناد عبد القادر فيما كتبه على ترجمة القناوي.

تنبيه: اعلم أنها قد اشتهرت في كتب الصوفية خوارق وقبلوها مسلمات بلا سند والمقرر في الأصول ما في جمع الجوامع وشرحه ولفظهما. قال القشيري: ولا ينتهون إلى نحو ولد دون والد وقلب جماد بهيمة. قال المصنف وهذا حق يخصص قول غيره ما جاز أن يكون معجزةً لنبـي جاز أن يكون كرامةً لولي لا فارق بينهما إلا التحدي، ومنع أكثر المعتزله الخوارق من الأولياء، وكذلك الأستاذ أبو إسحاق الاسفرايبني قال: كلما جاز تقديره معجزة لنبـي لا يجوز ظهور مثله كرامةً لولي وإنما مبالغ الكرامات إجابة دعوةٍ أو ظهور ماءٍ في بادية في غير توقع المياه، ونحو ذلك مما ينحطّ عن خوارق العادات انتهى.

وقال النووي في شرح مسلم في باب البر والصلَة: إن الكرامات تجوز بخوارق العادات على اختلاف أنواعها، ومنعه بعضهم وادّعى أنها تختص بمثل إجابة دعاء ونحوه انتهى. وخالف القشيري والده أبو نصر في المرشد، انتهى.

وَدَخلَت سَنَةُ تِسعٍ وَتِسْعين وَمِائَةٍ وَألْف

فيها: عقد الإمام بولايات لجماعاتٍ وخلع آخرين، فعَقَد ببندر زبيد للأمير يسر الماس، شهر محرم.

وفيها: عقد لمحمد ذو الفقار ببلاد جبلة وإِبّ في شهر شوال.

وفيها: عقد ببندر المخا لمحمد سرور بنادق في شهر القعدة، وفيها عقد بولاية حفاش وملحان لمحمود بن جوهر عراسي فمرض ومات بشبام كوكبان.

وفيها: [1] أقر عبد الله جوهر على اللُحيّة وخلعه عن الزيدية وجعلها للأمير محمد فرحان وذلك في شهر ربيع الأول، وحصلت المنافرة بين محمد فرحان والقاضي أحمد بن حسن البهكلي فأرسل القاضي إلى الشيخ علي بن أحمد قلقر وشيخ صِلِّيل أن يتقبّل البلاد، وما كان إلى العامل فيعود إلى الدولة، فأسعده الشيخ إلى ذلك فطَلب مشائخ البلاد فضمنوا للشيخ تسليم الحقوق إليه وضمن الشيخ علىٰ الدولة. وتوسط القاضي أحمد بن حسن البهكلي فرفع القاضي بهذا إلى الإمام فأجاب عليه واسطة البلاد حسن بن عثمان: أن لا بأس ولكن ليصِلوا المشائخ إلى الحضرة لأخذ الوثيقة عليهم وليكن نفوذ علي بن أحمد من مقامنا مأمور محمودة إن شاء الله تعالى. فثار المشائخ عن قاع تهامة فوصلوا حضرة الحسن بن عثمان، فقال لهم: لا بد من وصول القاضي أحمد لتكون الأمور أكيدة ثابتة، وهو يرى تلك الطلبة عين الفساد، وبعث إلى القاضي أحمد فوصل ودخل على الخليفة، وتكلم الحسن بن عثمان بما كان من القاضي والمشائخ من تقبلهم البلاد، فنفر الخليفة من ذلك وأخذ العصى وهمّ بضرب القاضي فحالت شفاعة الوزير ثم أمر بحبسه وحبس المشائخ وأعاد الإمام عمالة الزيدية للأمير عبد الله جوهر إلى بندر اللحية، وسيأتي تمام الخبر عام أحد وتسعين.

وفيها: خلع حَمِيد بن عبد الله[2] عن بندر المخا شهر شوال.

وفيها: تاسع وعشرين ربيع الأول انكشفت الشمس عند دُنُوّها للغروب وغربت منكسفةً وانطمس إلى نورها الأكثر واختلف عند ذلك جماعة من أهل العلم في صلاة الكسوف فمن ذاهب إلى السنيّة لحديثٍ: فإذا رأيتم ذلك فصلّوا وادعوا، وذهب آخرون إلى المنع نظراً إلى أحاديث النهي عن الصلاة في الأوقات الثلاثة، ولأهل الأصول في التعارض بين الحديثين كلام يطول.

[صَلح علي بن أحمد ابن إسحاق]

وفي ربيع الأول أيضاً والقاضي المخذول[3] قد نزل عن بَعْدَان وقصد فجرة قَيْظان ورد كتاب من علي بن أحمد بن محمد بن إسحاق[4] إلى متولي يريم الماجد يحيى بن محسن حنش يطلب منه إنفاد كتاب منه إلى الحسن بن علي حنش يتضمن طلب الإذن من الإمام في الخلاص من وعثاء الفساد ويرغب في الطاعة والدخول في سِلك الجماعة

---

(١) فقرة مضافة في هامش الكتاب، وكأن المؤلف ألحقها بكتابه بعد تأليفه.
(٢) من آل العُلفي، وقد سبق له ذكر.
(٣) يقصد القاضي عبد الله بن حسن العِكام العنسي.
(٤) ستأتي له ترجمة في أخبار سنة (١٢٢٠هـ) عام وفاته.

ويتأكد فيه بالبقاء بمحل يراه الإمام متخوفاً من الوصول الحضرة ويتأكد على الإمام بإجراء رزقه ورزق من يَعُول، فجنح الإمام. إلى مطلوبه، غير أنه أرسل من حضرته رجلاً من ذو محمد إلى عامل يريم يذكر له أن لا بد من معرفة الصدق في هذا ويحيل الأمر علىٰ النقيب حسين بن مرشد ويلزمه الرفع بالحقيقة، فَنَفَّذهُ واجتمع بالنقيب حسين بن مرشد فدار الكلام على خُفيةٍ وكتَمٍ وسارت العقال من ذو محمد وعقال ذو حسين وعقال خولان فأجمعوا على نفوذ رجلين من كبار ذو محمد إلى عامل يريم أحدهما حسين بن مرشد، فوصلا ليلاً ولمّا خافا ظهور أمرهما على القاضي كَتَبَا إليه يخبرانه أنهما نفذا إلى جهة اليمن الأسفل لأمر يعود نفعه على الجميع، ولمّا وافقا العامل أجمع الرأي على نفوذهما حضرة الإمام، فسارا حتى بلغا حضرة الإمام وأفصحا عن صدق ما وصل إليه من علي بن أحمد واشترطا شرط علي بن أحمد من عدم الوصول الحضرة، فأعاد عليهما الإمام بأنه لا يتم ذلك إلا بوصوله الحضرة، فتضّربا لما عندهما من العلم بعدم الرضَى بالدخول وطلبا الجواب عليه بذلك، وسارا عن صنعاء وبلغا إلى عامل يريم فأفصحا له عن الخبر فاستحسن بقاءهما لديه وأمرهما أن يكتبا إلى علي بن أحمد كتُباً مجملة تتضمن صلاح الأمور، فلما قرأها عرض على جماعة من العقال المائلين إلى مراده فتضرّبت آراؤهم لذلك الإجمال، ودار الكلام بين العقال وآل الأمر إلى خروج السيد علي بن أحمد عن مطرح القاضي ليلاً وقد كانت جماعة من خولان منخزلة عن مطرح القاضي فانضم علي بن أحمد إلى جملتهم، وانخزل معه من جماعة ذو محمد النقيب مصلح بن صالح بن عمير والنقيب هادي الفرجَه والنقباء آل صُوفة وكبير الزَّوَاملة أحمد بن سالم بن سبتان، ومن ذو حميدان النقيب محمد بن مسفر، ومن أفراد ذو حسين آل حشدة، ومن خولان عُقّال آل الهيّال ومن الأعروش صالح أبو حدرا، فلم يشعر القاضي المخذول بما كان إلا آخر نهار اليوم الثاني فقال: أمرٌ قُضِي بليل، وانكسر خاطره لعدم إفصاح عُقّال القبائل ورؤسها الكلام عليه وظن فيهم الظنون، ولمّا بلغ الهمام يحيـى بن محسن ذلك الجمع بادر بإرساد الأزواد إليهم والدراهم، ووصل كتاب من المتوسط الحسن بن علي حَنَش أفصح أن الإمام لم يسعد بالصلح إلاّ على شرط الوصول إلى حضرته، فشاور في ذلك علي بن أحمد كبار القبائل فألزموه الرضىٰ بذلك وذكروا ما جُبِلَ عليه الإمام من سلامة الطوية وحُسن النيَّه، فامتثل لذلك وأعلن بالطاعة في الجواب وأظهر الإقلاع والمتاب، وعاد كتاب من الإمام قَرّت به عينه واطمأن به قلبه فتقدم إلى يريم فاستقر بها ثلاثة أيام فجاءه كتاب من الواسطة يستحثه ويستعجله مصحوباً بمركوب فسار عنها ولما بلغ بلدة سَيّان أرسل له الإمام بملبوس فاخِر ولولده إسماعيل وفَرَسيْن من خيوله، وسار عن سَيّان وأُطلق في ذلك اليوم من السجن أخاه عبد الكريم بن أحمد بن محمد بن إسحاق فكان ذلك يوماً مشهوداً اجتمع فيه الناس

وخرجوا عن ساحة صنعاء ينظرون إليه، ولمّا وصل بين يدي الإمام اعتذر واستغفر وقال: قد ابتلى أيوب فصَبر وداود فشكر، فتلقاه الإمام بالبشاش والإكرام وأنعم عليه أتم الإنعام، وكان وصوله يوم الخميس ثاني شهر ربيع الآخر وكسَى الإمام أهله وأرحامه، هذا وأكثر الجماعة من القبائل باقية بصنعاء من أواخر العام الأول حسبما قدمنا ذكره. وأما ما كان من القاضي المخذول فإنه أراد أن يقيم للفساد منهجاً واضحاً فقصد بلاد حُبيش فلقي حرباً من الرعية وسلباً لكل من وُجِد من أصحابه، فانكسر وعاد بلاده، وعبَر الشرق طريق ذَنَه في النصف الآخر من جمادى الآخرة.

[التنكيل بالوزير حسن العفاري]

وفي يوم الخميس سابع ربيع الآخر، نكّل الإمام بوزيره حسن بن محمد العفاري متولي المخازين في سجنه.

وانتقل الإمام عن صنعاء وتحول إلى بير العزب بعد أن سيَّر القبائل إلى صنعاء وأعطاهم عطاءً واسعاً، وكانوا قد استقروا بها وبما حولها ثلاثة أشهر.

وفيها: كانت فتنة بين أصحاب الدولة وبين قيفة ببلاد رداع، فأحاطت قيفة بالمدينة، فخرج من بـ (رَدَاع) من المقاتلة والأعيان، وقتل رجلين من آل الحسين بن حسن بن القسم، وآخر منهم مصاب، وجهز الإمام علي بن إسماعيل بن إبراهيم وصحبه سعيد أبو حِليقَه فقصدوا بلاد قيفة وانتصفوا منهم.

[فتنة علي بن محسن خليل في جِبْلَه]

وفي شهر رجب طلع الحاكم السيد زين بن يحيى من العُدَيْن إلى ذي جِبْلَه وبها الشيخ علي بن محسن خليل عاملاً قد صادر في ذلك العام ناصر شَوِيْط الحاشدي بعزلة المعربة[1]، وأخرجه عنها وجرت بينهم قتول وعاد إلى ذي جبلة ففرق على أهل المدافن حبوباً يسلمونها، وصار أربعة اخوة من سادة عمّار مستوطنين لذي جبلة ففزعوا إلى الحاكم السيد زين فأرسل عليهم ثمانية نفر من همدان فدخل منهم اثنان إلى دهليز بيت الحاكم فتدافعوا وقتاً طويلاً، فقتلهم السادة وكان أحدهما من وادي ظَهْر والآخر من الجاهلية[2]، فدخل بقية الستة فقتلوا الاخوة الأربعة الهاشميين وقُتِل رجل في تلك الحال من الستة الهمدانيين وكان للهاشميين والدة قد أضعنت في السن فلما رأتهم كذلك

---

(١) هكذا في النسخة (أ) وفي النسخة (ب): عزله المعبري، ولعله يقصد عزلة العِربيين من بلاد السَيّاني في جنوب مدينة جِبْلَه.

(٢) **وادي ظَهْر**: معروف في شمال صنعاء على مسافة نحو خمسة عشر كيلو متراً، **والجاهلية**: محلة ببلاد هَمْدان في شمال صنعاء بمسافة نحو (٢٠) كيلو متراً.

أصابها الجنون، فرفع الحافظ إلى الإمام بما كان من أولئك الطغام وشَفّع القضية، وأوضح عن أنهم فزعوا إلى الشرع فما أقالهم العامل، فبعث الإمام على العامل رسولاً ثقيلاً أمره بأشخاصِه إلى الحضرة، فلما قارب صنعاً أرسل الإمام من يَغُلّه بالحديد فأبى، وكان الإمام بدار الفتوح ولما وصل إلى ساحة داره باشره بالضرب الشديد وأمر بنهبه ونهب أصحابه وقبض سلاحهم وكانوا نحو الخمسين، وأقامه حافياً في الشمس باب داره وأودعه السجن.

[أخبـار متفرقـة]

وفي أول شعبان كان قران بين المريخ والمشتري وليس لذلك أثر في الشرع.

وفي شعبان أيضاً كانت فتنة بين أهل ذَيْفان وحاشد فبعث إلى الإمام من رؤوسهم نحو اثني عشر رأساً، ولبقية أسبوع تحوّل الإمام عن بير العَزَب واستقر بصنعاء، فصام شهر رمضان بها، وخرج لمضي أسبوع من شهر شوال إلى الروضة البهية بعد صلاة الفجر فاستقر بدار اليسر قليلاً وخرج إلى دار السلوة المعروفة بدار جعفر وأضافه إليها وزيره أحمد بن إسماعيل فايع، ثم خرج عنها إلى (غراس قاسِم) فاستقر به وراح منه آخر اليوم إلى صنعاء، وأضافه أخوه العلم قاسم بن المهدي العباس بدار المجزبي، فبقي في ضيافته اثنى عشر يوماً.

[استدعاء الحسين الكبسي إلى كوكبان]

وفيها: استدعى آل شمس الدين الحسين بن عبد الله الكبسي من الروضة، للإحياء والتدريس يوم مسير الأستاذ عبد القادر بن أحمد عنهم ولحوقه بالخلفية.

[اضطراب صرف القرش]

وفيها: اضطرب صرف القرش وبلغ ثلاثمائة حرفَ فكسَر الإمام الضربة وكتب في الدرهم لا إلـٰه إلا الله محمد رسول الله عليٌ خليفته حقاً.

[ذو محمد تنتهب وادي ظَهْر]

وفي شهر القعدة سارت أفراد ذو محمد عن ديارهم، ناشرين لأعلام الفساد وكانوا نحواً من خمسمائة، ووصلوا آخر الشهر فأقاموا ليلة بالقرب من وادي ظَهْر[1]، فلم يرفع الإمام إليهم رأساً، ولا تحرك لمناجزتهم وصلحهم، فانتهبوا من تلك المحلات وتحوّلوا إلى بيت الخولاني وانتهبوا الزرائع والأموال.

[خروج القاضي العنسي ونزوله بَعْدان]

---

(١) والبعض يكتبها بالضاد المخففة: وادي ضَهْر.

وفي شهر الحجة وصل عُقّالهم[١] وسار القاضي المخذول عن بلاده وقَصد الشرق ذَنَه في شهر الحجة وصحبته من خولان النقيب علي بن راجح وقبائل الحدا، وخلص بمن معه إلى جبلٍ بَعْدان واستقر بفجرة قيظان، ووجّه جماعة إلى قَفْر يَرِيم، فتلقّاهم بنو سَيْف الأسفل، فقَتل من الطائفتين جماعة ثم بَدَى للمخذول غزو سوق رَحَاب[٢]، فأغار عليه بنو المرادي وتبعهم الماجد يحيى بن محسن حنش، وحصل قتل ذريع في جماعة القاضي، واحتزت منهم ثلاثة رؤوس بعث بها العامل باب الإمام، وقد سقنا القصة بكاملها أول سنة مائتين وشرحناها شرحاً مفصلاً، هذا كله وباب صنعاء مضطرب بأمواج الفتنة.

[ارسال سلطان المغرب بكتابه الذي أَلّفهُ إلى مكة]

وفيها: أرسل سلطان المغرب[٣] مولاي محمد بن عبد الله بكتاب أَلّفه في الحديث إلى مكة المشرفة، ونُسخةً أخرى إلى المدينة المنورة، وأمر أن يُقرأ كتابه ثلاثة أشهر عالم حنفي، وثلاثة أشهر عالم مالكي، وثلاثة أشهر عالم شافعي، وثلاثة أشهر عالم حنبلي، فامتُثِل أمره. وأصحَبَه من ضربته ذهباً مكتوباً عليه أن الذين يكنزون الذهب والفضة.

وفيها: انقطع الحاج المصري عن زيارته قبر النبـي ﷺ وسيأتي تفصيله في العام الثاني.

[وفاة القاضي أحمد بن محمد قاطن]

وفيها: يوم الجمعة، ثامن جمادى الأولى، أحمد بن محمد قاطن حاكم حضرة المهدي العباس[٤]، عن ثمانين سنة. مولده ليلة رابع محرم سنة ثماني عشرة بعد المائة والألف بقرية حَبَابه من أعمال ثِلاَ وقد ساق نسبه في ترجمته لنفسه في كتابه التحفة، أخذ عن والده وأخذ في الفقه والفرائض عن علي بن عبد الوهاب النزيلي، وفي النحو عن صلاح بن يحيـى الخطيب الهاشمي وعن إبراهيم بن خالد العلفي في الفقه، وأخذ البخاري سماعاً عن المحدث يحيـى بن عمر بن عبد القادر الهاشمي الزبيدي من آل مقبول، ورواه سماعاً عن شيخه هاشم بن يحيـى الشامي، وعن أحمد بن عبد الرحمـٰن الشامي وعن الشيخ عبد الخالق بن الزين المزجاجي وعن محمد بن العلاء المزجاجي،

---

(١) ضمير المخاطب عائد إلى قبائل ذو محمد.

(٢) **سوق رَحَاب**: منطقة في جنوب غرب مدينة يريم وأسفل جبل إريان. بها مركز القَفْر.

(٣) **في الأصل**: سلطان الغرب.

(٤) نشر العرف (١/ ٢٧٤)، البدر الطالع (١/ ١١٣)، معجم المؤلفين (٢/ ١٢٥)، مصادر الفكر الإسلامي (٧١)، أعلام المؤلفين الزيدية (١٧٥)، هجر العلم (٢/ ١٠٢١).

وعن عبد الخالق بن أبي بكر بن الزين المزجاجي، وعن خاتمة المحدثين محمد بن إسماعيل الأمير، وقد لاقى الأكابر، وأخذ إجازة من الحافظ الكبير المسند محمد بن الطيب المغربي مكاتبه ولم يواجهه، وكان القاضي رحمه الله تعالى أشد الناس محافظة على حفظ السَّندِ المتصل بالأئمة الحفاظ الجامعين لأمهات الحديث والمصنفين فيه، وألف في هذا الشأن مؤلفات حِسان راجعها الغادي والرايح، واشتغل بها أهل التحصيل من العلماء، واشتغل بعلم التصوف وأهله. تولى القضاء بـ (ثِلاَ) أيام الإمام المنصور بالله الحسين ثم ولّيه بصنعاء وتولّى أيام الإمام المهدي العبّاس، نظارة وقف صنعاء وأعمالها مع القَضَا فنظمه أتم نظام، واتفقت له أمور يطول شرحها وحبس سنتين وثلاثة أشهر، وقد ذكرنا فيما سلف عند ترجمتنا الحسن بن صالح الحداد في عام خمس وتسعين ما كان بينهما مما أوجب بعد أيام حبس القاضي والحسن صالح الحداد معاً، وأوجب ذلك استيقاض المهدي العباس، لشكوى عامة الناس من تأخير أرزاقهم ونقصها في بعض السنين فألزمه الحساب لأهل الوظائف بحضور الكتّاب. وقال في ذلك زيد بن محمد بن زيد الشامي وكان كاتباً للقاضي مُعَرِّضاً بالحسن بن صالح الحدّاد:

حسـدوك لمـا أن رأوا	نجـم المعـالـي منـك طـالـع
رامـوا انتقـاصـك بـالحسـا	ب وجمعـوا أهـل الصـوامـع
ومنـافسـوك تخيَّلـوا	بـرق المطـامـع فيـه لامـع
كـذبـت ظنـونهـم ومـا	رامـوه لـم يـك ثـم واقـع
والـذم منهـم صـار مـد	حـاً شنفـت منـه المسـامـع
كـن كيـف شئـت فـأنـت كـالشـ	ـمس المنيـرة فـي المطـالـع
وارغـم بـأمـرك أنـف مـن	قـد حـاف عـن سنـن الشرائـع
بـدوام عيـشٍ نـاعـمٍ	غصـن المسـرّة منـه يـانـع

فهذا سبب، وذكر القاضي في ترجمته لنفسه أن ذلك الحبس كان من بعض المنافسين له وإنه بعد خروجه من الحبس حُبِس المنافس له، وكان ذلك لمضي ست سنين من خلافة المهدي العباس. وكانت بينه وبين قاسم بن محمد الكبسي أحَنٌ أوجبت رسالة حررها السيد قاسم وأبلغها إلى المهدي رحمه الله تعالى يذكر فيها أن القاضي عمّر بيتاً بـ (ثِلاَ) فوق مقابر المسلمين فوقعت تلك الكلمة من قلب المهدي بمحل وأرسل الإمام القاضي ناصر المحبشي ـ وكان من أهل التقوى ـ ينظر صحة دعوى قاسم بن محمد فنظر وأحضر جماعات من أهل ثِلاَ فشهدوا بأنها مقبرة بَنَى بيته عليها، وانه مع ذلك أكره كثيراً من العمله أن يحملوا الأحجار لعمارة البيت، فأرسل الإمام من خَدَمِهِ ناصر شاوش إلى ثلا وأمره بالقيام على خَرَابِهِ. ولبعض أهل العصر يحكي ما وقع من قيام بعض بني الورد

شاهداً على أن القاضي بَنَىٰ بيته على المقبرة، وجاء له لطيفةً ورًّا فيها بالورد والجُعَل وذلك لما أظهر ابن الورد خطاً على الجُعَلا من بني قاطن أهل حبابة فقال:

قد أظهر الخط أن البيت مقبرة ... الورد لما رأى ذا الأمر قد نُقِلا
يريد إهلاك أهليه ولا عجب ... فالورد من شأنه أن يهلك الجُعَلا

ثم ادّعى عليه رجل من بيت جسار أنه عمّر البيت بحافة الفليحي على محل مسجد وأنه اغتصب ذلك المحل وأقام شهادة على ذلك فأمر المهدي العباس بهدمه، ولما خرج من الحبس اعتزل مدة فارغاً حتى نكل الإمام بحاكمه يحيى بن صالح السحولي فأعاده إلى القضاء لعلمه بكمال ديانته وصلاحه. قلت: وحُبِس مرة أخرى.

وكان القاضي رحمه الله تعالى زاهداً صالحاً محباً للخير منافِساً فيه مُحبّاً للعلم وأهله واضعاً للشيء في محله، وفيه سجاحه وإطراح وبَلَه وإدلال جر عليه المحن، والحاذق من خبر الأمور وعرف الأحوال وأعدّ لكل مقامٍ مقالاً. وكان رحمه الله تعالى لشغفه بعلم التصوف وأهله تبدر منه بوادر حتى آل الأمر إلى دعواه الكشف.

وكان قد تحدّث عند المهدي العباس بأنه يأتيه جماعة من الجن وأنَّهُ يأتيه منهم رجل يُدعَى بالفقيه صالح، واستنكر الإمام ذلك منه واستبعده، فوعده يوماً بأن سَيريه. وجاء في اليوم المُعيَّن فقعد عند الخليفة وما زال يقول له هذا الفقيه صالح بالمحل الفلاني أتراه؟ فيقول له: لا. فيقول: قد انتقل إلى ذلك المحل الفلاني أتراه؟ فيقول: لا، فجرت تلك الدعوى حَبْسه. كذا حدثني الثقة عن مَنْ يوثق به. وكان حبسه رابع عشر شهر شعبان من سنة ثمان وثمانين ومائة وألف وقد اضطرب الناس في أسباب حبسه وتكلم كل أحدٍ بما عنده.

قال المؤلف غفر الله تعالى له: وأخبرني بعض الناس بمقام أديب الوقت محمد بن صالح بن أبي الرجال عن سببٍ آخر فقال: كنا بالزيدية من أعمال تهامة، في موقف نتراجع فيه الأخبار فسمعنا بعض أشراف أبي عريش يقص علينا أخباراً من دولة الأشراف بمكة حتى ساق موجب خروج الشريف عبد الله الفعل من مكة إلى الإمام المهدي العباس وأنه ساق إلى المهدي هدية منها سيف مُحلًّى مكلّل رأسه بجواهر وأن الإمام أعاد ذلك السيف على متولي مكة الشريف سرور بن مساعد في هدية بعثها إليه فلما وقعت عين الشريف عليه استنكره وكان من مملوكات أبيه مساعد، فكتب إلى الإمام يستفصله من أين وصله؟ فكتب إليه بأنه من هدايا الفعل، وعرف الإمام أن ذلك السؤال يُستنتج عن فتنة ولائمه على الفعل، فأخذ على الشريف كتم الأمر لاتصال الفعل بجناية.

قال الشريف المحدث بذلك الخبر: ولم يطلع على كتاب شريف مكة إلى الإمام سوى قاضية أحمد بن محمد قاطن وأن القاضي كتب عند عود جواب الإمام كتاباً إلى

[علي بن محمد بن الحسين بن عبد القادر]

وفيها: آخر نهار الجمعة تاسع شعبان علي بن محمد بن حسين بن عبد القادر بن الناصر صاحب كوكبان عن خمس وخمسين سنة[1]. أخذ في الآلات على أخيه عيسى بن محمد وبه تخرج، وقد قدمنا له ذكراً عام اثنتين وتسعين وذكرنا ثباته على الجلاد، وكان شهماً شجاعاً حبس بكوكبان عام أربع وتسعين مع إخوته عبد القادر ويحيى فعكف مع يحيى على الدرس والقراءة مع إكمال المطالعة والمراجعة للكتب المبسوطة، وحفظ كتاب الله تعالى عن ظهر قلبه، وسبقت الإشارة إلى ذلك عند ذكرنا لعبد القادر سنة اثنتين وتسعين. وعانىٰ المترجَم له بالسجن الشعر فجاء جيداً وكان من قبل لا يقوله إذ كان مشغولاً بأخيه عبد القادر معيناً له في أمر الولاية، فمن شعره ما كتبه إلى الحسن عبد الرحمـٰن وقد تخلّف عنه واعتذره:

أزهرُ نجومٍ قد أضاءت بها السُبْلُ ... أم الزِّهر في الأوراق باكره الوَبلُ
أم إبن وجيه الدين نظّم لؤلؤاً ... فريداً لمن في لحظها السيف والنَبلُ
وَهَنَّا بِعِيْدٍ والأسيرُ مهنياً ... به العيد إذ فيه السيادة والنُبْلُ
بلىٰ بل أهني العصر إذ هو بمثله ... يتيه فقد عزّ النظير له قبلُ
وهيهات أن يأتي الزمان بأحسنٍ ... فقد حاز هذا الفذّ ما حازه الكلُ
وعمّا قريبٍ يجمع الله شملنا ... فبالصبر أعقادُ الشدائد تَنحّلُ
وما جاء عذراً عن بُعادك لم أقل ... بلا سبب قد كان لي منكمُ وَصْلُ
ولا أشتكي منك البعاد ودارك الـ ... ـفؤاد ولو فارقته كنت لا أسْلُو

ورأى في منامه قبل موته أنه لقي موسى عليه السلام وعَبَّره في ذخيرة ابن سيرين بقرب الفرج، وراجع كتاب إحياء علوم الدين وأرخ تمامه لمطالعته فقال:

أَلاَ حبَّذا حسن الختام الذي أتَى ... لإحيا علوم الدين عند تمامِه
لقد تم في شعبان شهر محمَّدٍ ... وخاتم رُسل الله حسن ختامِه
ومذ فاح في الأرجاء مسك ختامِه ... فأرختـه: طيبي بمسك ختامِه

وفي ليلةٍ ثالث وفاته أطلق الأمير إبراهيم بن محمد أخاه يحيى بن محمد ليلة الإثنين ثاني عشر شعبان.

[أولاد محمد بن المنصور الحسين]

وفيها: أولاد محمد بن المنصور بالله الحسين علي وعبد الله وقاسم ثلاثتهم في

---

(١) نشر العَرف (٢/ ٢٣٧)، ملحق البدر الطالع (٧٧)، هجر العلم (٤/ ١٨٨٧).

الفعل يحذره، فلما وصل الكتاب إلى الفعل قرأه فتنكَّب عن مكة تلك الليلة وسأل عنه متولي مكة فلما فقده علم أن له شأناً وكان قد بلغه أن رسوله جاء إليه بكتاب من صنعاء فسأل الرسول فقال: نعم جئت بكتاب من أحمد قاطن، فكتب الشريف إلى الإمام أنه وصل كتاب من أحمد قاطن أخرج الفعل من مكة وكنا قد عزمنا علىٰ التغاضي. فأوجب ذلك حبس القاضي، ولست أدري أصحيح هذا أم لا ولكنه قرّب صحته بحديث رجل لا يعرف من بصنعاء وحدّث بهذه الماجرية من لم يسأله عن القضية فأثبتهُ هنا. وقد أنكر صحته من له إلمام وإطلاع، وذكر القاضي في كتابه التحفة أن حبسه كان لإفشاء سر من أسرار الصوفية ألقاه عليه شيخه هاشم بن يحيى، والله أعلم أي الأسباب أوجب ذلك، وفيما قدمته أولاً كفاية لطالب الصحة. ومات الإمام المهدي رحمه الله تعالى وهو معتقل بمكان ببستان المتوكل، وأمضى ذلك الحبس ولده الإمام المنصور بالله حتى كان عام ست وتسعين وأطلقه، وكان الساعي في إطلاقه العلامة لطف الباري بن أحمد الورد خطيب الإمام.

وحدّثني أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق عن والده عن القاضي رحمه الله تعالى أنه اجتمع بالسيد يوسف بن الحسين زبارة بموقف شيخه أحمد بن عبد الرحمٰن الشامي، قال: وكان يوسف بن الحسين من أهل الطريقة وأنه جمعهم للذكر فحلَّقوا فرأوا شجرة من فضة قد نبتت عليهم وأظلتهم فتحيّروا مِن الذِكر، فأطفأ يوسف بن حسين المصباح فأنكروا عليه ثم أسرجوا مصباحهم فلم يروا شيئاً. وهذا سند صحيح إن لم يكن ذلك من أعمال علم الذكر ومثل هذا قد قدمنا في ترجمة يعقوب بن يوسف بن المتوكل علىٰ الله إسماعيل عام تسعين.

وكان القاضي رحمه الله تعالى ورعاً زاهداً محافظاً على الاقتداء برسول الله ﷺ وكان مسماعاً لمن رآه صالحاً لا يتحوّل عن إمضاء ما حدّثه به، ولقد عجب منه الناس في شأن رجل من الباطنية كان يظهر له الصلاح فغرّه ذلك منه فكان يزكيه ويجله، وكان كثير المكاتبة إلى أدباء عصره الحاضر منهم والنائي. وأكثر من الشعر ولم أستحسن إيراد شيء من شعره لما رأيت مقداره يجل عن ذلك. وخلّف أولاداً صالحين قفوا أثره في الزهد والعلم والورع، ولوجاهته وإقبال الدنيا عليه لم يجمع ما يقوم بأَوَدِ أهله وأولاده غير أنه وكّلهم إلى الله سبحانه فكفاهم. وقد أوردنا ما كتبه إلى علي بن قاسم حنش لمّا خرج من السجن وما أجاب عليه علي بن قاسم عند ترجمتنا له عام ست عشرة ومائتين وألف.

[محسن بن أحمد العنسي]

وفيها: القاضي محسن بن أحمد العنسي يوم الجمعة سادس وعشرين رجب. وُلّي القضاء بصنعاء نحواً من ثمان وعشرين سنة.

محسن بن أحمد الشايف مرة إلى المحاريق فدخلها وأخرج أهلها. وكان في ألف من غوغا برط، ولم يزل الخوف منه قائماً، والإمام لم يتحرك لصغير ولا لكبير، وكانت قبائل برط ترسل العيون إلى الطرق فيتلقفون المسافرين ويأخذون منهم الجباية على تأمينهم إلى باب صنعاء.

[خروج السلطان قحطان]

وفيها: كانت فتنة بين السلطان قَحْطَان كبير يافع وبين جُند الدولة بـ (قَعْطِبَة) بعد أن سار من بلاده حتى بلغ باب قَعْطبه فخرج مَن بها وتلاحَمُوا فكانت بينهم قتلَى كثيرة.

[من أخبار القاضي البرطي في بلاد الشِعِّر]

وفيها: ما زال الشقي حسين بن حسن البرطي يتربص بالرعايا الدوائر بجبل الشِّعر[1]، وكان جريئاً منزوعة عن قلبه الرحمة، قَتَل صبراً وسَمَلَ الأعين، وقد وعدنا في آخر عام سنة تسع وتسعين بشرح حال خروج القاضي بمن معه فإنه ـ لا أقاله الله ـ توجه بمن معه من المفسدين واستقر بـ (فجرة قيضان) ووجه الكثير من أصحابه غُزاة إلى قفر يريم فالتفت جماعات من بني سيف الأسفل إلى بيت الشيخ أحمد المرادي، وكان وما حوله حصيناً ـ فقصدتهم تلك الطائفة المفسدة فانفتح الحرب واشتد مع كثرة البغاة وقلة الرماة من الرعيّة، فاشتد الحصار عليهم وقُتِل من الرجال والنساء ببيت المرادي عدة، وقُتِل من البغاة خمسة نفر ثم قام النصر لضعف الرعية فهزموا الجُند الباغي على كثرته وعادوا محط رحل القاضي بعد أن عاثوا في بني مُرغم وبني سرحه[2] مع انكسارهم وتفرق الرِعية من أهل القفر، وتعلقوا بالجبال وتحولوا عن رحاب ولم يبق به سوى اليسير، وحَفِظَت الرُتَب حصن رحاب. وخرج الماجد يحيى بن محس حنش عن مدينة يريم في جيش يسير واستخلف عليها أخاه محسن وبقي أكثر الجند بها خوفاً من الخديعة، ونزل ليلته بوادي شيعان[3] بدور بني العكيفي.

فامسى ليلته وسار صبيحتها فدخل رحاب وأرسل جماعة من العسكر إلى اليمن الأسفل، وتَطلّب الرعايا وأعادهم إلى بيوتهم وقوّى بيوت أحمد المرادي وأملاه شَحنه فتسامع الناس بنزوله إلى رحاب فعادوا واستقروا فلم يأت عليهم نصف شهر حتى سمعوا بالصارخ نصف الليل: ألا أن القوم الذين بالفجرة قد قصدوا دياركم فاحذروهم، ثم لم

---

(١) **جبل الشعر**: منطقة من بني سبأ بمديرية القفر محافظة إب.

(٢) **بني سرحة**: مركز إداري من مديرية المخادر. **وبني مُرْغم**: مركز إداري من مديرية القَفْر.

(٣) **وادي شيعان**: وادٍ في منطقة بني سبأ بمديرية القَفْر.

شهر واحد[1]. فتشاءم وآله بالدار التي كان بها التي على حارة الحدادين وأقسم بالله لا يسكنها بعد، وخرج عنها وحَطّ رحله بالروضة البهيّة. وكان يدخل عند الإمام المنصور فيقعد عنده أياماً لا يدخل إلى داره ثم يعود إلى الروضة.

[زينب بنت المنصور]

وفيها: الشريفة زينب بنت المنصور بالله الحسين، يوم الربوع عشرين شهر رمضان.

[طالب بن المنصور]

وفيها: طالب بن المنصور، يوم الأحد عيد الفطر، وكان كريم الأخلاق يصوغ من الشعر الحُميني الملحون ما يُنْشي بابنة الزرجون، ولما جاد في الشعر عجب الناس منه وقال أخوه المهدي العباس وقد سمع ذلك منه: سبحان من يخرج الحي من الميت.

[علي بن حسين الحيمي]

وفيها: علي بن حسن أحمد الحيمي، يوم الأربعاء خامس عشر من شعبان.

وَدَخَلَت سَنَةُ مَائتَيْن وَأَلْف

وفيها: عقد الإمام بولايات لجماعات وخلع آخرين، فعقد ببلاد حجّة والظفير لإبراهيم بن حسن بن عبد الله الكبسي في شهر صفر.

وفيها: عقد للسيد لطف الله بن إسماعيل فايع ببلاد المخادر شهر جمادى.

وفيها: عَقَد للحسين بن أحمد الأموي ببيت الفقيه بن العُجيل، شهر جمادى الآخرة.

وفيها: عقد ببلاد وصاب الأسفل لمحمد بن يحيـى العفاري غرّة شهر رمضان.

وفيها: عقد بـ (عُتُمه) لأحمد بن علي الشامي الهاشمي.

وفيها: خلع عن يريم الماجد يحيـى بن محسن حَنَش شهر رجب.

[دخـول الشايـف]

وفيها: ما زال قطر اليمن يشتعل بالفتَن غوره ونجده، وسارت من باب صنعاء طاغية ذو محمد، وخَلَفَهم في اليوم العشرين من محرم قبائل ذو حسين عليهم الشَوَف فحاصروا باب صنعاء، وكان محط رحلهم ببيت الخولاني فانتهبوا وقطعوا السبل، وما زالت تتردد الطائفة الحسينيّة حول صنعاء فتارةً بالصافية وتارة بجبل نُقُم وزحف بهم

---

(١) أي أن وفاتهم كانت في شهرٍ واحد.

القاضي يوم عيد الفطر. فتسبب عن ذلك شر كبير كما سنشير إليه في عام إحدى ومائتين وألف.

[آيـــات بـاهـــرة]

وفيها: حصل القِرَان بين زحل والزهرة ببرج الحمل وقلّت الأمطار، **وفي** ليلة الجمعة في أيام الصيف حصل مطر عظيم بـ (سعوان) فسالت عنه سيول بلغت الخارد، وتهوّن الشر قليلاً وأخبَر جماعات من أهل الوبَر بظهور آثار رحمة الله تعالى.

وفي أول شهر رجب خرّ نجم عظيم سمع له دَوِي، وأشرق له نور كنور الشمس ولم يأت أحد إلا حدّث عنهُ، فتتابع بَعد مطر الصيف وخَلَفَهُ مطر بأول الخريف فأعشبت الأرض وازدادت بهجة.

[أول نهوض الإمام بأهله إلى الروضه]

وفيها: سار الإمام عن صنعاء وشدّ أثقاله وخرج بأهله وأولاده يوم ثاني وعشرين من شهر شوال واستقر بالروضة البهيّة وما كان له من قبل هذا العام عهد بالخروج إليها بأهله إلا إذا خرج يوماً وعاد في آخره، فأقام بدار اليسر اسبوعاً ثم راح عنها إلى دار جعفر فأصلح منها وتفقدها وأصلح حمّامها وبقي بها أربعة عشر يوماً.

وكان يتمشّى بأصحابه بعد صلاة الفجر فيدور بأزقتها ويخرج براريها ويرجع متنزهه غراس قاسم، وسار يوماً من الأيام إلى عرَّة بلاد همدان وطلع جبلاً هنالك به عين ماء فوقف عندها حيناً، وعاد ليومه وسار عنها يوماً فبلغ وادي ظهر وعاد واستدعَى عمه محمداً من صنعاء وأخرجه إليها فأنزله بدار الجامع وأنزل أخاه قاسم بن المهدي بدار محمد حسين المهدي مستأجراً لها.

وزار بهذا العام قبر الملك المجاهد محمد بن الحسن بغربـي الروضة حتى كان نصف شهر القعدة وسار عنها إلى صنعاء فاحتفل بما يلزمه في الأعياد من تفريق الضحايا على المعتادينِ خلا أن الضحايا عَزّت في هذا العام فأعطَى خواصه الضحايا المعتادة وفرّق على الآخرين أثمانها.

[خـــروج بكيـــــل]

وفيها: أعرس ولده سيف الإسلام بابنة علي بن يحيى حنش إعراساً كبيراً.

وفي آخر شهر الحجة من هذا العام وصل أهل الفساد من الطغام على عادتهم في الخروج لانتهاب أهل الإسلام وأظهروا الطاعة وعدم المباينة للإمام ثم نجم الشر من بعض أصحاب الشايف فطلعوا إلى سَعوان وقتلوا ثلاثة وجدوهم بالطريق وكان عقالهم بصنعاء فحبسهم الإمام.

يشعروا إلا بوصول طلائعهم إلى وادي زراه[1] ليلاً، فتلقّاهم بنو المرادي فلاحت لهم منهم غرة فأثخنوهم بالرمي وقتلوا منهم جماعة واحتزوا رؤوس ثلاثة منهم بعث بها يحيى بن محسن باب الإمام وبادر بإرسال جماعة من عساكره إلى جبل الزينة[2] زيادة لمن به من رعيّة بني سيف وبعث جماعة إلى خَوْدَان[3] فتحوّلت البغاة وتنحت إلى جهة المسيل وقصَدوا حصناً للمجانح في قفر بني عمرٍ من بلاد يريم، وقد انحصر الرعية بمواشيهم فكان به حرب من أهله استدام يوماً كاملاً وخرج شيخ المجانح في جماعة من أصحابه فلاقوا جماعةً من عقال ذو حسين أصحاب القاضي فدار الكلام بينهم على أن يسلم لهم الرعية بعض الماشية التي بالحصن وعلى تسليم مال للبغاة ويدعوا الحرب بينهم، ثم اشترطوا بعد هذا بقاء شيخ المجانح لديهم رهينة، فقال من بالحصن ولنا شرط؟ قالوا فما تريدون؟ قالوا تحوّلكم عن محلنا، فاسْعَفُوا لذلك وساروا بشيخ المحل، ففَرّ من بالحصن بما يحويه من المتاع والماشية وخرجوا ليلاً ونَحَوْا ديار وصاب، فبلغ المفسدة تَحُوّل الرعية فتحرّسوا وأرادوا قتل الشيخ ثم ساروا به وقصدوا جبل خودان وجبل الزينة فالتقتهم العساكر وبعض الرعية فانكسروا ورجعوا من وادي خُوَار وقصدوا سوق رحاب وبه العامل فقامت الحرب بينهم من شروق الشمس إلى الظهر فانهزموا وشرد الشيخ المضبوط، ثم استدعى العامل جماعةً تنضم إلى من معه من الرعية، وخرج فهزم جيش المفسدة إلى أطراف بني سرحة بعد أن حصل قَتْل فيهم ثم عادوا إلى محط رحل القاضي واستقروا. وبعث الإمام القاضي أحمد بن محمد الحرازي في شهر ربيع لصلحه وصلح أخيه المخذول عبد الله. وكان إذ ذاك بالشّعِر جامعاً لكثير من القبائل المفسدين خولان والحَدا وبني جَبْر فاشترط مالاً واسعاً فأسعفه الإمام على شرط الذهاب والمسير بمن أجلب به، فارتفع ولله الأمر.

[اشتداد البَرْد هذا العام]

ومن مظاهر القابض تعالى إشتداد البرد وتأثيره فيما لم يؤثر فيه في العادة حتى أتى على أكثر الأشجار فأماته وكان يظهر له بالبساتين أثر كأثر الحريق، وما زالت الأقوات تقِل وتَتَغَالىَ سعرها حتى بلغ القدح الحنطة قرشين حجراً والذره قرش ونصف وثمر غير موجود لطالبه.

[فتنه في بني الذوَّاد]

وفيها: قتل رتبة بني الذَّوَّاد رجلاً من رعية إبراهيم بن محمد بن حسين يُقال له

---

(١) **زارة**: وادٍ في بني سيف السافل من بلاد القفر، فيه حمّام طبيعي، وهو قريب من بني مفتاح.

(٢) **الزِينة**: حصن لبني سيف السافل ببلاد القَفْر.

(٣) **خَوْدان**: جبل في علو يحصب من أعمال مديرية يريم، متفرع من الجبل المعروف باسم سِحَمّر.

[ظهور زلزال باليمن]

وفيها: أوفى التي بعدها حصل من مظاهر شديد الانتقام زلزال في جميع التهائم واستدامت بأبـي عريش وبلادها وبيت الفقيه وبلادها وزبيد، وترددت في يوم خمس مرات. وأخبرني بعض الجرابح انها اضطربت الأشجار بأرضهم والتطمت أغصانها بالأرض فسبحان المستَعْتِب عباده القادر على كل شيء.

[انتهاب قبيلة حَرْب للمصريين]

وفيها: توجَّهت المحامل من مكة المشرفة نحو المدينة المنورة فكمنت الحراميه من بُدوان (حَرْب) للانتهاب بالطريق فوافاهم محمل أهل مصر، وكانت قلوبهم تغلي من باشتهم[(١)] إذ كان قد أتى بسبعةٍ منهم عند وروده مكة فعزرهم ومثّل بهم، وكانت جماعتهم قد كمنت ثلاثة مكامن، فَبدّد وأَجمَع المصاريه وانتهبوا أثقالهم وأتوا على أموالهم وقتلوا الأجزل من أهل المحمل حتى قال بعض الناس لم يرجع منهم سوى أربعين نفراً، ورخص المتاع بمكة وما حولها من البدوان وسيأتي في العام الذي بعد هذا مسير الشريف سرور للانتصاف من أهل حرب.

[زينب بنت المتوكل]

وفيها: زينب بنت المتوكل على الله القاسم بن حسين[(٢)] آخر شهر محرم، وهي آخر بناته موتاً. تزوجها أولاً عبد الله بن يحيـى[(٣)] ومات عنها فجأةً عام ستين بعد المائة والألف وورثته وكان ليلة موته مضاجعاً لها في فراشها فأصبحت تدعوه فإذا هو ميت إلى جانبها، ثم تزوجها يحيى بن محمد بن عبد الله قاضي القضاة[(٤)] وغلبت عليه وملكت أمره. وكانت ذات كمال وجمال في النساء ولها ولع بالخير ومراعاة للناس. وكان المنصور بالله علي بن المهدي يقصدها وينزل عليها وكانت تحتفل بمن ورد عليها من آل الإمام تهذب الصغير وترحم الكبير وتعاشر الصديق فصحبها يحيـى بن محمد نحواً من أربعين سنة وولدت له ولداً ذكراً ولما ماتت حزنها زوجها حزناً شديداً وما زال يجمع الناس للدرس عليها ببيته في كل صباح أياماً، وتنكّد عيشه بعدها. وقد أتينا على شيء من أخبارها بترجمة يحيـى بن محمد عام موته [سنة ١٢٠١هـ].

---

(١) الباشا.

(٢) نشر العرف (١/ ٧٠٧).

(٣) عبد الله بن يحيى بن الحسين ابن الإمام القاسم بن محمد الحسني الصنعاني ـ نشر العرف ٢/ ١٤٩.

(٤) السيد العلامة قاضي القضاة يحيى بن محمد بن عبد الله بن الحسين بن الإمام القاسم نيل الوطر ٢/ ٤٠٠.

[زوجـــة المنصـــور]

وفيها: زوجة المنصور بالله علي بن العباس ابنة عبد الله بن حسن الأكوع يوم النصف من شهر، رجب فحزنها وصلى عليها إلى جانب جده المتوكل على الله القاسم بن حسين، وجمع الناس للدرس عليها بالجامع الكبير ثلاثة أيام واستأجر للتلاوة عليها خمسمائة نفر.

[القاضي علي المغربي]

وفيها: صباح السبت يوم عشرين من شعبان علي بن إسماعيل المغربي[1] أحد الأعلام الفقهاء الزهاد، أخذ في الآلات واسمع علىٰ أحمد بن صالح بن أبي الرجال وعن أحمد بن حسين الهبل وتخرج بعدة من الأعلام في فقه الزيدية، زُهِد في القضاء وقد أُريد عليه ولمّا مات إسماعيل بن حسن النهمي الوزير أسنَد وصيته إليه فحدّثني الثقة عنه أنه قال: رأيت في الليلة التي أسند إسماعيل حسن النهمي وصيته إليَّ كأني دخلت محلاً كثير القاذورات فشمرت ثيابي وخرجت من جهته الأخرى لم يصبني من ذلك شيء، فلما جاءته الوصية عَبّر الرؤيا بها واجتهد في التحلل عن أخذ شيء منها حتى لقد حدثني الثقة أنها عرضت عليه المخلّفات وقُرِّب بين يديه شيء من الحلويات قال فوالله ما رأيته تناول منها شيئا إلا ما كان مما خفي أصله فإنه ذاقه بحرف لسانه وبَزَقَهُ وكان من الورثة من لم يبلغ الحُلُم كرفيقنا علي بن إسماعيل النهمي فجدّ في نموّ ماله واجتهد وقاسى المشاق حتى زاد وزكّيٰ فلما بلغ الحُلُم أعطاه قواعد أمواله وخرّجه فتهذّب وحبّب إليه المعارف العلمية ورغبه إليها فمال طبعه إليها ونال من العلم حظاً وافراً.

وكان المترجَم له يتحبّب إلى الناس يَحنُو على الكبير ويرحم الصغير، لا يمرّ بصبي إلا حدّثه وسأله عن حاله وما يصنع. وكان له صبر على مجالسة الفقراء واحتمال، يدعوهم إليه ويطعمهم من زاده ويَرغَبُ في محادثتهم وتهوين أمر الدنيا عليهم.

[علـــي مرغـــم]

وفيها: علي بن حسن مرغم الهاشمي التاجر المتصوف القارىء[2]، أوائل شهر رمضان. كان له مشاركة في السنة ومحافظة على الأذكار وجَلَد على الطاعة ومصابرة النفس، وله إلْفَةٌ للمقابر ويتروّح بذكر من دَوَّنت أخبارَه الدفاتر، عالماً بالعروض آية فيه وحساب النجوم، وله معرفة بالكرة والحساب ودعسَة النيْل، وكان مطرحاً للأعراف

---

(١) أنظر: نشر العرف ٢/ ١٧٦.

(٢) نشر العرف (٢/ ١٨٥).

محبباً إلى كثير من الناس توجَّه للتجارة فعاد بصفقة خاسرة ولزمته الديون فاستسلم للقضاء وورد على بعض أهل الثروة من المتمولين فرأى عنده كيساً من الدنانير فما زال يتأملها فقال المتمول: ما تتأمل؟ قال: انظر في هذه الصور وشناعتها وقول النبي ﷺ «المصَوّرون في النار» وعاد عليه بالموعظة والتحذير وأورد حديث أبي داود أن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه صورة ولا كلب وبها جنب وقال: أترضى أن يمتلىء بيتك شياطين؟ وما زال به حتى أسعفه إلى أن يخرجها ليستبدل بها شيئاً من عروض التجارة فما مضت ثلاث ليالٍ حتى فشا في الناس أنه قد مسّه الإفلاس فلقيه فقال أين المال فقال دخل في حيز الزوال فقال بذلك ملأت لي البيت ملائكةً. وكان له ولع بالحج وقعد في بعض السنين عن الحج ليري الوزير الحسن بن علي حنش خيط المسايرة وهو من معارف أهل الفلك والأزياج، ووعده في يوم معلوم من شهر ذي الحجة فلما جاء ذلك نشرت السماء سحابة وأطبقت أربعة أيام ففاته الحج ولم يقض وطراً في ذلك المنهج، وقد أتينا على ما جَرَى له عند ترجمتنا لعبد الله بن أحمد شرف الدين العوّامي عام إحدى وعشرين وسقنا شيئاً من ذِكره عند ترجمتنا الحسن بن عبد الله الظفري عام ثلاث ومائتين وألف.

وحدّثني يوسف بن إبراهيم الأمير قال: من عجائب المترجم له أنه أحرم بالحج مع والدي من جدة ثم قال قد عزمت أن لا أتكلم مع أحد في إحرامي إلا أن أجيبه بشيء من كتاب الله عز وجل صيانةً للسان، قال فصعدنا على جمل وركبنا في الشقدوف فلم أشعر إلا وقد قال: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾[1] قال فأعطاه والدي طعاماً قال: ثم قعد قليلاً وأراد النزول إلى البراز فقال: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾[2]. فقام إبراهيم الأمير على سنام الجمل لئلا يعدل به فعاد فلما استقر مال به الشقدوف فضرب الشقدُف وقال لسايسه: ﴿فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾[3] قال فأصلح من شأنه قال: ثم رقد إبراهيم ساعةً ولم يستيقض إلا والمترجَم له يقول للجَمّال يا يهودي يا نصراني قد كلمتك المرّة بعد المرّة ولم تسمع ما أقول لك: فقال إبراهيم: ما لك وله؟ فقال: الجمال هذا يكلمني بشيء لا أدري ايش يريد، فقال: أُرِيد أن يساوي الشدّة لأنها قد تغيّرت. فقال: قد آليت على نفسك أنك لا تتكلم إلا بالقرآن قال: مالقيت مساواة الشدّة في القرآن فقال له إبراهيم: فكيف احرامُك هذا وأنت تقول لرجل مسلم يا يهودي، إن هذا لَعَجَبٌ، فعاد على نفسه وبكى.

وحدّثني أيضاً يوسف بن إبراهيم عنه أنه كان لا يسمع بشيء مما هو مستحيل في

---

(١) سورة الكهف، الآية (٦٢).

(٢) سورة الصافات، الآية (٩٩).

(٣) سورة النساء، الآية (١٢٩).

العادة إلا قال: هذا ممكن وأنه قال: الطيران للإنسان ممكن، فقالوا كيف يعمل؟ قال: يعمل أجنحة من تصلوب الكتب ويشدها بظهره ثم يصعد على كثيب ويعاني الطيران فإن ارتفع في الهواء وسقط، سقط على رمل حتى يدرك.

وحدّثني شيخنا عبد الله بن محمد الأمير قال: رأيته وقد جاء إلى والدي ومعه تخته من صَرف وقد فعل لقوائمها أربع عجيل. فقال له والدي ما هذا؟ قال عملت ما إذا ركبت عليه سار بي، فرأى والده البدر ذلك مستحيلاً. ثم قال له كيف تصنع؟ فصعد على تلك التختة وسيّرها فلم تَسر إلا قليلاً ولكن سيراً إلى الوراء فضحك منه.

ولما أكثر معاودة البيت الحرام ورأى أهله يقرأون القرآن على الأداء المعروف حَملتهُ نفسه أن يقعد للسماع على الشيخ إبراهيم الرشيدي فما زال لثقل لسانه يعاني الفاتحة أياماً حتى أدرك بعضها وكان الشيخ إبراهيم يستمعه فإذا وصل إلى ﴿إهدنا الصراط المستقيم﴾ تردد في تفخيم الراء والطاء ويقول الصراط المُسْ طَلْمُسْ طَلْمُسْ فلما ظهرت عليه الديون قال إبراهيم الرشيدي: ما زال يقرأ عليَّ طلمس حتى طلمسَهُ الله.

[شرف الدين بن يحيى]

وفيها: شرف الدين بن يحيى بن علي بن شمس الدين الهاشمي يوم السبت ثالث من شوال.

[تقوى بنت المنصور]

وفيها: سادس وعشرين القعدة تقوى بنت المنصور حسين.

[عبد الوهاب بن محمد سِدَاد]

وفيها: الفقيه المتطبِّب الأديب عبد الوهاب بن محمد سِدَاد الصنعاني(١) أوحد أهل زمانه لُطفاً ومطارحةً للأحاديث المُرَوِّجه مع رصانة وأمانة، حضر درس البدر المنير محمد بن إسماعيل الأمير وكاتبه وكاتب يحيى الحسن بن إسحاق وإسماعيل بن عبد الله بن لطف الباري الكبسي وعبد الرحمٰن بن علي بن إسحاق ومحسن بن أحمد بن عبد القادر صاحب كوكبان وأخاه المجتهد عبد القادر بن أحمد وغيرهم من أدباء صنعاء وكوكبان، وامتدح بشعره أحمد بن محمد بن حسين وإبراهيم بن محمد بن حسين وقصدهما إلى كوكبان فمن شعره إلى البدر الأمير:

ما للهوى صار دون الناس بي لهجاً   أروم صبراً فينشي في الحشا وهَجَا

(١) نشر العرف (٢/ ١٥١)، ملحق البدر الطالع (١٤٣).

لله قلبـــي مـــا أقـــوى تجلـــدِهِ ومـــا يَجـــنُّ ومـــا ألفيتـــة حَـــرَجَـــا
يلقـى الحـوادث لا يَعبـا بمـا صنَعَـت إلا النّـوى فهـو منـه يطلـب الفـرجَـا

من قصيدة طويلة، وأجابه البدر فيها. ومن شعره مجيباً علىٰ إسماعيل بن عبد الله لطف الباري:

أهـــــلاً ببـــــدر قَمَـــــرا قلبـــــي وعقلـــــي سَحَـــــرا
وافـــــا بـــــلا وعـــــدٍ إلـــــى ســـــوح المعنـــــا سَحَـــــرا
فمـــــا تـــــركـــــت ممكّنـــــاً إلا فعلـــــــــت مكثـــــــــرا
ضممتُـــــــه معـــــــانقـــــــاً أرشـــــــف منـــــــه كَـــــــوْثَـــــــرا
معـــــاتبـــــاً علـــــى القِـــــلاَ وشـــــاكيـــــاً لِمَـــــا جَـــــرىٰ

وله إليه أيضاً وقد استعار منه كتاباً فقال:

إليـك ابـن عبـد الله قـد جنـح الشِعْـرُ وفيـك ومنـك النظـم يحسـن والنثـرُ
وقفـت علـى مجمـوع شعـرٍ جمعتـه بكفـك يـا مـن دونـه البـر والبحـرُ
فقلـت لقلبـي أيهـا القلـب كيـف لا تصفـق ساهٍ أنـت يـا قلـب أم صَخـرُ
فـأعـرض عنـي سـاعـةً ثـم قـال لا ولكننـي مـن قبـل ذا غـالنـي سُكْـرُ

وكان كثيراً ما ينزل إلى (لاعه) بلاد كوكبان فيتشوّق منها إلى صنعاء فيكاتب أدباها. وكانت له يد في الطب قوية، وفي شعره شيء من اللحن إن تتبعه الناظر.

[حاكم القرية محمد بن شمس الدين]

وفيها: محمد بن شمس الدين أبو طالب وكان حاكماً بقرية القابل، يوم الأربعاء ثامن عشر ذي الحجة.

[عبد الكريم بن المنصور]

وفيها: عبد الكريم بن المنصور الحسين الخامس والعشرين من ذي الحجة.

وَدَخَلَتْ سَنَةُ إحْدَى وَمائتَيْن وَألْف

فيها: عقد الإمام بولايات لجماعات وخلع آخرين، فعقد للأمير ناصر يحيى المجزبي ببلاد عتمة شهر جمادي.

وفيها: عقد لإبراهيم بن علي الجرافي بوصاب الأعلا في شهر شعبان.

وفيها: عقد ببلاد آنِس لمحمد بن حسين حيدرة الهاشمي، في شهر القعدة.

وفيها: عقد ببلاد حراز لعلي بن صالح العماري في شهر شوال.

وفيها: عقد ببلاد يريم لصالح بن علي الحمدي في شهر القعدة.

وفيها: خلع عن بلاد المخادر لطف الله بن إسماعيل فايع في شهر ربيع. وخلع محمد بن يحيى العفاري عن وصاب الأسفل في شهر محرم.

وفيها: خلع عن بلاد حجة والظفير إبراهيم بن حسن الكبسي الهاشمي في شهر جمادى الآخرة.

وفيها: خلع عن بلاد جبلة واب محمد ذو الفقار شهر رمضان.

وفيها: عقد للحسين بن أحمد الأموي ببيت الفقيه واستطالت به المدة إلى سنة احدى عشرة ومائتين وألف.

وفيها: عقد ببلاد رَيْمه لإسماعيل بن يحيى الغشم في شهر شعبان.

وفي ليلة النصف من ربيع الأول خسف القمر وصارت مستغرقة حتى اسود جرمها ثم أحمرّت.

[إعراس الإمام بأبنة زبيبه]

وفي شهر بيع أعلن الإمام بأعراس، فبنَى بأبنة علي بن أحمد زَبيبه الهاشمي واستدعى الجند وأعيان أهل صنعاء فحضروا سماطة، وقعدَ اليوم الأول ببيت أخيه قاسم إلى نصف الليل وخرج في زي عظيم وأوقد من الشموع والمشاعيل بين يديه شيء كثير ونصَب خياماً للخدم وأهل النوبة.

وما زال الخيام مضروبة أربعين يوماً ثم عزّز بإعراس آخر وبنى بأبنة الشيخ محسن بن راجح الخولاني بـ (بير العزَب) ولم يشعرهُ كالأشعار الأول واستدعى به أعيان حاشد وبكيل.

[اعراس سيف الإسلام]

وفيها: اعرس ولده سيف الإسلام وبنَى بأبنة محمد بن حسن الأهجري الهاشمي ولم يشعر بالإعراس.

[حادثة في بلاد كوكبان]

وفيها: بعث إبراهيم بن محمد بن حسين جماعةً من رعيته أهل كوكبان إلى بني الذواد قطعة آل ناشر فقبضوها وقبضوا متوليها الحَبَشي مولى ناصر بن صالح بن ناشر وفَرّ من أيديهم وقبضوا سبعة أنفار من رتبتها وراحوا بهم إلى كوكبان فأودعهم السجن. وكان السبب قتل أهل القطعة لرجل يقال له القانصي من رعية إبراهيم بن محمد كما

قَدّمنا الإشارة إليه فاستدعى ابن ناشر قبائل همدان فتنكبوا عنه خوفاً من ضبطهم بسوق شبام كوكبان، فسار إلى حاشد فجمع نحو ألفين وتقدم بهم، واشتدت البقية من رتبة القطعة بالواصلين فقتلوا عشرة من أصحاب السيد إبراهيم بن محمد وتنحّوا إلى قريب حصن العروس[1].

وهاب من في كوكبان تلك الفتكة فجهز إبراهيم بن محمد ولده عباس بن إبراهيم فسار في جماعة من أرحب وسفيان وحصل بينهم حرب يوم الجمعة ونصف ربيع وقُتل إثنان من شِبَام وفرس من فرسان صاحب كوكبان وثلاثة من بني حِبش[2] من كبرائهم. ثم انكسر عباس بن إبراهيم وتلاشى[3] جمعه، وعادت قبائل حاشد تلك الليلة ونفذوا إلى صَيْح[4] فأرسل وراهم إبراهيم بن محمد ولديه عبد الله ويحيى فتبعوهم إلى الرُجُم وصولحوا على مالٍ على أن لا يتعدّوا بلادهم، وخرقوا بلاد كوكبان فمروا بـ (لاعَه) لم يواجههم إنسان ودخلوا القطعة وبها العبد مقبوض في أيدي أَرْحَب ففروا من جيش ابن ناشر فدخل القطعة وقد خُربت، ودار صُلح على هدنة سنة توسط فيه آل مضمون.

[عمارة دار الذهب]

وفيها: بعد أن شرَى شيف الإسلام بيت عصيد شرع في فتح البناء وتشييد دار الذهب، وشَرى من بستان الخرّاز نحواً من عشر لِبَن[5] ولمّا كان وقفاً زاد في الثمن.

[قيام العبّاس بن إبراهيم صاحب كوكبان بعد أبيه]

وفيها: مات متولي الديار الكوكبانية إبراهيم بن محمد بن حسين[6] كما ستأتي إلى ذلك الإشارة، وتسلّم أهل الحصن الولاية لولده عباس بن إبراهيم وكان مِن قبل هذا مُقدِماً موخِراً، في ولاية أبيه، وبعثوا إلى الإمام المنصور يخبرونه بما جرى فأسعدهم إلى ذلك وقرر العباس بن إبراهيم متولياً هنالك، وكان قد زعم أهل الحساب وطائفة من المُنجِّمه في ذلك الوقت أنه سيموت عظيم فجمع الإمام أهله إلى دار الفتوح حتى جاء الخبر بموت السيد إبراهيم بن محمد بن حسين فتحول الإمام وتنقل.

---

(١) **حصن العروس**: جبل من بني مطر بمحاذاة جبل كوكبان من جهة الجنوب.
(٢) **بني حَبِش**: بفتح الحاء وخفض الباء. جبل غربي الطويلة، وهو من أعمال الرُجم بالمحويت.
(٣) **تلاشي**: (تلاشا). ومن ذلك كثير أحجمنا عن الإشارة إليها.
(٤) **صَيْح**: وادٍ في بني سعد من بلاد حُفَاش بالمحويت، مصباته من جبل كوكبان ووادي الأهجر ثم تنتهي مسيلاته في وادي مور.
(٥) **اللِّبنة**: تعادل ٤٤ متراً مربعاً.
(٦) أنظر: نيل الوطر (١/ ٣٦)، هجر العلم (٤/ ١٨٨٦). وعن العباس: هجر العلم ٤/ ١٨٩٤.

[تسريح الإمام بنت الشيخ محسن الخولاني]

وفيها: سرّح الإمام ابنته الشيخ محسن راجح الخولاني تسريحاً جميلاً، وعزّز في هذا العام بإعراس ثالث وبنى بأبنة الشيخ محسن راجح أهل جبلة وبنَى بها بعد صلاة الجمعة وسار عن صنعاء إلى ولده سيف الإسلام بـ (بير العزب) وتعشّى وبقي إلى نصف الليل وسار إلى دار الصّافيه.

وفيها: شَرَى الإمام بيوتاً حوالي دار الفتوح وهدَمها وفسَّح الطريق المسبَّلة شرقي مسجد داود[1].

وفيها: تحوّل سيف الإسلام عن بير العَزَب وحمل أثقاله إلى دار الذهب وقد شادها وتأنق في بنائها وزخرفها.

وفيها: تربّش صرف القرش فزاد، فأذِنَ الإمام الناس وحذّرهم مخالفة القانون، جعله من مائتي حرف.

[استدعاء والي اللُحيّه عبد الله جوهر]

وفيها: استدعى الإمام والي اللُحيّه عبد الله جوهر فنكله وصادره بِعزّان وكان السبب الموجب لذلك أن ابن جزيلان قبض حصن الريغه[2] وكان مع بني قيس قديماً مما يرجع عملها إلى متولي الزيدية فخرج لمحاصرة ابن جزيلان بنفسه فأخرجه بعد مدة على وجه الصلح وتوسط في الأمر جماعة من الأشراف والقبائل فظن الإمام على التهمة به شرّاً ومع هذا فكان قد فوّت الإمام دراهم قد كانت توجهت إلى صنعاء بعث بها إلى بندر الحديدة فسكت عنه وأرسل له بَفَرَس جواد وكسوة فاخرة وأظهر له استصواب ما فعل في الريغه ثم عرفه الوزير أن الإمام قد أناط به العمل على بيت الفقيه ابن العجيل وانه بادر بوصوله لأشياء لا تُقضى إلا بالمشافهة فبادر بطلوعه وبقي خمسة عشر يوماً وأمر الإمام بحبسه وانتهابه، وقبض بيوته باللحية وأرسل القاضي أحمد بن إسماعيل من الحديدة لإحصاء ما في بيوته فحملوا جميع ما فيها إلى صنعاء وتوجه العمل في اللحية لمحمد سرور بنادق وكان بالمخا قد عقد الإمام لعلي بن يحيى فقيه بالزيدية والريغة وبنى قيس وما أليها، وسيّروا المشائخ من صنعاء صحبته فكان على الزيدية نحواً من سنتين واضطربت الأمور وسيأتي تمام الخبر عام ثلاث ومائتين وألف وما يذكر من رفع الأمير جوهر.

---

(١) **مسجد داود**: يقع في وسط صنعاء القديمة شمال الطريق النافذة من طلحة ـ مساجد صنعاء ص (٥١).

(٢) **الريغة**: من قرى بني قيس بمديرية الطّور وأعمال محافظة حجّة. تُشرف على وادي مَوْر النازل إلى بلاد الزُهرة مِن تهامة. وهي مركز قبيلة بني قيس.

وأما أنه كان السبب ما رَفع به إلى الإمام تُجّار حفاش وأهل البلاد الكوكبانية من الشكاية به مِن تضييع السُبل ونهب العدُوّ لهم وأفصحوا للإمام أنه لم يتحرك لكبير ولا صغير وسأل الإمام عن متولي الزيدية فقيل له لم يتحرك لشيء فخلعه عنها فهذا ليس بشيء.

[من مظاهر الطبيعة، وضيافة سيف الإسلام لوالده]

وفيها: كان قران بين المشتري والمريخ.

وفي آخر شعبان تحوّل الإمام عن بير العَزب وسار إلى صنعاء لجمع من يعول وصام بدار الاسعاد.

وفي ليلة النصف من شهر رمضان خسف القمر عن طلوعه

وفي شوّال استدعى سيف الإسلام والده الخليفة إلى دار الذهب فسار إليه بأهله وعمه محمد بن المنصور، فبقي لديه ثلاثة أيام وتحول إلى دار الصافية بـ (بير العزب).

ومن مظاهر الرحيم الباسط جل وعلا رخص الأسعار أول العام وتتابع الأمطار فكانت الحنطة به قدحاً وربعاً بقرش، والذرة قدح ونصف بقرش والشعير قَدَحين بقرش، وظهر نقص في الأنهار والغيول من آخر العام.

[بلهوان في صنعاء]

وفيها: ورد شاطر على الإمام يسير على الحِبال فاجتمع الناس للنظر إليه جمعاً عظيماً فنْصَب الخشب ومدّ عليها الحبال ومشى عليها بباب دار البهمة وذلك يوم الخميس سادس عشر جمادى الآخرة.

[قيام عبد الله بن المنصور بالديوان]

وفيها: أقام الإمام ولده عبد الله بن المنصور مهيمناً على الحكام في البلدان ومنفذاً لما أمْضوه، فَحَمَلَهُ على ذلك حاكم حضرته يحيى بن صالح السحولي، وأضاف الإمام إليه جماعة من الجُند وعمره يومئذ عشرون سَنَه لِمَا رأى عليه مخايل النجابة.

[سير الشريف سرورَ إلى بلاد حَرْب]

وفيها: سار الشريف سرور بن مساعد عن مكة بجيشٍ جرّار وقصد بلاد حَرب بين الموسمين وصاوَل أهلها بكُرَاع العميم وسار إلى غدير خم فناجز أهلها وقصد جبال الرّس وما زال في جهاد ستة أشهر حتى انتقم منهم، وكان جملة القتلىٰ في سفرته هذه ألف رجل والأسرى خمسمائة بعثهم إلى جده وبذلك توطت له المملكة وزادت هيبته وحمده الخاص والعام وعاد منصوراً.

[سقوط كوكب علىٰ جبل بالطائف]

وفيها: انقضّ كوكب عظيم عند صلاة الفجر فشهده من حول الكعبة كالبدر سارياً وسمعوا وجبة عظيمة في صلاة الظهر، وجاء الخبر إلى مكة بأنه وقع ذلك **على** جبل من جبال الطائف فصدع حجارته.

وفيها: عَوّل محمد بن أحمد الجوهري علىٰ إبراهيم بن محمد الأمير أن يشرح ما جمعه من الأربعين الحديث، فوضع لها شرحاً بديعاً في هذا العام وبعث به إلى الديار اليمنية، وقد نقلنا عن إبراهيم بن محمد في ترجمته الآتية كلاماً في: من حفظ على أمتي أربعين حديثاً، ورأيته ترجم لصاحبها فقال:

هو المجيد المبجل الأخ في الله عز وجل أبو محمد، محمد بن أحمد بن حسن بن عبد الكريم بن حسن بن محمد بن يوسف بن كريم الدين المعروف بالجوهري[(١)] مولده بمصر المحروسة بقرب القاهرة في شهر ذي الحجة الحرام عام وأربعين تقريباً[(٢)] ونشأ بها وطلب بها العلم، أخبرني أنه أخذ عن والده في الفقه والحديث وعلم الكلام والتصوف وعن الشيخ أحمد الملوي في النحو والمنطق والكلام والفقه وعن الشيخ محمد الحفناوي في الفرائض والحساب والفقه والحديث وعن الشيخ خليل المغربي في البيان وعن السيد محمد البليدي في المنطق والتفسير والوضع، ولم يزل بالديار المصرية يأخذ من الأعيان ويشار إليه بالبنان في البيان والتبيان ثم قال: من شِعْر صاحب مؤلف الأربعين صاحب الترجَمة حفظه الله تعالى:

أخـي مـن الـدنيـا حـذاراً فـإنهـا ... خليقـة عـذرٍ للـرجـال مَصَـارع
ومـا هـي إلا مـن خـزف لـو علمتـه ... ومـا هـي إلا لـو دريـت بـلا قـعُ

وله في المعنى:

هـي الـدنيـا وإن عـذبـت مـريـره ... ومـا فيهـا بهـا عيـنٌ قـريـره
فمـل عنهـا وجـانـب كـل خيـل ... وحـاذر أهـل ودك والعشيـره
ولا تطمـع بخـلٍ فـي زمـانٍ ... تعـدّىٰ السـوء فيـه إلـى السـريـره

وله في المعنى والتحذير من كذا المعنى:

لا تـأمـن الـدنيـا وكـن حـذراً لهـا ... ودع الغـرور بفصلهـا وبـوصلهـا
إن أقبلـت ولّـت وإن هـي أضحكـت ... أبكـت فـأيـاك الـركـون لظلهـا

---

(١) معجم المؤلفين (٨/ ٢٥٠)، الأعلام (٦/ ٢٤١).

(٢) هكذا بالأصل. وتشير مصادر ترجمته إلى أن تاريخ مولده في عام (١١٥١هـ).

خَـوّانــة مــا إن تبسَّـمَ ثغـرُهَــا إلا وفيــه خـديعــة لــم تخلهــا
فـارحـل فـديتـك وانثنـي عـن ظلهـا متجنبــاً لفضــولهــا ولفضلهــا
فـالفضـل عقـل والفضـول أمـانــة والـوصـل فصـل والـوصـول بفصلهـا
وإذا اعتـرفـت عـرفـت أنـي نـاصـحٌ وإذا اعتـرفـت فـلا تمـل عـن ملهـا

وله فيه، والله يبقيه ويقيه ويكافيه:

تسـل عــن الهمـوم ولا تبـالـي ودع الــوبــال لــذي الــوبــال
كــلاب حـــول رمتهــم تجـاروا خـذوهـا فـالمصيـر إلـى الـزوال

وله، لا زال في وله:

أمــوت بحســرتــي ان لا أرانــي علــى سنــن الهـدى يـومـاً أقيـم
كـأنـي قـد خلقـت لـذي الخطـايـا معيــن فــي مفــاوزهــا أهيــم

وقال، أقاله الله من كل حسود وقال:

لا يعــرف الــداء إلا مــن يخـامـره ليـس الطبيـب كمـن يشكـوك بلـواهُ
إن الــذنــوب لبـاس الـذل والأسفـا ســربلتــــه وفــــؤادي داء أوَّاهُ

وله متوسلاً، حفظ الله ذاته الشريفة وكلا:

يـــا رب مـــا لــي مـــا يقـارب ذرة فــامنــن بغفــرانٍ وجــودٍ يسعــف
يــا رب إنــي قــد أضعــت شبيبتــي فــي كـل عــي خطـه لا يـوصـف
يــا رب إحســانــاً لعبــدٍ مــذنــبٍ فــي دهــره مــن نفســه لا ينصـفُ
يــا رب إن واخــذتنــي بجـرائمــي وعظيمهــا يــا رب مــن بــي يـرأفُ
يــا رب إن عظــائمــي وعظيمهـا فــي جــانـب الغفـران شـيء يلطـف
العفــو أوســع والمــراحــم جمــة وسيــوب غيثـك بـالمـواهـب تـذرف
يـا رب مـا لـي غيـر بـابـك مـرتجَـى فلئــن رددت فمــن يجـود ويعطـف

قال إبراهيم الأمير بعد هذه الترجمة: انتهى ما سنح من المُنَح سلخ ربيع الأول في المسجد الحرام يوم السبت، تحت ميزاب الكعبة الشريفة، والذات المنيفة، رجاء القبول إذ هو المأمول، بقلم الحقير الجاني الفقير، أسير القصور والتقصير، إبراهيم بن محمد بن إسماعيل الأمير الحسني اليمني، الجازم بالإقامة في جوار بيت الله، ورسوله إلى يوم القيامة. انتهى.

[يوسف بن أحمد الحسني الصنعاني]

وفيها: يوم الخميس ثاني عشر جمادى الأولى، يوسف بن أحمد بن يوسف بن الحسين بن الحسن بن القاسم الهاشمي[1] عن ثلاث وخمسين سنة، الملقب بالهندي، كان له ميل إلى التصوف، لذا قصد آل المشرع إلى زبيد، اشتغل بعلم المنطق والهندسة والهيئة فبرز وأخذ عنه ولده محمد وآخرون، وكان له ولع بالخطوط والنقوش وطرائق الخط.

[يحيى بن محمد، قاضي القضاة]

وفيها: يوم الخميس غرة شهر رجب، يحيى بن محمد بن عبد الله بن الحسين بن الإمام الهاشمي القاسمي، بِعلّة الحصر وانحباس البول. ولد تقريباً سنة أربع عشرة ومائة وألف وبلغ من العمر سبع وثمانين سنة، ونصّبهُ الإمام المنصور بالله الحسنى بالديوان لفصل القضاء عام خمس وأربعين ومائة وألف، فبقي في هذه الوظيفة ستة وخمسين عاماً لم يفصل بين اثنين، ولما مات عبد الله بن يحيى بن الإمام المهدي[2] طمع في الزواج بالشريفة زينب بنت المتوكل، فطلب ذلك من الإمام المنصور فزوجه إياها واشترط الإمام صداقها خمسمائة قرش فسلّمها، ولما تزوجها غَلبت عليه وأمضت أموراً تردد فيها، جزمت بها ولم تراعى قوله، وأخبرني مَن أثق به أن المهدي العباس أرسل إليه بأولاد أحمد المتوكل ليفصل شجاراً بينهم فما استطاع أن يجزم فيها بشيء فما زالت الشريفة تعجب من حاله حتى كتبت إلى الإمام بأنها فصلت القضية منهم بكذا، فلما وصل كتابها بعث به إلى وزيره أحمد بن علي النهمي فاستحسن ما فصلته وكتب إلى الإمام في ذلك الفصل، وما أحسن قول الشاعر:

فيا ليته لم يكن قاضياً ... ويا ليتها كانت القاضيه

فبعث الإمام إلى المترجَم له بذلك الكتاب ليعرفه بمقدارها فوجد منها وسكت. وكان له معرفة بالطب وعلم الأسماء والرمل والجفر، وقصده العام والخاص لمداواة العلل وانتفعوا به وضربوا بحكمته المثل، فكان الحكيم إسماعيل العجمي يُعجب من معرفته وهدايته لمعرفة العلل وعلاجها مع قوة الساعد في ذلك الفن وعدم الممارسة لكتب الطب المأخوذة عن أفواه المشائخ.

وحدّثني سعيد بن إسماعيل الرشيدي مفتي الزيدية بصنعاء، وكان صدوقاً في أخباره ثقة فيما يرويه قال: كان لي أخ مُبتَلَى تظهر له الجن وتتشكل بين يديه على صورة

---

(١) أنظر نيل الوطر (٢/ ٤١٩).

(٢) البدر الطالع (٢/ ٣٤٢)، نيل الوطر (٢/ ٤٠٠).

مفزعة متنكرة، فورد إلى صنعاء وكان بضوران، فقصد يوم ثاني وصوله يحيى بن محمد فلما دخل عليه أيّدهُ بصره وصوّب النظر فيه وصعَّد ثم قال له: لا أظنك إلا أحمد الرشيدي، فقال: نعم. فمن أين عرفتني، فسكت طويلاً، ثم قال: قد شكاك الجن وتوجعوا منك، فقال: بِمَ شكوني؟ فقال: بقراءة ﴿قل هو الله أحد﴾ عليهم فقال: لا أبرح تالياً لها عليهم، فقال: ما الذي حَملك على هذا؟ قال: تضييقهم عليَّ بتنغيص المعيشة فإني لا أقوم في صلاة إلا تمثَّلوا لي في صور الحيَّات والعقارب والحرشات الشوكية المنظر، وإذا قمت إلى الطعام تساقطوا عليه مثل الدود والذباب فأعافه، ولا أجد لي فراغاً للطعام والشراب إلا عند سماع النداء للصلوات، فإنهم عند ذلك يدبرون، فقال له: اذهَب وآتني من الغد، فذهب ثم جاءه فقال له: الصلح خير قال: نعم. قال: قد أخذت على أولئك أن لا يتظهّروا لك في حال، وإني آخذ عليك أن لا تقرأ عليهم ﴿قل هو الله أحد﴾ فقال: سمعاً وطاعة. وكان آخر عهده بالجن من يومئذٍ.

ولما مات الإمام المنصور بالله الحسين، ودعا ولده المهدي العباس الناس إلى بيعته تثاقل صاحب الترجمة ثم بايعه وقال: بايعناك حتى ييسر الله لهذا الأمر أهلاً وكانت طائفة من الغوغاء ومن لا يعبأ به من آل الإمام قد أُروا إليه أنه أحق لهذا الأمر من غيره فلذا طمع فيها، فوقعت تلك الكلمة من الإمام المهدي بمحل إذ كانت الكلمة من سائر الأمة قد قامت بأنه لا يصلح للخلافة غيره، وقد كان الإمام المهدي أراد زحلفته عن القضاء لعبد الله بن أحمد بن إسحاق، فلمّا عرض القضاء علىٰ عبد الله بن أحمد أبى أن يتحمله بعد أن أرسل إليه وزيره الصالح أحمد بن علي النهمي فأتى ذلك فترك يحيى بن محمد بوظيفته ولم يتحمل عليه الهوى وكان يثقل عليه، فأخبرني من أثق بحديثه أن المهدي العباس ليلة عودة من قتلة سعوان أرسل لمحمد يحيى ليتروح بحديثه من سأم المصاوَلة في يومه وقال لولده القاسم: مُر مَن وراءك أن يرسل لمحمد يحيى وحذره من الغلط بيحيى بن محمد، فامتثل أمره وحذره من الغلط فوقع الرسول فيما حذره منه فذهب إلى يحيى بن محمد وجاء به فلما استأذنوا به على المهدي العباس، قال لولده: أما حذرتك من الغلط، قال: قد حذّرت. فقال: لا بأس، ولكن أخبره أنا لم نرسل له وإنما أرسلنا لمحمد يحيى وأذن له في الدخول. فلما قارب وصوله إلى الإمام قال كلمة جافية: إنما تعرفونا يوم بلاكم، فسمعها منه الإمام فأفصح له بأنه لم يرسل له وسيَّره عن مقامه ودعا بمحمد بن يحيى.

ولما أفضت الخلافة إلى المنصور بالله علي بن العباس وأراد المسير يوم البيعة ليرى من يجمع الناس عليه استدعته زوجته الشريفة زينب وقالت له: إذا دعيت إلى البيعة فكن أول مسارع إلى صاحبها ودع الحماقة والبلَه، فقد رأيت ما كان عقبي أمرك مع

الإمام المهدي وما لقيت من الجفاء، فسمع كلامها فكان أول مبايع، وقد نقل الناس عنه في أمور العلاج ما يقضي سامعه بالعجب، ونقلوا عنه في الجفر أموراً أفصحت عن الصدق، وكانت أوصافه لأهل العلل والأمراض بالعقارات الموجودة المبتذلة القليلة الثمن، وكان له في علاج حصر البول وانحباسه يد طولى وبتلك العلة مات، وكان رحمه الله تعالى ممتعاً بالحيوة صحيحاً لا يعرف المرض فإنه كما قيل لم يمرض سوى مرض الموت.

[المُحدِّث قاسم بن محمد الكبسي]

وفيها: يوم الجمعة وفي عشرين من شهر رجب وقيل ثاني وعشرين ربيع أول، القاسم بن محمد الكبسي[1] عن تسعين سنة، ولد تقريباً سنة إحدى عشرة ومائة وألف وانقطع آخر عمره ببيته نحو عشر سنين، ولمّا قام بالدعوة المنصور بالله علي بن المهدي العباس كتب إليه وهو بحضرته كتاباً مفرداً يدعوه إلى الإجابة فأجاب. أخذ عن قدماء الشيوخ، وتخرج بهاشم بن يحيى الشامي وأخذ عن إبراهيم بن خالد وصلاح بن حسين الأخفش ومحمد بن إسحاق وأحمد بن عبد الرحمٰن الشامي وعبد الخالق بن الزين المزجاجي في الأمهات الست، وكان حافظاً ذا سُنَّةٍ، وأَسْمَع كثيراً من الكتب الحديثية وتلقاها عن أهلها، وأجازه البدر المنير محمد بن إسماعيل الأمير في صحيح أبي عبد الله البخاري وغيره، وعنه جماعة لا يحصون، منهم: محمد بن يحيى بن أحمد الكبسي وأخوه الحسن بن يحيى وشيخنا المحدث لطف الباري بن أحمد الورد والحسن بن إسماعيل المغربي وعلي بن إسماعيل النهمي وخلق، وكانت إليه كتابة الوقف فحصلت وحشة بينه وبين ناظره أحمد بن محمد قاطن أوجبت تأخير القاضي عن وظيفته، وكان قد استخانه وكتب إلى الإمام المهدي العباس بأخبار مؤلمة أوجبت حبس قاطن كما قدمنا الإشارة إليه في ترجمته عام تسع وتسعين، وكان إلى القاضي أحمد تلك المدة قضاء مدينة ثِلاَ فجعل له المهدي قسطاً من عمالة المترجَم له فلم تطب نفسه، وكان المترجَم له إليه نظارة الأوقاف الثلائية فما زالا في محنة إلى أن آل الأمر إلى عزلهما، ولما مات المترجَم له أرخه شيخنا عبد القادر بن أحمد فقال:

قيل لي مات أجل الناس في ... كل علم سابقاً في كل فَنْ

قلت حقاً أرخُوه أنَّهُ ... قاسماً في جنة الخلد سَكَنْ

سنة ١٢٠١

---

(١) نيل الوطر (٢/ ١٨٢)، البدر الطالع (٢/ ٥٢)، هجر العلم (٤/ ١٧٨٨)، أعلام المؤلفين الزيدية (٧٧٧)، الأعلام (٥/ ١٨٣)، معجم المؤلفين (٨/ ١١٩).

وفيها: إبراهيم بن محمد بن حسين متولي الديار الكوكبانية[1] ليلة الثلاثاء ثاني وعشرين شهر رجب عن إحدى وسبعين سنة، وكان فارساً كريماً ممدحاً شجاعاً باسلاً متخلقاً بأخلاق الدولة القاسمية، وكانت والدته تقيّه بنت حسين أخت المتوكل تأخذ عليه الجِدّ والحزم فطاش برأيها ودخل صنعاء عام دعوة الإمامِ المهدي لتسليم البيعة فتحيل بطبعه الحاد أن يستميل الناس إليه وسيَّر إلى جماعةٍ مالاً فحبسه الإمام فبقي نحواً من شهر، فأدعَى أخوه أحمد وجرت حروب، ولما استقر هنالك سوّلت له نفسه الفتك بأخيه أحمد، فضبطه أحمد وحبسه برهةً من دهره، ووثب على أخيه عبد القادر بن محمد وغلبه وقام بأمر الجهات الكوكبانية ولم يختلف عليه أحد وقرره الإمام المنصور بالله على ولايتها وأنعم عليه.

وقد ترجَم له ولده يحيى بن إبراهيم وذكر وقائعه وما اشتملت أيامه بكتابه المُسمّى «الدّر المنضّد بممادح إبراهيم بنِ محمد» وقد أشرنا في كتابنا هذا إلى كثير من أحواله وماجرياته، وقدمنا أنه حُبس برهةً من دهره وذلك ببيت سلطان رابع عيد النحر عام ثلاث وستين ومائة وألف فبقي به إلى يوم الخميس خامس وعشرين ربيع أول عام ثمانية وسبعين ومائة وألف، وفي اعتقاله قال أحمد بن حسن بركات:

سلامٌ على نار الخليل فإنها ... أضاءَتْ لنا من جود وإبلهِ وَبْلاَ
إذا زرت إبراهيم نجل محمدٍ ... فدونك بحراً طَبَّق الأرض والسهلا
تعال فحدثني عن البحر ساعةً ... فإن حديث البحر من عجبٍ يُتْلَى
يفيض على المثل النظير نَظَارُه ... على فرض أن تلْقَى له في الورى مثلا
فإن منعوا عنه الفراسة والخُطَا ... فلَمْ منعوا عنه الفضائل والفضلا
لئِن كان جَلاّ في الكمال فإنَّهُ ... لأوّل مَن في خندس الليل قَد صَلاّ
وعمّا قريبٍ تنظر البدر طالعاً ... وقد سجدت تلك النجوم لَه رُسْلاَ
فما كان إبراهيم من دون يوسف ... ولا كانت الأسباط دونهمُ نَبْلاَ
سلامٌ على تلك الصفات ولم أقُل ... عليه سلامٌ فهو من فَوقهِ أَعلَى
وذكرك أنساني سواك ولم يكن ... سواك بما أثنى عليه بهِ أَهْلاَ

[سليمان بن المنصور]

وفيها: سليمان بن المنصور بالله الحسين[2]، وكان كريماً فاضلاً له شعر تناقله الناس عنه، فمنه قوله:

---

(١) نيل الوطر (١/٣٦)، هجر العلم (٤/١٨٨٦).

(٢) نيل الوطر (٢/٩).

يـا قـاتِلـي عمـداً بغيـر خطيئـة | رفقـاً فـإنـي لا أطيـق تجلُّـدَا
أذهلْتنـي أسهـرتنـي أسقمتنـي | ورميتنـي بـالصّـد منـك تعمـدا
فـألـزم عهـودك والتـزم شـرع الهـوى | مـا كنـت مـذ ألـزمتني أرعَـى العِـدَا

وله رحمه الله تعالى:

قـالـوا عشقـت صغيـر السّـن قلـت لهـم | عشقتـه لا أُبـالـي مـن أعـاديـهِ
قـالـوا فمـا تشتهـي منـه فقلـت لهـم | تقبيـل خـدٍ ورشفـاً مِـنْ لِمَـا فِيْـه

وله رحمه الله:

ملكـت الصـب فـاصنَـع مـا بَـدا لـكَ | وصُـن قلبـي فقـد أضحَـى حِـلالَـك
ودع هجـري وكَـرِّر لـي وصَـالـك | وخُـذْ رُوْحـي إذاً روحـي حـلاَلُـك

وقد دارت بينه وبين قاسم بن يحيى بن محمد الهاشمي مكاتبات، وله في الملحون شيء كثير.

[اسماعيل بن علي بن قاسم المتوكل الشهاري]

وفيها: إسماعيل بن علي بن قاسم بن أحمد بن المتوكل بن القسم بن محمد صاحب شهاره[1]. أرخ وفاته محمد أحمد الشامي الشهاري فقال:

لقـد غـاب عنّـا ضيـآء الهُـدى | مغيبـاً دَجَـا أُفُـقُ المجـدِ منْـهُ
وقـد فـاز مـن رَبِـه بـالـرضـا | فـأرختـه رضـي الله عنـهُ
سنة ١٢٠١

وكان له ـ رحمه الله تعالى ـ يد طولى في صلاح جهات شهارَه وهنوم مع جهاد باللسان والقلم وتحذير من نزول النقَم، وكان كريماً طلق الوجه صاحب سُنّه، حسن الأخلاق، وله الرؤيا المشهورة حين رأى القيامة وأحوالها وسمع الصارخ يقول: غفر الله لأمة محمد، فقال: حين سمع النداء: فكيف بقبائل بكيل؟ ثم سأل في تلك الحالة فقال: وذو محمد وذو حسين؟ فقال الصارخ: وذو محمد وذو حسين. ومن شعره وفيه الاكتفاء:

طيـب الـوصـالِ لـداءِ قلبـي مَـرْهَـمُ | فعـلام أَمْنَـعُ ذاك منـك وأُحـرَمُ
وأظَـلُّ مثـل العيـس يقتلهـا الظمَـأُ | والمـاء فـوق ظهـورهـن مُخَتَّـمُ

---

(١) نيل الوطر (١/ ٢٩٩)، معجم المؤلفين (١/ ٢٩٩)، مصادر الفكر الإسلامي (٣٥١)، هجر العلم (٢/ ١٠٩٧)، أعلام المؤلفين الزيدية (٢٥١).

لا الدار نازحةٌ فأبسط عذرها ... كلا ولا دون المزار جهنَّمُ
فأدِرْ ودع منع الموانع أكؤساً ... من عذب وصلك والحوادث نُوّمُ
ومعاذ ربي أن يكدر وُدَّنَا ... زُورُ الحسود ونحن نحن وأنتُم

وله مساجلاً لولده الصاحب علي بن إسماعيل، قال المترجَم له:

للَّه معهد أنسٍ ... لي طاب فيه المقامُ
في ليلةٍ كان فيها ... من كل أمر سلام
هي حتى مطلع الفجر

فقال له ولده:

وقام يخطب فينا ... عند الصباح الحمامُ
يهدي السلام إلينا ... جهراً فقلنا سلامُ
قولاً من رب رحيم

فقال المترجم له:

وربما رام تركي ... حواسدي حين لاموا
بحب سلمى فقلنا ... للحاسدين سلامٌ
عليكم لا نبتغي الجاهلين

فقال ولده:

وقلت ساعة جاؤوا ... للعذل بغياً وراموا
نكراً أتيتمُ ولكن ... حتى نقول سلامٌ
قوم منكرون

فقال المترجم له:

وفي ربوع المُصَلَّى ... سقا رباها الغمامُ
كم قال من ساكنيها ... حال الدخول سلام
عليكم طبتم فادخلوها خالدين

فقال ولده:

شخصٌ بنا منه وَجْدٌ ... وصبوة وَهَيَامُ
من آل سامٍ بِراهُ ... رَبِّي فقلنا سلامٌ
على نوح في العالمين

فقال المترجَم له:

أَغَنَّ يحكي قواماً ... وقد ثَنَاهُ المُدَامُ
غُصْنُ البشام يُنَادي ... لفرط صبري سلام
عليكم بما صبرتم

وكان وفاة ولده علي بن إسماعيل رحمه الله تعالى شهر جمادى الأولى عام ثلاثين واثنتي عشرة مئة.

[أحمد بن أحمد أبي الرجال]

وفيها: أحمد بن أحمد بن أبي الرجال[1]، جمادى الأولى. أخذ في الآلات عن القاضي أحمد بن صالح بن أبي الرجال وعن يعقوب بن محمد بن إسحاق وعن الأستاذ عبد القادر بن أحمد بعد تحوله من كوكبان، وأخذ عن شيخنا الأستاذ علي بن إبراهيم بن عامر في تذكرة ابن مُتَوَيْه، ولازم أعلام صنعاء، وبرع في المعرفه واعترته أحوال تعتري آل أبي الرجال، وكان كثير الشعر جيده، فمن شعره العذب ما كتبه إلى القاضي علي بن حسن العواجي[2]:

رَقَّى لدمع المقلة المترقرقِ ... خفقات برقٍ منهمُ متألِّقِ
لا يُطْلق المأسور من أَسْر الهوى ... والحب في أسر الهوى لم يُطلقِ
يا ساحر المُقل التي في سحرها ... سحرت على بُعْدٍ فؤاد الشيّقِ
وسيوفها في كف سلطان الهوى ... ما عُلِّم الأوّاب منها لا يَقِي
ويصير قصدي كلما كلمتُهُ ... من جَور وجْدي غير ما في منطقي
زُرْ مدنفاً في الحي أحياء شوقه ... واهاجه برق السحاب الأبلقِ
ويكاد يُتْلِفُ مهجةً مُلكتَها ... حرّ الجوَى فتلاف منها ما بقِي
إني لأهوى أن أراك وإن يكن ... في الروع من حرب العدّو الأزرقِ
فأصير في أسرَى يديك لأنني ... في السِلْم خاش أننا لا نلتقي
هل قد سمعت بعاشقٍ حمل الهوى ... ويرى سوى التقوى بطرفٍ ضَيّقِ
يهوَى ويهواه العفاف إذا خلا ... إن العفاف لِغَيْرنَا لم يعشقِ
سلبت ثياب النسكِ مقلتك الفتى ... ظلماً وتزعم أنك الشاب التقى

---

(١) نيل الوطر (٦٢)، مصادر الفكر الإسلامي (٢٣٤)، أعلام المؤلفين الزيدية ٨٠، هجر العلم (٥٦٦/١).

(٢) **القاضي علي بن حسن العواجي**: حاكم بندر اللُحَيّة، وكان عالماً محققاً في الفقه وأصوله وكانت وفاته سنة (١٢٢٤هـ).

حتام يكتم ذو الحِجَا سِرّ الهوى ... في صدره والعيش عيش الأحمقِ
والرِّيم لم يأنس بصبٍ عاقلٍ ... ويميل عن شرك المحب المُمْلقِ
ولقد حملت مع الجنوب تحيةً ... ولو استطعتُ حملتُها في مفرقي
نحو الذي نحّا اللُحَيّة قاضياً ... فغدا الشبية ببحرها المتدفق
المنشي المحيي لكل فضيلةٍ ... العالِم اليقِظ البليغ المفلِق
من يغني المشتاق باطِنُ كفِه ... عن لثم وضّاح الشنيب الأفرق
مَن لو رمى بشرارةٍ من ذهنه ... أصلاً بها شجر الأراك المورقِ
من يسحر الألباب بالسّجع الذي ... فِقَرُ البيان بغيره لم تُفْتَقِ
من حلّت الخمر الحلال بنظمه ... فأدارها في كل بيتٍ مونِق
من يطعن الأعداء بسمر يراعِهِ ... فتنوبُ عنه عن لقاءِ الفيلقِ
قاضٍ قَضَتْ فيه الكرام بِسَبْقِهِ ... والفضل قاضٍ انه لم يُسبق
أعني علياً مَن رَقا شأو العُلاَ ... فعليٰ على بدر التمام المشرقِ
من معشر دانت لهم دون الورى ... تلك المعالي يرتقي من يرتقي
فعلمت أن البحر منه قُطرةٌ ... وعجبت من أرضٍ لهم لم تَغْرقِ
يا صاحبي هذا صديقك صادقٌ ... في شوقهِ وسُواه من لم يَصْدُقِ
قلبي بحبل الودّ عندك مُوثق ... فاطْلِق فديتك للفؤاد الموثق
وارحم أخاك بشرح حالك إنه ... لحليف أشجانٍ وقلبٍ مُحْرَقِ

وله وهي من مستعذب شعره يمتدح الإمام المنصور في واقعة نُقُم[1]:

حُييت عن ساكني صنعاء يا نُقُمُ ... فقد أزالت دَمَ الأعداء بك النقَمُ
أعدا إمام الهدى المنصور من شهدت ... له أفاعيلَهُ الغراءُ والشِيَمُ
بأنه بَهْجَةُ الدنيا وزينتها ... وان للإله الصارِمُ الخَذِمُ
المطعم الطير في الهَيْجاءِ بغيتها ... أبطال بَغْي يقولون الأسُوْدُ همُوا
جاؤوا يُساقون للموت الزؤام ضُحاً ... وقد سعتْ لهم العُقبانُ والرُّخَمُ
ووسع الوحش في البيدا مَساكنه ... كواحدٍ قد توالت عنده النعم
يا أيها الملك المولى الذي طلعت ... من كفه السائرانِ: المجْدُ والكرمُ
تضاحك الزهر في دَوْحَاته عجباً ... إذ نوّر الصّخر في هذا الربيع دَمُ
وكان في الدهر من بغي العِدا ألمٌ ... الآن لا بغيَ موجُودٌ ولا ألَمُ

---

(١) **واقعة نُقُم**: كانت سنة (١١٩٧) وقد سبق للمؤلف أن شرحها عند ذِكره لأخبار السنة المذكورة، وكانت قد وقعت في أسفل جبل نُقُم ـ بضمتين ـ الذي يشمخ على مدينة صنعاء، ويحتضن المدينة في سوح سفحه الغربي.

قد مَزَّقت باتراتُ الهند حزبهمُ وأيتمت منهم الأبنَا كما يتموا
دعوت قبلَهُمُ في كل معتركٍ لا تهزل الطير إلا حين تنفطِمُ
تخالها في أكف الجيش لامعةً تنوش أجسامهم حيناً وتلتطمُ
لو جوّز الشرع لـلا إسكَافِ سَلْخَهُم لم تنفع المعتني في سلخها الأدُمُ
قد مزّقتها العوالي يابن حيدرةٍ ونالها المهزلان الخوف والعدم
كأن جيشك مشغوفٌ بقلتهمُ في قلبه الخافقان الرمحُ والعَلَمُ
إن كان أزهى بني الزهراء ان ذكروا يُكْنَى رشيدٌ ومأمونٌ ومعتصمُ
فأَنْت مهدي بني الزهراء وزَهْرتها قد طال ما انتظرتك العُربُ والعُجمُ
لا زال مرقاك في العليا إلى رتبٍ ما نالها مَلِكٌ دانت له الأمَمُ

وقد كان شارف على علم الأصول الفقهية وقرّر قواعدها وبلغني أنه قد كان شرع في شرح على نَظم الزُبده، ودارت بينه وبين القاضي أحمد بن صالح مذاكرات فمنها اختلافهما في قول الله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ﴾[1]. فقال هذه استعارة تبعية في الحرف، وقال القاضي أحمد بن صالح: بل استعارة بالكناية شُبهت الرحمة بالظرف وضم إليها ما هو من لوازم الظرف وهو في الظرفية، وكثرت المجادلة وإنما أوردنا هنا سِرّ المسألة فليتأمل كلامهما الناظر.

وَدَخلَتْ سَنَةُ إِثْنَتَيْنِ وَمِائَتَيْنِ وَأَلْف

فيها: عقد الإمام بولايات لجماعات، وخلع آخرين، فعقد ليوسف بن أحمد الجلال الهاشمي ببلاد حُبيش شهر ربيع أول.

وفيها: عقد ببلاد جبلة وإب لإسماعيل بن عبد الله فارع وكان على المخازين بصنعاء فأقام ابنه فيها.

وفيها: خلع عن وصاب الأعلى إبراهيم بن علي الجرافي شهر ربيع.

وفيها: عقد ببلاد رداع للأمير سعد زياد على اضطرابٍ من قبائل قيفة.

وخلع عن بلاد آنس محمد بن حسين حيدره الهاشمي سلخ شعبان.

وخلع عن بلاد حفاش وملحان الشيخ حيدر مرجز شهر شوال.

وخلع عن بلاد عتمة الأمير ناصر بن يحيى المجزبي شهر جماد.

وخلع عن بلاد ريمة إسماعيل بن يحيى الغشم سلخ الحجة.

(١) سورة آل عمران، الآية (١٠٧).

وفي المحرم سارت الطاغية ذو محمد وذو حسين عن ديارها المدمرة ووصلت ذو محمد إلى العرّة محاذين للروضة، ووصلت قبائل الشوف وآل عفرا وتوجّهوا باب الإمام بعد أن نهبوا من الطريق. وسار الإمام المنصور إلى بستان المتوكل فأقام به بعد أن كان قد أعرض عنه.

وفيها: أصاب أخاه القاسم بن المهدي علة الذبحة فسار إليه يعوده.

وفيها: قلد الإمام بعد موت الأمير فيروز الأمير سرور على الجُند بصنعاء.

[اختلاف أهل كوكبان وربطهم العباس بن إبراهيم]

وفي ثامن عشر شهر ربيع آخر اختلفت الأهواء بين آل شمس الدين بحصن كوكبان فسار يحيى بن إبراهيم بن محمد ومن ساعده إلى أخيه عباس، وهو المتولي يومئذ فغدر به وقبض عليه وربطه، فشكَى عباس في تلك الحالة وأشفق من إخراجه النهار جهاراً، فقال لأخيه يحيى: يا يحيى أنا ربطت عمي عبد القادر ليلاً وأخرجته ليلاً ولم أُشْمِت به الأعداء، وناشده الله والرَّحِم أن لا يخرجه إلاّ في وجه الليل، فأبى وأخرجه نهاراً مربوطاً مقيداً، ثم بعث يحيى بن إبراهيم إلى أخيه محمد بن إبراهيم وكان من شيعة عباس فأودعه السجن وبعث لولده عبد الرحمٰن بن عباس، وألحقه بوالده، وكان عبد الله بن إبراهيم بشبام قد كتب إليه أخوه محمد يخبره بما كان فطلع مغيراً فتلقّاه جماعة منهم فقتلوه وكانت الواهمة بأن القاتل عباس بن محمد بن يحيى بن مهدي، وأسند يحيى بن إبراهيم الأمر إلى عمه عيسى بن محمد بعد أن تعاهدا بمحضر الناس.

ولمّا كان اليوم الثاني أرسلوا الحسين بن عبد الله الكبسي ليحرر العهد ويكتبوا الوثائق والشروط، وقد استدعى السيد عيسى وولد أخيه شرف الدين أعيان الحصن وجاءهم يحيى فلما حانت صلاة الظهر، قام يحيى يتوضأ فدخل الخلاء فأغلقوا الباب ثم قبضوا عليه وربطوه فتمثل بأبيات يستشهد بها على قصاص الغيب، وسار رجل في تلك الحال إلى عباس ودعاه من خارج البيت بأعلَى صوته، فقال: ماذا؟ فقال: ربط أخوك يحيى، فأعلىٰ صوته وقال: قصاصٌ قصاص. وأشفق يحيى بن إبراهيم من إخراجه نهاراً مربوطاً مشهوراً بين الناس فأبى شرف الدين بن أحمد إلا إخراجه في تلك الحال وضَمّ إليه أخاه عبد الرّب فربطه وسيَّره معه، وخرج في تلك الحال يحيى بن محمد بن حسين الذي قَدّمنا ذكره مع ذكر عبد القادر في سنة اثنتين وتسعين وكيف رُبط، وفي هذه الحالة شاهد هو كيف ربط عبد الرّب فلما وصل بيت سلطان قال: يا ابن أخي أنت حللت الرباط لعمك بباب الدار أو أعلاها؟ فذكر تلك الحالة، وقال: حللته بباب الدار، فقال: أنا أحلل رباطك حيث حللت رباط عمك، ثم جمعوا يحيى مع عبد الرب

بمقصورة في بيت سلطان، كما جمعوا عبد القادر وأخاه يحيى وعلي فتنافرا وطلب كُل منهما إفراده فلم يفعلوا. ولما احتضرت الوفاة والدة عبد الرب أُطلِق وحُبس ببيته، وأماً محمد فبقي خمس سنين، ثم أُطلق عبد الرحمٰن ولم يبق بالسجن سوى عباس ويحيى وقد أتينا على خبر إطلاقهما بعد ثلاثة وعشرين عاماً وكيف كان السبب في إخراجهما، وبمثل هذا يقضي الإنسان منه العجَب.

[إتفاق أهل كوكبان علىٰ ولاية عيسى بن محمد]

وأجمع الرأي بعد ذلك على صلاحيَّة عيسى للإمارة مع ابن أخيه شرف الدين بن أحمد فأرسلوا إلى حضرة الإمام المنصور كُتُباً مفصحةً عما كان وجعلوها بيدي محمد بن علي الأخفش، فدخل بها على وساطتهم حاكمُ الحظره يحيى بن صالح السحولي، ثم أرسل الإمام ولد الحاكم أحمد بن يحيى السحولي لتمهيد أمورهم وتقرير قواعدهم، فخرج إليهم وبقي هنالك نحواً من شهر، وعاد وقد أسند الأمر إلى عيسى بن محمد وشرف الدين بن أحمد.

وتحوّل الإمام المنصور في تلك الأيام إلى القصر، وكان يستعرض الجند في كل جمعة.

[توجه بكيل إلى اليمن الأسفل]

وفيها: توجهت قبائل بكيل نحو اليمن الأسفل، فعاثوا به شهراً، وعادوا بلادهم وانفتح الشر بينهم، وألقَى الله العداوة والبغضاء بينهم هنالك، وما زال أمرهم في نكال ووبال حتى فِني من طائفتي الحسينية والمحمدية عدّة، فتملكت العداوة في القلوب وأخافهم الله تعالى بديارهم.

[ارسال ملك الهند إلى الإمام بمال معونه في الجهاد]

وفيها: بعث ملك من ملوك الهند إلى الإمام بمال واسع، منه رُوبيات هندية ومنه دنانير سنيات ـ بسين مهملة ونون مكسورة مشددة فياء تحتانية فألف فياء مثناة ـ وكان في كتاب ملك الهند أن الصادرة إليكم معونة في الجهاد، وبقيت رُسُله ببندر المخا حتى عاد الجواب.

[إرسال ملك المغرب إلى الإمام بمال للعلويين]

وفيها: أرسل ملك المغرب وهو مولاي محمد بن عبد الله بن إسماعيل بِصلةٍ واسعة إلى الحرمين الشريفين واليمن والحجاز والعِراقين والشام وجعلها في العلويين، فأرسل الإمام حاكمه بالحديدة أحمد بن إسماعيل حنش آخر شهر ربيع الآخر فسار لقبضها إلى مكة، وبقي بها إلى شهر رجب، وكانت تلك الأموال معدةً عند شريف مكة

سُرور بن مساعد، فوصل وقد داناه الحِمام فدخل عليه فوعده إن شفاه الله تعالى أن يسلمها إليه، فانتظر فمات وتلقى الأمر أخوه الشريف عبد المعين فبقي ثلاثة أيام وخُلِع بالشريف غالب بن مساعد وذلك أنه تآلف العبيد بمالٍ فاستمالهم وتقوّى بهم ولما سلم الناس الأمر لغالب راح إليه حاكم الإمام فطالبه فما زال يعده ويمنّيه حتى سئم البقاء هنالك وعزم على الرجوع وأفضى إلى عبد الملك أو إلى سلامة ولد ملك الغرب: إني ذاهب إلى اليمن صفر اليدين، فبلغ الشريف غالب فأرسل للحاكم وقال: هات القاعدة في أنك تسلّمت منا المال ونطلقه لك، فقال: لا يتم حتى أحُوزه وأُسلِّم لك خط الإمام في أنها في مقبوضي، فسلّمها بعد أن فتش صناديقها وخزل منها جانباً، وفي كتاب صاحب الغرب: الصادرة إليكم مصروفه في أهل البيت العلويين مائة ألف، منها ستون ألف ريال فرانصه وأربعون ألفاً مشاخصه، وعلى أحد صفحتي الدينار: ﴿إن الذين يكنزون الذهب والفضة﴾ الآيتين، وعلى الصفحة الأخرى محمد بن عبد الله بن إسماعيل المولوي. وقال القاضي: ما بلغ في هذا العام من أنها في الأشراف العلويين لا أصل له؛ فأنا القابض لها. ولكتاب صاحب الغرب إنما ذكر أنها معونة في الجهاد وشيئاً منها للعلويين وفي الكتاب: وستصدر إليكم في كل عام مثلها.

قال المؤلف غفر الله تعالى له: فأما التي أرسلها المرة الأولى فهي للأشراف العلويين خاصة ولما لم تصرف فيهم انقطعت من تلك السنة، وكانت من غنائم مَلَكها على الإفرنج الغالبة على بلاد الأندلس، وقد أتينا على أخبار مولاي محمد ولُمع من سِيرته، وفصّلنا ما كان بحوزه من مملكة الغرب في كتابنا قرة العين بالرحلة إلى الحرمين الشريفين.

وتحوّل الإمام بأهله إلى بير العزب بعد موت أخيه قاسم بن المهدي وحزنه حزناً شديداً، وأقام ناظراً على آل الإمام أخاه إسماعيل بن المهدي.

وفيها: شرى الإمام خاناً كان لبني الوزير على سوق العنب من جهة الغرب فهدمه وبنى سمسرة عُظمَى يمين الخارج من السوق إلى الجامع.

وفيها: جددت عمارة مسجد عَدِّل[1] ببير العَزَب ووسع بعد أن كان ضيقاً بالمصلين.

وفيها: شرى الإمام أعناب محسن بن يوسف بن المهدي بوادي ظَهْر.

---

(١) **مسجد عَدِّل**: من المساجد العامرة في بير العزب جهة البونية. انظر الحجري: مساجد صنعاء، ص (٧٠).

وسار الإمام عن بير العزب فصام بصنعاء دار الإسعاد، وفي يوم عيد الفطر وصل إليه عمه محمد بن المنصور الحسين من الروضة فأقام في داره خمسة عشر يوماً ثم خرج فخرج معه الإمام إلى الروضة وأرسل إلى الإمام أن يقيم عنده تلك الليلة فلم يسعد فساق إليه عمه خمسين حمّالاً يحملون العشاء فتعشّى وسار إلى صنعاء.

وفيها: وصل خبر من مكة المشرفة أن عبد الله بن سرور قبض على عمه غالب بعض البيوت، فحصل بمكة حرب استدام يوماً كاملاً واصطلحا.

وفيها: انكشف قبر بمكان غُرق رُوم شامي بير العزَب، فإذا عظام الميت منطوية بمسامير من حديد، فخرج عن صنعاء عالم من الناس فرأوا تلك الزاجرة، أخبرني رفيقنا محمد بن محمد بن أحمد بن حسين بن علي بن المتوكل المعروف بـ (البَنوس) أنه خرج في عداد الناس فرأى العظام رميمة قال: ورأيت الصبيان يفتتونها ويستخرجون المسامير اللاصقة بالعظام منها، ورأيت موضع رأسه فوجدت أسنانه لاصقة بجدار اللحد ومسامير رأسه لاصقة باللحد، وأنه أخذ بعض الأسنان والمسامير واتخذها عنده للإتّعاض، قال: وتحدث الناس هنالك أنها من قبور الكفار وليس كذلك بل من قبور المسلمين لاستقبال الميت بوجهه القبلة، وقد ذكر مثل هذا المهدي أحمد بن يحيى في شرح الغايات في أصول الدين عند ذكره لعذاب القبر، اللهم إنا نعوذ بك من عذاب القبر ومن عذاب النار ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال.

وقد حَكَى لي غير واحد من هذا الشأن شيئاً كثيراً، وحدثني محمد بن محمد بن أحمد المذكور آنفاً أنه خرج إلى منتزه حَدّه من أعمال صنعاء وصحبه أخوه أحمد بن محمد إلى قبر هنالك وقعد عنده ذاهلاً فدعاه أخوه فلم يجبه فقصده فإذا صوت أنين مُفزِع مِن القبر، فقعد ذَاهِلاً معَه، وسمعا ضجّة ورجفة بذلك القبر فتكدّرا وسارا من الحين عن منتزههما وقصدا صنعاء، فلما استقرا بها لم تطب نفس محمد بن محمد حتى عاد يسأل عن صاحب القبر فجاءهم شيخ كبير فسألوه: أتعرف قبر من هذا؟ قال: نعم. هذا قبر فلان عريف المحل، وذكر منه شرًّا، فنعوذ بالله من ذلك.

ومن مظاهر القاهر نزول المطر العظيم ببلاد برط وإرسال الله عليهم ريحاً صرصراً، وعقبها نزول عواصف المطر تحمل بَرَداً عظيمةً، فأهلكت المواشي بالمرعى وأتت على زرائعهم.

[مسير الخوقري إلى الزيدية لقبض الحقوق]

وفيها: سار النقيب ناصر الخوقري في خمسمائة من العسكر إلى الزيدية، مرسلاً من حضرة الإمام وذلك في وقت الخير كما هي العادة من نزول محطة أيام الخير لقبض

الحقوق، وضبط الأشرار، فكانت بين الخوقري وبين العامل علي يحيى سرور منافسة، أوجبت رفع الأمير علي يحيى، وتوجيه العمل إلى محمد فرحان، وجعلوا له كاتباً رفيقنا عبد الله ابن علي الحيمي لعلمهم بأن محمد فرحان سيء التصرف وأناطوا جميع متحصلات البلاد بعبد الله بن علي فحرص على ذلك ولم ينعمل له النقيب ناصر الخوقري لضبط الرعية والمشايخ فاضطربت الأحوال ولم يحصل من البلاد ما يخارج محطة الخوقري الجوامك والإقامة، فرفع إلى الإمام يشكو ما صنع معه النقيب ناصر فألزموه بمخارجته وإلا وصل صحبته إلى الحضرة للمناصفة، فطلعا إلى صنعاء وأظهر عبد الله بن علي بيانات الحاصل من البلاد وكان الذي للخوقري عند الرعية نحو ستة آلاف قروشاً فرانصة، وتتابعا بين يدي الوزير الحسن بن عثمان فألزم عبد الله بن علي بالتسليم وركب ظهر الهوى بعد علمه بأن ليس عند الكاتب شيء لأن البيان عليه قلم العامل والحاكم في الحاصل فخشي عبد الله بن علي من مصادرة الوزير له فعاد على ما كان قد كسبه من سالف أيامه في الدولة المهدوية وسلمها للخوقري، وقطع في تلك الطلبة ببيته المعروف بصنعاء يلي مسجد معاد شامية وسكن بيتاً سنة آخر حتى طُلب للعمل كما سيأتي عام أربع ومائتين وألف.

[ملحمة عُظمى بين الشيخ عبد الله الضُلعي وبين أهل كوكبان]

وفيها: شهر القعدة سار عبد الله الضلعي عن عمران متوجهاً إلى كوكبان، فكانت ملحمة عظمى، وكان السبب فيها أنه قُتِل رجلان من عيال سِريْح[(١)] في وادي لاَعَه[(٢)] أيام تولي العباس بن إبراهيم فكتب الشيخ الضلعي إليه بذلك وكرر الكَتْب فما زال يعتذر لقادح بينهما أيام عمالة الضلعي بـ (حجّه) إذ كان قد قَدُم على حصن حقيل ببلاد حجه، وفي خلال هذا قبض على عباس بن إبراهيم، وتولى أمر كوكبان عيسى بن محمد فكتب إليه الشيخ الضلعي عن شأن القتيلين، فأجاب: إنّا لم نجلب عليهما بخيلنا ورَجُلنا ولا كان القتل أيام ولايتنا، فما أحسن الجواب، وكان الشيخ الضلعي إذ ذاك بحجة وقد تهيأ لطلوعه عمران وجعل عنه نائباً بحجة، وكان العامل بعمران يومئذٍ محمد بن أحمد بن المنصور فكتب عيسى بن محمد إلى عامل عمران: أنه بلغ تحشيد الشيخ الضلعي على بلادنا وأمرهُمُ إليك وقد جعلنا لك ثلاثمائة قرش في توقيفهم عن الخروج، فسعَى في ذلك فتنكب عنه الشيخ الضلعي وأبى إلا المصاولة فجمع قبائله وأمرهم بتحصيل زاد ثلاثة أشهر، فلما عبأ أثقاله جر رجاله وسار في ألف من قبائله وجاءت طريقه باب شبام فأقام بالسواد ليلة، ثم قدم طليعة وافِرة في اليوم الثاني؛ عليهم: صلاح بن حسين الدُرّه

---

(١) **عيال سِرَيْح**: قبيلة في جنوب عَمْران ومن أعمالها.

(٢) **لاَعَه**: منطقة من أعمال الطويلة، في شمال غرب كوكبان وجنوب جبل مَسْور.

الهاشمي في ثلاثمائة لقبض جبل الضُّلْع وكانت الرُتب قد أحاطت بجبل الضلع وتقدم من حضرة عيسى بن محمد أحمد الزين الهاشمي فوصل الدُرّة بمن معه أسفل الجبل الضلع عند أذان الفجر فاشتدوا على من بالجبل واستولوا عليه، وقتلوا ثمانية عشر نفراً، وأسروا ثلاثين، وتحوز أحمد الزين ومن معه في قصبة الضلع، وحطّ الدرة بجماعته بحرف قِيرَة[١]، وكتب إلى الشيخ الضلعي يخبره بما جرى فنهض مسرعاً بأثقاله إلى جبل الضلع، فواجهت الشيخ الضلعي أكثر القبائل ممن بالضلع وما حوله، ثم اشتد على من بالقصبة حتى فتحها وتسلمها وخرج إليه أحمد بن الزين وذلك بعد ليلتين وطلب من الشيخ الضلعي أمانَهُ وأمان من معه فأجابهم ونزلوا إليه فأكرمهم وجمع من خرج إليه من مشايخ البلاد مع أحمد الزين وعهدهم على السمع والطاعة ولِمَا ورد من الإمام فتعهدوا وأجابوا ذلك فسيّرهم إلى كوكبان بجماعة من أصحابه وأركب أحمد الزين على بغلته واستقر بمكانه وكتب إلى الإمام بما كان. وفي أثناء ذلك بعث عيسى بن محمد النقيب يحيى داحش من آل ناشر في حسم المادة، وكان قد أرسل لكثير من حاشد وأرحب وغيرها ولم يعلم الشيخ الضلعي بذلك، فأجابهم إلى حسم المادة، وقد عملوا له من المكر والخديعة ما عملوا فلما طلع إليهم الجُند سَيّر عن كوكبان عبد الله بن أحمد بن محمد لمصاولته والشيخ الضلعي منتظر إنجاز ما خاض به يحيى بن داحش، فلم يشعر بهم إلا وقد انثالوا عليه فعشَّروا ببنادقهم إليه وإلى أصحابه دفعة واحدة، فلم يمتثل من أصحاب الشيخ الضلعي سوى رجل واحد، فحمل عليهم الضلعي ففروا وانكسروا من مركزهم فالجأهم إلى بيت عِزّ[٢] وأخذ أسلابهم وسلاحهم وانجلت القتلة عن مائة وعشرين نفراً من جند كوكبان. واحتُزت رؤوسهم وأسر منهم رجالاً كثيراً، وأقام ليلته ولم يأته من الإمام نبأ، فكّر راجعاً. وكان مقدار إقامته من يوم خروجه إلى عَوده تسعة أيام، ثم سيَّر عنه الأسرى وكسى منهم الكبراء، وجائته جوابات الإمام إلى عمران بأنه لا يحسن منه إلا الصلح والإحسان والرجوع عما مضى له.

[تلقّف النعمان أهل الصُوْر للحجاج بالبحر]

وفيها: حصل الشقاق بين عامل الحديدة وتجار النعمان فخرجوا من البندر مباينين فركبوا البحر وترقبوا سواعي البندر فركب الحجاج وراحوا عن البندر فتلقاهم أهل الصُور وصادروهم بالحرب في غرّه فتراموا حيناً ثم صالت النعمانية فرموا بالمدامع حتى كسروا دَقَلاً من تلك السفينة فخاف الحجاج الهلاك فتسلموا ودخلوا عليهم وفيهم الأمير

(١) حرف قِيَره: بلدة في جبل ضُلع كوكبان، عِدَادها اليوم من مديرية شبام وأعمال محافظة المحويت.

(٢) بيت عِز: حصن وبلدة في جبل الضلاع، بالشمال الغربي من شبام كوكبان.

أحمد بن النقيب الماس المهدي العباس وأخرجوهم وانتهبوا جميع ما حملوه وقُتِل ثلاثة من عبيد أهل البندر.

[القسم بن الإمام المهدي]

وفيها: القسم بن الإمام المهدي العباس[1] ليلة الخميس ثالث عشر جمادى الأولى، سمعت سيف الإسلام يقول موته بعلة النزول أصابه في رقبته فورم فوخزه بإبرة فلم يخرج منه شيء وجاءه الطبيب فأعطاه دهاناً فزاد الورم واشتد الحاصل. تربّى في حجر الخلافة ورضع ثدي الكمال فاستهل منه هلال، ونشأ فقرأ القرآن وخرّجه والده الخليفة بأحمد بن صالح بن أبي الرجال فقرأ عليه في علم الآلة وتفقه به وانضمَ معه أخوه أحمد بن أمير المؤمنين، فما زالا يترقيان به في أوج المعارف، وأخذا عنه في التاريخ وأيام الناس فحفظا منه الغرائب والعجائب. وصارا آيتين، وتوغلا في الأدب وحفظا منه كل ما لذّ وطاب. ورأيت الأستاذ عبد القادر بن أحمد رحمه الله تعالى وقد كتب بالقلم عن العلم ما أفهمَ عن حفظٍ مُتْقَن، فإنه دار ذكر شيخ المترجَم له بمقام وذكر فيه ما لهُ من الشعر قال: وأملانا جوابه علىٰ علي بن أحمد بن محمد بن إسحاق وساق القصيدة التي أولها:

لصارمها الماضي من الحسن افرندُ ... وفي كل قلبٍ أن نَضْتُه لها غِمدُ

حتى أتى على أكثرها، قال: فعجبت منه ثم قال: قمنا إلى الطعام فرأى بعض الحضّار وهو يتناول بيض الدجاج فقال: إنه للباءه من أعظم العلاج، فقال المترجَم له: ما أحسن ما قاله الحافظ الذهبي في ترجمة ابن التلميذ النصراني:

أفنيت بيض دجاجهم ... تبغي بذاك قيام إيرك
ما لا يقوم ببيضتك ... فلا يقوم ببيض غيرك

قلت وهذا يدل على حافظة سليمة وفكرة مستقيمة واستحضار للشواهد. وقدمنا في ترجمة القاضي أحمد بن صالح أنه وزر للمترجَم له وكانت تجري عن أنظاره أمور بلاد الحيمة، ولما مات والده الخليفة أعظمه الإمام المنصور ورفع له محلاً وكان كما حدثنا بعض الناس عند خروج والده الخليفة إلى الروضة لمناجزته لقبائل أرحب قد أريد على حفظ القصر قلعة صنعاء فأبَى ذلك وقال: لا يصلح لها غير أخيه علي بن الإمام وامتنع عن ذلك المرام، وهذا يدل على كمال عقله ومعرفته بوضع الشيء في محله. وكان الإمام المنصور لا يرد شفاعته في شيء وكان ينزل عليه ويأنس إليه، ولما نافسه وزير المنصور حسين بن زيد المحرابي كان ذلك من أسباب نكاله ومصادرته وإلى ذلك

(١) نيل الوطر (٢/ ١٧٧).

أشار الحسين بن أبي الغيث الهاشمي بقوله من قصيدة:

ومَن رام أن يبغي عليه سفاهةً فيقعده من بين رجليه مَرْوَدُ

وقد أتينا على تلك الأبيات عند ترجمتنا لحسين بن أبي الغيث في كتابنا العباب، وكان المترجَم له يستحضر الشواهد وسمعت سيف الإسلام قال: نزلت على عمي يوم سرور فرآنا الضِيَا إسماعيل بن إبراهيم بن المهدي من بيته فتناول زجاجة وقابل بها الشمس فعكست الشعاع فعانا ذلك حتى أدخله إلى المكان الذي كنا به فتتبعنا أثرها ووجدناه من مقام الضياء فكتب المترجم له إليه كتاباً بديعاً واستطرد فيه قول الشاعر:

إذا ما الشمس قابلني ضِيَاها كسرت بسرعةٍ منها جُفُوني
ولم يك ذاك عن مَلَلٍ ولكن خشيت من الضِيَا على عيوني

والأصل في ذلك أن المهدي صاحب المواهب حبس يوسف بن المتوكل وأنزله ببيت في قصر صنعاء وحبس محمد بن حسين بن عبد القادر صاحب كوكبان ببيت آخر واتفق أن يوسف بن المتوكل فتح طاقة ببيته ينظر الداخل والخارج ففتح في تلك الحال محمد بن حسين عبد القادر طاقة بيته لينظر الداخل والخارج فوقعت عينه على طاقة يوسف فأغلقها في الحال خوفاً أن يتحدث الناس أنهما تناجَيَان فبلغ الخَبر إلى المهدي وكتب إليه البيتين السابقين.

وكان رحمه الله تعالى شفيقاً بأهله حافظاً لمنصبهم صائناً لهم، ربَّى صغيرهم، ووقّر كبيرهم، وكان يجمعهم على تلاوة القرآن. ولما مات كتب على قبره محمد بن هاشم بن يحيى هذه الأبيات وتفاءل له فيها بتاريخ حَسَن فقال:

على كل مخلوقٍ قَضَى الله بالفَنَا وموت البرايا والمهيمن دائمُ
ورحمة رب العرش مورد مَن مضَى ومن فضلِه أن لا يخيب قادمُ
وعادات أهل الجود إكرام وفدهم وتأتي على قدر الكرام المكارم
وهذا بشير الفأل وَفَا له مؤ رخاً: في جنان الخلد قد حل قاسِمُ

وحَزنه الإمام حزناً شديداً وصلى عليه بالمسجد الجامع بصنعاء ومنع جالبات السرور وأخّرّ النوبة عن ضربها ببابه أياماً، واحتفل للعزاء ودرس عليه كتاب الله العزيز بجامع صنعاء وكان من وصيته كما حدثنا بعض الناس الأمر بعمارة منارة مسجد خُضَيْر عند باب شعوب ولا أصل له إذ كانت تلك من وصايا أخرى.

[الشريف سرور بن مساعد صاحب مكة]

وفيها: أمير مكة الشريف سرور بن مساعد[1] آخر جمادى الآخرة وله المآثر الحميدة والمساعي المشكورة، وكان بطلاً شجاعاً مقداماً مهيباً متتبعاً للحرامية مؤمِّناً للسبيل أخذاً بالحزم شديد الوصية بأهل الجرائم، قد أتينا على لمع من أخباره في كتابنا هذا، ولبأسه ظن العامة في موته الظنون وحلفوا بالله أنه اختفى وأنه سيظهر من بعد، واعتقدوا فيه ما اعتقد الكيسانية في محمد بن الحنفية وقد سبق له ذكر جميل.

وفيها: يوم الثلاثاء رابع شوال محمد بن أحمد أبو طالب المعروف بالأسود حاكم الإمام بالروضة.

وفيها: ليلة الجمعة رابع الحجة الحرام علي بن محمد بن إسماعيل الأمير الهاشمي.

وَدَخَلَتْ سَنَةُ ثَلَاثٍ وَمائَتَيْن وَأَلْف

وفيها: عقد الإمام بولايات لجماعاتٍ وخلع آخرين، فعقد ببلاد ريمة والجبي لحميد بن عبد الله الأموي شهر محرم واستطالت مدته لهذه الولاية لها.

وفيها: عقد ببلاد جبلة وإبّ للحسين بن زيد المحرابي شهر جمادى الأولى.

وفيها: عقد ببلاد رداع لحسين زبيبة القاسمي وكان قد لاقَى حميد بن عبد الله في ذلك المخرج ودله على أمور تُحمد عقباها، فأباها.

وفيها: عقد ببلاد العدين للشيخ محمد بن علي سعد الجُماعي.

وفيها: خلع من حبيش يوسف بن أحمد الجلال الهاشمي غرة ربيع أول.

وفيها: خلع عن بلاد جبلة وإب إسماعيل بن عبد الله فارع متولي المخازين وأعاده عليها، وكان إذ ذاك مقيماً لولده علي بن إسماعيل نائباً عنه بها.

وفيها: توجه الطاغية أبو حليقة نحو اليمن الأسفل وهو أول خلاف قاد فيه أهل الفساد، وكان لا يُذكَر ولا يُعرَف. ولنتكلم على بادي أمره، قد قيل أن أول أمره أنه نزل علىٰ علي بن إسماعيل بن إبراهيم إلى حُبيش وهو لا يُعْرَف فأرسله في عشرة على شيخ عاصي فساسه حتى استولى على محله، وبعث إلى جماعة من العسكر يعرفهم فساروا إليه إرسالاً حتى بلغوا خمسين نفراً، فأرسلهم على الرعية المُتعصيين فتسلّم منهم الحقوق القديمة والحديثة فارتفع له صيت عند العامل، وما زال يترقَّى حتى كان من أمره

---

(١) أنظر الأعلام (٣/ ٨١).

ما قصصناه عام ثمان وتسعين. وقال بعض الناس أن باديء أمره أنه كان بخولان من مبتذلي أهلها فركبه دَيْن خفيف في طعام أسبوع فضيّق عليه صاحب الدَّيْن فلم يجد سوى فردٍ كان عليه فأخذه صاحب الدين بنصف قرش، ولم يجد شيئاً يوفي به صاحب الدين، فتبعه فلم يجد بداً من الفرار، ففرّ لا يدري أين يذهب فانتهى به السير إلى حُبَيْش وبها علي بن إسماعيل بن إبراهيم بن المهدي صاحب المواهب، فدخل سوقها فرأى أربعة نفر من خولان بحانوتٍ مهجومَه فسلّم عليهم فلم يردوا عليه استزراء له، وضجراً من حالهم، فما زال يسألهم بلين وتلطف ويقول: ما أنزلكم هاهنا؟ قالوا: قصدنا العامل علي بن إسماعيل نريد نتعكسر معه فأهملنا، فقال: الآن قوموا واحملوا بنادقكم وصيحُوا بالأصوات على العادة وأنا معكم فإذا وصلنا باب العامل رميتوا كعادة الواصل من القبائل، فكان من القدر أن وصلوا وعلي بن إسماعيل مهموم ببعض مشائخ حُبَيْش يريد يرسل عليهم من يضبطهم، فلما سمع الرمي قال: من هؤلاء؟ قالوا: من خولان، فدعاهم فقال أحدهم: إن دخلنا على العامل فمن سيخاطبه؟ فسكتوا فقال أبو حِلَيْقه: لا عليكم أنا أخاطبه، فلما قاموا بين يديه استزرأ أبو حليقة فلما تكلم رآه الرجل فقال: هذا خط نعطيكم لضبط هذا الشيخ، فأخذه وقبّل يد العامل، وساروا حتى بلغوا محل الشيخ فدخلوا المسجد وطلبوا من أهل القرية زاداً فخرج إليهم الشيخ وقال لهم: أين تريدون؟ فقال أبو حليقة: قصدنا هذا العامل فأهملنا وجئنا ننظر من يريدنا من أهل هذه الدّيار للمنفعة، فقال: اقعدوا عندي، فقعدوا عنده أربعة أيام يتخللون أحواله حتى تمكنوا منه، ففي اليوم الرابع أخرج أبو حليقة الخَط بالقبض عليه. فقال: تعلم عافاك الله أنَّا لم نتجاسر عليك لسابق إحسانك وإنَّا مأمورون بالقبض عليك ولكنا رأينا الجميل بك أولى فكن معنا وأنت في وجهي أن لا ينالك سوء من العامل وإني لا أرضَى بدخولك المدينة حتى أفصل أمرك معه فإن وجدت قبول للكلمة معه رجعت إليك ودخلتُ بك وإلا أفهمتك تذهب أين شئت، وحلف له بالله، وسار معه فأبقاه مع أصحابه ودخل فلما رآه العامل ظن أنه رجع خائباً لعلمه بمنعة الرجل فقال لأبي حليقة: عِلْمك؟ فقال: لا أخبرك حتى تضمن لي أني إن جئتك به من محله لم تنله بسوء، وقد عرفت قصده في الخلاف أنه لا يريد أن نُحَكِّم عليه شيخ محله بل أمره منك وإليك وتحكم فيه بما تريد، فقال: والله لا أناله بسوء ولا رددته إلى شيخ محله. فقال: ها هو خارج المدينة سأدخله الآن، فعجب منه وجعله من جملة أتباعه من العسكر، وما زالت تنمو به الأحوال حتى خرج هذا العام.

[قبض أبي حليقه دار علوه]

وفيها: وكان قد تحدث هذا العام مع أشرار قومه بقصد دار عَلْوَه من أعمال حُبَيْش، فبلغ ذلك الخبر إبني عَلْوَه حسن وصالح وهما بحضرة إسماعيل بن عبد الله فارع

بجبلة فَخافا هجومه على محلهما فراحا عنه فدهم الخبيث بالجيش بلاد حُبَيْش، فاستفتح دار علوه عنوة وحط رحله بها وبعث شرذمة من قومه على الحصن المُطِّل علىٰ حُبَيْش المعروف بدار الجفا ثم انتهب القُرى وتحكّم في الضعفاء وسلب الثمرات وفعل الأفاعيل.

[سير يحيى بن محسن المتوكل لضبط أبي حليقة]

وبعث الخليفة يحيى بن محسن بن علي بن محسن بن المتوكل فسار عن صنعاء يطوي البيداء وأشرف على حبيش فإذا هي مملوءة الطرفين، وكان في خمسمائة مقاتل فشقها ودخلها ليلاً وأصبح بالمدينة صائلاً بقومه، وقصد دار الجفاء فحاصرها أربعة أيام، ورآها بعيدة المرمَى فسار عنها سائلاً لأهل الخبرة عن ميرتها ومائها فسمع خبراً قطع عن نيلها فعاد على منهج فكره بنافذ مكره فأرسل إلى بلاد أرحب وطلب خمسة من حذاق اللصوص فوافوه مع بريده فسألهم التسلق على عرصات دار الجفَا ليدلوه على محل يهجم منه بأشرار جنده فصعدوا فلم يجدوا فجوةً ولا زوَّه إلا بها حَفَظَه أولوا قوة، ودخل واحد منهم فطاف ساحة الحصن ليلاً، وعاد فأخبر بكثرة الماء فيها، فَعَظُم المصاب عليه فاعمل الفكر ثانياً، فأمر بقتل الكلاب التي بحبيش وإيصالها إليه وطلب من بعض الرعايا حبوب دجره، فجاء بها إليه فأمر بخلطها على باروت وطحنها فَظَنّ الناس أن به هَوس فجافت الكلاب باب داره فأمر بقطعها فقطعت وخلطها على ذلك المطحون وطلب اللصوص وألزمهم حمل ذلك والتسلق إلى الحصن ليلاً وأن يلقوه على الماء، ليفسده على حفظته فما زالوا يترددون إلى الحصن ثلاث ليال لا تمكنهم الفرضه خلىٰ أنهم وجدوا محلاً سهلاً للداخل وعليه حافظ ينزل عنه وقتاً من الليل يتعشى ويعود، فأدلوا واحداً منهم فدخل وتناول جرابين فوقع على الماء فأفسده ونزل إلى جماعته وقال لهم: قضِي الأمر وعادوا إلى الأمير يحيى بن محسن بن علي فأخبروه الخبر فترقب خروجهم ليومين فلم يخرجوا فأرسل لصاً يسترق السمع، فراح عنه وعاد مخبراً له بأنه سمع حديث القوم عن الماء، وأنهم لا يجدون ما يكفيهم تلك الليلة، فأذكىٰ العيون وحفظ الطريق ونهض صبيحة تلك الليلة، فسمع الصارخ يدعوه إلى الأمان والخروج إليه للمثول بين يديه فأجابه إلى ذلك فخرجوا عنه وتسلم منهم الحصن، وأقام به ثلاثة نفر من أصحابه وبعث البريد إلى الوزير أحمد بن إسماعيل فايع يعلمه بما جرى ويسأله الإقالة للعماله فخيّب ظنه وطلب وصوله حضرة الإمام، فراح عن ذلك المحل منكسراً مؤيداً منصوراً.

[مسير الضلعي إلى حُبَيْش]

وكان الوزير قد سَيَّر الشيخ عبد الله الضلعي في جماعة من أهل الجبل وبني سريح

ونِهْم ففاجأهم بعض جيش الخولانية وهم مثقلون بالحمائل فتنكبوا عنه ومضوا ديارهم لم يلقوا كيداً، وبادر الضلعي إلى دار علوه فالتقى الجَمْعان وتصاولوا حروباً عديدة وانكسر جيش كل الخولانية وانحازوا إلى الحصون والمعاقل، فدام الحرب بينهم شهرين فحصل الإياس مع الشيخ الضلعي، فاستدعىٰ من بـ(جِبْلَه) فخرج الحاكم زين العابدين بن يحيى بجماعة وجر معه المدفع فرموا به فلم ينجع ثم صولح الطاغية أبو حليقة وعاد راجعاً بلاده فلم يستقر بها سوى ثمانية وعشرين يوماً وعبّأ أثقاله وجر رجاله إلى الجهات الآنسيه، فأوغل في مسيره إلى حدود ريمة وتسلّم بها حصوناً، وقصد الدَّومَر من بلاد ريمة فهزمه من بالحصن واستدعوا جماعات ممن يليهم للغاره، فالتفّوا إليهم ودام الحرب بينهم يوماً وكانت الدائرة عليه فسلبوه بعض المتاع وحازوا بعض الماشِية وقتلوا جماعة من رجاله واحتزوا الرؤوس وبعثوا بها باب الخليفة في شهر جمادى الآخرة.

[الحسن بن عثمان العلفي يقود الجهاد]

فعاد إلى أطراف الجهة الآنسيه بأطماع وأسلاب، فأصاب الخليفة منه ما أولِم، فتحرك لذلك وعلم أن الأيام لا تسالم وأسرّ إلى وزيره الحسن بن عثمان الأموي عزمه على الجهاد وخروجه بنفسه، وشكىٰ خلو بابه عن الأمراء والكبراء وأنه فقد المعين والناصر وعدم المدبر والمشاور، ولم يجد أحداً يكفيه مؤنة الجهاد فأذهب عنه الوزير ما يجد وأعلمه أن من آل أمية رجالاً لا تروِّعهم دوائر الدهر وحَسَّن له طلاب رجلي الأموية متولي بيت الفقيه بن العجيل الحسين بن أحمد ومتولي ريمة حميد بن عبد الله، ولم يكونا ممن استعد للحرب ولا باشرا في واقعة الطعن والضرب، فبعث إليهما ولا يعلمان مراداً، فوصلا وعقد الأمر مع الخليفة على إظهار خروجه بنفسه وأن لا يبدي لأحدٍ من أعوانه ما عزم عليه، فساعده على ذلك وشق على الأعوان لما يلزمهم في ذلك الشأن، فتخلّص منهم أموالاً جزيلة كان مجموعها بما أخرجه الإمام من خزانته ثلاث مائة ألف وستين ألفاً قروشاً فرانصة، وكسر الإمام الضربة وأمر واسطة الباب الوزير محمد بن أحمد خليل أن يطلب القبائل المقاتلة، فطلب من بكيل قبيلة وادعة ومن حي حاشد العُصَيْمات وبني مالك والصَيدَ وبني صُرَيْم وخارف، وطلب قبيلة أرحب ونهم وبني جرموز، ومن قبائل خولان بني شداد وقرَوَا وبني سحام والأعروش (أيضاً من بني جَبْر اثنا عشر مائة نَفر وعلى صَبِر الجبري عاقلهم ومحمد العهامي)[1] وغير هؤلاء من سائر القبائل وأنزل الإمام من القصر إلى باب دار الاسعاد المدافع وأمر العَمَله، والصُنّاع من أهل الحديد والنجارين ليعملوا لها الزحافات، وأمرهم بامتثال أمر الحاج علي الساعاتي

---

(١) ما بين المعقوفتين زيادة في هامش النسخة (أ).

وكان إليه المنتهى في استخراج الفكر البعيدة الإدراك، وأمر الإمام بجر المدفع الكبير إلى باب داره، وما زال العَمَله تعاني آلات الحرب أياماً وعملوا للمدفع الكبير كرسياً كبيراً عظيماً لم يصعد عليه إلا ثلاث عشرة مائة قرش.

وكان جملة من شملة دفتر الخليفة من الجند أربعة وعشرين ألفاً، منها عشرة آلاف اسماً سماها قبائله وأحضر إلى باب داره السوق والسيّاق والزانه من الباروت والرصاص وآلات الحرب وأمر بعمل السلالم للخراب والمناشر لقطع الأعناب، وأصحبها العَمَله، وساق سبعمائة من المسلمين واليهود للخراب والقطع، وأجرىَ للجميع الأرزاق، ووسّع النفقة فلما تمت تعبئة الحرب أخرج وزرائه وأعوانه جميع ما يحتاجه المسافر، وانتظروا خروجه فكَسَى رؤساء القبائل وأهل العهد والمدرّكين بالحفظ، واستعرض جيشه الجرار وكسَى رجلي الأموية وأمَّرهم على الجيوش وأظهر بقاءه، فانثالت الأجناد من باب داره يوم الإثنين خامس عشر شهر شعبان، كالجراد المنتشر وَوكّل بالمدفع قبيلة العصيمات عليهم النقيب ناصر الخوقري، وأمر الغوغاء من أهل الأسواق تجر المدفع الكبير، فصحبه خمسمائة رجل من أهل الكدّ والصنّاع والطباشية، وسيّر الحاج علي الساعاتي معهم فبات مخيمهم تلك الليلة بـ (رَيْمة حُمَيْد)[1] فنزلوا على الغيل ثم راحوا في اليوم الثاني وباتوا بـ (سَيّان)[2] محافظة على صحبة المدفع الكبير، فأرجفت الديار وطار خبر ذلك الجيش اللُهَام كل مطار.

وما زال الجيش هنالك يسأل عن أبـي حليقة؟ فقيِل لهم إنه بـ (اللُّمَع)[3] فارتدوا من ذلك المحل على اللمع وجَرُّوا المدفع من طريق دَلاج وإذ كانت الطريق وعرة وكان البريد قد بلغ إلى اللمع ولاقىٰ عيوناً لأبـي حليقة، وتبعت البريد طلائع فالتقوا فتراموا بالفضاء المتوسط بين بيت الوزّان[4] وبين اللمع فنهضت مطارح الخليفة مسرعة حتى بلغوا حصون اللمع ومعاقلها وكانت المحطة من بكيل بالجهة الغربية من الحصون إلى جهة الشام ومحط حاشد من جهة الشرق إلى جهة العدن وأنزلت الخزنة بسوقها وسياقها ببيت الوزان وتسللت الأجناد وقد لاصقوا الحصن بالذي به أبو حليقة على السلالم وأخذوا البيت الشرقي وصعدوا إلى أعلاه، وأحرقوا قصباً، لا يبالون بمن قتل على السلالم، فكان الرجل يصعد فيقتل فلا ينثني من بعده عن الصعود وإن قُتل صعد من

---

(١) **ريمة حُميد**: قرية في منطقة الرُبع الغربـي من سَنحان، جوار طريق صنعاء الجنوبية. وقريب منها غيل عافش.

(٢) **سَيّان**: من قرى الربع الشرقي من سَنْحان.

(٣) **اللّمع**: من بُلدان خولان العالية في شرق صنعاء.

(٤) **بيت الوزان**: قرية في خولان.

بعده، فتنحت الخولانية عن ذلك البيت وانحازوا إلى البيوت الغربية، وقتل من الخارجين أصحاب أبي حليقة رجلاً واحداً.

واستمرت الحروب من الظهر إلى وقت العشاء، واستشهد ذلك اليوم من جند الإمام على السلالم اثنان وعشرون نفراً، منهم الشيخ أحمد بن قاسم شمسان من وادعه، وعادت الأمراء وأكثر رؤساء القبائل إلى بيت الوزان وقد رتبوا جميع المسالك على الطاغية فلم يشعروا إلا بالصريخ يشعرهم بخروج أبي حليقة من معاقله على خُفْيَه فأسرعت الأجناد من كل جهة فوجدوا الحصون خاوية على عروشها فأحرقوها، وأخذوا ما وجدوا هنالك من الغنم والبهائم والمتاع، واستقرت الأجناد هنالك خمسة أيام يهجمون البيوت ويخربون المعاقل وأتوا على ما حولها من القرى وأبادوا الخضراء وأخربوا بيت الوزان وأبادوا خضراه وراحوا عنها كأن لم تغن بالأمس، ثم سار الجيش فبات تحت حصن الشراوي فهرب من به فدخلوه وهدموه واستقروا هنالك يومين يهدمون ما حوله من القرى ويبيدوا الخضراء ثم راحوا إلى حصن الخَوْعَة ـ بفتح المعجمة فواو ساكنة فعين مهلمة فتاء تأنيث من حصون خولان، وما حوله من القرى والحصون فهرب من به، فأقاموا هنالك أربعة أيام يهدمون المعاقل ويبيدون الخضراء، وراحوا عنه إلى جمعة المحفد[1]، وبها حصون وقرى فعسكروا هنالك ثمانية أيام لا يأتون على محل إلا هدموه، ثم نهضت الأجناد فمؤا الأغوار والأنجاد، فهدموا حصون هروب[2] ومشمل[3] وأرادوا دخول وادي مَسْور[4] فجاءهم الأمر من الخليفة بالتجنب ووصل كبير خولان[5]، حضر بالرهائن والعقائر إلى الإمام ثم أرجَفَت الأجناد، ووصلت وعبأوا أثقالهم لقصد اليمانية العليا فبرز الأمر المكنون والسر المَصُون بأن يتركوها، إذ كان جماعة منهم قد استغاثوا بالإمام فحبس منهم خمسة وأربعين نفساً وأعفاهم من خراب الديار، فعادوا على اليمانية السُفلىٰ فبدرهم أمر الإمام فحال بينهم وبين المرام، وسيّر الإمام على اليمانيتين عاملاً فسار إليها وحط رحله بمعقل ربوع دَلاج بيت بشر، وما زال الجند بـ(جمعة المحفد) كلما أقدم أحجم، وراح فمرّ بـ(زراجه) وأقام

---

(١) **المَحْفد**: من قرى الحَدَا، تقع جوار خربة الشلال.

(٢) **هَرُوب**: بفتح فضم. وادٍ في خولان العالية، يقع جنوب مدينة جَحَانة ويصب إلى وادي أَذَنه في مأرب.

(٣) **حصن مَشْمل**: منطقة في اليمانية العليا من بلاد خَوْلان العالية، يقع في حدود خولان مع بني بُخيت بالحَدا.

(٤) **وادي مَسْوَر**: وادٍ مشهور في خولان العالية. فيه مجموعة قرى أهمها: جَحانَه، زَبَار، دار الشريف، البياض، بيت الصلاحي.

(٥) خولان. زيادة من (أ).

محبباً إلى كثير من الناس توجَّه للتجارة فعاد بصفقة خاسرة ولزمته الديون فاستسلم للقضاء وورد على بعض أهل الثروة من المتمولين فرأى عنده كيساً من الدنانير فما زال يتأملها فقال المتمول: ما تتأمل؟ قال: انظر في هذه الصور وشناعتها وقول النبي ﷺ «المصَوّرون في النار» وعاد عليه بالموعظة والتحذير وأورد حديث أبي داود أن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه صورة ولا كلب وبها جنب وقال: أترضى أن يمتلىء بيتك شياطين؟ وما زال به حتى أسعفه إلى أن يخرجها ليستبدل بها شيئاً من عروض التجارة فما مضت ثلاث ليالٍ حتى فشا في الناس أنه قد مسّه الإفلاس فلقيه فقال أين المال فقال دخل في حيز الزوال فقال بذلك ملأت لي البيت ملائكةً. وكان له ولع بالحج وقعد في بعض السنين عن الحج ليري الوزير الحسن بن علي حنش خيط المسايرة وهو من معارف أهل الفلك والأزياج، ووعده في يوم معلوم من شهر ذي الحجة فلما جاء ذلك نشرت السماء سحابة وأطبقت أربعة أيام ففاته الحج ولم يقضِ وطراً في ذلك المنهج، وقد أتينا على ما جَرَى له عند ترجمتنا لعبد الله بن أحمد شرف الدين العوّامي عام إحدى وعشرين وسقنا شيئاً من ذِكره عند ترجمتنا الحسن بن عبد الله الظفري عام ثلاث ومائتين وألف.

وحدّثني يوسف بن إبراهيم الأمير قال: من عجائب المترجم له أنه أحرم بالحج مع والدي من جدة ثم قال قد عزمت أن لا أتكلم مع أحد في إحرامي إلا أن أجيبه بشيء من كتاب الله عز وجل صيانةً للسان، قال فصعدنا على جمل وركبنا في الشقدوف فلم أشعر إلا وقد قال: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدۡ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبٗا﴾[1] قال فأعطاه والدي طعاماً قال: ثم قعد قليلاً وأراد النزول إلى البراز فقال: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾[2]. فقام إبراهيم الأمير على سنام الجمل لئلا يعدل به فعاد فلما استقر مال به الشقدوف فضرب الشقدُف وقال لسايسه: ﴿فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلۡمَيۡلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلۡمُعَلَّقَةِۚ﴾[3] قال فأصلح من شأنه قال: ثم رقد إبراهيم ساعةً ولم يستيقض إلا والمترجَم له يقول للجَمّال يا يهودي يا نصراني قد كلمتك المرّة بعد المرّة ولم تسمع ما أقول لك: فقال إبراهيم: ما لك وله؟ فقال: الجمال هذا يكلمني بشيء لا أدري ايش يريد، فقال: أُرِيد أن يساوي الشدّة لأنها قد تغيّرت. فقال: قد آليت على نفسك أنك لا تتكلم إلا بالقرآن قال: مالقيت مساواة الشدّة في القرآن فقال له إبراهيم: فكيف احرامُك هذا وأنت تقول لرجل مسلم يا يهودي، إن هذا لَعَجَبٌ، فعاد على نفسه وبكى.

وحدّثني أيضاً يوسف بن إبراهيم عنه أنه كان لا يسمع بشيء مما هو مستحيل في

---

(١) سورة الكهف، الآية (٦٢).
(٢) سورة الصافات، الآية (٩٩).
(٣) سورة النساء، الآية (١٢٩).

العادة إلا قال: هذا ممكن وأنه قال: الطيران للإنسان ممكن، فقالوا كيف يعمل؟ قال: يعمل أجنحة من تصلوب الكتب ويشدها بظهره ثم يصعد على كثيب ويعاني الطيران فإن ارتفع في الهواء وسقط، سقط على رمل حتى يدرك.

وحدّثني شيخنا عبد الله بن محمد الأمير قال: رأيته وقد جاء إلى والدي ومعه تخته من صَرِف وقد فعل لقوائمها أربع عجيل. فقال له والدي ما هذا؟ قال عملت ما إذا ركبت عليه سار بـي، فرأى والده البدر ذلك مستحيلاً. ثم قال له كيف تصنع؟ فصعد على تلك التختة وسيّرها فلم تَسر إلا قليلاً ولكن سيراً إلى الوراء فضحك منه.

ولما أكثر معاودة البيت الحرام ورأى أهله يقرأون القرآن على الأداء المعروف حَملتهُ نفسه أن يقعد للسماع على الشيخ إبراهيم الرشيدي فما زال لثقل لسانه يعاني الفاتحة أياماً حتى أدرك بعضها وكان الشيخ إبراهيم يستمعه فإذا وصل إلى ﴿إهدنا الصراط المستقيم﴾ تردد في تفخيم الراء والطاء ويقول الصراط المُسْ طَلْمُسْ طَلْمُسْ فلما ظهرت عليه الديون قال إبراهيم الرشيدي: ما زال يقرأ عليَّ طلمس حتى طلمسَهُ الله.

[شرف الدين بن يحيى]

وفيها: شرف الدين بن يحيى بن علي بن شمس الدين الهاشمي يوم السبت ثالث من شوال.

[تقوى بنت المنصور]

وفيها: سادس وعشرين القعدة تقوى بنت المنصور حسين.

[عبد الوهاب بن محمد سِدَاد]

وفيها: الفقيه المتطبِّب الأديب عبد الوهاب بن محمد سِدَاد الصنعاني[1] أوحد أهل زمانه لُطفاً ومطارحةً للأحاديث المُرَوِّجه مع رصانة وأمانة، حضر درس البدر المنير محمد بن إسماعيل الأمير وكاتبه وكاتب يحيى الحسن بن إسحاق وإسماعيل بن عبد الله بن لطف الباري الكبسي وعبد الرحمـٰن بن علي بن إسحاق ومحسن بن أحمد بن عبد القادر صاحب كوكبان وأخاه المجتهد عبد القادر بن أحمد وغيرهم من أدباء صنعاء وكوكبان، وامتدح بشعره أحمد بن محمد بن حسين وإبراهيم بن محمد بن حسين وقصدهما إلى كوكبان فمن شعره إلى البدر الأمير:

ما للهوى صار دون الناس بي لهجاً   أروم صبراً فينشي في الحشا وهَجَا

---

(١) نشر العرف (٢/ ١٥١)، ملحق البدر الطالع (١٤٣).

لله قلبـــي مـــا أقـــوى تجلـــدِهِ ... ومـــا يَجِـنُّ ومـا ألفيتـة حَـرَجَـا
يلقـى الحـوادث لا يَعبـا بمـا صنَعَـت ... إلا النّـوى فهـو منـه يطلـب الفـرجَـا

من قصيدة طويلة، وأجابه البدر فيها. ومن شعره مجيباً علىٰ إسماعيل بن عبد الله لطف الباري:

أهـــــلاً ببـــــدر قَمَـــــرا ... قلبـــــي وعقلـــــي سَحَـــــرا
وافـــــا بـــــلا وعـــــدٍ إلـــــى ... ســـــوح المعنـــــا سَحَـــــرا
فمـــــا تـــــركـــــت ممكّنـــــاً ... إلا فعلـــــــت مكثـــــــرا
ضممتُـــــه معـــــانقـــــاً ... أرشـــــف منـــــه كَـــــوْثَـــــرا
معـــــاتبـــــاً علـــــى القِـــــلاَ ... وشـــــاكيـــــاً لِمَـــــا جَـــــرىٰ

وله إليه أيضاً وقد استعار منه كتاباً فقال:

إليـك ابـن عبـد الله قـد جنـح الشِعْـرُ ... وفيـك ومنـك النظـم يحسـن والنثـرُ
وقفـت علـى مجمـوع شعـرٍ جمعتـه ... بكفـك يـا مـن دونـه البـر والبحـرُ
فقلـت لقلبـي أيهـا القلـب كيـف لا ... تصفـق سـاهٍ أنـت يـا قلـب أم صَخـرُ
فـأعـرض عنـي سـاعـةً ثـم قـال لا ... ولكننـي مـن قبـل ذا غـالنـي سُكْـرُ

وكان كثيراً ما ينزل إلى (لاعه) بلاد كوكبان فيتشوّق منها إلى صنعاء فيكاتب أدباها. وكانت له يد في الطب قوية، وفي شعره شيء من اللحن إن تتبعه الناظر.

[حاكم القرية محمد بن شمس الدين]

وفيها: محمد بن شمس الدين أبو طالب وكان حاكماً بقرية القابل، يوم الأربعاء ثامن عشر ذي الحجة.

[عبد الكريم بن المنصور]

وفيها: عبد الكريم بن المنصور الحسين الخامس والعشرين من ذي الحجة.

وَدَخَلَتْ سَنَةُ إحْدَى وَمائَتَيْن وَأَلْف

فيها: عقد الإمام بولايات لجماعات وخلع آخرين، فعقد للأمير ناصر يحيى المجزبي ببلاد عتمة شهر جمادي.

وفيها: عقد لإبراهيم بن علي الجرافي بوصاب الأعلا في شهر شعبان.

وفيها: عقد ببلاد آنِس لمحمد بن حسين حيدرة الهاشمي، في شهر القعدة.

وفيها: عقد ببلاد حراز لعلي بن صالح العماري في شهر شوال.

وفيها: عقد ببلاد يريم لصالح بن علي الحمدي في شهر القعدة.

وفيها: خلع عن بلاد المخادر لطف الله بن إسماعيل فايع في شهر ربيع. وخلع محمد بن يحيى العفاري عن وصاب الأسفل في شهر محرم.

وفيها: خلع عن بلاد حجة والظفير إبراهيم بن حسن الكبسي الهاشمي في شهر جمادى الآخرة.

وفيها: خلع عن بلاد جبلة واب محمد ذو الفقار شهر رمضان.

وفيها: عقد للحسين بن أحمد الأموي ببيت الفقيه واستطالت به المدة إلى سنة احدى عشرة ومائتين وألف.

وفيها: عقد ببلاد رَيْمه لإسماعيل بن يحيى الغشم في شهر شعبان.

وفي ليلة النصف من ربيع الأول خسف القمر وصارت مستغرقة حتى اسود جرمها ثم أحمرّت.

[إعراس الإمام بأبنة زبيبه]

وفي شهر بيع أعلن الإمام بأعراسٍ، فبنَى بأبنة علي بن أحمد زَبيبه الهاشمي واستدعى الجند وأعيان أهل صنعاء فحضروا سماطة، وقعدَ اليوم الأول ببيت أخيه قاسم إلى نصف الليل وخرج في زي عظيم وأوقد من الشموع والمشاعيل بين يديه شيء كثير ونصَب خياماً للخدم وأهل النوبة.

وما زال الخيام مضروبة أربعين يوماً ثم عزّز بإعراس آخر وبنى بأبنة الشيخ محسن بن راجح الخولاني بـ (بير العزَب) ولم يشعرهُ كالأشعار الأول واستدعى به أعيان حاشد وبكيل.

[اعراس سيف الإسلام]

وفيها: اعرس ولده سيف الإسلام وبنَى بأبنة محمد بن حسن الأهجري الهاشمي ولم يشعر بالإعراس.

[حادثة في بلاد كوكبان]

وفيها: بعث إبراهيم بن محمد بن حسين جماعةً من رعيته أهل كوكبان إلى بني الذواد قطعة آل ناشر فقبضوها وقبضوا متوليها الحَبَشي مولى ناصر بن صالح بن ناشر وفَرّ من أيديهم وقبضوا سبعة أنفار من رتبتها وراحوا بهم إلى كوكبان فأودعهم السجن. وكان السبب قتل أهل القطعة لرجل يقال له القانصي من رعية إبراهيم بن محمد كما

قَدّمنا الإشارة إليه فاستدعى ابن ناشر قبائل همدان فتنكبوا عنه خوفاً من ضبطهم بسوق شبام كوكبان، فسار إلى حاشد فجمع نحو ألفين وتقدم بهم، واشتدت البقية من رتبة القطعة بالواصلين فقتلوا عشرة من أصحاب السيد إبراهيم بن محمد وتنحّوا إلى قريب حصن العروس[١].

وهاب من في كوكبان تلك الفتكة فجهز إبراهيم بن محمد ولده عباس بن إبراهيم فسار في جماعة من أرحب وسفيان وحصل بينهم حرب يوم الجمعة ونصف ربيع وقُتل إثنان من شِبَام وفرس من فرسان صاحب كوكبان وثلاثة من بني حِبش[٢] من كبرائهم. ثم انكسر عباس بن إبراهيم وتلاشى[٣] جمعه، وعادت قبائل حاشد تلك الليلة ونفذوا إلى صَيْح[٤] فأرسل وراهم إبراهيم بن محمد ولديه عبد الله ويحيى فتبعوهم إلى الرُجُم وصولحوا على مالٍ على أن لا يتعدّوا بلادهم، وخرقوا بلاد كوكبان فمروا بـ (لاعَه) لم يواجههم إنسان ودخلوا القطعة وبها العبد مقبوض في أيدي أَرْحَب ففروا من جيش ابن ناشر فدخل القطعة وقد خُربت، ودار صُلح على هدنة سنة توسط فيه آل مضمون.

[عمارة دار الذهب]

وفيها: بعد أن شرَى شيف الإسلام بيت عصيد شرع في فتح البناء وتشييد دار الذهب، وشَرى من بستان الخرّاز نحواً من عشر لِبَن[٥] ولمّا كان وقفاً زاد في الثمن.

[قيام العبّاس بن إبراهيم صاحب كوكبان بعد أبيه]

وفيها: مات متولي الديار الكوكبانية إبراهيم بن محمد بن حسين[٦] كما ستأتي إلى ذلك الإشارة، وتسلّم أهل الحصن الولاية لولده عباس بن إبراهيم وكان مِن قبل هذا مُقدِماً موخِراً، في ولاية أبيه، وبعثوا إلى الإمام المنصور يخبرونه بما جرى فأسعدهم إلى ذلك وقرر العباس بن إبراهيم متولياً هنالك، وكان قد زعم أهل الحساب وطائفة من المُنجِّمه في ذلك الوقت أنه سيموت عظيم فجمع الإمام أهله إلى دار الفتوح حتى جاء الخبر بموت السيد إبراهيم بن محمد بن حسين فتحول الإمام وتنقل.

---

(١) **حصن العروس**: جبل من بني مطر بمحاذاة جبل كوكبان من جهة الجنوب.

(٢) **بني حَبِش**: بفتح الحاء وخفض الباء. جبل غربي الطويلة، وهو من أعمال الرُجم بالمحويت.

(٣) **تلاشى**: (تلاشا). ومن ذلك كثير أحجمنا عن الإشارة إليها.

(٤) **صَيْح**: وادٍ في بني سعد من بلاد حُفَاش بالمحويت، مصباته من جبل كوكبان ووادي الأهجر ثم تنتهي مسيلاته في وادي مور.

(٥) **اللِّبنة**: تعادل ٤٤ متراً مربعاً.

(٦) أنظر: نيل الوطر (١/ ٣٦)، هجر العلم (٤/ ١٨٨٦). وعن العباس: هجر العلم ٤/ ١٨٩٤.

[تسريح الإمام بنت الشيخ محسن الخولاني]

وفيها: سرّح الإمام ابنته الشيخ محسن راجح الخولاني تسريحاً جميلاً، وعزّز في هذا العام بإعراس ثالث وبنى بأبنة الشيخ محسن راجح أهل جبلة وبنَى بها بعد صلاة الجمعة وسار عن صنعاء إلى ولده سيف الإسلام بـ (بير العزب) وتعشّى وبقي إلى نصف الليل وسار إلى دار الصّافيه.

وفيها: شَرَى الإمام بيوتاً حوالي دار الفتوح وهدَمها وفسَّح الطريق المسبَّلة شرقي مسجد داود[1].

وفيها: تحوّل سيف الإسلام عن بير العَزب وحمل أثقاله إلى دار الذهب وقد شادها وتأنق في بنائها وزخرفها.

وفيها: تربّش صرف القرش فزاد، فأذِنَ الإمام الناس وحذّرهم مخالفة القانون، جعله من مائتي حرف.

[استدعاء والي اللُحيّه عبد الله جوهر]

وفيها: استدعى الإمام والي اللُحيّه عبد الله جوهر فنكله وصادره بِعزّان وكان السبب الموجب لذلك أن ابن جزيلان قبض حصن الريغه[2] وكان مع بني قيس قديماً مما يرجع عملها إلى متولي الزيدية فخرج لمحاصرة ابن جزيلان بنفسه فأخرجه بعد مدة على وجه الصلح وتوسط في الأمر جماعة من الأشراف والقبائل فظن الإمام على التهمة به شرّاً ومع هذا فكان قد فوّت الإمام دراهم قد كانت توجهت إلى صنعاء بعث بها إلى بندر الحديدة فسكت عنه وأرسل له بَفَرَس جواد وكسوة فاخرة وأظهر له استصواب ما فعل في الريغه ثم عرفه الوزير أن الإمام قد أناط به العمل على بيت الفقيه ابن العجيل وانه بادر بوصوله لأشياء لا تُقضى إلا بالمشافهة فبادر بطلوعه وبقي خمسة عشر يوماً وأمر الإمام بحبسه وانتهابه، وقبض بيوته باللحية وأرسل القاضي أحمد بن إسماعيل من الحديدة لإحصاء ما في بيوته فحملوا جميع ما فيها إلى صنعاء وتوجه العمل في اللحية لمحمد سرور بنادق وكان بالمخا قد عقد الإمام لعلي بن يحيى فقيه بالزيدية والريغة وبني قيس وما أليها، وسيّروا المشائخ من صنعاء صحبته فكان على الزيدية نحواً من سنتين واضطربت الأمور وسيأتي تمام الخبر عام ثلاث ومائتين وألف وما يذكر من رفع الأمير جوهر.

---

(١) **مسجد داود**: يقع في وسط صنعاء القديمة شمال الطريق النافذة من طلحة ـ مساجد صنعاء ص (٥١).

(٢) **الريغة**: من قرى بني قيس بمديرية الطّور وأعمال محافظة حجّة. تُشرف على وادي مَوْر النازل إلى بلاد الزُهرة مِن تهامة. وهي مركز قبيلة بني قيس.

وأما أنه كان السبب ما رَفع به إلى الإمام تُجّار حفاش وأهل البلاد الكوكبانية من الشكاية به مِن تضييع السُبل ونهب العدُوّ لهم وأفصحوا للإمام أنه لم يتحرك لكبير ولا صغير وسأل الإمام عن متولي الزيدية فقيل له لم يتحرك لشيء فخلعه عنها فهذا ليس بشيء.

[من مظاهر الطبيعة، وضيافة سيف الإسلام لوالده]

وفيها: كان قِران بين المشتري والمريخ.

وفي آخر شعبان تحوّل الإمام عن بير العَزب وسار إلى صنعاء لجمع من يعول وصام بدار الاسعاد.

وفي ليلة النصف من شهر رمضان خسف القمر عن طلوعه

وفي شوّال استدعى سيف الإسلام والده الخليفة إلى دار الذهب فسار إليه بأهله وعمه محمد بن المنصور، فبقي لديه ثلاثة أيام وتحول إلى دار الصافية بـ (بير العزب).

ومن مظاهر الرحيم الباسط جل وعلا رخص الأسعار أول العام وتتابع الأمطار فكانت الحنطة به قدحاً وربعاً بقرش، والذرة قدح ونصف بقرش والشعير قَدَحين بقرش، وظهر نقص في الأنهار والغيول من آخر العام.

[بلهوان في صنعاء]

وفيها: ورد شاطر على الإمام يسير على الحِبال فاجتمع الناس للنظر إليه جمعاً عظيماً فنْصَب الخشب ومدّ عليها الحبال ومشى عليها بباب دار البهمة وذلك يوم الخميس سادس عشر جمادى الآخرة.

[قيام عبد الله بن المنصور بالديوان]

وفيها: أقام الإمام ولده عبد الله بن المنصور مهيمناً على الحكام في البلدان ومنفذاً لما أمْضوه، فَحَمَلَهُ على ذلك حاكم حضرته يحيى بن صالح السحولي، وأضاف الإمام إليه جماعة من الجُند وعمره يومئذ عشرون سَنَه لِمَا رأى عليه مخايل النجابة.

[سير الشريف سرورَ إلى بلاد حَرْب]

وفيها: سار الشريف سرور بن مساعد عن مكة بجيشٍ جرّار وقصد بلاد حَرب بين الموسمين وصاوَل أهلها بكُرَاع العميم وسار إلى غدير خم فناجز أهلها وقصد جبال الرِّس وما زال في جهاد ستة أشهر حتى انتقم منهم، وكان جملة القتلىٰ في سفرته هذه ألف رجل والأسرى خمسمائة بعثهم إلى جده وبذلك توطت له المملكة وزادت هيبته وحمده الخاص والعام وعاد منصوراً.

[سقوط كوكب علىٰ جبل بالطائف]

وفيها: انقضّ كوكب عظيم عند صلاة الفجر فشهده من حول الكعبة كالبدر سارياً وسمعوا وجبة عظيمة في صلاة الظهر، وجاء الخبر إلى مكة بأنه وقع ذلك على جبل من جبال الطائف فصدع حجارته.

وفيها: عَوّل محمد بن أحمد الجوهري علىٰ إبراهيم بن محمد الأمير أن يشرح ما جمعه من الأربعين الحديث، فوضع لها شرحاً بديعاً في هذا العام وبعث به إلى الديار اليمنية، وقد نقلنا عن إبراهيم بن محمد في ترجمته الآتية كلاماً في: من حفظ على أمتي أربعين حديثاً، ورأيته ترجم لصاحبها فقال:

هو المجيد المبجل الأخ في الله عز وجل أبو محمد، محمد بن أحمد بن حسن بن عبد الكريم بن حسن بن محمد بن يوسف بن كريم الدين المعروف بالجوهري[1] مولده بمصر المحروسة بقرب القاهرة في شهر ذي الحجة الحرام عام وأربعين تقريباً[2] ونشأ بها وطلب بها العلم، أخبرني أنه أخذ عن والده في الفقه والحديث وعلم الكلام والتصوف وعن الشيخ أحمد الملوي في النحو والمنطق والكلام والفقه وعن الشيخ محمد الحفناوي في الفرائض والحساب والفقه والحديث وعن الشيخ خليل المغربي في البيان وعن السيد محمد البليدي في المنطق والتفسير والوضع، ولم يزل بالديار المصرية يأخذ من الأعيان ويشار إليه بالبنان في البيان والتبيان ثم قال: من شِعْر صاحب مؤلف الأربعين صاحب الترجَمة حفظه الله تعالى:

أخـي مـن الـدنيـا حـذاراً فـإنهـا ... خليقــة عــذرٍ للــرجــال مَصَــارع
ومـا هـي إلا مـن خـزف لـو علمتـه ... ومـا هـي إلا لـو دريـت بـلا قـعُ

وله في المعنى:

هــي الـدنيـا وإن عـذبـت مـريـره ... ومــا فيهــا بهــا عيــنٌ قــريــره
فمــل عنهــا وجــانــب كــل خيــل ... وحـــاذر أهـــل ودك والعشيـــره
ولا تطمـــع بخـــلٍ فـــي زمـــانٍ ... تعــدّىٰ الســوء فيــه إلــى الســريــره

وله في المعنى والتحذير من كذا المعنى:

لا تــأمــن الــدنيــا وكــن حــذراً لهــا ... ودع الغـــرور بفصلهـــا وبـــوصلهـــا
إن أقبلـت ولّـت وإن هـي أضحكـت ... أبكــت فــأيــاك الــركــون لظلهــا

---

(١) معجم المؤلفين (٨/ ٢٥٠)، الأعلام (٦/ ٢٤١).

(٢) هكذا بالأصل. وتشير مصادر ترجمته إلى أن تاريخ مولده في عام (١١٥١هـ).

خَـوّانـة مـا إن تبسَّـمَ ثـغـرُهَـا   إلا وفيـه خـديعـة لـم تخلهـا
فـارحـل فـديتـك وانثني عـن ظلهـا   متجنبـاً لفضـولهـا ولفضلهـا
فـالفضـل عقـل والفضـول أمـانـة   والـوصـل فصل والـوصـول بفصلها
وإذا اعتـرفـت عـرفـت أنـي نـاصـحٌ   وإذا اعتـرفـت فـلا تمـل عـن ملهـا

وله فيه، والله يبقيه ويقيه ويكافيه:

تسـل عـن الهمـوم ولا تبـالـي   ودع الـوبـال لـذي الـوبـال
كـلاب حـول رمتهـم تجـاروا   خـذوهـا فـالمصيـر إلـى الـزوال

وله، لا زال في وله:

أمـوت بحسـرتـي ان لا أرانـي   علـى سنـن الهـدى يـومـاً أقيـم
كـأنـي قـد خلقـت لـذي الخطـايـا   معيـن فـي مفـاوزهـا أهيـم

وقال، أقاله الله من كل حسود وقال:

لا يعـرف الـداء إلا مـن يخـامـره   ليـس الطبيـب كمـن يشكـوك بلـواهُ
إن الـذنـوب لبـاس الـذل والأسفـا   سـربلتـه وفـؤادي داء أوَّاهُ

وله متوسلاً، حفظ الله ذاته الشريفة وكلا:

يـا رب مـا لـي مـا يقـارب ذرة   فـامنـن بغفـرانٍ وجـودٍ يسعـف
يـا رب إنـي قـد أضعـت شبيبتـي   فـي كـل عـي خطـه لا يـوصـف
يـا رب إحسـانـاً لعبـدٍ مـذنـبٍ   فـي دهـره مـن نفسـه لا ينصـفُ
يـا رب إن واخـذتنـي بجـرائمـي   وعظيمهـا يـا رب مـن بـي يـرأفُ
يـا رب إن عظـائمـي وعظيمهـا   فـي جـانـب الغفـران شـيء يلطـف
العفـو أوسـع والمـراحـم جمـة   وسيـوب غيثـك بـالمـواهـب تـذرف
يـا رب مـا لـي غيـر بـابـك مرتجَـى   فلئـن رددت فمـن يجـود ويعطـف

قال إبراهيم الأمير بعد هذه الترجمة: انتهى ما سنح من المُنَح سلخ ربيع الأول في المسجد الحرام يوم السبت، تحت ميزاب الكعبة الشريفة، والذات المنيفة، رجاء القبول إذ هو المأمول، بقلم الحقير الجاني الفقير، أسير القصور والتقصير، إبراهيم بن محمد بن إسماعيل الأمير الحسني اليمني، الجازم بالإقامة في جوار بيت الله، ورسوله إلى يوم القيامة. انتهى.

[يوسف بن أحمد الحسني الصنعاني]

وفيها: يوم الخميس ثاني عشر جمادى الأولى، يوسف بن أحمد بن يوسف بن الحسين بن الحسن بن القاسم الهاشمي[1] عن ثلاث وخمسين سنة، الملقب بالهندي، كان له ميل إلى التصوف، لذا قصد آل المشرع إلى زبيد، اشتغل بعلم المنطق والهندسة والهيئة فبرز وأخذ عنه ولده محمد وآخرون، وكان له ولع بالخطوط والنقوش وطرائق الخط.

[يحيى بن محمد، قاضي القضاة]

وفيها: يوم الخميس غرة شهر رجب، يحيى بن محمد بن عبد الله بن الحسين بن الإمام الهاشمي القاسمي، بِعلّة الحصر وانحباس البول. ولد تقريباً سنة أربع عشرة ومائة وألف وبلغ من العمر سبع وثمانين سنة، ونصّبهُ الإمام المنصور بالله الحسنى بالديوان لفصل القضاء عام خمس وأربعين ومائة وألف، فبقي في هذه الوظيفة ستة وخمسين عاماً لم يفصل بين اثنين، ولما مات عبد الله بن يحيى بن الإمام المهدي[2] طمع في الزواج بالشريفة زينب بنت المتوكل، فطلب ذلك من الإمام المنصور فزوجه إياها واشترط الإمام صداقها خمسمائة قرش فسلّمها، ولما تزوجها غَلبت عليه وأمضت أموراً تردد فيها، جزمت بها ولم تراعى قوله، وأخبرني مَن أثق به أن المهدي العباس أرسل إليه بأولاد أحمد المتوكل ليفصل شجاراً بينهم فما استطاع أن يجزم فيها بشيء فما زالت الشريفة تعجب من حاله حتى كتبت إلى الإمام بأنها فصلت القضية منهم بكذا، فلما وصل كتابها بعث به إلى وزيره أحمد بن علي النهمي فاستحسن ما فصلته وكتب إلى الإمام في ذلك الفصل، وما أحسن قول الشاعر:

فيا ليته لم يكن قاضياً ويا ليتها كانت القاضيه

فبعث الإمام إلى المترجَم له بذلك الكتاب ليعرفه بمقدارها فوجد منها وسكت. وكان له معرفة بالطب وعلم الأسماء والرمل والجفر، وقصده العام والخاص لمداواة العلل وانتفعوا به وضربوا بحكمته المثل، فكان الحكيم إسماعيل العجمي يُعجب من معرفته وهدايته لمعرفة العلل وعلاجها مع قوة الساعد في ذلك الفن وعدم الممارسة لكتب الطب المأخوذة عن أفواه المشائخ.

وحدّثني سعيد بن إسماعيل الرشيدي مفتي الزيدية بصنعاء، وكان صدوقاً في أخباره ثقة فيما يرويه قال: كان لي أخ مُبتَلَى تظهر له الجن وتتشكل بين يديه على صورة

---

(١) أنظر نيل الوطر (٢/٤١٩).

(٢) البدر الطالع (٢/٣٤٢)، نيل الوطر (٢/ ٤٠٠).

مفزعة متنكرة، فورد إلى صنعاء وكان بضوران، فقصد يوم ثاني وصوله يحيـى بن محمد فلما دخل عليه أيّدهُ بصره وصوَّب النظر فيه وصعَّد ثم قال له: لا أظنك إلا أحمد الرشيدي، فقال: نعم. فمن أين عرفتني، فسكت طويلاً، ثم قال: قد شكاك الجن وتوجعوا منك، فقال: بِمَ شكوني؟ فقال: بقراءة ﴿قل هو الله أحد﴾ عليهم فقال: لا أبرح تالياً لها عليهم، فقال: ما الذي حَملك على هذا؟ قال: تضييقهم عليَّ بتنغيص المعيشة فإني لا أقوم في صلاة إلا تمثَّلوا لي في صور الحيَّات والعقارب والحرشات الشوكية المنظر، وإذا قمت إلى الطعام تساقطوا عليه مثل الدود والذباب فأعافه، ولا أجد لي فراغاً للطعام والشراب إلا عند سماع النداء للصلوات، فإنهم عند ذلك يدبرون، فقال له: اذهَب وآتني من الغد، فذهب ثم جاءه فقال له: الصلح خير قال: نعم. قال: قد أخذت على أولئك أن لا يتظهّروا لك في حال، وإني آخذ عليك أن لا تقرأ عليهم ﴿قل هو الله أحد﴾ فقال: سمعاً وطاعة. وكان آخر عهده بالجن من يومئذٍ.

ولما مات الإمام المنصور بالله الحسين، ودعا ولده المهدي العباس الناس إلى بيعته تثاقل صاحب الترجمة ثم بايعه وقال: بايعناك حتى ييسر الله لهذا الأمر أهلاً وكانت طائفة من الغوغاء ومن لا يعبأ به من آل الإمام قد أُروا إليه أنه أحق لهذا الأمر من غيره فلذا طمع فيها، فوقعت تلك الكلمة من الإمام المهدي بمحل إذ كانت الكلمة من سائر الأمة قد قامت بأنه لا يصلح للخلافة غيره، وقد كان الإمام المهدي أراد زحلفته عن القضاء لعبد الله بن أحمد بن إسحاق، فلمّا عرض القضاء علىٰ عبد الله بن أحمد أبى أن يتحمله بعد أن أرسل إليه وزيره الصالح أحمد بن علي النهمي فأتى ذلك فترك يحيـى بن محمد بوظيفته ولم يتحمل عليه الهوى وكان يثقل عليه، فأخبرني من أثق بحديثه أن المهدي العباس ليلة عودة من قتلة سعوان أرسل لمحمد يحيـى ليتروح بحديثه من سأم المصاوَلة في يومه وقال لولده القاسم: مُر مَن وراءك أن يرسل لمحمد يحيـى وحذره من الغلط بيحيـى بن محمد، فامتثل أمره وحذره من الغلط فوقع الرسول فيما حذره منه فذهب إلى يحيـى بن محمد وجاء به فلما استأذنوا به على المهدي العباس، قال لولده: أما حذرتك من الغلط، قال: قد حذّرت. فقال: لا بأس، ولكن أخبره أنا لم نرسل له وإنما أرسلنا لمحمد يحيـى وأذن له في الدخول. فلما قارب وصوله إلى الإمام قال كلمة جافية: إنما تعرفونا يوم بلاكم، فسمعها منه الإمام فأفصح له بأنه لم يرسل له وسيَّره عن مقامه ودعا بمحمد بن يحيـى.

ولما أفضت الخلافة إلى المنصور بالله علي بن العباس وأراد المسير يوم البيعة ليرى من يجمع الناس عليه استدعته زوجته الشريفة زينب وقالت له: إذا دعيت إلى البيعة فكن أول مسارع إلى صاحبها ودع الحماقة والبلَه، فقد رأيت ما كان عقبـي أمرك مع

الإمام المهدي وما لقيت من الجفاء، فسمع كلامها فكان أول مبايع، وقد نقل الناس عنه في أمور العلاج ما يقضي سامعه بالعجب، ونقلوا عنه في الجفر أموراً أفصحت عن الصدق، وكانت أوصافه لأهل العلل والأمراض بالعقارات الموجودة المبتذلة القليلة الثمن، وكان له في علاج حصر البول وانحباسه يد طولى وبتلك العلة مات، وكان رحمه الله تعالى ممتعاً بالحيوة صحيحاً لا يعرف المرض فإنه كما قيل لم يمرض سوى مرض الموت.

[المُحدِّث قاسم بن محمد الكبسي]

وفيها: يوم الجمعة وفي عشرين من شهر رجب وقيل ثاني وعشرين ربيع أول، القاسم بن محمد الكبسي[1] عن تسعين سنة، ولد تقريباً سنة إحدى عشرة ومائة وألف وانقطع آخر عمره ببيته نحو عشر سنين، ولمّا قام بالدعوة المنصور بالله علي بن المهدي العباس كتب إليه وهو بحضرته كتاباً مفرداً يدعوه إلى الإجابة فأجاب. أخذ عن قدماء الشيوخ، وتخرج بهاشم بن يحيى الشامي وأخذ عن إبراهيم بن خالد وصلاح بن حسين الأخفش ومحمد بن إسحاق وأحمد بن عبد الرحمٰن الشامي وعبد الخالق بن الزين المزجاجي في الأمهات الست، وكان حافظاً ذا سُنَّةٍ، وأَسْمَع كثيراً من الكتب الحديثية وتلقاها عن أهلها، وأجازه البدر المنير محمد بن إسماعيل الأمير في صحيح أبي عبد الله البخاري وغيره، وعنه جماعة لا يحصون، منهم: محمد بن يحيى بن أحمد الكبسي وأخوه الحسن بن يحيى وشيخنا المحدث لطف الباري بن أحمد الورد والحسن بن إسماعيل المغربي وعلي بن إسماعيل النهمي وخلق، وكانت إليه كتابة الوقف فحصلت وحشة بينه وبين ناظره أحمد بن محمد قاطن أوجبت تأخير القاضي عن وظيفته، وكان قد استخانه وكتب إلى الإمام المهدي العباس بأخبار مؤلمة أوجبت حبس قاطن كما قدمنا الإشارة إليه في ترجمته عام تسع وتسعين، وكان إلى القاضي أحمد تلك المدة قضاء مدينة ثِلاَ فجعل له المهدي قسطاً من عمالة المترجَم له فلم تطب نفسه، وكان المترجَم له إليه نظارة الأوقاف الثلاثية فما زالا في محنة إلى أن آل الأمر إلى عزلهما، ولما مات المترجَم له أرخه شيخنا عبد القادر بن أحمد فقال:

قيل لي مات أجل الناس في ... كل علمٍ سابقاً في كل فَنْ
قلت حقاً أرخُوه انَّهُ ... قاسماً في جنة الخلد سَكَنْ

سنة ١٢٠١

---

(١) نيل الوطر (٢/ ١٨٢)، البدر الطالع (٢/ ٥٢)، هجر العلم (٤/ ١٧٨٨)، أعلام المؤلفين الزيدية (٧٧٧)، الأعلام (٥/ ١٨٣)، معجم المؤلفين (٨/ ١١٩).

وفيها: إبراهيم بن محمد بن حسين متولي الديار الكوكبانية[1] ليلة الثلاثاء ثاني وعشرين شهر رجب عن إحدى وسبعين سنة، وكان فارساً كريماً ممدحاً شجاعاً باسلاً متخلقاً بأخلاق الدولة القاسمية، وكانت والدته تقيّه بنت حسين أخت المتوكل تأخذ عليه الجِدّ والحزم فطاش برأيها ودخل صنعاء عام دعوة الإمامِ المهدي لتسليم البيعة فتحيل بطبعه الحاد أن يستميل الناس إليه وسيَّر إلى جماعةٍ مالاً فحبسه الإمام فبقي نحواً من شهر، فأدعَى أخوه أحمد وجرت حروب، ولما استقر هنالك سوّلت له نفسه الفتك بأخيه أحمد، فضبطه أحمد وحبسه برهةً من دهره، ووثب على أخيه عبد القادر بن محمد وغلبه وقام بأمر الجهات الكوكبانية ولم يختلف عليه أحد وقرره الإمام المنصور بالله على ولايتها وأنعم عليه.

وقد ترجَم له ولده يحيى بن إبراهيم وذكر وقائعه وما اشتملت أيامه بكتابه المُسمّى «الدّر المنضّد بممادح إبراهيم بنِ محمد» وقد أشرنا في كتابنا هذا إلى كثير من أحواله وماجرياته، وقدمنا أنه حُبس برهةً من دهره وذلك ببيت سلطان رابع عيد النحر عام ثلاث وستين ومائة وألف فبقي به إلى يوم الخميس خامس وعشرين ربيع أول عام ثمانية وسبعين ومائة وألف، وفي اعتقاله قال أحمد بن حسن بركات:

سلامٌ على نار الخليل فإنها ... أضاءَتْ لنا من جود وإبلهِ وَبْلاَ
إذا زرت إبراهيم نجل محمد ... فدونك بحراً طَبَّق الأرض والسهلا
تعال فحدثني عن البحر ساعةً ... فإن حديث البحر من عجبٍ يُتْلَى
يفيض على المثل النظير نَظارُه ... على فرض أن تلْقَى له في الورى مثلا
فإن منعوا عنه الفراسة والخُطَا ... فلَم منعوا عنه الفضائل والفضلا
لئِن كان جَلاّ في الكمال فإنَّهُ ... لأوّل مَن في خندس الليل قَد صَلاَّ
وعمّا قريبٍ تنظر البدر طالعاً ... وقد سجدت تلك النجوم لَه رُسْلاَ
فما كان إبراهيم من دون يوسف ... ولا كانت الأسباط دونهمُ نَبْلاَ
سلامٌ على تلك الصفات ولم أُقل ... عليه سلامٌ فهو من فَوقهِ أَعلَى
وذكرك أنساني سواك ولم يكن ... سواك بما أثنى عليه بهِ أَهْلاَ

[سليمان بن المنصور]

وفيها: سليمان بن المنصور بالله الحسين[2]، وكان كريماً فاضلاً له شعر تناقله الناس عنه، فمنه قوله:

---

(١) نيل الوطر (١/ ٣٦)، هجر العلم (٤/ ١٨٨٦).
(٢) نيل الوطر (٢/ ٩).

يـا قـاتِلـي عمـداً بغيـر خطيئـة رفقـاً فـإنـي لا أطيـق تجلُّـدَا
أذهلْتنـي أسهـرتنـي أسقمتنـي ورميتنـي بـالصّـد منـك تعمـدا
فـألـزم عهـودك والتـزم شـرع الهـوى مـا كنـت مـذ ألـزمتني أرعَـى العِـدَا

وله رحمه الله تعالى:

قـالـوا عشقـت صغيـر السّن قلـت لهـم عشقتـه لا أُبـالـي مـن أعـاديـهِ
قـالـوا فمـا تشتهـي منـه فقلـت لهـم تقبيـل خـدٍ ورشفـاً مِـنْ لِمَـا فِيْـه

وله رحمه الله:

ملكـت الصـب فـاصنَـع مـا بَـدا لـكَ وصُـن قلبـي فقـد أضحَـى حِـلالَـك
ودع هجـري وكَـرِّر لـي وصَـالـك وخُـذْ رُوْحـي إذاً روحـي حـلاَلـك

وقد دارت بينه وبين قاسم بن يحيى بن محمد الهاشمي مكاتبات، وله في الملحون شيء كثير.

[اسماعيل بن علي بن قاسم المتوكل الشهاري]

وفيها: إسماعيل بن علي بن قاسم بن أحمد بن المتوكل بن القسم بن محمد صاحب شهاره[1]. أرخ وفاته محمد أحمد الشامي الشهاري فقال:

لقـد غـاب عنّـا ضيـآء الهُـدى مغيبـاً دَجَـا أُفُـقُ المجـدِ منْـهُ
وقـد فـاز مـن رَبِـه بـالـرضـا فـأرختـه رضـي الله عنـهُ
سنة ١٢٠١

وكان له ـ رحمه الله تعالى ـ يد طولى في صلاح جهات شهارَه وهنوم مع جهاد باللسان والقلم وتحذير من نزول النقَم، وكان كريماً طلق الوجه صاحب سُنّه، حسن الأخلاق، وله الرؤيا المشهورة حين رأى القيامة وأحوالها وسمع الصارخ يقول: غفر الله لأمة محمد، فقال: حين سمع النداء: فكيف بقبائل بكيل؟ ثم سأل في تلك الحالة فقال: وذو محمد وذو حسين؟ فقال الصارخ: وذو محمد وذو حسين. ومن شعره وفيه الاكتفاء:

طيـب الـوصـالِ لـداءِ قلبـي مَـرْهَـمُ فعـلام أَمْنَـعُ ذاك منـك وأُحـرَمُ
وأظَـلُّ مثـل العيـس يقتلهـا الظمَـأ والمـاء فـوق ظهـورهـن مُخَتّـمُ

---

(١) نيل الوطر (١/٢٩٩)، معجم المؤلفين (١/٢٩٩)، مصادر الفكر الإسلامي (٣٥١)، هجر العلم (٢/١٠٩٧)، أعلام المؤلفين الزيدية (٢٥١).

لا الدار نازحةٌ فأبسط عذرها   كلا ولا دون المزار جهنَّمُ
فأدِرْ ودع منع الموانع أكؤساً   من عذب وصلك والحوادث نُوّمُ
ومعاذ ربي أن يكدر وُدَّنَا   زُورُ الحسود ونحن نحن وأنتُم

وله مساجلاً لولده الصاحب علي بن إسماعيل، قال المترجَم له:

للَّه معهد أنسٍ   لي طاب فيه المقامُ
في ليلةٍ كان فيها   من كل أمر سلام
هي حتى مطلع الفجر

فقال له ولده:

وقام يخطب فينا   عند الصباح الحمامُ
يهدي السلام إلينا   جهراً فقلنا سلامُ
قولاً من رب رحيم

فقال المترجم له:

وربما رام تركي   حواسدي حين لاموا
بحب سلمى فقلنا   للحاسدين سلامُ
عليكم لا نبتغي الجاهلين

فقال ولده:

وقلت ساعة جاؤوا   للعذل بغياً وراموا
نكراً أتيتُم ولكن   حتى نقول سلامٌ
قوم منكرون

فقال المترجم له:

وفي ربوع المُصَلَّى   سقا رباها الغمامُ
كم قال من ساكنيها   حال الدخول سلام
عليكم طبتم فادخلوها خالدين

فقال ولده:

شخصٌ بنا منه وَجْدٌ   وصبوة وَهَيَامُ
من آل سامٍ براهُ   رَبِّي فقلنا سلامٌ
على نوح في العالمين

فقال المترجَم له:

أَغَنٌّ يحِكي قواماً وقد ثَنَاهُ المُدَامُ
غُصْنُ البشام يُنَادي لفرط صبري سلام
عليكم بما صبرتم

وكان وفاة ولده علي بن إسماعيل رحمه الله تعالى شهر جمادى الأولى عام ثلاثين واثنتي عشرة مئة.

[أحمد بن أحمد أبي الرجال]

وفيها: أحمد بن أحمد بن أبي الرجال[1]، جمادى الأولى. أخذ في الآلات عن القاضي أحمد بن صالح بن أبي الرجال وعن يعقوب بن محمد بن إسحاق وعن الأستاذ عبد القادر بن أحمد بعد تحوله من كوكبان، وأخذ عن شيخنا الأستاذ علي بن إبراهيم بن عامر في تذكرة ابن مُتَّوَيْه، ولازم أعلام صنعاء، وبرع في المعرفه واعترته أحوال تعتري آل أبي الرجال، وكان كثير الشعر جيده، فمن شعره العذب ما كتبه إلى القاضي علي بن حسن العواجي[2]:

رَقَّى لدمع المقلة المترقرقِ خفقات برقٍ منهمُ متألِّقِ
لا يُطْلق المأسور من أَسْر الهوى والحب في أسر الهوى لم يُطلقِ
يا ساحر المُقل التي في سحرها سحرت على بُعْدٍ فؤاد الشيّقِ
وسيوفها في كف سلطان الهوى ما عُلِّم الأوّاب منها لا يَقِي
ويصير قصدي كلما كلمتُهُ من جَور وجْدي غير ما في منطقي
زُرْ مدنفاً في الحي أحياء شوقه واهاجه برق السحاب الأبلقِ
ويكاد يُتْلِفُ مهجةً مُلكتَها حرّ الجوَى فتلاف منها ما بقِي
إني لأهوى أن أراك وإن يكن في الروع من حرب العدّو الأزرقِ
فأصير في أسرَى يديك لأنني في السِلْمِ خاشٍ أننا لا نلتقي
هل قد سمعت بعاشقٍ حمل الهوى ويرى سوى التقوًى بطرفٍ ضَيّقِ
يهوَى ويهواه العفاف إذا خَلاَ إن العفاف لِغَيْرنَا لم يعشقِ
سلبت ثياب النسكِ مقلتك الفتى ظلماً وتزعم أنك الشاب التقى

---

(١) نيل الوطر (٦٢)، مصادر الفكر الإسلامي (٢٣٤)، أعلام المؤلفين الزيدية ٨٠، هجر العلم (٥٦٦/١).

(٢) **القاضي علي بن حسن العواجي**: حاكم بندر اللُحَيّة، وكان عالماً محققاً في الفقه وأصوله وكانت وفاته سنة (١٢٢٤هـ).

حتام يكتم ذو الحِجَا سِرّ الهوى ... في صدره والعيش عيش الأحمقِ
والرِّيم لم يأنس بصبٍ عاقلٍ ... ويميل عن شرك المحب المُمْلقِ
ولقد حملت مع الجنوب تحيةً ... ولو استطعتُ حملتُها في مفرقي
نحو الذي نحّا اللُحَيّة قاضياً ... فغدا الشبية ببحرها المتدفق
المنشي المحيي لكل فضيلةٍ ... العالِم اليقِظ البليغ المفلِق
من يغني المشتاق باطِنُ كفِه ... عن لثم وضَّاح الشنيب الأفرق
مَن لو رمى بشرارةٍ من ذهنه ... أصلاً بها شجر الأراك المورقِ
من يسحر الألباب بالسّجع الذي ... فِقَرُ البيان بغيره لم تُفْتَقِ
من حلَّت الخمر الحلال بنظمه ... فأدارها في كل بيتٍ مونِق
من يطعن الأعداء بسمر يراعِهِ ... فتنوبُ عنه عن لقاءِ الفيلقِ
قاضٍ قَضَتْ فيه الكرام بِسَبْقِهِ ... والفضل قاضٍ انه لم يُسبق
أعني علياً مَن رَقَا شأو العُلاَ ... فعليٌ على بدر التمام المشرقِ
من معشرٍ دانت لهم دون الورى ... تلك المعالي يرتقي من يرتقي
فعلمت أن البحر منه قُطرةٌ ... وعجبت من أرضٍ لهم لم تَغْرقِ
يا صاحبي هذا صديقك صادقٌ ... في شوقهِ وسُوَاه من لم يَصْدُقِ
قلبي بحبل الودّ عندك مُوثق ... فاطْلِق فديتك للفؤاد الموثقِ
وارحم أخاك بشرح حالك إنه ... لحليف أشجانٍ وقلبٍ مُحْرَقِ

وله وهي من مستعذب شعره يمتدح الإمام المنصور في واقعة نُقُم[1]:

حُييت عن ساكني صنعاء يا نُقُمُ ... فقد أزالت دَمَ الأعداء بك النِقَمُ
أعدا إمام الهدى المنصور من شهدت ... له أفاعيلُهُ الغراءُ والشِيَمُ
بأنه بَهْجَةُ الدنيا وزينتها ... وان للإله الصارمُ الخذِمُ
المطعم الطير في الهَيْجاءِ بغيتها ... أبطال بَغْيٍ يقولون الأُسُوْدُ همُوا
جاؤوا يُساقون للموت الزؤام ضُحاً ... وقد سعتْ لهم العُقبانُ والرُّخَمُ
ووسع الوحش في البيدا مَساكنه ... كواحدٍ قد توالت عنده النعم
يا أيها الملك المولى الذي طلعت ... من كفه السائرانِ: المجدُ والكرمُ
تضاحك الزهر في دَوْحَاته عجباً ... إذ نوَّر الصّخر في هذا الربيع دَمُ
وكان في الدهر من بغي العِدا ألمٌ ... الآن لا بغيَ موجُودٌ ولا ألَمُ

---

(١) واقعة نُقُم: كانت سنة (١١٩٧) وقد سبق للمؤلف أن شرحها عند ذِكره لأخبار السنة المذكورة، وكانت قد وقعت في أسفل جبل نُقُم ـ بضمتين ـ الذي يشمخ على مدينة صنعاء، ويحتضن المدينة في سوح سفحه الغربي.

قد مَزَّقت باتراتُ الهند حزبهمُ ... وأيتمت منهم الأبنَا كما يتموا
دعوت قبلَهُمُ في كل معتركٍ ... لا تهزل الطير إلا حين تنفطِمُ
تخالها في أكف الجيش لامعةً ... تنوش أجسامهم حيناً وتلتطمُ
لو جوّز الشرع لولا إسكَافِ سَلْخَهُم ... لم تنفع المعتني في سلخها الأَدُمُ
قد مزّقتها العوالي يابن حيدرةٍ ... ونالها المهزلان الخوف والعدم
كأن جيشك مشغوفٌ بقلتهمُ ... في قلبه الخافقان الرمحُ والعَلَمُ
إن كان أزهى بني الزهراء ان ذكروا ... يُكْنَى رشيدٌ ومأمونٌ ومعتصمُ
فأَنْت مهدي بني الزهراء وزَهْرتها ... قد طال ما انتظرتك العُربُ والعُجمُ
لا زال مرقاك في العليا إلى رتبٍ ... ما نالها مَلِكٌ دانت له الأَمَمُ

وقد كان شارف على علم الأصول الفقهية وقرّر قواعدها وبلغني أنه قد كان شرع في شرح على نَظم الزُبده، ودارت بينه وبين القاضي أحمد بن صالح مذاكرات فمنها اختلافهما في قول الله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ﴾[1]. فقال هذه استعارة تبعية في الحرف، وقال القاضي أحمد بن صالح: بل استعارة بالكناية شُبهت الرحمة بالظرف وضم إليها ما هو من لوازم الظرف وهو في الظرفية، وكثرت المجادلة وإنما أوردنا هنا سِرّ المسألة فليتأمل كلامهما الناظر.

وَدَخَلَتْ سَنَةُ إِثْنَتَيْنِ وَمِائَتَيْنِ وَأَلْف

فيها: عقد الإمام بولايات لجماعات، وخلع آخرين، فعقد ليوسف بن أحمد الجلال الهاشمي ببلاد حُبيش شهر ربيع أول.

وفيها: عقد ببلاد جبلة وإب لإسماعيل بن عبد الله فارع وكان على المخازين بصنعاء فأقام ابنه فيها.

وفيها: خلع عن وصاب الأعلى إبراهيم بن علي الجرافي شهر ربيع.

وفيها: عقد ببلاد رداع للأمير سعد زياد على اضطرابٍ من قبائل قيفة.

وخلع عن بلاد آنس محمد بن حسين حيدره الهاشمي سلخ شعبان.

وخلع عن بلاد حفاش وملحان الشيخ حيدر مرجز شهر شوال.

وخلع عن بلاد عتمة الأمير ناصر بن يحيى المجزبي شهر جماد.

وخلع عن بلاد ريمة إسماعيل بن يحيى الغشم سلخ الحجة.

---

(١) سورة آل عمران، الآية (١٠٧).

وفي المحرم سارت الطاغية ذو محمد وذو حسين عن ديارها المدمرة ووصلت ذو محمد إلى العرّة محاذين للروضة، ووصلت قبائل الشوف وآل عفرا وتوجّهوا باب الإمام بعد أن نهبوا من الطريق. وسار الإمام المنصور إلى بستان المتوكل فأقام به بعد أن كان قد أعرض عنه.

وفيها: أصاب أخاه القاسم بن المهدي علة الذبحة فسار إليه يعوده.

وفيها: قلد الإمام بعد موت الأمير فيروز الأمير سرور على الجُند بصنعاء.

[اختلاف أهل كوكبان وربطهم العباس بن إبراهيم]

وفي ثامن عشر شهر ربيع آخر اختلفت الأهواء بين آل شمس الدين بحصن كوكبان فسار يحيى بن إبراهيم بن محمد ومن ساعده إلى أخيه عباس، وهو المتولي يومئذ فغدر به وقبض عليه وربطه، فشكَى عباس في تلك الحالة وأشفق من إخراجه النهار جهاراً، فقال لأخيه يحيى: يا يحيى أنا ربطت عمي عبد القادر ليلاً وأخرجته ليلاً ولم أُشْمِت به الأعداء، وناشده الله والرَّحِم أن لا يخرجه إلاّ في وجه الليل، فأبى وأخرجه نهاراً مربوطاً مقيداً، ثم بعث يحيى بن إبراهيم إلى أخيه محمد بن إبراهيم وكان من شيعة عباس فأودعه السجن وبعث لولده عبد الرحمٰن بن عباس، وألحقه بوالده، وكان عبد الله بن إبراهيم بشبام قد كتب إليه أخوه محمد يخبره بما كان فطلع مغيراً فتلقّاه جماعة منهم فقتلوه وكانت الواهمة بأن القاتل عباس بن محمد بن يحيى بن مهدي، وأسند يحيى بن إبراهيم الأمر إلى عمه عيسى بن محمد بعد أن تعاهدا بمحضر الناس.

ولمّا كان اليوم الثاني أرسلوا الحسين بن عبد الله الكبسي ليحرر العهد ويكتبوا الوثائق والشروط، وقد استدعى السيد عيسى وولد أخيه شرف الدين أعيان الحصن وجاءهم يحيى فلما حانت صلاة الظهر، قام يحيى يتوضأ فدخل الخلاء فأغلقوا الباب ثم قبضوا عليه وربطوه فتمثل بأبيات يستشهد بها على قصاص الغيب، وسار رجل في تلك الحال إلى عباس ودعاه من خارج البيت بأعلَى صوته، فقال: ماذا؟ فقال: ربط أخوك يحيى، فأعلىٰ صوته وقال: قصاصٌ قصاص. وأشفق يحيى بن إبراهيم من إخراجه نهاراً مربوطاً مشهوراً بين الناس فأبى شرف الدين بن أحمد إلا إخراجه في تلك الحال وضَمّ إليه أخاه عبد الرّب فربطه وسيَّره معه، وخرج في تلك الحال يحيى بن محمد بن حسين الذي قَدّمنا ذكره مع ذكر عبد القادر في سنة اثنتين وتسعين وكيف رُبط، وفي هذه الحالة شاهد هو كيف ربط عبد الرّب فلما وصل بيت سلطان قال: يا ابن أخي أنت حللت الرباط لعمك بباب الدار أو أعلاها؟ فذكر تلك الحالة، وقال: حللته بباب الدار، فقال: أنا أحلل رباطك حيث حللت رباط عمك، ثم جمعوا يحيى مع عبد الرب

بمقصورة في بيت سلطان، كما جمعوا عبد القادر وأخاه يحيى وعلي فتنافرا وطلب كُل منهما إفراده فلم يفعلوا. ولما احتضرت الوفاة والدة عبد الرب أُطلِق وحُبس ببيته، وأماً محمد فبقي خمس سنين، ثم أُطلق عبد الرحمٰن ولم يبق بالسجن سوى عباس ويحيى وقد أتينا على خبر إطلاقهما بعد ثلاثة وعشرين عاماً وكيف كان السبب في إخراجهما، وبمثل هذا يقضي الإنسان منه العجَب.

[إتفاق أهل كوكبان علىٰ ولاية عيسى بن محمد]

وأجمع الرأي بعد ذلك على صلاحيَّة عيسى للإمارة مع ابن أخيه شرف الدين بن أحمد فأرسلوا إلى حضرة الإمام المنصور كُتُباً مفصحةً عما كان وجعلوها بيدي محمد بن علي الأخفش، فدخل بها على وساطتهم حاكمُ الحظره يحيى بن صالح السحولي، ثم أرسل الإمام ولد الحاكم أحمد بن يحيى السحولي لتمهيد أمورهم وتقرير قواعدهم، فخرج إليهم وبقي هنالك نحواً من شهر، وعاد وقد أسند الأمر إلى عيسى بن محمد وشرف الدين بن أحمد.

وتحوّل الإمام المنصور في تلك الأيام إلى القصر، وكان يستعرض الجند في كل جمعة.

[توجه بكيل إلى اليمن الأسفل]

وفيها: توجهت قبائل بكيل نحو اليمن الأسفل، فعاثوا به شهراً، وعادوا بلادهم وانفتح الشر بينهم، وألقى الله العداوة والبغضاء بينهم هنالك، وما زال أمرهم في نكال ووبال حتى فِني من طائفتي الحسينية والمحمدية عدّة، فتملكت العداوة في القلوب وأخافهم الله تعالى بديارهم.

[ارسال ملك الهند إلى الإمام بمال معونه في الجهاد]

وفيها: بعث ملك من ملوك الهند إلى الإمام بمال واسع، منه رُوبيات هندية ومنه دنانير سنيات ـ بسين مهملة ونون مكسورة مشددة فياء تحتانية فألف فياء مثناة ـ وكان في كتاب ملك الهند أن الصادرة إليكم معونة في الجهاد، وبقيت رُسُله ببندر المخا حتى عاد الجواب.

[إرسال ملك المغرب إلى الإمام بمال للعلويين]

وفيها: أرسل ملك المغرب وهو مولاي محمد بن عبد الله بن إسماعيل بِصلةٍ واسعة إلى الحرمين الشريفين واليمن والحجاز والعِراقين والشام وجعلها في العلويين، فأرسل الإمام حاكمه بالحديدة أحمد بن إسماعيل حنش آخر شهر ربيع الآخر فسار لقبضها إلى مكة، وبقي بها إلى شهر رجب، وكانت تلك الأموال معدةً عند شريف مكة

سُرور بن مساعد، فوصل وقد داناه الحِمام فدخل عليه فوعده إن شفاه الله تعالى أن يسلمها إليه، فانتظر فمات وتلقى الأمر أخوه الشريف عبد المعين فبقي ثلاثة أيام وخُلِع بالشريف غالب بن مساعد وذلك أنه تآلف العبيد بمالٍ فاستمالهم وتقوّى بهم ولما سلّم الناس الأمر لغالب راح إليه حاكم الإمام فطالبه فما زال يعده ويمنّيه حتى سئم البقاء هنالك وعزم على الرجوع وأفضى إلى عبد الملك أو إلى سلامة ولد ملك الغرب: إني ذاهب إلى اليمن صفر اليدين، فبلغ الشريف غالب فأرسل للحاكم وقال: هات القاعدة في أنك تسلّمت منا المال ونطلقه لك، فقال: لا يتم حتى أحُوزه وأُسلِّم لك خط الإمام في أنها في مقبوضي، فسلّمها بعد أن فتش صناديقها وخزل منها جانباً، وفي كتاب صاحب الغرب: الصادرة إليكم مصروفه في أهل البيت العلويين مائة ألف، منها ستون ألف ريال فرانصه وأربعون ألفاً مشاخصه، وعلى أحد صفحتي الدينار: ﴿إن الذين يكنزون الذهب والفضة﴾ الآيتين، وعلى الصفحة الأخرى محمد بن عبد الله بن إسماعيل المولوي. وقال القاضي: ما بلغ في هذا العام من أنها في الأشراف العلويين لا أصل له؛ فأنا القابض لها. ولكتاب صاحب الغرب إنما ذكر أنها معونة في الجهاد وشيئاً منها للعلويين وفي الكتاب: وستصدر إليكم في كل عام مثلها.

قال المؤلف غفر الله تعالى له: فأما التي أرسلها المرة الأولى فهي للأشراف العلويين خاصة ولما لم تصرف فيهم انقطعت من تلك السنة، وكانت من غنائم مَلَكها على الإفرنج الغالبة على بلاد الأندلس، وقد أتينا على أخبار مولاي محمد ولُمع من سِيرته، وفصّلنا ما كان بحوزه من مملكة الغرب في كتابنا قرة العين بالرحلة إلى الحرمين الشريفين.

وتحوّل الإمام بأهله إلى بير العزب بعد موت أخيه قاسم بن المهدي وحزنه حزناً شديداً، وأقام ناظراً على آل الإمام أخاه إسماعيل بن المهدي.

وفيها: شرى الإمام خاناً كان لبني الوزير على سوق العنب من جهة الغرب فهدمه وبنى سمسرة عُظمَى يمين الخارج من السوق إلى الجامع.

وفيها: جددت عمارة مسجد عَدِّل[1] ببير العَزب ووسع بعد أن كان ضيقاً بالمصلين.

وفيها: شرى الإمام أعناب محسن بن يوسف بن المهدي بوادي ظَهْر.

---

(١) **مسجد عَدِّل**: من المساجد العامرة في بير العزب جهة البونية. انظر الحجري: مساجد صنعاء، ص (٧٠).

وسار الإمام عن بير العزب فصام بصنعاء دار الإسعاد، وفي يوم عيد الفطر وصل إليه عمه محمد بن المنصور الحسين من الروضة فأقام في داره خمسة عشر يوماً ثم خرج فخرج معه الإمام إلى الروضة وأرسل إلى الإمام أن يقيم عنده تلك الليلة فلم يسعد فساق إليه عمه خمسين حمّالاً يحملون العشاء فتعشّى وسار إلى صنعاء.

وفيها: وصل خبر من مكة المشرفة أن عبد الله بن سرور قبض على عمه غالب بعض البيوت، فحصل بمكة حرب استدام يوماً كاملاً واصطلحا.

وفيها: انكشف قبر بمكان غُرق رُوم شامي بير العزَب، فإذا عظام الميت منطوية بمسامير من حديد، فخرج عن صنعاء عالم من الناس فرأوا تلك الزاجرة، أخبرني رفيقنا محمد بن محمد بن أحمد بن حسين بن علي بن المتوكل المعروف بـ (البَنوس) أنه خرج في عداد الناس فرأى العظام رميمة قال: ورأيت الصبيان يفتتونها ويستخرجون المسامير اللاصقة بالعظام منها، ورأيت موضع رأسه فوجدت أسنانه لاصقة بجدار اللحد ومسامير رأسه لاصقة باللحد، وأنه أخذ بعض الأسنان والمسامير واتخذها عنده للإتّعاض، قال: وتحدث الناس هنالك أنها من قبور الكفار وليس كذلك بل من قبور المسلمين لاستقبال الميت بوجهه القبلة، وقد ذكر مثل هذا المهدي أحمد بن يحيى في شرح الغايات في أصول الدين عند ذكره لعذاب القبر، اللهم إنا نعوذ بك من عذاب القبر ومن عذاب النار ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال.

وقد حَكَى لي غير واحد من هذا الشأن شيئاً كثيراً، وحدثني محمد بن محمد بن أحمد المذكور آنفاً أنه خرج إلى منتزه حَدّه من أعمال صنعاء وصحبه أخوه أحمد بن محمد إلى قبر هنالك وقعد عنده ذاهلاً فدعاه أخوه فلم يجبه فقصده فإذا صوت أنين مُفزِع مِن القبر، فقعد ذَاهِلاً معَه، وسمعا ضجّة ورجفة بذلك القبر فتكدّرا وسارا من الحِين عن منتزههما وقصدا صنعاء، فلما استقرا بها لم تطب نفس محمد بن محمد حتى عاد يسأل عن صاحب القبر فجاءهم شيخ كبير فسألوه: أتعرف قبر من هذا؟ قال: نعم. هذا قبر فلان عريف المحل، وذكر منه شرًّا، فنعوذ بالله من ذلك.

ومن مظاهر القاهر نزول المطر العظيم ببلاد برط وإرسال الله عليهم ريحاً صرصراً، وعقبها نزول عواصف المطر تحمل بَرَداً عظيمةً، فأهلكت المواشي بالمرعى وأتت على زرائعهم.

[مسير الخوقري إلى الزيدية لقبض الحقوق]

وفيها: سار النقيب ناصر الخوقري في خمسمائة من العسكر إلى الزيدية، مرسلاً من حضرة الإمام وذلك في وقت الخير كما هي العادة من نزول محطة أيام الخير لقبض

الحقوق، وضبط الأشرار، فكانت بين الخوقري وبين العامل علي يحيى سرور منافسة، أوجبت رفع الأمير علي يحيى، وتوجيه العمل إلى محمد فرحان، وجعلوا له كاتباً رفيقنا عبد الله ابن علي الحيمي لعلمهم بأن محمد فرحان سيء التصرف وأناطوا جميع متحصلات البلاد بعبد الله بن علي فحرص على ذلك ولم ينعمل له النقيب ناصر الخوقري لضبط الرعية والمشايخ فاضطربت الأحوال ولم يحصل من البلاد ما يخارج محطة الخوقري الجوامك والإقامة، فرفع إلى الإمام يشكو ما صنع معه النقيب ناصر فألزموه بمخارجته وإلا وصل صحبته إلى الحضرة للمناصفة، فطلعا إلى صنعاء وأظهر عبد الله بن علي بيانات الحاصل من البلاد وكان الذي للخوقري عند الرعية نحو ستة آلاف قروشاً فرانصة، وتتابعا بين يدي الوزير الحسن بن عثمان فألزم عبد الله بن علي بالتسليم وركب ظهر الهوى بعد علمه بأن ليس عند الكاتب شيء لأن البيان عليه قلم العامل والحاكم في الحاصل فخشي عبد الله بن علي من مصادرة الوزير له فعاد على ما كان قد كسبه من سالف أيامه في الدولة المهدوية وسلمها للخوقري، وقطع في تلك الطلبة ببيته المعروف بصنعاء يلي مسجد معاد شامية وسكن بيتاً سنة آخر حتى طُلب للعمل كما سيأتي عام أربع ومائتين وألف.

[ملحمة عُظمى بين الشيخ عبد الله الضُلعي وبين أهل كوكبان]

وفيها: شهر القعدة سار عبد الله الضلعي عن عمران متوجهاً إلى كوكبان، فكانت ملحمة عظمى، وكان السبب فيها أنه قُتِل رجلان من عيال سِريْح[1] في وادي لاعَه[2] أيام تولي العباس بن إبراهيم فكتب الشيخ الضلعي إليه بذلك وكرر الكَتْب فما زال يعتذر لقادح بينهما أيام عمالة الضلعي بـ (حجّه) إذ كان قد قَدُم على حصن حقيل ببلاد حجه، وفي خلال هذا قبض على عباس بن إبراهيم، وتولى أمر كوكبان عيسى بن محمد فكتب إليه الشيخ الضلعي عن شأن القتيلين، فأجاب: إنّا لم نجلب عليهما بخيلنا ورَجُلنا ولا كان القتل أيام ولايتنا، فما أحسن الجواب، وكان الشيخ الضلعي إذ ذاك بحجة وقد تهيأ لطلوعه عمران وجعل عنه نائباً بحجة، وكان العامل بعمران يومئذٍ محمد بن أحمد بن المنصور فكتب عيسى بن محمد إلى عامل عمران: أنه بلغ تحشيد الشيخ الضلعي على بلادنا وأمرهُمُ إليك وقد جعلنا لك ثلاثمائة قرش في توقيفهم عن الخروج، فسعَى في ذلك فتنكب عنه الشيخ الضلعي وأبى إلا المصاولة فجمع قبائله وأمرهم بتحصيل زاد ثلاثة أشهر، فلما عبأ أثقاله جر رجاله وسار في ألف من قبائله وجاءت طريقه باب شبام فأقام بالسواد ليلة، ثم قدم طليعة وافِرة في اليوم الثاني؛ عليهم: صلاح بن حسين الدُرّه

---

(١) **عيال سِريْح**: قبيلة في جنوب عَمْران ومن أعمالها.

(٢) **لاعَه**: منطقة من أعمال الطويلة، في شمال غرب كوكبان وجنوب جبل مَسْور.

الهاشمي في ثلاثمائة لقبض جبل الضُّلْع وكانت الرُتب قد أحاطت بجبل الضلع وتقدم من حضرة عيسى بن محمد أحمد الزين الهاشمي فوصل الدُرّة بمن معه أسفل الجبل الضلع عند أذان الفجر فاشتدوا على من بالجبل واستولوا عليه، وقتلوا ثمانية عشر نفراً، وأسروا ثلاثين، وتحوز أحمد الزين ومن معه في قصبة الضلع، وحطّ الدرة بجماعته بحرف قِيرَة[1]، وكتب إلى الشيخ الضلعي يخبره بما جرى فنهض مسرعاً بأثقاله إلى جبل الضلع، فواجهت الشيخ الضلعي أكثر القبائل ممن بالضلع وما حوله، ثم اشتد على من بالقصبة حتى فتحها وتسلمها وخرج إليه أحمد بن الزين وذلك بعد ليلتين وطلب من الشيخ الضلعي أمانَهُ وأمان من معه فأجابهم ونزلوا إليه فأكرمهم وجمع من خرج إليه من مشايخ البلاد مع أحمد الزين وعهدهم على السمع والطاعة ولِمَا ورد من الإمام فتعهدوا وأجابوا ذلك فسيّرهم إلى كوكبان بجماعة من أصحابه وأركب أحمد الزين على بغلته واستقر بمكانه وكتب إلى الإمام بما كان. وفي أثناء ذلك بعث عيسى بن محمد النقيب يحيى داحش من آل ناشر في حسم المادة، وكان قد أرسل لكثير من حاشد وأرحب وغيرها ولم يعلم الشيخ الضلعي بذلك، فأجابهم إلى حسم المادة، وقد عملوا له من المكر والخديعة ما عملوا فلما طلع إليهم الجُند سَيّر عن كوكبان عبد الله بن أحمد بن محمد لمصاولته والشيخ الضلعي منتظر إنجاز ما خاض به يحيى بن داحش، فلم يشعر بهم إلا وقد انثالوا عليه فعشَّرْوا ببنادقهم إليه وإلى أصحابه دفعة واحدة، فلم يمتثل من أصحاب الشيخ الضلعي سوى رجل واحد، فحمل عليهم الضلعي ففروا وانكسروا من مركزهم فالجأهم إلى بيت عِزّ[2] وأخذ أسلابهم وسلاحهم وانجلت القتلة عن مائة وعشرين نفراً من جند كوكبان. واحتُزت رؤوسهم وأسر منهم رجالاً كثيراً، وأقام ليلته ولم يأته من الإمام نبأ، فكّر راجعاً. وكان مقدار إقامته من يوم خروجه إلى عَوده تسعة أيام، ثم سيَّر عنه الأسرى وكسى منهم الكبراء، وجائته جوابات الإمام إلى عمران بأنه لا يحسن منه إلا الصلح والإحسان والرجوع عما مضى له.

[تلقّف النعمان أهل الصُوْر للحجاج بالبحر]

وفيها: حصل الشقاق بين عامل الحديدة وتجار النعمان فخرجوا من البندر مباينين فركبوا البحر وترقبوا سواعي البندر فركب الحجاج وراحوا عن البندر فتلقاهم أهل الصُور وصادروهم بالحرب في غرّه فتراموا حيناً ثم صالت النعمانية فرموا بالمدامع حتى كسروا دَقَلاً من تلك السفينة فخاف الحجاج الهلاك فتسلموا ودخلوا عليهم وفيهم الأمير

---

(١) **حرف قِيَره**: بلدة في جبل ضُلع كوكبان، عِدَادها اليوم من مديرية شبام وأعمال محافظة المحويت.

(٢) **بيت عِز**: حصن وبلدة في جبل الضلاع، بالشمال الغربـي من شبام كوكبان.

أحمد بن النقيب الماس المهدي العباس وأخرجوهم وانتهبوا جميع ما حملوه وقُتِل ثلاثة من عبيد أهل البندر.

[القسم بن الإمام المهدي]

وفيها: القسم بن الإمام المهدي العباس[1] ليلة الخميس ثالث عشر جمادى الأولى، سمعت سيف الإسلام يقول موته بعلة النزول أصابه في رقبته فورم فوخزه بإبرة فلم يخرج منه شيء وجاءه الطبيب فأعطاه دهاناً فزاد الورم واشتد الحاصل. تربّى في حجر الخلافة ورضع ثدي الكمال فاستهل منه هلال، ونشأ فقرأ القرآن وخرّجه والده الخليفة بأحمد بن صالح بن أبي الرجال فقرأ عليه في علم الآلة وتفقه به وانضمَ معه أخوه أحمد بن أمير المؤمنين، فما زالا يترقيان به في أوج المعارف، وأخذا عنه في التاريخ وأيام الناس فحفظا منه الغرائب والعجائب. وصارا آيتين، وتوغلا في الأدب وحفظا منه كل ما لذّ وطاب. ورأيت الأستاذ عبد القادر بن أحمد رحمه الله تعالى وقد كتب بالقلم عن العلم ما أفهمَ عن حفظٍ مُتْقَن، فإنه دار ذكر شيخ المترجَم له بمقام وذكر فيه ما لهُ من الشعر قال: وأملانا جوابه علىٰ علي بن أحمد بن محمد بن إسحاق وساق القصيدة التي أولها:

لصارمها الماضي من الحسن افرندُ ... وفي كل قلبٍ أن نَضْتُه لها غِمدُ

حتى أتى على أكثرها، قال: فعجبت منه ثم قال: قمنا إلى الطعام فرأى بعض الحضّار وهو يتناول بيض الدجاج فقال: إنه للباءه من أعظم العلاج، فقال المترجَم له: ما أحسن ما قاله الحافظ الذهبي في ترجمة ابن التلميذ النصراني:

أفنيت بيض دجاجهم ... تبغي بذاك قيام إيرك
ما لا يقوم ببيضتك ... فلا يقوم ببيض غيرك

قلت وهذا يدل على حافظة سليمة وفكرة مستقيمة واستحضار للشواهد. وقدمنا في ترجمة القاضي أحمد بن صالح أنه وزر للمترجَم له وكانت تجري عن أنظاره أمور بلاد الحيمة، ولما مات والده الخليفة أعظمه الإمام المنصور ورفع له محلاً وكان كما حدثنا بعض الناس عند خروج والده الخليفة إلى الروضة لمناجزته لقبائل أرحب قد أريد على حفظ القصر قلعة صنعاء فأبَى ذلك وقال: لا يصلح لها غير أخيه علي بن الإمام وامتنع عن ذلك المرام، وهذا يدل على كمال عقله ومعرفته بوضع الشيء في محله. وكان الإمام المنصور لا يرد شفاعته في شيء وكان ينزل عليه ويأنس إليه، ولما نافسه وزير المنصور حسين بن زيد المحرابي كان ذلك من أسباب نكاله ومصادرته وإلى ذلك

---

(١) نيل الوطر (٢/ ١٧٧).

أشار الحسين بن أبي الغيث الهاشمي بقوله من قصيدة:

ومَـن رام أن يبغـي عليـه سفـاهـةً فيقعـده مـن بيـن رجليـه مَـرْوَدُ

وقد أتينا على تلك الأبيات عند ترجمتنا لحسين بن أبي الغيث في كتابنا العباب، وكان المترجَم له يستحضر الشواهد وسمعت سيف الإسلام قال: نزلت على عمي يوم سرور فرآنا الضِيَا إسماعيل بن إبراهيم بن المهدي من بيته فتناول زجاجة وقابل بها الشمس فعكست الشعاع فعانا ذلك حتى أدخله إلى المكان الذي كنا به فتتبعنا أثرها ووجدناه من مقام الضياء فكتب المترجم له إليه كتاباً بديعاً واستطرد فيه قول الشاعر:

إذا مـا الشمـس قـابلنـي ضِيَـاهـا كسـرت بسـرعـةٍ منهـا جُفُـونـي
ولـم يـك ذاك عـن مَلَـلٍ ولكـن خشيـت مـن الضِيَـا علـى عيـونـي

والأصل في ذلك أن المهدي صاحب المواهب حبس يوسف بن المتوكل وأنزله ببيت في قصر صنعاء وحبس محمد بن حسين بن عبد القادر صاحب كوكبان ببيت آخر واتفق أن يوسف بن المتوكل فتح طاقة ببيته ينظر الداخل والخارج ففتح في تلك الحال محمد بن حسين عبد القادر طاقة بيته لينظر الداخل والخارج فوقعت عينه على طاقة يوسف فأغلقها في الحال خوفاً أن يتحدث الناس أنهما تناجَيَان فبلغ الخَبر إلى المهدي وكتب إليه البيتين السابقين.

وكان رحمه الله تعالى شفيقاً بأهله حافظاً لمنصبهم صائناً لهم، ربَّى صغيرهم، ووقّر كبيرهم، وكان يجمعهم على تلاوة القرآن. ولما مات كتب على قبره محمد بن هاشم بن يحيى هذه الأبيات وتفاءل له فيها بتاريخ حَسَن فقال:

علـى كـل مخلـوقٍ قَضَـى الله بـالفَنَـا ومـوت البـرايـا والمهيمـن دائـمُ
ورحمـة رب العـرش مـورد مَـن مضَـى ومـن فضلِـه أن لا يخيـب قـادمُ
وعـادات أهـل الجـود إكـرام وفـدهـم وتـأتـي علـى قـدر الكـرام المكـارم
وهـذا بشيـر الفـأل وَفَـا لـه مـؤ رخاً: في جنان الخلد قد حل قاسِمُ

وحَزنه الإمام حزناً شديداً وصلى عليه بالمسجد الجامع بصنعاء ومنع جالبات السرور وأخّرّ النوبة عن ضربها ببابه أياماً، واحتفل للعزاء ودرس عليه كتاب الله العزيز بجامع صنعاء وكان من وصيته كما حدثنا بعض الناس الأمر بعمارة منارة مسجد خُضَيْر عند باب شعوب ولا أصل له إذ كانت تلك من وصايا أخرى.

[الشريف سرور بن مساعد صاحب مكة]

وفيها: أمير مكة الشريف سرور بن مساعد[1] آخر جمادى الآخرة وله المآثر الحميدة والمساعي المشكورة، وكان بطلاً شجاعاً مقداماً مهيباً متتبعاً للحرامية مؤمِّناً للسبيل أخذاً بالحزم شديد الوصية بأهل الجرائم، قد أتينا على لمع من أخباره في كتابنا هذا، ولبأسه ظن العامة في موته الظنون وحلفوا بالله أنه اختفى وأنه سيظهر من بعد، واعتقدوا فيه ما اعتقد الكيسانية في محمد بن الحنفية وقد سبق له ذكر جميل.

وفيها: يوم الثلاثاء رابع شوال محمد بن أحمد أبو طالب المعروف بالأسود حاكم الإمام بالروضة.

وفيها: ليلة الجمعة رابع الحجة الحرام علي بن محمد بن إسماعيل الأمير الهاشمي.

وَدَخَلَتْ سَنَةُ ثَلَاثٍ وَمائَتَيْن وَأَلْف

وفيها: عقد الإمام بولايات لجماعاتٍ وخلع آخرين، فعقد ببلاد ريمة والجبي لحميد بن عبد الله الأموي شهر محرم واستطالت مدته لهذه الولاية لها.

وفيها: عقد ببلاد جبلة وإبّ للحسين بن زيد المحرابي شهر جمادى الأولى.

وفيها: عقد ببلاد رداع لحسين زبيبة القاسمي وكان قد لاقَى حميد بن عبد الله في ذلك المخرج ودله على أمور تُحمد عقباها، فأباها.

وفيها: عقد ببلاد العدين للشيخ محمد بن علي سعد الجُماعي.

وفيها: خلع من حبيش يوسف بن أحمد الجلال الهاشمي غرة ربيع أول.

وفيها: خلع عن بلاد جبلة وإب إسماعيل بن عبد الله فارع متولي المخازين وأعاده عليها، وكان إذ ذاك مقيماً لولده علي بن إسماعيل نائباً عنه بها.

وفيها: توجه الطاغية أبو حليقة نحو اليمن الأسفل وهو أول خلاف قاد فيه أهل الفساد، وكان لا يُذكَر ولا يُعرَف. ولنتكلم على بادي أمره، قد قيل أن أول أمره أنه نزل علىٰ علي بن إسماعيل بن إبراهيم إلى حُبيش وهو لا يُعْرَف فأرسله في عشرة على شيخ عاصي فساسه حتى استولى على محله، وبعث إلى جماعة من العسكر يعرفهم فساروا إليه إرسالاً حتى بلغوا خمسين نفراً، فأرسلهم على الرعية المُتعصيين فتسلّم منهم الحقوق القديمة والحديثة فارتفع له صيت عند العامل، وما زال يترقّى حتى كان من أمره

---

(١) أنظر الأعلام (٣/ ٨١).

ما قصصناه عام ثمان وتسعين. وقال بعض الناس أن باديء أمره أنه كان بخولان من مبتذلي أهلها فركبه دَيْن خفيف في طعام أسبوع فضيّق عليه صاحب الدَّيْن فلم يجد سوى فردٍ كان عليه فأخذه صاحب الدين بنصف قرش، ولم يجد شيئاً يوفي به صاحب الدين، فتبعه فلم يجد بداً من الفرار، ففرّ لا يدري أين يذهب فانتهى به السير إلى حُبَيْش وبها علي بن إسماعيل بن إبراهيم بن المهدي صاحب المواهب، فدخل سوقها فرأى أربعة نفر من خولان بحانوتٍ مهجومَه فسلّم عليهم فلم يردوا عليه استزراء له، وضجراً من حالهم، فما زال يسألهم بلين وتلطف ويقول: ما أنزلكم هاهنا؟ قالوا: قصدنا العامل علي بن إسماعيل نريد نتعكسر معه فأهملنا، فقال: الآن قوموا واحملوا بنادقكم وصيحُوا بالأصوات على العادة وأنا معكم فإذا وصلنا باب العامل رميتوا كعادة الواصل من القبائل، فكان من القدر أن وصلوا وعلي بن إسماعيل مهموم ببعض مشائخ حُبَيْش يريد يرسل عليهم من يضبطهم، فلما سمع الرمي قال: من هؤلاء؟ قالوا: من خولان، فدعاهم فقال أحدهم: إن دخلنا على العامل فمن سيخاطبه؟ فسكتوا فقال أبو حِلَيْقه: لا عليكم أنا أخاطبه، فلما قاموا بين يديه استزرأ أبو حليقة فلما تكلم رآه الرجل فقال: هذا خط نعطيكم لضبط هذا الشيخ، فأخذه وقبّل يد العامل، وساروا حتى بلغوا محل الشيخ فدخلوا المسجد وطلبوا من أهل القرية زاداً فخرج إليهم الشيخ وقال لهُم: أين تريدون؟ فقال أبو حليقة: قصدنا هذا العامل فأهملنا وجئنا ننظر من يريدنا من أهل هذه الدّيار للمنفعة، فقال: اقعدوا عندي، فقعدوا عنده أربعة أيام يتخللون أحواله حتى تمكنوا منه، ففي اليوم الرابع أخرج أبو حليقة الخَط بالقبض عليه. فقال: تعلم عافاك الله أنَّا لم نتجاسر عليك لسابق إحسانك وإنَّا مأمورون بالقبض عليك ولكنا رأينا الجميل بك أولى فكن معنا وأنت في وجهي أن لا ينالك سوء من العامل وإني لا أرضَى بدخولك المدينة حتى أفصل أمرك معه فإن وجدت قبول للكلمة معه رجعت إليك ودخلتُ بك وإلا أفهمتك تذهب أين شئت، وحلف له بالله، وسار معه فأبقاه مع أصحابه ودخل فلما رآه العامل ظن أنه رجع خائباً لعلمه بمنعة الرجل فقال لأبي حليقة: عِلْمك؟ فقال: لا أخبرك حتى تضمن لي أني إن جئتك به من محله لم تنله بسوء، وقد عرفت قصده في الخلاف أنه لا يريد أن نُحَكِّم عليه شيخ محله بل أمره منك وإليك وتحكم فيه بما تريد، فقال: والله لا أناله بسوء ولا رددته إلى شيخ محله. فقال: ها هو خارج المدينة سأدخله الآن، فعجب منه وجعله من جملة أتباعه من العسكر، وما زالت تنمو به الأحوال حتى خرج هذا العام.

[قبض أبي حليقه دار علوه]

وفيها: وكان قد تحدث هذا العام مع أشرار قومه بقصد دار عَلْوَه من أعمال حُبَيْش، فبلغ ذلك الخبر إبني عَلْوَه حسن وصالح وهما بحضرة إسماعيل بن عبد الله فارع

بجبلة فَخافا هجومه على محلهما فراحا عنه فدهم الخبيث بالجيش بلاد حُبَيْش، فاستفتح دار علوه عنوة وحط رحله بها وبعث شرذمة من قومه على الحصن المُطِّل علىٰ حُبَيْش المعروف بدار الجفا ثم انتهب القُرى وتحكّم في الضعفاء وسلب الثمرات وفعل الأفاعيل.

[سير يحيى بن محسن المتوكل لضبط أبي حليقة]

وبعث الخليفة يحيى بن محسن بن علي بن محسن بن المتوكل فسار عن صنعاء يطوي البيداء وأشرف على حبيش فإذا هي مملوءة الطرفين، وكان في خمسمائة مقاتل فشقها ودخلها ليلاً وأصبح بالمدينة صائلاً بقومه، وقصد دار الجفاء فحاصرها أربعة أيام، ورآها بعيدة المرمَى فسار عنها سائلاً لأهل الخبرة عن ميرتها ومائها فسمع خبراً قطع عن نيلها فعاد على منهج فكره بنافذ مكره فأرسل إلى بلاد أرحب وطلب خمسة من حذاق اللصوص فوافوه مع بريده فسألهم التسلق على عرصات دار الجفَا ليدلوه على محل يهجم منه بأشرار جنده فصعدوا فلم يجدوا فجوةً ولا زوَّه إلا بها حَفَظَه أولوا قوة، ودخل واحد منهم فطاف ساحة الحصن ليلاً، وعاد فأخبر بكثرة الماء فيها، فَعَظُم المصاب عليه فاعمل الفكر ثانياً، فأمر بقتل الكلاب التي بحبيش وإيصالها إليه وطلب من بعض الرعايا حبوب دجره، فجاء بها إليه فأمر بخلطها على باروت وطحنها فَظَنّ الناس أن به هَوس فجافت الكلاب باب داره فأمر بقطعها فقطعت وخلطها على ذلك المطحون وطلب اللصوص وألزمهم حمل ذلك والتسلق إلى الحصن ليلاً وأن يلقوه على الماء، ليفسده على حفظته فما زالوا يترددون إلى الحصن ثلاث ليال لا تمكنهم الفرضه خلىٰ أنهم وجدوا محلاً سهلاً للداخل وعليه حافظ ينزل عنه وقتاً من الليل يتعشى ويعود، فأدلوا واحداً منهم فدخل وتناول جرابين فوقع على الماء فأفسده ونزل إلى جماعته وقال لهم: قضِي الأمر وعادوا إلى الأمير يحيى بن محسن بن علي فأخبروه الخبر فترقب خروجهم ليومين فلم يخرجوا فأرسل لصاً يسترق السمع، فراح عنه وعاد مخبراً له بأنه سمع حديث القوم عن الماء، وأنهم لا يجدون ما يكفيهم تلك الليلة، فأذكىٰ العيون وحفظ الطريق ونهض صبيحة تلك الليلة، فسمع الصارخ يدعوه إلى الأمان والخروج إليه للمثول بين يديه فأجابه إلى ذلك فخرجوا عنه وتسلم منهم الحصن، وأقام به ثلاثة نفر من أصحابه وبعث البريد إلى الوزير أحمد بن إسماعيل فايع يعلمه بما جرى ويسأله الإقالة للعماله فخيّب ظنه وطلب وصوله حضرة الإمام، فراح عن ذلك المحل منكسراً مؤيداً منصوراً.

[مسير الضلعي إلى حُبَيْش]

وكان الوزير قد سَيَّر الشيخ عبد الله الضلعي في جماعة من أهل الجبل وبني سريح

ونِهْم ففاجأهم بعض جيش الخولانية وهم مثقلون بالحمائل فتنكبوا عنه ومضوا ديارهم لم يلقوا كيداً، وبادر الضلعي إلى دار علوه فالتقى الجَمْعان وتصاولوا حروباً عديدة وانكسر جيش كل الخولانية وانحازوا إلى الحصون والمعاقل، فدام الحرب بينهم شهرين فحصل الإياس مع الشيخ الضلعي، فاستدعىٰ من بـ(جِبْلَه) فخرج الحاكم زين العابدين بن يحيـى بجماعة وجر معه المدفع فرموا به فلم ينجع ثم صولح الطاغية أبو حليقة وعاد راجعاً بلاده فلم يستقر بها سوى ثمانية وعشرين يوماً وعبّأ أثقاله وجر رجاله إلى الجهات الآنسيه، فأوغل في مسيره إلى حدود ريمة وتسلّم بها حصوناً، وقصد الدَّومَر من بلاد ريمة فهزمه من بالحصن واستدعوا جماعات ممن يليهم للغاره، فالتفّوا إليهم ودام الحرب بينهم يوماً وكانت الدائرة عليه فسلبوه بعض المتاع وحازوا بعض الماشِية وقتلوا جماعة من رجاله واحتزوا الرؤوس وبعثوا بها باب الخليفة في شهر جمادى الآخرة.

[الحسن بن عثمان العلفي يقود الجهاد]

فعاد إلى أطراف الجهة الآنسيه بأطماع وأسلاب، فأصاب الخليفة منه ما أولِم، فتحرك لذلك وعلم أن الأيام لا تسالم وأسرّ إلى وزيره الحسن بن عثمان الأموي عزمه على الجهاد وخروجه بنفسه، وشكىٰ خلو بابه عن الأمراء والكبراء وأنه فقد المعين والناصر وعدم المدبر والمشاور، ولم يجد أحداً يكفيه مؤنة الجهاد فأذهب عنه الوزير ما يجد وأعلمه أن من آل أمية رجالاً لا تروّعهم دوائر الدهر وحَسَّن له طلاب رجلي الأموية متولي بيت الفقيه بن العجيل الحسين بن أحمد ومتولي ريمة حميد بن عبد الله، ولم يكونا ممن استعد للحرب ولا باشرا في واقعة الطعن والضرب، فبعث إليهما ولا يعلمان مراداً، فوصلا وعقد الأمر مع الخليفة على إظهار خروجه بنفسه وأن لا يبدي لأحدٍ من أعوانه ما عزم عليه، فساعده على ذلك وشق على الأعوان لما يلزمهم في ذلك الشأن، فتخلّص منهم أموالاً جزيلة كان مجموعها بما أخرجه الإمام من خزانته ثلاث مائة ألف وستين ألفاً قروشاً فرانصة، وكسر الإمام الضربة وأمر واسطة الباب الوزير محمد بن أحمد خليل أن يطلب القبائل المقاتلة، فطلب من بكيل قبيلة وادعة ومن حي حاشد العُصَيْمات وبني مالك والصَيدَ وبني صُرَيْم وخارف، وطلب قبيلة أرحب ونهم وبني جرموز، ومن قبائل خولان بني شداد وقرَوَا وبني سحام والأعروش (أيضاً من بني جَبْر اثنا عشر مائة نَفر وعلى صَبِر الجبري عاقلهم ومحمد العهامي)[1] وغير هؤلاء من سائر القبائل وأنزل الإمام من القصر إلى باب دار الاسعاد المدافع وأمر العَمَله، والصُنّاع من أهل الحديد والنجارين ليعملوا لها الزحافات، وأمرهم بامتثال أمر الحاج علي الساعاتي

---

(١) ما بين المعقوفتين زيادة في هامش النسخة (أ).

وكان إليه المنتهى في استخراج الفكر البعيدة الإدراك، وأمر الإمام بجر المدفع الكبير إلى باب داره، وما زال العَمَله تعاني آلات الحرب أياماً وعملوا للمدفع الكبير كرسياً كبيراً عظيماً لم يصعد عليه إلا ثلاث عشرة مائة قرش.

وكان جملة من شملة دفتر الخليفة من الجند أربعة وعشرين ألفاً، منها عشرة آلاف اسماً سماها قبائله وأحضر إلى باب داره السوق والسيّاق والزانه من الباروت والرصاص وآلات الحرب وأمر بعمل السلالم للخراب والمناشر لقطع الأعناب، وأصحبها العَمَله، وساق سبعمائة من المسلمين واليهود للخراب والقطع، وأجرىَ للجميع الأرزاق، ووسّع النفقة فلما تمت تعبئة الحرب أخرج وزرائه وأعوانه جميع ما يحتاجه المسافر، وانتظروا خروجه فكَسَى رؤساء القبائل وأهل العهد والمدرّكين بالحفظ، واستعرض جيشه الجرار وكسَى رجلي الأموية وأمَّرهم على الجيوش وأظهر بقاءه، فانثالت الأجناد من باب داره يوم الإثنين خامس عشر شهر شعبان، كالجراد المنتشر وَوكّل بالمدفع قبيلة العصيمات عليهم النقيب ناصر الخوقري، وأمر الغوغاء من أهل الأسواق تجر المدفع الكبير، فصحبه خمسمائة رجل من أهل الكدّ والصنّاع والطباشية، وسيّر الحاج علي الساعاتي معهم فبات مخيمهم تلك الليلة بـ (رَيْمة حُمَيْد)[١] فنزلوا على الغيل ثم راحوا في اليوم الثاني وباتوا بـ (سَيّان)[٢] محافظة على صحبة المدفع الكبير، فأرجفت الديار وطار خبر ذلك الجيش اللُهَام كل مطار.

وما زال الجيش هنالك يسأل عن أبـي حليقة؟ فقيل لهم إنه بـ (اللُّمَع)[٣] فارتدوا من ذلك المحل على اللمع وجَرُّوا المدفع من طريق دَلاج وإذ كانت الطريق وعرة وكان البريد قد بلغ إلى اللمع ولاقىْ عيوناً لأبـي حليقة، وتبعت البريد طلائع فالتقوا فتراموا بالفضاء المتوسط بين بيت الوزّان[٤] وبين اللمع فنهضت مطارح الخليفة مسرعة حتى بلغوا حصون اللمع ومعاقلها وكانت المحطة من بكيل بالجهة الغربية من الحصون إلى جهة الشام ومحط حاشد من جهة الشرق إلى جهة العدن وأنزلت الخزنة بسوقها وسياقها ببيت الوزان وتسللت الأجناد وقد لاصقوا الحصن بالذي به أبو حليقة على السلالم وأخذوا البيت الشرقي وصعدوا إلى أعلاه، وأحرقوا قصباً، لا يبالون بمن قتل على السلالم، فكان الرجل يصعد فيقتل فلا ينثني من بعده عن الصعود وإن قُتل صعد من

---

(١) **ريمة حُميد**: قرية في منطقة الرُبع الغربـي من سَنحان، جوار طريق صنعاء الجنوبية. وقريب منها غيل عافش.

(٢) **سَيّان**: من قرى الربع الشرقي من سَنْحان.

(٣) **اللّمع**: من بُلدان خولان العالية في شرق صنعاء.

(٤) **بيت الوزان**: قرية في خولان.

بعده، فتنحت الخولانية عن ذلك البيت وانحازوا إلى البيوت الغربية، وقتل من الخارجين أصحاب أبـي حليقة رجلاً واحداً.

واستمرت الحروب من الظهر إلى وقت العشاء، واستشهد ذلك اليوم من جند الإمام على السلالم اثنان وعشرون نفراً، منهم الشيخ أحمد بن قاسم شمسان من وادعه، وعادت الأمراء وأكثر رؤساء القبائل إلى بيت الوزان وقد رتبوا جميع المسالك على الطاغية فلم يشعروا إلا بالصريخ يشعرهم بخروج أبـي حليقة من معاقله على خُفْيَه فأسرعت الأجناد من كل جهة فوجدوا الحصون خاوية على عروشها فأحرقوها، وأخذوا ما وجدوا هنالك من الغنم والبهائم والمتاع، واستقرت الأجناد هنالك خمسة أيام يهجمون البيوت ويخربون المعاقل وأتوا على ما حولها من القرى وأبادوا الخضراء وأخربوا بيت الوزان وأبادوا خضراه وراحوا عنها كأن لم تغن بالأمس، ثم سار الجيش فبات تحت حصن الشراوي فهرب من به فدخلوه وهدموه واستقروا هنالك يومين يهدمون ما حوله من القرى ويبيدوا الخضراء ثم راحوا إلى حصن الخَوْعَة ـ بفتح المعجمة فواو ساكنة فعين مهلمة فتاء تأنيث من حصون خولان، وما حوله من القرى والحصون فهرب من به، فأقاموا هنالك أربعة أيام يهدمون المعاقل ويبيدون الخضراء، وراحوا عنه إلى جمعة المحفد[1]، وبها حصون وقرى فعسكروا هنالك ثمانية أيام لا يأتون على محل إلا هدموه، ثم نهضت الأجناد فمؤا الأغوار والأنجاد، فهدموا حصون هروب[2] ومشمل[3] وأرادوا دخول وادي مَسْور[4] فجاءهم الأمر من الخليفة بالتجنب ووصل كبير خولان[5]، حضر بالرهائن والعقائر إلى الإمام ثم أرجَفَت الأجناد، ووصلت وعبأوا أثقالهم لقصد اليمانية العليا فبرز الأمر المكنون والسر المَصُون بأن يتركوها، إذ كان جماعة منهم قد استغاثوا بالإمام فحبس منهم خمسة وأربعين نفساً وأعفاهم من خراب الديار، فعادوا على اليمانية السُفلىٰ فبدرهم أمر الإمام فحال بينهم وبين المرام، وسيّر الإمام على اليمانيتين عاملاً فسار إليها وحط رحله بمعقل ربوع دَلاج بيت بشر، وما زال الجند بـ(جمعة المحفد) كلما أقدم أحجم، وراح فمرّ بـ(زراجه) وأقام

---

(١) المَحْفد: من قرى الحَدَا، تقع جوار خربة الشلال.

(٢) هَرُوب: بفتح فضم. وادٍ في خولان العالية، يقع جنوب مدينة جَحَانة ويصب إلى وادي أَذَنه في مأرب.

(٣) حصن مَشْمل: منطقة في اليمانية العليا من بلاد خَوْلان العالية، يقع في حدود خولان مع بني بُخيت بالحَدا.

(٤) وادي مَسْوَر: وادٍ مشهور في خولان العالية. فيه مجموعة قرى أهمها: جَحانَه، زَبَار، دار الشريف، البياض، بيت الصلاحي.

(٥) خولان. زيادة من (أ).

بالمخرف الأعلىٰ من اليمانية العليا[١]، وعسكر الرؤساء بالعين[٢] فسمعوا صارخاً يذكر قَتلاً بالمخرف الأسفل فبعثوا على أثره فوجدوا جرحَى، من أهل المخرف وامرأة قد قُتِلاَ، ورجلاً من جُند الإمام إلى جانبهما مقتول، وألفوا جماعة جرحَى، فحسموا المادة بين الجُند وأهل المحل. وتقدّم أهل تلك الحصون بالرهائن والعقائر، وتقدم أكثر الجند بأثقاله من المخرف إلى وادي الجهارِنَة، ونزلوا على عين يَكْلىٰ ـ بتحتانية مفتوحة فكاف ساكنةَ ـ وسارت البقية تقودها الأمراء عن المخرف ونزلوا بعين يَكْلىٰ[٣] وأقاموا بها يومين ينتظرون وصول المدفع الكبير؛ فلما أشرف عليهم راحوا إلى محط زَرَاجة وتوجّهوا بلاد الحدا فبلغوا الأوظاف[٤] ـ بهمزة مفتوحة فواو ساكنة فظاء معجمة ففاء ـ محلة من الحدا، فأقبل كبراؤهم بالرهائن والعقائر، وقتلت العيون من أهل ذلك المحل قتيلاً، وقتل رجل من جند الإمام، فاشتدت الأمراء على أهل ذلك المحل، فأخربوا حصنهم وهدموا النُوَب التي عليه وراحوا بعد خمس عن الأوظاف إلى بَوْسان الحَدَا[٥] وبعث البعوث لخراب الحصون، وتسلّم مفاتحها فهدموا وعاثوا وأخربوا وتسلموا الرهائن من البعض، وكنبوا إلى أهل حصن دَحْقَه ـ بدال مهملة مفتوحة فحاء مهملة ساكنة فقاف معجمة فتاء تأنيث محله من الحدا[٦] ـ يستنزلونهم على حكمهم، فوصل كبير منهم فَغُل بالحديد، وقصَدت الأمراء جبال دحقة، فرأوا بها حصناً منيعاً لا يطمع في نَيْلِه، فأنزلوا أثقالهم وحطوا حوله، واستقرت الأمراء ببيت شرهان[٧] ليلتين فتحدثوا عنه وعن منعته، إذ كان على شامِيّة جَبَل ويَمِينَهُ جَبَل وهو بينهما فرأوا فيه قاطعاً فعلوه محمولة حولها بيوت، فطمعوا في الدخول من محمولته وبعثوا في الليل العيون فجاءتهم بالخبر عن المحموله بأن أهل الحصن قد قطعوها فصالوا عليهم، وجرّوا المدفع فرموها وحاصروا من بالبيوت الخارجة ففروا عنها فزحف الجند إلى أعلا ذروة الجبل، فدخلوا البيوت ونصّبوا جسراً مكان المحمولة فوقعوا على باب الحصن فضربوه بالفؤس والمعاول فلم يحصلوا شيئاً، وجاء رجل يقال له صالح الجَهُوش من قبيلة خارف[٨]، ودعا أخاه وعانوا بمعوَل أحجار ركن الحصن، فرموا أخا الجهوش فقتلوه فلم يلتفت

(١) **المخرِف**: قرية جوار ربوع دلاج من اليمانية العليا بمديرية خولان.

(٢) **العين**: من قري اليمانية العليا. تقع جوار بلدة يَدْوَم قرية آل اليَدُومي أهل صنعاء.

(٣) **عين يَكْلَى**: بفتح أوله. بلدة في الحَدَا، تُعرف اليوم باسم الزيلة.

(٤) المعروف أن الأوظان بالنون، محل شرقي زَراجه من بلاد الحَدَا.

(٥) **بُوْسان**: بضم فسكون. بلدة عِدَادها من الحَدَا، تبعد عن ذمار شمالاً بمسافة ٤٠ كيلو متراً.

(٦) **دحقه**: من قرى مركز الملحاء بمديرية الحدا، قريب من الأضان.

(٧) **بني شرهان**: قرية مجاورة لبلدة دحقه.

(٨) هي قبيلة من حاشِد

إليه أخوه وعانا ما هو فيه.

ثم جرّوا المدفع فرموا به مرة، فأخربوا جانباً من الحصن ثم رموا بمدفع آخر صغير فافتض وهلك به طُبْشِيّه فراع مَن بالحصن بطش أولئك، فجنحوا إلى السلم، فدخلوه عَنْوَة وتسلّموا ما حوله، وغلّوا جماعاته بالحديد واحتزّوا رؤوس أربعة من أولئك، وأمنوا النساء والصبيان بعد أن أخرجوهم وأوصلوهم قرية الأوظاف، ثم راح الجند عن ذلك المحل وقد واجههم النصر وحطوا بـ (القضاضه)[1] ـ بقاف فضادين معجمتين بينهما ألف وآخره تاء تأنيث ـ وتسلّموها وما حولها إلا ما كان من معقل الشيخ حسين عامر البخيتي وبيت أبو عاطف فإنهم تسلّموا منها العقائر والرهائن، وبهذا دانت بلاد الحدا بالطاعة للإمام فأرسل عليهم عاملاً ومتولياً الشيخ أحمد بن قاسم شمسان.

ثم نهض الجيش إلى حصون الميثال[2] ثم إلى تُنَّن[3] والمَلِيْح[4] ثم إلى المهجرة[5] بيت أبو بركات.

ثم تحولوا عن بلاد الحدا وقصدوا ديار عنس فباتوا بـ (حمَّة سليمان)[6] وكان لأهلها فساد وتعجرف وتحكيم للطاغوت فأخربوا حصونها، ثم تحوَّلوا عن ديار عنس وقد تمهدت وأذعنت وقصدوا باب الثغر رَدَاع فباتوا منه بـ (حمّة البِنَا)[7] وكان هو ملاذ الأشرار من قطاع السبيل، وبه حُصْنَان عظيمان لا يطمع الرائي في نيلهما، فسمعوا بسعة ذلك الجيش فهالهم وداخلهم الرعب فأجْلَوا عنها، فتسلّمها الجُند وباتوا بها ليلتهم، وتقدم العَمَله أهل الكد إليها، فهدموهما وأوغلوا في السّير حتى بلغوا حصن الذهب وهو ببلاد قَيْفَه، فهابوا لبعد مناله وتعلقه بأكناف السحاب فقال قائلهم: دعوه للمدفع وسيقرب ما استبعدتموه، فرموه به فضعضعه وهدَم جانباً منه، وتسلم أهله على شرط الأمان، فنزلوا فتسلمت الأجناد ذلك الحصن وقبضوا منهم العقائر والرهائن، وتقدم أهل الهَدْم فهدموا وخرَّبوا دوائره وبعض بيوته ووصل حسين عواض الذهب وصالح عامر

---

(١) **القضاضة**: من قُرى عَبِيدة السفلى بمديرية الحَدَا، تقع جوار الحيد الأبيض وبيت الفاتكي.

(٢) **المِيْثَال**: بكسر فسكون ففتح، قرية لقبيلة عَبِيدة السفلي من مديرية الحَدَا، تقع شمال غرب قرية البَرَدُّون.

(٣) **تُنَّن**: بالضم ثم الفتح مع التشديد. بلدة أثرية في منطقة عَبِيدة العليا بمديرية الحَدا، وهي قرية كبيرة بجوار بلدة البَرَدُّون.

(٤) **المليح**: قرية مجاورة لبلدة تُنَّن.

(٥) **الهجرة**: من قرى مركز الكُمَيْم بالحَدَا.

(٦) **حَمَّة سليمان**: من قرى وادي الحَار بمديرية عنس، تقع جوار خَربة أَفْيَق.

(٧) **حَمَّة البِنَا**: من قرى عَنْس، قريب من عَبَاصِر.

الذهب إلى بين يدي الأمراء مظهرين الطاعة، ثم تحول الجيش إلى بيت أبو خَيرة وبه أيضاً حصنان عظيمان مشحونان بالرجال والميرة والماء، وحَرَسهُ من قبيلة قيفة فصاولوا من بهما ثم تسلموهما بعد فرار من بهما، فهدموهما. وسار الجند نحو الشرق، بلغ قريباً من حصون عَصِرَه[١] وحصون بيت أبو صالح فاستقروا هنالك يوم الجمعة ثالث وعشرين شهر شوال، وجرّوا معهم المدفع الكبير فوجههُ الطبشِي إلى معقل عَصِرَه، فرموه من الحصن يريدون قتله وقتل من حوله، فأوجس الشيخ الخوقري منهم شِدَّة فسعى ببيرقة وقد رأى جماعة خرجت من الحصن، فتبعه نفر من حماة المدافع فرآهم آخرون فتبعوهم، ثم نهض الجيش بأجمعه نحو الحصن، وقد تضيقت الشمس للغروب فتهالك الناس على الحصن ووقفوا ببابه والمدافع تضرب من الجانب الآخر، فاشتدت الريح ونزل مطر عظيم وحجز الليل فعاد الجيش إلى مخيمه، وسار صبيحة تلك الليلة فقصدوا باب الحصن فوجدوه مفتوحاً ولا يعلمون لأهله بنبأ ووجدوا جماعة به فأسروا واحداً وقتلوا أربعة أنفار وتقدّم أهل الكَدّ واليهود فهدموا الحصن، وأقبلوا على حصون بيت أبو صالح فتسلموها وهدّموها. وأقبلت مشائخ قايفَه حسين الحُطام وحسين أحمد أبو صريمة وحسين بن زيد أبو صَرِيمة وغيرهم متقيدين بالطاعة مفارقين لإخوانهم تائبين، فبعث الأمراء على حصونهم ومعاقلهم البيارق، فدخلوها وأخذوا من أهلها عهد الله على الطاعة.

ثم سار الجند بما يحويه عن تلك المعاقل وأوغل في الشرق حتى قدموا على أحمد بن حسين عون الله ففرَّ وحط المُخيّم بـ (قرن الأسد)[٢] ونهضوا صباحها إلى بلدة السوار[٣] يتطلبون بها أحمد بن حسين عون الله فوجدوه قد فارق منازله ومعاقله، فقدموا أهل الهدم إليها فهدموها وما حولها من القرى، وأبادوا الخضراء، وأصاب بذلك المحل الأمير حميد بن عبد الله الأموي مَرَض فاشتد عليه ودعَى بالفصَّاد ففصده وتعوَّق هنالك عن المسير، فراح عنه الجند وتقدموا على الحصون والمعاقل والدروب فهدموها وهي مما يلي بلاد العوالق وبلاد السلطان الرصَّاص، وتحرك الرصّاص للذهاب وكتب بماجرية ذلك الجيش إلى حضرموت والشِحر، يخبرهم بأنه لا طاقة لأحد بملاقاته، فتخرّسوا ونزل بهم الخوف، والوَجل. وكان ذلك الجيش لا يأتي على محل إلا دمدمه إلا ما كان من الحدا، وهم أشد الناس فساداً وقبيلة قايفة فإنهم قبلوا منهمً الرهائن،

---

(١) **عَصِرَه**: بفتح فكسر ففتح، من قرى قبيلة قَيْفَة (آل محن يزيد) في بلاد رَدَاع، تقع بالجهة الشرقية من جبل (أسبيل) في حدود ذَمار، وأعلاها حصن حميري خارب.

(٢) **قَرْن الأسد**: من قرى عَرْش رَدَاع.

(٣) **السوار**: بلدة جوار قرن الأسد.

وتركوا بالحدا بيت الشيخ البخيتي رأس أهل الطاغوت، وبيت أبو عاطف، وكذلك بنوا الحطام وبنو صَرِيمه من أهل قايفة العتاة، فإن الجيش رضي منهم بالمقابلة، فما زلت متعجباً فسألت سيف الإسلام عن ذلك، فأخبرني أنه لعلةٍ خافية، وأن القبيلتين يزعم الناس قرشية، فهذه شنشة من أخرم قامت لها العصبية.

ولما بلغ الإمام ما أتى عليه الجيش من الديار وتعديه إلى الحدود التي أعرض عن ولايتها بعث بكتاب يستدعي الجيش، فنهض من تلك الديار قافلاً وبعث بكتاب آخر يحض على هدم حصون عنس، فعاد عليها الجيش فهدم المعاقل والقرى المحصنة، ثم ورد من الإمام كتاب بهدم دائر قرية رصابة وحصن ضاف، فهدموهما وتوجهت الأمراء قاصدة باب الخليفة فدخلوا صنعاء سابع شهر القعدة الحرام.

وتَحصّل عن هذا المخرج خوف أشرار الرعايا بجميع البلاد اليمنية والتهامية، وعلم الناس أن لا جهد للعصاة ولا مطمع للبغاة في نيل شيء من المملكة. وسيأتي في عام أربع ومائتين وألف ما تعقب من الأمور في تلك الجهات مفصلاً.

[ظهــــور زلازل]:

وفيها: من مظاهر القاهر ظهور زلازل وتتابعها، فكانت زلزلة بأول شهر رمضان، وفي العشر الوسطىٰ منه، ووصل الناس من الجهات النائية يخبرون بحصولها، واستمرت مترددة في شهر شوال وشهر القعدة الحرام، وهلك بها خلق تحت الهدم في قَعْطبة حتى خرج الناس من البيوت إلى المساجد والصحراء.

[علي بن حسين الأكوع الوزير]

وفيها: يوم السبت آخر يوم من صفر، الوزير علي بن حسن الأكوع[1]، وُزِّر للإمام المهدي العباس، ووسَّطَه على قبائل اليمن[2] فثبت لهذا الشأن، وما زال حتى مات الإمام المهديد فاستوزره الإمام المنصور بالله فبقي على ما كان عليه نحواً من خمس سنين، خلا أنها عظمت عليه نفسه، واستهان بالأعوان، وظن أنه لولاه لكان للدولة وللشر شأن فتهافتت أموره وتلاشت، فنكل به الإمام وبقي بالسجن نحو العام. وقد أتينا على خبر مصادرته عند ترجمتنا حوادث سنة أربع وتسعين، ولمّا أُطلق لزم المسجد الجامع، واشتغل بالطاعة حتى كان عام ست ومائة، واستأذن الإمام في مسيره لقضاء

---

(١) نيل الوطر (٢/١٢٩)، تاريخ أعلام آل الأكوع (٩٩)، البدر الطالع (١/٣٣٥)، هجر العلم (٤/٢١١٩).

(٢) قال القاضي إسماعيل الأكوع: المُراد باليمن هنا اليمن الأسفل. تاريخ أعلام آل الأكوع ص (٩٩).

فريضة الحج فأذن له وسار بولده الحسين، وعاد، واشتغل بعد ذلك بعلم الزيج والنجوم، وألّف جدولاً[1] في الشهور الرومية والعربية فجاء متقناً، وقرّض كتابه ذلك جماعةٌ من الاعلام كالأستاذ عبد القادر بن أحمد والأستاذ شيخنا علي بن إبراهيم بن عامر، وَوَهِم في نسب آل الأكوع فإنه نسبهم إلى سلمة بن الأكوع، وليس كذلك، فإنهم يوافقوا آل جحّاف ويجتمعون معهم في مرهبة بن بكيل في النسب، قال شيخنا علي بن إبراهيم فيما وهمه في التقريض:

هم ناصروا المختار في حيوته ... وتابعوه في الفروض والسُّنَن

ولا نعلم في مرهبه مناصراً في أيام النبوءة. واختصر (عدة الحصن الحصين) بإسقاط أسماء المخرجين، ونسخ (سهم الغيب) لشرف الدين القاسم في الفال، وجعل أسماء خيل الإمام عوضاً عن أسماء الرجال، ونظم شعراً في الأدبيات ركيكاً لا يخلو أكثره من اللحن. وكان يتصدق فيجمع الفقراء ببابه أيام وزراته ويعطيهم نزراً يسيراً، وفيه خير، وكان لا يضع الحَسَنة إلا وقد حصل الإجماع من الناس عليها. وله الماجل الذي يستقي منه السَّفر بمسعود الكول[2] في بلاد (سنحان)، أنفق عليه مالاً جزيلاً أيام الإمام المهدي، وأخرج لنفسه غيلاً في (شعوب) طريقه غربي منبع (غيل المهدي) النافذ إلى (الروضة)، وشاركه فيه علي بن مصطفى العجمي[3] وأخرج لنفسه أيضاً غيلاً آخر عدني صنعاء[4]، ولا نطول نذكر مجرياته، وقد أتينا على بعض من أخباره من حوادث سنة إحدى وتسعين في حادثة خلع علي بن محمد بن عامر عن الأوقاف وتوليته محمد بن حسن حطبه.

[الحسن بن عبد الله الظفري]

وفيها: شهر جمادى الآخرة حسن بن عبد الله الظفري[5]، دأب في المعارف وحصَّل وكتب وتخرج بعبد الله بن لطف الباري وأخذ عن عدة، وعمل بالدليل ونظر لنفسه، وعامل آل إسحاق بالديون، وكان لهم ملاذاً في الحوائج فتموّل بمعاملتهم وتأثل مع دين وحسن معاملة، إلا أنه شديد النفرة عمن خالفه، قلقاً قريب الغور، استدان منه علي بن حسن مرغم مالاً فطمع في نموه، إذ كان استدانه للتجارة، فلم يشعر إلا بإفلاسه

---

(١) ذكر القاضي إسماعيل أن منه في المتحف البريطاني نسختان تحت رقمي (٧٧٠ و٧٧١).

(٢) في قرية مَسْعود.

(٣) عُرِف هذا النهر فيمابعد بغيل مصطفى ـ انظر «كتاب غيول صنعاء» للأستاذ عبد الوهاب عسلان ص (١٠٠).

(٤) انظر المصدر السابق ص ٩٤.

(٥) نيل الوطر ١/ ٣٣٧.

فلاقاه بمكة المشرفة حول البيت فطالبه به فأفصح له عما جرى، فاشتد عليه فضربه بنعله، فاستقام مستسلماً وهو يضربه فأجاره الناس منه فقال لهم: دعوه يصفع ظهراً طالما عصى الله تعالى.

أولاه الإمام المهدي عملاً باليمن الأسفل بإعانة الوزير أحمد بن علي النهمي فاشترط سيرة العدل في الرعية، وعلىٰ أن لا يأخذ منهم إلا الحق الواجب، فأسعده الإمام، فنزل إلى ذي جبلة وسيّر عدولاً لقبض الزكاة، فمضوا الخرص ثمار الأرض وسلكوا بالإجبار مسلك الرعية[1]، وقد كان الأكثر لا يصرف شيئاً من الزكاة، ولما تحصلت زكاة الإجبار استأذن من الإمام في تعيين المصرف فأجابه مصرفها من في الآية، وأمر الإمام الحاكم بذي جبلة أن يشارف على صرف زكوات الإجبار في الفقراء فاتصلا وبلغ المترجم له أن الحاكم من شأنه إرسال الرسل على المُدّعَى عليهم بإجرة فنهاه عن ذلك وقال: إنك مأمون على شرع ما كان محمد بن عبد الله ﷺ يدعو الغريم فيه بالأجرة، وإن اعتذرت بأن الناس لا يَمتثلون إلا بالمال للرسول فهو من بيت المال، فإن أسعدك الإمام وإلا اعتذرت، لأن الله عز وجل قال: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ ﴾[2]، فلم يسمعه الحاكم، وقال: ذلك مما يؤدي إلى مفسدة، والحق ما قاله المترجَم له. وما زالت العداوة تنمو، وأراد الوزير إصلاح شأنهما فلم يتم له، وفاجأه الحمام وهما كذلك، فتوسط للمترجَم له القاضي أحمد بن محمد قاطن وأخذ عليه أن يقبض الزكاة في العين، فقبض الثمن بزكاة العلف. قال القاضي: اجتهد فأخطأ وطال الكلام فتوسط للبلاد محمد بن إسماعيل الشامي أحد الأعيان، فرفع المترجَم له وعاد الأمر الأول من الخبط في الأعمال كما هي عادة العمال، وقد قدَّمنا الإشارة إلى ذلك عام أربع وتسعين.

[الزيادة بالعدل، وبه تعمر الديار]

قال المؤلف غفر الله تعالى له: وأرسل المهدي العباس عليه كاتباً أحمد بن محسن الحيـي وأتبعه مثمراً أخاه إبراهيم بن عبد الله الظفري، فجروا في الأمور معه على العدل، فنمت الحقوق الشرعية وزادت أضعاف ما كانت أيام الجور، حدّثني أحمد بن محسن الحَيـي أنه قال: حاصل ما قبضه الإمام من الحقوق في ذلك العام من بلاد جبلة وإب خمسة وأربعين ألف قدح، وإن الإمام قال لأحمد بن محسن الحيـي هات من أين جاءت هذه الزيادات؟ قال: فقلت: من العدل، قال: نعم ولكن تظهر لنا محل الزيادة، قال: زاد من المخضّر كذا، ومن الفطر كذا، ومن الحقوق الواجبة كذا، قال: وهذا

---

(١) المراد بالإجبار من يكون صرف زكاتهم في الفقراء.
(٢) سورة البقرة، الآية (١٨٨).

بالعدل؟ قال: نعم، فما زال متعجباً، ثم لما كثرت الأقاويل وكثر الخبط والخلط بسبب أهل الشر رفع الإمام المترجم له، فعاد إلى الاشتغال بالعلم وخاصة نفسه وكان له ذكاء وانتقاد ومعرفة العلوم الاجتهاد.

[التعـــرض للاجبـــار والوقف]

وقد ذكره القاضي في ترجمة أحمد بن عبد الرحمـٰن عند تعرضه لذكر الاجبار من الناس والأوقاف، وأنه ذكر للمهدي العباس أنها جرت العادة أن من تعرض للاجبار والوقف من الأئمة سلب الله مُلكه، وأن الإمام إنما أمر أن يُسَلَّم الاجبَار زكاة المكتسب من أموال الرعية لا غير، وأما الأوقاف فإنه أمر المترجَم له هنا أن يقبضها من زبيد وحيس وبلاد تعز وحَصْرها في دفترٍ واحد، فضلتها، ثم لم يكن شيء من ذلك بل صارت في مصارفها، حتى حُبِس القاضي الحبس الأخير فحسَّن بعض الناس أن يجعل الإمام للفقراء حظاً من فضلات الأوقاف، ويكون من كل محل بقدره وحُصِرت غَلّة الأموال الموقوفة بزبيد وتعز وحَيْس وغيرها، وخَزَلَ للفقراء منها وًاعتذر جماعة من أهل الديانة من قبضها. كذا ذكره القاضي قال: وكان سعيد بن علي القرواني رحمه الله تعالى متصدراً لقبضها وتفريقها، فرآه القاضي ليلةً في منامه كأنه بمحل في صنعاء تَنصبُّ إليه القاذورات والنجاسات فتقع على رأسِه فتصيب النجاسة ثَوبَهُ وَبَدَنَهُ، قال: فاستنقذته وأخرجته بحمد الله تعالى وقام بمقامه لهذه الوظيفة محمد بن حسن حطبة. قلت قد أشرف القاضي في الاحتراس من ذلك، وغَفَل عنه رحمه الله تعالى أن الدفتر الحاصل بيد متولي الأوقاف اشتمل على صدقات ونوافل لأهل العلم وغيرهم.

[علي بن حسن أبو طاب]

وفيها: يوم الجمعة، رابع عشر ربيع الأول، علي بن حسن أبو طالب رحمه الله تعالى.

وفيها: حسن بن علي بن حسن بن أحمد أبو طالب، يوم السبت ثالث عشر ربيع آخر.

وفيها: شهر رمضان أبو بكر بن علي البطاح[1] الهاشمي الزبيدي التهامي، بصنعاء. كان عارفاً متفنناً داخَل الأعلاَم وراجعهم في فنونٍ شتّى، وكان له معرفةً تامة باللغة والمنطق والأصولين، اتصل بالأستاذ عبد القادر بن أحمد، وكانت هيئته في ملبوسه هيئة الأجناد، ولما مات تولى جهازه أديب الوقت الولي الواعظ علي بن إبراهيم الأمير، وقد ترجمه فقال: هو روض أدب نضير، وبدر كمالٍ جل عن النظير، ومعدن

---

(١) نيل الوطر (١/ ٤٦)، هجر العلم (٤/ ٢٠١١).

علم يستخرج منه عسجد الفوائد، وبحر كرمٍ يقذف لؤلؤ الصلات لكل رائد أحيا مدارس العلم بعد أن درست آثارها، ونبّة سُنَّة المختار من السِنَة فوقفت عليه آثارها؛ فحديث مجده القديم مرفوع، وإسناد فضله متصل ومتواتر ومجموع، كم أظهر بصحيح فكره الحسن مضمرات الدقائق وسلسل غريب المعاني فكشف عن وجوه الحقائق؛ ولكم جلاً صفائح الصحائف وشرح متون المعارف، شعراً:

ورمـى شيـاطيـن الجهـالـة مـن سَمَـا ء علـومـه بشهـاب فكـر صـائـب
وأعـاد مَيْـتَ المجـد حيـاً بَعْـدَ أن أجـرى الـزمـان عليـه دمعـاً نـادب

وجدّ شخص المعالي رسَماً فنفخ فيه من روحه، وصادف الجود يتيماً فكفله في آخر الدهر في سوحه، ولما صار لمكارم الأخلاق كالأب الشفيق، قصدته خلال الفضل من كل فج عميق. شعراً:

لمـا رأى أدبـاً مـن غيـر ذي كـرم قـد ضـاع أو كـرمـاً مـن غيـر ذي أدب
سمـا إلـى سـدرة العليـاء فـاجتمعـا فـي فعلـه كـاجتمـاع النـار والقصـب

فكم عبّرت عطاياه عن معاني أسمىٰ الأماني الكواذب؛ وكم هشت مغانيه العامرة بالمجد حتى كادت تركب إلى كل راكب، وكم اطلع شموس علومه فطمس ظلم الجهالة، ومحت أنوار حلومه دياجي الغفلة والضلالة، فالفضل لفظ وهو معناه، والمجد جسم هو روحه وهيولاه. حلَّى جيد الزمان العاطل بوجوده، وفضحت أنامله الغيث لما أجرت لسائله نائله وجوده، فكم من يدٍ ساقها إلى كل فاضل، وكم من راحةٍ طوق بها عنق كل آمل، وقطع بها لسان كل سائل وسائل، إن تكلم فما العضد أو تكرم فما كعب إياد، أو نظم فما درر الثنايا في ثغور الخراد، أو كتب فما العماد وما ابنُ مقلة، أو خاض في بحور الحديث فمن أين للعيني أن يكون مثله. شعراً:

لــه حــاجــبٌ عــن كـل أمـرٍ يشينـه وليس لَـهُ عن طـالـب العِرف حَـاجبُ

على قدمٍ بالعلم رأسٍ راسخ، وطود في المجد مشيدٌ شامخ، فهو في جبين الدهر غُرَّة، فإذا حضَر مقام الأعيان كان صدره، شعراً:

وإنسان عين الدهر والصدر في الورى فتـىً كفـه قـد جـاد للخلـق بـالعيـن

سمح الدهر لي بملاقاته، والتمتع بفواكه مفاكهاته، عام أربع وتسعين في زبيد، وصحح لي لقاه أن كل أيام اللقاء يوم عيد، وذلك مع وصوله من الحج، وقضاء المناسك والعج والثج، وكان انتظام عقد الاجتماع الفريد، عند بني الأحمر في زبيد، لأن رفيقه الرفيق وزميله في ذلك الطريق، غصن الدَّوحَه الأنصاريه، وفرع الشجرة

الخزرجيَّه، من وقف أنامله على سُبُل الفواصل، كما وقفت نفسها عليه الفضائل، وفتح باب المجد، ولم تزل بيده مفاتح ذلك الباب، وصقل أحسابه الزاكية، بسماحته والسماحة، صيقل الأحساب. انتهى ما ترجمه به. قلت وكانت له خلاعيات طويلة، ومداعبات، وقد مهر في بحر المجون، ومرح. ومن شعره الرائق، ونسج فكره الصادق، ما كتبه إلى علي بن إبراهيم الأمير من زبيد، وكان ببيت الفقيه ابن العجيل:

ذكـرتـك ليـلاً حـاز غِـزلانَـهُ مِلكـي ... وعقـد الهنـا قـد حـل عنّـا ضنـا النسـكِ

ونحـن نشـاوَى كـل خـل وخلّـةٍ ... قـد انتظمـاء فـوق الأرائـك فـي سِلـكِ

وقـد نظمـت أيـدي الصبـابـةً عقـدهـا ... وأوتيتُ[1] ما لم يؤتَ في ملكه زنكي

وقيّـد صـافـي الـوقـت مـن رام شغلنـا ... بقيـد مـن الأشغـال مستبعـد الفـك

وهـبَّ نسيـم الأمـن فـي روض انسنـا ... فـألقَـى إليـهِ نشـوة الـراح والمَلـكِ

وملنـا إلـى الأوجـان نقطـف نَـورَهـا ... بـأيـدي شفـاةٍ زُنَّ بـاللطـف والهتـكِ

ولثـم ثغـورٍ دار كـأس رضـابهـا ... دهـاقاً وجنح الليـل محلولـك الصَّكِ

علـى أننـا لـم نخش صـولـةَ صـائـل ... سـوى سـود الحـاظ تهـدد بـالفتـكِ

وسُمـر قـدودٍ لـم تنلنـا سـوى الضنـاً ... إذا مـا طمعنـا نتبـع الضـم بـالعَـرْكِ

وواشٍ مـن الـريحـان قـد عـدّ نشـرَهُ ... سفيـر النـدامـى فـي ليـاليهـم الحُلـكِ

وضوءً شموعٍ ما زجت عابس الدُجَى ... فأسقط درع البُؤس من شدة الضحك

قال علي بن إبراهيم: أنظر إلى بلاغة هذا البيت التي تسحر الألباب:

وسـاجـل شـادي القـوم سجـع بـلابـل ... بقلبـي مـا زالـت لنـار الجـوى تـذكـي

ففـاضـت لـذكـراك المـدامـع واغتـدىً ... رحيب صفاء العيش في أرحب الضنكِ

وعـدنـا كـانـا لـم نـذق لـذة الهـوى ... ولم نجنِ ذاك الشُهْد من ذلك الشبكِ

فيـا ليـت شعـري هـل لبـدرك عـودةً ... قـريبـاً تُـرجّـى أم أُعلـل بـالشـكِ

وهـل تمـلأ الأيـام جيـدى قـلائـداً ... تجود بها الأفكار من خالص السّبكِ

وهـل تَعبَـقُ الأرجـاء مـن أفـق منـزلـي ... بِخُلْقِ أبـي السبطين مزري شذا المِسْكِ

فـإن تكـن الحُسنىٰ فيـا حبّـذا الـذي ... وإلا فهبنـي وارداً هـوّة الهلـكِ

فهـذا حـديثـي والسـلام عليـك مـا ... رسا في معاني وصفك الأريحي فلكي

[إذا قال الرجل لزوجته أنت طالق ثلاثاً]

ومما: نقلناه عنه: إذا قال الرجل لزوجته أنت طالق ثلاثاً أَتُحسب ثلاثاً أو واحده؟ إذا قالها هكذا ثلاثاً أو عشراً، وقال: قد بحثت في هذه المسألة أشد البحث، وصحّ بعد

---

(١) في نسخة «وأوليت».

ذلك أنها واحدة، والعمل على حديث في المسند للإمام أحمد: حدّثنا محمد بن إبراهيم حدثنا أبـي عن محمد بن إسحاق حدثني داود بن الحصين عن عكرمة مولى ابن عباس عن ابن عباس قال: طلّق رُكَانَه بن عبد يزيد أخو المُطّلب امرأته ثلاثاً في مجلسٍ واحد فحزن عليها حزناً شديداً فسأله رسول الله ﷺ كيف طلقها قال طلقتها ثلاثاً، قال: في مجلسٍ واحدٍ؟ قال: نعم، قال: فإنما تلك واحدة فارجعها إن شئت، قال: فرجَعها قال: وكان ابن عباس يرى أن الطلاق عند كل جمرٍ، قال أبكرٍ: وهذا الحديث في مختارات أبـي عبد الله المقدسي وهي أصح من حديث صحيح الحاكم، وكان طاووس وعكرمة يُفتيان بأن الثلاث واحدة وكذلك ابن إسحاق، وقد روي عنِ ابن عباس على العكس فجعلها بالمجلس الواحد ثلاثاً موافقة لعمر في تأديبِ المُطلّقين. وقد كانت الثلاث واحدة في أيام الصديق ومعه جميع الصحابة وحدث الخلاف في زمن عُمَر. قال المؤلف غفر الله تعالى له: وهذا مذهب داود وأصحابه قالوا: الثلاث في مجلس واحد، وروى حمّاد بن زيد عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس: إذا قال أنتِ طالق ثلاثاً بفم واحد فهي واحدة، ذكره أبو داود في السُّنن. قال المترجَم له ولا عبرة بالشافعي.

[يحيـى بن المنصـور]

وفيها: يوم الربوع لعله عاشر ذي القعدة، يحيـى بن الإمام المنصور الحسين.

[الصادق المهدي]

وفيها: يوم الخميس، لعله ثامن عشر القعدة، الصادق بن المهدي العباس.

[شمس الدين بن المهدي]

وفيها: الخميس خامس وعشرين القعدة، شمس الدين بن الإمام المهدي العباس بـ (الحسيد) من أعمال الليث، وهو ذاهبٌ لقضاء فريضة الإسلام الحج، وكان قد توجه للمعارف العلمية، وقرأ على رفيقنا محمد بن الحسن المحتسب، وعلى شيخنا الأستاذ علي بن إبراهيم بن عامر.

وَدَخَلَتْ سَنَةُ أَرْبَعٍ وَمائَتَيْن وَأَلْف

فيها: عقد الإمام بولاياتٍ وخلع آخرين، فعقد ببلاد عنس لأحمد بن إسماعيل بن إبراهيم في شهر رمضان.

وفيها: عقد بولاية حراز لمحمد ذو الفقار شهر ربيع الآخر.

وفيها: خلع عن ولاية زبيد الأمير يسر الماس شهر محرم.

وفيها: خلع عن نظارة المخازين إسماعيل بن عبد الله فارع.

وفيها: خلع عن حراز علي بن صالح العماري، شهر ربيع الآخر وأولاه أمر المخازين.

وفيها: خلع عن بلاد يريم صالح بن علي الحمدي، شهر الحجة.

[ظهـور مشعـوذين]

وفيها: وصلت أخبار مشعبذين وممخرقين ببلاد الجوف، وأرجف اليمن بظهور المهدي، وظهر بعض الممخرقين بخولان وله أتباع فوثبوا عليه فقتلوه وانتهبوا أصحابه وبعثوا برأسه باب الإمام، وسكن شر الممخرقين أثناء العام.

[طيافـة الأوقـاف]

وفيها: أرسل الإمام: سعيد بن علي القرواني لطيافة الأوقاف بالبلاد اليمنية، لينظر العامر من الغامر.

[تربش اليمانيتين]

وفيها: توثب أهل اليمانية على عامل الإمام بحصن دَلاَج الربوع، بعد توثبهم على العامل الأول. وفي هذه راح الطاغية أبو حليقة معهم بجماعةٍ من خولان فقطعوا المِيره[1] عن وصولها إلى حصن دلاج فضاق بمن به الخناق، وشارف الخبيث ومن مَعهُ على تسلم الحصن.

[مخرج سعد غَدّارة]

فأمر الإمام ولده سيف الإسلام أن يدبّر أمر الجهاد ويحسم مادة الفساد، فسيَّر فتاه سعد غدّاره وضم إليه الأمير الماجد يحيى بن محسن حنش والأمير فرحان ياقوت الحبشي، وأصحبهما جماعة من البطانة وضم إليهما قبائل همدان وسَنْحان والحدا وكانوا نحواً من ثلاثة آلاف، فراحوا عنها لا يدرون عاقبة أمرهم ولا يهتدون إلى صواب، ونظروا ما كان من الجيش اللُهام قبل هذا العام، ومضوا مع الأياس من المرام وكان من بـ (دلاج) قد فقدوا المِيْرة ونضب عليهم الماء، فوصل الجند وقد أرسل الله لهم سحابة تساقط عنها رَشَاش يسير، وكان الرجل منهم يتلقف الرشاش بثوبه ويعصره ويشربه، ولما عاين الطاغية ومن معه الجيش قد توجه إليهم، خرجوا عليهم فانتصر جند الحق ووَلّىٰ الطاغية وقومه الأدبار، وكاد أبو حليقة أن يتسلم، وأفرجوا عمن بالحصن، ورفع الإمام عامله عنه وأمر بخرابه.

وفيها: وفي التي قبلها تضعضع حال صالح الحمدي بيريم.

---

(١) المِيرة: جميع مِيَر، الطعام.

وفيها: توجّهت الطاغية ذو محمد إلى إبّ وذي جبلة فبَدى لعامل يريم أن يستدعي جماعة من ذو محمد.

[الشيخ إسماعيل الموصلي]

وفي هذا العام، ورد إلى صنعاء الشيخ إسماعيل الموصلي، زعم أنه من أولاد الأمراء وأن عمه غلبه على الموصل ففر هارباً نحو اليمن، وزعم أنه عانا أمر الكتابة وحضر موقف السلطان ولزم عتباته برهة من الزمان، وأنه يُحسِن الضرب بآلات لا تضرب بين يدي أحد من الأمراء، فامتحنه سيف الإسلام فقارب الظن فيما يزعمه. واتصل بالوزير علي بن صالح العماري فشغف به، وحرص عليه حرصاً شديداً، وقال الوزير: هذا الرجل جذوة ذكاء، وكان يغار عليه ويسلم له ما نسبه إلى نفسه من الأدبيات الرائقة، وإنه جاءه يوماً وهو في كمال عمارة مفرجٍ. فقال له: نريد الآن تكتب تاريخ العمارة على الباب، فقال علىٰ البديهة:

مفـــــرج الإسعــــــاد والإقبـــــــال والعـــــز المشيَّـــــــد
طــــائـــر الأفـــــراح فيـــــه لـــــك بـــــالتـــاريـــخ غـــرَّد
سنة ١٢٠٤

وكان فتى نبيهاً نبيلاً ظريفاً، تتفجر عنه ينابيع الأدب وينبت عن سحايب محفوظه ربيع الأدب، سريع البادرة، كثير النادرة، جيد الفكرة، سليم الطبع، متناسق الحكاية، شغفاً بملاقات أهل الأدب، راجح العقل ذكر أموراً عن المملكة السلطانية لم ينقلها عن غيره، فزعم أنه لا يدخل على السلطان من الأعوان سوى كثير الافتنان. وأخبر عن كتاب السلطان، بما استبعده كل إنسان.

وقد رددت النظر فيه أنا وجماعة من حذّاق الناظرين، فقارب الصحّة، وذلك أنه قال: نظرت محتاج الكتاب في قسطنطينية عن كل يوم من البياض، فإذا هو أربعمائة شدّة عن ستة عشر لكل قائمة، وإحدى عشر ألف قائمة، وثمانمائة قائمة، في كل يوم، قال: وهذا ما تحتاجه الوزراء، على كثرتهم، والأمراء والقضاة والحجاب، وكتاب هؤلاء وكتاب الإنشاء، وأهل الوظائف، والعُهَد، ومن على البحر، من كتّاب المكس، والجبا، ومن على الأسواق من النظار، والمراسلين إلى الأقطار، من المتوسطين عليها، والكاتبين إلى الأجناد، وأهل الجهاد، وغير هؤلاء.

ومِن أخباره عن قسطنطينية. قال هي سبع أيدي، ممتدة في البحر بين كل يدين شِعْبٌ تضطرب به الأمواج، فإذا أراد أحدٌ أن ينفذ من البر إلى يد مقابلة له في البحر، في زورق راح وعاد لحينه. ثم قال: فكم يجعلون في تلك الشعاب المضطربة من الزوارق؟

فقال بعض الناس ألف زورق على كثرة من بها. فقال والله لقد سمعت هنالك أنها أربعة وستون ألف زورق. قال وعلى الداخل إلى زورق ديواني للموكل به.

وذكر من عجائبها ما قضى بالعجب للسامع، ونسب إلى نفسه من الأدب الغض ما حيّر الألباب، فاسْتَملاه من أدبياته رفيقنا، علي بن إبراهيم الأمير فمما أملأه، من خالص سبكه، وأودعه الرفيق، باطن مسكه، قوله مضمناً مكفياً مع حسن التعليل، ولم يصرح آخراً بأنه له:

توقد جمر الفهم عن تغزلي ... فمن أجل هذا قد أتي جِيد السبكِ
وما حفظت عيناي من سوء حظها ... على كثرة الأشعار ألا قفا نَبكِ

ومما أملاه، وحار في نسبته إليه الرواة، قوله مقتبساً مكتفياً:

يا در ثغر حبيبي ... كن بالعقيق رحيماً
بالله رفقاً عليه ... ألم يجدك يتِيْمَا

ومن سحره الذي أفرغه في كأس بلاغته وأداره، قوله في فَوَّاره:

خطيت من هذي الربا ... أنهارها لنشاتك
فهاكها جاريَةً ... قائمةٌ في خدمتك

ومما أملأه في حسن التعليل وروَّح به العليل، وكسىَ به صفحة الصفائح الأدبية، تعليله لوضع الكف على الصدر عند التحيّة.

لم أضع للسلام في الصدر كفاً ... حين حَيَّا بالحاجب المقرون
غير أني حَيّيْتُ صدري لِتَدْري ... أين حلت سهام تلك الجفونِ

وسألت عنه أديب الوقت محمد بن صالح بن أبي الرجال فقال: لم أطرب لشيء سمعته عليه ما طربت لحسن التعليل بوضع الكف على الصدر إلا أني لا أساعده على نسبته إليه، وسمعه بعض الناس يُملي قصيدةً امتدح بها بعض أكابر العجم منها:

سطَى يوم الخميس على خميسٍ ... وسَّل على الأعادي هندكيا

فقال له بعض الناس ما تريد بالهندكي؟ قال السيف الهندي، قال: فلِم زدت فيه كافاً؟ قال هي لغة أثبتها ياقوت وقررها وقد وقفت عليها وقد أورثني الحيرة فيما سمعت عنه.

قال المؤلف غفر الله تعالى له: وقد رأيت له قصيدة يمتدح بها بعض الأكابر تدخل في دفتر الالتباس، عارض بها ابن النحاس، وفاتني نقلها وفي محفوظي أولها:

لا وفرع تحته الغرّةُ صُبْحُ ... وجبين فوقه الطرةُ جُنْحُ

مـــا تسليـــت هـــوى الشعـــب ولا راق لـــي مـــن بَعـدِ ذاك السفـح سَفـحُ
ملعـــبٌ بثـــت بـــهِ أَرَامسُـــهُ حـــورٌ تنظـــر بـــالسكـــر وتحصـــو

[الأديب سعيد بن علي القرواني]

وفيها: يوم الإثنين سلخ شهر القعدة سعد بن علي القرواني[1] نسبة إلى قروَى بقاف مفتوحة فمهملة ساكنة فواو بعدها ألف بلدة من أعمال خولان. مولده بـ (شبام كوكبان) عام أحد وأربعين ومائة ألف، فنشأ بها وحفظ القرآن وولع بالأدب فحفظ من نسيبه وتشبيباته وحماسته شيئاً كثيراً واسعاً واشتغل به، وأعطي حسن الصوت فكان ينشد في المحافل، ثم انتقل إلى صنعاء وأخذ بها عن عدة، وحضر درس القسم بن محمد الكبسي، وأخذ عن أحمد بن محمد اليزيدي في الآلات، ولزم القاضي أحمد بن محمد قاطن وأخذ عنه في الحديث، وأخذ عن الحسن بن زيد الشامي، وعن أحمد بن صالح بن أبي الرجال. وما زال ذِكره ينمو حتى أتصل بالوزير الصالح أحمد بن علي النهمي فوصف للإمام المهدي العباس حاله وحُسن سَمته.

وكان قد رُزق قوة في تعبير الرؤيا فبعث الإمام إليه برؤيا رآها، وقال لوزيره سله من تعبيرها، فسأله فكان ما عبَّر به واقعاً فرفع بتعبيره إلى الإمام فاشتغل به، وكَتب الإمام المهدي إلى الوزير بيت الهمزية وتصرّف فيه فقال:

وإذا سَخـــــر الإلـــــه سعيـــــداً لأُنـــــاسٍ فـــــإنهـــم سعـــــداءُ

فهذا من أحسن التصرفات الملوكية. ثم أناط به الإمام حاجات القُصَّاد وأهل الفاقة وساق إليه أموالاً، وقد قدمنا الإشارة إلى ذلك في ترجمتنا للحسن بن عبد الله الظفري عام ثلاث ومائتين، وذكرنا رؤيا للقاضي أحمد بن محمد قاطن.

وكان رحمه الله تعالى عالي الهمَّة فصيحاً بليغاً جيّد الشعر عذب الألفاظ حسن المأخذ حافظاً في اللغة، وهو الذي أجاب على جماعةٍ من أهل العلم وقد تكلموا في معني أو يأخذهم على تخوفٍ فقال رُوي لنا حديث عن أمالي أبي علي القالي أن ابن عباس جاءه إعرابي وأملاه:

يخـــوفنـــي مـــالـــي أَخٌ لـــي ظـــالـــمٌ فلا تخـذلـنَّ المـال يـا خير مَن بَقِـي

فقال ابن عباسٍ: يخوفك أي ينقصك؟ قال: نعم، قال: الله أكبر أو يأخذهم على تخوف أي على تنقصٍ من خيارهم. وهو الذي عانىٰ لُغز إسحاق بن يوسف ونظم حلّه نظماً جيداً وأبا إسحاق بن يوسف التسليم له فيه، فقال: إن لم يكن حلاً له حللت

---

(١) أنظر: نيل الوطر (٢/ ٦)، البدر الطالع (١/ ٢٦٣)، هجر العلم (٢/ ١٠٢٤).

الحل ولا حاجة لنا إلى إيراده. وقد تكرر ذكرنا له.

وكان رحمه الله تعالى سمحاً كريماً لا يدَّخِر من يومه لغَدِه، رامياً حاذقاً، وفارساً صادقاً، وله في الفراسة قصيدة بديعة تناقلها الناس عارض بها قصيدة ابن النحَّاس، وسلك بها مسلك المجون، فجاء بما أزرَى بابنة الزرجون. وذلك بعد أن أركبه المهدي العباس على فرسٍ حَزُون، وقال بعد معاناته لركوبه شهراً كاملاً متوسلاً إلى المهدي العباس في قبضه وإعاضتِهِ فرساً جواداً:

ما ألذ العيش في الدنيا لمن ... جدُّه فيها خلاعاتٌ ومَزْحُ
إن لي فيها حصاناً شكلُهُ ... حَسَنٌ ما شأنه في الخُلْقِ قُبْحُ
ذا قَوامٍ كمِّلَت أوصافه ... وتليل طائل والظهر صَرحُ
إن مشى ما بين خيلٍ فلَهُ ... زَعقاتٌ والتفاتاتٌ ورَمْحُ
وإذا هز عليه فارسٌ ... قال ما عندي لهذا الباب فتحُ
إنما أصلح للسيْر على ... وجل بيني وبين السعي صُلحُ
تضرب الأرض يداه نَخْوةً ... وهو في الحلقة والمشوار طبحُ
أرجلي قد كلمت أضلاعُه ... وله في مجلسي كَلْمٌ وجرحُ
كم أداوي القلب قلّت حيلتي ... كلما داويت جرحاً سال جرحُ
فهو طبلٌ والمقاريع لَهُ ... أرجل الفارس والنقرة ضَبْحُ
وله في كل أرضٍ وقفةٌ ... ولدمعي فوقه سبحٌ وسَفحُ
وإذا ما سار في ميدانه ... فله في سَيره كَدٌّ وكَدْحُ
وكذا فارسُه درْفٌ على السرج تنح فالتقى تِنحٌ وتنحُ
يمسك الحربةَ كالمحواش إذْ ... يعصد الميدان والشوق يَلحُ
لا تسل عن حال شرحي فوقه ... يا ابن وُدّي ما لهذا الحالِ شرحُ
فأنا في سَرجِه في وُرطةٍ ... ما لها غير نزول القاع فَسحُ
ليس لي من مُخلَصٍ إلا امتدا ... حي إمام العصر إن ماراق مَدْحُ
المليك الباسم العباس مَن ... ليس بالدنيا ولو دامت يَشِحُ
فَلَكَم قلّدني من مِنَنٍ ... لي بها بين بني الأيام شرحُ
بعد أن كنت مَهيْناً خاملاً ... ليس لي في أَبْحُر الأشعار سَبْحُ
فله مني الثنا ما نظمت ... كَلِمي واخضَرّ من أَنْداه سَفحُ
يتغنّى قلمي في مدحِه ... وله في صفحة الأوراق سطحُ

وكان رحمه الله تعالى حلو الحديث جم النوادر، كتبنا عن محمد بن محسن العلفي حكاية ظريفة نسبها إليه وهي أنّ عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ لقي إعرابياً

فقال: هل تحسن القرآن؟ قال: نعم. قال: فاقرأ بأم القرآن فقال: والله ما أحسن البنات فكيف بالام، فضربه وأسلمه إلى الكتاب فمكث في الكتاب، حيناً وهرب، ثم أنشد يقول:

أتيت مهاجرين فعلّموني ... ثلاثة أسطر متتابعاتِ
كتاب الله في رقٍ صحيح ... وآيات القرآن مفصلاتِ
وخطّوا لي أبا جادٍ وقالوا ... تَعلّم سعفصٍ وقراسيات
وما أنا والكتابة والتهجّي ... وما حظ البنين من البناتِ

قال محمد بن محسن قال لنا سعيد بن علي قال لي شيخي عبد الله بن أحمد بن إسحاق تدري ما أبجد هوّز قال قلتُ الله أعلم قال روي أن ابن عباس قال: أبا آدم الطاعة وجد في أكل الشجرة وهوّز فهو الزال من السماء إلى الأرض وحُطّي حُطّت خطاياه وكَلَمَن أكل من الشجرة ومن عليه بالتوبة وسَعْفَص سعى وعصى فأخرج من النعيم إلى النكد وقَرَشَت أقر بالذنب فأمن العقوبة.

وكان له اتصال بالأديب المفلق محمد بن هاشم وانقطاع إليه ومراسلات طويلة واجتمع به عند ورود علي بن موسى المقدّم ذكره وقد قَدِم من الحج واستقر بكوكبان سنة إحدى وتسعين فكتبا إليه القصيدة الجيدة التي سلَكَا بها المسلك الذي لم يسبقهما إليه أحد. قد أتينا عليها بكمالها عند ذكرنا لعلي بن موسى وتبعهما في ذلك المسلك خلق كثير. وكان له ولمحمد بن هاشِم وعلي بن موسى ومن انضم إليهم ولازمهم مَسرَح في التصوف ومحبّة لأهله وتنويه بعِظَم محله.

[مراجعة بني عبد الجبار وبين سعيد القرواني في الكذب]

وفيها: قال المؤلف غفر الله تعالى له: ولمّا حج عام ثمانين ومائة وألف قال ولده عبد الله بن سعيد مؤرخاً للعام بكلام منثور لفظه.

حج أبي سعيد بن علي القرواني حجاً مبروراً سنة ١١٨٠هـ.

وهذا من غرائب ولده ومرّ بطريق فرأى رجلين يتضاربان فقام بينهما، فإذا على أحدهما دينٌ للآخر، فتحمّله فانفصلا وكتب إلى القاضي عبد الجبار بن جابر بالقصة فكتب إليه القاضي أن أرسل بما تحمّلت من الدين، وكَتب إليه لم أكن متحملاً شيئاً يلزمني وإنما أصلحت بينهما دفعاً للشر المفضي إلى القتل، فكتب إليه القاضي ما كنت أظنك تستعمل الكذب والزور مع علمك بأن ذلك محظور وأنت رجل تنتسب إلي السنّة، فحرّر كلاماً طويلاً فيه الرد على القاضي يقول فيه: أيد الله القاضي، وقفت على ما رقمت فإذا هو غلط محض. أما علمت أنه ثبت في السنّة ليس بكاذب من أصلح بين

اثنين فبالله عليك أي الأمرين أصلح تركهما في أمرٍ يفضِي إلى القتل أم دفع القتل بكذب فإني أردت بذلك إلاّ رضَى الرب المالك والدفع بالرفق واللين وكراهية الشر بين المؤمنين، ثم لم أكن بالكذب طامعاً في نفع نفسي، ثم اعلم أنه ما زال الكذب في ظن الصلاح والاصلاح فاشياً، وتحاشى الناس عن تسميته كذباً وقالوا هو من المعاريض، فمنه قول إبراهيم عليه السلام في أمرٍ غيرِ واقعٍ ولا مطابق: ﴿بل فعله كبيرهم هذا﴾ وقال أبي سقيم، وقال الملكان ﴿خصمانِ بغى بعضُنا على بعض﴾ ولم يكونا خصمين. وقال يوسف لاخوته ﴿إنكم لسارقون﴾ كل هذا إنما قالوه بظن الصلاح والإصلاح ولم يكن منه شيء، وما اعتذرت به لهم اعتذرت به لي.

وكان للمترجَم له ممادح في الدولة القاسمية، وامتدح إبراهيم بن محمد بن حسين وعيسى بن محمد، وامتدح الأستاذ عبد القادر بن أحمد بجواب قصيدته التي كتبها إليه وإلى محمد بن هاشم وعُدّت من مستجاد شعره وهي طويلة نقلنا منها بعضاً وتركنا بعضاً محبّة في الاختصار وهي:

سرت وعَلى كيوان كان لها رَحْلُ ... وهامةُ برجيسٍ لأخمصها نعلُ
عقيلة ملك لست أهلاً لوصلها ... فكيف وغَلْبُ الخُمسِ من أصلها أصلُ
تهادى إلينا من عَلِيّ مكانها ... ينوءُ بها خليٌ وينئَى بها دُلُ
وقد نظمت زُهر النجوم قلائداً ... فأضحت وكل الحاليات بها عُطْلُ

منها:

فإن لم أصفها كنت غير مُقصِّرٍ ... فقد عاق عقلي عن خلائقها عقلُ
علىٰ أن قلبي في هوى من أحبةُ ... مُعنىً وشغلي عن حُلاَها بهم شُغْلُ
وما كل بَيْنٍ يُستماح بهِ اللقَا ... ولا كل خل يُستطابُ له وصلُ
وما الحب إلا سَكْرةٌ وإفاقةٌ ... فيا لمحبٍ لا يَفيقُ ولا يَسْلُو
يصوّرهم في كل آنٍ خَيالُهُ ... فيختال نَصْب العين من حُسنهم شكلُ
ويَطْربُ إن غنّى بهم حافِر السُرَى ... فكما طربت من طِيب ذكرهم البُزْلُ
وإن نَسَمت من نحوهم نِسْمَةُ الصّبَا ... تَجمّع للأشواق من نشرها شَمْلُ
وطارت به في كل أَوْبٍ ومَهْمَة ... إلى حيث لا يُهدي براكبه العَقلُ
وطاشت بألباب الركابِ كأنها ... أوابدُ دَرٍ لا عَتَاقٌ ولا إبلُ
وان شام من نحو الشأم بوارِقاً ... تطير شعاعاً مثلما خفق النّصلُ
تداعت بها من سُحْبِ جَفْني غمائمُ ... إذا ما استهلت دَام عن وكفها المحلُ

ومنها:

وقد صَدّني عن وصف سُعدَىٰ وزينبُ ... عوارضُ دهرٍ لا يزايلهُ إزلُ

ولكنني اثني عِنان مدائحي ... إلى سيدٍ وجهُ الفَخار له، نَعَلُ
إلى الفذ عبد القادر الواحد العلَى ... وجيه الملا من لا ينازله حصلُ
إلى أريحي لو حَوت كفُّه الدُنا ... لجاد بها يوماً ولم يُثْنِه العذلُ
وظنّ يقيناً أنه ظنّ باذلاً ... بِجودٍ وقد ضاقت بِنائِله السبلُ
وليس لمدحي في معاليه غايةٌ ... سوى أن نور الشمس تُظهر الظِلُّ
فيا أيها البحر الخِظَمُّ ومَن لَهُ ... غوادٍ غُواد ظَلّ أيْسرها وبلُ
تُحدِّث عنها ألْسِن الفخر في المَلأ ... بأطيب نشرٍ مات في طيّه البُخلُ
لقد هاجني قولٌ تذوب له الصّفا ... وأطرب مني كل وصل له وَصْلُ
وحل محل الروح مني مكانَهُ ... وأكَّد عهداً ما لمعقُوده حلُ

ومنها:

واسأل من دَان الملوك لقهره ... ومن شأنُه في خَلْقِهِ الجُودُ والفَضلُ
يفرج عني قائم الصد عاجلاً ... بطلعة شمسٍ منك ديجورُه يجلو
ويقطع بَيْناً كلما حال بيننا ... ويجمع شملاً كلما عَبَر الشمْلُ
ويبقيك فخراً للزمان وأهلِه ... فأنت لَهُ عن كل أهل به أَهْلُ
تسير بنشر الذِكر منك روائحٌ ... تضوع مسكاً حيثما يَسقُط الطّلُ

وقد أتينا على قصيدة محمد بن هاشم في ترجمته وذكرنا أنها جواب على الأستاذ عبد القادر لقصيدته التي في ترجمته، وللمترجَم له أشعار حسان مطولة تركناها اختصاراً. وله إلى محمد بن هاشم بن يحيى رحمه الله تعالى:

حالَ الزمانُ ولم يَحُلْ ... حالُ المودّةِ والإخاءِ
ودنا الصبا بالخل من ... بحر اللقا لا عن قِلاءِ
لكنها عرضت عوارضٌ ... ذاهبات بالوفاء
ما للأسير بها سِوى ... التسليم طوعاً للقضاء

وكتب إليه شيخ الرسوخ الأستاذ عبد القادر بن أحمد رحمه الله تعالى هذه الأبيات معاتباً:

بالله يا خير سامٍ لم تركت فتىً ... هامي المدامع في الأطلال حيرانا
ودعت غيري وما ودعتني فلقد ... أصليت قلبي من الهجران نيرانا
أخذت روحي فلو اتبعته كرما ... يحملني كنت قد أوليت إحسانا
هذي نهاية ما اسطيع أذكره ... من العتاب وان جرعت هجرانا

فأجاب المترجَم له غفر الله تعالى له:

يا من يرى كل يومٍ من محاسنه ... في جبهة المجد والأيام عنوانا
ومن محامده يُغنيك واضحُها ... عن الشموس إذا الليل وارانا
وهي الضياء لشمس الصبح حين بدت ... تجلو عن الكون إظلاماً وأحزانا
والله ما تركت رق الوداع سوى ... هول الفراق وقد ودّعت اخوانا
فكيف حالي إذ أودعت روحي في ... يوم الرحيل ومني الحَين قد حَانا

وأرسله المهدي العباس ليكشف على عامل بلاد آنس عام ستة وثمانين فعاد شارحاً لأحوالها بكمالها، فعجب منه ومن حديثه عن تلك الجهة، فقال: أنطنا بك أمر المثامرة فقال والتدبير في ذلك إلى وزيركم علي بن حسين الجرافي. قال التدبير في ذلك إلينا وليس إلى الجرافي أمرٌ، وأصاب الجرافي لذلك الأمر المقيم المقعد، على أنها ظهرت بالمترجَم له فوائد خفية. وله أولاد أدباء نجباء أكبرهم عبد الله ثم سعد الدين وقد أتينا على ترجمة عبد الله وذكرنا من محاسن مبتكراته ومخترعاته في عام وفاته عام ثلاث وعشرين ومائتين وألف.

[أحمد بن إسماعيل بن العباس]

وفيها: يوم الجمعة خامس عشر ذي الحجة الحرام، أحمد بن إسماعيل بن عباس بن حسين بن المهدي أحمد[1] وكان في الأدب آية، وله أشعار في الخلاعة حسان، كاتب بها أحمد بن يحيى بن إسماعيل بن حسين المهدي أحمد. وكان رحمه الله تعالى يتأوّل في الأقوال والأفعال فربما ورد عليه رجلٌ إلى بيته يسأل عنه فيخرج من مكانة إلى درج البيت ويقول قولوا للذي وصل قد خرج، وإنما يفعل ذلك تأوّلا من الكذب، وقصّ عليه أحمد بن يحيى بن إسماعيل بن حسين ما كان بينه وبين الوزير علي بن حسين الأكوع من منافرة وأنه قصدهُ لأمرٍ يتعلق نفوذه بالوزير فلما كلمه عَبَس الوزير في وجهه وقال: ما تريد إلا تضحك على دقني، قال فأصابني غم لذلك، ثم سار عني وصبرت أحد عشر سنة قال: فلما نكل المنصور بالوزير لقيته بعد خروجه من الحبس وباسطته حديثاً طويلاً فسمعت منع الثناء على الله تعالى بالخلوص من التعلق للدولة، فقلت وأنا على أهبة القيام من ذلك المقام: أمّا انهم ضحكوا على دقنك فهم ضحكوا على دقنك، فذكره الوزير في الحال فقال: إنكم أشد الناس حقداً يا بيت حسين. فقال المترجَم له فما قلت له عندها؟ قال سكتُّ وشفيت غليل قلبي حين ذكرها. فقال لو قلت: لعن الله أشدنا حقداً كان أحسن لأنك المجروح بلسانه وجراحات

---

(١) نيل الوطر (١/ ٧٠).

اللسان لا تنسى والجارح ينسى، وهذا الوزير مانسي.

قال المؤلف غفر الله تعالى له: وكان المترجَم له كثير الصمت وإذا سأله السائل رأى عجباً، وكان من أخبر الناس بأشعار العرب والمولّدين وكان فيه تيه ظاهر. وكان يهوى غلاماً جميلاً ينزل عليه ويغار من الناظرين إليه فركب الغلام دَين فسلبه من له الدين سلاحه وترافعا إلى أحد العمال فلما رآه العامل استحسنه فتحمّل عنه من الدَّين ما أمكنه وضرب للبقية أجلاً واستوقف الغلام، فكتب المترجَم له إلى العامل كتاباً يقول فيه: وقد أحسنت عافاك الله بإنقاذ الفتَى، غير أنه صار غريقاً بمحله ولا ندري إلى متى، وحيث قد أحسنت به، ورفعت المكروه عنه برد سَلْبِه فما لنا لا نرى لهذا المسلوب أثراً، ولا نعرف لهُ بعدها خَبراً، وكنا نظن أنك ستؤَديه، فإذا أنت عامل بقول القائل شعراً:

إن الأسـود أسـود الغـاب همتهـا يـوم الكريهـة في المسلوب لا السلب

فسيّر العامل الغلام خوفاً من الكلام،

وَدَخَلَتْ سَنَةُ خَمْسٍ وَمائتَيْن وَأَلْف

فيها: عقد الإمام بولايات لجماعات وخلع آخرين، فعقد بولاية ذمار لولده البدر محمد شهر ربيع أول.

وفيها: عقد ببلاد جبلة وإبّ لإبراهيم بن علي الهمداني شهر شعبان.

وفيها: عقد بولاية الوقف الصنعاني ليحيى بن محمد حطبة بعد موت والده شهر ذي القعدة.

وفيها: عقد ببلاد رَداع للأمير فرحان المنصور وجعل له كاتباً علي بن إسماعيل فارع، أو في التي بعدها أو في التي قبلها، وحصل خلاف من المرقب صاحب دَمْت وكان أبو لحوم هنالك واجمعوا على ارساله خفيةً فبغت بلاد دمت وتوجه سُوقها فصادف به المرقب فضبطه وكان الأمير فرحان وكاتبه علي بن إسماعيل فارع قد أرسلا السيد يحيى الحبشي ظهراً لأبي لحوم وعَدَلانه عن الطريق، ثم لمّا ضبط المرقب كان من علي بن إسماعيل المشورة للأميران يخرجا لضبط البلاد ثم خرجا وسارا إلى المقرانة فأصلحا من شأنه وكانت قبائل التيوس[1] قد تعصبت هنالك.

وفيها: عقد ببلاد يريم لإبراهيم بن أحمد.

وفيها: خلع أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم عن بلاد عنس، شهر صفر.

---

(١) التيوس: بدو في المشيرق ينتمون إلى قبائل قَيْفه ـ الحجري (١/ ٣٦٣).

وفيها: خلع حسين بن زيد المحرابـي من بلاد جبلة، شهر رجب.

وفيها: عقد ببلاد رداع ليحيـى بن محسن حنش.

[توسعة مسجد أزدمر]

وفيها: هدم الإمام مسجد أزدمر[١] تحت دار الاسعاد وكان ضيقاً بالمصلين مظلماً لم يعمر منذ كان أزدمُر باشا إلى أيام المنصور، فعمره ووسعه وبَنَا منارته ولم تُكمَل إلى وقت تحريرنا هذا عام أربع وعشرين ومائتين.

[ولاية محمد المنصور ذَمار]

وفيها: فارق البدر محمد بن الإمام صنعاء، وكان مسيره تدريباً له من والده المنصور وطمعاً في عُلُوِّه ورئاسته، فراح عنها وقد أعطاه عشرين مملوكاً ركاباً على الخيل وثلاثين نفراً من العسكر وأمر أخاه سيف الإسلام أن يتولى تدبير سفره فقام له وشد عَضُده واحتفل لمسيره، فأمر قبائل سنحان وغيرها أن تتلقاه، فخرج مشيعاً له والتقته سنحان وراحوا معه حتى بلغ المقيل[٢] فتلقاه أحمد الشامي الهاشمي صاحب خولان وسار معه حتى بلغ حدود الحَدَا فتلقاه أحمد بن قاسم شمسان. وكان الطاغية أبو حليقه يترقب هذه الفرصة ولكنه ما وجد للنفوذ إليه سبيلا، ودخل إلى ذمار فاستقر بها شهراً وأنزل الخليفة إليه أهله وأجرى له أرزاق المماليك والاتباع من صنعاء في كل شهر، وأصحبه الإمام عند خروجه من كان في حبسه من أهل عنس وخولان الذين ضبطهم عـام ثلاث وتسعين، فلمـا وصل بهم صادرهم بأموال تفكهم عنه، وطلب منهم الضمان في السلوك على الطاعة ومتابعة الجماعة فتسلموا إليه أمولاً واسعة، واطلقهم. ولمّا استقر وحط رحله بذمار ما زال الطاغية أبو حليقه يكاتبه ويراسله في أن يسعى له عند الإمام بما يصلحه عن مثورات الفساد، فسَعَى في ذلك فلم ينجع إذ كان واسطته أحمد بن إسماعيل فايع قد غلب عليه الهوى وتحمل في نكايته البلوَى فجرّ ذلك فساداً عظيماً أضر بالرعايا.

[تسلُّم علي البحر حصن التعكر[٣]]

وفيها: قصد علي بن صالح البحر المحمدي علىٰ جبل التّعكر وتسلم حصنه فعاث به وتسلل إلى الطريق فانتهب جماعة فبرز أمر مِن الإمام لوالي جبلة أن يتقدم عليه

---

(١) **أزدمر**: هو الذي يُقال له مسجد الزُمُر، من المساجد العامرة في الجهة الشمالية بالقرب من باب شعوب. مساجد صنعاء ص (١٤).

(٢) هكذا في النسختين، ولعله يقصد بلدة: مَقْوَله.

(٣) **التعكر**: جبل في العُدَيْن، تقع في سفحه الشمالي مدينة جِبْلَه.

للمصاولة، فخرج إبراهيم بن علي الهمداني منها قاصداً جبل التّعكر ولا يعلم مقدار من بالحصن واستهول الأمر ثم فتح الحرب يوماً كاملاً وعلم ابن البحر أنه في قِلّة الاتباع ولا طاقة له على الصبر إن دام الحرب فتنكب ثم عاد إبراهيم إلى مخيمه تلك الليلة وقصد التعكر اليوم الثاني وفتح الحرب فجاء مطراً فعاد إبراهيم فخرج ابن البحر عن الحصن نصف الليل وقصد مخيم إبراهيم فوجد منه فرصة لعدم الاحتراس. ولم يكن مع البحر سوى اثني عشر نفراً فرتّبهم وفرّقهم في الجهات وأمر أن يضرب أهل جهةٍ طَبْلاً وأهل الجهة الأخرى طَبْلاً قاصداً بذلك تشوّش خاطر إبراهيم وإيهامه بكثرة النازلين عليه ففشل من ذلك إبراهيم وداخله الخوف والوجل فعرف البحر ما قد حل به من الذل فهجم بالاثنى عشر علي المكان الذي به إبراهيم فانتهبه وانتهب سلاحه ومتاعه، ففرّ منكسراً إلى جبله ورفع إلى الإمام مفصحاً له عن عدم القدرة على المصادرة وسأله الإمداد بالأجناد، فبعث الإمام كتباً إلى العمال وسائر المشائخ وأهل الإدراك وحفَظَة الطرق أن يتقطّعوا المارّة من قبائل الفساد في كل وادٍ.

[ضبط محمد بن الإمام لجماعةٍ من ذو محمد]

ووصل إلى البدر محمد بن الإمام أمر والده بأن يبعث عيوناً على الطريق، فحرس بطريق مَارِيه[1] وطريق اللِّسي[2] بلام مكسورة بعدها سين مهملة مكسورة آخره ياء تحتانية ـ النافذة إلى الزمَامَين[3] شرقي ذمار فجاءه العين على جماعةٍ من ذو محمد فسيّر كثيراً من غوغاء ذمار وَأوغادها في نفر من أصحابه ففاجؤهم بـ (عيشان)[4] وانتهبوهم وأسروا عشرين نفراً منهم كانوا متسلحين، ولما وصلوا إلى البدر نزع منهم حربهم وأودعهم السجن.

[ضبط محمد بن الإمام جماعة من همدان]

وبمضي خمسة عشر يوماً من ذلك لم يشعر ثلث الليل إلاّ بعَيْن قد وَرد عليه يخبره بمسير علي بن صالح البحر من التّعْكَر وأنه سيمضي ليلته من شرقي ذمار وأن معه فرساً يقود بها جماعة، فأرسل عليه طائفة من العسكر في خَمس خيل وأصحبهم من غوغا ذمار وأهل الكد حتى بلغوا بلدة منقذه[5] وسألوا رجلاً من أهلها: هل مرّ بك الليلة أحد؟ فأخبرهم بمضي جماعة قد أوقدوا فتيلهم يذكرون خوفاً من خلفهم، فضرب خادم

---

(١) **مَارِيه**: جبل بالشمال الغربي من مدينة ذَمار بمسافة (٢٠) كيلو متراً.

(٢) **اللسي**: جبل بركاني بالشرق من ذَمار؛ عِدَاده من مديرية عَنْس.

(٣) الزمامين: منطقة ما بين عنس وخولان، بالشرق من مدينة ذَمار.

(٤) **عيشان**: قرية في سِفْل جَهْران، بالشمال الغربي من مدينة ذَمار.

(٥) **مَنْقَذه**: بفتح فسكون ففتح. قرية كبيرة شمال مدينة ذمار بمسافة (١٤) كيلو متراً.

أهل ذمار طلبةً وطارت الخيل واشتد له العسكر فتحوّزوا أولئك بمحل وقَتَل أصحاب البدر منهم ثلاثة فما وجدوا بُدّاً من التسليم إليهم ففاجؤهم يسألوهم الإقالة، فسألهم أصحاب البدر: من أنتم؟ فقالوا جماعة من همدان مَدَام[1] فتقدموا إليهم وغلّوهم بالحديد وساروا بهم ليلاً فدخلوا بهم ذماراً عند طلوع الفجر، وبعث البدر بهم صنعاء حضرة الإمام. وجاء مكتوب من الحاكم مِن يريم يخبر بأن أولئك الجماعة من همدان كانوا مترتبين بـ (سُمَارَه)[2] وأنهم قتلوا رجلاً من أهل يريم وطالبت الحاكم والدته بضبطهم فضبطهم وطلب منهم تحصيل القاتل فوعدوه به لصبح تلك الليلة ولما أصبح جاءه الخبر بفرارهم من الشرع.

[توسط محمد بن الإمام علىٰ علي البحر]

وعندها بعث علي بن صالح البحر إلى البدر أن يخلصه من الورطة وأن يتوسط في أمره، فبعث البدر إلى الوزير أحمد بن إسماعيل فايع يخبره بما ورد عليه من البحر فحطّهُ على ذلك وضمن له الأمان وتسليم ما له من الإمام، ولم يفاوض في الأمر محمد بن أحمد خليل فخاف منه وعلم أنه لا ينجو من شره وكان أَمَر القبائل إليه فأرسل إليه البدر مُسْعِداً له إلى مطلوبه، فسار عن التعكر وقَدِم ذماراً فبقي بها شهراً ثم سار عنها ووصل صنعاء ووجد الإمام قد سار عنها إلى الروضة فوجد جفوةً من الوزير محمد بن أحمد خليل فخاف منه وعلم أنه لا ينجو من شره. وقد كان يسأل عن سبب جفوته فيقال له أنك أصلحت أمرك من جهةٍ أخرى، فهرب من الروضة وسار بلاده.

[زلازل في قعطبة]

ومن مظاهر القاهر ظهور الزلازل بهذا العام فإنها اشتدت وتتابعت ببلاد قعطبة فأخربت بيوتاً بالمدينة وانهدم ركن من أركان مسجدها وتضعضع جانب من سورها وهلك خلق تحت البيوت وظهر بالأرض شقوق وغارات ظهر منه نيران وَدخان وخرج الناس إلى الصحراء وتركوا بيوتهم خاويةً فسبحان القادر الجبار المنتقم، ووقع شيء من ذلك ببلاد يَافع ورَداع وصنعاء والبلاد اليَمنيّة أجمعها وغيرها.

[نزول الشيخ عبد الله الضلعي علىٰ تعز والحُجريّة]

وفيها: سار الشيخ عبد الله بن ناجي الضلعي إلى بلاد تِعزّ والحُجرّية عاملاً ومقاتلاً

---

(١) هَمْدان مَدَام: قبيلة في شمال مدينة صنعاء، سُمِّيت باسم منطقة مَدَام ـ بالتحريك ـ الواقعة فيما بين «المَعْمَر» و «وادي ضَهْر». وهي مركز قبيلة هَمْدان صنعاء، لتمييزه عن هَمْدان الجَوْف؛ وكلتاهما من أصل واحد.

(٢) سُمَارَه: بضم ففتحتين. قلعة ونقيل فيما بين مدينة يَريم ومدينة إبّ؛ في الطرف الشمالي لحقل قِتَاب، وهو المشهور قديماً بنقيل صَيْد.

في أربعة آلاف من حي حاشد وبَكِيل وأهل الجَبل[1] فتلقاه بعض مشائخ الحُجريّة إلى رأس نقيل سُمَارَه، ثم سار فوصل إلى الجَنَد ولما استقرِ به منع الأجناد من دخول المسجد وامتهانه وقد كان مِنْ قبله من العُمّال يصرفون جنودهم ودوابهم بمسجد الجَنَد[2] فكان لذلك موقع في جهات تِعَز وعساكَرَ هنالك شهراً.

[مناجزة الضلعي لعباس رضوان]

وما زال أكابر أهل البلاد ومشائخها يفدون إليه ما خلا رجلين من مشائخ جبل صَبِر أحدهما عباس رضوان والآخر محمد بن حسن عبد القادر وكانا في السالف لا يصلان إلى العامل وإنما يبعثان بما عليهما من حقوق الضيافَة ولا يتحولان عن محلهما، فأشار عليه بعض خواصه أن يستدعيهما إلى مقامه ففعل فلم يسعداه ومع بقاءه هنالك لم تنتهج الأمور ولم تنفذ الرُسل إلى بلاد تعز والحجرية بسبب تمنع الشيخين، فنهض من الجَنَد إلى الأفضل بالقرب من مدينة تعز فترك المدينة ولم يدخلها ومنع جنده من دخولها، وقَدّم من هنالك ولده يحيى ببعض الأجناد إلى جبل صبر لمناجزة الشيخين ففاجأ أولاً عباس رضوان وحاصره أسبوعاً وكانت الإقامة لمن حَطّ على عباس رضوان ستمائة قرش عن كل ليلة منها مائة قرش للحرس فاشتد بعباس الحال وزاد به الضيق وبذل لمن يُدخِل إليه مربط قات عشرة قروش فما وجد فجنح بعد ذلك إلى الصلح فلم يقبل منه إلا بأن يخرج وأولاده على حكمه وعلى أن يلبس هو وأولاده حِلَق الحديد وليس له شرط فاضطر إلى ذلك فخرج فغَلّه الحديد وأقامَهُ وأولاده بين يديه وأبقاهم ليلة لديه وأرسلهم إلى الأفضل حضرة والده، فأرسل إليه والده أن يتقدم لخراب حصونهم ومعاقلهم. وكانت لهم ستة حصون وأمره أن يتجسس خبر سائر الحصون فَمَن تَيَقَّنَهُ كارهاً للفساد أبقىٰ حصنه ومن كان ساعياً في الفساد هدمه.

[الصلح لمحمد حسن عبد القادر ونكسه]

ونهض الشيخ عبد الله من الأفضل بمن معَهُ وسار يوماً فحط في المشولة عدني صَبِر فسعَى الشيخ محمد سفيان في الإبقاء علىٰ محمد بن حسن عبد القادر بعهد الله، فجنح الشيخ الضلعي إلى ذلك. وفي خلال هذا نزل يحيى بن عبد الله الضلعي إلى والده فواجهه ومن صحبه من الأجناد واستفصلهم ما صنعوا، فبغته الخبر بأن محمد بن

---

(١) جبل عيال سِرَيح.

(٢) **الجَنَد**: مدينة مشهورة بالشمال الشرقي من تعز بمسافة (١٧) كيلو متراً، كانت قديماً مدينة اليمن الأولى بعد صنعاء وأحد أسواق العرب المشهورة في الجاهلية والإسلام، وفيها أول جامع بني في اليمن وكان قد بناه الصحابي معاذ بن جبل لمّا بعثه الرسول إلى اليمن قاضياً ومرشداً وذلك في العام الثامن للهجرة.

حسن عبد القادر قد خان في عهده الذي ورد به محمد سفيان، ثم وصلت المقاومة منهوبين وأهل السِقا كذلك، فأعاد الشيخ عبد الله ولده من حينه لمناجزة محمد بن حسن وكانت حصونه بعيدة المنال مانعة فلم يبيت ليلته إلا وقد ضيّق الضلعي بعض طرق الحصون وانفتح الحرب وقُتل من جُند يحيى بن عبد الله ثمانية أنفار، واشتد عليهم فَقُتل منهم عدة وأُسِر جماعة. حتى كانت الليلة الثانية فتسلم الحصن الأول ودخله ثم خرج عنه وتقدم على بقية الحصون فحاصرها شهراً كاملاً والإقامة لهم في كل يوم ستمائة قرش كما قدّمنا.

وكتب يحيى بن عبد الله إلى أبيه يسأله المدد والزيادة فزاده بالنقيب ناصر الخوقري فضاق بمحمد بن حسن فاستسلم وسأل دخول النقيب ناصر الخوقري عليه فدخل فأصلح شأنه، وبعث الشيخ عبد الله علي خراب الحصون: صلاح بن حسين الدُرّة الهاشمي فهدمها ما عدا حصن المصنعة وحصن الدمنة وحصن الغبار فإنهم استنقذوها بمال فتركها. ثم وصل محمد بن حسن عبد القادر مغلولاً إلى المشراح حضرة الشيخ عبد الله الضلعي وكان الضلعي في تلك الأيام معرضاً عن مُطالبة رعايا الحجرية وبلاد تعز بالحقوق فلما قضى تهمته من ضبط الشيخين قالوا له بعض خواصة قد فرطت في عدم الإرسال على الرعايا. وقد حان الوقت وشاح ولعلك لا تقدر على الأطراف فإن ثمراتهم قد خَزنَت ولم يبق معهم على وجه الأرض ما تمهدهم لك، فقال لا فأني قد أَمِنتُ غائلةً تمنعهمَ بحفظ مشائخهم، وكان يستدفع الإقامة وجميع محتاج الحرب من المشائخ الذين تبعه. وكانت الإقامة تدفع في كل وعد فإن تأخر شيء قبضته المشائخ من قبائل العصيمات أهل الدراهم.

ولمّا صلحت أحوال جبل صَبِر تقدم الشيخ عبد الله إلى الصُلْو بصاد مهملة مفتوحة فلام ساكنة فواو مفتوحة فتاء تأنيث من أعمال الحجرية في محل يقال له الصعادِرَه بمهملات متتابعات وهي أوسط بلاد الحجرية، فنفذ أوامره من هنالك إلى الأطراف جميعها وأنفذ ولده يحيى إلى ذُبْحان بمعجمة مضمومة فموحدة ساكنة فمهملة فألف فنون بالنيابة عنه فنفذ إلى بلاد الأَحْكوم بهمزة مفتوحة فمهملة ساكنة فكاف فواو فميم. واستدفع الشيخ حسن حقوق البلاد.

[غزوة الضلعي إلى الهَشَمه]

وما زال مقيماً هنالك ثلاثة أشهر وقد مضى وقت طلب العمال للحقوق ثم عاد مدينة تعز فبات بها ليلة وخرج صُبحَها غازياً على محل يقال له الهَشْمَه بهاء مفتوحة فمعجمة ساكنة فميم مفتوحة فتاء تأنيث وكان مضمراً للوقيعة بهم لمّا بلغه عنهم من تخطف المسافرين بطريق بندر المخا، فانتهب المحل وسلب أهله متاعهم وأموالهم.

وكان فيما قيل ان جملة البقر والغنم والجمال فوق عشرين ألف رأس ففرقها في محطته ثم أنالهم الزَلاَج وسيرهم واستقر نحواً من شهرين فجاءه من حضرة الخليفة الرفع فطلع وبين يديه ثمانية وعشرين نفراً في الأغلال منهم عباس رضوان في مشائخ آخرين.

[قبض يحيى حَنَش لحصون رداع]

وفيها: سار الماجد يحيى بن محسن حنش عن رداع وقصد الرياشيه وكانوا قد تنكّبوا عن الطاعة فاستفتح حصونها وتسلمها وأرجف بمن معه وسار بهم حتى بلغ جبل هَيْوَه[1] وكانوا قد أصرُّوا على الفساد ولم تبلغ إليهم المرّة الأولى أمراء الأجناد فصاولهم وأنزلهم على حكمه وتسلم مفاتح الحصون.

[خروج أبي حِليْقه]

وفي شهر القعدة وصلت كتب من الطاغية أبو حليقه إلى البدر محمد بن الإمام يطلب منه السعي ثانياً في إصلاح شأنه عند الخليفة وعقب ذلك خروجه بجماعة من خولان ونهم والحدا وبني ظبيان فكان جملة من صحبه اثني عشر مائة وشق مغرب عنس وعُتمه ويريم وسار إلى حُبَيْش وانتهب وفعل الأفاعيل.

[محمد بن حسن حطبه عامل الأوقاف]

وفيها: يوم الثلاثاء رابع وعشرين من ذي القعدة، محمد بن حسن حطبة الهاشمي الصعدى[2] نشأ بصعدة وأخذ المعارف عن أهلها حتى برع في الفقه واشتغل بالنحو فحصل ما شارف به على إقامة اللسان، وحدث أنه كتب الفوائد الضيائية للملاّ عبد الرحمـٰن الجامي في صغره وهو في نحو التسع السنين وعانى في بادىء أمره أعمالاً كالنجارة والخياطة والعمارة، وحدث أنه عمر سور صعدة بيده وارتحل عن صعدة قديماً فدخل صنعاء ودرس بالمسجد الجامع في البحر الزخار واتصل بحاكم الحضرة القاضي يحيى بن صالح السحولي فأدناه وقربه من المهدي العباس ووصف له عنه كمالات ودهاء فقلّده القضاء بصنعاء وأرسله إلى بندر عدن بفرسٍ وكسوة لإصلاح بني العبدلي لما سكتوا عن الخطبة للإمام وأرادوا المباينة وظهر منهم التعدي إلى اطراف الضريبات وعصوا فأبوا من سَوْق ما يجب عليهم رأس العام وردّوا أوامر متولي المخا فسار إليهم حَطبة وكان قد أرجف بالكَتْب قبل مسيره وسأل عامل المخا أن يظهر قوة ويتحدث بقصدهم ويقيم شنار الحرب ولما انفصل عن المخا تلقته العبادلة بجماعة من أصحابهم وأرسلوا إليه بآلة اللّهو والعود والطبل والدف والمزمار لإكرامه واجلاله وكان يرى

---

(١) هَيْوَه: جبل وقرية في منطقة صَبَاح من بلاد رَدَاع.

(٢) أنظر: نيل الوطر (٢/ ٢٥٢).

تحريم السماع فسكت عن زجرهم واشتغل بالمهم، ولمّا نزل عليهم أفضى بمراد الإمام إليهم وحذرهم السطوة وأقام عليهم الحجة يُنَبّههم من سِنَة غفلتهم وقال إنما سكنتم بهذه الجزيرة بتقرير الإمام بولايتكم عنها وإلا فأنتم من بني عبد الله بن أرحب وجنود الإمام دائرة عليكم براً وبحراً وأي قوة لعامل لو سلّط عليه الإمام بعض عماله لأسرع بنكاله وزواله، فجنحوا إلى الطاعة وإلى الرجوع في جملة الجماعة وأقاموا الخطبة واذعنوا بِسَوْق الهدية اللازمة لهم رأس العام وضمنوا على من استرعوا من التخطف بطريق الضريبات ووضع بينهم وبين الإمام سجلاً في الطاعة فاستمدوا خطًّا من الإمام لتقرير الولاية ثم راح عنهم.

[تجهيز محمد حطبه لابن عقلان]

ولمّا بلغ حدود ابن عقلان وجد المسافر على وجل من رعيته فبعث جماعة من أصحابه بغتة عند قيام الظهيرة فسار منهم نحو الثلاثين فغلوه بالحديد وسَاروا به إلى الدملّوه إلى حضرة الأمير سليم في محاصرة عبد الرب بن أحمد وهيب فعزم على تجهيزه مغلولاً باب الإمام فتشفّع له صاحب الترجمة وقال لم يصدر عنه ما يؤلم وإنما حصل منه التسهيلُ في رعيته فأخذ الأمير عليه عهد الله وطلب من مشائخ الضريبات الضمان عليه فضمنوا فأعاده الأمير سليم إلى بلاده مجملاً.

وطلع المترجم له حضرة الإمام المهدي فرآها له، ولما اضطربت أحوال السادة بمدينة صعده وقامت الفتنة وانبثق الشّر بعثه الإمام المهدي لضبطها وترميم أحوالها وللسعي في إقامة أعمال الإمام بها فسار إليها في شهر رجب عام ثمانية وسبعين واحدى عشرة مائة فجمع الناس وانضم إلى مقامه كبارها وعقالها فأبدى لهم أن الإمام سيرسل لولايتها علي زبيبة وطلب الذين بـ (رازح) من آل أبـي طالب وأرسل إلى عمّار وسَحَار يدعوهم للوصول إلى حضرته فوصل إليه كثيرون فافضى إليهم المراد وأظهر لهم عزم الإمام على الجهاد أو أذعنوا لِخروج عامل عليهم من صنعاء ودخلوا تحت الحكم فاضطربت الأقوال وتحالفت الآراء والأهواء، فرأى ضياع الأموال في تلك الطلبة كائن فرفع إلى الإمام المهدي أن مشاق هذا التكليف ظاهر وإنها لا تتم الولاية إلا بضياع أموال لا تجدي شيئاً فألزمه الرجوع وأن يقيم علي بن محمد بن أبـي طالب على رازح وولده الحسين بن علي علىٰ صعده وأجرىٰ لهما من أفضاله جراية في كل شهر فعاد عنها وقد أصلح شيئاً منها، وصحبه الحسين بن علي فوصل حضرة الإمام فاحتفل به وأكرمه وأعاده.

[مسير حَطبه إلى الجرابح والقحرية]

ولما قامت الحرب بين الجرابح والقحريَه[1] واستطالت وتخوفت الطرق وانتهب

---

(١) **الجرابح والقحرية**: من قبائل عك، تسكن الأولى في مديرية الضّحِي بوادي سُرْدُد، وأمّا ديار =

المسافر، بعثه الإمام المنصور لإصلاح شأنهم وأمره أن ينضم إليه حاكم بيت الفقيه واللحية ومتوليهما الأمير ناصر المجزبي والأمير فرحان الماس متولي اللحية ـ ولم يكن لديّ تفصيل القضية ـ ولمّا وصل لم شعهم وسكن شرهم وعاد.

[مسير حَطبه إلى رداع بسبب خروج الرصّاص]

ولما قصد السلطان ناصر الرصّاص بلاد رداع وسيّر ولده حسين بن ناصر لمصادرة عاملها علي بن حسين زبيبة الهاشمي وكان المترجَم له إذ ذاك قد خرج لإرجاع النقيب الماس من بيت عُقَب[1] فغضب النقيب من ذلك وسار إلى بلدة (حِزْيَز)[2] والمترجَم له معهم وكانت قبائل نِهْم وسائر أهل الفساد قد هربوا إلى رصابة[3] ووكل به النقيب الماس بـ (حِزْيَز) من يحرسه حتى ينام فلما نام سار النقيب الماس إلى رصابه وأوقع بقبائل الفساد وأصبح حَطبه بـ (حِزْيَز) فأخبر عن النقيب وما صنع فلحقه إلى رصابه وقد انتصف فهنأه وسار معه إلى ذمار أيام خروج حسين بن ناصر على رداع فأمره الإمام أن يتقدم لحسم مادة الشقاق والمصاولة، فسار في جماعةٍ من أصحاب النقيب الماس وطلب حسين ناصر أن يتحول عن مصافه للقتال فخرج إليه في عصبة وافرة. فرأى طلبته بعيدة فأمال قلبه عن والده ومنَّاه الأماني وأطمعه في سلطنة الشرق ووعده الخير، فما زال به حتى مال واشترط مالاً وحظاً يقرر الولاية له فأسعفه.

[مسيرة حَطَبه مع المهدي إلى ذمار]

وكتب إلى الإمام بذلك المرام وأفصح له عن التمام فقرره وتملك من حينه سلطنة أعراب البادية فعاد وقد أخمد الفساد.

وكان يرحل برحيل الإمام ويقيم بإقامته إلى أن تدعو الحاجة وقد صحب الإمام في خروجه إلى ذمار وصحبه في خروجه إلى خولان وأمره على طائفة من قبائل همدان وجَرت لهُ في تلك السفرة مكيدة من الوزير علي بن حسن الأكوع أوجبت القبض عليه وتوجه بها اللّوم عليه وشرح القصة أن القاضي إسحاق بن محمد العبدي الصعدي كان في سالف أيامه قد تولى أوقاف مساجد صعده وبها مقررات خارجة عن مقررات أهل الوظائف منها ما يقبضه السيد صلاح بن عامر فاخّر عنه القاضي مقرره فتحدث ابن عامر بأنه سيقتل القاضي وأنه وجد ابن عامر مقتولاً فزعم الناس أن القاضي إسحاق خافه

= القحرية ففي باجل جهة الشرق من مدينة الحُديدة.

(١) بيت عُقَب: من قرى بني بُهلول في جنوب صنعاء بمسافة نحو (٢٠) كيلو متراً.

(٢) حِزْيَز: بكسر فسكون ففتح. بلدة لقبيلة سَنحان في جنوب صنعاء بمسافة ثمانية كيلومترات.

(٣) رصابة: قرية كبيرة في قاع جَهْرَان، تبعد عن ذمار شمالاً بمسافة (١٨) كيلو متراً.

فبعث إليه من يقتله فطلبت البينة على ذلك فلم يستطع ولي الدم اقامتها. فصار القاضي بريئاً مما نسب إليه.

[القبض على حَطَبه في دار سَلْم]

وما زال في خاطر الإمام مصاب تلك القضية وكان في صحبه الإمام إلى خولان القاضي إسحاق العبدي ناظراً لأمر جماعة من القبائل بين يديه وكان الوزير علي بن حسن الأكوع قد زاحمه الحسد لمحمد بن حسن حَطَبه لما رأى من تدبيره لأمر القبائل وحسن معرفته معهم بالمخارج والمداخل فسمع رجلاً من الغوغا والاوغاد يذكر أن المترجَم له تحدث بأنه سيأخذ بثأر ابن عامر فدخل الوزير على الإمام وهو بدار سلم[1] وقال: أخشى في سيرنا هذا فتنة تثور، فقال: ماذا؟ قال: تحدث محمد بن حسن حَطَبه بان قاتل ابن عامر القاضي إسحاق فانحرَف قلب الإمام فقبض على المترجَم له وأحضره فبكّته فطلب من الإمام الإنصات له، فأنصت وقال تحدثت بما تحدثت به الأوغاد تنزيه للقاضي وتنزيهاً لجانبي ثم إن أولاد عامر ليسوا لي بأولياء حتى أطلب الأخذ بالثأر، وطلب من الإمام إقامة البيّنة عليه وشاحح فأغضى الإمام عن ذلك وأمر أن يرد عليه سلاحه ومتاعه وسار بمسير الإمام بجماعةٍ من القبائل يتقدم بهم مرحلة مرحلة أمام الإمام وانقبض خاطر الوزير منه وما زال خائفاً يترقب مكره فجنح إلى مخاللته بعد هذا ومسالمته على دخَن، وقد أتينا على شيء من خبرهما عند ترجمتنا لعلي بن محمد بن عامر الهاشمي متولى الأوقاف الصنعانية عام أحد وتسعين.

[حبس حَطَبه في قضية المسلماني]

وللمترجَم له مجريات لقي بها العنا، منها حادثة جار الله المسلماني فإنه بعد إسلامه أنزله بداره فجرت بينهما أحَن تحدّث بين يدي الإمام أنها لم تَثْبُت له قدم في الإسلام وكانت تبلغ أخبار جار الله إلى الإمام بذلك فعزّره تعزيراً بالغاً وأودعه السجن، ثم بدا للإمام حبس المترجَم له علماً منه بأن قيامه على جار الله لا لشيء يبتغي به وجه الله تعالى، فأودعه السجن ثم أطلقه.

[حبس حَطَبه مع القاضي يحيى السحولي]

ولما قبض الإمام المهدي على حاكم حضرته ووزيره يحيى بن صالح السحولي أودع المترجَم له السجن معه، وصادره وفرض عليه مالاً واسعاً، فأدّعى أنه لا يقدر على معشار ما فرض عليه الإمام، وكان المفروض خمسة آلاف ثم خفف عنه وألزم بألفي

---

(١) دار سَلْم: بفتح السين ثم لام ساكنة، قرية في جنوب صنعاء بمسافة ثمانية كيلومترات، وهي شمال حِزْيَز.

قرش، فأبان عدم القدرة، فصودر، فبلغ بعض بناته ما صار إليه، فبعثت إلى الإمام بقواعد أملاكه فكان جمهوراً فلم يعذر عن المفروض عليه، ثم أطلقه. ولما مات الإمام المهدي بعثه ولده الإمام المنصور بالله رحمه الله إلى بلاد أبـي عَرِيشٍ[١] ليأخذ البيعة من أشرافها على الحقيقة ويصلح بعض شأنها، فجاءت طريقه على اللُحيّة[٢] فركب البحر وخرج من جازان وجمع الأشراف وقد ظهر منهم الشر وتحدثوا بالوثوب على بندر اللُحيّة فوعدهم ومنَّاهم. وما زال بهم حتى حسَّن لهم الطاعة، فجنحوا إلى متابعة الجماعة، وتسلموا إليه البيعة، وغسلوا عن قلوبهم درن الخديعة فعاد بالمرام كما يريد الإمام.

[حَطَبه إلى بني جرموز لإصلاح علي بن أحمد إسحاق]

وبعثه إلى بني جرموز لإصلاح أمر علي بن أحمد بن محمد بن إسحاق، ومحاط الإمام هنالك الأمير سرور، فتحصّل من خروجه ضرب الهدنة على شريطة ارتفاع المحاط وإصلاح أمر عبد الكريم بن أحمد بن إسحاق، فعاد به صنعاء.

[مسير حَطَبه إلى كوكبان]

وبعثه الإمام ليلم شعث آل شمس الدين بحصن كوكبان عام اثنين وتسعين بعد ربطهم لعبد القادر بن محمد، فقرّر أحوالهم وأثبت الولاية في إبراهيم بن محمد، وقد خرج إليهم أيام الإمام المهدي العباس لمجريات وقعت بينهم وبين أرحب فحسمها.

واستعمله الإمام على نظر الأوقاف، وله في الدهاء وخداع الأعداء أخبار وآثار، ولما وُلِّي الوقف تقلبع الجدب فنقَّص أهل الوظائف. وشكاه الخاص والعام، وقد كان جعل من الأوقاف مرجوعاً لبيت المال فأضرّ بذلك. وتولّى للإمام عمائره بـ (بير العزب) وشرى له الأموال من الضياع والبيوت بدار الصافية فاتهمه الناس وقال محمد بن حسن دلامَه ناقماً عليه بقصيدة طويلة أولها:

لم يحمد الوقف بعد الشيخ من رجل[٣]	يـا حسـرة الـوقـف والعمّـال والطلبـه
ولـم يكـن مُثْمِـراً حَبّـاً ولا عِنَبَـاً	مـن بعـد مـا غـرسـوا في أرضـه حَطَبـه

قال المؤلف غفر الله تعالى له: ما أعلم ابن الوردى إلاّ يُلَمِّح إلى المترجَم له في آخر أبياته من وراء سترٍ رقيق حيث قال:

---

(١) أبو عريش: من مدن منطقة جازان.

(٢) اللُحيّة: مدينة على ساحل البحر الأحمر، تقع شمال الحُديدة بمسافة (١٢٠) كيلو متراً. لمعرفة المزيد عنها ارجع إلى كتابنا: معجم البلدان والقبائل اليمنية.

(٣) يريد بالشيخ عبد الله بن محيي الدين العراسي الناظر السابق للأوقاف.

نمت وابليس أتى … بحيلة منتدبه
فقال لي هل لك في … حشيشة منتخبَه
فقلتُ لا، قال ولا … خمرة كأس مذهبه
فقلت لا، قال ولا … مليحة مطيّبَه
فقلتُ لا، قال ولا … امرد بالبدر اشتبَه
فقلت لا، قال ولا … آلة لهو مطربَه
فقلت لا، قال فَنُخ … ما أنت إلاّ حَطَبه

وهذا الشعر يناسب حاله فإنه كان مراعياً لمنصبه، مقتصداً في مذهبه، محاذراً لدولته، يشك في طهارته، مؤثراً لنُهمته، محذراً لسطوته، يعمل في الأمر الفكر، ويزدهي إذا أَمَر، وظنه أن لا حرج، عليهِ من داء العرج، ملازم الصمت المَدَا، إلاّ إذا الغير ابتدا، طابتْ له الولاية، بالحفظ والكلاَية، حتى أتى الحمام، عليه السلام.

[محمد بن يحيى قَابِل صاحب جده]

وفيها: محمد بن يحيى قَابِل صاحب جُدّه كذا أرخه الأخ يوسف بن إبراهيم الأمير غفر الله تعالى له وحلاّه بالأدب الغَضّ وأملاني مما أملاه شعراً:

الغصن يطرب لاعتدالك … طرب المشوق إلى وصالك
والظبي يعشق طرفك السّاجي ويفرق من نبالك
والبدر يسجد خاضعاً … حال الشهود إلى كمالك
والشمس تَدّرِعَ الحَيَا … إذا رأت مجلى جمالك
ما الشمس إلا نور وجهك … حين تبدو من حجالك
ما النار والأزهار إلاّ … وجنتك وما هنالك
ما المِسْك والريحان إلاّ … عارضيك ومسك خالك
تفديك روحي يا حَيَا … ة الروح فاقبل بعض مالِك
لم يبقها فيَّ الجَوَى … والوجد إلا روح هالك
فارحم بقية مهجةٍ … فنيت سقاماً من مطالك
وتلاف قلباً لم يَزَلَ … في حبّهِ لرضاك سالِك
ما غبت عنه ولا سَلاَ … ك ولا تغير عن مَلاَلِك
باقٍ على حفظ المحبة … لاتصالك وانفصالك
ما غَيّرته الحادثاتُ … ولا الملماتُ الحوالك
راضٍ بما يرضَى لهُ … فاسْلُكْ به أي المسالك
فإذا أعطفت عليه باللقيا فذلك من نوالك

وإذا جنحت إلى الصدو   دِ فلا ملام على دلالك
حسبي رضاك وان يَمُرّ   اسمي على خطرات بالك
والعين لو تدري المنا   م قضيت حَظي من خيالك
والحب يفضي للحبيب   على المحب بكل ذلك
لكن بحسنك مفزعي   وإلى الكرام من خصالك
ان لا تطيع هواك في   بُعدي كأني لم أوالك
فاسمح بوصلٍ لي وقل   اني أجبت على سؤالك

وعوَّل بعد نظم هذا على الأخ يوسف أن ينسج على منواله وأن يُزيّنه بعقد مقاله، فجاء بمستجاد وقال:

صَبٌّ يحن إلى وصالك   ليذوب خوفاً من مَلالِك
يا من غدى جيش الجمال   يسير تحت لواء جمالك
والشمس عن يمناك والبد   ر المنير على شِمَالِك
والشمس تسجد للقوا   مِ إذا رأت لين اعتدالك
والورد حاول أن يحا   كي الخد لم يظفر بذلك
والظبي يحكي الجيد لكن   فاتَهُ معنى دَلالك
والسحر يروي فَنَّهُ   هاروت عن سحف اكتحالك
لا شيء أحلا من لقا   ك ولا أَمَرَّ من انفصالك
فعلام تجعل هجر من   يهوى وصالك رأس مالك
كم بين شدة قلبك الـ   قاسي ولطفك في مقالك
عجباً وأنت من الجنَان   وفي حشاي منك مالك
بك استجير من التجا   في والصُّدود ومن مطالك
ولقد حفيت من السقا   مِ فلا أرى سوى نبالك
وقنعت حتى لم أُومِّل   غير طيفٍ من خيالك
أو أن تجود ولا تضن   على المحب بلثم حالك
والقلبُ في أسر الغرا   م يجول في قيد اعتقالك
فإذا بخلت فَعَزِّه   وأسلم فإني فيك هالك
يا قلب صبراً في هوى   من لا يرق لضعفِ حالك
واحذر مرور خيال سلو   ان الهوى حيناً ببالك
إني وقد سدت عليك   إلى السَّلو له المسالك
يكفيك أن تفتي به   وتُعَدّ من بعض الممالك

وللمترجَم له أشعارٌ رائقة، منها ما كتبه إلى رفيقنا علي بن إبراهيم الأمير رحمه الله تعالى، فقال:

تــرآات وفــود الليــل فَيُنــار اسحَــمُ ... ووجـه السمـاء بـالـزهـر ثـوب منمنـمُ
ووافـت وصـدر الليـل صـدر خـريـدة ... ذراري الثـريــا فيــه عقــد منمنَــمُ
وقـد مـدَّ للغـرب الـدجـا ممطيــاً ... ذراعــاً بــه الكـف الخضيـب يختـم
وقد حجب البـدر احتشامـاً ولـو بـدا ... بــدا وهــو منهـا بـالحيـا يتلثـمُ
تـألـق مــن مُجـلا محـاسنهـا سنـاً ... يـــواريـــه لا تخفَـــى ولا تتكتـــمُ

حتى قال في مخلصيها:

ولا غــرو فـالمنشـي طـراز بـديعهـا ... أريـــبٌ بـــه ثغــر العُــلا يتبسَّــمُ
أديــبٌ بــه الآداب تسمــو، وينتمــي ... إلــى فضلــه الأفضــال وهــو مُقــدَّمُ
أجــلُ مُجيــدٌ منطقــاً وبــلاغــةً ... بمقــولــه فــن البــلاغــة يختــم
حكيــمٌ لــه حســن الفعــال وقــولــه ... لنــا منــه أسلــوب الحكيــم واحكــمُ
إمــامٌ حــوى المجـديـن إرثـاً وأنَّــه ... لفــي الحلبتيــن السـابــق المتقــدم

وقد ترجمه في الحدائق وأورد من منثوره كثيراً، ولم أطلع على شيء من أقوال المترجَم له وأرجو أن أظفر بشيء منها.

وَدَخلَتْ سَنَةُ سِتٍ وَمائَتيْن وَأَلْف

فيها: عقد الإمام بولايات لجماعات وخلع آخرين، فعقد بولاية يريم لعبد الله بن علي الحيمي.

وفيها: عقد بولاية حَراز لعبد الرحمٰن بن صلاح الدين فايع.

وفيها: خلع أحمد بن إسماعيل فايع عن توسطه لبلاد حراز وقلدها الحسن بن عثمان الأموي كان السبب في فساد البلاد على أحمد بن إسماعيل فايع أن علي بن محمد شبام صاحب عَتّارة[1] خدعه وزين له أن يجعله كاتباً على العمال، ففعل فلما تمكن وعلم أن كلمته عند الوزير مقبولة، حسَّن له رفع رتب الدّولة القائمة على حصن شِبام، وذكر أن في بقاءهم غرماً يلحق الدولة، وأجرَى النفقة في غير طائل لا يحسن، فسأله الوزير وقال: فما الرأي؟ قال: إنزالهم من الحصن وأنا أجعل النفقة المقررة لهم مسوقةً

(١) **عَتّارة**: بفتح فتشديد، بلدة وحصن في جبل مَسَار الواقع غربـي حَراز ومن أعمالها. والمذكور من (بني شِبَام) بن أسعد بن جُشَم بن حَاشد. وبه يُسَمَّى حصن شبام المسيطر على مدينة مناخه من الجهة الجنوبية.

إليك، وهي غير داخلة في دفتر، فرغب الوزير في ذلك، وقال: فما جملة ما تسوقه إليّ في العام؟ فقال: ألفان قروشاً فرانصة فعزم الوزير على ذلك وأنزل الرتبة عن الحصن فتملك به علي محمد شبام واشتراه بهذه الخديعة لنفسه وسلّط عليه جماعة من يام على رأيه، ونجم ناجم علي بن محمد شبام سنة تسع كما سنحققه.

[أبو حِليقة ينهب في سَنْحان]

وفيها: سار الطاغية أبو حِليقه بجيشٍ جرار، ينتهب المارة بعد عوده في هذا العام من جهات اليمن السفلى، فبلغ إلى بلادٍ سَنْحان وانتهب المسافرين وتسلم حصناً هنالك، وحمل أثقاله ومتاعه وحبوبه وانتهابه إلى بيته وقتل خلق من سنحان، ولم ترفع إليه الدولة رأساً.

[ذو محمد تتوجه إلى اليمن الأسفل]

وفيها: سارت قبيلة ذو محمد فبلغوا باب صنعاء، وقطعوا السبيل وفعلوا الأفاعيل، ولم ترفع الدولة إليهم رأساً، وتوجّهوا نحو اليمن الأسفل فانتهبوا من وجدوا من المسافرين، وتسلّموا حصوناً ومعاقل، فتسلّبوا أهلها وتفرقوا فرقاً فتخوفت الرعايا بكل نجد وغور، وصالحهم أهل كل محلة على أداء مال معلوم يفرقونه على الأموال. وما زالوا كذلك ستة أشهر فجنحت الدولة إلى المصالحة والمصانعة معهم على أداءِ الحقوق فتسلموها نصفين، ولما قبضوا نصف الحقوق ارتفعوا في شهر شعبان، ومضوا من الديار ولم يلقوا كيداً، وتسلموا النصف الآخر من باب الدولة وراحوا بلادهم المدمّرة.

وفيها: نجم ناجم الخلاف من بلاد الحَيْمِه[1]، فأظهروا العصيان، وكرهوا الدولة ونبذوا الطاعة وفارقوا الجماعة، وردوا الرسل ومنعوا الطرق وشكوا جوراً وعسفاً. وكانت أمورهم دائرة على توسط أحمد بن إسماعيل فايع واجتمعت كلمة الكبير والصغير منهم على التبري منه، فما زال الإمام معهم بعد أيام وكشف ما تظلّموا منه، وخلع أحمد بن إسماعيل فايع كما قدمنا الإشارة إلى ذلك، واستقرَّ الأمر بيد الحسن بن عثمان الأموي، فانقادوا لأمره أياماً حتى كان سنة سبع ومائتين وألف وعادت الشكوى والعصبيّة فتراجع العصيان قليلاً قليلاً حتى تعدت الرعية إلى البلاد الحرازية، فجرت حروب وملاحم بين القبيلتين، ثم اصطلحوا وانضم الحال إلى الحال، فنجم ناجم الفساد من حراز، فشكى المشايخ والكبراء من الجور والعسف ودخلوا فيما دخلت فيه

---

(١) الحَيْمة: بلاد واسعة غربي مدينة صنعاء بمسافة (٣٧) كيلو متراً إلى أوائلها، وهي قسمين: الحيمة الخارجية، والحيمة الداخلية. انظر كتابنا: معجم البلدان والقبائل اليمنية.

الحيمة، فأظهروا الشقاق وفتحوا السجن بمناخه وأخرجوا من كان فيه من أهل الجرائم، وتعدوا المحارم فكان المتولي عبد الرحمن بن علي فايع هنالك خمسة أشهر، فجرت له هذه الماجرية لما حبس جماعات من حَصُبان[1] مظهرين للشر، ودخلوا إلى مناخه وفتحوا السجن، وأخرجوا من كان في حبسه من أهل حَصُبان، دون غيرهم ولم يتعرضوا لإخراج أحد ممن كان في حبس القاضي محمد بن أحمد الغشم، وسعى بعد هذا القاضي في الصلح بين العامل وبين أهل حصبان، على أن الحقوق اللازم لهم تُسلّم إلى القاضي، ولم يبق بعد هذه إلا أياماً يسيرة ورفع فاستَيقظت الدولة واحتفلت بإظهار التجهيز عليهم، فدخل جماعة من المشائخ أهل الحَيْمة وحَرَاز فأودعوا السجن. وقد ذكرنا ما كان من أمرهم وأتينا على كيفية بعث الجنود إلى هنالك وكيف كان خروج الشيخ الضلعي وحميد بن عبد الله الأموي من صنعاء، ووصفنا المصاولة والجلاد عام تسع ومائتين وألف.

[تكرار مخالفة أبي حِليقه]

وفيها: تكرر البغي من الطاغية أبو حليقة، وخرج مرات متعددة ونزل على بلدة سيّان[2]، فانتهب من الطريق، وعلم أن جماعة من جند البدر محمد بن الإمام قد حملوا مالاً، فطمع في استخلاصه منهم فزحف ودخل إلى السمسرة بـ (سيّان) وأحاط أصحابهم بفراشهم، وكانوا في بيت هنالك، فاشتدوا على حمولهم وحصروا أبا حِلَيْقة، وما زالوا يرمون على حمولهم حتى تخلصوه، وقتلوا جماعة من أصحابه، ففر مكسوراً مهاناً، وراح إلى بلدة من أعمال سنحان، فقتل وسَلَب وتسلمها بعد قتل عدة، وراح متوجهاً نحو اليمن الأسفل فبلغ إلى حدود عنس، وعاد لا سلّمه الله تعالى.

[قصة أحمد صعصعة الحلاق]

وفيها: ما جربه أحمد صعصعة صاحب شَعْسان، كان ماكراً مخادعاً متهتكاً دنيّاً، وكان حلاّق لبادية بلدة شَعْسَان[3] وكان يذهب ويجيء، واتصل بأحمد بن عبد الكريم بن المهدي محمد بن أحمد صاحب المواهب أياماً ولما راح أحمد بن عبد الكريم عن المواهب ودخل إلى بلاد الهند وتغرب عن دياره. ولم يقف أحد من الناس على شيء من آثاره واختلفوا فيه فمن قائل مات بالديار الهندية ومن قائل لم يمت، فاستخفىٰ صعصعة الخبر حتى وقع على الأثر، فغاب دهراً وتغرب وعاد قاصداً للمواهب فوصل إلى بيت أحمد بن عبد الكريم وادّعى أنه هو فسألوه عن غيبته؟

---

(١) **حَصُبان**: بفتح فضم مركز إداري في مناخه من بلاد حراز.
(٢) **سَيّان**: بلدة في سَنْحان، تبعد عن صنعاء جنوباً بمسافة (٢٥) كيلو متراً.
(٣) **شَعْسَان**: قرية في شرقي سَنْحان، تقع أعلا جبل غني بالآثار القديمة.

فأخبرهم بماجريات وغمَّر على سائليه بأنه أصيب في عقله بالسحر حتى تخبّط حاله وذهب عنه ما كان يعرف إلا الرسوم، وأفضى الأمر إلى دخوله بيت أحمد بن عبد الكريم، ودخل على زوجة أحمد بن عبد الكريم فأنكرته فشكَى إنكارها إلى بعض أهل أحمد بن عبد الكريم، فلاموها وعنّفوها وأجبروها على ملاقاته وحُسن العشرة مَعهُ، فزاد نفورها وشكت بأمرها إلى من تعرف، فلم تُشك وقد كانوا يسألونه على أهله ونسابه فيخبرهم بفلانة وفلانة، ويذكر أموراً قد كان تعرّفها من أحمد بن عبد الكريم خافية على غير أهله، فافتتن به كثيرون وظنوا أنه هو، وما زال الخبر ينمو فمن منكر للأمر صارخ بالذم ومن مقرر له مصوب، ونمى ذلك إلى البدر محمد بن المنصور وهو إذ ذاك بذمار فاحتفل بالاستفصال ودخل عليه من آل يوسف بن المهدي يحيى بن محمد الملقب النعامة؛ فقال: قد سمعتم بوصول أخي أحمد بن عبد الكريم، فأنكروا عليه فحلف بالله أنهُ هُوْ، وقال بعض أهل صنعاء في ذم النعامة يحيى بن محمد:

أدخَلت في النسب الشريف تجاهلاً	رجلاً دعاه إلى الضلال ضلال
ما هذه إلا لدعوَى فتيةٍ	أن ابن صيّادٍ هو الدجال
لكن مَن قال ابن صياد هو الد	جال ساعده عليه مَقالُ
وبحجة ابن النجم قمت وإننا	بالنجم في سُبل الغوى جهّال

وكان ابن النجم قد ساعد صعصعه بالشهادة له على جُعْل، فما زال مُصِرّاً، وكان يحلف بالله انه هُوَ وتحلف الزوجة بالله أنه أجنبي، وكانت أم أحمد بن عبد الكريم مع رِكّه بصرها وضعف عقلها تتسلى به بعد وِجدانها لأليم ذَهابِهِ:

وما زلنا نسائل عن سُلَيْم	فقال بُدَيل ها أنا ذا سُليم

وما زال صعصعه في رفاهيّة ودَعَه ودخول وخروج وصعود وعروج حتى رماه رجل من آل هاشم بالريبة، يقال له حسين زبيبه، فبعث البدر محمد بن الإمام إلى ابن النجم وصعصعه فأشخصهما إليه ولما وقفا بين يديه سأل الرجل عن أهله ونسبه؟ فردّ رداً كاملاً، فتخوف من ذهابه بعد فتح الكلام، فأودعه السجن. وما زال السؤال عن الحال يدور حتى صح للحاكم محمد طشي أنه أدَّعَى اللحوق بالنسب الشريف زوراً وبهتاناً فحرر مرسوماً الحق صعصعة بأهل الضيعه، فافترن الناس فريقين وتجمع كل فريق إلى مساعده وصار أهل الوهم والظنون إلى الحسين بن يحيى الديلمي وهم متوجعون وهو أمثل الناس علماً ومعرفةً بذمار، وكان مِسْماعاً يغتر بأدنى تلويح في القبيح وعرضوا عليه ما حرره الحاكم محمد طشي فناقضه وحرر خلاف ما قرر وأنها قامت عنده الشهادة على لحوق صعصعة بالنسب الشريف، فلم يلتفت البدر إلى ما قرره العلامة الحسن بن يحيى وأشخص صعصعه إلى الحضرة وقلده بسلسلة من حديد. وقال: اذهبوا به مغلولاً، فجاء

القاضي الحسن بن علي الشجني وهو أحد من شهد لصعصعه يتشفع في ذلك الغل والتزم بتحصيل صعصعه إن ذهب وجعل أمواله منزوله لبيت المال إن هرب، فأشهد عليه البدر عدة من الأعيان كمحمد بن الحسن المحتسب وحسين حيدره وحسين الملصي وهؤلاء من الأعلام فسألوا القاضي حسن الشجني التحرير لمرسوم، فحرره ملتزماً ففك البدر غله، ولما وصل حضرة الإمام بعث به إلى موقف الحاكم يحيى بن صالح السحولي رحمه الله تعالى فاستفصل الدعوى وسأل من يعرف أحمد بن عبد الكريم عن أحواله، ولما استقصى أحواله وأتى عليها بدأ بالسؤال عن تلاوة شيء من كتاب الله وأحصر وتلعثم فسأله الكتابة فأقدم عليها فأحجم ثم أدّعى نسيان ما حفظه فخلع عن رأسه العمامة تعزيراً وأمر بالشهادة عليه فأحضرت وكان فيهم جماعة من صنعاء فَشَهِدوا الله تعالى أنه أحمد صعصعه الحلاّق، وبعث به إلى الإمام وقد كان علي بن إسماعيل بن إبراهيم بن المهدي يشهد له بثبوت النسب الشريف.

ووصل في ذلك اليوم جماعة من أهل شعسان منهم بنو صعصعه فشهدوا عليه بأنه منهم، ووصل والد صعصعه فشهد بأنه ولده فَعزّره الإمام أشد التغزير وداروا به في الأزقة تُضْرَب على ظهره الحرانات، وبعث به الإمام إلى ذمار فأعلنوا بتعزيره هنالك وراحوا به إلى بندر المخا، وأرسل الإمام على أعيان ذمار من يشخصهم إليه وعيَّن وصول الحسن بن يحيى الديلمي والقاضي حسن الشجني إلى حضرته فأشفقوا من ذلك وتضرعوا إلى ولده البدر، فتشفع فيهم بعد التبكيت لهم بقراءة الكتاب عليهم، فعَذَرهم على شريطة عدم الاعتراض في الأمور المهمة، فامتثلوا وعذروا[1].

---

(١) جاء في هامش النص ما يلي:

ورأيت بخط السيد الإمام عبد الله بن محمد بن إسماعيل الأمير الحسني الصنعاني المتوفى بروضة صنعاء في سنة (١٢٤٢)، اثنتين وأربعين ومائتين وألف ما نصّه: حادثة في شهر شعبان سنة (١٢٠٦) ست ومائتين وألف، وهي أنها فقدت امرأة شريفة ثم وجدت في بئر في بيت مقتولة فاعترف صاحب البيت أنه زنا بها ثم قتلها، وشاركه في الأمرين رجل آخر وهو أبو زوجته، فأخذ الآخر فاعترف وأخذت زوجة الآخر فاعترفت بأنها أمسكت رجلي المقتولة حال قتلها، واعترف الأول بأخذه لما مَعَ المقتولة من منقول من بيتها وكان اعترافهم بحيلة.

فكان الحُكم أن جُلد الحر جلاد مائة مائة ثم قطعت يد الأول ثم ضربت عنقه، ثم ضربت عنق الثاني وذبحت المرأة، ثم بعد ذلك أُخرب بيت الرجل المذكور، وأخذت أبوابه وطيقانه وأخشابه وأصابيعه في أجرة الخدامين وغيرهم وله وارث ابن وزوجة، ثم وصل ولّي المقتولة لأنه كان غائباً فطلب الدّية فزجره بعض الحكّام عن الخوض في ذلك فترك خوفاً.

فلينظر العَالَم ويعتبر هذه الأحكام التي لا خطام لها من شرع الله تعالى ولا زمام، فإنا لله وإنا إليه راجعون. انتهى بلفظه.

[متفـــرقـــات]

وفيها: اشتهد فساد أهل عراس[1] وفساد من بالحصن من يام.

وفيها: أجمع على الفساد النقيب حزام بن بحيج[2] - بموحده مفتوحة فمهملة مفتوحة فمثناة تحتانية فجيم - والقاضي حسين بن حسن العنسي، التفت لهم قبائل ذو محمد فعاثوا ببلاد حُمر[3] والشرمان[4]، والقاضي أحمد بن علي العنسي على رأي خاله حسين بن حسن بجهة الشِعر[5] في عصابة من ذو محمد وغيرهم، وتكاثر غزوهم للرعايا وقطعهم السبيل، وانتهبوا من وجدوه، وقبضوا حمائل تجار يريم من الحقل[6] فاقتسموها.

فتضعضعت أحوال اليمن الأسفل وانقطعت المواد وخاف المسافر وتغزا أحمد بن علي البرطي إلى أطراف يريم، واستولى على وادي هلال والمرخام وعطف على قطعة آل محسن بن حسين جميعها وقبض الخراج من هذه المحلات ولم يلق كيداً، وقبض بعض رعية رياب[7]، وغلّهم بالحديد وسجنهم وأفسد وَعَاث.

وفيها: يحيى بن أحمد الكبسي[8] حاكم الإمام بالديار الخولانية. كان عارفاً بفروع الزيدية ومصنفات العترة الزكية. تتلمذ له الأعيان الأعلام، وأخذ عنه شيخ الإسلام عبد القادر بن أحمد بهجرة الكِبسِ، وأخذ عنه ولداه: محمد والحسن وتخرجا به وهما عُلماءُ هذه الأمة. ولمّا مات أرخه الأستاذُ عبد القادر بن أحمد فقال:

إن لله حكمـــةً فـــي البـــرايـــا	ونعيمـاً طـول المـدى ليـس يُجحـد
لـو دَرَى المـرء بـالنعيـم الـذي نـا	ل بمكـــروهـــه تمنـــاه ســـرمـــد
بقضـاء عـدلٍ قضـى واحـد العصـ	ـر أجـل الأنـام فـي كـل مشهـد
عـــالـــمٌ قـــد دعـــاه رب البـــرايـــا	فهـو فـي أرفـع الجنـان مخلّـد

---

(١) **عَرَاس**: بفتحتين. منطقة جنوب مدينة يَرِيم ومتصلة بها.

(٢) **بحيج**: من قبائل ذو محمد بن غيلان.

(٣) **حُمَر**: بضم ففتح قبيلة من السكاسك، ديارها في الأطراف الجنوبية لمدينة قعطبة.

(٤) **الشُرْمَان**: بضم فسكون ففتح. بلدة في ماوية بالشرقي من مدينة تعز.

(٥) **الشِعِر**: منطقة في شرقي إب، تبعد عنها بمسافة (٤٥) كيلو متراً.

(٦) **حقل يريم**: وقد يُقال له حقل قتاب أو كتاب، وسابقاً حقل يحصب. وهو أرض متسعة اشتهرت قديماً بتعدد السدود فيها.

(٧) **رياب**: هو إرياب، جبل يُطِّل على نقيل سُمَارة.

(٨) أنظر: نَيْل الوطر (٢/ ٣٧٩)، هجر العلم (٤/ ١٧٨٦).

حاكمٌ قال بالشريعة حتى كَمُلت وهي كل حين تُجدّد
فَنُعزي أهليه أجمع لكنّا نهنيه بالنعيم المُزيّد
إن يكن موته على الدين رِزءاً فمن الدين صبرنا يتأكد
بشّروا أهله فتاريخه (زُر في جنان الخلود يحيى بن أحمد)

وَدَخَلَتْ سَنَةُ سَبْعٍ وَمائَتَيْن وَأَلْف

فيها: عقد الإمام بولايات لجماعاتٍ وخلع آخرين، فعقد بولاية يريم ليحيى بن محسن حنش، شهر شعبان.

وفيها: عقد لعبد الله بن سعيد راجح ببلاد جِبْلَه وإبّ.

وفيها: خلع عن يريم عبد الله بن علي الحيمي.

وفيها: خلع عن جبلة إبراهيم بن علي الهمداني.

وفيها: غارت البحار ونضبت الآبار، وأرخ بعض الناس تلك الحادثة فقال:

لقد دهمتنا بعد ألف وسبعةٍ مع مائتين عدّها كان مسطورَا
فقلت وهل تُحضَى على الجدب بعدها بماءٍ معينٍ قال تاريخها غَوْرَا
سنة ١٢٠٧

وستأتي الإشارة إلى ذلك قريباً.

[بكيل تحاصر صنعاء]

وفيها: حاصرت الزواملة من بكيل باب صنعاء وتخطفوا جميع جهاتها فأصاب أهلها شدة عُظمى، وضاق الحال بأهل الأسباب، وبلغ القدح الحنطة ستة قروش فرانِصَه، وراحوا عنها نحو اليمن الأسفل زيادة لمن به من جماعاتهم، فوصلوا إلى السحول[١] فنهبوا قرية عُسَيْق ـ بمهملتين فياء تحتانية فقاف مصغراً[٢] ـ ونهبوا ما حولها، وأراد العامل على جبله عبد الله بن سيعد القدوم عليهم فتحوّلوا إلى جبل بَعْدان.

وقد كان الإمام بعث إلى الشيخ محمد علي سعد متولي العدين أن يجمع من عنده من القبائل لمصادرة من قصد اليمن الأسفل من البغاة، فجمع قوماً من سمح نِهْم والعجمان وخولان وبني عواض وسيّرهم بعد أن أمَّر عليهم رجلاً من أصحابه،

---

(١) **السّحُول**: بفتح فضم. حقل واسع يمتد من سفح جبل سُمَارة شمالاً وحتى عَقَبة مدينة إبّ جنوباً.

(٢) **عُسَيْق**: بضم ففتح فسكون، بلدة في غربي مدينة إبّ بنحو ميل.

وسار الشيخ محمد إلى بيت سعد ناصر فالتقى الجمعان بالمنار[١]، واقتتلوا قتالاً شديداً وكانت الدائرة فيه على أصحاب الشيخ محمد فإنها ما زالت بهم الهزيمة حتى ألجؤوا إليه، فظهر عليه من الغيرة والحمق ما أوجب البَعث إلى جميع الجهات اليمنية يستحث مَنْ بها من العساكر، فالتفّت إليه من كل وجهٍ فبلغوا نحواً من ثماني وعشرين مائة مُقاتل فعلمت الزوامله أنه غير تاركٍ لهم ولا مصالح ففرت منهم طائفة إلى مَيْتم[٢] فقصدهم بجنوده الجرّار وضايقهم للحصار وأحرق عليهم البيوت التي تحصّنوا بها، فذهب منهم بالحريق خمسة عشر رجلاً. ولمّا أدركوا الشدة عليهم فرُّوا ليلاً وتوجهوا نحو الشِّعِر منضمين إلى إخوانهم.

وفيها: ما زال الطاغية أبو حِلَيْقة يتغزّىٰ ببلاد عنس وما والاها ولم يَلْق كيداً.

وفيها: تزايد الشر باليمن الأسفل ولاقىٰ أهل حُمَر والشرمان والشِّعر وخُبَان والبلاد اليريمية أهوالاً، فسيَّر الإمام يحيـى بن محسن حنش فوصل وقد كان بها ما قدمناه آخر العام الأول، فاستخلص من بحبس أحمد بن علي العنسي من أهل مدينة يريم ووجد عبد الله بن علي الحيمي قد وقع في أشراك الرزايا فتخلّصه منها، ولما استقر وجّه جماعة من جنده ومن أهل البلاد لحفظ جبل رِيَاب خشية من أحمد بن علي العنسي أن يتسلل لقبضه وكان يومئذٍ بجبل بني الحارث في صحبه عامل المخادر النقيب ناصر الدقيمي، وكان القاضي عازماً على قصد جبل رِيَاب ليتسلله، فجمع أصحابه ولا علم له بمن قد توكل يحفظ الحصن من جند الإمام فلم يشعر إلاّ بصارخ البنادق من أعلا الجبل، فسأل عن ذلك، فقيل له جماعة الأمير يحيى بن محسن حنش، فانقطع طمعه.

وكانت الرعية في ذلك الوقت قد تفرقوا في أطراف البلاد خوفاً من أهل الفساد، فلما علموا بحفظ الحصن ووصول جُند الدولة إليه عادوا إلى القُرى التي حواليه وأحيوا أرضهم على وَجَل من بني العنسي إذ كانوا بالشِّعِر قد مدّوا أيديهم إلى جبل بَعْدان وبني الحارث ووادي هلال وقطعة آل محسن بن حسين، ولم يأمنوا بسكون محلاّتهم إلا بتحصين القُرى، فطافها الأمير يحيـى وأمر بالبناء لحصونٍ مانعة للطرق خوفاً ممن سلك سبيل الفساد وأودع فيها جماعة من عنده فاطمأنوا ثم وجه جماعةً من قبائل سفيان إلى عزله المرخام المتصلة بجبل الشِعِر، فكانت مصاولة بينهم وبين عساكر أحمد بن علي العنسي قُتِل بها من جُند الدولة النقيب محمد بن سريع من عقال سفيان ورجلان من أصحاب القاضي أحمد، وعاد كل محله غير أن جُند الدولة ما زالت تتخطف كل من نَفَد

---

(١) **المَنار**: جبل في شمال بَعْدان.

(٢) **مَيْتَم**: وادٍ في أسفل مدينة إبّ.

إلى الشِعر، وكان محط عسكر الإمام بحصن المرخام، على أن بعض مشائخ المرخام كان مريداً للتمنع به راجياً إعراض جند الدولة عنه فلم يقدر، ولما استقرت الرتبة هنالك كان معهم من ذلك الشيخ المقيم المقعد.

وكانت الأيام أيام قحط وشدّة، وانقطع المطر وتعطلت الآبار وركّت الأحوال، وكان من بحصن عراس من أهل يام ومن صحبهم من قبائل ذو محمد قد أزداد عتوهم وظهر منهم خلع الطاعة، فرفع حاكم يَريم إلى الإمام بذلك وذكر ضعف يد المكارمه وعجزهم عن حفظ رعية عراس فبرز السِّر المكنون والأمر المطاع بمرسوم حرّره حاكم حضرة الإمام يحيى بن صالح السحولي لهم بعد أن سأله الإمام عن حكمهم فأجاب أنهم من عتاة البغاة وأن قتالهم حق لمن يريد النجاة، فأخذ الإمام على الأمير يحيى أن يقصد قرى عَرَاس للحصار وأن يشدد قومه على من بالحصن، فاستدعَى قبائل البلاد، وأرسل عقال عسكره باطِّلاع حاكم مدينة يريم إليهم راجياً لترميم الحال، فازدادوا بذلك عُتّواً ونفوراً، فبادر من ليلته تنفيذ جماعة من العسكر صحبة قبائل البلاد لقبض جبل عَرَاس وما حوله من القرى.

هذا وقد استدعَى أهل عراس النقيب حزام بن بحيج وأحمد بن علي ومَن بالشّعِر من قبائل ذو محمد، فراح في خلال ذلك فريق من جُند الإمام: الأمير يحيى بن محسن فوصلوا إلى تلك الناحية ليلاً فظن أهل القرى أنهم ممن استدعاهم أهل عراس فخرجوا إليهم فقالوا: مَن القوم؟ فقالوا: أخوانكم، فظنوا أنهم أهل الشَعِر، وكان الوقت عند طلوع الفجر فقالوا: أهلاً وسهلاً قَدِمتم خير مَقْدم، وأنزلوهم بالدروب الحصينة وبها رماتهم، فلما ابتلج الصبح عرفوا أنهم قد خُدِعوا فضاقت بهم الأحوال وماجت بهم الأهوال فما وجدوا بُدّاً من الفرار، فخرج أكثر أهل البيوت والدروب لا يعرفون لهم منهجاً يأمنون به. وخرج الأمير يحيى بن محسن صبيحة تلك الليلة من بلدة يريم في نفرٍ يسير فجاءهُ البريد وأخبره الخبر فسُرَّ بذلك وتقدم وقد خفق بيده لواء النصر والظفر وقال: ليت الفريق قصد الحصن الأعلا بتلك الخديعة، وفتح الحرب بينه وبين من بالحصن، فخرج إليه بعض مشائخ بني العراسي فسكن الحرب ساعةً ولم يشعر إلا بخروج مَنْ بالحصن من عسكر الفساد وأهل القرية العليا، فقامت الحرب فاشتد الأمير يحيى بمن معه، فلم تمض ساعةً حتى وقعت الهزيمة بأهل عراس، فألجأوهم إلى دخول الحصن وورد عليه جماعة من جنده فأرسلهم على من بالقرية العليا، فأسعروا حرباً حارةً حتى أخرجوهم منها إلى قرية اليهود وإلى الحصن، وأحاط بالحصن وصابر على الحرب والمحاصرة عشرين ليلةً لا يسكن الحرب بها ساعةً، وأغار مَنْ بالشَعِر والنقيب حزام بن بحيج، فدخلوا الحصن ليلاً فظنوا أن الحصون مانعتهم من بأس الأمير يحيى.

وفي اليوم الثاني والعشرين خرج جماعة من الحصن، وقد اشتدوا وتخطّفوا بالطرق، فقبضوا جماعة من الرعية فيهم ولد الخطيب إمام محراب المسجد الجامع بيريم، فلف الأمير يحيى إليه أصحابه ووعدهم الظفر إن أصدقوا الحرب ونازلوا من وجدوه بالطعن والضرب، فكان يوماً مشهوداً قُتِل به كثير ممن في الحصن وأصابت النقيب حزام بن بحيج وصاحبه وهو بالحصن، وقُتِل إلى جانبه أربعة من أصحابه، وضاقت بهم الأحوال ولم يخرج أَحدٌ من الحصن لملاقاة الأبطال، وما زال محيطاً بهم وحال بينهم وبين الماء، وألجأهم إلى الخروج إليه، فظن بهم الخديعة والمكر فطلب إطلاق من بالسجن من الرعية الذين قبضهم القاضي أحمد بن علي أهل رياب وإطلاق ولد الخطيب فأشخصوهم إليه وخرجوا، فسيّرهم إلى الشِعر، فطلب ابن بحيج ومن معه الأمان فأمّنهُ ونزل على حكمه، فسار به إلى يريم بعد أن تسلم الحصن وقبض ما به من المتاع والأموال والفُرَاش واقتسم أصحابه الغنيمة هنالك واستدعَى أهل الكَدّ والمزاولة ممن صحبه وجماعات من الرعية وألزمهم هدم حصن عَرَاس وما حوله من المراتب في شهر القعدة، فأصبحت الحصون خاوية على عروشها، وراح إلى يريم مؤيّداً منصوراً، وأنزل بالحصن جماعةً من جنده وتفقد أصحابه فلم ير بهم بأساً سوى رجلين شَكَيا رصاصاً أصابتهما وقتيل من سفيان وقتيلاً من بني المحدوب من بني سيف، ومَنّ الله سبحانه وتعالى بالفرج، وسيأتيك في العام الاتي ما كان من حال قبائل الفساد بالبلاد، وما قال الناس في ذلك وما تحدث به وزراء الإمام من انبثاق الشر وكيف كان عزل الأمير يحيى عن البلاد مفصلاً.

وفيها: اجتمع خلق للحج لم يعهد مثله، وأخبر الحاج بعد وصوله شدة الحرّ وكثرة الذباب، وغلاء البِن، ووصل كتاب من قطب الدائرة إبراهيم بن محمد الأمير[1] **لفظه**: صدرت من ساحات التنزيل، ومولد المبشر به في التوراة والإنجيل، ومقام الخليل وحجر إسماعيل، وهمزة الأمين جبريل:

منارُه لم يستوف أقسام حسنها	منازل بدر التم لولا ربوعها
إذا ما تمشت فكرتي في رياضها	بكت واستهلت بالبديع دموعها
معاهد لم يعثر بها قط ناظري	على مآثرٍ إلا وسال نجيعها
شغفت بها حباً فإن لا تعدني	صريع غوانيها فإني صريعها
يمازج أهواء القلوب هوائها	ويحيى اقتراحات النفوس ربيعها
لقد حل عندي رزء كل فضيلة	إذا هان عندي حقها وصنيعها

(١) نَيْل الوطر (١/ ٣٢).

بعد أن قوضت الخيام، وانخرم سلك النظام، وتشتت شمل الالتئام، وتفرق الجموع من الأنام. بعد أن كان شق في جنح الظلام، ورابطة النهار المضيء لشدة الزحام:

حكـم حـارت البـريـة منهـا وحقيـق بـأنهـا تحتـارُ
وعطـايـا مـن المهيمـن دلّـت أنـه الله الـواحـد القهّـارُ

ومن بديع الحكم أن اللحم كان رخيصاً سميناً كثيراً مع تزاحم الأمم، فما هو إلاّ أن رحلت الحجوج فكاد أن يلحق بالعدم. ومن لطيف مواقع الأقدار التي تتلو على ذوي الاستبصار: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾[1]، فخل عنك الاختيار بأن البُن الذي أطلعه لأجل الموسم التجار، لم يقم له حظ حتى خسر من باع ريالاً ونصف في كل قنطار، وما باع بذلك الثمن إلا ذوو الاضطرار. فبعد أن توجه الوفود طلب بزيادة ذلك المقدار، والبائع غير موجود فسبحان من بيده ملكوت كل شيء وعلى هذا يقاس، وإن كان الأمر كتاريخ العام لقد ضاع القياس، على أن في وجوده قبل ضياعه التباس. فسافر بالفكرة، بمراجعة الفطرة، تجده ضائعاً في كل ملة، منها في غزوة حنين لن يُغلب اليوم من قلة. وقول عدو الله فرعون: ﴿إن هؤلاء لشرذمة قليلون﴾ وقال أصحاب موسى: ﴿إنا لمدركون﴾.

إن الحكيـم مـرتـب الأشيـاءِ فـي أعيـن الأكـوانِ والأسمـاء
يجـري مـع العلـم القـديـم بحكمـةٍ فـي الحكمـة المـزدانـة الغـرّاءِ
فتـراه يعطـي كـل شـيء خلقـه فـي حـالـة السـراءِ والضـرّاءِ

ولم يتجدد إلا كثرة الذباب، وشدة الحرّ وتفرّق الأحباب، فطوبَى لمن غاب، بالعزيز الوهاب، عن سائر الأسباب. وصحبه في السفر إليه، وعوّل في كل أموره عليه. انتهى كلامه.

وفي هذا العام، كما قدمنا غارت البحار ونضبت الآبار، وظهر المحل بأكثر الديار. وقال بعض فاهمي أجل الكلام المبجَّل قدَرا، أن تاريخ العام قد جاء غوَرا، قال هو مأخوذ من قوله تعالى: ﴿قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غوراً﴾ وهذا من سر قوله تعالى: ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾.

[تاريخ ظهور شجرة التنباك]

ومن هذا القبيل تاريخ ظهور التنباك، كما يظهر بعض أهل الإدراك، وفيه الاكتفاء البديع الذي لا يخفى. فقال:

---

(١) سورة القصص: الآية: [٦٨]

سـائـل لـي عـن الـدخـان أجبنـي   هـل لــه فــي كتــابكــم إيمــاءُ
قلــت مــا فــرط الكتــاب لشــيء   ثــم أرّخــتُ يــوم تــأتــي السمــاءُ
سنة ٩٩٩

وكان ظهوره عام تسعمائة وتسعة وتسعين.

[محمد بن هاشم بن يحيى الشامي]

وفيها: يوم الأحد، رابع عشر محرم، محمد بن هاشم بن يحيى الشامي الهاشمي[(١)] بـ(بير العَزَب)، صاحب العجائب والغرائب في الأدب والفاتح للمقفلات، والمبين للمشكلات. إليه انتهت رئاسة الأدب في المنظوم والمنثور، وعليه وقفت العناية سرها المطويّ والمنشور، رصّف الأقوال ونمقها، وجوَّد المعاني وحققها، وصوَّر التوهمات، وألبسها من حلل الإبداع كامل السمات، وحرر المحبّر، وحبّر المحرر، وذكر ما لم يبتكر، وابتكر ما لم يذكر، وكتب المستجاد، وقَصَد الأجواد، واشتغل بعبادة ربه، عن مهمات كسبه، رطب اللسان بذكر الله تعالى وشكره، محافظاً على الصالحات في سره وجهره، حَسَن الأخلاق، نفيساً منبسطاً كريماً ذا سُنَّةٍ ظاهرة، يعمل بالدليل، طاهر اللسان، هاجراً للمشتغلين بِسَبّ السلف، شغفاً بنشر الفضائل، ذو مرؤة وسلامة خاطر، وسعة صدر، مائلاً إلى المجون، وله في مجونه فنون، أيامه مواسم، وساعاته مفترَّة المباسم، منزله منزل الأعلام، وحوطته محط رحال أولي الأفهام، يجلسُ للحديث سُوَيعةً بين أصحابه، ويقوم إلى مصلاه طويلاً يرجو من ربه حُسْنَ مآبه. اشتغل من حداثته بالحديث وأهله، وأجازه والده الأستاذ المجتهد هاشم بن يحيى، وأخذ عن صدر الأفاضل البدر المنير محمد بن إسماعيل الأمير، وعن عبد القادر بن أحمد، وعن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن إبراهيم، وصحب الوزير الصالح أحمد بن علي النهمي، فقرّبه من الإمام المهدي العباس فأدناه وأراده على العَمَل فأباه، وكان الوزير كثيراً ما ينزل عليه ويتشرف بالوصول إليه ولما رآه الإمام المهدي أهلاً للخير بعث إليه بالأموال وألزمه وضعها في أهل الحاجة. ترجمه القاضي في الدميه والتحفة، وأثنى عليه خيراً. وترجمه العلامة البدر محمد بن علي الشوكاني، وترجمه عبد الله بن عيسى بن محمد في كتابه الحدائق، ورفيقنا العلامة إبراهيم بن عبد الله الحوثي وسائر المترجمين، وقد أتينا على قصيدته التي كاتب بها الأستاذ عبد القادر بن أحمد، وعلى قصيدة سعيد القرواني وعلى جواب الأستاذ عبد القادر، كل منهم أثبتناها في ترجمته، وقال لنا صاحبنا

---

(١) نيل الوطر (٢/ ٣٢٠)، البدر الطالع (٢/ ٢٧٢)، هجر العلم (١/ ٣١٨)، أعلام المؤلفين الزيدية (١٠٠٧).

عبد الله بن سعيد القرواني: كنا بمقام محمد بن هاشم فجاءنا رافضي فشتم الصحابة فقام محمد بن هاشم إلى دفتر أدَب ففتح أبياتٍ لَهُ وقال انقل هذه:

إذا رافضي سَبّ أصحاب أحمدٍ ... وقال فلان منهمُوا فيهِ ما فيهِ
فقل كذبتَ أستٌ أمّ من قال هكذا ... وذا حَيْضَها المسود ينحط مِن فيّهِ

ثم سكت قليلاً وتكلم في فرعون قال: فقال الرافضي قد قال ابن عربي المتصوف أنه من أهل الجنة، فقال محمد بن هاشم: جعلك الله مع فرعون وجعلنا مع أصحاب محمد ﷺ قل آمين، فقام عنهم الرافضي.

وكان المترجَم له آية من آيات الله الباهرة في الأدب، ومن أفانين سحره ومحاسن شعره ومبتكرات فكره، وقد وقَف فرأى موكب الخليفة المهدي العباس فذهب وقد وصفه على أتم القياس وقال:

ملاعِبُ المجد نهر سال منحدراً ... من السوابغ تحت البيض واليَلَب
في ظلمة النقع يحكي في تعطفه ... وللأسِنّة فيهِ زاهِرَ الشُهُب
ملاعب الماء في جوف الدجنّة تجري ... السمع فيهِ بألواح من الخشبِ
ماءٌ هو النارُ في الهيجاء يترك ألـ ... ـواح الأعادي فراشاً عند ملتهب

على أنه غير مُبْتكر عند النظر، فإنه مأخوذ من قول بشار بن بُرد:

كان مثار النقع فوق رؤوسَنَا ... وأسيافنا ليل تهاوي كواكِبُهْ

ولكنه زاده كمالاً وتحقيقاً وجَودَه. ولَهُ وقد وقف على بيتي أديب وقته العلامة إسحاق بن يوسف وهُمَا:

توسلت (لا) إلى جود الكريم بأن ... تحظىٰ بنعماهُ كي تُكسَي حُلىَ نَعَمِ
فقال (لا) بأس في رد الجواب فمَا ... زالت جواب كريمٍ من أخي كَرَمِ

فتصرّف في هذا المعنى وأفرغه في قالب الإبداع، حتى شغل الخواطر والأسماع، سائلاً أهل الذكاء، بجواب يزيل الصدا. فقال:

وذو كَرم (لا) يعرف المنعَ دائماً ... وغيرُ نَعَمْ ما قالها في ذُرىٰ العُلاَ
لذا حَسدت (لا) في مكارمه نعَم ... فجاءته كيما تجتديه تفضُّلاَ
وما قنعت إذ قال (لا) بأس في الندى ... وقد عهدته مفضلاً متطولاً
وفي لطفها في حيلةٍ قولها لَهُ ... أتسعفني في مطلب منك قال (لا)
فقامت نعم تثني عليه بردّها ... وقد زُهيَت (لا) بالجواب تجملا
فقل لي الا مَنْعٌ هنالك أو جِداً ... وجودٌ فمعناه على الذهن أشكلا

فإن قالها جوداً فعادتهُ نَعَم	وكيف يكون الحب معناه في القُلَى
وإن قالها منعاً فذلك مشكل	وعادته في الجود لن تتبدَّلا
وهذا سؤال للكرام فإنَّهُم	بمقصده في قوله أعرفُ المَلاَ

وأجاب كثير من علماء العصر علىٰ ذلك بأجوبةٍ مختلفة، وتصدَّر للجواب أولاً وأصاب السيد عيسى بن محمد بن حسين فقال:

ألا ان لا في ذا السؤال تُعَدُّ مِنْ	عداد معاريض ترخص للمَلاَ
وجاء أنَّ فيها عن كِذاب محرم	لمندوحةٍ يَا مَنْ حوى الفضل والعُلاَ
وما إن غزا يوماً محلاً ولم يكن	يوري عنه صحَّ نقلاً مفصَّلا
ولا امرأةٍ قد قال زوجك من يرى	بياض بعينيه فولّت تهرولا
لتفتح عينيه فقال حليلها	أليس بياض العين من جملة الحُلاَ
فهذا بلا ردٍ فافهمها بأنَّهُ	قد حباها ما تريد تفضّلا
وما قصده إلا الحذار بأن يرى	وقد أثرت في موقف الجود عنه لاَ

وأجاب إسماعيل بن صالح الخولاني رحمه الله تعالى فقال:

وهاك لذا الإشكال حلاً سوى الذي	تقدّم يا من بالمعالي تجمَّلاَ
وذا أن تخييل السؤال لأحرفٍ	الجواب محال في الكلام تمحلا
وقولك هل قد جاد أو لم يجد	هي المقدمة الأخرى لمن قد تكمّلا
وإن صحّت الأخرى فإن نتيجه	الدليل ترى تَبَع الأحسن بلا حَلاَ

وأجاب علي بن صلاح الدين الهاشمي الكوكباني رحمه الله تعالى فقال:

وهاك جواباً ثالثاً وهو أنَّ ذا	يناظِرُ قولاً في الأصول مؤصّلاَ
وذلك في استعمال مشتركٍ لَهُم	بكل معانيه لدى البعض فاعقِلاَ

وأجاب القاضي محسن بن عطف الله الكوكباني رحمة الله تعالى فقال:

وصح نحو قولٍ غير هذا وذا وذا	وهو أن لا في السؤال الذي حلا
يراد بها نفس الحروف ولم يَكن	يراد بها منع لدى من تأمّلا
وهذا عَطَاءٌ منك لا شك فيه يا	هماماً غَدَى في كل آن مُفَصَّلاَ

وأجاب محسن بن أحمد بن الناصر الهاشمي رحمه الله تعالى فقال:

ولكن وجهاً آخراً وهو أنَّ من	يجود هُنا يوماً عُيلا لا تَفضُّلاَ
فقد جاد أيضاً غاية الجود والجِدَا	على ضده فيما أتى وتطوّلا

وأجاب سعيد بن علي القرواني رحمه الله تعالى فقال:

سؤالك يا ذا الجود ما زال مقفَلاَ ... وعن عقلة الإشكال لن يتحولاَ
وكل جواب قد أتاك فإنهُ ... يخال جواداً في الطراد مُشكِلا
وهاك جواباً غير ما قيل كان من ... عداد المذاكي أن جرى فيه هَرْوَلا
إذا قيل لا رداً لها في سؤالها ... فذلك في الحالين جود تحصَّلا
فَمُذْ فرَّ عنها كان في الجود واحداً ... وشرفها بالنطق منه تَفضُّلاَ
فصارت نعم لا عنده في جَوابِه ... وبالقيد لا ضدّان كلا ولا وِلاَ
ودونك تفسير الجواب فقد مشىَ ... إليك بارسان السؤال مُكَبَّلاَ

وأجاب علي بن حسن الحوثي الهاشمي فقال رحمه الله تعالى:

أتانا سؤال من أخٍ قد حوى العُلَىِ ... وصار لَهُ فوق السماكَين منزلاَ
فحليت يا ذا الجود والفضل منزلاً ... رفيعاً وحيداً بالدراري مكلّلاَ
فما قالها ذا الجود جوداً لأنه ... رأى قول لا فيما يريد وأفضَلا
وقد صَدّ بها عما أرادته ظاهراً ... وما الصدّ إلا الودّ ما لم يكن قَلاَ
وما قال لا إلاّ يطابق قصدهاِ ... فجاد ولم يقصد بذلك كرب لاَ
نعم ونعم بَلّهَا فلم تدر ما الذي ... أرادت فقامت بالثناءِ توصّلا
ولا بأس تنْبِي عن جوابي ومن أبىٰ ... فلا بأس ثغراً للحبيب ولا طلا
فإن كنت في قولي أصبت حقيقةً ... فجوّب وقل لا غير هذا تفضَّلاَ
وَدُم سالماً ما لاح بالفِكْر ملغزٌ ... وبرقٌ كذا شيبٌ على الرأس قد عَلاَ

وأجاب العلامة أحمد بن حسن بركات رحمه ذو الجلال فقال:

نعم سألت (لا) فاستجاب أخو الندىٰ ... فقال بلا فانهار مِن لفظه حرفُ
فإن زُهيت (لا) بالجواب فإنمّا ... كساها معاني غيرها جودة الوصف

وأجاب أحمد بن يوسف بن حسين بن حسن الهاشمي المعروف بالحديث فقال رحمه المتعال:

وإن الذي قالته لا لا لِحيلةٍ ... أتسعفني في مطلب منك قال لاَ
جواب لعافٍ محتدٍ لا يقولها ... كذا كل سمح حلَّ في ذروة العُلَىِ
فما أحدٌ قد قالها منعماً بِهَا ... سواهُ ولا أعطىٰ بمنع فاجز لاَ

وقال آخر:

إذا كلّفت لا ذا الندى عكس طبعهِ ... هناك استحقت منه ليس ولنْ ولا

فقد حل صرف المنع منها إذا اجتدت وذلك جود عند من قد تأمّلا
ومن حيث منع المنع لا جمع عنده لضدين مهما قيل كالحب والقِلاَ

وقال مؤلف الكتاب، تاب عليه التوّاب:

وخُذ غير ما قد قيل يا مَن إلى العُلَى سَمَا فأرانا مشكلاً في سؤال لا
فقد خفِي التوجيهُ فيه وأنّهُ هو الحق لا ما قاله السلَفُ الأُلَى
فقل خاط لي عمرو قُبَاءً، ومَن نقش عليهِ تجده في القياس مُفَصَّلاَ
فمدحٌ وذمٌ مثله البخل والجِدّا بلفظة (لا) للاحتمال تجمَّلاَ

قلت وهذا الصواب في الجواب. وقد لاقى ما قاله عيسى بن محمد بن حسين الهاشمي وعليه بنى واضع السؤال فإنه أجاب آخراً بنفسه فقال:

لقد قال لا ذو الجود جوداً ولم يرد بها لا التي للنفي خذ ذاك مجملاَ
وإن ترد التفصيل فهي عَطيةً ولا لفظ في عرف النحاة له بلاَ
فإن قيل كانت منه لَفْظٌ فقل نعَم هو الرمي بالموهوب ممن تفضّلاَ
وإن زهيت لا فهو وهمٌ كما توهمته نعم فافهم جوابي مفصَّلا

قال المؤلف غفر الله له: والجوابات في هذا السؤال كثيرة تركناها اختصاراً، ولنتبع هذا بما تصرف به الشعراء في (لا) فمنه قول أبي إسحاق العربي:

لا في الكلام نقض أجنحة المنَى من أجل ذلك تشبه المقراضا

وقال آخر في بخيل:

تعوَّذ من بخلِهِ قول لا فما بلفظ الدهر إلا بلاَ
وما هلّل الله يرجو الثوا ب ولكن مِن حُبّ لا هَلَّلاَ

وما أحسن ما مدح به قُثَم بن العباس:

عوفيت مِن حل ومن رحلةٍ يا ناقُ إن قربتني من قُثَم
انكِ إن بلغتنيهِ غداً أُحيِيْ لك اليسر ومات العدم
في باعه طولٌ وفي وجهه بَدرٌ وفي العرنَين منه شَمَمْ
لم يدر مالا وبَلاَ قد دَرَا فعافها واعتاض عنها نَعَم
أصم عن ذكر الخنا سَمعَهُ ومَا عن الخير بِهِ صَمَمْ

وما أحسَن قول أعرابية ترثي أباها:

هل خبَّر القبر سائليْهِ ما قد تعنّا بزائريهِ

أم هـل تـراهُ أحـاط علمـاً بـالجَسَـد المستكِـنّ فيـهِ
لـو يعلـم القبـر مَـن يُـواري تـاهَ علـى كـل مَـن يليـهِ
يـا جبَـلاً كـان ذا امتنـاع وركـن عـزٍّ لآمِليـهِ
يـا نخلـةً طلعُهَـا هضيـمٌ يقـرب مـن كـف مجتنيـهِ
يـا دهـر مـاذا أردت منـي أخلفـت مـا كنـت أرتجيـهِ
كـانـت نعـم عنـده سمـاحـاً ولـم تكـن قـط لا بِفيْـهِ

ولبشار بن بُرد في سكوت المحبوب عن (لاَ) و (نعم) من قصيدةٍ أولها:

لـم تطـل ليلـى ولكـن لـم أنُـم ونَفَـى عنـي الكـرا طيـفٌ ألَـمْ
فـابعـدي يـا غيـد عنـي واعلمـي أننـي يـا غيـد مـن لحـمٍ وَدَمْ
إن لـي جسمـاً ضعيفـاً نـاحـلاً لـو تـوكـأت عليـهِ لانْهَـدَمْ

منهـا:

وإذا قلـتُ لهـا جـودي لنـا خـرجـت بـالصمت عـن لا ونَعـم

قال مروان بن أبي حفصة لبشَّار: هلاّ قلت خرست بالصمت عن لا ونعم فقال: لو كنت في عقلك لقلته أتطيّر على مَن أحب بالخرس. وقال آخر:

قُبِّحـت (لا) لأنهـا صـوّرت صـورة الجَلَـمْ
تقـرض الـود والـوفـاق وتـأتـي علـى الكَـرمْ

وللقاسم بن حسين بن إسحاق الهاشمي من المتأخرين:

على حـال مـا يخفـى يـدٌ لـك شكلـه ففيـه غنًـى عـن مـودعـات المسـامـع
ألسـت تـرى لا كيـف ذلـك شكلهـا علـى أنهـا معـراض حبـل المطـامـع

وقال آخر:

قـد أجمـع النـاس علـى ذم لا ولسـت أنسَـى أبـداً حُـبّ لاَ
لأننـي قلـتُ لـه سيـدي تحـب غيـري أبـداً قـال لاَ

والفرزدق يقول في علي زين العابدين رضي الله تعالى عنه وأرضاه:

مـا قـال لا قـط إلا فـي تشهـدِهِ لـولا التشهـد كـانـت لاؤُه نَعَـمُ

ويروى أن رسول الله ﷺ ما سُئِل شيئاً قط فقال: لا. وقالوا: الكريم صوت لسانه: نعم وصوت بنانه نعم.

وللمترجَم له رحمه الله تعالى نوادر، منها أحجيّة التي حدت بها الركبان؛ فبلغت الهند والسند والشام واليمن وسجستان، ولم يفك مقفلها إنسان، في شاذروان، ولفظها: نقد دعواهُ مركبة من ثلاث كلمات. ورأيت كلاماً لعبد الملك بن عبد المنعم مفتي السلطان بمكة على مذهب الأحناف، وكان أحد من أغرى بعلم المعمَّى والأحاجي والألغاز بَنىٰ أنها تستخرج بعلم الحساب، فردّ عليه الراد فعمد ووضع مُعمّىً به وعمَّىَ تغميراً حسابياً؛ وقال لمن حوله: متى فك مقفل هذا اللغز صاحب اليمن أبرزنا معنى أحجيته في قالبٍ حَسَن.

ومن نوادره أنه وقف على اللغز الذي وضعه إسحاق بن يوسف فما استتمه على طوله وَمُبَاينة معانيه وكثرة المناقضة فيه حتى أجاب على واضعه بأنَّهُ في كذا، فما غادر الصواب، لأن المولى إسحاق ذكر أجوبة أهل زمانه ونسقها في منظومة له حتى قال في تقرير المترجَم له:

أَلاَ فتًى يُوحَى إليه وحْيَا ... محمد بن هشام بن يَحْيَا

وقد أتينا على حله بما فهمنا في ترجمتنا لرفيقنا الحسين بن أحمد السياغي عام إحدى وعشرين ومائتين وألف.

وللمترجَم له رحمه الله تعالى سؤال لا يزال يلهج به المتفكّه من الرجال، نظمه فقال:

في الكلمات والمفارش إشكا ... ل عظيم فهل له من جوابِ
تلك فيها بَردٌ وفي تلك دفءٌ ... وهي صوف جميعها من أهابِ
ما الذي أوجب البرودة والصوْ ... ف دفاءٌ لنا بنصّ الكتابِ

وقد أجاب على هذا كثير من أهل الذكاء فلم يحصلوا على شيء ورأيت أشفَى جوابٍ فيه للقاضي أحمد بن محمد قاطن:

كلها يا حبيبُ دفءٌ ولكن ... فرّقوا بالتخميل والجلباب
ثم ما زاد حملَه زادَ دِفْئاً ... وتراهُ في الإهاب وجه الصوابِ
فالكلمُ الصقيل يبعد دِفْئاً ... واسأل الكرك فهو فصل الخطابِ

على أنه رحمه الله تعالى قد وضع سؤالاً آخر في الجَرْم فقال:

سؤال هل الجَرْم المدفّى أَمْ الذي ... غدَى تحته دفّاه منهُ بَحَرّهِ
فإن قيل جَرْمٌ فهو لو كان وحده ... بلا لابسٍ ليلاً حكمتَ بقرّهِ
ولو كان أيضاً ناصراً لا بناصرٍ ... تَوَحْوَحَ من برد الوقوف وضرّهِ

أجيب بأن الشخص ثار بُخَارُهُ ... فرَدّ عليه الجَرْمُ ذاك بأسرِهِ
وردَّ عليهِ باختلاف حرارةٍ ... بكرك وبَسْطٍ لا وجود لشعره
وتسمية الجرم الكبير مُدَفئاً ... يخالف ما قد قال ماجد عصرِهِ
وقيل بأن الاجتماع هو الذي ... به الدفء من دافٍ هناك ودثرِهِ
وذا حَسَنٌ لولا الذي مرَّ سابقاً ... من النقض للقول القديم لحبرِهِ
وفصَّل في ذا بعضهم أن لقا بهِ ... صغيراً مليحاً كاملاً نور بدرِهِ
فتلك هي الأنفاس من عاشقيه قَدْ ... أتته بشكوى من حرارة هجرِهِ
وإن يكن الدافي صغيراً ولم يكن ... مليحاً يكن من ذا ومن ذا بقدرِهِ
وإن كان شيخاً في الثمانين عايباً ... فذاك لصوفٍ لفَّ منثور نَشْرِهِ
وهذا جوابٌ عندنا فيه قوةٌ ... وضعف وللنقَّاد أعمال فكرِهِ
وقلت بأن الدفءَ للجرم كامنٌ ... كنار زنادٍ في حجارة سترِهِ
فإن دخل الإنسان في الجَرْم كان مثل ... قدح زنادِ الصخر في حكم أمرِهِ
فإن قيل إني قد أتيت بمشكل ... جواباً كإشكال السؤال ونكرِهِ
فغير عجيب إن أتى فيه شَاعِرٌ ... بسحر بيانٍ في غرائب شعره
علىٰ سقط الزند لست تراه قا ... دحاً لحديد في حديدٍ بَقرِهِ
وبعد ثبوت الأصل هل كان قادحاً ... ببطن زناد الجَرْم من ذا بظهره

وله غفر الله تعالى لنا ولَهُ جواب على الإشكال الذي ورد به يحيى بن عبد القادر الزيلعي الزبيدي عام خمس وخمسين ومائة وألف وقد نظمه البدر المنير محمد بن إسماعيل الأمير وهو:

افتنا ما تقول إن قال زَيدٌ ... يا إماماً يسمو على كل سَامِ
كَذبٌ ما أقوله اليوم هَذَا ... ثم ما قال غير هذا الكلامِ
خبرٌ والأخبار تستلزم الصِد ... ق أو الكذب عند كل الأنامِ
أتراهُ صدقاً ابن لي أم الكذب ... تراه الفحول ذو الأفهَامِ
لا يصحّان إن تأملتَ فيه ... لفوات الشروط والأحكامِ
وهو لا بدّ أن يفوز بشيءٍ ... منهما عند جلة الاعلامِ
فتأمّل ولا تَمُل ولا تمْلي سُوَى كأس فطنةٍ لا مَدَامِ

فقال رحمه ذو الجلال في حلِّ الإشكال:

إن يرد بالمضارع الحال فالما ... ضي كلام لدَى ذوي الافهامِ
ظاهرٌ وصفه بما تقتضي الجم ... لة فافهم تعيينه في الكلامِ
وإذا الحال كان مستقبلاً في ... قَصدُهُ فالمرام عينُ المرامِ

وحفـــيٌ ظهــــورُهُ غيــــر خــــافٍ ذاك إن كنـــت مـــن ذوي الأحــــلامِ

وقد أجاب في هذا السؤال إسماعيل بن محمد بن إسحاق بأبيات منها:

وهــو عنـد الجمهــور مـن غيـر شـكٍ كـــذبٌ مـــوجـــبٌ لســـوط المـــلامِ
حيـث مـا قـال فيـه شـيء وقـد جـاء بمـــا يقتضــــي وقــــوع الكـــلام
أتــراهُ لــو قــال زيـد سـآتيـك غـــداً راكبـــاً أَمَـــام الامـــامِ
ثـم لـم يـأت فـي غـدٍ كـان هـذا كـــذبـاً عنـدهــم بلـى استفهـامِ

وكان من قبل قد أجاب فيه الشيخ عبد الرحمٰن بن محمد حيوة الهندي، استقر بزبيد بعد خروجه من الهند ثم قصد صنعاء ودرس بها في علم المنطق والآلات، وأجاب غير هؤلاءِ. ووقف البدر المنير محمد بن إسماعيل الأمير على ما حرروه وأجاب نظماً ونثراً، وفصَّل تفصيلاً كلياً. فقال كلمة ما أظهره الاحتمالين أنها بمعنى الوقت أي كل وقتٍ. أقول في يومٍ قولاً فهو كذبٌ، فإن وقع الكلام فيما مستقبَل صدقت وتحقق أحد الاحتمالين، وإلا فهو كذبٌ، فإن خرج يتكلم يومه ولم يتكلم كانت كاذبة. كما أنه لو تكلم بصدقٍ كانت كاذبة لعدم مطابقتها للواقع. وقد أشار الدواني في حاشيته على التهذيب إلى أن قول القائل: كلام هذا صادق مشيراً إلى نفس هذا الكلام ليس خبراً أصلاً وإن كان في صورة خبر لانتفاء الحكاية التي تقتضي مغايرة بين الحكاية والمحكي، وقال ميرابي الفتح في حاشيته على حاشية الدواني: إن قول القائل كلامي هذا كاذب مشيراً إلى نفس هذا الكلام إن كان صادقاً يلزم أن يكون كاذباً وإن كان كاذباً يلزم أن يكون صادقاً لخلاصة الجواب أنه ليس صادقاً ولا كاذباً لأنه ليس خبراً إذ لا حكاية فيه وأورد عليه أن يلزم أن يكون إنشاءً وليس كذلك وأجيب بأنه في قوة قولنا: كلامي هذا كاذبٍ فهناك كلامان أحدهما جزءٌ والآخر كُلٌّ ولا استحالة في كون أحد الكلامين صادقاً والآخر كاذباً. والكلام طويل وقد جمع هذه الأقوال إمام الأئمة محمد بن إسماعيل الأمير وهو الذي أورد السؤال على لسان الزيلعي تلك الأيام، وقد ذكر القاضي أحمد بن محمد قاطن جواب المترجَم له في الدمية، فقال: وهذا الخوض الأخير حضرةُ العلامة إسحاق بن يوسف وقال: إن مثل هذا السؤال سألت رجُلاً كان يصيب في الرمل وأضمرت هل الرملي صادق فيما يدعيه أم كاذب؟ فنظر وقال: سألت عن رجُل يَدّعي علم الغيب فلا تصدقه لا تصدقه هو كذابٌ، فكلامه هذا هو صادق أو كاذب؟ قال القاضي ومثل هذا لا يترتب عليه حكم شرعي وإنما هو لرياضة الفكر والأذهان، فلو قال: إذا تكلمت بكلام في يومي هذا فعبدي حر وامرأتي طالق، ولم ينطق بغيره لم تُطلق زوجته ولم يُعتق عبده لأن المراد المستقبل من الكلام كما هو المعلوم عند السامع. قلت كلام القاضي رحمه الله تعالى غير ما نحن فيه من الإشكال، لأن قوله فعبدي حر مترتب

على كلام مستقبل يفهم هذا كل سامع والشأن الذي نحن فيه أن الجملة التي قالها القائل هل هي الكاذبة أو المستقبل من الكلام بالأحتمال فيما أقوله هل هو للحال أو للاستقبال. وقد أطلنا شوط القلم وجرّبنا هذا إلى شيء آخر فالشيء بالشيء يُذكر وهو أن يقال: قد تقرر في الشريعة لو أن رجلاً رأى رجلاً زنا بامرأةٍ فشهد عليه بذلك كان رمياً للرجل والمرأة بالفاحشة موجباً للحد، إلا أن تكمل الشهادة بالأربعة على نحوٍ واحدٍ فبِمَ ذا يكون توبته أبتكذيبه للصدق الواقع؟ فتكذيب الصدق قبيح، أم بسكوته مع الاعتقاد ولكن الإصرار مذموم في الخفي والصريح وكنت قد نظمت هذا سؤالاً ووجهته إلى الأعْلَام وهو شعراً:

يا بدر إشرق منورا — وسَمَا على كل الورَى
إني أتيتك سائلاً — لمهم أمر قد جَرَى
في فتيةٍ شهدوا على — زيدٍ بفاحشة تُرى
قالوا زَنَا لكنهم — دون النصاب وقد سَرَى
فَأَبِنْ لسائلك الذي — أضحىٰ لفضلك مُظهِرَا
بِمَ توبَة النفَر الذين — رأوه يفعل مُنكَرَا
أيُكَذِّبُون عيونهم — في الصدق أم ماذا ترى
فالكذب أخبث خُلّةٍ — والصدق أظهر مخبراً
وأراه لا ينفكُّ عن — إصرارِه مَنِ أَبْصَرَا

وقد أجاب كثير من علماء العصر، منهم علامة اليمن فخر الزمن المجتهد الخطير عبد الله بن محمد الأمير، قال حفظه المتعال:

أهلاً بنظمٍ رائقٍ — نظم الفوائد كالدراري
أبهَى وأنْهَى في الطروس — من النجوم وأنوَرَا
سلاسةٍ وجزالةٍ — وبلاغةٍ تعيي الورَى
لا غرو أنت إمامها — في العصر فُقت الأَعْصُرَا
وحويت من كل العلوم — الهاديات الجوهَرَا
وبلغت ما تهواهُ مِنْ — تحقيقها أعالىٰ الذرىٰ
لا سيّما علم الكتاب — فإنه شمس السُّرى
وكذاك سنة أحمدٍ — أكرَم بذلك مُظْهِرَا
فهما السبيل إلى النجاة — من الهلاك بلا مِرَا
فالزَم طريقته وَدَعْ — رأي الخليفة في الورى

وأدع الأنـــام إلـــى الهُـــدى | مهمـــا استطعـــت مشمِّـــرًا
ولقَـــد نصحـــت وإننـــي | أولـــى بـــذاك لمـــن دَرَا
وتـــريـــد منـــي الاختبـــار | وأنـــت أخبـــر مخبـــراً
ولقـــد تعـــارض مسلكـــاً | أدب وطـــاعـــة مَـــنْ بَـــرا
فحسبـــت أن الامتثـــا | ل مُـــرَجَّـــحٌ فيمـــا أرى
لـــلاستفـــادة مـــن ذوي | التحقيـــق علمـــاً أكبـــرَى
إن الـــذي أفشَـــى الـــزنـــا | عمـــن رآه وأظهـــرا
مـــن قبـــل تكميـــل الشهـــا | دة جـــاء أمـــراً منكـــرا
وأتَـــى بقـــذف محصَّـــنٍ | فـــالحكـــم فيـــه لمـــن بَـــرَا
جلـــد الثمـــانيـــن التـــي | نـــصّ الكتـــاب بهـــا جَـــرَى
وكـــذاك رد شهـــادةٍ | والفســـق كـــان الأشهَـــرا
إلا الـــذي قـــد تـــاب عَـــن | مـــا فـــاه يـــومـــاً مخبـــرا
فعليـــه يكـــذب نفسَـــهُ | فيمـــا يقـــول وقـــد رأى
نـــص الكتـــاب بـــأن مَـــن | عـــدم الشهـــود قـــد افتـــرى
لمـــا غَـــدَى متكلمـــاً | فحشـــاً وزوراً مظهـــرا
وأرى المُصِـــرّ علـــى القبيـــح | مكـــذبـــاً بـــاري الـــورى
والله سمَّـــاهُ الكـــذوب | وقـــد رأى مـــا قـــد رأى
هـــذا الـــذي يقضـــي بـــه | مـــا جـــاء نصًّـــا نيّـــرًا
وهـــو الصـــواب لـــرحمـــةٍ | وسعـــت فعمَّـــت مَـــنْ بَـــرَى
بـــالسِتـــر للعبـــد المسِـــيء | مـــن المليـــك لِمَـــا جـــرى
واستـــر لمـــا لفقـــت مِـــن | كلـــم وليـــس محَـــرَّرا
لا زلـــت تهـــدي كـــل مـــن | بـــالمشكـــلات تحيّـــرا

ومن مبتكرات المترجَم له وقد رأى إجماع الناس على عذل المتصابي في زمن المشيب ما نظمه رداً على أولئك بدليل عجيب، قال رحمه ذو الجلال:

قيـــل إن المشيـــب يقصـــر بـــالمَـــرْءِ | دواعيـــه عـــن دواعـــي الشبـــاب
والتـــذاذ بمشتهـــى النفـــس والطـــر | ف وبـــالاجتمـــاع بـــالأحبـــاب
وأرى ذا المشيـــب أكمـــل إدرا | كـــاً وعقـــلاً لمـــوجبـــات التصـــابـــي
ومـــواري الأتـــراب فـــي وحشـــة التفـــريـــق أدعـــى لـــوصـــل بـــاقـــي الصحـــاب
غيـــر أن الـــرضـــى بمـــا تحـــدث الأ | قـــدار أولـــى مـــن نيلهـــا بعتـــاب

وأرى أنه غير مبتكر فإنه مسبوق إلى هذا المعنى بما في ديوان الحماسة:

يقولون هل بعد الثلاثين ملعبٌ فقلت وهل قبل الثلاثين ملعَبُ
لقد جُلّ خطبُ الشيب إن كان كلما بدت شيبة يُعرَى من اللهو مركبُ

وله رحمه الله تعالى سؤال إلى شيخنا البدر محمد بن علي الشوكاني ورفيقنا الحسين بن أحمد السياغي بعدما نزلا عليه، سألهما عن الشوق أهو من المشكك أم من المتواطيء؟ فقال:

يا نيِّري فلك العُلىٰ دام لنا من نور علمكما ما يكشف الظلما

وقد أتينا على الأبيات في ترجمتنا لشيخنا البدر الشوكاني عام تسع ومائتين وألف.

وله رحمه الله تعالى سؤال في حجر المغناطيس وما يجذبه إلى القبلة، فإنهم يزعمون أن القطب فيه خاصة الحديد فلذا يجذب المغناطيس إلى جهته، فأورد محمد بن هاشم أن حجر المغناطيس إذا جيء بها جذبت الحديد، ويقولون إن القطب من حديد، فإذا كان كذلك فإن طبع المغناطيس يجذبه فهو إشكال في محله، فلذا سأل وقال:

سادتي دام مجدكم وإفَادَا تكمُ في الأيام لا تتَنَاهَى
إن في المغناطيس جاذبَةٌ مِن طبعِه للحديد منهُ تراهَا
وترى القطعة التي صنعوها قبلةً في اصطلاح مَن سَمّاهَا
كلما وُجِّهَت إلى جهةٍ يجـ ـذِبُها القطبُ ذاك من سيماها
ويقولون أنه من حديدٍ واستدلّوا بهذه لا سواها
فإذا سلّمت لهم أيّ دعوَى لزم العكس عند مَن قد رآها
فيعود المجذوب فيما رأينا عندهم جاذباً فكيف ادّعاها
فاكشفوا ليلها فأنتم نجومُ الأرض باهت بكم نجوم سَمَاهَا
والقلوب انجذابها عند جذبٍ كم نراها لهذه أشباها

ولما مات كلبٌ كان لعلي بن حسن الخُفنجي رثاه المترجم له وكتب إلى الخفنجي فقال:

يا جمال الهدى غيض الأعادي وكريم الآباء والأجدادِ
ومُرَوِي صفائح الهند والسُمْر إذا خاض في بحار الجِلاَدِ
وإمام القريض في كل بحرٍ وحليف التنقير والانتقادِ
كلنا قد أصيب فيه برزءٍ بحديثٍ بالحزن في كل نادِ
انشَبَت فيه أم قسطل ظفريها فأضحَى مُعَفّراً بالرمادِ
وأتته حَضَاجِرٌ فأقلّتْه وفازت منه بأطيب زادِ
بعد أن كان ضيغماً لا ينَاوَى وحساماً مجرداً للأعادي

كم أراع السيدان في البر والعقـ ... ـبان في السد والملا في البلادِ
ولكم خَوّف الليوث الضواري ... وأزرَى بالصّافنات الجيادِ
وأثار الغارات في كل حي ... لا يبالِي بمعدات الحدادِ
طال ما قال إذ أتى من غزاةٍ ... ليس الآتي مُدْلجٌ في سواد
فيناديه حادث الدهر رفقا ... كل حي مصيره للنفادِ
سِرّ إن اسطعت في الهواء رُوَيداً ... لا اختيالاً على رقاب العبادِ
إنما كان موت قرقر من أعظم ... آيات بعثة الأجساد
كان للأكلب المشائخ كهفاً ... وأباً للإناثِ والأولاد

فرأى مرثاته هذه البدر المنير محمد بن إسماعيل الأمير وقد صدرت كسفينة من سفائن الأدب فكتب على ظهرها:

كأن السفائن سابقاً ... تأتي بأنواع الخطابِ
وصف القدود أوالخدود ... أو الثغور أو الرضاب
أو مدح ملكٍ قد سَمَا ... وَرَقَىٰ على هام السحاب
أو مدح من حاز العلو ... مِ وصار كالبحر العُبَاب
أو ذكر أيام الوصال ... مع الأحبة والشبابِ
هذي المقاصد للقصيد ... وروضهن المستطابِ
وسفينة الولد النجيب ... أتت بمرثاة الكلابِ
فالشعر أولى بالرِّثا ... ءِ وبالبكاء والانتحاب
إذ صار طوقاً للكلا ... بِ الميتاتِ على الرقابِ
هذا هو الخسفُ الذي ... وردت به آيُ الكتابِ
خسفٌ لشمسِ الشعر وال ... قمر المنيرة والشهابِ
صَلُّوا صلاة كسوفها ... إن كان يُشرع في كتابِ
وليحتسب أهل القريض ... لما أتاهم من مُصَابِ

وسأله شيخه عبد الله بن أحمد بن إسحاق عن السَّبَب في تشاؤم الناس بصباح الأعور لا بمساه، فأجاب رحمه الله تعالى فقال:

مولاي لا زلت في سعودٍ ... بها عيون الحسود تقهَر
ما قلت في عين من ذكرتم ... إلا أعادته أي أحور
هذا سؤال يطولُ فيه ... شرحي وإن طال فيه قصَّر
ولست يا مالِكِي بأهْل ... لمثل ما قلت أن أصدَّر
وإنما صار فرض عَينٍ ... عليّ إذ قلت لست أعذر

ولـم أجـد فـي العِشـي شيئـاً غيـر الـذي فـي الصبـاح يُـؤثَـر
وإنمـا فـي القيـاس عنـدي شـيءٌ تخيلتـه فَيُنْظـر
قيـاس عكـسٍ علـى ثقيـل فـإنـه فـي المسـاء يُنْكَـر
وسعـده فـي الصبـاح أمـرٌ جـرَّ بَـهُ مَـن إليـه أبكـر

ومما يفتن به في شعره وأفرغه في قالب سحره، ما لم يطرق بديعه خاطري وسمعي، ما أجاب به على شرف الدين بن قاسم الشرعي:

هـو الـربـع للـداعـي صَـدَاهُ مجيبُ تعـاقَـب فيـه شَمـألٌ وجنـوبُ
أقـام بـه مـن بعـد تِـرحـال أهلِـهِ ضُحـاً وحشُ ليـل أَهـلٌ وغـريـبُ
تـروحُ وتغـدو جحفـلا إثـر جحفـلُ لكـل رعيـل قـائـدٌ ونقيـبُ
أَبَعْـد تثنّـي الغِيـد زهـواً بسـوحِـهِ يعـوث بـه نمـرٌ ويعسـل ذيْـبُ
ومـن بعـد ألحـان الحِسَـان يطيـبُ لابـن دابـةٍ تنعـاق بـه ونعيـبُ
وتُغْـدِقُ فيـه ظلمـة الليـل ملـؤهـا زئيـرٌ بـأوجـار المنـون مشـوب
وكـانـت وآ دي ليلـه مثـل بيضِـه تنيـر بـه شمـسٌ ويشـرق كـوبُ
وتطلـع فيـهِ للنـدامـا أهلـةٌ وزهـر نجـوم مـا لَهُـنَّ مغيـبُ
وقفـت بـه والبـرق يحكـي لـواعجـي ويـدعـو نَحيبـي رَعْـدَهُ فيجيـبُ
لقـد رَقّ لـي حتـى تـلاشـت سحـابُـهُ كمـا مـزقـت للنـائحـات جيـوبُ
وأبكيـت تلـك السحـب حتـى تقشّعـت ومـا نضبـت للمقلتيـن غـروبُ
ذكـرت بـه عهـداً ولـم أنسـهُ لَـهُ ومـا شـان شـانـي فـي الـوفـآءِ معيـبُ
وأنّـي لقلـب الصّـبِ نسيـان وقفَـةٍ بهـا لعبـت للقلـب فيـه لعـوبُ
بهـا سنحـت مـن بـارق الثغـر لمحـة اتيحـت لطـرفـي والنقـاب رقيـبُ
فـوالله مـا أدري قِـلاً كـان أو رضًـى تبسّمهـا فـالابتسـامُ ضـروبُ
أكـان كـذا ابنـاء عَـذرةَ فـي الهـوَى فـاعـذُرُ ام رأي المصـاب مصيـبُ
ومـا عـذر العُـذّال قبلـي متيمـاً ولـم يُـرضِهـم فيمـا سمعـتُ حبيـبُ

إلى أن قال في وصف نظم المكاتب ومديحه متخلصاً:

نظـامٌ هـو السحـر الـذي يُـرقص الحجـا وتلعـبُ منـه فـي الصـدور قلـوبُ
أبَـى اللطـف لا أرضـى لمثلـك كنيـةً سـواهُ وكـل الفضـل فيـك نسيـبُ
لقـد أدهشتنـي مـن قـريضـك غـادةٌ لهـا غَـزَلٌ يسبـي النهـا ونَسِيـبُ
فستَّـرتُ منهـا فـي فـؤادي مفـارقـاً عـلاهـن مـن هجـر القـريـض مشِيـبُ
وفتشـت صحـف الفِكـر أبغـي بقيـةً خبـاهـا لـديـه الـذهـنُ وهـو أريـبُ
فلـم ألـق فيـهِ غيـر مـالا يقـولـهُ أديـبٌ ولا يُصغـي إليـه لبيـبُ

لذا إنني كنيّتُ بالرّبع عنه إذ خَلاً فهو نوع في الطلول عجيبُ
فلا تتهمني بالتصّابي فإنما صحيح حديثي في القديم غريبُ
عليك سلامٌ مثل خلقك فالريا ض تقصُر عنه وهي منه قريبُ

وعارض أحمد بن يوسف بن حسين بن حسن بن القاسم في تفضيله للروضة على بير العَزَب بقصيدته التي أوَّلها[1]:

إنما الروضة في أيامها جنة تستوقف الطرف أنيقه

وقد سبقت بكمالها في ترجمته في سنة إحدى وتسعين، ففضَّل المترجَم له بير العزب لمعانٍ بديعةٍ بالغة في الجودة وهي هذه:

إن بير العزب الروح الذي يُسْلك الراح إلى الروح طريقَه
هي كالغادة يلهي حُسنُهَا عن حلاها وهي بالمدح خليقَه
فترى واصفها في حيرَةٍ ما الذي أضحت به النفسُ مشوقَه
مثل معنىَ الحُسْن لا يدري الفَتَى ما سبَاهُ من معانيه الدقيقَه
وأرى أقرانها زينت بمَا يفرح الجائع إن شام بروقه
يمدح المحسن منها عرضاً فإذا فارقها ذَمّ رفيقَه
مثل صبٍ يصف الحسن الذي قد سَبَاهُ بالملابيس الأنيقَة
وإذا ما شئت تصديقي وقَدْ أخذ الإنصاف لي منك الوثيقه
فتصورها بكانون وَرْدِ ما سواها فيه تظفر بالحقيقه

وله رحمه الله تعالى هذه الأبيات القائمة على قدم الثبات في دفتر الإثبات:

هل للطويل من النوَى عَرَضُ فيه يشامُ من الرجّا وَمْضُ
أم ضاق في الربع المجيّبُ عَن تقديره لمؤَمل فَرْضُ
في كل يومٍ للوداع يدٌ في عقد لقيانا لهَا نقضُ
حملت هَوادجهم كواكب زُهر في سماء البيداء تنقضُّ
ما استيقض البرق الخطوف لها إلا غدَى استفصالها الغمضُ
أو همَّ يوماً للحُوقِ بها إلا استطالت دونها أرضُ
يا نازحين ولي بهم شغفٌ لجيادِهِ من بَعْدهِم ركْضُ
وهل إدكاري كادكَاركُمُ فيحس من حركاتهِ نبضُ
هل من سبيلٍ للحوق وهَل لمؤملٍ من نحوكم نَهْضُ

---

(١) نشر العَرف (١/ ١٦٩).

والقلب عندكم سَلْوهُ يُجبْـ ـكُم مسرعاً من رده المحِضُ
فلقد أقمت ومهجتي معَكُم نَزَحَت وجَاذب بعضنا بعضُ

وقد وعدنا بإيراد لاميته التي لامَهُ فيها عواذل الآداب، ووشحنا بذكرها جِيْد هذا الكتاب، بعث بها إلى الأستاذ شيخنا وشيخ مشائخنا عبد القادر بن أحمد وتغيَّض منها لجودة المعاني سعيد بن علي القَرواني فَسَلك سبيلها ونَظَم دراري شك مثقوب فهمه تخييلها، وانضم إليهما الصارمُ المفرد إبراهيم بن محمد، وبعثوا بذلك إلى عبد القادر بن أحمد، وأجاب بأجود مستجود وقضى أهل الخبرة بفنّ الأدب بالسَبْق للمترجَم له هنا على كل من درَجَ ودَبَّ فقال:

هو البَيَنُ لا هجرٌ يُذمُّ ولا وَصلُ تناوبه الأنّاتُ والعيس والسُبُلُ
أتاحت مُدَى اللُقيا ومدّت يد النوَى بمنّ له لما اعتزى نحلها النحلُ
فلا إنها للوَصل تعطفه السّخَا ولا البَيْد يُرجَى أن يعاودها الإبْلُ
تدانَى التلاقي والشباب وشاكل المشيب النوى والشكل يطلبه الشكلُ
أمَا وزمانٍ كان للراح رَوحُهُ مزاجاً لذاك السُمّ الطِلاَ ولذا الفعلُ
وبيض ليَالٍ كان يجذبُ فجرهَا الأصائل إن جاذَبْن منه الذي يتلو
ولطف هوًى إن أترع النَّور غَرْبُهُ مدامَ أصيل راح يمزجه الطَّلُّ
ورِقَّةِ شربٍ لست أدري تَرشَّفُ الكؤوسَ أم الكاسَّاتُ منهم لها نهلُ
وناضِرِ روضٍ للغصون تعانُق به ليسَ للنمَّام في وصله فَضْلُ
تحاكي قدودَ الغيد مُلْدُ غصُونه فيعجزها حُسْنُ التلفُّتِ والدَّلُّ
ويَضحَكُ منها الأقحوانُ فيخجلُ الشقيقُ كشَربٍ دار بينهم هَزْلُ
وإن طارحت حُلْيَ الغواني سواجعٌ من الطير في أرجائها طَربَ الكل
زمانٌ تقضَّى لا الهوَى بعده الهوى ولو رقصت زهواً سحائبهُ الجَفلُ
ولا الروض روض والزهور تضاحك الثغور ولا الوبل الهتون به وَبْلُ
لقد ذهبَتْ تلك الحوالي برونق التوالي وهل مثل الحوالي تُرى العُطْلُ
فَسَلّ لشكوى البين نفساً تسالم الليالي إذا تُبدِي السلوَّ ولم يَسْلو
وحُلّ قياداً للقوافي فطال ما أضر بها في حلم أهل الهوَى العقل
إلامَ احتباسُ الفكر كلّ طِمِرَّةٍ يلوم على استبعادها العقلُ والنقلُ
نماها قَويمٌ غير أعوجَ لا ولا العويج نمت فرعاً وطاب لها أصل
وإن يكن مذكى النار من حقدها المَدى على باب شكوى كَلْمِهِ ضُربَ القُفْلُ
ورَقَّ له حُرّ التغاضي ولم يَطِبْ له تحت أفياءُ المناضلة الظِلُّ
فقد طال حَبْلُ البَين حتى تَقاصَرَت عُرى الصَّبر لما حَلّ مُهر بهما الحَبْلُ

وصاح به لمّا انتهى الصبر صارخٌ القوافي أفق إن التَواني هو الذلُّ
لعَلّ أويقاتٍ قَسَت أن يلينْهَا الوهيج من الشكوى فيعطفها الألُّ
وبين شِكاتِ البَيْت والضير مَهْمَةٌ من الوجد طالت من تنايفه السُبلُ
لفكريَ فيهِ حيرة الضبّ في الفلا وهل حيّرت ضبّ الفلا الأعين النُجُلُ
وما الضبّ إلا الصبّ حيّره القِلاَ فقيل الفلا جهلاً وإعجامه جهلُ
له اللّهُ من مسحور سَهْمَين مُوّها بتخييل قلب العَيْن فاشتبه النَبْلُ
وما كنت أدري أن غير الذي بهِ غرامي يُسمَّى النبل أو أنه النصلُ
ولكن رقاني سحر نظم فعاد لي حجًى تاه دهراً حيث أهل الهوى ضلّوا
نظامٌ كَنْفي النفي أثبَت ما انتَفَى وسحرٌ على سحرٍ بهِ ثَبت العَقلُ
فثار سليمَ الفكر يشكر ناظماً أتى ببديع مثله ما له مثلُ
إمام علوم لا تدينُ لغيرهِ ليحكم في أنظارها العقل والحلُ
ونور ذكًى غير نور ذكًى فما لمشكل أمرٍ رام إيضاحه ظِلُّ
وجنة آدابٍ رواها مخلدٌ بها مِن مِنى الألباب ما يشتَهي الكُلُّ
وغيث ندًى لا برق فيه ترى سوى ابتسام حَيَاءٍ عنده هَمل البَذْلُ
إذا قيل عبد القادر ابتدر الندى إلى الذهنُ والمجد الموثل والفَضلُ
وضاق بنادي الفكر مجرى سوابق المفاخر إذ يحلو عرائسها النبلُ
وجيه الهُدى أذكى نضامك مُصرِماً من الوجد والتذكار زفرته تَغْلُ
وكشف جلباب التسلّي ولم أكن سلوت فقد شاب النوى والهوى طفلُ
فيا ليت شعري هل لذا البعد غايةٌ تمرّ وهل يتلو الذي مرّ ما يحلو
وهل لاجتماع الشمل آن فنرتجي وهل بعد جَوْر البَين فينا يُرى عذلُ
لذلك أدعو من بأفضاله يَعُود ماضي تدانينا ويجتمع الشَملُ
عَسَاك إذا أمَّنت مَنَّ بِجَمْعَنَا سريعاً كما أمَّلت واتصل الحَبلُ

وهي أبيات بديعة المنوال، أتيناها على الكمال لجودة معانيها وصحة مبانيها. وكان للمترجَم لَهُ ميلٌ إلى مذهب التصوُّف، ويُحذِّر مِن التعرض لأهله. وكان يكره ما جاء من أحمد بن صلاح الخطيب، ويَعرض ويُظْهِر الكراهية عليه. وله أولاد أكبرهم هاشم بن محمد ابن هاشم مات في أيامه وكان ضحوكاً حَسَن الأخلاق كثير المجون عارفاً، قرأ واجتهد. وأحمد توجّد، وتبعه أخوه محمد بن محمد فقرأ ورافقنا في القراءة على شيخنا البدر الشوكاني.

وهم أهل بيت طهرَّ اللّهُ قَدرَهُم لذا اجتهدوا في نصرِ سنة أحمد

[إبراهيم بن حسن بن يوسف المهدي]

وفيها: يوم الجمعة ثامن عشر صفر، إبراهيم بن حسن بن يوسف بن المهدي محمد بن أحمد صاحب المواهب، كان صدراً في آل يوسف مال في باديء أمره إلى الزهد والعفاف، وكان مبالغاً في الاقتصاد، فاتصل بالمهدي العباس مرات. ثم مال بعد ذلك إلى الدخول في أعمال الدولة. كان تجري على يديه أرزاق آل يوسف بن المهدي من مغرب عنس ففارق الاقتصاد والزهادة، وكان كريماً مطلقاً لا يدّخر للنائبة، رحمه الله تعالى.

[الحافظ الأستاذ عبد القادر بن أحمد]

وفيها: يوم الإثنين خامس ربيع الأول، الإمام المجتهد سيد المحققين ومحقق الناقدين، الناقد المعارف، والعارف بما ضمّه الموافق والمخالف، حامل علوم الاجتهاد على كاهل حفظه، والمعرب عن سنة سيد ولد عدنان ببيان لفظه، الفقيه الظاهري، الأصوليّ المنطقي اللغوي الإخباري، أبو إبراهيم عبد القادر بن أحمد بن عبد القادر بن الناصر بن عبد الرب بن علي بن شمس الدين[1]. الإمام شرف الدين عن اثنتين وسبعين سنة. مولده بصنعاء عام خمس وثلاثين ومائة وألف، وبها نشأ، وقرأ بعض القرآن، ثم سار إلى كوكبان، فكمل بها القرآن، وحفظ متون المبسوطات عن ظهر قلب، بفهم نافذٍ، وَدَّ ابن سينا، على التحقيق يأخذ عنه سبنا. ثم اشتغل بالقراءة والتفتيش عن معاني اللغة وكشف ألفاظها فبحث الكتب المطولة، فوقف على البُغيه المقصوده، ولزم الزهد والعفاف.

[تنقّل عبد القادر في الديار]

وأخبرني من أثق به أنه دخل في بادىء أمره على محمد بن حسين متولي الديار الكوكبانية في يوم اجتمع لديه أكابر أهل الحصن، فرأى صَيَاني القهوة تدور فلامهم على الإسراف فأعطوه صينية فأمسكها فانكسرت بيده وعُدّت له كرامَة، وكان يلبس الخشن من الثياب، ارتحل عن بلدة كوكبان وجابَ البلاد فرجع وقد صَدَق عليه قول القائل:

إنــا بعثنــاك تبغــي القــول عــن كَثَــبٍ   فجئــت بــالنجــم مصفــوداً مــن الأُفُــقِ

ورد صنعاء فلاقَى بها الأكابر، وأخذ عن هاشم بن يحيى الشامي في المعاني والبيان والبدر التمام، وعن البدر المنيرِ محمد بن إسماعيل الأمير، وعن أحمد بن حسين الهَبَل، ثم ارتحل إلى ذمار مَحطّ علماء فروع الزيدية، فقرأ بها على حَسن الشبيبي عام ثمانيه وخمسين، وعلىٰ حسين بن عبد الله دَلامَه في مساحة الخالدي، ثم

---

(١) نيل الوطر (٢/ ٤٤)، البدر الطالع (١/ ٣٦٠).

راح عنها إلى الكِبْس فلاقى بها يحيى بن أحمد الكبسي فأخذ عنه وصايا الخالدي عام تسع وخمسين، ثم انتقل عنها إلى السودة، شهر محرم سنة إحدى عشر مائة وستين، ثم منها إلى شهاره ثم سار إلى ذِيْبِين فلاقى بها عبد الله بن علي حنش فأخذ عنه وعن أحمد سلامه في فروع الزيدية وشيء مِّن أصول الدين، وحقق وراح من ذِيْبِين بعد أن قعد بها أياماً يراجع علماء الفروع إلى ذي جِبْلَه، فأخذ في فروع الشافعية.

[كرامه للشظبي المتصوف]

وفيها: وتحوَّل عنها إلى تعز فلاقى بها شيخ أهل التصوف السيد الهاشمي يحيى الشظبي، وأخبر عنه بماجريات طويلة، وقال: رايته إن خرج لم يبق رجل ماضٍ غريب إلا قصده للسلام عليه والمصافحة، فلما أردت الذهاب عن محله قام ليشيعني فخشيت القطيعة بخروجه فقال: لا سبيل إلى البقاء، ولا بد لي من التشييع، قال: فخرجت فلم أر أحداً قصده، وكان الرجل يأتيني ليسلم عليّ، فلا يلتفت إليه، وعرفت جماعة بالإشارة إليه، فكأنهم لم يعرفوه فما رأيت عجباً أكثر من هذا، إذ لا سبيل إلى الإعراض عنه والتغاضي عن التبرك بملامسَته، وسيأتي في أثناء الترجمة ما حصل له من الأحوال مع الشظبي، مما يتعجب الإنسان منه ويتحير، ثم سار إلى زبيد فلاقى بها الاعلام، وأخذ عن الشيخ عبد الخالق بن أبي بكر المزجاجي، ومحمد بن علاء الدين المزجاجي وعبد الله شريف الهاشمي وإسماعيل بازي وأخذ عنهم واستجازهم، فأجازوه ما عدَى الشيخ عبد الخالق فإنه أجازَهُ بمكة، وسَار إلى مكة فهاجر بها زمناً طويلاً وسار عنها إلى المدينة المنورة فهاجر بها وقال متأسفاً على أيام إقامته بها:

سُنون مضت لي بالمقام وطيبة ... كعيش جنان الخلد في أرفع الخفض
فمن جرَّهُ فَضل إليها ومنَّة ... غدىَ نصب عينيه ارتفاع بلا خفض

ولاقى الأكابر بتلك المشاعر أخذ بالمدينة عن محمد بن الطيب الإمام اللغوي المُحدِّث سند الوقت المغربي واستجازهُ، وأخذ بها عن الشيخ محمد حيوة السندي واستجازَهُ، وأخذ عن الشيخ عطاء الأزهري المصري وعن الشيخ يحيى بن صالح الحباب وعن أبي الحسن السندي، ولاقى بمكة المسند عبد الخالق بن أبي بكر المزجاجي الزبيدي قال: وما رأيته تكلم بمباح. وعاد من سفرته تلك إلى صنعاء بمال واسع، فأقام بها ثم عاد إلى مكة ثانياً فأقام بها وتفرقت بها الأموال ودارت بها الأحوال ولزمته الديون فعاد إلى صنعاء وحط رحله بها وذلك عام أحد وستين ومائة وألف. فقرأ بها على شيخ الشيوخ محمد بن إسماعيل الأمير وأسمع عنه مؤلفاته جميعها وتكلم الناس في شأنه وقالوا وقالوا وكان يحدث عنه الوافد أيام مهاجرته بمكة بحسن العشرة والمروءة، وانه كان يخرج المال إلى ابن السبيل المنقطع، وكان رحمه الله تعالى لين

العريكة مع لطف طبع أرق من النسيم وإطراح للأعراف وحسن أخلاق وشفقة على الضعفاء والمساكين واصلاً لمن أعوز من المحتاجين، ذا وجَاهةٍ عند الملوك والأكابر ومع هذا لا يدع النصح والمعاونة والصدع بالحق والترغيب إلى الخير، ولما استقر تلك الأيام بصنعاء خرج أبو السعادات رجل من مصر يطالبه بدينٍ له وأنهَى الأمر إلى المهدي العباس فأدرك تضييقاً وشمّ رائحة التبعة وكان يظن أن الإمامَ لا يصغي إلى الدعوى وإن أصغى قضَى ذلك عنه من بيت مال المسلمين، فلم يفعل فسار عن صنعاء إلى جبل بَرَطْ فنزل بكبيرٍ من آل عفراء فأجلّه، وسار أبو السعادات عن صنعاء بعد الإياس، وما زال عبد القادر يكاتب القبائل بالرسائل، ثم بدا له المناواة والمصاولة له، فكتب إلى المهدي العباس قصيدةً حماسية أرعد بها وأبرق يذكر فيها قرب نيل الآمال والظفر بما تريده الإمارة. فقال:

إنّ نَسـل الجـديـل قـد مَـلأ الأرْ	ض كـذا نَسْـل شـدقـمٍ فـي العيْـس
فعـلامَ البقـاءُ والظلـم قـد عـمّ	جميـع الـدُنـا بـلا تلبيـسِ
ثكلتنـي أمّ الفضـائـل إن لـم	أنصـر الحـق بـالكمـاةِ الشـوسِ
اجعـل السبـع بـالقتـام ثمـانـاً	وأزيـد الأرضيـن أرض رؤوس
بشعـوبٍ تفنـى شعـوبـاً إلـى أن	يصحبـوا مثـل طسْـمٍ وجَـدِيْـسِ
فكـأنـي بـالـروس قـد آن أن تحصـد إذ أيْنَعـت بيـومٍ وطيـس	
يـوم حـربٍ ينسـى لـه كـل يـوم	مثـل يـومَـي حليمـةٍ والبسُـوسِ
فهـي عـادات طـارفـي وتليـدي	وجـدودي سـادات كـلَ رئيـس
النبـي والـوصـي وسبطيهمـا والـ	حمـزة والعبـاس مجلـي البـوس
وبنيهـم أسْـد الـوغـى مَـن كفتهـم	سمـرهـم عـن عـرينهـم والخيـس
المقيمـي قنـاه ديـن رسـول الله	بـالكسـرِ للقنـا فـي الـرؤس
بصفـاح الصفـاح ينـزاح عنهـا	ظلـمُ الظُّلـم لا بحيـس الحَيـس

فأقامت المهدي العباس هذه الأبيات وأقعدته وأمر بعض الكتاب من أهل الآداب بتحرير جواب، فبرز من الهذيان إلى الديوان ما استضعفه كل إنسان له معرفة بالبيان، ثم جنح إلى المسالمة وفرض له في بيت مال المسلمين أربعين قرشاً فرانصه كل شهر، ثم عاد إلى كوكبان مجلّلاً معظماً، وما زال يتنقّل ودخل عام دعوة المنصور بالله علي بن المهدي العباس مسلماً للبيعة ثم عاد إلى كوكبان فبقي بها إلى عام سبع وتسعين وسار عن كوكبان ونزل إلى وادي ظَهْر لامورٍ جرت بينه وبين العباس بن إبراهيم تكدر لها خاطره، وطلب من الإمام الإذن بالدخول والاستقرار بحضرته، وسعَى في شأنه حاكم الديوان يحيى بن صالح السحولي رحمه الله تعالى، ولما استقر رفع الإمام شأنه ورأى له

مكانَهُ، وأنزله بدار الفَرج ببير العزب وأنعم عليه فتصدَّر للتدريس، وتوسع للجليس، وقصده الأعيان فتخرجوا به، وأراهم طريق الاجتهاد، وسهّل لهُمْ السلوك في ذلك الناد، فكانت له عليهم الأيادي التي لا تُجْحَد. وما زالت الأعلام من أهل المعارف تحوم حول حماه، وتسترفد من فوائده.

وكان رحمه الله تعالى محبباً إلى كبير وصغير، ورفيع ووضيع، مائدته لمن ورد عليه مبسوطه، لا يحتجب عن قاصديه في أكثر أحواله، ما رأيت من أهل البلدة أحداً يذكر إلا وقال ما رأيت لي صديقاً سواه. وقد مدحه شاعر الوقت أحمد بن الحسين الزهيري قبل أن ينزل بصنعاء بما يعرف الإنسان له الفضل، ويعرف له عدم المثل قال:

وقائل قال لي صنعاء لساكنها	أمٌ ومثلك لا يخفيه مُمَجِّده
فقلت ما لي وصنعاء كيف أسكنها	لراحةٍ وحبيب القلب أفقده
لا عَبْد قادرها المفضال حلَّ بها	ولا لَهُ مَثَلٌ فيها فأقصده
بل لا يحل سوى حيث العُلا سُكِنَتْ	لأنَّهُ بيد العلياء مِقْوَدُهُ
لا فخَر في بلدٍ إن لم يحل بها	إلا إذا هو فيها كان مولده

ومن العجب أن مولده كان بصنعاء. وقد أخذ عنهُ في المعارف عدة كالبدر الشوكاني، وقاسم بن يحيى الخولاني، والحسن بن يحيى الديلمي، والصارم إبراهيم بن محمد بن يحيى، وإبراهيم بن عبد الله الحوثي، ومحمد بن محمد البنوس، وحسين بن أحمد السياغي، وعلي بن عبد الله بن الجلال، والحسن بن علي حنش الوزير، وأخذ عنه أحمد بن محمد بن حسين متولي الديار الكوكبانية، وأخوه عيسى بن محمد، وحضر مؤلف الكتاب غفر الله تعالى له درسه الحَفل، وأخذ عنه خلقٌ لا يحصون، ولما جرَى بموقفه ذكر أهل التصوف سُئِل عن يحيى الشظَبِي الهاشمي، وأن البدر المنير محمد بن إسماعيل الأمير كان يوهن جانبه ويرميه بالدّاء العُضال، وأن النساء الأجانب كُنَّ يدخلن عليه. فقال: أعجب من هذا أني وردت إلى مدينة تعز وأردت الدخول عليه، فقيل لي: لا يدخلك عليه إلا فلان المكّاس فعجبت من ذلك، ثم مضت إلى المكاس على كره فدخل عليه فأخبره بمحلي ثم خرج وقال ارجع فلن تدخل عليه إلا بعد مضي ثلاث، فلما مضيت الثلاث جاءني المكاس، فأدخلني عليه في جماعةٍ آخرين، فتأملت بيته فوجدته خالياً عن الزينة والتجصيص ورأيت تقدماً من بعض الداخلين وتأخراً، فسألتهم فقالوا: لِمَا نجد من المَهابةِ، قال شيخنا: ولم أجد شيئاً مما ذكروا فلما صافحته أدناني منه وأجلسني إلى جانبه، ودار بيننا الحديث فلما حان وقت الصلاة أردتُ القيام إليها فضمّني إليه ووضع يده على صدري وقرأ ﴿الله نور السماواتِ والأرض﴾ الآية على صدري فوجدت منها في الصلاة خشوعاً وخضوعاً وحضوراً ما

عهدته قبل ذلك، غير أنه زال ذلك الحال في أول تلك الليلة.

وقد ذكرنا أنه لما أراد الرحيل عن تعز شيّعَهُ، وأن الشظَبي خفِي على أعين الناس مع شدة الظهور. قال: ولمّا سألته التلقين لشيء من محفوظ القوم لقنني فاتحة الكتاب، وأنا في وسوسة من أمر القوم فلما بلغ غير المغضوب عليهم. قال لي: غيري المغضوب عليهم، وأثبت ياءً تحتانية مثناة بعد الراء المهملة، فاستنكرت ذلك لعدم صحة المعنى، ولأنها لم تسمع قراءة فيها كذلك، فوضع يده على صدري وقال: قل غيري المغضوب عليهم، فقلتها. فلم أجد شيئاً من تلك الوسوسة وانشرح صدري. قال: ولما أردت الرجوع، قال لي: أبلغ المهدي وأحمد النهمي عني السلام وأعلمهم أن ما صدر من ظلم العباد في البلاد فكل ذلك كان مني وبسببي فاستنكره شيخنا وأدرك مَيَلان قلبه عنه واستصغر قدره ولما حدّث شيخنا بهذا الحديث الحسن بن زيد الشامي الهاشمي، قال: لعله عرف أن له عندك قدراً فأزاله إليه بهذه المقالة.

قلت: وقد بَعث الإمام المهدي العباس إلى المترجَم له إلى بلاد الشرف في فتنة أبو عَلاَمه[1] فوصل يتخلل أحواله، ويتتبع مقاصده، وسياسته تامّة، وعاد حضرة المهدي فأبان ما هو عليه من التدليس والتمويه والإلباس والشعبذة، فسكن لذلك خاطر المهدي العباس.

وله رحمه الله ماجريات وأخبار ومعارف كثيرة، وكان له يد في الطب قوية ومعرفة بالنحو والصرف واللغة والمعاني والبيان والبديع وأصول الفقه وأصول الدين والمنطق وعلم الرياضي والطبيعي والإلهي والعروض والمعمّى وعلم الحرف والأوفاق والفلك والحساب والمناظرة وغيرها. وله شعر رائق فائق، فمما أملاه مكذباً للمعتزلة في الحال وللأشاعرة في الكسب وللنظام في طفرته:

مما يقال ولا حقيقة عندهُ ... تدنو إلى الأحلام والأفهام
الحال عند البهشمي والكسب عند ... الأشعريّ وطفرة النَظّام

ومن مستجاد شعره ما كتبه إلى أوحد دهره البدر المنير محمد بن إسماعيل الأمير، في خمس شوال، منثور متعلق ملحة الغفار وفيه هذا:

فهو بدرٌ شأنه التمُّ إذا ... شان بدر التم يوماً كلفُ
منصف ما زال في أقواله ... فهو بدر كل حين منصفُ

---

(١) أبي علامة: هو إبراهيم بن علي بن حسن المحطوري من ذرية الإمام القاسم العياني. انظر عنه كتاب المقتطف من تاريخ اليمن ص (٢٤٢).

لو رآه مالك رقّ لذي — حَسَدٍ للبدر لا يعترف
أو رآه ابن معين لم يَكُن — من معينٍ غيره يغترف
إن أكن حلّقت في مدحي لَهُ — فلقد قصرتُ فيما أصفُ
ودليلي أنه ألّفَ ما — لو رآهُ العُلَما ما ألّفوا
تستعير البيض ماضي عزمِه — ونوار الروض ذِكرا يَعرِفُ
جُردَت هذي لأعداهُ وذي — من نداه وشّحتها الصّدُفُ
هاك من نظمي ما شمس الضُحَى — عند أدنى نورِه تنكسِفُ

ومن شعره ما كتبه أيضاً إلى شيخه البدر محمد بن إسماعيل الأمير، لما عزَم على المسير من صنعاء وقصد بلدته كوكبان يتأسف على الفراق، ويشهد بسبق البدر الذي لا يعتريه محاق، وذلك عام اثنين وثمانين ومائة وألف وهو العام الذي مات فيه البدر المنير بلّ الله تعالى بوابل الرحمة ثراه. فقال رحمه الله المتعال ورضي عنه:

لو تراني يوم الرحيل ودمعي — في خدودي يسيل سيل الوادي
فترى وابلاً وبرقاً ورعداً — من جفوني وزفرتي وفؤادي
قُتِل البينُ كم أبان من الأتراح — بعد الأفراح في كل نادي
والليالي تكدر الصفو والإحسان من عهد آدم وايادي
صفوها دائماً مشوب بأكدارٍ — لدى ذي نباهةٍ وانتقادِ
ليس يخفى إلاّ علىٰ جاهلٍ — أحقر مِن أن تقيسه بجمادِ
يرمق الشمس من فم البدر أو منٍ — كأسه فهو في الهوى غير صادي
وبقاني المدام يصبغ ثوب الليل فجراً إذ كان ثوب حِدَادِ
كيف يبدي فجراً مع الشعر لولا — صبغهُ بالمدام كالفرصادِ
أو كأنّ الصباح غار فأمّ الليل إذ كان ساتراً للعبادِ
فنعاه الحِمَام إذ لاح في الشرق — دَمٌ للحِمَام منهُ بَادِ
بل تجلّى الصباح إذ لاح نُورَ — لإمام الأعلام والأمجادِ
من أحالت علومه ظُلَم البد — عة في العالمين صُبحَ رشَادِ
لا عجيبٌ أن يقلب العين من تُجْـ — ـلىٰ به عَين مهجةٍ وسَوادِ
كل حرفٍ من علمِهِ فهو أكسِيرُ — ضلالاتِ ذي الهوَى والعنادِ
وكأن الذي يفوهُ بِهِ رُوْح — علومِ التحقيق والاجتهادِ
لو رآه يحيى لقال بهِ يَحيىَ — صحيح الحديث والإسنادِ
وكذا أحمدٌ يقول أنا أحمدُ آثارَهُ لدَى النقّادِ
وبه كل عالمٍ قد رأينا — في قديم الاعصار والآبادِ

قد أتى بعدهم فذلك لا يُفْقَد منهم فرداً لدى التَّعدادِ
أن تقضّى محمدٌ نجل اسما عيل راوي الصحيح للإرشادِ
فكفانا محمدٌ نجل اسما عيل عن كلّ عالم نَقّادِ
مَن إذا قال خاطباً أو خطاباً في خطوبٍ أبصرت قُسّ إيادِ
لست أدري أن قال شِعراً أدرٌ من خضّمٍ أم الدراري بوادي

وأجابه البدر بسحر بيانه، الكاحل لعيون المعاني بأثمد إحسانه، وأثبتنا الجواب هنا لأنا سمعنا رجلاً من آل لقمان يتحدث عن شعر البدر وينسبه إلى الركَّةَ في مجلس شيخنا عز المعالي محمد بن علي الشوكاني، وهو لا ينتصر لَهُ مع إني سمعته يسأله: أي شعره أجود؟ فأجاب ابن لقمانٍ عليه بفهاهه ليس إلا قوله:

إنما الماس خاتمٌ في يد الملك وسيف عند التحام القتال

فليعرف الإنسان كمال البدر التمام مع الإنصاف فقال مع التنويه بقدر تلميذه عبد القادر(١):

ما رحلتم عن مقلتي وسَوَادي بل نزلتم في مهجتي وفؤادي
أنت عندي في كل حينٍ مقيمٌ عند اصدار القول والإيرادِ
وجليسي إن كنت بين أناسي ثم أولى في حالة الإنفرادِ
فعجيب ذكر الوداع ودمْع العين منكم يسيل سيل الوادي
كم بعيدٍ هو القريب لقلبي وقريب في غاية الابتعادِ
ليس قرب الاجسام عندي قربٌ إنما القرب في صميم الفؤادِ
لست أشكو بعادٍ من غاب عني فهو عندي في روضةٍ من ودادِ
مثل تلميذنا العزيز أبي إبراهيم في الآباء والأجدادِ
نور عين الذكاء ونادرة الدهر ومن نار ذهنه في اتقادِ
لو تقدم زمانه عضد الدين لكانت له عليه الأيادي
أو تقدم على الشريف وسعد الد ين كانوا له من القُصّادِ
لينالوا منه الذي لم ينالوا من علومٍ جلَّت عن التعدادِ
قد أتانا نظامك العذب ليس يشكو من تناءٍ عن قربنا وبعادِ
نحن نشكو مثل الذي أنت تشكوه وكنا نراك في كل نادي
غير أن العينين تطلب حقا صادقاً ثابتاً من الميلاد

(١) هي من آخر شِعر العلامة محمد بن إسماعيل الأمير، فإنه مات بالسنة التي قالها فيها وهي سنة (١١٨٢هـ).

أن تــرَى مَــن تحبــه ولهــذا قـال مـوسـى الكليـم هـذا مـرادي
وإذا لـم تـرَ الـذي هـي تهـوى قنعـت مـن وصـالـه بـالتنـادِ
ببيـاض يـأتـي بـأخبـار حـبٍ تـرجمتهـا عنـه لسـان المـداد
مثلمـا تـرجمـت رقـوم أتتنـا كخضـابٍ فـي وجنـةٍ لسعـادِ
افهمتنـا كـل المـراد وراقـت دمـت فـي نعمـةٍ بنيـل المـراد
وعليـك السـلام منـى يتـرَى لا إلـى غـايـةٍ لـه بـالنفـاد

وقد دار بين الأدباء ما جزم تقدّم في قوله. لو تقدّم. وكان الإجماع منهم على أنه خرج مخرج الجزم. إجراءً للوصل مجرى الوقف كما في قوله: (وما يشعركم). وقوله:

فـأن تغفـر فـأنـت لـذاك أهـلٌ وأن تمنـع فمـن يـرحـم سُـوَاكـا

إجراءً للوصل مجرى الوقف. وكان المترجَم له مشتغلاً أكثر أوقاته بالافتاء والاقراء والتصدّر للوارد والصادر، مشغول عن التأليف، مُضيّعةٌ عليه ساعات التصنيف. وقد كتب انظاراً جيدة على كتبٍ متعددة، واعترض الأكابر وزاحمهم في المعارف، وله حاشيةٌ على (ضوء النهار) كتبها بخطه حال القرائة عليه تدل على نظرٍ جيدٍ، وله (أحكام العِقد الوسيم في أحكام الجار والمجرور وما لكل منهما من التقسيم). وله من المؤلفات (فلك القاموس لمن أراد معرفة القاموس). وله جوابات كثيرة تدخل في مجلد، ورأيت صاحب الحدائق نقل عنهُ فيها جواباً في الفرق بين الجنس واسم الجنس؛ قال فيه ما حاصله: الجنسية من أحوال المعاني والاسمية، أي قولهم اسم الجنس من أحوال الألفاظ فالجنس هو المفهوم الكلي كمفهوم الإنسان. وأما إسم الجنس فهو اللفظ الدال على المفهوم الكلي كلفظ الإنسان فهو اسم اللفظ، فالمناطقة يتكلمون أولاً وبالذات على المعاني فقالوا: الجنس واللغطيُّون يتكلمون أولاً وبالذات على الألفاظ فيقولون: اسم الجنس، وإذا قال الجوهري الجنس الضرب، من الشيء ولم يقل إسم الضرب وَالمناطقة يقولون الكلي المفهوم الحاصل. والجزئي المفهوم الحاصل. وأطال الكلام في الجواب وهو مما يدل على قوة الساعد في تلك المعارف، وقد وعدنا بإيراد ما كتبه إلى أديبي الوقت محمد بن هاشم وسعيد بن علي القرواني، وأثبتنا قصيدة كل واحدة منهما في ترجمته وهي:

زمـان تـولّـى لـم يشـتّ بـه شمـلُ تـولّـى علينـا بعـده البعـد والمطـلُ
ولمـا أطـال البيـن خـوف رقيبنـا وضـاق جميـل الصبـر واتسـع الجهـلُ
نصبنـا خيـام الليـل جـزم بمـوعـدٍ على خفض عيشٍ حيث لا يرفع العذلُ
وأغنـى عـن المصبـاح والليـل حـالـكٌ صبـاح حنيـن مـا الصبـاح لـه مثـلُ
ونـارٌ أضـاءت فـي الخـدود وحـرهـا علـى قلبُـه ان كـان أو لـم يكـن وصـلُ

وعنق غزال تحت وجه غزالةٍ ... عليه دجاً والضِدّ مع ضده يَحْلُ
وخمرتنا كانت رضاب محجبٍ ... إلى آخر الدنيا بها ارتحل العقلُ
لعمرك ما أدري وقد ماسَ قدها ... وغنَّت فلا همٌ أقام ولا عقْلُ
أمن لؤلؤِ الأنغام دُر قوامها ... أم العكس من عقدِهَا خُلِقَ الكلُ
ومذ كلمتني كلمتني ولم أكن ... سمعت بأن الدرَّ من لفظها نَبْلُ
وما شَتَّ شملينا غرابٌ لم يكن ... يُشَتَّ بغير الصبح في ليلهِ شَمْلُ
ورُحنا بغايات المنَى غَيْر أنها ... مَضَت فكأنا لم يكن بيننا وَصْلُ
وولّت بوعدٍ تنقضِي ثمراتُهُ ... كذا كل مخلوقٍ حقيقتهُ ظِلُّ
فلم يبق إلا ما يقدمه امرؤٌ ... وفعل جَميل لا جَميل ولا جُمْلُ
كأفعال مَن حازُوا الجمال بأسرهِ ... وجازوا عليًّ أمر المديْر وما يعلو
سَعِيدٌ وإبراهيم ثم محمدٌ ... وما جاء بعدُ ذِكره فهو من قبلُ
كمنطقه الأفلاك لم تلق تالياً ... بها لم يكن في كل حالاته مَتلو
همُ القوم ان أصابوا وان دُعُوا ... أجابوا وان أعطوا فنائلهم جزل
ويا طالَمَا قد كان ظل بيوتهم ... لطالب علمٍ من هجير الضُحى ظِلُ
ولا فَضْلَ لي في نظم بعض صفاتهم ... ولكن لهم في جمعها يكن الفضلُ
إذا ضمَّت الدنيا فتًى كان رَيّه ... بتأميلهم لا بالملوك وان جَلّوْا
وعَيْش الفتى عِزٌ إذا كان عندهم ... وارغد عيشٍ لم يكن عندهم ذلُّ
عَسَى أنَّ أَجْوَازَ الموامي أجوزها ... إليهم ولا حزن يصد ولا سَهْلُ
أجوز إليهم جوزيهما حَدَى بها ... لعيسي عريف النازلين بها قبلُ
على كل مَنْ قال يُخيْلها السُرىَ ... خيالاً هوى لما تحوّنَها النّحلُ
تقوم علىٰ بحرٍ من الإلّ في الضُحَى ... ويشتد مسراها إذا رَكْبها كلّوا
وليس دليلي في السَرى غير خبرتي ... وقلب الذي من مطلب العزّ لم يألوا
تبلغني حيث المجرة وردها ... وحيث أزاهير النجوم لها أكلُ
مقام به أعلام علمٍ وحكمةٍ ... وفيه التُقى والجود والحلم والفضل
يكبِّر حُسَّادي صُعودي سماءَه ... وينزاح عن قدري التجاهل والجهل

وكان المترجَم له رحمه الله تعالى، إذا كتب الكتاب جاء بالعجب العجاب، وما عسَى ينقل من فصوله التي هي فصُول عقود البلاغة. غير أنا لا نسمح بترك ما كتبه عام أربع ومائتين وألف إلى علي بن محمد بن علي صاحب الدار المرجله بكوكبان، يصف له خروجه إلى منتزه حده في جماعةٍ من أعيان الأعيان، قد انضم في مسلكهم بعض

أذكياء الصبيان، كتب الكتاب شارحاً لحاله ومبيناً لعلو مقامه في مقالةٍ فقال:

الحمد الله سيدي ومولاي المالك أزمة ولاي، طراز العترة، وفخر أشرف أسرة، علامة اليمن والشام، علي بن محمد بن الإمام، أبقاه الله تعالى لإحياء العلوم، على مرور الأيام، وعمّ بمجده ما اندرسَ من مجد الكرام، وعليه أشرف السلام، ما أقام سمام، ورحمة الله وبركاته على الدوام.

وبعد حمد الله وصلى الله على سيدنا محمد سيد الأنام، وعلى آله الهُداة الاعلام، وصحبه البررة الكرام، والله يحفظ عزّ سيدي المولى الإمام، ويقيه طوارق الأيام. فإن صدور السطور، عن شوق شديد. وساق رحمه الله تعالى كلاماً حتى قال: وفي هذه الأيام خرج والدكم، وبعض البيوت، إلى حدة، وكنت قبل الخروج نظرت في خبر المبتدي، للشيخ عمر البكري، المعروف بابن الوردي، وهو قدر كراسة ترجم فيه لنفسه، قال هذه نبذة ذكرت فيها أوائل حالي، ومبادىء اشتغالي. إلى أن قال: ثم اسلمني الوالد إلى الكُتَّاب فنظمت لما دخلتُه، وهو أول شعر قلته:

يا مَن تفرد بالقِدَم ... يا ربَ مكة والحرم
بمحمدٍ وبآله ... علّم عُبَيْدك بالقلم

فشتمني المعلّم يوماً فكتبتُ في لوحي وأنا مقابله:

يا ليت مَن أدّبني ... يلزم حُسنَ الأدب
ويسلك التمثيل لي ... ويترك التمثيل بي

وكان معلمنا بمعرّة النعمان يُدعَى الشهاب ابن كثير. وكان معلم هنالك اسمه خميس يحسده فقلتُ:

ابن خميسٍ عاصِم ... ونافع أهلَ البلد
ولو عدلتُ يا خميس ... اثنين ما كنت أحد

[عجيبه في طفل]

وساق هذه الرسالة على هذا النمط إلى آخرها، واستبعدتها باعتبار الممكن الغادي لكن قرَّبها إلى ما ذكره ابن الصلاح في رسالته وغيره أسنده إلى الجوهري قال: دخلت عند المأمون فوجدتُ عنده صبياً في أربع سنين قد حَفِظ القرآن وشارك في الرأي، ولا فرق بينه وبين الأطفال إلا أنه إذا جاع بكى. وما زال ذلك يَدُور في خلدي فذكرت انه حدثني الفقيه شمس الإسلام أحمد بن الحسن الزهيري، انه نظم قصيدته الرائية أو أكثرها أو بعضها وهي في المكتب الشك مني وهي:

وعـدت بـوصـلٍ عَمِيْـدَهـا بِشْـرُ صَـدَقْـتَ ومـا كَـذَب المنـا صَبْـرُ

وهي من غُرر شعره ان لم تكن غُرّتُهُ، فلما وصلت حدة في جماعةٍ من العلماء، الذين إذا أغربت السماء نُجُماً طلعوا أَنْجُما بدراري علومهم وبعين آدابهم، جلّت الآذان، وحلّت ولا عيب في تلك الأوقات إلا أنها مرت فمرّت.

[ذِكر لمحسن إسحاق]

وحضر فيهم صبي لم يُجاوز سنه اثنتي عشرة سنة. قد حفظ بالغيب ثلث القرآن وبعض المتون، وتلوح عليه شمائل سمت حسنه، وهو الولد محسن بن عبد الكريم بن أحمد بن محمد بن إسحاق بن المهدي أنشدني من شعره:

بِـروحي مَـنْ وافَـى على حيـن غفلـةٍ فيـامـا أُحَيْـلاَ وصلـه ثـم مـا أَلَـذ
أَخَـذ قلـب مُضْنَـاهُ وأَعْطَـاه قُبْلَـةً فللـه مـا أعطـى ولله مـا أخـذ

نقله من التَّعزِية إلى التعجب أحسن نقل وقد نظمه في التعزية جَدُّه.

قضـى الله فـي ريحـانَـةِ القلـب أمَـرهُ ومـن ذا يَـردُّ الأمـر مِـن بَعـدِ مـا نفَـذ
فلا تجزعي يا نفس واستشعري الرِّضا فللَّـه مـا أعطـى وللـه مـا أخـذ

وأنشدني له:

لا تصـــدق قـــولـــه زورٌ وَظُلْـــمُ
لا تـظُنُّـــونـــي عـــدواً ان بعـــض الظـــن اثـــم

وهو يكتم شعره عن والده وعمن يستحيي منه، فأعطيته قرطاساً ودواة وطلبت أن يكتب من شعره ما رآه، ونحن تحت أشجار مُغدقه على أنها متسقة، فقام إلى جانب الحلقه وكتب:

يـا إمـام العلـوم عقـلاً ونقـلاً وإمـام الأصـول ثـم الفـروع
اعـذروني عـن كتـب شعـري فـإنـي مـن حيـاءٍ غـدوت أي مـروع

وكان المترجم له قد قعد للوعظ، في أخريات أيامه بالجامع المقدس بصنعاء. فمما سمع من ذكره للإنسان بالنسيان، أن نبي الله سليمان سأل نملة عن أكلها في العام فقالت: آكل ثلاث حباتٍ. فأخذها وثلاث حبات وأودعها في سجنه، حتى إذا مضى العام فقدها فإذا هي قد أكلت حبة ونصف حبة فقال: كيف هذا؟ فقالت لمّا سجنتني خشيت أن تنساني فأخرت قوت عام آخر.

[مطهر بن إسماعيل بن يحيى بن الحسن بن القاسم]

وفيها: شهر رمضان، مطهر بن إسماعيل بن يحيى بن الحسين بن المنصور بالله القاسم بن محمد[1] نشأ بصنعاء. وقرأ بفروع الزيدية وحصّل من العلم شطراً ثم خلع عن عنقه ربقة التقليد ورغب في العمل بالسُنّة. مولده سنة اثنتين وثلاثين ومائة وألف، أسمع صحيح البخاري على يوسف بن الحسين زَبَاره، وأخذ عن المُحدِّث حامد بن حسن شاكر فأسمع عليه «الجامع الصحيح» وأخذ عنه في الأصول الفقهية وغيرها من الآلات؛ وتخرج بالإمام المحدث الهاشمي عبد الله بن لطف الباري الكبسي وحضر قراءته لمسلم مع مرافقه المهدي العباس أيام والده المنصور. ورافقهم في قراءتهم مسلم القاضي العماد يحيى بن صالح السحولي. ثم رغب في الخمول واستفرغ وسعه في مطالعة الأسفار وعمل بمقتضى الدليل فرماه الجَهله بالنصب. ورأى ما أجمعوا عليه من سوء الجهالة فكتب مبكّتاً لهم ومشيراً بالجهل إليهم كلاماً طويلاً يقول فيه:

كذبوا فإن أبي ووا	لدَهُ هم القوم الأطايب
من نسل حيدرة الرضا	أحبب بهم شرفاً يغالب

وكان رحمه الله تعالى منسلخاً عن الناس؛ تبدو له الخصومة فيقوم لها، وكانت له أموال واسعة تقيه ذل السؤال وتُجَرِّيْه على مخاصمة الأبطال، مع شهامة وشجاعة ونفس أبية، وخاصم يوماً في الديوان جماعةً من آل الإمام ولما قعد بين يدي الحكام بكته أكثرهم فسكت منصتاً حتى سكتوا وما زال يعدد مثالبهم واحداً بعد واحد ويُظهِر سقطاتهم ويكشف عوراتهم حتى بلغ إلى الحاكم قاسم بن يحيى الأمير الشهاري الهاشمي وكان فيه دعابة وخلاعَة ومحبة لمواقف الانس فخشي أن يفضحه بشيء فقام وقال: والله إن تكلمت فيّ بشيء لا ضَرَبْتُك إلا بالجنبيه أو نختلف ضربتين فنقع على الموت معاً. وبلغ أمره إلى المهدي العباس فأودعه السجن فكتب إليه يستعطفه ويسأله أطلاقه من سجنه:

لم يبق للإنسان بعد وفاتِهِ	إلا مساعي البر في مَرْضَاتِه
فاصبر علىٰ غصص الزمان فربّما	حالٌ بلغت يقيك من آفاتِه
فالسجن أسهر مقلتي حتى أرى	ما أطلقته العَين من رشقاتِه
أبلغ أمير المؤمنين إمامنا	لا زال خدن النصر في أوقاتِه
اني حليف المدح مِن أمنَانِه	لا أستطيع الدهر وصف صفاته

(١) نيل الوطر (٢/ ٣٥٦)، أعلام المؤلفين الزيدية (١٠٣٠)، معجم المؤلفين (١٢/ ٢٩٤)، الأعلام (٧/ ٢٥٣)، مصادر الفكر الإسلامي في اليمن (٥٠٢).

فاصفح فإن العفو أحسن قربةٍ والعفو في التنزيل من آياته

فأطلقه. وكان له ولِع بذكر مناقب القرابة والصحابة؛ وكان في طبعه قلق وحدّة، يكتب الشيء فيدخل في غضُونه ما ليس منه لرابطةٍ تحصل له فيسترسل. وأشعاره كثيرة إلا أنه لم يهذب منه سوى الأقل، وفي شعره سلاسة وانسجام، فمن ما استجودتهُ قوله متغزلاً:

لا تمل يا غُصنُ عني لحظةً والحظ المضني بِوَصْلٍ ولقا
لا تستر باللقاء عن وامقٍ واكشفَ الأستار لي والأَورُقا
لا تسارقني سهام اللحظ كم أتلفت قبلي عَمِيداً شيقاً
يا نحيل القد قد أنحلتني جسمك الأسمَى لجسمي مَحقَا

وكان رحمه الله تعالى لا يصبر عن الكتب والتأليف، وله في التاريخ (اليسير المعجّل والعقد المكلّل في نصائح الخلفاء والملوك ثم الأمثل فالأمثل) ولم أقف عليه خَلا أنه أخبرني عنه ولده رفيقنا العماد يحيى بن المطهر، وله (المناقب العليَّة في فضل أمير المؤمنين وعترته الزكيّة) سلك فيه مسلك المنصفين وضم إليه مالَهُ من القراءات والاجازات من الأئمة الاثبات. وله في الرد على جماعات من الجهال أسترسلوا معه في الفضائل ليلُوحُ لهم من نصبه مخائل، فقال من قصيدة طويلة:

وقد أصاب أبو بكرٍ بسطْوته وأهل بدر الهدى أهل السعاداتِ
إلا الطليق فأنتم في الورَى تبعٌ لَهُ فيا بئس أرباب الخطيئاتِ

وكتب إليه الأديب إسماعيل بن عبد الله بن لطف الباري:

لم يسمح الدهر بلقياكُمُ اشكو إلى مولاي منه البعاد
شوقاً إلى خلقٍ كَمرَّ الصَّبَا هبت على روض أَمَامَ العهاد
أخلاق مولانا حليف العُلَى غيث النَدى البَسّام عند الجلاد
ذو الفضل والتقوَى بلا مِريَةٍ مطهر من نسل خير العباد

فأجابه رحمه الله تعالى بقوله:

الدهر أنتم إن تريدوا اللِقاء فنار شوقي منكم في اتقادِ
فما الذي يمنعكم جِيرتي جاوزتموا حد الرضا بالبعادِ
فالوصل للأحباب متحتم مُحَبَّبٌ في شرع خير العبادِ
قُمْ يا أخي صح بالفرض اللقا كم لي أنادي معلناً بالودادِ

ومما حدثني عنه أبي قال: حدثني عبد الوهاب بن محمد سداد قال: اجتمعنا

بمطهر بن إسماعيل فأفادنا أن عبد الله بن جعفر بن أبـي طالب رضي الله عنهم ولد في الحبشة، وفي ذلك ولد للنجاشي مولود، وانه أرسل إلى جعفر فسأله: ما سميت ابنك؟ فقال جعفر: سميته عبد الله فسمَّى النجاشي ابنه عبد الله وان أسماء بنت عميش امرأة جعفر أرضعت ولد النجاشي مع ابنها.

وكان مطهر بن إسماعيل شديد العزيمة وله القضية المشهورة في خروج قبائل بكيل ووصولهم إلى ذهبان وقتلهم عبد الله بن حسين الكبسي الهاشمي رحمه الله تعالى؛ ووصله في ذلك كلام من لطف الباري بن أحمد الورد الخطيب بجامع صنعاء منكراً للمنكر فما زال مراقباً فرصة حتى بلغه خروج الطاغية الباغية من ذهبان فليس سلاحه، وخرج فلقي الجماعة من الجند، فحظّهم وحرضهم على الخروج معه غيرةً لله تعالى فوافقه نَفَر يسير وساروا معَهُ إلى غربـي (بير العَزَب). فنزل بهم علىٰ الماء بالماجل المعروف بطريق بلدة (عَصُر). فلما أشرف عليهم البغاة أسعر ومن معه حرباً، فعطفت عليهم الجنود البكيليه بأجمعها حتى وقعوا عليهم، وسلبوا المترجَم له سلاحه وثيابه وتركوه عرياناً، فعاد من حينه وخرج محسن محمد فايع الهاشمي متفقداً له لمّا بلغه، واستصحب معه ثياباً فاخرة فألقاها عليه، وكان قد ألقى عليه جماعات من الناس ثياباً كثيرة، ولمّا وصل إلى منزله بعث لكل واحدٍ ما ألقى عليه، وكتب إليه في تلك الواقعة بعض إخوانِه.

صانك الله يا ضياءَ المعالي عن سهام الردى وصرف الليالي
ووقاك الإله من كل سُوءٍ يا صدوق المقال والأفعال
قمت لله في الجهاد احتساباً فسبقت الجياد بالابطال

من قصيدة طويلة، وكان رحمه الله تعالى قد جمع من كتب الحديث والتفسير كل نفيس، وطريقته في الحديث طريقة آبائه.

وقد كان جده يحيى بن الحسين يُدْعَى بالسُّنِي، وجد والده الحسين بن القاسم صاحب (الغاية) كان من مشاهير العلماء والمحدثين وممن عُرف بالسبق في المجاهدين. وللمترجَم له رحمه الله تعالى متأسفاً على فُقد الشباب وراغباً إلى الله تعالى في المثاب.

إن لم يقِ نفسي الزكية شيبها عن عيبها فبأي تُرسٍ أَتَّقِي
فلقد أنار الصبح في غسق الدُجَى رأسي فأحداث الليالي التقي
ولقد بكيتُ وما بكيتُ على سِوى فقد الشباب لشيبيَ المتألِّقِ

واعتراه رحمه الله تعالى في أخريات أيامه الذهول والهوس.

[شيخنا الأستاذ علي بن إبراهيم عامر]

وفيها: يوم الأربعاء ٨ من شهر رمضان، علاّمة اليَمن وفخر أبناء الزمن شيخي الأستاذ إمام العلوم المجلي وربها السَّابقُ المُصلِي علي بن إبراهيم بن علي بن إبراهيم بن أحمد بن عامر بن علي[1] يلتقي مع الإمام القاسم بن علي، الهاشمي المجتهد، الحافظ الأخباري، المحدث الحُجّة، الأصولي اللغوي، الفقيه، الشاعر المفلق. مولده بـ (شهاره) عام تسع وثلاثين ومائة وألف. نشأ بها فحفظ القرآن عن ظهر قلب، وولع بحفظ الأشعار وأيام العرب، وطالع تواريخ الأمم السابقة، والكتب المتقدمة. وكان يقول: نجد أكثر الأقوال أن نوحاً عليه السلام قَبْل إدريس عليه السلام، لا كما يتوهمه أكثر الناس، والنقل مختلف عن الصحابة.

وكان يقول: صح لنا أن نوحاً عليه السلام لبث في قومه ألف سنةٍ إلا خمسين عاماً حتى كان آخر عمره وغرس شجرة حتى عظمت وعمل منها السفينة، وكان في مجلسٍ فحدثنا عن خالد بن سنان نبي الله تعالى وانه من بني عبس؛ وقال: لا أشك في أنه نبـي والحديث فيه صحيح.

يروى أن خالداً قال لقومه سأطفي عنكم نار الحدثان. فقال له عمارة ابن زياد: ما شأنك وشأن هذه النار تقول إنك تطفيها؟ فقال: قوموا بنا فأتوها وهي تخرج من شق جبل فخط لهم خطة أجلسهم فيها. وقال سأدخل فإن أبطأت عنكم فلا تدعوني بأسمي، فدخل الشق فأبطأ عليهم فقال ذلك الرجل: لو كان صاحبكم حياً خرج فندعوه، قالوا لا قد نهانا، فدعاه فخرج فقال: لِمَ دعوتموني. ثم أمرهم فدفنوه وقال لهم إذا مرَّ بكم حمار أبتر فانبشوني وستجدوني حياً. فمرّ بهم ذلك الحمار فقال الرجل لا تتحدث مصرانا ننبش موتانا فتركوه وقد كان أخبرهم أن في جسد امرأته لوحين إذا أشكل عليهم أمر نظروا فيهما ليجدوا مَخْرَجه. وقال لا تمسهما حائض فرجعوا إلى امرأته فسألوها وهي حائض، فاخرجتهما فذهب العَلَم الذي كان فيهما انتهى.

وحدثني أن زرقاء اليمامة المضروب بها المثل اسمها العلم اليمامه وبها سميت البلدة. ومما حدثني به أن وزيراً صالحاً قال له الملك: إن بيت مال المسلمين حقير فاضعف الخراج على الرعية، فقال سمعاً وطاعة فخرج الوزير فجمع رؤساء الرعية فقال ان الملك قد حط عنكم نصف الخراج فابتهلوا له بالدعاء، ورغبوا في حرث الأراضي التي أهملوها فحصل الملك من الخراج ما أمّلهُ منهم فلما كان العام القابل قال لوزيره اضعف على أولئك الخراج فقال سمعاً وطاعة وخرج فجمع رؤساء الرعية وقال أخبروا

(١) نيل الوطر (٢/١٠٧)، البدر الطالع (١/٤١٦)، هجر العلم (٢/١٠٩٦).

من وراءكم بأن الأمير أيده الله تعالى قد حط عنكم نصف الخراج فأخلصوا له الدعاء واجتهدوا في العمل وتوسعوا في المتاجر وزادوا في الحرث فحصل لهم من الخير الواسع ما لا يظن فتسلم منهم الحط فكان شيء لا يحصر فرفعه إلى الملك فشكره وهو لا يعلم باطن الأمر ثم أمره في العام الثالث والرابع ففعل إلا أنه قال له على رسلك فقد كان من الأمر كذا وكذا فشكر صنيعه وقال له كذلك فليكن التدبير.

ولنعُد إلى ذكر مبادىء طلب المترجَم له للمعارف وتنقله في الديار فنقول: قد كان يراجع كتب الحكماء وغيرها من كتب المعارف فيقعُ على غثها وسمينها بفهمٍ وذكاء وحافظه لا تبقي ولا تذر، مع طلاقه في اللسان وحلاوة في البيان. ثم ارتحل عنْ شهارة إلى حصن كوكبان فلاقَى به عيسى بن محمد بن حسينٍ فلزم درسه وأخذ عنه في الآلة وكان يتعجب من حفظه. ثم ارتحل إلى صنعاء ولاقَى بها أحمد بن صالح بن أبي الرجال الأخباري اللغوي فأخذ عنه في العربية وحقق واتصل بالعلامة أحمد بن محمد بن إسحاق بن المهدي فرفع منزلته وأدناه منه وأخذ عنه في الأصولين فقرّت به منه العين، وأخذ عن الحافظ حامد بن حسن شاكر واسمع عليه سنن الإمام الحجة أبي داود وجامع الأصول وكثيراً من كتب الحديث واستجازه فأجازه وارتحل إلى مكة المشرفة، فلاقى اعلامها وأخذ عنهم، ثم ارتحل إلى المدينة المنورة فلاقى بها أبو الحسن السندي الأخير فاسمع عليه شطراً من صحيح البخاري وأوائل الأمهات الست وغيرها واستجازه فأجازه في جميع مروياته، ورأى النبي ﷺ ليلةً فقال: يا رسول الله سل الله تعالى لي الجنة فقال ﷺ: بل نسأل لك العلم على وجهٍ يدل على الخير، هذا لفظهُ.

قلت: وقد أتاه الله تعالى علماً جماً وأخذ عنه خلق لا يحصون منهم مؤلف هذا التاريخ غفر الله تعالى له، استمع عليه كتباً في النحو والصرف والمعاني والبيان والأصول الفقهية واستمع عليه شطراً من البخاري وشطراً من مسلم وسنن أبي داود بكمالها واستجازه فأجازه اجازةً عامة بالشروط المعتبرة، وعنه شيخنا البدر محمد بن علي الشوكاني صحيح البخاري من بدايته إلى نهايته، وعنه رفيقنا الحافظ إبراهيم بن عبد الله الحوثي. ورفيقنا إبراهيم بن محمد بن يحيى ومحمد بن محمد بن الحسين بن علي بن المتوكل، وعبد الرحمٰن بن الحسن بن عبد الرحمٰن، وسيف الإسلام أحمد بن المنصور بالله. والوزير الحسن بن علي حنش، ومحمد بن الحسن المحتسب وعبد الله بن عيسى بن محمد وخلق لا يحصون. وسمعت الأستاذ عبد القادر بن أحمد يقول: علي بن إبراهيم من أخيار هذه الأمّة. وله شعر جزل حَذَى فيه حذو القدماء وشارك المولدين في الجودة وسمىٰ على الحكماء، ولم يكن بالمتكلف فيه فشعره كله غرر، وفقره كله درر، وقد حدّث بأشعاره الركبان، وتناقلها الألبّا في جميع البلدان،

ومن شعره ما أجاب به على أديب الوقت محمد بن هاشم بن يحيى:

لا تَلُم رَيِّضَ القرائح مَهْمَا ... بان منها حرّانها وإباها
بلغَت جهدها لتطلب شأواً ... فاستفادت كَلالَها وَوَناها
في زمانٍ فيه الدنا بأروسٍ ... قصّرت أيديَاً يجف نداهَا
يردون الفرات عذباً ويحمو ... ن ظِماءَ الأنام ورداً أضاهَا

وله رحمة الله تعالى قصيدة عانىٰ معارضتها المتأخرون فقهقرت أفكارهم وهي هذه.

خُلَسُ اللحظ تذيب المُهَجَا ... فبها الدمع يُرى ممتزجَا
لا تَسُم لحظك في مرعَى الهوَى ... فيلاقي القلبُ منه حَرَجا
رَشَقاتٌ وتُسمَّى نظراً ... بنبالٍ وتسمّى دَعَجَا
لم تؤثر في سوى أفئدةٍ ... وهي فيهن تبين الشججا
كان عهدي قبلها أن النُهَى ... للتصابي مانعٌ أن يلجا
يا خليلي أراها منكما ... ظلةً بالسفح ان لم تعجا
وإذا أظللتماه فانْشَقَا ... من شميم الدار عَرْفاً أرجا
إنما اعتدّ من عمري بما ... كنت فيه بالصِبَّا مبتهجا
يملأ التّهْويم عينَيّ ولَمْ ... يك قلبي بالهوى منزعجا
كم سرقنا باللوَى في غفلةٍ ... من عوادي الدهر غيشاً سجسجَا
ترقُص الأغصان فيه طرباً ... وعليها الطير تَشْدُو هَزَجَا
ودُجًى قد ألّف الشمل إلي ... أن فَرَى الصبح لأُفْقٍ وَدَجَا
وليالي بالتّداني لؤلؤٌ ... قد أعيدت بالتنائِي سَبَجَا
إذ يَلُف الحُبّ مشتاقي هوىً ... وعفافاً بالغرام امتزَجَا
لم يشقني ظلّ افنان الحِمَى ... إنما اشتاق بدراً غنجَا
حركات الحسن في أعطافِهِ ... تستميل اللب من أهل الحِجَىٰ
آه من عينٍ به ظامِئةٌ ... وهي في الدمع تخوض اللجَجَا
كلما لام عليه عاذلٌ ... وجد المسمع باباً مرتجَا
لا سَمَت لي عِقْوةٌ من هاشمٍ ... ونجارٌ بالمعالي وشِجَا
إن أخَافتني القَنا مِن دونه ... بعَوَاليها حسبنا سُرُجَا
لأقيمَنَ على رغم النوَى ... مَنْسَم الحبِ وأعلو الثبجا
كم لطرفي في الكَرى من رُقْبَةٍ ... ليرى للطرف فيه مَنْهَجَا
أترى آساده في وَهَنٍ ... من سَهادٍ ظل فيه مُدْلَجَا

آه مــن عسجــد شعــرٍ صغتُــه وأراهُ فــي الــورى قــد سمجــا
لــو رأى قيصــر منــهُ مــا رأوا صــاغ منــه لملــوكٍ دُمْلُجــا

ولله أبوه ولا فض فوه، قال المؤلف غفر الله تعالى له: قعدت بين يدي الأستاذ سبع سنين، أتغذى من معارفه واسبحُ في زاخر تحقيقه وزخارفه، وسألته أن يفردني بوقتٍ أسمع عليه فيه معالم السنن لمحمد بن سليمان الخطابي، وكتبت إليه لازالت الرحمة تغدو كل آونةٍ عليه:

مــولاي دام لــك البقَــاء وحـرسـت عــن عيــبٍ وشَيــنِ
جِـدْلــي بـوقــتٍ لا يشــا ركنــي بِــهِ أبنــاءُ بينــي
أَخلــو بمــا تملــي علــيّ مــن العلــوم فــدتــك عينــي
فلعلّنـــي أسمــو علــىَ هــام السُهَــى والفــرقَــدينــي
وأروحِ فــي أفــق المعــا رف ثــالثــاً للنيّــريــنِ
واسلــم ودُم مــا دمــت فــي النعــم الجــزيلــة كــل حيــنِ

فكان الجواب بأفصح خطاب، جارياً بالاسعاف، مع السعي إلى ذلك المطاف، عند تبلج الصباح، وتلجلج الطيور بالصياح:

يــا بــدرُ صُغــت أحــل مَنْظُــومٍ مــن السحــر المبيــن
تــدعــو إلــى فصــل لَــوصْــل لا إلــى فصــل لبَيــنِ
لتضــم اشتــاتٍ المعَــا رف فــي الصّبــا ظــمّ اللُجيــن
وتــروح فــي أبنــاء دهــرك ثــالثــاً للنّيــرَيــن
فــاجعــل لهمــك حــاجــبَ الشمــس المنيــرة نصــب عَيــنِ
وأدر بفهمِــك كــأس مــا تمليــه مــن قــول متيــن
وإليــك نظمــي والســلا م عليــك مــلأُ الخــافقيــنِ

وكان ـ رحمه الله تعالى ـ إذا طالع الكتاب عَلِق بقلبه ما فيهِ، فإذا حدّثك فكانه يُملي من ذلك الكتاب. وكانت له ـ رحمه الله تعالى ـ معرفة بالرمل والحساب وعلم الفلك خارقه. وكان متديناً لا يلوي على شيء من أحكامها، صحبته الأيام الطائلة فما سمعته تكلم بغيبة أو نميمة ولا دار على لسانه شتماً ولا فحشاً، وكان له رحمة الله تعالى محبّة لمواقف العلم ومراجعته فإذا ورد السؤال لزم السكوت، واستمع سماع مسترشد. وربما كثر اللغط وحصل الإشكال المعظل وعنده فيه ما يكشف الاعضال فلا يلفظ بما يزيل الإشكال إلاّ أن يُسأل فإنه يلقى الجواب على الصواب ولا يميل عن مكانه، ولا يتحرك لشأنه وإنما يلقيه على سائليه كالظان أنه لا يسلك في الاذان ولا يقابل بالقبول

ممن له معقول. تكلم بين يديه بعض الناس في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾[1] فكثر اللغط فيها وأي زمن كانت الجاهلية الأولى؟ فكل حاضر حمله ظنه على وقتٍ. وقيل له ما ترى؟ قال كانت بين نوح وادريس عليهما السلام، وإن بطنين من ولد آدم سَكَن أحدهما السهل والآخر الجبل، وكان رجال الجبل صِبَاحاً وفي نسائهم دمامه، ونساء السهل صِبَاحاً وفي رجالهم دمامه، وإن رجلاً من أهل الجبل هجم به الشيطان على نساءِ السهل فأعُجِبَ بهن فأخبر قومه فنزلوا عليهنّ في يوم عيد فظهرت الفاحشة فتلك هي الجاهلية الأولى التي في الآية. وقد وضَحَ بهذا من حاله الجميل وهدايته إلى السبيل ما فيه كفاية وافية، تشهد بسمُو محله.

[أجرةُ القسَّام للمواريث]

وسأله بعض الناس، أن يقسم تركة ميّت فاعتذر فألَحّ عليه فقال في مسندِ عبد الرزاق أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه مرّ يَحْسَبُ بين قوم بأَجْرٍ وفي بعض الألفاظ يقسم بين ناس قسماً فقال له علي رضي الله عنه: إنما تأكل سُحْتاً.

[رفع الورق من الطرق]

وبلغه عن رزق سعد الله أنه كان يمتهن المصاحف فقال: نسأل الله العافية. فسأله بعض الناس عن رفع المكتوب المُلقىٰ على الأرض أَلَهُ بينه؟ فقال عن عمر بن عبد العزيز أن النبي ﷺ مَرّ على كتاب مُلقَى على الأرض فقال لرجل معه ما هذا فقال بسم الله الرحمـٰن الرحيم. فقال: لعن الله من فعل هذا؟ لا تضعوا بسم الله إلا في موضعه انتهى.

ثم قال: هذا الحديث في مراسيل أبي داود، وكان إذا لاقاه أحد فيما تكلم. قال هذا ما عندي والله أعلم.

له ميل إلى العالم والجاهل والصغير والكبير يُحدِّث من وافاه بما يوافق هواه، خلا أنه إذا سمع ما يخالف الدليل لم يسكت حتى يلقي ما عنده من الحجة. ومما أفادناه أن واضع النحو أبو الأسود الدؤلي وذلك أن معاوية أمر رجلاً أن يقعد بطريق أبي الأسود فيقرأ القرآن ملحوناً فقعد له وقرأ أن الله بريء من المشركين ورسوله بكسر اللام، فقال أبو الأسود: تعالى الله أن يتبرأ مِن رسوله ثم وضع النحو، قال شيخنا: فأما الذي خمّس المصحف وعشّره فهو نصر بن عاصم الليثي، والذي نَقّط المصحف يحيى بن يعمر. وأما الحركات والتنوين فواضعها أبو الأسود، وجاء الخليل فوضع الإشمام والروم والمد والتشديد ووضع الضمة واو صغيرة، والفتحة ألف مبطوحة، قال: والخلاف في أول واضع مشهور منقول في كتب الأوائل.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية (٣٣).

وسأله بعض مرافقيه أهل العفاف بمكة المشرفة وقد اضطر إلى السؤال، لكن منعه ما جاء في الحديث من ذم السؤال، فقال له شيخنا: السؤال مذموم مع الغنا فأما مع الحاجة فقد سأل موسى الخضر ﴿حتى إذا أتيا أهل قريةٍ استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما﴾. قال وما أحسن قول الشاعر:

وان رددت فما في الرد منقصة	عليك قد رُد موسى قبل والخَضِرُ

وفي الحديث: وان كنت لا بد سائلاً فاسأل الصالحين؛ وفي بعض الألفاظ فاسأل ذا السلطان. وسألته يوماً عن رغبته عن التأليف؟ فقال: لست له أهلاً. هذا وهو إمام زمانه بلا مدافعه. ورأيته لا يمل عن القراءة فإنه يقعد بين يديه الآخِذ عنه فلا يزال يملي حتى يستوقفه السامع وربما بلغ به الحال إلى الشدة من كثرة الإملا. فيخفَى صوته، فلا يزال كذلك حتى يُطْلب منه السكوت.

ما قال (لا) قط إلا في تشهده	لولا التشهد كانت لاؤهُ نَعَمُ

ما رأيت هذا البيت صادقاً في زمني إلا عليه. وكان رحمه الله يطلب الحلال الطلق لذا ما زال يتردد إلى البيت العتيق أجيراً مراراً، حج خمس عشرة حجة كل ذلك طمعاً في الثواب ورغبة عن السؤال وشهامة عن الدخول في الأعمال ورغوباً في كسب الأجر من ذي الجلال المتعال. وكان لا يرد عطية السلطان ولا يرى العفاف فيها من الدين ويقول قد أُمِرنا بقبولها ففي مسلم أن النبي ﷺ قال لعمر بن الخطاب ما أتاك من هذا المال فخذه فتمول به وتصدق به وما لا فلا تتبعه نفسك وقال انه صح لنا أن ابن عمر كان لا يسأل أحداً شيئاً، ولا يرد عطية.

وقد ترجمه القاضي في «الدمية» فأثنَى عليه خيراً وذكر أن المهدي العباس كان قد أراده على القضاء بصنعاء، لكنه أعرض مع تأهله لتلك الوظيفة.

قلت والله أعلم: لو أراده عليها لما أجاب إليها، وذكر القاضي رحمه الله تعالى أن المترجَم له اقرأ بجامع صنعاء في تيسير الحافظ عبد الرحمٰن بن علي الديبع، ومُنِع من ذلك وانه أطاع في الامتناع.

وكان رحمه الله تعالى وجيهاً في الدنيا عند الملوك والعلماء، وكانت تأتيه كسوة في كل عام يبعث بها إليه مفتي الحنفية بالبلدة الحرام الشيخ عبد الملك بن عبد المنعم مفتي السلطان، وكان يرى قبول عطية السلاطين، وامتدح كثيراً من الرؤساء كالمهدي العباس، وامتدح إبراهيم بن محمد بن حسين بجزل شعره، فامتدح الكثير من آل شمس الدين بن الإمام شرف الدين وكان مغرأ بهم كثيراً ما ينزل عليهم فقال:

لولا ادكارُك ثغراً لاح مبتسماً ... لم يستفزّك من برقٍ تألُّقُه
ما كنت أحسب أن البدر تحملُه ... جُرْدُ السّلاهِبِ والتيار فَيْلَقُهُ
فلو تلوح سرارٌ من محاسِنِه ... لا خَجّل الشمس في الإشراق مَشْرِقُهُ
ما للنواظر فيهِ مطمح فيُرى ... فقد نأى عن مراميها تحققُهُ
فَلْيرجِعِ الطرفُ عنها خاسئاً فإذا ... رنىٰ إليه فلا يَسْطِيْعُ يرمقُهُ
وواقفٍ بمجال الخَيْل متئدٍ ... ولم يفْ مُقَل الفِرسَان ترشقُهُ
قصرىٰ مُنَاهُ من المحبوب يتلفُهُ ... وفَخْرُهُ بمواضِيهِ تُمزِّقُهُ
ففيه يفصل خالي القلب شيِّقه ... وفيه يعلو حبيس الدمع مطلقه
قد استعادت به الدَّولات بَهْجَتها ... وعَادَ من عُمُرِ الأيام رَيّقهُ
كم أعين من وراء الموكبِ انْبَجَست ... حتى لكادت عَزَاليهن تغرقه
وفي الركابِ إذا ما سار أفئدةٌ ... تكاد من زفرات الوجد تُحرقهُ
فلا تلم مغرماً ذابت حشاشتُهُ ... إن لم تلم بتلك الدار أينقُهُ
فقد حمتها عوالي السمر مشتبهةً ... قامات معتقليها فهي تُرهقُهُ
فاسلم ولا تلتفت تَفْتَا فقلبي قد ... حكىَ برمحك خفاقاً تعلّقُهُ
أنا العصيّ مقاماً عنهمُ وبهم ... أُتِيحُ للجفن تسجامٌ يبثقَهُ
حَفِ الهوى وتجافىٰ الحُب عن طلل ... تحوى أساطيره الظلماء أبرقُهُ
إذا النَعَامَى بِرَيّا كوكبان سرتْ ... فللمعاطِس عَرْف الجُود تنشقه
سحائبُ الجود مِن أرجائه نشأت ... وقد تحلّى بتاج الملك مَفْرَقُهُ
به الملوكُ الأولى شادوا لِمجْدِهِمُ ... بَيْتاً فليس النجومُ الزُهر تطرقُهُ
يتلى التمائم حمالاً وَلِيُدهمو ... من المآثر ما يُغني تَطَوُّقُهُ
إذا نَسَبْتُ فتشبيبي بذِكْرِهُمُ ... وإن مَدَحْتُ ففيهم ما يُصَدِّقُهُ
مَالَ القَرِيْضُ عن التقريض من رَهَبٍ ... أُشَيْبُ بالمدح تَشْبِيْبٌ يُتَوّقُهُ
لا زال يَحْذُو بِذِكْرَاهُمُ ذووا أملٍ ... ووارِداً مَوْرداً عنهم تَدفّقُهُ

وأول شعرٍ قاله في صباه بكوكبان وهو:

خَفَقَت ظُلُوعك إذ تألق بارقٌ ... وَهْناً وسحّت مُقلتاكَ بماطرِ
ووقفت في مسرَى النسيم لأنّها ... تأتي بنشرٍ عن حبيبٍ عاطرِ
أشتاقُ من أهوى ولم يكُ نازحاً ... لكنه مُتَحجّبٌ عن ناظري
ما غاب مَن أهوى ولا شطّت به ... دارٌ وقد أودعتهُ في خاطري
ما إن أرى لِقتيْل أحبابِ المَهَا ... من طالبٍ بدمٍ ولا من ثائرِ
أمعذِبي من قَدِّه بمثقفٍ ... ومن الجفُونِ بأسْهمٍ وبَواترِ

إجرح فؤادي كيف شئت فإنَّني ... مَيْتُ الغَرام وليسَ ذاكَ بضائرِ

قال المؤلف غفر الله تعالى له: وعنه نقلنا بنزهة (سَنَاع) من حفظهِ خبر قبيلة مراد في عبادتها النسر الذي كان يأتيها في كل عام. قال كانوا يضربون للنسر الخِبَاء، ويُقْرِعُون بين فتياتهم، فَأَيّتهُنّ اصابَتْها القُرعة قدموها للنسر إلى الخِبَا فيمزقها ويأكلها، ويؤتى بقدحٍ من خمر فيشربه ويتكلم بما يصنعونه في عامهم ثم يطير، وأن النسر أتاهم عاماً فأصابَتِ القُرعه فتاةً من مراد. وكان بينهم امرأةٌ من همدان حاشد قد ولِدَتْ لرجل منهم وكان قد مات، فقال بعض مراد: لو فديتم فتاتكم بأبنة الهمدانية، فعزموا علىً ذلك فعلمت ابنة الهمدانية ما يراد بها وكان خالها عمرو بن خالد بن الحصين إذ ذاك قد وصل فرأى انكسارها ثم سمعها تبكي على نفسها وهي تريدُ أن تُسمعه ما أصابها وما زالت تردد هذه الأبيات:

أَتَثْنِـيْ مُـرادُ عـامَهـا عـن فتـاتهـا ... وتُهـدِي إلـى نسرٍ كـريمـةُ حـاشـدِ
تُـزَفّ إليـهِ كـالعـروس وخـالُهـا ... فتَـى حـي همـدانٍ عُميـر بِـن خـالـدِ
فـإن تَنُـمِ الخَـوُد التـي فُـديَـتْ بِنَـا ... فمـا ليـلُ مـن يُهْـدَى لِنَسْـرٍ بـراقـدِ
علـى أننـي أرجـو مـن الله قَتْلَـهُ ... بكـف فتًـى حـامـي الحقيقـة حـاردِ

ففطن الهمداني فقال لأخته: أصدقيني الخبر؟ فاعلمته بذلك، فلما امسى أخذ قوسه، وهيأ اسهمه، ودخل الخِبَاء، وتستّر بناحيةٍ منه. وقال لاخته: إذا جاؤك فادفعيها إليهم، فجاءت الهمدانية فادخلوها الخِبَاء وانصرفوا، فتوجّه لها النسر فجاءه الهمداني فانتظم قلبَهُ بالسهم وأخذ ابنة أخته وسار على أمها فأخذهما وهما بوادي حرَاض، وسَرَى بهما حتى قطع بلاد مراد ودخل همدان، وتبعته مراد فلم تدركه. وعظمت المصيبة على مراد بقتل النسر فكان هذا الأمر أول مثير للحرب بين همدان ومراد قبل الإسلام وقال الهمداني:

فمـا كـان مـن نَسْـرٍ هجـفٍ قتلتُـهُ ... بـوادي حـراض مـاتَغِـذُّ مُـرادُ
أَرَحْتُهُـمُ منـه وأطفـأت سُنّـةً ... فـإن بـاعـدونـا فـالقلـوب بعـادُ
لـه كـل عـامٍ مـن نسـاءٍ بحسـائـرٌ ... فَتَـاةُ أنـاسٍ كـالبُنَيـةِ زادُ
تُـزَفُّ إليـه كـالعـروسِ ومَـالَـهُ ... إليهـا سُـوى أكْـل الفتـاةِ مَعَـادُ
فلمـا شكتْـهُ حُـرّةٌ حـاشـدِيّـةٌ ... أبُـوهَـا أبـيٌ والأمُ بَعْـدُ سُعَـادُ
شَدَدْتُ له قوسي وفي الكف اسهمٌ ... مـراغِيـش حشـرات النصّـال جِـدادُ
فـأرميه مـن تحـت الـدُّجَى فـاخْتَلَلتهُ ... ودُونـي عـن وجـهِ الصّبَـاحِ سَـوَادُ

وقالت الفتاة بعد خالها:

جـزَى الله خـالـي خيـر الجَـزَى	بمتـركـه النسـر رهثـاً صـريعَـا
رفعـتُ إليـه زِفَـاف العـروس	وكـان بمثلـي قـديمـاً بَكُـوْعَـا
فيـرميـه خـالـي عـن رَقْبَـةٍ	بسهـم فـأنْفَـذَ منـه الـرسيعَـا
واضحَـتْ مُـرادٌ لهـا مـأتـمٌ	على النسـر تَـذْرِي عليـه الـدُمـوعَـا

ومن إفادته لنا وقد سألناه عن جمع المرافق وتثنية الكعبين في آية الوضوء: ﴿ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ ﴾[1]؟ فقال القاعدة العربية ان ما كان واحداً من واحد يُثَنّى بلفظ الجمع، فالمرفق واحد من اليد. وما كان اثنين من واحد فتثنيته بلفظ المُثنَّى، ففي كل رجل كَعْبَان أحدهما ما هو بأسفل الساق وذلك كعب، وما هو على ظاهر قَدَم الشراك يقال له كعب فهما كعبان من كل رِجْل. قال ومن هذا يتخرج ﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ ﴾[2] وذلك لمّا كان القلب واحداً من واحد وهو البدن فثناه بلفظ الجمع، قال: وهذا أقرب ما أوجههُ به وإلا فهو منقوص بقولهم: رَجلٌ عظيمُ المناكب ولَهُ منكبان ليس إلاّ، وغليظ الحواجب وله حاجبان. والحق أن العرب تأتي بصيغة الجمع في كثير والمراد بها واحد واثنان تَفنناً في لغتهم، كما قالوا: غَسّل فُلانٌ مذاكيرهُ وليس له إلا ذكر واحد، ويتكلمون أيضاً بالجمع وليس له واحد كما في مَعافِر موضع واحد باليمن، وكالمقاليد والمسام وهي منافذ البدن.

[فِرَق المُحَدِّثين الزيدي والرافضي]

قال المؤلف غفر الله تعالى له: وسألته حال سماعي في الحديث عن رجل في السند رُمي بالرفض: أَيُرمىٰ الزيدي بالرفض؟ قال: حاشا الله فإن المُحدّثين يفرقون بين الزيدي والرافضي قال الذهبي في الميزان في ترجمة محمد بن حمزه بن عمر بن إبراهيم العلوي الكوفي: كان جده زيدياً من العلماء وأما هو فرافضي.

[خروج الأصمعي في تطلب اللغة]

وحدثني عن الأصمعي، قال إنه كان رجلاً جوّالاً ينزل البادية فينقل عن أهلها ما سمع من اللغة وانه سكن وانقطع عمله عن البادية فقال له بعض أصحابه: كنا نعهدك تختلف فتبدو؟ قال: قد كان فلما لم أسمع إلا ما هو عندي لم آتها، فقال إني سائلك، قال: هات، قال: ما قوله فَدَمْدَمَها عليهم؟ فقال الأصمعي: لا أدري، قال: فما قوله

---

(١) سورة المائدة، الآية (٦).

(٢) سورة التحريم، الآية (٤).

﴿حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ﴾[1]؟ فقال: لا أدري، فقال: ما قوله: ﴿وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ﴾[2] فقال: لا أدري، فقال: ما النحاس في قوله: ﴿يُرۡسَلُ عَلَيۡكُمَا شُوَاظٞ مِّن نَّارٖ وَنُحَاسٞ﴾[3] فقال: لا أدري، فقال: لا نقطع عملك عن البادية. قال فتزوّج الأصمعي لشهر وخرج فنزل بعجوز فقدمت إليه طعاماً فلما فرغ قالت لابنتها اغسلي القِدرَ ودَمْدِميه، فبادرَها فرآها كَفَتهُ، وأمسى فلما طلع الفجر سمع الجارية تقول: يا أماه قد طلع الفجر، فقالت: من أين علمتِ ذلك؟ قالت قد برد عرجوني، فأشارت إلى حقوها المتعطف. فلما طلعت الشمس قالت اذهبي إلى أبيك فقالت الجارية: وأين هو؟ فقالت تحت الباسقة، فقال الأصمعي: وأيها الباسقة؟ قالت التي بجانبها النحاس، فرأى نخلة طويلة بجانبها دخان فعاد من صباحه. ولولا أن محدثي مَنْ ذكرت لقلت معموله.

[عيسى بن محمد بن حسين صاحب كوكبان]

وفيها: خامس وعشرين شهر شوال، **عيسى بن محمد** بن حسين متولي الديار الكوكبانية[4]. كان عالماً متقناً متفنناً اشتغل بالمعارف ولاقَى الأكابر وافرغ وسعَه في التحصيل والبحث، وبلغ رتبةً في المعرفة يقصر عنها كامل الصفة، وعمل بالدليل. أخذ عن الأستاذ علي بن إبراهيم بن عامر مع أنه تلميذه وعن الحسن بن محمد الأخفش وعن إسماعيل بن عبد الله الحداد والقاضي علي البدري في أصول الفقه والحديث وعن أخيه أحمد في الفروع وفي التفسير الكشاف وغيره، واسمع علىٰ إسحاق بن يوسف شرح الغاية والتلخيص وشرحه وشيئاً من علوم الحديث. وحج عام سنة تسع وستين ومائة وألف فلاقى الشيخ أبا الحسن السندي فأخذ عنه أوائل الأمهات وعاد إلى الحصن واستجاز البدر المنير محمد بن إسماعيل الأمير فأجازه، وورد إلى كوكبان الشيخ عبد القادر[5] بن خليل زاده عام خمس وثمانين فأخذ عنه واستجازه وأخذ عن المولى عبد القادر بن أحمد، وعنه شيخه علي بن إبراهيم بن عامر في الآله وعنه أخوه علي بن محمد بن حسين وعلي بن محمد بن علي بن الناصر ويحيى بن إبراهيم بن محمد بن حسين والحسن بن محمد بن حسين وإسحاق بن محمد بن حسين وعبد الله بن أحمد بن محمد بن حسين وشرف الدين بن أحمد بن محمد والأديب قاسم بن عبد الرب وخلق كثير.

---

(١) سورة يس، الآية (٣٩).
(٢) سورة ق، الآية (١٠).
(٣) سورة الرحمٰن، الآية (٣٥).
(٤) نيل الوطر (٢/١٦٩)، نشر العرف (٢/٣٠٠)، البدر الطالع (١/٥١٧)، أعلام المؤلفين الزيدية (٧٤٠)، هِجَر العلم (٤/١٨٨٩).
(٥) ط: عبد الرحمٰن.

قلت مولده جمادى الأولى سنة ثلاثين ومائة وألف وولّي الإمارة بكوكبان عام اثنتين ومائتين بعد أن اعتقل العباس بن إبراهيم ويحيى بن إبراهيم وغلب على أمره شرف الدين بن أحمد، وكان رحمه الله تعالى غير مستشرف للإمارة لفقد ذات اليد فجاءهُ بها حتى قال بعض العارفين بأحواله أصبح فقيراً لا يجد ما يقوت أهله في شهره وأمسى رئيساً متصرفاً في مصرِه؛ فإنه ساق إليه في ذلك اليوم شرف الدين بن أحمد مما جمعه العباس، نحو ثمانين قدحاً حنطة، ومائتي قرش فرانصه.

وكان رحمه الله تعالى صدراً إلا أنه لا يتصرف عن غير نظر لشرف الدين بن أحمد، وما زال في إمارته علىٰ الحال الجميل والاشتغال بالتحصيل. وله شعر جيد منه ما كتبه إلى القاضي أحمد بن محمد قاطن في ضمن كتاب بعث به إليه وهو:

يا حاكماً بخلاف ما ترضاه طول الدهر عيني
سمعاً وطوعاً للذي ترضَى به في الحالتين
إن كان روحك عندنا لم ننفصل أبداً بِبَدَيْن
فجميع أرواح الأحبّة عندكم في كل حين

وله مؤلفات صغيرة منها: القول الفائق في تصحيح إمامة اللاحق، ومنها إزالة الاشتباه بالفرق بين بيع المنابذة والملامسة وبيع الحصاة، وهي بيع المعاطاة. ومن شعره معاتباً لأخيه أحمد:

علام يا واحد الزمان ومَن حاز معاني الفخار عن كَمل
تجهل سبقي إلى ولاك ولا أعلم غيري لَبّاك في عجل
نسيت أني قبل أن تليَ الأ مر أولئك دون كل ولي
وبعد مسور إذ طَردتُ بها الـ أعدا وكانت لهم من النَفَل
ويوم همدان إذ لَقيتُ رما ح الصِيْد بالصدر لا على وَجَل
فعادتِ الأُسد كالأزادي مَسْخا بسيُوفي وبالقَنا الذُبُل
إن هربوا أدركوا وإن وقفوا خافوا ذهاب النفوس عن كَملَ
يَحْلُو لي الطّعنُ في قتالِ أعا ديك ولا منَّ عِند ذلك لِيَ
لذاك أعددت كل أجود لا يسبقه الطرف وهو مَهَل
وأبيضاً إن سللته مَزَحاً رأيت شمس النهار في الطفَلِ

يقول فيها:

وفي انتقاد العلوم ليس يُرَى فضلٌ لغيري عليّ في الأولِ
والشعر لولا يُحطّ منزلة العالم ما حَاك شاعر حِللي

تعلـــم أن النبيـــل عنـــد أولـــى الـ العصـر وحـاشـاك عُـدَّ فـي الهَمَـلِ

وقد كاتبه كثيرٌ وكاتب كثيراً، وحدثني شيخنا الأستاذ علي بن إبراهيم بن عامر تغمده الله برحمته، قال: كتبت أبياتاً إلى عيسى بن محمد وذكرت بها شيئاً وقع موافقة على سر لعيسى بن محمد، فردّ عليّ جواباً صدّرَهُ بقوله:

لِشِعْـر علـي فـي النفـوس مكـانَـةٌ فقـد حـازَ مـن البـابِهـا أوفـر الحَـظِّ
لقـد رقّ حتـى قلـت فيـه لَعلّـهُ يحـاول إبـراز المعـانـي بـلا لَفْـظ
أراك ابـن إبـراهيـم أَسْـرَعَ فـاهمـاً لسـرٍّ امـرءٍ أخفـاه مـن لمحـةِ اللّحـظ

قال فوصّل إليّ ذلك، فأجبته أني لست بذاك وهذا الشعر قد تصرفتم به وهو لمحمّد بن عربي والأصل لشعر زهير، وزدتم البيت الثالث، قال: وفهمت منه أنه يريد دَمامتي في شيء أو كَذِبِيْ في مدح، فقد كان بهاء الدين زهير بن محمد كذلك فإنه يضع الحكايات على نفسه لئلا يدع عليه كلاماً يُتّهم به. وأنه قال: جاءت إليّ امرأة ما رأيت في عمري أحسن منها، فراودتني فكان ما تُرِيْدُ فدفعت إليها شيئاً من المال. فقالت: ما أردت ذلك لحاجة ولكن أنا في غاية من الجمال وزوجي يميل إلى امرأة شوهاء ويتركني وقد نَهيتُه فما انتهى فجئتك لأنك أشوَه الناس ليكون ذلك مقابلة لزوجي إذ تركني. قال شيخنا: فعاد جواب عيسى بن محمد عليه بالاعتذار وأنه ما أراد إلا رفع قدره.

[عبد الرحمـٰن بن حسن الأكوع]

وفيها: يوم الأربعاء رابع عشر الحجة، عبد الرحمن بن حسن الأكوع المعروف بالقاضي.

وَدَخَلَتْ سَنَةُ ثَمَانٍ وَمائَتَيْن وَأَلْف

فيها: عقد الإمام بولاياتٍ لجماعات وخلع آخرين، فعقد بولاية يريم لأحمد بن علي الشرعي شهر جمادى الأولى.

وخلع عنها يحيى بن محسن حنش، شهر ربيع آخر.

وفيها: تحولت وساطة البلاد اليريمية عن الوزير العلامة الحسن بن علي حنش وأنيطت بالحسن بن عثمان الأموي لأمور سنأتي عليها.

وفيها: خلع عن قطر الجبـي أحمد بن عبد الواسع الأموي، آخر شهر الحجة.

وخلع: عن ريمه: حميد بن عبد الله الأموي شهر الحجة.

وفي اليوم الثاني من شهر المحرم سار الإمام عن صنعاء إلى وادي ظَهْر وحمل أولاده وأهل بيته، واستقر به تلك الأيام أيام خريف العنب، فما زال هنالك إلى سابع

شهر صفر وعاد بجمعهِ صنعاء.

وفيها: برز أمر الإمام إلى الأمير يحيـى بن محسن حنش أن يصلح القبائل الذين بجهة اليمن الأسفل فوصل إليه من في جهة الشَعِر يقودهم أحمد بن علي العنسي وابن بحيج وجماعة العقالِ فاستقر الحال بعد وصولهم خمسِ ليال، ثم لم يشعر الأمير يحيـى بن محسن إلاّ بصارخ مِن رعيّة رُعَيْن[1] يُخبر بأنه دَهَمُهم نصف الليل جماعة من البغاة انتهبوا مواشيهم وقتلوا راعيها، وقد كانت كثرت الغارات في تلك المدّة بين قبائل عنس وقايفه، فخرج الأمير يحيـى للغارة بجميع من كان بحضرته من العساكر، وسار حتى انتهى إلى قاع شِرعَه من جهات بلاد عنس، وقدّم أخاه محسن في أكثر الجُند فصادفوا قبائل البغي يقتادون الماشية قريباً من قرية الأتلا ـ بهمزة مفتوحة فمثناة فوقانية ساكنة فلام فألف ـ فاستخلص الماشية وقتَل رجلين واحتز رؤوسهما فولّوا الأدبار، وعاد آخر يومه بلدة يريم.

[خروج أبـي حِليْقه]

وفيها: تحرك الطاغية سعيد أبو حِليْقة صاحب خولان في قوم واسعة أكثرهم قبائل الحَدَا ورؤساهم بنو البُخيتي، فقصدوا قرى وادي عَبِيده[2]، فلم يرفع الإمام إليهم رأساً فعاثوا وأفسدوا، وكان في خلالها قد أرسل الأمير يحيـى بن محسن حنش عشرة من أصحابه إلى وادي عَبِيده فصادفوهم بالطريق وأرادوهم على التسلم فثارت عزيمة العشرة إذ كانوا من حي بكيل فأسعروا حرباً حاراً، فَقُتِلوا من أصحاب الطاغية سبعة نفر، فبلغ الأمير يحيـى ذلك فأرسل أخاه محسن بن محسن بمن حضره من العساكر، فسار بهم فبلغ قرية القُفْل[3]، وجائتهُ زيادة من الأمير يحيـى فأنزلها بحصن قرية النادره. ونزل بمن معه فصادروا الطاغية وقد كان شارف على قبض أولئك العشرة، وثارت الحرب وقامت على سوقها فعلم الطاغية أن لا طاقة له بملاقاة من وَرَد فأصبح راجعاً بمن صحبه ونحى طريق مغرب عنس، واستقر الأمير محسن بن محسن هنالك ورتب القرى والحصون العائدة إلى أعمال يريم، وتجسّس أخبار الطاغية فجاءه الخبر أنه قد توجه بلاده المدمرة، فعاد إلى يريم حضرة أخيه يحيـى، ففاجأهما الأمر بالرفع والطلوع إلى الحضرة، فسارا عنها براية التأييد والفتح.

---

(١) **رُعَيْن**: منطقة من بلاد يَرِيْم، تضم من القُرى: سنفان، ملبان، الأسلاف، ماور، بيت الشامي، القرن، المقداحة، وغيرها.

(٢) **وادي عَبِيده**: منطقة شمال مدينة يريم بمسافة ١٥ كيلومتراً تقريباً. تضم من القرى: الرباط، الهجرة، مَرْسع، بلسان، المنشر.

(٣) **القُفْل**: بلدة لقبيلة آل غُنيم من قَيْفه، تتبع في أعمالها مديرية رَدَاع.

[خـــراب عَـــرَاس]

وقد وعدنا في أول العام بكشف ما دار في حضرة الإمام، قد كان الفقيه حسن علي حنش أرشد إلى التنكيل بقبائل يام[١] الذين يُحَصِّنون عَرَاس[٢] وهدم ديارهم وإخراجهم من المحل تطهيراً للبلاد من لوث الفساد، فألقى هذا المراد بين يدي الإمام وما استغنى عن استشارة حاكم الحضرة العماد يحيى بن صالح السحولي فكانت المشورة من حاكم الحضرة بالإقدام على أولئك الطغام وإبادتهم من بين رعية الإمام، فطلب منه الوزير مرقوماً يشهد له بحسن السيرة في قتالهم ففعل، ولما أباد خَضراهم وأتى على حصونهم وانتصف من مردتهم، ظهرت الأحن والأحقاد، وأجمع رأي الوزير الأعظم الحسن بن عثمان الأموي وأحمد بن إسماعيل فايع على أن الأمر الذي أقدم عليه الأمير يحيى بن محسن جالب لخروج قبائل يام من نجران، وأنه لا سبيل إلى مدافعتهم، فجَهَرَ الوزير حسن بن علي حَنَش بالقول. وقال الإمام جعله الله تعالى منتقماً من الطغام، فاشترط أحمد بن إسماعيل فايع عليه أنها إن خرجت قبائل يام وقصدت اليمن الأسفل كان صلاحهم من قبله. فقال: لا والله ولست عليهم بِمُصَيْطِر. وتكلم الحسن بن عثمان الأموي بمثل ذلك، وما زالت الأمور تموج وقبائل يام في تلك الأيام تتفوّه بالخروج، ووصل منهم محمد بن عبد الله صاحب طِيْبَه[٣] من وادي ظَهْر، فألقى أوهاماً ومغلطه فزاد الحاصل مع الوزيرين واستشرفا لما سَيَقع فما زالا بالإمام وهو لا يلتفت إلى شيء من الكلام، ولمّا تمادى الأمر سأل حسن علي حنش: ما المراد من هذا التخويف؟ فأجابا بأنه لا يصلح الأمر سوى إعادة ما هدَم وتشييده على الوجه الأتَم، وإرجاع ما سلبه الجند من المال والمتاع، فأَبَى وقال: ما كنت مؤثراً على حكم الشرع رأي العقل.

[توسط حسن عثمان علىٰ بلاد يريم]

ثم بدا له أن يصلي صلاة الخيرة وينظر ما يقع عليه، فصلاّها، فوقعت على اعتذاره من التوسط على يريم، ثم أمسى في ليلته فرأى أنه على جوادٍ عالٍ معتقلاً رمحاً وقد توجه نحو طِيْبه مُسْتَقر المكارِمَه داعية الباطنية، فسأل عن اسم جوادِه فقيل له طالع النصر ولما أراد دخول طيبة قيل له: إن الإمام ووزيريه قد أغلقا عليه، فاستيقظ من نومه، وسأل الإمام عُذْرَه عنها فعذَرَه وقلّد ولايتها الحسن بن عثمان الأموي، فأعاد

---

(١) يام: قبيلة من حَاشِد ثم من همدان الكبرى، مواطنهم الأصلية في جبل يام الواقع ما بين بلاد (نِهْم) ومنطقة (السِحْل) في الجوف. أمّا ديارهم الحالية ففي نَجْران.

(٢) عَرَاس: بفتحتين. منطقة جنوب مدينة يَرِيم ومتصلة بها.

(٣) طِيْبَه: بكسر الطاء. قرية وحصن أعلا الجبل المُطّل علىٰ وادي ظَهْر من جهة الغرب.

للمكارِمَه ما كان هُدِمَ ورفع وشيّد فلم يغنه ذلك شيئاً بلِ كانت العاقبة خروج قبائل يام متوجهين بلاد التهايم، فوصلوها وعاثوا فيها وانتهبوا، وقَتلُو في آخر هذا العام غير أنهم رجعوا بالأسلاب فوجدوا قبائل سَحَار قد تحشدت وقعدت لهم بالمضائق، وقد سبقت لذلك بينهم إِحَنٌ وعداوات، فلاقوهم وأصدقوا فيهم الطعن والضرب وانتهبوا جميع ما أجلبوا به، ونقل بعض أهل سحار عن تلك الواقعة عجائب.

[حادثـــة عجيبـة]

ومما أخبر بِه أن ابن جعفر صاحب سحار ضَبَطَ رجلاً من أكابر يام يقال له حزام كان قد اطلع في غنيْمتِهِ امرأة هاشمية يزعم أنها جاريته، فاستغاثت في غفلته بابن جعفر وذكرت له نسبها وأفهمته بأنه قتل ولدها فاستشاظ غضباً وكان حزام بدار بن جعفر فطلع إليه وشهر السلاح عليه وتقدم فضربه بسيفه حتى برد فازداد اغتمام (يام) ثم التفت إلى ابن جعفر قومه فوجد طائفة من (يام) قد قصدته بالشر وهم في ذمته، فتناوشوا بالسلاح فقتل منهم خمسة عشرة رجلاً، فلم ترفع يام إليه رأساً، وسعوا في مخلِّصاتهم عن بلاد سحار، ورأوا قتلِ حزام ثلمةً فيهم فبذلوا لابن جعفر ثماني عشر مائة قرش، على أن يدعهم يعمروا قُبّةً على قبره إذ كان من رؤساء الضلال فامتنع من قبولها وبلغ أنه بَعد دفنه سَوّى قَبرَه بالماء وكانت هذه من موجبات وضع القواعد بين القبيلتين، على أن لا تعتدي إحدى الطائفتين على الأخرى منهم.

[مصائب حسين بن حسن البرطي]

وفيها: تَفَرعَنَ القاضي حسين بن حسن العكام البرطي العنسي وجاهر الله تعالى بالمعاصي، وعكف على الخمر والفواحش، وقطع طريق اليمن، وتجمّع إليه الأشرار بالشَعِر وأفسد وسمل الأعين، وقتل صبراً، وتحكّم في الرعية، وبسط يده في بلاد الإمام ولم يراقب الله تعالى، وبنى حصناً عظيماً بمحل يقال له خَمِر، وأقام عليه جماعة من ذو محمد، واتخذ به رئيساً من رؤساء الفساد ليصول على رعايا البلاد فصالحه الإمام علي دَخَن.

[تحـزّب العامــة]

وفيها: تحزّبت العامة بصنعاء وكثر اللغط، واستهتروا في الجهل، ونبضَ عِرْق الرِفض لتأليف رسالةٍ وضعها شيخنا البدر الشوكاني سمّاها: إرشاد الغبي في الالفة بين الآل وصحب النبي[1]، وعارض ذلك فتحه لقراءة صحيح أبي عبد الله البخاري بالجامع المقدس فقالوا وقالوا، وتكلم في ذلك الوزير أحمد بن إسماعيل فايع، وتحدّث

---

(١) طبعت ضمن مجموعة الرسائل المنيرية في القاهرة. انظر: هجر العلم (٤/ ٢٢٧٩).

بأن الأَوْلى إخراج هذا العالِم من البلدة والقاؤه إلى ساحات مكة، وكانت الأقدار إذ ذاك تومي إليه برفعة الشأن وعلوا المكان، فأنه صدّره الإمام فيما بعد هذا العام لفصل الأحكام ورفع الخصام وأولاه القضاء الأكبر وافترض عليه الرضىٰ لفصل القضاء وأجبر.

[فرض الإقامة علىٰ أحمد بن الإمام المنصور]

وفيها: أقعد أحمد بن الإمام المنصور بالله الحسين عن الخروج والدخول، فثارت نفوس الوزراء له وتنشّطوا لمضرته عند الخليفة، وكان مسموع الكلمة لا يدع واحداً منهم يسلو في قضية إلاّ جعل ناقضاً لها بدسايس خفيّة، وإن أحمد بن إسماعيل فايع الوزير في هذا العام دخل على الإمام فحسَّن له إناطة البلاد العمرانية بولده محمد، وكان قد دَسَّ على أحمد بن المنصور من طريق النساء بأنه أَخّـرّ كثيراً من محتاجات البيوت، فجنح الإمام إلى ولاية ولده محمد، فأدرك أحمد بن المنصور قدرة على الخروج على الإمام، فخرج، فبعث إلى مقامه أحمد بن إسماعيل فايع بأنواع التحف إذ كان قد سمعه في بعض المواقف وهو يقول للخليفة: هذا أحمد فايع رَجُل فلاح مَن أكبر السّوَقَة لا يصلح لإفساد ولا لإصلاح. وما زال يرسل إليه بمعاذير في ذلك. كذا حدثنا أحمد بن محمد الحيّـي.

[وصول كتاب إبراهيم الأمير: الفلك المشحون]

وفيها: بعث جار الله إبراهيم بن محمد الأمير بكتابه الذي ألفه بساحات التنزيل، وهو: الفُلك المشحون من مدد أسماء من يقول للشيء كُن فيكون[1]، وذيّل هذا الاسم ولده علي بن إبراهيم فسمّاه الفُلك المشحون والروضة الغنّاء من مدد أسماء من يقول للشيء كن فيكون على الأسماء الحسنَى.

[الأمير أحمد الماس عبد الرحمـٰن]

وفيها: يوم الإثنين حادي عشر ربيع الأول، الأمير أحمد الماسِ عبد الرحمـٰن[2] بِعلّة الفالج وكان قد أصيب بالضرر وتصدّى لمداواته المتطبّب نَظَر علي العجمي المعروف عند العامة بالسيد علي العجمي.

وكان[3] فرداً في معارف الطب، إليه انتهت الرياسة، وكان لا يقرأ القرآن ولا يحفظ الخط العربـي بل كانت له كتب مكتوبة بالقلم العبراني الإنجيلي، خَدَم حكماء اليونان وألقىٰ به الجديدان إلى اليمن مسفَّراً، وكان يتعجب منه الشاهد والسامع، فإنه لما أصاب الضرر هذا المترجَمْ له سأله الدواء فقال نَظَر العجمي: سأعطيك قلنسوة أضعها

---

(١) ذكر الأستاذ عبد الله الحبشي في مصادره: أنها لديه.

(٢) نيل الوطر (١/ ١٨٦).

(٣) الضمير عائد إلى العجمي.

على رأسك تبقى يومين وفي اليوم الثالث تُنزع خلا انك أن نزعتها قبل مضي اليومين هلكت اتصبر على ذلك؟ قال: نعم. فعمل له دواءً لهذه العلة وأودعه غضون القلنسوة فألقاها على رأسه وحذّر من رفعها، إلى أن يحين. ثم راح عنه واختفى فوجد المترجَم له ألماً فطلبوا الحكيم فلم يوجد فما زال الأمير أحمد في لهيبٍ كلهيب النار إلا أنه خشي على نفسه من الموت إن نزعها، فلما مر الوقت الذي حدده جاء إليه وهو كالمحتضر فنزعها عنه وشظى بموسٍ جبينه وبين كتفيه فعاد عليه بصره.

[نظر علي العجمي]

ولهذا الحكيم ماجريات طويلة الذيل: منها معرفته للنبض بحيث لا يكاد يخطىء. مَنَع بعض النساء من أكل العنب لعلةٍ أصابتها فلم تجد بُداً من أكل العنب، فأكلت خفية، فازدادت علتها، فحضر فقيل له: العلة زادت، فقال: نستمع النبض بماذا ينبينا فجسه فقال: أَكَلت عنباً، فأنكرت فَفصدها في عرقٍ مجهول، فاستفرغت في تلك الحال ما أكلته فكان عنباً.

ومنها أنه شكا إليه مجذوم علته فاشترط عليه مالاً بعد أن أمره أن يبعث من يأتيه بحنش عظيم فجيء به فقطع رأسه وذنبه في حالة واحدة، وربط أعلاه وأسفله وألقاه على النار فانتفخ حتى صار كالزق ثم أخرجه وأفرغ ودكه، فأمر المجذوم باستعماله صُبْحاً وليلاً فبرىء.

ومنها أنه شكا إليه بعض أهل الغنى ضعف الباءة، فخرج إلى منتزه حدّة يتنزه ثم طلع إلى جبل القطار المعروف بشعب الغويدي فأخرج مزماراً وصوّت به فاجتمعت عليه الأفاعي من كل وجهة فاختار منها واحداً ضارباً لونه إلى الحمرة ثم صفّر بمزماره مرة أخرى ففرت عنه الأفاعي أخذه الأحمر منها ثم قطعه وطبخه وأرسل إلى الشاكي به فقويت باءته.

وشكا إليه بعض مصاحبيه شدة في الباءة فسقاه شراباً لا يدري ما هو فما زال المني يسيل ثلاثة أيام وانقطعت شهوته للنساء بعد ذلك.

وحدث أنه كان ممن انضم في جيش طهماسب وأنه أرسل طهماسب في توجهه إلى ديار الروم إلى أهل الفلك والحكام بالنجوم فسألهم عن مسيره. فقالوا: إن بلغت موضع كذا فلا تتجاوزه فأنك من ذلك المحل منحوس فأمرهم أن يجتمعوا ويحددوا المحل بشيء، فأجمعوا على حجرة بالصحراء، وقالوا: إنك إن تجاوزتها لم يتم لك مأرب فلما قارب تلك الحجرة أمرهم أن يدحرجوها بين أيديهم لئلا يتجاوزها أحد من أصحابه فأخبر العجمي أنه استفتح أراضي بسبب تقديمه للحجر بين يديه. وكان العجمي

هذا جريئاً رافضياً خبيثاً مدمناً للخمر كثير الزنا نهاه سيف الإسلام أحمد عن هذه الرذائل أيام والده المنصور بالله علي، وضربه أسواطاً متتابعة وأهانه وسفّره عن اليمن، وإنما تعرضنا هنا لذكره لعدم تعرض المؤرخين في زمننا لذكر شيء من سره وجهره، وهو جدير بأن يترجَم له.

كان به قوة ما رأيتها في بشر، كان يضع الرَجُل الضخم المبدّن بالأرض ثم يقضم ثيابه بفيه ويقوم به، وكان يلوي سبابته والوسطى من أصابعه على بندق الرامي فيرفعها، وعانى ذلك كثير من الأقوياء فلم يقدروا. وكان فارساً رامياً تياهاً معجباً بنفسه، وإنما نبهنا على يسير من كثير.

ومما أخذ عنه أنه قال متعجباً من حكماء الهند، قال: قالوا إذا سد الإنسان منخره الأيمن وتنفس بالأيسر زالت منه الحرارة المفرطة، وفي البرد يسد الأيسر ويتنفس بالأيمن تزول عنه زيادة البرد المفرطة، وإذا تنفس النهار بالأيسر والليل بالأيمن وداوم حتى تصير له عادة مستمرة لم يلحقه ألم ولا سقم ولا يضره حر ولا برد ويبقَي شاباً لا يهرم ولا تضعف قواه، وإذا أكل طعاماً والنفس من الأيمن انهضم وإن كان من الأيسر فبضده، وكان يقول دعاوى لا يقرر صحتها إلا بعد التجربة.

[الحاج رزق البابلي]

وفيها: يوم الأربعاء أحد وعشرين شوال، رزق بن أحمد البابلي(١) التاجر بصنعاء، كان فاضلاً متصدقاً محبًا للعلم وأهله، لزم حضرة البدر المنير محمد بن إسماعيل الأمير وقرأ عليه فانتفع بما أخذه عنه، وأخذ عن الحسن بن زيد الشامي وعن علي بن محمد طامش المقدم ذكره عام تسع وثمانين، وعمل بالدليل ولم تكن له معرفة بغير الحديث، وكان متصدقاً وصولاً للرحم، يحمل الكل ويعين على النوائب، يكسو العاري، ويطعم الطعام، ولا يفارق صلاة الجماعة بحال. كثير التلاوة لكتاب الله، أدركه الذهول عام موته، وكان يتكلم في ذهوله على الخواطر مع إنكاره لها أيام صحته ونفرته عما يؤثر عن المتصوفة. أخبرني الأخ محمد بن محمد بن هاشم أنه لقيه صباح إعراسه قال قال لي: بارك الله لك وعليك وجمع بينكما في خير.

[الحسن بن إسماعيل المغربي]

وفيها: صبح الأربعاء ثالث وعشرين ذي الحجة، شيخنا وشيخ مشائخنا الحسن بن إسماعيل المغربي(٢) لازم أحمد بن صالح بن أبي الرجال فحقق عنه الآلات بأجمعها

---

(١) نيل الوطر (١/ ٤١٩).

(٢) البدر الطالع (١/ ١٩٥). نيل الوطر (١/ ٣١٩).

بفهم يشتعل اشتعال النار، وسمع على تلميذه محمد بن يحيى بن أحمد الكبسي سنن الإمام أبي داود، وكان فرداً في معارف الأصول الفقهية واللغوية والتفسير، فعنهُ شيخنا البدر محمد بن علي الشوكاني وشيخنا القسم بن يحيى الخولاني، وشيخنا الحسن بن يحيى بن أحمد الكبسي وأخوه محمد وشيخنا علي بن عبد الله الجلال وعبد الله بن الحسن الأبيض ورفيقنا الحسين بن أحمد ووالدنا أحمد بن لطف الله جَحّاف، وخَلْق لا يحصون.

وكان زاهداً متواضعاً، يسعى في مهنة نفسه لا يرى الفخر والخيلاء ولا يتظاهر بمظاهر العلماء بل يلبس الخشن من الثياب، وكان إذا قعد للتدريس أملىٰ وأنصت في البحث لمن بين يديه فيتدبرون معاني ما أملاه عليهم علىٰ اختلاف أفهامهم، فيميل تارة مع هذا وتارة مع هذا وما زال هذا دأبه، وكان لا يعرف عند العامة بالعلم، ذا سِنةٍ خفيّة.

[محمد بن إسماعيل النهمي المنجم]

وفيها: محمد بن إسماعيل بن حسن النهمي[1] صاحب علم الزيج والرمل والفلك والشطرنج، كان قد أخذ في الزيج عن شيخ والده محمد العتمي فأدرَك وصحب يحيى المخلافي دهراً طويلاً فمارس في هذه المعارف حتى رأيت الإمام المنصور وقد سأل وزيره علي بن صالح العماري رحمه الله تعالى أن يأمر المترجَم له أن يضع زيرجةً في مدة دولته فوضعها في أول الدولة، فقرر مدتها أربع وثلاثين سنة فكان الأمر كذلك.

وكان رحمه الله يخبر عن شيخه العتمي بأنه قرأ عليه تقويماً ورد من اليمن فيه أحكام فلما أكملها قال: هذا كله كذب، الصحيح بعد شهرين يموت علي راجح وزير المنصور بالله الحسين، فكان كذلك، ومن عجائب المترجَم له أنه في السنة التي مات بها كان يتحدث بموت عظيم يستهول أمره، فكان موته بها. وكان فيه تشيع قال أخوه علي: بل رفض محقق، وسألت أخاه علياً: هل له من شعرٍ يُروَى؟ فقال: نعم أكثره ملحون، وقال: له في الشعر الغزل شيء، لا أحفظ منه سوى ما كتبه مؤرخاً لولادتي ومهنئاً لوالدي.

قلت: قد وقفت على شيء من شعره كتبه بخطه، وقال في أول بيت وآخر بيت ما لا يخفَى:

قـل للـذي مـا زال ينهـى عـن الآ	ل الكـرام الغُـر يـا فـاضـل
عـن سنـة المختـار زلتـك قـد	شغلـك بـالـدنيـا غـداً شـاغـلُ
صيـرتـه بـازاً لتصطـاد مـا	جـاءك ممـن قـال يستـاهِـلُ
أي جـواب أنـت تـدلـي بِـهِ	إن قلـت أكـرهتـه فـذا بـاطـل

---

(١) نيل الوطر (٢/ ٢٤٤).

قلت وكان يروى لأبيه شعراً منه في تشبيه القهوة وقد طفَى عليها المصطكا:

ومدامةٍ من قهوة القشر التي أزرت بخمرة بابل ورحيقه
فكأنها والمصطكا من فوقها كالنار في القرطاس بعد حريقِه

وقد سبق إلى هذا العلامة محمد بن إسحاق على أنه أتم وأجل وأكمل فقال:

ناولني الريمُ الأغنُّ قهوةً ردت لي النشاط بعد ما ذهب
كأنها والمصطكىٰ من فوقها فص عقيق فيه نقش من ذهب

ومن شعر إسماعيل بن حسن النهمي مؤرخاً لعمارة قبة البستان(١):

خليفة أُخلِصت سريرته فكان في السعد حظه الأقوى
وقام عدل شريعته مقام من لا يراعي الأهوَى
فراية العدل عنده نشرت وراية الجود دونها تُطوَى
وشاد لله مسجداً أُكملت به أثابات عالم النجوَى
وقبةٌ قد حلّت فمذ برزت في قالب الحُسْن غايةً قصوَى
أنشده السعد في عمارته أرخ له أسست على تقوَى
سنة ١١٦٤

وَدَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعٍ وَمائَتَيْن وَأَلْف

وهي: التي سمّاها الناس سنة القُضاة لكثرة من مات بها منهم.

فيها: عقد الإمام بولاية الجبي لصالح بن عبد الله الأموي، غرة المحرم.

وفيها: عقد الإمام بولاية ريمة لأحمد بن عبد الواسع الأموي، شهر محرم.

[الصلح مع أبي حِلَيْقه]

وفي صفر منها بتَّ صلح الطاغية أبي حِلَيْقه بِسِعَايَة الوزير محمد بن أحمد خليل على أن يسلم الخليفة إليه ثلاثة آلاف قروشاً فرانصه، وعلىٰ أن يثبت له في ديوان الخليفة في كل شهر ثلاثون قرشاً حجراً، فسكَن شرَّهُ أياماً. وكان الباعث لشرّه الوزير أحمد بن إسماعيل فايع فإنه في مبادي أمره سأله عملاً، فطلب منه عليه جعلاً فساق إليه ألف قرش فمطله فعاث في البلاد بالفساد، وسلك سبيل العناد، فأهلكَ وأباد، وشكاهُ الحاضر والباد في كل ناد.

---

(١) هي المعروفة بـ(قبة المهدي) وهي غربي السايلة عدني الطريق النافذة من بستان السلطان إلى جهة السايلة. انظر الحجري: مساجد صنعاء ص (٧٠).

[من أحوال يوسف باشا]

وفيها: وصل أمر من سلطان الإسلام سليم بن مصطفى صاحب الروم إلى الباشا يوسف (متولي جدة) بأن يسير عنها إلى المدينة المنورة، بعد أن أصلح أمور جدة، وتتبع بها الأشرار والحرامية، واعترض علي بن غالب بن مساعد وعلّق يده على كثير من الأمور السلطانية، وهَدَم بعض السوق الذي بالمسعى من البلدة الحرام فكان صدر غالب من ذلك حرجاً فبعث عليه العبيد والحرامية وأمرهم بسرقه وسلب ماله بالليل، ففعلوا، فخافه وجنح إلى مسالمته لعلمه بأنه أدرَى بأهل مكة ونواحيها، واشترط عليه الشريف شروطاً، فأتمها له. وسيأتي بعض من خبره عام عشر ومائتين وكان هذا الباشا قد وزر للسلطان، وتولّى له أعمالاً وبعثه لحرب الطوائف الكفريّة فجلى في حروبه واختار على سلطانه آخر زمانه الولاية لخدمة الحرمين الشريفين تبركاً بهما.

[أول ما كان دخول القبائل الوادي]

وفيها: قحط الناس وشرع الجدب ومست الحاجة وتحركت طوائف الفساد ذو محمد، فخرجت عن حي بَرَطْ على عادتها، وتحدثت بالحيلة والخداع والتسلق إلى وادي ظَهْر على قدم الأطماع، فلما قاربوه بعثوا العيون قدّامهم، فسبقت الخيل بالطرق رجا أن يقعوا على شيء من الأطماع، فلم يتحصّل لهم ما يسدّ الفاقه فبغتوا غُلُمان وناوشوا من به حرباً حاراً، فاشتد أهله وصابروا وكان كبير البلدة مستعداً للحاجة باروتاً ورصاصاً فَمَدّ من لديه من قومه بمطلوبهم، وما زال ثابتاً بمحله لم يتزلزل لترويع تلك الطائفة فقتل نحواً من خمسة عشر نفراً منهم، وكان يشدِّد من حَوله ويثبت قلوبهم وما زال الحرب من صباح ذلك اليوم إلى صلاة الظهر، واستفاضت البغاة على البلدة فتسلموها، وقتلوا جماعة من أهلها وتتبعوا كبير البلدة فوقعوا عليه فقتلوه ومَن كان لائذاً ببيته، والإمام يسمع صوارخ البنادق بصنعاء فلم يتحرك لشيء ولا رفع له إليه رأساً، ثم انتشر جمعهم فتسلموا البيوت التي بالحاجب والأعناب، وتسلموا بيوت حَجَال، وسلبوا أهلها فراشهم وقراشهم ومتاعهم، وفرّ الناس لا يجدون مذهباً، **فنجا** منهم جماعة إلى ثلا وجماعة إلى كوكبان، وتفرقوا ببلاد همدان أيدي سبا، فوقعت طوائف الفساد على غنائم، واقتسموا المحل بيوتاً وأعناباً، وحاذروا حدود همدان، وما زالوا هنالك كذلك نحواً من شهر يصولون على من بقرية القابل صباح كل يوم ولم يلقوا كيداً، فضاقت النفوس وبلغت القلوب الحناجر ولله الأمر.

[وقعة الجَمَل بِنُقُم]

ولما لم يدعوا بذلك الوادي ما يسد فاقه، خرجوا عنه بعد أن قضوا نهمتهم منه، واشترطوا على الخليفة تسليم ما لهم من الحقوق وأسعفهم، مروا من باب مدينته لا

يخشون أحداً، وتخطفوا من وجدوا من ضعفاء المسافرين خلا أنهم انتهبوا جملاً لبعض قبيلة ذو حسين الساكنين بصنعاء حضرة الإمام، فدخل صاحبه معلماً لجماعتهم فاستشاطوا غيظاً وراحوا للانتصاف، فكانت هذه وقعة الجمل، فخرجوا عند صلاة الظهر وتصافوا بجبل (نُقُم)[1] وممن أغار النقيب يحيى بن هادي الشايف وكان على فرسه راكباً على ظهر الحمار، وما أحسن التورية بهذا المضمار، ثم توسط بعد ذلك وناوش أولئك حرباً شديداً، وكانت الدائرة عليهم وأدخل يحيى بن هادي آخر نهار ذلك اليوم أربعة رؤوس من رؤوس ذو محمد، ووصل لها باب الإمام فلم يشعر لانتصافه كعادته مع سرورٍ كتمه. وكان جُند الإمام عند انفتاح الحرب قد تأهبوا للخروج وحصروا باب الخليفة، وانتدب سيف الإسلام فمنعه والده، وعاد يحيى بن هادي قبيل غروب شمس ذلك اليوم يتفقد أصحابه وقبائله، ودخل في زي النصر للانتصاف، وفرح الناس بما فعل.

[أخذ بكيل لِرحاب]

وتنكبت بعد ذلك قبائل ذو محمد عن باب صنعاء متوجهين نحو اليمن الأسفل، فبلغوا تعز والحجرية لأخذ مالهم من الحقوق، فتخلصوها وترفّعوا عائدين عنها، وتبددوا بأودية اليمن ينتهبون ويقتلون وترددوا بين المدينتين أياماً، وأبرموا أمراً قبيحاً فبغتوا (رحاب) من أعمال يريم فوقعوا على خاناتها وسماسرها[2] وبيوتها فتسلّموها وأخرجوا من بها وحملوا أموالها وساقوا سالميها، وأحرزوا نقدها، فكان النقد نحواً من ثمانية عشر ألفاً قروشاً فرانصه، وتسلموا قلعتها وسكنوا بها أياماً وساروا عنها يحملون القراش والفراش والمتاع من التجارة، ومروا من باب الخليفة ولم يقلّوا كيداً.

وفيها تداعت طغام بني جَبْر وتواصوا على الفساد بالصبر فمروا ببلاد آنِس وتخطّفوا وفتحوا المدافن خزائن الحبوب فحملوها، وكانوا قد كتبوا إلى الإمام يطلبونه الجوامك فلم يرفع الإمام إليهم رأساً، وعادوا بأسلاب وحبوب، ثم لم ينشبوا ببلادهم حتى عادوا لمصادرة الرعايا ثانياً وكتبوا إلى الإمام بذلك المرام فساق إليهم ما يقارب الطلبة فعادوا وقد فعلوا وفعلوا، ثم خرج ذلك الأوان الشيخ البخيتي رئيس الحَدَا ناشراً للأعلام الفساد قاصداً بلاد عتمه، وانتهى به السير إلى مغرب عنس فحطّ مخيمه بأطرافها، وبث أهل الأطماع بتلك البقاع فانتهوا إلى حدود وصاب، وقتلوا من وجدوا وسلبوا وعادوا، وتعقّب ذلك خروج الهيال[3] وعلي صبر المثنى وعتاة من بني جَبْر وانتهى بهم

---

(١) **جبل نُقُم**: هو الجبل الذي تربض في سفحه الغربـي مدينة صنعاء.

(٢) **السَمَاسِر**: جمع سَمْسَرِه، وهي مخازن حفض الحبوب.

(٣) **الهيّال وعلي صبري**: من مشائخ بني جَبْر بطن من خولان العالية في مشارق صنعاء.

السير إلى عتمه ومغرب عنس، فانتهبوا وعادوا آخر شهر القعدة لا قوة إلا بالله.

[خروج القاضي حسين بن حسن البرطي]

وفي عيد الأضحى خرج القاضي المخذول حسين بن حسن البرطي وتلقف المارة بكل طريق من طرق اليمن الأسفل، وما زال ينتقل من محل إلى محل ووقع على طريق سُمَاره فسلب بها الضعفاء وبغت السفر فتسلم ما أجلبوا به وفعل المنكرات، وقد كان صالح بن حسن البرطي أعمل الحيلة في حصن حب[1] فتسلمه من رتبته وكانوا به يتعللون من تأخير الأرزاق عنهم، ورفعوا عند ذلك شكايتهم إلى الحاكم بذي جبلة زين العابدين بن يحيى الهاشمي السقاف، وشكوا إليه أن عامل البلاد أهملهم فأهمل الزَيْن جوابهم، وكان صالح بن حسن قد تعاهد فضلاء رتبة ذلك الحصن بمال حقير يسير، ثم تسلّم منهم الحصن آخراً فاشترطوا عليه أن يبعث إليهم بستين قرشاً حجراً فبعثها وصيّر جماعة للمصادرة أعلمهم أنها لهم معذرة لئلا يلحقهم معها ملامة.

[خروج عبد الله بن حسن البرطي]

وفيها: تحرك القاضي المخذول عبد الله بن حسن البرطي من بلاد بكيل ومَرَّ من باب الخليفة فلم يلق كيداً، فلاقاه أخوه الحسين بقطعة الشعر فتعاقدا على قطع الطريق واستئصال كل فريق.

وفيها: بعث علي بن إسماعيل بن إبراهيم بن المهدي من حضرته بـ(تعز) النقيب سعيد أبا حليقة متخلصاً للحقوق من بلاد الحجرية، وقصد الشيخه صالحه صاحبة الحجرية فتسلّم منها مالاً، وأرسل إليها أن ثمة بقية قدرها خمسمائة قرش فرانصة، فأبت من تسليمها وأظهرت له إغلاظاً في الجواب، فبعث بجوابها إلى ولي أمره علي بن إسماعيل فألزمه الرجوع وأخبره أن المشاحجه في مثل ذلك ربما جرّت إلى فساد طويل، فغاظه جوابها وعزم على أن لا يعود حتى يقضي نهمته من تلك البقية واستضعف أمر تلك المرأة، فجمعت من لديها من العسكر وكانوا مائتين وخمسين نفراً وخرجت إليهم كاشفة لرأسها تشكو طلبة النقيب سعيد وتتظلم فقالوا: ننظر في أمره، وبعثوا إليه من ينكر عليه فأنفذ جماعة من خدمه وعسكره بقيد ثقيل وأمرهم أن يأتوه بها، وكان من قبل قد صنع ذلك بها، فرأى أصحابها عليهم غضاضة فاجتمعوا بعد التفرق وتصافوا للجلاد، فضاق السبيل بسعيد أبا حليقة ولم يجد منهجاً ينحوه فصابر مصابرة شديدة، وقَتَل جماعة بين يديه من أصحابه فيهم صلاح بن يحيى ابن أخي أبي حليقة، فطلب الخروج على حكمها فحكمت عليه بالذهاب، فخرج وقد لقي ما لقي.

---

(١) حصن حب: حصن شهير في جبل بَعْدان.

قال المؤلف غفر الله تعالى له: لا أعلم ذلّة نزلت به كهذه، وقد كانت هذه الشيخة تتقلد السيف وتحمل الترس وتقود الرجال وتلبس النعال مترجلة على أتم صفة من صفات الشر.

[قبائل الحيمه وحَرَاز تنبذ الطاعة]

وفي: هذا العام نبذت قبائل الحيمة وحَرَاز الطاعة، ومنعوا من سوق الحقوق، وأفصحوا عن جور وعسف نزل بهم، وكانوا تبرّوا من الوزير أحمد بن إسماعيل فايع عام ست ومائتين، فمال الإمام إلى مرامهم وجعل نظارة البلاد إلى الحسن بن عثمان الأموي فشكوا منه جوراً وعسفاً، فأفسدوا وتعدّت قبائل الحيمة إلى أطراف حراز، فكانت بينهم وبين أطراف حراز قتَلات عديدة، وآل الأمر إلى الاتحاد، فأظهرت قبيلة حَرَاز الفساد ففتحوا حبس مَنَاخه وأخرجوا مَن به، ثم تخوّفت الرعايا بطش الدّولة فوصل إلى باب الإمام جماعة من مشائخ الحيمة وحَرَاز فأودعهم السجن. وقد وعدنا في سنة ست بتتميم الخبر، دخل سعد زياد إلى الوزير حسن بن عثمان فقال له: هل رأيت خيراً من علي محمد شبام؟ قال: لا، قال: فهل ساق إليك ما كان يسوقه إلى أحمد بن إسماعيل فايع مكتوماً لا يدخل في دفتر؟ قال: لا. وسأله كم كان يسوق إلى أحمد بن إسماعيل فايع؟ قال: ألفان قروشاً فرانصة، جعلها له في مقابل إخراج رتبة الدولة من حصن شبام. فطالب الوزير من الكاتب علي محمد شبام بذلك فأجابه: أن البلاد قد ضمنت ضماناً مفصولاً وقد طلبت ما ليس داخلاً في ضَمانها مما لا يقبله أحد. فقال الوزير: حسن لا بد من ذلك، فخرج عنه مغاضباً وتربّص بالدولة الدوائر وجدّ واجتهد في معرفة من أيقظ الوزير لهذه المطالب فقيل له سعد زياد فأضمر له الشر من حينه، ولم تمكنه الفرصة إذ كان على ارتفاع من البلاد، وكتمها له إلى أن نزلها في الولاية الأخرى سنة تسع عشرة، فكان ما قصصناه لك، واحتفل الإمام بالتجهيز عليهم فطلب الشيخ عبد الله الضلعي وكان إذ ذاك عاملاً ببلاد عمران وما إليها من السودة وكحلان، محتفلاً بالمسير على ابن حكم صاحب السودة وقد كانت بدرت منه بوادر الفساد، فاعتذر الشيخ الضلعي عن الوصول إلى الحضرة الشريفة بسعيه في صلاح ابن حكم، فجاءه الأمر اللازم بترك ذلك الذي توجه له فسيّر ولده يحيى على ابن حكم في محطة من قبائل عمران والجَبل وعيال سريح وغيرهم، وتريّث عن الوصول ستة أيام فساعدته الأقدار بأن وصل إليه ابن حكم مذعناً لحكمه طائعاً لأمره، فسار عن عمران إلى باب الخليفة فوجّهه إلى حراز ووجه حميد بن عبد الله الأموي إلى الحيمه، وكان جند الشيخ الضلعي الفي مقاتل من قبائله وقبائل حاشد وبكيل، فنهض في قوة تحمل معه آلات الخراب وقَطَع الأشجار والأعناب، فواجهته البلاد ووصل إليه مشائخها فلم يلق كيداً.

وفي تلك الأيام وصلت قبائل من يام خوفاً على قطعتهم صَعْفَان[١] فرتّب الضلعي الأطراف، فتوجّهُوا إليه وكانوا بمناخه فضمهم إليه وأعطاهم عطاءً واسعاً وكسَى أكابرهم، وجَبر خواطرهم، فنصحوا له وسألوه التقدم على فتح حصون صَعْفَان، فرفع بذلك المرام إلى الإمام فمنعه من التعرض لذلك خوفاً من شغله تبدر من قبائل يام، وما زال بها ستة أشهر ورفعه الإمام عنها.

وأما: حميد الأموي فإنّها تسلسلت أمور الفساد بناحيته واتسع الخرق عليه ولم يجد من يتقدم به على جبل عَانِز[٢] إذ كان جُنده قد تفرق بكثير من أودية الحيمة وجبالها، فسأل الشيخ الضلعي أن يمده بجندٍ من قومه فأمده وتحيّن صلاح بلاده، فصلحت فسارا عن الجهتين وقد قضيا نهمتهما.

وفيها: خرجت يام ووصلت إلى مَوْر والعامل على الزيدية في تلك الأيام علي يحيى سرور فبعث الإمام عليهم جماعة من حاشد في نحو الألفين، فالتقوا واحتربوا وكانت الدائرة على حاشد، فإنه قُتِل منهم نحو المائة، وأَسَرت يام منهم خلقاً وسلبوهم السلاح وجميع الخزانة من السَوْق والسياق والمتاع والقُرَاش، وتعقب ذلك نزول عبد الله جوهر كما سنبينه في السنة التي بعد هذه.

وفيها: في اليوم العشرين من شهر رمضان وُجِدت طفلة مغرقة في مطاهير الماء بمسجد الزُمُر غرَّقها حسن بن أحمد الضمدي بإقراره أنه فعل ذلك إغاضةً لزوجته المطلقة وكانت التقطت هذه الطفلة وهي في سَنه وعمرها إذ ذاك أربع سنين فحكم قاضي حضرة الإمام شيخنا البدر محمد بن علي الشوكاني بقتله فضرب الإمام عنقه.

وفيها: نزل سيل عظيم إلى الحرم المكي بلغ إلى تحت باب الكعبة فوصل الحاج عند تمام أماطة زَبْرِ السيل وجَثا.

وفيها: بعث سلطان الإسلام قاضياً إلى مكة المشرفة يقال له نقيب الأشراف.

وفيها: ورَد كتاب من جار الله إبراهيم بن محمد الأمير إلى ولده علي يذكر فيه حال الرقم: جاءنا كتاب الولد الحافظ الحجة صالح بن محمد الفَلاّني حماه من تقدّس عن الثاني بالمجلد الثالث من الدرر والغرر لابن حزم، رَدٌّ على أهل الأصول من إمام في المعقول والمنقول مُحْتَوٍ على عجب العُجَاب لكنه لا يستطيع تقريره إلا من منحه الوهاب

---

(١) **صعفان**: من جبال حَرَاز، يقع بالقرب من مدينة مناخَه.

(٢) **عَانِز**: جبل واسع يشتمل علىٰ حصون وقرى عديدة من بلاد الحيمة الخارجية. يقع جنوب مَفْحق ويُطل جنوباً علىٰ وادي سهام.

كالشيخ الصالح الفلاّني، فإنه رزق من الإنصاف ما لا تحيط به الأوصاف، وأخبرني قبل الاطلاع عليه أنه جزم ابن حزم أن أزواج النبي ﷺ أفضل الخلق بعد الأنبياء وهو أمر مجهول، وأن عائشة أفضل من أبيها ومن سائر الصحابة، فقلت له: استدل على هذا. قال: نعم بأدلة باهرة، ولما جاء الكتاب قرأ لي أخوك يوسف البحث ولولا العصبية لسيدة النساء وبعلها وبنيها، لقلت هذا هو الحق مع أنه أَوْرَد عليه كلما تخيلناه وأوردناه، ورده بِرَدٍّ واضح لو قبل الناصح انتهى.

[القاضي محمد بن علي الشوكاني]

وفيها: نَصّب الإمام لفصل الأحكام شيخنا المحقق في المعقول والمنقول، الجهبذ المجتهد، العالم الربّاني، محمد بن علي الشوكاني[1]، في العشر الأولى من شهر رجب، وكان إذ ذاك مدرساً بالجامع المقدس بصنعاء في كثير من الفنون. مولده ضحوة نهار الإثنين ثامن وعشرين شهر القعدة عام سبع وسبعين[2]. ولما بلَغ الحافظ الحجة جار الله إبراهيم بن محمد الأمير نصب المترجم له للقضاء وهو بمكة. قال: (وأنا لا أدري أشرٌّ أريد بمن في الأرض، أم أراد بهم ربهم رشداً). وقال مطهر بن الحسن الهاشمي الصعدي المعروف بأبي الطحاطح في ذلك قصيدة منوهاً بذكره ومعلماً بعظيم قدره، وجهها إلى الإمام وأملاها على الخاص والعام بكل مقام.

نظم الإمام شريعة الديوان	بالحاكم العلامة الشوكاني
فكأنما هو في الزمان مجدد	بالسنة البيضاء والقرآن

قلت: هو كما قال، وواحد الزمن في الأعيان الأمثال. أخذ في الفروع عن أحمد بن عامر الحدائي وعن القاضي أحمد بن محمد الحرازي، وأخذ في الآلات عن شيخنا فخر القاضي والداني، القاسم بن يحيى الخولاني، وعن عبد الله بن الحسن بن علي الأبيض، وعن شيخ الأعلام الحسن بن إسماعيل المغربي في شرح المطول، والعضد، والكشاف، والبدر التمام، وغيرها. وعن شيخنا الأستاذ الجهبذ المجتهد، الإمام الرحلة، المحدث، علي بن إبراهيم بن عامر، أسمع عليه صحيح أبي عبد الله البخاري، وعن إمام أهل المعقول والمنقول، عبد القادر بن أحمد بن عبد القادر، في الأصولين والحديث، وبه صار يفتخر.

---

(١) نيل الوطر (٢/٢٩٧)، البدر الطالع (٢/٢١٤)، هِجر العلم (٤/٢٢٥١)، معجم المؤلفين (١١/٥٣)، الأعلام (٦/٢٩٨)، مصادر الفكر الإسلامي في اليمن، حياة الإمام الشوكاني المسمى التقصار، تحقيق: القاضي محمد بن علي الأكوع.

(٢) في كتاب «التقصار» أن مولده سنة (١١٧٢)، بينما في ترجمة الشوكاني نفسه في البدر الطالع أن مولده سنة (١١٧٣هـ).

وقام بالتدريس في الآلات، وشهد له بالفهم أهل زمانه، وبلغت به المعارف إلى أن أذعن له كل طالب للعلم عارف، فصار رأساً في الانتقاد، وعيناً يستضاء به النقاد، مجلياً أمَّ مقامه الأساتذة، عَلَماً خافقاً في المحافل، إخبارياً، فقيهاً، يعرف الحجة. شاعراً ناقداً. وعنه خلق لا يحصون، منهم مؤلف هذا الدفتر غفر الله تعالى له، في النحو والصرف والمعاني والبيان وأصول الفقه والحديث. وعنه محمد بن أحمد السودي ومحمد بن أحمد بن محمد مشحم وأحمد بن علي بن محسن المتوكل، ومحمد بن محمد بن هاشم، وحسن بن إسماعيل السنيدار وعبد الرحمٰن بن أحمد البهكلي، وأحمد بن عبد الله الضمدي، وعلي بن أحمد هاجر وإبراهيم بن محمد يحيى، وعبد الله بن محسن البصير، وأحمد بن لطف الله جَحّاف، وإسماعيل بن إبراهيم بن حسن، وأحمد بن حسين الوزان، وحسين ابن محمد العنسي، ومحمد بن علي العمراني، وهادي بن حسين القارني، ومحسن بن عبد الكريم بن أحمد بن محمد بن إسحاق، ويحيى بن محسن الحبوري، ويحيى بن مطهر بن إسماعيل، ويحيى بن علي الشوكاني، وأحمد بن يوسف الرباعي القاضي وولداه وغير هؤلاء ممن ذكرناه في كتابنا العباب بتراجم الأصحاب. ما رأيت أنشط منه في التدريس يصل ليله بنهاره في الإفادة.

وله مصنفات تدُلك على قوة الساعدة وسعة الاطلاع لا يدع القول المحرّر من حجة توضح المحجَّة. رُزِق السعادة في تصانيفه مع القضاء، وكاد الاجماع يقوم على حسنها وتناقلها من يلوذ به وذكروها في دروسهم، ألف على المنتقى شرحاً فجاء في ستة عشر مائة ورقة، سَمّاه نيل الأوطاع لشرح منتقى الأخبار، وله حاشية على شفا الأمير الحسين في نحو ثلاثمائة ورقة، سلك منها طريقة الجلال في الانصاف، وله البدر الطالع بمن بعد القرن السابع كمّل به وفيّات الأعيان للقاضي أحمد بن خلكان، وله كتاب الدراري متناً وشرحاً في الفقه، وضعه على مقتضى الدليل، وجرّده عن أباطيل الأقاويل، وله أنموذج لطيف في علم الاشتقاق، ولم نقف على شيء في هذا الشأن، وله كتاب في الموضوعات جمع فيه موضوعات ابن طاهر وموضوعات ابن الجوزي وغيرها فجاء مفيداً وله تفسيرها، هو في تحريره أيام تحريرنا لهذه الورقات، وله رسائل ومسائل يحتملها مجلدات كثيرة، وله رغبة ومحبة في العلم، ونقلِهِ يعظم الطالب ويرغبه في سلوك جادت الاجتهاد والعمل بما جاء عن سيد العباد ﷺ تملأ الأغوار والأنجاد، يحب أن ينشر علمه وإفاداته وذاكرته في العدالة فقال ما معناه: هي محافظة دينية تحمل صاحبها على ملازمة التقوى والمروءة، وترك الرذائل. فقلت له: ما ترك الرذائل؟ قال: ما كان عند الناس ممتهناً، قلت: الامتهان كان لعباد الرحمٰن والممتهنون أهل الرذائل أتباع الأنبياء عليهم السلام. قال الله تعالى عن قوم نوح: ﴿أنؤمن لك وأتبعك الأرذلون﴾

وقال: اتبعك إلا الذين هم أراذِلُنا، وفي بعض التفاسير: إنهم الحواكون فأحال ذلك على ما رسم به العَداله ابن الحاجب في مختصر المنتهى. قلت: فينظر في ذلك، وما معنى قولهم: وَترك الرذائل، اللهم إلا أن يقال: إن مَنْ لا يُبالي برؤيته وهي صيانة الدين عما يثلمه لا يبالي بدينه، لأن الدين من المروءة فهي مَظَنّة للكذب به.

ولنا معه بحث نفيس في ترتيب آي القرآن، وانها توقيفية فَمَنع ذلك مُحتجاً بأنهم جمعوا القرآن أيام عثمان من الألواح والصحائف وربما جاء الرجل بآيةٍ لا يعرفها غيره فإذا أقام بيّنة أثبتوها. وجَمْعهم للقرآن على هذه الصفة يدل على أن كلّه من ترتيب الصحابة وإن كان بعضه من ترتيب النبي ﷺ وصحّ أن عثمان أثبت (برائة) بعد (الأنفال) وأنه قال: إنما فعلت ذلك لشبهها بها وأن النبي ﷺ مات ولم يعين موضعها فإذا كان هذا في السورة وأنها وضعت بموضع عن غير درِيَّة، فما ظنك بالاية والايتين، واسترسل الكلام إلى القول بتواتر القرآن، وهو بحثٌ طويل الذَّيل سوّى فيه بين نقل الكتاب والسنة.

ومن مذهبه أن يشفع الأذان ويشفع الإقامة وقد صرح بمذهبه هذا في كتابه شرح المنتقى، وهو[1] ممن يذهب إلى أن الجمع بين الصلاتين في حديث: جَمَع النبي ﷺ من غير عذرٍ ولا سفرٍ أي جَمْعاً صورياً، ويقول هو أسهل شيء يقعد الإنسان إلى أن يقارب مصير ظلِ الشيء مثله ويقومِ فيصلي فقد يصادف خروج الوقت وقد يتأخر قليلاً وقد يتقدم قليلاً ويصلي عقيبه الاخر، وذهب[2] أولاً إلى أن الوتر على حَمَلة القرآن استدلالاً بحديث أوتروه يا أهل القرآن عند أبي داود وغيره، ثم ذهب آخراً إلى أن الوتر على الأمة جميعاً، وقال ما قوله: أوتروا يا أهل القرآن إلا كقوله: يا أهل الكتاب المراد به أمة موسى وهنا المراد به أمة محمد ﷺ وسمعته يضعف حال من لا يضبط أوقاته لأمر ديني أو لأمر دنيوي بالغ الغاية وما الناس إلا واحد من هذين، وكثيراً ما ينشد أبيات الطغرائي هذه:

إذا ما لم تكن ملكاً مُطاعاً ... فكن عبداً لمالكه مُطِيْعَا
وإن لم تملك الدنيا جميعَاً ... كما تَخْتَار فاتركها جميعَا
هما سيّان من مُلك ونسْكٍ ... ينيلان الفتى الشرف الرفيعا
فمن يقنع من الدنيا بشيء ... سوى هَذَين كان بها وضيْعَا

ورايته ينقم على المتسنن والمتمذهب، ويقول ما ينبغي لصاحب السنة أن يحمد

---

(١) جاء في هامش النسخة «أ» التعليق التالي لصاحبها: هذه الرواية غير صحيحة ومؤلفات المترجم له موجودة.

(٢) وهذه الرواية أيضاً غير صحيحة ومؤلفاته تدل علىٰ ذلك.

عليها ولا ينبغي للمتمذهب أن يحمد علىٰ المهذب، وهذا الكلام لصاحب السنَّة فيه فقال: ولهُ الشعر الجيد المسبوك، كتب إليه وإلىٰ الحسين بن أحمد السياغي محمد بن هاشم الشامي سؤالاً يسألهما عن الودّ أَمِنْ المشككِ هو أم مِنْ المتواطىء؟ فقال:

يا نيري فلك العليا دام لنا ... من نور علمكما ما يكشف الظُلُما
ماذا تقولان فيمن قد تقرر بالأجماع حقق هذا من به حكما
قالوا بأن شهادات القلوب إذا ... قاست بصدقٍ ودادٍ صار ملتزما
ومن أحب امرءاً صح القياسُ لهُ ... قطعاً بأنهما في السلك قد نُظما
وقد تضمن تصديقاً تصّورهُ ... بِنُسْبَةٍ يتساوَى الوُدّ بينهما
وإنما الشوق من قسم المشكك هل ... فيه اعتراض قياسٍ في استوائهما
وقد ترددت في تقريره فأفيدا مغرماً صار مشتاقاً لوصلكما

فأجابه صاحب الترجمة عنهما معاً فقال:

يا ابن البهاليل والأطواد من مضرٍ ... والمُنعَّمين بِسَيْبٍ يُخْجل الدِّيَما
قد دلّ نظمك للدر الثمين بلا ... شكٍ بأنك بحر بالعلوم طما
ورُمت إبداء عَتْبٍ في ملاطفةٍ ... فقد أسأتُ ببعدي فاحتمل كرما
فالشوق بالشوق مقياس ومعتبر ... قضى بذلك خير الرسل والحكما
وإن تُشكِّك بالتشكيك فهو على ... تواطوءٍ باتحاد الجنس قد نظما
وموجبات ودادي فيك ما سُلِبَتْ ... ولا غدى عقد وُدي عنك منفصما
محصلات ودادي ما رضيت لها ... عنك العدول ولا أوليتها العدمَا
وقد تألف شَمْلانا على نمطٍ ... له نتائج ودٍ تمنع العَقمَا

وقد رد علي من جنابه هذه الأبيات:

عجباً اين العقول لست أدري ما أقولُ ... مالنا عن منهج التحقيق والحق نحول
فضلات ذهبت بالفضل منا وفضولُ ... ندَّعي العلم ولكن ما إلى العلم سبيلُ
خاب مسعى من قصارى علمه قال يقول ... كلما وافاه نصٌّ قام بالرأي يَصُولُ
إنما العلم يقول الله أو قال الرسول ... حَكِّم الشرع إذا خالفت الشرعَ العقولُ
عَدّ عن رسطا فما رُسْطَا بذا السفح يجولُ ... تقصر الأقوال عند الشرع والشرع يطول
أيها المغرز، غرّتك فروع وأصول ... وجدال ونضال أشرعت فيه النصول
في كثير من علوم المرءِ للمرء شغُول ... ليس ذا زادٍ معَادٍ كل ذا عنك يزولُ
إنما الزاد هو الزهد فعنه لا تحولوا ... فعلى الزهد يدور الرشد قال الفحول
وعلى هذا براهينُ ... عقول ونقولُ

فقال لطف الله غفر الله تعالى له:

لعن النقطة والطفرة والجسم الطويل ... والهيولا والقضايا والمقال المستحيلُ
وكذا الأعراضُ والجوهر والكلي العليل ... يا خليلي انكساغورس لا يهدى السبيلُ
لفثاليس سعير ولفيثاغور ويل ... ولبطليموس نارُ الله والهوْنُ المُهيلُ
ولمنطيس وفلسْطين مقت لا يزوال ... تلك أسماء بها المخدوم إبليس الظِليل
ما ترى السين بهم منه ومع اللام تميل ... إنني منهم بريءُ ولما جاؤوا جهولُ
كلما قالوا أباطيل وزورٌ وفضول ... وجهالات وغيٌّ وفسادٌ ونكولُ
ما بهذا جاءنا عن ربنا قط رَسُول ... أُمَّةٌ أميةٌ نحن بذا جاء الدليلُ
فكفانا شرفاً هذا على الناس يطول ... فدع الغاوي ببحرٍ في الضلالات يجولُ
واحذر الحرب الذي قادت نواصيها الأصُول ... لا تقل في المنتهى هذا، حكى ذاك الفضولُ
فهي مما لم يكن فيها إلى الحق وُصولُ ... ولقد قالوا الذي أصل، قطعي جليلُ
وهو في مرتبة الظن على الشك نزيلُ ... وكذا الأخفش فيما قد رَوَاهُ والخليلُ
ليس إلا الظن فيما عندهم وهو القليل ... ولنا بالسُنّة الغراءِ حبلٌ مستطيلُ
وبما في الذكر من لفظٍ تلقَّاهُ الأصول ... خادموا السُنّة نُقّاد الأحاديث الفحُولُ

فهمُ القولُ وكلٌ دونهم فيما يقولُ

نعم لمّا لم ير الإمام في القضاة من يزهد مثله؛ أَقْطَعَهُ لذلك السبب صدقات رصابة وجبال اللوز وصدقات الرونة وسعوان والمشراق وهم شوكان وشوبان وغير هذه مما أقطعه شيئاً واسعاً، ومن صدقة بيت راجح وأضاف إليه صدقة بيت قبان وصدقة بيت الحيمي ووصية التوهمي وتنعم ولم ينقم عليه أحد شيئاً، إلا ما كان من ركونه على الأمناء، وكادت هذه أن تكون إجماعية. وفيه نفاسة ومحبة للاجتماع بالصدور من الناس محباً للمعيشة الأنيقة وللبس الفاخر من الثياب مع انسجام طبع ورِقّة وجمودٍ على الأمر الديني، وعدم الإصغاء إلى المعِين عنده في الأمور الشرعية، وتحدّث أن نفسه تكره الصاحب في موقف الحكم وأنه يدرك منها الميل مع البعيد.

[القاضي إسماعيل الصديق الحاكم]

وفيها:[1] يوم الأربعاء ثامن صفر إسماعيل بن يحيى بن الحسن الصديق[2] حاكم

(١) يقصد في سنة (١٢٠٩هـ).
(٢) نيل الوطر (١/٣٠٦)، معجم المؤلفين (٢/٣٠٠)، البدر الطالع (١/١٥٦)، أعلام المؤلفين الزيدية (٢٥٨)، مصادر الحبشي (٢٣٦)، الموسوعة اليمنية (١٠٨١)، مائة عام من تاريخ اليمن (٢٣). =

الخليفة بصنعاء. مولده بذمار عام ثلاثين ومائة وألف، وبها نشأ وطلب العلم فأفرغ وسعه في الفروع فضبط قواعدها وقيّد شواردها وأحرز فوائدها. وتخرج بعد أن أخذ فيها عن زيد بن عبد الله الأكوع وعن صاحب التقرير حسن بن أحمد الشبيبي وقرأ على والده يحيى بن الحسن في البحر الزخّار، وأخذ عن عمه محمد بن الحسن في الكافل من أصول الفقه وفي العربية، ثم وُلّي القضاء بمدينة ذمار عام إحدى وخمسين أيام المنصور بالله الحسين بن المتوكل. وكان قد رحل عنها فدخل صنعاء وأخذ بها عن إبراهيم بن خالد العلفي في كتاب الأزهار والعربية، ثم سَيّره الإمام المهدي العباس عن ذمار إلى حُبيش فأولاه بها القضاء، وكان والده بها فشاركه في القضاء، وفي عام سبعين أعاده الإمام إلى ذمار مقلداً عهدة القضاء. وفي عام اثنين وسبعين بعث إليه فوصل حضرته صنعاء وتلقاه بالإكرام وواصل إحسانه إليه، وكان مسموع النصيحة مقبول الشفاعة، وفوضه في القضاء وأولاه أموراً خاصة إلى الأمور العامة، واتصل بالبدر المنير محمد بن إسماعيل الأمير فأخذ عنه واستجازه، فأجازه فيما أسمع عليه، واستجاز سليمان بن يحيى الأهدل الزَبيدي، فأجازه. وعنه الحسين بن يحيى الديلمي والحسن بن علي حَنش الوزير وعلي بن عبد الله الجلال الهاشمي في البحر الزخار والمقصد الحسن، ومحمد بن يحيى بن أحمد بن زيد المتطبب وعلي بن إسماعيل النهمي وأحمد بن يوسف زَباره.

وله مؤلفات لطيفة منها شرح المسائل المرتضاة فيما يعتمده القضاة، وفتح المنان شرح ما أهمل من مقدمة البيان، والسموط المكللة بأحاديث شرعية الجهر بالبسملة، والقول المقبول بقبول شهادة من ليس بعدل عند فقدان العدول.

[حسن بن حسن الأخفش]

وفيها: يوم الخميس تاسع وعشرين صفر، حسن بن حسن الأخفش الحاكم، وكان لديه معرفة.

[أحمـد المنقـذي]

وفيها: أحمد بن قاسم المنقذي الحاكم يوم الثلاثاء سابع عشر ربيع الأول، كان بذي جبلة، فأشخصه المهدي العباس إلى حضرته وأولاه القضاء، وتقلد عهدة الوقف الخارجي، وكان عفيفاً تقياً يشهد الصلاة في جماعة ويثابر على الصيام والطاعة.

[القاضي إسماعيل بن يحيى بن صالح السحولي]

وفيها[1]: يوم الجمعة عشرين ربيع آخر، إسماعيل بن يحيى بن صالح السحولي

(١) (١٢٠٩هـ).

الحاكم، وكان عفيفاً زاهداً متخلياً للطاعة، ذا شك في الوضوء ووسوسة.

[القاضي يحيى بن صالح السحولي]

وفيها: يوم الأربعاء غرة شهر رجب صدر القضاة يحيى بن صالح السحولي[1]، كان في الذكاء آيةً باهرة، وفي الحفظ معجزة ظاهرة، متفرساً في الأحوال، خابراً للأمور، متوسماً في القضايا.

يــدري بمــا بــك قبــل تخبــرهُ بــهِ   مــن ذهنــه ويجيــب قبــل تســائلــه

وأحوال هذا القاضي وعجائبه ونوادره كثيرة تحتمل المجلد، وقد حدّث بأخباره الركبان، وتناقل أحواله أبناءُ الزمان، ومدحه الأكابر، وتشرفت بذكره المحابر، وخلدت حوادثه في الدفاتر، نوادره مستظرفه، وأحواله محفوظة عند أهل المعرفة.

مــلأ الــزمــان ريــاســة وسيــادةً   وحكــــومـــــةً ووزارةً وعـــــلاءَ

مولده بصنعاء شهر ذي الحجة عام أربع وثلاثين ومائة وألف فارتحل به والده عن صنعاء إلى ضوران متولياً للقضاء ونظارة الأوقاف فسار معه وهو في سن الثلاثة الأعوام فعاد والده إلى صنعاء وهو في نحو أربع سنين، فكان يخبر من أحوال الجهة الآنسية ومعالم الأئمة بها وأحوال أهلها وأحوال الحصن الدامغ فيها بما تتحير له العقول، ثم انتقل به والده من صنعاء إلى الحيمة متولياً للحكومة، فكانت له هناك القصة المشهورة بين قبائل يام والحيمة، وهنالك أدخله والده المكتب فحفظ القرآن عن ظهر قلب في تسعة أشهر، فازداد العجب به وظهرت عليه سمات الخير والنجابة، ولاحت على جبينه مخايل الظفر بالعلا والإصابة، ثم قرأ مختصرات المتون في أقرب مدّة، ونَحّى المنصور بالله الحسين والده عن حكومة الحيمة وأدناه من حضرته صنعاء، فسار معه وهو إذ ذاك لم يبلغ الحلم فاستقر بصنعاء، وأخذ عن والده وعن المحدث عبد الله بن لطف الباري الكبسي، ورافقه في القراءة على المذكور المهدي العباس أيام والده، وأخذ عن الحافظ عبد الخالق بن علي المزجاجي الزبيدي، وأجازه في جميع مسموعاته، وعن محمد بن أحمد الكبسي وعن القاضي الحسين بن أحمد الحيمي وغير هؤلاء. وعنه عدة من الأعلام في الفقه والحديث والأصول والنحو والصرف وغيرها، فممَّن أخذ عنه منهم الحسين بن هادي النُعمي المحدث وكثير من آل النُعمي، وعنه الحسن بن عبد الله الظفري ويعقوب بن محمد بن إسحاق، وعنه المحدث المجتهد علي بن هادي عرهَب،

---

(١) نيل الوطر (٢/ ٣٨٤)، البدر الطالع (٢/ ٣٣٣)، معجم المؤلفين (١٣/ ٢٠١)، نشر العرف (٢/ ٥٠)، الموسوعة اليمنية (٢/ ١٠١٩)، أعلام المؤلفين الزيدية (١١٣٧)، الأعلام (٨/ ١٥١).

وإسماعيل بن الحسن الحملي الهاشمي وعلي بن الحسين الحيمي، وعبد الله بن إسماعيل النهمي والصاحب علي بن إسماعيل النهمي الحديثي والبدر المجتهد محمد بن يحيى بن أحمد الكبسي، وعنه إخوته وأولاده من آل السحولي، وعنه رزق بن أحمد البابلي التاجر الفاضل، وخَلْق لا يأتي عليهم العد. وكَاتَبهُ أعلام وقته كالشيخ العلامة عبد الله بن محيى الدين العراسي، وقاسم بن يحيى الأمير الهاشمي الشهاري، والمحدث الاخباري عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن إبراهيم ومحمد بن أحمد مشحم وأعيان وقته.

ومن شعره العذب المنسجم الدائر بكأس السلاسة، ما أجاب به على الشيخ عبد الله بن محيي الدين العراسي وقد بعث إليه بأبياتٍ فأجاب:

أهي الشذور العسجديَّة   أم ذي عقودٌ لُولويّه
أم زهر روضٍ باسمٍ   أم أَنجُم الزُّهر المضيّه
أم لؤلؤ القطر الندي   على الرياض السندسيه
وسحيق مسكٍ أم شذى   نفحات طيب عنبريه
أم نسمة عبرت على   روضات حاتمها النديه
والشهد يحلو من جنَى   ثمرات كَرْمَتِهَا الجنيه
أم كأس راحٍ قد تَشَعشَع   نجمها الزاهي عَشِيّه
أم ثغر فاتنةٍ شهيّ   المجتنى عذب الثنيه
أم سحر بابل عبَّرت   عنه العيون النرجسيه
أم غادة تختال تيهاً   في محاسنها السنيه
زارت فيا لله ما   أحلىٰ زيارتها الهنيه
هيفاء قد جُمعت بها   غُرر الصفات اليوسفيه
فقوامها الممشوق يزُ   ري بالرماح السمهريه
وأثيثها الليل البهيم   ووجهها الشمس المضيه
والخد روض قد حمته ظبا العيون المشرفيه
والثغر بالدّر المنضّد في السلوك العسجديه
يا ما أُحيلا ريقةً   منه مُعَسَّلة شهيَّه
والجيد منها تزدهي   فيه العقود اللؤلؤيه
فكأنها من نظم مَن   قد خُصَّ بالرتب العليّه
فخر الأفاضل عن يدٍ   لله محمود السجيَّه
رب العوارف والمعارف   صاحب النفس الأبيه

ومهــــذّب الخلــــق الــــذي	قـــد زانـــه حُسْـــن الطَـــويَّـــه
والجـــامـــع الأداب ميمـــون	البـــديهـــة والـــرَّوِيـــه
وإمـــامهـــا فـــي العصـــر فـــا	أدبـــاء كلهمـــوا رعيّـــه
يـــا واحـــداً فـــاق الـــورَى	بصفـــاتـــه الحسنـــا الصفيـــه
وَافَـــا نظـــامـــك حبّـــذا	تلـــك العقـــود الجـــوهـــريـــه
نظـــمٌ تـــرى فـــي كـــل صـــد	رِ منـــه روضـــاتٍ نـــديـــه
فجنيـــت مـــن أوراقـــهِ	ثمـــرات أفـــراحٍ جنيّـــه
ورشفـــت مـــن ألفـــاظِـــه	رشفـــات أنـــسٍ سُكَـــريـــه
فـــاسلـــم ودُم فـــي عيشـــةٍ	خضـــراء نـــاعمـــة رضيّـــه
وإليـــك نظمـــاً قـــاصـــراً	عـــن منهـــج الـــرتـــب العليـــه
فـــأقبَـــل وســـامـــح وابـــق فـــي	ظـــلٍ مـــن النعـــم الهنيّـــه

سئل القاضي عن معنى حديث في البخاري عن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ دخل على رجل من الأنصار ومعه صاحب له فقال له النبي ﷺ: «إن كان عندك ماء بات هذه الليلة في شِنِّك وإلاّ كرعنا». قال: والرجل يحوِّل الماء في حائطه فقال القاضي: كرعت الماشية إذ شربت الماء وهي فيه قائمة، فكأنه يدخل الرجل في الماء برجليه ويشربُ بفيه، كما تفعل الدواب ذات الأكارع، فدل على جواز العبَّ بالفم من البركة والنهر، لكنه جاء النهي عن ذلك في حديث أخرجه ابن أبي شيبة عن ابن عمر وفي إسناده عليه قال ابن عمر: مررنا مع النبي ﷺ على برك فجعلنا نكرع. فقال: «لا تكرعوا ولكن اغسلوا أيديكم واشربوا فيها فإنه ليس من إناءٍ أطيب من اليد». هذا لفظه، قال القاضي: فعندي أن ترك الكرع أسلم وإن كان الحديث الأول أصح لكونه في البخاري، لأن النهي مقدم على الأمر نقلت ذلك من خط القاضي رحمه الله تعالى.

قلت: وأولاه المنصور بالله الحسين القضاء عام أحد وخمسين وهو في سبع عشرة سنة فاعتذر، فأعطاه خطاً في ولايتها، وقال له: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾[1] واستشهد الإمام أيضاً بقوله: وما الحداثة عن حلمٍ بمانعةٍ الخ. فاعتذر فخاصمه الإمام ولامه فأباها فأخذ عليه إذ ذاك إعانة والده فرضي. ولما باشر الأمور رآه فيصلاً ذكياً فقلده عهدة القضاء من غير مؤامرة لأبيه، وأعانه في النظر الذي لا يستقصيه وذلك عام ثلاث وخمسين لا كما ذكره المؤرخ محسن بن حسن أبو طالب من الجزم بأنها كانت في سنة ثلاثٍ وخمسين. وحمده في قضاه الخاص والعام، وانتشرت أحكامه

(١) سورة مريم: الاية: [١٢]

فبلغت أقاصي الثغور، وكان المنصور بالله الحسين ينشر فضائله في المواقف، وينوه بذكره، وأقامه للخطابة، بـ (رُصَابَه) لمّا تخلّف حاكمه الكبير أحمد بن عبد الرحمٰن الشامي فأنشأ خطبة في تلك الحالة، وجعل له مشارفة في وصيته، وتولى تمريضه وجهازه وفصل ديونه.

وأقام في دعوة الإمام المهدي العباس أتم قيام فأكبر أحكامه وفوضه تفويضاً عاماً. وله أمور يطول شرحها في حوادث آل إسحاق بـ (دَنّ وصاب)، وحوادث آل شمس الدين بحصن كوكبان بعد متابعة التجهيز على أحمد بن محمد بن حسين وله اليد الطولى في حادثة أحمد أبـي علامة القائم ببلاد الشرف، وكان قد أرجف بشأنه عظماء الدولة، حتى انفرد القاضي عن الناس بالشدة وقال للإمام: لا تعبأ بهذا الساحر فوالله لو استعنَّى في قتاله باليهود ثم تنكرت الأيام عن عادتها واستردت ما أعارته من محاسنها.

أبـداً تستـرد مـا تَهَـبُ الأيـامُ يـا ليـت جُـودَهـا كـان بُخـلا

وكان رحمه الله تعالى بمحل من الحلم والإغضاء ومحبة للستر على أهل المناصب في الجرائم، وجرت بينه وبين النقيّب الماس المهدي وحشة وبينه وبين أحمد بن محمد قاطن وبينه وبين القاضي عبد الجبار بن جابر، فاعتذر عبد الجبار عن فصل القضاء لتلك الوحشة، وأما النقيب الماس فكان يجاهره بما يؤلم فيحتمل له غير أنه لشدة ما يجد كان يتبطّى اليومين والثلاث عن الوصول إلى حضرة المهدي العباس، ويتعلل بأعراض وأمراض كل ذلك محبة لعدم ظهور المحنة بينه وبين النقيب خلا أن اللآيذين بالقاضي كانت تبدر منهم بوادر يتكلمون بها في الموارد والمصادر، وما زالت الخاصة تتحدث بذلك وحصلت بعد ذلك وحشة بين القاضي وبين أحمد بن علي النهمي الوزير الأعظم، فأفضى ذلك إلى القبض عليه في شهر رمضان عام اثنتين وسبعين بدار الفتح وشرح النكبة أنه وصل القاضي واستقرَّ بديوان الإمام ساعةً ولم يشعر إلا بدخول النقيب الماس عليه، فقال له: الزم الإمام طلوعنا القصر قضاء غرض خفيف، فوقع في نفسه المصادرة فاسترجع عند ذلك وخرجا ماشيين عن دار الفتح ولما حاذيا باب السجن أخذ سلاحه فقبض عليه السجان، وبعث الإمام إلى أعوانه منهم محمد بن حسن حطبه وأحمد السياغي وحسين سلامة وأحمد بن يحيـى حميد وأخوه علي بن صالح السحولي فأودعهم السجن، وقبضت بهايمه من الخيل والبغال، واستدعى الإمام المهدي أحمد بن محمد الأخفش وأخاه الحسن بن محمد وكانا بكوكبان فَظن الناس باستدعائهما شراً إذ كانا من أخص خواص القاضي، وكان أحمد بن محمد الأخفش عاملاً ببلاد آنس، فطلع إلى الإمام فأقام مقامه نائباً من آل الأخفش، وعلقه الإمام بأعمال حفاش وملحان والجبَـى وآنس والحيمة وصعدة وحوث وجعل إلى نظره الوساطة على أهل كوكبان،

وأقام أخاه الحسن بن محمد على الحكومة حسبما فصلنا ذلك في عام وفاته، غير أن الإمام لما وقع في نفسه النكول بالقاضي سجنه وبعث إلى الحكام من كل وجهة فظنه أنه لا يسد مَسَدّ القاضي أحد، فوصل إسماعيل بن يحيى الصديق من ذمار حسبما أشرنا إليه في ترجمته فأناط به كثيراً من الخصومات، وأقام القاضي محسن بن أحمد العنسي إذ ذاك بالديوان، وأخذ جميع ما يملكه القاضي يحيى من متاع هذه الدار وأخذ أملاكه بـ (حَدّه) فوقفها على قبته قبة الصلاة، وأنزل الإمام أخاه محمد بن المنصور بالله الحسين بدار القاضي بـ (بير العزب) وأعاده له، وكتب[1] إلى الإمام وهو بدار الاعتقال كتاباً يتلطف به مستعطفاً له فوقَّع عليه:

يـا هـر فـارقتنـا ولـم تعـدِ وكنـت منـا بمنـزل الـولـد

وروى الثقات أنه طلب من الإمام التعيين عليه ففرض عليه أربعين ألفاً عشرين نقدية وعشرين اقطاعاً، وذكرنا فيما سلف من كتابنا هذا مصادرة محمد بن الحسن حطبة مع القاضي، فأغنىٰ عن الإعادة هنا. وأقام بدار الاعتقال ثلاثة أعوام، اشتغل فيها بالطاعة، وأطلق عام خمس وسبعين فلزم بيته واشتغل بمذاكرة العلم والقراءة والافتا، وما زال كذلك وفي خاطر الإمام إعادته لفصل الأحكام، وكان يظهر منه التأسف على تنحيته عن فصل القضاء على أنه كان معظماً لجانبه، قابلاً لشفاعته، منفذاً لما جزم به، مُجيزاً لفتواه، ولما توفى المهدي العباس عام تسع وثمانين، أدناه الإمام المنصور بالله علي بن العباس وأناط به أمر الحكومة العُظمى، وفوضه في الأمور تفويضاً عاماً فجمّل دولته به وحسّن سيرته برفع منصبه، وكان مقداره عند الخلفاء فوق مقدار أبي يوسف عند الرشيد وولده.

أخبرني والدي أنه حضر ضيفة الشريف عبد الله الفعل، وكان الإمام المهدي قد استدعى القاضي يحيى وأجلسه بين يديه، فما التفت القاضي على الشريف حتى مرّ أكثر الوقت والقاضي يسرد أخباراً عن الأمم والملوك ثم التفت على الشريف فذكر من أحوال أهله وأنسابهم بما تعجّب منه وتحيّر، فقال: هذا القاضي إنسان في الصورة أسدٌ في الحركات المنظورة.

وكان عظماء الدولة ووزراء الخليفة إذا نابتهم النايبة رجعوا في مشورتهم إليه، وعوّلوا في فصل القضايا عليه، وكانت الشعراء في عصره تعرض بذكره. وقد ذكرنا ما مدحه العلامة المجتهد عبد الله بن أحمد بن إسحاق المترجم له في القصيدة التي كتبها

---

(١) جاء في الهامش: هذا الكتاب لا أصل له، ولم تقع بين الإمام والقاضي مكاتبة من الحَبْس إلاّ كتاب كتبه إليه القاضي ولم يجبه.

إلى قاسم بن محمد الأمير الحاكم عام أربع وتسعين ومنها.

عَـوِّل علـى المـولـى العمـاد	فـإنـه نعـم المـوازر
العـالـم الحبـر الـذي	فـاق الأوائـل والأواخـر
وهـو الـوزيـر إذا دجـا	ليـل الأسنـة بـات سـاهـر
فيفـل بـالتـدبيـر مجمـو	ع الكتـايـبُ والعسـاكـر
بجنـان ليـث لا تُـروِعُـه مـن الـدهـر الـدوايـر	

وممن عرض بذكره أحمد بن حسن بركات في قصيدة أجاب بها على المجتهد عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن إبراهيم يقول فيها:

ولا تخشـى الفـوات ففـي يمينـي	حسـامٌ صـارمٌ ثبـت الجنـان
سنـان فـي قنـاة الشـرع أمضَـى	إلـى قلـب الظلـوم مـن الطعـان
عمـاد الـديـن أفضـل مـن تصدَّى	لفصـل الحكـم فـي هـذا الـزّمـانِ

وقدمنا لك أن له حافظه وتنوير بصيرة، وقد اشتهر أن بعث إليه المهدي العباس بعض أعوانه، يذكر له ذهاب قواعد أموال حررها في سالف أيامه، وكان إذ ذاك في دار الاعتقال، فأعاضها له وحرر حدودها وذكر شهودها، وقدّر نقودها وأرسلها، ثم وجدها الإمام بعد أيام فقابلها، فكانت كما هي من دون زيادة ولا نقص، ومن هذا شيء لا يتسع له المقام

وأرسله الإمام المنصور بالله علي بن العباس في أول خلافته لإصلاح العلامة شرف الدين بن إسماعيل بن إسحاق إلى أرحب فقضى الوطر وعاد. وكان كثيراً ما يقرأ في صحيح البخاري ومسلم وسنن أبي داود، وكان يشتغل في شهر رمضان بقراءة شفاء القاضي عياض وغيره من كتب الشمائل فيحضر القراءة الجم الغفير بالليل. ولهُ أشعار تأتي في مجلد، وله مؤلفات منها: شرح ريحانة محمد بن عبد الله[١] سمّاها (نثر الجمان في صحائف ريحان الجنان)[٢]، وله مؤلف في أدلة العمل بالخط، ومؤلف (في انتزاع أطفال أهل الذمة عند موت الأبوين)، ومؤلف في (الطلاق المتتابع من دون رجعة)[٣]، ومؤلف في (مسألة بيع أمهات الأولاد)، وله (التثبيت والجواز عن مزالق الاعتراض على الطراز) رَدّ على الحسن بن أحمد الجلال[٤] فيه للناظر مقال، وأما الرسائل والأجوبة

---

(١) محمد بن عبد الله شرف الدين.

(٢) منه نسخة في جامع صنعاء ـ مكتبة الأوقاف.

(٣) مجاميع غربية (٤٢)، وأخرى في المكتبة الآصفية (١٦٥) فقه.

(٤) على كتاب «الطراز المذهب» لجده. منه نسخة في جامع صنعاء (١٥) مجاميع، أخرى بمكتبة =

فشيء لا يتسع له المجلد الضخم[1].

وقال بعض الناس أنه أخذ عن البدر المنير محمد بن إسماعيل الأمير، ولا يصح ولكنه أراد ذلك وكان ببير العزب فكتب إليه: اني راغب في السماع عليك ولكن لبُعد المسافة ان رأيت القراءة بمسجد الطاوس فهو نصف الطريق إليك، فلم يسعده البدر وعزم على قصده إلى بيته أو مدرسة الإمام شرف الدين فاستشق ذلك، على أنَّ القاضي كاتبهُ عام وفاته مهنئاً له بولادة ولده إسماعيل فقال القاضي:

أيها البدر لاعدمناك بدراً ... طالعاً في التمام من اكرامك
نهتدي في الدجى بنورك حقاً ... ونفيد العلوم من أعلامك
صانك الله عن محاقٍ ونقصٍ ... وسقامٍ وزاد في أنعامك
وتهنّى الموهوب بُورِكَ فيهِ ... وافداً بالمنىَ ونيل مَرامِك
وشكرتم لربكم خير معطٍ ... واهباً رازقاً لبرِ غلامك
قادماً بالسرور تأريخه (قل ... مُؤذِن بالمزيد في أعوامك)

سنة ١١٨٢

فأجابه البدر المنير محمد بن إسماعيل الأمير بقوله:

حبذا حبذا بديعُ نظامك ... فهو راحٌ يُدار من أقلامك
سرَّني ما به بعثت وقبّلت ... كتاباً من قبل فضّ خِتامك
ثم سرحت الطرف في روضِ نظمٍ ... هو والله آية من كلامك
داعياً لي مهنئاً بصبيٍ ... إن هذا الدعاءَ من أنعامك
مثل ما أنعم الإلهُ علينا ... بصبيٍ ومنةٍ من نظامك
فله الحمد والثناءُ على ما ... مَنّ والمن من بديع كلامك
فجزاك الإله عني خيراً ... يا عماداً وزاد في أعوامِك
ثم بيت التاريخ أصدق فالٍ ... صادراً يا عماد من أحكامك

[عبد الرحمٰن بن محمد الخطّابي الحاكم]

وفيها: يوم السبت رابع شهر رجب، عبد الرحمٰن بن محمد الخطابي حاكم الإمام. كان له معرفة بالفروع ذا دينٍ وصمت.

= أمبروزيانا (٤٩).

(١) انظر: مصادر الحبشي ص (٢٦٢)، وكذا أعلام الوجيه ص (١١٣٧).

[الحسن بن عبد الرحمٰن بن المهدي]

وفيها: يوم الأربعاء تاسع وعشرين رجب الحسن بن عبد الرحمٰن بن المهدي محمد بن أحمد[1]، له معرفة بالفروع مع مشاركة في غيرها من الآلات، وحضر تدريس البدر المنير محمد بن إسماعيل الأمير، وأخذ عنه، وكان شغفاً بالحديث، أسمع عليه في البخاري عدة، وكان له اتصال بأحمد بن محمد بن إسحاق ومحاضرة معه، وكان يُحدِّث عن القاضي يحيى بن صالح السحولي في صباه بعجائب، ومولده عام ثلاث وثلاثين وكان رحمه الله تعالى قد تولى الوساطة على آل عبد الرحمٰن بن المهدي، ثم عزل عنها أول الدولة المنصورية فاقتصد وعزم على أن لا يأكل زكاة. فكانت تأتيه أرزاق من حيث لا يحتسب، ولازم تلاوة كتاب الله العزيز فكان يختم القرآن في يومين، وكان أولاً قد ألقى مقاليد أمره إلى ولده عبد الرحمٰن، فقام بها القيام التام فشكر ولده. ونزل عليه أحمد بن محمد بن إسحاق في جماعة من علماء زبيد، منهم الشيخ عبد الخالق بن علي المزجاجي، ومنهم الشيخ عبد الله خليل وغيرهما أول دولة المنصور بالله علي بن المهدي[2] فدارت مذاكرة في قول الله تعالى: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ﴾[3] فأشكل عليهم حمل العلماء للأمر الأول على الوجوب، والآخر على الندب، فتكلم المترجم له معهم فلم يقعوا على سر المسألة. فقال المترجم لهُ: سلوا أحمد بن محمد (وكان ساكتاً) فتكلم بما بهر من إيجاب الأمرين معاً. فقالوا: لم لا تقول لنا من قبل وما دعاك إلى السكوت مع سماع من لم ينهض بالحجة؟ فقال: استفدت منكم، فقالوا: سبحان الله هذا أعلم من لقينا بصنعاء.

وكان رحمه الله تعالى ناسكاً، يحضر الجماعة بالمسجد الجامع بصنعاء، وكان المرابطون في الجامع يسمونه (المؤقِت)، لأنه إذا رآه حاضر الجامع علم دنو وقت الصلاة بوصوله، وما زال هذا دأبه حتى قضى نحبه من الدنيا، وترك ولده العلامة التقي الناسك الصوام عبد الرحمٰن بن الحسن يُعَد في الذين يمشون على الأرض هوناً، لم يجرِ الكذب علىٰ لسانه قط، له بالكتب الحديثية ولعٌ شديد، رافقنا في القراءة على الأستاذ علي بن إبراهيم بن عامر في شرح العمدة لابن دقيق العيد وغيرها.

---

(١) نيل الوطر ١/ ٣٣٦.

(٢) في ب: علي بن العباس.

(٣) سورة البقرة، الآية (١٨٥).

[القاسم بن يحيى الخولاني]

وفيها:[1] يوم الثلوث ثاني شوال، القاسم بن يحيى الخولاني[2]، كان عالماً مجتهداً عاملاً بعلمه، لاقَى الأكابر وأخذ عن أحمد بن صالح بن أبي الدجال، والحسن بن إسماعيل المغربي وعبد القادر بن أحمد، وعنه أخذنا ومشائخنا كالبدر الشوكاني فإنه ما تخرج إلا به، وعنه الحسين بن أحمد السياغي وطبقتنا هذه. وكان عالماً شاعراً مجيداً فاضلاً لا يساميه أحد في فضائله، عاملاً بعلمه، وكان آخر أمره ينعى على أهل المعارف علمهم. ومما كتبه والدنا أحمد بن لطف الله جحّاف جواباً على مسألة كثير اللجج فيها، ولم أقع عليها إنما حاصل ما نقلته من خطه في الجواب هذا المقطوع:

كن كسلمانُ أتى من فارس ... ليس يدري ما اللُغى ما العربيه
قرأ القرآن لا غير وما ... كان يدري شرطه والسببيه
إنما حاصل ما كان عليه ... اجتناب الزور في النهج الوبيه

وكان رحمه الله تعالى، قد كاتب وكوتب غير أنه لم يجمع شعره، وإنما تراه مفرقاً. مات رحمه الله تعالى. بعلة الناصور فصبر عليها مقعداً في بيته أربع سنين راضياً عن الله تعالى، وكان الناس يعجبون من تسليمه لأمر الله تعالى مع شده الحال.

وَدَخَلَتْ سَنَةُ عشرٍ ومائتَيْن وَأَلْف

فيها: عقد الإمام بولاية المخا لحسين بن أمير الدين الأموي، وأضاف إليها زبيد فبعث لها عاملاً.

[أحوال يوسف باشا في المدينة]

وفي مفتتحها دخل يوسف باشا المدينة المنورة فإذا أغواتُها قد بَاينوا أهلها وجَرَت بينهم ملاحم حتى بُنيت بالحَرم النبوي المحامي والمتارس واستعانت الآغوات لذلك ببني علي أهل فدك والعوالي وانخرط في سلكهم أهل قبا فأنزلتهم الآغوات جميعاً بباب البقيع والبيوتَ الشرقية، وكانت الفتنة بينهم بِسِرّةِ الحرم النبوي، وكانوا يترامون فيه من متارسهم ووقع كثير من رصاص بنادقهم بالتابوت الشريف، ورفعوا الأصوات عند رسول الله ﷺ وضيعوا حرمته ودحضوا سنته فشابهت حالتها حالة دار الحرب، ودام بينهم الطعن والضرب. وتشاكست الأخلاق، وقام الشقاق وفُقِد الوفاق، فلما دخلها الباشا ورأى أمرها قد تلاشَى تجنبها وتحاشى، وقعد خارجها ثم تقدم وأراد أن يصعد

---

(١) سنة (١٢٠٩هـ).

(٢) نيل الوطر (٢/ ١٨٤)، البدر الطالع (٢/ ٥٣).

قلعتها فمنعه أهلها وأفصحوا له بالعادة وأنه لا يحفظها أحدٌ دونهم، فمال عنهم واستغفر وأبدى لهم البشاش وأظهر، وخاللَهم وخالطهم وتحبب إليهم وباسطهم، حتى تملك قلوباً قاسيةً، واستمال عقولاً لاهيةً باغيةً. وقعد بجنده وهم نحواً من أربعمائة مقاتل أكثرهم ارناووط[1] أهل بأسٍ وشدة بالمحل المعروف بـ(حوش البوش) على وادي العقيق. وما زال ضابطاً لهم موقفاً أبطالهم، واستدعى من المدينة كبراء أهلها، وهادَىٰ أهل عقدها وحلِّها وتغاضىٰ عن جهالها وتواضع للكبير والصغير. فكان لا يمر بصبي إلا سلم عليه ولا يرى ديْناً على أحد إلا قال هو إليه، فتملكت له بقلوبهم المحبة، ومالت النفوس إليه رغبةً ورهبة وهو مع ذلك يتعرف الأشرار ويتجسس حتى عَدّهم بدفتره بعد استفصال جاسوس العسس. فكانوا أربعين نفراً، وما زال يسبح في تدبير تدميرهم وأعمل الحيلة في قتلهم أو تنفيرهم فراسلهم وواعدهم عدات الخير وأعلمهم أن له قافلة تحمل الأموال واصلةً من حضرة السلطان وصَوَّر في وصولها إليه الفرمان وفرض لحفظتها فرضاً واسعاً، فما زالوا مرتقبين خروجها من بندر ينبع وبعث بتغميره عيوناً من أصحابه تأتيه بخبر وصولها، وعقد لضيافة أولئك الأشرار محلاً وَجُلّ حديثه منها، فوردت إليه العيون فتطلّع الأشرار وغيرهم ماذا يكون فسأله عيونه أين بلغت فأخبروه انها بالفُرَيْش[2] وشكوا من قبيلة مطير[3] بأنها تعرّضت للحمايل فَنَشَّط الباشا الأشرار بالدهاء والسياسة واشترط خروج سبعين نفراً من أهل السلاح والفراسة فكان الأشرار في جملة السبعين ثم أتبعهم في تلك الحال بمائة وخمسين من الأبطال وأفصح لهم مراده ودلّهم على الفتك بالأشرار لا زيادة. وقال: إذا نصبتم الخيام قبل وصول ذلك المقام فصُفُّوا اللئام، وأجلسوا كل واحدٍ بين رجلين منكم فإذا أخذتم الليل في القهوة والحديث فليقتل الطيب الخبيث على رأس الساعة الثالثة من الليل، فراحوا ممتثلين ما أمرهم به فلما تم له ذلك التدبير أخذت الأشرار سيوف جنده عن آخرهم وبعثوا إليه بالروس على الرماح فسقط في أيدي أهل المدينة، فَبَغت من بالقلعة فتسلّمها وهجم على صاحب الطيرمانة[4] وهو بها فضربوه بالدبابيس وأخرجوه وأقاموه في الشمس حافياً ليخلع نفسه عن الوظيفة[5] وصار تحت ركاب الباشا، وأجابه في جيمع ماشا. وتوحش خاطر الآغة. فخرج في الزنج داعياً لأهل فَدَك والعوالي فبادر إلى دعوته جملتهم والتف

---

(١) **الأرناؤوط**: هم أهل بلاد أَلْبَانيا.

(٢) **الفُرَيْش**: بضم الفاء. من قرى منطقة بَدْر، في إمارة المدينة.

(٣) **مُطَير**: من قبائل مَضر.

(٤) **الطَيْرمانة**: المكان المرتفع العالي، وهو أجمل الحصون والخاص بكبار القوم ـ والكلمة مشتقة من الطَيْر، وهي فارسية.

(٥) **الوظيفة**: (الوضيفه).

عليه كل مفتون حتى استفحل أمره وهزَم جيش الباشا واستباح الطريق وفعل الأفاعيل، غير أنها لم تمتد أيامه حتى قتله غدراً وتسلم الباشا ما بالقلعة من الذخائر واستوى على دست امارتها، وتمت له الكلمة وخرج من حضرته الشاووش يصيح: آلا إن الباشا قد أهدر دماء حاملي السلاح بالمدينة فمن وُجِدَ مشتداً بالسلاح بعد اليوم ليلاً أو نهاراً فلا يلومنَّ إلا نفسه. ثم خرج بِعَقبِ ذلك فوجد على أثر صايحه جماعةً لم ينزعوا السلاح فأثخنهم الأورنَاوُوْطيّه بين يديه ضرباً بالدبابيس. وقصد المسجد النبوي فخرّب ما به من المتارس وقتل بـ (باب الرحمه) نحواً من خمسين نفراً فهرب من أضمر الشر من أهلها وتنكّب بأسوأ حال وقهقر أمر المتسلحة، ثم بعث رُسُلاً إلى البداوة واستنزل بالحِيل البعيد من أهل العداوة حتى تمكن منهم، ووصله جماعات من كبراء صبْح وسُلَيْم وعَنَزَه ومُطَيْر فغلّهم بالحديد وأقامهم في الشمس وكتب إلى أتباعهم وإلى حملة الثمرات والأرزاق منهم ألا يدخلن المدينة حامل سيف أو سكّينة، وألزموا الوقار رعايةً لحق المختار. فأذعن لذلك الكل ولزموا الطريقة السويّة ونزعوا السلاح وأظهروا التوبة والندم، ثم عاد لتقرير قواعدها فجعل الحاسكية[1] والسوق الخارجي للشريف غالب[2] على القاعدة السابقة وقرر به جند اليمن اتباع الشريف أهل نصرته واختصم في تلك الأيام رجلان أحدهما تركي أرناؤوطي والآخر يمني فتحزّبت الأتراك للحميّه وسفكوا دم اليمني، فتربص جند اليمن بهم الدوائر فبلغهم خروج آغه للباشا من السويس يحمل مالا ورجالاً فخرج من ينبع وقد كمَن له اليمنيون بالطريق فلما حاذاهم ابتدروه فقتلوه، وما زالوا يتخطفون، وأصابت الباشا حُمّى ليله فدسوا إلى طبيبه ثلاثمائة ريالاً وأعطوه ريشة مسمومة يفصِدُه بها فأخذها منهم وطلع بها إليه وأفصح له الخبر، فكابر الباشا وأنكر وأمر أن تغرز الريشة بهرّه فغرزت فماتت فحاذرهم واصطلح معهم فاشترطوا عليه أن يكونوا على هيئة الأرناؤوطية في حملهم السلاح فأذن لهم ولم يأذن لعجميٍ ولا لعربـيٍ غيرهم.

[قَتْل الباشا لابن الوليد الفرَّان]

وفي هذا العام[3] قَتَلَ الباشا ابن الوليد الفرَّان وصلبه بباب المصري، وكانت أفعاله منكرة تَسبّب بشكاية بعض الأعراب ادّعاه في خمسمائة ريال فطلبه إليه فاقرّ بها بعد التخويف الشديد والتهديد فَعَدَّ الناس قتله من قصاص الغيب لان ابن الوليد كان قتل رجلاً من غرباء الديار بباب المصري ولم يقدر أحد الانتصاف منه في تلك الأيام التي

---

(١) **الحاسكية**: مخازن الحبوب.

(٢) **الشريف غالب بن مساعد بن سعيد الحسني**: انظر عنه كتاب الأعلام (٥/ ١١٥).

(٣) (١٢٠٩هـ).

غلب على المدينة بها الفتن فصلح بذلك أمر المدينة وانتظم حالها وفشى بها العدل وأمن الناس وحدث بفتكه الرُكبان ولله الحمد.

وكان بمحفّة الباشا جماعة من أهل العلم والأدب فحدّثنا بعض تلاميذ شيخنا المجتهد إمام الحرمين الصالح بن محمد الفُلاَّني[1] بكراع الغميم عن رَجُل من أهل العلم المصاحبين للباشا قال: رأيتُ الكيخية أحمد دفتر دار الأرناؤوطي يتتبع بمَكة حِلَق العلم فيقعد إلى الأحناف تارةً وإلى المالكية أخرى وإلى الشافعية تارة وإلى الحنابل أخرى.

وكانت له فاهمة جيدة فتعجّب من اختلافهم في المسائل ووقف في بعض الأيام على مسألة قال فيها كلٍ من أهل المذاهب قولاً فسأل كل متمذهب عن الحق فيها فقال كل واحدٍ مذهبنا، فتحيّر وتخبّط رأيُه في تصويبهم، وما زال يتحدث في ذويه ويقول لا يخلو الأمر إما أن يكون العلماء قد غمَّروا علينا واما أن تكون عقولنا قاصرة كيف يكون الحق دائراً في أربعة أقوال متباينة؛ ثم قال: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾[2] فلما بلغ المدينة نزل بحلق أهل العلم فوجد عندهم من الاختلاف مثل ذلك حتى وقف على حِلقه شيخنا إمام الحرمين الفلاني العمري فسمعه وهو يقرأ بصحيح أبي عبد الله البخاري ولم ير عنده ذكراً للخلاف ولا تعرضاً للمذهب فقال الكيخية: اللهم اهدنا، ثم قال: يا شيخ بيّن لنا الحق في المسألة؟ فقال: لا تقول إلا حقًّا، فقال: أحنَفي أنت؟ فقال شيخنا: لا بل محمدي لا أعتزي إلى واحدٍ ممن تعرف، فقال الكيخية: اللهم اهدنا، وقال الكيخية: ألست في منهج من مناهج المتذهبة؟ قال لا، قال: فما رأيك في المسألة الفلانية؟ قال أضطربت منها الأقوال والحق يُعرف بالنظر لا بالرجال، قال فهذه الأقوال التي تقرأها ليس بها اختلاف، قال: لا. قال: الحمد لله. ثم التفت إلى رجل من اتباعه كان عن يمينه يظهر عليه سيماء أهل العلم قال: تسمع ما يقول الشيخ الحق والله، هاهنا لا محالة. ثم قام فلما كان صباح اليوم الثاني إذا بالكيخية في جماعة من الحاشية قد نزل على شيخنا إمام الحرمين وقال نسألك بيان الحق وحط الرأي، ثم قال للعالم الذي بجَانبه وقد أخرج شُفرةً وحَطّها بين يديه: أتَسْمَعْ والله ان عدت إلى الرأي لاقطعنَّ رأسك بهذه البَلْطَة ولكن ما يقول رسول الله ﷺ فاحملني بلسانك عليه. وكان لا يعرف العربية كل المعرفة فارتاع لذلك تابعُه وخجل وأجابه على وجَع ثم لازم شيخنا عاماً كاملاً لا يتخلف عن موقفه يوماً واحداً.

---

(١) **صالح الفُلاَّني**: فقيه، أصولي، محدث، حافظ. ولد بالسودان، وقدم المدينة ودَرَّس بها، وتوفي بها سنة (١٢١٨هـ)، وله مؤلفات ـ انظر: معجم المؤلفين (٥/ ١٢).

(٢) سورة الأعراف: الآية: [٨٩].

وكان يأمر تابعه أن يكتب المسألة التي خالف فيها أبو حنيفة النصوص، فكان يكتب له الحديث فيعرضه على إمام الحرمين فيقرره ولما أكمل السماع عليه قال له إني رجل من أهل بيت علم لسلفهم وجاهة عند الخلف قال فما تريد قال تضع لي مؤلفاً فيه التبري من التقليد وأهله وتُقيم الحُجة على منتحله واني عازم إلى وطني ومظهر لهم أن ثمة كتاباً لأبائنا فيه الحطُّ على أهل التقليد وسيبلغك بإرادة القهار انتشار أخبار المختار والعمل بسنته بتلك الأقطار، فوضع له الرسالة التي أخرجناها إلى اليمن عام حجنا سنة سبع عشرة ومائتين وألف وسماها (ايقاظ همم أولى الأبصار للاقتداء بسيد المهاجرين والأنصار). ثم سار الكيخية عام ثلاثة عشرة ومائتين وألف فتلقاها علماء دياره بالقبول بعد أن دارت بين أهل المعقول منهم والمنقول ورأوا بها حُجّة واضحة وتناقلها الناس وأعادها الكيخية. وقد أتينا على أحوال شيخنا وأخباره ونقلنا إجازته لنا في مرويّاته ونقلنا أخبار ملوك المغرب الأدارسة وبعض أحوال ملوك الهند وملوك الروم وأخباراً كثيرة عن سائر الديار وماجريات في البحار في كتابنا الذي سميناه: قرة العَين بالرحلة إلى الحرمين.

[نزول يام على تهامة]

وفيها: نزلت قبائل يام على تهامة فسيَّر الإمام جماعات من حاشد كالسادة بيت أبو مُنصَّر وبني الأحمر ومن بكيل آل جزيلان فكانوا نحواً من خمس عشرة مائة وكان الأمير عليهم علي بن يحيى سُرور وكاتبه عبد الله بن علي الحيمي، فساروا إلى اللُحية[1] والأمير علي بن يحيى هنالك وولاية الزيدية إليه، فوصلت يام إلى حَرَض[2] فخرج الأمير علي بن يحيى من البندر إلى الجامعي[3] وأقام مطرحه بِبَر الوُرَيْور ـ بواوٍ مضمومة فمهملة مفتوحة فياء تحتانية ساكنة فواو مكسورة آخره راء مهملة ـ فأقدمت يام إلى مطرحه فقامت الحرب على ساق وقتل من الفريقين عدة ثم كانت الهزيمة في جند الإمام إلى مدينة مَوْر، وفي اليوم الثاني وصلت زيادة من الإمام فيهم من بني الأحمر والنقيب حسين شَوط ـ بشين معجمة مفتوحة فواو مكسورة مثناة تحتانية ساكنة فطاء مهملة ـ والنقيب ابن عِمْران والنقيب العَنز[4] وآخرون نحواً من خمس عشرة مائة فنَدَبهم علي يحيى على الإقدام على يام فقهقرت منهم الأقدام وطالبوا بالزلاج وقد أخذوه من

---

(١) **اللُحيّة**: فرضة على البحر الأحمر، تقع في شمال الحُديدة بمسافة (١٢٠) كيلو متراً. وهي عبارة عن جزيرة متصلة باليابسة.

(٢) **حَرَضْ**: مدينة ووادٍ شرقي ميناء مِيدي، والجميع في شمال اللُحيّة؛ علىٰ الحدود مع السعودية.

(٣) **الجامعي**: مركز إداري من مديرية اللُحيَّة، سُمِّي باسم قبيلة بني جامع من قبائل عَكّ.

(٤) جميعهم من قبائل حاشد، انظر كتابنا: موسوعة الألقاب اليمنية.

الإمام وتفاشل الأمر و (يَامْ) بمحل يُعرف بـ (كتف[1] السيد) وحصلت الفترة من جانب أصحاب الدولة خمسة عشر يوماً ويام هنالك مناظره ولما لم تر كيداً رجعت إلى نجران إلى آخر هذا العام، ووجه الإمام الأمير عبد الله جوهر عاملاً على الزيدية وأصحبه من الزواملة ذو حسين وآل عفرا والشايف وغيرهم[2] من نحو خمس عشرة مائة إلى العام الذي بعد هذا. ونزلت يام على تهامة فصافهم الأمير عبد الله جوهر فكانت ملحمة كبرى وانهزم جند الدولة وكانت الاسرَى من ذو حسين نحو مائتين وسبعين نفراً أخذت (يام) سلاحهم ومتاعهم، وانهزم الأمير عبد الله جوهر في جنده فسارت يام إلى الجامعي فانتهبوها وإلى الواعظات وما والاها فانتهبوها وعادوا بلادهم.

[قتله في جبل صَبِر بتعز]

وفيها: سار علي بن إسماعيل بن إبراهيم بولاية تعز وصحبته قبائل بكيل وأبو حليقة في جماعات من خولان ففاجأهم خبر غالب حسن شيخ جبل صبر وانه قد تغلّب وعمّر به حصناً منيعاً ففرض علي بن إسماعيل علىٰ قبائل بكيل القدوم عليه فاعتذروا فقام إليه أبو حِلَيْقه وقال يا مولانا أرسلني فإنك لا تجدني معتذراً، فأرسله في قبائله فلما قارب الحصن آخر جماعات من قومه وبرز في نَفَر يسير فَطَن به غالب حسن فتوراً وضعفاً فخرج لمصادرته ولما قام الحرب بينهم استدعى أبو حِلَيْقه المتأخرين من أصحابه فحضروا فكانت ملحمة فَرّ جماعة غالب حسن إلى حصنهم فتبعوهم وأدركوا منهم جماعة فقتلوهم واحتزوا رؤوسهم وبعثوا بها إلي علي بن إسماعيل ثم دام الحصار يوماً وليلة فاضطر فيها غالب حسن إلى الصلح فاشترط أبو حليقة خروجه إلى الغِل وخمسة من أصحابه الأشرار فجَنَح إلى ذلك واشترط أبو حليقة أن يسلّم إليه الحصن فما وجد بُدّاً من ذلك فسلّمه إليه، فطلع وحصل طمع وقتل وألقى جماعة من أصحاب غالب حسن نفوسهم من شواهق الجبال خوفاً من السيف، ثم طلع أبو حليقة وبين يديه غالب حَسن والأسرَى فلما سلّم على أميره علي بن إسماعيل قعد مقابلاً له ومد رجله إلى وجه علي بن إسماعيل فقال له بعض الناس أضم إليك رجلك فقال علي بن إسماعيل إنها والله خيرٌ مِنْ وجوه مَنْ ترى. ولما استقر بـ (تعز) طلب منه الجائزة فأحاله على البلاد فسار ليقبضها فتسلّم منها ستة عشر ألفاً قروشاً فرانصة فقال بعض الناس البلاد لا تحتمل ما أخذ فقال علي بن إسماعيل قليلة والله في حقه.

[فتنة قبائل خَوْلان]

وفيها: في شهر محرم، خرجت قبائل خولان لإقامة شعار الطغيان يقودهم المثنى

---

(١) **الكدف**: من قرى مديرية اللُحية، قريب من محل بني الخَل.

(٢) هؤلاء من قبائل بكيل. انظر كتابنا المذكور آنفاً.

علي صَبِرٍ ولم يستقر بدياره المدمرة سوى شهر الحجة الحرام من سنة التسع فانتهب ضعفاء الرعية وسار الخبيث إلى أطراف عنس ووضع السيف ودوَّخ الطرق واستولى على كثير من القُرىٰ وهجم على اليمانيتين[١] وعاث بها واقتطف أعنابها وأخرب بيوتها وأتى على أكثر الثمار منها وأباد الخضراء وساق من بلاده ألف رأس مِن الإبل ليحمل عليها الاطماع من حبوب وغيرها. ثم دوّخ بلاد وصاب الأسفل وصادر أهلها حتى اصطفى نعمتهم وفتح مدافنهم وأخرج حبوبها وحملها إلى بلاده.

وكان القحط إذ ذاك قد ظهر وانتشر، ثم كَرّ بمن معه على بلاد عتمة فوقع أصحابه على بعض تجارها فنهبوها عروضاً ونقداً وكاد أن يقع بينهم الشقاق والاختلاف فانحدر بهم عن الطريق وأفهمهم أنها جآئته عيون له مخبرة بنزول جماعة من التجار متنكبين عنه وأنه قد جعل سلبهم لمن لم يكن له مال نقدي فكان من القَدَر أن وقع جماعة من أهل الحَذَر بأيدي أولى البطر واعتقد غوغاء جهلته أهل الغباوة أن له معرفة بالمغيبات.

وكان هذا المثنى قد تعلّم مخرقة من بعض السحرة يسمونها المِشعة ـ بميم مكسورة فشين معجمة ساكنة فعين مهملة مفتوحة فتاء تأنيث، وبعضهم يقلب الميم باءً فيقول البشعة[٢] ـ وأنه يستخرج بها السرقات ويَعْلَم بها أهل الجرائم والتبعات. وقد خبرته فيها فوجدته لا شيء على أن به غباوة وجفاء.

[واقعة دفينة المعروفة بشعب العُثرب]

وفيها: سارت القبائل عن ديارها كعادتهم يشكون ببلادهم جوعاً وشدة فوصلوا باب الخليفة وحاصروه وتخطفوا وقتلوا وفعلوا الأفاعيل فلم يتحرك الإمام بشيء من ذلك لاشتغاله بنفسه. وكان قد أهَمّه أمر خولان وقلّب الفكر في تدبير تدميرهم فَطَلب مَنْ بحضرته من قبائل ذو حسين فتقدم رئيسهم يحيى بن هادي الشايف وأهل بيته فأبدَى لهم الإمام ما أضمر من إرادة الفتك بطائفة خولان واستسرّه وأطمعه في انالته جميع ما أجلبوا به، وقال إنها لم تثبت لك يد عندي فاغتنمها، فخرج لا يُبدي لأصحابه إلا أن الدولة لا تريد الوفاء وخرج بهم إلى مشهد صلاة العيدين شامي صنعاء، والعامة وبعض الخاصة يعتقد خروجه مغاضباً وليست تلك بالطريق التي ينجوها الناجي جهة خولان تغميراً بالخبر عنه لئلا يميلوا عن مذهبهم، وأغذ السير عند آذان العصر وطوى الطريق على كاهل النصر، وبغت جماعة أهل الفساد بمحل يقال له مارِيَه ويقال له دَفِينَه ويقال

---

(١) اليمانيتين: منطقة عِدادها اليوم في خَوْلان العالية، وهي في الأصل من مخلاف ذِي جُرْت المعروف حالياً ببلاد سَنحان.

(٢) ويقولون للرجل الذي يقوم بهذا الأمر: المُبَشِّع ـ بضم ففتح فتشديد الشين المكسورة ـ أي يستخدم السحر لمعرفة السارق.

شِعْب العُثْرب ويقال له رَيْشَان من أعمال بلاد عَنْس[1] ففاجأهم وقد أثقلوا فالتقوا فبهتوا وهنالك

تفرقت الظباء على خداشٍ فما تدري خداشٌ ما تصيدُ

ثم كانت الهزيمة بـ(خَوْلان) فإنهم بعد أن أجهدوا في الطعن والضرب فولّوا الأدبار ثم كرّوا ثانيةً فصابرتهم العساكر البكيلية حتى استبيح عسكرهم وقهقر أهل خولان بعد أن انتهبت قبائل ذو حسين جميع ما طمعوه من القُرَاش والمتاع والمدرهَم وذلك شيء عظيم فإن الخولانية خرجوا ومعهم ألف بعير وانتهبوا نحو المائة الناقة، وكانت جميعها موقرة حبوباً ومتاعاً ومالاً نقدياً واقتادوا غنماً وبقراً وحميراً، وكان آخر حرب قام بينهم يوماً عند قائمة الظهيرة حتى حجَر الليل، وبلغت قَتلَى خولان نحو المائتين واحتزوا رؤوساً كثيرة وسَبُوا منهم عدةً. وعادت البكيلية نحو باب الخليفة بجميع أطماعها وراح جماعة منهم بشيء واسع من الإبل المحملة من خارج صنعاء ناحِياً نحو البلاد، وظهر بتلك الفتكة للدولة جمال؛ وطلع من مشرق سماء مجدها للإمام هلال وقُتِل بها من الشَّوَف[2] أحمد بن محمد بن هادي بن عائض وأحمد بن عبد الله بن أحمد بن عائض وجماعة من ذو حسين نحو الثلاثين، ونفَّل الإمام تلك الأسلاب وأعطى كل من وصل الباب ونال منه آل الشائف ما قضى ديون المصالح منهم والمخالف وارتفع عنده شأنهم وعظم لديه مكانهم.

هذا كله واليمن الاسفل يشتعل ناراً، غوره ونجده، وقبائل ذو محمد ببلاد تعِز والحجريّة من العام الأول. وقد تحرك إذ ذاك متولي اليمن الأسفل محمد بن علي سعد فقصد من بالمِشَيْرِق[3] من القضاة آل العنسي وكان بالمشيرق منهم محمد بن أحمد العنسي قد بث دعاة البغي شهوراً وأضمَر في نفسه الاستيلاء على ما قاربه من الحصون والمعاقل فنازله الشيخ محمد مرةً بعد أخرى وصابره على الجلاد فاشتد وتحصَّن فَلفتّ عليه القبائل من كل وجهة وأنزل به الرعب والذلة وقطع عنه المِيرَه وأخرج جماعة من أصحابه من بعض المراتب وتسلمها وكاد أن يتسلم المشيرِق ولما علم محمد بن أحمد أن لا ملاذ له ولا منجَى استغاث بجماعة من ذو محمد وكان جاءه عين في الليل فأخبره أنها ترفعت محاط ذو محمد مِن الحجريّه فارسل إلى محمد بن علي سعد فطلبه المصالحة ويذكر له أنها أَنْسدت عليه الحيل واشترط التسليم إلى يده على أن يسلم له

---

(١) ماريه، ودَفِينه: بلدتان في سائلة مَعْسج بمديرية عَنْس وأعمال محافظة ذمار، شِعب العُثْرب بالقرب منهما.

(٢) **الشَّوَف**: هم آل الشايف مشائخ ذو حسين البكيلية.

(٣) **المشيرق**: مركز إداري من مديرية حبيش وأعمال محافظة إبّ في أسافل جبل حُبيش.

حصن المشيرق والقَبَض ـ بقاف مفتوحة فموحدة مفتوحة فضاد معجمة ـ وسأله أن يدعه يذهب بما تحويه يداه من المال والمتاع والكراع فبث الجواب له ولجماعته بالنزول إليه على حكمه وما شاء فعل، وكان القاضي محمد بن أحمد قد بعث كتباً إلى قبيلة ذو محمد وكانوا بـ (المحرَس)[١] فساروا لإغاثته.

وكان النقيب صلاح القرواني الخولاني من حزب محمد بن علي سعد بـ (رباط المعاين)[٢] مستوطناً وعنده فتيةً من ذو محمد بإقامة وكفاية فمطل واحداً منهم إقامته وكفايته فاستغاث السائرة من المحرس علي الشيخ صلاح القرواني فمالوا بجمعهم على رباط المعاين فحطوا عليها وصابروا من بها ثم تسلموها بجميع ما تحويه إلا أن النقيب صلاح تحصّن بداره وكان قد أجرى إليها الأنهار وبنى حولها نُوبَة حصينة وأودع بها لمهمّاته الشحنه فقطعت (ذو محمد) عليه النهر النافذ إلى داره من خارجها فاشتد عليه الحصار ونفذ الماء والزاد وأراد الخروج فتعذر عليه فكتب إلى علي بن سعيد أبـي حليقة كتاباً وإلى صالح الصوفي صاحب اليمانية يناشدهما الله والرحم في اغاثته، وكانا منضمين مع قبائل نِهم وحاشد وخولان إلى الشيخ محمد في مضايقة من بالمشيرق فتخلف عن الإجابة علي بن أبـي حِليقه معتذراً بأن والده ببلاد تعز محصوراً وقد بعث إليه رسلاً يستحثه على الغارة، وسار الشيخ الصوفي بعد أن عبأ حمائله وزود قبائله في ثلاثمائة فهجم بهم نصف الليل، فحطّ ذو محمد علي (رباط المعاين) فأعمل السيف وسفك الدم وقتل عشرين نفراً من ذو محمد، وفتحَ للنقيب صلاح طريق، ولما التقيا أبرما أمراً ثبت به النقيب صلاح حصنه ولا تعلم قبيلة ذو محمد من باغتها[٣] في الليل وأبقى الصوفي في ثلاثين نفراً من قومه لدى النقيب صلاح وعاد محط الحصار بالمشيرق.

وكان محمد بن علي سعد قد وجد لمسيره فترة[٤] وعناء وتحولت بعد ذلك ذو محمد إلى (السوق) فحطت به خمسة أيام تنتظر وصول غارة مِن الشَّعِر حضرة القاضي عبد الله بن حسن العنسي لتستعين بها على الشيخ الصوفي فإذا بخمسمائة من ذو حسين قد أقبلت مغيرة فدلتهم على محط الشيخ الصوفي فلم يشعر إلا بالنهب والسلب والقتل في مطرحه، وكان جماعة من ذو محمد يدخلون ويخرجون إلى محمد بن علي سعد، وكان الشيخ الصوفي آمناً من جهتهم البغي لسعيهم مع الشيخ وانضمامهم إليه، فما انحجز الطائفتان إلا عن قتل شديد من الجهتين ثم عادوا للمصاولة فانكسر الصوفي وفل

---

(١) **المحرَس**: قرية في عارضة جبل صَبِرٍ.
(٢) **رباط المعاين**: من قرى ضوران آنس.
(٣) **باغتها**: (بغتَها).
(٤) فتور.

حَدّه فتسلق من حيث انكسرت قبيلة ذو محمد مغيرة ففاجؤوا محمد بن أحمد، فعلمت بتلك الخديعة قبيلة نهم أنهم إن لم يسدوا الساد الذي كان به الصوفي خرج القاضي فمالت إليه قبيلة نهم وقعدوا بذلك المسَدّ فخلفتهم بالمشاغلة قبيلة ذو حسين فكروا عليهم وتلاحم الفريقان فكانت هنالك قتله عُظمى أخرج القاضي محمد بن أحمد في خلالها محمولاً، حملته ذو محمد في نعش واحتوشته لئلا يعلم به أحد وأظهروا أنه بالقبض، وأوصلوه إلى السُوَيْق. وفي خلال هذه عاد النقيب علي بن سعيد أبو حليقة إلى المطرح فبلغه ما صنع ذو محمد فحمل على القبض في أثر إخراج القاضي محمد فانتهبه وفتح مدافنهُ وحمّل جماله حبوباً وأسرَ ثلاثة عشر نفراً من ذو محمد كانوا بالدار غير أن من بالنوبة ثبت وصابر الحرب فزحف محمد بن علي سعد وناجزهم، فخرجوا منها ليلاً فدخلها وهدمها وهدم الدار، ثم مال الشيخ محمد بقبائله على القاضي عبد الله بن حسن وهو بحصن حب[1] وقد ذكرنا كيفية تسلمه لهذا الحسن العظيم في سنه التسع، فحط عليه الشيخ محمد وحاصره أشدّ الحصار أياماً طائلة وقطع عليه المِيَرّه ومنع الداخل والخارج فجنح القاضي إلى الإصلاح، فتسلم الشيخ محمد منه الحصن على ألف قرش وعلى أن لا يتعرض له في مسيره إلى قطعته الشّعِر، فأجابه ولاح على القاضي من ذلك العام لوائح الادبار والاستسلام.

[تمالأ جماعة من حراز على قتل رجل]

وفيها: في يوم الأحد ثالث عشر شهر رجب، مال جماعة من أهل الفساد ببلاد حراز إلى زوجة أحمد النشاد وحصلت الممالاة بينهم وبينها على قتل زوجها فقتلوه وضُبِطوا بعد هذا واستفصل أمرهم قاضي حراز محمد بن أحمد الغشم[2] فرفع إلى الإمام بشناعة تلك الحادثة وذكر أن يحيى بن ناصر جحاف وسعد بن حسين حمزة وأحمد بن حسين حمزة وحسين عبد الله عبده نَهشل وسعيد بن صالح العِجلي خمستهم أقروا عنده بقتل أحمد النشاد فأشخصهم العامل باب الإمام فألزم الإمام حاكمه البدر محمد بن علي الشوكاني النظر في الحادثة فقضى حكمه بقتلهم فضرب الإمام أعناقهم وحملت المرأة وأقيمت بالمحل الذي ضربت أعناقهم به بباب شعوب؛ فقدم بين يديها رجُلاً رجُلاً ثم عزّرها الإمام وأمر بأن يُطاف بها في شوارع المدينة وأودعها السجن.

---

(١) حَبّ: حصن شهير في جبل بَعْدان، يعتبر من أمنع حصون اليمن وهو مناوح لجبل التعكر من الشرق.

(٢) **محمد بن أحمد الغشم**: فقيه، من القضاة. توفي بقرية الهَجَرَة من مخلاف هوازن من قضاء حَراز سنة (١٢٢٦هـ).

[فتنة بين الشيعة وأهل السُنة]

وفيها: في شوال كانت الفتنة بين الشيعة وأهل السنة بصنعاء أثارها سندروس الحبشي مملوك قاضي القضاة عبد الله بن الإمام. كان من قبل إذا لقي سلطان الحبشي حافظ ناظوي المنصُور فاجأه بلعن معاوية فيتغاظى له حلماً وصبراً فتلاقيا ليلةً بباب مسجد التقوى ببستان السلطان فصرخ سندروس الحبشي بلعن معاوية وتشاهرا السلاح واختلفا ضربتين أصيب منهما سندروس في عضده وفشَى في العامة السبب فثارت الغوغاء والأوغاد واعلنوا ليلاً بلعنِ معاوية والترضية عن أمير المؤمنين الإمام علي بن أبـي طالب عليه السلام وقصدوا قُبّة المهدي العباس بأسفل صنعاء وبها جماعات من الهاشميين وهم إذ ذاك في صلاة العشاء فما زالوا يصرخون بلعن معاوية، ثم خرجوا وقصدوا بستان السلطان وبه سندروس الحبشي فسألوا له العافية.

ثم خرجوا فما مروا بباب من أبواب من يعتزي إلى السنة إلا رحموه ورحموا أبواب القرشيين من وزراء الإمام كل ذلك بالليل لئلا تعرف الدولة أحداً منهم، وبعث سيف الإسلام أحمد بن أمير المؤمنين بعض خدمه فسجن المملوكين هذا وقِدْر الفتنة لم يسكن غليانه، وصرخ الناس بلعن معاوية وشيعته وأمير العِدَد سليمان وخُبرته، وكثر اللغط فأودع سيف الإسلام الأمير سليمان وخبرته السجن حسماً لمادة الفتنة فقاسوا بالطريق شدائد وتسبب عن ذلك اخراج السادة آل المسوري والسادة آل لطف الباري من وظيفة الإحياء للطاعة وكانوا على شرط المهدي العباس.

وكان الساعي في ذلك الوزير محمد بن أحمد خليل كما أخبرني به أحمد بن إسماعيل فايع الوزير، فما مَرَّ العام الأخير حتى نكّل الإمام بمحمد بن أحمد خليل انتقاماً منه وجعل مصادرته على أيدي أصحاب سليمان فإنه أخرج بعض شرائف أهل الوظيفة على نعش من بيت من تلك البيوت التي جعلها المهدي لخاصته، فإنه جعل الثلاثة البيوت عن عدني القبّة للإمام والمؤذن والقشام وبيتاً غربـي صرح القبّة للسنادار حرصاً منه على الترغيب للمحبين.

[تجهيز يحيـى بن محسن حَنش إلى الشِعِّر]

وفيها: استيقظ الإمام وتفقد ما صدر من بني العنسي اللئان من عتوهم وتسلطهم على ضعفاء الرعية فجهز جريدة من ذو محمد يقودها الماجد الأمير يحيـى بن محسن حنش وألزمه الإمام قصد الشَعِر والنادرة وفجرة قيظان[1] فخرج من صنعاء خامس ذي الحجة الحرام فسار يطوي البلاد ولا يعلم له أحد بمراد وكانت قد أضيفت إليه البلاد

---

(١) **فجرة قيظان**: منطقة بمديرية النادرة وأعمال محافظة إبّ.

اليريمية وما إليها فظن الناس أنه قاصد للعمالة بها، وما زال يوري بمقاصده حتى فاجأ بلدة الشِّعِر وستأتي الأخبار مفصلةً بما دار عام أحد عشر.

[ملحمة يام]

وفيها: خرجت قبائل يام قاصدة لتهامة، فسيّر الإمام عليهم عبد الله جوهر بقبائل ذو حسين فالتقوا وقام بينهم الحرب فكانت ملحمة ذهب فيها كثير من يام، وصارخ ذو حسين يقول هذه بما جرى في قتلة حاشد العام وأسر ذو حسين جماعةً منهم، فعادت يام نحو وادي نجران.

[إقامة حد]

وفيها: في ذي الحجة أيضاً، أقدم رجل يقال له محمد عفيف الدريهمي على علي بن عبد الله مقبول الهاشمي حاكم الدريهمي فقتله فرفع بشأنه القاضي عبد الفتاح بن أحمد العواجي[1] بأن السبب في قتله أنه نفذ عليه حكماً من أحكام الشريعة فألزم الإمام حاكمه البدر محمد بن علي الشوكاني النظر فقَضَى بالاقتصاص منه، فأمر الإمام بضرب عنقه ببيت الفقيه لزيادة الزجر.

[الوزير علي بن حسين الجرافي]

وفيها:[2] اليوم السادس من شهر صفر، علي بن حسين الجرافي[3] الوزير حافظ المخازين. كان رجل الدنيا جمع الأموال والحبوب وله ما جريات مع أرباب الدولة يطول شرحها، منها العداوة التي كانت بينه وبين حسن العفاري فإنه أفصح العفاري للإمام المهدي في سنة خمس وثمانين (١١٨٥) بأن مخزان ذمار ويريم يقوم بالأقوات والمخرجات وأوجب ذلك نزع يده من ذينك المخزانين، وكانت الرعية والمشائخ تميل إلى المترجَم له ولقي من الإمام المهدي في ذلك بعضٍ جفوة فإنه أوقع به شبه المصادرة بأن أبقاه عند خادمه عزان من دون أن يفرض عليه مالاً.

وكان أحد أعوان المترجم له حسن بن زيد المحرابي الهاشمي الوزير نائباً على مخازن جبلة فبلغه ما وقع فسار عنها ووصل حضرة الإمام وأدخل على علي بن حسين الجرافي بمال فأخرج عن مقام عزان قائماً بالوظيفة. وجرت بينه وبين القاضي أحمد بن محمد قاطن بعض مواحشة فما يزال القاضي يضعف أمره حتى زحلقه الإمامٍ عن وساطة (جِبله) وقرّب القاضي إلى الإمام حسن عبد الله الظفري عاملاً على ذي

---

(١) **عبد الفتاح بن أحمد العُواجي**: فقيه من القضاة، تولّى قضاء مدينة بيت الفقيه.

(٢) سنة (١٢١٠هـ).

(٣) نيل الوطر ٢/ ١٣٢، هجر العلم ١/٣٦٣. وفي نيل الوطر أن وفاته سنة ١٢٠٦ هـ.

جبلة[1] وتوسط له القاضي منها ورفعت يد الجرافي وأزيل عنها المحرابي، وكذلك ما زال القاضي يضعف أمر الجرافي حتى انتزع منه الإمام وساطة بلاد المخادر وحبيش وقرّب لها محسن بن إسماعيل الشامي الهاشمي فخبط فيها خبط عشواء فتسبّبَ الجرافي بأن أقام بعض رعية المخادر يشكو محسن بن إسماعيل الشامي إلى الإمام وأفصح الشاكي بأن محسن بن إسماعيل قبض بعض الحقوق وباع بعضها فخلعه الإمام عنها ولم يستقر بها سوى عشرة أشهر.

وكان أول عمل علق به المترجم له في عام ثلاث وسبعين فإنه ما زالت أوصافه وكمالاته تُنقَل إلى المهدي العباس حتى أشخصه إليه وعلق به مخازين اليمن الأسفل وأولاه قبض الواجبات وبعثه الإمام إلى وزيره الصالح أحمد بن علي النهمي وأعجب به وما زال بحضرة الإمام. وقد وزر للإمام المنصور بالله علي بن المهدي مرات ونكّل به مرات آخرها في شوال من سنة سبع وتسعين وأرسل سعيد بن علي القَرواني لقبض أمواله التي باليمن الأسفل واستصفاها الإمام لنفسه وآل أمره آخراً إلى تجنب أمر الدولة وعرضت عليه الأعمال من بعد فلم يرضها، وقد أشرنا فيما تقدم من هذا الكتاب إلى ولايته وعزله اشارات يسيرة.

[عبد الله بن حسن الأبيض]

وفيها:[2] يوم الخميس خامس شهر القعدة، عبد الله بن **حسن** بن علي بن الحسين بن المتوكل المعروف بالأبيض[3] عن أربع وخمسين سنة. أخذ عن القاضي أحمد بن صالح بن أبي الرجال في فنون اللغة والعربية وعن شيخ مشائخنا الحسن بن إسماعيل المغربي في التفسير والأصول، وكان مغرى بالفروع وأهلها، له ميل إلى الراحة والدّعة والخلاعة والمجون وكان إذا مازح أحداً لم ينصت للمجيب عليه. وعنه مؤلف هذه الورقات غفر الله تعالى له وعِدّة من أهل طبقته في فن المعاني والبيان والنحو والصرف، وكان إذا أورد عليه الإشكال في البحث تعتريه وسوسة وسكوت وذهول حتى يلوح له أدنى ما في البحث فيجزم به ثم يعاود نفسه للوسوسة والذهول في ذلك. وله مصنف سماه (أنس الفَريد) جمع فيه أفخاذ جده المتوكل على الله إسماعيل ثم فتر لظنه الفسحة في الأجل فغادره الحمام ولم يكمل، وكان له رحمه الله تعالى شعر ركيك وربما عاناه الأيام، منه:

---

(١) انظر: نيل الوطر (١/ ٣٣٧).

(٢) (١٢١٠هـ).

(٣) نيل الوطر (٢/ ٧٤)، أعلام الوجيه (٥٧٣)، معجم المؤلفين (٦/ ٤٣)، مصادر الفكر (٤٥٠).

إذا نـأت عنـك دار للخليـط غَـدت دمـوع عينيـك تسقـي الأرض بـالمطـر
سرحت عينيك فيما استعذبت فَاءَتت بغـب تعـذبهـا، فـاصبـر علـى الصبـر
نفسـي الفِـدا لغَـزَالٍ إن رَنَـى فـرَمَـى عن قوس عينيه أضحى القلب في الأثر
مهفهـــف القـــد يسبينـــي بطلعتـــهِ ان قلـت بـدراً فمـا للبـدر مـن بـدرِ
أو قُلـت غصنـاً فـإنـي للغصـون يـزينهـا مـن بـديـع الـدَّلِ والحـوَرِ

وأجود ما سمعت له ما أجاب به علي بن محمد بن المنصور بالله الحسين وقد دعاه إلى موقفه:

سمعـاً لـدعـوة مَـولًـى سـوحُـه حَـرَمٌ لـم يَحّـك عينـاه إلا الشمـس والقمـرُ
يمشي على الرأس من يدعوه مبتهجاً لأنـــه نحـوُ خيـر النـاس يبتـدرُ
إلـى سمـاءِ مقـامٍ فـاق نيّـرهـا فيهـا الـريـاض وفيهـا البحـر والمطـرُ

وعنه استفدنا بموقف سماع تلخيص المفتاح، وقد عرض ذكر القاضي يحيى بن أكتم فقال: ضبطوه: بالمثناة، وسمعناهم يقولون: أكثم بالمثلثة، وهما معاً في اللغة بمعنى الشبْعان، قال: وهو كما يقول الناس ذو الثُدَية وسُمِع ذو اليدين بالمثلثة والمثناة التحتانية، وانه يقال: رجل صلب وصلت بالموحدة والمثناة بمعنى واحد، والبرا والثرا بموحدة ومثلثة وهو التراب، فيقال: بفيه البراء والثراء والأغثر والأغتر بالمعجمة فموحده أو مثلثه بمعنى. ومِمَن أخذ عنه شيخنا البدر محمد بن علي الشوكاني.

[عبد الرحمٰن بن المنصور]

وفيها[1] شهر جمادى عبد الرحمٰن بن المنصور بالله الحسين[2] تولى أعمالاً للمهدي العباس وسيّره لحفظ خَمِر فخرج إلى عَمْران، وبها الأمير سليم المتوكل وبلغه هنالك أن ابن حكم وبني عبد عُقّال السُوده، خرجوا عن الطاعة، فقصدهم وما خاف ولا هاب ولا ابتاس، فأقلق الإمام المهدي ذلك فعاجله بالرفع، وكان رحمه الله تعالى كثيراً ما ينقم على الدولة وأربابها، وكان الإمام المنصور بالله يحتمل له، ويشفق عليه، ويتغاضى له في أمور جمة، ثم سجنه في شهر محرم من سنة تسع وبقي بالسجن إلى شهر رمضان وأطلقه، وكان محباً للطاعة وقيام الليل وتلاوة القرآن، يجمع الفقراء وينزلهم بيته.

---

(١) سنة (١٢١٠هـ).

(٢) نيل الوطر (٢/٢٩).

وفيها، شهر القعدة محمد بن المنصور بالله الحسين بن القاسم شقيق الإمام المهدي العباس[1]. ورأيت بخط إسماعيل بن حسن النهمي، أن مولد محمد بن المنصور يوم الخميس ثامن شهر القعدة عام سبع وثلاثين ومائة وألف، قال: ومولد أخيه الخليفة أبي عبد الله العباس يوم الجمعة ثالث شهر محرم الحرام عام أحد وثلاثين ومائة وألف.

كان ذا نفاسَه وارتياح متأنقاً في المعيشة، مُعظّماً جليلاً كبيراً في الدولة، كان له ولع بالمخالطة للحكماء والمتطببين فتطبّب وعمل النفائس من المركبات والمعاجين المُفرحة، وباشر عملها. سكن بداره المعروفة بدار الأوساط برهةً من دهره، وانتقل عنها في سنة المائتين إلى الروضة البهية، بعد أن تتابع بها موت أولاده، ولمّا استقر بالروضة استطابها وفضلها، وكان يدخل على الإمام المنصور فلا يتعدَى مجلسه وربما قعد بدار الإمام الأيام ثم يعود إلى الروضة. وكان كريماً محسناً متصدقاً، له من الإمام جرايه في كل شهر سبعمائة قرش فرانصة وكفاية فاضله لا يحتاج معها، وما زال بالروضة مقيماً متصدراً للوارد والصادر حتى مات، وخرج الإمام من صنعاء فشهد دفنه بها، وله شعر ملحون ووقفت على ما كتبه إلى المترجم له قبلة عبد الرحمٰن يدعوه إلى مقامه ولا يصح شيء من نسبة البيتين إليه وهي:

بادر فأن مقام الأُنس قد كملت ... فيه المحاسن محفوف بها الزهرُ
سِوَى محاسن أخلاق خصصت بها ... دون الرجال فلا تبقى ولا تذرُ

قلت: وكان أسود ضخماً طوالاً.

وَدَخَلَتْ سَنَةُ إِحْدَى عَشْرَة وَمِائَتَيْن وَأَلْف

فيها: عقد الإمام بولايات لجماعات، فعقد ليحيى بن محسن حنش ببلاد يريم والشِّعر وعمّار شهر محرم، ثم خلعه.

وفيها: عقد ببلاد قَعْطَبه لعبد الله الضلعي وخلعه عنها.

وفيها: عقد ببلاد يريم لصالح بن علي الحمدي شهر ربيع آخر.

وفيها: عقد بذمار ليحيى بن علي زبيبة شهر القعدة.

وفيها: عقد ببندر بيت الفقيه ابن العجيل لفتح سعيد مجزبي شهر شعبان.

---

(١) نيل الوطر (٢/ ٢٦٢).

وفيها: دفع عن بيت الفقيه حسين بن أحمد الأموي.

وفيها: اشتد القحط وأجدبت الأرض وأمسكت السماء عزاليها وتنقل الناس من الديار وقصدوا كل بلدٍ توهموه قائماً بالثمار، وغلت الأسعار.

[إقامة حدود متعددة]

وفي شهر محرم أقيم الحد على أحمد بن زيد الذماري القصّار حدّ الزنا، فجلد مائة جلدة بعد إقراره أربع مرات.

وفي شهر جمادى الآخرة أيضاً أقيم الحد ببندر الفقيه ابن العجيل على الهبة سالم الخادم بأمر الإمام لزيادة الزَجر لأهل المحل، وكان قد قذف السيد محمد بن أحمد مقبول بالزنا بابنته، فرفع القاضي عبد الفتاح بن أحمد العواجي بذلك إلى حضرة الإمام فأقر الحكم عليه بجلد الثمانين هنالك.

وفي جمادى الآخرة أيضاً وقع الحكم من قاضِي الحضرة محمد بن علي الشوكاني على عتيق بن مظفر أبو عواض بإقراره أنه محارب قَطَع السبيل، وتشفع فيه جماعة من رؤساء حاشد وبكيل فما أجابهم الإمام إلى ذلك بل أمر بقطع يده اليمنى ورجله اليسرى.

وفي شوالها وقع الحكم بالقطع من قاضي الحضرة علي بن حسين بن محمد الحاضري لأنه قطع اليد اليسرى من ناجي بن هادي جابر الحاضري فقطع الإمام يده.

وفي شهر القعدة وقع الحكم من قاضي الحضرة علي بن حسين بن صالح بن قاسم صاحب أَسْنَاف[1] بالقتل لإقراره بأنه قتل طفلين أحدهما أخوه محمد والآخر ابن عمه علي بن أحمد، فقتله الإمام.

[وقعة الخُرمة بأرض الحرمين الشريفين]

وفيها كانت وقعة الخُرمة ـ بخاء معجمة مضمومة فراء مهملة ساكنة فميم مفتوحة، فتاء تأنيث ـ محلة على ثمان مراحل من مكة المشرفة، خرج الشريف غالب بن مساعد إلى بيشة في أربعة آلاف مقاتل فحدثنا سرور مملوك الشريف غالب بحضرة سيف الإسلام عام عشرين ومائتين وألف أنه كان محبوساً بالقنفذة عام تسع ومائتين في جماعة، بقي في الحبس هنالك ثمانية أشهر مع رفقته، وأُخرجُوا إلى محل آخر فَحُبسوا به شهرين، قال لنا: سأحدثكم عن ملحمة الخرمة، ما زال الشريف غالب يتتبع آثار الموهبة بما حاده من البلاد وأوقع بهم مرات، ولما كان شوال في هذا العام (سنة تسع)

---

(١) **أَسْنَاف**: بفتح فسكون ففتح. قرية ووادٍ من اليمانية السُفلى ببلاد خَوْلان العالية، تبعد عن صنعاء شرقاً بمسافة (٤٠) كيلومتراً.

سار في نحو ثمانية آلاف وأظهر قوة ما أظهرها من قبل فوصل إلى الخرمة، وهو آمنٌ من جنود عبد العزيز، وكان قد عاث هنالك فلاقته جنود نجد يقودهم ستة من الأمراء منهم الأمير ابن قرملة ـ بقاف مفتوحة فراء مهملة ساكنة فميم مفتوحة فلام فتاء تأنيث ـ في نحو الألفين. قلت: ومن قبائله عَبِيده ووادعه وسنحان الشام، ومنهم الأمير سالم بن شكبان ـ بشين معجمة مضمومة بعدها كاف ساكنة فموحدة فألف ونون ـ أمير بيشة، في جيش من قبائله. قلت وإليه ذهبان الشام ودَرْب العُقَيده ودَرْب سلمان ووَقَشَه. قال وكان في ألف منهم، ومنهم الأمير ابن قطنان ـ بضم القاف بعدها طاء مهملة فنون فألف فنون ـ في نحو خمس عشرة مائة. ومنهم الأمير أبـي غِشْيَان ـ بكسر الغين المعجمة فشين معجمة ساكنة فتحتانية مثناة وألف فنون ـ في نحو الستمائة. ومنهم الأمير ربيع ـ تصغير ربيع الشهر ـ في نحو الألفين، والأمير جهّاز صاحب القُوْعية ـ بجيم مفتوحة فهاء مشددة فألف فراى معجمة ـ والقوعية ـ بقاف مضمومة بعدها واو ساكنة فعين مهملة فياء مشددة مثناة تحتانية فتاء تأنيث ـ في ألف، فكان هنالك المصاف يقدم فيه اليوم الأول الأمير ابن أبـي قرمله، وكانت به الدائرة عليه فأخذوا في حملتهم ما أجلب به ابن قرملة فلما عاد جيش غالب مكانه طلب منهم الشريف غالب بعض الغنيمة فامتنعوا، فألزمهم فسلموا المطلوب له.

وكان انكسار ابن قرمله باليوم الأول إلى قصر الأمير ابن قطنان، وحصرت قَتْلَى ابن قرملة في اليوم الأول، فكانوا قريباً من المائة، فاستدعى ابن قرملة القبائل الملتفة للقاء غالب، فأقبلت من أغوار تلك الجهة وقامت الحرب واشتد الطعن والضرب والتحم القتال وتلاقى الأبطال فصابر غالب على الجلاد أكثر يومه، وانتقل مسرعاً في قومه، وعُقِرت فرسه من تحته وكان عليها، وانتهبت خزنته وكانت عن يمينه وشماله، ولما حازوها تهالكوا عليها، ومكروا أيديهم إليها، وأتوا على ما فيها، وهنالك كانت الملحمة العُظمى حتى خاضت الأقدام الدماء وكثر القتل في الموهبه، إلا أنهم اشتدوا بالكثرة لتبدد جيش الشريف ولم يبق إلا في نَفَر ضعيف ممن له محبة، ومضى كل نفرٍ من جند الشريف قِبَل وجهه، وحصرت قتلاه بذلك المحل فكانوا بين مصاب وجريح ثماني مائة، وعقرت عليه عشرون فرساً قُتِل من ركابها ثمانية، وعاد آخر يومه قافلاً نحو مكة، فدخلها وقذفت في عضده واستعرض الداخلين فكانوا قريب المائتين، وتفرق البقية أيدي سَبَا إلا أنه لم ينحسم له جرح من تلك الداهية. وما زالت عينيه في لياليه ساهرة باكية يتضرّب في الاراء ويستشير الكبراء فيقدِم رِجْلاً ويؤخِّر أخرى، فحمله بأسه على تعبئة الأزواد وإعادة فرض الجهاد، فطلب قبائله من كل وجهة فوصل إليه بعض وتخلّف آخرون، فسار عن مكة وأقام بالطائف نحواً من شهرين واستعرض جنده فكانوا في ثلاثة آلاف، فسار بهم يطوي البيداء فبلغ محلة يقال لها التربة، فنازل بها يوماً فورد

الأمير ابن قرملة وربيع في اليوم الآخر للغارة فتصافوا بها للقتال أربعة أيام فانتصف منهم وأخرجهم من النخيل والقُرى، وغنم ثلاثين فرساً قتل عليها ركابها، وأخذ أربعين مطية مثقلة بالزاد، وقتل ثمانمائة وثلاثين رجلاً من حملة السلاح، وفُقِدَ من أصحابه خمسة عشر، وعاد لا يلوي على أحد وبلغ إلى القُرى ـ تصغير قرية ـ فملكها فتسلم ما بها وأسر كبيرها الشيخ ابن عياف ـ بفتح المهملة فمثناة تحتانية فألف ففاء ـ وبقي بها نحواً من أسبوع، هذا وهو يذكي العيون إلى جميع الجهات حذراً على نفسه من الآفات، ثم دعىٰ إليه الشيخ ابن عياف ـ فأجابه فعطف عليه واستماله إليه ودعاه إلى أن يعاهده فعاهده، وسار عنه فحفظ له العهد عاماً ونكث، فتأَوَّا إليه الأبطال وأزمع على المصاولة والقتال وما زال على الحال حتى صحب عثمان المظايفي بعد أن راسله ومنَّاه ووعده العدات، وأرسل إليه بخمسمائة قرش فرانصة حتى كان من أمر المظايفي ما كان فإنه أولاً خرج عن بلد الله الحرام قاصداً للشيخ ابن عياف على كتم من الشريف غالب وعدم معرفة له بما دار بينه وبين الشيخ ابن عياف، وكان مسيره بإذن من غالب فإنه خرج بكتاب منه إلى عبد العزيز يدعو إلى الهدنة والمصالحة، فلما بلغ إلى الشيخ ابن عياف، أفهمه بمراده فقال: دع هذا وتوقف حتى أبعث إلى الشيخ عبد العزيز بمسيرك وأرفع لك قَدْراً عنده، فسار البريد ليقضي لابن عياف ما يريد، فاستدعاه واستحثنه في المبادرة إلى لقاه ولما بلغ مقام عبد العزيز أدناه ورغّبه أن يسعى في هواه ووعده الخير وأعظم أمره وحقَّر له عطية الشريف، ثم طلبه إلى المعاهدة فعاهد على الموت وأعطاه فرساً وعبدين وجارية وسيفاً وأمره بالجهاد، فسار عنه لا يظهر أمراً من الخلاف وقد حمل معه كتاباً تضمن الهدنة والإئتلاف، ودخل مكة ووجهه وجه الصلاح، وما زال يستخرج أمواله ويخلِّص نفسه حتى فَرّ إلى صاحب نجد عام اثنتي عشرة تقريباً، وقد أتينا على أحواله مفصلةً وما كان منه في كتابنا هذا عند تعرضنا لأحوال السنين وما كان من أمره مع غالب.

[سلوك حجاج البر للساحل]

وفيها: سار حج اليمن مع أميرهم محمد بن حسين الكبسي وعدلوا عن طريقهم المعتادة وتوجّهوا نحو الساحل وسألوا الإمام كتاباً إلى يحيى بن محمد أبو مسمار، وكان يومئذٍ متولياً أمر الديار الساحليه قائماً بأبـي عريش، ولما واجهوه ألقوا إليه كتاب الإمام، فأجلّه ووجه به يحيى بن حيدر، فسار معهم إلى متولي صبيا منصور بن ناصر يأمره أن يسيرهم في الحفظ، فأجلّه ووجه معهم يحيى بن حيدر بكتابٍ من منصور إلى أمير درب بني شعبة عرّار ـ بمهملات ـ بن من شار بمعجمة فألف فرا ـ فسار إليه وهو بالشقيق، فتلقاهم عرّار هنالك في أربعة عشر فارساً، وبعث بهم مع عبد من عبيده تحت الحفظ، وبلغ بهم حلي بن يعقوب كل ذلك خوفاً من جماعة الموهبة أن يستبيحوهم وكان قد فشَى الأمر وسارت الدعوة شرقاً وغرباً. ونمى أمر عبد العزيز بالحجاز وشَهْران

وآل ثاجر والحجادرة وبني سعد والأكلب وآل السيّار وقد قدمنا ما كان من قبائل الأكلب وآل السيار مع صاحب اليمن في عام ست وتسعين وكيف آل أمر حاج اليمن معهم وأنهم عدلوا عن سلوك تلك الديار إلى تهامة الحجاز خوفاً منهم وفصَّلناه.

[انتساب أبـي نقطة إلى عبد العزيز]

وفي: هذا العام[1] أو قبله مال أبو نقطة متولي عسير إلى داعي عبد العزيز فأجابه وحرّض الناس على الطاعة والدخول مع الجماعة، وأقام شرع الفتنة، وشرع شعار المحنة، وصال وجال على القبائل في جميع الأحوال ولم يباشر محادداً، ولا تعدّى أحداً، خلا أنه كان يبعث بالرسائل إلى سائر القبائل مُرَغباً لهم وواعداً بالخير ممنياً بالغِنىٰ والظفر بالمُشتهى النفساني، محرضاً على الإجابة، وكان قد شارف على شيء مما تناقله النجديون عن فضلائهم. وسيأتي بعد هذا العام صفة الدرس الذي كان يمليه على القوم صباح كل يوم وسننقله بألفاظه ليعرف حُسن المسلك وهو دعىٰ حق إن لم يرد به باطلاً والله المستعان.

[اشتداد القَحط]

وفيها: اشتد القحط وظهرت الجراد بالقطر اليمني أسفله وأعلاه، واستمرت الجراد شهوراً واستولت على ما أخرجت الأرض من الزرائع، تتميماً لجدبها. ولله تعالى الحكمة، وجاءت الأخبار من ديار الشام بأنها بلغت إليهم وأكلت ما لديهم خلا أنه كان فيها سداد من عَوز فإنها خزنت بالمخازين وبيعت بالموازين.

مصادرة يحيـى بن محسن حنش للقضاة:

وفيها: أواخر سنة العشر صادر الأمير يحيـى بن محسن فَجرة قَيْظان والشِّعر ونصّب لحربها المدفع، واستمر على المناجزة أياماً حتى هدَّ أركانها وضعضع بنيانها وأذل رؤساء بني العنسي بعد أن صادرهم الشيخ الفَرِح أياماً في الأيام السابقة ولم يقف على شيء. وكان للأمير يحيـى خبرة بالحروب وتدبير فوطّىٰ بطائفته علوّهم وكدر سلوهم ولاشَى أحوالهم، وقصّر آمالهم، وأخرج رئيسهم القاضي عبد الله بن حسن من الشّعِر في خمسة عشر نفراً، خائفاً بعد أمِنه، مدعثراً مشيد ركنه، وبعثه في جماعة من أصحابه إلى باب الإمام، فوصل إلى سيّان[2] وجاءه مرسوم من الإمام بالأمان. فسار ذليلاً صاغراً، وليت الإمام قتله فقد فعل قبل هذا وفعل، أخاف السبيل وأخذ الكثير العليل، وألقى بكل غور ونجد الجريح والقتيل، وفعل الأفاعيل ولكن الإمام راعىٰ العفو

---

(١) سنة (١٢١١هـ).

(٢) سَيَّان: قرية في جنوب شرق صنعاء بمسافة (٢٥) كيلومتراً، وعِدادها من مديرية سَنْحان.

بعدما صدر منه ما صدر، وفرَض له في بيت المال نصيباً فأكثر، وعطف الأمير يحيى بن محسن على أخيه الشقي حسين بن حسن بالمصادرة، وكان قد عاث وأفسد واستحل المحرمات، وسمل الأعين، وقتل صبراً، وما زال بالمصادرة حتى شق به الحال، ومال إلى ذبح الأنعام والبغال، وتقوّتها، ثم مال إلى المسالمة، وبعث كتاباً يستدعي فيه الأمير يحيى إلى الوصول إليه للضيافة، فأجابه بأن الضيافة قد حصلت بما أخذنا من البلاد التي غلبت عليها ومددت يدك إليها، فغاضه ذاك فخرج بمن معه للجلاد، فكانت ملحمةً عُظمى بقاع الحقل[1]، آل الأمر منها إلى انكسار القاضي إلى وادي هلال من أعمال الشّعِر وكثر القتل والنهب في أصحابه، فاحتزّ جند الأمير يحيى منهم ثلاثة عشر رأساً من رؤساء ذو حسين؛ وبعثها باب الإمام وكانت القتلَى نحواً من خمسة وثلاثين نفراً وستين نفراً جرحَى. وخاف الشيخ عبد الله الفَرِح من ذلك الأمر، فطلب الوصول إلى الأمير يحيى، فأجابه فوصل ولما استقر بحضرته أظهر كبار قبائل الأمير يحيى مرسوماً من الإمام في ضبطه وإشخاصِه إلى الحضرة، فجامل معهم وقال قد نزل بالأمان، فلم يسعفوه إلى ذلك، وأُشخِص إلى حضرة الإمام فأقامه باب داره، وأمر به إلى السجن، وصادره به إذ كان قد فَعل وفَعل، ونقله عن السجن إلى ساحة بستان المتوكل، وشدد عليه في المصادرة غير أنه تطلب الحيلة في الخلاص، فخرج عن المحل الذي أنزل به واختفى لدى رجل من الخدم، فأخفى الإمام السؤال حتى وقع على المحل والحال فأعاده مسجوناً؛ ولما تمهّدت البلاد وتطهرت من لوث الفساد، قامت عداوة آل أميّة للعماد فلم يشعر إلا برفعه، فسار عن أغوار ذلك القطر والأنجاد حميداً منصوراً، فوصَل وجُوزي منهم بالمصادرة فأخذوا ماله ومتاعه وبيته وأرادوا بذلك دحض الجميله وستر الفضيله، وأشاعوا أنه لم يأت بطائل.

[نزول عبد الله الضلعي]

وفيها: وأرسلوا الشيخ عبد الله بن ناجي الضلعي فسار عن صنعاء، فوصل مصلحاً للقاضي حسين بن حسن وأشخصه إلى باب الإمام مؤمناً، فبقي بحضرة الإمام أعواماً، وأظهر التوبة لعجزه عن الفساد، وما زال بها مدمناً للخمر مستتراً من زيد وعمرو ومائلا إلى الرذائل. وسار عبد الله بن ناجي الضلعي عاملاً ومتولياً لقعطبة والشعِر وخُبَان في جماعات من بكيل وعيال سريح وهمدان، فحط بالنادرة، وصال بها على الأطراف، وأظهر عسفاً وجوراً، وقدّم ولده أحمد على ديار حُمر والشِرْمَان، فلم يعبأوا به وكانت ملحمة بينه وبينهم، ثم سار إلى والده فوافاه بالنادره، فأقبل عليهما الفاف الرعيّة من كل جهة وحصروهما في النادرة، وود الخلاص فلم يجد منفذاً يخرج منه، ولما مضت عليه

---

(١) **قاع الحقل**: هو حقل قتاب أو كتاب، وقد يُقال له حقل يحصب. وهو من بلاد يَرِيم.

أربعة أيام لم يشعر إلا بدخولهم إلى مدينة النادرة، فنهبوا بها فرماهم غير أنه لم ينجع فيهم، ثم تقدموا إلى الحبس ففتحوه وأخرجوا من به وحلّوا أغلال جماعة وقيود آخرين. ودارت بينه بينهم هدنةَ علىٰ دَخَن، وسيّر من حضرته كاتب الإمام أحمد بن علي الأموي ليصالح أهل الجَبْجَب، وكانت تقدمت شرذمة من جند الضلعي قليلون خمسون من الحائط مختارون، غير أنهم وصلوا فضبطهم شيخ الجَبْجب وضيّق عليهم، فلما وصل الكاتب انفكت المحنة، وتخلصهم من الفتنة، وعادوا إلى محط الشيخ الضلعي، فسيّر عن مطرحه النادرة علي بن محسن الضلعي فكانت بينهم عدة ملاحم، واستمر القتل في همدان وعيال سريح فطلب مدداً من الشيخ عبد الله بن ناجي الضلعي فأمده بما حسم الداء، وما زال باقي عامه في مصادرة حتى ورد عليه العزل، فراح عنها ولم تخلص من الفساد.

[عَوْد ذو محمد من الحجريّه]

وفيهـا: عادت قبيلة ذو محمد مـن الحجرية إلى القاعدة وكـان محمد بن علي سعد قد رتبها وملاها شحنه، فبعثوا العيون عليها، وراموا الدخول إليهـا، وانفتح الحرب بينهم وبين من فيها. وما زالوا كذلك حتى افتتحوها وتسلموها، فسار محمد بن علي سعد لمناجزتهم فكانت وقعات قُتِل فيهـا جماعة من الجهتين بَيْدَ أنهـا قلّت شوكة ذو محمد، فمالوا معه إلى الصلح فتسلمها منهم، وبذلك تم له الحزم بالبلاد، فمهّد السُبُل وأمّنها وأخاف العدو وتتبع الأشرار وأذاقهم الحرب الحـار، وتمت لـه الكلمة حتى مَرّ برجل من بندر المخا يحمل مالاً نقداً بجبال الحجريّة، وهي محـل الشرّ والخوف فتلقاهُ جماعة من أهلِ الحجرية فسألوه ما على حماره؟ فقال: على أحد الجانبين المال النقد، وعلى الآخر محمد بن علي سعد، فأجلّوهُ وساروا معه يحفظونه إلى حدود العدين، إلا أنه أضعف بولايته المتمولين وهجم على مدافن الحبوب فأخرجها، وانتفع وبسط يده على كثير من الأموال، وما حابا ولا حاذر، وباشر أهل المناصب بالمطالب، وصادر وسلّط أصحابه على الخاص والعام، وتسبب بالمطالب لشركاء الإمام فشكوا فما أجابهم في الشكاية ولا رفع عنهم الإصر في الجباية. ولما تمكن محمد بن علي سعد من البلاد ورأى أنها قد أذعنت لطاعته الأغوار منها والأنجاد، أرسل جواسيسه والعيون إلى الأطراف مُتَفَقِّداً لأهل الفساد والخلاف، وفكّر في الأمر وقدر وقدم وأخر وأعانه على تلك الأمور قوم آخرون فرأى أنها لا تصفو إلا بقطع مادة الشقاق من أهل البغي والغي والنفاق، وتطهير تلك الآفاق من لوث الطغام ومنعهم عن النزول بها والمقام، فثابر على ذلك وعمل في ترميم تلك المسالك، وصفىٰ له الأمر هنالك من هذا العام.

[خلع يحيى بن محمد حطبه عن الوقف]

وفيها: خلع الإمام عن وظيفة الأوقاف يحيى بن محمد حطبة الهاشمي، وكانت الأسباب قد تكثرت والشكايا بالناظر الأول قد تواترت، وزادها قوة نفور يحيى بن محمد عن حضوره موقف شيخنا البدر محمد علي الشوكاني للمناصفة.

[نكال الإمام بمحمد خليل]

وفيها: نكّل الإمام بوزيره محمد بن أحمد خليل، وكان إليه أعمال قبائل اليمن وحقوقهم ومتعلقاتهم، وكان قد غلب الهوى على الحسن بن عثمان واتهم أبي خليل بالخداع، وما زال يدس عليه بموقف الخليفة وينسبه إلى الخيانة وعدم الأمانة حتى مال قلب الخليفة عنه، وأرسل عليه النقيب جوهر غانم وأمره بالبقاء عليه، وكان ابن عثمان يظن به الظنون، وينسب إليه الاستبداد بمحصول البلاد، ولما نكل به الإمام أرسل الحسن بن عثمان إلى كاتب الحقوق والمقررات إسماعيل بن إبراهيم حُميد وهو مُصِغراً فشوّه محمد خليل، فسأله عن عمله ومخادعته للدولة فقال ابن حُميد: أما أمور البيانات فهي عندي مقررة دقيقها وجليلها، ولا أظنك تقف منها على شيء من خيانة فإن أموره مبنية على الصدق. فما زال به أو يتعلق بشيء حتى أيس من الظفر على ابن أبي خليل. فقال: اذهب إليه وأخبره أن المطلوب منه سكونه ببيته وإمساك قلمه عن أن يكتب إلى الإمام، وحذره عاقبة ذلك، فسار ابن حميد إليه وأفصح له عن ذلك فقال: هذا الشرط له، وأنا أعلم أنها قد أنقضت الحصة فلا يرَىَ مني لفظةً أكتبها إلى الإمام. ثم لم يشعر ابن عثمان إلا وقد أطلعه الإمام. على كتاب من ابن خليل يذكر فيه سابقته معه، وسعيه له باجتهاده ويعتذر للإمام بما فعل معه وأنه راضٍ إذا كان الرضىٰ من الإمام عليه حاصل، واستشهد بهذا البيت:

إذا نِلت منك الود فالمال هيّنٌ   وكل الذي فوق التراب ترابُ

فعاد ابن عثمان على ابن حُميد باللائمة وقال له: هذا الفاجر قد نقض الشرط الذي عليه، كان الأمر مبنياً على عدم مصادرته بالمال فأما الآن فما له بُد من تسليم ما أخذ على الإمام ثم عيَّن عليه نحو ثلاثين ألفاً، فقال: من أي جهة تطلب هذا المال؟ ففتح له كلاماً من أمور الولايات وأراد يحاسبه بكتابة تعز. فقال له ابن حُميد: إنها عائدة لآل علي بن يوسف وإنه لا يستهل الهلال حتى يأتي رسولهم فيقبض من ابن خليل ثلاثين قرشاً. فقال: فأين حقوق القبائل؟ فقال: والله ما نعلم عليه فيها إلا خيراً وإنه كواحدٍ مِنَّا له العوائد المؤصَّلة في بيان الدولة على أن متولي التفريق لحاشد وبكيل أحمد بن يحيى عقيل سَلُوه فهو يكشف لكم عن الحقيقة. فلم يظفر عليه بطائل أصلاً، فعاد علىٰ محسن بن أحمد خليل وكان يتولى صَهُبان من محمد خليل، وكانت بينهما

وحشة، فأمره ابن عثمان أن يكتب عليه المقبوض، فكتب عليه كذباً أموالاً عديدة، فصدّقه ابن عثمان وجعل كلامه ودعاويه حجةً صادره بها.

[خروج الإمام إلى وادي ظهر]

وفيها: سار الإمام عن صنعاء بأهله إلى وادي ظهر، وراح عنه يوم الإثنين ثاني وعشرين جمادى الأولى.

[البهلوان في صنعاء]

وفيها: يوم الخميس سادس عشر جمادى الآخرة، وصل الشاطر باب المنصور بدار البهمه من بير العزب فضرب جذوعه على الأرض وشدّها بالحبال، وكان ما بين الجذع والجذع نحواً من خمسة عشر ذراعاً وصعد عليها فسار وبيده عمود طويل معترض من جهة اليمين إلى الشمال بطرفيه ثقّالتان تزينان له الاستواء على الحبل، فقعد له الإمام وحضر باب داره الخاص والعام، وما زال يمشي عليها ثم يثب ويفرق رجليه فيقع بمقعدته على الحبل مرسلاً لرجليه ثم يتنكَّب عنه كما تتنكب النُشَّابَه من القوس ويقع بإحدى رجليه عليه، وهذه بليتُهُ الكبرى ورايته ينحط عن الحبل ويمسكه بإحدى رجليه مرسلاً رأسه نحو الأرض، وهذه بليَّة أخرى. وهو أمر لا يقوى عليه راكب الدابة، وأخذ صبياً على ظهره وصعد به، فلما استوى على الحَبْل ضمه إلى صدره، وانتكس فتناوله صاحب له من تحته، وصعد مرة بالنعال فمشى بها على الحبال، وصعد مرةً بصحن نحاس وسار به تحت مقعدته مقداراً، وعانا تلك الصناعة جماعة من الغوغاء، فأدركها رجل منهم فبلغ الإمام فاستدعاه ونصب له حبالاً بدار الاسعاد، فمشى عليها لكنه لا يستطيع سوى المشي السير لا يتعداه.

[خروج يـام إلى تهامـة]

وفيها: خرجت يام وقصدت تهامة، فبلغت القُطَيْع[1]، ونهبوا أمواله ونهبوا من وجدوه، وقتلوا وعاثوا وأسروا السيد أحمد بن سليمان صاحب القطيع، ونهبوا أمواله، وكانت جماهير وعادوا.

وفيها: نَحت فارع عنان مدفناً للحبوب بمحلته بالمخادر وسمّاه جهنم الكبرىٰ ونزل به يوماً فنام فجاء ابن أخيه فقتله أسفله حسداً وبغياً. ثم خرج وتحصن بقصبةٍ عمرها هنالك.

---

(١) **القُطَيْع**: بلدة جوار خط الطريق الذاهبة من الحُديدة إلى باجل.

[أحمد بن المنصور صاحب الفليحي]

وفيها[1]: يوم الثلاثاء ثالث وعشرين شهر جمادى الأولى، أحمد بن المنصور بالله الحسين[2] عن ثلاث وستين سنة بعد أن قعد بداره أياماً لا يستطيع الحركة. كان رئيساً نبيلاً مُدَبّراً ناظراً في العواقب، تولّى لأخيه المهدي العباس أعمالاً وكان يخرج إلى عمران فيستقر بها، وله ماجريات يطول شرحها أتى على أكثرها المؤرخ محسن بن حسن أبو طالب في كثير من تواريخه، وأكمل ماجرياته رفيقنا علي بن قاسم حنش[3]، وله يد في فتنة أحمد أبي علامه. وما زال حاله جميلاً، وأولاه المنصور علي بن الإمام المهدي بلدة عمران كما كان عليها في السابق، وقد كان تخلل ولايتها آخرون كيحيى بن محسن بن علي بن محسن بن المتوكل وأحمد بن قاسم بن زيد، وأرسله المنصور في كثير من المهمات فجلّىٰ فيها، وقد سقنا بعض أخباره، فيما سلف من كتابنا هذا، وله ولع بمحادثة الرجال وتطلع إلى الأحوال معظماً لأخبار العلماء فاهماً ناقداً بصيراً.

[لطف الباري الورد]

وفيها: يوم السبت سادس شعبان، لطف الباري بن أحمد بن عبد القادر الورد الثلائي، ثم الصنعاني[4]، المحدث الحافظ الحجة المجتهد النبوي. مولده عام أربع وخمسين تقريباً، قال علي بن إسماعيل النهمي: كنت إذا رأيته ذكرت الأنبياء عليهم السلام. وقال: أحمد بن لطف الله جحّاف: هو من الذين إذا روَى ذَكَر الله تعالى. وقال علي بن أحمد المغربي: إذا قيل: إن لطف الباري خطيب لم يخلق الله للخطابة مثله فصدق، فإنا عرفنا من بالتهام والحرمين الشريفين من الخطباء فما حسبناهم شيئاً لا في حسن الصوت ولا في حسن الشكل ولا في وقع الموعظة منه بحيث تؤثر في كثير من السامعين. وقال شيخنا محمد بن علي الشوكاني: كان عاملاً بعلمه، وقال عبد القادر بن أحمد: ما رأيت أخشى لِلَّهِ تعالى منه، وسُئل علي بن إبراهيم الأمير عن رجل جمع الله تعالى خير الآخرة؟ فقال: لطف الباري الورد فإني أرصدت أوقاته كلها فإذا هي مستغرقة بالذكر والصلاة والتعليم والبكاء من خشية الله تعالى.

قلت: ما أظن رجلاً يتكلم فيه بسوء إلا ما كان من أحمد فايع الوزير فإني سمعت بعض المتصلين به يذكر أنه رماه بالنصب فالله شهيدٌ عليه، وسمعت مولانا سيف الإسلام

---

(١) سنة (١٢١١هـ).

(٢) نيل الوطر (١/٩٨).

(٣) في كتابه: تتمة (طيب أهل الكِسا) لمحسن أبو طالب الذي بلغ فيه إلى سنة (١١٧٠هـ)، وزاد فيه حنش إلى سنة (١١٨٨هـ).

(٤) البدر الطالع (٢/٥٩)، نيل الوطر (٢/١٨٥)، هِجر العلم (١/٢٨٠).

يذكر أن ذلك الوزير بكىٰ مرةً لما رأى المترجَم له فاراً من بير العزب متنكباً لداهم بكيل، وكان أكثر أوقاته الخلوة مع الله تعالى، وكان يقول: إتخاذ الصاحب يشغلك عن الله تعالى والأنس بالله تعالى يقطع عنك كل وحشة. وكان حسن الوجه لا تمل العيون رؤيته إذا طلع، قلت: هلال بدى. خُلُقُه القرآن وشمائله شمائل النبوة، إذا خطب أبكى العيون وأيقظ الغافلين وألان القلوب القاسية، لا يتجوز في خطبته بذكر الحديث الضعيف وإنما ينتقي صحيح الاخبار، قال والدي: سألته عن الرضىٰ ما هو؟ فقال: سرور القلب بمرّ القضاء؛ ولا يُنال إلا بالمصابرة.

وحدثني بعض أصحابنا أن الوزير أحمد بن علي النهمي رأى ليلة قدوم لطف الباري بلدة صنعاء أن نبي الله تعالى شعيب دخل صنعاء فأصبح الوزير يسأل عن رجل وصل فقيل له لا ندري، فقصَّ الرؤيا علىٰ سعيد بن علي القرواني فقال له: هذا خطيبٌ دخل صنعاء لأن شعيباً خطيب الأنبياء عليهم السلام، فلم يشعر الفقيه[1] أحمد النهمي إلا ولطف الباري يستأذن في الدخول عليه يشكو ما جرية جرت له بثلا، فهو في خلال محادثته إذ ورد كتاب من الإمام المهدي العباس بأنه قد مات يوسف بن حسين زَبَاره وليس لعهدة الخطابة مثل لطف الباري الورد وأنه يُعجِّل بالإرسال له إلى بلده فتعجب وقال سبحان الله تعالى، واطلع لطف الباري على ذلك الكتاب ورأى ذلك من العجب العجاب. ثم ولِّي عهدة الخطابة بعد يوسف بن الحسين زباره فخزل نصف ما يعطاه من الخليفة، فجعله في أولاد يوسف بن الحسين، وكان المهدي العباس معجباً بالمترجم له فكان يدخل عليه كل شهر مرة للمناصحة وكذلك أول دولة المنصور، وقد أخذ عن البدر المنير ولازمه مدة طائلة، وأخذ عن أحمد بن محمد قاطن وعن قاسم بن محمد الكبسي وعن عدة من الشيوخ الأكابر.

وأخذ عنه مشائخنا والعامة من أهل الحديث وحضر درسه عدة من الأكابر، وكان يتصدر للوعظ بالمسجد الجامع بعد صلاة الجمعة، فيلتف عليه الملأ وكان له صوت يحير السامع عن مسيره، وكان يقدمه المهدي العباس لصلاة الجمعة أحياناً وكذلك المنصور، وكان إذا قرأ الحديث بكى، وكان يبكي في خطبته فيبكي لبكاه رقيق القلب.

وكان يبدأ الناس بالسلام ويرى تحريم الإشارة بالرأس والكف والحاجب ويقول: قال الله تعالى: ﴿وإن المساجد لله﴾ وكان يحمل المساجد على أعضاء السجود، وكنا ننزل عليه مع الوزير الحسن بن علي حنش فيحضنا على ذكر الله تعالى فنذكر الله تعالى معه تارة ونسمع موعظته ونتلقى الأحاديث تارة ونتحرز من ذنوبنا تارة، وكان أكثر ما

---

(١) في نسخة: الوزير.

يذكر في مجالسه (سبحانه الله وبحمده) ويقول إنهما يثقلان الموازين الخفيفة. واحضر لنا مرة شراباً حلواً بارداً، فشربنا وشرب فكان يمتص قليلاً، ويبين الإناء من فيه ويقول الحمد الله ثم يعود ويقول الحمد لله. وكان صيّن اللسان ما جرئ على لسانه اللعن، راجعه القاضي البدر الشوكاني، فقال له: قال الله تعالى: ﴿ألا لعنةُ الله على الظالمين﴾ فقال: نعم هكذا قال الله تعالى، فقال له فنركب شكلاً منطقياً فنقول مثلاً زيد ظالم وكل ظالم ملعون ينتج زيد ملعون، فقال: لا أقول هكذا ولا ألعن شخصاً وكره هذه المسألة.

وكان رحمه الله تعالى يفسر أوائل السور ويقول: روى ابن عباس أن: (الرّ) و(حمّ) و(نون) فواتح ثلاث سور إذا جمعت كانت الرحمـٰن، وقيل انه اكتفى عن أسماء الله تعالى بأول كل حرف منها كما في رواية عن ابن عباس في كهيعصّ أنه كبير هادٍ عزيز صادق، واستدلوا على ذلك بقول بعض العرب، فقلت لها قفي فقالت لي قاف أي وقفت.

ومما أفاده وقد سُئل عن اسم الله تعالى الأعظم: أي اسمٍ هو؟ فقال: هو في كتاب الله تعالى الذي يقول الله تعالى فيه: ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾ ولا يتصور بعد هذه الآية أن يخلو من كتاب الله تعالى أعظم أسمائه، وقال: كأني به في آية الكرسي التي قال أبي رضي الله تعالى عنه لما سئل أي آية من كتاب الله تعالى أعظم؟ قال: ﴿الله لا إلـٰه إلا هو﴾ ومحال أن يكون أعظم آية ولا يكون الاسم الأعظم فيها، فمتى تخلّق الإنسان بالحق ودعا الله تعالى بهذا الاسم إجابه.

[محمد العفاري]

وفيها[1]: محمد بن علي العفاري كاتب الدولة.

[وصول محمد البناني إلى صنعاء]

وفيها: ورد الشيخ محمد البناني من مكة إلى صنعاء، خرج بكتاب من حضرة جار الله إبراهيم بن محمد الأمير عليه رحمة القدير إلى الوزير الحسن بن علي حنش يطلب منه إيصاله بما تركه أحد بني عمه من الميراث وكان قد قبضه الحسن بن علي حنش إذ كان إليه ولاية من يرثه بيت المال، وقرر إبراهيم بن محمد الأمير اتصال نسبه بالميت. وكان المترجَم له قد سكن الغرب الأقصى وتردد إلى الحرمين الشريفين مع حذق ودهاء مفرط وحافظة صالحة، ولمّا رأى أهل اليمن لا معرفة لهم بأهل المغرب واجههم بحسن صناعته وقرر في قلوبهم حسن بلاغته فأملىٰ بمواقف الأكابر من أرباب الدولة ما نسبه لنفسه، وادعى أنه من حياكة فكرته وحدسه، فكان يوهم ويقول لبعضهم

---

(١) سنة (١٢١١هـ).

ثم يملي ويقول لبعضهم فإن سُئل عن النسبة إلى شاعر، قال: لا أعلم في الأرض مَن أملاه عليكم غيري، فمنه قوله وقد شَبّه غيم يومٍ متكاثف قد سقط طله وشمسه تلوح حيناً وتختفي حيناً، وقال لبعضهم:

يومٌ تكاثف غَيْمهُ فكأنه ... دون السماء دخان عودٍ أخضر
والطل مثل بُرَادةٍ من فضةٍ ... منثورةٍ في تربةٍ من عنبر
والشمس أحياناً تلوح كأنها ... أَمَةٌ تعرِض نفسها للمشتري

وقال لبعضهم:

لقد زارني من بعد عامٍ مودعاً ... وطوق الدجا قد صار في قبضة الفجر
فأخجلته بالعتب لما رأيتُه ... يزيل الثُريا بالهلال عن الصدر

وقال من أحسن ما نمليه، وجازاه بعض الناس بالسكوت فيه، على أن الشعر مسموع.

يا لولؤاً يسبي القلوب أنيْقا ... ورشا بتعذيب القلوب رفيقا
ما إن رأيت ولا سمعت بمثلهِ ... دُرّ يعود من الحياء عقيقا
وإذا نظرت إلى محاسن وجهه ... أبصرت وجهك في سناه غريقا
يا من تقطّع خصرُهُ من رقةٍ ... ما بال قلبك لا يكون رقيقا

ومما أملاه على حاضريه وادّعى أنه لم يسبق قائله فيه:

ولما رأيت الغرب قد غُصّ بالدجَى ... وفي الشرق من ضوّ الصباح دلائلُ
توهمت أن الغرب بحرٌ يغوصهُ ... وأن الذي يبدو من الشرق ساحِلُ

ومما أورده في الإيهام وزاد الإفهام شدة في الابهام:

خففوا عنا قليلاً ... رُبّ ضِيْقٍ في تراخ
هل شكوتم من سقامٍ ... أو جلسنا للصحاح

ومما أملاه بمحضرٍ من الناس وفيه مقاولة وجناس.

وسادنٍ قلت له صِفْ لنا ... بستاننا هذا ونارنْجَنا
فقال لي بستانكم جنّةٌ ... ومَنْ جَنَى النارَنج نارٌ جَنَا

ومما أملاه وقال لبعضهم:

لقد بَدَا خدُ من أهواه في غسقٍ ... والزهر قد فاح عَرْفاً من تورُّدِهِ
لو لم تكن رِقّةٌ في طبعه ظهرت ... ما كان قلب المعنّى طار في يده

قلت: أحسن ما نروى عنه مما نقله عن السابقين أن حفظ اللغة العربية فرض واجب قال: قال بعض أهل العلم:

حفـــــظ اللغـــــات علينـــــا فـــــرضٌ كفـــــرض الصـــــلاة
فليـــــس يُضبـــــط دِيْـــــنٌ إلا بحفـــــظِ اللغـــــات

وكان حفظه لما يحفظه الناس قليلاً فإنهم كانوا يسألونه من القائل في قصيدة كذا؟ ومن القائل من كلام كذا، فكثيراً ما يقول: لا أدري، فقال بعض الناس: أما تستحي من قول لا أدري فإنك قد أكثرتها، فقال: ما كان أحق الملائكة باللوم حتى سألوا: ﴿فقالوا لا عِلم لنا إلاّ ما علّمتنا﴾، وكان إذا جلس إلى أحد أمتع بما أسمع، وحدّث عن الغرب وأهله بأخبارٍ اضطربنا فيها ولكنها تأيدنا بما أتينا منها على أخبار دولة الغرب وأحوالها في كتابنا (قرة العين بالرحلة إلى الحرمين) فأغنىٰ عن ذلك.

وَدَخَلَتْ سَنَةُ إِثْنَا عَشَر ومِائَتَيْن وَأَلْف

فيها: عقد الإمام بولاية عمران لولده البدر محمد بن المنصور فسار عن صنعاء يوم الإثنين رابع وعشرين جمادى الأولى.

وفيها: عقد الإمام بولاية قَعْطَبه لمحسن إسماعيل الرضى.

وفيها: عقد بولاية وصاب الاعلىٰ لحسين بن زيد المحرابي غرة شهر القعدة.

وفيها: عقد بولاية وصاب الأعلا حُفاش وملحان لريحان أحمد شهر القعدة.

[فساد عمران علىٰ الضلعي]

وفيها: انفصم عقد نظام عَمْران وتبدّد وتلاشىٰ أمر يحيى بن عبد الله الضلعي بها، وأفسد عليه جبل عيال يزيد فكتب بما جرىٰ له وبث الشكوى على أبيه، وبعث رسولاً إلى قعطبه، بذلك فأجابه بجواب بديع قد ذكرناه في ترجمته آخر هذا العام.

وفيها: كانت حادثة بعمران بين رجل من آل أحمد بن القاسم أبـي طالب وبين علي بن إسماعيل حنش فإن ابن حنش دعىٰ الطالبـي إلى الخروج بفرسه إلى المضمار فامتنع فعاد عليه ابن حنش بالسيف فضربه، فاتقى الضربة بيده فجرحها وتقطعت عليه الثياب، فأرسل عز الإسلام محمد بن الإمام العلامة محمد بن حسن المحتسب فقرر الأرْش وعاد.

[استيلاء الفرنسيون على مصر]

وفيها: وردت الأخبار بدخول الفرانسة ـ جعل الله تعالى ديارهم دارسه ـ وغيرهم

من الإفرنج ديار مصر طهَّرها الله تعالى من الدنس فاستولوا عليها ومَدّوا أيدي الكفر إليها وأظهروا بها الفساد، وعاثوا وتسلطوا على من بها من المسلمين ولاثوا، كل ذلك بضرب من الخداع والمكر والحيل والأطماع، وقد أتينا على تفاصيل الأخبار وما نقل إلينا في ذلك من صنع الكفار في كتابنا (قرة العين بالرحلة إلى الحرمين)، ولا بأس بالإشارة إلى ذلك على جهة الاختصار فنقول: قد كان يقدم إلى مصر أحد كفار الفرنساوية من أولاد ملوكهم لما رغب في التجارة وسفر البحر، فما زال ينزل على مصر مرةً بعد أخرى حتى تموّل منها أموالاً واستطابها مسكناً وحالاً فعرف متوليها رغوبةُ فيها فطالبه بشيء من نفائس أهداها له وهي مما جلبه آخر عام سبع ومائتين، فأبى ذلك فأفصح عليه بأن أمواله إنما نمت ببركاته مع الإذن له بها في بيوعاته ومشترياته، وكان إذ ذاك بمصر فحبسه وأرسل من يستخرج مطلوبه من مراكبه فوقع على ما يريد وأطلقه في قيد الذل مهاناً فراح عنها ووصل إلى سلطان دياره بُونابارته ـ بضم الموحدة فواو ساكنة فنون فألف موحدة فألف فراء ساكنة فمثناة فوقانية مضمومة فهاء ساكنة ـ، وكان في نفسه من مصر لما يسمع من خيراتها فعبّأ أثقاله وطلب رجاله وهيَّأ خيوله وجماله، وسار في مراكبه يخوض لجج البحار، وقدّم فحول أصحابه الفجار فوصلوا إلى سلطان الإسلام سليم بن مصطفى خان فقدموا بين يدي نجواه هدايا وتحف، وسألوه الإذن لهم بالخروج إلى الإسكندرية ليعبروا منها إلى بحر السويس لحاجات لهم بالهند فأبىٰ ذلك ولم يسعفهم إلى ما هنالك، فتخللوا أخباره، وتفقدوا آثاره، فوجدوه منهمكاً في لذاته شغفاً بطيباته، ورأوا أمَّه تحل الأمور وتعقد وتصلح ما شاءت وتفسد، فقدموا إليها مالاً واسعاً وسألوها طلبتهم فأسعفت أمنيتهم، فجعلوا إليها صكاً في الإذن بالعبور من الإسكندرية فوضعت خاتم السلطان على ذلك، فراحوا عن ديار الروم وقد تبلّجت لهم المسالك، فمروا بجزيرة ـ مالطة من أعمال المغرب وهي تحت حوزة الإنكليز ـ فرادها حاكمه على بحر الروم، فبغتوها خوفاً من أن يفاجئهم أمره بعدُ فلا يجدون بداً من المرور بحوالي الجزيرة، وكانت بينهما العداوة التي أخبر الله تعالى عنها في كتابه، فاستولوا عليها واستباحوا ما فيها وهدموا قلاعها وحصونها وعاثوا تجارتها وقتلوا كبراءها وخلص ملك الإنكليز عنها وهو السلطان قنصُل ـ بقاف مضمومة فنون ساكنة فصاد مضمومة فلام، لقب يُعرف به ملك الإفرنج يجمعونه علىٰ قناصل ـ وقصد سلطان الإسلام يشكو ما صنع به بُونابارته، وجاءت الأخبار بأنه قد فاجأ الإسكندرية وغلب عليها، فعجب السلطان من ذلك وبقي بحضرته قُنصُل شهوراً يستغيث به ويسأله الإعانة على (الأفرنصيص) فأجابه بعد اللتيا واللتي وأذن له بالخروج عليه وقصده إلى مصر وجعل له مرسوماً ينتهج له السُبُل، فخرج في جيش جرّار وركب البحر ووصل إلى حَذَا دمشق فخرج من عَكّا جماعة يستفصحون خبره ومراده فأطلعهم على مرسوم السلطان، فأنهوهُ إلى أحمد

الجزار[1]، فاستنزله فنزل عليه وأخبره بما توجه إليه، فاستوقفه وأخبره أن الفرنساوية قاصدة له إلى عكة وأنه مستعين به وواصل سببه بسببه، فكانت القتلة العظمىٰ والداهية الدهيا بعكة. وقد ذكرنا وصف خروج الفرنسيس على أحمد الجزار وما دار بينهم وبينه وكيف أوقع بهم وذكرنا أسماء الخارجين عليهم من أمرائهم وعظمائهم وقتلته لهم، وأتينا على أخبار دخولهم الإسكندرية وما الذي أعملوه من المكر والخداع، وفصّلنا ذلك في كتابنا قرة العين فلا نطول بالإعادة ففيه مطلوب المتطلع وزيادة، وسنثبت الكتب التي وردت من الشريف غالب في هذا الحادث العظيم والخَطب الجسيم عام ثلاثة عشر ومائتين وألف إذ فيه كان وصولها، وننقل الكتاب الذي بعثته الفرنساوية إلى بونابارتة بخطه على إعمال النظر الدقيق واستعمال الخداع بذلك الفريق وإنزال الضر بجماعة المسلمين والمكر بهم وبمن أعانهم من سائر الكفرين.

[إقامة الحدود]

وفي شهر صفر ورد حكم من حاكم بندر المخا إسماعيل بن عبد الله بن عبد الرزاق بأن عبد الرحمـٰن بن سالم بن أحمد وهيب أقر بقتل حيدر بن جابر بن عطاء الله، وطالب الورثة بالقصاص فأمر الإمام بقتله في بندر المخا حضرة حسين بن أمير الدين الأموي لزيادة الزجر. ووصل في صفر أيضاً من حاكم بندر الحديدة أحمد بن إسماعيل حنش بأن عبد الله بن جمعان السندي سرق سالم بن الحاج صالح، فأمر الإمام بقطع يده في البندر حضره العامل سرور المنصور.

وفي: ربيع الأول تعدّى أحسن بن سعيد عبد الله الحداد من بلاد البستان[2] فقتل أختيه لأبيه وكانتا دون البلوغ إحداهما زهرة بنت سعيد وعمرها إذ ذاك تسع سنين ذبحها بالسكين والآخرة رزيقة بن سعيد عبد الله وهي في سبع سنين قتلها خنقاً، ولي الدم الأب والأم، فقتله الإمام حَدًّا.

[قتـل دوده]

وفي: جمادى الأولى قتل الإمام أحمد بن صالح دُوْدَه ـ بمهملتين بينهما واو ـ صاحب الجاهلية[3]، لإقراره أنه القاتل لعوضه بن حسن علي صاحب الجاهلية عمداً، وادعىٰ المدافعة فحلف والد القتيل وزوجة القتيل أنهما لا يعلمان بالمدافعة وضيقا في

---

(١) **أحمد الجزّار**: هو والي صيدا والشام. لُقّب بالجزار لفتكه البدو في مجزرة بلغت ضحاياها نحو ٧٠ ألفاً. وكانت عاصمته مدينة عَكّا ـ المنجد في الأعلام ص (٢٠٠).

(٢) **بلاد البستان**: هي المعروفة اليوم باسم بني مَطَر في مغارب صنعاء.

(٣) **الجاهلية**: محلة ببلاد هَمْدان في شمال صنعاء بمسافة نحو (٢٠) كيلومتراً.

القصاص فضرب الإمام عنقه.

وفي: شهر شعبان أقر أحمد حسين الصباحي من بيضاء صباح[1] بأنه القاتل لمحمد بن علي حلوان صاحب سَعْوان عمداً عدواناً بالسجن قصر صنعاء، وحضر ورثة القتيل جميعاً مكلفون إلا واحداً من أولاده كان قاصراً. فالتزم المكلفون بنصيب القاصِر من الدية، فضرب الإمام عنق القاتل باب داره يوم السبت آخر شعبان.

وفي: شهر القعدة أقيمت الشهادة على صالح بن حسن الحاج صاحب الجراف أنه قذف أحمد بن صالح ربيح النهمي بأنه صار يزني بكرايم حسين عبد الله بن الحاج صاحب الجراف، ووقعت المطالبة بحد القذف من أحمد صالح ربيح ومن سعيدة أخت حسين بن عبد الله، وأقر القاذف لدى حاكم الحضرة محمد بن علي الشوكاني فجلده الإمام ثمانين جلدة لقذفه الرجل وثمانين جلدة لقذفه المرأة.

[ميل أبا نقطة إلى عبد العزيز، وقواعد النجديين في الدين]

وفي: هذا العام[2] انشرح صدر أبـي نقطة صاحب عسير بسلوك طريقة عبد العزيز النجدي. ووقر في صدره ما دعاه إليه بعد أن عرف أحواله وقصد دياره وكان مهضوم الجِناب في قومه، فما زال يعده الخير والولاية على دياره ثم بدا له أن يبعثه عليهم فطلبه إليه فسار عن اختبار، وقد كانت بينهم وبين عبد العزيز ملاحم تجهّز عليهم فيها سالم بن شكبان وابن قرملة ورُبَيع وابن قَفْله، وكانت عسير تجمع قبائلها فتصاولهم، وجرت بينهم وبين قبائل شهران ورُفَيْده وعَبِيدَه عداوات وتخطفات، وآل أمرهم معه إلى الدخول في فريق يسير من عسير إلى حضرة عبد العزيز فبايعه أبو نقطة ورغب في اتّباعه وعاد بقومه إلى محله، ولم تكن الأيدي قد تغلبت على شيء من بلاد عسير فلذا كانوا مجبورين مصانةً أموالهم ودماؤهم، وسأله كتاباً فيه تعليم الناس أمر الاعتقاد وما الذي يدفع عنه الإلحاد.

وقد نقلنا ذلك برُمته، وإن كنا لم نَطّلِع على أصل مكتوبه غير أنه كان يصل إلينا عالم من أولئك فيخبرون أن أبا نقطة كان يقعد عند صباح كل يوم فتحضر القبائل والرؤساء والفقهاء وأهل الأعمال فيسمعون منه ما يتلوه عليهم في الوِرْدِ الذي يسمونه الدرس ويتحفظه السامع، فلم يَبْق في دياره كبير ولا صغير رجل أو امرأة حراً وعبداً إلاّ حفظه وعرضه عليه وسارع بقلبه الفارغ إليه؛ وهذا لفظه:

بسم الله الرحمـٰن الرحيم. اعلموا رحمكم الله تعالى أن هذه المقدمة والأربع

---

(١) بيضاء صباح: قرية من محلقات مدينة رَدَاع في منطقة صباح.

(٢) سنة (١٢١٢هـ).

القواعد، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمـٰن الرحيم، نسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يتولانا وإياكم في الدنيا والآخرة، وأن يجعلنا مباركين أينما كنا، وأن يجعلنا ممن إذا أُعطِي شكر، وإذا ابتلي صبر، وإذا أذنب استغفر، استغفر الله العظيم، واعلموا أن هذه الثلاث عنوان السعادة الحنيفيّة ملة إبراهيم، وعليكم أن تعبدوا الله مخلصين له الدين وبذلك أمر الله جمع الناس بها وخلقهم لها كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1] فإذا عرفت أن العبادة ما تسمى عبادة إلا مع التوحيد كما أن الصلاة لا تسمى صلاة إلا مع الطهارة، فإذا دخل الشرك في العبادة أفسدها كالحدث إذا دخل في الطهارة أفسدها، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ﴾[2]، عرفت حينئذ أن من أهم ما عليك معرفة هذا الشرك بالله فلعل الله يخلصك من هذه الشُبْكة فعليك بأربع قواعد من قواعد الدين ذكَر الله دليلها في محكم كتابه:

القاعدة الأولى: أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ مقرون بأن الله الخالق الباري المصور العزيز الجبار ما له شريك في ملكه، ولم تنفعهم هذه المعرفة ولا أدخلتهم في الإسلام شيئاً، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿قُلْ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾[3].

القاعدة الثانية: إن ما كفَّرهم إلا دعوة الأولياء والصالحين يريدون منهم قربَةً وشفاعةً، ودليل القربى قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[4].

القاعدة الثالثة: أن رسول الله ﷺ خرج على قوم كفار متفرقة عباداتهم، منهم من يعبد الشمس والقمر وملائكة وأنبياء وصالحين وأشجاراً وأحجاراً فقاتلهم رسول الله ﷺ وما فرق، والدليل قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[5]، ودليل أنهم كانوا يعبدون الشمس والقمر قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ

---

(١) سورة الذاريات، الآية (٥٦).
(٢) سورة التوبة، الآية (١٧).
(٣) سورة يونس، الآية (٣١).
(٤) سورة يونس، الآية (١٨).
(٥) سورة البقرة، الآية (١٩٣).

إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾[1] ودليل الملائكة قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴾[2] ودليل الأنبياء عليهم السلام قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾ ﴾[3]. ودليل الصالحين قوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾[4]. ودليل الأشجار والأحجار حديث عن أبي واقد الليثي[5] قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حديثوا عهدٍ بكفر وللمشركين سدرة يعكفون عندها ينيطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط فمررنا بسدره أخرى، فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط فكبّر ثلاثاً ولا يكبر إلا من أمر عظيم، وقال: إنها السنن والذي نفسي بيده إنكم قلتم كما قال بنو إسرائيل لموسى: ﴿ ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾ ﴾[6].

القاعدة الرابعة: إن شرك أهل وقتنا هذا أشد وأغلظ من شرك الأولين لأن الأولين يشركون في الرخاء ويخلصون في الشدة، والدليل قوله تعال: ﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾[7] وإن شرك أهل وقتنا هذا متم في الرخاء والشدة.

[الفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية]

ثم يقول بعد هذا في الدرس: الحمد لله رب العالمين، واعلموا رحمكم الله أن

---

(١) سورة فصّلت، الآية (٣٧).
(٢) سورة سبأ، الآيات (٤٠، ٤١).
(٣) سورة المائدة، الآيات (١١٦ ـ ١٢٠).
(٤) سورة النجم، الآية (١٩).
(٥) **أبو واقد الليثي**: هو عوف بن الحارث، وقيل: اسمه الحارث بن عوف ـ الجزء الرابع من أسد الغابة في معرفة الصحابة ص (٣٣٠).
(٦) سورة الأعراف، الآيات (١٣٨ ـ ١٤٠).
(٧) سورة العنكبوت، الآية (٦٥، ٦٦).

هذا توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، فأما توحيد الربوبية فإنك أيها العبد توحّد الله في أفعاله الذي يفعل، مثل أنه يخلق ولا يخلق غيره ويرزق ولا يرزق غيره ويحيي ولا يحيي غيره ويميت ولا يميت غيره ويدبر ولا يدبر غيره، فإن قيل ما معنى التدبير؟ فقل: إنه يضع الأشياء في موضعها ولا يضعها إلا عن حكمة وهذا مقرٌ به المشركون. وأما توحيد الألوهية فإنك أيها العبد توحد الله بأفعالك الذي تفعل مثل الدعاء والدعا مخ العبادة والخوف والرجاء والخشية والإنابة والذبح والنذر، صرفها كلها لله عبادة ولغيره شرك انتهى. فهذا الذي سردناه عليه اعتماد الموهبة لا تجد أحداً من أولئك من صغير وكبير وعارف وجاهل إلا وهو يعلمه ويعلّمه أهله ومَنْ وجد من أهل الأرض ممن له قدرة على دعائه إليه.

[الصلح بين غالب وعبد العزيز]

وفيها: انعقد الصلح بين غالب وبين الشيخ عبد العزيز، أنه لا يتعدّىٰ من ورد من نجد حاجاً أو معتمراً، فاشترط عليهم الإتاوة تُحمَل إليه في كل عام حج أولاده أو لم يحجوا، وتحكّم في ذلك وطلب ثلاثين ألف محبوب ذهباً، فأنكر عليه عبد العزيز ذلك المطلوب وأبَى، وما زال البريد يروح ويغدو في ذلك حتى استقر على خمسة عشر ألف محبوب، فكانت تُحمل إليه في كل عام وربما حج سعود ولاقَى غالب بن مساعد وأعطاه ذلك، وزاده هدايا وتحفاً، ودام ذلك حتى كان ما فصّلناه لك عام سبع عشرة، وسيأتي قريباً.

[صلاح أهل الحجاز]

وفيها: وصلت الأخبار بصلاح طريق حاج اليمن بسبب صاحب نجد، واشتهر بين الناس أن أهل الحجاز تشرّعوا وتركوا كثيراً من منكراتهم، ولزموا الأمانة وتطهروا بالديانة، وأقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وهجروا الزنا والربا، وكانوا من قبل لا يدينون دين الحق، يتحدث عنهم الحاج بكل مكروه ذي إعوجاج.

[وقعات ببلاد قَعْطبه]

وفي آخر هذا العام[1] سار محسن بن يحيـى خليل عاملاً على قعطبة ونجد الجماعي وصهبان والعربيين، وقصد بلاد حُمَر والشرمان وعَمارة فكانت بينه وبين قبائلها وقعات. قُتِل منها جماعة من همدان، وصلحت لَهُ من بَعد. ولما مرت به خمسة أشهر من نزوله فاجأه الحِمَام فقلّد الإمام عملها محسن بن إسماعيل الرضي الأموي فسار بجماعة من ذو محمد وحاشد فعاث بالنادرة، وتربشت به الأحوال وماجت به الأمور فصالحهم صلحاً

---

(١) سنة (١٢١٢هـ).

على دَحَن ثم توجه بلاد حُمَر والشُرْمَان[١] فكانت وقعة بينهم في أطراف بلاد حمر وقتل من أصحابه اثنان، وخمسة منهم جرحىٰ، وسار عنها فطلع جبل حُمَر واستقر بـ (عمام) بمهملة مفتوحة فميم بينهما ألف ـ وانفتح الحرب بينه وبين أهل القرى فقتل من أصحابه نحو أحد عشر ومن الرعية خمسة وعشرين نفساً يجمع القبائل وقصد الشرمان ولما لم يقف منها علىٰ طائل عاد من جبل حُمَر ـ مطرح الدولة ـ فتسلم منهم بعض الحقوق، ولكنه كان ضعيف الرأي سيء التدبير، فما شافى القضية وسار بالسيرة المرضية.

[مقتل علي بن سعيد أبـي حليقة]

وفيها: عاد علي بن سعيد أبو حليقة من اليمن الأسفل، وكان قد صدّر نفسه للشر ودعىٰ إليه إجلاف القبائل ولاحت عليه من سمات الطغيان مخايل، فترقبه جماعة يقال لهم عيال البادي، فقتلوه وأراح الله الضعفاء من شره.

وفيها: أولى الإمام عُهدة القضاء بريمة رفيقنا محمد بن أحمد مشحم[٢]. وفي آخرها أو في آخر التي بعدها، سار الأمير ربيع كبير سنحان الشام وشُرَيف قاصداً لِوَداعة الحجاز ـ قبيلةً تنتسب إلى نجران متوسطةً بين قراض والعجمان وبني قطابر، والرئيس بها يومئذٍ علي بن مسفر ـ فبغته الخبر بمسير الأمير ربيع داعية عبد العزيز إليه، ووردت بعد هذا كتب منه يطلب منه الدخول في الدين ويرميه بعمل المشركين، فأهمل الجواب وتنكب عن الصواب فناجته العيون مفصحة بما قد توجه إليه من الجنود الواسعة فاستدعىٰ العجمان وآل مُرّة وسائر القبائل المجاورين له وأكثر هذه القبائل في بيوت الشَعَر يتبعون الغيث، فتثاقلوا عنه فخرج في جماعةٍ يسيرة، فاستنجد بني مالك واستصرخ في كُلَيب، وكانت قد وصلت رسُلَه أولاً إلى مُقَدّر بن منصر بن جعفر وولد أخيه شاغب بن محمد بن منصر وهما كبيرا قبيلة مالك ـ فخذ من سحار ـ فأجاباه بالإعانة على شروط لا يحتملها، وبعث إلى رئيس كليب حسين بن قاسم، فأحال أمره علىٰ الحسين بن علي متولي صعدة فقصده علي بن مسفر وبث عليه ما قد بلغه من مسير الأمير ربيع إليه، وأفصح له بما قاد من الجنود بين يديه، فأجابه إلى المسير معه وسار في ألف مقاتل من سحار، وخرج بهم قاصداً بلاد وادعة مما تحوزه ولاية علي بن مسفر طمعاً في حفظها وتنفيراً لمن قصدها، وكان علي بن مسفر قد سار مبادراً لدياره قبل مسيرة الحسين بن علي خوفاً من هجوم النجديين عليها، فوصل إليه الحسين بن علي فيمن صحبه من جيش سحار، فأنزلهم بالبيوت المنيعة والحصون الرفيعة وأجرى لهم

---

(١) حُمَر: بضم ففتح. بلدة في الأطراف الجنوبية لمدينة قَعْطَبه الواقعة بالجهة الشرقية الشمالية من ماوية. والشرمان: بلدة في ماوية شرقي مدينة تَعز.

(٢) ستأتي له ترجمة في عام وفاته ـ سنة (١٢٢٣هـ).

الأرزاق، متحيناً لوصول الأمير ربيع ففاجأه بجيش جرار قد ملاء بالجنود النجود والأغوار، فبرز القوم للمصاف ورتبوا البيوت والدروب، فزحف الأمير ربيع بجيشه فانكسر مركز علي بن مسفر وفرّ بمن معه إلى البيوت والمعاقل فانحصروا بها أياماً، ثم بعثوا إلى الأمير ربيع يسألونه المسالمة، فأبى إلا أن يتسلموا إلى أيدِي المسلمين في سلاحهم وكراعهم وينزلوا على حكمه فقالوا على أن تعاهد ألاّ غدْر ولا خداع، فعاهدهم على ذلك فخرجوا إليه فقضى برجوع الحسين بن علي إلى دياره ويترك علي بن مسفر على حكمه واختياره، فكان ذلك ورجع الحسين بن علي في جيش سحار لم يقضوا بعضاً من الأوطار ولا وقعوا على شيء من الانتصار، فلما ولّىٰ دعىٰ علي بن مسفر إليه، وطلب منه المعاهدة لعبد العزيز والدخول تحت طاعته، وقال له: والله إن عدت إلى ما حدّثت به نفسك من قبل لأقطعن رأسك بسيفي هذا، وسلّه بين يديه، فطلب منه المهلة حتى يشاور عقلاء قومه، فأسعفه فانخزل مناجياً لهم، فأذعنوا بالطاعة ومتابعة الجماعة، فعاد إليه معاهداً، فألزمه وقومه نحو الاعتقاد من القبوريين ومشاهدهم وإخلاص العبادة لله تعالى والدعاء له وحده، وأن يجمع الناس على الصلاة في وقتها فإن تخلّف متخلف إلاّ لعذرٍ نكّله وأدّبه بالمال، وأمره بإجابة عبد العزيز إلى الجهاد والسمع والطاعة في المنشط والمكره وسَوْق الرُبع من الزكاة إلى مصدقه، فأذعن لذلك فتحوّل عنه إلى محل غير بعيد وأرسل جماعة يحلقون رؤوس أصحابه ويأمرونهم بالغسل وتطهير الأبدان من لوث الشرك، ففعلوا، فسار عنهم غير بعيد وبعث عليهم عيوناً. فعادوا فأخبروا بما يريد، ثم لم يَنْشَب أن جاءه خبر علي بن مسفر بأنه قد حَادَ وألحدّ، فعاد ثانية وأرسل إلى مشهور بن كعبان: أني مُؤمِّرُك على أولئك ومنفّذ حكمك علىٰ علي بن مسفر في جميع المسالك، وكان مشهوراً في أقصى حدود وادعة، فطمحت نفسه لذلك، فسار إليه وقد أرعد وأبرق وألهب بالخوف وَادَعه، فأحرق وأغرق. وما زال مفاشلاً لهم غير أنهم كانوا إلى طاعة علي بن مسفر أرغب فحذروه الخلاف واجتمعوا به، وسألوه طلب البقاء على الرياسة بتجديد العهد مع ربيع وتكذيب الناقل إليه. ففعل واستقر بذلك الأمر حتى كان عام خمس عشرة، وقصده ربيع لمّا تواترت عنده الأخبار بأنه قد عافَن ونقض العهد فسار إليه، وسيمر بك ما كان من أمره.

[قتلة بين الفرنسيين والإنكليز]

وفي ربيع الآخر تواجه مركب للفرنساويّة ومركبان للإنكليز بابَ عدن، فكانت بينهم ملحمة بعد بلوغ الأخبار في البحار بدخول الكفار ديار مصر وكانت الدائرة على الفرنساوي، وكان صاحب مسكات[1] قد شحذ هممِ من بالجزائر هنالك على

---

(١) مسقط.

مصاولة الفرنسيس لأسباب منها: أنه أخذ عليه جماعة من الفرنسيس دَاوَان وكانت بها أموال جمة، وأخذ عليهم بعدها ثلاثة غرابات، وكان الافرنسيس قد أخذ ثلاثة مراكب من حوزة محمد علي خان صاحب الهند وبها جماعة من الإنكليز ومركب للشلبي، فما زالت المراكب تمر من باب الهند آمنةً، إلا ما كانت من مراكب الفرنساوي فإنها لا تمر إذ ذاك من عدن إلا على مخافة.

[علي بن محمد صاحب كوكبان]

وفيها[1]: يوم الأربعاء من شهر جمادى الآخرة، علي بن محمد بن علي بن أحمد بن الناصر بن علي بن شمس الدين[2] عن ثلاث وستين سنة، مولده عام تسع وأربعين ومائة وألف، أخذ عن أحمد بن حسن بركات وعن الأستاذ عبد القادر بن أحمد وعن عيسى بن محمد، كان أعجوبة في أهله ذا وجاهة في محلة حلو العبارة لطيف الطبع دمث الأخلاق موصوفاً بالفصاحة وجودة السبك، ومن شعره المستجاد ما أورده في مدح من لا يستحق المديح وفيه حسن تعليل لتخليد لفظ فصيح قال:

عنـدي مـن المـدح معـانٍ غـدت ... أهـلاً لأن تحفـظ أو تـرقـمُ
ولـم أقـل مـا قلـت مـن مـدحـةٍ ... إلا لتخليـد الـذي أنظـمُ
فـلا تلمنـي إن مـدحـت إمـرءاً ... بـدرّ شعـرٍ وهـو لا يفهَـمُ
فـالسِلْـكُ يُكسَـى درراً وهـو لا ... يعـرف مـا يكسُـى ولا يعلـم

وله إلى شيخه عيسى بن محمد وفيه الجناس التام في ثلاثة أبيات:

مـولاي بـلِ مـولا المعـالـي الـذي ... قـد فـاق أصـلاً وزكـا محتـدا
أنـت المجلّـي فـي العلـوم التـي ... بهـا اهتـدينـا فعـرفنـا الهُـدى
لـو لـم يكـن جَلّيـت فيهـا لمـا ... جَلَّيـت مـن مـرآه فكـري الصّـدى
بحـار عـرفـانـك كـم مـرَّةٍ ... نضعـت منهـا غُلّتـي والصّـدى
منـك علـومـي فلهـذا أنـا ... أقـول مـا قُلْـتَ كـأنـي الصدا

ورأى بيتين للقاسم بن عبد الرب وهما:

خـط العَـذار وتـربـةُ الخـدِ ... حكمـاً بـأن أبقـى علـى عهـدي
وتكفـلاً بمضـآءِ حكمِهمـا ... سيفـان قـد سُـلاّ مِـنْ الغِمـدِ

---

(١) سنة (١٢١٢هـ).
(٢) البدر الطالع (١/ ٤٩٠)، هجر العلم (٤/ ١٨٩٦).

وفيه الجمع بين فاعلين وهو مغتفر شائع فقال المترجَم لَهُ:

لما بدت شمس الجمال على الـ ـورد الجني بروضة الخدِ
مَدّ العَذار على جوانبها ظِلاً لأجل صيانة الوردِ

[عبد الله بن ناجي الضلعي]

وفيها: شهر الحجة، **عبد الله بن ناجي الضلعي**[1] الرئيس المنوال. كان في أول أمره شُرطياً بباب الإمام المهدي العباس، ثم والياً على قبيلة عيال سُرَيْح، وسار مع أحمد بن سعيد الشرقي إلى حفاش لحفظ السجن، ثم انتقل إلى ولاية حجة وترقت به الأحوال حتى ولي أعمالاً كثيرة، وقصده أهل الآمال فاشتهر بالكرم وطار صيته. وامتدحه كثير من الشعراء وانقطع إليه قاسم حميد الشاعر المفلق، ولزم حضرته، وحدثنا عنه بما يعجب السامع منه، فمما حدثنا أنه ورد عليه رجل يريد الحج فقال له: ما حاجتك؟ فقال: خمسة قروش تعينني بها، فأعطاه أربعين قرشاً، ثم قال: وفوقها طلبتك ـ وأعطاه مركوباً وسأله دعوةً صالحةً. وقصده رجل من ذوي الهيئات فعظم عليه فأعطاه مائتي قرش، وامتدحه قاسم حميد فقال له: ما طلبتك؟. قال: تكسو أهلي، فقال: نعم. وكسا كل من ذكره ثم أعطاه مائة قرش فرانصة. وعطاياه وهباته كثيرة، وكان فصيحاً متكلماً يحفظ شعر أبي الطيب بكماله، حسن الاستشهاد، وصل إليه كتاب من ولده يحيى يشكو خروج عِيال سُرَيْح وأهلِ الجَبل عن طاعته ويذكر له تجمعهم عليه، فكتب على ظهر كتابه: سلام الله عليك ذكرت تقلب أحول أهل الجَبل ومن هو تحت ولايتك فما أجد لي ولهم مثلاً إلا كما قال الله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾[2] وما ذكرت من تجمُّعِهم فلا يغرنك ذلك العمل ولا يداخلك الوَجَل فما أراهم إلا كما قال الشاعر:

فلا يَغُرنْكَ من دهمائهم عَدَدٌ فإنَّ أكثرهم بل كُلَّهم بقَرُ

فأثبت على العزيمة وشد الوطأة عليهم وسيعلم الذين ظلموا أي منقلبٍ ينقلبون. وصيّر هذا الكتاب فوصل على موت أبيه ناجي الضلعي فعاد الرسول إلى **عبد الله** الضلعي بالتعزية فوصلت إليه على خلعه من قَعْطبه، فلما رأى ذلك كذلك قال: ما أظن الأمر إلا وقد ولَّىَ، فوصل إلى صنعاء وقد أصابته علة الباصور فمات بها. وكان جريئاً مهيباً بصيراً بأمور الحرب والخداع، وقد قصصنا من أخباره في مؤلفنا هذا كثيراً.

---

(١) نيل الوطر (٢/ ١٠٠).
(٢) سورة النحل، الآية (١١٢).

ودَخَلَتْ سَنَةُ ثَلاثَ عَشْرَةَ وَمائَتَيْن وَأَلْف

فيها: عقد الإمام بالجَبـي لعثمان بن صالح الأموي بعد والده صالح بن عبد الله.

وفيها: خلع عن يريم صالح بن علي الحمدي شهر شعبان.

وفيها: خلع عن قعطبه محسن بن إسماعيل الرضى الأموي.

[قتلةٌ في يام ببيت الفقيه]

وفيها: خلع فتح سعيد المجزبـي شهر شوال عن بيت الفقيه ابن العجيل، وكانت (يام) قد خرجت وانتهبوا إلى بيت الفقيه ودخلوها وأحرقوا عشاشها وانتهبوا من أطرافها، وكانَ فتح سعيد قد رتبها وانفتح الحرب بينهم وبينه فانجلت قتلةً عن مائة وسبعين نفراً من يام بعد انْ كانوا قد ضبطوا بعض المدينة فخرجوا من يوم ثاني ولعَلَّ ذلك كان آخر العام الأول.

[دخول يام إلى الدريهمي وزَبيد]

وفي هذا العام خرجت قبيلة (يام) وبلغوا إلى الدَريْهم[1] فاستقروا به ونهبوا البلاد جميعها، والتفّت الزرانيق عليهم فبغتوهم إلى الدريهم ووقعت بينهم قتلة عظيمة وعادوا البلاد فنزلوا بجماعاتٍ منهم، وأرادوا الانتصاف فدخلوا زبيد ونهبوا أمولاً منها وعادوا بلادهم.

وعقد الإمام ببيت الفقيه ابن العجيل لصالح عبد الله الأموي.

وفي خامس عشر شهر شعبان ضرب الإمام عنق عبد الله بن صالح بن علي عاطف صاحب الحصنين من بلاد خولان لأقراره بأنه قد قتل أحمد بن حسن صالح عاطف وادّعى المدافعة فلم ينهض ببرهان.

[قيام الجيلاني بالدعوة إلى الجهاد]

وفيها: قام في البلدة الحرام بوظيفة الدعاء إلى إقامة شعار سنام الإسلام محمد المغربـي الجيلاني الهاشمي لمّا وردت الاعلام بما صنعه الكفرة اللئام من الهجوم على ساحات مصر، وتصدّر بالحرم الشريف فالتفّت عليه خلائق، واستمعوا إرشاده إلى أنهج الطرائق، وفعل دعاه في القلوب ما فعل وتسامع الناس بإخباره فوردوا إليه، وبذلوا نفوسهم وأموالهم بين يديه، وكانت النساء تأتي فتستمع ما يمليه من أحاديث الحض على الجهاد فيلقين إلى الحلَقة فَتَخَاتَهن وعقودهن وملبوسهن ويقُلْن ذلك الذي علينا،

---

(١) هكذا، والأصوب (الدريهمي) البلدة الواقعة بالغرب الشمالي من بيت الفقيه، وهي اليوم مديريةٌ من مديريات محافظة الحديدة.

فاجتمعت عنده أموالاً واسعةً، ووردت إليه المتطوعة من البلاد الشاسعة، فسار بهم لمناجزة أعداء الله الفرانسه، فكان من خبره ما قصصناه في كتابنا (الرحلة إلى الحرمين) غير أنا لا نخلي هذا الكتاب من فائدة زائدة، كان السيِّد محمد الجيلاني قد دعىٰ العباد بالحرمين إلى فريضة الجهاد، فممن أعانه بالحرمين:

محمد أبا صالح الحضرمي فإنه تصدق في سبيل الله بخمسمائة بندق صغار مغربيةً ومائتي حربَة من حراب الشام ومائتي سيف وأربعمائة كيس حبوب الرز وألفي نعل ينتعلها فقراء المجاهدين.

ومنهم الشيخ عبد الرحمـٰن العَسَرِي ـ بمهملات ـ جهَّز ثلاث سواعي يركبها المجاهدون وملأها لهم ميرةً[1].

ومنهم الشيخ أحمد ناس، جهّز داوَيْن في سبيل الله. ومنهم الشريف غالب بن مساعد جهّز سواعي في سبيل الله تعالى شاحنه.

ومن أهل ينبُع محمد أبو العسل جهَّز داواً من داواته، وثلاث سواعي آخرات من أهل ينبع، فسيّر السيد محمد الجيلاني جماعة المتطوعة من جده في تلك الداوات فكانوا نحْواً من أربعة آلاف مقاتل ثم سار ناحياً نحو المدينة المنورة فمرّ بأهل رابغ والخليص فدعاهم فأجابوه وبذلوا له أموالاً واسعةً، وسار إلى بدر فأنالوه، وخرج منهم جماعة متطوعة. وكان له وكلاء يجمعون الأموال معه، ثم نزل بالصفراء فدرّس بها ودعا إلى الجهاد فجاءوه بأموال واسعة، فقال له بعض العوام: انهم زيدية! فقال قد زادهم الله عليكم فضلاً فإني وجدتهم ينفقون أموالهم في سبيل الله، وسار إلى المدينة فتسلم من أهلها أموالاً جزيلة وخرج منهم ثلاثمائة متطوعة، فنزل بالجميع إلى ينبع وجاءه الخبر بأن المتطوعة من ديار مكة قد مرت مراكبهم فحمد الله وسار بمن معَهُ. وكان السابقون من مكة قد خرجوا من ريف مصر وعليهم السيد حسن الجيلاني ابن أخت السيد محمد والسيد طاهر أخو السيد محمد فنزلوا بـ (قنا) فقيل لهم أن النصارى بمدينة سمهود قريباً منكم فخرجوا نحو النصارى فاقتتلوا وكانت الدائرة في ذلك اليوم على المسلمين ففروا إلى قنا فحاصرتهم النصارى بها، فخرجوا عنها إلى بير عنبر من أعمال السويف وسار بعضهم إلى اللقيطة وعادت النصارى إلى سمهود، وورد على المسلمين الخبر بنزول الجيلاني من البحر فالتقاه جماعة منهم، فطلبهم جميعاً وسار بهم حتى إذا حاذَى مدينة أَبنود كتب إلى النصارى كتاباً يدعوهم إلى الإيمان بالله وبرسوله فإن أطاعوا وإلا فهو مقاتلٌ لهم، فأجابوه إلى القتال وانثالت جموعهم براً وبحراً فخرجت إلى مرسىٰ أبنود

---

(١) المِيْرَه: جمع مِيَر وهو الطعام الذي يدّخره الإنسان ـ المنجد في اللغة ص (٧٨١).

اثنى عشر مركباً فقصدها جماعة من المسلمين فانتهبوها وغرّقوا كثيراً من أهلها وملكوها، ووجدوا بأحدها ثمانين ألف ريال. ووصلت بعد ثلاث ليال جموع لا تُعدّ من النصارى فتوجهت في البر علىٰ أَبْنُود فقام المسلمون وجاههم فاقتتلوا من أذان الظهر إلى أن تضيقت الشمس للغروب، وكانت الدائرة بعد على المسلمين فانهم بعد ذلك تفرقوا فرقاً وذهب كُل منهم قِبَل وجهِهِ بعد أن قتل من الطائفتين خلق لا تحصى، وعاد السيد الجيلاني في أربَعين نفراً من أهل اليمن وطلع قلعة أبنود فتبعته النصارى بجمع لا يُحصىٰ فأحرقوا مدينة أبنود وتوجهوا على القلعة فأحرقوا بابها غير أن السيد ومَنْ في حضرته أحربُوا حرباً حاراً في ذلك اليوم، وما زالوا كذلك ثلاثة أيام حتى فقد ما بها من الماء والزاد فخرج بمن معه ليلاً وسار بهم إلى بير عنبر فلقي بها جماعة من المسلمين فسألهم عن اخوانهم فأخبروه بتشتتهم، فسار بهم تلك الليلة إلى محلة يقال لها حجازه في نفرٍ خفيف وأبقىٰ ببير عنبر السيد حسن الجيلاني وكان بها من الصناجق حسن بَيْه الجِدَّاوِيّ الخارج أيام أبـي الذهب إلى الحرمين الشريفين، وكذلك عثمان بيه حسن صنجق آخر، قد التف جمعهما العظيم مع المتطوعة المسلمين وراح الجيلاني من هنالك وقد أدرك علة فاستقر بـ (حجَازَه) ثلاثة أيام فأدركه الأجل، وجاءت الرسائل إلى من بـ (أبنود) و (بير عنبر) مخبرةً بوفاته رحمه الله وطالبت من المسلمين الوصول للاطلاع على الوصيّة، فانثالت إلى حجازه جمع من المسلمين للنظر فيما أوصى به فوجدوه قد أوصاهم بتقوى الله تعالى والجهاد في سبيل الله والصبر على ملاقاة الأعداء، غير أنه تبدّد النظام وكثر الكلام وأجمع رأي المسلمين على النزول إلى ديار النصارى فساروا إلى قبائل هِلّة ـ بهاء مكسورة فلام مشددة مفتوحة فتاء تأنيث ـ وجُهَينه من أهل مصر، فالتقوا مع النصارى فاقتتلوا قتالاً شديداً فنى فيه خلق ثم ساروا بعد ذلك فنزل المسلمون على بَرَارِي جرجة ـ بجيم مكسورة فمهملة ساكنة فجيم مفتوحة فتاء تأنيث ـ فتلقّاهم هنالك الشيخ عبد المنعم الهَوارِي وأخبرهم بأن النصارى بالقرب من محله، ونزل المسلمون عليه فلم يشعروا إلا بطلائع النصارى قد أقبلت عليهم فخرجوا فكانت ملحمة عُظمى فَنِيَ بها من الفريقين خَلْق واحتزّ عبد المنعم رؤوساً من قتلَى النصارى وانفصم بها عقد نظام المتطوعة وذهب الناس أرسالاً لا أمير لهم، فمنهم الذاهب إلى مصر والذاهب إلى الشام والعائد إلى الحرمين، وسنقص عليك بعض ما كان عام أربع عشرة وسنذكر إن شاء الله تعالى ما كان من مصلحة الشريف غالب لسلطان النصارى بُونابارته وتفصيله.

[كتاب من الشريف غالب، وفرمان السلطان]

وفي شهر رجب من هذا العام[1]، وصل إلى الإمام من الشريف غالب بن مساعد

---

(١) سنة (١٢١٣هـ).

كتاب مخبر بثورة الفتنة العُظمى والوثبة الصماء من الطائفة الشقية طائفة الفرانسة الافرنجية، على الاسكندرية، وبلوغها بالخداع والمماكرة، إلى ديار مصر القاهرة، وأرسل باطنه فرمان سلطان الإسلام سليم بن مصطفى خان، قال الشريف: الحمد لله الذي كل يومٍ هو في شأن، والصلاة والسلام على سيّد ولد عدنان، وعلى آله الطاهرين وصحبه والتابعين بإحسان، إلى يوم الدين. ثم نهدي مزيد سلام، نشأ من خالص الوداد، وأعرب عن صدق المحبّة والاتحاد، مع تحياتٍ طاب نشرُهَا من المآثر العظام. وبيت الله وزَمْزَم والمقام، إلى الحضرة الباهرة المنصوريّه، والعقوة الزاهرة الهاشمية، والسدة العليّة العلويّه، ساحة الخلافة اليمنية، وواسطة نظام السادة الحسنيّة. الجناب العالي الكريم، والمآب العالي الوسيم، أخينا الأكرم، وعالي الهمم، الإمام بن الإمام بن الإمام بن الإمام المنصور، وفقه الله لإصلاح الجمهور. ولا زالت العناية الربانية له ملاحظة. والكلاية الصمدانية له حافظة، آمين بجاه جده سيد المرسلين، وبعد إهداء شرف السلام، واسداء واجب التحية والإكرام، فالسؤال عن حالكم كثير، لموجب ما لكم عندنا من جميل الود الوفير، فإن سألتم عنا فنحمده سبحانه على جزيلِ فضله، وعظيم امتنانه، طيبين بخيرٍ وعافية، ونعمة من المولى الكريم وافية، والذي نُبديه إلى مسامعكم العلية، وافهامكم الذكية، من الأحوال الحادثة في الوجود، وجريان أحكام الملك المعبُود، لموجب اجتناح أهل الإسلام إلى الترفهات عن نهج المهام، وترك حزم الأمور، وغفلتهم عن حفظ الثغور؛ حتى صار ما صار من شرذمة أهل البغي والإنكار، من التهجم على بلاد اسكندرّية مصر القاهرة، بجنود من البحر على سفائين متواترة، وهم طائفة من جمهور الفرانسة، والملة الباغية التي بفضل الله أعلامهم ناكِسة، لمشاهدتهم في أحوال المسلمين، ترك ثغورهم عن التحصين، فهجموا على تلك البلاد، فلم يجدوا لجامحهم مدافع ولا حصن رَاد، فافسدوا كافة من بحوازها من العربان، بأنواع السياسة الموهمة بأنهم من طارفة السلطان، وأبرزوا للبوادي كتباً مزورة، بألفاظ غريبةٍ، بتعظيم الله ورسوله مسطرة، حتى انقادوا لهم بالطاعة، ظناً بأنهم من جنود الدولة المطاعة، وليس يخفى عليكم حال البوادي الطغام، الذين لا يعقلون إن هم إلا كالأنعام، فسلكوا بهم الطريق، وصاروا للمشركين أعظم مساعد وأعز رفيق، فجرى قدر ربنا سبحانه، باستدراج جند الشيطان أرباب الخيانة، بتملكهم للقاهرة، ودخولهم إلى مصر بحكمته الباهرة، فلا راد لقضاه، ولا محيص عمّا ارتضاه، فهو الملك المختار، وله المشيّة فيما يختار. فحينئذٍ بلغ الخبر حضرة سلطان الإسلام، أدحضَ الله بصوارم سطوته جنود اللئام، فجهّز عليهم من أبطال الأجناد، ما يعجز عن حصرها جميع الأعداء، وسيّر عليهم من جنود الإسلام، ووزرائه العظام، وجعل مقدمهم الوزير الشهير، الجزّار أحمد باشا، بلّغه الله من الخير ما شاء، فاجتمعت عليه طوائف العربان،

وتحشّدت تحت رايته كافة أهل الإيمان، وهرع إلى جهادهم المسلمون من كل مكان، حتى أقطارنا الحرميَّه ظهرت منها للجهاد سبعة آلاف، يردون في طاعة الله موارد الموت، والاتلاف، ونرجوا الله العظيم من فضله العميم، أن يؤيد بالنصر أجناد الموحدين، ويبدد بالقهر شمل الكفرة الملحدين. والحمد الله قد وردت إلينا الأخبار، بتضايق حال المشركين من الحصار، لتزاحف جنود أهل الإسلام، واحاطتهم بجميع المنافذ المصرية والمسام، فانتظم أمر التجهيز، وانتدب لنصر الدين كل ذليل وعزيز، ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزير. وفي هذا الأوان، ورد إلينا هذا الفرمان، الصادر إليكم منه صورتان، المعلِن بدواعي الفلاح، والمحرّض لكافة المسلمين على ما يرجى منه النجاح، من استعداد القوة للمصادمة والكفاح، كما هو متحتم على أهل الإسلام، خصوصاً في مثل هذه الأيام ومن أعظم الشيم والمروَّة، امتثال قوله تعالى: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوّة﴾ فبذل غاية المجهود، في محافظة الثغور وتحصين الحدود، والمرابطة في بلدان السواحل، والذب عن الأديان بسهم المرامي، وبيض الصَّوَاقل أمر محتوم على كافة الإسلام وسائر القبائل، فواصلكم صورة الأمر الشريف، والخطاب المنيف، وما المقصد من إرساله إلا تنبيهكم لحفظ البلاد، والتحذير من أرباب الكفر والعناد، كما هو مصرّح في الفرمان السلطاني، من ذكر مكائد الكفرة في جميع المعاني. ولا يعزب عن فهمكم الثاقب أن ملوك الرُوم أَمَسُّ بما تَبنى الكفرة أمورهم من المعاطب، فحثوا على المرابطة جميع المسلمين، وقوُّوا ثغور بلدانكم بالتحصين الرصين من البنيان، وشيّدوا بروح المناتق بذوي البأس من الفتيان فإن بحر الهند تجري فيه سفائنهم، وقد ظهرت فيه بأخذ الموسم ضرايرهم، فيجب من عزيز جنابكم كمال التّحري لدفع مفاسدهم، والاستعانة بالله تعالى في ادحاض مكائدهم، ومن آأكَدَ اللوازم نشر هذين الفرمانين في كافة أقطار أوامركم، وأقصى ما يحادد بلدانكم ومحاكمكم، هذا ما عنَّ لنا به الإخبار، لازلتم في كلاية الملك الستار، وإن شاء الله قريب نعيدكم بمسرّة نصر الإسلام، والمرجو من جنابكم عدم إخراجنا من الضمير المنير، باسرار صحة أخباركم، وسوق آثاركم، لاسيما بعد لما حد وحدث، وبلغكم من الإسلام، والاجناد، ودمتم سالمين، وبعين عناية الله ملحوظين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم. فهذا كتاب الشريف غالب، وهذا صورة ما نقله الشريف من الفرمان السلطاني:

[كتاب سلطان الإسلام]

بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً، ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر، ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً وينصرك الله نصراً عزيزاً﴾.

وبعد، فهذا مرسومنا المبجل الشريف، وخطابنا المعظم المنيف، لا زال نافذاً بعون الله تعالى في سائر الأرجاء والأقطار ما دام الفلك الدوّار، صَدّرناه على نظيم فرائد التحيّة والتسليم، منطوياً على قلائد التبجيل والتكريم، محتوياً مبنياً عن أحكام قواعد صيانة الدين، ومؤيداً لمعاقد حماية سنن سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وصحبه أجمعين، صدّرناه إلى عالي جناب الأمير الأمجد المبجل الأجل الأوحد المقتفي آثار أسلافه الاشراف، من آبائه الغُر صناديد آل عبد مناف، وأجداده السعيدي السِيَر الجميل الأوصاف، فرع الشجرة الزكية النبوية، طراز العصابة العلوية المصطفويّة زبدة آل الرسول، غرة بني الزهراء البتول، المحفوف بصنوف عواطف الملك الماجد، حالاً شريف مكة المشرفة الشريف غالب بن مساعد، لا زالت العناية الربانية له ملاحظة، والكلاية الصمدانية عليه حافظة وإلى قدوة العلماء وعمدة الفضلاء نائب مكة المكرمة، وكافة السادات الأشراف الأجلاء الميامين، وعلماء المذاهب الأربعة والأئمة المحترمين، ووجوه كافة المسلمين، من ساكن بلد الله الأمين، من حاضرٍ وباد، وفقهم الله إلى سبيل الرشاد، يحوطون علماً أن طائفة كفار الفرانسة، جعل الله ديارهم دارسة، وأعلامهم ناكسة، قد نقضوا العهود، وخانوا مواثيق المعبود، وخرجوا من أطوار الحدود، وهجموا على بلدان مصر وسكانها، على حين غفلةٍ من أهلها، فملكوا البلاد، وأفشوا الكفر والفساد، وخاضوا بحار الضلال والطغيان، وتحشّروا تحت راية الشيطان، وتمكن البغي في أحشائهم، ﴿وان الشياطين ليوحون إلى أوليائهم﴾ لا حَاكم يردعهم، ولا دين واعتقاد يجمعهم، يعدون النُهبَة غنيمة، والنميمة أكبر شِيَمه، فقد اتفقت اراؤهم، وارتبطت أشوارهم، على الهجوم على سائر بلدان المسلمين، وأقطار عباد الله الموحدين، بأن أهل الإسلام قويين، ولهم مزيد الصلابة في الدين، فإذا أوصلنا أقطارهم، وحللنا ديارهم، فالضعيف منهم نباشره بالحرب، والضرب والقتل والنهب، والقوي منهم ننصُب له شرائك المكر والحيل حتى تطمئن خواطرهم، وتأمن ضمائرهم، إلى أن يقعوا في اشراكنا، ونعمل فيهم ماشئنا، من مقاصدنا، ونلقى بين سائر المسلمين المكايد الخفية بالفساد، لايقاع العداوة المباينة للاتحاد، في أحوالهم وأديانهم، ولم يعلموا لعنهم الله أن الإسلام مغروس في قلوبنا، والإيمان ممزوج بلحمنا ودمنا. أَكُفر بعد ايمان، أضلال بعد هُدى؟ كلا ورب الأرض والسماء ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا﴾ وخصوصاً في طوائف العرب، لنبلغ فيهم مرام وأعزّ مطلب، ونبذل الجهد في تخريج الرعاية من الإسلام عن طاعة من وُلّي عليهم من الأحكام، حتى تكون لنا الصّولة العُظمى، ويصيرون الجميع لنا مغنماً، فيقطع بذلك سلك نظامهم، وينقصم عقد انتظامهم، فنملك حينئذٍ رقابهم وأموالهم، فإن الغرب أسرع ما استولى على ديارهم لتفرقهم في أوديتهم من أقطارهم، وغفلتهم عن حزم أحوالهم، فإن أعظم ما تشتت

جموع الإسلام، ويفِلّ حد سنائهم عن الانتظام، هدم قبلتهم وحرق مساجدهم، وإذا ظفرنا بأقطارهم، وهدمت كعبتهم ومسجد نبيهم، وبيت مقدس لهم، انقطع أملهم، وتفرق شملهم، وملكنا ديارهم. فإن الأمور لا يدركها إلا اتفاق الجمهور، فنقتل جميع رجالهم، ومن يعقل من صبيانهم، فحينئذٍ نقسم ديارهم، وأموالهم، وأملاكهم، ونحوّل بقية الناس إلى أصولنا وقواعدنا، ولساننا وديننا، فيمتحي الإسلام وقواعده وشرائعه وتندرس رسومه، وأثاره من وجه الأرض من شرقها وغربها، وجنوبها وشمالها وعُرْبها وعجمها. فهذا ما اتفق رأي الفرنسيس اللعين، من سوء المقاصد في المسلمين، جعل الله دائرة السوء عليهم، فلا يستطيعون صرفاً ولا نصراً، ونرجوا الله أن يعاملهم بعدله، في قوله: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾[1].

فهذا حال الفرانسيس في اتحادهم، وحيلهم وعنادهم وما اقتضاه باهله فاسد اجتهادهم، ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾[2] فكيف لا يكون فرضاً على كل أحد، من مسلم وموحد، أن يشمر عن ساق الجد، ويبذل نفسه وماله في مرضات الواحد الفرد، ويمتثل قول أصدق القائلين: ﴿۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[3] ويكون رابحاً في بيعهِ عن الخسران، مستبشراً بأبذال نفسه في سبيل الرحمـٰن، لقوله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ﴾[4] إلى غير ذلك من الايات البينات والأحاديث الصحيحة المرويّة عن الثقات، مما يحث على نصرة الدين، ويَلُم شعث الموحدين، فالآن أنتم يا شريف مكة وسادات الأشراف، وقايَات العرب، وحُماة الدين، وكُماة المسلمين، وغُزاة الموحدين، وأبطال الحروب الماحين، بصوارم عزمهم عن الدين، ظلام الكروب. يا رجال الغارات، ويا أركان الشريعة والعبادات، ويا حفظة الدين والأمانات، يا باذلين النفوس عند انتهاك الحرمات، ويا كافة اخواننا في الدين، والذين هم لشريعة نبيهم ناصرين، البَدار البَدار، إلى طاعة الملك الغفار، المحافظة قبلتكم، ومحتد بيتكم، منشأ الإسلام ومسجد نبيكم عليه السلام، وموطن مضاعفة عباداتكم من ساحات بين الله الحرام، فالغِيرة الغِيرة والحميّة الحمية، من صولة أعداء الدين، الذين هم عن كل ملةٍ مارقين، وبكتب الله ورسله مكذبين. فشدوا عزائمكم للقائهم واحفظوا

(١) سورة فاطر، الآية (٤٣).
(٢) سورة الصّف، الآية (٨).
(٣) سورة آل عمران، الآية (١٣٣).
(٤) سورة التوبة، الآية (١١١).

جهاتكم وسواحلكم ومنافذ بلدانكم، وسارعوا إلى الرباط إلى حدود الكفرة اللئام، ببندر جُدّه وينبع وما والاهما مما فيه صيانة المسلمين، وحفظ أعراض الموحدين. وكونوا عباد الله اخوانا ولا تنازعوا فتفشلوا، وفي سبيل الله انفقوا، وتحمّلوا، وكونوا كلمتكم واحدة، وأيديكم متناصرة متعاضدة، ولتكن سيوفكم بالغة، وسهامكم راشقة، وأسنتكم في الطعن متلاحقة، ومدافعكم صاعقة، ونبالكم إلى أفئدتهم متسابقة، ولتقصدون بذلك إعلاء كلمة الله، والذب عن بيت الله، ومسجد رسول الله ﷺ. ونرجو الله أنكم مؤيدون، بنصر الله محفوظون، بروحانية رسول الله ﷺ، ولا يكون لكم تخلف عن ذلك، ولا تراخي في حفظ تلك المسالك. ونحن في طرف السلطنة السنية، نشرنا راياتنا العلية، وبحول الله وقوته، وباهر عظمته، تملكهم عساكرنا المنصورة، وتقطعهم سيوفنا المشهورة، وقد سيرنا عليهم شجعان، لا يبالون بالموت لإعلاء كلمة الله، وغزاة يقحمون على النار، محبةً في دين الله، فتتعقب بقدرة الله أدبارهم، لعل الله يرزقنا هلاكهم، ودمارهم، فنجعلهم إن شاء الله هباءً منثوراً، كأنهم لم يكونوا شيئاً مذكوراً. فبادروا أيها المسلمون إلى الرباط بجده وينبع، ومن تخلَّف عصى الله وخالف أمرنا، فإن أمرنا اليكم، وختَمْنا عليكم، ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[1]، واستجلبوا صالح الدعوات من عُجّازكم وصالحيكم وأفاضلكم، عند البيت الحرام، وقد قال تعالى: ﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَـٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[2] وقال عليه السلام: المؤمنون كالبنيان يشد بعضهم بعضاً. وهذا يوم ينفع الصادقين صدقهم ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ كَـٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ ۚ وَأُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ

---

(١) سورة آل عمران، الآية (٢٠٠).

(٢) سورة التوبة، الآية (٤١).

أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾[1] فالبدار البدار إلى ما أمرناكم من الرباط، والحذر، ثم الحذر، من خلاف ذلك، هذا ما انتهى أمرنا إليكم، ولا زلتم موفقين بعون الملك المعين وصلى الله على محمد وآله وصحبه الميامين، آمين، آمين.

[كتاب الفرنسيين فيما بنوا عليه من حُكم الإسلام]

انتهى لفظ كتاب السلطان لم ينحرف منه حرف واحد، وطيّه كتاب الفرانسيس في مخادعته للإسلام، ولفظه هذا صورة ما وقع من الاتفاق بين طائفة الفرانسة الفراعنة الأبالسة والأمر الذي دبّروه، والمجلس الذي قرروه، وحرروه، وإجماعهم في ذلك على أخذ اقليم مصر وغيره، بأنواع الحيل ومكرها، وأبواب الحرب والقتال والطعن والجلاد، وتعيينهم لذلك بونابارته سر عسكر إلى الجهة المذكورة، وخطابهم لها في الأمور المزبورة. نقلت هذه الصورة، عنهم بيد بعض عيون المسلمين بالتركية، فعربت بالعبارة العربية، الواصلة إلينا من نفس الدولة العلية لفظها:

قالوا إن اقليم مصر من الأقاليم العظيمة، التي خيراتها جسيمة، إيراد أموالها كثيرة، ومنافعها غزيرة، وفوائدها لا تحصى، وعوائدها لا تستقصى، وأمر ذلك مفهوم عند ذي الفهوم، وقد استولوا عليها وعلى خيراتها الضخم، السناجق والمماليك الظَّلَمه، وظلمهم زاد في النهاية، وتوصَّل إلى الغاية، مما لا يخفىٰ على سائر الناس المحفوظين الحواس، والطائفة الفرنساوية لهم هِمم عليّة كل شيء أرادوه وتوجهوا إليه، أخذوه، واستولوا عليه، فالمطلوب والواجب نزع هذا الاقليم العظيم، من أيدي تلك الظلمة الذي ظلمهم عظيم، وتحُوزه الطائفة الفرنساويّة، وتختص به دون البرية، وقد آن لنا وقت أخذه والاستيلاء عليه، ونَظْفَر بعده بما حواليه، ومن المعلوم لدينا، أن دولة الانكليز علينا، عدو كبير فتحتاج الفرنساوية أن تفعل مع اعدائهم من الانكليز وغيرهم، أموراً تُنكّد عليهم الأحوال، وتخيب فيهم الآمال، فهذا لازم لا بد منه، ولا محيد عنه، مُقدّم على سائر الأمور، عند جميع الجمهور، فإذا ملكتم أيها الفرانسة اقليم مصر المذكور، يهون عليكم ضبط الهند، والبحر المحيط المسجور، من جهة السويس المعلوم، فتقتطع تجار الانكليز كما هو مفهوم، ويسهل عليكم أيضاً أخذ الأماكن الهنديّة، التي في تصرف أعدائكم الانكليز وتبلغوا الأمنية، وتخلطوا البحر السويسي ببحر النيل، كما كان عَزَمَ على ذلك من تقدّم قبلكم من الحِيَل، فقد كان أعيانكم

---

(١) سورة آل عمران، الآيات (١٠٠ ـ ١١٢).

السابقون قصدهم خلط هذين البحرين، لما في ذلك، من عظيم الشؤون، فلم يتيسر لهم ذلك، وما سلكت بهم بحسانك، فإذا أنتم فعلتم ذلك تكونوا ظفرتم بما لم تظفر به الأوائل وحصلتم على مطلوب عزمهم الكامل، فإذا حصل المقصود الشامل، سَهُل عليكم أخذ بلاد العرب التي في حكم بني عثمان، وكذا البلاد التي في سائر البحر المحيط إلى الهند، ويمتد أمركم إلى باقي البسيطه، فإذا فعلتم هذه الأحوال، أنفردتم بالقوة والظهور في سائر الأعمال، وكامل القِرآنَات، ولم يكن لكم نظير في سائر الجهات، ولا يوجد لكم مثيل في سائر الدول وأرباب الحشم والخوَل بل ربما تَفُوقُوا اسكندر ذو القرنين، وسائر أهل القوة في المشرقين والمغربين، ويصير لكم شأن واشتهار بين العالمين، في سائر الأمصار، والاعصار، يابُوْنَهْ بَارْتَه[1] أنت صاحب قوة، واقتِدَار ورفعه، ومقدار في هذه الأمور المذكورة، والأفعال المسطورة، لأن شاريش عاقل، ومدبر كامل، ولم يكن من يضاهيك في القوة والعقل والتدبير، والرحيل، والمسير. فلهذا حيث كنت كذلك، وانفردت من بين أولئك، فوَّضنا هذا الأمر إليك، وقلدناه في عنقك، وعولنا فيه عليك، وخرج من عهدتنا إلى عهدة عزمك، والرأي لديك، وهذا الحال الذي ذكرناه إليك، من أخذ أقليم مصر وبقية الأقاليم على ما قررناه لك، يا فهيم، تُحَصِّلُه في مدة قليلة، على حالة جميلة، ولا شك عندنا فيه، ولا وهم يعتريه، ويؤيد ذلك أن الظلمة المستولين على الأقاليم، حالهم وخيم، لأن عقولهم خفيفة، وقلوبهم ضعيفة، وليس عندهم رأي ولا تدبير، والطمع أعماهم وأورثهم التدمير، فاتصفوا بكامل الحماقة والغرور، وتزايدوا في الفسق والفجور، ولم يوجد فيهم صغير ولا كبير، عنده فهم أو تدبير، ولا نظرَ في العواقب للأمور، ولا خشية من الجمهور، فالغفلة والبلادة استولت عليهم أجمعين، وكذلك من يكون لهم من التابعين، فهم على هذه الحالة الشنيعة، والأفعال الفضيعة، ليس لهم همة إلا جمع الأموال، بسائر طرق الوبال، من التغلب والظلم وإضرار العباد، وتخريب البلاد، كلما رأوا جهة تقع مالوا إليها، واستأصلوها واحتالوا عليها، فنَفَرت منهم قلوب الرعية، وبغضتهم سائر البرية. فأنتم يا فرنساوية، إذا أخذتم اقليم مصر بالسويه، تحتاج تفعلوا مع الناس، مكراً وحيلاً بالإيناس من حيث يرغبون إليكم، ويكونون لكم، لا عليكم، ويصيرون معكم شيئاً واحداً ويداً وساعداً، بأن توعدوهم بمواعيد الخير المعروف، وتخادعوهم بأنواع الخداع المألوف، وتكرروا عليهم أمثال ذلك، حتى تتمكنوا هنالك، وتتملكوا أولئك. فبعد ذلك تفعلون ما بدا لكم فعله ويتفرق جمع كل منهم وشمله، وهذا الأمر مُحقّق عندنا، ومعلوم لنا، فإنكم إذا سلكتم هذه الطريقّة المذكورة، ملكتم بها القلوب

---

(١) بونابرت.

المغرورة، وانتصرتم على المماليك الظالمين، وبقية من يعاندكم من المقدمين، فأنتم إذا توجهتم إلى تلك البلاد، وحللتم بذلك الواد، مخيرون بين أمرين لا بد من أحدهما لغريمين: إما خداع ومكر وحيل؛ وإما حربٌ قوي يُزلزل الجبل، فالذي يقتضيه الحال فاسلكوه وما لا احتياج لكم إليه فاتركوه. وقد بينّا لكم ما يلزمكم في سفركم، وما تحتاجون إليه من نفركم، فأقل الأمور المراكب، التي عندنا في بلاد طولون عدتها كثرة؛ وفيها عساكر وافرة غزيرة، وأهل استعدادٍ متين، وتدبير مُبِين، وفيهم من يعرف التركية، والعربية، وغيرهما مع اللغات النصرانية، وفيهم أرباب الصنائع المحتاج إليها في الحروب، لفتح البلاد، وقمع أهل العِناد. فهولاء تصحبونهم معكم جميعاً، وتتوجهون بقوة إلى ثغر اسكندرية، وترسلون أخباراً إلى أمراء مصر البهية، وتعرفونهم بطريق المكر والخديعة، إننا مقصدنا يا أمراء مصر وأعيانها، أن نعمل معكم كل خير، ونبعد عنكم كل ضير، ونجعلكم مستقلين ومنفردين بأحكامكم في سائر أقليمكم، ولا نجعل لأحدٍ عليكم سبيلاً، وتكونوا أقوى قبيلاً، ونحرسكم[1] من تحت يد من يحكمكم من الأنام، من كل خاص وعام، بحيث لا يكون عليكم يد من أحد ونكون واياكم يداً[2] واحدة إلى الأبد، وإذا أخذنا بلاداً أخرى من غير بلادكم، جعلناها لكم، فأنتم أولى بها وأحرى، ونفوض أمر البلاد إليكم، ونعتمد في أمورنا عليكم، فإذا كنتم أيها الأمراء على هذا المنوال، حصل لنا ولكم المقصود الأعظم وامتنع الاختلال، ومعلوم عندنا أن فيكم قوة لذلك، واستعداداً لما هنالك، بل همتكم أعلى، ورأيكم أجلىٰ، لأنكم موصوفون بالقوة والشجاعة، معروفون بالمهابة والبراعة. فبناءً على ذلك أردنا أن نكون معكم أيها الأمراء على هذا الحال، ومعينين لكم في سائر الأحوال.

ثم إنكم أيها الفرنساوية، أهل العصابة القوية، تدخلون على أهل مصر من أمراء وغيرهم بهذه المداخل، وتوزعون عليهم أنواع الحيل والمشاكل فمهما ظهر لكم مما يناسب حالكم، فافعلوا ما بدا لكم، فلا تهملوه، فإنكم بهذه الطرق لا بد أنكم حبل قوتهم تحلوه، وتأخذوا مصر وتملكوها، وتحوزوها وتسلكوها.

فإذا حصل لكم ذلك، ووصلت عساكرنا هنالك، وتمكنتم من البلاد، فلا تغفلوا عن أحوال البلاد، ولا تسكنوا عن المماليك، أهل الظلم الصعاليك، ولا تطولوا مدة شاسعة، بل بعد شهرين أو أربعة، تعملوا عظيم الهمة، بقوة وعزمة، وتقطعوا رؤوس السناجق والأمراء ومن معهم من جنسهم، أو من يتبعهم، وتجتهدوا الاجتهاد الزائد في حصول، ذلك ولا تهملوا هذه المسالك.

---

(١) وردت عند الدكتور سيد: ونخرجكم.

(٢) سيد: وأياكم حالة واحدة.

ومما يؤيد هذا الرأي السديد الذي آخره لنا حميد إنه سابقاً لما أرادت الدولة الروسية أخذ القِرِم[١] من الدولة العثمانية، حصل بينهم وبين متوليه شاهينكيراي[٢] مراسلة وموافقة ومواصلة، وخادعوه بالأموال، وأوعدوه بالآمال، على أن يسلمهم بلاد القِرِم المذكور، فاستولى عليه الغرور، بسبب مواعيدهم الكبيرة، وأطماعه الغزيرة، حتى مكنهم من ذلك، وسلمهم تلك الممالك، فأخذوا القِرِم وضبطوه، واستأصلوا ما فيه وربطوه، ثم بعد ذلك أخرجوا شاهينكيراى من بلاده وأذاقوه طعم الكيد وعناده، حتى آل أمره إلى قتله، وتمزق حاله من أصله، لكن ما خرج بعد نحو ثلاث سنين، وفيها كان يفعل مع الروسية كل مهين، ويتحملونه لأجل مقصودهم، وحصول مأمولهم، فلو عالجوه[٣] بالقتل والإخراج، لما حصل لهم تعب ولا انزعاج فالأولىٰ لطائفة الفرنساوية أن لا يطاولوا[٤] مدة الأمراء المذكورين، بل يبادروا بهلاكهم أجمعين، حكم ما أشرنا إليكم، لئلا يحدث منهم أمر يوجب التعب عليكم، فأراحة الطريق منهم أمر لازم، وهو من المصالح التي حالها جازم، وإن هرب أحد منهم إلى جهة من الجهات، فلا بد أن تتبعوه حتى تقتلوه على أي حالةٍ من الحالات، ولا تبقوا منهم في مصر ولا غيرها أحداً، بل استأصلوه أنهم أعداء، وإذا رأيتم في مصر وغيرها من تكون له كلمة أو شوكة أو رأي أو انفراد، بادروا بقتله يحصل لكم المراد، وسواء كان من الأعاجم أو العرب، ممن بعد وقرب. ومما يعينكم بالظفر على الأمراء، أنكم تخادعون غيرهم سراً، وتقولون لهم نحن قاصدون لكم خيراً، بأن نرفع عنكم الظلم والمشقات، من هؤلاء الظَلَمة أهل الظلمات، وتكونوا أنتم أرباب الحلّ والعقد، والمناصب كلها بأيديكم، والأحكام مُفَوضة إليكم، ولا يكون لأحدٍ عليكم صولة، ولا تكلم ولا جولة، فإذا خادعتموهم على هذا الحال، بلغتم أعظم الآمال، في الإعانة على هلاك المصريين، ووقعت الفتن بينهم أجمعين، واختلفوا بيقين، فيكون ذلك أقوى عدة لنا، ومن مصالح أمورنا، ومتى ظفرتم بذلك، تبادروا حالاً هنالك، بضبط أموال الأمراء والتجار، قبل أن يخفوا منها شيئاً أو يحصل لهم فرار، لأن هذا أمر لازم، ومتحتم من اللوازم.

والأمر الثاني من الأمور التي اتفق عليها الجمهور أنه إذا تعسَّر عليكم أخذ مصر،

---

(١) وردت في جميع النسخ: العزم، والتصحيح من الدكتور سيد مصطفى؛ قال: وسبب هذا الخلط هو غرابة الاسم علىٰ مسامع المؤلف والناسخ. والقِرِم ـ بكسر القاف ـ شبه جزيرة في أوكرانيا؛ كانت تحت السيطرة العثمانية.

(٢) من سلاطين التتار المتأخرين.

(٣) **عالجوه**: ساقطة في نسخة الدكتور سيد. .

(٤) **أوردها الدكتور سيد**: أن لا يطول. قال هكذا الأصح.

وقهر أهلها من الأمراء وغيرهم، بالحيل والمكر بهم، فإنكم ولا بد تحاربوهم بأنواع المحاربات القوية، بالهمة العليّة، ولا تقطعوا إهمالاً في هذه القضية، والابتداء يكون من الاسكندرية، فإذا حضرتم إليها، وحصلتهم عليها، فإن أمكنكم أخذها بالحيل والخداع، فبها ونِعْمَت بلا نزاع، وإلا فحاربوهم وأحرقوهم وأخربوا ديارهم، وأهتكوا أعراضهم، ولا تخشوا من أحد فيها، فإنه ثابت عندنا، ومحقق لدينا، بأن قلاعها خراب، وأسوارها متهدمة بلا ارتياب، وليس بها أسلحة آلات حرب تردكم، ولا شجعان مثلكم ولا بها من يصدُّكم فلا تهملوا أمرها، ولا تعتبروا أهلها، فإذا أردتم السير في النيل، فقد أعددنا لكم مائة مركب صغير، صالحة لكم في المسير، فتدخلوا بها إلى مصر، وتحاصروها، وتحاربوها، وتقطعوا طائفة المماليك الذين فيها، هذا أول أشغالكم، وآخر أعمالكم، فالذي ترونه مسعفاً لكم في أخذ البلاد، أما تدبير الحيل والخداع، أو الحرب والقتل والدفاع، تفعلوا ما بدا لكم، وما يقضيه رأيكم، ثم بعد أخذكم البلاد، تجتهدوا غاية الاجتهاد، فتقطعوا كافة من فيها من المسليمن، ولا تبقوا أحداً من هؤلاء العالمين، لأن البلاد لا تصفو لنا معاشر الفرنساوية، إلا بقطعهم بالكلية.

وحاصل الكلام، في هذا المقام، أنه إذا أمكنكم أيها الفرنساوية، أخذ مصر بالمكر والتحيلات الخفية كما قلنا، وفعلتم مثلما أشرنا، كان ذلك فعلاً حسناً، وشيئاً مناسباً بيناً، وإن لم يمكنكم أخذها إلا بأنواع الحروب وأصناف القتال والضروب، كان أحسن وأجمل وأولى واجل، وأنتم في ذلك بلغتم النهاية إلى الغاية، وفي العقل والتدبير، ليس لكم نظير، فإذا تم الاستيلاء على مصر وكامل أعمالها، حصل لكم مع القوة مزيد كمالها واشتهرتم بين الاقران، واستمر ذكركم في سائر الأزمان، وفيه الكفاية لما قلناه، بل أبلغ مما ذكرناه، فلا يقع منكم إهمال، ولا يحصل بينكم إهمال». . .

هذا آخر الصورة الذي خاطبت بها الفرنساوية، رئيس عساكرهم إلى مصر المحمية، أهلكهم رب البرية. وأسم رئيس العساكر الملعون بونابارتة. وهذه الصورة وصلتنا من حضرة السلطان، فنقلناها بعينها لكم، لتحيطون بذلك علماً وتقيدوها عندكم، فإنها من المناكر الغربية، وليست من مثلهم غريبة والله الناصر عليهم.

[كتاب الشريف غالب إلى بونابرت]

قال المؤلف غفر الله تعالى له: ولما بلغ هذا المرسوم إلى الشريف غالب، خاف على الحرمين الشريفين، فبعث كتاباً إلى بونابارته يسالمه ويصالحه، وأهدي له سبع سواعي، نواخيذها جواسيس، وشحنها من البن والملابيس، واستعطفه على بلاده واستأمنه في ماله ونفسه وأولاده، وسأله فرماناً يضع خاتمه عليه، ليكون به آمناً ممن جاء إليه.

[جواب بونابرت علىٰ غالب]

فاستحسن ذلك ورأى شريف مكة عاقلاً، فوضع له مرسوماً شاملاً، يذكر فيه أن له عنده جلالةً وقدراً، وان له في قومه خطراً.

[كتاب الشريف غالب إلى الإمام]

وانه محمي الجانب، مصان من النوائب، مقبول الكلمة، لا ينال بلاده أحد من الجبابرة الظلمة، وليثق بالأمر الدافع عن بلاده الأهوال، ويقر عيناً بأن لا ينال دياره أحد من الأبطال ولما ورد عليه هذا الجواب، أَنِس به وأرسل من يستفصل له أخبار الكفار بمصر، فجاءته أخبار مضطربة، فكتب بعد هذا المرسوم الأول، الذي عُرب، كتاباً آخر إلى المنصور، ولفظه:

الحمد الله تعالى شأنه، نهدي سلاماً أعبق الكون شذاه، وأخجل البدر لحسن طلعته ورَيَّاه، وتحيّات مكيّة الأرج، مدنيّة المدد تحمل النصر والفرج، إلى جناب معدن الخلافة العلوية، ومنبع الكمالات الحسنية، وطراز عصابة الهواشم، وصفوة القادة الفواطم، من دانت له رقاب الفراعنة في أقطاره، وخضعت له رؤوس الأكابر في جميع أمصاره، ذي الأخلاق المرضية، والشمائل الرضية، المنضور بعين عناية الله المتين، والمنصور بسلطانه في كل حين، أخينا وعزيزنا الإمام بن الإمام بن الإمام أمير المؤمنين، آدام الله له الإقبال وبلغه بجاه جده خير الأمال.

وبعدُ، فباعث تحريره، وموجب تنميقه وتسطيره، حمد الله سبحانه وتعالى على نعمه وآلائه، ومننه ونعمائه، والسؤال عن جنابكم، والفحص عن أخباركم، باعلان الدعاء وتبيان صدق الوفاء، وثانياً غير خافي جنابكم، أنه قَبْل صدر منا إليكم كتاب بأخبار حوادث المشركين بمصر، وصورة جميع ما ورد إلينا من الخطاب المعلن يَنصح مضمونه نهج الصواب، وله الحمدُ سبحانه على جزيل فضله، وعظيم امتنانه، الذب إعانةً على الحق وأعوانه، بنصرة عباده المسلمين وتمام إحسانه، والذي نبديه إلى مسامعكم الزكيّة، أنه ورد إلينا يوم تاريخه نجّاب[1] من جانب مصر ببشائر النصر وأهنأ الخطاب. وذلك أن أمير الجمهور الفرنساوي اللعين، جمع كافة أعيان رعايا مصر المسلمين، وضبط عليهم جميع البيوت والحارات، وحط على كل بيتٍ من المسلمين شيء من المبالغ والبُلغات[2] بحيث لا طاقة لأهل الإسلام تسليم ما افترض عليهم من الجور العام، وقد حدد عليهم جميع تلك الأموال في نهارين، وأوعد من لم ينجز وعده بالهلاك والشين، فخرج من عنده المسلمون في حيرة، واجتمعوا في أماكنهم لأجل التشاور والبصيرة، فألهم الله

---

(١) أي رسول. كما ذكر الدكتور سيد.

(٢) هكذا. وقال الدكتور سيد: ربما المقصود بها «البلاغات» أي الأوامر.

قلوبهم الإسلامية، ووفق حميد آرائهم الإيمانية، بالهجوم من كل جانب على المشركين، وأبذلوا نفوسهم لمرضات رب العالمين، فخرجت كافة رعايا الإسلام من منازلها وهجمت على المشركين في أماكنها، وصار الجهاد خلال بيوتهم، والقتال في مجامع المشركين ودورهم، وابتهجت مصابيح وجوه الإسلام، وبُسِطَت صوارم سيوفهم في أعناق الكفرة اللئام، وأيد الله جنود الرعايا المسلمين بعظمته الباهرة، وأهلك بسيوفهم كافة المشركين بالقاهرة، وكان ذلك يوم حادي عشر جمادى الأولى[١]، وله الحمدُ في الآخرة والأولى، فأرسلت الرعايا المنصورين، نجاجيب الرعية لأمراء مصر المحترمين، وكان أقربهم لمسيرة يوم عن البلاد، حضرة محبنا الأمير مراد[٢] ففزع بكافة من حوله من العشائر والأجناد، ودخل بلاد مصر يوم ثاني عشر شهر جماد، وظَفَر بقتل ما بقي من الكفار، وانتظم شمل المسلمين بصفاء الدار، فلله مزيد الحمد والثناء، على تلك المسرة والهناء، فبقصد مسرتكم حررنا على الفور هذا الرقيم، بحصول المُخبِرة على نُصرَة الدين القويم، هذا ما عنَّ لنا به إخباركم، لازلتم في حفظ مولاكم، ودمتم سالمين ومهما جَدّ عرفناكم، وما حدث تعرفونا به، وتكون الأخبار بيننا غير منقطعة، هذا وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

حرر في شهر جمادى أول سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف سنة.

ولا يخفاكم من حال داواتنا المتعودة بالوفود إلى مراسي بنادركم، لا تزال دائماً متأخرة في شحنتها عن سفن التجار في ناديكم، فالآمال[٣] وفودها في كل عام أربعة أجواش بشحنتها إلى بندر جُدة، ونرجوا الله بهمتكم نستدرك الآمال، وتنتظم مراجينا في كل حال، فالمرجو من حميد توجيهات همتكم العليّة، بروز أمركم لكافة من كان بالبنادر البحرية من أمرائكم، بأن تكون داواتنا مقدمة في الشحين قبل كل داوٍ وغراب، وتكون جارية تلك القاعدة بهمتكم، في جميع مراسيمكم، كما هو المأمول من جنابكم، والمسؤول من مزايا أخلاقكم، ونرجو الله تعالى أن رَجَانا غير مردود، وفضل الله غير محدود، هذا ما عَنّ لنا به التماس، ودمتم سالمين. انتهى.

[جواب الإمام المنصور علىٰ الشريف غالب]

فأجاب الإمام المنصور، على ذلك المسطور:

الحمد لله ـ ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ﴾[٤] سلام تتضمَّخُ أردان

---

(١) عام (١٢١٣هـ). [١٧٩٨م].

(٢) **مراد بك**: هو أحد الأمراء المماليك في مصر.

(٣) **وردت في الأصل**: في الآمال. ولكن هكذا صححها الدكتور سيد مصطفى.

(٤) سورة المجادلة، الآية (٢١).

الأمصار بنوافح نشره، وتتعطّرُ أكوانُ الأعصار بروائح بُشْرِه، وتتضاحَك ثغور الأزهار لِشَمِيْم شذاه، وتتمايل قدود الأبكار لنسيم ريّاه، وتطلع أنوار بدوره في سماء المعاهد الشريفة المعظمة، وتسطع أشعة شموسه في فلك المشاهد المنيفة المفخَّمة، يَخُصّ حضرة جناب سليل الهواشم، ويحل بساحة نبيل الدوحة المطهرة من أبناء الفواطم، ويلم بمقام جليل السادة القادة الأكابر الخضارم، رئيس حرم الله، أمير مهابط وحي الله، مقيم شعار الجهاد، هادم أركان الفساد والعناد، أخينا الأكرم، حبيبنا الطاهر الشيم، أمير الشرفاء، شريف الأمراء، كبير العظماء، عظيم الكبراء، الشريف الأوحد، غالب بن مساعد، أدام الله تعالى إسعادة، وثبت في ملكه أطنابه وأوتاده، وكثر أعداده وأجناده، وأباد حساده وأضداده، وتولى بعين عنايته إصداره وإيراده.

وبعد حمد الله واجب الوجود، وشكر مفيض الكرم والجود، والصلاة والسلام على حامل لواء شرائع الاسلام، القائم بأعباء الرسالة أنهض قيام، وعلى آله الناشرين لأعلام الدين، القامعين بسطواتهم رؤوس المعاندين، وعلى أصحابه القاصمين حبائل الكفران، الفاصمين عقد الشرك والطغيان، فإنه وصل من جنابكم العظيم، ومقامكم الفخيم، كتاب كريم، يحكي ما صنعته أيدي الكفر، بمصر صانها الله عن كل نكْر، فَيَالَهُ من حادثٍ يبلبل الألباب ويجلب من الأحزان ما لم يكن في حساب، وواهاً له من خطبٍ يصيك مسامع الإسلام، ويخدد الخدود بفيض مدامع الأنام[1]، ولعمر الله لقد أبكى وأنكى، وروّع وفجع وأوجع، وأقام وأقعد، وشتت شمل كل أُنسٍ وبدّد، لا سيما وتلك ديار مطهرة عن أدناس الكفران، مقدسة عن أرجاس الطغيان، معمورة بالإيمان، وعبادة الملك الديّان، على مرور الأزمان، منذ أفتتحها سيوف حزب الله، ومحت أدران كفرها صوارم صحابة رسول الله، فلقد أظلم الخطب، وأدلهم الكرب، وضاقت الصدور، وغلت من الأحزان قدور، ورغب في النفير إلى سبيل الله الصغير والكبير، وتشوق إلى جهاد أعداء الله كل جليل خطير، وكيف لا وهذه نازلة قد نزلت بالاسلام والمسلمين، وفادحة قد عمت المؤمنين أجمعين، لأنها في الدين، ومن بعدت عنه ديارها، فقد أحرقت قلبه وقالبه نِيَارُها. ولقد كنا على عزم بعث الغارة، وإرسال طائفة من جنودنا المختارة، ليكونوا من الفائزين، بجهاد الكافرين، والظافرين بثواب هذه الطاعة التي هي سنام الدين، كما صح عن سيد المرسلين.

وأما الثغور في جهاتنا فهي بحمد الله محفوظة، وبعين العناية الربانية إن شاء الله تعالى[2] ملحوظة، فقد وكّلنا بحفظها من الأجناد من يقوم بهم الكفاية في الإصدار

---

(١) وردت في «أ»: الآلام.

(٢) **تعالى**: زيادة في «أ».

والإيراد، وعند ذلك العزم المتين.

وأمّا كتابكم الآخر المبشر بالفتح المُبين، الحاكي لاستئصال شأفة الكافرين أجمعين، فأنشدنا لسان حال السرور، وحدا بنا حادي الحبور، الذي عم الجمهور:

ثنـــاءٌ محـــا ذاك الأســـى المتقـــدمـــا فمـــا عبـــس المحـــزون حتـــى تبسَّمـــا

فلقد انجابت ظلمات الهموم، وتقشّعت غيوم الغُمُوم، وانبلجت الخواطر، وقرت النواظِر، وعند بلوغ تلك الأخبار، أشعرنا هذه المسارّ[١] الكبار، بما شاع في جميع الأقطار، وذاع بين أهل البوادي والحُضّار. فيا لها من مسرات شدَّت عضد الدين، وفتت سواعد الملحدين[٢]، وقصمت ظهور الكافرين، وقلقلت معاقل المعاندين. اللهم إنا نحمدك حمداً لا يحيط به الحصر، ونشكرك على ما منحت أمة نبيك من هذا الفتح والنصر.

وما لمّحت إليه أيّها الجناب الفخيم، والأخ العظيم الكريم، من أمر الداوات، فما زالت أوامرنا إلى نوابنا في الجهات، برفع الظلامات، والأعمال بالنيات، وغير خافٍ على فهمكم السليم، وفكركم الراجح القويم، أن من العدل الذي قامت به الأرض والسمٰوات، أن يستوي القوي والضعيف، والوضيع والشريف، في أنواع المكاسب والتجارات[٣]، كما حكم بذلك باري البريات. ولا زلتم في حفظ الله محوطين بعين كلاءته ورعايته وحمايته، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

[محط الشايف على صنعاء]

وفي شهر رمضان وصلت طاغية ذو حسين باب صنعاء يقودهم محسن بن أحمد الشايف فحصروا المدينة، وأخافوا السبيل، وانقطع بهم المسافر، فعاثوا هنالك ولاثوا وقتلوا رجلاً، فحمله أهله إلى باب الإمام ثم دفن، وساروا إلى قرية حِزْيَز[٤] فصالوا على أهلها، وقتلوا منهم سبعة عشر رجلاً، وأحرقوا على جماعات من أهلها بيتاً فهلكوا به، وقتل منهم عدة، وما زالوا كذلك حتى كان شهر شوال فصالحهم الإمام فدخلوا حضرته صنعاء، يحملون الأسلاب فرأى رجلاً من أهل السَوَاد[٥] ثوراً له انتهبوه عليه،

---

(١) جمع سرور.

(٢) وردت في الأصل: الملاحدين.

(٣) كتب الدكتور سيد مصطفى معلقاً بأن هذه العبارات هي إعتذار عن تلبية رغبة الشريف غالب في تفضيل تجارته في الموانىء اليمنية وسرعة شحنها بالبضائع قبل غيرها كما سبق أن طلب في كتابه السابق.

(٤) حزيز: قرية في جنوب صنعاء بمسافة يسيرة.

(٥) سَوَاد حِزْيز: وهي محلة بجوار القرية المذكورة.

فمدّ يدهُ إليه وصرخ في العوام من أهل صنعاء هذا ثوري، فتواثبت العامّة من أهل صنعاء وصاحت في طائفة بكيل يقتلونهم وينهبونهم نهاراً جهاراً فمنعهم الإمام، وحذر العوام فلم يلتفت إلى ذلك أحد، وألقيت القتلى بالطرق تدوسهم العامة بأرجلها.

[زحف بونابرت إلى الشام]

وفي شوال من هذا العام[1] تعدّت الكفرة اللئام إلى أطراف الشام، فخرجوا في خمسين ألفاً وقصدوا عكا بلدة أحمد الجزار، فحاصروه أربعة وستين يوماً، فاشتد الكرب على المسلمين، وجهز السلطان ثمانية عشر مركباً حربية، وخرج الجزار فكانت ملحمة هلك فيها أكثر من ستة عشر ألفاً من الكفار، وتبدد شملهم، وقد أتينا على تفصيل الخبر، وما كان من أمر الجزار، وتعلله بالمرض في أيام الحصار، واستدعائه لكبار الفجار، ودخولهم إليه، ومثولهم بين يديه، واستدعائه لكبير الإنكليز، قُنصُل صاحب مالطة، وتحكيمه له في أولئك بأن يمضي سيفه فيهم، ففعل واستأصل[2]. وذكرنا الأمراء وما كان من أبـي خشبة[3] وابن كليون الملعون، وذكرنا حيلة الجزار في إيقاد النار على الكفار بقلعة عكا في كتابنا «قرة العين بالرحلة إلى الحرمين»، فأغنانا عن الإعادة.

[حـــج سعـــود]

وفيها:[4] حج سعود بن عبد العزيز[5] في جم غفير وتخلفت البوش إلا ما كان من باشة الشام فإنه حج فأوهم بعض الناس غالب بن مساعد أن النجدية قد أضمروا له الشر فخاف من السطوة، فنزل اليوم الثالث من النفر وقت الضحى فكانت هَيْشَةً قُتِل فيها بالمحصب نحو عشرين رجلاً، وعاين الناس من النجدية وهذيل فأغاضهم وسلبت بمنى أموال جمة، فكانت بين أوغاد أهل مكة والنجديين، وعُرِض الذهب بالبَخسِ، فكان أهل نجد يعرضونه ويسمونه الدوارس، باعوا العشرة الدنانير بقرش فرانصة.

---

(١) سنة (١٢١٣هـ).
(٢) هكذا جائت العبارة بعد تعديلها من المؤلف.
(٣) هو الضابط المهندس كفاريللي، عرّفه الأستاذ الدكتور سيد مصطفى بأنه كان خبيراً في وضع خطط محاصرة الحصون والقلاع وقد بترت ساقه في إحدى المعارك، فعاش بساق خشبية ولذلك أطلق عليه «أبو خشبة». نصوص يمنية ص (١٣٨).
(٤) سنة (١٢١٣هـ).
(٥) سعود الأول.

[وصول محمد بن علي سعد]

وفيها: أشخص الإمام إلى حضرته متولي الديار اليمنية السفلى محمد بن علي سعد فوصل حضرته دار الإسعاد، وكان يوماً مشهوداً اجتمع فيه خلائق ينظرون إلى محمد بن علي سعد لِمَا كانت تبلغهم من حركاته مع المفسدة من القبائل.

[ضيافة أحمد فايع للإمام]

وفيها: سلخ محرم الحرام، سار الإمام إلى الروضة، وأضافه وزيره أحمد بن إسماعيل فايع، وحضر الضيافة محمد بن علي سعد وقدّم للإمام فرسين شدّهما بديباج جديد.

[ضيافة سيف الإسلام للإمام]

وفي ثامن ربيع الأول أضاف سيف الخلافة محمد بن علي سعد مع الإمام، وقدّم ثلاث خيل مشدودة، وأظهر محمد بن على سعد قوة ورياسة.

[عودة محمد بن علي سعد]

وفيها: عزم محمد بن علي سعد من حضرة الإمام عائداً على عمله، فسار عن صنعاء وتوجه قرية الجعدي[1] من أعمال تعز، فحط بها ووجه أعمال الحجرية إلى أخيه أحمد بن علي سعد، وكانت إذ ذاك أحوالها مضطربة، فكانت بينه وبين أهلها فتكات وقتلات وملاحم، وقصد المشهورين بالنجدة والشجاعة من أهل تلك الديار إلى محلاتهم كمعاقل الشعوبة والصِنَه وجبل سَامِع وحاصر أبطالها، ولم تسل قطرة دم من أصحاب الشيخ أحمد غير عبد قتل يومئذٍ على كثرة القتل والنهب في البلاد، وحملت رؤوس أهل الحجرية إلى الشيخ أحمد فبعثها إلى أخيه محمد، وأنزل بالبلاد الرعب حتى شرد أكثر الأشرار، ووصلت العامة والرعايا مطيعة مذعنة بتسليم الحقوق، إلا أن الشيخ أحمد بعد استنتاجه لها، وتمهيده لقواعدها صرف جميع الخراج والنهب وغيره في الجند، ولما أكمل العمل واستوفى جميع ما دق وجل، عاد إلى أخيه وهو بمطرحه في الجعدي، فشكر له ما صنع ثم سارا معاً، وتوجها إلى حمام الكبريت المعروف بحمام الشعراني من أعمال العُدين فقعدا به أياماً ثم توجها العُدين.

[علي بن عبد الله الجلال]

وفي أول رجب من هذا العام[2] نصّب الإمام لفصل الخصام، علي بن عبد الله الجلال الهاشمي وأحمد بن يوسف زَباره الهاشمي وضمهما إلى مَن بالديوان مِن

---

(١) **الجعدي**: مركز إداري بالشرق من الجَنَد. في أسفل مدينة تعز من الجهة الشمالية الشرقية.
(٢) سنة (١٢١٣هـ).

الحكام. وعند ذكرنا لهما ترجمناهما وإن كانا علىٰ غير شرطنا في هذا الكتاب[1]، فعلي بن عبد الله الجلال العالم المجتهد النظّار[2] مولده بصنعاء شهر شوال عام تسع وستين ومائة وألف، وبها نشأ فقرأ القرآن على الأداء المعروف للثلاثة: نافع وأبـي عمرو وعاصم عن شيخه أحمد بن ......[3] الثلائـي وعن الضرير القارىء علي بن علي اليدومي، وشارف على فروع الزيدية وتخرج بهادي بن علي عرهب وأحمد بن عامر الحدائي والقاضي إسماعيل بن يحيى الصديق، وحقق تحقيقاً شافياً، وأتقن الآلات وأخذ فيها عن رزق بن سعد الله وعن إسماعيل بن هادي المفتي الهاشمي، وأخذ في الحديث والأصول والتفسير والكلام عن الحسن بن إسماعيل المغربـي، وعن الأستاذ عبد القادر بن أحمد، وأحمد بن يوسف بن الحسين بن الحسن بن القاسم، وعن القاضي أحمد بن محمد قاطن وغير هؤلاء، وبلغ في التحقيق الغاية، وجرَىٰ مع الحق، ولم يتقيد بمذهب وله شَغف بكتب جده الماهر النظّار، الجامع بين علمي المعقول والمنقول، الحسن بن أحمد الجلال. وعنه مؤلف هذا الكتاب، غفر له التواب، وإبراهيم بن عبد الله الحوثي ومحمد بن أحمد مشحم وإبراهيم بن محمد يحيـى ومحمد بن عبد الرب بن محمد وغير هؤلاء ممن لا يأتي عليه العَدّ من الصنعانيين والتهاميين.

وله مؤلفات نافعة منها: (شرح على جامع الأصول لابن الأثير). ومنها مختصر فتح الباري. ومنها الطريق الأسلم في المتشابه والمُحكم. ومنها التاريخ المختصر بلغ فيه حال تحريرنا لهذه الحوادث إلى سنة العشرين من المائة التاسعة وله منظومة في علم الفرائض ومنظومة في المنطق، شرح منها بعضاً، وله حُكم في المناظرة بين رفيقنا الحسين بن أحمد السيّاغي وبين إسماعيل بن أحمد الكبسي في التجمل بالثياب، وإنها لا تنافي الزهد والعفة. وسيأتي تفصيل المناظرة عند ترجمتنا لرفيقنا الحسين بن أحمد السيّاغي.

[الكلام على الجهر ببسم الله الرحمـٰن الرحيم]

وله مع أعلام زمنه مناظرةٌ في الجهريّة؛ ببسم الله الرحمـٰن الرحيم في الجهريّة، ووضع فيه أرجوزة، أفاد فيها أن الذي صحّ من الروايات ترك البسملة، وحملَ الترك على الإسرار بها، وجعل ذلك أعدل الأقوال، وصرح أنّ روايات الجهر بها ضعيفة

---

(١) ذلك أن منهجه أن يترجم للشخص في العام الذي توفىٰ فيه.

(٢) نيل الوطر (٢/ ١٤٥)، البدر الطالع (١/ ٤٦٩)، هجر العلم (١/ ٣٥٦)، أعلام المؤلفين الزيدية (٦٩٤)، معجم المؤلفين (٧/ ١٣٠)، الموسوعة اليمنية (٢/ ٨٨٦).

(٣) فراغ بالأصل.

مستنداً بتضعيف الدارقطني لها غير أن النسائي قد أسند رواية الجهر ووصلها فقال: إنها لا تقوى روايته على المعارضة ثم تأوله المترجَم له على الندرة والقلة، كما جاء في سمعنا الآية أحياناً، وأفاد أن الحازمي في كتاب الاعتبار جزم بنسخ الجهر وعارضه شيخنا البدر محمد بن علي الشوكاني بأنه أثبت رواية الجهر جمع والمثبت أولى من النافي واختار السِر في السريَّة والجهر في الجهرية، وقد سبقه إلى هذا الترجيح الصالح بن مهدي المقبلي وتأيد فيْه برؤيا عن النبي ﷺ، وتبعه على ذلك شيخنا القاسم بن يحيى الخولاني إلا أنه حمل النفي على السر الخفي، وخاض بعدهم في أمر البسملة شيخنا الحسن بن يحيى بن أحمد الكبسي وشيخنا عبد الله بن حسن الأبيض ومحمد بن محمد البنوس وغير هؤلاء. قلت: ما ذهب إليه المترجَم له هو الأقرب إلى الصواب. وله في الأدب مما يكتب ما أجاب به على شيخنا البدر محمد بن علي الشوكاني في قصيدة:

أبهـيٌّ روضٍ أشـرقـت أزهـارُهُ ... تفتـر عـن بُشـرَى وعـن سـراءِ
أم لـؤلـؤ الأصـداف قـد صـادفتـه ... فـي رقـةٍ ومـلاحـةٍ وبهـاءِ
أم يـوشـعٌ فـي الـدهـر قـد رُدّت لـه ... شمـس النهـار لحنـدس الظلْمـاءِ
أم هـذه عيـن البـلاغـة قُلِّـدت ... بقـلائـد العقيـان للبلغـاءِ
ودلائـل الإعجـاز فـي تبيـانهـا ... تبـدو بـإيضـاح لـه الفصحـاءِ
أسـرار لطـف الله حقّـت نطقهـا ... فتنـزهـت عـن وصمـةٍ وخَطـاءِ
والسعـد لمـا لاح فـي إنجـازهـا ... صـار الشريـف لـه مـن الخُدمـاءِ
أزَرى بكـل النظـم حسـن نظـامهـا ... فتخـالـه منثـور در سَمـاءِ
جـاءت بتسجيـع البـديـع ونشـره ... لبـس البـديـع مُجِيْـدَه والطـائـي
واستخـدمـت رقـاً لهـا بكتـابتـي ... فتخلصـت عـن أعيـن الأعـداءِ
لا عيـب فيهـا غيـر أن محمـداً ... نظـم الـدراري فـي سمـوط ثنـاءِ
مـن جـاء أبكـار المعـانـي يـافعـاً ... وغـدَى لهـا مـن أحسـن الأكفـاءِ
ذهبـي أنظـار الـدقـائـق راجـح الـ ... ـميـزان فيهـا أنبـل النبـلاء

حتى قال:

للـه درك يـا محمـد قـد حَـوى ... هـذا النظـام خبيّـةَ الفصحـاءِ
وصـدقـت قـولاً مـن يكـن ذا همـةٍ ... محمـودة وسيـادة قعسـاءِ
يـرد الخضـم مـن البحـار ويـرتـوي ... ولا يكتفـي منهـا بجُـرْعـةِ مـاءِ

وله يرثي الأستاذ عبد القادر بن أحمد رحمه الله تعالى:

جل خطبٌ به عدمنا الكمالاَ ... ولقينا من فُجعِهِ الأهوالا

وفَقِدنا نابِهِ لذيذ منامٍ ... صار غمض الجفون منهُ مَحَالا

فادحٌ فاجعٌ له مادت الأرض ... وهدَّ السهول والاجبالا

ومَحَى في النيرات في الكون حتى ... غيّر الكائنات والأحوالا

قد رمانا به الزمان فقلنا ... بئس يا زمانُ منك توالا

قد حسبنا سمر الرماح قديماً ... والمذاكي جيادها والنصالا

إذ أتتنا كتائب الموت تزري ... بنبالٍ وما نرَى النبَّالا

غدرتنا في فتكها بإمامٍ ... وهمامٍ له عدمنا المثالا

الإمام العظيم رب المعالي ... من سَمَى قدره وفاق كمالا

كان مولَى الكلام نظماً ونثرًا ... وإمام العلوم والمفضالا

ولنا فيك عظّم الله أجراً ... وحبانا مثوبةً ونوالا

وبنوك السُّراة قد أحسن اللَّهُ عزاءً بهم وأصلح بالا

فهمُ الخِيرةُ التي في بنِي الزهراء زكوا منصباً وطابوا خلالاَ

إن أردنا من بحر علمك فَيْضاً ... أنْهلونا منه نقَاخاً زلالاَ

سادةٌ قادة هداة كرامٌ ... حبذا فرع سؤددٍ منك طالا

فيهم العلم والسيادة والنجدة ... والفضل والتقى لن يُزالا

وله وقد كاتب الأستاذ عبد القادر بن أحمد لما سار عن دار الفرح ونزل بداره في صنعاء جوار المترجم له عام خمس ومائتين وألف مهنياً فقال:

قد أقبلت ريح القبول بعنبرِ ... وتأرَّجت شميم مسكٍ أذفري

لمّا أتى حافاتنا طودُ العُلَى ... والرحلة المفضال والمولى السري

من قد سمى عن أن أُصرح باسمِه ... لسمُوّه عن كل وصفٍ يشعري

فليهنه السُكنَى بدارٍ بالهَنا ... مقرونة وبكل خير أكثَرِ

لا زال بدراً عند ليل جهالة ... بل شمس علمٍ قيل لمّا تظهرِ

فالله قد أولاه ما لم يولهِ ... أحداً فكَرِرْ حمدَه ثم أشكُرِ

وأجابه الأستاذ:

أرحيق ثغرٍ لا سُلاَفة مُسْكِرِ ... قد ذُيْفَ باردُها بأطيب سُكَّرِ

بل نظم حَبْرٍ لم يزل يَظمَى له ... بدر الكمال أخو الفخار الأكبر

شمس العلوم عليٌّ العالي الهُدَى ... من دون أخمصه محل المشتري

قــد أشــرقــت أرجــاؤهــا بنظـــامــهِ وبمـــا جنـــى مـــن علمـــه المستكثـــر
ووجـــوده أبهـــى وأنهـــج فـــي الـــورَى وبلفظـــه إعجـــاز كـــل مُحَبِّـــرِ
لا زال فينـــا مـــا شـــرا بـــرق ومـــا ركـــبٌ سَـــرَى فيـــه همـــا أو ســـري

[أحمد بن يوسف زباره]

وأما أحمد بن يوسف بن الحسين زبارة[1]، فنشأ بصنعاء ومولده بها، فقرأ القرآن على الأداء، واشتغل بعلم القراءات السبع، ومهر في طلب الفروع، فحصّل وحقق فيها تحقيقاً شافياً، وتقيّد بمذهب الزيدية، وناظر عنهم وأبىٰ إلا اللزوم لما دوّنه الأوائل من المسائل، واشتغل بالآلات وأصول الديانات، وحقق في النحو تحقيقاً بديعاً، وشارف على المنطق وأصول الفقه، ودأب في قراءة أصول الدين، واشتغل بكتب الاعتزال وقطع فيها الدهر. واتصل بمحمد بن المنصور بالله الحسين أيام بَقاه في الروضة، فاشتغل به وزاد شغفه بمجالسته، فلزمه وأخلد إليه وكان قد أجرى له رزقاً فائضاً، وما زال على تلك الحال. وكان أكثر اشتغاله بالكلام، وما زال مراجعاً للاحتراس للعلامة إسحاق بن محمد العبدي الكبير، وأكب عليه الليل والنهار، وراجع مباحثه وسمعته يقول: هذا الكتاب صديق الروح. ودرس بجامع الروضة أياماً، ولمّا مات محمد بن المنصور انتقل إلى صنعاء ولزمها، وانتصب للقضاء والفتيا، ولزم الجامع. ونشأ بها ولده الحسن فتخرج به أولاً ثم باينه آخراً إلى العمل بما ورد عن خير مرسل، وكان قد بلغ في التحقيق للآلات محلاً اسماً، ثم مات فحزنه حزناً شديداً، ومال المترجَم له بعد موت ولده إلى كتب الحديث، فراجعها وأخذ عن أكبر الشيوخ، ولزم حضرته الحافظ الحجة عبد الله بن محمد الأمير. وله شعر رقيق بديع، كاتبته وأجابني، ولم يحضرني حال كتب هذه الورقات شيء منها.

[محمد عابد بن محمد حياة السندي]

وفي شوالها[2] محمد عابد بن محمد حيوة السندي. كان أميراً على المتطوعة في جهاد الفرانسة بمصر فعاد، وقد قَضَى ما عليه من فريضة الجهاد، وقضى نحبه بأشرف بلدة وأعز ناد، وكان أسرع مسعِر حرباً وقَدح زناد، وفوضه في امرته تلك محمد المغربي الهاشمي الجيلاني المقدم الذكر. ترجمة عبد الله بن عيسى في حدائقه وأورد من شعره على لسان إبراهيم بن محمد الأمير هذا:

---

(١) البدر الطالع (٣٠١)، هجر العلم (٢/ ٥٨٧)، أعلام المؤلفين الزيدية (٢١٦)، معجم المؤلفين (٢/ ٢١٠)، الأعلام (١/ ٢٧٥)، مصادر الفكر (١٧١). والترجمة مضافة في حاشية الاصل.
(٢) سنة (١٢١٣هـ).

سـلام شيـخ أشجـاه ذكـراه للعهـد — وأحيـاه تسجيـع الحمـامـة فـي الـزنـدِ
سـلامٌ كـأنفـاس النسيـم تنسمـت — عليـه نسيمـات الصبـا مـن حمـا نجـدِ
سـلام يغـض النـرجس الغـضُ طـرفَـه — حيـاءً إذا مـا فـاح عـاطـره الـوردي
سـلام شـذى كلمـا جـاءت الصَّبَـا — لتسْـرق منـه ردهـا المسـك بـالنـدى
سـلامٌ أتـى مـن نـور روضـه طيبـةٍ — بـلا نفحـات مـن حِمَـى الملِـك الفـرد
أحملـه ريـح الشمـال وإن ونـت — بـه فعلـه فعـل النعيـم علـى القصـدِ
وأنشقـه ذكـر الجنـاب الـذي شـذت — غـوالـي سجـايـاهُ علـى الشِحَـر والهنـد
أخـا الفضـل مـن عـم العلـوم نجـا لـه — وخالي الذي ذكراه لِي سورة الحمد
وأتلو له الاخلاص من صحف مهجتي — عشيـاً وإبكـاراً فـلا تخْـل مـن وردِ
سقـا الله مغنـاهُ وحَيّـا مقـامَـهُ — بـألطـف مـا أنهِـي واتحـف مـا أبـدى

ولم أقف له على خبر غير ما عَبَر، خلا أنه ترجمه في الحدائق وأورد له من النظم الرائق والنثر المتناسق البديع الفائق ما قضى بسبقه.

[علي بن صالح العماري]

وفيها:[(١)] يوم الثلاثاء سادس جمادى الأولى، الوزير علي بن صالح العماري[(٢)]. مولده عام اثنين وخمسين، كذا أرخ ولادته بعض أولاده، والذي أظن أنه عام تسع وأربعين كما قضى بذلك شهادته في مقطع له عام وفاته. كان مبجلاً صدراً في الدولة متفرداً بخلال. له مشاركة في العلوم النحوية ويد في المعارف الأدبية، ونظر في النجوم، ومعرفة بالخطوط والرسوم، وخبرة بأقلام الأمم السالفة، نقلتُ من خطه:

إن كوكب الزهرة ممسوخ، وأنها كانت امرأة من نساء أهل المدينة. وقد ذكرنا ما ورد فيها عند ترجمتنا لمحمد بن يحيى بن أحمد الكبسي، ونقل العماري أيضاً الحديث أن سهيلاً كان عشاراً باليمن فمسخه الله شهاباً حيث ترون، وأن العنكبوت كانت امرأة عاصية لزوجها فمسخت، وأن الفيل لوطياً فمسخ، والضب سارقاً للحمام، والأرنب امرأة كانت لا تغتسل من الحيض، والوطواط سارقاً للرطب من النخل، والخنفساء امرأة سحرت ضرتها، والعقرب رجل همّازاً، والقنفذ سيء الخُلق، والقردة جماعة اعتدوا في السبت، والخنازير جماعة سألوا نزول المائدة ثم ألحدوا بها. ولا أعلم لهذا مستنداً.

[فوائد العلم بالنجوم]

كان رحمه الله تعالى شغفاً بعلم النجوم، وأنه أنكر عليه بعض الناس ذلك وقال:

---

(١) سنة (١٢١٣هـ).

(٢) نيل الوطر (٢/ ١٣٦).

ما أظنك إلا حاكماً بها فقال: معاذ الله ولكني أقول هي كسائر الأشجار لها خواصٌ معلوم. فقال له المنكر وأي خواصٍ فيها؟ فقال: اشتركت الشمس والقمر عند جميع الخلق في الإنارة، لكن الشمس مُسْخِنةٌ لا تنضجُ الثمرات إلا بها، والقمر مرطبة لا تحصل الرطوبة فيى الثمر إلا به، وتصديق ذلك أن الإنسان إذا كشف رأسه في القمر غلبت عليه الرطوبة المعبَّر عنها بالزكام، فكما ترطب الرأس ترطب سائر الفواكه، وكل كوكب هكذا مُسخَّرٌ لفائدة ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا﴾. ومن حمل وظن أن آية السماء السقف واللون، وآية الكواكب الضوء من دون أن يعرف أنها مسخرة لفوائد فيها مصالح العباد فاتهمه في عقله، وليس معرفة ذلك بقادحٍ في الشرع فالنهي مقصور على من زعم أنها فاعلة ليست مُسَخَّرة تحت تدبير الخالق، ومن زعم أنه يعلم بها ما في غدٍ كما يدّعيه المنجمون فهذا إلى الكفر أقرب إن لم يكن هذا هو الكفر بعينه، وخير المنافع فيها ما عند أهل الحرث والزرائع من العلم النافع للعالم في المعاش المترتب على أحكام النجوم.

لعبة الصبيان العرب:

ونَزَلت عليه يوماً وهو بوادي ظَهْر فكان مما جرى أنهُ رأى صبياناً يلعبون، فاستقام وخطّأ لعبهم، وكانوا يضربون كُرْتاً بالعَصَى فقلت له في ذلك، فقال: هذا علم لعبته قبائل العرب أجمعها، فأنكرت ذلك. فقال: إن لصبيان العرب لُعَباً، منها لعبة يقال لها خراج، ولعبة الضب، ولعبة النُقَيراء، ولعبة المفايله ـ بالفاء والياء التحتانية، ولعبة عظم وضّاح، وفسّر لي ذلك، فقال: لعبة الخراج هي أن يمسك أحدهم بيده شيئاً فيقبض عليه ويقول للآخرين اخرجوا ما في يدي فمن أخرج قَمر، ولعبة الضب يصوّروا الضبَّ في الأرض ثم يحوّل أحدهم وجهه ويقول: ضع يدك على صورة الضب، ثم يقال على أي موضع من الضب وضعته فلك كذا، فمن أصاب ذلك قمر. وأما لعبة النقيراء فهي لعبة بالتراب، وقال: لا أدري كيف صفتها، وأما لعبة المفايلة فهي أن يَخبَأ الشيء في التراب ويقتسمون التراب فمن لم يخرج عنده قيل: فال رأيك أي ضعُف رأيك. وأما لعبة عظم وضاح فهي لعبة يأخذ الصبيان عظماً أبيض في الليل فيلقونه، ثم يتفرقون في طلبه، فمن وجده منهم ركب أصحابه. ولهم لعب كثيرة قد دُوِنَت، ثم قال: وفي الحديث: بيَنا رَسول الله ﷺ يلعب وهو صغير مع الغلمان بعظم وضّاحٍ مرّ عليه يهودي فقال: ليقتلن هذا صناديد أهل القرية.

[مشائخه]

وأخذ عن البدر المنير محمد بن إسماعيل الأمير واستجازه فأجازه، وعن أحمد بن حسن بركات، وعن حسن بن عبد الله الظفري ولطف الباري بن أحمد الورد، وأبي

الحسن السندي في عام حجة، والشيخ عبد الرحمٰن الهندي. وما زال يرتقى حتى حظي عند الإمام المهدي، فوقعت له بقلبه محبّة، فأدناه منه ونقله في ولايات، وكان كثيراً ما يحدث نفسه بالوزارة والصدارة غير أن الحظ لم يلاحظه بها، فما زال معه ومع ولده المنصور في انتصاب وانخفاض وصعودٍ وانحطاط، وكان وزراء المنصور ينفرون عنه خوفاً من تسلطه لكماله وحذقه، وكل ذلك منهم ظنون فإنه ليس ممن يقاوم في ذلك الأمر، ولكنها لحظته السعادة بعينها. وكان له شغف بالحديث وأهله، ومعرفة لقدره ومحله، يعمل بالدليل، ويتكتم حذراً من القِيل، محباً للدولة شغِفاً بالملوك، ماشياً مع أهل التصوف والسلوك. نظم الأشعار فأجاد، وكاتب أهل الانتقاد متنقلاً في الولايات ومما وليه من المحلات، واستقر به سنوات في ضوران وريمة والجبي والمخا وحراز، فشكره قاصدوه.

ترجمه عُدّة من الأعلام كرفيقنا علي بن قاسم حنش في حوادثه، وترجمه القاضي أحمد بن محمد قاطن في دميته، ورفيقنا إبراهيم بن عبد الله الحوثي في نفحته، قلت: وكان معجباً بنفسه ذا كبرٍ وزهوٍ، وكانت له همة عليّة، ونفس أبيّة، يجل نفسه عن أن يخضع لغير الخليفة، ويستعظم علو غيره عليه في الوظيفة.

ربا في حجر عمه، وهو من أهل الغِنَى، فما زال محباً للظهور متشبهاً بالصدور، ولما مات عمه تصرف في الأموال طلباً في أن يكون من أهل المظاهر والأحوال، ولما قدم على المهدي العباس من ريمة اجتهد في أن لا يتوسط عليه أحد فأبَى ذلك الإمام وألزمه المسير إلى الوزير علي بن يحيـى الشامي للمحاسبة لديه فاهتم لذلك وقصد الوزير فخدعه بتجرُّمه من اللوازم، شكَى عدم القدرة على ما افترض عليه، وما زال به الوزير حتى ألزمه سوق عشرين ألفاً فرانصة. وأفصح الوزير للإمام بذلك فسكت، فلما كان يوم الفصل قدم بين يديه خمسة وثلاثين ألفاً قروشاً فرانصة، وأربعة عشر قرشاً، وسبع بغال، فوجد الإمام على الوزير ورماه بالتفريط في الأمر الخطير، وأمر الإمام بحساب الفقيه علي العماري في الديوان وأن يقر بجميع ما ادعى عليه ويُرصَد وينسب قبضه إلى الإمام، وعقب ذلك كتاب من الإمام إلى علي بن يحيـى أنّا رجّحنا استمرار علي بن صالح علي التوسط لأعمال ريمة وإليك الجبي فسقط في يد الوزير فما زالت تلك في خلدة، حتى ألقاه بهوّة الاحتياج في بلده، وذلك عند طلوعه من بندر المخا عام أربع وتسعين ومائة وألف، وقد ذكر معنا هذا رفيقنا علي بن قاسم حنش.

وحدّثني علي بن قاسم وإسماعيل بن زيد الخيواني ومحمد بن الحسن الأهجري رحمهم الله تعالى[1]، أنه لما رفع عن بندر المخا تنكّب عن واسطة علي بن يحيـى وعلق

---

(١) لم ترد في النسخة الأم.

أموره بالخليفة فساق إليه الهدايا والتُحف، وبذل ما يلزمه من كل طرف، وبايَن الوزير واستخف، وكان يدخل على خليفه الوقت المنصور بالله ليلاً، ويساوره في أموره، رجاءً الخلاص من التعلق بوزيره، فلما قضى الحق الذي عليه، وظن أنه لا يتوجه الطلب بشيء بعد هذا إليه، أرسل إليه الوزير، مطالباً بالكثير، فأنكر ذلك وسار إلى الخليفة فلم يعذره من الحساب لديه ولقي جفوةً، أقامته وأقعدته، وكاتب الخليفة بقصائد عديدة، يتوجع فيها من المذكور، ويستعطف بها المنصور، فلم يُجْدِ ذلك شيئاً، وقد أتينا على شيء من ما جرياته مفرقة في كتابنا هذا.

وله أخبار حسان، قد حدّث بها الركبان، ونقلها كل إنسان له شأن، ومن شعره المستجاد ما قاله عام وفاته فأجاد:

ستٌ وستون سَنَه كأنها كانت سَنَه
إن كان لي عمرٌ فقد ضيَّعت منه أحسنَه
يا ليت شعري كُلَهُ سيئه أو حَسَنَه

وله مقتبساً طالباً من مولاه العفو عما جنَى فيه وأساء، وفيه سلاسة وانسجام:

قد سترت العيب في الدنيا ولم تهتك الستر الذي أسبَلْته
فَقِهِ اللهم في الحشر فمن تدخل النار فقد أخزيته

وله في التورية مع القول بالموجب:

قلت لعذالي وقد أزمعت أحبابنا وقت الضُحَى للمسير
قد سار مَن أهوى وقلبي معي[1] هذا هو الخطب فقالوا يسير

وله في إنكار النجوم وإنكار الفعل المنسوب إليها بالاخبار عن المعدوم:

إذا كان علم النجم بالغيب مخبراً فقل لي ما شأن المنجم معدمُ
فما هو إلا علم شكٍ وشبهةٍ وظن وأحكام الظنون توهم

قلت: بشر بإعدام المنجم إلى دحض تصديقه إذ هو في تزويقه يخبر عن الملأ الأعلَى مع جهله لما أودع من الكنوز في الدنيا، وإلى هذا أشار أبو العلاء:

أأرباب النجوم أحلتمونا على شيء أدق من الهباء
كنوز الأرض خافيةٌ عليكم فكيف علمتموا ما في السماءِ

---

(١) وردت في جميع النسخ: معاً. والتصحيح من نيل الوطر.

[حديث عجيب غريب]

وفي الدر المنثور، في أوائل تفسير سورة الإسراء حديث حاصله أن داود عليه السلام لما أمره الله تعالى أن يبني بيت المقدس فبناه فهدم ثم بناه فهدم، ثم بناه فهدم فقال: أي رب أبني لك بيتاً تُعبَدُ فيه ثم تهدمه، فأوحى الله إليه: أنك غمستَ يديك في الدماء، فقال: أوليس في طاعتك وقتال أهل معصيتك؟ فقال: بلى ولكنهم عبادي، فسأل ربه أن يجعل بناءه على يد ولده فأجابه إلى ذلك، فلما آتىٰ الله سليمان النبوءة والمُلك أمره أن يبني بيت المقدس وأن لا يقطع الحجارة بالحديد، فدعى بالجن وسألهم ما يقطع الحجارة غير الحديد، فقالوا: لا ندري فبعث إلى كبير من الجن وكان بأقصى البحر وأمر المرسلين ان يُحصوا عليه ما تكلم به فلما دعوه أجاب وساروا معهُ فوقع بالطريق على رجل يبيع الثوم بالبصل فضحك منه فسألوه فلم يجبهم فأحصوها عليه ثم رأى امرأة تكهّن وتخبر عن الغيب وتأخذ على ذلك شيئاً يسيراً من المال، فضحك فسألوه، فلم يجبهم فأحصوها عليه فلما مثل بين يدي سليمان عليه السلام قصوا عليه ما رأوا منه فسأله، فقال: عجبت من بايع الثوم بالبصل يبيع الدواء بالداء، وأما المرأة فرأيتها تأخذ على الكهانة الدرهم والدينار وتخبر عن السماء وأن تحتها لكنزٌ عظيم لا تعلم به فهذا معنى ما في الدر انتهى.

وبه يتضح لك أن علم النجوم معالم وهداية وزينة ورجوم، ليس إلا ودع من تساهل في الأمر، فلو لم يكن في ذلك إلا الحديث الذي قدّمناه في ترجمة علي بن حميد المنجم لكان زاجراً. وللمترجم له وقد سمع البيت الآخر ولم يجد له أولاً فقال:

لا تعجبنّ فشأن الناس كلهم ... إذا تأملت في أحوالهم عجب
إن يسمعوا خيراً أخفوه وإن علموا[1] ... شراً أذاعوا وإن لم يسمعوا كذبوا

وله وهو معنى غريب في حسن التعليل:

حبذا العيد قادماً حين وافى ... مزعجاً للهلال بالارتحال
فغدَى هارباً وشوال يحدو ... بعده رامياً بقوس الهلال

وله وفيه التورية بالشُقه والساري:

بدوية أصلته جمر الغَضَى ... وجداً فأطفأ النار بالعارِ
قد قطّع الشقة في حُبّها ... وراح في ليلٍ بها ساري

ومن شعره المستجاد السهل المنسجم قصيدته التي امتدح بها المنصور يهنئه فيها

(١) وردت في ب: وإن يسمعوا.

بموهوب، وسأله بعض الناس بموقف علي بن يحيى الشامي: أي شعرك أجود؟ فقال: يميل الغصن فيقال: إنه لَمَّحَ بذلك إلى صغر قدر علي بن يحيى لما فيها من التعريض به في قوله:

وإذا رامت الذبابة للشمس ... غِطاءً مدت عليها جناحاً

قال رحمه الله المتعال:

ثَمِلَ الغُصنُ بالصَّبَا حين فَاحَا ... فهو يهتز نشوةً وارتياحَا
واحتسَى الروض من عيون الغوادي ... بكؤوس الغمام في الصبح راحا
لابِساً من الوشي خَضْرَا ... ء كساها هَضَابَهُ والبِطَاحَا
طَرّزتْها أيدي السحايب خَزًّا ... زَهّرتْهُ بَنفْسجاً وأَقَاحا
وعيون السحاب تبكي إذا ما ... ضحك البرقُ بالرعود وَلاَحَا
مثل أوراقِ مصحفٍ يتلاقينَ ... انغلاقاً ويفترقن انفِتاحا
وهزار الرياض يُملي أحاديث ... الهوَى عن غريب وجْدِي صحاحا
من هيامي بشادنٍ يخجلُ الورد ... جِنَا وجنتيه والتفّاحَا
يختفي البدر في السماء حياءً ... حين يُبدي جَبينهُ الوضّاحا
وإذا ما أردت منه وصالاً ... زاد بعداً عني وزاد انتزاحا
غيَّرت عهده الوُشاةُ فأَضْحَى ... منه حظي تباعُداً واطِّراحَا
فهو في البُعد مثلما هِمّة المنـ ... ـصور رامت للنيِّرات كِفَاحَا
المليك الهمام والواحد الفذ ... عُلاءً إذا ضربت القِدَاحا
ملِكٌ كفُّهُ إذا مدّ جُوداً ... أخجل البحر والسحاب سماحا
ملكٌ لو أراد رُضْوَى يباريه ... لدى الحِلم عُد رُضْوَى سجاحا
ملكٌ لم يزل ولم يأته الملكُ ... مليكاً مُسوَّداً جحجاحَا
لم يزدهُ شأن الخلافة عِزاً ... إنما زاد شأنها إيضاحا
وَغدَى فوق مَفْرقِ المُلك تاجاً ... وَعُلاَهُ في الصدر منه وشاحَا
أيروم الحسودُ إخفاء شمسٍ ... تحسب الشمس عندها مصباحا
وإذا رامت الذبابة للشمس ... غطاءً مرت عليها جناحا
يا مليك الزمان لا زلت غيثاً ... كل وقتٍ مُؤَمّلاً مُسْتَماحَا
تقطع الدهر بالسعود اغتباقاً ... في هناءٍ وبالسرور اصطباحا
وتَهنّا قدوم شبل سعيدٍ ... جاعلاً غابَهُ القَنَا والصِفَاحا
قد بدَى كالهلال ينمّو ويُبدِي ... كل حينٍ مسرةً وارتياحَا

ولمّا برز الأمر المكنون وأخذ عليه الإمام الرجوع إلى علي بن يحيى في جميع

الأحوال والشؤون، كاد أن يَمسَّهُ الجنون، وكتب إلى الإمام يستعطفه بهذا النثر والنظام:

أطال الله لك البقاء، ومد عليك ظلال النعماء، آمناً بعدلك البريء، لائذاً بفضلك المسيء. كاد القلم أن يجري على الرأس، في حلبةِ القرطاس، كي يبلغ مضمار محامدك، أو يسبق في ميدان مدائحك، فَثَنَى عِنَانه عَجزاً، وكف لسانه قُصوراً، عالماً أنه إن أرخى عنان الثّنا، فلا يزيد شأنك تعظيمًا، وإن بسط لسان الدعاء، كان كمن يسأل قائماً أن يقومَا، وأنىَّ لَهُ مَعَ هذا القصور، أن يبتدي بمديح المنصور، إلا بعد النَّسيب، ويقول معاتباً للحبيب:

إن سَـلاَ حُبَّهُـمْ فهـم عـرفُـوهُ كيـفَ يَسْلُـو الهَـوَى وإن علّمـوُه
علّمـوهُ طِبـاعَهُـم فتنـاسَـىٰ مـن قـديـم العهـود مـا قـد نسوهُ
وأصـاخـوا لِمَـا رَوَاهُ الأعـادي مـن حـديـث الجفـاء ومـا زوّروهُ
كَـذَبُـوا والـذي لـه يَخْشـعُ الصَّـو تُ بيـومِ الجـزا وتَعْنُـو الـوجُـوهُ
مـا عـدوتُ الـوَفَـا ولا كـان منـي قـط أمـرٌ مـن الـذي زعمـوهُ
غيـر أنـي أقـول حَسْبُهـم الله تعـالَـى وحسـبُ مـا نمّقـوهُ

والله عزّ وجل لا يؤاخذ العبد بالظنة، ولا يعذبه بالتهمة، بل جعل عليه كاتبين، وحرسه بملكين حاسبين، فإذا أوقفه بين يديه، حاسبه بما كتباه عليه، ومع ذاك فهو أعلم بما جناه، ولا يحكم عليه بما كتباه، إلا بعد أن تشهد عليه جوارحه، وتفصح جوانحه.

وإذا قلـت لـلأحبـة قلبـي قـد تسلّـى الهَـوَى فهـم يعـرفُـوهُ
وبـرغمـي أقـول قلبـي تسلّـى وهـو يـأبَـى السُّلُـو لـو قطّعـوه
بـرح الكتـم مـا علـى الشمس ستـر أنـا مضنـىً بهـم مُعْنّـىً وَلُـوْهُ
هـم حيـاتـي وهـم أَحِبَـائْ إن هـم حفظـوا عهـدهـم وإن ضيّعـوهُ
بـأبـي منهـم الـذي مسكـن السحـر رَنـاهُ وخمـرة الـدن فـوهُ
رشـا كـالهـلالِ والشمـس والغصـن وظبـي النقـا إذا شبّهـوهُ
لـو رآه يعقـوب مـا شـك فيـه إنـه ابنـه الـذي غيَّبـوهُ
يستحـي الغصـنُ والغـزال إذا مـا قيـل للغصـن والغـزال أخـوهُ
أشبـه الشمـس والهـلال فقلنـا أمّـه الشمـس والهـلال أبـوهُ
ومحيّـاهُ والجبيـن علـى ذا شهـدوا والأنـام لـو شـاهـدوهُ
وجميـع الحسـان تـدري يقينـاً ان مَلْـكَ الجمـال والحسـن هـو هـو
مثـل عِلـم الأنـام أن ليـس المنصـور مَلـكٌ ممجـدٌ يعلمـوهُ
عـن أبيـه يـروي العـلا وأبـوهُ عـن أبيـه كمـا رواهُ أبـوهُ
خلفـاءَ قـد خلّفـوا كـل مجـدٍ وعُـلاءٍ لَـهُ كمـا ورّثـوهُ

مجدهم في العلا مضافٌ إليهِ مثل معنى المضاف إن أخروهُ
قل لمن رام أن يناويه قَصِّر عنك فالقَصْر شأن من طاولوهُ
يا مليك الزمان يفديك عبد عاد حالاً كما يشا حاسِدُوهُ

وهذه كما تراها فيها التجرم من علي بن يحيى كما قدمناه، وكان رحمه الله تعالى مُغْراً بالعمائر والنقوشات والتفاصيل الهندسية، وبَنَى للإمام دار الحجر في الوادي فأجاد عملها، وبنَى لَهُ ببير العزب مآثر متعددة نفيسة، وشارك بها في عمارة الدار المرحّلة له من الولد حسين ومحمد وأحمد وحسن وإسماعيل وقاسم.

[عالم الدنيا الحافظ: إبراهيم بن محمد الأمير]

وفيها:[1] يوم الثلاثاء ثاني عشر شوال، بمكة المشرفة، خاطبُ العلياء، وحافظ الدنيا، الآية الكبرى، إبراهيم بن محمد الأمير[2]. مولده بصنعاء عام أربعين ومائة وألف[3] وعند ولادته كتب جده إسماعيل بن صلاح الأمير يهنيء ولده البدر محمداً والد إبراهيم هذه الأبيات:

هلال هداً جادت به الشمس للبدر وطالع سعدٍ لاح في غرة الدهر
وغصن نمته دوحة هاشمية سيثمر بالمجد الموثل والفخر
ويروي المعالي عن أبيه وجده أبي أمه تاج العلا سامي القدر
ليهنك ذا المولود والحادث الذي تبسّم ثغر الدهر إذ جاء بالبشر
بأسم خليل الله سُمي وحسبهُ به شرفاً يسمو على الشمس والبدر
توالت مسرات لكم وتتابعت فإياك أن تلهو عن الحمد والشكر

امُّه ابنت هاشم بن يحيى الشامي رحمه الله تعالى.

كان المترجَم له رحمه الله تعالى، صحيح الفكرة جيد الفطنة تام المعرفة ممتزجاً لحمهُ ودمه بالذكاء، متفرساً لا يكاد يخطي ومتوسماً في الأمر المبطى:

الألمعي الذي يظن بك الظن كأَن قد رأَى وقد سَمِعَا

لم تتَمّخض نساء العصر بمثله، ولا برز في أهل القرن الثاني عشر من يساميه في

---

(١) سنة (١٢١٣هـ).

(٢) نيل الوطر (١/ ٢٨)، البدر الطالع (١/ ٤٢٢)، هجر العلم (٤/ ١٨٥٨)، مصادر الفكر، أعلام المؤلفين الزيدية (٦٤)، معجم المؤلفين (١/ ٨٦)، الأعلام (١/ ٨٦)، الموسوعة اليمنية (١/ ٣٩٥)، شعراء اليمن في الجاهلية والإسلام ص (١٠٨).

(٣) وقيل: سنة (١١٤١) كما في البدر الطالع (١/ ٤٢٣)، وعنه نقل زبارة في نيل الوطر (١/ ٢٨).

فضله وعلمه وعمله ونبله. فصيحاً، مفوهاً، بليغاً، خطيباً، واعظاً ناظراً مستخرجاً بفهمه الوقاد، ما فات الأذكياء والنقاد، بحرٌ في الكتاب والسنة، لا تكدرُهُ الدلا وحافظاً يقصر عنده أكابر الحفاظ النبلاء. أعترض علماء المعقول وسفّه أحلامهم، وضعف ما يساعد أقلامهم ولامَهم، وضلّل أعلامهم، وأفصح عن فضائحهم وقبائحهم، وبكّت على غاديهم ورائحهم، وأقام لمنائحهم مأتم نائحهم.

كان رحمه الله تعالى ظاهرياً ذا سُنة قوّية، ومحبة للطريقة النبوية، زاجراً عن الطريقة المذهبية، تراه إن قعد بأي مجلسٍ أعذر، وأنذر وبشر وحذّر، وأضحك وأبكى وحسم وأنكى، وهزل وجَدَّ، وأقام وأقعد، وأسهر وأنام، وعذر ولام، أجمع أهل عصره وفضلاءُ مصره، أنه بلغ من الاجتهاد في مرضاة رب العباد، ما لم تبلغه العبّاد والزهّاد، يقوم الليل كله بركعتين، يصلي الفجر ويقعد بمصلاه حتى تطلعُ الشمس، فيقوم فيصلي ثماني ركعات، ما عُرِف أنه تركها، إلا لعذرٍ. مقتصداً في ملبوسه، لا يجاوز كُمّهُ أصابع يديه، ولا يضرب قميصه من رجليه كعبيه. طويل الفكر، كثير الذكر، كثير البكاء، كثير التلاوة. إذا مر بالسجدة وهو في الطريق، تنحّى قليلاً وسجد، محبوباً عند الصغير والكبير.

كان إذا قرأ كتاب الله تعالى أصاب السامعين له شبه الذهول، وإن قصد اليهود في يوم عيد لهم إلى كنيستهم وهم يستمعون أخبارهم فصلى بالكنيسة ركعتين ثم تلىٰ سورة القصص، فأقبلوا عليه يستمعونه، وتركوا ما هم فيه، فلما ختمها التفت فإذا كبير الأحبار يبكي ويقول: صدق الله تعالى، فطمع في إسلامه فتأخر فقال: ما لك تأخرت فقال: قد سمعنا القرآن من غيرك فما فعل بنا شيئاً، ﴿وإنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء﴾.

[ماجريه عجيبة وفائدة غريبة]

وكان المهدي العباس لا يحتجب عنه، وكان يدخل عليه فيعظه[1] فيقبل منه، وكان يتعجب من شأنه، ويرغب في محادثته لكمال إحسانه في تبيانه، وربما لامه إن استرسل، وسأله يوماً عن حكام الشريعة؟ وأن كثيراً من الناس قد أنكر عليه أحوالاً مع أنهم خير موجود بعصره؟ وقال: إن بَدّلناهم لم نجد في الكمال مماثلاً لهم، فقال: هذا السؤال لا يجيب فيه إلا أحمد بن محمد شَغْدَر، فغضب الإمام لأن أحمد بن محمد شغدركان ماجناً خليعاً، لا يعرف شيئاً من أحكام الشرع، مشغولاً بالمضحكات، هازلاً في أموره مجالساً للسقط، قد ملأ الدنيا بهزل شعره الملحون، وأبدَى من جنونه فيه كل

---

(١) وردت في النسخة «أ»: فيغظبه.

ما لا يكون، فخرج إبراهيم بن محمد عن موقف الإمام، وسار إلى الروضة قاصداً بالسؤال لأحمد بن محمد شغدر، فوصل إليه قبيل الظهر، فإذا هو نائم ما قام لصلاة الفجر، فأقامه ولامه وخطأه، فصلى الفجر ثم عاد وقال: ما الموجب لخروجك إليّ؟ فقال: سؤال عن القضاة تعلم أنهم قد توسّعوا في الأحوال جميعها، وصار الإمام في حيرة منهم، وقد ظن بهم الظنون. فقال شغدر: اسمع ما والله لي علم بأن مَنِ وليّ القضاء فقد ذبح نفسه بغير سكين، إلا من هذا الأسبوع، والسبب إني رأيت ليلةً كأني وصلت إلى المجزرة، وإذا لحمٌ على صرف بين يدي الجزار فاستنكرته فقلت ما هذا؟ فقال: هذا لحم أحمد بن محمد الكبسي حاكم الروضة، وقال الجزار: أي أنواعه تختار؟ قال: فقلت: لا أختار منها شيئاً، واستيقظت من نومتي، وقصصت على المعبرِ الرؤيا، فقال لي: هذا تصديق الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: من وُلِّي القضاء فقد ذبح نفسه بغير سكين. قال: فقلت للمعبر وقد جاء عن النبي ﷺ هذا؟ قال: نعم. فعجبت من ذلك ولم يكن قد طرق سمعي أن ثمة حديثاً مروياً هكذا، ثم قال: يا إبراهيم لو كان الأمر إليّ لقلت للإمام بمن يليق بمنصب القضاة بزمننا هذا، إنما يليق بالعامي الصِرف يطلب الإمام رجلاً من القبائل أهل الغباوة ويجعله قاضياً ببابه من غير بغلة ولا خدم، ولا ملبوس أهل الفجر والخيلاء، فيقول له أنت القاضي، إذا ورد عليك الخصمان، فعلى المدّعي البينة وعلى المنكر اليمين. فقال إبراهيم الأمير: فإذا تشاجرا في شفعةٍ أو شركة أو بيع فاسد أو طلاق أو نكاح أو هبة أو غاربَه فكيف يحكم هذا القبيلي وهو من أهلِ الغباوة؟ فقال: على المدعي البيّنه وعلى المنكر اليمين، فمن ادَّعى استحقاق شفعة مثلاً بيَّن من عند الفقهاء، وأهل العلم المدرسين بالمساجد، وأخذ عنهم وسار إلى الحاكم وعلى هذا فقس.

فَعلِم إبراهيم الأمير أنه قد وقع على سِر المسألة وجواب الإمام، فعاد من حينه، وقصّ خبره على المهدي العباس، فأعجب بذلك الكلام. وقال آخراً: لو مِلْنا إلى هذا اختل النظام.

[رحيل إبراهيم الأمير للمهاجرة والمجاورة بالبيت العتيق]

ولمّا مات الإمام المهدي العباس، دخل على ولده خليفة الوقت المنصور، فأنكر عليه التوسع في البناء وواجهه بأشياء أنكرها، وخرج من مقامه وأزمع على الرحيل والمهاجرة بساحات التنزيل، فسار عام أربعٍ وتسعين ووصل إلى الحديدة، ووعظ القاضي أحمد بن إسماعيل حنش، وذكر له تغيُّر الزمان، وانتكاس أمر كل إنسان، وذكر أن ذلك لشأن، وأنه قد قرب أمر الساعة وحان، فذهل الناس لذلاقة لسانه، بسرعة بيانه، وهجَّن على القاضي أحمد ما هو عليه وكان وصله كتاب من عقيل بن عمر

الحضرمي في أنه قد قرب زمن المنتظر، فأخذ القاضي عليه الكتاب الواصل ورفع بمسطور إلى الوزير بأن ابن الأمير سيثير فتنة. ثم ركب البحر وسار وتخلص من مكر الليل والنهار.

وكان إذا حدّث حير السامع، علىٰ أن والده استنابه للخطابة يوماً فصعد على المنبر فما سَحْبان[1] وما صعصعة بن صُوحان[2]. لم يعتري لسانه الحَصَر، ولا أدركه الخجل والخَوَر. ولمّا راح عن صنعاء شاحح الوزير أحمد بن إسماعيل فايع في ضَبْطه وبعَث من يَغُله بالحديد من بندر الحديدة ففاته. وكان مُغرى بمكة شديد الحب لها، رحل إليها مرات وتردد إليها سنوات، ولما استقر بها كاتب أكابر الصدور، إلى جميع الثغور، وبعث بالرسائل والنصائح إلى ملوك الشام واليمن والعراقين والسند والهند ومصر والروم.

وكان كثيرِ العجب من العلماء، طويل الفكر من النظر في أقوال القدماء، إن قعد بين الأعلام، بَكَّتَهُمْ علىٰ ذهاب أعمارهم في تحصيل دقائق الكلام، وكان يصرِّح بأن ذلك من الزيغ المستعاذ منه، ويظن بمن فسر القرآن برأي أشعري أو معتزلي أنه ممن يحرف الكلم عن مواضعه، (وغاية ما يحوم حوله أنه إنما يفسر كلام الشارع بعيانه أو لغته الصريح من دون تأويل إلا لصارف فرقاني)[3] ورأيت له كلاماً نقله في ذلك، قال: لكن من في قلبه والعياذ بالله زيغ، يحرّف الكلم عن مواضعه، وينتقش في فكره شيء، ولا يمحوه فيخبط في مواقعه، ويتخيل أن في الحذف والتقدير إيضاح كلام من إليه التقدير وكل فكرٍ يُقَدِّرُ أمراً غير ما قدره الآخر فيحار الطالب للنجاة. وهذا علم لم يكن من علم خير القرون، وقد كان نافع بن الأزرق[4] يسأل ترجمان القرآن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، غاية ما يقول له في اللفظة هل هي من لغة العرب فيستشهد له عليها من كلام العرب؟ وعُمَر ضرب ضُبَيْعاً بالدرّة لما سأل عن معنى ﴿والذاريات ذرواً﴾، ولكنه انبثق أُجاج الجدل حتى عاد التبيان لكل شيء من أغمض الأشياء، لمن أراده من كتب التفسير، وأدخله القوم في المتشابه، علىٰ أنّا أي بُني لا يصلح أن يكون

---

(١) هو سَحْبان بن وائل: خطيب يُضرب به المثل في البيان، أقام في دمشق، وتوفي سنة (٥٤هـ). انظر: الأعلام (٣/ ٧٩).

(٢) صعصعة بن صُوحان: من أهل الكوفة. كان خطيباً بليغاً عاقلاً، له شعر، توفي سنة (٥٦هـ). الأعلام (٣/ ٢٠٥).

(٣) ما بين المعقوفتين زيادة في هامش الأصل.

(٤) هو نافع بن الأزرق: زعيم الأزارقة الخوارج. قُتل في وقعة دولاب أيام خلافة عبد الله بن الزُبير، وذلك سنة (٦٧٥هـ). المنجد في الأعلام ص (٥٦٩).

تلاميذ تلاميذهم في كل فن زعموا أنهم خدموا به الكتاب المبين، لكنا نظرنا إلى القرآن وإذا دلالته واضحة وعباراته أصرح من عباراتهم وأبلغ وأجل وأكمل وأجمل، ولا جامع بين مادة بين ما خاضوا فيه من التدقيق والتحقيق، وبين ما يفهمه من تدبّر القرآن، وظفر بالتوفيق.

ثم ذكر مادةً نفيسة طويلة تفرق بين أهل الأثر وأهل النظر، وذكر أن على المتأمل أن يتأمل بين ما قاله جبريل للنبي ﷺ حين قال له: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ وبين ما خاض به صاحب الكشاف والبيضاوي وأبو السعود والجلالين. قال أبو السعود: اقرأ أي ما يوحى إليك. وقال البيضاوي: اقرأ أي القرآن، وقال الجلالين: اقرأ أي أرجو القراءة، ومثل هذا إنما يخاض به للطماطمة الذي يجوز عليهم التغمير لا لمن له فهم عربي، فبالله عليك أيها المنصف أي الكلامين أجل وأجمل في نفسك هل ما قاله أبو السعود وذووه أم ما قاله الأمين جبريل؟ فإن الوقوف على مثل ما قاله جبريل هو الفطرة التي فطر الله تعالى الناس عليها، وما أظن بعربي أن يقدر ما قدروه وإلا كان مثل هذا واقعاً بين خديجة رضي الله عنها وبين ورقة بن نوفل[(1)]. وما يظن بعربي هذا ولا يخطر لعربي ببال، ولا يمرّ له على خيال فإن جبريل، ما أثر عنه أنه قال بمقالة واحد من المفسرين ومن زعم أن هذه الفنون في فهم جبريل وخير القرون فقد أوهم أهل اللغة ونسب إليهم ما لا يعرفونه، ولعلي أظن أنه لو جاء رجل من هؤلاء المفسرين إلى أبي ذر الغفاري وسلمان الفارسي وأمثالهما من أكابر الصحابة وقعد يفسّر لهم بتفسير أبي السعود والبيضاوي والكشاف لما ظن واحد منهم أنه في سلامةٍ من العقل والمعرفة. ولو كان ذلك بافهامهم لنقل اختلافهم كما نقل اختلاف هؤلاء المفسرين بالوسوسة في هذه الآية وبمثل هذا تعرف أن خوضهم من باب الهذيان لا من باب التبيان وما من آية إلا وقد علقوها بالمستحيل، وسلكوا المعوج بمستقيم التنزيل، والمعاني ظاهرة بقرائن الحال لا بالتقدير المحال، ويقول من لا يرى رأي هؤلاء أن الله سبحانه بعث رسوله ﷺ ليزيل الخلاف ويبين للناس ما نزل إليهم، وقد قال في ذم المختلفين في الكتاب المبين، وإن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاقٍ بعيد. وهذه التقديرات التي سلكها أولئك المفسرون قد أوقعت العداوة وشتّت الشمل وتغيرت طبائع الناس فيها، وتعصَّب كل طائفة لمن أحبته من سابقيها، لا قوة إلا بالله، فهذا في هذه الآية التي هي أول ما نزل فكيف بالآيات الثانية التي زاغوا فيها وهي عندهم مكفرة لمخالفتهم وعند مخالفيهم،

---

(١) **ورقة بن نوفل بن أسد**: من حكماء الجاهلية، ابن عم خديجة. توفي نحو سنة (٦١١م). الأعلام (٨/ ١١٤). وجاء في هامش الأصل ما نصه: وقول وَرَقة: إقرأ أي أوجد، وخديجة تقول: إقرأ أي ما يوحىٰ إليك. هذا علىٰ سبيل المثال.

إنها مكفرة لهم، وما عسى أن ينقل الإنسان من تحقيقاتهم الدقيقة التي قطعوا الأعمار النفيسة في تحصيلها حتى عسر عليهم تضييعها ورأوا تركها انحطاط رتبة الزَّهْو على من لم يعرفها، وإذا تأملت خوضهم في مثل آية: (اقرأ) وجدت ذلك غير ما أُمِرْنَا به من التدبر الذي يقول الله تعالى فيه: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾[1] ويقول تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[2]. وتراهم يخوضون هل الاسم مشتق من السّمُو وهو العلو أو من السمة وهي العلامة، ويخوضون في هل الاسم نفس المسمى أو غيره ويوردون اللوازم السخيفة.

وتراهم في تفاسيرهم يتباينون في أن هذه اللام للجنسية أو للماهية أو هي للعموم أو للاستغراق، وهذا شيء لا تعرف العرب ما هو والفهم بحمد الله واحد، ومن نسب افهام المتأخرين إلى الخطأ فقد أعظم الفريَه ورفع التكليف، (فإن فهم المتقدم والمتأخر لكلام الواحد فهم واحد، وإنما يتفاوت في التدبر ويؤتي الله هذا فهماً في كتابه غير ما يؤتيه هذا. وأما اللفظة العربية فالفهم فيها واحد)[3].

فإن سألت عن معنى التفسير وما وضع له فقل موضوعه التبيين لما يورث القلب القاسي ليناً والفكرة عِبرةً، ويُبدّل الغفلة يقظة ويورث الراغب في الدنيا زهداً وعفافاً، والمُعرض عن الله إقبالاً والمتكاسِل عن العبادة نشاطاً في الطاعة، ويعقل المتجاري عن الإقدام ويثير العزم الكامن على الخضوع والخشوع والهدى والتقوى، فأما ما خاض فيه محققوا المفسرين، فليس له في التدبر المأمور به نصيب، بل أجزل ذلك تدبر للقاعدة الموصلة، لأهل كل فن إلى فنهم، فَجُل خوضهم ينفي فائدة التدبر ولا يفيد الجاهل للأحكام معرفة، ومن تملك قلبه الاستكبار قام بجهالته على هذا الحد في الإنكار وأكثرهم للحق كارهون.

قلت: هذا معنى ما نقلته عن المترجم له. وأنا أدين الله به، فقد عرفت شيئاً من هذه العلوم وتتلمذت بين يدي الأكابر من المحققين، فما رأيت قلبي عند علمهم زاد إلا قسوة، وما رأيت رجلاً من أصحابي الذين رافقتهم في ذلك يَهِشُّ إلى الطاعة، وتنكّب عن التفريط والإضاعة. شعراً.

وخير الأمور السالفات على الهدى   وشر الأمور المحدثات البدائعُ

---

(١) سورة النساء، الآية (٨٢).

(٢) سورة صّ، الآية (٢٩).

(٣) زيادة في هامش الأصل. ومثل تلك الزيادات متكررة، نظراً لأن المؤلف عمل في كتابه تعديلاً وإضافة.

وهكذا سائر المعارف من أصول الفقه وأصول الدين التي ذكروا أن دلائلها قواطع أنت إذا نظرت فيها وجدت الأصول أكثر مسائلها ظنوناً وأوهاماً وآراءً عقلية. ولهذا حصل الشقاق بينهم والنزاع والاختلاف والتباين وأكثر استدلالاتهم أوهَى وأوهن من بيت العنكبوت، فلا يغرنك تهويل علماء الوقت وقولهم: إنهم خدموا الكتاب العزيز بتلك المعارف، فهي دعوى لا برهان لهم بها، ﴿وَمَا تُغْنِي ٱلْآيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾[1]، والزم طريقه علي بن أبي طالب عليه السلام وابن عباس وابن مسعود وأبي ذر وسلمان رضي الله عنهم، فإن هؤلاء لو جاءهم الأصولي والمنطقي والفلسفي وعالم اللطيف والرياضي والطبيعي والارتماطيقي في الحساب، لتحيَّروا في معارفهم، والطالب للنجاة يُحَصِّل في النحو اليسير الذي يقيم به لسانه ويضبط الألفاظ اللغوية من كتبها التي قد دونت في أفراد الألفاظ ليس إلا، ويدأبُ في طلب الحق من الكتاب والسنة، ويسأل الله الهداية. ولله صلاح بن حسين الأخفش العالم المتأله في قصيدته هداية المسترشدين التي وضعها رداً على من أوجب معرفة علم المنطق وغيره، يقول فيها:

فما كُلِّفَ الإنسان تمييزُ ذاتهِ ... عن الفَرس الصَهَّال واللاّئِي يَنْهقُ
ولا نزلت بالحَدِّ والرسم آية ... ولافاه من طه بذلك منطقُ
وأيضاً النّبيون الكرام مضوا ولم ... يكن لهمُوا بالعلم هذا تعلّقُ
فهذا خليل الله أَفحمَ قومَهُ ... وقال لهم إذ في الضَّلالةِ أغرقوا
ومعبودكم ما أنتموا تنحتونه ... وربي للمعبود والعبد يَخْلُقُ
وما قال ذي الأصنام منحوتةٌ لكم ... ولا يُعبَد المنحوت يا قوم فاتقوا
وما زاد لمّا أن رأى النَجْم أَفِلاَ ... عليّ لا أُحب الآفلين وما بَقُوا
وسائر رسل الله مثل خليلِهِ ... ومثل الذي لاقاه في الدين قد لقوا
كذلك خير الرسل طه وصنوه ... عليّ الذي قد كان بالحق ينطقُ
وعترته الأطهار ما نطقوا به ... وهم سُفن الناجي إذا كان يغرق
وأصحابه أيضاً وهم خير أمةٍ[2] ... مَضَوا لم يكونوا بالقياسات ينطقوا
واتباعهم مع تابعي تابعيِّهم ... إلى أن غلوا في الدين ثم تفرّقوا
وجاء ابن سينا للشريعة خالطا ... لما دَوَّن اليونان منه وزوّقوا
فأعجبَ أهل الجهلِ ما جاءهم بهِ ... وأجمعت الآراء عليه وأطبقوا

---

(١) سورة يونس، الآية (١٠١).

(٢) في «ب»: خير آيةٍ.

وهي قصيدة طويلة بديعة، من إمام في الشريعة، إلا أنه اشترط فيها معرفة علوم جمة؛ كعلم أصول الفقه وأصول الدين، وقد عرفناك بالحق ونقلنا لك كلام هذا المترجَم له فيما سلف وأنه وقف على مؤلف لابن حزم فيه الرد على أهل الأصول مع أنه من أئمة المعقول والمنقول، وقد طوّلنا الكلام ولكنا رأيناه هادياً لمن يقم على ساق المكابرة والخصام، فإنها:

لا ترعوي الأنفس عن غيها ما لم يكن منها لها زاجرُ

وللمترجَم له مؤلفات عديدة، ومن أراد مقدار معرفته لكتاب الله المجيد فعليه بتفسيره المسمّى (فتح المنان في تفسير القرآن) فإنه لا مثل لهُ ولا يستطيع سلوك طريقته النَقَله.

[تفسير لمتقي وما معناه]

ومما نُقل عن المترجم له وقد سمع الكلام في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[1] فرأى حيرةً عند من تكلم ولم يدر معنى المتقي. فقال قد فسَّره الحق بقوله المبين: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[2] إلى قوله: ﴿هُم المُفلحون﴾. فذلك تفسير المتقي والمفلح، فقيل له: هذا مخترع، فقال: لست بأول من فسر ذلك، ففي أمالي ثعلب اللغوي[3] أنه قال له محمد بن عبد الله بن طاهر، ما الهَلع؟ قال: فقلت: قد فسّره الله ولا يكون أبين من تفسيره، إذا ناله شر أظهَر شدة الجزع وإذا ناله الخير مَنعهُ الناس وبَخُل به.

وله مؤلف سمّاه (مناهل العين الكوثرية شرح الأربعين الجوهرية) وهي الأربعين الحديث التي وضعها محمد بن أحمد الجوهري ـ المقدم الذكر، عام واحد واثني عشر مائة ـ أفاد في صدره في معنى حديث: مَن حفظ على أمتي أربعين حديثاً بعثه الله تعالى في زمرة الفقهاء والعلماء، أن المراد حفظها أي نقلها إلى الأمة كما صنع البخاري، أما لو حفظها عن ظهر قلبه أو صنع كما صنع الأسيوطي فيحتمل دخوله في الوعد لأنه من الأمة فقد حفظها لنفسه. ولا يشترط أن يكون نقلها لكل الأمة وإن كان الناقل للأمة أفضل لعموم نفعه، ونُقل عن الغر بن عبد السلام أن الأخذ للأربعين الحديث من دواوين المسندين، كما فعل الأسيوطي في دخوله في هذا الوعد وقفة إذا لم يحفظ على الأمة

---

(١) سورة المائدة، الآية (٢٧).

(٢) سورة البقرة، الآية (٢).

(٣) هو أحمد ثعلب: نحوي، لغوي. توفي ببغداد سنة (٢٩١هـ) له كتاب: معاني القرآن، معجم المؤلفين (٢/ ٢٠٣).

وإنما الحافظ هو المدوِّن الذي رحل الأقطار في تخريجه وعلى تسليم دخوله فليس كدخول المجتهد المسند وإنما له أجر إفراد الحديث من ذلك الديوان وتقريب تناوله لا أجر إسناده، وحاصله أنه لم يحفظ الحفظ العام فلم يدخل في الوعد الدخول التام، وهذا الكلام ساقه عن والده في شرح الجامع الصغير، ثم قال: قلت: إذا كان المراد الأجر على نفع الأمة فلا شك أن مثل المصنف الأسيوطي رحمه الله قد نفع الأمة بجمع الأحاديث ونحوها لهم وتسهيله للبحث حيث جعلها في جامعيه على الحروف وغير ذلك، فربما قاوم هذا النفع والتعب في التدوين أجر المسند لأجل إسناده وتعبه في التخريج. انتهى.

حلية القاضي أحمد لأبراهيم الأمير:

وقد ترجمهُ كثير، قال القاضي أحمد في الدمية: هو السيّد السند والخليل المعتمد، صارم الدين إبراهيم بن محمد الأمير، الحبيب النجيب، الخليل الأريب، ذو الذهن الوقاد، والفكر المستقل النقاد، الحاوي لخصال الكمال، بأكمل الخصال، الراقي إلى أوجه البلاغة في جميع الأحوال، إن وَعَظَ خِلْته الحَسَن، وإن خطب أعلى السنن، وأيقظ الوسن، وقلد المنن، وبَغَّض السِمَن، وحبّب الحَسن، وضيق العَطَن، ووسّعَ، وسمع الحزن، وشجّع الجبان، وشبع الجنان، وزيّن الجِنان، وشيَّد الأمان، يخلط الترغيب بالترهيب، والتبعيد بالتقريب، والوعيد بالوعد، والمطر بالرّعد، وإن فاكَهَ الأخوان، فجنَّةٌ قطوف أدابها دان، وثمرتها أَفْنان، ذات حُلْوٍ وألوان، طعمها شهي، ونظرُها بهي، تلتذ بها الأسماع، قبل وصولها إلى الرقاع، كلهاً زهور، وأنوارها سرور، وإن هزل خُلْتَ الحصا درًّا والشعير بُرًّا والقُمري هُرًّا، والجَهر سراً، والحلو مُرًّا، والصبر جزَعاً، والوقار هَلعًا، والعالي في رتبة القصور، ولدغ الذباب كالزنبور، وإن تصوّف أراك محبّة الأتباع، مزرية بمحنة الابتداع، وسلك بالطريَقة، إلى درر الحقيقة، فالتقطت بسفينة النجاة جواهر الإحسان، ووصلت إلى المحبوب بكمال الإيمان، وغيّبت ذاتك في بحر الأحديّه، وأسقطت السِّوَاعَنْ جَوهر قلبك الشَّويّة، وأَفْضت عليها الأنهار المصطفوية، الواصلة من المنن الإلـهية، المستولية على الذات القدسية.

وطوَّل الكلام في ترجمته، وقد جلاَّه هنا بما هو عليه. وترجمه عبد الله بن عيسى في حدائقه[1]، وإبراهيم بن عبد الله الجوثي في نفحته[2]، وقصَّر فيها وله شعر كثير قد ملأ الناس به الدفاتر، مما كاتب بهِ الأكابر، وَفقت على مكاتبةٍ له إلى ولده علي بن

(١) **عبد الله بن عيسى بن محمد بن الحسين بن عبد القادر**: وعنوان كتابه الكامل: الحدائق المُطلَعة من زهور أبناء العصر شقائق. ترجم فيه لمن عاصره من أدباء اليمن ممن له شعر.

(٢) نفحات العنبر بفضلاء اليمن في القرن الثاني عشر.

إبراهيم يزهده في الدنيا، طوّل فيها وقال في خاتمتها مما يقضي العجب من وجود زاهدٍ يتصف بما اشتمل عليه النظم ولا أعلم بنسبتها إليه.

برئتُ من المنازل والقباب	فلم يَعسُر على أحدٍ حجابي
فمنزلي الفضاءُ وسقف بيتي	سماء الله أو قطع السحاب
فأنت إذا أردت دخلت بيتي	عليَّ مسلماً من غير باب
لأني لم أجد مصراع بابٍ	يكون من السماء إلى التراب
ولا انشق الثرًا عن عود نحتٍ	أؤمّلُ أن أشد به ثيابي
ولا خفت الإباقَ على عبيدي	ولا خفت الرصاص على دوابي
ولا حاسبت يوماً قهرماناً	فأخشى أن أغلب في الحساب
ففي ذا راحة وبلوغ عيش	فَدأَبُ الدهر ذا أبداً ودأبي

فهذا هو العزيز في مصره، الأنس في مَدِّه وجزره، اتحري بقول القائل في شعره:

أنا في الحالة التي قد تراها	إن تأمّلت أحسن الناس حَالاَ
منزلي حيث شئت من مستقرِ الأرض	أُسْقَى من المياه الزُلالا
ليس لي وَالِدٌ ولا لي مُولود	أراه ولا أرَى لي عِيالا
أجعل الساعد اليمين وسادي	فإذا ما انقلبت كان الشمالا
قد تلذذت خُفيةً بأمورٍ	لو تدبَّرتها لكانت خَيالا

[أحمد بن محمد العلفي]

وفيها[1]: أحمد بن محمد العلفي القرشي[2] الجليس والإنيس. كان محبوباً مكرماً عند الصدور، وله معهم طُرَفٌ وتحَف تناقل الناس أخباره في أيامه وبعد موته، وضربوا بقوله المَثل، وكان حسن النوادر، جم الفوائد والنظائر، كثير المحفوظ، حسن الاستشهاد، يحفظ شعر أبي الطيب وأبي العلاء، كثير السؤال عما فيهما من المعاني، وله في التلميح إلى ذكر حاجته بين يدي الوزراء طريقةٌ لم يسبق إليها. ورد على الوزير الحسن بن علي حنش، فأطال الكلام معه، وخَتَم بأن قال: نحن أفضل من الملائكة، فقال الوزير: لماذا فقال؟ لأن طعامنا من الحبوب والفواكه وطعامهم التسبيح ونحن في هذه الأيام نطلع إلى الأسواق فنقول سبحان الله ما هذا العنب، سبحان الله ما هذا البلس، سبحان الله ما هذا الفرسك، فنكتفي بالتسبيح ونخرج من الأسواق كما دخلنا. فأمر له الوزير بصلةٍ سنية.

---

(١) سنة (١٢١٣هـ).

(٢) نيل الوطر (١/٢٢٨).

ولقي مرةً بعض أصحابه فاستنكر الصاحب أخلاقه فقال: مالك؟ فقال: أمر عظيم حدث في هذه الأيام، قال: ماذا؟ قال: مات أشعب، يريد أنها انقطعت أطماعه من كل من صحب وأحب.

وله قضية مشهورة مع وزراء الإمام المنصور بالروضة، كان قد أفلس فعرّض لهم بحاجته فلم ينل شيئاً منهم فأمسى ليلته بأشد ما لقىٰ وكتب إلى كل واحد منهم أن ولدي محمداً مات ولا أجد ما أكفنه به فأحضروا دفنه، فبعث إليه كل واحد منهم بكفن ومال وأصبحوا يتواردون إلى المسجد الجامع بالروضة، فلما أصبح قيل له: أن وزراء الإمام وأعيان الدولة بالجامع ينتظرونك للجنازة، فخرج إليهم وهو يضحك واعتذر بأن ولده أصابه بلغم وأقاله الله، فعلموا أنه قد خدعهم، وخرجوا يضحكون، وما زالت القالة شهراً من تلك الحالة.

وله مع حُميد بن عبد الله القرشي أيام ولايته علىٰ بندر المخا ماجريات فإنه نزل عليه من صنعاء وطال بقاؤه لديه فلم يُنله شيئاً فماتت جارية لحميد، فسار المترجم له إلى كَفَرة الرازبوت الذين بالبندر وقال: أما تعلمون ما بيننا من الرحامة لحميد وهو متولي البندر فأحضروا معه في تشييع الجنازة وإلاّ كان ذلك منكم قطعاً منكم للرحامة، ولا تأمنوا على أنفسكم منه، فقاموا عن بكرة أبيهم وتبعوا الجنازة، فاستنكر حُميد ذلك منهم ثم شغله شاغل الموت فلما انتصف النهار سار المترجم له إلى الرازبوت وقال: أحسنتم وقد سمعت حميداً يثني عليكم ويصفكم بالوفاء، فقالوا: الحمد لله، قال: بقي عليكم حضور الدرس على الجارية هذه الليلة فأحضروا المقام للخدمة، فقالوا: نعم، فلم يشعر حميد وهو بالدار إلا بالرازبوت يتخطون المسلمين وبأيديهم المصاحف فأصابه حمق وأمر بإخراجهم وضربهم فاعتذروا بأنه عن أمرٍ من أحمد بن محمد فعلم حُميد أنه قد أتي من عدم أنالته فدافع عن نفسه وأناله خوفاً من أن يصنع معه أمراً فادحاً.

وكان قد صحب سعد يحيى[١] دهراً طويلاً، فرأى ولده أحمد بعد موته شديد الإسراف غير أنه لم ينل منه شيئاً، فاحتال عليه بأن دس إليه من يحدثه بخبر المسفلة التي تُخبر عن الموتى وأحوالهم، فقص الجماعة الحاضرون بموقف أحمد بن سعد فتعجب من أمرها وسألهم عما قاله العلماء فيها فقالوا: إنهم قضوا بصحة ما تخبر به. فلما علم المترجَم لَهُ أنه قد تمكن الخبر من قلبه أرسل امرأة بأجرة تخبر أحمد بن سعد يحيى أنها مُسَفِّلة فسألها أن تأتيه بخبر والده، فعادت إلى المترجم له فأخبرته، فقال:

---

(١) سعد يحيى العلفي.

قولي له إذا جئت غداً إني دخلت المقبرة فوجدت والدك في نعيم وسرور في جنان عالية خلا أنه قال لم يجد بعد الموت مكدراً ولا مكروهاً إلا من أحمد بن محمد العلفي. ففعلت. قال المترجَم له: فلم أشعر إلا وقد أرسل إليّ واستفهمني عن والده؟ فقلت: تعلم أنه كان بيني وبين والدك أمر عظيم واتصال كلي وأنه فعل معي وفعل وإني لا أعذره بين يدي الله عز وجل ولا بد من السؤال عما صنع معي من المصائب. فقال: سألتك بالله إلا ما أقلته من المصائب ولك ما اقترحت، قال: فاقترحت من فاخر ثياب أبيه ما كان يستجوده، فأعطاني. فلما سار المترجَم لَهُ باع ذلك في السوق فبلغ أحمد سعد يحيى فشراه بمال جزيل، ثم دس المترجَم لَهُ أحمد محمد إليه من يخبره بأن تلك حيلة منه فتألم لذلك ولقيه بعدها وهو يضحك فعلم أنه قد خدعه فلعنه جهاراً.

ولصاحب الترجمة مع الوزير الأعظم حسن بن عثمان (العلفي) ماجريات يطول شرحها. منها أنه لما وصل الحسين بن أحمد العلفي القرشي من بيت الفقيه أبي العجيل، استدعى آل العلفي[1] كلهم للضيافة فجاؤوا بأجود ملبوس وأكمل هيئة إلا المترجَم له فجاء بملبوس رث به الرقاع فقال له الوزير: قبحك الله تأتي بهذه الهيئة فقال: يا شَرَف الإسلام الصناديق مملوءة من أفضالك[2] ولكنا أردنا التخفيف، فقال: كذبت إنك أردت التخفيف، إنما أردت أن تشمت بنا الأعداء، فقال: اجعل أن يهود فروه جاؤوا عند يهود القاع ـ يعرض بأن يهود فروه أهل مسكنه وفقر ويهود القاع أهل ثروة وغنى. فكانت هذه قاطعة لصلة الوزير. وله معه أخبار حسان تركناها اختصاراً.

وَدَخَلَتْ سَنَةُ أَرْبَع وَعَشْرَةَ وَمِائَتَيْن وَأَلْف

فيها: عَقَد الإمام بولايات لجماعاتٍ، وخلع آخرين. فعقد بولاية قَعْطبه لمرشد خليل.

وفيها: عقد الإمام لعبد الله بن أحمد الماس ببلاد حيس.

وفيها: خلع الإمام عن ذَمار يحيى بن علي زبيبة شهر محرم.

وفيها: خلع عن وصاب الأعلىٰ حسين بن زيد المحرابي شهر رجب.

وفيها: خلع عن عمران ولده البدر شهر رمضان.

وفيها: خلع عن حُفاش وملحان الأمير ريحان أحد شهر شوال.

[اتصال الإنجليز بالإمام لإقامة قاعدة لهم في باب المندب]

---

(١) في «أ»: آل أميه.

(٢) في «ب»: : من احسانك.

وفي مفتتحها، يوم الأحد عشرين شهر محرم[1]، وصل القنطبان[2] ولسان[3] رسول الملك الإنكليزي إلى الإمام فاحتفل لوصوله، ونصّب له بدار الصّافية[4]، خيمة عُظمَى مَذَبّات ثخينَه وأحضر عساكر الباب، وجَمَع الخيول وألبسها فاخر الثياب، وجعلها صَفّين، فدخل من خارج بير العزب[5] مترجلاً، يَقدُمه عشرون نفراً بالسلاح، ويحُفُه عشرة من الخدم، وبيد رجلين منهم مَذَبّات ثخينَه يذبُّونَ بها عنه في الطُرق الغُبار، ولما رأى الإمام على سريره، خلع عن رأسه قلنسوته وألقاها وأقام ترجمانه بين يديه، يُعَبِّر عنه وعن سبب وصوله إليه، فأجمل الأمر في ذلك الموقف، وأنزله الإمام بالقرب من داره.

والسبب الحاصل في وصوله أنها لما دخلت الفرانسة ديار مصر، وكان الإنكليز معيناً لسلطان الإسلام، فطمعوا في تملك[6] السواحل اليمنية، وراموا في أن يعمروا بباب المندب، فخرجوا إليه ونزلوا عليه، وهموا به العمارة، فمنعوا من ذلك، وأرسل إليهم أهل عدن يخبرونهم بأنه لا يسعهم ذلك، إلا أن يأخذوا إذناً من الإمام. فتماروا في ذلك، وباطنهم مضمر للشر، فاضطروا إلى بعث (ولسان) وهو من دهاة الإنكليز، فطلع وأفصح عن مطلوبهم، فلم يجبهم الإمام، إلى ذلك المرام، فرجع خائباً، وكان

---

(١) أشار الدكتور سيد مصطفى سالم أنه يوافق (٢٤) يوليه (١٧٩٩م).

(٢) القُبطان.

(٣) ذكر الدكتور سيد مصطفى أن الرسول يُدعى الدكتور برنجل Pringleð، وكان يعمل في وظيفة مساعد جراح في وكالة بومباي الإنجليزية. وقد ذهب برنجل إلى البحر الأحمر في صحبة القائد الإنجليزي مواري Murrayð الذي كلفته شركة الهند الشرقية باحتلال جزيرة بريم لمنع تسرب السفن الفرنسية إلى المحيط الهندي بعد احتلال الفرنسيين لمصر. وعند وصول الجنرال بيرد Bairdð إلى المخا وجد «برنجل» هناك، فسلّمه خطابات وهدايا وكلفه بمهمة مقابلة الإمام في صنعاء، هذا مع العلم بأن هذا الجنرال هو الذي كان يقود الحملة الإنجليزية من الهند إلى القصير ليشارك في إخراج الفرنسيين من مصر، ولقد قيل أن مهمة برنجل إلى الإمام كانت لشؤون تجارية بحتة، ذلك على عكس ما ذهب إليه مؤرخنا في هذا النص، نظراً لضعف التجارة الإنجليزية في الهند مع جهات البحر الأحمر في ذلك. وقد استجاب الإمام لمطالب إنجلترا ـ وتدور جميعها حول تقديم تسهيلات تجارية في الموانىء اليمنية ـ كما استقبل برنجل بحفاوة كبيرة، وتحققت أغراض المهمة التي جاء من أجلها إلى صنعاء.

(٤) **الصافية**: هي المنطقة الجنوبية لمدينة صنعاء القديمة، خارج السور. وتقع اليوم في جنوب شارع الزبيري.

(٥) **بير العَزَب**: منطقة في غرب السور القديم لمدينة صنعاء. تمتد اليوم من غرب شارع علي عبد المُغنى وحتى قاع العلفي ـ قاع اليهود سابقاً.

(٦) **وردت في الأصل**: تلك. والتصحيح من الدكتور سيد مصطفى.

خبر هذا الإنكليزي، وما همّ به قد طار كل مطار، فلم يسعه المقام هنالك، فسيره الإمام، وأصحبه جماعةً من جنده يحفظونه من رعاياه، فخرج من بير العزب يوم الجمعة ثاني شهر صفر[1]، منكسراً خائباً، وكان بصنعاء قد اشتد الأمر عليه، لأنه وصل رسول الإنكليز إليه من باب المندب في يوم الثلاثاء تاسع وعشرين شهر المحرم[2] بكتابٍ ظهرت عليه به الكآبة، فأُفْهِم أن السلطان قد بعث بجنودٍ جرارة، وأنه قد شارف على الظفر بديار مصر.

كتاب من الشريف غالب إلى الإمام:

وتعقّب مسيره وصول كتاب من غالب بن مساعد أمير مكة المشرفة يذكر فيه بعد الترجمة أنه وردت إلينا كتب من جانب كبار الإنكليز من الكفار، بقصد بناءَ قلعة في باب المندب، الذي عليه طريق كل داوٍ ومركب، وهذا أمر يتفاقم خطبه، ويعز بعد وقوعه معاناته وطلبه، ويشمل كافة المسلمين كَرْبُه.

ثم قال بعد كلمات يسيرة في الشكوى: ثم إنه أمر لم يقع فيما قبله مثله، ولا في قديم الزمان فعلهُ، ولا جرى في سابق. الزمان، ولا جرى في دولة آبائكم ولا كان. وَدَاؤه يسري في جسد الإسلام سريان العلل والأسقام، ويعيي دواة الأساة والأطباء، وتحار أفكار العقلاء فية، والألباء، فتداركوا الأمر قبل تحكمه، وأبذلوا الجهد في إطفاء هذا الشر قبل تضرمه:

وإن الشر أوله شراره ويُوشِك أن يكون له اضطرامُ

وهناك يقع الندم حيث لا ينفع، ويتحكم الداء الذي يعسر أن يدفع، والله سبحانه ولي التوفيق، وهو المرجو للهداية إلى أقوم طريق، فأبذلوا همتكم الهاشمية، ولا تمكنوا أعداء الله من هذه الحيل.

هذا محصل تحريضه نقلناه من كتابه.

[الإمام يطمئن الشريف غالب]

وأجاب الإمام المنصور بعد الترجمة يقول:

فإنه وصل من جنابكم الشامخ، ووفد من مقامكم السامي الباذخ، كتاب طابت فوائد معانيه، فطالت قواعد مبانيه، يحكي ما اتصل لمسامعكم من الأخبار، المترجمة عن احتفال طائفة الكفار، ببناء المعاقل في أطراف هذه الديار، وأنهم قد انتدبوا إلى باب

---

(١) أفاد الدكتور سيد أنه يوافق السادس من يوليه عام (١٧٩٩م).

(٢) يوافق الثالث من يوليه عام (١٧٩٩م).

المندب، وراموا رفع أساس الأبنية، وذب من عنه ذب، وذكرتم ما يترتب على ذلك من المفاسد، التي يشمخ بها أنف كل جاحد، فلا جرم قد أرشدتم إلى منهج الرشاد، ونظرتم إلى نوائب العواقب بعين الانتقاد، بيد أن ذلك الخبر غير مطابق للواقع، ومن دون صحته خطوب زعازع، ومعارك سواطع، وصواعق صواقع، ووقائع روائع، ودوافع موانع، وهيهات هيهات، فبينهم وبين إدراك هذه الطلبات قلاقل وزلازل، وقساطل[(١)]، وصواهل[(٢)] وذوابل[(٣)] ومكاحل[(٤)]، وصوارم[(٥)] ولهاذم[(٦)] ومخاذم[(٧)] وملاحم. انتهى.

[الجيوش العثمانية إلى مصر لإخراج الفرنسيين منها]

قلت: واشتهر أنه خرج من جند السلطان شيخ العربان، متجهزاً على حزب الشيطان، الباشا أحمد طباطبا، في اثنين وعشرين ألف مقاتل من الرجّالة، وثلاثة آلاف فُرساناً، يحمل زاده وأثقاله وكانت[(٨)] خيامه عشرين ألف جمل، وسمعنا بهذا أحمد طباطبا عن بعض الناس من أهل اليمن قال: إنه رأى في كتابٍ ورد أن اسم الخارج أحمد طباطبا، والذي سمعناه بمكة وتلقيناه من المتطوعة مع السيد الجيلاني أن اسم الرجل أحمد جرار ـ بجيم ومهملتين ـ وهو الذي خرج عن أحمد الجزّار صاحب عكّا، وهو بجيم بعدها زاي معجمة فألف فراء مهملة، وهذا تجهيز أول ولا يباين ما في كتاب غالب.

[خطاب يوسف باشا أمير المدينة الشريفة النبوية إلى الإمام]

وفيها: وصل من الباشا يوسف صاحب المدينة[(٩)] إلى الإمام جواب أجابت به على الإمام، وكتاب من وزير الختام يوسف مُدَبِّر حضرة السلطان، فيه أن وزير الختام، سينهض بنفسه لذلك المرام، ولم يكن من الإمام كتاب إلى يوسف باشا صاحب المدينة، ولا إلى السلطان، فلعله افتعله بعض المفتعلين[(١٠)].

---

(١) هدير الجِمال.
(٢) صهيل الخيول.
(٣) يقصد به فتيل البنادق القديمة.
(٤) مكاحل البنادق بحسب ما كانت عليه سابقاً.
(٥) جميعها تعني الحاد القاطع من السيوف.
(٦) التخريج السابق.
(٧) التخريج السابق.
(٨) **وكانت**: زيادة في النسخة «أ».
(٩) انظر ترجمته في كتاب البدر الطالع للشوكاني (٢/ ٣٥٧).
(١٠) كذا في الأصل.

ولفظ كتاب الباشا يوسف صاحب المدينة إلى الإمام:

الحمد لله حمداً لا نُحصي ثناءً عليه جل وعلا، وكَمْ وكفَى، أنا مؤمنون، والصلاة والسلام على سيدنا وسندنا رسول الله، نحن في جواره، من جاهد في الله، حتى أتاه اليقين وعلى آله وصحبه الذين بذلوا نفوسهم ابتغاءَ مرضاة الله رضوان الله عليهم أجمعين، وبعد:

نُبْدِيْ ذلك ونهديه إلى المحب في الله والصديق لنا وإلينا، خالصاً مخلصاً لوجه الله، الأجل الأمثل الأبر المؤتمن العظيم، إمام الزمن في أقطار اليمن، كان محروساً ومطهراً من كل ألم ودرن، بحرمة النبي الأمين.

بعد السلام عليكم، الذي نُعلمكم به، وهو كل خير لما بيننا من المحبة السابقة، والأخوة الإسلامية، يا حبذا هي الرابطة القوية، تقدمت إلينا من طرفكم، كتب مفصحة لنا[١]، واستعلام وقائع الطائفة المنحوسة الفرانسة، دمرهم الله وخذلهم بجاه محمد خير البرية، وطلبتم منا إيضاح المبهم وأحوال الطوائف الإنكليزية، وإن المؤمنين لبعضهم معينين في نُصرة الدين، ولمّا أَوْعَد الله مترقِّبين، كما قال في محكم التبيين: ﴿وكان حقًّا علينا نصرُ المُؤمنين﴾[٢]، ولإمداد الدولة العليّة منتظرين، فلما أن علمنا منكم ذلك، أعدنا الجواب إليكم سريعاً وأعلمناكم بما هنالك، هو أن طائفة الفرانسة، جعل الله ديارهم دارسة، وأعلامهم ناكسة. قد اختلفوا ونقضوا العهد القديم والميثاق وتعدّوا بقهر مصر والآفاق، وطوائف الإنكليز بيننا وبينهم رابطة قوية، وصحب للإسلام، فمن أتاكم من طوائف الفرنساوية اللئام، أجْرعوه وجَرّعوه كؤوس الحمام، ولا تبلّغوه مرام، وأصدقائنا الإنكليز أعطوه ما يَهْوَى من مطاعم الشهوَى، والمشارب الحلوى. هذا وحين ما ورد إليَّ كتابكم، أرسلت من خواص أتباعي إلى الدولة العليّة، وشرحنا لهم شأن صلابتكم في الدين، وشجاعتكم في الميادين، وإقدامكم معنا أيها المؤمنين، «كذا في الكتاب»[٣] وإنكم متيقظين لستم بغافلين، كما صدق من نطق فيما به الله عليكم قد تفضل وامتن: «إن الإيمان يمان» فبعد أن علموا[٤] الدولة العلية أحوالكم وأوصافكم،

---

(١) هنا إشارة إلى أنه تلقى خطابات من الإمام، وهو ما نفاه مؤرخنا جحاف؛ وكذلك فعل الشوكاني في ترجمته لأمير المدينة المنورة يوسف باشا. إلا أن سياق الخطاب يوحى ويؤكد أن الإمام قد وجّه إليه بخطابات.

(٢) سورة الروم، الآية (٤٧).

(٣) زيادة في هامش الأصل بخط المؤلف.

(٤) كذا.

وما أنتم عليه شكروا صنيعكم على قولكم، وأرسلوا إليكم جواب كتابكم، من صاحب الدولة العثمانية، وهو وزير الختام الآن، مُدبِّر الجمهور الصدر المعظم[1] ضياء الحاج يوسف باشا[2]، وها هو مرسل إليكم صحبة كتابنا هذا على يد تابعينا الحاج إسماعيل آغا والحاج يحيى آغا، فمع سلامة الله تعالى إذا وصلا إليكم وقرأتموهما[3] وعلمتم وأعلمتموهما للحاضر والباد، فيلزم لكم بعد الآن أتم الجهاد والاجتهاد في ذلك الناد، لأن الفرنسيس عدو الدين، ربما أن يفر أحد منهم من طرف القُصَير[4]، ويأتي من نواحيكم، فأذيقوه حرباً حاراً يتوصل به إلى أمهِ الهاوية بئس القرار، ولا تهابوه فإن قلبه طار، وقصده النجاة لا بلّغه الله الأوطار، فلا تغفلوا واحذروا مكر الفجار، وكونوا على قلب واحد أيها المؤمنون، فالله معنا والنبي المختار، فلأنه سابقاً في أوسط شوال قد تعدّوا الكفرة اللئام، إلى أطراف الشام، وحاصروا عكّا[5] بلدة الجزار، بعسكرٍ ينوف على خمسين ألفاً من الكفار، وتم الحصار بتلك النواحي أربعةً وستين يوماً، واشتد الكرب على المسلمين، فوفدت نجدة من الدولة العلية ثمانية عشر مركباً مدافعها وبارودها، ومن يعطى حقها رجالها فقابلوا الكافر وقتلوا ما ينوف على ستة وعشرين ألفاً من الكفار أهوى بهمِ إلى بئس القرار، واستشهد من المسلمين مقدار، فبعد إذ عاين عدو الله القتلى، والآية الكبرى، انهزم وولّى الأدبار، وإلى أطراف مصر طالباً الفرار، وإلى يوم تاريخ كتابنا نرجوه سبحانه، عم نواله، إنهم وصلوا وبلغوا المنى، وإن شاء الله عما قريب نسمعكم بشراها، ونحمد عقبى مسراها، بحق ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ﴾[6].

هذا ونبشركم بما جرى سابقاً ولاحقاً، وأن يُلَقَّب مليكنا ويتلَى له على المنابر غازياً صادقاً، هو أنه لما بلغ الدولة العلية خبر قهر مصر جهّزوا علىٰ سَاقِيَة عدو الدين، وذلك إقليم اللونديك التي فيها دارُ الضَرْ للمستخص[7] العتيقة، هي من حَوْزِ حكومة الفرنسيس، وتحت تصرفه براً وبحراً، وضبطوا ذلك الإقليم جميعه وتلك النواحي، ومما في ذلك الإقليم في البر ثَمان بلدان بقلاع من أحسن ما يُسمَع، ومقَر سلطتهم بلدةٌ

---

(١) هكذا وردت. وأشار الدكتور سيد مصطفى إلى أن (الأعظم) هو التعبير الشائع.

(٢) ذكر الدكتور سيد مصطفى أنه هو الذي قاد الحملة العثمانية التي أخرجت الحملة الفرنسية من مصر بالتعاون مع القوات الإنجليزية.

(٣) الضمير المثنى هنا يشير إلى خطاب الصدر الأعظم وإلى خطاب يوسف باشا والي جُدة.

(٤) القُصَير: مرفأ مصري قديم على البحر الأحمر. المنجد في الأعلام ص (٤٣٩).

(٥) وردت: عكّه.

(٦) سورة هود، الآية (٤١).

(٧) وردت: للمشخص. والتصحيح من الدكتور سيد مصطفى.

بدت ألطف وأوسع، وغير ذلك قلاع صغار ما تعد، وقرى لا تُعد[1]، فقتلوا من صد، وأسروا أسراً لا يوصف بحد، ما ذكرناه في البر وفي البحر أربع جزائير منيعات حصينات صارت الجميع في قبضة الإسلام، ومحى منها شرك الظلام، وجاءت مفاتيحها إلى مليك زماننا، وصارت فيها من طرف الإسلام، وزراء عظام، وأمراء كرام، بحمد الله الملك العلاّم، وبعدما قطعوا ساقية عدو الدين، وجهّت الدولة العلية وجه وجهتها إلى أخذ الثأر إلى مصر براً وبحراً.

وهذا الخبر ورد إلينا ما تابعنا الذي أرسلناه إلى الدولة العلية. وكان وصوله إلى المدينة المنورة في اليوم السابع عشر من صفر الخير بتحريرات من الدولة العلية العثمانية موضحةً لنا ما شرحناه لكم من فتوحات إقليم اللونديك والتوجه إلى أخذ الثأر، وقمع أولئك الفجار، وها حضرة صاحب الختام، أقبل بعساكره والصافنات الجياد براً، والسفن السائرات بحراً، قاصدين مصر وتخليصها من لوث الشرك والكفر، نرجو من الله مولانا سامع دعانا أن يدمر الأعداء حيثما دانوا، ويعلي ويعمر كلمة الإيمان أينما كانوا بحق من أنزل عليه ﴿نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾[2] إنه سميع مجيب. وكما شرحنا إليكم ربما أن بعض الكفرة الفرنسيس اللئام يفرون من القُصَير إلى نحوكم، فإن رأيتم أحداً منهم أقتلوه، وأسروه حيث ثقفتموه وأتباعنا المرسلين إليكم سهلوهما إلينا، بجواب كتاب صاحب الدولة العلية وجواب كتابنا، وأخبار تلك الأقطار أفصحوه إلينا سريعاً إنه جل المرام، والسلام ختام.

المحتاج إلى عفو الله الحاج يوسف باشا والي جُده ومحافظ المدينة المنورة. انتهى.

هذا لفظه، ولفظ وزير السلطان بن عثمان في كتابه إلى الإمام:

---

(١) أشار الدكتور سيد مصطفى سالم أن المقصود هنا ـ من وراء هذه الفقرة جميع هو مجموعة جزر الأيونيان (المتناثرة أمام الشاطىء الغربي لجنوب شبه جزيرة البلقان، وأهمها جزر: كوفو، زانثي، سيفالونيا) التي كانت تتبع جمهورية البندقية ثم استولى عليها بونابرت أثناء حملته الناجحة علىٰ إيطاليا قبل قدومه إلى مصر. وعقب عقد التحالف الثلاثي العثماني ـ الروسي ـ الإنجليزي، تعاون الأسطول العثماني والأسطول الروسي في الاستيلاء على هذه الجزر. وكانت الامبراطورية العثمانية تخشى انتشار مبادىء الثورة الفرنسية في الممتلكات العثمانية في البلقان لقرب المسافة بينهما، وخاصة لأن أهالي هذه الممتلكات في حالة تذمر علىٰ الحكم العثماني حينذاك. وكان من أهم شروط الصلح ـ فيما بعد بين فرنسا والامبراطورية العثمانية ـ الذي تم في سنة (١٨٠٢م) ـ أن تكون هذه الجزر مع البندقية جمهورية مستقلة، وكانت فرنسا لا تجد غضاضة في ذلك حتى تحرم روسيا من موضع قدم لها في البحر المتوسط.

(٢) سورة الصف، الآية (١٣).

[كتاب وزير السلطان إلى الإمام]

سلامٌ يُعطر رياض الوداد، وثناء يفيض بسلسلة حياض السداد إلى حضرة من حُف بالأبطال الإلـٰهية والعترة المحمدية، وأنواع المنن، إمام صنعاء اليمن، وبعد:

فالذي ننهي إليكم، ونبديه لديكم، أن الطوائف الفرنساوية، دمرهم الله، بنواير، صواعقه القوية، نقضوا عهود الصلح والميثاق، وسعوا في الأرض الفساد والشقاق، وخانوا الملة الأحمدية البيضاء، وقاموا على الأمة المحمدية السمحاء حيث هجموا بغتةً على بلاد الإسلام، وما راعوا قوانين الدولة في الأخبار والإعلام وأبدعوا من الدسائس والحيل والخدع، ما لم يرتكبه أحد من أهل الغي والبغي والبدع، فاستولوا فجأة على الإسكندرية، ومصر القاهرة، وتحكموا على علمائها وفضلائها وساداتها الفاخرة، وسَبَوا صبيانها، وهتكوا أعراض نسوانها الطاهرة، ففرضت علينا فرض العين إقامة الغزو والجهاد، والمحاربة معهم في كل ناحية وناد، لا زالت جمعيتهم طعمة لسيوف الموحدين، وجملتهم متشتتة لسطوة صفوف المؤمنين، فانعقدت بيننا وبين الدولة الإنكليزية والروسية على محاربتهم روابط الاتفاق والاتحاد، وظهرت من هاتين الدولتين آثار الإقدام والإحجام لأولئك الفُسّاد، حيث ترافقت سفن الروسية مع سفائن سلطاننا الأعظم، وخاقاننا الأفخم لا زالت رياض[1] سلطنته منظرة بنسيم النصر والنجاح، وشمس شوكته مشرقةً في سماء الفوز والفلاح، وهجموا على قلعة قُورّفه[2] التي كانت أخذتها تلك الطائفة الباغية من أيدي اللونديك «بحراً» جبراً[3] وحاصر جيش من جيوشنا المنصورة المرسلة براً، فزعوها منهم، فاستؤصِل منهم الأكثرون، واسترق الباقون، فجاءت مفاتحها إلى يد سلطاننا سلطان الأنام، ودخلت بحمد الله في حوزة ممالك الإسلام، فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فتصبح من شرذمتهم السائرة[4] بعضهم جريحاً طريحاً وبعضهم قتيلاً ﴿مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقْتِيلًا﴾[5] وسفائن الإنكليز أيضاً مع سفائننا السائرة، صدّوا سبيل المستولين على مصر القاهرة، من أولئك الكفرة الفجرة، وقصدوا إلى محاربتهم بالغيرة الكاشرة، فأخذوا من سفائنهم المخذولة بعضاً، وأغرقوا بعضاً. ونهضت عليهم عساكرنا المنصورة من طريق البر،

---

(١) في ب: روض.

(٢) هكذا وردت، والأصح: جزيرة كورفو، وهي جزيرة يونانيّة في البحر الإيونيّ عند مدخل الأدرياتيك.

(٣) كلمة مضافة بخط المؤلف.

(٤) وردت في ب: الثائرة.

(٥) سورة الأحزاب، الآية (٦٢).

فتضيق عليهم بعون الله الأرض بما رحبت طولاً وعرض.

وهذا المحب الودود بعون الله المعبود ناهض بالذات عليهم، بترتيبات[1] مهمات السفر، وتداركات أسباب الظفر، بجنودٍ لا قبل لهم بها من الأتراك والأعاجم واللزكيّة والأكراد، وغيرهم ممن لهم في الحرب صولة واعتياد، ففي ما صدر من أولئك المخذولين الخاسرين، عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، من الخيانة والخباثة والفساد، والعلو والعتو والعناد، يفرض على كل مؤمن فرض العين، إن يعين الدين، ويهين الكافرين، ويعامل من كان بيننا وبينهم الاتفاق والاتحاد، معاملة الحب والوداد. فالمأمول من غيرتكم الدينية، وحميتكم العربية، أن تكونوا منتبهين ومتيقظين، وأن تراعوا مع طائفة الإنكليز والروس مراسيم[2] الوداد والوفاق، وتخابروا دائماً مع الوزير المكرم والي جدة ومحافظ المدينة المنورة الضياء يوسف باشا دام في حفظ الخلاّق، وتكونوا على رأيه وتدبيره، ومقتضى تفهيمه وتحريره، ودمتم سالمين، بجاه محمد الأمين.

حرر في أواسط شهر ذي القعدة الشريفة لسنة ثلاث عشرة ومائتين وألف[3]، المستمد من البر الأكرم الحاج يوسف ضياء الوزير الأعظم. انتهى.

قلت: ووصل هذا إلى الإمام في ربيع الأول من عام أربع عشر ومائتين وألف[4]، وفي ألفاظهم وتسجيعاتهم هذه ركة ظاهرة، وتناثر في نظم الكلام غير أنه مفهوم المراد.

[رأي المؤلف في نهاية أحداث الحملة الفرنسية على مصر]

وفيها: واعلم أيدك الله تعالى بتوفيقه أن كتابه[5] هذا قد أعرب عن نجدة، وجيشه قد كان في قوة وعدة، غير أنه لما قارب ديار مصرٍ، هال جنود الكفار أمره، فراسلوه بالمصانعة، وخدعوه بالأموال، وبذلوا له النفائس وسألوه الإقالة، ووعدوه الارتحال، وأخذوا عليه التحول عن البر والبحر، فانخدع وسار بالجيوش نحو الشام[6]، فلم يشعر

---

(١) **وردت في الأصل**: وترتيبات. والتصحيح من الدكتور سيد مصطفى.

(٢) **وردت**: مراسم.

(٣) أفاد الدكتور سيد مصطفى أنه يوافق: ٢١ أبريل سنة ١٧٩٩ ميلادية.

(٤) يوافق ـ كما أورده الدكتور سيد: أغسطس/ سبتمبر ١٧٩٩م.

(٥) الضمير هنا يعود على الصدر الأعظم، وهو يوسف ضياء باشا.

(٦) من رأي الدكتور سيد مصطفى أن مثل هذا النص تنقصه المعلومات عن أحداث الحملة في مصر والشام، فلم يكن هناك خداع أو بذل للنفائس بل الأمور تطورت تطوراً عادياً كما هو معروف. فقد تقدم الصدر الأعظم إلى العريش واستولى عليها، ثم عقدت اتفاقية العريش التي شارك في إبرامها السير سدني شميث، غير أن الحكومة الإنجليزية رفضت هذا الصلح من جانبها، وأصرت=

إلاّ بكتاب من السلطان، يأمره فيه بالشدة، ويأخذ عليه كمال النجدة، ويحذره الفتور، فعاد ثانية، وأرسل إليهم أن لا بقاء لهم بها، وأنهم مُخرجٌ لهم منها، فصالحوه على أنهم على الخروج، فاشترط حط السلاح والأموال، وإلا كان القتال، فكانوا على شرطه إلا من كان بالبحر، فإنه ذهب بشيءٍ مما له من الأموال[١]. ولما تخلّت مصر عن الكفرة، دخلها يوسف باشا وأخذ أموالاً لا تحصيها الأقلام، وأقام على أهلها صنجقاً عظيماً عليه طاهر باشا، وعاد إلى حضرة السلطان.

[محمد علي سعد يقود حملات على بلاد تعز]

وفيها: وجه الشيخ محمد بن علي سعد[٢] أخويه الشيخ أحمد والشيخ يحيى إلى الطوارف، فسار الشيخ أحمد إلى البلاد التعِزيّه، ومعه الشيخ يحيى بن علي سعد فوقعت قتلات وملاحم في بلاد ذبحان على يد الشيخ يحيى، وفي جبل حَبَشي على يد الشيخ أحمد، وتوجهت البلاد الشرعبية إلى الشيخ محمد بن علي سعد الصغير. فمرض الشيخ محمد الكبير والبلاد مضطربة، فأرسل ولده الشيخ قاسم بن محمد بن علي سعد الكبير مُعِيناً لعمه محمد الصغير فصلحت إلا ما كان واطياً منها، فسار الشيخ أحمد لها عن أمرٍ من أخيه عند عودة من الحجرية وجبل حبشي إلى مدينة تعز، وكان هدم قصور الشيخ الصامت صاحب جبل صبر، فأوقع في بلاد شرعب الواطية رعباً فحصل بعد ذلك الفتك والنهب لأهلها، وعظم قدر محمد بن علي سعد الصغير وولد أخيه الشيخ قاسم، وهرب منها من هرب إلى بلاد الضربيات إلى جبل يُسمى ميراب[٣]، فتبعهم الشيخ قاسم بن محمد إلى هنالك فوقعت قتلات، ثم رجع الشيخ أحمد وبقي الشيخ قاسم مدة إلى أن طلب بعد رجوع أعمامه الثلاثة من أعمالهم.

وفي: هذه السنة مرض الشيخ محمد بن علي سعد، فطلع جبل

= على أن يسلم «جيش الشرق» نفسه كأسرى حرب، فأدى هذا إلى اشتعال الحرب ثانية، وتمكن الفرنسيون من صد زحف الصدر الأعظم إلى داخل مصر والاستيلاء علىٰ القاهرة ـ (نصوص يمنية عن الحملة الفرنسية على مصر، ص ١٥٦).

(١) يشرح الدكتور سيد مصطفى بأن هذا القول إشارةً إلى تجدد القتال، وزحف الجيش العثماني من الشرق وزحف الحملة الإنجليزية من البحر الأحمر عن طريق القُصير ـ مما أدى في النهاية إلى إخراج الفرنسيين من مصر. (نصوص يمنية، ص ١٥٦).

(٢) **هو محمد بن علي سعد الجماعي**: سبق الحديث عنه. وكان كبير آل الجُماعي. سكنوا اليمن الأسفل، وبرز منهم إداريون وزعماء وكانوا نواباً للأئمة علىٰ اليمن الأسفل في فترات مختلفة. وهم وآل باشا العُدين من فرع واحد. وأصبحوا حكاماً على الحجرية ثم عيّن الأتراك آل نعمان بديلاً عنهم. (الأمير علي الوزير. ص ٥٧٣).

(٣) **مِيْرَاب**: بكسر فسكون ففتح. جبل في بلاد مَقْبَنه، غربي تعز ومن أعمالها.

الدفدف[١] طالباً للصحة فأعجبه، فاشترى داراً فيه من المشائخ أولاد الحاج سعد الدين واستحسن العمارة به ثم عمر في جبل أعلىٰ منه يُسمى الحقيبة[٢]، وحصّنه وملأهُ أموالاً ودفائن واستقر به، ثم عمر في جبل أعلا منه يقال له الحرف، وأشاد هنالك داراً حصينة واستقراره إذ ذاك في الحقيبة، وسار عنه أخوه أحمد إلى المشرافة، ـ محلتهم ـ واستقر بها.

[مرشد خليل وبلاد مُرَيس]

وفيها: تَقدَّم مرشد خليل من النادرة إلى الطوارف بلاد مُريس ـ بميم مضمومة فمهملة مفتوحة فياء تحتانية ساكنة فسين مهملة مصغراً ـ من أعمال قعطبة[٣]، فبقي بها ثلاثة أيام ثم نزل مدينة قعطبة، فالتف عليه أهلها ودخل إليه سلاطين يافع والشرق فتلقاهم وكساهم وأنالهم مقرراتهم، وكانت عَمارة ـ بفتح العين المهملة ـ والحَشا ـ بفتح الحاء المهملة بعدها معجمة من أعمال قعطبة[٤] ـ مفسدة فتقدم لحربهم وأخرب بيت العَتَّالي ـ بمهملة مفتوحة فتاء مثناة فوقية مشددة ـ، وأخذه ونهبهم فبقي هنالك أربعين يوماً، وكان أحمد محسن المحمودي صاحب عمارة متعجرفاً بفساده فسار إليه، وجاءه خبر بأن صالح القيسي صاحب الحجرية قد دخل عمارة حضرة المحمودي في جماعةٍ من القبائل فقدّم مرشد جَمْعه لمحاصرة المحمودي، وكان بحضرته رجل يعرف في الفلك والرمل ومعارف الشعبَذَه، فقال له المحمودي: ما ترى في حوزتنا هذه؟ فنظر نظرة في معرفته فتغير طبعه وأخبر أنه يرى في يومه هلاكه في عماره، فخرج فاراً فأصابته خارج الحصن رصاصة أزهقت روحه وأصيب المحمودي، وقُتِل عبد من عبيد يحيى بن صالح القيسي، ثم جنح المحمودي إلى الصلح والمسالمة وسار إلى الطُمْحان ـ بطاء مهملة مضمومة فميم ساكنة فحاء مهملة فألف فنون ـ فلاقاه مرشد بالعفو عن ذنبه، وتسلم منه حقوق عمارة وما إليها، وسار مرشد إلى جبل حُمَر[٥] فأحربهم شهراً كاملاً انتصف فيه منهم فأذعنوا له بالطاعة، فتسلم منهم الحقوق وعطف على الشرمان[٦] فبقي بها نحواً من

---

(١) **الدّفدف**: جبل وقرية في منطقة بني هات من مديرية العُدَين وأعمال محافظة إبّ. يقع بالجنوب الغربي من إب.

(٢) **الحقيبة**: المقصود هنا جبل أعلا الدفدف. وهناك مناطق أخرى تحمل ذات الاسم نفسها لكنها في أماكن غير. انظر كتابنا: معجم البلدان والقبائل اليمنية.

(٣) **مُرَيْس**: بضم ففتح فسكون. جبال بالشرق الشمالي من قَعْطبه.

(٤) **عَماره**: مركز إداري من مديرية الحُشا ـ بضم ففتح ـ من أعمال مديرية الضالع، وكانت سابقاً من توابع محافظة تعز، في الجهة الشمالية منها.

(٥) **حُمَر**: بضم ففتح. وطن في الأطراف الجنوبية لمدينة قعطبة.

(٦) **الشرمان**: بضم فسكون ففتح بلدة في ماوية، شرقي مدينة تعز.

شهرين تخلص فيها منهم الحقوق، ثم سار إلى نجد الجماعي[1] فبقي به قريباً من شهر يتخلص الحقوق ويقرر أمر الدولة ويستخرج الطاعة ممن في الأطراف، ثم عاد إلى النادرة ونفَّذ على البلاد واستقام له الأمر.

[خروج يام إلى حَيْس]

وفيها[2]: تغيرت أحوال التهايم ولم يرض الرعية لصالح بن عبد الله الأموي، وحصلت المواحشة بينه وبينهم، وخرجت قبيلة يام ووصلت إلى حَيْس وانتهبوها. وأقاموا ببلادها نحواً من ثلاثة أشهر وعادوا منها.

[تَدَيُّن العُجمان وآل مرة]

وفيها: ما زالت الجنود النجدية تَكِرُّ على العُجمان وآل مُرّة، المرة بعد المرة، وانتهبوا إبلهم ومتاعهم وأخافوا سبلهم، وسَبَوا كثيراً من النساء والصبيان، واستَفْدَت العُجمان وآل مُرّة كثيراً من أهاليهم بالمال، وتناجوا بالإذعان لعبد العزيز صاحب الدرعية، وما زالوا يكتبون إلى من يليهم من القبائل يحذرونهم صولتهم، فترد عليهم القبائل التي من خلفهم ويثبطونهم فدافعوا بالتي هي أحسن إلى آخر سنة خمس عشرة، ولم يبق منهم أحد إلا دَيّن مع أنه ما زال في هذه السنين جماعات منهم يتظهرون بالدين.

[سَيْل الروضة والخراب الذي حَصَل به]

وفي: هذا العام انفتح الخير وتكاثرت الأمطار، وما زالت حتى تخرب كثير من البيوت، وسالت سوائل نُقُم وسَعْوان من أعمال صنعاء، فنزلت ومرت من عدني الروضة فدخلت دار اليسر التي على باب الحديد من الروضة فارتكضت السيول هنالك، وكان الإمام فرغ من سور أعناب تلك الدار، فما زالت السيول بها تتراكم حتى أنقضت العمائر وفاض السيل بشدة فدهم البيوت غربي دار اليسر وخرج الناس هُرَّاباً، فكان أهل البيت يخرجون منه فيسقط ولا نعلم أحداً مات تحت الهدم، وذهبت بتلك الحادثة أموال جمة.

[هروب تاجر هندي من الحُديدة بعد إفلاسه]

وفيها: هرب محمود بن جاوي الهندي عن بندر الحديدة لمّا أفلس وذهبت عليه أموال التجارة، وكان الذي تفلّس به مائة وعشرين ألف ريال فرانصة، ولاذ بالشيخ عرار بن شار ـ بمهملات، وشار بمعجمة فألف فمهملة ـ صاحب درب بني شعبة، وهي

---

(١) نجد الجماعي: يقع جنوب شرق إب بمسافة ٢٣ كيلو متراً. وفيه مركز مديرية السَبْرة.
(٢) سنة (١٢١٤هـ).

قبيلة ترجع إلى بني تغلب. فاستجار به فأجاره وأسكنه حضرته وكان الهندي قد جعل له يداً عند عرار تمنعه من الطالب له، فرفع أهل البَندر الشكاية إلى الأمير سندروس متولي الحديدة، فأهمه ذلك ولم يشعر إلا بوصول كتاب من عرار يذكر فيه أن محموداً الهندي عندي وسنصل به إلى حضرتك ولكن بعد أن يأتينا منك خط أمان فأجابه الأمير سندروس أن أرسل إليّ رجلاً من أكابركم للمفاوضة ويبقَى الهندي بحضرتك.

هذا وقد والت الأشراف العريشيون على حميده «الكبير»[1] صاحب باجل[2] وكانت الدولة إذ ذاك ناظرة إلى الشريف حيدر محتفلة به، وظنها به كبير، فأخرت له عن أبي عرش الشريف يحيى بن محمد وفوّضت علي بن حيدر في بلاد أبي عريش وما يليه من بلاد الحافور إلى باب الحديدة، وسيّروا له فرساً جواداً وكسوة فاخرة، كل ذلك بمشورة من عبد الملك بن أحمد العلفي القرشي، فتغيظ من ذلك الأمير سند روس وعلمٍ أن نجم الشر قد طلع، ووصل إليه عند ذلك الشيخ عيسى بن شار أخو عرار (وكان رجلاً طوّال ضخم بادي الصورة)[3] فسأله الأمير سندروس عن عرار ومن بحضرته من الأعلام فأخبره أنه وصل إليه أحمد بن حسين الفلقي وأحمد الحفظي صاحب حلي بن يعقوب، وكان وصل الشيخ عيسى إلى الحديدة من البحر خوفاً من أشراف أبي عريش لأحن كانت بينهم، فأدار الكلام مع الأمير من قِبَل الهندي وطلب الأمير تجار البندر والأغراب فأصلح الشأن بقضاء بعض الدين وإسقاط الأكثر، وأرسل الأمير لمحمود الهندي فوصل ومعه أحمد بن حسين الفلقي والشيخ عيسى باقٍ بحضرة الأمير، وبلغ الشيخ علي حميدة بأن الشيخ عيسى بحضرة الأمير فكتب إليه كتاباً يستقدمه إلى باجل وأرسل له بفرس، فمنعه الأمير من المسير فبعث علي حميدة كتاباً آخر إلى الأمير يستعطفه ويتلطف، فرأى الأمير رغبة الشيخ عيسى إلى المسير، فأذن له وقال: لا تخرج حتى تعطيني عهد الله وميثاقه، فأعطاه فشرط فيه عهداً آخر، وهو أن عهد الأمير سابق كل عهد فتعهد له وقال: اشترط ما شئت فلن تراني غادراً ولا ماكراً، وسار عيسى بن شار إلى باجل، فاحتفل لوصوله علي حميدة، فسأله عهداً وحلفا على الغارة وغيرها، فأجابه وقال استثني ما كان من الأمير سندروس فإن عهده في عنقي سابق كل عهد فقال: نعم، فكساه علي حميدة كسوة فاخرة، مما كانت الدولة تكسوه وفيها سبيكي ذهب وملّكه الفرس المرسلة وسار في اليوم الخامس إلى الحديدة، وقص على الأمير ما طلب منه علي حميدة وإنه مغير معه في كل نائبة إلا على الأمير، فصدّقه ومكث بحضرة الأمير خمسة عشر يوماً مكرماً

(١) الكبير: مضافة في هامش الأصل. وهذا يعني أن ثمة ابن له باسم علي.

(٢) علي حَمِيْده: هو شيخ باجل، ومرجعه في النّسب إلى قبيلة القحرَى.

(٣) زيادة من النسخة «أ» وقد كتبها المؤلف في هامش الأصل.

معزّزاً ثم كساه كسوة هي أعظم من كسوة علي حميدة، وكسى أحمد بن حسين الفلقي وأهدى للشيخ عرار هديةً كبيرة من المصانف المزَّة، ثم طلب الأمير من الشيخ عيسى ومن أخيه عهداً على الأشرَاف لما رأى من توبتهم واستفحال علي بن حيدر بالأمر[(١)] الذي صار إليه من الإمام فأعطاه العهد عنه وعن أخيه، وكان علي بن حيدر تلك الأيام في البرّ في ثلاثة آلاف من قبائل يام وقد خرج بهم إلى حصون الأمروخ - بهمزة مفتوحة فميم ساكنة فراء مهملة فواو ساكنة فخاء معجمة، وهي بلاد ذات حصون محاددة لبني قيس[(٢)] - قد تغلّبوا على تلك الديار، ورتبوا حصونها، ومنعوا من الطاعة فتسلم الحصون بعد قتلاتٍ ونفّذ أوامره إلى الضّحي وقبض من الأمروخ نحو خمسة وعشرين ألف قرش، وكان لا يعرف استخلاص الألف فرضاً عن الألفين، فخشي الأمير سندروس أن يتسلسل الأمر وكان بالأشرَاف خبيراً ورأى بندر الحديدة ذاهباً، وجاءته من علي بن حيدر كتب محرقة، فكتب الأمير إلى الإمام أني قد عجزت بسبب الأمر النافذ منكم لعلي بن حيدر وسألَ الرفع عن البندر، وقال: لا يصلح لي الآن أمر فاجعلوا ولايته لعبد الملك المشير أو لعلي بن حيدرٍ ولكل نبإٍ مستقر، فعلم المنصور أن في ذلك فساد الجمهور، فأجابه أن الولاية من الآن إليك، والعمل في أمر التهائم كلها عليك فطلب مرسوماً بعزل علي بن حيدر وأن لا يتصدر بأجابه إلى ذلك، وأرسله إلى الأمير، فبعث به إلى الشريف فأبى من قبوله، وخرج في قبائله وخيوله، وبلغ إلى الجبّانة خارج الحديدة[(٣)]. قال عبد الله بن علي الحيمي فحار الأمير وطلب المشير، ثم بادر، فرتب قلاع البندر لا سوى، وبعث بكتاب إلى الشيخ عرار بن شار وأخيه عيسى يشرح لهما الحال، فلم يشعر علي بن حيدر إلا بالصارخ أن جماعة أهل الدَّرب عليهم عرّار قد نزلوا على أبي عريش، وأنهم أتوا على إبلهم جميعها فاستاقوها وهي ترعَى وكانت ستة آلاف ناقة، ولم يبق لأهل أبي عريش ناقة واحدة، فقام حمود ينعَى علىٰ علي بن حيدر أمره، ووصل إلى حمود كتاب من عرار يذكر فيه أنكم أيها الأشراف الأشرار لئام، بلغ من لؤمكم أن تعديتم بلاد الإمام. واختلفت الكلمة بين الأشراف وعلموا أن عراراً قد نصب حبائل العداوة والخلاف، وقد وقعوا من الجديدين بين على عدوين، وكتب علي بن حيدر إلى الأمير سندروس كتاباً يطلب منه نفقته التي بذلها في خراب الأمروخ وسيرتفع، فبذل له ثلاثة آلاف فرانصة، وكان من قبل قد أخذ من بلاد الجامعي وعَبْس شيئاً واسعاً ثم ارتفع. وحصل الفساد من أهل البلاد بعد مسير علي بن حيدر ولقيه إلى طريقه علي

---

(١) عن الشريف علي بن حيدر الحسني التهامي، انظر كتاب: نيل الوطر (٢/ ١٣٤).

(٢) المقصود هنا: بني قيس الطَوْر من بلاد حجّة.

(٣) **الجبّانة**: من قرى الجمادي بمديرية باجل وأعمال محافظة الحديدة. تقع في الشرق الشمالي من مدينة الحُديدة.

حميده الكبير، وكان معه عهد للأشرَاف على الأمير سندروس، فقال له: الآن وقت العهد، فقال: طب نفساً، ثم سيّر علي حميده قبيلته الخضارية ـ بفتح المعجمة فضاد معجمة فألف مهملة فياء تحتانية فتاء تأنيث ـ وهي قبيلة حدها الضحى[1]، فسيّرهم إلى العُرج ـ بضم المهملة وسكون الراء المهملة فجيم[2]، وهو موضع نخل الحديدة ـ فساروا إليه، وكمنوا به يترقبون فرصة فوصل ساعية[3]، الحاج عبد الرب الشميري الحجري صاحب الحديدة، بحذا العرج، وقد نَفِذ الماء على أهل الساعية، فنزل الأكثر منهم وهم آمنون إلى العُرْج، فظفر بهم قوم علي حميده، ودخلوا معهم إلى الساعية، وكان بها من الذهب والفضة شيء كثير، فأخذوا الأموال النقدية لا سوَى وأخرجوا بيد القهر كل من في الساعية إلى البر وأقام ذلك الشأن الأمير سندروس واقعَد. وقد جرّ بنا الكلام هاهنا إلى الإطالة لارتباط بعضه ببعض وبقية الخبر يأتي عام خمسة عشر، والله ولي التوفيق.

[حسن بن أحمد الهبل]

وفيها:[4] يوم الخميس ثالث شهر محرم، حسن بن أحمد بن زيد الهَبَل القاضي بالروضة وخطيب جامعها.

[أحمد بن الحسن الزهيري]

وفيها: يوم الأربعاء ثامن شهر الله المحرم، أحمد بن حسن بن سعيد الزهيري الثلائي[5] الشاعر المفوه المصقع البليغ. أجمع أهل عصره أنه أشعر من بمصره، مجيداً في المديح والغزل والحماسة، قال بعض من ترجمه: هو المتأخر عصراً المتقدم على أبي الطيب وأبي العلاء نظماً ونثراً.

قال المؤلف غفر الله له: تخرج بعبد الله بن لطف الباري فبرع في التفسير، وحفظ أقوال أهل الأثر، وتألّه واشتغل بأهل التصوف، وشهد الحق في كل الخلق، وتصدّر للوعظ بجامع صنعاء بعد موت واعظها أحمد بن حسن بركات، فانثال عليه العوام،

---

(١) مرجع القبيلة في النسب إلى القُحَرى إحدى بطون عك.

(٢) عِدَاد العُرج من مديرية باجل؛ في شمال شرق مدينة الحُديدة.

(٣) وردت في الأصل بالعين «الساعيه» بينما جاءت في التعداد السكاني بالقاف: الساقية وهي محلة جوار العُرْج.

(٤) سنة (١٢١٤هـ).

(٥) نيل الوطر (١/ ٧٥) وفيه أن البعض أورد اسمه أحمد بن الحسن بن عبد الرحمن. كما ترجم له: البدر الطالع (١/ ٤٨)، هجر العلم (١/ ٢٨١)، أعلام المؤلفين الزيدية (٩١)، معجم المؤلفين (١/ ١٩٢)، مصادر الفكر (٢٣٥).

وحضر درسه الوارد إلى الجامع والصادر، وكان أبيض ربعةً دميماً في الخِلقة لا يُبدِ بصره في مسيره، أكثر حاله التفكر، بطيء الحركة، حلو العبارة جيّد الفكرة. امتدح الرئيس أحمد بن محمد بن حسين[1] بأول ما قاله من النظم الرائق الفائق ولم يفه قبل مديح المذكور من النظم بشيء فقال:

وعدتْ بوصل عميدها بشرُ ... صدقت وما كذب المني صَبْرُ
فَرَقَبْتُها والليل منسدِلٌ ... والصبح دون قدومه سِترُ
والزهر ثاملة العُيون كأن ... الفجر في إحداقها خَمرُ
ونخت[2] بما وعدت فمال بها ... وَهْمٌ يُشاكلهُ لها خَصرُ
ثم استنابت طَيْفها فأتى ... وطريقه مُنسدَّةٌ وَعْرُ
حيّا طولك عَارضٌ غَدِقٌ ... وحبَا رسوم ديارك القطر
لله أيُّ عُرَيْبٍ بادية ... بوجودهم يُسْتَحْسن الدّهرُ
رحلوا وما رحلت مكارمُهم ... ونأوا وما ينأ لهم ذكرُ
وضَعَاينٌ رقصت هوادجها ... لو أسفرت لتذاهل السَفْرُ
لم يكفها أن تَحْمِها كِلَلٌ ... حتى حماها الطلح والسّدْرُ
راحت بأرواح وأفئدةٍ ... فجسومنا كديارها قَفْرُ
وعلى الركاب فؤاد كل شَجٍ ... مَلِكَتْهُ ثمة لعوبةٌ بِكْرُ
هيفاء طَعْنُ قوامِ قَامتِها ... سَمْحٌ وطعن لحاظها شَزْرُ
وجمالُها بَهجٌ ومنظرها ... أَخْوَى وغُنج لحاظها سِحْرُ
وبثغرها فَلَجٌ يُزَيِّنُهُ ... حلو المذاق وأنه مُسِرٌّ
يا بُعْدَها مع أن منزلها ... حجر الأراك وداري الحجر
ولقد أقول لها إذا برقت ... وبمهجتي من أجلها زَفرُ
ردي الوصال وُقيت من المي ... وكُفِيت مما يفعل الهجْرُ
ولدون رؤيتها أُغَيْلمةٌ ... خُلِقت لها الهندية البُترُ
يَحمون بيض ظباهمُ بظُبَا ... بيضٍ لهن القتل والأَسْرُ
فالبيض والسمر اللوات نرى ... من دونهن البيض والسمرُ
ومليحةٌ وجَب الفؤاد لها ... موتى لفرض وجوبه بِرُّ
ناديتها وبلادتي دَهِشاً ... ترنو وكف نباهتي صفرُ
أمحِلة لدمي بلا سببٍ ... أَوْمَا علمت بمن له الأمرُ

---

(١) هو العلامة أحمد بن محمد بن الحسين بن عبد القادر: أمير كوكبان.
(٢) وردت في «أ»: وأنت.

المنتقـــى مــــن ذروة الشـــرف الـ ـعــالــي الــرفيــع السيّــد البَــرُ
ملــك لــه فــي المجــد مــرتبــة ينحـــطُ دون علـــوهـــا البَـــدرُ
ومكـــارم جلّـــتْ بـــلا كـــذبٍ عـــن أن أقـــول وعـــاؤُهـــا الـــدهـــرُ
لـــم يلـــق يـــومـــاً مُســـائلـــةً إلا وفـــي صفحـــاتـــه البُشْـــرُ

حتى قال:

فهـــو الـــذي قَسَمَـــت أنـــاملُـــهُ أرزاقنـــا ولـــه بِنَـــا الأمـــرُ
جـــزل النـــوال وعنـــد نـــائلـــهِ يَفْنَـــى المـــديـــح وينقضـــي الشِعـــر
ولقـــد أقـــول لأجـــل داجيـــةٍ وخَـــدَت بهـــم شمليلـــةٌ ضمـــرُ
يتســـاءلـــون رُدُوا إلـــى حَـــرَم مـــن بيتـــه المعـــروف واليســـرُ
واستمطـــروا دفعـــات جـــود فتًـــى فـــي كفـــه قـــد يَغْـــرق البحـــرُ
يتحـــدَّر المعـــروف مـــن يـــده جـــوداً كمـــا يتحـــدر القَطـــرُ

وهي ـ كما عرفناك ـ أول ما قاله، ولقد أجاد ونزل على الأستاذ عبد القادر بن أحمد فوجده وهو في القراءة يراجع تلميذه بيت العباس بن الأحنف:

سـأطلـب بُعـد الـدار عنكـم لتقـربُـوا وتسكـب عينـاي الـدمـوع لتجمـدا

فقال الأستاذ: أجمع أهل المعاني أن في هذا البيت خللاً، لأن الانتقال من جمود العين إلى بُخلها بالدموع لا إلى ما قصده الشاعر من السرور، فقال المترجم له: ليس لهم بهذا الاعتراض نظر صحيح. فقال الأستاذ: ابنْ لي صحة اعتراضك؟ فقال: لا أقدر ولكني أرى البيت هذا قصراً مشيداً. ثم قام عن مجلسه ونزل عن كوكبان إلى الوادي وبعث إلى ذلك النادي بهذه الأبيات:

حـــرارةُ وَجْـــدٍ بـــالـــدمـــوع يُسيغُهـــا اَلَـــذُّ مـــن السَلْـــوَى مَـــذَاقـــاً وأبْـــرَدَا
تـــذكـــرنـــي رفعـــي عتـــابـــاً تَحَمْلَـــتْ ركـــائِبُـــهُ منـــي إليـــك ابـــن أحمـــدا
سـلامـي ومـا التسليـم منـي بنـافـع إذا لـم أقبِّـل بـاطـن الـرجـل واليَـدَا
لعلَّكُمُـو أن تبـدلـوا القصـر بـالغِنـيً وأن تطلقـوا مـن ربقـةِ الأسـر مُفتـدى
إذا كـان دمعـي يـوجـب العطـف رحمـةً علـيّ وبُعـدي يـوجـب القـرب سـرمـدا
سـأطلُـب بُعـد الـدار عنكـم لتقـربـوا وتسكـب عينـاي الـدمـوع لتجمـدا

فتخلص بهذا الترشيح عن الاعتراض بدعوى أن الدمع يوجب الرحمة بالعطب الذي تحصل به المسرَّة، فأعجب بذلك الأستاذ وأجاب عليه مقرراً له، فقال رحمه المتعال:

تـذكـر مـن أهـوى علـى البعـد والنـوَى وصـالٌ علـى رغـم العـواذل والعُـدَا

وصالٌ بلا هجر الحبيب ولا أذَى الرقيب ولا برد الشنيب مُبَعَدا

أأسكب دمعي والذي صدني معي أكاد بسمعي منه أستمع النِّدا

علي أن مثلي لا يُراعُ ولو تَبِنْ يدي من ذراعي لم أقل قط فرائدا

واعلمُ أن الدهر يأتي بغير ما يُرامُ ومن رام الرَّدَى لم يرد الرّدي

فاطلب بُعْد الدار عنكم لتقربوا وتسكب عيناي الدموع لتجمدا

ودار الكلام في حسن هذا النظام، وتجاذبنا فيه مع جماعةٍ من الأعلام ما قد عُيب على أهل الحل والإبرام، فقال محمد بن محمد بن أحمد بن علي بن الحسين بن المتوكل المعروف بالبنوس، من ذلك ما حكاه في أمالي القالي للفرزدق:

يُفلقن هاماً لم تنله سؤفُنا بأسيافنا هام الملوك القماقِم

ونسب إلى ثعلب أن (ها) تنبيه و(من) استفهاميه وتقديره يُفلقن بأسيافنا هام الملوك القماقِم، ثم نبّه مستفهماً فقال: ها من الذي لم تنله سيوفنا وقد فلقنا هام الملوك؟ ولا يصح أن هاماً يكون جمع هامَه، وهام الملوك بدل منه لأنه قال: لم تنله، ولو أراد الهام لقال: لم تنلها. لأن الهام مؤنثه لا يصح تذكرها فلا يُقال الهام فلقته كما روى عنهم النخل قَطعتُه إلاّ علىٰ القياس إذ ذلك مبني على السمّاع. ولما أنشده بعض أهل الأدب البيتين المعروفين:

امطري لولوا جبال سرنديب

إلى آخرهما. . . .

خمّسها فقال:

حِلْيَةُ النفس أن تحلّى بزهدِ
تأمنُ الدهر أن تصاب بجهدِ
قُسِم الرزق فالغنىٰ ليس يُجدى

امطري لُولؤاً جبال سَرَنديـ ـبِ وفيضي جبال تكرورَ تبرا

وامتْلَى يا فلاة مسكاً فتيتا
عاطر النَّد وأنبتي ياقوتا
لم يكن خاطري بذا مبهوتا

أنا إنا عشت لست أعدم قوتا وإذا مِتَ لَستُ أعدمُ قَبْرا[1]

---

(١) وردت في «أ»: تبرا.

وله عِظَة وعبرة يندب لها كل ذي فكرة:

أَيغْتَـر بـالـدنيـا لَبيـبٌ وهـذه الـ … قبـور يَـراهَـا بَيْـن عينيـه جُثَّمـا

نَـرى كـل يـوم ميتـاً يحملـونـه … اليهـن لا يـدري علـىٰ مـا تقـدّمَـا

وأنـت وإن طـال المـدى لستُ بـاقيـاً … ولكـن إلـى يـومٍ ستلقـاه مُعْلَمَـا

تـروحُ كمـا راحـوا وتلقـى كمـا لقـوا … وتصبـح مـن دنيـاك والأهـل معـدمَـا

وله رحمه الله قصيدةٌ تائيةً عارض بها الشيخ عمر بن الفارض ففاقه فيها، سمّاها (طريقة أهل الحق) كما في مطلعها:

طـريقـة أهـل الحـق علـمُ الشـريعـة … وحُفَّـاظُهـا أعـلام أهـل الطـريقـة

طـريقـة هـادينـا إلـى الله مـن لـه … العنـايـة فـي اللفظيـة المعنـويـة

وإن قـام بـالقطبيّـة الغـوث إنمـا … اهتـدى بمنـار السنّـة الأحمـديـة

لحـافظهـا فضـلٌ علـى النـاس كلهـم … وفـي حفظهـا نيـل لكـل فضيلـة

وَحثُّ الخُطا يمحو عن المذنب الخَطَا … إليهـا وحَسْبُ الخَطُـو محـو الخطيئة

لمسمعهـا التـالـي أصـخ كـل مسمـع … وفـي سـوحهـا العـالـي أنـخ كـل جـرّة

ولا تـذهبـن العمـر فـي غيـرهـا سُـدى … تكـن مثـل مـن يمشـي بـرجـل قصيـرة

أمبصـرة عينـاً تقـاد بمثلهـا … علـى منهـج التقليـد قـود البهيمـة

وهبـك تـرى التقليـد لكـن لجـاهـل … يجـوز علـى مـا فيـه مـن مشكليّـة

ومجتهـد قـد قـام بـالـرأي بعـد أنَّ … وعنـد انتفـاء الشـرط نفـي الشـريطـةِ

فمـا العلـم إلا مـا أتـانـا محمّـد … بـه فهـدانـا مـن كتـاب وسنـة

ودع قال شيخي واطرح ذكر مذهبي … ففـي السنـة البيضـاء كـل حقيقـةِ

وفيهـا غِنَـاءٌ عـن مقـالـة قـائـل … ومنهـا شقـاءٌ للنفـوس العليلـة

عجبـت لـذي عقـل ويستغـرب الهـدىً … ويهـدي إلـى نهـج الطـريـق الغـريبـة

ويعشو عن الرشد الذي يُذهب العمَى … وفـي وجهـه تخطيـط عيـن صحيحـةِ

ويعمـل بـالـرأي الكثيـر خطـاؤه … وبيـن يـديـه واضحـات الأدلـة

ويعـدل عـن قـول النبـي محمَّـد … إلـى قـول نـافٍ بـالشكـوك ومُثبِـتِ

إذا قلـت قـد قـال النبـي محمّـد … يقـل لـم يقـل هـذا كـرام الائمتـي

وأعمـى العمـى عيـنٌ تـرى كلمـا يُـرى … ومـا تهتـدي يـومـاً بعيـن البصيـرةِ

تعصّبـت يـا هـذا وقبلـك مـا جفـت … قُـريـشٌ أخـاهـا غيـر بـالعصبيـة

وقلـت تمسكنـا بـآل محمَّـدٍ … فنحـن إذاً والله أكـرم شيعـه

وتغضـب إن أبصـرت فـاعـل سُنـةٍ … كـأنّ الـذي أبصـرت فـاعـل ريبـة

وقلـت حـديـث الطّهـر لـم يحتفـل بـه … مـن النـاس إلاّ نـاصبـي العقيـدة

كـذبـت وأيـم الله[1] يُبغـض آلـهُ
أخـو سنّـةٍ مستـرشـدٍ بـرشيـدةِ

وكـافـة أهـل البيـت جُـلّ اشتغـالهـم
بهـا وأدرِ فـي كتبهـم عيـن دريـةِ

فلـم ذا بفيـك التـرب تهجـر سُنّـةً
منـزلـة بـالغـوث مـن عيـن رحمـة

أتحسـب حـب الآل فـي تـرك سُنّـة الـرسـول لقـد أبـدعـت أنكـر بـدعـة

وأوجسـت[2] إلـى المصطفـى بشنيعـةٍ
مـن القـول تعلـو فـوق كـل شنيعـة

وفـرقـت مـا بيـن الـروابـي والـرُبـا
وسَـدَّيـت مـا بيـن الحجـى والمحجـة

وأنكـرت إخـوان المـروَّة والصّفـا
وبـاعـدت مـا بيـن الصفـا والمـروّةِ

هـم الثقـلان الآل والسنـةُ التـي
هـدتنـا فلِـم شيّعـت[3] فيهـم بفـرقـة

جهلت ودون الجهلِ لو تعلم[4] العمَى
ولـم تـدر مَـنْ هـم أهـل بيـت النبـوّةِ

تعـال أريـك الآل كيمـا تحبهـم
وتُهـدي إلـى نهـج الطـريـق السـويّـةِ

هـم الأنجـم الزُهـر الـذيـن وجـودهـم
أمـان لأهـل الأرض مـن كـل فتنـة

بنـو المصطفـى مـن بـارك الله فيهـم
وشـانِيْهـمُ مبتـور حـظ النبـوّة

مفـاخـرهـم قـد عمّـت الأرض مثلمـا
بكثـرتهـم عمُّـوا جميـع البسيطـة

وصـاروا لكـل النّـاس فـي كـل وجهـةٍ
معـالـم أمثـال النجـوم المضيئـة

ومـا سكنـوا فـي كـل أرضٍ بحكمهـم
ولكـن لتلـك الحكمـة المستبينـة

فلـم تلـق أرضـاً وهـي منهـم خليّـةً
خـلا مـا خـلا عنهـا ضيـاء النبـوةِ

فهـل أجمعـت قـل لـي سلالـة أحمـدٍ
علـى مـذهـب فـالحـق لـلأجمعيـة

ولكـن علـى غيـر الهـدى مـن أتـى لِمـا
يخـالفهـم مستـوجبـاً للعقـوبـةِ

أم افتـرقـوا فـي كـل أرضٍ مـذاهبـاً
علـى حكمهـا والحكـم لـلأغلبيَّـة

فمـن شـافعـي هـم ومـن مـالكيّـةٍ
ومـن حنبلـي هـم ومـن حنفيّـةِ

وزيـديَّـةٍ منهـم ومـا أن تمسّكـوا
بـزيـدٍ وقـالـوا الهـدى للهـدويَّـةِ

ومنهـم أمـامـيّ ومنهـم أشـاعـرٌ
ومعتـزلٌ أيضـاً لمعتـزَليَّـةِ

أولئـك أبنـاء الـرسـول جميعهـم
وصفـوة أهـل البيـت مـن غيـر مـريـة

وإن قلـت ليـس الآل الـذيـن هـم
تُحـب وتهـوَى النفس فهـت بكـذبـة

وبـاعـدك البـرهـان فيمـا أوعيتـه
وكنـت نفيـت الآل أي نفيَّـةِ

بنفسـي وأولادي ومـالـي وأسـرتـي
وصحبـي أفـدي فـرقـة الفَـاطميّـةِ

---

(١) وردت في «أ» وحق الله.

(٢) وردت في «أ»: وأوحشت. والتصحيح من نيل الوطر (١/ ٧٩).

(٣) عند زبارة: فلِم تَنعت. والشاعر ينوّه بالحديث الشريف: «إني تاركٌ فيكم الثقلين» كتاب الله عز وجل، وعترتي أهل بيتي.

(٤) أ: لو تعرف.

فحبُّهم دينٌ لديّ وبغضهم نفاقٌ وهم كنزي ومالي وذخرتي
محبتي القربا وسترُ محمدٍ[1] إلى الله قربي يوم تبلى سريرتي
وحمزة والعباس منهم ولا عمى وكل تقي واصل بالعمومة
ومنهم بنوهم لا نخيس شعيرة عن القسط مسؤولٌ بوزن شعيرة
أما قام للعباس يدعو ولابنه فأمَّنت الأخشاب بالعربية
ومن كان منهم عاملاً غير صالح فقل ساقط من سلك تلك السفينة
ونسل بنات الطهر منهم وحجة القياس قويٌ في سواء المحجَّة
وما قطع الجبل الطويل وثُنْيَهُ الـ ـمواصَلُ إلا مُمْسِكٌ بالقطيعة
وأزواجه منهم وفيهن أُنزلت ليذهب عنكم[2] فاصغ لي أو تنصّتِ
أما قال منا الطُّهر سلمانُ فارسٌ وأقرب من مولى الفَتى زوجهُ التي
فإن كنت دون العلم للجهل راغباً[3] فدونك أولىٰ فاستهَبْ لتوبةِ

حتى قال:

فما خلّف الهادي لنا غير هديه ويا حَبّذَ يّاك الهُدَى من هديةِ
أتت فتلقّاها رجالٌ أعزةٌ على قَدَرٍ جاؤوا وفُرط مشيَّةِ
تراءت لهم نار الكليم بذي طَوَى فكان بها تخليصُ خُبثِ الطويةِ
أنارت فولّوا واستنارت فاقْبَلُوا فولّت فجدّوا فاستجادتْ فَولّتِ
وماتوا وما تحيا به النفس مَوَّتُوا فأحْيَا همُوا مُحْيي العظام الرميمةِ
فَدقَّت معانيهم ورقّت لأنها هدتهم إلى فهم المعاني الدقيقةِ

حتى قال:

فإن شئت أن يَنْجَاب عن قلبك الصّدى وتشربُ من نضَّاخ عين الحقيقةِ
فهُنَّ جنَى ذِكَري كتابٍ وسنةٍ وأُمّ حِمَى أهلي دواءٍ وحِمْيَةِ
ولا تَنْسَ منهم إن تَشَا البِرَّ فِرقةً تحلّوا وخَلّوا للعناكل فرقةِ
وساروا على شرع المحبّة رغبَةً إلى الفيضِ فيض الأنفسِ المطمئنةِ
وخلّوا وراء العيس للبِيْدِ أمةً تَنافَس في زُوْر القطيع المفُوتِ
سقاهم أبو ذرٍ من الكأس نَهْلَةً فما تركوا في الكأس مثقال ذرةِ
وانساهُم الناسوت باهوتُ سِرِّهم واغناهم اللاّهوت عن كل شرعةِ

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودة في القُربى﴾ [الشورى: ٢٣].

(٢) يشير إلى قوله عز وجل: ﴿إنما يريد الله لِيُذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

(٣) في أ: راعياً.

قليلــون إلاّ أنهــم كُــلُ كــائــنٍ ... فهــم كَثْــرةٌ والنــاس كثْــرةُ قَلّــة
وهــم واحِــدٌ والنــاس جُملــةُ واحــدٍ ... وهــم جملــةٌ والنــاسُ جُمْلَــة واحــدِ
وهُــمْ ظِنَّــةٌ والنــاس مِــنْ بَعْــدِهــم لَقــاً ... وهــمُ جِــدّةٌ والنــاس أَخْــلاقُ جِــدَّةِ
فَظُــنَّ بهــم خَيْــراً وان كنــتَ حــاذقــاً ... فَظُــنَّ بهــم يــا خيــر ظُــنٍّ كــريمــةِ
وإن رمــت مــرمــاهُــم وَجَــدُّك صــادِقٌ ... إلــى المــلأ الاعلــىٰ بــايمــن قبضــةِ
دَع الغَبــرَ فــي حُكــم المــوتِ مُســارِعــاً ... إلــى الحــيّ قَيــوُمِ الحيــاة الممــدَّةِ
فمَــا كــان قبــل الكــونِ والبُعْــد كــايــنٌ ... وإذ كــان غيــر الــوحــدة الإحــديــةِ

قلت وهذه الطريقة هي طريقة أهل الحق، طريقة الأنبياء والصالحين والصحابة والتابعين، ولمّح في هذا البيت إلى الوحدة فإن كان ما قَصدهُ أهلُ التصوفِ هو هذا فذلك حق، وفي الصحيح: كان الله ولا شيءَ معه، وهو معنى قول المترجَم له وإذ كان غير الوحدةِ الأحدية، وإن كان ما قصدوه هو ما ذكره ابن عربي وأهل نحلتهِ من أن معنى الوحدة أن ليس في الوجود إلا الله، وصرّح في آخر الفصوص بما أفاد هذا وضرب له مثلاً بالمرآة التي انطبعت منها الصورة فذلك من تلعب الشيطان به وتسويله له، فنعوذ بالله من الضلالة ونسأله الهداية. والقصيدة طويلة وقد أتينا على أجلّها، ومن حماسياته من قصيدةٍ يمتدح بها أحمد بن محمد بن حسين[1]:

ومــا العــزُّ إلا فــوق كــلِّ مُطَهَّــمٍ ... مــن الجُــرْدِ مــا بيــن الْخَميسَيْــن أدْهَــم
مــن الصخــر إلاّ أنــه فــوق أربــعٍ ... مــن الهُــوجِ قــد شُــدَّت بخلــقٍ مُطَهَّــم
إذا قِلْــتُ مــن حَــرِّ الهجيــرِ بِظِلّــه ... فقــل: أنــا ضــاحِ تحــتَ ظِــلِّ المقلَّــمِ
رَميْــتُ بــه صــدر العجــاجــة فــانثنــى ... وقــد خُضِبَــتْ أرسَــاغُــهُ البيــضُ بــالــدم
وبيــضٌ كــأغصــان الفــراديــس قــودت ... علــى مَــازِقٍ مــن حَــرّ نــارِ جهنــمِ
وكــل سِنــانٍ عَيْــن حسنــاء كــاعــب ... يسجَّــى ومهمــا يَمْــلأ العيــن يَسْجِــم
وخيــرُ النفــوسِ الســائــلاتُ علــى القَنــا ... وخيــرُ المنــايــا تحــتَ أزرق سَلْجَــم
وشِعــرُ الفتــىٰ عنــوانُ مــا فــي فــؤادِه ... ومعــرفــة القلــب الطليعــةُ فــي الفَــمِ
لهــذا بَــرَى نفســي التــي هــي وصَــاغَهَــا ... مــن الحمــدِ فــي مــدح الجنــاب المُعظَــمِ

وله من قصيدة يمتدح بها عيسى بن محمد بن حسين وفيه حسن تعليل:

بــابــي التــي عــرضَــت لهــا سَــدَنيــه ... وتخيّــرت منهــا القَنِيْــف الأَعْلمــا
وأتتــك مُهْــدِيــةً إليــك جمــالهــا ... الأَسْنَــى وروحــك والفــؤاد المغــرمَــا

---

(١) هو عيسى بن محمد بن حسين بن عبد القادر: الملقب بالروح؛ وقد تولّى إمارة كوكبان سنة (١٢٠٢هـ) بعد وفاة أخيه إبراهيم. وستأتي ترجمته في عام وفاته ـ سنة (١٢٠٧هـ).

قالت وقد رأت البياض بعارضي عن مثل هذا تَعْرُض البيض الدُما
فَدَهِشْتُ من جزعي وقلت فَلَيتَه اسـ ـتحيَا فأغْمضَ لونها أو أكتما
والشمس تنكر ما الظلام بضوِّها وبياضُ وجهك راع مني الاسحما
فتمايَلَت طرباً وهزت سِرْبَها عَجَباً ونار عن الحديث تبسُّمَا
وثنت تحدثني وقالت إنما أَدَبٌ لذلك لا أُطِيعُ اللُّوَمَا

والقصيدة جيدة، وشعره كله مطبوع ليس فيه انتقاد. وقد مدح به الأكابر كالإمام المهدي العباس والأمير إبراهيم بن محمد بن حسين، وعبد الرحمٰن بن أحمد، وعبد القادر بن محمد، والعباس بن إبراهيم، ويحيى بن إبراهيم وشرف الدين بن أحمد، وعيسى بن محمد وغير هؤلاء من اعلام كوكبان. وكاتب به الأدباء، وما منهم من أحدٍ إلا وقد شهد بسبقه. وقد جمع أجزَل شعره العماد يحيى بن إبراهيم بن محمد[1] وتناقله الناس وأنشد في المواقف. وكان لهُ بوادي ظَهْر من أعمال صنعاء تشبيب وولع، وكثيراً ما يذكر به في شعره منزله المعروف بدار حَجْلَه[2] وله لمّا وصل إلى ساحة «طَيُبَه»[3] على جبال الوادي فرآها وقد تَثْلم أركانُها وتدعثَر بُنيانُها، فتذكّر مَنْ سَكَنها من الملوك، وسيَّر فكرُه في ذهاب مالكها والمملوك، وقال رضوان المتعال:

أخاطبُ أطلالاً أَلِفْتُ خِطابها على عهدِ أيامٍ طَويتُ كتابها
أَتَيْتُ إليها زائراً بعد بُرْهَةٍ فلم ألق إلاّ صقْرَها ويَبابَها
وسألتُها عن أهلِها أين يمّموا؟ فكُنَّ الرسومَ الدارساتِ جوابها
عفاها رسيمُ المُزنِ حتى كأنها كنائحةِ الحيَّين تَشْبح رَبَابها
كأن بقايا رَسمِها قامَ واعظاً يُحَذِّرنا ظُفْرَ اللَّيالي ونابَها
كأن لم يكن قد حَلَّها مُلْكُ معشر ولا سَكَنتْ بيضُ الغواني قِبابَها
ولاَ طَلَعت شمسٌ على غُرُفَاتِها تُغَازلُ منها بَدْرَها وشِهابَها

---

(١) هو يحيى بن إبراهيم الكوكباني: المتوفى سنة (١٢٢٤هـ). والديوان مخطوط، منه نسخة بالمتحف البريطاني تحت رقم (٣٢٨٩) في (٨٣) ورقة، وثانية في (١١٩) ورقة برقم (٩٢٠، ٣٧٣٧)، وثالثة في مكتبة الجامع الكبير الغربية رقم (٢٢٨) أدب. وقال الأكوع في (هجر العلم): ديوان شعره في جزئين، أحدهما: قام بجمعه عبد الله بن عيسى بن محمد بن الحسين بن عبد القادر، والاخر: وهو الأكبر جمعهُ يحيى بنُ إبراهيم.

(٢) حَجْلَه: موضع في وادي ظهر.

(٣) طَيْبَه: قرية أعلا جبل يُطلّ علىٰ وادي ظهر من جهة الغرب. ترتفع عن الوادي بنحو ألف متر. وهي بلدة أثرية كانت تُعرف قديماً باسم (دَوْرَم). وقد تردد ذكرها في الحروب التي قادها اليمنيون ضد الغزو الأيوبي والعثماني.

وقفتُ بها، والعينُ سَكرى كأنني أُخَطِّطُ اصفاراً أُعانِي حسابها
ورحتُ، وقلبي لم يَرح عنه شَجْوُهِ ومِلْتُ، وعَيني لا تَمل انسكابَها
وذو قسطلٍ يُخْفى من الشمسِ نُورَها ويَكشفُ عن وجهِ الثُريَّا نِقابَها
سَلَوتُ بهًا عنها، وعمَّن أحبَّها وأنسِيتُها نسيان نفسي ذهابها

وكان رحمه الله مستغرقاً في الحق سبحانه، ورأيته يوماً متعجباً بالجامع ويقول: أحوال الخلق متباينة، فقلت: فما رأيت؟ قال: رأيت رجلاً قد عرف شطراً من النحو وهو ينكر على بدوي يدعو ربَّهُ؟ فقال: له أسأت في الدعاء والواجب عليك تقرأ في النحو. فقال الإعرابي: ذا جهدي وقام متحوِّلاً إلى جهة أخرى يدعو، قال: فأدركت لدعائه موقعاً في قلبي فعلمت صحة قول من قال: إذا جاء الاعراب ذهب الخشوع. وقال ما أحسن قول القائل:

سبيلَى لسانٌ كان يُعْربُ لَفْظهُ فيا ليتهُ من موقفِ العرضِ يَسْلَمُ
فما ينفعُ الإعرابُ إن لم يكن تُقًا وما ضَرَّ ذا تقوى لسانٌ مُعَجَّمُ

قلت: في مستدرك الحاكم من حديث أبي الدرداء قال: سمع النبي ﷺ رجلاً قرأ فلحن فقال عليه السلام: ارشدوا أخاكم وقال صحيح الإسناد.

[محمد بن مطهر الديلمي]

وفيها[١]: يوم الأربعاء سابع عشر ربيع الآخر، محمد بن مطهر الديلمي الهاشمي الذماري[٢] حاكم الإمام المهدي والمنصور بصنعاء. حدّث عن والده أنه سمع بعض العوام يقول: كاد المذهب أن يذهب وأنتم في سكوت. فقال: نعم حتى لا يمكنا في الصلاة الرفع والضم إلا في البيوت، ففزع العامي وقام وهو يلعن.

[عبد الله المجاهد]

وفيها: يوم الجمعة ثامن عشر شوال، القاضي عبد الله بن حسين المجاهد الذماري[٣] حاكم الإمام المهدي. أولاه حكومة تعز مرات وذمار، وأولاه قضاء عمران وعزله باسماعيل بن عبد الله حنش. واستدعاه الإمام المنصور وكان بذمار، ثم طلع صنعاء آخر مدته فبقي بها أعواماً قاضياً ثم أولاه قضاء قرية القابل.

---

(١) سنة (١٢١٤هـ).

(٢) هو العلامة محمد بن المطهر بن علي بن أحمد بن علي بن ناصر الديلمي الحسني.

(٣) أنظر: مطلع الأقمار ـ ص (٣٤٤)، نيل الوطر (٢/ ٧٧).

[محمد الويناني]

وفيها: يوم السبت تاسع عشر شوال، محمد بن حسين الويناني الآنسي[1] الفروعي المدرس بجامع صنعاء، تخرج به عالَم من الناس وأخذوا عنه فروع الزيدية وكان حافظاً لأقوال أهل المذهب، حفظ القرآن عن ظهر قلب وكان قصيراً دميماً وعلى قصره كان كبير العمامة.

[محسن بن أحمد الشامي]

وفيها: ليلة الخميس سابع وعشرين شهر الحجة، محسن بن أحمد بن يحيى الشامي الشهاري[2] القاضي الأديب الحديثي. توفي بحصن شُهاره[3] وهو إذ ذاك عين أهل تلك الجهات. أخذ عن البدر المنير محمد بن إسماعيل الأمير وحضرَ درسهُ الحَفْل، وعن الده أحمد بن يحيى الشامي وعن الشيخ إبراهيم بن حسين المحبشي. ولّي القضاء بشهاره ثم ولية بكوكبان عام احد عشر ومائتين وألف فبقي بها أياماً، وكان محققاً لفروع الزيدية منكراً على جهلتهم المتعصبين على حفاظ الحديث العاملين بما جاء عن ماحي ظلام الجهالة الداحض للخبيث. ومن شعره العذب السهل في ذلك:

عذيريَ من قومٍ تجافوا لغيِّهم ... عن الحقِّ، واعتاضوا عن العلم بالدهم[4]
وقد نَسبوا من جهلهم وضلالهم ... إلى النَّصب من يبني على الرَّفعُ الضّم
وقالوا: جهولٌ من يُحَدِّثُ مُسْنَداً ... عن المصطفى خير الورى الطاهر الأمي
فيا ربِّ توفيقاً لسبلِ رشادنَا ... ولطفاً بنا من أن نَضِلّ على عِلم

وكتب إليه تلميذه علي بن إسماعيل بن علي بن قاسم بن أحمد بن المتوكل[5] مُشبِباً بمحل يقال له القواعد[6] في بلاد وشحه ـ بواو مفتوحة فمعجمة ساكنة فمهملة مفتوحة فتاء تأنيث ـ من أعمال الشرف:

بِوَشحةٍ كم تَرَى غَوَانٍ ... كأنها الأَغْصُنِ الموايد

---

(١) نيل الوطر (٢/ ٢٦٣)، هجر العلم (٤/ ٢٣٧٠).
(٢) نيل الوطر (٢/ ١٩٥)، هجر العلم (٢/ ١٠٩٦)، الحدائق المُطْلعة ـ خ.
(٣) **شهاره**: بلدة في أعلا حصن شمال مدينة حجة. يقال لها شهارة الأميرة نسبةً إلى الأمير محمد بن جعفر بن قاسم العِياني؛ وفي مقابلها شهارة الفَيْش نسبةً إلى القيل ذي فائش. ويفصل بينهما هاوية سحيقة قد رُبطت بالجسر المُعلق بين الجبلين.
(٤) **وردت في «أ»**: عن الجهل بالعلم.
(٥) أديب شاعر، توفي سنة (١٢٣٠هـ).
(٦) يقال له اليوم «القاعدة» وهو محل من جبل ضاعِن بمديرية وشحه وأعمال محافظة حجّة، قريب من محل سَبْت القضاة.

هِمْتُ بِذاك الشباب منها وهكذَا هِمْتُ في القواعِد

فأجابه المترجم له:

لا تعدلوني أُهَيل ودي ان كنت قد همت في القواعد
فإن ماءَ الشبابِ منها جرى على مقتضى القواعد

ومن شعره، وقاله قبيل موته سائلاً للعفو وإقالة العثرة:

أأطمعُ أن يُعَاوِدُني شَبَابي وقد وفَّيتُها سَبْعين عَامَا
وتَرجَعُ لي قواي اللاَّئي كَانت لَدَيَّ لِكل مطلوبٍ زِمَامَا
فَدَعْ عنك المحال وعُدْا إلي ما علمت بأنه أقصَى مرامَا
سؤالِ العفو من ربٍ كريم فَسَلْهُ وكن به أقوى اعتصامَا
فيا ربّ العِبَادِ أقِلْ عِثَارِيْ وزَلاَّتي وإن كانت عظامَا

وسأل بعض الناس بحضرته عن قولهم: كان صُلح، على دَخَنٍ وهُدنةٍ وهدته على دحن. فقال قائل كان نار الحرب لم تنطفي بالمرة وبقِّي منها بقيةً يتأثر عنها دخان، فقال: لا وإنما المراد بالدخَنِ الفساد بالقلب الباقي عن العداوة. وكان ينكر خلاف هذا ويقول قد وهم في هذه المتقدمون فَيُنظر[(١)]. ولما مات رثاه شيخنا البدر محمد بن علي الشوكاني معزياً لعلي بن إسماعيل بن علي فقال:

عَزّ جمال الآل في شيخه المحسن المحسن بين الأنام
من كان سيف الدين في عصره لأجل هذا كان يُدعى الحسام

وَدَخَلَتْ سَنَةُ خَمْس عَشْرة وَمِائَتيْن وَألْف

فيها: عقد الإمام بولاية بيت الفقيه للأمير سندروس وخلع عنها فتح سعيد المجزبي وارسل عليها سندروس متولياً بالنيابة عنه محمد وَفْد الله.

وفيها: عقد الإمام بالحديدة لفتح أحمد وأناط أموره بصالح بن يحيى.

وفيها: عقد الإمام بولاية الزيدية لعبد الله جوهر.

وهذه السنة هي مَبْدأ الفِتَن، الثائرة على تهامة اليمن، وظهور أمر الموهبَة[(٢)] وحلول المصائب على حمود ومن صحبه[(٣)]، وكثرة الهرج والدعاء إلى صاحب نجد،

---

(١) الفقرة كاملةً؛ مضافةً في هامش الأصل.

(٢) **يقصد هنا**: الوهّابية، نسبةً إلى الإمام محمد بن عبد الوهاب.

(٣) **هو الشريف حمود بن محمد، من أمراء المخلاف السليماني.**

ففي هذا العام ما زال يلهج أحمد بن حسين الفَلْقِي ـ بفاء مفتوحة فلام ساكنة فقاف بعدها ياء النسبة[١] ـ بأمر عبد العزيز ويلقى إلى الأذان حسن طريقته ويرفع في أهله الإشراف المَعافِيين[٢] لطف سيرته، ويثير عَزَمات الغافلين، ويتحدث في المجامع بصلاح نجد في الدين، ويصوّرُ لهم حُسن مذهبه، ويستميلهم إلى جانبه ويخبرهم عن ملاقاتِه لهم بمكة عام أربع عشرة واستِفْصَالهم له عن داعيتهم وأنه قد فُرِض على الإنسان فرض العَين أن يجاهد المباينينَ له. وكان عند قومه معروفاً بالصلاح والتقى لعدم مخالطتهم له باعتزاله لمجالسهم واشتغاله بأمر خاصته وكان خيّاطاً متعلقاً بتجارةٍ يسيره لا يزال بها يتردّدُ في بنادر اليمن وله رغبة في حُضُور موقف رفيقنا أحمد بن عبد الله الضمدى[٣] القاضي المحدّث فأدار بموقفه حديثاً عن عبد العزيز يوجبُ عليه وعلى غيره الإجابة إلى طاعته، والدخول في جماعته، فناقضه القاضي. وما زال ذلك الأمر ينمو ويتزايدُ فنَفَرت عنه الطباع وقامت العداوةُ بينه وبين مَن في ضَمد[٤] وكان بها ساكناً فتحوّل عنها وسار إلى جماعة من الجَعَافِرة تَرجِع في النسب إلى أشراف وادي بِيْش[٥] وبهم غباوة وجَفاً ليس لهم بالعلم وأهلهِ دريّة تَرْجَعُ ولاية محلهم إلى صاحب صَبْيَا[٦] فبث فيهم الدعوة، واسترهبهم بما عليه صاحب نجد من الدين والقوة، فمال إليه بادىء بدأ الشريف علي بن حيدر وهو إذ ذاك متولي جازان وأعمالِها غير أنه لم يظهر بالمباينة فتخرّبت له الطوائف وتجمعت واجمعت على خلع طاعة أشرَاف أبـي عريش ورسخ في قلوبهم وجوبُ الإجابة وسَكَن القال والقيل.

[احتراك أهل أبـي عريش وقيامهم]

وأقبل الناس إلى بيش رعيلاً بعد رعيل وتقاعد أشراف سائر تلك الجهات عن اثارة الفتنة ما عدا أَشْرَاف أبـي عريش فإنها ثارت عزماتهم فبعثوا إلى الأطراف، يستنجدون

---

(١) من أهل مدينة صبيا. وكان قد دخل في مذهب أهل نجد ـ المقتطف من تاريخ اليمن (٢٥٩).

(٢) هم بنو المَعَافا: أهل صَبْيَا. وهم حسنيون يُنسبون إلى المَعافا بن رُدَيْني بن يحيـى بن داود بن عبد الرحمـٰن بن عبد الله بن داود بن سليمان بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبـي طالب.

(٣) عالمٌ محققٌ في الفقه والحديث وعلوم العربية. تصدّر للتدريس والإفتاء، ونشر السنة. وأقام في أبـي عريش. وله مؤلفات قيّمة. توفي سنة (١٢٢٢هـ) ـ هجر العلم (٣/ ١٢٢٢).

(٤) ضَمَد: تقع ضَمَد في شمال شرق جيزان. وهي حاضرة المخلاف السليماني.

(٥) بِيْش: يُطلق اسم بيش علىٰ قريتين: بيش العليا وبيش السفلى، وهما من أعمال إمارة جيزان ـ المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية (١/ ١٨٦).

(٦) صَبْيَا: تُنطق صَبْيَا بفتح الصاد وإسكان الباء الموحدة وفتح المثناة التحتية. وهي مدينة من مدن منطقة جازان ـ المعجم الجغرافي (١/ ٦٨١).

خواصهم من العرب والأشْرَاف.

وداع دعىٰ هل من مجيبٍ إلى الوَغَا ... فلم يستجبه عند ذاك مُجيبُ
فقلتَ ادع أخرى وارفعِ الصوت ثانياً ... لعل أبي المغوارِ منك قريبُ

فقام حمودِ بن محمد[1] ولَفَّ من حوله بأبـي عريش من الأشراف فكانوا أربعين فارساً فقال هل غيْرنا يعين على هذا الأمر الذي دَهَم؟ فقيل له لا تجد أحداً إلا العبيد فدعاهم فكانوا نحواً من اثنين وتسعين فأشخصَ منهم جماعة إلى نواحي أبـي عريش يندبون أصحابه من قبيلة يام فوردوا بهم عليه فكانوا خمسمائة، فسار بهم قاصداً وادي بيش فدعى الناس الفلقى إلى مصاولة حمود فاجتمع له من المقاتلة ثلاثة آلاف وبادروا السير نحو أبـي عريش ونزلوا بساحل صبيا فدفنوا به الآبار وأخفوا مواضع الماء وتنحّوا قليلاً فنزل حمود إلى ساحل صَبْيَا بموضع مشرف على مسيل وادي صَبْيا ليقيل هنالك ويستشير أصحابه وهو فارغ القلب عن المصاولة في ذلك اليوم وأرسل العيون فأخبره جماعته بِأنَّا بمحلٍ لا ماء فيه ونخشى هجوم العدو علينا، وانتصافهِ منا، فأمر رجلاً فصاح في قومه منَّ كان له فرسٌ فليركبها ومن كان راجلاً فليحمل سلاحه ويلبس لأمة حربه ودخَلَ في أناسٍ من يام يقال لهم آل فاطمة والشريف علي بن حيدر في قبيلتي مَوَاجِد وجُشَم[2] وقامَ الشريف حمود بالشق الغربـي من مسيلِ وادي صَبْيا فصف القوم للقتال كصفهم للصلاة وهو ماشي لابِساً لأمة حَرْبه وخلفه فَرسُه يقودُها سايسُها فلما استووا ودنَى منهم العدو ألزمهم أن لا يرموا ولا يحملوا حتى يكون هو الفاتح للوطيس، الساعي إلى قلب الخميس، ودعَى إليه الأشْرَاف فقاموا على خيولهم يميناً منه وشمالاً فزحف الفَلقي وأمر جيشه أن يرموا فأقعَى حمود بفرسه فأقعت الأشراف بأفراسها بعدُ حتى لَصِقَت بالأرض ثم هَمَز فرسُه فقامت وقامت الأشراف حولَه فركَض بالخيل في وجه العدو وصاح بعبيده: يا أولادي الغنيمة الغنيمةَ وكانت عساكره خلف ظهرهِ وصاح بهم اللحوق اللحوق ولم يزل يجول بالخيل في مصاف الفَلَقى، وأصحابهُ ترمي متخلله بين الخيل فَداسَتْ مقدمة الفلقي سنابك خَيْله ورشقتهم بالرماح وطَفِق مسحاً للهام بالصفاح وانهزم الصف وولّوا الأدبار والخيل تكِرّ فيهم مقبلةً ومدبرةً واشتدت ميمَنة الفلقي فعقروا ثلاثة أفراسٍ من خيل حمود وأصيب جماعة من أصحابه وَوَجدُوا بين خيول الشريف من أصحابِ الفلقى في تلك الصدمة ثمانية قتلىٰ داستهم سنابك الخيل كل واحد من الاشراف عَيّن قتيله منهم واثنى عشر قتيلاً اصابتهم الرصاص، وصاح

---

(١) حمود بن محمد: هو حمود بن محمد بن أحمد بن محمد بن خيرات بن بَشير بن شَبير الحسني، صاحب أبـي عريش ـ انظر عنه: البدر الطالع (١/ ٢٤٠)، نيل الوطر (١/ ٤٠٨).

(٢) تُنطق مواجد بضم الميم، وهي من قبائل يَام، وكذلك جُشم.

الشريف حمود بعلي بن حيدر ومن معه من جشم ومواجد: الغاره الغاره، فضربوا المَيْسَره والقلب فناوشهم ساعةً بالطعن والضرب واشتد حمود فَهزَم الميمنة فانقضّ أصحاب الفلقي وولوا الأدبار ووجُدوا بالطريق خمسة من قتلاهم داستهم خيل حمود فكانت الهزيمة من صلاة العصر إلى أن حجز الليل وتغيب جمع الفلقى في الزروع بوادي ساحل صَبْيا وبيش فكانت جُملة من وجدوه من القتلى بالطريق اثنين وثلاثين قتيلاً وَأُسِر منهم نحو الأربعين وانجلت المعركة وأصبح أشراف أبـي عريش عائدين جهة بلادهم وأقاموا بموضع يسمى الحجرَين[١] أكثر من شهر يصلحون أمور معاشهم ورجع إلى حمود من رجع وشرد من شرد.

[تحرك النجدية]

وفيها: سار رُبَيع مصغر ربيع الشهر، في جيوش جراره من النجدية منكراً ما بلغه من انقلاب علي بن مسفر رئيس وَادعه[٢] ونكثه للعهد فوصَل إلى مشهور بن كُعْبَان وكان بأطراف وادعه مظهراً للقيام بطاعة عبد العزيز داعياً إليه وراغباً في الإمارة على علي بن مسفر فاستشاره فيه. فقال مشهور الرأي أن لا تُبدي لعلي بن مسفر منفراً واظهر له أن المراد من وصولك تجديد عهد الله عليه وأخذ الميثاق منه ومن رؤساء أصحابه واسأله أن يجمع لك من بحضرته من العلماء وسمّاهم له فجمعهم فكانوا خمسة وتسعين نفساً. وأشار على ربيع أن يلقهم بالحد له ففعل. ثم أشار عليه بضرب أعناقهم، فضرب أعناقهم جميعاً وفَرّ علي بن مسفر ليلاً خائفاً، فأرجفت البلاد وفروا إلى الوهاد، ثم طلب الناس إليه فوصلوا أفواجاً فطلب منهم تجديد كلمة الإسلام فأذعنوا وتديّنوا وتحولت يهود تلك الجهة فألزمهم وصولهم إليه فوصلوا فحملهم على الإسلام كرهاً وقسراً فأَسْلمُوا وذل علي بن مسفر. ثم سار ربيع وقد عقد الولاية لابن كعبان وأمره أن يذكّر بالسيف من يليه من القبائل فسار في جيش لهام من وادعه فصاوَل العُجمان وآل مُرّة[٣] وبيوتهم أكثرها الشعر، فألجأهم إلى الإذعان فتدينوا وبث رسله إلى نجران والجوف وبَرَطْ فراع هذا الأمر ابن قَمْلا صاحب وادي خبّ من ذو حسين[٤] فصالح صلحاً ضعيفا.

---

(١) ضبط المعجم الجغرافي (الحَجَريْن) بفتح الحاء والجيم والراء مثنى الحجَر، قال: هي من قرى صَبْيا، بمنطقة جازان ـ المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية (١/ ٢٩٣).

(٢) المقصود هنا: وادعة قحطان. من مُواجِد إحدى بطون يَام بمنطقة نَجْران ـ معجم قبائل المملكة العربية السعودية (٢/ ٨٥٥).

(٣) قبيلتان من يام.

(٤) وادي خَبّ: هو من أودية بلاد بَرَطْ.

وفيها: بعث عبد العزيز[1] نحو اثنى عشر ألفاً يقصدون قبيلة يام إلى نجران فساروا، فجاءت العيون إلى يام تخبرهم، فسار من يام ثلاثة آلاف فنزلوا نَهُقَة ـ بنون[2] مفتوحة فهاء مضمومة فقاف مفتوحة فتاء تأنيث ـ وبينها وبين نجران ثلاث مراحل وهي تحجب بدراً عن المصاول فجاءت طريق النجديين مخالفه فلم تشعر قبيلة يام إلا وقد قيل لهم أن المكرمي[3] قد حوصر ببدر فكرّوا بالغارة فبلغ أهل نجد فتنحّوا عن بدر، فتبعهم يام فتصافوا قريباً من نهقة ليلة السابع والعشرين من شهر رجب، واشتدت قبائل نجد فدهموا أياماً إلى قريب بدر، فجاءتهم زيادة فكانت الدائرة على قبائل نجد، غَنِمَ فيها أهل نجران أربعمائة ذلول مُوْقِرةٍ ميره وزانه واعبي حساوي فكرّوا راجعين.

[عصيان علي حميدة شيخ باجل]

وفيها: شكىٰ الأمير سندروس[4] إلى الإمام افعال على حميدة[5] صاحب باجل وذكر أن خادمه[6] فتح سعيد قد ضعف وعجز عن ضبط بلاد بيت الفقيه وذكر له ماجرىٰ على عبد الرب الشميري[7] وهوَّل المال المأخوذ من ساعيته فبرز رأي الإمام لفتح سعيد بأنه لا بد من ضبط الأشرار وتحصيل المأخوذ من المال، فما قدر فتح سعيد لشيء، وكان علي حميده قد تعصّى واستفحل أمره ورَتّب عند ذلك حصنهُ بـ(باجِل)، وأكثر الأمير سندروس الشكوى إلى الإمام بـ(فتح سعيد) و(علي حميده) فوجّه له الإمام ولاية البلاد جميعها وعَزَل فتح سعد عن بيت الفقيه وسيّر لهما محمد وفد الله وضبط علي حميدة وأودعه السجن عنده وضبط على الجماعي شيخ العبوس[8] وأودعه السجن عنده وكان ما سنقصه عليك قريباً.

وتَربّش في تلك الأيام أمر القَحْرا[9] وتعرضوا لحموله نزلت من

---

(١) هو عبد العزيز بن محمد بن سعود. من أمراء آل سعود في دولتهم الأولى ـ أنظر: الأعلام ٤/ ٢٧.

(٢) **أوردها صاحب المعجم الجغرافي**: نَهُوْقَه، قال هي من قرى آل عباس، من قبيلة يام.

(٣) **المكرمي**: هو كبير قبيلة يام.

(٤) **الأمير سندروس**: هو رئيس الجُند.

(٥) سبقت الإشارة إلى الشيخ علي حميدة، وهو رئيس قبيلة القُحرَى الساكنين في قضاء باجل ـ شرقي الحُديدة.

(٦) **وردت في النسخة «أ»**: مخدومه. والتصحيح لعله من المؤلف بعد أن ضرب علىٰ الكلمة السابقة.

(٧) وَرَدَت السين بدون نقاط: السميري. ولعل الأصح هو ما أثبتناه.

(٨) **شيخ العبوس**: هم قبيلة من عك، ديارهم في شرقي مدينة الحُديدة.

(٩) **القحرا**: قبيلة تسكن مديرية باجل في شرقي الحديدة بمسافة (٦٠) كيلومتراً. ويرجعون إلى عك.

الحَيْمه[1] فأخذوها وأدلوا بالسبب وهو أن الأمير سندروس حبس كبيرهم علي حميده فبعث الإمام الأمير عبد الله جوهر في ثمانمائة من ذو حسين ليصادروا قبائل القُحرا، وسار عبد الله بن علي الحيمي صُحبة الأمير عبد الله جوهر وجعلوا للأمير عبد الله الولاية على الزيدية، والتقاه الشيخ حسين العليـي كبير الحَيْمه، ولما بلغوا صنفوراً[2] جاء الخبر أن قبائل القحرا قد نزلوا بوادٍ يقال له الحجّيله[3]، ـ بحاء مهملة مفتوحة فجيم مشددة مفتوحة فياء تحتانية ساكنة فلام مفتوحة فتاء تأنيث ـ من أعمال القحرا تحت حَرَاز فجهز الأمير عبد الله جوهر المحطّة وسيّرهم ليلاً وقصد هُوَ بجمع يسير الطريق السلطانية، وخرج إلى ربوع بني خولي[4]، وكان مفارقته للمُجهِّزين من وادي سهام، وكانت القحرا قد بعثت العيون فأخبروهم بمسير ذو حسين إليهم، فخرجوا عن وادي الحجّيله، ووصلت الأجناد الأمامية فلم يلقوا بها أحداً، فنهبوا ما وقعوا عليه، وأحرقوا البيوت، وخرجوا نحو أميرهم، وكان قد سار بمن معه نحوهم، فالتقوا بـ (لِعْسَان)[5] وأخبروه الخبر فعاب عليهم إحراق بيوتهم وعشاشهم ورجّح المسير إلى ذلك المحط، فعسكر بهم هنالك، وأرسل إلى الأمير سندروس: أن أرسلِ إليّ بعلي حميده مغلولاً، فما أسعفه إلى ذلك وأرسل بولده يحيى معافَى ـ تسميةً يسمونها أهل تهامة مركبةً وهي أسامي يتناقلها أهل تهامة ويشترونها بالمال ويقولون صار هذا سميًّا لفلان، وهي موجبة عندهم لأخذ المال لمن أخذوا اسمه ـ وكان يحيى معافىٰ هذا بعد ضبط والده علي حميدة قد كاتب قبائل يام لمّا نزلوا وبلغوا فج حَرَض[6] يستدعي وصولهم إليه، ويمنيهم بالعطاء، وأفصح لهم على أن مراده مصاولة الأمير سندروس لما حبس والده، وكان للأمير سندروس عهد في أعناق يام، فوفوا له به وبعثوا بكتاب يحيى معافىٰ إليه، وكان الباعث به عبد الله بن نُصَيِّب ونايف، وكان معهما تلك الأيام جابر بن مانع في عِداد فرسانهم، فبعث الأمير سندروس في تلك الساعة جماعة إلى باجل فأشخصوا إليه يحيى مُعافىٰ، وأودعه سجن بيت الفقيه حضرة الأمير محمد وفد الله، فلما طلب عبد الله جوهر

---

(١) **الحَيْمه**: بلاد واسعة غربي صنعاء. كانت تضم جبال حراز في أعمالها بحسب التقسيم الإداري السابق. ومعلوم أن حراز تطل على سهل باجل.

(٢) **صنفور**: هو موضع متوسط بين الحيمة وريمة وحراز.

(٣) تقع الحجّيله في الشرق الجنوبي من مدينة باجل. وتشكل في أعمالها مديرية من مديريات محافظة الحديدة. كانت الطريق القديمة بين صنعاء والحديدة تمر منها وذلك صعوداً من تهامة إلى جبال حراز.

(٤) منطقة في غربي حَراز.

(٥) هي البطائح والمواطن الواقعة فيما بين «باجل» و«سهام» و «بُرع» و«حراز».

(٦) تقع حَرَض في الحدود مع السعودية.

علي حميدة ولم يسعده الأمير، بعث مكانه يحيى معافىٰ، فلما وصل إلى الأمير عبد الله جوهر خاطبه بإقامة المحطة وتحصيل الغرماء الناهبين للحمولة والأخذين لأهل الساعية، فسأله الإقاله من تحصيل المتخطفين وأجرى لهم الإقامة على مزاوله وشدة، وتلاشي الأمر. وأصاب الأمير عبد الله جوهر وكاتبهُ وجماعات أخرين هنالك مرض شديد، فخرج عنه إلى البَجِيْح ـ بفتح الموحدة بعدها مهملتين الأولى مفتوحة بينهما ياء مثناة تحتانية، وهو سوق جبل الضامر من أعمال الزيدية ـ فاستقر به، وحصل يحيى معافىٰ بعض المتخطفين للحمولة، وأرسل الأمير عبد الله للشيخ حسين العليي فنزل في جماعة من أصحابه المتسلحين وناصف بينهم وبين أولئك ونائب حاكم الزيدية يوسف بن محمد النُعْمِي الهاشمي، ووقع صلح بأن يسلّموا ثلثي ما نهبوا ويسقطوا لهم الثلث، والتزم كبار القحرا ويحيى معافا بذلك، وانحسمت المادة وعاد الشيخ العليي بلاده، وأعاد الأمير عبد الله جوهر يحيى معافا إلى الأمير سندروس مغلولاً، وسار عبد الله جوهر إلى الجرابح[١] فبقي بها أياماً ثم سار إلى بني محمد[٢]، وسار منها إلى صليل[٣] ثم إلى الزعيله[٤]. وقد أصاب الأمير وكثيراً من الجند مرض ووجدت الرعية ضعفاً من الجند فسلّموا اليسير مما عليهم، وخرج عبد الله بن علي الحيمي من المطرح وسار إلى الحديدة مريضاً فتدوَى بها. وأقام هنالك نحواً من شهرين، وطلع صنعاء، وسار الأمير عبد الله جوهر إلى الزيدية وأقام أياماً ومات لعله عام ست عشرة.

وأما (يام) فإنهم لما رأوا استقلال الأمير سندروس بالتهائم قصدوا أبا عريش حضرة الأشراف ليأخذوا ما لهم منها فأنزلوهم بالدور والقلاع وقلوبهم معلقة بالأمير سندروس فلم يشعر إلا بعقّالهم الذين كانوا بـ (صَعْفان)[٥] قد نزلوا عليه ليأخذوا منه إحساناً، فأنالهم وأدار معهم كلاماً من الأشراف، فقالوا: تَعْلَم حفظك الله أن قلوبنا معك، وأصحابنا الآن مع الأشراف فإن أحببت القبض لأبي عريش فعلنا، ويأتيك العلم السَّار فإن هؤلاء الأشراف الأشرار قد قطعوا جانباً مما هو لنا في بيان الإمام، وقالوا له: يا أمير ما ترانا في هذه المدة نختلف إلى تهامة ويكون منا من الفساد ما يكون ليس إلا لانقطاع التقارير. ثم قالوا: سنذهب إلى أبي عريش فنوطّي لك عملها[٦] فأسرع

(١) **الجرابح**: ديار الجرابح في الضّحى بوادي سُرْدُد، وهم قبيلة من عك.
(٢) **منطقة بني محمد**: هي من أعمال المغلاف، في شمال الضحي.
(٣) **قبيلة صُليل**: هي إحدى بطون عك. ويسكنون الزيدية، في المغرب الشمالي من الضحي.
(٤) **الزعليه**: هي قبيلة من عك تسكن في شرقي اللُّحيّة.
(٥) **صَعْفان**: من جبال حراز.
(٦) **وردت في النسخة «ب»**: مملكتها.

المجهّز. وأرسل عليهم رجلاً أو امرأة والله لننفّذن أمرك.

وكان حمود هذه الأيام قد استوَى على دست الإمارة وتنحَّى له علي بن حيدر ضعفاً وعجزاً وعلماً منه أن لا قدرة له، ولم يشعر الأمير إلا بوصول الخطوط من عقال (يام) يستقدمون منه أميراً ووضعوا الخواتم، فرآها فرصة تُنتَهز فبعث بالكتب إلى حضرة الإمام، فعاد عليه الجواب من الوزير الكبير حسن بن عثمان أن لا يحصل منك تعدّي فتفسد الدولة، واعلم أن أبا عريش تحتاج وفاء وليس بـي قُدره. فسكت عن يام وكانوا منتظرين جوابه فتسلّموا من البلاد ما لهم وسار علي بن حيدر إلى طَبَب ـ بفتح الطاء المهملة بعدها موحدة مفتوحة آخرها باء موحدة ـ محلة عبد الوهاب أبـي نُقْطه[1] فطلب منه الغارة على أهل الدّرب[2] قضاءً لما صنعوا بأبـي عريش وأظهر أنه في قوم الدين وأن أهل الدّرب مواليين لـ (سندروس) ومَن بحضرته من المشركين فأجابه،

ورجع علي بن حيدر فاستقر بجازان متولياً، وكتب إلى حمود بما كان فحمد الله على أن الفتنة بين أهل الدّرب وبين أبـي نقطة. ورأى فرصته فيهم حاصلة، فسار بخيله وعبيده إلى الدرب رجاء أن يصيب سائمتهم بالرعا فتحرب من بالدرب، وحذروا. ومات تلك الأيام سندروس قيل: حتف أنفه، وقيل: بل مسموماً، واستدل القائل بالسم أنه جامع زوجته تلك الليلة وقد أدرك منهُ شيئاً فما قام عنها حتى غشي عليه وعليها، وسم معه حسن علي شحاري، تاجر البندر، وكذلك الصيرفي قال بعض الناس لعل ذلك من صالح بن يحيى.

قلت: لا أظنه يصح هذا، قالوا: الناسب ذلك إلى صالح بن يحيى لأنه كان حريصاً على الإمارة، ومما بدر منه في حرصه عليها، أن وضع من أيام كتابته على الأمير بقشة في كل نازلٍ إلى البحر، زيادة على العشور، وجعلها بينه وبين حسن علي شحاري وبين الصيرفي، والأمير لا يشعر بهذه المكيدة التي لحقه لائمتها. فتكلم بها حسن علي شحارى فنقلت إلى الإمام، فسألوا عنها فَحُسِبت فكانت في نحو أربع سنين: اثنين وأربعين ألفاً قروشاً فرانصة، فقال الأمير رحمه الله: والله لا أعلم هذا إلا أن يكون هؤلاء الثلاثة المتسلطون قد خدعوني من حيث لا أشعر فالله حسيبهم. وطالبته الدولة بذلك، ففاجأه الحِمام، وكان رأي سندروس تسفير علي حميده وعلي جماعي إلى الكش ديار

---

(١) أبـي نُقْطه: هو عبد الوهاب بن عامر المتحمي الرفيدي العسيري، من آل أبـي نقطه: أمير عسير. تولاها بعد وفاة أخيه محمد (١٢١٥) وأقره الملك عبد العزيز. ومدة حكمه تسع سنوات ـ الأعلام (٤/ ١٨٣)، والمقتطف من تاريخ اليمن (٢٥٩).

(٢) المقصود هنا من «الدَّرب» هو ما يُقال له دربُ بني شُعْبَه. وهو وادٍ فيه قُرى من بلاد جازان. وثمة درب آخر في بلاد عسير. المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية (١/ ٤٤٤).

الهند، فعاجله الحِمام، وتوجهت الأمور بيد صالح بن يحيى، فأرسلوا إليه عاملاً من تحته فتح أحمد عبد الواسع فكان أول ما بدأ به أن أخرج علي حميده وعلي جماعي من السجن، وأخرج جماعة من السَرَق الخضارية، فأشار عليه (محمد وفد الله) أن يبعث بهم إلى صنعاء فلم يفعل، وكان من علي حميده أن استدعى حموداً وعاهده عهداً آخر فخرج حمود في ثمان من الخيل، فاغتاظ[1] لهذا الإمام وجهَّز يحيى بن هادي الشايف فوصل، فعاد حمود عليه في الثمان الخيلِ وجماعة من العسكر قليلة، فأوقع يحيي ابن هادي الشايف وشتّت شمله، ودس جماعةً يخبرون يحيى بن هادي أن جماعة الشام في الوفِ واصلةً. وكان ما قصصناه عليك بعد هذا.

[اختلاف الأمر بمصر]

وفيها: تحرك الأرناووطيه[2] بديار مصر علي طاهر باشا، وهو الذي تركه يوسف باشا في العام الأول، فخلعوه عن إمارة مصر محتجين عليه بأنه أخّر الجَوامِك عن الجُند سبعة أشهر، وتصدّر لمناوأته عاقل العسكر محمد علي الأرنأوطي فبلغ السلطان ذلك فقرره على ما فعل خلا أنه استفحل أمره بعد أن رأى تقرير السلطان له فأنه أراده السلطان على الخروج إلى ديار الموهبة[3] مرات. فلم يفعل. وأرسل منه مرةً ميْرةً إلى الحرمين وباروداً ورصاصاً أعان بذلك الشريف غالب، وبعث إلى السلطان بعد ذلك يذكر له أنه ما زال معيناً وقائماً بالأمرِ مع الشريف غالب، هذا ولم يستتم[4] بولايته تلك الضبط لديار مصر جميعها فإن الغُز قامت بالصعيد واقتسموه أثلاثاً، وأمَّروا عليهم حسن بيه الجِداوِي المقدّم الذكر في إعانة المطوعة بمصر، وأمّروا عثمان بيه حسن، ومحمد بيه الألْفي، فبقي محمد علي عاقل العسكر في وجل منهم وخوف، فَثَبَّتَ ما ضبطه من الديار، وترك مناوأتهم وظهر بعد ذلك النقص بدّيار مصر في أهلها ومالها ودولتها، فإنها كانت الصناجق بمصر أربعة وعشرين صنجقاً، الصنجق في ثمانمائة عنان، فلم يبق بها الآن إلا هؤلاء الثلاثة، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

[خروج محسن أحمد الشايف وموته]

وفيها: تحركت قبائل ذو حسين كعادتهم، فخرجوا يقودهم محسن بن أحمد الشايف، فمر بباب صنعاء ذاهباً جهة اليمن الأسفل فأوغل حتى فاجأ عتمة فعاث بها، وأخذ أهلها، وصادر رعاياها وصال على أهلها، فقتل وتحكم في أموالهم وعاد بالقبيح

---

(١) **وردت في الأصل**: فَتغيّظ.

(٢) **الأرناووطيه**: جنود أَلْبَان.

(٣) **الموهبة**: الوهابيّون.

(٤) **هكذا وردت**.

على نسائهم، وأظهر منكرات شنيعة، ولم ترفع الدولة إليه رأساً، ثم ارتفع مُثقلاً نحو بلاده، فابتلاه الله «تعالى»[1] بالداء العضال، هلك به، وأصاب أصحابه مرض شديد ومات منهم جماعة.

[دخول يام إلى زبيد وإحراقهم لما لم يحملوه من متاعها]

وفيها: سارت قبيلة يام كالتي قبلها من الأعوام، وقصدوا تهامة اليمن، العائد حكمها إلى الإمام، فأظهروا المنكرات من السبي والزنا والقتل، وعاملوا أهل الإسلام معاملة الكفرة اللئام، ورفعت إلى الدولة أعمالهم[2]، فلم يعبئوا بشيء منها، وكانت قبيلة يام إذا مرت بمحل دمرته وأخذت محاسن ما فيه من الأموال والقماش، (وكانت طريقهم على الخضاريه[3]، فقتلوا أهلها، وانتهبوا ما بها من الأموال، وقتلوا النساء ودفنوهن إلا العورات، فأبقوها منكشفة، وهذه المحلة قريب الضحى، ثم ساروا وأرادوا دخول بيت الفقيه وبها الأمير محمد وفد الله وكان قد رتبها ترتيباً كبيراً، فلم يستطيعوا وساروا إلى تهامة اليمن، وانتهبوا بالطرق ما وجدوه)[4]، وسَبَوا النساء، وانتهى بهم السّير إلى زبيد فحصروها، ودخلوها وما حولها، فضمّوا أشتات المتاع والمال النقدي والحلي، فأعوزهم حمله، فتخيروا أحسنه، وسلّطوا على ما لا طاقة لهم بحمله النار.

وفيها: ثارت الفتنة بين قبيلة نهم وبني جِشَيْش.

وفي شوالها وصل كتاب من أحمد بن عبد القادر الحفظي المعروف بـ(الرحالي). صاحب حلي بن يعقوب، شرح قصيدته التي نظمها في فضل العترة الزكية، وسمّاها: سمط اللآل بفضائل الآل. وجهّهُ إلى الإمام، وذكر فيه أنه قد صار يدعو الناس إلى بيعة الإمام ويحظهم على السعي إلى ذلك المرام، ولات حين تمام، فقد باشره أمر عبد العزيز النجدي، فبعث إليه الإمام بجائزةٍ سنيه ستون قرشاً فرانصة وكسوة عُظمى.

وفيها: ظهر التديّن بقبائل العُجمان وآل مُرّه ومن يليهم من القبائل وألزمهم عبد الوهاب أبو نقطة ان يقاتلوا من يليهم من المشركين وامتحنهم مرات بأن طلبهم فانثالوا إلى حضرته.

---

(١) «تعالى» زائدة في النسخة ب.

(٢) **وردت في «أ»**: أخبارهم.

(٣) **الخضارية**: منطقة من أعمال مديرية باجل.

(٤) ما بين المعقوفتين. فقرة مضافة في هامش الأصل.

وفيها: سارت قبائل قايفة[1] إلى باب رَدَاع مظهرين للمخالفة، فانتهبوا بالطريق وقَتلوا، فخرج عليهم فرحان الحبشي مولى حسن بن على حنش فانتصف منهم.

[محمد بن يحيى الطبيب]

وفيها: ليلة الآخر سابع عشر ربيع الآخر، محمد بن يحيى بن أحمد بن زيد بن محمد بن الحسن بن القاسم المعروف بالطبيب. أخذ في الآلات والحديث عن إسماعيل بن ناصر الدين الهاشمي وطالع الكتب الطبية فاشتغل بها وراجع شيخه إسماعيل فيها، وكان له لمسة بها. ثم ما زال يتطلع لمن نزل بإزال من أهل الأحوال فوقف بأغْرَاب متطببين فأخذ عنهم، وكانت لَهُ يد في معالجة الدق[2] وبه مات.

[حسن بن علي حميد الدين]

وفيها: يوم الإثنين خامس جمادى الآخر، حسن بن علي بن إسماعيل بن علي حميد الدين الهاشمي عن خمس وعشرين سنة. كان قد شارف على علم الآلات. أخذ عن والده في العربية وعن أحمد بن يوسف زبارة في الفقه والعربية.

[حسن بن علي حميد الدين]

وفيها: جده أبو أبيه إسماعيل علي يوم الإثنين تاسع شوال. مولده تقريباً عام أربعين وكان قوياً في ذاته «متواضعاً»[3] قريب الجناب سهل الحجاب حسن الأخلاق راويةً لأشعار «المتوكل»[4] إسحاق بن يوسف بن المتوكل ومحمد ومحسن بن المتوكل والحسين بن علي بن المتوكل، متطلعاً للأحوال، عارفاً بأيام آل القسم. أخذ عن أحمد بن محمد قاطن وعن أحمد بن حسين الهبل وعن أحمد بن صالح بن أبي الرجال وعن يوسف العجمي وعن أكثر أهل الطبقة الأولى. أدناه الإمام المنصور بالله علي في آخر أيامه فلازم علّي مقامه، وهو الذي عناه القاضي محمد بن صالح بن أبي الرجال في قوله:

لم انصب الرمح عمداً حين طاردني ... خليفة الله بين الخيل والخُوَلِ
نصبت في عدم النصب الدليل على ... مَحبّتي لأمير المؤمنين علِي

وستأتي القصة إن شاء الله بترجمة القاضي عام أربع وعشرين، ودار بحضرته ذكر

---

(١) **قايفه**: هم قبائل قَيْفه إحدى بطون مُراد، منازلهم بالشمال الشرقي من رَدَاع.
(٢) **حُمَّى الدِقّ**: داء تعرفه العامّة بالسخونة الرفيعة. المنجد في اللغة ص (٢١٩).
(٣) نيل الوطر (١/ ٢٩٤).
(٤) «المتوكل» زيادة في «أ».

أهل مذهب الزيدية، وأنهم اشترطوا في الخليفة أربعة عشر شرطاً. فقال بعض الناس: هذه الشروط ما اشترطت في الأنبياء فضلاً عن الخلفاء وإنما الشرط اللازم في الإمام أن يكون مجاهداً لأهل الفساد منيلاً لضعفاء العباد مؤمناً للرعايا في البلاد، وما عدا هذه فلا حكم له. فقال المترجَم له: وأن يكون عالماً لأن الله تعالى قال للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾[1]، وأنه سبحانه عرض على الملائكة المسميات، فقال: ﴿أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ﴾[2] فلم يعلموا ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾، وقال: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ﴾[3]، فكانت الرفعة له عليهم بالعلم. قلت: وهذا الذي تكلم به المترجَم له هو في تفسير أبـي السعود بالمعنى.

[الأمير سندروس الحبشي]

وفيها: الأمير سندروس الحبشي متولي الحديدة[4]، كان مشكوراً على لسان الوارد والصادر، وفي أيامه ظهرت أمور ومناكر، وبدرت من الشقيق بوادر، وظهر أمر الموهبة بالساحل، فاستمال من أهل الدّرب كل شجاع باسل فنزلوا عليه، وأفهمهم أنه إن استفحل أمر الموهبه، لم يأمن الإنسان هجومهم، ورأى أشراف أبـي عريش ما يلين عن ذلك الشأن، وعلم أن الموهبة لا يمنعهم من الوصول إلى الديار اليمنية سيف ولا سنان، فاستدعى قبائل يام، واستمالهم بالانعام، وأرادهم على أخذ أبـي عريش، فضمنوا له كما قدّمنا ذلك.

وَدَخَلَتْ سَنَةُ سِتَةَ عَشَرَةَ وَمائَتيْن وَأَلْف

ففيها: كوارث الحوادث.

في شهر صفر سار أحمد حسين الفَلَقي ـ المقدم الذكر ـ إلى الدرعيه[5]، حضرة عبد العزيز مستنجداً له ومستغيثاً به من حمود بن محمد[6]، فلبث أياماً يطلبه الإعانة

---

(١) سورة البقرة، الآية (٣٠).

(٢) سورة البقرة، الآية (٣١).

(٣) سورة البقرة، الآيات (٣١ ـ ٣٣).

(٤) كان قد تولّى للإمام ولاية بيت الفقيه في بداية السنة (١٢١٥هـ) كما كان قبل ذلك أميراً علىٰ أجناده.

(٥) **الدرعية**: مدينة في العارض بنجد، كانت قاعدة الوهّابيين. خرّبها إبراهيم باشا (١٨١٨م).

(٦) **هو الشريف حمود بن محمد بن خيرات**: صاحب أبـي عريش، كانت له ولأسلافه ولاية المخلاف السليماني من تهامة ودعوتهم لأئمة صنعاء. وفي أيامه استولت جيوش نجد علىٰ البلاد المجاورة له ـ وهو ما يشرحه المؤلف ـ فقاتلهم، فهزموه، فانضوى إلى لوائهم. وقام بالدعوة لآل سعود، فاستولى على اللُحية والحُديدة وزَبيد وما يليها. واستقلّ بولاية أبـي عريش وصَبْيَا وضَمَد =

والإمداد، فأَذَنَ في قومه من أراد أن يذهب للجهاد مع الفلقي فليذهب فلم يخرج أحدٌ، ففرض على من حَوله خمس عشر مائة رجل، فعسكر بهم هنالك وراح عن عبد العزيز، وحمود بن محمد إذ ذاك قد اشتعل نار غضبه على الفلقي ورأى أن علي بن حيدر غير مأمون الغائلة سيما مع ثبوته على ولاية جازان، فعبأ زاده ورجاله، وسار بهم نحو جازان قاصداً لعلي بن حيدر، فحاربه بها أياماً وحصره ببيته، وحطّ مخيمه في جهة من جهات بندر جازان، ورتب بعسكر فاتك محلات لا يمكن مع ضَبْطِها فرار علي بن حيدر من بيته.

فوصل الفلقي وهو إذ ذاك مصادرٌ لابن حيدر يقدمه جماعات نجد وجماعة من أهل الشرق، صحبته عليهم الأمير حزام بن عامر كبير العُجمان، فمروا بدرب بني شعبة، وأسعروا على أهله حرباً حاراً من شروق الشمس إلى الظهيرة، فوقعوا على جانب من الدرب، فانتهبوا أهله وقتلوا رجاله، والأمير به يومئذٍ عرار بن شار[1]، فبعث جماعة من أصحابه على الجانب الذي أخذه الفلقي ومن صحبه خوفاً عليه منهم فجاءه الخبر بأنه لا مجال لوصول الرجال إلى تلك الساحة، فأَدْلَهَمّ عليه الخَطْبُ وزاد الكَرْب، وجاءه جماعة من عقلاء قومه فأشاروا عليه بالمجاملة والإغضاء والدخول تحت الحكم، فَلَانَ للفلقي عرارُ بن شَار وأخوته، وأرسل إليه أبـي مُسْلم ومعاهد: فابعثو من أقيم لكم الصلح إلى وجهه، فسار إليه جماعة من الموهبة فأدخلهم بيوتاً هنالك، وأنزل بعضهم بقصر في الدرب لا يمكن دخوله، فعاثت الموهبة هنالك وانتهبوا. فعاد عليهم عرار باللوم وأخرجهم من القصر وسائر البيوت، ولم يمتنعوا إذ وصلوا من الهجوم على أهل كل دير من بني شعبة، ولم يتحصن من أهل بني شعبة سِوَى ثلاثة بيوت، ولمّا أخرجهم عرار عن البيوت تنحّوا بإزائه، منضمين إلى قومهم عند قائمة الظهيرة، وسيّر عرار جماعةً من قومه إلى الفلقي وإلى حزام بن عامر يطلبون لأهل الدرب الأمان، فجنحوا معهم إلى ذلك فخرج إليهم عرار واخوته على الحِيَل وعاهدوهم على السمع والطاعة، وكان عرار يترشح في السابق للإمارة مع عجزه عن ضبط عشيرته، فصادفت هذه القضية هواً في فؤاده، فسار بعد ولايتهم له بسيرةٍ خارجةٍ عن الصلاح، وأعانته المشارفة على ما

= والمخلاف السليماني. واختط مدينة «الزهراء» وبنى قلاعاً وأسواراً. ثم انقلب على آل سعود ونشبت بينه وبين أنصارهم في اليمن حروب انتهت باستقراره أميراً علىٰ بلاد تهامة مستقلاً. وكان شجاعاً كريماً محباً للعمران، وفيه دهاء وحزم. وهو أول من استقل بالمخلاف السليماني عن أئمة صنعاء. توفي في الملاحة (من بلاد بني مالك بالسراة) سنة (١٢٣٣هـ). ولعبد الرحمٰن بن أحمد البهكلي كتاب في سيرته سمّاه «نفح العود بسيرة الشريف حمود» طبع وصدر عن إدارة الملك عبد العزيز آل سعود في الرياض. الأعلام (٢/ ٢٨١)، هجر العلم (٣/ ١٤٢٧).

(١) ضبطه المؤلف بعين مهملة مفتوحة فمهملتين بينهما ألف، وشار بمعجمةٍ فراء مهملة بينهما ألف.

يريد، ثم سار الفلقي بجنده إلى ساحل بيش، وحط مخيمه ببلاد الجعافرة، وبلغه اجتماع الأشراف وتسليمهم الأمر إلى حمود بن محمد وكان الأمر من قبل إلى أخيه يحيى بن محمد، فأقام الفلقي ذلك الأمر وأقعد وصال بجمعه هنالك، واشتد وزاد فيه العدد وانثال إليه من كل وِجْهَةٍ حَمَلَةُ السلاح ورُكَّاب الخيل، فبعث حمود بن محمد إلى أولئك القاضي أحمد بن عبد الله الضمدي، يكشف عن حال دعوتهم، وهل هم كما يزعمون أهل دين رادع عن الضلالة والجهالة، فيكون حمود أول مُجيبٍ لنصرتهم، وهل ما طلبوه حقاً يريدون به باطلاً أم ماذا؟ فسار إليهم القاضي فانتصب لمناظرته الفلقي فتراجعا، فقام الفلقي بحِجج ظهر منه فيها القيام حسداً ومنافسةً فتنافيَا واختلفا هنالك أشد الاختلاف، وافترقا عن مباينةٍ ولومٍ.

وعاد القاضي أحمد وأسرّ إلى الشريف ضلال الفلقي وأنه وإن أدلىٰ بحجةٍ فليس المراد بها سلوك المحجة، ثم لم ينشب أسبوعاً أَنْ وردت الأخبار بأنها خرجت غازية من محط الفلقي، وتوجهوا إلى ساحل ضَمد فوقعوا على مَلْفُوطَه ـ بميم مفتوحة فلام ساكنة فقاف مضمومة فواو ساكنة فطاء مهملة فتاء تأنيث، قرية هنالك ـ فقتلوا بها الضعفاء من الناس وسَبَوا النساء، واسترقوا الأطفال وأفسدوا وغيروا وأحرقوا، وأصاب أهل الشرق بعد ذلك ضجرٌ ووهن وسئموا البقاء فأزمعوا على الرحيل، فشكَىَ الفلقي شدة مفارقتهم وأنه لا يتم الأمر لعبد العزيز إلا بأن تبرّح الجهات العريشية من لوث المشركة ويُضْبَطْ حمود ويُغَلّ، ويشخصَ إلى عبد العزيز، فلم يسعِدهُ واحدٌ منهم وأنزلوه على عرار بن شار آخذين عليه الوثيقة في حفْظهِ ومنع حساده والأعداء منه، فاشترط عرار شروطاً منها: ألا يَمرّوا بديْرٍ إلا أسمعوا أهله أن عبد العزيز يأمركم بالمسير إلى عرار بن شار، فلا تتخلّف طائفة منْ إعانته. فأجابوه إلى ذلك، وفعلوا ما اشترط

فوردت على عرار طوائف ممن دخل تحت حوزة عبد العزيز، فشنَّ بهم الغارات، وبعثهم على أطراف تلك الجهات، فشق الحال بأهل البادية، وانقطع معاشهم وتنكدت أمورهم، وخافوا الاستيلاء على ما حازوه وأحرزوه. فسار كبراؤهم إلى عرار وعاهدوه على السمع والطاعة، فَعظُمت شوكته وصال بعد ذلك وأرعد وأبرق.

وما زال أمره في نمو وزيادة إلى أن استولى على وادي بيش، وخضع له متولي صَبْيَا منصور بن ناصر الحَسَني، فَنَفّذ أوامره، واجتهد معهُ، وجاء البريد إلى حمود يُخبره بأن أهل وادي بيش وصَبْيَا قد عاهدوا عراراً والفلقي فسيّر عالمه الحسن بن خالد الحازمي[1] ليأخذ له الحقيقة مَنْ أجاب من الأشراف بالمخلاف السليماني، وَمَنْ تنكّب

---

(١) **الحازمي**: عالمٌ محققٌ في التفسير والحديث والفقه وعلوم العربية، اشتغل بالكتاب والسُنة والعمل=

وأخذ عليه النزول بعرارٍ، وأن يفتح بينه وبينهم المناظرة فإن ألزموهم الحجة وإلاّ ثَوَّرُوا الحرب، فسار الحسن بن خالد وصَحِبه اخوانه الحوازم وبنو عمه، وكانوا اثنين وعشرين فارساً، والتفَّ عليه مائة رجل من أهل قرية ضَمد فبلغ خَبَره أشراف الذَّرَوَات[١] القاطنين بقرية الحسيني من أعمال وادي صَبْيَا ورئيسهم الشريف ناصر بن أحمد الذَّرَوِي، وأخوه حسين بن أحمد، فوصلا إلى حسن بن خالد في عشرين فارساً ومائة راجل، وسمع الأشراف الخُوَاجِيُّونَ[٢] بمسير الحسن بن خالد وورود أشراف الذَروات عليه، فساروا إليه ورئيسهم الشريف هادي بن مُطَاعِن في ستةٍ من الخيل.

وما زال خبرهم يسير في تلك الجهات فوردت من أشراف النُعميين[٣] اثنا عشر فارساً، ومن أهل الملْحَا ـ بميم مفتوحة فلام ساكنة فحاء مهملة فألف مقصورة[٤] ـ نحو خمسة عشر فارساً، وست مائة من ألفافها والفاف غيرها، وساروا مع الحسن بن خالد فدخلوا مدينة السَّلاَمة العليا[٥] وبينهم وبين أصحاب الفلقي نحواً من ثلاثة أميال، فأرسلوا إليه يطلبونَهُ المناظرة وسلوك جادّة الصواب، فعزم على السير بمن معه إلى السلامة السفلى[٦] وبين المدينتين نصف الميل، فجاءت العيون مُخبرةً للحسن بن خالد ومن معه بنزول الفلقي في لأمة الحرب، فتواجهوا وتَصَافُوا للقتال فما لبثوا حيناً حتى انهزم الفلقي وجيشه فظفرت العَريشية بأكثر من معه أسراً، وقُتِل في المعركة اثني عشر قتيلاً، ثم شرد أكثر الأسرى وعاد الحسن بن خالد وبين يديه منهم سبعون رجُلاً، وذهبت عليهم في المعركة جِمالاً كثيرة محملةً لازوادهم، ورجعت من بين يدي الحسن بن خالد كل طائفة من أصحابه إلى محلها، ولم يبق بالسلامة سوى خمسين

= بأدلتهما، والميل عمّا اختاره العلماءُ من الأقوال. هجر العلم (٣/ ١٢٢٣).

(١) **الذروات**: بالذال المعجمة. يُنسبون إلى السيد ذروة ابن الحسن بن يحيـى بن عبد الرحمٰن بن عبد الله بن داود بن سليمان بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبـي طالب. نيل الحسنيين لزبارة ص (١٥٥).

(٢) **الخواجيون**: هم سلاطين المخلاف السليماني. وكان منهم في الفترة التي يتحدث عنها المؤلف السلطان أحمد بن الحسين بن عيسى الخَوَاجي المتوفى سنة (١٠٢٨هـ). وقد ترجم لأعلامهم المطهر بن عبد الله الضمدي في كتابه «العقيق اليماني في وفيات وحوادث المخلاف السليماني».

(٣) هم آل النُعمي ـ بضم النون ـ نسل نعمة الأصغر بن علي بن فليته بن الحسين بن يوسف بن نعمة الأكبر بن علي بن داود بن سليمان بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبـي طالب. نيل الحسنيين ص (٢٤٠).

(٤) من قرى صَبْيا بمنطقة جازن. المعجم الجغرافي (٢/ ١٢٢٩).

(٥) من أعمال أبـي عريش، بمنطقة جازان. المعجم الجغرافي (١/ ٥٨٩).

(٦) من قرى العالية، بمنطقة جازان. المعجم (١/ ٥٨٨).

فارساً وسبعين راجلاً، وكان الفلقي قد استصرخ عراراً فاستَصرخَ الأمير أبا نُقطة، قبل أن يَعْلُو صِيْتُه وتتمكن دولته، فبعث أخاه عبد الوهاب[1] في أربع مائة من عسير، والتفت على عرارٍ نحو ألف من سائر القبائل، فأصبحوا محدقين بالسلامه من جهة الشرق والشام، ولم يكن هنالك من تلك الأجناد التي قاتلهم أولاً أَحَد فاستصرخ الشريف حمود أهل الملْحَا فورد عليه ثلاثمائة منهم منظمةً إلى الخيل والرحاله التي تأخرت بالسلامة، فكانوا نحواً من أربعمائة إلا أن الخيل خيل عظيمة، وركابها أهل شدة وبأس، لهم صولة هي أهيب في صدور العِدى من أسد الشرى، فتصافوا للقتال، وأشراف المخلاف ملجئون ظهورهم إلى قرية السلامه، ولهم بحصنها جماعة يحمون عنهم بالرصاص، فَدَنت خيل عرار وعبد الوهاب ممَن بالسلامة، فنادى أصحاب عرار وخيل الأشراف في كف الفتنة وتكون السعاية في إصلاح ذات البين، ولم يشعر أهل المخلاف إلا بوصول مدد من الشريف حمود في خمسين فارساً، وخمسين راجلاً، والقوم في مصافهم، فاشتدت ظهورهم بذلك الواصل وانكسروا فغُلِب الفَلَقي وعرار ومن معهم.

[خروج منصور لإعانة عرار]

وفي خلال هذه. خرج منصور بن ناصر[2] من صَبْيَا مُعيناً لعرار والفَلَقي في ستمائة من صَبْيا، فحط مخيمه قريباً من أصحاب الشريف حمود، وكان بين أصحاب الشريف وأصحاب عرار مقدار نصف ميل، وبينهم وبين منصور مثل ذلك فاستَشْعر العريشيه منه أمراً، فبعث إليهم أني مصلح بينكم وليس لي مَيْل إلى أحد منكم. فحكَّمُوهُ وسَعَى، وباطنه مع عرار على أن كلاً من الفريقين يرتفع عن مخيمه ويعود محله ولا يكون لأحد على وادي بيش يَدٌ بل ما كان إلى الشريف وتحت تصرفه فهو في وجه منصور بن ناصر وأصحاب الشريف حمود، ويكون منصور وَسَطاً وتُرفع المطارح. فجنح الكل إلى تحكيمه، وارتفعت محطة الأشراف عن السّلامه فما لبثوا أن جاءهم خبر عن عرار بأنه خان وخدَع، ونهب أهل السلامة وأسر واستولى عليهم، وتسلم الحصن وتحكّم في الأموال، وهذا في شهر القعدة من عامنا هذا[3]، فلما بلغ حمود ذلك أزمع على الخروج

---

(١) عبد الوهاب بن عامر المتحمي الرُفيدي العسيري.

(٢) الشريف منصور بن ناصر بن محمد الحسني التهامي: أمير صَبْيَا (وكانت تابعة لأبي عريش). عُرف بالشجاعة والدهاء، ونُعت بالملك العادل. وكان مرجع الجعافرة. ولمّا استولى آل سعود على «صَبْيَا» انتقل منها بإذن عمه الشريف حمود إلى أبي عريش. وترك السعوديون «صَبْيا» ولم يُعده عمه إلى إمارتها، فرحل إلى الشمال سنة (١٢٣٠هـ) مغاضباً لعمه، ودخل في طاعة الأتراك بمكة. وعاد مع جيش منهم لقتال عمه، فلما كانوا في جبال السراة ثبت لهم رجال الشريف حمود فانهزم الأتراك وقُتل الشريف منصور سنة (١٢٣٣هـ) الأعلام (٧/ ٣٠٥).

(٣) سنة (١٢١٦هـ).

بنفسه والمسير إلى المصاولة، وعسكر هنالك فاجتمع لديه من يام نحو مائتي رجُل ومن أبـي عريش نحو المائة والعشرين[1]، ومن سحار نحو المائة والعشرين، ومن سائر القبائل نحو المائة واستعرضهم في شهر الحجة، وسار بهم فالتفّ عليه من أهل المخلاف كل مشهور له بصر بالحرب والجلاد واجتمع معه نفر وافر من فرسان أبـي عريش.

وكان عرار قد استنجد جماعة من الموهبة، فقدموا عليه، فاستعرض عسكره فكانوا زهاء ثلاثة آلاف، فسار الشريف يريد السّلامه السفلى وهم بالسلامة العليا، فلما دَنَى منهم، خرجوا إليه وصفوا فعبأ أثقاله وعساكره ثم جمع الخيل في جناح الميسرة بحذاء خيلهم، فحملت الخيل على الخيل، وهي في مسايرة العدوِّ جولةً فجوَله، وانكسر الشريف حمود أولاً خِدَاعاً لهم، ثم اشتد فكانت الهزيمة العُظمى وصاح حمود: يا لثارات الأشراف عليكم السيد علي بن حسن فاشتدوا. وأحاطت به الخيل فأثخنوه ضرباً بالسيوف، وكان أعظم صايل في هذا الأمر وأقوى ساع في مخاذلة حمود، وكان يأتي عراراً فيطمّعه في الملك، وكان عالماً من علماء تلك الجّهات،

وفات عرار بعد الهزيمة ولم يُؤخَذ من خيله سوى فَرسَين، وأصيب بعض السادة الذين كانوا مع عرار، وانهزم صفهم بركض الخيل، وكانت هزيمتهم إلى القرية وحصنها، فاعتصموا بها. فأمر حمود من يحرقها عليهم فأحُرِقت فَقَتل بالنار منهم عشرين نفساً، وفرّ جماعة نحو الثلاثين فأسِروا، وأكثرهم بالقرية والحصن محصورون، من شروق الشمس إلى العصر، ورجع الشريف إلى مخيمه، وخرج عرار بجنوده ذاهباً في الليل، فبات حمود ليلته هنالك، ودخل صباحاً الحصن فأخذ ما وجد به من التمر والطعام، وأقام هنالك أياماً وهدمه وسار إلى ما حوله من القرى الداخل أهلها مع عرار فأخربها ورجع إلى أبـي عريش مؤيداً منصوراً.

[سيطرة ذو محمد علىٰ ذَهْبان]

وفيها: تحركت قبائل ذو محمد وذو حسين والزوامله منهم، في شهر جمادى الآخرة فبغتت طائفة ذو محمد ذهبان[2] باب صنعاء، وأخرجوا أهله ومن به من رتبة الدولة واستفاضوا على أعلا المحل وأسفله، وسلّطوا قُرَاشَهم[3] على أعنابه فأكلتها، وما زالوا به شهراً يخرجون عنه نهارهم فيتخطّفون المسافر، ويفعلون المناكِر، ثم

(١) **وردت في النسخة «أ»**: والخمسين.

(٢) من قرى بني الحارث في شمال صنعاء ما بين ثقبان والجِراف.

(٣) هي الدواب.

تحكّموا في الدولة، وتسلموا أموالاً واسعة، وذو حسين وصلوا فقصدوا باب المنجل[١] فانتهبوا به المسافر، ثم ساروا عنه صبيحة ليلتهم إلى أسفل وادي عَصِر، وتولّوا عنه نحو جهات آنِس فبغتوا جُمعة آنس[٢] وبني قشيب[٣] وما حولها، فنهبوا وسلبوا، وقتلوا وحاصروا من بالقلعة حصاراً شديداً، ثم تسلّموها بعد أن قتلوا أكثر من بها من الرجال والنساء والصبيان، وأتوا على جميع ما بالقلعة مما خفَّ لهم حمله، وأحرقوا الباقي وسار العامل من القلعة خائفاً من أن يظفروا به، فقد كان قَتل نحواً من عشرين نفراً منهم، وذلك ليلة الاثنين آخر ليلة من شهر رجب. كل هذا والدولة لم يتحرك لها رأس، وما زالوا بجمعه آنِس ونواحيها من ذلك الشهر إلى أول شوال، وتحوّلوا عنها بالأطماع فمرّوا من باب صنعاء، ولم يلقوا كيداً.

[فساد محسن الصّعر]

وفيها: في رجب اعتدى محسن الصّعر ببلاد عَمْرَان[٤] وأعلن الفساد، وأخرج من المدينة نواب الإمام، وتحكّم في دار الدولة.

وطلب القبائل من حاشد وأظهر أنه فعل ذلك لأسباب جرت بينه وبين أهل الجبل[٥] تغميراً منه، ثم حَصَّنها وأخرب بيوتاً خارج الحصن خوفاً من أن تظفَر بها الدَّولة.

ولما رأى الحاكم بها عبد الرحمٰن بن يحيى الآنسي[٦] ذلك خاف ففر عنها إلى حجة، وكان أمرها إليه.

[الفتنة بين نِهم وبني حِشَيْش]

وفيها: عادت الفتنة من نِهْم وبني حشيش واستدعى الحشيشيون قبيلة خولان، فسار إليهم النقيب سعيد أبو حليقة بجماعته، فنزل بهم وادي السِرْ وبقي هنالك أياماً، وتحصنت لمسيره قبيلة نهم بديارها ولم يقابلهم بقتال، فعاد سعيد أبو حليقة بجماعته،

---

(١) **باب المنجل**: هو المنطقة الواقعة في الطرف الغربي للطريق الأسفلتية الواقعة داخل جامعة صنعاء الجديدة. في الجولة المؤدية إلى مَذْبح.

(٢) **جُمعة آنس**: هي مدينة الجُمعة، عاصمة مديرية جبل الشرق في آنس.

(٣) **بني قشيب**: جبل وبلدة من مديرية جبل الشرق. وتُنطق بفتح القاف: بني قَشِيب.

(٤) **بيت الصّعر**: هم مشائخ عَمْران في قاع البَوْن.

(٥) جبل عيال سريح.

(٦) **الآنسي**: عالم محقق في الفقه، له مشاركةٌ في الحديث وعلوم العربية، أديب شاعر كاتب. له ديوان شعر مطبوع بتحقيق القاضي عبد الرحمٰن الأرياني؛ يضم شعره الملحون. أما شعره المُعرب فما زال مخطوطاً. هجر العلم (١/ ٣٧٥).

فاستقر ببلاده نحواً من شهرين، فثارت الحرب بين أولئك فاستدعوه ثانية، فسار إليهم، وانفتح الحرب، فكانت ملاحم قُتِل فيها عدة، وانتصف أحدُ الطائفتين من الأخرى.

وعاد في المرة الأولى أبو حليقة فما لبث أن جاءه خبر حصول المشاقَقة بين الحدا وخولان بسبب قتيل من أهل خولان قُتل بالحدا، فجمع قبيلة خولان واستدعى بني حشيش، فساروا إليه، فتقدم بهم فكانت عاقبة أمرهم صلحاً.

[خروج يام إلى التهايم]

وفيها: تحركت قبيلة يام وقصدت التهايم، فعاثوا بها وانتهكوا الحرمات، ونهبوا الأموال، واسترقوا النساء والصبيان، وعملوا من فضائح الأمور من الزنا واللواط، والإحراق، ما لا يعلم وصفه إلا الذي يعلم ما تكن الصدور[١]، وعادوا وقد أوقروا حمائلهم من جميع المُشتهيات.

[الجـــدري بصنعـــاء]

وفيها: كثر الجدري بصنعاء وأعمالها، فأصاب الصبيان فمات أكثر من أتى عليه.

وفيها: انقضّ كوكب عظيم بحذا بلاد شهارة، فسمعوا له بعد زَمن طويل وَجْبَة[٢]، وجاءت الأخبار بوقوعه بديار حرض من أعمال أبـي عريش[٣]، فأحرق عشاً هنالك.

[الحرب بين محمد علي سعد وأخيه]

وفيها: انفتح الحرب بين الشيخ محمد بن علي سعد وبين أخيه أحمد، فجهّز الشيخ محمد أخاه يحيى وولده قاسم محمد، والشيخ سنان بن حسرطة فمضت لهم في الحرب عشرة أيام، وأصلح الأمر بينهم القاضي محمد بن زين العابدين.

[الفتنة بين الشيعة وأهل السُنة]

وفيها: شهر رمضان، ثارت العامة وتحزّبت وظهرت الإِحَن من الشيعة، وصرخت الغوغاء في الطرقات والأسواق يلعنون معاوية، ويُسلمون علىٰ علي رضي الله عنه، وذلك ليلة الإثنين ثاني عشر شهر رمضان في الثلث الأول من الليل، وخرجوا من جامع صنعاء بعد أن منعوا إمام الصلاة من التقدم إلى المحراب جهلاً وغباوة وجفاءً وخرجوا إلى باب حسن بن عثمان الأموي فرجموا طاقات بيته ومنعوا الداخل إليه والخارج عنه

---

(١) هنا جملة مضروبة نصها: والدولة لم تتحرك بشيء كما هي عادتها.

(٢) وَجْبَة: أي رجفة.

(٣) هي غير مدينة حَرَضْ الواقعة في حدود اليمن مع السعودية.

والتفّ عليهم كل غاوٍ وجاهل، وما زالوا كذلك فطلب حسن بن عثمان عبيده الذين ببابه وجماعة من أصحابه، وأمرهًم أن يرموا بالبنادق، وحذرهم الرصاص خوفاً من القتل وتوسُّع المحنة، وقصدوا بيت الوزير الحسن بن علي حنش، وهو بالقرب من بيت ابن عثمانَ فرماهم أصحابه بالحجارة، فأذلقتهم فتركوه وعادوا على ابن عثمان يصيحون بلعنه، ولعن معاوية، والإمام بداره حائر الفكر من ثورة العامة.

وقصدت طائفة منهم بيت ناظر الأوقاف، إسماعيل بنِ حسن الشامي الهاشمي[1] فرجموه، وأفزعوا من في بيته من حريم آل رسول الله ﷺ فَصِحْنَ بالويل والثبور وهم يرجمون ويصيحون بلعن معاوية. وهذه حركات الأشرار أهل الفساد، فإنه سمع صراخ أولئك النساء جماعة منهم فأجابوهن انّا لا نقلع عنكن حتى تلعنَّ معاوية فلعنَّه، فتركوا الرجم، ولكن بعد أن فعلوا، وفعلوا. وقصدوا مدرسة الإمام شرف الدين لمّا بلغهم أن ناظرِ الوقف بها وهو من خيار أولاد علي بن أبي طالب، فوسموه بالنصب والبغض جهلاً وعتواً وعناداً وأرادوا قتله فأغلق عليه سنادرُها[2] مقصورتها فخرج من بابها الشرقي فقلعوا بابها الغربي ودخلوا، فلم يقفوا لَهُ على أثر، واجتمعت طوائفهم، وتقدمت باب الإمام، يصيحون بلعن معاوية، وتكاثر الجمع باب الوزير الأموي، فأرسل الإمام ولده محمداً، أن ينزل على الوزير بن عثمان بجماعته ليُؤمن روعته فأقبل فلما رآه الناس، تفرقوا، وحصل في تلك الليلة شدة في البرد جاوزت الحد.

وكان السبب في إثارة هذه الفتنة، أن المؤذن بجامع صنعاء أحمد حاتم رجل سوق محب للتظّهُر والرياسة، فرأى واعظ صنعاء علي بن إبراهيم الأمير[3] وقد انثال عليه الصغير والكبير، يسمعون وعظه الذي تلين له القلوب، فعارضه من قبل هذه الليلة بأيام، بأن عمد إلى بعض القُصَّاص، وأراده على التصدر للعام والخاص، ثم لم ينل مطلوبه، فاستخرج رأياً من الإمام في منع ذلك القاص، مُعِلّلاً بأن مقاله غير نافع للناس، فأشار عليه القاضي أحمد بن محمد الحرازي[4] بأنه لا يحسن إبراز ذلك الرأي،

---

(١) هو عالمٌ عاملٌ بما يقتضيه الدليل، مع إنصاف في جميع مسائل الخلاف. توفي سنة (١٢٣٤هـ). هجر العلم (١/ ٣٢٠).

(٢) سنادرُها: جَمْع سِنيدار. حَفَظتها.

(٣) ستأتي له ترجمةٌ في عام وفاته ـ سنة (١٢١٩هـ). وكان عالماً عابداً تقياً، واعظاً. حُبس في السنة التي يحكي المؤلف عن أحداثها (١٢١٦) وذلك ضمن مجموعة علماء تعرضوا للسجن؛ نتيجة فعل ثورة أهل صنعاء علىٰ بيوت وزراء الدولة.

(٤) من القضاة العلماء، عكف على تدريس الطلبة بجامع صنعاء في كتب الفقه والفرائض فانتفع به الطلبة وتنافسوا في الأخذ عنه، وكان شيخ شيوخ الفقه بصنعاء. ومن أجلّ تلامذته شيخ الإسلام =

وأن العامة ممن تقلب الحقائق سيَما والقاص قاعد لنشر فضائل أمير المؤمنين علي بن أبـي طالب رضي الله عنه، فما أرعوى وسلك سبيل الجهالة والغوَى، فاطلع القاص على أمر الإمام فأمسك عن قصاصته، ولزم بيته، وسارع ذاك المؤذن إلى المنارة فأذّن بها قبل العشاء، وقت العَادة، (خوفاً من أن يقص القاص قبل العشاء، لأنه الوقت الذي اختاره للذكر وأراده)[1].

فعلمت العامة أن ذلك لمنافسةٍ وهوَىً، كامن، ففعلوا ما فعلوا. وفي صباح تلك الليلة قعد الإمام وجمع وزراءه وقاضيه البدر محمد بن علي الشوكاني في آخرين من الحكام، وفاوضهم في الأمر غير أنه أستبد بالرأي، فسجن علي بن إبراهيم الأمير واعظ البلدة، وسجن القاص والمؤذن، وناظر الوقف وثلاثة آخرين لهم في ذلك الأمر سعي كإسماعيل بن عز الدين النُعمي، وأحفىٰ السؤال عن المعتدين بالرجم، فرفع إليه جماعات فأودعهم السجن، ولم يظهر له إلا الأقل، إذ كان الحادث ليلاً سترهم عن الظهور.

وفي اليوم الرابع من شهر شوال، طلب الأشرار، فأخرج كل من يعرف بالجهالة، وأحضر العِصِيّ فضربهم ضرباً عنيفاً وهم تسعة عشرِ نفراً، ثم أشخص المؤذّن من السجن إلى باب داره وخرج إليه الوزير علي بن حسين الانسي فتهدده وحط من جانبه، وأعلمه بأن أولئك في ذنبه، بعد أن أهين وعزر بغير الضرب، وأعاد أولئك إلى السجن.

وفي اليوم التالي[2] طلب من السجن الغوغاء والأوغاد، وكان قد سار من دار الإسعاد[3] ونزل بـ(بير العزب)، فأشخِصُوا إلى باب داره دار المسرّة، وكانوا نحواً من اثنين وأربعين نفراً، فأذاقهم العذاب بالضرب، وحمل على خمسة نفر الحرانات فَدُقت على ظهورهم، وداروا بهم وهؤلاء كانت قد وجدت لديهم أعيان المتاع المأخوذ من باب الوزير الأموي، وما زال الجميع بالسجن تلك الأيام، وأبدل الإمام بالجامع مؤذناً صالحاً تقياً.

وفي: اليوم السابع والعشرين من شهر القعدة[4]، سفَّر الإمام جماعة من أولئك

= محمد بن لي الشوكاني. توفي سنة (١٢٢٧هـ).

(١) ما بين المعقوفين زيادة في هامش النسخة «أ».

(٢) **وردت في الأصل**: اليوم الثاني. والأصوب ما أثبتناه.

(٣) كان موقع دار الإسعاد في حي الطَواشي، جنوبـي جامع أزدمر المعروف حتى الآن. انظر كتاب الدكتور حسين العمري: مائة عام من تاريخ اليمن ص (٧٨).

(٤) سنة (١٢١٦هـ).

الأشرار، وغلّهم بالحديد، وأودع ستة عشر نفراً منهم قلعة كمران، وستة عشر نفراً منهم جزيرة زيلع وبعد أيام أطلق وجُوهَ الناس من سجنه بصنعاء، وحصل للإمام من الشدة والهيبة، والرهبة ما منع الناس من سلوك الطرقات التي يمشي بها الإمام فكان إذا خرج عن داره لا تلزمه سوى بطانته ولا يستقيم بالطريق للنظر إليه أحدٌ.

[خبر إستيلاء الجنود السلطانية على مصر]

وفيها: وصلت كتب من شريف مكة مُخبرةً باستيلاء جنود السلطان على الإسكندرية، ومصر القاهرة، وإزالة أكابر الشرك من جميع أعمالها، وقد تلقينا بهذا العام أخبار مصر وماجرياتها ببيت الله الحرام، واستفصحنا بـ(عَرَفَه) الوزير الهمام عثمان بك أمير حاج مصر، وأحالنا على بعض نقلة الأخبار ممن يصحبه في الحضَر والأسفار، فأتينا على جميع الأمور التي جَرت وأودعناها كتابنا المُسمّى: قرة العين بالرحلة إلى الحرمين، فلا نطوّل بالإعادة.

[غزوة سعود إلى كربلاء وتحطيم قبة الحسين]

وفيها: كانت غزوة الحسينيّة، وهي على شهر للمجدِّ من الدِّرعيّة، وهذه الحسينيّة هي المعروفة سابقاً بـ(كَربَلاء)، من عراق العَجَم[1]، أهلها رافضة يكفرون جماعات من المسلمين، فسار إليهم سعود بن عبد العزيز عن أمر من أبيه، وجنوده ستون ألفاً، مقاتلاً راجلاً وألفان وخمسمائة فارساً، فطوى مراحلها ليلاً ونهاراً ووصلها بغتة ورأى مدينتها محفوفةً بالنخيل، ولها سورٌ مرتفع طويل، فزحف بجنده وأمرهم أن يتعلقوا بالنخيل اللاصقة بالسور، فتسوّرها أبطال قومه، وانحطّوا على داخلها، لا يلوون على من قُتِلَ منهم وبادروا أبوابها فضربوها بالفؤس حتى تفتحت وذلك عند طلوع الشمس. ولا علم لأهلها بما دهمهم، فانتشروا بداخلها كالجراد، وقُتل منهم عدة، وحُصرت القتلى من أهل كربلاء، فكانوا أربعة آلاف وقَتَل جُند النجدية بعضهم بعضاً غلطاً، ولما تخللوا المدينة، وقعوا من دورها على أموال تضيق عن الوصف، نقوداً وجواهر وحلياً ومُلبوساً ومفترشاً، وأخرجوا ذلك عنها إلى مخيم سعود، وعادوا فهدموا أعلىٰ قُبّة الحسين وأخذوا ما علىٰ قبره من نفائس الصور التي من الذهب العين، واقتلعوا اليواقيت المُصمته بالتابوت، والجواهر الغالية الثمن، وسلبوا قناديلها المعلّقة وأكثرها ذهباً خالِصاً وسلبوا ما علىٰ جدارنها من الآت الحرب كالسيوف الثمينة الفاخرة، ومما أخذوه غزالاً مصوّراً من ذهب، كان على القبر.

وذلك يوم مشهود، ولم يسع أكثر أهل كربلاء حين فاجأهم ذلك الحادث، وهُم

(١) يتحدث عن مدينة كَربَلاء الواقعة على جدول الحسينيّة المتفرع من الفرات جنوبـي بغداد.

على غير أهُبَة إلا الاختفاء بالغارات الذاهبة في الأرض، ولم يبرز منهم إلا مَن كان له قوةٌ وبأسٌ، ولقد أخبرني عبد العزيز بن أحمد الدرعي الواصل حضرة الإمام أنه كان في ذلك الجيش، وأنهم لمّا صَبَّحُوهم، ودخلوا عليهم من كل باب، لجأوا إلى مشهد الحسين، يستغيثون به ويسألونهُ هلاك عبد العزيز وسعود وجنودهما، قال: فقتل بالقبلة التي يُصَلُّون بها إلى قبر الحسين ويستدبرون الكعبة نحواً من أربعمائة نفس. ولمّا حانت صلاة العصر، نادَى سعود في الناس: ألا لا يُقيمنّ أحدٌ بالبلدة فإن سعوداً قافلٌ. فخرج الناس إليه، وكان قد جاءه الخبر بالتفاف القبائل عليه فسار في ليلته مُجِدّاً مثقلاً بالغنائم، ولم يَبْرح في سَير إلى أثناء نهار اليوم الثاني ونزل على ماءٍ هنالك، وسأل أهل الخبرة من أصحابه: كم قطعنا في هذه الليلة من الطريق؟ فقيل له: ثلاث مراحل، فقعد للناس يقسم الغنائم فكان للراجِل ثلاثة عشر ريالاً، وللفارس ستة وعشرون ريالاً، بعد أن باع المتاع في أعراب القبائل التي نزل بها بأبخس الثمن، وجاءه حملتها «أهل التجارة»[1] والتزموا له بإيصال أثمانها إليه، «وإلى جنده»[2] موفرة، وهذا الذي قسّمه غير ما استصفاه لنفسه، وراح من نصف ليلته المقبلة مُجِدّاً في السّير قال عبد العزيز بن أحمد: وسألنا سعوداً عن حثه للسير؟ فقال: خرجت لهم غارة في جيوش جرارة من حلّة بغدا.

وكان قفوله من كل الساحات آخر شهر الله المحرم من سنة سبع عشرة، فكان جملة ما أحصى من المال للرجال غير الركبان سبعة وثلاثين مائة ألف ريالاً فرانصه، وثمانون ألفاً ريالا فرانصه، وللركبان ستمائة ألف وخمسون ألفاً، فكانت جميعاً عن أربعة وأربعين لكاً[3] وثلاثين ألفاً قروشاً فرانصه.

[قاسم بن عبد الرب. شاعر كوكبان]

وفيها: ليلة الثلاثاء سابع عشر صفر[4]، القاسم بن عبد الربِ بن محمد بن حسين[5]. نجم كوكبان، عن اثنتين وأربعين سنة. مولده جمادى الآخرة عام أربعة وسبعين ومائة وألف، تخرج بعمه عيسى بن محمد، ثم عَانىٰ صَوْغ الأشعار، فنظم المحبَّر المختار، وعزَى على كثير من المعاني، فأخذ منها الجيد وابتز. وصار بين أهل

---

(١) زيادة في النسخة «أ».

(٢) زيادة في النسخة «أ».

(٣) **اللّك**: عشرة ملايين. المنجد في اللغة ص (٧٣١).

(٤) سنة (١٢١٦هـ).

(٥) نيل الوطر (١٧٩/٢)، البدر الطالع (٤٥/٢)، هجر العلم (١٨٩٨/٤)، أعلام المؤلفين الزيدية (٧٧٠).

الحصن كأبن المعتز. شاعراً مفلقاً تناقل شعره الأكابر، ورزق الحظُّ في وقته. وجمع ديوان شعره وسمّاه (الزَّوْرق في ما حلا ورقّ وتحلّت به الورق)[1] وله وهو مما لم ينسج على منواله في تشبيه نسج العنكبوت، وتمثاله. قال رحمه ذو الجلال:

ونهـر كـالسمـا والـزُّهـر فيْـهِ زهـورٌ بثهـا كـف النسيـم
لـذا نسجـت خِـدَرْنَقُـه عليـه بيـوتـاً مثـل زيـرجـة النجـوم

وله في تشبيه الشمعة وهو مما لم يسبق إليه:

وليـل كمثـل الصبـح أُنْسـاً قطعتـهُ وأضْحَـت عيـون العَـذَل عنّـا بمعـزلِ
تنـوب عـن الشمـس المنيـرةِ شمعـةً علـى رأسِهـا ضـوّ الـذبـال المفتَّـل
كمعصـم صفـراء الـذِّراعيـن أقبلـت وقـد قبضـت فـي كفهـا ريـش أَخْيَـلَ

وله يصف الليل والشمعة:

وليـل كـأَدْهَـمَ لكـنَّ مَـا فـوارسُـهُ طـارِقـاتُ الأَمـانـي
تَخِـذْتُ لتمـزيقـه شمعـةً كمـا اتَخَـذ الـرمـحِ يـوم الطّعـان
فبـاتـت تكسَّـر فـي نحـره مِـراراً فلـم يبـق غيـر السنـانِ

وله في القول بالموجب مع التورية:

أفـدى الـذي قـد قـال لـي مَـرّةً وعـاذِلـي يسمـعُ مـن قُـرْبـي
مـا القـول بـالمـوجـب يـا سيـدي قلـت مُنَـاجَـاتِـكَ بـالقلـب

ومن أفانين سحره ومستجاد شعره ما بايع به مَلِكَ الجَمال ومدّ كفّه على السماحة والإقبال، واشترط عليه الوصال وكلما يلزم الملك الوفاء به لأهل الأحوال فقال:

شَهَـر السيـوف عـن اللـواحـظ واغتـدى يَـدعُـو لبيعتـه مـريـدَ وصـالـهِ
فمـددت كفـي واشتـرطـت شـرائطـاً منهـا بقـاء الـوُدِّ مِنْـهُ بحـالـه
والعـذل «لا يصغـي إليـه»[2] لأنّـه داع إلـى أعـراضـهِ ومَـلاَلِـهِ
وزكـاة كنـز الثغـر مصـرفهـا إلـى مـَن يستحـق الصـرف مـن أمـوالـهِ
والصّـب مـن أهـل الخصـاصـة غـارم قلبـاً يُسَـوِّغُـه زكـاة جمـالـه
فـوفـى بشـرطـي بـرهـةً مـن دهـره وسمـاحـةُ السلطـان فـي إقبـالـه
حتـى إذا علقـت بعنقـي بيعـةٌ منـه وذاب القلـب مـن بلبـالـه

---

(١) أورده الأكوع بلفظ: وتحكَّت به الورق. والأصح ما هو هنا.

(٢) وردت في «ب»: لا يُقبل عليه.

أَبـدَى الصـدود وزاد فـي إعـراضـه ... عنـي وأيئَسنـي طـروق خيـالـه
فصبـرتُ والصبـر الجميـل سجيتـه ... طبعـت عليـه النفـس يـوم نيـالـه
وجعلتـه درعـاً لحظـى عنـدمـا ... أضحـى يُفَـوقُ لـي سهـام نبـالـهِ
لا ذنـب إلا للعيـون لأنهـا ... جلبـت محبتـه لقلبـي الـوالـهِ
يـا حـادي العيـس الغليـظ فـواده ... رفقـاً فقـد أودى السَـرى بجمـالـه
هـل مـن فـؤادٍ يستفـادُ لـديكُـمُ ... قـد ضـاع يـوم البيـن بيـن رحـالـه
ولقـد سـألـت الـركـب عنـه مـرةً ... فـأصـمّ عنـد سـؤالـه بمـآلـهِ
وعلمـتُ أنـك عِـدّتـي مـن قـادمٍ ... ولأنـت أحْفـىَ النـاس عـن تِسـأَلِـهِ
أو لا فـدعنـي والـذي فـي كفـه ... قلبـي فـإنـي مـولـعٌ بسُـؤالـه
فلعلـه أَدرَى بـه ولعلنـي ... بيمينـه ألقـاه أو بشمـالـهِ
وكـأنَّـه استـلَّ الـؤاد وقـد لهَـتْ ... نفسـي بلقـط الـدُر مـن أقـوالـهِ
لمـا سـألـت الـوصـل منـه يكـون فـي ... رجـب فـأخّـرة إلـى شـوّالـهِ

ومن شعره المنسجم العذب السهل وفيه معنًى مبتكراً وحسن تعليل بديع:

غـرامٌ لـم يـدنـس بـالنـواهـي ... بقلـبٍ قـد تمـرّس بـالـدواهـي
ووجـدٌ لـو تحمّلـه ثبيـرٌ ... لأضحـى جسمـه كـالصَّـب واهـي
ودمـعَ لـو تسـاوى والغـوادى ... لمـا افتـرقـا لفـرط الاشتبـاه
إذا استسقـى الأنـام الغيـث قـالـوا ... أرعـد بـالتفـرق يـا إلهـى
لكـي نبكـى علـى الأحبـاب حتـى ... يعيـد نضَـارة الـدنيـا كمـا هـي

قلت: وقد كاتب عدة من الأعيان ورأى طريقة رفيقنا القاضي عبد الرحمن بن يحيى الآنسي في الشعر، فسلكها وكاتبه بها. ترجمه عبد الله بن عيسى بن محمد[1] وإبراهيم بن عبد الله الحوثي[2] والبدر الشوكاني وغيرهم.

[حسن بن ناصر بن محسن]

وفيها: يوم الثلاثاء ثالث جمادى الآخرة، حسن بن ناصر بن محسن بن حسين.

[حسن بن عثمان العُلُفي]

وفيها: يوم السبت سابع ذي الحجة الحرام، حسن بن عثمان الأموي[3] وزير الخليفة الأعظم، والدستور الأفخم عن نحو السبعين. كان من أعراب البادية الجُفاة،

---

(١) في كتابه «الحدائق المُطلعة من زهور أبناء العصر شقائق».
(٢) ضمن كتابه «نفحات العنبر بفضلاء اليمن».
(٣) نيل الوطر (١/ ٣٤٢)، هجر العلم (٣/ ١٤٤٨).

فتنقّلت به الأحوال، ولَحَظ إليه الإقبال، وكان باديء أمره يضرب الأرض بالترحال لصلاح الحال، ويقصد العمال في التهائم والجبال.

ولنذكره وجماعته من أهل بيته ونشير إلى ارتفاع صيتهم بصيته، وأُس نعمتهم في التعلقات الملوكية هو الفقيه علي بن حسين الجرافي، فأنه سأله الوزير علي بن يحيى الشامي نائباً على كتابة اللُحية[1]، فقال: لا أجد رجلاً كاملاً لها، مثل محمد بن عثمان.

[صنو المترجَم لـه]

فاستنابه لها، وبلغت عنه أحوال في السياسة وَرَصَانَةً في العمل وحِفْظ لما يتحصل للدولة، فأعُجب به المهدي العباس فاستقدمه، فَقَدِم عليه، وأقام عنه بزبيد عبد الملك بن أحمد العُلُفي وأقام بصنعاء أياماً، وطلبه المهدي فجعله على كتابة بيت الفقيه ابن عُجيل وكانت لعلي بن حسن الأكوع وكان نائبه بها غير مرضي عند المهدي العباس، فسار إليها فكان كما يريد الإمام، ثم استقدمه منها فوصل حضرته فأقام مكانه للكتابة حميد بن عبد الله العلفي، ولما استقر بحضرة الإمام المهدي، قلده ولاية كسمه[2] وبلادها، وكان بها الحسن بن يوسف الحسوسة فارتفع عنها، لأنها تلاشت أحوالها معه، وكان المتوسط علىٰ الحسن بن عثمان في ولاية كسمة الوزير علي بن يحيى الشامي. وأما أخوه محمد بن عثمان فإنه طلبه الإمام من اللحية، فأقام عنه بها الحسين بن أحمد العلفي الوزير فبقي بها إلى أن طُلب أيام المنصور، وأقام بها عنه عبد الملك، ولما ولي لعلي بن يحيى الشامي آخر أمره كسمة، وساق منها إليه أموالاً جمة، فاشتغل به وعلقه بسببه، وكانت له بكسمة ما جريه، قدمناها عام أربع وتسعين، ولما حان وفاة الوزير علي بن يحيى الشامي، أوصى الخليفة باستعماله للوزارة، ووصفه بالتأهل للإمارة والصدارة، فأودعها أذناً واعية، فاستقدمه الإمام المنصور عند موت علي بن يحيى وقلده العهدة العظمى فأبان عن سياسة وكياسة وإقدام وإحجام ونظر في العواقب وبصر في الأمر الذاهب، خلا أنه أضعف أرباب الدولة والمتولين واستدعى أقاربه وأهله الجفاة من البادية. وعلقهم بأمور المسلمين، وصدرهم وأجلهم، وأعظمهم وأولاهم الثغور، وحكّمهم في الجمهور فخبطوا وعاثوا واحتمل لهم كلما أفسدوا ولاثوا، وكان لا يبالي بما وقع مع شجاعةٍ وثبات جنان. خلا أنها غلبت عليه الأوهام في الخاص والعام، وكثرت معه الظنون في الأعلام، فوضع بذلك أمةً من الناس، ورفع أهله من بينهم على الرأس، وقد قيل أنه أدرك من هذه الحادثة التي سلفت بعامنا في فأوّصى أهله وذويه بإنزال الضُرّ بالمسلمين لينتصف منهم بما جرى له. فإنه من بعدها

(١) اللُحية: بلدة في شمال الحديدة بمسافة (١٢٠) كيلومتراً. تقع علىٰ ساحل البحر الأحمر.

(٢) كسمه: مدينة وحصن في ريمه.

عادى الصغير والكبير، واتهم المجرم والبريء وكان يقول: لا أعجب من شيء سوى تَسَلُط أحمد بن إسماعيل فايع على الخليفة أي لأنه عقد مع الوزير محمد بن أحمد خليل أمراً عند المنصور علي وخلفته من الوزارة، وأسعدهما إلى المراد فخرجا وتقاسما ما تحت يدَه من البلاد، ثم حملا الإمام عليٰ أن يرسل إليه ليخلعه مواجهة بين يديه ففعل فجاءه الداويدار بطلاب حال أن بلغه الخبر بما أبرما له على لسان أحمد محسن الحيـي فحدّث أحمد محسن أنه سمعه يقول، وإن فعلا فلن يقدرا على المضرّة إلا أن يكون الله قد أراد. فما استتم هذه الكلمة حتى جاءه رسول الخليفة، فبال على فراشه، ونَهَض فلما مثل وقام بين يدي الخليفة لم يحتشم وتكلم بما أُفهِم أنه كان في صلافة عند ورود الرسول وأنه في معانات الآته، فضحك الخليفة حتى سمعه ابن عثمان ومحمد خليل وكانا بحجرة الدار ثم سأل من الإمام الأذن له بالرجوع، فأذن له فخرج مسروراً، فأيسا من فلاحهما، كذا حدثنا أحمد بن محسن الحيـي. وبمثله حدثنا القاضي الوجيه عبد الرحمٰن بن يحيـى الانسي.

قال المؤلف غفر الله تعالى له: مات فجاءني خبر موته بعرفات يوم ثالث موتة. سمعت قائلاً يقول: مات وزير المنصور، ثم لما كان ثالث النَفْر، وصلت إلى يوسف بن إبراهيم الأمير بمكة، فدخل علينا رجل هندي قصير دميم الصورة، شديد الحمرة، له وفرة فألقى إلينا كتاباً فسألناه فلم يَجري جواباً فقصصنا ختامه وإذا به خط منكر أفصح عن موت الوزير وأن ولده قد تصدّر فكذّبت ذلك، وسألني يوسف عنه أمريض هو؟ قلت: لا. ولمّا ارتحلنا إلى المدينة المنورة وعدنا جاءتنا الأخبار من التجار في جُدّه بأنه رفع إليهم أهل بندر اليمن موته في تلك المدة. ولما استقر ولده بدست الوزارة، واشتغل بالصدارة خبط وعاث ولاث، وقدّم وأخر فأفسد أعظم مما ترك وأكثر وتلاشى به أمر الدولة، وانتُزعت الهيبة من صدور الرعايا، وفُقدت الصولة، وخَرجت بنادر التهائم عن حوزة الدولة ودخلت إلى حُكم أبـي عريش، وأُخرِجَت الأتباع وبطانة الدولة عن مراتبهم. وبَدَرت بذلك المصائب، وكثرت النوائب، وخرج في أيامه بعض تجار الإنكليز إلى بندر المخا، فأراد الوصول حضرة الإمام فاستفهم عن عمره وعمر الوزير فقيل له: الخليفة في السبعين والوزير في خمس وعشرين، فَثَنَى عنان همه وقال: أَمْرَد لا يُرجّى. وما زال يتعجب، وستمر بك الأحوال الصادرة عن حركات الوزير.

وفيها: يوم الإثنين ثالث وعشرين شهر الحجة، علي بن يحيـى بن عبد الله بن إسحاق[1] عن ستين سنة. خرج مرات مبايناً للأيام ولم يقض له في الخروج مرام مع التفاف بعض القبائل عليه ولكنه كان ضعيف الرأي بحيث يظهر ضعف رأيه لأهل الغباوة والبلادة.

---

(١) نيل الوطر (١٦٦٢) عن ما هنا.

ودَخَلَتْ سَنَةُ سَبْع عَشَرَة وَمائَتَيْن وَأَلْف

فيها: آخر المحرم بلغ سعود دياره من غزوة الحُسينية.

وعقد الإمام بولاية اللحية والزيدية للأمير صالح الحبشي مملوك عبد الملك بن أحمد القرشي، وسيّر الإمام كاتباً على الزيدية رفيقنا عبد الله بن علي الحيمي، وخرج الأمير صالح من اللحية إلى بلاد الزيدية فلم ينتظم له أمر.

وفي آخر شعبان وصلت الكتب من العريش بأن عبد الوهاب قد توجه إلى أبـي عريش، ثم جاءه الخبر بأخذه لها فسقط في يده فإنه ما خرج شهر شوال منها إلا وقد سرَى الأمر إلى الزيدية.

وأَخَذَ حمود بن محمد[1] مدينة مور بيد القهر، وهرب الكاتب إلى الحديدة، فما استقر قليلاً حتى ورد الأمير صالح بنفسه ومحطته وبيوته وصحبته السيد حسين الشخص المعروف بابن جحّاف كاتب اللحية ومعه يحيى بن علي فارس فدفعهم صالح بن يحيى عن الحديدة خوفاً من إضمارهم الشر فسار بمن معه إلى بيت الفقيه وبها فتح سعيد فمنعه من دخولها فحط في التربة[2]، وكتبوا إلى الإمام بذلك فأذن بدخولهم جميعاً بيت الفقيه فدخلوها وكان ما سنقصه عليك بطوله من الحوادث والكوارث.

[فرار الناس في البحر إلى القنفذة]

وفيها: مررنا في البحر إلى جزيرة القنفذة خوفاً من طامي بن شعيب، فاستدعانا وزير غالب بالقنفذة: بكري بن عثمان فخرجنا إلى ساحلها فواجهناه، فأفصح لنا أن العدو بمرسى الشُقَيق وأنه قد أخذ مركب محمد جيلان، وطلب منا القدوم والتجهيز عليه فراجعناه، وأفصحنا بأنا إنما وردنا لقضاء فريضة الحج وليس لنا سلاح ولا لنا خبرةٌ بقتالِ البحر. فلم يسمع وجزم بما فاه به وقَطَع، فعُدنا في حيرة من ذلك، ولم نشعر إلا وقد أرسل مدافعه وزانَتها ومِيْرتَه إلى السفينة التي نحن بها، فرجعنا إلى الله أن يكفينا همّه، فما هو إلاّ أن أقبل الليلُ وحصل بساحل القنفذة حريقٌ عظيم، واختلف عليه أصحابُه، وعصوه في مراده فأطلق المراكب التي حَيّرها ورفَع ميرته منها، وطلعت ساعيتان حربيّة ناشرة للألوية والأعلام يضربون بها الريح والمرافَع، متوجهةً نحو الشُقيق فسألنا عنهما فقيل لنا طائفة أرسلها صاحب الحديدة صالح بن يحيى فتقدمت فأطلقنا صاحب القنفذة، ورحنا ولم نشعر في الحديدة إلا بوصول الساعيتين يَجُران خلفهما مركب محمد جيلان، فَحدّثوا عن قتلةٍ كانت بينهم وبين صاحب الخسعة طامي بن شعيب.

---

(١) **الشريف** حمود بن محمد بن خيرات.

(٢) **التربة**: قرية جنوبـي مدينة زَبيد بمسافة تسعة كيلومترات.

[تعاهد أهل شهارة على حفظ بلادهم من النجود]

وفيها: أول هذا العام كان جمع كبيرٌ بين أهل مدينة شهارة، وبين الرؤساء والأعيان عقال القبائل وحكام الجهات، فتعاهدوا على حفظ البلاد الشهارية وما إليها من الأهنوم وظُليمه وغيرها، وَرَدٌّ من جاءَ من دُعاةِ صاحب نجد، وأجمعوا أن داعية أهل الشِام خارجيّة محضة، وأن الكل عون على الحق وأنه إن انبثق بحر الفتنة من محل انثال الآخرون من سائر الجهات إليه، وما زالوا على هذا العهد حتى كان من أمرهم في شهر ربيع من سنة ثماني عشرة ما كان.

[قصد علي بن عبد الله الشايف لبلاد رَيمه]

وفي: رجب منها سار علي بن عبد الله الشايف[1] بقبائل ذو حسين ناشراً لأعلام الفساد، فقصد بلاد ريمه والجبـي فانتهب الرعايا، ووقع على الأموال وفعلَ أصحابه القبائح واستحلّوا المحرمات، وما زالوا كذلك إلى شهر شوال وسار بالأثقال لابلّغهُ الله الآمال.

[فتنة أهل شهارة بسبب اليهودي]

وفيها: شهر شعبان أرسل عباس بن إسماعيل بن أحمد بن قاسم بن المتوكل صاحب شهارة من يضبط يهودياً، في جوار محمد بن الحسين بن المؤيد الشهاري، وكان منزل اليهودي خارج مدينة شهارة، فضبطوه فأودعه عباس في سجنه، فراجعه في ذلك محمد بن الحسين، فلم يلتفت، فأرسل محمد بن الحسين إلى رجلين من آل المؤيد وعاهدهم على الثبوت معه، وبعث من يميل إليه من القبائل فحضروا، وبغت في الليل إلى المحل الذي سُجن به اليهودي وهو ببيت عباس، فأخرج اليهودي، وأمر أهل البندق والسيف أن يحفظوا المكان الذي به عباس، لئلا يخرج منه فإن خرج قتلوه. فثارت غارة من حَفَظَةِ اليهودي فقتلوا واحداً من أصحاب ابن المؤيد وجرحوا آخر، وبلغ الحال بمحمد بن حسين أن حمل اليهودي على ظهره، وكذلك ولده أخرج ولد اليهودي على ظهره وسارا إلى بيتهما، ورتّب محمد بن حسين بيته، ومما يليه من بيوت آل المؤيد، ورتب السمسرة بجماعة أهل الشدة، وانفتح الحرب بين آل المتوكل وآل المؤيد في اليوم الثاني.

وسَعى في الصلح بعض أعيان أهل شهارة، ولما مضت مدة الصلح، قال بعض

---

(١) **الشايف**: هو كبير زعماء بكيل. وقد استمرت عمليات تمرده على الإمام ودخل معه في مماحكات انتهت بأن سجنه الإمام ثم أمر بقطع رأسه سنة (١٢٣٣هـ) كما سيأتي تفصيله للمؤلف. وانظر كتاب الدكتور حسين العمري: مائة عام من تاريخ اليمن ص (٢١١ و٢١٧).

قبائل شهارة من أهل المقتول لعباس الرأي فتح الحرب بيننا، ففتحوها فَقُتِلَت امرأة من آل المؤيد برصاصة، وقام آل المؤيد بجدٍ فدام الحرب بينهم شهراً ولما تفاقم الأمر سَعَى حاكم المدينة وإسماعيل بن حسن بن علي المؤيد على أن يعطي أهل القتيل الدية، يسلمها محمد بن حسين ودية المرأة نصفان نصف على عباس ونصف على ورثة المقتول وقبائل شهارة، وانفصل الأمر.

[تجهيز صالح بن يحيى علىٰ أهل الشُقيق]

وفيها: شهر شعبان جهّز صالح بن يحيى من بندر الحديدة جيشاً في البحر فعبَّأ لهم المراكب بالأزواد والأموال، ونصّب بها المدافع وأمّر على أولئك فتاه النقيب سلطان المنصور[١]، وألزمه المسير بهم في البحر حتى يأتوا الشُقيق، وأمرهم أن ينزلوا بساحله إذا لم يجدوا صائلاً في البحر، فلما قاربوا الشقيق إذا بالسواعي تجول. فقال بعضهم لبعض: يا قوم هذه سفن الموهبة بُغيتكم والله فقالوا: ما نبغي سوى طامي بن شعيب[٢]. فقالوا: هؤلاء جنده إن لم يكن بهم. ففتح الحرب واشتد القتال وصعقت المدافع، فأغرق جُند سلطان المنصور ساعيةً من سواعي الموهبة، وغرق منهم سبعون رجُلاً بأسلابهم، وقتل رجلٍ من جند سلطان المنصور من التوابع، ورجل آخر من الحديدة، وجاءت السواعي الاخرة من جهة الدّرب والشُقيق، ففرت سواعي أهل الحديدة آخر شهر رمضان من هذا العام يطلبون النجا بأهل جازان، ولا علم لهم بما صار إليه أمر الشريف وما كان[٣]، فلم يشعروا إلا بالقبض على ساعيتين، واشتد طامي على ساعيتين أخرتين من سواعي أهل الحديدة فاستولى عليهما بمن فيهما، وتسلمهما، وأخرج النقيب سلطان ومن معه إلى البر ففرّقوا منه، فوصلوا الحديدة في قيد السلامة.

[ملحمة أبـي عريش ودخولهم تحت وطأة صاحب نجد]

وفيها[٤]: كانت الملحمة الكبرى وهي التي أزهقت الأرواح، وتكسرت بها النصال وفُلَّت الصِّفَاح، وتشتت بها الشمل، وانتجت عن أَشوهِ الحَمْل. بلغت القلوب فيها الحناجر، وأبلت الأشراف بالمخلاف البلاء الكاشر، لورود الداهم الحاشر. وقد قدمنا لك ما كان من أمر الموهبة، وما دار بينهم وبين حمود بن محمد من الوقعات الشديدة، وسنشرح لك ما أخمد أمر الاشراف، وما أسقاهم الدهر من علقم الإتلاف.

---

(١) أحد الأمراء العبيد، وكان متولياً عمالة المخا.

(٢) **هو طامي بن شُعيب المتحمي**: من أمراء عسير.

(٣) كان قد خضع للنجديين ودخل تحت حكمهم.

(٤) سنة (١٢١٧هـ).

ففي: أول شهر رمضان جاءت الأخبار تنادي قبائل الشرق والتفاف جموعهم على من بالمخلاف السليماني، فانصبّوا من الجبال، وانتدب لهذا الأمر الأبطال، بعد أن فرض عليهم عبد العزيز فرض العين الخروج إلى ساحات الأشراف، فسارت لأمره قبائل قحطان والعُجمان وآل مُرّة والدواسر والجحادر وعبيدة وعسير وسائر الداعية إلى عبد العزيز، فكان جملة من خرج من أولئك ثلاثة آلاف راجلاً[1]، يحملون السلاح وثلاثمائة فارس، وانضم إلى جمعهم عرار بن شار ومن إليه من الأشرار في نحو الثماني مائة راجلاً ومائة وخمسين فارساً، ودخل في سلك نظامهم منصور بن ناصر صاحب صَبْيا ومن إليه في خمسين فارساً وسبعمائة مقاتل، وانصبَّ اللاحقون من كل قبيلة تريد زيادة العدد، فكانوا نحواً من خمسمائة راجلاً ومائة وخمسين فارساً.

وحدّثني بعض أعراب السواحل رجل من حي يُقال لهم آل أبـي مطي ـ بفتح الميم وسكون الطاء المهملة فميم فياء مثناة تحتانية ـ إنهم لما انخرطوا في سلك الموهبة، وسار بعد تدينهم جماعات إلى بيش وضمد وصبيا لمناجزة حمود بن محمد فَقُتل رجل من عظمائهم، فما انحسم الداء لقتله حتى فاجأهم هذا الجمع ونزل بسواحلهم، فقاموا يخطبون ويندبون كبيرهم. يثيرون بذلك عزمات المتقاعد، ويذكرون فضل الساعي، والمجاهد. وقال بعض أعرابهم قصيدة فصيحة ذاكراً حمامةً وهي إحدى أمهاتهم السابقات النادبات آباءهن في بعض الغزوات:

حمامة وادي الشيخ أندُبينا ... وأبدي من توجعك الأنينا
كما ندبت حمامتُنا أباها ... كُليب الفارس الأسد العَرينا

وأخذ يذكر لهم ماجريات حتى قال:

تُعَقّر خَيْلنا ونموتُ فيها ... حتى على متن السَّبِيْل مُسَنّدِيْنَا

ولما التف ذلك الجمع صبّحوا قرية ضمَد وبها من أبطال هاشم، الأشراف الحوازم، رئيسهم الحسن بن خالد[2]، وكانوا تعاهدوا على الصَّبْر فصُفُّوا للعدو فأسعر

---

(١) وردت في الأصل: راجل.

(٢) الحسن بن خالد بن عز الدين الحازمي: فقيه مجتهد من سلالة أسرة حسنية في عسير تُدعى «الحوازمه». برع في التفسير والحديث. وكان يحرم «التقليد». ولد في هجرة ضمَد وتقدم بعمله وبشجاعته، فكان وزيراً للشريف حمود بن محمد (١٢٣٣) وشهد ما ينيف على عشرين وقعة، أواخرها مع الترك (العثمانيين) يصدهم عن عسير. وآلت إليه إمارتها، فقام بها نحو عشرين شهراً. قُتل سنة (١٢٣٥هـ). الأعلام (٢/ ١٨٩).

وذكر القاضي إسماعيل الأكوع نقلاً عن «الديباج الخسرواني»: كانت الحوازمة تسكن بطن =

عليهم حرباً حاراً، وانثالت عليهم الجموع من كلِ جهةٍ فَصَدَفُوا كُبكُبَةً من الخيل فيها الحسن بن خالد فأثخنوهم ضرباً بالصفاح، ووخزاً بالرماح، وصالوا وجالوا، واقتلعوا عن الخيل اثني عشر فارساً من أبطالهم وفرسانهم المشهورين، وجرحوا عدةً منهم، واشتدت الحوازم مع ذلك فقتلوا خمسة وعشرين من فرسان الموهبية، وانهزمت الحوازم لذلك الداهم، ولم يبق من اتباعهم ذاكر ولا ناصر، ودخلت الأشراف إلى ضمد ليس لهم سوى المحاماة على أولادهم ونسائهم، فتبعهم أولئك، وتخللوا البيوت هنالك، فذبّوا عن نسائهم وأولادهم، وقَتَلوا على أبواب البيوت خلقاً كثيراً، وأسرتِ الموهبة من الأطفال والنساء جماً غفيراً، وأتت على جميع أموالهم ومتاعهم ومواشيهم وخيلهم، وهم إذ ذاك يقاتلون على النساء والذراري والرماح تتساقط عليهم من الجهات الأربع، وفروا لا يدرون أين يذهبون.

وتبدد ذلك النظام، وتشتت شمل الالتئام، وبعثت الموهبة مطاوعتهم إلى من يحاذي ضمد من القرى البعيدة، يدعونهم إلى الإسلام، وأن يتركوا عبادة الأصنام، فذلّ لهم الصغير والكبير، وتحكّموا هنالك في الغني والفقير، وقتلوا خلقاً لا يُحصى ثم ساروا بعد ذلك، فوقعوا على أمم ممن فرَّ عن ضَمد، فأسروهم وكانوا قد أخذوا القاضي عبد الرحمٰن بن حسن البهكلي وإليه ترجع أمور الشريعة بتلك الجهات، فألزموه كلمة الإسلام وطلبوا منه الشهادة على تلبسه بالكفر وعلى أن أبويه ماتا عليه ففعل ذلك كله، وبعثوا من جهلتهم من يُحَفِّظُه ويُعلِّمه أمر الدين، وعطفوا عليه مرة فسألوه المناظرة، فناظرهم بالحق فأفحموه بالمجادلة، وخبطوا معه في المقاولة، وألجؤه إلى السكوت ورموه بالغِيّ وألزموه الحكم على الناس مقيداً بعرضه على المطوع[1]، ثم خرجوا يأُمُّون أبا عريش فخطبهم الأمير عبد الوهاب أخو أبـي نقطه خطبةً حماسية، ووعدهم الخير إن صبروا على مجالدة الكفرة العريشية، فتصدقوا بأنفسهم جميعاً، وحثوا إلى اللقاء سيراً سريعاً، فبغتوا يوم الجمعة الثامن والعشرين من شهر رمضان، مدينة أبـي عريش، فخرج حمود في ابطاله، فكان الجلاد أولاً ثم النزال ثانياً، ثم اختلط الرجال بالرجال، فلا تسمع سوى السيف وقبقبته والأجردِ وحمحمته. وكان يتقدم الموهب فيضرب ويرى من

= وادي صبيا، ثم خرجوا منه إلى حَرَض حينما وقع بينهم وبين الأمير القطبـي خلافٌ علىٰ قتل، ثم اصطلحوا وعاد منهم من عاد، وبقي من بقي فغدر بنو سبأ بالحوازمة في يوم عيد فقتلوهم قتلةً عظيمة، وفرّ من سلم منهم إلى أهليهم في صبيا. هجر العلم (٣/ ١٢٢٣).

(١) كل هذا رغم مكانته العلمية وقد ذكره الشوكاني فقال: له يد طولى في علوم الاجتهاد وعنده من التحقيق والتدقيق ما يقصر عن البلوغ إليه كثير من علماء عصره. وترجمه المؤلف محمد زَباره فقال عنه: كان من أعيان علماء زمانه علماً وعملاً ونادرة زمانه في الذكاء.

يعلو عليه بالسيف فيقول: يا مشرك اقتلني أدْخُلُ الجنة وتدخلُ النار. وربما كشف عن عنقه.

واحتَشَر الناس هنالك، وانخزلت طائفة من الموهبة، فكرت على البيوت شاهرةً للسلاح، ففرقت بالصفاح ما بين الأرواح، والأشباح، حتى سالت سطوح البيوت بالدم، وتقدم إلى حمود عقلاء قومه وقالوا: لا طاقة لنا بقتال هؤلاء، والرأي التسليم وامتثال ما أمروا به. وذكروا له ما قد حصل على النساء والذراري وما ذهب من الأموال، فخاف عند ذلك ذهاب أهله وكَرَّ على محله، فتحصن به، وقد انتهبوا الأكثر، وقتلوا الأسود والأحمر. وحصروه بداره فناداهم على الخروج للمعاهدة والإستسلام، فأجابوه وأسعدوه، ولما خرج إليهم أراد أحمد بن حسين الفلقي أن يتقدم إليه ليسلم على يديه فامتنع فما زالوا يُؤنّبونه فاشتد وقال: كيف يتم ذلك لرجل أَعُدُّهُ من رعيتي؟ فقال عرار: على يدي. فانَّبه، وأخذ يذكر هوانه وأنه عامل من عماله عرفه بما لم يكن معه صالحاً للرياسة.

[معاهدة الشريف حمود بن محمد علىٰ يدي عبد الوهاب أبـي نُقطه]

فتقدم عبد الوهاب، فتفرق له الناس يميناً وشمالاً، فقال حمود: من هذا؟ قالوا: عبد الوهاب. فقال: نعم ولا كرامة فقد كنت أعرفه يتخلل الأسواق، يبيع بها الجلود، ثم قال: سأعاهدك على الإسلام على أن تكون حاملاً للعهد إلى عبد العزيز، وليس لك من الولاء شيء، وقام عبد الوهاب وحوله أبطال القبائل شاهرةً للسيوف فأذعن، وعاهد على الإسلام والسمع والطاعة لعبد العزيز في المنشط والمكره، ونادى منادي المشارقة ألا إن أبـي مِسْمَار[1] قد دانوا بالإسلام وأطاعوا، فبعثوا المحلِّقة لرؤوس أصحابه فحلقوا رأسه فكاد أن يموت من الغيظ؛ وقال: آهٍ على دولة اليمن، كيف أضاعوا فتى بني الحَسَن!!

[الشريف حمود يبعث بالشكاية من النجديين إلى الإمام المنصور]

وما زال في ذلك الحال مجاهداً باللسان لحفظ النساء والصبيان، ذاهل العقل، مشتت الشمل. والتفّ بالأشراف من أهل المخلاف وناجاهم وأكثر المشاورة لهم، وبعث تلك العشية، رجلي الحازمية، عَالِمُها الحسن بن خالد[2]، وفهدها محسن بن علي المُصاوِل المُجَالد[3]، وسيَّرهم بالشكاية، وبث ما تكنُّه الصدور، إلى حضرة

---

(١) أسرة الأشراف من آل أبـي مِسمار: أمراء منطقة عسير والمخلاف السليماني وعلىٰ رأسهم الشريف حمود بن محمد بن أحمد الحسني.

(٢) الحسن بن خالد بن عز الدين الحازمي.

(٣) محسن بن علي بن عز الدين الحازمي

المنصور، فوصلا بعد طي الفيافي وشدة التعب، ونزلا على الإمام بـ (بير العزب) فكان الحسن بن خالد أعظم من نثل كنانة الخبر بأحوال أولئك بين يدي الإمام وحذره هجوم الموهبة على دياره، ودخولهم إلى الأطراف من أقطاره.

وكان وصول الحسن بن خالد في شهر شوال من هذا العام، وبيده كتاب من حمود إلى الإمام أحال فيه شرح الأحوال على التمام بلسانه. قال الحسن بن خالد: فمما شافهت به الإمام أن قلت الشريف حمود مُخَاطَب من عبد الوهاب بذبحه إن لم يُنَاجز بلاد اليمن وانه قال له عبد الوهاب: الأمر علينا أن ندك اليمن وهو كما تعلم مناط بك وبي، وزاد الحاصل من الشدة، في شهر شوال والقعدة.

ثم إن حموداً أجابه أن اليمن لا يحتمل هذا الجيش، فقال: هذا الأمر لا بدّ لنا منه، قال حمود: أنا أكفيكم أمر اليمن، فقال: اعلم يا حمود أنّا إن عُدنا ولم يكن قاتلت، لم يكن لنا بدٌ من ذبحك، قال: نعم. فنادى المنادي ثانية، أَلاَ إنّ آل أبي مسمار قد قبلوا هذا الديْن المتين، قال الحسن بن خالد: وكان قد بعث حمود من قبل هذا كُتباً إلى الإمام، وترقّب وصول الجيش اللهام، فلمّا لم يرى جواباً ملفوظاً في كتاب بعَثَنَا على أثر ذلك الداهم، وكان من قبل هذا العام يكتب الكتب، كما يفعل المحب الناصح، ويحذّر هجوم هذا الفادح، قال: وَواللَّهِ إني كتبت للشريف في هذا العام كتباً عديدة بخطي في شهر محرم فيها غاية التحذير، فأهملوا الرسول باب الإمام من مُحرّم إلى آخر رجب فوافانا تاسع عشر شهر رجب رسولاً، فقلنا بطوِّهُ يَدُل على شدة الاحتفال، فَفَضـضنا ما جاء به وإذا هو إحالةٌ علىٰ عامل اللحية بخمسمائة ريال، واتبع ذلك لفظ: أنها من التفضلات والهبات، فلما وقع حمود على هذه الكلمة داخله الشك، فاستعادها فقويت عليه؛ فقال: لا أرى القوم في صلاح شأنهم يا حسن أرددها عليهم. قال: فقلت له: لا والله لا رجعت فلنا أن نتأولَ لهم فقال: لا تتأول في مثلِ هذا، ولكن نسمع منك ذلك، وقال لي: فرقها الآن على الرُسُل ومن حضر منِ العبيد فَفَرقْتُها بحوايل فيهم إلى العامل، قال ابن خالد: واستكره الوزير مني بث الخبر على التمام للإمام فهجرني وقلاني.

[مخاذلة وزير الإمام]

قلت: وأنزله ببيت بالبونيّة[1] لا يلوي على ما ألقاه من الخبر. واشتد الكرب في ذلك على سيف الإسلام، وحاول السعي في النصرة لأولئك الأشراف ببعث الجيوش لحفظ الأطراف والإعانة بالمال لإصلاح الحال، فلم يتم له مرام. وحاول الحسن بن

---

(١) **البونيّه**: من أحياء مدينة صنعاء. ويقع اليوم في الطرف الغربـي من القصر الجمهوري.

خالد ومحسن بن علي الدخول ثانيةً على الخليفة فما أسعفهما الوزير، والنار تشتعل بالتهائم، وقِدر الفتنة يغلي بلافح الصوارم، وما زالا في تضرب واحتيال لفصل الدولة بإظهار الصولة فوعدهما الوزير بالأماني ورجاهما بالتواني، وسَوَّل لهما احتفاله بالالتفات على القاصي منهم والداني، ثم كتب حمود كتاباً إلى الإمام يستنجزه التجهيز، وأمر يحيى بن علي فارس أن يكتب إلى الحسن بن خالد كتاباً، يستطلع خبره فيه، وما رأى الدولة عليه قال حسن: فأبلغت الكتاب إلى الوزير، فلم يعد عليّ جواباً، فكتبت إليه كتاباً فيه وصف حال الدولة فمنه: واعلَم أن الدولة في حركةٍ وصولة وجَمْع للقبائل وتدبير لأمر هائل، قال: ودخلت بكذب الخبر في حيز من لعن على لسان سيد البشر ﷺ، فكان تعريفي ذلك مثبطاً للشريف عن الحركة على البنادر ثم بدا للشريف أن يرسل علي بن حيدر[1] بجماعة من الموهبة على أطراف البلاد الأمامية، كل ذلك حذراً من القالة أن حموداً لم يرغب في الدين، ولا قاتل المشركين، وكتب إلى الوزير: تعلَم عافاك الله أنك إن لم تستدرك الأمر وتنصح لم ينفعك من بعد «هذه الذنذنة»[2] جيش يضاهي جيش السلطنة، فإني أخبرك أن بني مروان من خَلْفِنا قد دَيَّنُوا خوفاً وخجلاً وهم على انفرادهم في عشرة آلافٍ بَطَلاً قوم تتحاماهم قبيلة يام وغيرها «من الطغام»[3]، وأن يَاماً عَدَلت مرةً في مرورها من العمشيّة[4] مخافة أن يصادفوا من بني مروان سرية، ثم كذلك بنو الحُرث في الجبال في سبعة آلاف، لم يقدر لمناواتهم الأشراف، وألان قد صار الجميع من أهل الخلاف، فأيقظ الإمام[5]، وأعلمه أن مثل هذا الأمر يُخاف، ولا ينفع فيه العشرة الآلاف، واجعل لهذا الشأن كما جعله الإمام في مخرج خولان حيث قدّم أعمامك حميد بن عبد الله وحسين بن أحمد، فأنه قام في ذلك الأمر وقعد، ليكن المجهَّز من العرب الفتَّاكة، فالأمر خطير لا يمكن ضبطه وإمساكه. واعلَم أن هذه الموهبة تستحضر المائة الألف في اليوم الواحد بمجرد الداعي، قال حسن: فبعثت به مع ذهب مِني إلى الوزير، وناظرت جوابه فأهمله.

---

(١) هو علي بن حيدر بن محمد بن خيرات: من القادة الذين وقفوا إلى جانب عمّه الشريف حمود في حربه مع النجديين.

(٢) زيادة في هامش الأصل.

(٣) زيادة في هامش الأصل.

(٤) منطقة في حَرْف سُفْيَان.

(٥) مثل هذه المواقف. هي بحاجة إلى تأمل، وهو بعض دافعنا إلى نشر الكتاب الذي يحمل من الوقائع والأحداث ما هو بحاجة إلى بحث ودراسة؛ لأن هذا جزء من تاريخ اليمن وكان فيه ـ لاحقاً ـ مساس مباشر بالأرض والإنسان.

قلت: ما زال هذا الشريف في مجاهدة للوزير باللسان حتى ذهب مغاضباً، وتريَّث بعده محسن بن علي زمناً ما فلم يجد الوزير للنصرة راغباً. وسيأتي في العام الآتي خبر مسيرهما.

قلت: وقد كان الحسن بن خالد ينزل عليّ، ويتردد إليّ ليستكشف أخبار الدولة، فأقول له: الأمور إلى الوزير موكولة. واستفصلته عن حوادث الموهبة، فسرد لي أحوالاً تزلزل الجبال وأحالني على أبياتٍ لمحسن بن علي الحازمي[1]، قالها شارحاً للأهوال، فرأيت إثباتها هنا لما اشتملت عليه من الكشف عن أحوال تلك الطائفة، فأنه ما ترك بها طارقة، وكان قالها في مجالس متعددة يذكر فيها من أمر النجدين ما بلغه، وإنهم إن فسروا القرآن، فَسّروه بأمرٍ لا تساعده اللغة وأبطلوا مذهب الزيدية بأسقاطهم من الأذان (حي على خير العمل) وترك الجهر بالبسملة في الصلاة، وقولهم بالرفع والضم والتأمين، وسبيهم النساء والبنين، وقتلهم المصلين في تسع آيات وتجهيلهم لحاكمهم بـ (ضمَد) مع معرفته وتبحره قال:

ما إن سألنا يقيناً من يوافينا … من التهائم إلاّ ظلَّ يَرْوِيْنَا
بموبقاتٍ من الأفعال شاهدةٍ … على البعادِ بما قد ساء يؤذينا
إنّ الخوارجَ لمّا انّهم وصَلُوا … أبقوا مضلين دعواهم مُهدِّينا
يفسِّرون كلام اللّهِ عن غرضٍ … جَهْلاً وما قرأوا من حرفهِ سينا
يُعلِّمون أناساً طال ما سهروا … في مطلب العلم تعليماً وتلقينا
وما عجبتُ لشيءٍ غير أنَّهموا … يعلِّمون وجيه الدين[2] قاضينا
وصار مذهب أهل البيت مُندرساً … وفي عقيدتهم ليسوا بناجينا
وأَنَّ ما قاله النجدي مُتَّبعٌ … وما يُفسّرهُ من قول بارينا
وغيّروا في النِدَى من قطع حيّ على … واستبدلوا بعدها ضماً وتأمينا
يا أيها الناس كونوا مقتدين بنا … ومثلنا هكذا كونوا مُصَلِّينا
لا تجهروا باسم بارينا كأنّهمُ … تَحقّقوا الجرخَ في خير الوصيْينا
أو أن أولاده من بعده جهلوا … فما لهم في عُرى الإسلام تمكينا
فليحذفوا ذِكْرَهُمْ في كل واجِبةٍ … عند التشهد إذ ليسوا مُحقينا
ما إن وجدتُ لنجدٍ قط مأثرةً … صحيحةً ولذا كانوا شياطينا

---

(١) أشار إليها القاضي إسماعيل الأكوع في كتابه هجر العلم (٣/١٢٣٢) نقلاً عن هذا الكتاب. وكذلك فعل زبارة: نيل الوطر (٢/٢٠٩).
(٢) العلامة عبد الرحمٰن بن حسن البهكلي.

ولم يروا الباقيات الصالحات سُوى سبي الضَّعَائن أو قتل المصلينا
فاستخبروا آيةَ الفُرقان تُخبركم قل لاَ وما قَالَهُ خير النبيينا
هل قال آل سُعودٍ في الورى سفنٌ أم أهلُ بيتي هموا سفن لناجينا
أم قال عبدُ عزيز بين أظهُركم أم قال من أهل بيتي تاركٌ فينا
فاختر لنفسك يا ذا اللب كيف تشا منِ أهل سِجّيْن أو من أهل علِّينَا
فلا يغرّنْكَ ما أبدوه من نُسُكٍ فهكذا هكذا حال المُضلينا
ولا يغرنك ما حازوا وما افتتحوا فسيْرةُ الأعور الدجال تكفينا
وبُدْؤها إن أتى النجديُّ مُنْبعثاً بتسع آياتِ قد أنباك تلقينا
تسعاً كآيات موسى حين كلّمهُ ربُّ البَرية فوق الطور من سينا
سبي النساء وقتل المسلمين معاً وأخذ أموال مَن كانوا مُزَكينا
وبغض أهل الكسا طُرّاً وخامسها من لم يُطِعْه كفورٌ قد نفى الدينَا
حتى يقيم له عهداً وسادسها ذِل الأعزِّ وإعزاز الأذلينا
والآيَتان التي بالنص أكّدَها حلق الرؤس وتكسير الغَلانينا
فأينَ تِسْعُكَ يا نجدي مَوْقعُها من تِسْع موسى جزاك الله سِجّينا
فانظر إلى عِبَرِ الأيام كيف ترى شاةً تَقلِب بالأظفار سِكينا[1]

المجلس الثاني: يذكر فيه إذلال النجديّة للأشراف بأبي عريش ويذكر ما لهم من المصاولة والفتك في السابق لمن ناوأهم فقال:

آهٍ على سادتي الأشرافِ من غُصَصٍ تجرّعوها وقد كانوا المُسقينا
وحادثاتٍ من البغضاءِ كامنةٍ من سابق الحين أبدتها لياليناً
راموا الإزالة لكن عَزَّ جانبهم بيْضُ القواضب والشم الضياضينا
لله أيام جُزناً في مطارحهم بسبق الخيل نغزو من يعادينا
ونحن في جذلٍ والشملُ مجتمعٌ كأنما الغير من بطن مواخينا
إذا ركضنا على صفٍ نُزعزعُهُ ركضاً على الموتِ ركض الميادينا
يوم ابن داحش بين الخيل مُنْعَقِرٌ تدوسُهُ الخيلُ في تالي المُولِّينا
فكم حَمَيْنا على الإسلام من قدمٍ وكم ضربنا عُلاَبِي مَن يُدَانينا
وكم أهنّاهُموا زجراً بألسُنَنَا وبَطْشِنَا وكذا ضرباً بأيدينا
سلو الجحادر والعجمان قاطبةً وخيل شهران إذ جاءت تُبارينا

---

(١) مما لا شك فيه أن القصيدة تندرج في إطار الوثيقة التاريخية وهي تُعبِّر عن موقف أطراف تضررت من قيام الدولة الجديدة. وما كان ينبغي أن نحذف شيئاً من القصيدة أو أن نلغيها، فإن الأمانة تقتضي أن نحافظ على نص الكتاب كما أراده المؤلف وبحسب ما وضعه.

ألم نردَّ نواصيها محافظةً … عند الهزيمة صدماً دون أهلينا
واستخبروا خيلهم عنّا وما صَنَعت … إذ خاضت السَبْعُ مِنّا بين سِنِّينا
عن القلايع عن تلك الصواهل هَل … منا الملازيمُ أَمْ فينا المكاوِينا

المجلس الثالث: قاله عند طلوعه صنعاء بعد رحيله من أبي عريش إلى الإمام المنصور عن أمر حمود، يذكر فيه أن رحيلهم غِيْرةً على المذهب ومحبةً في الاستنصار له بقبائل همدان بن زيد وأشراف الجوف والزاهر، ويحث الكل على طاعة الخليفة، ويذكر كبر صيتهِ وسعة مملكته وكثرة ماله وعَدَدِه فقال:

كن يا نسيم الصّبا في الرسول إلى … من لا أُسميه تنزيهاً وتمكينا
بألف ألف سلام من مُتيَّمةٍ … وحُسْنِ شكرٍ لما قد كان يُولينا
إذا تذكرتُ أيامي بساحتهِ … أشاهدُ الموتَ في بعض الأحايينَا
ولم يزل طَيْفُهُ بالليل يطرقُنَا … بالحزن في غالب الأحوال يأتينَا
فالقلب من بُعدِكم مستوحشٌ قلقٌ … ومن عنَا الضَّيْم ما جَفّت أماقينَا
إن الزّمان الذي قد كان يُضحكُنا … إنساً بقربكُمُ قد صار يُبكينَا
وما رحلنا من الأوطان عن ملل … وإنما بُغضُ أهلِ البيت يُثنينَا
وإن تباعدت الأشباح وافترقتْ … عن الأحبةِ لا تَخْشَى تجافينا
فالحمد لله حمداً غير مُنحصرٍ … مُضاعفٌ حين نجّانا مُنَجِّينَا
لما تَغيّرت الأحوال وانهدمَت … قواعدُ الدين فارقنا ذَرارِيْنَا
حميَّةً دون أهلِ البيت إنّ لَهُمْ … حقاً عَلَيْنا إلى هذا يُؤدينا
وحُسن ظنٍ بذَي غيلان[1] أنهم … في أهل بيت رسول الله حامينا
وإنهم من قديم الدهر شيعتُنَا … بالنّص يرضيهمُ ما كان يرضينا
يا آل عايضٍ[2] كم هذا التقاعدُ عَن … نصرِ البقيةِ من آل النبيينا
إن قلت ذُلاً فما والله عادتكُمْ … أو قلت قِلاً فلستم بالأقلينا
شُنّوا النكاية في همدان[3] والتمسوا … كل القبائل لا زلتم مُطاعينا
ثم أبلغوا زاهر الأشراف[4] إن به … ليوث حرب لدى الهيجاء مَطَاعينا
وعاضِدوا يام بالإمداد إنَّهُم … سَدّوا المشارقَ فاقوا أُسْد وادينا
فأنتُم أهلها من سابقٍ ولكم … عند الشدائد تحريكاً وتسكينا

---

(١) قبيلة كبيرة من رجالات شاكر بن بكيل. ديارهم في جبل بَرَطْ.
(٢) أمراء عَسِير من أسرة آل عَائِض التي حكمت عسير بين عامي (١٢٣٣ ـ ١٢٨٨هـ).
(٣) أشهر قبائل اليمن. وتنحصر في البطنين حاشِد وبكيل.
(٤) يقصد مدينة الزّاهر في الجوف، وفيها طوائف من سلالة الإمام عبد الله بن حمزة بن سليمان.

وآثروا طاعة المنصور إنَّ له حقاً به آيةُ الفُرقان تُبنينا
خليفةُ الله حبل الله حجتهُ على البرية قاصينا ودانينَا
سلالة المصطفى المنصور من خضعت لهيبةٍ منه أعناق السلاطينا
تجهّز الروع قبل الجيش هيبتُهُ وتحقر الخطب أصغاراً وتهوينا[1]
وإن دعا الجيش واشتدت عساكره تزعزع الروم وارتاعت فلسطينا
وضاقت الأرض من نجدٍ إلى حَلَبٍ إلى العراق بأرض الجِيْل والصينا
ما في انتقامك سلطان ولا ملك ولا لجندك همدان الميامينا
من مبلغ كل مَن فارقتهم سَحَراً بأنني عند مولانا وواليِنا
على الكرامة والإجلال ساحته لما طردنا عن الأوطان يَأوينا
ومذ قصدناه من ضيق نخوض به أجاد فينا وأعطانا أمانينا

وأزالوا عن حمود لقب الشريف وسموه بالأمير، وأخذ عليه أبو نقطة حضور الجماعات وحض الناس عليها، وضرب المتخلف عنها وألزمه سَوق العشور والحقوق الواجبة وأفصح له أنه سيبعثها إلى عبد العزيز وسمحوه شيئاً في محتاجاته لصلاح أحوال جهاته وإنالة الجيوش المدينين بما لا بد منه، وما يحتاجه في أخذ الخيل والدواب وكل متعلقٍ بذلك الباب، ومقاتلة من يليه من تهامة اليَمن، وأن لا يدع الغارات والفتن، حتى يدخلوا في دين الواحد، ويهدموا القبور والمشاهد، وأن يأخذ على الغني القاعد، تزويد الفقير المجاهد، وحذَّرَهُ الردَّة وأخذ عليه الغلطة والشدة.

وفيها: قَدِم يحيى بن علي فارس العريشي إلى تهامة اليمن، وكان من قبل قد أنزل والده، وأهله بها بضربٍ من المكر والخداع، وزرع للهجوم على تهامة بجبوب الحِيَل والأطماع، ثم نزل بأصحابه من بَعْد مع صالح عبد الملك علىٰ الأمير صالح بن يحيى، فلم يرض دخولهم إلى الحديدة، وإنما تلقّاهم وأكرم نُزُلَهم خارجها وسيّرهم من حوالي البندر إلى بيت الفقيه.

[ضيافة أحمد فايع للمنصور بصنعاء]

وفي يوم السبت حادي عشر شهر القعدة، أضاف الإمام وزيرُه أحمد بن إسماعيل فايع[2] واستدعاه إلى بيته بحافة صلاح الدين، فأقام عنده ستة عشر يوماً، والتهايم يغلي قِدْرها بالفتن؛ ويتأجج كانون أطرافها بحماحم المحن. والأسود تدور من حولها، وتُدَبِّر الحيلةَ في دخولها، فلم يَنْشب بعد ستة عشر يوماً أن فاجأه الخبر بدخول الأشراف اللحية

(١) نوع من التحفيز للإمام المنصور. وإنما كان موقفه متخاذلاً كما شرح المؤلف.
(٢) ستأتي له ترجمة في الكتاب وذلك عام وفاته ـ سنة (١٢١٩هـ).

وهجومهم على البندر، فساءه ذلك فتحول عن دار الوزير[١]، فَضُرِبت له المدافع بصنعاء حال الخروج، والأحوال بزعازع الأخبار تموج.

[عامل اللُحيّه يستنجد الإمداد من الإمام]

وكان العامل على بندر اللحية صالح الحبشي، مملوك عبد الملك بن أحمد القرشي، قد رَفَع إلى الإمام أنّ البندر في قيد التلف، وسأله المبادرة بأربعمائة من حي بكيل ذو حسين، فعاد الجواب بعدم الإسعاد. فَرَفع ثانياً بأنَّهم إن لم يعدوا بحي بكيل، أذنوا له في طلب أربعمائة من يام وهي إذا ذاك من جُملة المفسده بالتهايم فأسعدوه إلى مرامه، فطلبهم وأرادهم على حفظ الماء، ومنع النازل عليه من جماعة الموهبة، فأفصحوا له عن عدم القدرة على دفع الكثرة، وقالوا: لا سبيل إلى ذلك إلاّ أن تأذن لنا في دخول المعاقل، فسندفع عنك العدوّ ونصاوِل، فتلاشَى الأمر بينهم وذهبوا عنه، ولم يشعر صالح إلا بوصول يحيى بن علي فارس[٢] متنكباً عنِ حرضٍ والجهات العريشية كالبائس، مُظهراً كراهية الدخول في سلك النجديين، مائلاً إلى الالتجاء بساحات أمير المؤمنين. فاحتفل لوصوله، وفسح منزلاً لأهلِهِ ومتاعهِ وعبيده وخيوله، غافلاً عن مقصده، سائراً تحت رأيه مستسلماً لتدبيره. فأنزل به الخوف ورَوَّعَهُ من طروق ذلك الحادث الذي لا ترده الفيالق. فاستشاره بعد ذلك في دفع هذا الطارق، فقال: لا سبيل إلى دفعه وليس لنا سوى التحول عن البندر بعد بذل الجِد في الدفع. ولما وقف على سر الحبشي، ورآه لا شيء بعث إلى قومه بأبي عريش: أن بادروا بقصدنا ببأسٍ وشدة، فكأني بها فرصة في الحال تُنتهز، فانخزل جمع كثير من جنود الأشراف، عليهمً علي بن حيدر ويحيى بن حيدر فسأل صالح الحبشي يحيى بن علي فارس تدبير الحفظ، فقال له علي: إن أصاولهم على الماء فإنهم إن وقعوا على مورده حلت بنا الدهما، وخرج يحيى بن علي فارس مخادعاً فأقام حرباً بارداً على الماء فانكسر له جمع أولئك، فعاد إلى صالح الحبشي وهوّل الأمر وعظّم الخطب، ثم خرج ثانيةً لعود أولئك على الماء فزادهم عنه وحَوّلهم ثم انكسر لهم حتى دخل على الحبشي، فشكَى ما لاقاه، وأفصح له أنه سائر عنه وتارك له في المصاولة والملاقاة، فاشفق من حُلوله بتلك الساحة، وأصاب جماعته من حاشد الفَشَلُ فنزلوا عليه، وأبانوا له عدم القدرة على ملاقاة من وَصَل فحمل متاعَه وسلاحَه، وسار وقد فقد رشادَهُ وفلاحه، فصحِبه يحيى بن علي فارس[٣]، فَبَغَتت

---

(١) تأمل موقف المنصور وكذلك وزيره في معالجة مثل هذه الأمور.

(٢) أحد أقرباء الشريف حمود بن محمد.

(٣) **الشريف يحيى بن علي فارس**: أحد أقرباء الشريف حمود بن محمد وقادته في حملاته للاستيلاء على الحديدة وبقية المدن التهامية. انظر بعض أخباره في: نفح العود للبهكلي. حوليات النُعمى =

الجيوش «اللُحيّة»[1] وتمت لهم القضية. وكان قد كتب محمد بن علي فارس إلى علي بن حيدر: أني قد أخرجت حفظة البندر فدونك ذلك، وكان قد ترشح لولايته وتحدث بها يحيى بن محمد أبو مسمار متولي الديار العريشية، الأيام السابقة، فكانت فتنة بينهم ولكنها خمدت نارها. وتوجّه صالح ويحيى بن علي يريدان النزول على الأمير صالح بن يحيى فمنع من قبولهما، وقَطَع الرجا من نزولهما، فتوجَّها إلى بيت الفقيه ابن العجيل، فتلقاهما بعد نزول الأمير سعيد بقبولهما. وما زال يحيي بن علي بمكره وخداعهِ يكاتب الدولة، ويُظهر لهم النصح في القيام معهم، حتى طلع أول العام الآتي إلى حضرة الإمام، وكان ما سنقصُه عليك على التمام.

ولما استقر علي بن حيدر بذلك البندر، طلب الرعية والتجار، وفرض عليهم من المال مقدار وسمّاه باسم النكال. معناه أدب المشركين، فتسلّم من أهلها عشرة آلاف قروشاً فرانصة، ثم جمع الناس وأعلمهم أنه آمرٌ بالمعروف ناهٍ عن المنكر وألزمهم أمور الديانات، وحذرهم التخلف عن الجماعات، وصرخ شاويشه بإهدار من امتصّ الدخان، ثم قصد الفَرَضَة[2] فاخذ ما بها من الأموال والودائع، وباع التجارات التي بها بأبخس الثمن، وخرج إلى مَوْر[3] فبقي بها خمسة عشر يوماً، وأرسل إلى إبراهيم الكلفود[4] صاحب الجرابح وصُليل، وطلب منه الدخول فيما دخل فيه الناس فخاف منه وأجابه بعد أمرٍ مهول، فألزمه حلق رأسه، فأبى وبذل في ذلك خمسمائة ريال، فلما تسلّمها، قال له: هذا أمر ديني لا يُدفَع صائله بالمال فحلقه. وما زال أمره يسري في أقرب مدة حتى فرَّ من خوفه جماعات من بندر الزيدية، فزحف بجيشه عليها عشيةً، ووقف خارجاً منها فطلب إليه أهلها، فَوصل منهم جماعات فألزمهم السمع والطاعة، وحذرهم من شرب الدخان، فجاءه رجل يقال له ابن عجلان، فألزمه أن يتخلص له أدب المشركين، ففعل ثم خرج إليه وقال له: إني متشفِّع بك لفلان وفلان المفروض عليهما ثلاثون قرشاً، وسأله مسامحتهما فأبى، فما زال به حتى قال: قد حططنا النصف فعجب منه كيف يطمع في خمسة عشر قرشاً واجتمع له من أدب المشركين بالزيدية نحو ألفي قرش ثم صادرهم بتسليم الزكاة المفروضة، فشكوا له تسليمها إلى الدولة، ففرض عليهم مخففاً ثلاثمائة

= ص (٤٧).

(١) يظهر جلياً تقاعس أولي الأمر في صنعاء عن حفظ الأرض اليمنية.

(٢) **الفَرَضَة**: من قرى المجاورة بمنطقة تهامة في بلاد عسير.

(٣) **مَوْر**: وادٍ مشهور تقع في أسفله مدينة «الزُهرة» التي قيل أن عمّه الشريف حمود هو الذي اختطها.

(٤) **وردت في الأصل**: القُلفُود. وهم مشائخ الجرابح إحدى بطون عك في منطقة الضّحِي بوادي سُرْدُد ـ بالشرق الجنوبي من الزيدية.

ريال، وطلبوا منه الإذن بالمسير عن الزيدية فأبى حتى كان آخر شهر الحجة من هذا العام.

وخرج علي بن حيدر في سبعين فارساً، يقود جماعةً وافرة من الموهبة، فنزل بهم على ماء أهل الحديدة، فأغار الأمير صالح بن يحيـى بعد أن ثبت الإدراك والمعاقل، وانفتح الحرب بينهم، فدام ذلك اليوم، ثم كانت الدائرة علىٰ علي بن حيدر فإنه ولىَّ منهزماً إلى دير المبارِدَة[1] ثم صار عنه إلى بلاد الزيدية، وقد عقرت خيلهُ، وجُرحت رجاله، وقُتلت أبطاله، فجمع جنداً وخيلاً واستدعى محمد بن علي فارس العريشي في أشراف آخرين، فجاؤوا إليه، فسار بهم قاصداً بندر الحديدة، فنَزَل منها على الماء، والتفّت عليه قبائل تهامة وأهل الأطماع، فثَبَّت الأمير صالح بن يحيـى المعاقل والحصون، وأرسل ولد أخيه حسن بن حسين بن يحيـى والأمير مُبَشِّر ـ مملوك سيف الإسلام ـ في جماعة من البطانَة فسار اليوم الثاني من وصولهم، وكان لنزولهم على الماء، فقامت الحرب بينهم من ظهيرة اليوم إلى أن حانت صلاة العصر، فكانت الدائرة على الموهبة، واشتدت العساكر المنصورة ووصلهم إذ ذاك مدد من الأمير صالح بن يحيـى، فأتوا على مُخَيّم علي بن حيدر فانتهبوه، وقتلوا سبعة عشر رجلاً، وولّىٰ علي بن حيدر وقومُه مُدْبِرِيْن، ولم يقتل من الجند الحُديدي سوى رجلٍ واحد.

[جلاء الفرنسيين عن مصر]

وفيها: جاءت الأخبار بإجلاء الكفار عن مصر القاهرة، وأعمالها من الديار في أثناء هذا العام، وأنه بعث سلطان الإسلام الباشا أحمد جرار[2] ـ بجيم ومهملتين بينهما ألف ـ في جيش عرمرم، فلم تسل لدخوله قطرة دم، لأنها تحوّلت الفرنج قبل وصوله إلى الأطراف. وقد أتينا على ما كان من أخبارهم في كتابنا «قرة العين».

[تجهيز عبد العزيز ولده سعود إلى البصرة]

وفيها: جَهّز عبد العزيز ولده سعوداً على البصرة، بعد أن ظهر من أميرها حمود بن ثامر[3] الشدة في العصيان والمنابذة، ولم يجب داعية عبد العزيز من الأيام السالفة، فخرّج سعودٌ مستهل ذي الحجة، فوصل إلى محل يقال له الجابية، فأقام فيه عيد الأضحى، ثم أرتحل ناحياً جهة البصرة فنزل بمدينة قريبةٍ منها يقال لها: الزُبَيْر

---

(١) **دير المباردة:** من قرى المَراوعة في شرقي الحديدة.

(٢) سبق الإشارة إليه عند ذكر زحف الجيوش العثمانية إلى مصر لإخراج الفرنسيين منها.

(٣) **هو حُمود السعدون:** أمير المنتفق (في العراق) وأحد من اشتهروا بالفروسية. وُلّي الإمارة بعد مقتل أخيه من أمه ثويني بن عبد الله سنة (١٢١٢هـ). وقام بأمر المنتفق وعشائرها، تابعاً لبغداد وواليها (عبد الله باشا) وقوي أمره. الأعلام (٢/ ٢٨١).

سميت بذلك لأن بها مشهد الزُبير بن العوّام الصحابي، فحاصرها ثم تسلّمها فَدَخلها فهدَم قبة الزبير وبغى على أهلها اعتقادهم، وسلب ما بها من الأموال والذخائر، وأقام بها نحواً من ثلاثة أيام، ثم تقدم على بلدةٍ هناك حصينة يقال لها: الدُرَيْهمية تصغير درهم مؤنثة، وبها الماء الذي يستقي منه أهل مدينة الزبير وبِهَا رُتبةٌ حافظة لها، فنزل سعود على الماء، وضَيّق الطُرقَ على من بالدريهيمة ولم يفتح حرباً حتى كان آخر اليوم الثالث، فخرج سَرَعَانُ الناس على من بالدريهمية، عن غير أمرٍ من سعود، فما كان بأسرع من أن فاجأوهم، فأجلب الناس جميعاً عليهم، وذلك قُرب العشاء، فأنزلوهم على سعود فقتلهم عن آخرهم، وكانوا أربعة عشر رجلاً أهل بأسٍ وشدة ثم ارتحل من الغد، فسار غير بعيد ثم عطف ونزل بجامع الزبير قريباً من البصرة، على طريقٍ يُقال لها السّدة ـ بمهملتين مفتوحتين فتاء تأنيث ـ فعرّس هنالك، فلما أصبح وجّه ثلاثة من الأمراء على البصرة، بعد ارتفاع الشمس، فنزلوا قريباً من سُورِها، فتحشدت عساكر البصرة على السور، ورَمَتْ بالمدافع فيها النفط والنار، فوجه سعود من حضرته جنداً يُسَمُّونَ بالسياسب بسين مفتوحة، فمثناة تحتانية، فألف فسين مهملة مكسورةٍ فباء موحدة ـ فحملوا على السور، فرماهم من بهِ، وكانت الحملة حملةً صادقة، غير أنه كان على السور خندقٌ فركضوا خيلهم فجازت الخندق وكان مما يلي السُوْر، خلف الخندق جماعات موجهة للرصاص، فأوقعت بهم السياسب ضرباً بالصفاح، ووخزاً بالرماح، فقتلوا نحواً من مائةٍ وسبعين رجُلاً، وانهزم الباقون وعادت السياسب وحَمَلَتْ على قريةٍ حَصِيْنةٍ من قُرى البصرة ثم كَرُّوا راجعين.

ولمّا كان اليوم الثالث، أظهر سعودُ الرحيلَ، واستعرض جنده فكانوا نحواً من ثمانين ألفاً، وسار غير بعيد ثم عطف فنزل قريباً من سور البصرة، فأرسل أهل البصرة في الليل جماعةً من العَمَلَه، ففتحوا الشط فانبثق الماء حول البصرة، فوجّه سعود جيشه على ما حول البصرة، فأكلوا الزروع وقطعوا النخيل وأنواع الأشجار ذات الثمار، وأخربوا القرى التي حولها وهي تنيف على الثلاثين القرية بعد أن أخذوا جميع ما فيها من المتاع وكان أكثر أهل القرى قد فرّ بنفسه، وتحصّن بالمدينة. ثم ارتحل قافلاً، ولم يمنعه من قتال أهل المدينة إذ ذاك إلا ما أرسلوه من الشط على مدينتهم فحال بينهم والموجُ.

[نقض عبد العزيز الصلح بينه وبين أمير مكة غالب بن مساعد]

وفيها: ارتفعت المحاط من تهامة اليمن ورجع عبد الوهاب أبونقطة بلاد عسير.

وفيها: نقض عبد العزيز الصلح بينه وبين غالب بن مساعد أمير

مكة[1]، فأرسل عبد العزيز: سالم بن شكبان يتغزّى بلاد الطائف فأرسل غالب إلى عثمان المضايفي[2] ولا يعلم بسوء فوصل إليه وكان عثمان بمحلّته العُبَيْلا ـ بعين مهملة مضمومة فباء موحدة مفتوحة فياء تصغير فلام فألف مقصورة ـ، فأفصح له عن أمر الصلح الذي دار بينه وبين عبد العزيز وأَمَرهُ المسِير إليه لإستطلاع ما لديه وسؤاله عن نقض الصلح. وقد قدمنا انه كان الصلح منه على أداء خمسة عشر ألف محبوب ذهباً أو يزيد على ذلك، ويتركهم إن أرادوا الدخول للحج، ولا يتعرّضُ لهم بشيء من المكروه. وأصحبه في مسيره رجلاً من خاصته من الأشراف، فسارا وتقدم الشريف إلى عبد العزيز وخطأه في نقض الصلح ونسبهُ إلى الغدر والمكر، فقتله. وكان عبد العزيز قد أجاره، وقال له: وإن نَقَضَتُ فلا عهدَ لمشرك، واستمال عثمان المضايفي، وعاهده هنالك ثانية، فخلع عليه من ملبوسه الصوف، وأعطاه فرساً وسيفاً وعَبداً وجارية ومالاً، فعاد إلى بيته، فجاء الخبر إلى غالب بن مساعد، فأهمه ذلك فعسكر بمكة ثم طلع الطائف وسار قصدهُ الحصار للمضايفي إلى العُبَيْلاَ فنزل بساحة داره، ورماه بالمدفع فاستصرخ المضايفي عبد العزيز فسيّر من حينه إليه الأمير ابن قرملة وسار بالأمر أبو نقطة وابن شكبان وكثير من القبائل، وأمير الأمراء بها سعود بن عبد العزيز، وذلك في النصف من شهر رمضان. ففرّ غالب بقومه إلى الطائف، فزحف سعود في شهر شوال ونزل قريباً من الطائف فحاصره بها ثلاثة أيام ثم خدعوه بإظهارهم، بعث المضايفي على مكة وأنها في تلك الحالة انتهزت الفرصة فجاءه الخبر فأحرق جُبَّخانته التي بالطائف، وكانت بالقُلَيْعة، وبادر بنزوله مكة لحفظها.

---

(١) **الشريف غالب بن مساعد بن سعيد الحسني**: تولّى إمارة مكة بعد وفاة أخيه سرور سنة (١٢٠٢هـ). وفي أيامه قوي الإمام سعود ابن عبد العزيز بنجد، وهاجمت جيوشه الحجاز. فقاتلها الشريف غالب، وتقهقر إلى جُده. ثم أظهر الطاعة لسعود، حتى كان كأحد عماله، وعاد إلى مكة، واستمر في الإمارة إلى أن زحف محمد علي باشا (والي مصر) بجيشٍ كبير من الترك وغيرهم لقتال السعوديين، فتحوّل الشريف عن ولائه لآل سعود، فاستخدمه محمد مدة قصيرة ثم قبض عليه وأرسله إلى مصر سنة (١٢٢٨هـ) فأقام أشهراً وأرسل إلى الأستانة فنفته حكومتها إلى سلانيك فتوفي فيها. وكان فيه دهاء. الأعلام (٥/ ١١٥).

(٢) **وردت في الأصل**: المظايفي. والتصحيح من كتاب الأعلام (٤/ ٢٠٨) قال: وهو قائد من أمراء المقاطعات، كان من خاصة الشريف غالب بن مساعد، بمنزلة الوزير. واختلف معه فرحل إلى نجد، وبايع الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود، فولاّه إمارة الطائف وما حولها من الحجاز سنة (١٢١٧هـ) وتولّى قيادة بعض الجيوش السعودية في حروبهم مع الشريف حمود بن محمد، بتهامة اليمن سنة (١٢٢٥هـ) فظفر. أسره بعض رجال «عتيبة» فسجنه غالب، ثم قُتل سنة (١٢٢٨هـ).

وكان سعود إذ ذاك قد أزمع على الرحيل، ولم يعلم تمكن الخبر بقلب غالب، فجاءته العيون فأخبرته بذلك وصدّق خبرهم ما رأى من احتراق القُلَيعة فأيقن بفراره. وكان غالب قد بذل لجماعات من عساكره مالاً على أن يقيموا لحفظ الطائف، وجعل للرجل منهم عشره مشاخصه في الشهر، فأبوا إلا أن يبقى معهم، فقال: إني أخاف على مكة. فسار عن الطائف، وسار معه كل خفيف خائف ولم يبق بها سوى التجار، ومن كان له نَشَب ومال فطمع سعود في تسلمها فحاصرها اليوم الثاني من مسير غالب فَفُتِحت له عَنْوَة في وجهِ الليل وخرج إليه أكابرُ أهلها وتجارها وبقي من كان ذو نَشَبٍ من جُنْد غالب هنالك، وهم نحو الثلاث المائة في حيرةٍ، فبادروا بيت الفِعل ففتحوه، وتحصَّنُوا به. فلما أصبح سعودٌ دعَى أهلَ الطائف، وطلب منهم العهد على السمع والطاعة، فعاهدوه فأمرهم بأن يلزموا رِكَابَهُ وأمَر بفتح الباب فَفُتح ودخل في جيوشه الجرارة في أمان من الغدر، فلما أشرف أمراؤه من باب الطائف، رماهم بعضِ اللواتية الباطنية القاطنون بالطائف، وكانوا بقصر مقابل لباب الطائف، وإنما رموه فشلاً وذلاً وعلماً منهم أنه إن علم بهم لا يُقيْلهم ولا يَسْتَتيبهم فأباحها عند دخوله، فحاصر من بالقصر، فأُخرِجوا فقتلهم، وعاد على مَنْ ببيت الفِعل فحاصرهم، فخرجوا إليه فقتلهم جميعاً، وشهر السيف، وأباح مَنْ بالبلدة، فما زال السيف يعمل فيهم نهارَهُ كله، وحُصِرَتِ القتلى بعد أيام، فكانوا ثماني[1] وعشرين مائة، وما زال جنده يقتلون النساء والصبيان والرجال وأولي الضرر، وتقدّموا على مشهد عبد الله بن العباس، فسلبوا ما عليه، وانتهبوا الخزائن، وأخرجوا المصاحف فمزقوها، وداستها أرجل الرجال، وحوافر الخيل.

وفي اليوم الثاني تقدموا إلى قُبّه ابن عباس، فهدموها وألقوا الرجال تحتها، واعملوا السيف وتراكمت القتلىَ بالطرق وظهر النتَن بالبلدة، فحملت الجثث وألقيت في الغارات والبُور وكُبِست وقتل من طائفة النجدية خلائق عديدة، وقد قيل إنها انجلت عن أربعة آلاف قتيل، وفرّ البقية من أذيةِ النتن، واستبيحت أموالها فأُخذ منها ما يزيد على مائتي لك من النَقدية والمتاع والفراش والدواب والذخائر والنفائس وذهب على غالب بها ما يساوي ثلاثة لكوك، وأخذوا سلاحه ومتاعه وحليه، وكانت خزانته ملفوفةً[2] بالطائف، خَزَنها هنالك خوفاً من أن يُعزَل عن مكة كما جرى لغيره من قبله بها. وأقام سعود بها عشرة أيام وجاءه الاستعجال من أبيه مستحثاً له في التجهيز على البصرة وكان قد وعد جنوده للوصول إلى حضرته الدرعية في ذلك الميقات، وقلّد عهد الطائف

(١) وردت في الأصل: ثمانية.
(٢) أي محفوظةً.

وإمارته عثمان المضايفي، وفصل له من قومه جنداً وافراً وسار، فبقي نحواً من عشرين يوماً بالدرعية، وتقدم البصرة. وقد سقنا خبره وما جرَى له قبل هذا.

[استيلاء أبـي نقطه على القنفذة واستسلام الشريف غالب]

وفيها[1]: عقب عود الجنود عن قتلة الطائف كانت الملحمة بين عثمان بكري وزير الشريف غالب بن مساعد وبين عبد الوهاب أبـي نقطه بالقنفذة. كان عبد الوهاب قد نزل وعسكر بالشعيرا ـ تصغير شعرا بألف التأنيث ـ وأرسل إلى عثمان بكري متولي القنفذة يدعوه إلى الإسلام، فغاضه ذلك فجمع أهل براريه وانتدب لمصاولته، فالتقى الجَمعان بحمض يماني القنفذة[2] فتفانا الرجال وقتل من أصحاب عثمان نحو ثلاثمائة، ومن أصحاب عبد الوهاب نحواً من أربعمائة، وكانت الدائرة على عثمان بكري ففر حتى دخل القنفذة فتبعته أجناد عبد الوهاب فحصروه فخرج وركب البحر وتحصن بالجزيرة الصغيرة، فصالوا عليه، واسترهبوه فجنح إلى المعاهدة، على أن لا يُزال عن تلك الولاية، فأجابوه وخرج إلى أبـي نقطة، فعاهده وصلح عنده بعد ذلك شأنه، وأولاه في تلك الحال، وكان ولي أمره غالب بمكة مقهوراً، لم يستطع الحركة. ثم سار أبو نقطة، وتوجه على بندر الليث، فحاصر من به من الأشراف حصاراً يسيراً فتسلمه واستولى عليه.

[عودة حاج اليمن]

وفيها: عاد أكثر حاج اليمن من الناصرة بالقرب من الطائف بلا حج وذلك أنهم استفصحوا الأخبار، فجاءتهم بما حلّ بالطائف من الدمار، فعادوا وتنازع المستأجرون ومن ذهب من الحجاج، ثم عاد إلى اليمن في مقدار ما يستحقونه من المال الذي شرط لهم على تمام الحج، فأثبت لهم حاكم حضرة الإمام البدر الشوكاني ثلث الأجرة وأخذ على المستأجر المسامحة.

[القصاص في قاتل محمد بن إسماعيل الأكوع]

وفيها: يوم الأحد حادي عشر ربيع أول، ضُربت عنق يحيـى بن محمد الحجي صاحب ذمار بسبب قتله محمد بن إسماعيل الأكوع، وانضم إلى القصاص ثبوت كونه محارباً. حكَم بذلك القاضي سعيد بن حسن العنسي، ولما قُتِل صُلِب ثلاثاً.

وقَبلها في صفر جُلِد رجل من همدان، جَلد القذف ثمانين.

---

(١) سنة (١٢١٧هـ).

(٢) **الحُمّضُ**: بضم الحاء المهملة وفتح الميم المشددة فضاد معجمة. من قرى زهران، في سراتهم بمنطقة الباحة. المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية (١/ ٣٥٦).

وفيها: في جمادى الأولى، ضُربت عنق حسن بن سعيد عزام لقتله يحيى بن زيد التاج قصاصاً بالروضة البهية، وهو من جهات كوكبان، أرسل به أميرها بعد الحكم عليه هنالك.

وفي: يوم الأحد ثاني شعبان، ضُربت عنق محمد بن صالح عمر صاحب عَبْسى حجة بعد إقراره بالقتل عند حاكم حجة عبد الرحمٰن بن يحيى الآنسي. والقتيل عبدة بن حسن عبدة العبسي.

[أحمد بن يحيى بن إسماعيل المهدي]

وفيها: أحمد بن يحيى بن إسماعيل بن الحسين بن المهدي أحمد بن الحَسَن بن القاسم[1] آخر نهار السبت سلخ ربيع الآخر. كان آيةً في الذكاء والفهم كثير المجون، حسن الاستماع، كثير الحياء، لطيف الشمائل، حلو العبارة، محباً للمجالسة، ناظماً ناثراً. وكانت تعتريه السوداء، فيأتيه أصحابه فيأمر أهله بأن يجيبوا من دعاه، بأنه قد خرج، ويخرج في الحال عن المكان الذي هو به إلى مكانٍ آخر، ثم يعود يرى أن ذلك ضرباً من الكذب.

وسمعته يوماً يقول من اكتحل بدمع الجمل رأى الجن عياناً، وسأله رجل عن مَثَل العامة وقولهم في الرجل الشاتم للعظماء المعرضين عنه (كلب ينبح قمراً). فقال: كان كلب لامرأةٍ من العرب قليلةً ذات اليد وأنه جاع ليلةً فنبح، فأخرجته عن بيتها، فنظر إلى القمر، فظنه رغيفاً فما زال ينبح، فقالوا: كلب ينبح قمراً. لهذا قال. وسمعت أحمد بن حسين الهبل يقول قولهم (كلب ينبح قمر) مَثَل قديم، وأصله أن الكلب يصيبه البرد فيرى القمر فيخرج إليه ليستدفىء به يظنه الشمس فلما لم ينفعه نبحه، وكان له في الشعر الملحون يد قوية، أكثر من المكاتبة به في المجون، وكنت أسمع بإجادته للشعر العربي، فاستشرف له غير أنه كان محافظاً، لا يرى إطْلاع أحد عليه حتى كاتبني بأبيات تتحلى بها ديباجة دفتر الأبيات، يمتدح بها الوزير العلامة الحسن بن علي حنش وهي من أجود ما سمعت، قال:

علام التجني في الهوى يا أحبتي	وبخلكم حتى بِردّ التحيَّة
وما لي ذنب غير شوقي إليكم	ولا لي جرم غير صفو مودتي
لي الله كم أشكو الهوى ببعادكم	إليكم وما أنصفتُم في شكيتي
أحبة قلبي لا رعا الله من سعى	بطول افتراقٍ بيننا وقطيعة
لقد طال ما أشعلتم النار في الحشا	وفرقتموا بين المنام ومقلتي

---

(١) نيل الوطر (١/ ٢٤٥).

فيا ليت شعري هل تجودوا بزورةٍ ... تقرُّ بها عيني وتنكفُ عبرتي
فإن طال هذا الهجر منكم وجرتمو ... عليّ وخنتم في العهود الأكيدة
صرفت فؤادي عن هواكم وذكركم ... وأخليت بالي عن غرامٍ ولوعة
وملت إلى مدح الوزير الذي غدا ... له من كريم الطبع خير سجيَّة
فتًى همه الفعل الجميل إلى الورى ... وهمّته فوق السماكين حَلّتِ
وأخلاقه كالروض باكره الحيا ... ونائله كالغيث في كل بلدة
وتلبسه التقوى مطارف رأفةٍ ... ويكسوه سر العلم سربال هيبة
تراه لأهل العلم والفضلُ والداً ... شفيقاً وللأعداء شديد الشكيمة
وتلقاه بحراً زاخراً في علوم مَن ... هموا في النجا والفوز مثل السفينة
وقد صار في التحقيق كالغيث إن هما ... يفتح للأزهار كل كميمة
ويشرح بالتلخيص ما دق فهمه ... ويوضح بالتهذيب كل نتيجة
ويفهم بالايجاز ما طال شرحه ... ويظهر بالاطناب كل غريبة
يجود ببذل المال علماً بأنه ... مجاز إلى نيل العلا في الحقيقة
ويجلو بمصباح البيان غوامضاً ... بها كل فكرٍ في ضلالٍ وحيرة
لقد صار كشافاً لكل خفيَّةٍ ... بماقد حواه من كتاب وسُنَّة
مُعان بلطف الله فيما ينوبه ... إذا جن ليل المشكلات المهمة
لذا خصه المولى الإمام بخطةٍ ... جليلة قدرٍ دونها كل رتبة
وأوّلاه تدبير الخلافة بعد أن ... رآه صدوقاً ناصحاً في المشورة
فيا شرف الإسلام يا من وداده ... عليّ وجوبٌ بعد كل فريضة
لك الله كم من خلةٍ لك في الورى ... تعبَّدت فيها كل حُرٍ وحُرّةٍ
أياديك تترى في الأنام وانها ... أيادي لم تمنُن وإن هي جلَّت
فإنك تعطي الجزل منك تبرّعاً ... وغيرك يعطي النزر بعد الوسيلة
فلا زلت كهفاً لليتامى وملجأ ... لمن مسه الدهر الخؤون بغصّةِ
حبوتك من نظم القريض قلائداً ... لأنك قد قلدتني كل منَّة
وقد كنت عن نظم القوافي بمعزلٍ ... ولولاك ما فاهت لساني بلفظةِ
ببذل اللّهَى يا مالكي تُفتح اللّهى ... وتملك أعناق الرجال الأعزةِ
فَدُم وأبق في عيشٍ رغيدٍ ونعمةٍ ... وبذلٍ وإحسان وعزٍ ونعمةِ

وقد أثبتّها بكاملها لجودتها، ولي عليه في هذه جوابٌ الزمنيه الوزير فقلت:

نعم جاد باللقيا اغنّ المحّلةِ ... وجادت بوصلٍ بعد بَينٍ مُحلَّتي

وهي قصيدة طويلة، تركناها اختصاراً.

[القاضي إسماعيل بن عبد الله حَنَش]

وفيها: يوم السبت سابع وعشرين جمادى الأولى، القاضي إسماعيل بن عبد الله حنش[1] بـ (قَعْطَبه) قاضياً، ولّي القضاء بـ (عَمْران) دهراً طويلاً، وخلعه عنها الإمام المنصور، فوصل حضرته صنعاء، وبقي بها أياماً ثم أولاه قضاء عُتُمه ثم قضاء قَعْطَبه فاستقر بها شهوراً وفاجأه الحمام.

[علي بن محمد يحيى الحسني]

وفيها: جمادى الأولى علي بن محمد يحيى بن أحمد بن علي بن الحسين بن المهدي أحمد بن الحسن بن القاسم المنصور[2]. كان من أفراد آل القسم، له معرفة بالنحو والصرف والمنطق والبيان والحديث، جيّدُ الحفظ، كثير الصمت، ذا سُنّة ظاهرة. أخذ عن شيخنا الأستاذ علي بن إبراهيم بن علي بن عامر وغيره.

رافقتُه بمنزله يوماً، فسمعته يقول: سمع أعرابي رجلاً يتكلم هذراً ويتعثر بلسانه، ثم التفت الرجل إلى الأعرابي، وقال له: ما تعدون البلاغة؟ فقال: خلاف ما كنت فيه منذ اليوم. وسمعته يقول: أتدرون لم سُمي الأصمعي أصمعي؟ فقال بعض الناس: لا. قال: الأصمعي ذكي القلب، ويقولون: الأصمعان والمراد بهما القلب الذكي والرأي الحازم، ويقولون الأصغران القلب واللسان. وأنشد:

لسان الفتى نصفٌ ونصف فؤاده ... ولم يبق إلا صورة اللحم والدم

وأخذ عنه أخوه إبراهيم بن محمد يحيى وآخرين. و(محمد يحيى) اسم لوالده أضيف يحيى إلى اسمه العلم. وهو محمد تفاؤلاً.

[إسماعيل مشحم]

وفيها: يوم الثلاثاء ثامن وعشرين جمادى الآخرة، إسماعيل بن محمد بن جاد الله مشحم[3] الصعدي أصلاً الصنعاني منشاءً. كان له مشاركة في فروع الزيدية.

[محمد بن أحمد بن المنصور]

وفيها: يوم السبت ثاني وعشرين شعبان، محمد بن إحمد بن المنصور بالله الحسين[4] عن خمس وخمسين سنة تقريباً. كان شاعراً أديباً له بصر بنظم الشعر

---

(١) نيل الوطر (١/ ٢٨٠) عن ما هنا. وكذلك فعل مؤلف «هِجر العلم» (٢/ ٧٤٩).

(٢) نيل الوطر (٢/ ١٥٦) نقلاً عن هذا الكتاب.

(٣) نيل الوطر (١/ ٣٠٤) عن هذا النص.

(٤) أعلام المؤلفين الزيدية (٨٥٣)، نيل الوطر (٢/ ٢١٨)، معجم المؤلفين (٨/ ٢٥٣)، مصادر الفكر =

الملحون واشتغال بعلم الفلك والأزياج، وفيه أَلّف جدولاً يشمل الشهور العربية والرومية والسنين النيروزية، فجاء بديعاً. وكان يعاني الطب فأدرك فيه، وسمعته يوماً يقول: ما نفعني الله بشيء ما نفعني بموقف وقفت به على لطف الباري بن أحمد الورد الخطيب وهو يملي في صحيح البخاري فلقد أخذ بمجامع قلبي وسلبني لبي وعلمت أن الله تعالى، جعل لعلم النبي ﷺ أهلاً، وإني لا أدين بغير ما به يدين، ولا أتحول عن مذهبه النبوي المصطفوي.

ومما حدثنا به من مضحكاته ان قال لنا يوماً بحضرة والده، وقد تذاكرنا أجلاف الناس، فقال: يروَى أن بعض الصحابة رضي الله عنهم علّم اعرابياً سورة القيامة فذهب أياماً وعاد إلى الذي علّمه وقال: انه فاتني بعض ما علمتني ولكني زدت عليه، قال: ماذا؟ قال: قلت فأبرق البصر. وخسف القمر. وقحط المطر. ويبس الشجر. وتفتت الحجر. وغلبت ربيعة مضر. فشتمه الصحابي وحذره من ذلك.

ومما أفادنيه بموقف آخر أن والده سمع محمد بن إسماعيل الأمير يقول في قول الله تعالى: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ﴾[1] أن المراد به هارون، أي أذهب أنت وهارون فقاتلا لأن هارون كان ربا مُوسى فينظر في هذا. وسألته أكان لوالده إلمام بمحمد الأمير؟ فقال: كان يتغرر بالليل، فيخرج يستمع قراءة محمد الأمير بالمدرسة.

قلت: وُلّي للإمام أعمالاً باليمن الأسفل، وقد قدمنا له ذكر في الحوادث، وإقامهُ والده ببلدة عمران، فساسها. وكان له بصر بإلقاء الفِتن بين أهل الطاغوت، وكان مشتغلاً بالكتب الحديثة مع عمل بمقتضى الدليل. وله في فن الهوى والغرام أخبار حسان.

[محمد بن أحمد المهضهض]

وفيها: يوم الجمعة ثالث عشر شهر رمضان، محمد بن أحمد بن يحيى بن يوسف بن المهدي محمد بن أحمد صاحب المواهب عُرف لقباً بالمَهضْهَضْ[2] كان رحمه الله تعالى، مشغولاً بالحديث وأهله، عاملاً بما جاء عن محمد ﷺ، ذا بلاهة لا يبالي بمن لامَه على مذهبه، شديد العصبيّة على أهل الطريقة المذهبيّة، أنكر عليه رجلٌ عَمَلَهُ بما في كتب الحديث ومما أنكره عليه التأمين فتحيّن له وقت صلاة الفجر، فلمّا أقيمت الصلاة قام إلى جانب المنكر عليه فلما سمع الإمام قال: ولا الضّالين، التفت إلى

= الإسلامي (٤٧٨).

(١) سورة المائدة، الآية (٢٤).

(٢) نيل الوطر (٢/ ٢٣٨).

الرجل قليلاً وقال: آمين. فقال له بعض الناس: التفت في الصلاة. فقال: نعم إغاظةً لمن أتبع هواه وإرغاماً لمن أصرّ على بلواه.

حَضَر درس البدر المنير محمد بن إسماعيل الأمير، ولازم المحدث حامد بن حسن شاكر مدة من دهره، ولما مات حامد حَزِنَهُ حزناً شديداً، ولازم بعده درس المحدث لطف الباري بن أحمد الورد الخطيب، فمات فحزنه حزناً شديداً.

رأته بعد وفاته إحدى بناته[1] وكانت دون البلوغ، فسألته عن حاله، فقال: أدخلني الله الجنة أنا وحامد شاكر، فأصبحت الصبية تُحدّث أهلها لا تدري معنى ما قاله لها. فقصُّوا الخبر على أصحابه، فازداد العجب وقال المعبِّر: قال رسول الله ﷺ: «يُحشر المرء مع من أحب».

[الحسين بن محمد الجرموزي]

وفيها: شهر رمضان، الحسين بن محمد بن الحسين بن قاسم بن الحسن بن مطهر الجرموزي الهاشمي[2] عن سبع وعشرين سنة. كان آيةً في الذكاء وجودة الفهم، شارف في النحو والصرف والمعاني والبيان فأخذ عن رفيقنا الحسين بن أحمد السيّاغي، وعن الحسين بن يوسف زبارة، ثم بدا له النظر في كتب الحكماء، فاشتغل بها وبالأدب فاعترته عام موته الوساوس والأوهام، وتملكت به علة السودا فتغيّر عقله فألقَى نفسه ببير بيته فمات من حينه. وكان قد نظم المستجاد فمِن أول ما قاله:

طـولـك لا يُجدي بها اليوم تسآلـي ... وهـل مسعـدي بـالـرّد أشخاص أطـلالِ
وطيفـك إمّـا زارنـي عنـك لـم يكـن ... بِمُغْـنٍ وهـل يُـرْوَى غليـل مـن الآلِ
ومـن لـي وقـد أرضـى لطيفـك زائـراً ... وطيبُ الكرى عن سرح جفنٍ بأميالِ
تـآلّـفَ مـا بيـن السّهـاد ونـاظـري ... تـألُّـف مـا بيـن الفـؤاد وبلْبـالـي
كـأن الكـرى حَـرْفُ السكـون ومقلتـي ... لِسَـانٌ يـروم النُطـقَ مـن دون إيصـال
أطلـت وقـوفـي بـالطلـول تَعِلّـةً ... وهـلْ أنـا إلاّ مُسْتَثِيـرٌ لاءِ عـلالـي
وقـوف جَـوٍ لـم يفـرق الشـوق ساعـةً ... ولـم يخطـر السلوان يومـاً علـى بـالـي
إذا رام كتمـان الهـوى بَعَثَـتْ بـهِ ... بـوادرُ جَفْـنٍ بـالمـدافـع هَطّـالِ
رُويـدك بـي يـا هنـد فـالحب والـذي ... حبـاك بـديـع الحسـن أسـرع قَتّـالِ
تـلافَـى تَـلافِـيْ بـالـوصـال فمهلكـي ... نَـواكِ وإنـي عنـك لـم أكُ بـالسـالـي
ولا تحسبـي صـدقـاً مقـالـةَ كـاشـحٍ ... سلَى عن هواك القلب يااربة الخالي

---

(١) رؤيا منامية.

(٢) نيل الوطر (١/ ٣٩٦).

لك اليوم مني خالص الود فاعلمي | وإن أكثروا لومي عليك وتعذالي
هواك حياتي والحياة ذميمةٌ | إذا لم أنل من طيبُ وصلك آمالي
لعل زماناً يجمع الوصل بيننا | ويسعد بالآمال من بعد إمهالِ
وحقك ما للقلب من أربٍ سوى | لقاك ومدح المحرز الفَضل في الآل

وهذه إلى محسن بن عبد الكريم بن أحمد بن محمد بن إسحاق، وله اليه:

معاهَد سمراء الكثيب سقاكِ | وجاد بهطّال الرباب ذُراكِ
متى بك عهدُ الراحلين عن اللّوا | كأنك لا تدرين عهد أولاكِ
تُشابهني جسماً ولا ريب أنه البلاءِ | إمَّحى جسمي به ومحاكِ
سعدت بهم دهراً فلمّا نأىَ وَاسْعَت | إليك من الأيام خيل شقاكِ
وهيفاء أمّا وجهها فمقسَّمٌ | كأنّ هلالاً في الأسرّةِ حاكي
تعرّض لي منها على حين غفلةٍ | أغن غَضيض الطرف خَوّط أراك
إذا أخلقِ السلوان بُرْد صبابةٍ | لَبستُ قشيب الشوقِ إثر نواكِ
واعجبُ من لَوم الوشاةِ كأنما | سواي محب مغرمٌ بسوَاكِ
ففي كل قلب منهموا كل جَمرةٍ | بكل حريقٍ أيْن صار ثَواكِ
لك الله ما أدناك من وُدّ محسنٌ | وِدَادٌ له في القلب فعل هَواكِ
سلي تُخْبَرِي عن صادق العزم والذكاء | شديد صفات القلب يوم شجاك
وفي السلم إلاّ تسألي الروض فاسألي | النسيم به خلقاً يحبك بذاكِ
وفي النظم إلاّ تسألي الخمر فعلَهُ | فما هو إلا في رحيق لِمَاكِ

وسمعته بموقف وهو يقول ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾[1] أي صوتاً قال: والركز الصوت الخفي، وقال: في قوله تعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾[2] خاف ولا يجوز نسبه الغوا إليه.

[أحمد حَجر الهاشمي]

وفيها: يوم الإثنين ثالث عشر ذي القعدة، أحمد بن علي حجر الهاشمي[3] نسبةً إلى مسجد حجر المعروف بباب السبحه[4]. وهو من أولاد الحسين بن القاسم

(١) سورة مريم، الآية (٩٨).
(٢) سورة طه، الآية (١٢١).
(٣) نيل الوطر (١/ ١٥٠).
(٤) حي باب السَبَاح في صنعاء: الواقع شرقي شارع علي عبد الغني. وعنه انظر: مساجد صنعاء =

المنصور. كان ذا تقوى وصلاح وعفاف محباً للمجالسة راغباً في المحادثة كثير المجون داخل آل المتوكل[١] والمنصور[٢] وآل المهدي[٣] والمنصور[٤]. وكان إذا سئل عما بلغ من العمر والسنين أسقط شيئاً، وكان يكتم شطراً من عمره. مات عن نحو من سبعين سنةً.

[قاسم بن أحمد لُقمان]

وفيها: يوم السبت ثالث ذي الحجة الحرام قاسم بن أحمد لقمان الهاشمي[٥]. وكان عارفاً شاعراً متولياً للحكام النظر في أمور أهل الخصام، وهو الذي سأل البدر العلامة الشوكاني عن حال المتصوفة ونَظَم السؤال[٦]، وأجابه في ذلك بأنموذج سمّاه «الصوارم الحداد القاطعة لعلائق مقالات أرباب الاتحاد».

[حسين بن محمد الشرفي]

وفيها: يوم الخميس، حسين بن محمد الشرفي[٧] المختلط في عقله، وكان له معرفة بالفروع، وادّعى أنه المهدي المنتظر، وكان يجمع السلاح الذي لا يَنْفُق فيَخْزُنه ويجمع الوَدْعُ والخَرَزَ، ويتوهم قلب أعيانها بالعلاج إلى حجر الذهب والفضة، ويزعم أن له طريقة في الكيمياء تُحِيل الأعيان، وأن الودع والخرز سريع الانفعال.

[محمد بن أحمد العنسي]

وفيها: خطيب العُدين محمد بن أحمد بن إبراهيم العنسي[٨]. كان أديباً مُفوهاً شاعراً فصيحاً ناظماً ناثراً مجيداً. له في الشعر الملحون طول الباع قد حلى به الطروس والرقاع، وكان لطيف الشمائل مُغرىً بالجمال، كتب إلى القاضي محسن بن أحمد[٩] حاكم الإمام بصنعاء أبياتاً في عام ثلاث وتسعين، يتسلى به إذ كانت الفضائل قد سُلبت من أهل هذا البيت ولم يلق أحداً سَواه، لذا وصفه ـ مع قصوره ـ بما تراه، فأفرغ من

= للقاضي محمد الحجري، ص (٤٣).

(١) **المتوكل القاسم بن الحسين.**

(٢) **المنصور الحسن بن المتوكل.**

(٣) **المهدي العباس بن المنصور.**

(٤) **المنصور علي بن المهدي.**

(٥) نيل الوطر (٢/ ١٧٣)، هجر العلم (٣/ ١١٨١)، مطلع الأقمار (٣٦٢)، البدر الطالع (٢/ ٣١).

(٦) أنظر السؤال والجواب في البدر الطالع ٢/ ٣٣.

(٧) نيل الوطر (١/ ٣٩٨) عن هذا النص.

(٨) نيل الوطر (٢/ ٢١٤). وما كتبه المؤرخ جحّاف هو مادةً مضافةً في هامش مسودة كتابه.

(٩) **القاضي محمد بن أحمد العنسي.**

أفانين سحره، ومحاسن شعره. هذه الأبيات المستجادة، قال رحمه ذو الجلال:

لقد طلعت شمس النهار على رُمح ... وغابت ضحًى من فاحم الشعر في جنحِ
أسيلة خدٍ ينبت الورد خدّها ... ويزري بماء الوردِ في العرف والرشح
وأسياف لحظٍ تقطع القلب والحشا ... وليس لها في ظاهر الجسم من جرح
دعاني هواها فاستجبت ولم أقل ... لمن لامني فيها لقد جدت في النصحِ
وسرت إليه والغرام يقودني ... وداعي الصبا يبغي الصعود إلى السطح
سقى الله أيام الصبا كل وابلِ ... من الدمع يسقي ذلك السفح بالفسح
نعمت به يا صاح ما بين شادنٍ ... مليح وشادٍ يبعث الوجد بالصدح
وأمري على ثغر الحبيب وخده ... مطاع ومقبولٌ على رغم من يلحي
ولله مسك الخال قد طاب نشرهُ ... ودلّ على حسن الخواتم والنجح
لعمرك أن العيش ما سمحت به ... ليالي الصبا في ذلك الزمن السمح
ظفرت بها في من أحبّ ولم أزل ... مع الغيد اجني يانع الورد باللمح
إلى أن تبدت للمشيب بعارضي ... خطوط نوًى مضمونها آن أن تصحي
لقد راعني شيب ألمّ بلمّتي ... وغادر ليل الشعر في الرأس كالصبح
ألمّ وفي إلمامهِ قبل وقتهِ ... معين على ترك القبائح والقبح
فأعرضت عن ذكر الصبابة والهوَى ... وخليت ذاك البحر من خيفة السبح
وكفرت ذنبي في مديح أبي أحمدٍ ... حسام الهدى والدين في رائق المدح
أبي حَسَنٍ رب المكارم محسن ... وفي الاسم ما يغني عن الوصف والشرح
إمام علومٍ لست تلقَى نظيره ... ومن ذا يقيس الشمس بالغفر والنطحِ
أطاعته وانقادت له زمن الصبا ... علوم بني المختار في الزمن الطلح
هو البحر يهدي للأنام جواهراً ... ويروي الظما عذباً فراتاً بلا ملح
كريم قفى فعل الكرام جدوده ... وفاق الأولى بالعلم والحلم والصفحِ
وطاول شهب الأفق مجداً فطالها ... بعلياهُ والفضل المصون عن القدح
هو الوالد البر الشفيق بأهله ... بنَى مجدهم في طالع النصر والفتح
حسام الهدى والدين والمجد والعُلا ... وبحر الندا الفيّاض في الزمن الشحِ
بقيت ولا أبقى لك الدهرُ حاسداً ... ودمت قرير العين في ذلك السفح

وَدَخَلَتْ سَنَةُ ثمانِي عَشَرَةَ وَمِائَتَيْن وَأَلْف

فيها: عقد الإمام بولاية حراز لسعد زياد شهر شعبان:

وفي مستهلها أناط الإمام بلاد حجة وعمران بالحسن بن الحسن بن عثمان الأموي، وخلع وساطتها عن السيد أحمد فايع.

وخرجت سنة سبع عشرة ومائتين وألف، وسعود بالعُبَيلا ونواحيها، ولم يقدر على الدخول مكة، لكثرة من بها من الحجيج والمحامل، فقد قيل أن أهل المغرب في ذلك العام يزيدون على ثلاثين ألفاً، وسائر المحاملِ دخلت بكثرة لم يعهدها أهل مكة في السالف، فلما قضوا مناسكهم خرج الباشا ابن العَظْم وسائر الحجوج في مخافة، ولم يجد الناس ما يحملهم فبلغ كِرَى[1] الجمل الذي كان بقرش إلى ستة عشر قرشاً من مكة إلى جُده، فتقدم سعود ففرَّ غالب بأهله، وحمل أثقاله وماله ونزلَ جُده، وزحفَ سعود فحط بعرفات إلى منَى ووادي فاطمة وضايق مكة فاستفتحها عنوة، وكان الأكثر من أهلها قد فرَّ، ولما دخلها أخرب الخانات التي بالمسعَى، وطلب بعد ذلك العلماء والمفاتيه وارتقىٰ على زمزم، وأبانَ لهم ما هم عليه من المنكرات وَبدّعَهم. وقال: إن الساكت منكم راضي وأخرج مَسْخَرةً ونشرها بيده. وقال: يا أهل مكة هذه المسخْرة اشتملت على ما بمكة من آلات الملاهي والتنباك وآلات الخمور ألا فليحضر كل منكم ما ببيته وخانه من هذه الآلات وليحْذرِ الكاتم فإني لا أُقيله بعدها. فأحضَر الناس أكثر الآلات وغيّبوا القليل الذي لا يذكر فأمر بكسرها وإحراقها، وكانت بين يديه كالتل القائم. وقال: قد كانت آلات الملاهي والخمور مع المشركة أيامه ﷺ، فأما التنباك فَمُبتدعٌ مردودٌ، وأمر بإزالة التذكير بالليل على المنارات وأزال من الآذان الصلاة على النبـي ﷺ، وقال: هذه بدعة لم تكن على عهده عليه السلام، وأمر بأن لا يُصَلّى على الجنائز بالمطاف. وقال: إنه موضع للطواف وليصل كل من ورد بجنازة بالباب الذي أدخلها منه. ومنَع من الذِكر بعد الجنازة، وأمرَ بإقامة صلاة واحدة يحضرها الخاص والعام. وقال بأعلىٰ صوته وسيفه بيده في جَفْنةِ المجوَّخ: يا أهل مكةَ ورب البيت لا بُدَّ أن يُعلّق هذا المجوّخُ على كرسي السُلَيْطِين ـ هكذا بصيغة التصغير ـ اسمعوا وأطيعوا. ثم بكّتَ أمام مقام المالكية، فامتلأ غيظاً ومات وأحضر الأكابر مرة أخرى بأبواب الشريف وأخذ عليهم أن يوالوا مواليه، ويعادوا معاديه. وأحضرهم مثلها ـ مرة أخرى ـ بباب الصفا، ومنع الزمازمة من السقي بالمال، هذا ودار غالب التي بِجيادٍ تحترق وتظهرُ منها النار كل يوم من جانب، وكان الشريف هو الذي أحرقها بالباروت عند خروجه من

---

(١) إيجار.

مكة، وما زالت النار كذلك ثلاثاً وعشرين ليلة تظهر أياماً وتغيب أياماً. ولما استقر سعود أجتمعت الأكابر والصدور وقصدوا عبد المعين بن مساعد وقالوا له: ألا تكفينا شرًّا نترقبهُ فإنّ كُلّنا خائفٌ نترقب فتنةً كفتنةِ الطائف وإنك في سلامةٍ من محاربة سعود. فقال عبدُ المعين: اكتبوا لي كتاباً أبعثه إليه وأسأله لكم الإقالة. فكتبوا فبعثه إلى سعود فلما وصله كتب من سعود بن عبد العزيز إلى كافة أهل مكة السلام على من أتبع الهدى وأخصُّ من أولئك عبدَ المعين، ومن يلوذ به وقاضي السلاطين ومن بحضرته وسائر العلماء والمفاتيه.

أما بعد،

فلا زلتم آمنين بأمان الله مطمئنين ما أقمتم الحق، والمطلوب منكم الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله، والويل لمن خالف هذا والسلام. وألزم عبد المعين الوصول إليه في جملة أولاده وقلّده إمارة مكة ثم اطلع بالقلعة التي بـ (جِياد) خمسمائة مبندقاً من بيْشه ثلاثمائة من رجال عسير بدورِ المعابده.

وفي يوم الجمعة ألزم الخطيب أن يذكر خطبةً شرعية لا يذكر فيها أحداً، فراجعه الخطيب وسأله عن السلطان فأجاب إذا وصلت إلى ذكره، فقل: وأيد اللهم السلطان، وأعمر مقامه بالعدل والصلاح ولا تزد على هذا. ثم تهيأ سعود لقصد جُده، وكان الشريف إذ ذاك في حال الشحنة لجده بالأقوات، وحمل الماء إليها من آبارها الخارجية، يخشَى إن فاجأه سعودٌ أن يُحصر فسيَّر من يطلب له الهدنة، فدار الكلام على هدنة، يُسلِّم له في مقابلها ستة لكوك «قروشاً فرانصة»[١] منه ومن تجار جده. وما زال الكلام يدور خداعاً من غالب[٢] حتى ملأ الصهاريج[٣] ماءً وخرج صالحيه في أهل جدة ألا لا يبقَى صغيرٌ ولا كبير إلا حمل السلاح، ثم سحب المدافع ونَصَبها على السور ووجّه إلى البر من يحفر الأرض للبحث عن المدافع الآخرة، فحفرت وأخرجت عدة مدافع فأطلعها على السور وأظهر المبايَنة. فقصده سعود في جيوشه الجَرارة فنازل جُدة بالحرب أياماً وبلغ أصحابه إلى باب السور فرماهم غالب بالمدافع فهلك بها خلقٌ ينيف على الخمسة الآلاف، وكان يملأ المدافع رصاصاً وحديداً.

وفي اليوم الثامن قَوّضَ سعود خيامَة وثبت مكة وراح عنها إلى الدرعية فبقي غالب نحواً من ثلاثة أشهر عنده، ثم قصد مكة فاستفتحها. ولما أنزل غالب جنده بمكة حاصر

---

(١) زيادة في هامش الأصل.

(٢) الشريف غالب بن مساعد بن سعيد الحسني.

(٣) وَرَدت: السهاريج.

من بالقلعة من النجديين محاصرةً شديدة حتى فَرّوا منها، فدخلها وعطف بالشدة على من بدور المعابد، وما زالوا ثابتين بها، فكتب غالب إليهم أنه لا معنى لبقائكم بعد ذهاب أخوانكم من القلعة الآخره. فأنكروا ذلك ظناً منهم أن ذلك مكراً بهم وبغياً، ثم طلبوا منه الأمان لخمسةٍ منهم يخرجوا حتى ينظروا القلعة، فإن وجدوا بها أحداً ثبتُوا وإلا ذهبوا بعدهم فأعطاهم الأمان فخرجوا فوجدوا القلعة خاليةً ليس فيها واحدٌ من أصحابهم، فعادوا وتآمروا بينهم وطلبوا الأمان والعهد من غالب، أن يخرجوا لا يمسهم منه مؤلمٌ فأعطاهم العهد، وأخرجهم وسيّرهم إلى جبل كَرَا بين الطائف وجدة، فلما أَمِنُو صاحوا: بيّض الله وجه غالب، فبلغ عثمان المضايفي فقال: أي معنى لتبييض وجوه أهل الشرك، وأمر بخمسةٍ منهم فَحُلِقت لحاهم ودار بهم في الأسواق زيادةً في الزجر بالتعزير، وما زالت الغزاة طول هذا العام تكر وتفر حتى كان ما سنقصه عليك.

[تجهيز رومي أحمد إلى الحديدة]

وفي يوم الإثنين سابع عشر محرم، جهَّز الإمام رومي الحبشي ـ مملوك ولده سيف الإسلام ـ في عشرين نفراً من الخيالة وخمسمائة من التوابع، وعيال سريح لحفظ الحديدة، بعد أن سار الأمير مبشر في جماعة من الجند والخيالة، وكان ذلك باحتفال سيف الإسلام.

وفي صفر وصل علي بن عبد الله الشايف حضرة الإمام بعدما، كان منه وكان.

[فتنة بين الفُصَري والسنيدار]

وفيها: ثارت الفتنة بين الشيخ الفُصري بالفاء والصاد المهملة صاحب الشرف وبين الشيخ السنيدار لأسباب منها دخول الفُصَري بعض الحصون التي يعود حكمها إلى السنيدار، فأثاروا لذلك حرباً قتل فيه من جماعة الرجلين نحواً من خمسة عشر رجلاً وسعى في إصلاح ذات بينهم إسماعيل بن علي بن المؤيد[1] صاحب شهارَه.

[نزول محسن حَنَش علىٰ أهل مغرب عنس]

وفيها: خرج الإمام شهر جمادى الآخرة وادي ظَهْر واستقر به أياماً وهي آخر خرجة خرجها.

وفيها: تظلَّم أهل مغرب عنس من صالح بن علي الحمدي العامل عليهم، فوجه الإمام الأمير محسن بن محسن حنش في جماعة من (ذو محمد) يقدمهم النقيب مهدي بن صُوفَه فتحرب لوصوله بعض أهل المغرب فكانت الدائرة عليهم، واشتدت ذو

---

(١) سبقت ترجمته في عام وفاته، سنة (١٢٠١هـ).

محمد وسلبت هنالك حصوناً وقرًى وأخافت، وما زالت تصول حتى تراجعت الرعايا إلى الطاعة.

[ضبط بني النصيري]

وفيها: ثارت رتبة رَدَاع (بنو النُصيري) من آخر هذا العام فرموا العامل فرحان حسن حنش وتمنّعوا بالقلعة، وكان السبب تقصير العامل عليهم في المقررات والتسويف لهم أكثر الحالات، فبعث الإمام عليهم طائفة من ذو حسين (بني حزام) فدخلوا المدينة وضبطوا من بالقلعة.

[تمـرد قيفـه]

وفيها: تخبطت أحوال قيفة ببلاد رَدَاع، فقطعوا المسافر، واستباحوا السبيل وفعلوا الأفاعيل. وداراهم العامل فصالحهم.

[سير الحسن بن خالد من صنعاء]

وفيها: سَئِم البقاء الحسن بن خالد[1] ولم يجد بحضرة الدولة ناصراً في ذلك الوارد فخرج عنها مغاضباً وقصد مدينة صعدة، وأراد الذهاب بجماعة من يام أهل النجدة، واجتمع بمحمد بن علي بن الحسين بن علي فاستفصح أمرهما، فلم يجد عندهما كثير فائدة فراح عنهما.

[وصول يحيـى بن علي فارس]

وفيها: وصل يحيـى بن علي فارس[2] فلاقاه بصنعاء الحسن بن خالد، وفصّل له ما لقي من الجفاء، وبث له ما أظهر من أمره، وما أخفى، فاستوقفه حيناً ما. وقد قدمنا ذكر خروج يحيـى بن علي فارس إلى اللحية، ومخادعته لصالح عبد الملك الحبشي، ونزوله الحديدة وعدم قبول صالح بن يحيـى له ودخوله بيت الفقيه، وإظهاره محبة الدولة، لما وصل حضرة الإمام ورأى وزيره المتخبط في الهذيان التي هي أهون من أضغاث أحلام[3]، ورآه يدبر الأمر على جماعات، فيقول هذا كذا وهذا يخالف، وهذا يشير إلى المجد وهذا يرشد إلى التواني من فتح باب الفتنة، وهو تارةً مع هذا وتارة مع هذا، فقال يحيـى بن علي لبعض من سأله: كيف رأيت الأمر؟ فقال: رأيته ابن جماعة لا يتم، وكان يحيـى بن علي بمحل من الدهاء والمكر والحيل والخداع، ضرب به المثلَ أهل دياره، فقالوا: هو أبو مُرَّة. وكان الإمام قد احتفل لِشأنه وأجرى عليه النفقة وفوَّض

---

(١) **هو السيد حسن بن خالد الحازمي**: المعبوث الخاص للشريف حمود بن محمد أمير عسير.

(٢) **يحيـى بن علي فارس الحسني (الشريف)**.

(٣) كان وزير المنصور وقتها هو الحسن بن حسن العلفي.

أرزاقه، وكفى خدمه وعبيده على فسادهم بصنعاء، وشرع يطالب الدولة بالبدار إلى ساحات التهائم، واستشاروه، فأشار بطلب قبائل يام إلى باب الإمام، فبعث الإمام إلى ديارهم، واشترط وصول أكابرهم فوصل عبد الله بن نُصَيْب في جماعةٍ من آل فاطمة وجُشَم، وصحبه من أكابر ذو محمد علي بن منصر، ودارت المشاورة وآل الأمر من بعد زمنٍ طويل على خروج يحيى بن علي وعبد الله بن نُصَيْب إلى نجران لجمع القبائل هنالك، ونزولهم على تهامة. وجعلوا سايسَ القوم يحيى بن علي فارس، وأعطاه الإمام عطاءً واسعاً، وطلب الإمام عَهده على كتاب الله، فبذله على المصحف، وحضر ذلك الموقف حاكم حضرة الإمام وأفصح له عن بيان ما تحتاجه من المال وكان شيئاً واسعاً فأسعفه الإمام إلى ذلك المرام غير أن الوزير ابن حسن بن عثمان لم ينجز ذلك المحتاج ولكنه وعد بإرسال ذلك إلى نجران ولم يتم.

ثم سار يحيى بن علي وصحبه في مسيرة محمد بن علي الحازمي النايل العطاء من سيف الإسلام فإنه أناله مالاً واسعاً وأعطاه مركوباً أول ودِرعاً وكساه، وأعطاه مركوباً آخر، واتخذها عند محسن يداً، وأعطى يحيى بن علي منه ما لم أقف على قدره، وسار يصحبه عبد الله بن نُصَيْب وعلي بن منصر فبلغ نجران، فاستقر بها أياماً مراعياً[١] لوصول المال المشترط من صنعاء، ووردت عليه قبيلة يام من كل فج فشارطهم على القتال بمالٍ مُقَدّر معلوم، على أن يخرجوا الموهبة من تهامة اليمن، فرضوا بشرطه بعد اللتيا والتي. ثم لم ينجز لهم شيئاً مما اشترطه لهم لأنه خاب الظن إذ ذاك من الوزير، وكان المتصدر من صنعاء لقبض المال بالجهات اليامية علي بن منصر المحمَّدي، فسأله يحيى بن علي عما وصله. فقال أربعمائة قرش عدداً عن مائتين وتسعين قرشاً فرانصة، ثم قال: يا علي ولم يُرْسَل إليك سواها قال: لا وخالقك يا يحيى ما وصلني غيرها، واستخانت يام يحيى بن علي، وَوَهِمَت أنه قبض أموالاً جمةً وأكلها، فتثاقلوا عنه وعن نصرته، واتهموا ابن نُصَيْب بمثل ذلك ثم لما انكشف لهم صدق الدعوى، خرجوا إليه ثانية، وقالوا: نسير بمسيرك على أن تجعل لنا سجلاً انك ملتزم لنا بما التزَمت به الدولة لك، وألزموه الغرامة، فأحجم عند ذلك ثم بدا له الالتزام لهم بالوفاء، فجاءته من كل لحمةٍ طائفةٌ، فكانوا نحواً من تسعمائة مقاتل. فسار بهم ونزلَ ببير الخرشة[٢].

وكان قد كتب إلى الوزير يستحثه المبادرة بالمطلوب، فأهمل جوابه فتحير في شأنه، وقامت القبائل تطالبه ما هو لها، ولم يعذروه، فبذل لهم تلك الأربعمائة وضم إليها ما أعطاه الإمام من المال، وزادهم من مماليكه جماعة ومن خيله، ثم لم يف ذلك

---

(١) منتظراً.

(٢) من قرى منطقة جازان.

بالمشرط التام، وبقي عليه نحواً من خمسمائة قرش، فبعث إلى حمود يسأله الإعانة فبعث إليه خمسمائة قرش، ففادا نفسه، وانخزلَ عنهم إلى أبـي عريش بعد أن كان قد تزوج ببعض نساء يام، وكان ما كان مما سيمر بكَ في هذا الشأن.

وكان بحضره حمود جماعة من يام، وكثيرٌ من أهل الشام فيهم مطاوعة، وفيهم العبيد فسار بهم وهم نحو أربعة آلاف إلى محمد بن علي قاسم صاحب صعدة، فلاقاه في ألف من صعده وسَحَار وأهل خولان بجبل الظَّاهر ومع حمود علي بن حيدر، وكان حمود يظن أن محمد بن علي متأهلاً للخلافة فلم ير فيه أهليةً فسار عنه ولا يعلم أهل الشام بسر حمود.

[واقعة ابن كعبان]

وفيها: أوقع ابن كعبان بجلهم بن مقيت ـ بجيم مكسورة فلام ساكنة فهاء مكسورة فميم. ومقيت بميم مضمومة فقاف مكسورة فيا تحتانية ساكنة آخره تاء مثناة فوقانية ـ فألجأه إلى الدخول في الدين، فدخل فأرسل ابن كعبان إلى خرصان وهو أمير الشُعَف ـ بشين معجمة فعين مهملة ثم فاء ـ يدعوه إلى الدين فاستغاث بمحمد بن علي وأخيه الحسين فسارا في اثنتي عشرة مائة، فلقيهم ابن مقيت مقاتلاً، فكانت الدائرة عليه وقبض محمد بن علي على خمسين رجلاً من أصحاب جلهم، وقادهم بين يديه، وانتهبَت قبيلة سحار أموالاً لا يحصيها إلا الله، واضطرب حال جِلهِم بن مقيت وأهل (بَاقِم). ومنهم من دافع عن نفسه بالدراهم. وانتهبت (سَحَار) دور ابن مقيت ففرّ إلى الدرعية مستغيثاً، فكتب في أثر مسيره محمد بن علي كتاباً يشكو أمره، وكان عبد العزيز يعتقد أن محمد بن علي قد عاهد على يدي حمود، فأودعه الحَدَلة وسكت عنه.

[مسير يحيى بن إسماعيل بن علي إلى حمود]

وفيها: ربيع الآخر، وصلت كتب من حمود بن محمد يستدعي بها يحيى بن إسماعيل بن علي بن المتوكل صاحب شَهارَه[1] على يد رجل من بني الحميدي[2]، فسار إليه ولما مثل بين يديه، سأله أمراً لا يقدر على تمامه وهو فتح الطريق وإيصال جماعة الموهبة إلى نواحي شهارة فلم يجد عنده رغبة فيما طلبه له، فاستبقاه لديه، وما زال يواصل إحسانَه عليه حتى كان شهر رجب، ودبّر يحيى بن إسماعيل الأمر في ذلك المطلب، بعد أن سأله مالاً يخادع به جماعة في شهارة، وأرسل به إلى أخيه عباس بن إسماعيل فتحدث الناس في شهارة بذلك ولم يداخلهم شك في ثبات أولئك حتى كان

---

(١) شَهَارَه: جبل وقبيلة من الأهنوم في شمال مدينة حجه ومن أعمالها.

(٢) **الحميدي**: عائلة معروفة في شهاره. انظر كتابنا: معجم البلدان والقبائل اليمنية.

عشية الخميس ثامن عشر شهر رمضان فلم يشعر إلا وقد بغَتَتْهُم جماعة من قبائل العُصَيْمات[1]، وغيرهم من الأشرار بغَنَمٍ أجلبوا بها وأدخلوها على عبّاس بن إسماعيل[2] فابتدر الناس يسألونهم عن سَببِ وصولهم فأفصحوا عن زيارتهم لعباس بن إسماعيل وعلي بن محمد بن الحسين، فساقوا الغنم وقسموها نصفين، فدخلت طائفة على عباس بن إسماعيل وطائفة بالنصف الآخر علي محمد بن حسين بن المؤيد. فتفتح الرجلان للطائفتين بالضيافة، ثم تراسل الناس في ذلك الأمر وقالوا فيه، وقالوا، وتكلم في شأن أولئك الداخلين علي بن محمد بن حسين فقال: لا تخافوا فهؤلاء أهل محبة لنا، حتى كان من آخر الليل وتعلقت العصيمات بأعلى دار محمد بن الحسين، وأسرجوا فتايل البنادق وخاطبوُه بالدخول تحت أمر الشريف حمود والسمع والطاعة بالكرة والإجبار، فراجعهم وصالحهم على الإمهال حتى يُصبح فأمهلوه، فخَلص مع ولده فتناجيا طويلاً وأزمعا على الخروج من شُرْطَةٍ تنهَّجَت لهما شامي شهارة، فانحطا منها إلى محل يقال له جَوْب[3]، ولم يعلم بهما إذ ذاك أحدٌ، وأصبح أهل المدينة فوجدوا البيوت الكبيرة قد قُبِضَت ورُتِّبَت وغُلِّقت الأبواب، وحفظت الطرق عن الفار الذاهب، وتناجَتِ العُصَيْماتَ على رؤوس البيوت: أن ذلك عن أمر من حمود، فتخلل الناس الزوايا بالمدينة، فوجدوا شرطةً[4] غربي المدينة لم تُحفظ، فبادروها بالحفظ وملأوها بأهل الرماية، والتفّ إليها آل الإمام الآخرين، وقام الصريخ منها وانحط البريد عنها فتداعت لذلك قبائل الأهنوم، فبادروا بحفظ تلك الشرطة، واجتمع من الغارة فوق ألفٍ أهل مصاولةٍ وجلاد، وتسامع الناس بوصول طائفة أخرى من قبائل العصيمات، فزاد غَيْظ مَنْ بالمدينة، واستكثروا من الغارة، فوصل الناس إليهم أفواجاً ليس لهم طريق من غير تلك الشرطة على تعبٍ، ولمّا تم لهم النصاب أثاروا الحرب وانحطوا من بيت إلى بيت واشتدوا على المتغلبة عليهم من العصيمات، فضايقوهم وحصروهم في البيوت المحفوظة، وقامت الحربُ على ساق، ودامت بينهم ستة أيام ليلاً ونهاراً، حتى قبضوا على باب بالمدينة وانحطت طائفة على مَنْ خارج المدينة من العصيمات، فأزالوهم عنها.

ولما كان في اليوم السابع دعوا أهل المدينة إلى التسلم والمصالحة، فأبوا إلاّ أن

---

(١) **العُصيمات**: هي إحدى بطون قبائل حاشِد. ديارهم في حُوث ونواحيها.

(٢) **إسماعيل**: الأمير عباس بن **إسماعيل** بن محسن المتوكل.

(٣) **جَوْب**: بفتح فسكون. قرية في جبل عِيال يزيد، تبعد عن مدينة عمران ـ شمالاً بشرق ـ بمسافة خمسة عشر كيلو متراً.

(٤) فتحةً.

يخرجوا على حكمهم، فأبو ذلك، وقالوا: ادعوا لنا صدور الناس، فجاءت عقال البلاد وكبراء آل الإمام، فتسلموا إلى أيديهم فأخرجوهم على شرط ذهابهم عنهم إلى مأمنهم وسيّروهم في قَيد الذل والهوان.

وعزم عقيب ذلك عباس بن إسماعيل صاحب شهارة في جماعةٍ ممن عاضده على هذا، وانحطوا إلى بلاد عُذر[1]، وما زالوا بها أياماً، ثم خرجوا عن عذر، ونزلوا قاع تهامة، فاسْتَدْناهم الشريف فنزلوا عليه، وما زالوا لديه أياماً والناس في أمرٍ مربح. وأوجب بعضهم على بعض إخراج أهل العباس بن إسماعيل وأهل أخيه يحيى وآل علي بن إسماعيل، وتحالفوا على أن لا يقبلوا أحداً منهم.

ولمّا مرت الشهور والأيام من ذلك العام، توسط في إصلاح ذات البين علي بن أحمد بن الحسن بن المؤيد، واشترطوا إرجاع كل أحدٍ من أولئك إلى بيته، وما زالت الرسل من حمود تذهب وتجيء، واستدعى علي بن إسماعيل أن ينزل حضرته في الابتداء، فنزل وطلب منه المعاهدة، واشترط فيها حمود مباينة الدولة فلم يعطه عهداً على ذلك، وقال: لا أجحد انعام من شملني وأهلي بالإحسان، فَوَجَّهَهُ بعد ذلك على بلاد الشرف فجنح إلى ذلك وطلع في جمع كثير. وكان منه ما سنقصه عليك.

[ما فعله يحيى بن هادي في تجهيزه إلى تهامة]

وفي أول هذا العام، كان الإمام قد جهّز يحيى بن هادي الشايف إلى تهامة للذّب عنها، فانتهَى به السّير حتى أشرف على باجل[2] محل علي حُميده، فحط عليه يومين، فجاء حمود مغيراً في تسع من الخيل وجماعة من العسكر لا يبلغون الأربعمائة، غير أنه أرجف وأمر من يوهم يحيى بن هادي أن قبائل الشام مقبلةً من ورائه، فكانت هزيمته بذلك الخبر، ولقد تحكم فيه حمود لما رأى قد داخله وأصحابه الفشل، وخرج للغارة فتح سعيد من بيت الفقيه، فلم ينالوا خيراً، وحطّوا بالغانمية يومين[3]، ثم عادوا بيت الفقيه، وكان يحيى بن هادي قد اشتد أولاً، ثم قهقر آخراً، وعاد إلى صنعاء، يشكو قلة العدد ونفاد المدد.

---

(١) **عُذر**: هي إحدى بطون حاشد. تقع ديارهم في الجانب الشمالي من مدينة عَمْران. وتُعتبر مدينة (القَفْله) سوق عُذر ومدينتهم الكبرى.

(٢) **باجل**: مدينة مشهورة في شرقي الحديدة.

(٣) **الغانمية**: تقع الغانمية علىٰ بضعة كيلومترات من باجل علىٰ طريق الحديدة، وتاريخياً اشتهرت باسم المضيضا وبها أولياء ومتصوفة، وقد حلّت محلها ـ قريباً منها ـ قرية الغنمية ودَيْر أحمد خليل.

وفي ربيع الأول منها[1]، عسكر حمود بن محمد بأبي عريش ثم سار في جيوش من المشرق والشام وقبائل تهامة والحجاز، بعد أن استعرضهم فكانوا ستة عشر ألفاً مقاتلاً رجّالةً وثماني مائة فارساً، فقدّم طليعة من الخيل نحواً من سبعين فارساً فنحَى بهم جهة الحديدة يوم الجمعة، فجاءت العيون إلى صالح بن يحيى، تستبق مع الطليعة فصرخوا خارج بندر الحديدة: جاءتكم القوم فأثبتوا لهم. ثم لم يثبت الصارخُ من صياحه حتى أشرفت الطليعة، فخرج الأمير صالح بن يحيى لابساً لامة حربه، واستدعى الأمير مبشر الحبشي مملوك سيف الإسلام وصاح في الأجناد، فالتفّت عليهما الخيل والعساكر فثبت الأمير صالح بن يحيى الإدراك والمعاقِل، وأقبلت الخيل تتوثب خارج الحديدة، وتبعها الأمير صالح بن يحيى، والأمير مبشر وقابلتهم خيل الشام فتجاولت حيناً ما ثم كانت الهزيمة على خيل الشام فولّوا إلى دير البرابدة ـ بموحدتين بينهما راء وآخرها دال مهملة فتاء تأنيث ـ وانخزل حمود بن محمد في ثلاثين فارساً، ونحو طريقاً آخر، فوقعوا على جماعة من المسافرين منهم محمد بن حسين تاجر البندر، فسلبوهم ما على قراشهم من الأموال، وجُرح محمد بن حسين برمح ورَجُلَيْن من العسكر معه جرحاً وخزتهم الرماح، وما علم الأمير صالح بن يحيى بسلوك حمود تلك الطريق فلم يشعر وهو مقابل لطوائف الشام تلقاءَ وجهه حتى قيل له: قد نزل حمود على الماء فبعث في الحالة ابن أخيه محمد بن حسين في جندٍ شديد وفرسانٍ أبطال، فبعثهم على مورد وناوشهم برهةً حتى ذادَهم عنه، وكانت هزيمة بهم، فلجأوا إلى الجبّانة وعاد الأمير صالح بن يحيى والأمير مبشر أول الليل فتحصّنوا بالحديدة.

وأقبلت طوائف الشام المتأخرة في الليل، فزحف بهم حمودٌ صبح يوم السبت ورتبهم على مداخل البندر ومخارجه، فرمتهم الأجناد من الإدراك هذا وأبطالهم وفرسانهم تكثر على الحديدة تارة، وتفر أخرى، وألقوا على بيوت العِشاش النار بأطراف البندر، آخر نهار السبت فرماهم صالح بن يحيى من الإدراك بالمدافع النَّفْش على أفواهها النفط والنار حتى قتل منهم نحواً من أربعين فارساً، فمالوا بجمعهم قليلاً عن البندر وما زال صالح بن يحيى يطير من هذا المعقل إلى الذي يليه، ويخرج إلى الأطراف فيتعاهد رَتْبها، ويشدّد مَنْ بها حتى أصبح من بها يوم الأحد، وجمع الناس وسألهم الخروج عن البندر إلى الساحات خارج الحديدة، فقالوا: لا طاقة لنا بملاقاة هذا الجيش اللهام، ونحن في قلّة ولو كتبت إلى الوزير من قبل هذا ليزيدنا ويكثّر عَدَدَنا كنت في سَلامَة من تخبُّطِك، فقال: قد فعلت وما أعاد عليّ جواباً، فكيف أرجو منه الإغاثة ولكن الرأي الخروج بالخيل وعسى ننتصر ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً

---

(١) سنة ١٢١٨هـ.

﴿كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ﴾[1]، وما زال بهم حتى كان بين صلاتي الظهر والعصر، فأنغمّوا له وجاءهُ الأمير مبشر مملوك سيف الإسلام في مائة نفر من عسكر البندر وخمسة عشر فارساً، فتعاهدوا على الموت، وساروا عن البندر، وبلغوا إلى أطراف النخيل وفتحوا الحرب فانقضّت خيول الشام عليهم من كل وجهه، فخرجت عليهم غارةٌ يسيرة من البندر، فقهقرت خيول الشام، وتَنَحَت عن مركزها ظناً بأن الخارج كثير، فلما رأوا انقطاع الخارج، عادوا فَرَمَتْهم المدافع فانكسروا واشتد الأمير صالح ومن معهُ فَعُقِرَت خيل من خيول الشام بالرصاص وقُتِل جماعة منهم، وكمن لهم كمين فبغتوا الأمير صالح بن يحيى وقتلوا ثلاثة عشر نفراً من أصحابه وأصيب ثلاثة، فحملهم الأمير صالح بن يحيى، ولما توسطوا بقاع تهامة كرَّت عليهم خيول الشام وعساكرها، فكانت هزيمة الأجناد إلى البندر، ووصل بعض أهل الشام بالخيل إلى أطراف بيوت البندر، فرماهم أهل الإدرك بالمدافع وتابع أهل القلاع عليهم الزعازع، فما بالوا بذلك، وتهافتوا على دخول البندر وجالوا جولة وانتهبوا داخله وأحرقوا وقتلوا، ولم يفتر مَن بالقلاع عن الرمي بمكاحلهم ومدافعهم حتى تنكبت الفرسان، وأُصيب من رجال الشام الشجعان، وداست خيل اللاحق منهم السابق، فكروا ناكصين على أعقابهم. وانجلت المعركة عن ثماني مائة وخمسين نفساً من جند الشام، وأمر الأمير صالح بن يحيى في حال المعركة بإحراق بيوت الحطب التي تخللوها فأحرقت فَذَهب منهم بالنار جمع كثير، فولّوا الأبار وعادوا مخيمهم وأصاب الأمير حمود نفشه من المدافع في ظهر رقبته. ولمّا تفقدوا الذاهب منهم ورأوا ما أصابهم تعوقوا عن الكره بعد الفرّه وتفرقوا عن حمود في أكثر المسالك، ولم يبق عنده من أولئك سوى إحدى عشرة مائة من صدور أهل الشام ومشائخ قبائل تهامة، وما زالوا يتخطفون حال عودهم وبلغت المتخطفة إلى المتينة ـ بميم مضمومة فتاء فوقانية مفتوحة فتحتانية ساكنة فتاء تأنيث ـ من أعمال زبيد فانتهبوها وتناوشوا حرباً هنالك ثم عادوا نحو الشام وتخلّى قاع تهامة عن الطعام، وكتب الأمير صالح بن يحيى إلى الإمام بما حل باللئام، وسأله الإعانة والإمداد لحفظ البلاد، وأرعد في كتبه وأبرق وأرجف بما يستطاع فهوّن الوزير المصاب، وحقّر الواقعة فما أصاب، وأدرك سيف الإسلام من ذلك هَمٌّ فراجَع وكَابَد في تلك الحادثة شدائد، فما دفعَ إليه فيها رأسٌ ولا وجد مُعِيْناً يعضُدُه ولا وقف على صَدرٍ يناصره.

وفيها: تجسّس الأمير صالح بن يحيى أخبار من الزيدية، فوجد المشارقة تتردّدُ إليها، وتتحفظ من العدو عليها، فجهز ولد أخيه الماجد حسن بن حسين بن يحيى وأصحبه في غِرة ثلاثمائة من الجند، وأثنى عشر فارساً، فبغتها وحاصر من بقلعتها

---

(١) سورة البقرة، الآية (٢٤٩).

وضيّق عليهم المسالك، فخرجوا عنها، فتسلمها وقعدها في جماعته، ولما وصل من كان بها إلى حضرة حمود بن محمد جهّز علي بن حيدر في جيشٍ مُختار فنزلوا للمصاولة، فتناوشوا الحرب واشتدت الموهبة فحاصروا بها حسن بن حسين تسعة عشر يوماً، وحصل قتل في الموهبة لا يعرف بمقدار، وفي جند الدولة نحواً من ثمانية أنفار، هذا وصالح بن يحيى مشغول بدفع الغوازي والمتخطفين كما سنذكره ونَصَبَ علي بن حيدر على جند الدولة المدفع فرماهم به ولمّا ضاق بهم الحصار جهز عليهم الأمير صالح بن يحيى بن محسن بن شمس الدين وأحمد بن حسين في عُصبةٍ من جند اليمن، فساروا لا يلوون على أحدٍ فبلغوا الضّحِي[١]، فبغتتهم طليعة من خيل علي بن حيدر فتطايروا لها فانهزمت وهم في أثرها، وجاءت العيون إلى علي بن حيدر فسار بجيوشه الجرارة ولم يدع حوالي الزيدية أحداً من قومه، وقام في وجه الأجناد المنصورية وبَغَتَتْه من خلفه حفظة الزيدية فكان حال علي بن حيدر كما قيل:

تفـــرقــت الظبـــاء علـــى خـــداش   فمـــا يـــدري خـــداش مـــا يصيـــد

وتشتت عند ذلك شمله، وفترت صولته وفعله، فانهزم نحو الشام، وخرجت له البقية من الزيدية، وانحاز بـ(دَيْر علي)[٢]، فأقاموا عليه حرباً عُوَانَا، لم يجد له بها أعوانا، ولم يزل في حصار سبعة عشر يوماً، ثم خرج متوجهاً إلى الشام، فاستصرخَ حموداً، وشكى له ما لاقاه من المُصَادرة، وعتب عليه عدم الغارة والمناصرة، وأقام عزمه وأقعد وشحذ سيف همته المجدّد، فجمع الجنود وعبأ أزواده وأثقاله، وسار مسرعاً فحطّ مخيمه بسائله مَوْر[٣] وكانت له بها هنالك أموال وعمائر، وكانت الدولة قد أرسلت ـ لما كثر اللغط ودار حديث الناس في ذلك الأمر الذي فرط ـ بجندٍ وأصحبوا كل قبيلة مكتوباً في مقدارهم إلى الأمير صالح بن يحيى، فكانوا الفاً مِن ذو حسين ومن قبيلة يام مائة نفر، ومن حاشد نحو من أربعمائة، ومن سُفيان[٤] مائة وخمسين. ولم يصل منهم الجميع سوى خمسمائة.

وكانوا أمروا الأمير صالح بن يحيى أن يتلقاهم إلى الضحي ليقدم بهم على حمود بن محمد، فاجتمع بهم مُنضمّين إلى قبائله، فتقدم عليهم الشريف في جيشٍ كثيف إلى خارج الضَحى فسألت قبيلة بكيل صالح بن يحيى قبل الخروج أنالةَ مالٍ قبل

---

(١) **الضّحِي**: بلدة في وادي سُرْدُد، بالجنوب الشرقي من مدينة الزيدية بمسافة (٢٠) كيلومتراً.

(٢) **دير علي**: من قرى العطاوية بمديرية الزيدية.

(٣) **مور**: تقع مسيلات وادي مور شمال القناوص من تهامة. فيما بينها وبين مدينة عَبْس.

(٤) **وردت في الأصل**: سفين.

القدوم، فقال: قد أنالكم الإمام، فقالوا له: لا يتم هذا، فقال: نكتب إلى صنعاء، ثم كتب وما علم أن نفقته على جند الدولة في مناظرة الجواب أكثر من مطلوبهم، وليته ظفر من الدولة بما يكسر الصَولَة، ثم أعطاهم منه وخرج بهم فقامت الحرب على سُوقها فتصافوا وتتابع القتل في الناس.

وخَلَفَتْ من أصحاب الأمير صالح خالفَه، فأسرت أحمد ابو عقيل من أرحام حمود، فجاؤوا به إلى الأمير صالح أسيراً، ثم تقدم الأمير صالح بجيوشه وضرب مخيمه لمحل يقال له (دير علي) فدخله بخيله وجماعة ذو حسين وحاشد والتوابع، وأنفذ حسن بن حسين في جماعات من التوابع وسفين ويام وتوابع تهامة فسار بهم حتى بلغ (دَيْر عَطا)[1]، وشتت بهم حمود جماعته فحاذا بهم المخيمين معاً من جهة الغرب، واستدعى الأمير صالح رؤوس ذو حسين وسفيان وحاشد وغيرهم، وسألهم القدوم، فنكسوا على أعقابهم وتطلبوا المغلبات، فَغَزى الشريف حمود في وجه الليل، فَبَغت دَيْر عطا، بعد العشاء وبها حسن بن حسين، وكان الشريف حمود قد وعد الخير طائفته من قبائل ذو حسين الذين استدعاهم إليه، وحَرّضهم على الفتك وأمرهم أن يكتبوا إلى إخوانهم الذين بحضرة الأمير صالح بن يحيى يطلبون منهم المخادعة لصالح، ففعلوا بعد أن أرسل إليهم بمالٍ واسع، وسأل أصحابه أن يأمروا جماعة الأمير صالح من ذو حسين، أن يخذلوا مَن بحضرتهم من سائر القبائل على مالٍ، يُسلَّم إليهم ففعلوا، فلما وصلت جنود حمود إلى (دَيْر عَطا) وقت العتمَة خرج حسن بن حسين مشتداً بقومه، فأصدقوا الحرب والطعن والضرب، فكانت ملحمة عُظمى أعقبها هزيمة حمود بن محمد، فانكسر إلى مخيمه وحصل القتل باب خيمته، وأُسِر من أصحاب حمود عدة، منهم واحد من شجعان عبيده، ومنهم يحيى الفلاحي وعبد الله بن يحيى الشايف في أناسٍ آخرين من ذو حسين وجُند الشام، وانتهب جند الدولة جمالاً وسلاحاً ومتاعاً واسعاً، ولم يُقتَل مِن جند الإمام سوى رجل واحد. ولمّا رأت ذو حسين الإمامية ما صُنع بأخوانهم داخلَهم الضِيق والغِيرة فكان ما نقصُه عليك أول عام تِسْعَ عَشْرة ومائتين وألف، فقد كانت هذه الملاحم بتهامة آخرها شهر الحجة مِنْ عامِنَا هذا. وقد جرّ بِنا الكلام هنا مع ارتباطه إلى أن تركنا ما وقع في غضون هذه الحادثة من الحوادث الكائنة.

فإنها قد كانت بشهر رمضان خرجت غازيَةٌ وافرةٌ من أبـي عريش على بندر الحديدة، فوصلت مورد الماء فيها نحو اثنين وثلاثين عناناً من الخيل، فصادفت أمةً من الناس يسقون دوابهم ويحملون عليها الماء فدارت عليهم الفرسان، فأخذوا خمسة

---

(١) **دَيْر عطا**: بلدة شمال مدينة الزيدية بنحو عشرة كيلومترات بجوار الطريق الاسفلتية بين الزيدية والقناوص. وهي لقبيلة العطاوية من عك.

وسبعين حماراً موقرة بالماء، وأسروا أهلها. ورأوا جمالاً قد وردت تستقي وتحمل الماء، فدارت عليها وعلى أهلها خيولهم، فأخذتها وما عليها، ورأوا قافلةً تحمل البن فدارت خيلهم عليها فاستسلم أهلها وكانت نحواً من خمسة وعشرين جملاً، فاقتادوها وصرخ صارخها خارج الحديدة فخرج الأمير صالح بن يحيى من حينه بمن معه من الناس واستدعى الخيل البندرية على العَجَل وسار مصاولاً فتخالفوا ضَرْباً بالسيوف وطعناً بالرماح وتتابع الناس، واستخلص بعد أن طوى يوماً كاملاً في اللحوق جميع ما أخذوه وعقر أربعاً من خيل الموهبة وافتضّ مِهْرٌ تحت سعد الحبشي مملوك صالح بن يحيى ولم يقتل أحد من الجانبين.

[تخطّف القواسم الوهابيين ببحر الهند]

وفيها: تخطفت الموهبة بالبحر الهندي وخرج جماعة من القواسم أهلِ رأس الخيمة، ونهبوا دواب ومراكب بين بندر عدن والمخا، وحصلوا منها متاعاً ومالاً جماً، ثم ذهبوا به قاصدين بندر اللحية فنزلوا على اخوانهم الموهبين فباعوا الغالي منها بالثمن التافه.

[تخطّف عسير بالبحر]

وفيها: تخطفت موهبة عسير بالبحر، وانقطع حاج اليمن وتجارة، فلاقوهم بمرسَى الليث وللموهبة عشرون داواً فيها نحو أربعة وعشرين مائة مقاتل من عسير وغيرها، وسار أهل اليمن في ثمانية وثلاثين داواً سِنْجَاراً واحداً، فبدرتهم الموهبة برمي الرصاص، فقام الحرب هنالك، واشتد أهل اليمن فرموا رمياً صادقاً، فقتلوا نحو العشرين من أولئك، وذهب من التجار والحجاج نحو العشرة، وأرسل الله ريحاً عاصفاً قاصفاً فدارت بداوات الموهبة، وتخلص من تلك الشدة داوات اليمن.

[غزوة سعود إلى الظفير من أرض العراق]

وفي هذا العام، غزا سعود الظفير[1] وهم أعراب دون العراق، يقال لهم آل سُوَيْط بالمهملة مصغراً لسوط ورئيسهم المعروف بالشّاوِيْش، وكان مقصد سعود بالغزوة غيرهم، فقيل له: إنهم قد نكثوا عهدك فمال عليهم وهو من تقديم الأهم على غيره، وكانوا على خمسة عشر يوماً من الدرعية للمجِدّ، فبدرهم وأباحهم، فما زال سيفه يعمل منهم يومين كاملين، وأصحابه فيها يقتلون ويأسرون ويسلبون حتى لم يشرد منهم إلا القليل، وكانوا فيما يقال أقوى القبائل بأساً، وأشدهم فتكاً وأكثرهم مالاً، فأبادهم عن

---

(١) **وردت في الأصل:** الطفير، بالطاء. والتصحيح من «معجم قبائل العرب» (٢/٥٦٧) مادة: السُوَيط. قال الظفير منطقة بين نجد والعراق.

آخرهم وأباد خضراءهم، وأتىٰ على أموالهم الطائلة فكانت شيئاً لا يدخل تحت الحصر، وقرَّب لنا بعض حاضري تلك القتلة من خوّاص سعود، فقال: لا تنقصِ الإبلِ المأخوذة من مائة ألف رأس وثلاثمائة ألف رأس من الغنم السائمة وغيرها، وخيلاً وبقراً وبهائم لا تُحْصَى ولا يُحْصَر المتاع المأخوذ ولا يُعَد، فأقام على مَعَارَتهم بعد ذلك أربعة أيام يقْسِمُ الغنائم في قومه، وكان جنده ثمانين ألفاً ثم كَرّ قافلاً، وكان مقصوده بتلك الغزوة بادية العراق.

[قتلة بين بني جَبْر]

وفي صفر، دخلت قبيلة خَوْلان بنو جَبْر إلى رَيْمة ابن حُمَيْد[1] في ألف من مقاتلتهم، وحصل بينهم وبين بني بهلول حرب، فقتلوا رجلين من بني بهلول وأصيب منهم جماعة، ثم تخطفوا حول الديار، فأخذوا مائتي رأسٍ غنماً لبني بُهلول وثورين، وكان خروجهم لطلب الجوامك والمقرّرات.

[المضايفي يمنع حجاج اليمن]

وفي هذا العام، بلغ حاج اليمن إلى الطائف فتلقاهم الشيخ عثمان المضايفي وَوَسَمهم بالمشركين، وقال: إنا نحول بينكم وبين طلبتكم، قال الله تعالى: ﴿إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا﴾، فعاد بعض منهم وتسلق الأكثر إلى مكة، من فجاج بعيدة.

[انقطاع أهل مصر عن مكة]

وانقطع في هذا العام حاج المصريين لكثرة المِجْيبِ بطريقهم لداعي عبد العزيز، ولثورة الغز على باشه السلطان بالديار المصرية ولموت باشه الحاج المصري في تلك الأيام كما بلغ والله أعلم.

[خروج باشا الشام للحج]

وفيها: خرج باشة الشام سليمان مولى أحمد الجزّار في قلةٍ من الخيل والعَدَد، فوصل إلى البيت الحرام. وزعم الناس هنالك أنه مأمور بقتال الموهبة، فانثالوا عليه فلم يجدوا طائلاً لديه.

وفيها: مع تَهيُء الناس لطلوع عَرَفه مات بمكة باشة جُده محمد مَلَكْ شاه، فكان لموته فَزع، وكانت تظهر منه الشدة على جماعة النجديين ووعد الناس الخير بقتالهم.

---

(١) رَيْمة حُمَيْد: قرية في جنوب مدينة صنعاء علىٰ مقربةٍ منها، وهي لقبيلة سَنْحان. وبجوارها أرض قبيلة بني بُهلول التي تبعد عن صنعاء جنوباً بنحو عشرين كيلومتراً.

[غزوة ابن بادي إلى رابغ]

وفيها: غزى النجديون إلى رَابِغ[1] وهو المحل المشهور بـ(غدير خُمّ) بين المدينتين، وعليهم الأمير ابن بادي فَبَغَتَ أهل رابغ، وأعمل فيهم السيف ونكل بمن ظفر، وشرّد منهم البقية، وكانوا قد رجعوا عن عهد عبد العزيز، وكان سعود قد أخذ منهم العَهد لوالده على لزوم ما ألزمهم. ثم سار ابن بادي عن رابغ، فنازل أهل الخليص[2] وهو المشهور بـ(كراع العميم)، فأعمل السيف وقتل به النساء والصبيان والمشائخ ثم سار مع جماعات من الأبطال، فأوقع بأهل وادي فاطمة، فانتدبَ مَن بهِ من الأشراف فتصافوا للقتال وانتصفت كل طائفةٍ من الأخرى وقُتِّل من الأَشرَاف نحواً من ثمانية عشر رجلاً.

[منع النجديين لطرق مكة]

وفيها: تداعت الجموع من النجدية، وتحالفوا على مَنع الداخل والخارج إلى مكة، فمنعوا الميرة واشتد على الحاج الذي بلغ مكة الحال لضيق المسالك، وبلغ ملء الكف من الحطب ثمن ريال، وفقد الناس الطعام وجميع ما يُقتَات، فأكلوا الجلود، وذبحوا ما وجدوا من الحيوانات، وبُيع الهِرّ بريال فرانصة، ولمّا سارت الحجوج نزل غالب علىٰ سليمان باشا يسأله الإعانة فكان ما سنذكره عام تسعة عشر من إعانته بأربعمائة من الترك، وبَيّنَا ما فعلوا له من الفتك بالعدو في السَعْدِيّه وما قُتِلَ من الطائفتين.

[مسير أبو نُقطه علىٰ بني سعد]

وفيها: سار عبد الوهاب أبو نُقطة علىٰ بني سعد فانتصف منهم، وعاد إلى الليث ووجه جماعة إلى الحُديبية، فعاثوا هنالك، وقتلوا من وجدوه بتلك المسالك، ونهبوا وأفسدوا وعادوا.

[تولى أحمد بن علي سعد اليمن الأسفل بعد وفاة أخيه]

وفيها: عقب موت محمد بن علي سعد متولي اليمن الأسفل، أناط الإمام أمور اليمن بأخيه أحمد بن علي سعد، فرأى لموت أخيه سقوط الهيبة من قلوب طائفة بكيل الذين بـ(صُهْبَان)[3] وغيرها، فانتدب لحربهم وجمع قبائله من بني عواض ونِهمْ وخولان، فكانوا خمسة آلاف، فسار بهم فتنكّب لمسيرة ذو محمد القاطنون باليمن،

---

(١) رابغ: بلدة من إمارة منطقة مكة المكرمة.

(٢) خلَيْصُ: بضم الخاء. وادٍ فيه قرى كثيرة من أعمار إمارة مكة.

(٣) صُهْبَان: منطقة في جنوب مدينة إبّ بجوار جِبله.

فتبعهم وصاولهم بصهبان وحبسهم هنالك، وضيق عليهم المسالك، فرأوا أنهم إن لم يبذلوا جِدّهم وجهدهم تسلمهم فجعلوها خارجيةً فانثالوا على أصحابه، فكانت لهم ملحمة بقوم أحمد بن علي سعد، فدعَى من يليه من سائر القبائل، وسار إليهم في اليوم الثاني فصاولهم، وتخطّف ما أُجْلِب إليهم، واشتدّ شدة لم تُعْهَد، فقَتل في يومه منهم اثني عشر نفراً بالبيوت، وقارب تسلُمها فصاحوا بالنزول إليه على حكمه على أن لهم الأمان من القتل، فاشترط خروجهم من المعاقل والذهاب إلى أملاكهم على أن يأخذ من عُقّالِهم من شاء، فأوجَبُوا له وخرجوا خُفْيَةً، ونهضوا إلى من بـ(شعب يافِع)[1] فسار علَى من بشعب يافع من البكيليين، فتحكّم فيهم بعد أن صادرهم ونازلهم وأذاقهم وبَالَ الأهوال، فانقادوا لطاعته والدخول في حكم جماعته، ونازلهم على قَبْضِ رهائن من وجوههم، وتخلصهم مالاً جمّا، واشترط عليهم الدخول في مَا جِريَّاتَ الدعايا من تسليم الحقوق وتنفيذ الرسل، فدانوا له بذلك، وصادَرَ منهم امرأةً متمولةً هنالك وتسلّم منها أربعمائة قرش حجراً، ولما مَسَّهُم من الهوان ما لم يكن لهم في خيال ولا بال، تطلّبوا الخلوص ولات حِين خلاص، فكتبوا إلى الإمام، يسألونه الأمان، فألزم عامله السيد أحمد أن يدَعَهم ولا يمنعُهم من المسير، فساروا إلى بلادهم المدمرة وتبعتهم تلك المرأة[2]، فنكّفت على حكم الطاغوت واستنفرت القريب والبعيد فنفَر معها طائفة، وسيأتي تمام الخبر عام تسعة عشر، وقد قدمنا فيما سلف محاصرة النجديين لمكة المشرفة، ولما لم يدخلوا للحج جعلوها عُمرة وستقف على ما كان من أمرهم في دخول مكة بعد الحج.

[إطلاق على بن أحمد من السجن]

وفيها: يوم الإثنين ثاني وعشرين شعبان، أطلق الإمام من سجنه علي بن أحمد بن محمد بن إسحاق بعد أن حصل الإياس معه.

وفي هذا العام قُتِل عبد العزيز النجدي الدرعي داعية نجد وسنترجمه آخر هذا العام.

[محمد بن علي سعد]

وفيها: شهر صفر، محمد بن علي سعد متولي الديار اليمنية[3]. قد سبق من أموره

---

(١) **شِعب يافع**: منطقة على بعد نحو ميلين من مدينة جِبله، هي اليوم مركز إداري من أعمال مديرية إبّ، تضم مجموعة قرى.

(٢) **وردت في الأصل**: الامرأة.

(٣) نيل الوطر (٢/ ٢٩٣) عن النص هنا. وهو من بني الجُماعي الذين ينتمون إلى جُماعه ـ بضم الجيم ـ في بلاد صعده.

ما يشهد له بالرياسة التي خافه بها القريب والبعيد، وكان كريماً مطلقاً سفّاكاً للدماء، نهّاباً للأموال، لا يعرف لأحدٍ سواه مقداراً، تولى باليمن الأسفل، وكان قد دخل في حيّز الذهاب فضبطه وأمّن طرقه وتسلّط على الأشرار وامتنع به نزول طائفة بكيل إلى ساحات اليمن، وجمع أموالاً لا يحصيها إلا الله تعالى، ثم مات فرأى بعض الناس بعض ولده يسألون بالطرقات، وهذه إحدى العِبَر التي تُسكب لها العبرات.

[أحمد بن علي غشّام]

وفيها: يوم الإثنين، ثالث جمادى الأولى[١]، أحمد بن علي غشّام[٢]، وكان أميناً في فصل الخصومات. لازم القاضي يحيى بن صالح السحولي فمات فلازم القاضي البدر محمد بن علي الشوكاني.

[السيد أحمد المهدلي]

وفيها: يوم السبت ثالث عشر رجب، أحمد بن علي المهدلي الهاشمي الصُّوفي المتأله[٣] صحب الماس عبد الرحمـٰن في التهائم أيام صغره، فحصلت له حظوة أنالته أموالاً جمة فاشترى بها عُقاراً في الجهات الزبيدية واليمنية، وكان منفقاً متصدقاً حسن المعيشة وجيهاً عند الدولة مقبول الشفاعة، وكانت له وفرة بيضاء تضرب كتفه آلىٰ على نفسه أن لا يحلقها حتى يحج، فمات ولم يقض له وطراً من الحج. وكان مرزوقاً، وله في أكثر جهات التهائم وكلاء يبيعون له ويشترون ويبعثون إليه بالأرباح فينفقها في حاجاته. وكان كثير النزول على محمد بن هاشم[٤] وسعيد بن علي القرواني وعلي بن إبراهيم الأمير، وكتب إليه بعض الوكلاء من بندر المخا: اني لا أجد في البندر ما يُشترَى مما يرغب فيه وأخاف أن لا يحصل ربح في شيء مما عُرض ويُعرَض علي فأي شيء تريده شريناه، فأقلقه ذلك وكان رحمه الله غير بصيرٍ في البيع والشراء فكتب وهو في حمقه إلى وكيله: أن اشترى قروناً، وقد عجبت من كتبك إليّ في هذا العام. فظن الوكيل أن شراء القرون عن قصد منه واختيار ولم يعلم أنها خرجت منه على سبيل الحمق، فشرَى قرون الزرافة، وكانت حال وصولها إلى البندر كاسدةً فلما حازها إذ الواصل «من التجار»[٥] إلى البندر يتطلبها بزيادة النصف على ثمنها فلا يجدها، فكانت تلك من أنفع ما أتجر فيه الوكيل، وعرّفه أنه ليس رأيه في الشرى بديل، وليس كذلك

---

(١) سنة (١٢١٨هـ).
(٢) نيل الوطر (١/ ١٦٣) عن ماهنا.
(٣) نيل الوطر (١/ ١٦٥).
(٤) السيد محمد بن هاشم بن يحيى الشامي.
(٥) زيادة في النسخة «ب».

ولكنها أرزاقه تطلبُهُ، ولمّا حدّث بهذه القصة صاحبه علي بن إبراهيم الأمير كتب إليه بعد أيام: واعلم أن في حلية أبـي نعيم عن جابر بن عبد الله مرفوعاً «أن ابن آدم لو هرب من رزقه كما يهرب من الموت، لأدركه رزقه كما يدركه الموت».

وكان رحمه الله تعالى إذا رأى من عليه دينٌ سعَى في خلاصه، وكثرت ضماناته عند الدولة على قومٍ مصادرين فلزمهُ غرم كبير، ولم تزجره النكبات التي رآها من ضماناته، وسمعته بموقف والدي رحمه الله وقد سأل عن سبب ما ورد أن درهم القرض بثمانية عشرة حسنةً ودرهم الصدقة بعشرة أمثاله حسنةً، فسكت والدي فقال: أُفيدك سمعت عن بعض المشائخ من الصوفية أنه قال: ورد في بعض الروايات درهم القرض بدرهمين من دراهم الصدقة، ودرهم الصدقة بعشرة لأن الحسَنة بعشرة أمثالها، فاقتضى أن يكون درهم القرض بعشرين مماثلاً، إلا أنه يرجع على المقرض فيعود عليه درهمان ويبقَى له الأجر ثمانية عشر.

وكان رحمه الله كثير الإطلاع على أحوال الدولة القاسمية وعمالها. ولديه نوادر وشوارد، وقفت معه مرةً بحضرة والدي فأخذ في الحديث واسترسل في النوادر، فسمعته يقول: قرأ رجل بحضرة رجل ناجي ﴿إِنَّا مُرۡسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ﴾[1] بنصبِ الناقة. فقال له الناجي: جرّ الناقة، فالتفت ورآه وقال: أين الناقة حتى أجرها؟ فأفهمه المعنى.

قُلْتُ: وهذا مثل ما ذكره ابن فارس عن بعض الأعراب قيل له: أَتَهْمِزُ إسرائيل؟ فقال: إني إذاً لرجل سُوء وإنما قال ذلك لأن العرب لا تعرف من الهمز سوى الضغط والعصر، وقيل لآخر اتجر فلسطين؟ فقال: إني إذاً لقوي. وهذا يدلُّك على أن العرب لم تعرف نحواً ولا إعراباً، وقال عن بعض الناس بل تعرف الحروف والحركات ولكن المعرفة مختَصَّة ببعض دون بعض.

وسمعت المترجَم له بموقف والدي يقول: قال رجل لبعض أهل اللغة: ما كانت العرب تقول في صلاتها على موتاها؟ قال: لا أدري. فقال رجل: أنا أكذب له. وقال: كانوا يقولون: رويدك حتى يبعث الخلق باعثه، فإذا بالسائل يُحَدِّث الناس يوم الجمعة في مقصورة بأن العرب كانت تقول في صلاتها ذلك.

[علي بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق]

وفيها: يوم الجمعة تاسع عشر رجب، علي بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن إبراهيم بن المهدي، وكان صالحاً مخبتاً، نزل عليَّ يوماً لأمر أهمّه فكان مما دار بيننا أن قال لي: من أعجب ما سمعتُ شيخك علي بن إبراهيم بن عامر يقول وقد قلت له أني

---

(١) سورة القمر، الآية (٢٧).

وهبت فلاناً كتاباً فيه أدبٌ غض ثم تأسفت عليه فوجدته قد عرضه للبيع فشريته فقال لي شيخك: ما كان ينبغي لي ذلك لأنه ثبت أن الراجع في هبته كالكلب يرجع في قيئَه فقلت له: ما رَجَعْتُ فيها ولكني شريته بمالي. فقال: وإن شريته بمالك، قال: فما زلت متعجباً منه كيف يفتي بهذا وهو من أعلم الناس، ثم إنه مَرَّ بـي هذا الحديث وسَبَبُه بعد عام في صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه حمَلَ على فرسٍ في سبيل الله فوجدَهُ عند صاحبه قد أضاعه وكان قليل المال فأراد عمر أن يشتريه وأخبر رسول الله ﷺ، بذلك فقال: لا تشتره وإن أعطيتهُ بدرهم فإن مَثَلَ العائد في صدقته كمثل الكلب يعود في قيئه. انتهى. فكتب هذا الحديث إلى المترجَم له فبلغني أنه أعاد ذلك الكتاب لورثة ذلك الرجل وكان قد مات.

[محمد بن المهدي عباس]

وفيها: ليلة الخميس خامس عشر شهر رمضان، محمد بن الإمام المهدي العباس[1]، وكان أحد المشاورين في أمر الخلافة بعد أبيه فقال: لا يصلح لها غير أخي علي. وكان له ولع بالطيب شديد، أَنفقَ في معاناة العطر الشاهي أموالاً جمّة فأدرك الصناعة، وكان يتطيّب مما جادت فيه صناعته فإذا مَرّ بطريق وغاب عنها دام عرف ذلك الطيب بها متضوعاً، وكان يهدي منه لأخيه الخليفة ولسيف الإسلام. عاش عيشة راضية ولم يتعلق بشيء من أعمال الدولة، وكان محباً للخمول والدعة، أقطعه الإمام المنصور قطعة ببلاد آنِس فدامت له حتى مات وألقيت لأولاده.

[عبد الله بن يحيى الغشم]

وفيها: يوم السبت سلخ شوال، عبد الله بن يحيى الغشم[2] عالم الزيدية وخير خلف في تلك الذُرِّيه. أنفق عمره في طلب العلم، واجتهد في العمل، وكانت له شفقة على الضعفاء، يتصدق بما وَجَد، لا تفتر لسانه عن ذكر الله، تَخرَّج به عَالَم من الناس.

وكان كثير السياحة للاعتبار، متوجعاً من أخيه علي بن يحيى العامل بـ (ضُوْرَان) ناعياً عليه أحواله. دار بحضرته حديث خلق الله آدم على صورته، فقال ليس فيه إشكال لأني رأيته وارداً على سبب وهو أن رجلاً ضرب عبده فنهاه النبي ﷺ عن ذلك وقال: إن الله خلق آدم على صورته أي على صورة العبد فقد أهنتها.

---

(١) نيل الوطر (٢/ ٢٨١) عن ما هنا.

(٢) نيل الوطر (٢/ ١٠١)، هجر العلم (٣/ ١٦٤٧)، وكلاهما اعتمد علىٰ ما جاء في هذا النص.

[عبد العزيز النجدي]

وفيها[١]: عبد العزيز بن محمد الداعية بنجد قتيلاً، وهو عبد العزيز بن محمد بن سعود بن محمد بن مُقرِن[٢]، ولا نعلم له نسباً إلى غير مقرن، وسألت جماعة النجديين الواردين من حضرة سعود بن عبد العزيز عن نسبه فقالوا: لا ندري ما وراء مقرن. قال عبد الله بن مبارك الحساوي أحد رسل سعود إلى الإمام المنصور: من أخبرك أنه يتجاوز مقرن فلا تصدقه، وقال عبد العزيز بن أحمد. وهو رأس الرُسل الذي بعثهم سعود: لا أحفظ بعد مقرن أحداً من آبائه وهم يحفظون بعده رجلين أو ثلاثة لا غير، يريد أهل الدرعية. وقال لي فيما كتبه إليّ: يزعمون أن عبد العزيز من قبيلة عنزة وعند النسَّابين أنهم ينتهون إلى قحطان والله أعلم.

كان رجلاً بصيراً بالأمور متفرساً في الدول، عالماً بمثيرات فتن القبائل، سائساً حذراً، خبيراً بأحوال الناس، بطلاً شجاعاً فاتكاً يتحلّى بحيلة السَّلَف ويدعو إلى الدين، وينقم على العلماء والفضلاء، يحض على التوحيد والإخلاص، وأول ظهوره أيام ورد محمد بن عبد الوهاب على أبيه محمد بن سعود.

[الإمام محمد بن عبد الوهاب]

وهذا محمد بن عبد الوهاب هو الذي تنتسب إليه الموهبة، نسبةً على خلاف القياس، كأنه وهب نفسه لله وَوَهَّبَ الناس له تعالى، فهي نسبة كنسبة الشُراة من الخوارج فإنهم إنماقيل لهم الشُراه لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾[٣] وليس للمتَسميين بهذا دراية، وإنما قصدوا اسم أبيه عبد الوهاب فقالوا: الوهَّابـي ونحن المَوْهَبون.

ولنذكر ما يعرف الناس من نسبه فنقول: أخبرنا عبد الله بن المبارك الاحسائي ثم الدرعي، وبمثل خبره أخبرنا عبد العزيز بن أحمد النجدي اليمامي؛ قالا: هو الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن أحمد بن محمد بن راشد. قال عبد العزيز بن أحمد فيما كتبه إليّ: وما بعد راشد ما أحفظه وهو مكتوب عندنا، ينتهي نسبه إلى تميم. وقال ابن المبارك: هو رجل خرج بهذه الدعوة والناس جميعهم منكرون

---

(١) سنة (١٢١٨هـ).

(٢) هو أحد أمراء آل سعود في دولتهم الأولىٰ. كانت عاصمته «الدّرعية» بنجد. ولي بعد وفاة أبيه سنة (١١٧٩هـ) واتسع نطاق الدولة في أيامه. اغتاله رجل من أهل العمادية (من ديار الجزيرة) في جامع الدرعية. وهو ليس الملك عبد العزيز بن عبد الرحمٰن بن آل سعود ملك المملكة العربية السعودية الأول؛ ومنشئها.

(٣) سورة التوبة، الآية (١١١).

عليه، فأراد الله ما أراد من إظهار أمره، وأعلاه على شأنيه ومبغضيه، ثم أيده الله بمحمد بن سعود ثم بعبد العزيز، ثم توفى فترك من الأولاد عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، قال ابن المبارك فيما كتبه إليّ: هو رجل مُتطلّع، حفظ متون الحديث وعقائد الناس. وله مشاركة في علم اللغة والنحو والفقه.

وله أخ يُسمّى علي بن محمد بن عبد الوهاب وهو رجل عالم بتفسير كتاب الله، يحفظ أقوال السلف، وله مشاركة في علم الحديث والفقه والعقائد وهو أشدهم ورعاً وأقواهم في دينه.

ولهما أخ يُسمَّى إبراهيم بن محمد بن عبد الوهاب هو رجل خرج من ديوان العلم إلى ديوان التجارة، له أموال عديدة ولا يخلو من مشاركة في العلم قليلة.

وله أخ يُسمى حسين بن محمد بن عبد الوهاب رجل ضرير، متولٍ للقضاء في ذلك المكان. قرأ في الفقه والنحو وشارك في علم الحديث والتاريخ، أربعتهم أخذوا عن أبيهم ولا أعلم لهم شيخاً غيره.

قال المؤلف غفر الله له أخبرني بعض المكيين المترددين إلى الدرعية في عام حجي أن لمحمد بن عبد الوهاب ابنتين إحداهما شايعة ضد الخافية، والأخرى هَيَا ـ بهاءٍ مفتوحة فيا تحتانية وألف تأنيث.

وأكبر أولاده عبد الله بن محمد، وله ولد اسمه سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رجل حافظ للرجال وأيام الناس، له مشاركة في علم النحو واللغة والحديث وهو في درجة أبيه وأعمامه في الفضل. قال ابن المبارك في آخر مكتوبه إليّ: وبيني وبين سليمان صحبةٌ متأكدة.

وكتب إليّ ابن المبارك مفصلاً لأحوال أولاد عبد العزيز، فذكر سعود بن عبد العزيز، وقال: انه ولد سنة ثلاث وستين بعد المائة والألف، ثم ذَكر لي أولاد سعود. فقال عبد الله بن سعود هو أكبر أولاده وأعقلهم والمترشح للخلافة بعده ـ بهذا اللفظ ـ والغالب عليه محبة العلماء وأهل الصلاح، ومنهم تركي بن سعود رجلٌ لا يخلو من ذكاء وخفة نظير وحدّه، والغالب عليه محبته، للشرف والرياسة والأدب الجُملي، وذكر ولده مُشَاري ـ بميم مضمومة معجمة مفتوحة فألف فراء مهملة فياء نسبةٍ ـ وهو رجل يغلبُ عليه حبُ الرماية بالبنادق صالحٌ في نفسه.

ومنهم فيصَل بن سعود، قال ابن المبارك: لا أعلم من حاله شيئاً.

ومنهم ناصر بن سعود، أبعدهم همّةً أنفٌ في السماء وإستٌ في الماء كثير

الاصطناع للمعروف.

ومنهم إبراهيم بن سعود. قال ابن المبارك: هو قليل المخالطة للناس ولهم فيه رغبة لذلك.

ومنهم فهد بن سعود. تخفىَ على كثيرٍ أخلاقه إلا أنه يقال إنه أَمْضَاهم عند أبيه.

ومنهم سعد بن سعود. هو أجملهم خَلْقاً وأبهجهم منظراً وله همة بعيدة.

ومنهم عبد الرحمٰن. قال: وهو صغير لا يُدْرَى خيرُه من شره.

ومنهم عمر بن سعود. وهو كذلك إلا أنه حَظيٌّ عند أبيه.

فهذا خبر ابن المبارك. قلت وأخبرني بعض المكيين ممن له إطلاع على خاصّة عبد العزيز أن له من الأولاد غير سعود: عبد الله بن عبد العزيز ومحمد، وهما على أمٍ واحدة، ثم عمر وعبد العزيز إبْنَا عبد العزيز وأُمُّهُما إحدى بنات الشيخ محمد بن عبد الوهاب تزوجها عبد العزيز بن محمد. قال المكي: وأما بناته فخَمس منهن لطيفة ومنيرة. قال: ولا أحفظ أسماء الآخرات. قال: ولعبد العزيز أخ مقدام يُسمى عبد الله كان رئيساً في أول الأمر مجهزاً في الغارات فلما أستوى سعودٌ على الخيل نحَّى عمه عبد الله بن محمد بن سعود، ولعمه هذا من الولد اثنا عشر أكبرهم المسمى شجاع. قال المؤلف غفر الله له: وداعيتهم أَنْحَصَرت في منع التنباك والقول بتحريمه غلطاً وجهلاً وحلق الرؤوس، وهدم المشاهد المبنيّة على القبور، والقول بالتوحيد، وتكفير من اعتقد في غير الله، وتنكيل من لم يحضر الصلاة. وهذه أمهات مسائلهم. وقد كفّروا أهل القبلة جميعاً، فغلطوا في ذلك غلطاً فاحشاً، وقد كان ابن عبد الوهاب يخبط في المسائل وقد رأيت الناس يستبشعون أشياء استنكرتُ نسبتها إلى ابن عبد الوهاب منهم أنهم قالوا: تَزْعمُ المشارقة أن لبس الحِلْقَة والخاتم من الشرك. فأقول قد كان رسول الله ﷺ يلبسهما وأتعجب، وكتبت في ذلك إلى عبد العزيز بن أحمد الدرعي النجدي فأجابني أن المستند في ذلك ما قاله شيخنا محمد بن عبد الوهاب في مؤلفٍ له.

[قولهم أن لبس الحلقة شرك]

قال فيه: بابٌ من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه، وقوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾[١]. وعن عِمران بن

(١) سورة الزمر، الآية (٣٨).

حُصين[1] عن النبي ﷺ أنه رأى رجلاً في يده حلقة من سُفر فقال: ما هذا؟ قال: من الواهنة. قال: انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهناً، فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبداً. رواه أحمد بسندٍ لا بأسٍ به، وله عن عقبة بن عامر[2] مرفوعاً: من تعلّق تميمة فلا أتم الله له، ومن تعلّق ودعةً فلا ودع الله له. وفي رواية: من يُعلِّق تميمة فقد أشرك، ولابن أبي حاتم عن حذيفة أنه رأى رجلاً في يده خيط من الحُمَّى فقطعه وتَلى قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾[3]. وقال عبد العزيز هذا كلام شيخنا. وقال فيما كتبه إليّ: قال شيخنا في هذا إن تلاوة حذيفة الآية دليل على أن الصحابة يستدلون بالآيات التي في الأكبر على الأصغر. انتهى كلامه.

قلت: انظر إلى حال هؤلاء كيف عمَّمُوا المسألة وهي في أهل الجهل والغباوة الذين يعتقدون النفع والضر في ذلك على أن حديث أحمد لم يقطع فيه بصحةٍ ولا حُسْنٍ فكيف يُكفَّر به، وأما استدلال حذيفة ففي غير محله. ونهاية ما في هذا التحذير من اعتقاد الضر والنفع في غير الله.

ومما استنكرت نسبته إلى ابن عبد الوهاب جلد المتخلفين عن حضور الجماعة، فكتب إليّ عبد العزيز بن أحمد أن عبد العزيز بن سعود أجاب في هذه المسألة وقال: من أبيَن الأدلة على هذا هَمُّ النبي ﷺ بتحريق من تخلّف عنها لولا ما في في البيوت من النساء والذُريّة قال: وهي عندنا واجبة على الأعيان في حق الرجال المكلفين كما هو مذهب الإمام أحمد وكثير من فقهاء الحديث، فإذا ثبت انها واجبة علىٰ الأعيان فمن ترك الواجب عليه فإنما يردعه عن ترك الواجب العصا، فانظر إلى هذا الجواب كيف خالف الصواب، فأنما تجرى مع أولئك بالظاهر، فإنه قد كان يتخلف عن الصلاة متخلف ولا نَعلم أن النبي ﷺ ضرب أحداً أو جلده.

ودارت بيني وبين عبد العزيز بن أحمد مسائل أنكرتها على محمد بن عبد الوهاب وقومه، منها انّهم سَوَّوا بين المسلم المبتدع الجاهل وبين كُفر عبدة الأوثان فقلنا له: رميُ المسلم بالشرك ظلم عظيم، ومن قال لأخيه: يا كافر فقد باءَ بها أحدهما، وذكرت له أن الشرك الذي عناه الشارع شرك من يجعل لله ندًا وقال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾[4] وهذا في جُملة المسلمين غير موجود، فإنهم لا يعدلون بالله أحداً. على أن المتوسل منهم بالصالح لا يعتقد النفع فيه والضر ولكنه يرى أن له أعمالاً صالحة

---

(١) أُسد الغابة في معرفة الصحابة (٤/ ٢٩٩).

(٢) نفسه (٤/ ٥٩).

(٣) سورة يوسف، الآية (١٠٦).

(٤) سورة الأنعام، الآية (١).

من عبادة الله فيرجو الله بعبادته. ولو سألته أينفعُك ذلك المتوسَّل به أو يضرك؟ لقال لا. أنا أعلم أنه لا يضر ولا ينفع إلا الله ولكني أسأل الله بعمل هذا، فهو كسؤال الذين انطبقت عليهم الصخرة. فأما المشركون فإنهم كانوا يعبدون الشمس والقمر والشجر والحجر وغيرها لا لأنّ لها عباده تُقرِّب ولا قصد لهم إلا أن معبوداتهم جميعاً تقرب بالنفع والضر، وأما الجاهل من أهل الإسلام فلا تراه يسجد إلا لله تعالى ولو أردته على السجود لغيره لأبىٰ ذلك، فبان لك الفرق أن الكفار يقولون ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى فيجعلون عبادتهم لهم والمسلم لا يقول أعبدهم أصلاً كما قال المشركون؛ إنما نعبدهم. والجاهل من المسلمين لا يجرى على لسانه ذلك.

ومما استنكرته ما نقل إلينا من إيجاب عبد العزيز وابـن عبد الوهاب الهجرة إليهما لظهور البدع مع قول النبـي ﷺ: لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونيّة. وراجعت في هذا عبد العزيز بن أحمد وطال المقال واتسع إلا أنه لم يصرح بوجوبها، ثم دار الكلام مع الحسن بن يحيى بن أحمد الكبسي فكتب إليّ كلاماً طويلاً وقال: آخره: وسأزيدكم إيضاحاً في ذلك، فإنكم ذكرتم أن الهجرة إنما شُرعت لعدم تمكن المؤمن من أداء ما افترض الله عليه، فهذا هو الداعي إليها. فأقول أما من كان متمكناً في بلده من أداء الواجب في خاصته نفسه، واستعمال أحكام الله تعالى ودرس العلم فلا هجرة عليه، ولا يضره عمل غيره بالمعاصي لعدم العصمة عنها وعدم إمكان إقلاع الجميع عن ذلك لأن الشيطان مُنْظَرٌ بين الناس للأغوآء وإنما الواجب عليه ما كلف به في الشريعة السهلة التي لا يُكلّف فيها أحد بما لا يطاق، وهو أن ينكر ذلك بحسب إمكانه. إمّا بيده أو بلسانه أو بقلبه، فقد جعل الله أحد الثلاثة بدلاً عن الآخر عند تعذره، وهذا في طاقة كل أحد إن من لم يمكنه بالأمرين الأولين فهو معذورٌ عنهما إلى فعل الإنكار بالقلب، وهو أدنى الإيمان إذ لا يمنعه عنه أحد كما يقدر أن يمنعه عن صلاته وصيامه الظاهر. وهذا الذي قررته هو الذي كان يقع للمستضعفين بمكة الذي فتنوا عن دينهم وإظهار التوحيد وأركان الإسلام، وأما الإنكار فلم يكن في قدرتهم إلاّ ما كُلِّفوا به من إنكار القلب، وقد قاموا به ولكن الموجب لما كلفوه من الفرار بالدين هو من حيث ما تمكنوا من أداء ما عليهم من جهاد وصلاة وصيام وتوحيد، وذلك كان قبل الفتح لمكة، فأما بعد فتحها فلم يكن يقع فتنة عن الدين وإن بقي فيها من يعمل بالمعاصي. فإنكارها على الترتيب الذي ذكرناه ممكن، ثم لو أُدعِي إجماع الصحابة على ذلك بمقتضى ما قلته لم يبعد، وذلك أنهم كانوا باقين في جميع الأمصار متمكنين من أمور دينهم التي تجب عليهم. وكان العمل فيها بالمعاصي العظيمة شاهر سيّما أيام يزيد والحجاج، فلم يُسْمعُ عنهم إيجاب الهجرة بل استعملوا الإنكار على ذلك الترتيب، ولا يقال قد وقع من عائشة وطَلْحَة والزُبير الهجرة لأنا نقول ليس فعلهم هجرة لدعوَى أنهم رأوا المعاصي فخرجوا لإنكارها بل

زعموا الطلب بدم عثمان عند أوليائه شُبهةً طرأت لهم. فإن كان ابن عبد الوهاب لا يعذر الرجل من الإقامة بين قبائله حتى يهاجر إليه، ويورد حديث: أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين لا ترَايَانا رآهما عند أبي داود والترمذي والضيا عن جرير، فقد غلط وغلطه ظاهر. وأما الأحاديث التي فيها رَمَىٰ من كان أسلم بالشرك كما في حديث: «مَنْ حلف بغير الله فقد أشرك»، فذلك من الشرك الأصغر كما في قوله عليه السلام في النساء: «إنّكُنّ كوافر» فقيل: أيكفُرن بالله؟ قال: بلَى، ولكن يكفرن العشير. فقد نفى عنهن الكفر بالله تعالى. فهذا من ذلك القبيل، وكيف وقد عُصِم ماله ودمه بقول: لا إله إلا الله، ومثل دعاءهم للصالحين عند الحاجة ما جاء في حديث: الأعمال يا محمد إني أتوجّه بك إلى ربي في حاجتي ـ بقتضى الحديث عند الطبراني وغيره، فلا مجال لإلحاق أولئك بالمشركين، ثم لا بأس بالاستشفاع بالصالح إلى الله تعالى. وفي سنن أبي داود أن رجلاً قال للنبي ﷺ: إنا نستشفعُ بالله عليك ونستشفع بك على الله. فأنكر ﷺ عليه الأول وأقره على قوله ونستشفع بك.

على أن البحث محتاج إلى طول، وغاية ما نجيب به أن الدعاء بغير الله لا يكون كفراً بواحاً إلا إذا دَعَى مدعوّهُ على أنه إلاهٌ كما كانت تفعله الجاهلية فإنه كان على اعتقاد إلاهية الأصنام، وإلا فدعاء المخلوق ونداؤه لا يخلو منه أحد. فأجاب عبد العزيز: أنّا لا نعلم من أحوال الجهلة إلا الشرك الصريح، وإن حالهم حال الجاهلية الأولى وأشد. قلت: هو ما أصّلوه من القواعد التي أسلفناها لك عام أربع عشرة.

ولهم مسائل في الصفات حَذَوْا فيها حذو السلف، وكادوا أن يكفروا أهل الكلام، فسنتكلم على سبيل الاجمال. فلو أردنا التقصي لطال بنا المقال. فنقول: هذا التكفير من صاحب نجد لأهل الإسلام جهل منه وسلبُ أموالهم بسبب ما نسبه إليهم لا يجدي عند المناظرة وسفكه للدماء من الوساوس والغلط، كيف يحل له ذلك في رجل يصلي خمس صلوات للّهِ سبحانه، ويزكي ماله ويحج البيت مع استطاعته، ويصوم رمضان يشهدُ أن لا إله إلا الله، وقد قال الله تعالى في المشركين: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِي ٱلدِّينِ﴾[1] والنبي ﷺ يقول: «نُهيت عن قتل المصلّين» وقال لبعض أصحابه وقد سمع الفارّ يقول: لا إله إلا الله، فكيف بلا إله إلا الله؟ وما زال يكررها. فانظر حال المشرع ﷺ وقال لَهُ هل فتشت عن قلبه؟ وقال عليه الصلاة والسلام: «من قال لا إله إلا الله فقد عصم مني ماله ودمه»، فإن قال: إنه قالها كذباً واعتقاده مائل إلى الكفر قيل له فقد كان النبي ﷺ يقنع من المنافقين بقولها ويعصم دماءهم وأموالهم، ولم يؤثر عنه أنه أظهر لهم ما يسوء. على أن الله سبحانه وتعالى قد

---

(١) سورة التوبة، الآية (١١).

أنزل سورة المنافقين وفيها: ﴿ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾[١]. ثم إنه أخرج ابن النجار عن دينار عن أنسٍ يرفعه: «لا إلـه إلا الله كلمةٌ عظيمة كريمة على الله، من قالها مخلصاً استوجب الجنة ومن قالها كاذباً عصَمت مَالَه ودَمَه وكان مصيره النار». وهذا النجدي يقول: لا ينفعه ذلك، ويسوي بينه وبين المشركين في الدنيا، وفي الحديث: «لا يحل دم امرىءٍ مسلم إلا بإحدي ثلاث: كفر بعد إيمان، وزنَى بعد إحصان، وقتل النفس بالنفس». وقد قام محمد بن عبد الوهاب، ومن تابعه في هذا الأمر مقام المكابرة والعناد، ورموا أهل القبلة بالإلحاد. وما زال الابتداع قديماً وحديثاً، ولم نسمع للمبتدعة بمكفر إلا الخوارج، فإنها مرقت بذلك من الدين كما يمرق السهم من الرمية. وقد طال شوط القلم والحمد لله رب العالمين.

والذي نُقل إلينا في قتل عبد العزيز، أن رجلاً من الأعاجم من مشهد الحسين «عليه السلام»[٢]، وصل الدِّرعية وتخلل أحوال عبد العزيز، فكان يتربص له فُرصة يقتله فيها على غِرّه، فلم يمكنه ذلك، فدنا من محله الذي يصلي به فصلّى إلى جانبه صلاة العصر، فأخرج سكيناً حال السجود فأنفذَها في مراقه، فمات لحينه، فقام الناس وداخلهم الغيظ، فوقعوا على الرجل، وهم يقولون: الكلب الكلب، اقتلوه. فضبطوه أولاً وسألوه السبب فمنهم من يزعم أنه قال أرسله بعض ملوك الأعاجم وبذلَ له مالاً واسعاً ان هو قتل عبد العزيز. ومنهم من يقول أنه قتَل والده وأخاه في غزاةٍ غزاها[٣]. ومنهم من يقول أنه تقرب إلى الله مريداً بذلك سلامة أهل الأرض من شره. وقتلوا القاتل شر قتله، وقد كثرت الأوصاف في أنواع تعذيبه فتركناها لطولها.

[من وفيات هذا العام]

وفيها[٤]: شيخنا محمد طاهر بن محمد سعيد سنبل المكي الحنفي، من آل هلال. ثاني يوم من دخول سعود مكة.

[إمام الحرمين الفُلاّني]

وفيها: الشيخ جعفر الحجبي الشبيبي عقب دخول سعود مكة.

وفيها: عبد المعين بن مساعد بعد يوم نزوله من منى بثلاثة ليالي أيام.

---

(١) سورة المنافقون، الآية (١).

(٢) زيادة في النسخة «ب».

(٣) وَرَدت: في غزاه غزاها.

(٤) سنة (١٢١٨هـ).

وفيها: شهر جمادى الأولى، شيخنا المجتهد الحافظ الحجة إمام الحرمين، صالح بن محمد الفلاني[1]، وكان عالماً عاملاً حافظاً يعرف الفنون أجمعها، ذا سنةٍ ظاهرة، يعمل بالدليل، ويترك القال والقيل. وله مؤلفات نافعة من أجلّها الرسالة المسمّاة: «إيقاظ ذوي الهمم والأبصار، للاقتداء بسيد المهاجرين والأنصار» وقد أخرجتها عام سبع عشرة ومائتين وألف وتناقلها الناس. وكان ظاهراً نبوياً متعففاً زاهداً لو أراد الدنيا لانثالت عليه ولكنه كان راغباً عنها وقد أتيتُ على أحواله مبسوطةً في كتابي «قرة العين بالرحلة إلى الحرمين» وذَكرت فيها خروجه من بلده[2]، وذكرت من لقي من الشيوخ واستجزته فأجازني في جميع ما يصح له فيه الرواية، من كتب الحديث، وغيرها. واسمعتُ عليه شطراً صالحاً من مُسلم، وسألته أن أسمع عليه شيئاً من سنن أبي عيسى الترمذي، فسكت قليلاً ثم ضحك. فقلت ما اضحكك؟ قال: ذكرت بقولك سنن أبي عيسى ما روى عن زيد بن أسلم، قال: كان المغيرة بن شعبة يكنى أبا عيسى وإنَّهُ جاء إلى عمر فاستأذن فقال عمر: من؟ فقال: أبو عيسى، فقال عمر: ومَن أبو عيسى؟ فقال المغيرة: أنا، فقال عمر: هل لعيسى من أب؟ أما في كنى العرب ما يكتنون به أبو عبد الرحمـٰن أبو عبد الله. فقال رجل بذلك كنَّي رسول الله ﷺ المغيرة بن شعبة، فقال عمر: ذاك الذي فغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟ وأمّا نحن فما ندري ما يُفعل بنا. ثم كنّاه بأبي عبد الله. قلت القصة معروفة في المستدرك والإصابة.

[الدعاء في الصلاة عند ختم الفاتحة]

ولمّا مر بنا حديث أبي هُريرة المتفق عليه قال النبي ﷺ: قال الله: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي. فإذا قال بسم الله الرحمـٰن الرحيم. قال انه أثنى عليّ عبدي، فإذا قال الحمد لله رب العالمين، قال الله: حَمدني عبدي، فإذا قال: الرحمـٰن الرحيم. قال الله: أثنَى عليَّ عبدي، فإذا قال: مالِك يوم الدين قال الله: مجّدني عبدي، فإذا قال اياك نعبد وإياك نستعين. قال الله هذا بيني وبين عَبْدي. فإذا قال إهدنا الصراط المستقيم. صراط الذين أنعمت عليهم. غير المغضوب عليهم. ولا الضالين. قال الله تعالى: هذه لعبدي ولعبدي ما سأل. قلت لَهُ: أيسأل الله العبد عند ختم السورة؟ فقال ارشدتنا أرشدك الله، نعم هذا أول موطن يذكر الإنسان سؤال ربه عنده. فكنت أراه لا يتم الفاتحة إلا ووقف يسأل الله تعالى.

---

(١) الأعلام (٣/ ١٩٥)، معجم المؤلفين (٣/ ١٢)، وفيهما مصادر ترجمته؛ والمسبب في لَقَبه. قيل: أنه نسبةً إلى قبيلةٍ بالسودان.

(٢) **يقصد**: «فلاّنه» في السودان، حيث مكان مولده.

وَدَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعَ عَشْرة وَمائتَيْن وَأَلْف

فيها: خلع أهل حراز سعد زياد في صفر.

وفيها: عقد الإمام بولاية حراز لميسور بن أحمد، شهر ربيع الآخر وخلعه في شهر شعبان.

وفيها: عقد الإمام بولاية حراز ليحيى بن محسن حَنَش، شهر الحجة بعد أن خرجت لسعد زيادة تلك الفتكة التي شاع ذكرها، وقَدّمنا في عام تسع ومائتين السبب الموجب للعداوة بين علي محمد شبام وبين الأمير سعد زياد. وانه حقد عليه كلامه مع الوزير حسن بن عثمان فلما وصل سعد زياد آخر عام ثماني عشرة، ذكر علي محمد شبام تلك التي حَقَدَها فدبّر أمراً في نكاية سعد، وفاوضَ فيه راشد بشير، وقال: إن هذا المملوك قد كان أوقفني مع الحسن بن عثمان في شرك الهلاك والآن أريد منك مطلباً، قال: سلِه تجد، فسأله فقال: القبض على هذا المملوك ونتسلّم الحصون وهي لي ولك، فقال: أنا أكفيك أمره فلا تسأل عنه.

وكان سَعْدٌ ضعيفاً لا بَطَانَةَ معهُ ولا ناصر، فما زال راشد يطلع إلى الأمير سعد ويذهب عنه فلما رآه لا شيء قال لعلي محمد: تراني يا علي أترك هذا العبد يصبح هنا متولياً والله لأتركن أمره حديثاً مُستغرباً، فأرسل أخاه ريحان بشير في جماعةٍ أَمَرهُم بالقبض عليه، وقال: إن قاتل قتلتموه. فَصبّحوه بكرةً فوجدوه نائماً فدخلوا إلى بيت الدولة فانتهبوا ما بِهِ ثم عطفوا على الأمير سعد فأخرجوه من كيس نومه وهمُّوا ان يربطوه غير أنهم لم يروا أمراً يوجب الربط لِمَا عرفوا من ضُعْفِهِ فأخرجوه عنها وتسلّموا الحصون.

نعم. ومما أوجب فساد علي محمد شبام أنِ الدولة أقامت الشيخ إسماعيل الريمي لعهدته وأرادوه لكونه لم يُعرَف بالفساد وبَذَل مالاً واسعاً للدولة وجعله من طريق يحيى الحرازي الجبَّا، فتفاقم الأمر ولم يصلح بلاد حَراز بَعدها ولم يأمن علي محمد شبام من الدولة. وقد شرح بعض الناس خبر سعد زياد بأكثر من هذا الخبر فقال أنه بقي سعد زياد ثلاثة أشهر بـ(مناخَه)[1] فورد عليه تحويل ثلاثمائة قرش لأصحاب راشد بشير الذين كانوا بالحديدة مع صالح بن يحيى، فلما طالبه بها سكت ثم قال لبعض أصحابه: قُل لراشد لا يُعدْ على سؤالاً فلست أقدر على أكثر من كفايته الطعام. فغاظبه ذلك فولّى

(١) مَناخه: مدينة في رأس جبل حَرَاز؛ وهو غربي صنعاء بمسافة ١٢٠ كيلومتراً. فيها مركز بلاد حراز.

حَنقاً، ولقى علي بن محمد شبام فشكى له ما كان فقال هذا وقت القبض عليه وجَزَما بأن يطلَع ريحان بشيرفسار راشد إلى صَعْفان[1] وبث الخبرِ لأخيه ريحان فبادَر ومعه من راشد هديّة من مناصف التمر، وسيّر معه خمسين رجُلاً وقال ان في طلوعه رِيبة ربما حذر منهم سعد فقال له: مُرْهُم أن يتفرقوا وأنه إذا سئل أحدهم أين يذهب اعتذر أن الأيام أيام زيارة الحامدي[2] المقبور بمناخه ففعلوا ذلك.

وجاء النذير للأمير سعد فكذّب فلم يشعر إلا وقد انتهب ريحان داره وما حولها وأخرجه من كيس نومِهِ، فقال: أتصنع معي هذا وما تدري ما الصداقةُ التي بيني وبين أخيك؟ فقال لأصحابه: أربطوه، فحال بينهم وبين ربطه محمد بن سِدران اليامي، ثم انتهبوا حصانة وكسوته، ثم تَشفّع له عندهم محمد بن سِدْران وعاد إلى صنعاء ذليلاً وزاد علي محمد شبام فساداً وعناداً.

[خروج سليمان باشا عن مكة]

وفيها: قوّض خيامه عن مكة سليمان باشا مولَى أحمد الجزّار فنزلَ علىٰ الشريف غالب بن مساعد أمير مكة فسأله الإقامة وشكى عليه ما لقي من تلك الطّامة، وأراده على البقاء والمصاولة فقال: لم أخرج لشيءٍ غير الحج، فقال: ولمن تدعني بهذه البلدة؟ فقال: لنفسك، وأعانه بأربع مائة من الترك لهم بأس وشدّة فتحصن بهم وأنزل لهم بدوره وفرض لهم النفقة وجعلها إلى كبير منهم. ثم خرج عن مكة فتنحى لمسيره النجديون، وكان من أمرهم ما قصصناه عليك آخر عام ثماني عشرة. ولم تزل الطوائف بعد إخراج غالب لقوم سعود من مكة تغزو مرّةً بعد أخرى.

[وقعة غالب بأهل السعدية]

وفيها: غزى غالب بالاتراك وسائر أتباعه، فصّبح السعدية، فأوقع بابـي نُقطه وأصحابه وهم في صلاة الفجر. فتداعت الموهبة من كل وجهة والسيف يعمل فيهم فكانت جملة القتلى منهم نحواً من ستمائة وقتل من الأتراك ثلاثمائة ومن سائر قبائل غالب مائة وخمسين.

---

(١) **صَعْفان**: جبل بالقرب من مناخه؛ مركزه «متوح».

(٢) **هو الداعي حاتم بن إبراهيم بن الحسين الحامدي الهمداني**: من دعاة الإسماعيلية وعلمائها في اليمن، وكان فقيهاً كثير الإطلاع وكثير التأليف. وقد توفي سنة (٥٩٦هـ) وقبره تحت حصن الحطيب بحراز من بلاد اليعابر يزوره الناس ضمن مجموعة مزارات أخرى لقيت في الفترة الأخيرة اهتماماً من الطائفة الإسماعيلية، كما قاموا بتوسيع هذا المزار بعد أن كان قد تعرض للهدم في فترةٍ سابقةٍ.

[ملحمة دَيْر علي ودَيْر عَطا مع صالح بن يحيى]

وفي يوم الربوع، سابع وعشرين شهر محرم. بعد أن عَانَت[1] قبائل ذو حسين من أصحاب الأمير صالح بن يحيى ما حَلّ بإخوانهم من أصحاب حمود بن محمد ورأوا جماعة من آل الشائف تحت أسر الأمير صالح وكان الأمير حمود بن محمد قد راسلهم بالمال واستمالهم عن المصاولة في الحال وانضم في ضمنهم جماعة حاشد وسفيان ويام فخادعوا الأمير صالح وعادوا على جند ابن أخيه حسن بن حسين ولم يثبت معه إذ ذاك سِوَى توابع الإمام وفرْسَانِه فانهزموا وتواصوا بالكرّة، فالتحموا قتالاً شديداً فابلوا بلاءً حسناً وقام الأمير صالح وسط المعركة فحمَى الوطيس واشتد الطعن والضرب. وما زال صالح بن يحيى تارة يضرب وتارة يُعَيِّر قومه من قبائل همدان بن زيد ويبكتهم والخيل من حوله تجول والعساكر ببنادقها تصول، وكانوا مدة اسبوع في اليم العتال بـ (دَيْر علي) لا يلقون ملجأً يلجئون إليه ولا فئةً تحميهم ولا غوثاً يمنع منهم، وفرّت جماعة ذو حسين وحاشد وسفيان ويام وأظهروا هزيمة فيهم حتى دخلوا (دَيْر عَطا) وصابر الأمير صالح بن يحيى ثلاث وقعات ذهبت بها الأرواح وآخرهن وقعة لم يثبت بها غير بطانة الإمام من قريب الظهيرة إلى قريب غروب الشمس، وانجلت القتلة عن خمسين نفراً من فرسان الإمام وعسكره وحُملت رؤوسهم على الرماح وألقيت بين يدي حمود بن محمد، وثلاثة وثلاثين نفراً أسرَى، فأمر بحمل الرؤوس وتعليقها ببندر اللُحية، فحملت وعلقت هنالك والتفت الخيل والعساكر على صالح بن يحيى فعقروا جواده وألقوه على الأرض فانبعث ودخل في جُملة أصحابه وعقروا جواد الأمير رومي الحبشي مملوك سيف الإسلام وجواد الأمير مبشر الحبشي مملوك سيف الإسلام وأخذوا جواد الأمير بشير المنصور بعد أن القوه من فوقه برصاصة ثم لزموه فانضمَ إلى الأسارَى، وأخذوا من المعركة جواداً آخر كان قد سقط عنه فارِسُه لرصاصة إصابته، وأصيب الأمير جوهر المنصور برصاصة كان فيها حتفة.

وتداعىٰ بقية الجيش الإمامي وانضموا إلى الأمير صالح بن يحيى، وجاءه في تلك الحالة النقيب زايد المنصور والنقيب فتح الله المنصور في خمسة من العسكر. وانضم إليه من الفرسان الحاج سرور المنصور والشاوش محسن عُسّب وعبد الله الوشلى الهاشمي، فسألوا الأمير صالح بن يحيى ما الرأي في هذا الأمر فقد أبلينا؟ فقال: ليس سوَى الفِرار واللحوق بمن سار، فإنا إن تأخرنا هلكنا. فتنكّبوا عن مخيمهم بعد أن سلبتهم المواهبة واستولوا على جميع ما حمله الأمير صالح، ففروا قبيل غروب الشمس

(١) وَرَدت: عاينت.

بنصف المنزلة، وكان الأمير صالح بن يحيى لا فرس له هنالك تحمله فحمله الحاج سرور مردوفاً على جواده، ولما فرّوا وخرجوا عن مخيمهم جالت حولهم أفراسُ الاشراف فسلبوا طائفة وأسروا النقيب فتح الله والنقيب زايد واستولى حمود على بقية ما في المطرح من جمال وبغال وخيل وسلاح وأثاث وباروت ورصاص وأمر بسحب المدافع التي كانت مع الأمير صالح وانتهب الخيام. وأمر الأمير صالح بعض خدمه أن يلقي النار على الباروت فألقاها، فحرق به جماعة من أصحاب حمود، وأسروا علي دويدار الأمير صالح، وسلّ بعض فرسان حمود السيف على رأسه فاستجار برجل يقال له ناصر خَيْرات فأجاره وأسلمه من القتل، وتنحّى الشريف حمود في قومه وعادوا عَلى دفن قتلاهم، فكانوا ثلاثمائة حَمَلة سلاح وخيّالة وأربعة وأربعين نفراً. والتجأ الأمير صالح إلى (دير عَطا فلاقى بعض جماعته الخائنين، ثم سار بهم يقصد (الزيدية) فدخلها واستقر بها خمسة وثلاثين يوماً.

[علي بن حيدر]

وأخبرني عبد الله بن علي الحيمي، قال: لمّا أَسَرتنا الموهبة وسلبونا ملبوسنا لم نشعر إلا وقد أقبل علينا علي بن حيدر في لأمَةِ حربه على فرسه قال: ولا نرى منه إلا حماليق الحَدَق، فلما وقعت عينه عليّ وانا مترقب من المشارقة ضرب الأعناق، قال: هذا الحيمي؟ قلت: نعم. قال فأدار بصره في أولئك القائمين علينا فلم يرى إلا قبائل شهران وفرسانها فخاف علينا منهم والتفت يميناً فرأى رجلاً من قومه قائم على فرس فقال له: إحمل الحيمي رديفاً لك إلى حمود، وأمر بالاسرَى جميعاً فساروا بهم إلى حضرة حمود؛ بعضهم محمولاً على حمار وبعضهم مردوفاً بذلةٍ. ولمّا وصلت الأسرى إلى حمود بن محمد أقامهم في الشمس باب خيمته وكانوا ثلاثة وثلاثين نفراً من جند الإمام، وعُرضت عليه الرؤوس محمولة على الرماح وهي خمسون رأساً فبعث بها إلى اللحية فعلقت بأبوابها ترويعاً لأهلها وقطعاً لطمعهم في الدولة بعد أن بلغه مكاتبتهم الدولة.

وما زالت غوازي حمود تدور حول بندر الزيدية. غير أن حالته بها سيئة، ولمّا لم يجد نفقة فائضة على الخيل والعساكر أرسلهم إلى الحديدة، ولم يجد ما يأكله وخاصته فاضطروا إلى أكل الشجر. وكان حمود يصول ليله ونهاره علَى من بالزيدية. ثم زحف بجنوده الجرارة وقصد (الضحي) فحطّ به محاصراً لمن بالزيدية، وأرسل طليعة نحو تهامة اليمن، وكان الأمير صالح قد كتب إلى الوزير بماجِريّةِ (دير علي) واستحثه الغارة فلم يزده إلا بُعداً واعراضاً. وشاهد الأمير صالح ومن بحضرته الموت. وجاء إليه السيد محمد الأصلع في تلك الحالة فقال له: الرأي ان تأمر بحمل الطعام من بندر الحديدة

والزّانه وتُقوّي أمر الزيدية حتى تصلك الغارة، فقال الأمير صالح: الرأي أن نتسلَّم؛ وأنا أخبر بالوزير منك. وبعث من حينه آل حمود رجلاً حازماً من قومه فاشترط حمود شروطاً بعيدة.

وما زال حمود بذلك الرُسُل حتى التزم له بثلاثة آلاف مالاً حاصلاً، على أنه لا بد من عرض ذلك الملتزم على الأمير صالح. ثم سار إليه فقال: قد أحسنت بذلك ولكن لا نذهب من الزيدية حتى يفك من بحضرته من الأسرَى ونفك من بحضرتنا من الأسرَى. وكان عند الأمير صالح بن يحيى منهم أحمد بن عقيل الحَسني من الأشراف بنت الأمر على ذلك، وأرسل حمود للاسرَى فجاءوا بهم فأُدخِلوا عليه وبث ما أكنّه صدره على عبد الله بن علي الحيمي وسأله ان يسير إلى صنعاء ليفصح للإمام الذي دَهِمَهُ فقال له: طب نفساً وقرّ عيناً، ثم كساه وكسىَ أصحابه من الأسرى وسيّر الأمير صالح من بحضرته من اسراهم، وتنحّى حمود عن الطريق.

[وقعة حمود بالجرابح]

وكان حمود قد استضعف الأمير صالح وبعث إليه رجلاً من ذو حسين من آل حطبان يقال له ابن قريع مصغر القرع وهو الدُبّاء يُخيّره بين ثلاث: إمّا ودخل مع الموهبين وإما ارتحل عن البندر وأما قاتل ولا طاقة له، فطلب الأمير صالح الهدنة. فلم يسعد ابن قريع إلا بخمسة عشر يوماً، فبلغ عبد الله بن علي الحيمي ذلك وهو بحضرة حمود. فقال: يا حمود هذه الهدنة ستجر عليك محنة؛ أنا أعلم بحرص الإمام على هذا البندر، ولعلك لا تأمن بعدها انفتاح الشر. وما زال به فطلب على توسيع الهدنة مالاً طائلاً فسيّره إلى صالح بن يحيى فصالحه على عشرة آلاف ووسّع الهدنة.

وكانت بينهم هُدْنَه عاماً، وسار حمود أيام الهدنة فأوقع بالجَرابح[1] وأسر منهم نحواً من ستين نفراً وكانوا قد عاهدوه من قبل فألزم الأسرَى تسليم مالٍ عَيّنه عليهم، فسلّموه. ومضت له من الهدنة أربعة أشهر فنقضها بإرسال الغوازي في طلائع الخيل إلى باب الحديدة. فسأل الأمير صالح عنهم فقيل له: هذا زبران القحطاني في قوم من أهل الشرق وجماعة من فرسان حمود، فعجب لذلك فأرسل الجواسيس فأخبروه بأن أولئك حملوا على حمائل البن الخارجة من بيت الفقيه بن العُجيل وكانت الحمائل محروسة بعسكر من جماعة الأمير فتح المجْزَبي، وأفصحت الجواسيس عن أن المأخوذ من الجمال ثمانين جملاً موقرة وأنه قد قُتِل دوْنها تسعة أنفار من العسكر وقُتِل فيها القاضي إسماعيل بن أحمد البهكلي وجماعة من الجمّالين، فخرج صالح بخيلِ الحديدة

(١) **الجرابح**: بطن من قبائل عك، ديارهم في مديرية الضّحِي بوادي سُرْدُد.

وعسكرها ففاجأهم بالطريق واستخلص الحمائلِ وقتل سبعةً من الموهبة، فعطفوا على الدريهمي فبلغ صالح بعد قفوله فبعث غازيةً فلاَقَت أولئك فالتحموا الحرب، واستشهد فيها سعد مبارك كشمة من جُند الإمام، وعُقر جواد الحاج عبد الله التكروري، وعُقِر حصان السيد لطف الله الجشاش، وقتلوا رجلين من الموهبة.

[نصر لصالح بن يحيى]

وخرج الأمير صالح بن يحيى في غازية أخرى المكيمنيه[١] في وجه الليل لمّا بلغه أن غازية للموهبة أخذت من تهامه اليمن خمسمائة رأس بقراً وألف رأس من الغنم وخمسه وخمسين حماراً وسبع جمال بما عليها من الحمائل وجماعة الأسرى، فاستنقذ ذلك كله من أيديهم وعاد مؤيداً منصوراً.

[قبض حمود علىٰ كثير من بلاد الشرف]

وفي شهر جمادي الأول، وصلت الكتب من أهل الشرف[٢] على يد رجل هاشمي تستنجد الدولة ويذكرون قصد حمود بن محمد لديارهم في جيوش جراره وأنه تسلّم منهم حصن القُفل وهو بيت الدولة ومستقر العامل وانّه بعد أن استوّلى عليه قصد بني مَدِيْخه[٣] فتسلّم حصونهم وسار إلى شَمْر الأسفل[٤] فتسلمه ثم إلى شَمْر الأعلى فتسلمه، وأبقى بهذه الحصون جماعة من جنده. وانّه سار بعد ذلك فتسلّم بني رفاعة وبني عامر[٥] واستولى على حَجُور وما والاه وانها سَتُقْضِـي الأمور إلى أخذ حجة وبلاد عمران وكُحْلان وهوّلوا الأمر وأفصحوا عن أمور جرت بينهم وبين حمود في أمر الدين، وقد وضعوا هدنة بينهم وبين الشريف إلى آخر شعبان، فلم ترفع الدولة إليهم رأساً وتحيَّر الرسول بصنعاء أياماً ولم يَعْطِف عليه أحد سوى سيف الإسلام فإنه راعَى جانبه إذ كان من أهل الشرف، وما أحسن هذه التورية وألطف.

---

(١) **المكيمنيه**: من قرى المنافرة بمديرية الدريهمي. تقع في شرقي مدينة الحديدة.

(٢) **الشّرف**: سلسلة جبلية في الشمال الغربي من حجّة. تشمل المحابشة والشّاهل والقُفل وكحلان الشرف والمفتاح وأسلم.

(٣) **بني مديخه**: جبل في الشّاهل.

(٤) **شمْر**: بفتح فسكون. جبل في غربي المحابشة، إليه يُنسب حصن: قُفْل شَمْر.

(٥) **بني عامر**: من قبائل حَجُور اليمن. منازلهم في منطقة المخلاف بمديرية «قُفْل شَمْر» وأعمال محافظة حجّة ـ انظر كتابنا: معجم البلدان والقبائل اليمنية.

[رجال حمود في حجّة]

وفيها[1]: سار الشيخ يحيى الجيشي[2] من ظفير حجة، فنزلَ علىٰ حمود بن محمد وعاهده على الدين. وسأله حمود القبض على الحصون الحجيّة فالتزم له بذلك على شرط المعاجلة ووصول المواهبة.

وفيها: جاءت كتب من كثير من القبائل تسأل الدولة النهضَة والحفظ لأطراف بلادها، فلم يرفع الوزير إلى كتبهم رأساً فسار جماعات من أهل القُطَع ودخلوا على حمود بن محمد فسألهم عن الدولة فأخبروا عن سكونٍ وسكوت، فدعاهم إلى العهد فعاهدوه ومَاجَت في هذا العام أمور عالَم كثيرٍ ممن عَلَى خَبْت تهامه من القبائل واتقوا شرًّا من حمود فوهَّبوا بعد أن كتبوا إلى الدولة كُتاباً لم يَعِدْ لهم فيها جواب.

وفيها: ظهرت نار بجزائر البحر وقال الناس فيها وقالوا، وزعم زاعم أن غالب بن مساعد أرسل من يؤجج النار تهويلاً على حمود وليس بذلك بشيء.

وفيها: سار غالب بن مساعد أمير مكة علىٰ بندر ينبع واستخلصه من الموهبة وحط به رتبة شديدة.

وفيها: غزَى غالب إلى بندر القنفذة وصاول بها وكاد أن يتسلّمها وأرسل جماعة في الساحلِ وأراد يُنحّي عرار بن شار عن دربِ بني شُعَبَه[3] ففطن لهم أبو نُقطه فأرسل عليهم فتنكّبوا عن الطريق بعد أن أخذوا منها سلباً كثيراً.

وفيها: وصل حضرة الإمام حكيم ماهر من الهند يقال له حمايةُ الله فاستقر ونزل على سيف الإسلام أياماً وراح عن صنعاء فأثنى عليه سيف الإسلام خيراً.

وفيها: وصلت قبائل ذو محمد، وكان سبب خروجهم ما قدمناه من وصول تلك المرأة التي تخلّصها أحمد بن علي سعد وانها لما وصلت بين قبائلها نشرت شعر رأسها وأظهرت العار عليهم إن لم ينصروها كما قدمنا الإشارة إلى ذلك.

وفيها: وصلت قبائل ذو حسين واستقروا بالصفراء شرقي الروضة[4] أياماً واظهروا

---

(١) سنة (١٢١٩هـ).

(٢) ورد عند الدكتور حسين العمري في: مائة عام من تاريخ اليمن ص (١٣٤) باسم الحبيشي. والأصح ما هو موجود في الأصل كما أثبتناه هنا.

(٣) درب بني شُعْبَةَ: وادٍ فيه قرى بمنطقة جازان. المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية (١/ ٤٤٤).

(٤) المقصود «روضة أحمد» الواقعة في الطرف الشمالي لمدينة صنعاء.

النزول على بلاد آنِس وتعلّلوا بأن لهم بها مطالب، فأصلح من شأنهم حسن بن علي حنش وهو المتوسط عليهم، ولمّا رحل جماعة منهم إلى صنعاء ضبطهم سيف الإسلام وحبس جماعةً منهم، ثم ذهبت قبائل ذو محمد فبلغوا إلى وِعْلاَن[1] وجاءتهم كتب تستدعي وصولهم الحضرة فرجعوا فأصلحوا بمال.

وفي شهر ربيع منها انكسفت الشمس.

وفيها: تكاثرت الأمطار وتواصلت الصواعق باليمن الأسفل فكانت صاعقةً بـ (عُتُمه) اقتلعت حِصْناً من حصونها قُتِل تحت هَدْمِه خمسون رجلاً، وسارت بامرأة من أعلا الحصن قدر ميل فألقتها على ذروة جبل، وألقت أحجار الحصن على قرية تحته فهلك بها نحواً من أربعين نفراً أو يزيدون.

وفي يوم الجمعة، سادس وعشرين ربيع الآخر، حصل مطر عظيم فيه بَرَد فكان معظمة بالوادي وقرية القابل[2] فأهلك الأعناب واستولى على بعض أسوارها بالخراب ولله الأمر.

[مسير محمد صالح جزيلان إلى حراز]

وفيها: أرسل بعض مَنْ بـ (حَرَاز) من يام إلى محمد بن صالح جزيلان[3] يستدعونه النزول عليهم ويعدونه عدات الخير، وكان إذ ذاك في نحو ثماني عشرة سنة لكنه كان ذا همّةٍ بعيدة، وله أموال عديدة يتألف بها اشرار قبائله المحمدية، وكان يجود لقاصديه بمطلوبهم فانضم إليه كل شرٍ فاتك وكان متطلعاً للرياسة يروم إحياء ميت آبائه في الخباثة والخساسة[4] وتلقّى من سلفه أموالاً جمة وقطعاً واسعة، فأنفق في وجوه الظهور ما رفع له صيت مذكور، وتحدّثت بأفعاله القبائل في أماكنها وتطلبته الوصول إلى مساكنها. ولمّا جاءه الطلبُ من يام جمع عصابة يسيرة من قبائله وسار فأنزلوه بدار الضيافة وأقعدوه بـ (مناخه) فاستقرأ أحوال (يام) وما وقعوا عليه من المعاقل والحصون، وطلبهم أن يشركوه بعضاً منها حتى يكون فيهم صدراً مستقلاً، وطلبهم التحوّل عن بعض ما قبضوا فتناجوا بينهم سوءً وقال بعضهم لبعض: إنّا رأينا من طاعة أصحابه له ما يجلب علينا شراً، فسألوه الرجوع بلاده على مالٍ فرضوه له وأحضروا بين يديه ألفي قرش

---

(١) **وِعْلان**: بكسر فسكون. قرية كبيرة بجوار طريق صنعاء الجنوبية، على بعد نحو (٢٥) كيلومتراً.

(٢) **قرية القابل**: تقع في وسط وادي ظَهْر شمال صنعاء بمسافة نحو عشرة كيلومترات.

(٣) هو من قبيلة ذو محمد احدى بطون بكيل. وقد قتل سنة ١٢٢١هـ كما سيأتي تفصيله في مكانه.

(٤) انظر إلى قوله: وأن طلبه الزعامة أمراً مُنكراً؛ ؛

فرانصة، فداخله من الغيظ ما ازعجه وأقلق خاطره. فطلب المهلة إلى نصف نهاره ليدير مشورةً مع أشراره، فانخزل في أتباعه وحضهم على الفتك بمن أراد المصاولة والقبض على جهة من جهات (مناخه) ونهض مسرعاً فدخل دار الدولة وبها راشد بشير وريحان بشير وقال: قد أفصح عليَّ جماعتكم بالمسير عن رأيكم وما تعلمون أن البلاد للإمام ومثلي لا يَرْجَع بلاده حتى يقضي نهمته ومراده. وثار بشياطينه طينه وكانوا خمسة وتسعين نفراً كما حققه بيان الأمير ميسور، وكانت قبائل يام نحواً من مائتي رجل، فاسْتَل أصحابُه سلاحهم وباشروا من وجدوه بالطعن والضرب، ففرّ جمع يام عن دار الدولة وأخذ ما به من السلاح والمتاع والمال واعتقلَ جماعة من يام، وشرد راشد في الحالة فَحرّض في الاحتفاظ بريحان فألانَ له ريحان القول، فقال: لا تُلين قولك ياخاين، وأمر بسلبهِ فثارت الفتنة فأصاب جماعة ممن أدركهم من يام جرحٌ، واحتز رأسين منهم، وبعث بهما إلى باب الإمام، واستقر هنالك مستبداً. والتفت على البلاد فضبط منها القريب، وأرسل جماعة من أصحابه علىٰ بني إسماعيل[١] فقبض منهم مالاً واسعاً، وكتبَ إلى الإمام يستحثه على إرسال متولي في جيش يَصْدِم به المعاقل ويبعث بِبَعْضِهِ بعضه إلى أطراف البلاد، وكان الإمام قد جهز الأمير ميسور الحبشي مملوك سيف الإسلام في عصبة من (نِهْم) وافرة وجماعات من أرحب وبني سُرَيْح وقبائل همدان ومرهبة، وسيّر معه النقيب أحمد عُرامَان النهمي فخرج عن صنعاء سابع شهر جمادي الأولى، ولمّا وصل إلى (مَفْحَق)[٢] امتنعت القبائل من النفوذ لتأخر أرزاقهم وكان الوزير ابن عثمان غير بصير بالأمور فإن شيْمَته مع من جَهّزَهُ من صنعاء أن لا يُلتفت إليه بعد مفارقتها، فبعث الأمير ميسور رُسُلاً يستعجل الارزاق ففاجأهم حملة ارزاقهم بالطريق فأنالهم، وانتقل بهم إلى (بيت ابن مهدي)[٣] فارسل إليه محمد بن صالح جزيلان وهو بمناخة السُفلىٰ يستحثه على المبادرة وعدم التحيُّر، فنهض بجموعه فتلقاه وأصبح من اليوم الثاني وقد تداعت قبائل يام وانحازوا إلى الحصون وملأوا منها حصن الظلفاع والكاهل والعيان[٤] رُتَباً ثم فتحوا الحرب وما زال دائماً بينهم، وبعث إليهم الأمير ميسور يسألهم الخروج ويلتزمُ لهُمْ بمالٍ يسير فأبانُوا لهم من الغرامات واللّوازم الكاذبة واشترطوا اثنى عشر ألف قرش، ثم دخل عليهم النقيب أحمد عُرامان فطلب التخفيف

---

(١) **بني إسماعيل**: جبل ومركز إداري من مديرية مَناخَه في حراز. يقع في شمال جبل مَسَار.

(٢) **مَفْحَق**: بلدة جوار طريق صنعاء الغربية الذاهبة إلى جبل حراز ومنها إلى الحديدة، تبعد عن صنعاء بمسافة (٤٧) كيلومتراً.

(٣) **بيت ابن مهدي**: هي المعروفة باسم (حجرة ابن مهدي) أو ما يُسَمَّى اليوم باسم «بيت الجريدي». وهو من مديرية الحَيْمه الخارجية في الغرب الجنوبي من صنعاء.

(٤) **الظلفاع والكاهل والعيان**: ثلاثة حصون متقاربة في منطقة اليعابر، شرقي مناخَه ومن أعمالها.

فلم يسعدوا فالتزم لهم بذلك على شرط أن يسلموا مفاتح الحصون إلى ميسور فجنحوا إلى تسليمها وكتب الأمير ميسور إلى الإمام بما كان فلم يقفوا من الجواب علىٰ طائل، فسار النقيب أحمد عرامان بعد ذلك عن مخيم الأمير ميسور وطلع إلى الخليفة فتحيّر بصنعاء أياماً يُماطله الوزير بالمواعيد، وسئم الجُند من البقاء فعادوا على البلاد فهبوا وفتحوا مدافن الحَبّ فحملوا طعاماتها ونهبوا مناخة العليا والسفلىٰ والمقْبَل[1] ما زالت مغاربي جمع ميسور إلى كل محلّه، هذا وقد عصوا أمر ميسور فتلاشَى حاله وتفرق جمعه ولم يبق بحضرته سوى قبيلة مرهبه، ثم لم يجد بُداً من الرجوع فهرب ليلاً مفتقراً إلى رزق يومه ووصل باب الإمام وكان تسلم محمد بن صالح جزيلان منه مناخه ورتبها.

ودخل ميسور صنعاء في آخر شهر شعبان باثني عشر نفراً، وأقام هنالك متصدراً محمد بن صالح إلى اثني عشر القعدة، ولم يشعر محمد بن صالح إلا بخبر ورد عليه بأن البلاد متوجهة ليحيى بن محسن حَنَش فتحوّل عنها وسلّم مناخه إلى جماعة الأمير يحيى بن محسن وقصد باب الإمام، حتى كان خامس شهر الحجة. وسار الأمير يحيى بن محسن بمن معه من صنعاء فكان من خبره ما سنقصه عليك عام عشرين.

[محاصرة غالب للمضايفي]

وفي شهر جمادى من هذا العام، سار غالب بن مساعد عن مكة بجماعة من العرب والأعجام إلى الطائف فحاصر الموهبه به، ورماهم بالمدفع حتى خرجوا عن داره وما حولها وتحوّلوا إلى الخانات والسماسر والبيوت الآخرة فتحصنوا بها، ولمّا أخرج مَن بداره تقدم إليها في أبطاله فدخلها وأمر بحفر محل كان لَهُ به كنز مدفون فحمله وخرج فنزل مكة فأجمع الرأي من عثمان المضايفي وسائر الموهبه على حفر خندق عليها يمنعُ الواصل إليها من الدخول إليها، فحفروا له مقابر المسلمين وأخرجوا عظامهم.

[إخراج جند حمود لأحمد بن علي من حجة]

وفي أول رجب وصلت كتب مخبرةً بأن يحيى الحبشي أخرج عامل الإمام أحمد بن علي بن إسماعيل بن إبراهيم بن المهدي صاحب المواهب عن نَعْمان حجة[2] فسار إلى بيت قُدَم[3] وان الحبشي اطلع عُصبَه من قبائل تهامة وفتح لهم الطريق فانتهبوا أسواق حجة وأخذوا منها أموالا لا تحصى، وتكاثر الجمع هنالك وعطفوا على البيوت

---

(١) **المقْبَل**: محلة قريبة من مناخه في طريق المغربة.

(٢) **نَعْمان**: بفتح فسكون. جبل تقع في سفحه مدينة حجّه.

(٣) **بيت قُدَم**: بضم ففتح. مركز إداري من مديرية شَرِس وأعمال محافظة حجّه. يقع في شرقي مدينة حجّه.

فطلبوا أهلها المعاهدة بحمود على الدين فأجاب أكثر الناس على كرهٍ فلم ترفع الدولة إليهم رأساً.

[خروج محمد بن الإمام إلى عَمْران]

وفي اليوم العاشر من شهر رجب، بعث الإمام ولده محمداً في جندٍ من عسكره ليحفظ الجهات العَمْرانية وما حولها بعد أن تكاثر من أهل الجهات الإرجاف والتحذير من سريان هذا الحادث العظيم، وكتب أهل الشّرف كتباً غير السابقة، وأجابهم الإمام فيها بأنه سيبعث عليهم حفظةً، ولما استقر البدر محمد بن الإمام لعمران دخل إليه أهل بلاد الجبَل وعيال سُريح والتفّ عليه جندٌ كثيف فما قدّم في الأمر ولا أخر واقتصر على حفظ عمران، وجاءته الرسل من كل مكان فوعدهم عِدَاةً لم ينجز منها شيء.

[دخول بكيل بيوت المحاريق]

وفيها: تحولت قبائل ذو حسين عن شرقي الروضة، فمضوا من وادي القصر فدخلوا بيوت أهل المحاريق بباب مدينة الخليفة، فانتهبوا أهلها وصادروهم وأخرجوهم من بيوتهم وأتوا على جميع ما لهم من المال والمتاع وخرجوا في الحالة فُقراء لا يجدون ما يقتاتون به وعاث هنالك رئيسهم «الظالم»[1] عبد الله بن أحمد الشائف، ثم قصدوا دار النقيب الماس وبينها وبين مدينة الخليفة قدر رمية حجَر فدخلوها وبها إبراهيم بن محمد بن المنصور ابن عم الإمام فأخرجوه بعد أن سلبوه وسلبوا نساءه، فخرج بنسائه في قَيد الذل والهوان ودخل حضرة الخليفة[2] ثم انتشروا في بيوت الصافية حوالي صنعاء وكان بها رُتَب من أرحب فحصروهم بالبيوت وقتلوا منهم خمسة نفر وقُتل رجل واحد من ذو حسين، واستقروا بدور الإمام الخارجية كدار الراعي وبير عمر وحِقْتَوَيْن وأمر الإمام ان يرموا من داير صنعاء بالمدفع. ثم أصلحهم أول شهر شعبان فتحوّلوا عن الصافية إلى كولة العِرج تحت ذَهْبان ثم تولّوا عنها.

وفيها: ارتفع أحمد بن علي بن إسماعيل عن بيت قُدَم بعد إخراجه من نَعْمان، ووصل عَمْران حضرة البدر محمد بن الإمام، ومنها إلى حضرة الإمام وقد طُوِيَ بِسَاطُ حجه.

[إرسال ابن قملا إلى حضرموت وخولان]

وفيها: جاءت الأخبار بصلاح حال ابن قَمْلا صاحب وادي خَبّ[3] ودخوله تحت

---

(١) من باب الأمانة نحافظ على تعبير المؤلف رغم اختلافنا معه في مثل هذه الصفات.

(٢) جاء في هامش الأصل تعليقاً لصاحب المخطوطة، نصّه: بل قبضوه عندهم أياماً، ثم ذهبوا به إلى بعض طِريق بلادهم مع عودهم، ثم أرسلوه راجعاً إلى باب الخليفة.

(٣) وادي خَبّ: واحة واسعة وواد ما بين الجوف شمالاً وجبل بَرَطْ شرقاً.

طاعة صاحب نجد، وانه بعث إلى حضرموت رسلاً يدعوهم إلى الدين وافصح في كُتُبهِ بأن ذلك عن أمر من صاحب الشرق سعود بن عبد العزيز فأجابته الأطراف، ثم أرسل إلى بداوة خولان[1] يَحُظُّهُم باللُّطف واللين للدخول في أمر الدين، فتضَرّبت لذلك أحوالهم وتناجوا وكتب بعضهم إلى بعض وأجابوه بالمهلة حتى يفاوضوا من يليهم ويشاوروا عُقّالهم[2].

[طلوع الشريف الباز إلى حجه ونزوله عنها]

وفيها: ثبّت يحيى الحبشي قبائل تهامة بحصون حجّة. وأطلع الأشراف وكبيرهم الباز[3] فرتّبوا الحصون والمعاقل، ثم نفذ الأشراف من حجة إلى حضرة حمود، ولم يعلم الناس سبباً لنزولهم، وترقّبَ أهل البلاد هجوم الدولة عليهم ولذا اشفقوا من نزولهم فوعدهم الأشراف العودَ إليهم، هذا كله مع كراهية أهل البلاد للأشراف لِمَا رأوه من تحكمهم في أموالهم وتصرفهم فيما وقعوا عليه واطلع حمود عليهم محسن بن علي الحازمي مسارعاً فقبض نَعْمان واستقر بقلعة الجراف[4].

[سعود بن عبد العزيز يدعو الإمام إلى نشر الحق]

وفيها: ورد كتاب من سعود بن عبد العزيز إلى الإمام يسأله نشر الحق في الرعية ويحضه على أمر الدين، وورد منه كتاب آخر إلى أمير حاج اليمن محمد بن حسين الكبسي يأخذ عليه الدخول للحج، وأناله خمسين قرشاً وعباءة حساوية، فلم تثق الدولة بأمر سعود فتحيّر أمير الحاج عن الدخول وتخلّف كثير من الناس عن الحج.

وفيها: أرسل ابن قملا إلى مدينة مأرب وأعرابَها يدعوهم إلى الدين فأجابوه، فبعث جماعة من جفاة الأعراب يعلمونهم شرائع الدين وأحكامه ويبين لهم كيفية التوحيد ومعنى الرسالة والبعث والنشور، وبعث إلى أهل خولان رسلاً أخرى[5] فسار منهم

---

(١) **خولان**: قبيلة ديارها في مشارق مدينة صنعاء، وتمتد إلى قرب مأرب. تنتمي إلى حِمْيَر، ويقال لها: (خولان العالية) أو (خولان الطِيال) نسبةً إلى جبالها المرتفعة.

(٢) **وردت في الأصل**: عاقلتهم.

(٣) جاء في هامش الأصل بخط صاحب المخطوطة. ما نصه: هذا الشريف باز بن محمد بن حسين بن محمد خيرات، والباز هو الطائر المعروف بالشجاعة، وهذا الاسم كثير في الأشراف من أولاد آل أبو نمي، والحوازمة ليسوا من الأشراف آل أبو نمي وإنما هم ينتسبون إلى الشريف موسَى الجون.

(٤) **الجِرَاف**: من أحياء مدينة حجّه، وهي في عرض جبل معاند لجبل نَعْمان، وفي أسفلهما يقع مركز مدينة حجّة.

(٥) **وردَت**: آخره.

جماعة إليه لأخذ الحقيقة فحجرت رسله الزكاة والحقوق الواجبة حتى يُعيّن ابن قملا مصرفها، وجنح أطراف الشرق من خولان إلى ذلك وأبىٰ من بالموسطة والأطراف الأخرىٰ منهم.

[تنافس يحيى بن علي سعد وأخيه]

وفيها: ثارت الفتنة بين يحيى بن علي سعد وبين أخيه أحمد، وما زالت الحرب بينهما ثائرة منافسة وطلباً لقسمة أموال أخيهما محمد ولأمورٍ لا أدريها، فلم ترفع الدولة إليهما رأساً.

[متفرقات]

وفيها: تكثرت الغوازي من سعود بن عبد العزيز علىٰ من بمسكات[١] والعتوب وأطراف بَر العرب، فكانت هدنة بين سلطان بن أحمد[٢] وبين سعود بن عبد العزيز سبع سنين، وأجبات العتوب داعية نجد فهادنهم سلطان بن أحمد وجعلها بينه وبين قبائله العتوب أربع سنين بعد ان كانت بينه وبينهم وقتلات متعددة.

وفيها: تخطّفت الموهبة بالبحر الجدّاوي فنهبوا سبع سواعي من سواعي الحُديدة بمرسىٰ البِرْك، وفرّ منهم أكثر السواعي إلا ما كان من مراكب الفرنج وأهل الهند فهابوها لكثرة مدافعها.

وفيها: خرج جماعة من الترك لطلب البن من الحديدة فأخذوا شيئاً واسعاً، وتتابع التجار في ذلك العام إلى هنالك، ولما عادت الأتراك عن البندر صادفوا ساعيه من سواعي الموهبة فرموها بالمدفع وتسلموا من بها فسلبوهم وأدخلوا جماعتهم بندر جدة ففادى أولئك أنفسهم بثلاثمائة ريال.

وفيها: طلب سعود أمراءه إلى الطائف من كل جيْل، ليعرف الصدور والكبراء الذين لم يصلوا حضرته، وليُشَافِهُ كل أمير بمراده ويشاورهم في أموراً بَرمَها، وكان قريباً من أشهر الحج. ولمّا وصلوا إليه شاورهم في أمر غالب بن مساعد ودبّر الحيلة في أموره وألزمهم الكتب إليه بالتخويف ان لم يجب وبنيل المراد إن أجاب.

وفيها: أرسل الإمام القاضي عبد الرحمن بن يحيى الانسي ليصلح بين أولاد علي سعد باليمن الإسفل.

---

(١) يقصد: مسقط.

(٢) هو سلطان بن أحمد بن سعيد البوسعيدي: صاحب مسقط وعُمان. وهو أبو ملوك مسقط وزنجبار بعد ذلك. الأعلام (١٠٨/٣).

وفيها: اختلف أولاد الضلعي، فظهرت منهم أموراً استخانتهم الدولة، وضبط الإمام أخاهم يحيى بن عبد الله إلى الحبس.

وفيها: تجمّع أهل حضرموت في آخر العام ونهضوا لمّا تتابعت عليهم الكتب والرسل من ابن قَملا بلزوم أمر الديانات، فاجتمعت الحضارم على رأسهم الكثيري، فجمع منهم أموالاً واسعة، وقصد الأطراف لمناجزة الموهبة فتخطّف وغيّر أحوالاً، وسلب أموالاً. وعطفَ على شبام حضرموت فناجز من به وكانوا قد أجابوا دعية نجد، وسأل عن حفظته فأخبر عن جماعة من يافع ومأرب وسائر المشارقة، فصالحوه وسكن الشر قليلاً.

وفيها: ما زالت العساكر والخيّالة تتجمع بصنعاء يشكون تأخير أرزاقهم ويقصدون أكابر الدولة، فأهمل الإمام بعضاً ورزق بعضاً.

وفيها: طلعَ جَمْع من أصحاب حمود بن محمد علىٰ حُفَاش[١] فقبضوا أسافل البلاد وتحكّموا في أهلها فطلبوا منهم الدخول في أمر الموهبة فأجاب الأسافل وبعث الإمام حفظه للحصُون.

[ثورة عوام جبل ضوران علىٰ الحضراني]

وفيها: ثارت العوام بجبل ضُوران[٢] فرجموا قاضيها إبراهيم بن محمد الحضراني وحصروه ببيته وكانوا قد سئموا من قضاه وكان إذ ذاك يداجي في الأحكام ما اعلم أحداً من الناس أنه قضى بقضاء الله في قضيّة وإنما يجري مع الخصوم مجرى المصالحة. وكان مصالحاً لأرباب الدولة كثير المهاداة، مُسَدِّداً في أمور نفسه مقارباً متحبباً إلى الخاصة، ففرّ عن ضُوران إلى حَضْران[٣]. وبعث الإمام عليهم النقيب حسين بن محسن راجح في مئتي مبندق من بني شدّاد وبني جَبْر[٤] وغيرهم فبعث الرتبة قبل مسيره بالعقاير إلى باب الإمام ترضاه فلم يقبل ذلك، ولمّا وصل النقيب حسين تلقّوه بالطاعة والاعتراف وسيّر الإمام مثنى بن علي صبر[٥] في ذلك الحادث، وأخّره عن السير بقاع

---

(١) **حُفَاش**: سلسلة جبلية في المحويت بالقرب من جبل ملحان.

(٢) **ضُوران**: جبل في آنس.

(٣) **حَضْران**: قريةٍ في أعلا ربوة من مركز الشَّرْقي بمديرية جبل الشِّرق، من أعمال آنس. تبعد عن بلدة (الجمعة) مركز المديرية بنحو (١٨) كيلومتراً. في الجنوب الشرقي من الجمعة.

(٤) هما قبيلتان من قبائل خَولان العالية في شرقي صنعاء.

(٥) من قادة خَولان.

جَهران[١] فانحَسَمت المادة وآل الأمر بإبراهيم الحضراني إلى رفع يده عن القضاء وولي قضاء رَدَاع.

[الإمامُ ينكِّل بخادمه]

وفي سادس شوال نكّل الإمام بخادمه أحمد بِن يحيى عقيل وضربه بيده جرائد وأنزله على جوهر غانم نقيب الدَرَج وعيّن عليه مالاً، وكان الوزير ابن عثمان مائلاً عنه حاسداً له إذ كان له أتم المباشرة مع قبائل برط فلم يُسلم ما عيَّنه عليه فسيّره إلى تيمور مملوك عبد الله بن المنصور فتخلصه ما عُيّن عليه وصادره مصادرة أضرت به، وتسلّم منه الإمام نحو عشرة آلاف أكثرها اقطاعات من أمواله.

وفيها: قبض النقيب سعيد أبو حليقة[٢] جواداً أرسله السلطان حسن ناصر الرصّاص[٣] وتعلل للدولة بتأخير مصروفه المقرر ونَقَض التوبة التي كان قد عقدها، فقطع السبيل وانتهب المسافر وتحيّن لقافله تمر بالطريق فوقع على ثمانين بعيراً فأخذها وسلب أهلها وسار إلى جهات آنِس فعاث بها وتسلم المنار وحصن المصنَعه.

[سنحان وبنو حاتم]

وفيها: ثارت قبائل سَنْحان لإِحَنٍ بينهم وبين مخلاف ابن **حاتم**[٤]، وكان أهل المخلاف قتلوا جماعة من سَنْحَان فراسل أهل المخلاف مثنى بن علي صَبِر ليفلّوا به حَدِّ فنزل عليهم في ثلاثمائة من بني جَبْر فكان المصاف بينهم بقرية عاثين ـ بمهملة فتحتانية فنون ـ فانهزم أهل سَنْحان وقتل منه اثنى عشر نفراً وأصيب بالرصاص خمسة وعشرون نفراً.

[حـوادث متفرقـة]

وفيها: ثارت العامة من أهل يريم ضجراً من حاكمها وكراهيةً له، فرجموه وهو ببيتهِ وأخرجوه ففرّ منهم إلى وردسان[٥] بقاع ذمار.

وفيها: اختلفت طوائف همدان ضلع فيمن يتولّى سياستهم وطائفة تريد صالح بن أحمد خليل القائم الأول، وطائفة تريد أن يتحول ويتولاهم غيره. فجنح الإمام إلى رأي أكثرهم فأبقى صالح بن أحمد خليل.

---

(١) **جَهران**: حقل واسع يمتد من أسفل «نقيل يَسْلِح» باتجاه مدينة ذَمار إلى القرب منها.

(٢) **أبو حليقة**: من قبائل خَولان.

(٣) **الرّصاص**: هو سلطان بلاد البيضاء في منطقة مَسْوره.

(٤) **مخلاف ابن حاتِم**: من أعمال ضُوران آنِس، يضم مجموعة قرى منها: عاثَيْن.

(٥) **وَرْدسان**: من قرى وادي الحَار في جنوب مدينة ذَمار.

وفيها: توثّبت قبائل ذو محمد وتسلّلوا عُصبةً عُصبةً طمعاً في نيل الجهات الحرازية وكان بها محمد بن صالح جزيلان قبل نزول جماعة الأمير يحيى بن محسن حنش وذلك في شهر شوال. وقد طارت أخبار ميسُور الحبشي واختلاف جماعاته عليه فسيّر الإمام صالح بن أحمد خليل في قبائل همدان إلى خَلَقه[1] ليمنع النافذ من قبيلة ذو محمد، ويخطف البدر محمد بن الإمام بجهات عَمْران من وَرَدَ من ذو محمد. فقتل ثلاثة نفر منهم فانقطع طمعهم.

[مسير جمع من الوهابيّة إلى جبل حُفاش]

وفيها: سار جمع من الموهبة عن رأي من حمود على رُتب حُفَاش ومَلْحان[2] وكان بهما جماعة من همدان فأخرجوا عن المراتب ببيعة وخديعة، واضطرب أمر الجهات الحُفاشية وتجرم من وساطتها علي بن حسين الآنسي[3] لكثرة التخبطات والرَبَش ولأنه عدَل عنه سيف الإسلام وألزمه حفظها بعبد الله بن أحمد الماس عبد الرحمٰن لمّا رأى سيف الإسلام منه فائدة زائدة على من تولاها بوساطة علي بن الحسين الآنسي.

وفيها: طلب الأمير صالح بن يحيى انزال أهله عن صنعاء إليه وقال الناس في شأنه وقالوا.

وفيها: وصلت ثلاث سواعي لسالم بن سنان وطامي بن شعيب كبيري الخَسْعَة[4]، وبها معهما جماعة من الصُّوْر[5] إلى مرسَى اللحية طالبين التجارة من اللحية، فألزمهم يحيى بن حيدر[6] تسليم العشور فأرسل إليه سالم بن سنان: أن لا عشور على المسلمين وإنما العشور على اليهود والنصارى، فلم يصْغ سماعاً إلى إنكاره وأصرّ على استكباره، فلم يجد سالم بُداً من امتثال ما ألزمه يحيى بن حيدر، ولمّا قضى نهمته من البندر نهض إلى الخَسْعَه وعاد في سبع سواعي مقاتلة فخرج يحيى بن حيدر وركب

---

(١) **خَلَقَه**: بفتحات. قرية بمديرية همدان صنعاء، تقع بالقرب من مدينة شِبام كوكبان في الجهة الشرقية منها.

(٢) هما جبلان في المحويت.

(٣) **الآنسي**: من آل الآنسي أهل صنعاء. قال زَباره: كان فقيهاً عارفاً كاملاً، توفي بصنعاء سنة (١٢٢٣هـ). نيل الوطر (١/ ١٣١).

(٤) **الخَسعي**: من قرى عبس من أعمال ضَمد، بمنطقة جازان (المعجم الجغرافي للبلاد السعودية (١/ ٣٩٧).

(٥) **الصّوْرُ**: من قرى آل مرير من بلحارث، بمنطقة بيشه في بلاد عسير المعجم الجغرافي (١/ ٧١٣).

(٦) **حيدر**: من أشراف وادي ضَمد.

البحر وتصافت السواعي فكانت ملحمة ذهب فيها من جيش سالم نحو الثمانين أُلقوا في البحر وقُتل من جيش يحيى بن حيدر نحو العشرة، وانتهب أهل السواعي بعضهم بعضاً، وسعى جماعة من أهل البندر بين الطائفتين بالإصلاح وإبلاغ الأمر إلى عبد الوهاب بن عامر أمير عسير، وبلغ الأمر إلى سعود بن عبد العزيز فبعث عليهم الأمير ربيع ليرفع إليه ما يقضي فيه نظره. فكان من خبره ما قصصناه عليك عام عشرين.

[اتصال مشائخ الشّرف الأعلا بالشريف حمود]

وفيها: سار سبعة عشر من مشائخ الشرف الأعلى، إلى الشريف حمود فطلب منهم تسليم مفاتح الحصون، فأبوا من ذلك، فضبطهم وغلّهم بالسلاسل وأنزلهم السجن. وكانت قد تخالفت الآراء بين أهل الشرف والشريف، فأخرجوا جماعته الحافظين للحصون لمّا رأوا ما صنع إسماعيل بن حسن بن المؤيد أمير حمود المجهَّز على حَجُور، وكان من أمره أن طلب حقوقاً من أهل حجور لا يعرفونها فانشقت بينهم العَصَا، وكُسِرت شوكة إسماعيل بن حسن بعد قتل في أصحابه فعاد خائباً، لم يقض وطراً، فكان من أهل الشرف ما أشرنا إليه.

وفيها: طلب الإمام قبائله حي بكيل، وتكلم الناس في أمر الطلب وشاع أنه سيبعثهم لمصاولة حمود بن محمد فانحدر حمود إلى مَوْر وجَمَع قبائله من كل وجهة فلم يأته داهِمٌ ففرّق أصحابه.

وفيها: تقدم ابن حبيش[1] من حصن عِزّان[2] بأمر من الإمام إلى بلاد حجة، فجاءت طريقه على أعلا وادي شَرِس[3]، وتلقّاه النقيب طفيان فأنفذه من عقبة السّلامة، وأدخل من جماعته رتَبة إلى كوكبان حجة[4]، ونفذ إلى الحِلّة والسمسرة والسوق[5]، وكان أهل التجارة قد فَرّغوْهُ خوفاً من دَاهِمٍ بن حُبيش، فأبصر من بحصن نَعْمَان رايات الدولة فتسللوا في الليل خوفاً من محسن بن علي الحازمي، ونزلوا إلى ابن حبيش، فاستفصحوه وطلبوا رأيه فحطّهم على الطاعة، فطلبوا منه جماعة لإخراج من بـ (نَعْمان)، فسيَّر معهم طلبتهم، فتسلقوا من الجهة الغربية وأصحاب محسن بن علي

---

(١) **ابن حبيش**: النقيب صالح بن هادي حُبيش شيخ بلاد سُفيان وقبائلها.

(٢) المقصود هنا عِزّان كُحلان في شرقي حجّه. وما يحمل اسم (عِزّان) من مناطق هي كثيرة. انظر كتابنا: معجم البلدان والقبائل اليمنية.

(٣) **شَرِس**: بفتح فكسر. وادٍ أسفل مدينة حجّة من جهة الشرق.

(٤) **كوكبان حجه**: من قرى الجَبَر بمديرية مَبْيَن في شمال شرق حجّه.

(٥) **الحِلّه**: بكسر فتشديد اللام. منطقة في أعلا وادي شَرِس، وفي الطرف الشرقي من مدينة حجّه. في مدخلها للصاعد من شَرِس.

الحازمي على الباب القبلي حراساً، فهجم جماعة ابن حبيش على الموهبة داخل الحصن فتسلموه منهم، فخرجوا على عجل، وانضموا إلى محسن بن علي وكان بقلعة الجِرَاف[1]، فبعث إلى الظّهرين[2] مَنّ يحذرهم الاغترار بابن حبيش، فأصغوا عنهُ، وأرسلوا إلى يحيى بن هادي الشايف وكان بقطعته يستغيثون به، فأرسل اثني عشر رجلاً، فأرسل إليه ابن حبيش: أن هذا أمر يقضي بخديعتك للإمام، ويقرر عصيانك كيف تفعل هذا وتمنع أصحابي وأنت تَعْلَم أن حفظ الظّهرين يُخلّص من بقلعة الجراف، فكأن رأيك ورأي الموهبة في حيّز فاعتذر يحيى بن هادي بأنه إنما صنع ذلك إلى أن يجيء متولي الإمام من صنعاء وأنّهُ سيقطع بأصحابه مورد الماء عن من بالقلعة، فكان مَنْ بالقلعة لا يغترفُون إلا من الظّهْرَين.

ولمّا بلغ الخبر إلى يحيى المحبشي وهو بالظّفير[3] سيّر ولده يقطع طمع الدولة عن نيل حصن مَبْيَن، وكان أهله قد كتبوا إلى الدولة كتباً يقربون لهم نيل مرامهم، فحط عليه جماعة من جَبَر[4] حجة وجماعة من الشرف، وكان من أمر حجة وحصونها ما سنذكره في عام عشرين.

[أبو حليقه يعيث فساداً في بلاد آنس]

وفيها: نزل سعيد أبو حليقة عن المصنعة بعد أن حصّنها فقصد المنار وانتهب السفر، وتسلم ثلاث قرى وأفسد وقتل، وقصد بني سَلَمه فانتهب جماعة من أهلها وتوجه إلى حِضْران فناجَزهم وبعث عليه عاملها جماعة عليهم مثنى بن علي صَبِر والشيخ سعد البُخيتي فظفروا ببعض الحمائل فتخلصوها.

وفيها: تضرّبت أحوال أهل بلاد آنِس وأبوا من قبول العامل قاسم بن إبراهيم الظفري[5]، فكتب إلى صاحبه ابن عجلان وكان طالعاً من إحدى الجهات اليمنية إلى العامل فاستقر لديه، ولما رأى أمرهم منحرفاً عن العامل لاقاهم ابن عجلان المحمدي، فأخذ عليهم شرائط تلزمهم قبول العامل، وأخبرهم أن غارته عليهم إن لم يثبتوا قبل غارة الإمام، وسار ابن عجلان ومن معه من قبائل ذو محمد إلى باب الدولة.

---

(١) **قَلعة الجِرَاف**: هي المشرفة علىٰ مدينة حجّه، وأعلاَ منها قلعة القاهرة.

(٢) **الظِّهرين**: جبل وحي في شمال مدينة حجّه. خلف قلعة الجِراف وأعلا منها.

(٣) **الظفير**: بلدة في قمة جبل شمال مدينة حجه بمسافة نحو (١٥) كيلومتراً. عِدَادها من مديرية مَبْيَن.

(٤) **الجَبَر**: بفتحتين. مركز إداري من مديرية مَبْين.

(٥) **الظفري**: عالم، تولى أوقاف بلاد جِبْلَة. وموته في رجب سنة (١٢٢٧هـ).

[مسير الأمير يحيى حنش إلى حَراز]

وفي: يوم الجمعة خامس شهر الحجة سار الأمير يحيى بن محسن حنش إلى حَرَاز فوصلها يوم العيد، ورتّب الأطراف وكان في ثلاث عشرة مائة من حي بكيل وسُفيان وأرحب، وسار إلى العيانة[١] وبها حطّ مخيمه أربعة أيام، ثم سار عنها وجرّ المدفع فنازلَ حصن الظلفاع[٢]، وحط مقابله وفتح الحرب، وصابر من به مصابرة شديدة. وحملت طائفة من أصحاب الأمير يحيى بن محسن بمعاول، وأرادوا خلع الباب، فرماهم من بحصن العِرّ من قبائل يام ثم تقدم أهل البيارق، فحملوا بها ونصبوا بيارقهم خارج سور الظلفاع ولما حجز الليل عادوا، ومضت له في حربهم ثلاثة أيام فرأى أن الظلفاع لا ينفتح حتى يخرج من بالعرّ، فعطف لمناجزة من بالعر وفرّق أصحابه ثلاث طوائف طائفة على العر وطائفة وجهها على كِاهِل وطائفة قدّمها على شبام، وبهذه الثلاثة الحصون قبائل (يام) فصادرها الجيش المنصوري حروباً محرقة، فدعوا إلى تسليم الحصون على أن يرجع الأمير يحيى بن محسن إلى مخيمه ويُفْرِج لهم الطريق، فلم يسعدهم وبعث جماعة من كبار أصحابه ذو محمد إلى من بالعر فأذعنوا للخروج فتسلم منهم الحصن، فخرجوا في وجه الليل، فأقام به حفَظه وسار على حصن الظلفاع فصادرهم فطلبوا منه الأمان فأعطاهم، وتسلم منهم الحصن فخرجوا عنه ودخله مؤيداً قاهراً، ولما استقر به فكرٍ في شبام[٣] فرآه بعيد المرام فعَمَر هنالك نوبةً حصينة تحكم على باب شبام، والنوبة تعرف بنوبة ثعيل وقدّم بعض أصحابه إليها ثم سار على حصن كاهل، فرماه بالمدفع، واستقر في حصاره أياماً، حتى خرج هذا العام. وسنقص عليك أخباره عام عشرين.

[دخول أمير حاج الشام إلى مكة]

وفيها: ما زالت طوائف الموهبة تتخطف حول مكة فحط عليها المضايفي وسالم بن شكبان وعبد الرحمٰن بن عامر أبو نقطة وابن قرمَلة وابن حرملة ومشيط وابن مُضيّان وغير هؤلاء، ووصل إبراهيم باشا أمير حج الشام في بأسٍ وشده يحمل معه ثلاثة آلاف بعير تحمل الميرَة والمدافع والشِحْنَة فضرب من لاقاه وجعل لنفسه سبيلاً، فتنحى عنه جمع الموهبة حتى قارب مكة ثم وَجَد من بعد قوةٍ ضعفاً، ففادى طريقه بمالٍ واسع فدخل مكة وأهلها في ضيقٍ وشدة، وأدرك بها الغلاء في جميع ما يباع حتى بلغت الكيلة

---

(١) العيانة: قرية في جبل العِرّ من جبال مَناخَه.

(٢) سبق التعريف بحصن الظلفاع وأنه في منطقة اليَعابر، بالشرق من مَناخَه.

(٣) شبام حراز: جبل يُطل علىٰ مدينة مناخَه من الجهة الجنوبية. وهو جبل حصين يرتفع ثلاثة آلاف متراً من سطح البحر.

نصف ريال، ثم زادت الضيقة فبلغت الكيلة ريالاً وربع ومقدار الكيلة ما يتغدّاه أربعة نفر، وتَخُطفتِ الموهبة الناس من دون أن يشهروا السلاح أو يرموا بالبنادق، وسلك حاج اليَمن ولم يجد كَيْداً، وكان سعود قد أمر أمراء الحجاز أن يفسحوا لهم الطريق، وكان كما قدمنا قد دعَى أمير حاج اليمن إلى الدخول، وأذن له في الوصول ولم يأذن له الإمام خوفاً عليه وعلى من أم البيت الحرام.

[عباس بن إسماعيل بن محسن بن المتوكل]

وفيها: يوم الربوع، سابع شهر الله المحرم الحرام، العباس بن إسماعيل بن محسن بن المتوكل إسماعيل الصدر الرئيس[١]، عن أربع وسبعين سنة. مولده عام خمس وثلاثين ومائة وألف، فنشأ في حُجر عمه علي بن مُحسن المتوكل وإليه كان رئاسة بلاد الظاهر جميعاً[٢] وكان مستقره بلاد خمر، ولمّا أكمل قراءة القرآن أخذ بمدينة خمر في علم الفقه عن القاضي عبد الله بن محمد حنش، وكان حاكماً نافذ الأوامِر، بصيراً بأهل الجهات فلما كبر العباس سار عن خمر إلى كحلان عاملاً عليها، وصحب القاضي أحمد بن محمد قاطن، وأخذ عنه في كتب الحديث فأسمع شطراً من البخاري ومسلم، وأخذ عن حاكمها صلاح بن حسين[٣] وكان يسير يوم الغدير إلى خمر حضرة عمه في جمع كبير، ويدخل نائب عمران الشيخ محمد الصّعْر إلى خمر في ألفاف من عيال سُريح، وأهل الجبل وسائر قبائل عمران، ويدخل إلى خَمِر نائب السوده بقبائلها، فيقرر مع عمه أحوال قبائل بلاد الظاهر، ويأخذ عليهم الطاعة للإمام حتى تلاشت الأحوال وذهبت أوامر الدولة وضعفت بلاد خمر، ثم استدعاه الإمام المهدي العبّاس إلى حضرته، وأرسله إلى الحدا لجمع قبائلها وقبائل خولان وعنس، وحظّه على ملاقاة قبائل بَرَط لأسباب بعثها الشيخ حسين عامر البُخيتي وأعظمها أن الشيخ ناجي القوسي قتَل والد البخيتي في زراجه في عمالة حسن بن علي بن حسين المتوكل المعروف بالأبيض، وقد كان البخيتي عاثَ في تلك البلاد وأفسَد أهلها وقطع الطريق وتخطّف في جهات ضوران وأعمالها، فسارت القبائل البكيلية لداعي الشيخ البخيتي على طريقة الطاغوت، فالتقاهم العباس بن إسماعيل في مشارق الحدا بمحل يقال له قَرَنْ ـ بقاف مفتوحة فزاي معجمة فنون ـ في حدود بلاد مراد بسائلته العُظمَى وهِي تنفُذ إلى بلاد الجوف، وكان في صحبته

---

(١) نيل الوطر (٢/ ١٧).

(٢) **الظاهر**: منطقة من بلاد حاشِد تشمل مدينة خَمِر والقرى المحيطة بها.

(٣) **صلاح بن الحسين بن شرف الدين الكُحلاني**: ترجمه الجنداري في الجامع الوجيز فقال: كان عالماً ورعاً زاهداً تولى الحكومة بـ (كحلان) من سنة (١١٣٣هـ)، ودرّس في كحلان واستفاد عليه جماعة حتى توفى به في سنة (١١٦٨هـ). نشر العرف (١/ ٧٩٧).

مع قبائله يحيى بن علي الشامي الهاشمي، فكانت بينهم ملحمة ثبت منه العباس ثباتاً بيّناً، وانتصف أحد الفريقين من الآخر ثم انحاز إلى موضع غير حصين فكان فيئَةً وملجأً لمن ورد عليه من أصحابه. ولبث بذلك الموضع ثلاثة أيام يصادر ويصاول ولا ماء عنده ولا زاد، وكان قد أبعَد في السير، فكانت تدخل عليه قبائل ذو حسين في الليل وهم أعداؤه فيحملونه على الصلح، ويحملوا معهم إليه الزاد واللحم والماء محبةً فيه فيجيبهم لا على شرط يشترطونه. فقالوا له: لا شرطاً واحداً؟ فقال: ما هو؟ فقالوا: إن تمكننا من الشيخ ناجي القوسي، وكان قد أخفىٰ موضعه فقال: طلبتم ما لا أقدر على تحصيله. وآل الأمر إلى خروج العباس من ذلك الموضع بمن معه وخرج بخيله ورجله، وكان الجرحىٰ من أصحابه في ذلك الموضع كثيرين، وكان قد حمل مقاتليه وألقاهم بباب الموضع الذي تحصن به. فقالوا له: تعلَم إنا لا ندعك تخرج حتى نستعرض أصحابك واحداً واحداً، فإن وجدنا ناجي القوسي فلنا فيه حكم، فقال: لا بأس، ثم أمرهم بالتأخر قليلاً عن محله، وأدركه هَمٌّ من ناجي القوسي فدبّر الحيلة في إخراجه فقال لأصحابه: احملوا مصاويبكم وجرحاكم على الجمال، واجعلوا فوق كل جَمل رجُلين عليهما حِزَم القصَب، وأمر بنضح الدم على أرجل الشيخ ناجي وحمله فيمن حُمل مع الجرحَىٰ، ثم ركب حصانه وأمر بالمصاويب أن تتقدم بين يديه. ولمّا مضَى الجَمل الذي عليه ناجي اجتهد معهم في كمال التفقد والتعرف لأصحابه، وضاق به الحال هنالك لمّا لم يكن من يمده بالغارة فلم يشعر إلا بكتاب من المهدي العباس يذكر له فيه: أَنْ صدرت إليك المحاطِ جيلاً بعد جيل ورعيلاً بعد رعيل، فوصل إليه من الأمراء: يحيى بن علي بن حسين الأبيض ببلاد البستان وسنحان وبلاد الروس، والشيخ أحمد بن صالح خليل بقبائل همدان، والنقيب صالح بن ناشر الخياري بحاشد، والأمير بقراط بالخيل والرّجْل من البطانَة، وجعل المهدي العباس أمير الأمراء على تلك المحاط المترجَم له، فذلّت قبائل برط ففرت فتبعهم إلى الفرش[1] وأرسل إليهم المهدي العباس بالجوائز الفاخرة من الذهب والملبوس والمركوب وأناط به ولاية رَدَاع وذمار والحدا، وهذه الواقعة سنة خمس وستين ومائة وألف أو قبلها بيسير. ثم رفعه عنها وحصلت وحشة بينه وبين المهدي العباس فأودعه دار الأدب وقبض خيله فأقام بالسجن عاماً كاملاً، ثم أخرجه وحبسه ببيته فبقي به نحو ست سنين، ثم عطف عليه وأعطاه. وبعثه عاملاً على خولان فبقي بها نحواً من عامين بعد فساد فانتظمت أمورها، وحفظت أطرافها ثم عزله عنها، فبقى بحضرته وحصل خلاف من يحيى بن علي الشايف المقدم الذكر، فإنه جمَع قبائل من خولان وسار بهم إلى جبل بَرَط متذمراً بهم وكان مسموع

---

(١) الفَرْش: قاع فسيح يتوسط بين «آنِس» و«بني مَطَر». ويُعرف باسم «فَرْش آنس».

الكلمة فأجابه ابن قملا من ذو حسين أهل وادي خَبّ وله قبيلة واسعة، ولم يكن له إذ ذاك تقرير[١] كقبائل ذو حسين أهل الجبل، وسار إلى ذو محمد فأجابته طائفة. فأمر المهدي العباس المترجَم له أن يسير إليه بجميع القبائل الذين بحضرته بصنعاء منهم عبد الله بن حسن العنسي في خمسمائة من ذو حسين والنقيب محسن بن أحمد الشايف في خمسمائة منهم. وهؤلاء «الأمراء»[٢] في سن الشباب.

وكان بحضرة المهدي مِن العُقّال الكبار أحمد بن حسن العنسي والنقيب صالح بن عايض الشايف فلم يضمهم إليه بل أبقاهم في حضرته، وسيّر معه ذو محمد وقبائل سُفيان[٣] والمرانات وأرحب، فبلغوا معه نحو خمسة آلاف مقاتلاً، فقدمه إلى جهات خولان العالية لعمارة حصن النصر في وَديد[٤] الذي أسسه محسن بن حسين بن المهدي أحمد بن الحسن أيام صاحب المواهب، فسار ومعه أهل الأعمال من العمّارين والنجارين والحدادين في أُبَّهَةْ وقوة، وسيّر معه يحيى عقيل وعلي الحبشي أعدهما لنوائبه وأصحبهما مالاً جمّاً، وكان المترجَم له يقول: لو أرادني الإمام على حضرموت لكان الأمر هَيّناً، فالتقته القبائل بالعقائر وقبلوا خطاط أصحابه عليهم وسلّموا الآداب، ونفّذوا أوامره. ثم أمدّه الإمام المهدي بالشيخ أحمد بن سعيد أحمد الشرقي في قبائل نِهم، وكانت طريقه الشرَفه وأوساط بني جَبْر[٥]، فانتهى به السير إليه وهو بحصن النصر، «وقد كان»[٦] أسس عمائر الدُور، وأقام المساجد والأسواق فبغته الخبر بخروج الشامي وقبائل بكيل فبعث عليهم العيون، فجاءهُ الخبر بمضيّهم من مشارق المحل، فطلب الجند فتعجرفت القبائل وذلك دأبهم فبالغ معهم بكل ممكن، فأصرّوا على عدم الحركة، وكان من شأنه أن يتألف من صغار القوم مَن لا يوبَه له، فطلبهم في الليل سراً، فكانوا خمسين نفراً فأعطاهم خمسين قرشاً واستعرضهم فكانوا من كل لُحمةٍ، وأمرهم أن يطرشوا ومن وجدوه مُطْرِقاً قتلوه، وأن يناوشوا القوم القتال، فساروا مسرعين فرحين.

وأصبح فأَمر بضرب المدافع للرحيل، وخرج فركب وأمر العَمَله باللحوق وهم من

---

(١) أي مُقرّر.
(٢) زائدة في النسخة «أ».
(٣) وردت: سُفين.
(٤) هي قرِية من مركز قَرْوىَ بمدرية خولان في شرقي صنعاء.
(٥) الشرَفه: بالتحريك. منطقة في بني حِشَيْش بالقرب من بلاد نِهْم. وكلاهما بالشرق الشمالي من صنعاء. أمّا بني جَبْر فهي من بلاد خَوْلان العالية بمشارق صنعاء.
(٦) وردت في «أ»: وكان قد.

أبناء صنعاء، فساروا صحبته بالفؤس والمعاول، ولمّا قارب أولئك الخمسين، جاءهُ الخبر بأنهم قد فتكوا وألفوا القوم في غِرّة، وسار الخبر إلى قبائله وهم بالمطرح بأن القتل قد كثر في الشامي وأن أميركم مصاول بقومٍ تيسَّروا له، فلحقتهم الحميّة، فساروا وألفوه بمحل يقال له الجَرَش ـ في مشارق بني جَبْر ـ عند قائمة الظهيرة، فأصدقوا الحرب مَعهُ خوفاً من نسبه الجمّالة إلى غيرهم، والتحموا القتال إلى أن أظلم الليل وانجلت عن مائتي قتيل من الجانبين، وكانت هزيمة الشامي وأصحابه. وعاد المترجم له وأصحابه بقومه نصف الليل بعد أن جاءهم أن الشامي ومن مَعهُ قد ولّوا إلى بِدْبِدَهْ ـ من أعالي الطّيال ـ وقُطع دابرهم. وأناله الإمام ومن مَعهُ نيلاً واسعاً، وكانت هذه الحادثة عام ثمانين ومائة وألف. وله مع الإمام المهدي عدة حروب.

ومنها: (حادثة سعوان) التي حدّث به الركبان، فإنها لما قهقهرت القبائل وخانوا الإمام وأمسكوا عن مصاولة القاضي حسن، طلبهُ الإمام المهدي وفاوضه في ذلك الأمر فأشار عليه بالإمساك وعدم المناجزة حتى يمضي يَومه معهم، ولمّا كان اليوم الثاني دخل عليٌ الإمام وضمن له الوقيعة بهم، فسيّره في ذو محمد وسار الإمام بنفسه إلى الجَرْدَا[1] فترفّعت القبائل المفسدة إلى أعالي الجبال فشاخ اليوم ورجع الإمام، فنزلوا فالتقاهم المترجَم له[2] وأقدم بنفسه، وأخذ البيرق بيده، فتبعُه قومه فكانت ملحمة انجلت عن عشرين نفراً من أصحابه وأربعين من البغاة، وكانت هزيمتهم إلى مطارحهم فأجازه وقبائله، واستعمله على بلاد البستان وبني الحارث وبني حشيش، وهذه عام أربع وثمانين.

وبعثه في عام خمس وثمانين، بعد رجوعه من خولان، لملاقاة القاضي حسن العنسي إلى بَعْدَان وأصحبه قبائل وَادَعَه والمرانات وسفين في ثلاثة آلاف مقاتل، وانتهى السير بالقاضي إلى بَعْدَان وهو في إثرِه ورديفه الماجد أحمد بن المنصور بالله الحسين، فكانت ملحمة توثّب فيها بحصانه، وكسر رمحه تذميراً للقبائل وتنشيطاً لِهِمَمْهِم، وقُتل منها القاضي محسن بن حسن العنسي، وتعقّب طلوعه خروج القاضي أحمد بن حسن العنسي، وجاءت طريقة بلاد صنعاء وجبال حَضُور فسيّره في أربعة آلاف مقاتل من قبائل حاشد ووادعه وأهل الظاهر وأصحبه خادمه علي بن يحيى الجَوفي بعشرة آلاف قرش لنائبةٍ تنوبه لا يؤخذ منها شيء في محتاج العساكر، وجاء الخبر بنزول البغاة على مَوْر[3]

---

(١) **الجَرْدَا**: قرية ومنطقة في جنوب صنعاء، وقد امتد إليها عُمران مدينة صنعاء في الوقت الحاضر.

(٢) ما زال الحديث عن الأمير عبّاس بن إسماعيل المتوكل.

(٣) **وادي مَوْر**: الواقع شمال مدينة الزّيدية فيما بينها وبين الزُهرة. وهو أكبر أودية تهامة وأكثرها خصباً.

فتبعهم وسار إلى مور، وأدرك أثقالهم فانتهبَها وعاد لم يلق كيداً، ثم عاد فأجازه واستعمله على عمران، وهذه عام ستة وثمانين.

ولمّا استقر بعمران قبض المهدي على يحيى بن علي الشامي المذكور أولاً فبعث إليه ليلاً أن تبادر بوصوله ويستعمل نائباً على بلدة عمران، فاستعمل عليها ولده علي بن عباس بن إسماعيل، ووصل حضرة الإمام فشاوره في شأن خولان، فضمن له صلاحها وحفظ طرقاتها، فاستعمله عليها. فما زال حافظاً وناصراً وسائساً لها إلى أوساط دولة الإمام المنصور نحواً من عشرين عاماً، وأمره الإمام المهدي بالنفوذ على قبائل أرحب وفيهم شرف الدين بن إسماعيل بن إسحاق وكان قد أظهر دَعوة هناك خفيّة، فسار إلى (بيت دُغيش)[1] وصحبته قبائل خولان بأجمعها، وقدم المهدي فيها أحمد بن المنصور بالله الحسين بقبائل حاشد والخيل والرجُل من البطانه معه في (بيت حنظل)[2] والشيخ محمد خليل في الجاهلية بقبائل همدان، فكان صُلح شرف الدين بن إسماعيل علَى يَده، وقد قدّمنا بلاءَهُ وقتاله أيام الإمام المنصور بالله علي بن العباس مفرقاً في السنين فيؤخذ من مظانه، وإنما سقنا هذا الكلام هُنا بطوله لعدم إطلاعنا على بسط للحقيقة من أحوال المترجَم له كما بَسطنا.

[علي بن قاسم حنش]

وفيها[3]: يوم الجمعة عاشوراء محرم، رفيقنا علي بن قاسم حَنَش[4] الأخباري الذكي نزيل صنعاء، مولده بـ (ذِيبين) من أعمال الشرفَين[5] عام ثلاث وأربعين[6]، وبها نشأ فقرأ القرآن وأخذ فروع الزيدية، ثم ارتحل فاتصل بآل شمس الدين في حصن كوكبان ونزل بمتوليها الصدر أحمد بن محمد بن حسين[7]. قال لنا: وعنه أخذت الفنون وبه تخرجت: قلت: اسمع عليه كثيراً من كتب الحديث مع فهمٍ وذكاء وحافظة وغوص على الدقائق بسُمُوٍّ هِمّةٍ وقنوع، ثم رحَل عنها بعد خلافٍ شيخنا الأستاذ

---

(١) **بيت دُغيش**: بضم الدال وفتح الغين. من قرى بني سليمان في أَرحب.

(٢) **بيت حنظل**: من قرى بني الحارث في شمال صنعاء. تقع جوار المطار.

(٣) سنة (١٢١٩هـ).

(٤) نيل الوطر (٢/ ١٥٠)، هجر العلم (٢/ ٧٤٧)، أعلام المؤلفين الزيدية (٧٠٤)، البدر الطالع (١/ ٤٨٢)، الأعلام (٤/ ٣٢٠)، معجم المؤلفين (٨/ ١٦٨)، مصادر الفكر الإسلامي ص (٥٠٣)، مائة عام من تاريخ اليمن ص (٢١).

(٥) **الشَرفين**: هي اليوم من أعمال محافظة عَمْران. وتقع شرقي خَمِر، وشمال رَيْده بمسافة (٢٠) كيلومتراً.

(٦) سنة (١١٤٣هـ).

(٧) **أحمد بن محمد بن حسين بن عبد القادر**: أمير كوكبان. وقد توفي سنة (١١٨١هـ).

عبد القادر بن أحمد[1]، وسار عنه إلى صنعاء بكتاب منه إلى أحمد بن عبد الرحمٰن الشامي[2]، فدخل صنعاء وقصد أحمد بن عبد الرحمٰن، فاحتفل لوصوله وقرأ ما أودعه شيخنا قال: فسُرّ بذلك وأعلمني أن في مكتوبه الجنوح إلى السلم والمصالحة قال: وبادَر في الحالة بالخروج إلى الإمام المهدي العباس، وألقَى إليه الكتاب، فأعاد الجواب، وأسهب في الخطاب، قال: وكان صدر كتاب الإمام المهدي ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ﴾[3]، ثم عاد بالجواب، ورجع صنعاء فنزل بأحمد بن عبد الرحمٰن، فأجرَى له بها رزقاً ونزل على البدر المنير محمد بن إسماعيل الأمير، وحضر درسه واتصل بأحمد بن محمد قاطن وأخذ عنه يسيراً في الحديث، وكَبَا بالقاضي الفرس فكتب إليه المترجَم له وأجاد في حسن التعليل:

أي طـرْفٍ لمثـلِ حَمْلِـك يَقْـوَى	طَـوْدَ حلـمٍ وبحـر علـمٍ وتقـوَى
مـا أراه أصيـب إلاّ بعَيـنٍ	مُـذْ عَـلاهُ مـن العلـوم كـرضـوَى
أو هـي الأرض إذ تَبـاعـدت عنهـا	كـان منهـا إليـك سـرٌ ونحـوَى

وتنقّلت به الحالات فترحّل في البلاد اليمنية ودخل زبيد، ولاقىٰ بها السيد سليمان الأهدل[4] وبني المزجاجي[5] وغيرهم، وحدّث عن سليمان الأهدل بأنه وصل إليه رجل من أهل الحرمين فلما حانت الصلاة وأذن المؤذن سمع النداء حيّ على خير العمل. فقال: هذه ليست من ألفاظ الآذان فقال السيد سليمان: هذه في كتب الزيدية. فقال: أسألك عن حادثة، فقال: ما هي؟ قال: قال النبي ﷺ: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل

---

(١) **عبد القادر بن أحمد بن عبد القادر بن الناصر**: والخلاف الذي يشير إليه المؤلف هو الذي حدث بينه وبين أمير كوكبان إبراهيم بن محمد بن حسين بن عبد القادر بسبب الصراع علىٰ إمارة كوكبان؛ كما هو مذكور في ترجمتيهما. انظر ترجمة السيد عبد القادر في حوادث عام (١٢٠٧هـ). وترجمة السيد إبراهيم في عام وفاته سنة (١٢٠١هـ).

(٢) الوزير العلامة أحمد بن عبد الرحمٰن الشامي المتوفى سنة (١١٧٢هـ). انظر ترجمته في نشر العرف (١/ ١٤٨).

(٣) سورة الأعراف، الآية (٢٠١).

(٤) **سليمان بن يحيى بن عمر الأهدل**: مفتي زَبيد. كان عالماً مُبرزاً في العلوم النقلية والعقلية. تصدّر للتدريس والإفتاء، ورحل إليه الطلاق من أماكن مختلفة في اليمن، ومن خارج اليمن أيضاً. له مؤلفات، ووفاته في زَبيد سنة (١١٩٧هـ). هِجر العلم (٤/ ٢٠١٠).

(٥) **بنو المزجاجي**: يُنسبون إلى قرية مزجاجه. بلدة بالقرب من مدينة زَبيد. وهم من بيوت العلم في تهامة، وكانوا يُعرفون ببيت السِنِّي حتى انتقل جدهم محمد بن أبـي القاسم إلى قرية المزجاجه فعَرفُوا بهذا الاسم. وكان محل سكن جدودهم قبل ذلك بلدة الهِزْمه في وادي زَبيد، فَخُربت وتفرّق أهلها. معجم البلدان والقبائل اليمنية (٢/ ١٥٠٤).

ما يقول»، وأنا لا أرى حي على خير العمل فماذا أقول عندها؟ قال: «قُلْ لا حول ولا قوة إلا بالله»، قال: فما رأيت أحسن من هذا الجواب. وهذا أشبه شيء بقول ابن الجوزي: أفضلهم من كانت ابنته تحته.

وحدّثنا من مروحاته رحمه الله بالعجائب فقال وقد ذاكرته من جماعة يتشبهون بالأعلام فقال: لله در القائل:

لا تَحفلَنَّ بمنهج الـ ... فوحق من أبلَى بِهِم
الهَمَجِ الذين تراهُموا ... نفسي ومن عافاهموا
لو قيس ماتاهم بهم ... كانوا هُموا موتاهُمُ

ولم نشعر إلا بمرور رجل يتشبه العلماء، وكان المترجَم له نازلاً عندي، فقال: هذا من ذلك القبيل وسأحدثك بما رأيت من عجائب هؤلاء:

دخلت المسجد الجامع بمدينة ثلا فرأيت رجلاً تام الملبوس حسن الهيئة قاعداً بالمحراب مستدبراً له فقلت السلام عليكم فأجابني مسَّاكم بالخير، قال فعجبت من رده ذلك، ورأيت حلقة تتذاكر فيها جماعة من أهل العلم، فسألته عن المتصدر بها من هو، فقال: السيد محمد الأمير. فقلت: ما هذه القراءة؟ فقال: حُدْوَث يعني جمع حديث، فقلت ما الكتاب الذي بين يدي هذا؟ فقال: الخبيصي فقلت أين بلغوا في القراءة قال: في سورة الكرسي قال: فتضاحكت، وقمت عنه فوجدت المتصدر قاسم بن محمد الكبسي[1] ورأيته يملي في صحيح مسلم.

ورحل المترجم له للحج، ودخل مكة والمدينة، ولاقىَ بها الأعلام والصدور، وحدّث عنهم بماجريات وكان إذا دخل محلاً أثبته معرفةً وأثبت أهله أحوالاً، ما سُئل عن محل إلا وكأن السؤال عن محله، ولاعن رجل إلا وكأنه من أهله، ولا عن نادرة إلا وعنده لها أخوات، ولاعن فائدة إلا وعنده لها نكات. مع استرسال في القضايا وغَزْرَةٍ في الرّصفِ والوَصْف ومعرفةٍ بأحوال قبائل اليمَن، وتحدث في كثير من الأمور، وكان كثير التطلع لأخبار البُغاة، ومُكَاتِباً لهم في الحوادث سائلاً، لهم عن مرادهم.

اتصل بالإمام المهدي أيام خروجه إلى خولان، وأطلعه على ما ورد عليه من أُوْلِي الطغيان فأدناه منه، فترقّت به الأحوال لديه ووسّطه على بعض القبائل، ووجهه الإمام في صلح القاضي حسن العكام فخرج من حضرة الإمام وصحبه القاضي يوسف بن أحمد الكبسي حاكم الروضة، فحَالَفَ بالطريق القبائل، وأضمر للقاضي الشر الطائل،

---

(١) قاسم بن محمد بن عبد الله الكبسي: عالمٌ في الحديث، له مشاركةٌ في بعض علوم العربية. اشتغل بالتدريس، وتولى أعمالَ أوقاف ثُلا. ومات سنة (١٢٠١هـ). هِجر العلم (٤/ ١٧٨٨).

ولما وَصَلَهُ هوَّن أمره وصغّر قدره وعظّم وجوه القبائل، وجعل الحل والعقد لهم في الصائل، وضرب له وللقاضي الأمثال. وقال: أنا وأنت ممن يَنْزل على القبائل بِذُل السؤال، فسمع من القاضي كلاماً أغاظه من سياسته للأمور ورياسَته على الجمهور. فقال مبكّتاً له: ما سمعنا بالعنسي لدين الله، يريد المقابلة بهذه الكلمة: بالمهدي لدين الله فجلب عليه هذا الكلام شراً وتدارك القضية يوسف بن أحمد الكبسي.

قلت: ووسطه الإمام على قبائل أرحب، وأَخّر عنهم الوزير علي بن حسن الأكوع فكان يقول الأكوع للإمام أن المترجم له سيجر فتنةً لا يُرْجَى لها إنحسام، فَحَبَسه الإمام.

قلت: وقد أشار القاضي أحمد في دميته[1] إلى هذا. وقال: أنه كذب على المترجَم له وتحقق الكذب عليه وإنما وقع منه صدق فأخرج واعتمد عليه وقد أَلَمَّ في تاريخه بجميع أحواله وما كان بينه وبين الأكوع وكان وسّطه الإمام على أرحب عام ست وثمانين.

وقال لنا المترجَم له، ولمّا خرج الإمام المهدي ذماراً حصل الإختلاف بيني وبين علي بن حسن الأكوع فيما أنقله وتحقق الإمام صدقي، فأعرض عنه. ومثل هذا ذكره القاضي أيضاً، ولّما عاد الإمام من ذمار أكثر القالة فيه علي بن حسن الأكوع وأعانه على تهوين شأنه قوم آخرون فسَجَنه الإمام ثانية فبقي بالسجن سبع سنين، ولم يخرج منه إلا عام أربع وتسعين أيام خليفة الوقت المنصور.

وأنفق في السجن كل ما يملك على المحبوسين أهل الحاجة، وكان كريماً مطلقاً لا يدخر لغَدِه، منفقاً متصدقاً لم يملك بيتاً، وقد وصفه بالكرم بدر آل القاسم محمد بن محمد المعروف بـ (البنوس)[2] لما رأى له مقطعاً في نزهة حده وسيأتي وكان أيام سجنه منشرح الخاطر قرير الناظر، يَفِد عليه أصحابه فيتروّحون بحديثه ويصيبهم ألم لمفارقته وهو بالسجن غير متأسف على شيء، وكان إذا سُئِل كم مضيِ عليك بالسجن. قال: لا شيء، وربما سأله السائل من أي حين سُجِنْتَ؟ فيقول: من الآن وكان يقول لِلّه القائل:

ما مضَى فات والمؤمل غيبٌ ... ولك الساعة التي أنت فيها

وتوسل بأبياتٍ مربعة إلى الله «تعالى»[3] وهو بالسجن فكان عقيبها خروجه امتدح بها النبي ﷺ منها:

---

(١) القاضي أحمد قاطن في كتابه «دُمْيَة القَصْر».

(٢) **البنوس**: هو العلامة محمد بن محمد بن أحمد البنوس الصنعاني المتوفى سنة (١٢١٥هـ)، والمنحدر من نسل أحمد بن الحسين بن علي بن المتوكل إسماعيل بن القاسم بن محمد الحسني.

(٣) زيادة في «ب».

فكلمـا حلَّقـتَ فـي المـديـح ... نُسِبْـتُ للتَّقْصيـرِ فـي الممـدوحِ
فَـامْـشِ رويـداً بـالمـدَى الفسيـحِ ... مـن قبـل تـرميـك شهـاب الحَصـرِ
إلا اقتبـاسـاً مـن سنـاءِ نُـورهِ ... أو اشتِمـامـاً مـن شميـم نَـوْرِهِ
مُستبشـراً بمـا أَتَـى مـن فـورِهِ ... فكلُّنـا تحـت الشعـاع يجـري
تـوقـف الـروح عـن الصعـودِ ... والمصطفَـى زُجَّ بـه ونُـودي
إشـارةً لقـدرة المحمـودِ ... مـن أجلِهـا كـان مفيـضَ السِتـرِ

إلى أن قال:

مُلتـزمـاً لـواجـب القـرابَـهْ ... معتـرفـاً بحـرمـةِ الصحـابـه
ومـا تعـدى قـولـي الإصـابـه ... علـى مـراقٍ أنـزلـت في الحشـرِ

ولمّا خرج من الحبس حزنه القاضي أحمد وكان متروحاً به[1]، فكتب إليه:

جمال الهدى كيف الأحبة في صنعاء ... وهـل حسنـوا بـالنـازليـن لهـم صُنْعـا
بـذكـراهـم قـد يـأنـس الحبس سـاعـة ... وهيهـات للمحبـوس يصغـي لهـا سمعـا
وبـالله خبـرنـي عـن الجِيـرة الأولـى ... نـراعـى عهـوداً فيهمـو هـم لهـا أرعـىٰ
أبـاقـون فـي عهـد المـودة والصَفـا ... أم اختلفت أهـواؤهـم بعـدنـا «وَدَنَـا»[2]
فـأنـا علـى دأب الـوفـاء وإن نـأوا ... وإن أعرضـوا ازددنا وزاد الوفاء شَرْعَا
وإنـي أراهـم نَصْـب عينـي أحبـةً ... ضِمَـامٌ عـن العُـذّال لا أَختشـي القَطْعَـا
وأرواحُنَـا فـي راحـةٍ مـن عَـذولنـا ... ولا نسمع الواشي وإن أحكم المَسْعَى
ولا تَـذْكُـرَنْ حَبْسـي فـإنـك عـالـمٌ ... على حكمِـهِ المقضِـي لا نَملِـكُ النفعـا
وعمـا قـريـبٍ يجمـعُ الله شملَنـا ... على أحسن الأحوال أحسن به جمعا

فأجاب المترجَم له بهذا الشعر «العجيب»[3] البديع:

أَمَـا والـذي مـن فضلـهِ أخرجَ المرعَـى ... وجـازى بعـدلٍ كـل نفـسٍ بمـا تسعـىٰ
لـذكـرك طيـبٌ فـي المـواقـف كُلّهـا ... يفـوحُ بـه نشـراً ويُمْلِـي بـه سَمْعـا
هنيئـاً لـكَ العُمـرُ الـذي قـد قطعتَـهُ ... وإن كـان مكـروهـاً بعـارضِـهِ طَبْعَـا
وعَمّـا قـريـبٍ يَبْلُـغَ الأمـر حَـدَّهُ ... فَتُحْمدُ في الأُولَى وتُشكر في الرُجْعَى
فيـا أيهـا الشمـس التـي حـال دُوْنَهـا ... جَهَـامُ سَحَـابٍ لا يُـرَجَّـىٰ لهـا نفعـا

---

(١) القاضي أحمد بن محمد قاطن: وقد كانا معاً في السجن.
(٢) في «أ»: وَدْعَا. وفي «ء»: وَضَعا.
(٣) زيادة في النسخة «ب».

سَتَظْهَرُ فـي الآفـاقِ فضـلاً ونعْمـةً وتـرفـعُ أعـلامـاً وتُحْيِـي لنـا شـرعـا

ومن شعره العذب مقطع قاله بنزهة حَدّه وقد رأى الأشجار أيام الربيع تنثر الأزهار فقال:

تـأمّـلْ جَـوْدَةَ الأشجـار لمَّـا رَأَتْ أزهـارَهَـا شِبـهَ الـدَّراهـمْ
فـأَلْقَتْهَـا علـى الحِيْطـان جـوْداً وأمسكَـتِ الغَـلائِـل والكمـائـم

فوقف عليهَا رفيقنا بدر آل القسَم صفوة الزمن من آل هاشم محمد بن محمد فقال مُذَيِّلاً لها:

ولكنـي أراهـا مـا أرادت بـه جُـوْداً يحـاكـي جـودَ حـاتِـم
ولكـن بَثّـتِ الأزهـار فَـرْشـاً وطيًّـا للـذي حـاز المكـارِم
جمـال الـديـن مـن جـدواهُ أَضْحَـى يَفِيْـضُ علـى الـدُّنَـا فَيْـضَ الغمـائـم

وله إلى شيخنا الأستاذ عبد القادر بن أحمد وهو من أعذب شعره على قلَّتِهِ لما ورد إلى منزله فلم يجده به:

وقفـتُ علـى رسـم الحبيـب ودارِه ونـاديـت جَهْـراً بـالنـدا غيـر مُسْمِـع
ومـا جئـت حتّـى فـارق الـرَّبْـعُ أَهْلَـهُ فلم يجدني شيءٌ سوى فيض أدمعي
ومـا كـان ظنـي قبـل بَيْـنِ أحبّتـي بـأن بعينـي عقـد درٍ مُضيَّـع
ولمـا رأيـتُ العيـن قـد زالَ نـورُهـا قـدحـتُ زنـاداً بيـن جنبـي وأضلعـي
وحمّلتُ نفسي في الهوَى فوق جهدها وحـاولـتُ وصـلاً مـن جَنَـابٍ مُمَنَّـع
وللقلْـبِ شـوقٌ فـي بلُـوْغِ مـرامِـهِ وللنفـس إقبـالٌ إلـى كـل مَطمـعِ

ومن شعره يساوي بين رجلين أحدهما من حُكّام الطاغوت، والآخر حاكم شريعةٍ اتهمه بالجهل الممقوت، وساوَى فيه بين عمامةِ الشّاش وقُبْع الأوباش، وكان لقبُ كلٍ من الرجلين الأبيض، فقال:

قـد يشبـه الإنسـان فـي جِنْسـهِ مـن ليس فـي العـالـمِ مـن نـوعِـهِ
فصـائـح الأبيـض فـي شـاشـة كقـاسـم الأحمـر فـي قبعـه

قلت: وكانت له أمثال تروّح الخاطر منها بيان شاكر الزمانِ وشاكيه، قال: أحدهما كَبَغْلَةِ المعْمرى والآخر كحمار أحمد يحيى وكان يَعْرِفُ الرجلين ويحدّث عن مركوبهما، فأما المعمري فكانت له بغلة مُهانة ركيكة قد أصابها الجَرَب من إهماله لها وأما أحمد يحيى فكان له حمار شهمٌ ضخم لا أحدثك عن راحته، فسعى بعضُ الناس بين الرجلين في المعاوضَه بين المركوبين فقال للمعمري: بغلتكَ هذه دَمِيَّه ركيكه، لا

تحملك فلو اعتضتَ بها حمار أحمد يحيى ليحملك في ركوبك ويُلحقك في السفَر بمطلوبك لكان خيراً، وقال لأحمد يحيى: حمارك هذا لا يليق بك لقصر قامته ولخساسة أصله فلو اعتضتَ به بغلة المعمري وأنعمت عليها كما أنعمت على الحمار لكان أولَى بك، وأجم لقدرِكَ بين أصحابك، فرغبَ كلٌّ منهما في مركوب صاحبه فتعاوضا فأهمل المعمري حمار أحمد يحيى وأنعم أحمد يحيى على بغلة المعمري قال: فالحمار يقول قد فسد الزمان فما أشدّ ما لاقَيْنَا من الامتحان، والبغلة تقول: قد تبسَّم الزمان فجاء بالإحسان، قال: وهكذا كل إنسان وقسَم الناس ثلاثة أصناف: أعلىٰ وأدنىٰ وأوسط، قال: فالأعلىٰ أُولو العِلم والأوسط الذين لم يبلغوا الدرجةَ الكاملة وارتفعوا عن السافلة والأدنىٰ العامة فمحنة العلماء من الصنف الأوسط لأنهم أغروا من تحتَهم عن فوقهم فرموهم بالحجَر والمدَر لما رأوا الأعلام قد ارتفعوا عليهم وهم يرون أن قد ارتفعوا على العَوام لكنه جاهم النقص من علوم مرتبة الأعلام. فهذا سبب ثورةِ الطُغَام على الأعلام. وكان رحمه الله كثير المعارضة لمن تَبَجَّح بالمعارف مُناقِضاً له مُضْعِفاً لمعرفته ناقماً عليه في مذاكرته.

وله خبر مع مُسَفِّله كانت تأتي الناس بأحوال موتاهم، فأراد إظهار كذبها وكذب مرماهم فدعاها إليه وسألها عن والده وأوهمها أنه مات فوعدته بدخول المقبرة ليلتها لتأتيه بحديثٍ عن أبيه، وكان والده إذ ذاك في قيد الحياة، فلما أصبح دعا جماعة ممن فُتِنَ بها فجائته ووالده مع الجماعة فوقَفت خَلْفَ باب منزله، فاستفصحها الخبر عن والده فقالت رأيت والدك في نعيم ونَعْماء لابساً لحلةٍ عظمى محفوفاً بالوصائف مسرور القلب منشرح الخاطر، وقالت: إنه أودعها وصيةً إليه وبالغ في شرح حالِهِ عليه وأنها لا تتكلم بحضرة واحدٍ من الناس، فقال لها: هذا الوالد في المكان استتمي شرح القصة منه ومن رأسك إلى رأسه، فضحك حاضروه.

وسأله الآخر العزيز يوسف بن إبراهيم الأمير عن نسب العلفيين وزراء الإمام أَلَهُ صحة من أنهم من آل أمية، فسكت طويلاً ثم قال: لا أعلم في الأنساب إلا ما قال الله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾[1] قال: فأنا الآن لا أحس من الأموية والعباسية وبني طمغج وبني بويه وبني أيوب وبني عبد المؤمن بن علي وبني تاشفين وبني غسّان وبني نجاح وبني الصليحي وبني الأحول وبني طاهر بأحدٍ، ولا أسمع لهم رِكزًا. فلا تُصدِّق بقاء الأنساب علىٰ مرور القرون، فما أخبر الله بإهلاكنا إلا للاعتبار، وإن من بقي في هذه الأمة كمن سار. وكان النبي ﷺ ينتسب إلى معد بن عدنان ثم يقول: كذب النسَّابون قال الله تعالى: ﴿وَقُرُونًا

---

(١) سورة مريم، الآية (٩٨).

﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا﴾[1] قلت: ولعل هذه في غير العلوية لِمَا ورد كل سببٍ ونسب منقطع إلا سببي ونسبي، وإلا فأي معنى لكل نسب محكوم عليه بالانقطاع.

وكان رحمه الله تعالى كثيراً ما ينزل عليّ فأُراجِعُهُ في الحديث، وأمليت عليه كثيراً من مباحث الحكماء، فكان يأخذ الكتاب بيده ويلقيه عنه يميناً مرة وشمالاً مرة، وأنا لا أُدِيْنُ بشيء من كلامهم ولا يهش طبعي إلى مرامهم. فقال لي: خذ عني فائدة قلت: ما هي؟ قال: أنا وأنت من أهل الإسلام. قلت: نعم. قال: ونحن نعرف الملل من يهودية ونصرانية ومجوسية وصابئه، قلت: نعم. قال: كل هؤلاء قد قص الله تعالى ورسوله ﷺ علينا هفواتهم وسقطاتهم ومصائبهم، وقص علينا حال أهل الجاهلية من المشركين أهل مكة وغيرهم. قلت: نعم. قال: فهل ترى لهؤلاء الحكماء أثراً في الكتاب العزيز؟ قلت: لا أدري. قال: لكني أدري وأسألك أمراً. قلت: ما هو؟ قال: هات هذا الكتاب، فألقيته إليه، فقرأ مباحث في الروح والفرق بينه وبين النفس، ثم انتقل إلى محل آخر فقرأ في مباحث منها مسألة خالق ومتكلم وخوضهم في تعلق الحادث بالقديم ووصفهم للحق سبحانه بأنه خَالق مجازاً ومتكلم مجازاً وأنه خالق الكلام في الشجرة بقوله: «إني أنا الله لا إلـه إلا أنا فاعبدني» وانتقل عن ذلك إلى العقول العشرة وما تكلموا به من الهيولىٰ والصورة وما خاضوا به من الأفلاك وسيرها وسير الكواكب وأن المحرك لها الفلك الأطلس واختلافهم في أن السمـٰوات هي الأفلاك أو غيرها. فقال بعد هذا: أسأل الله التوفيق والوقوف عندما أوقفنا عليه أولى بنا وأحرىٰ هؤلاء قوم كفرة أضلهم الله تعالى على علم، ولكن على التعدي والاعتراض، وأضلّ بهم كثيراً من حكماء الجواهر والأعراض، وقال: قال الله تعالى في الإشارة إليهم، وهو ألقى الوبال عليهم، لمّا تلقّوا هذه المعارف عن ذرية الشيطان في سورة الكهف ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾﴾[2] قال: والمراد بالمضلين هم المتكلمون في خلق السمـٰوات والأرض وخلق النفس وهم هؤلاء الجهلة الأشقياء، فأسألك بالله لا أعدت عليّ من كلامهم حرفاً.

قلت: ما أجود هذا الكلام وأمتنه ولعمري لقد ابْتدع القوم بدعاً أدخلوها في معارف أهل الإسلام فضلوا وأضلوا، وبلا شك هذه بدعة بإجماع أهل الإسلام، وفي أنفس المؤمنين منها رِيْبَة فأخرج الإمام أحمد عن غُضَيْفِ بن الحارث: ما أحدث قومٌ

---

(١) سورة الفرقان، الآية (٣٨).

(٢) سورة الكهف، الآية (٥٠).

بِدْعةً إلا رُفِعَ من مثلها من السُنّه، هذا لفظ الحديث لا أراه إلا رفعه إلى النبـي ﷺ، ويشهد له ما أخرجه الطبراني في معجمه الكبير عنه بلفظ: ما من أمةٍ ابتدعت بعد نبيها في دينها بدعةً إلا أضاعت مثلها من السُنّه. وأخرج البخاري ومسلم وأبو داود وابن ماجة عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: من أَحْدَثَ في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ. انتهى، فَلَيْتَ شعري لو عُرِضَ علم الفلاسفة على رسول الله ﷺ كيف كان حاله وغيرته فقد كان يغضب من سماع القوم التورية، وهي من الكتب المنزلة من الحق سبحانه لكنه نسخها بشريعته، فدعنى وإعجاب القوم بما لقوه وزخرفوه والموعد القيمه فقبّح الله فرقة حَسَّنَت صنيع أولئك.

[القاضي علي بن زيد عثمان الوزير]

وفيها[1]: ليلة السبت سابع عشر محرم، علي بن زيد عثمان الوزير[2] حاكم الإمام. وله ذكر خفيف في ترجمة رفيقنا الحسين بن أحمد السياغي. كان المترجَم له من كبار الشيعة لا يرى الصلاة خلف رجل من أهل زمنه ولا يرى حضور الجمعة، وكان فيه شك من طهارة المساجد.

قلت: وسمعته يقول لإنسان: لا يجوز السفر يوم الجمعة إلا لأمر ضروري، فتعّجبت منه حتى وقفت على أصل مأخذه وإذا هو مما يرويه الحسين بن علوان قال في الميزان: ومما كذب عن مالك عن الزهري عن أبـي سلمة مرفوعاً: من سافر يوم الجمعة دعا عليه ملكاه.

[أحمد بن إسماعيل فايع]

وفيها: ليلة السبت تاسع صفر، أحمد بن إسماعيل بن محمد فايع[3] الوزير، حجازي الأصل صنعاني الولادة والنشأة، وزَرَ للإمام المنصور بالله خليفة الوقت وحظي عنده حظوةً بالغة، وقد قدّمنا شيئاً من ماجرياته. وكان فيما أسمع كريماً مطلقاً ولكن لمن دَاخَلهُ أتمَّ المداخلة أو اتّصل بالإمام، وكان طيب العيش كبير الحاشية ذا نخوة وكِبْر، يَسْتَدعي الخليفة فينزل عليه ويأنس إليه وأضافه مراتٍ بـ (حَدّه) و (الروضة) و (الوادي) و (صنعاء) و (بِير العزب) فيحمل الخليفة أهله وأثقاله وينزل عليه فيتنَحّى بأهله عن منزله. استعمله على نظر الحديدة أياماً، ثم انتزعها عنه واستعمله على بلاد الحيمة وحراز أياماً، ثم انتزعها عنه واستعمله على أجزل اليمن الأسفل، فما زال ناظراً لأحواله حتى مات.

---

(١) سنة (١٢١٩هـ).

(٢) نيل الوطر (٢/ ١٣٥).

(٣) نيل الوطر (١/ ٧١)، أعلام المؤلفين الزيدية (٨٦)، الموسوعة اليمنية (٣/ ٢٢٥٦)، مائة عام من تاريخ اليمن (٧٤).

وقد عرّفناك في عام ثمان وستين ما كان بينه وبين أحمد بن المنصور بالله الحسين وذكرنا في عام ست عشرة في ترجمة الوزير الحسن بن عثمان ما كان من إدلال هذا الوزير على الخليفة وما كان عليه عنده من عدم الاحتشام.

وكان براً بأهله منعماً عليهم، ولما مات سقط أهلُه ولقوا محناً وشدة. وكان له ولعٌ بنظم الشعر الملحون ومحبة في الخلاعة والمجون، اجتمعت به مرات فكان كثيراً ما يورد على من لم يعرفه قبلها من أهل الذكاء قول الشاعر:

أَسكَـرُ بـالأمـس إن عَـزَمـتُ علـى ... الشُّـربِ غـداً إنّ ذا مـن العجَـب

ويقول أين استشهدوا بهذا فربما أحجم المسؤول فيقول أوردوه فيما خرجٍ مخرج الخلاعة. وكان لا يبالي في معاملته بالألوف، كثير الإحسان إلى معامليه، بَذّالاً للمال فيما يعود عليه بالراحة، محباً للخليفة مُجَمِّلاً لا حواله، ولم أقف له من الشعر العربي إلاّ علىٰ مقطع كتبه إلى الإمام المهدي العباس مؤرخاً لحادثه:

بَشِّـر المـولـى أميـر المـؤمنيـن ... بهـلاك للبغـاة المفسـديـن

قـد أتـىٰ ذا العـام فـي تـاريخـه ... لـك منـه النصـر بـالفتـح المبيـن

[أحمد بن المرتضى المحطوَري]

وفيها: يوم الثلوث ثامن عشر ربيع الأول، أحمد بن المرتضى بن إسماعيل المحطوري[1] الشرفي الأصل والمولد والنشأة نزيل صنعاء. مولده عام ثلاث وخمسين ومائة وألف، شاعر في الملحون مجيد، وقد عانىٰ الشعر العربي ونَظَم قصائد عديدة. اتصل بالماس المهدي وامتدحه وصحبه في السفر والحضر، وحدّث عنه وعن كرمه بما يضيق العطن عن وصفه واتصل بخليفة الوقت وخالطه قبل دعوته وبعدها. وكان يحفظ شعر أبي الطيب ويعارضه في قصائده، وقد ترجمه القاضي أحمد بن محمد قاطن.

قلت: وكان له طريقة في المبالغة لا تدرك. قال لرجل أكل طعاماً إلى جانبه وقام عن الطعام وهو يقول: لم آكل مثلما أكله واحد. فقال: والله لقد أكل هذا وألقى إلى بطنه ما لو حمله على ظهره لما استطاع النهوضِ. وسمع رجلاً يذكر آخر بذكر جميل. وكان يبغض المذكور فقال: هات الطبيب وبَخِّر المكان، يريد بذلك أن رائحة ذِكر الرجل قد أفسدت وانتنت.

وصحب رجلاً إلى الروضة أيام محلها وقلة مائها فرأى كثافة في جوّها وهبت عند وصوله ريح زعزع، فسأله بعض الناس عن حسن روضة حاتم؟ فذكر أنه فقد بها الماء

---

(١) نيل الوطر (١/ ٢٣٣)، نشر العرف (٢/ ٧٣٦)، هِجر العلم (٤/ ١٩٦٠).

واضطر إلى التيمم، وأنه كان يضرب بيديه الهواء متيمماً فيسمع لهما أصواتاً كما يسمعه على الأرض.

وسأله بعض الناس في حالة شدة وإعدام: تحفظ من شعر أبي الطيب كذا وكذا؟ فقال: قد أنسيت ﴿قل هو الله أحد﴾ فلا أدري ما بعدها.

ومما كان يستجيد املاءه وينسبه إلى علي بن محمد الصليحي:

أنكحت بيضَ الهند سُمَر رماحهم ... فرؤُسهم عوض النثار نثارُ
وكذا العُلاَ لا يستباح طلابها ... إلا بحيث تطلق الاعمارُ

وكان يصف أمرهُ ويذكر أنه قُتل بالدهين وبئرام معبد وأنه رفع رأسه على عود مظلته وأنه قيل فيه:

بَكَرَتْ مَظَلته عليه فلم ترُحْ ... إلا على المَلِكَ الأجل سعيدِها
ما كان أقبح وجهه في ظلِّها ... ما كان أحسن رأسَه في عودها
سود الأراقم قابلت أُسد الشَرى ... وَارحمتا لأُسُودها من سُودها

ومما أملاه علينا قال: لمّا مات المهدي صاحب المواهب أمرَ الإمام المتوكل[1] قاضيه أحمد بن عبد الرحمٰن الشامي أن يقسم تركته وكان ذلك عقيب عمارة القاضي لبيته الذي بالبكيريّة[2] فلما فصل القسمة اشترط أجرته فراشاً لبيته فحمَّل من تركة المهدي شيئاً واسعاً، فقال السيد حسن الكبسي:

اضل السيد الشامي علمٌ ... فباع الدين بخساً بالحطام
وقادَ إلى رُبَا صنعاء جِمَالاً ... عليها كسوة البيت الحرام

ومما أَملاهُ علينا للحسن الكبسي وكان في دَنّ وصاب[3] وقد وصل إليه بعض أصحابه فوجدَ بمقامه رجُلاً يبغضه من آل زبيبه فقام عنه ولم يعد لاستثقاله ابن زبيبه فكتب إليه:

يا حبيباً له الندامى خصومٌ ... غبت عنا فلا تلمنا بغيبه

---

(١) المتوكل القاسم بن الحسين.

(٢) البكيرية: من أحياء مدينة صنعاء القديمة، يقع بالقرب من خرائب قصر غمدان (قصر السلاح) في شرقي سوق الملح.

(٣) الدَنْ: جبل في وصاب العالي، غربي قَفْر يريم. وهو جبل شاهق يظل ملفوفاً بالغمام علىٰ مدار الساعة وبالذات في فصل الشتاء والربيع، ولا تظهر الشمس على مركز الدَنّ سوى ساعتين من كل صباح، ولذلك قيل أن سبب تسميته بالدّن أنه يظل سكراناً بالغَمام لا يصحو.

أنـــت سكـــران خمـــر دَنٍ عـــذرنـــا أم هـــزازٌ معـــربـــدٌ مـــن زبيبـــه

وقد صحب الوزير العلامة الحسن بن علي حنش حتى مات، وصحب الوزير علي بن صالح العمّاري دهراً طويلاً. وقد وعدت بشيء من مستحسن شعره أول هذا السفر عام دعوة الإمام لكني تركته لكثرة ما به من اللحن.

[محمد بن يحيى الكبسي، حاكم خولان]

وفيها:[1] يوم الخميس عشرين ربيع الأول محمد بن يحيى بن أحمد الكبسي[2] الأصل والمولد الصنعاني النشأة، مولده شهر جمادى الآخرة عام أربع وخمسين ومائة وألف وكان عالماً حافظاً إخبارياً، له معرفة برجال الحديث تامة، متبحراً في الفقه وعلم اللغة، نشأ في حجر والده فربّاه أحسن تربية ولازمه في السفر والحضر، قرأ القرآن ثم اشتغل بدرس المتون فحفظ منها عدّة في الفنون، وارتحل إلى ذَمار، فلاقىٰ بها أعلام الزيدية في الفروع، فقرأ عليهم قراءة بحث وتدقيق وبقي بها نحواً من عامين ثم عاد إلى هجرة الكِبس[3] ولازم والده فقرأ عليه في الفقه والفرائض والحساب قراءة تحقيق واتقان، وما زال يدأب في الأخذ عن والده نحو الثمان السنين وحصّل في تلك المدة كتباً بخطّه عدة في الفقه وغيره، ثم ارتحل إلى صنعاء فقرأ بها سائر الفنون ولازم أكابر الشيوخ كالحسن بن إسماعيل المغربي فحقق عليه في النحو والصرف وعلم المعاني والبيان، وقرأ عليه تفسير الكشاف وحواشيه السعد والسراج والشريف مع إحضار ما تدعوا الحاجة إليه من الكتب ومراجعة مرافقيه من أعلام صنعاء، وكان شيخه المغربي يتعجب منه ومن حافظته ومعرفته ويُذعن لما أورد ويُلْقي على المحصّلين أقاويله، وأقرّ له بكمال المعرفة وتمام الفهم على أكمل صفة حتى تتلمذ له، وقعد بين يديه، ودعا الناس إلى حضور محل إفادته وأخذ عنه البحر الزّخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار، واستمع عليه في الحديث سنن الحافظ أبي داود، وسليمان بن الأشعث السجستاني، فكان يجدّ لذلك ويستصغر نفسه حين يرى شيخه قاعداً بين يديه للقراءة عليه، وأخذ عن الحافظ قاسم بن محمد الكبسي في أصول الفقه والحديث فأسمع عليه صحيح الحافظ أبي عبد الله البخاري وسنن أبي داود وجامع الترمذي وغيرهما، واستجازه فأجازه إجازة عامة متصلة بإجازة البدر المنير محمد بن إسماعيل الأمير، وأخذ عنه في تيسير

---

(١) سنة (١٢١٩هـ).

(٢) نيل الوطر (٢/ ٣٣٥)، البدر الطالع (٢/ ٢٧٨)، هجر العلم (٤/ ١٧٨٧)، أعلام المؤلفين الزيدية (١٠٠٨).

(٣) **الكِبْس**: بخفض الكاف وسكون الباء. قرية كبيرة في اليمانية السُفلى بمديرية خَوْلان العالية وأعمال محافظة صنعاء. تبعد عن صنعاء بنحو (٣٠) كيلومتراً. في الشرق الجنوبي منها.

الوصول إلى جامع الأصول لعبد الرحمن الديبع حافظ اليمن، وشفاء القاضي عياض، وقرأ عليه في البحر الزخار مع كمال البحث والتفتيش، واحضار بسايط المؤلفات من مطولات كتب الأصول الفقهية والفروعية وجامع الأصول، وغير ذلك من كتب الرجال. وما زال ملازماً له نحواً من عشر سنين، وأخذ عن القاضي يحيى بن صالح السحولي في صحيح مسلم بن الحجاج والقاضي يرويه عن عبد الله بن لطف الباري، وأجازه القاضي في جميع مسموعاته ومروياته أجازة متصلة بالشيخ المحدث الزين بن عبد الخالق المزجاجي ووالده عبد الخالق، كلاهما أجاز للقاضي كما قدمناه في ترجمته وله إجازات أخرى، ومناولات من أعلام اليمن، منهم الحسين بن يوسف بن الحسين بن أحمد زبارة، ومنهم الحسين بن عبد الله الكبسي.

وقَعَدت معه بمجلسٍ جرى فيه ذِكر هاروت وماروت وما ورد فيهما من الآثار. فقلت: الرواية فيهما لعلها لا تصح، فقال هي صحيحة. فقلت: على الصفة التي يرويها الناس من أن الزهرة خدعتهما وأنهما من زنيا بها بعد أن شربا الخمر وقتلا النفس، وانها صعدت إلى السماء باسم الله الأعظم الذي علّماها إياه. فقال: نعم. ولما ذهب عنا من ذلك المجلس، كتب إليّ هذا.

أعلم أن في مستدرك الحاكم: أخبرنا أبو زكريا العنبري، ثنّا محمد بن عبد السلام ثنا إسحاق ثنّا حكام بن سلم الرازي وكان ثقة، ثنّا أبو جعفر الرازي عن الربيع عن أنس عن قيس بن عباده عنِ ابن عباس في قول الله عز وجل: ﴿وما أنزل على الملكين ببابل هارون وماروت﴾ الآية. قال: إن الناس بعد آدم وقعوا في الشرك واتخذوا هذه الأصنام وعبدوا غير الله. قال: فَجُعلت الملائكة يدعون عليهم ويقولون: ربنا خلقت عبادك فأحسَنت خلقهم ورزقتهم فأحسنت رزقهم فعصوك وعبدوا غيرك اللهم اللهم يدعون عليهم. فقال لهم الرب عز وجل إنهم في عتب فجعلوا لا يعذرونهم. فقال: اختاروا منكم اثنين اهبطهما إلى الأرض فآمرهُما وأنهاهما، فاختاروا هارون وماروت، قال وذكر الحديث بطوله فيهما. وقال: فيه فلما شربا الخمر وانتشيا وقعا بالمرأة وقَتَلا النفس وكثر اللغط فيما بينهما وبين الملائكة فنظروا إليهما وما يعملان ففي ذلك أنزل الله تعالى بعد ذلك: ﴿والملائكة يُسبِّحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض﴾ الآية. قال: فجعل بعد ذلك الملائكة يعذرون أهل الأرض ويدعون لهم. قال الحاكم: هذا صحيح الإسناد ولم يخرجاه وذكره في تفسير سورة الشورى.

ومما أفاده في حديث: «من قال دبُر كل صلاة: سبحان الله ثلاثاً وثلاثين. هو في الصحيح». فقال فيه: اختلف الناس في الدُبُر، ومنهم من قال دُبُر الشيء منه فيقول ذلك قبل التسليم من الصلاة، وقال إلى هذا ذهب ابن تيميّة وابن القيم وتأيّدوا بقوله تعالى:

﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥ﴾ وقال غيرهما: إنّا لا نسلّم لهما ذلك لأن لفظ الدُّبر مشترك كما في قوله تعالى: ﴿وادبار النجوم﴾ أي بعدها. ونحن نجنح مع قول من قال: أن معنى دبر كل صلاة، أي بعدها بدليل ما في البخاري: يسبّحون ويحمّدون ويكبرون خلف كل صلاة ثلاثاً وثلاثين، فهذا مُقرِّرٌ للبَعْدِيّة ويشهد له من قال: دُبر صلاة الفجر وهو ثانٍ رجليه قبل أن يتكلم عند الترمذي من حديث أبي ذرٍ، وقال: صحيح فإنه يرشد بهذا الوصف إلى أنه بعد الخروج من الصلاة.

قلت: ولقد كان قائماً بوظيفة الاجتهاد، عَلَماً في النقاد. وأولاَه الإمام المنصور الحكومة بالجهات الخولانية فنشر بها بين الطغام شريعة سيد الأنام، ولم يَأْلُ في إرشادِ غُواة تلك الجهات جهداً، مجاهداً لطغامها، مُظَفّراً عليهم، مسلطاً في نقض أحكام طواغيتهم إلى أن توفى وعمره يومئذٍ أربع وستون سنةً كما أشار إلى ذلك ولده إسماعيل من أبياتٍ يقول منها:

أَلاَ أن عــز الـــديــن نجــل عمــاده	تقضّــت ليـــاليـــه بشهــر ربيــع
ونـادىٰ منـادي المـوت بعـد انقضـائهـا	فصـــار لأمـــر الله خيـــر سميـــع
وبعـد انقضـاءْ ستيـن عـامـاً وأربـع	مـن العمــر قــد وافـىٰ جـوار منيـع

وقيلت فيه عدة مراثي من أعيان عصرنا، وله شعر حسن منه ما كتبه إلى الحسين بن يوسف زبارة بعد وصول إجازته المذكورة آنفاً:

ألا أن هـدي المصطفى خير ما يهدي	إليــه وإن العلــم أنفــس مــا يهـدىٰ
وقـد راقنـي مـا كـان أسداه مِـن هُـدىً	إلى أخو الإحسان يا حُسْن ما أسدى
حليف التقى عني الحسين بن يوسف	سَيَجْعَـل ذو الأفضـال منـه لَـهُ وُدَّى
تحملـت عنــه إذ طلبــت معــارفــاً	لـديـه عظيمـات فـأعطى ومـا أكـدَى
عـن العـابـد العـلامـة البَـر يـوسـف	ومَن كان في ريعانه اكتسى الزُهدَى
عـن العـالـم الفَـذّ الحُسيـن بـن أحمـد	لَـهُ سـابقـات لا نطيـق لهـا عَـدّىٰ
جـزاك إلـه العـرش خيـر جـزائـه	وأولاك كل المجد يا من حوى المجدَى

وله مقرظاً للروض النضير شرح مجموع الإمام زيد بن علي، مجموع الفقه الكبير لرفيقنا القاضي الحسين السياغي:

يــا أيهــا الشــرح الــذي فــي ضمنــهِ	شــرح الصــدور ونــزهــة الأفكــار
فَلمـا اشتملـت عليه مـن هـدي النبـي	ومــــا تضمنـــــهُ مــــن الأســــرارِ
يفـديـك مـن سـود العيـون ضيـاؤهـا	ويقيــك مــن ســوء العيــون البــاري
فلقــد حــويــت إفــادة ونقــادة	لتصـــاول العلمـــاء فـــي المضمـــار

وإجادة التحقيق وهو يبين في ... ذات الرجال تفاوت الأقدار
وتحري الانصاف وهو ملاكها ... هذا الشأن في الامعان للأنظار
ما أحسن النظر البليغ لمنصفٍ ... في مقتضى الإيراد والاصدار
وتكشف الشبهات بالحجج الصحا ... ح تكشف الظلماء بالأنوار
هذا وخير الهدي هدي محمدٍ ... فمن النجاة تتبع الآثار

وفيه تضمين لبيت الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة: ما أحسن النظر البليغ لمنصف في مقتضى الإصدار والإيراد فتصرّف فيه بتقديم الأيراد على الإصدار.

وكان رحمه الله تعالى لا يتوجه في معضلة من الشبهات إلا حلها، ورُزق هيبة في صدور الخاصة والعامة. ولما مات قلد الإمام عهدة القضاء أخاه (الحسن بن يحيى بن أحمد) بإجبارٍ وإكراه، ولنلحقه بترجمة أخيه وإن لم يكن على شرطنا في الكتاب، فأقول:

[الحسن بن يحيى الكبسي]

مولده شهر صفر عام سبع وستين ومائة وألف، فنشأ بحجر أبيه وبذل همته في طلب العلم من صغره، فحفظ القرآن عن ظهر قلبه بإتقان على طريقة أهل الأداء، وأخذ في الفقه عن أخيه المقدّم ذكره، وعن المحقق هادي عرهب وحفظ المتون عن ظهر قلبه، وأخذ في النحو عن محسن بن صلاح السحولي في الجامي وحاشية عبد الغفور والموشّح للخبيصي على الكافية، ثم لازم شيخ الشيوخ الحسن بنِ إسماعيل المغربي ملازمة طويلة وتخرّج به في علوم جليلة، فقرأ عليه في مطولات الآلات من لغةٍ وأصول فقه، وأسمع عليه الكشاف وحواشيه سماع بحث وتدقيق وفحص، وأخذ عن أخيه في سنن أبي داود وصحيح البخاري ومسلم، وأسمعَ إلى المغربي شيئاً من كتب الحديث ومؤلف جدة البدر التمام شرح بلوغ المرام. وعنه مؤلف هذه الورقات في النحو والصرف وشرح التلخيص وحاشية الشيخ لطف الله الغياث وسنن الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث.

وله شعر حسن منه ما كتبه إليّ وإلى الوزير الحسن بن علي حنش وقد طلبنا منه أساس البلاغة لجار الله الزمخشري فأرسل بنسخة الإمام مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزأباذي وبأعلاها قطعة بخط الإمام محمد الشلبي رحمه الله لفظها: الحمد لله القريب المجيب طلب قاضي المحَمل الشريف، الظريف اللطيف، الأديب الأريب اللبيب، مَن مُجْمل محكم تحرير القول فيه أنه في غاية نهاية التهذيب، ولفظُه للأرواح قوت، وخطه النفيس المجيد يُعْزَى لياقوت، ونظمه الفصيح ونثره البليغ يُنسب للجوهري، كتاب أساس البلاغة للزمخشري، فأنشد لسان البيان، ورقم بحضرته البنان.

وقال ارتجالاً:

لا زالـــت شمـــس بـــلاغتـــه مـــن ... أُفْـقِ سمـاءِ فصـاحتـه تشـرق وتـتـلألأ
يـــا روض أنـــسٍ مُنيـــرٍ ... يـــا نـــزهـــةً لأُنـــاسِ
سَبَحْـــتَ فـــي فيـــض بَحْـــرٍ ... وفُلْـــكُ فَضْلِـــك راســـيْ
بنـــاءُ مجـــدك عـــالٍ ... وثـــابـــتٌ بـــأســـاسِ

جعل الله ذاتك الذكية، ونفسك الزكية، على الطاعة والعبادة، تَقْوَى، والحقنا بمن أَسَّسَ بنيانه على تقوى، من الفقير المحب الداعي. شعراً:

راقمـــه محمـــد بـــن الشلبـــي ... ســـامحـــه الله وبـــالخَيْـــرِ جُبـــي

فكتب المترجَم له إلى المؤلف غفر الله له تلو هذا ما تراه:

بِنـــا مَجـــدِك عـــالٍ ... وثـــابـــتٌ بـــأســـاسِ
وفـــائـــقٌ فـــي عـــلاه ... علـــى جميـــع الـــرواســـي
كشـــاف غـــامـــض علـــم ... مفصـــلاً لـــلأنـــاس
لله ألفـــــــــاظ دُرٍ ... مـــن طيـــب الأنفـــاس
نـــوابـــغ الـــكَلِـــمِ يُهـــدي ... ربيـــعُ ابـــراد لاس
أأنـــت أتْحفـــت لطفـــاً ... أَسَيْـــتَ هـــذا التـــواســـي
تلـــقّ كتـــابـــا كـــريمـــاً ... مستـــدعيـــاً لـــلأســـاسِ
لِمَـــنْ لـــه فـــي المعـــالـــي ... مجـــد شـــديـــد المـــراس
أعنـــي بـــه الشَـــرف البـــر ... بحـــر العلـــوم الـــراســـي
فهـــاكمـــا لكمـــا الفضـــل ... إيّـــاهُ رأســـاً بـــرأسِ
استقصيـــا مـــا قصـــدتـــم ... فـــي البحـــثِ مـــن دون بـــأسِ

وله أشعار كثيرة تحتمل المجلّد كاتب بها عدة من أعلام وقته، وبيني وبينه مراجعات منها ما قدمناه في ترجمة عبد العزيز النجدي من القول بوجوب الهجرة والتفصيل في ذلك، ومنها ما دار بيني وبينه في مسائل أصول الفقه والاعتبار بها، فإني أرى أكثرها تستند إلى الوهم والخيال، وإنه لم يُؤثَر عن الصحابة في ذلك حرف، فأخذ يستدل وذكر أن تلك المسائل كانت سليقةً لهم وهذا ليس بشيء. وقد حققت فرطات العلماء في كتابي المسمى «فنون الجنون في جنون الفنون» واستقصيت على الأوائل مسألةً مسألةً،

وللمترجم له مؤلفات لطيفة[1] منها: «تسهيل البحث والنظر في ترتيب تراجم

---

(١) أعاد تفصيلها، وأشار إلى أماكن تواجدها الأستاذ عبد السلام الوجيه في كتابه: أعلام المؤلفين =

العِبَر» للحافظ الذهبي وتكميله.

ومنها إسعاف السائل بجوابات الست المسائل. ومنها مراجعة الحسين في مسألة المسح على الخُفَّين، دارت بها مراجعة طالت بينه وبين رفيقنا الحسين بن أحمد السيّاغي. ومنها إثبات رَدّ المعترض على المحققين في تحقيق غلط المُحَصِّلين. ومنها الطّلع المنضود في إبطال بدعة الحِمَا والحدود. ومنها إجالة النظر في بيع الغَبْن والغرر. ومنها إثبات التحرير في تعاطي التكفير. ومنها تحقيق الأنظار فيمن ثبت عنده أول رمضان بعد الإفطار. ومنها مراجعة العالِم في تحريم الزكاة على بني هاشم راجع بها ما حرره الأستاذ عبد القادر بن أحمد. ومنها إشباع المقال فيما يتكلم فيه على مسألة الهلال بين القاضي محمد الشوكاني والجلال. وغير هذه من الصغار المؤلفة. وله مناظرة ومراجعة مع شيخه القاضي أحمد بن صالح بن أبي الرجال.

ومِنْ فوائده المأخوذة عنه في موقف وقد دار ذكر قبول شهادة القاذف إذا تاب فقال: تُقبل فقلت: فكيف بالتأبيد في قوله تعالى: ﴿ولا تقبلوا لهم شهادةً أبداً﴾ فقال: يُحْمل الأبد على ما يليق به ويحتمله، فالمراد هنا ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً ماداموا مُصرِّين على القذف، كما يقول: لا يقبل الله صلاة شارب الخمر أبداً أي ما دام يشربها فإذا تاب قُبلت، ولا تُقبل شهادة الكافر أبداً أي ما دام كافراً.

وللمترجَم له كمال النصح مع سيف الإسلام أحمد بن المنصور بالله في كثير من الحوادث فإنه في ما جرية الروضة من الكباسيّة ما زال يُحَذِّر هجوم الشرّ فيها قبل تحكّمِه، فكان ما كان. ومنها نصيحة في ما جريه شِديق وخولان التي كانت في أول دولته[1].

[أحمد بن حسين الآنسي]

وفيها: يوم السبت ثاني وعشرين ربيع الأول، أحمد بن حسين بن أحمد الآنسي. كان مُتسلِّطاً على الأخبار الغامضة.

[أحمد الفضلي]

وفيها: يوم الإثنين غرة ربيع الآخر، أحمد بن علي الفضلي، الوزير الخزان.

= الزيدية ص (٣٥٤).

(١) أضاف المؤلف في هامش الأصل يقول: وتوفي المترجم له في يوم الخميس لعله في العشرين من شهر ربيع أول (١٢٣٨). وجاء في نيل الوطر للمؤرخ زباره: وقبره بقرب مسجد السعدي جنوبي مدينة صنعاء.

[إبراهيم الظفري]

وفيها: يوم الربوع سادس القعدة، إبراهيم بن عبد الله الظفري، وكان قائماً على أوقاف ضلع أيام علي بن محمد بن عامر وأيام محمد بن حسن حطبه. وولده يحيى بن محمد. وهو أخو العلامة الحسن، وأبو القاسم العارف المتولي.

[علي بن إبراهيم الأمير]

وفيها: يوم عيد النحر الإثنين، ثالث القمرين، وأبو الحسنين، المتوقد بنار فكره مجامر حضرات السمرات، والساقي الآذان بكأس اللسان، مبيد الهموم والحسرات، الواصف الراصف، المادح الصادح، بلبل روض الآداب، هزار يراع الكتّاب. علي بن إبراهيم الأمير[1]، نشأ في حجر والده، فتخرّج به وأخذ عنه علم اللغة، وأسمع عليه شطراً صالحاً في الحديث، ثم دأب في الأدب فجاء بالعجب وحُبِّبَ إليه الملاقَاة لأهلِه، فاتّصل بمحمد بن هاشم بن يحيى وسعيد بن علي القرواني وكاتبهما بسحره المبين، وطارحهما أحاديث المتقدمين، وانتقدَ أموراً حفيه على المتأدبينَ فألفَياه ابن بَجْدتِها فزاد شَغَفُهما به وكاتباه، وقصداه إلى منزله، وانضم صحبته إليهما محمد بن محسن العلفي الأموي، وطار صيته مطار الشمس وتحدث الناس عنه وعن ماجرياته، وشغل أهل الفن بما نَمَّقَه من سحر أدبياته، ولكثرته جودته لا تجد فيه محلاً للانتقاد، وما عاب شعره بصير بالأدب. جمع في الإحسان بين طرفي الملحون منه والعربي.

ومما أفادنيه بالمكاتبة وقد وقف على مكتوب لي إليه وإلى أخي محمد بن أحمد جَحّاف رحمه الله وقد تخلّفَا عنا بصنعاء وكنا بـ (حَدّه) فاطّلَعا على هذين البيتين وهما:

تنـزّهنـا بحّـدة فـي ريـاض ... لُجَيْـنُ المـاء فيهـا سَـال جُـوْدَا
ومُـذْ كُنّـا بـأجمعنـا صُـدُوْراً ... بهَـا فَـرَش الغصـون لنـا وُرُوْدَا

فقال رحمه المُتعال:

أَلُطْـفَ الله كيـف تقـول أَنّـا ... تَنَـزّهْنَـا بحـدةَ فـي ريـاضِ
عكسـتَ فلـم يكـن متنـزهـاً غَيْـر ... نَـا عنْهَـا وعـن تلـك الحِيَـاضِ

وقال: لا يختلف أهل اللغة في أن التّنزُهَ التباعد عن المياه والأرياف، ولكنها غلبتهم العامة بعكسهم الأوصاف، فجعلوا التنزه الخروج إلى البساتين ذات الأنهار؛ والإقالة بظل الأشجار. شعراً:

---

(١) نيل الوطر (٢/ ١١٠)، البدر الطالع (١/ ٤٢٠)، أعلام المؤلفين الزيدية ص (٦٥٠) وفيه تفصيل أسماء مؤلفاته وأماكن تواجدها.

وهـاتِ حَـدِّثني بمـا أَسْنَـدَا   لِطَيْـرٍ عـن الأشجـار مـن مُـرْسَـلِ
فقـد شَـرَحنـا متـن أزهـارِهِ   بـالضّـايـع الهـازِيء بـالمنـدَلِ
وذاك مـرفـوعٌ بـأيـدي الصَبَـا   علـى الهَـوَى صـونـاً مـن الأرجُـلِ
كـأنّ لطـف الله سـارٍ علـى   ريـاضهـا حيّـا رُبَـاهـا الـوَلـيَ
متـى أراهُ طـالعـاً فـي سَمَـا   داري هِـلالاً بـرُجُـه مُكْحَـلِ
يَحلُـو ظـلام الجهـل فـي فتيـةٍ   يَنْفُـون بـالفهـم دُجَـا المشكـلَ
وإن أداروا لـلأحـاديـث كـأ   سـاً مـات غيظـاً شـاربُ المثمـلِ
وإن رَّوَوا أرووا ومـا دار فـي   الأسمـاع فـالآخـر كـالأوّلِ

ولمّا وصل هذا المكتوب البديع أجبته بجواب طويل منه:

حـديـث وجـدي مُسْنَـدٌ عـن عَلـيّ   مُخَـرَجٌ يَشْهَـدُ بـالفضـل لـي
أَرْسَلْتُـه يـومَ غـديـرٍ بِـهِ   رَاقَ حـديـثُ الطَّيـر للمعضَـلِ
فـي جنـةٍ بَلْبَـل بـالـي بهـا   أَغْيَـدُ يُـزْرِي بـالقنـا الـذُّبَّـلَ
غـانٍ إذا مـا جَـسَّ أعـوادَهُ   شُبِّـة فـي التَّشبيْـبِ بـالبُلْبُـلَ
قـد خـرق العـاده حتـى غـدَى   مُخـارِق يقفـوهُ والمـوصِلـيَ
ومعبـدٌ للضّـرب بـالعـود أضحَـى   عَبْـده المحسِـن فـي الصّلْصَـلِ
أَحبِـبْ بسـاحـاتٍ أقمنـا بهـا   بحيـث ذات الطَلْـح والمنهَـلَ
بحيـثُ مـا قـام حُمَيْـسٌ[1] علـى   أشجـانِـهِ يَنْعـي سُلُـوَّ الخَلِـي
فمـا سَلْـوَنـا بعـدهـا قـط عـن   أَمِيـرنـا الحـافِـظ عيشـاً علـي
يـا مـن إذا غـابَ فـلاحَـيّ فـي   حـاضِـرَةٍ نَـرْجُـوْهُ للمُشكِـلِ
بِحَـدةٍ نحـن بـأجسـامِنـا   والـروُحُ فـي أسـرِك لـم يُـرْسَـلَ

وأنشد بحضرته بعض الناس:

أنـا ابـن مـزيقيـا عمـرٌو وجـدي   أبـوه عـامـرٌ منـذر مـاء السمـاء

فقال له: أتدري لم سُمي هذا بمزيقيا؟ قال: لا. قال: كان ملك باليمن يلبس كل يوم حلةً ثم يمزقها بالعشي يكره أن يعود فيها، ويأنف أن يلبسها آخر غيره، فلقبوه بمزيقيا.

وقد تعجّب من أحواله الحاضر والباد، وتفكه بجوَدة ما نظمه المَهَرة النقاد. فمن أفانينه التي سحرت الألباب، وأعجزت الأدباء ما عارض به قصيدة القاضي الأرجاني في

---

(١) حُمَيْس: غيل كان يروي أشجار الجوز واللوز في مدينة حَدّه وقد جَفّ.

همزيته التي مطلعها: (وعدت باستراقةٍ للقاء) فقال تغمده برحمته ذو الجلال:

أرسلت سهم مقلةٍ نعساءِ وثنت جيْدَها على استحياءِ
غادةٌ غادرت صريع هواها في حماها مُضَرّجاً بالدماءِ
فتنت نفسها فانحلت الجفنين والخَصْر سُقْمَ أهل الهَواءِ
أشرقت ليلةً فأشرقها بختى بريح الصباح قبل العشاءِ
فكأنّ الفراقَ لا كان وافى ليلةً سارقاً لليل اللقاءِ
رامت الشُهْبُ أن ترانا فما أَمْهَلَها أن تُعَدَّ في الرقباءِ
فشككنا هل ذاك نور مُحَيّاها أم الشمسُ أشرقت بالضياءِ
فنشرنا ذَوَائِباً تفضح الليل وعُدْنا قَسْراً إلى الظلماءِ
وغَدَوْنَا بالفرع والوجهِ طوراً في صباح وتارةً في مساءِ
وجلونا شمس المدامة في الكأس عقيقاً في دُرَّةٍ بيضاءِ
ومزجنا سُلافها برضابٍ هي منه في ثملةِ السكراءِ
وعيونُ الزمانِ مكحولةٌ مِن يَدِ إسعادِنَا بميْل العَمَاءِ
في رياضٍ للغُصنِ فيه ارتقاصٌ كُلما قام طَيْرُها بَالغِناءِ

وهذه لو قيل أنها تسمو على أبيات الأرجاني لما أبعد المُفَاضِل وَلَما تعجرف المناظل المجادل. ومن بدائعه وروائعه هذه الخريدة:

نَصْبُ القوام وكَسْرَةُ الأجفانِ جَزَما بِرَفْعِ النوم من أعياني
ما كنت أَحْسِب أنها ضمنت هلا ك العاشقين محاجر الغزلان
سودٌ فواتر ما لقوّة بيضها ضعفٌ ومنه مقاتل الشجعانِ[1]
يوحي الغرام إلى القلوب بمرسل من نبلها في فترة الأجفانِ
أبدت لنا من معجزات السحر ما ترك القلوب تفيض بالأشجان
ولا آية السيف التي في جفنها قَسْراً وجدت حلاوة الإيمان
عجباً لشرع الحبّ تتّبِعُ الهَوَى حكامه والحبّ دَار هَوَانِ
يا للرِّجال أَمَا لِمَن عَبِثَ الهَوَى بفؤادِه عونٌ على الأحزانِ
أخلى القلوب عن السُلوُّ فأَصْبَحت مثل الرُّبُوع خَلت عن السُكّانِ
حتى اصطباري خانني عجزاً وآفات الغرام خيانة الأعوان
وبمهجتي مَنْ نَبّهتني للتصّا بي فيه فترةُ طَرَفِهِ النعسان

---

(١) زيادة من «ب».

بدرٌ كأن الحسن يَعْشَقُ ذَاتِه لكنّه خالٍ عن الإحسانِ
إن قلت صِلني زاد عني نفرةً فكأنني أَغْرِيْهِ بالهِجْرانِ[1]

حتى قال فيها:

خِلْتُ التّغزلَ بالحسان لفَارغٍ يَلْهو بوَصل «كواعبٍ وحسان»[2]
فاستَغْنِ عن ندب الكرام بمدْح أكرم مرسلٍ طه شفيع الجَاني

صلى الله عليه وعلى آله وسلم

وكان كثير التنقل في الديار، فجاب الأنجاد منها والأغوار، وقصد مدينة زبيد، وبيت الفقيه والمخا، ونزل بزبيد على آل المشرّع[3]، وأخذ طريقتهم عن شيوخهم، وحَدّث عنهم بمجريات في الكرامات، وكاتب أكثر أهل البنادر وطارحهم الحديث وهاداهم، ورحل إلى كوكبان مرات فلاقىٰ أعلامَها، فكرعوا من معين هزله وجدّه، وعَجِبوا من حُسْن بادرته لا يعتري في الحديث لسانه الحصر، فَتّاحاً لإقفال المعلقات غائصاً على الخفيات، نزل عليهم عام تسع وثمانين وهو في شرخ الشباب ثم راح عنهم فما زالت قلوبهم إليه ملتفتة، وجرت بينه وبينهم مفاخرات هزليّة يرتاح لها الخاطر فغلبهم في المقاولات، ثم نزل عليهم ثانية عام أربع وتسعين، فشفوا غليلهم بوصوله، وتروّحوا بنزوله، وطالعوا معه الأسفار، وعانوا أيام بقاءه نظم الأشعار، ثم سار عنهم إلى زبيد، فلقي بها ما يريد، وتحوَّل إلى المخا فاستدعاه عاملها علي بن صالح العماري قبل رفعه منها وأجرى له رزقاً واسعاً، وأنزله بداره، وعرض عليه أعمالاً فأباها ثم بدا له الرحيل، فسار إلى صنعاء، فأقام بها أياماً مشغولاً بحاله الأول فازداد غرامه بغزلانها، فأجرى مذاكي قريحته في ميدان إحسانها، وقال بعد وصوله، مخاطباً لجميل واصلِه في صباحه وأصيله:

وحياة أشجاني وأشواقي وراس محبّتي لك
لقد ارتشفت كؤوس ود ك وانثنى قلبي نزيلك
ولأنت أحمدُ من أهيم به فلا أبغي بديلك
يا من غدت حُلَلُ الجمال عليه البسني جميلك
وارحم بعزك ذل مَيْتٍ في الهوَى أضحى قتيلك
طال النوَى فبحق حسنك زُرْ ولا تسمع عَذُولك

---

(١) أورد زباره. نيل الوطر (٢/١٤١) أبياتاً أخرى من القصيدة ليست هنا.
(٢) **وردت في** «أ»: بوصل كواكِب وغَوانِ.
(٣) **المشرّع**: من بيوت العلم في مدينة زَبيد، وأصلهم من آل العِجَيل.

مــن أمــسِ تَهْجُــر مُسْتَهــامــاً   لا يَــــرى أحــــداً مثيلــــك
والله يــــا بـــدر السَّمـــا   أن الجَفَــا لا ينبغـــي لــــك

ولَهُ وهو من محاسنه:

أغنــم زمــان اللقــا وصَفْــوَه   ولا تــدع لعبَــه ولَهْــوَه
كــم مــن مليــح لــه لحــاظٌ   يَفتتــحُ القلــب منــك عَنْــوَة
لقــاؤهُ أن أتــاكَ يــومــاً   أَحْسَــنُ مــن جنــةٍ بــربــوَه
فــإن دعــاك الهــوَى فبــادر   ولا تجــب للنصيــح دَعْــوه
ولازم الــــراح فهــــي رُوحٌ   للــروح تُهْــدِي إليــك نشــوَه
وإن لحــاك العــذول يــومــاً   فــلا تطــع خــوضَــه وَلَغْــوَه
وقــل لمــن ظــنّ فيــك شــراً   أو قــال قــد أدركْتَــك شَقْــوَه
غَــرســتُ فَــرعَ الــذنــوب لمّــا   جَنَيْــتُ لمّــا جنيــت عَفْــوَه

ورحل إلى البيت الحرام، فقضى منسك الحج وعاد صنعاء، وبدا له الرحيل إلى تهامة مرة أخرى، وقصد زبيد وبيت الفقيه، وبندر المخا لمّا عرفه معموراً بعامله العماري، وأرسل بعض أخوانه بمكتوب طويل يصف أحواله، وما جرى له، فقال: اطلع الله بدور سعودك في أفق الكمال، ومحا بنور وجودك دياجي الليال، وثبّت أقدام عزِّك ومجدك وسَعَد عَضُدَ نصرك بسعْدِك، ورفع منار فهمك كما نشر أعلام علمك، ووسّع دائرة مالك، كما عظّم قدر كمالك، وأعطاك مفاتيح الكنوز، كما أنْطاك دقائق الرموز، ولا زالت أعناق أوقاتك مقلدة بأطواق الأفراح والسِنة ساحاتك تتلو لعفاتك سورة الانشراح، محفوظاً في جميع الحركات والسكنات، محفوفاً بلطائف الألطاف في جميع الحالات، وسلام عليك يحاكي رقيق شمائلك، ويساوي كثرة فضائلك، ويوازي عدة فواضلك، ما هزت النسائم، أعطاف الأغصان، وأضحك بكاء الغمام، ثغور الأقحوان،

وبعد. فإن عبد ترب نعلك، وربيب إحسانك وفضلك، منذ فارق نَبْت عوده، وواصل هبوطَه بصعوده، لم يزل يَعِد نفسه بمكاتبتك ويمنيها، على أن العبد لا يميل إلى مكاتبة مولاه ولا يرتضيها، وكان كلما رام ذلك، منعه كَرّ الصروف، وحوادث الدهر العسوف، حتى عاتبه لسان الوفاء، وأعظمت عليه التلبس بملابس الجَفا، فعند ذلك اغتنم فرصةً من زمانه وترك العلم يسترسل في هَذَيانه:

وعــذراً علــى قلــبٍ أثــارت شجــونَــه   صــروفُ زمــانٍ يتــرك العقــل معقــولاَ
وأودى بفكــري الاغتــراب ومــن يكــن   أخــا غــربــةٍ لــم يُعطِــهِ دهــرهُ سُــولاَ

ومـن تُشْـرُق الأيـام غَـرب جفـونـه بمـدمعـه أضحَى بـه الـدهـر مشغـولا

نعم إن تَفَضّل المولى أدام الله دولةَ سعده، وشيّد أركان مجده بالسؤال عن عبده، وما جرى له من بعده، فإنه لم يزل يواصل الأسفار ويجوب الموامي والقِفار، ويغور وينجد ويُخِبُّ ويُسئد:

كـأنمـا الـدهـر كـاتـبٌ وبـلادُ اللّـهِ طـرسٌ وانـنـي القَلـمُ
يَظَـل يُبـري بصـرْفِـهِ أملـي وكيـف تُبـري لمـن بَـرى ألـمُ
رزقـي كـالجبـر قـد أَمَـدُّه بـه وقـتُ مسيـري وعـادَ لـي العـدم
لكـن قلبـي علـى النـوَى جَلِـدٌ يعبِـس الـدهـر لـي فـأبتسِـمُ
أخـوض بحـر الهـلاك لا وَجَـلاً منـه ومـوج الأهـوال ملتطـمُ

وما برحت أجول في خواطر المسالك، واخترق مسامع المهالك حتى رمتني، صوالح التنويه إلى محروس بيت الفقيه، فهنالك ألقت النفس عصاها، ولم تُبَل أطاعها الهوَى أم عصاها، ولم أزل أرتشف بها كؤوس السرور ممزوجاً برضاب الأفراح، واجتلي وجوه الحبور باسمةً، عما يهزأ بالأقاح، قد تكفّل لي سلاف القات بطيب الأوقات، واغنَتني نشوته عما تدبره السقاة، وكلما اعتقل الهم أرماحه أعادته رماح البات خافضاً جناحه. شعراً:

جـاء شقيـق عـارضـاً رُمْحَـه إن بنـي عمـك فيهـم رمـاح

ولو رقَتْ لي شياطين الغم، لانقضّت عليها أنجم الفُل، وطعنت أَسِنّة الكاذي شعرها، فأذهبت البعض والكل، وفيها سمح الزمان، وقد يسمح البخيل. وجاد لي الدهر، وإن كان جوده كالمستحيل؛ بالاتفاق بأخوانٍ، لم يقنعوا من الوفاء باللقاء، ولا شاب صفاء، ودادهم كدر الجَفَا، بل جبلت طبائعهم على حفظ شرائع المروة، وغذتهم أمُّ المجد لبان الفتوة. ولمّا تبسّم لنا الدهر العبوس، ومزقت الأيدي السرور قناع البؤس، تجاذبنا أطراف الأفراح، وأدرنا من حميات الأدب، ما يهزأ بالراح، ولم نخل من نمام، ولكنه من شذا الأزهار، ورُقَباءٍ من عيون النرجس شاخصة الأبصار، إلى أن أنشب البين فينا المخالب. شعراً:

مهمـا رأت كعبـة اجتمـاع طـافـت لهـا للـوداع سبعـاً

ولم نزل نحاول في الدهر الأخذ بالثأر، ونروم التلاقي إلى أن أسعدت الأقدار، فقوّضت خيام الكسل والتواني، ونهضت بأعباء فراق تلك المغاني، وجُبْت المهامة والبيْد، إلى أن شافَهَتْ بي الأيام أُذنَي زبيد، ولما أنزلت بها رحلي، وحططت بها رجلي وجدتها كما قيل:

بهـا مـا شئـتَ مـن ديـنٍ ودنيـا واخـوان تنـافـوا فـي المعـانـي
فمشغـولٌ بـآيـات المثـانـي ومشغـوفٌ بـرنّـات المثـانـي

فاجتنيت من جنا ثمرها ما طاب، ولم أسلك بها جميع الشعاب، على أني لو كنت أبا زيدها لظفّرت حبائلي بأبـيّ صَيْدِها ولو رفعت الحجا والوقار، لبعت سوقها جميع الأحرار، لكنِ رميتُ نفسي في زوايا الخمول، ورضيت من الغنيمة بالقفول. خلى أني رأيت بها قصةً عجيبة، وقضية غريبة لم أزل منذ رأيتها سابحاً في بحر العجب ومتحيراً في غياهبها، ولم أتحيّر لاعن سبب، وهي أن بعض من بها من الأعلام الذين يؤخذ عنهم دقائق الأحكام أنكر قراءة أم القرآن قبل الصلاة، زاعماً أنها من البدَع التي يجب على مثله في مثلها الانتباه، وكان عادتهم إذا اجتمعوا للصلاة المكتوبة، أن يطلب المؤذن منهم قراءتها، وكل عبادة مطلوبة فأغرى هذا العالم المذكور أحد تلامذته، وهو خطيبها المشهور وواعظها الذي تلين لوعظه قلوب الصخور، بإنكار هذا الفعل المعتمد، فقام لذلك وقعد وأبرق خُلَّبَه على المؤذن وأرعد، ولمّا حصل المنع والإنكار، ثارت العوام ولا ثورة التتار، وأغلقت في بعض الليالي أبواب الجامع، وأرادوا قتل ذلك المانع، ولما علم بمرادهم أَنسلّ من الجامع بخفية وأخذ بقولهم الفرار وللموت رقية، ولم يأمن على نفسه الهلاك حتى قصد الوالي، ليخلصه من تلك الشِبَاك، ولم تزل تتقِد بينهم نار الخصام، حتى رأوا أنه لا يطفئها إلا نظر الإمام، فرفعت إلى شريف المقام، بعد أن اجتمعت اجتمع العلماء مراراً، وراموا الصلح بينهم، أن تقرأ خمس مرات جهاراً وتترك خمساً ليرضَى الخطيب ويأخذ الناس من الأجر بنصيب، وكانت تقرأ عشر مرات قبل سائر الصلوات، فلم يسعد المنكِر بهذا الصلح الذي هو عين الفساد بل أصرّ على فعل ذلك، ولم يبادر إلى الانقياد. ثم جاء الأمر الشريف بالبقاء على العادة، وانها لا تترك هذه العبادة.

وفي هذا الوعد الذي حصل به هذا الواقع، ذهبت لصلاة الجمعة إلى الجامع. فلما انقضت الصلاة وقمنا لنبتغي من فضل الله، قيل لي: إن هنا درساً لبعض العلماء الأكابر على بعض أولاده الذي سكنوا المقابر، فحضرت مع من حضر وقرأت من القرآن ما تيسّر، ولما انقضى درس آيات الكتاب، رأيت جماعةً قد حلّقوا أمام المحراب، وجعلوا يُغَنُّون بشعر العلوي والمزّاح[1]، ويصفقون بأيديهم، ويرفعون أصواتهم

---

(١) المقصود بالعلوي هنا. الشاعر عبد الرحمٰن بن إبراهيم بن إسماعيل العلوي، من شعراء القرن التاسع الهجري، له ديوان أغلبه في الشعر الحميني كان يُغني به المطربون في اليمن ـ خ بمكتبة العلامة الكبير عبد القادر بن عبد الله بصنعاء. أخرى بالمتحف البريطاني (٣٧٨٧٩) ثالثة بمكتبة لندن (١٢٤٨). مصادر الحبشي ص (٣٦٦). =

بالصياح، فخفت أن تنزل بهم سطوة الخطيب، وقلت كان يُنكر قراءة أم القرآن فما بالك هذا الفعل العجيب، ولمّا عداهم اللّوم، وما عدَى عليهم أحد من القوم، بل جعلوا يتمايلون تمايل الأغصان مرت بها النسايم، حتى لقد كادت تسقط عن رؤوسهم العمائم، سألت عن بعض من لديّ: ما سببُ سكوتهم عن إنكار هذا العجب العجاب مع إنكارهم لقراءة أم الكتاب؟ فقال لي: إن هذه عادة مستمرة، وقاعدة مستقرة. وهؤلاء المُغْنون من السادة الصوفية الذين سرائرهم عن كل كدر صفيّة، فسُكّان الحِمى يَشْرِقُ المغْنَى[1]، أو ما سمعت قولهم: لهم المغنى ولنا المعنَى. فعلمت أنه ما اختص أهل الشام بطلب الفُتيا في دم البعوض بعد قتل الحسين، وان رقّاعة حمص هنالك بلامين، ورايتها من أعجب ما حفظتها صدور الطروس، وأغرب ما تحيّرت به الألباب والنفوس. ونقلتني أطوار البؤس والرخاء، إلى أن خالجتُ صدر المخا، فوجدته قد تلبّس ببعض ملابس عدن، وبقيت فيه بقيّة تُنسب إلى خُضْرِ الدِّمَن فأنشدت:

وقفتُ على الأطلال وقفةَ حائرٍ ... فأرسلتُ في الخدين دَمْعَ المحَاجرِ
وصيّرت حظي قرعَ سني ندامةً ... كثاكلةٍ مرت ببعض المقابر
تذكرت سُكاناً أقاموا بسوْحِهَا ... فأَهْوَنُ ما لاقيت شق المراير
وما خربت جُدْرانها وسقوفُها ... بل المجد في أسواحها غير عامر
وقد قام سُوقُ اللّهو فيها مُشوّهاً ... وما يظهر التفضيل غير التغاير

ثم أرجعتني الأقدار إلى بيت الفقيه، فحلّيْتُ بها تمائم التمويه، وصدورها من هناك والمملوك في حلل الشباك:

كلما حاول الترحُّل عاقَتْهُ ... أمورٌ يضيق عنها المجالُ
فهو كالطير قُصّ منه جناحا ... هُ فَرَوْمُ المطار منه محالُ
كلما حاول النهوض رأى الضُعْـ ... ـف فأقصاهُ عن مُناهُ الكَلاَلُ
لا استطاب المقام ثَمَّ ولا أسـ ... ـعده البَطْشُ إذ عَراهُ الملال
فهو في زُوّةِ الخمول مُوَارَى ... بالرضا والرّضا لذي العدْمِ مَالُ
فأعنه بدعوةٍ تكشف الهَمّ ... وتدنو له بها الآمال
وسلام عليك يعبقُ طِيباً ... من سجاياك أيُّها المِفضالُ

= وأما المزّاح، فهو الشاعر الغني عن التعريف. قال عنه الأستاذ الدكتور عبد العزيز المقالح: هو ثاني الشعراء الرواد تاريخياً، وأقواهم شاعرية، وأكثرهم تأثيراً فيمن جاء بعد جيل الرواد من شعراء القصيدة العامية في اليمن. توفي في مدينة ذمار سنة (٨٣٠هـ) موسوعة العفيف (٤/ ٢٦٢٠).

(١) الحِمَى: قرية شمال شرق مدينة زَبيد؛ علىٰ مسافة خمسة كيلومترات.

قلت: لاقىٰ في سفرته هذه أبكر بن علي البَطّاح الهاشمي المترجَم له عام ثلاث ومائتين وألف، وله أليه هذا الديباج الخسرواني، مجيباً عن كتاب وقد أثبته بكماله لجودته. وما نُظِمَت فيه من الأشعار فهو من إنشاء المترجم له، وتلك أيام مرحه في اللهو واللعب، قال: مَرّ الغريق في غمرات الهوَى العريق في نَسَبِ أهل الجوَى المتسربل بسربالِ الغرام المتوَّج بتاجِ الهَيام، فانشر أعلام الخلاعة، وطاوى سرّه الذي أنشأه دمعه وأذاعه:

أقسم بالحبِ وأهوالِه | وشدةِ الشوق واشعالِه
أني على العهد مقيمٌ ولا | أثني فؤادي قط عن حالِه
أصبو إلى لقيا غزالِ الحِمَا | ويرحل القلب بترحالِه
ولا يملم لَم يَدْر كيف الهوَى | يرجو سُلُوَ المدنفِ الوَالِهِ
يلوم إن أهديتُ قلبي لهُ | كأنما قلبي من مالِهِ
فإن يكن في حُبّه ظِلّةً | فقد هدا القلب بأضلالِه

إلى من أرسلَ سهامِ العَتْب من قسي المزاحِ، وجال على سوائق اللين في ميدان الكفاح، وركب مناصل الجِد في قنا الهزل، وسقى حسامِ الرقة سمام العَتْب الجزل، وأبرز في معرض الخطاب بعض ما كمَن لديه، وخلط عملاً صالحاً، وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليه. ولم يعلم ما وقع به القسم بل وجرت به القِسَم:

ونور جبينٍ يفصح البدرَ والضُحى | ولين قوامٍ يحجل الغصن والرُمَحا
لقد كتبت أيدي البعاد بمهجتي | سطوراً من الأحزان والشوق لائحَا
وقد عبرت عنها لساني بعبرتي | بمشكل متن الوجد القت به شرحا
مسلسلة تروي حديث صبابةٍ | إذا شهدت أسقام جسمي به صحا
وشيطان عذلٍ كم يروم غوايتي | فيوسعني غشا وأوسعه نُصحَا
أرى مدمعي مثل النجوم لرحمهِ | أعد فان وافا رأيت له مسحا
غلطت[1] نجوم الأفق تبيضّ تارة | ونازحُه ما كف يوماً له نزحَا
سقت مهجتي سفح العقيق بمثله | وإن غادرتها غاديات البكا قرحَا
ليخضل في ساحاتها مرتع الصبَا | ويضرب شخص المحل عن سفحها صفحَا
فكم وقفةٍ مع من أحب وقَفْتُها | بها ورقيبي قد طوى حولنا كشحا

وجفون الحوادث عنا نيام، وثغور الأفراح ذات ابتسام، ورياض الآمال زاهرة، وبدور الإقبال سافرة، وشموس الوصال ساطعة، وصوارم المطال غير قاطعة، والحبيب

---

(١) في «ب»: خلطت.

يخوض ويلعب. وثغور الكؤوس تبسم عن ثناياها الحبب، ونسيم الأوتار تمايل أغصان القدود، وأيدي الشفاه تقتطف ورود الخدود، وعيون العيون مشغولةٌ عنا، كشغل القلوب بالأفراح. ولرنّات العود فعل كما يفعل في ثامل كؤوس الراح، فسقيا لذلك الزمن وتلك البقاع، ورعياً لأولئك الأخوان وذلك الاجتماعِ:

فما لَذّ لي في الأرض شيء سواهم ولانظرت عيني لهم بعدهم مَثَلاَ
وإني عن همي لهم غير راجع سواءٌ دروا أني أحبّهم أم لاَ

لعمري لقد شخصت ذواتهم في مرآة الفكر، ومنع الزمان النظر إليهم بعين البَصر، ولم أزل أنظرهم بعين الذكر، وأمتزج قلبي بمحبتهم امتزاج الماء باللبن، ولازمت مودتهم، كما لازم الأشعريّه رأي أبي الحَسَن، ولا غروُ فَهُم قلدوني المنن، لكنهم اتخذوا جِدّ غرامي عَبثَا، وطغوا تبر مودتي لهم حبثًا.

اقصر فما تنفعك الشكوَى واصبر على الشدّة والبلوَى
واخلع ثياب الحب إن كنت في مهل الهوَى والجدّ لا تقوَى

هيهات أين المفر من الهوَى والأشجان، وقد تلت لسان الشوق: لا تنفدذون إلا بسلطان، وقد علم كل من هام ولعب أن قلبه سيصلى ناراً ذات لهب.

تَصبَّر وإن كان التصبر قد أودَى فأعذب ماء الحب أملحه وردا
ومن لي بأن يسلو الفؤاد عن الهوَى وقد عمرت أيدي الهوَى بيننا سُدَّا

جرَى القلم وجَفّ وعفى الله عما سلف، وهذا فصل بالوصلة قاطع، ولو حققه ابن كثير لم يجد لروايته عاصماً عن نافع. ولنترك الماضي ونعود إلى الحال ليظهر التمييز في الأفعال، فأقول: إن سألتم عن الحقير فهو في فضل الخبير لا يبالي بالمأمور، ولا يسأل عن الأمير، بل يكرع من ماء التلاقي النمير، ويستجلي ذلك البَدر المنير، ويُسَرِّح طرفه في روض الجمال النظير، وينظر ما لو نظرته لانقلب إليه البَصر خاسئاً وهو حسير، والحمد لله الذي جعله ممن شهد بدراً ولم يرجع بخفي حنين، ولم يجعله من ابتاع بعد الفتح أثراً بعد عين. وإنه وصل درّ الخطاب والكلمات العذاب، ففتحت العين لأتحقق ما حوت من الحدة، فوجدت سيفها قد جَاوز حده، وما ذاك إلا، أن المولى حفظه الله تعالى عار من نظر مملوكه إلى ذلك الوجه الجلي، واستغفر الله لا أقول أبو بكر يجوز علىٰ علي ولا يخفى على المولى علي أن ليس لي على فراق الحبيب طاقه، ويكفيني ما صححه الأئمة من حديث البطاقه:

فيا عمرو ساعدني على الحب أو فدع خداعك ما كل الأنام أبا موسَى
وإلا فداوِ القلب من علة الجوَى وهيهات جرح الحب والوجد لا يؤسي

وأما ما حدثتكم به كواذب الأطماع والأماني، من رجوع أيام الاجتماع والتداني، فلعل راوي حديثها أشعث عن أبي ثمامة أخي مسيلمة، ولعل رؤية ذلك المحيا يصعب على زرقاء اليمامة:

عجباً منك كيف طاب لك العيش وقد غاب عنك بدر الكمال
ولقد كنت في سرور التلاقي فتعوضت هجرة بالوصال

إلا أنها ربما «تسعد»[1] الأقدار، وتذهب ظلمة ليل الجَفا بضوّ النهار. شعراً.

ويحلو لكم ما مرّ من حادث النوَى وترجع أيام المسرّة والبِشرِ
وتضحك أزهار اللقا في رياضكُم وينهل قطر الوصل في ذلك القطرِ

وقد يكون العود أحمد، ويحيى ميت الغرام المكمد، وأما عليّ المرتبة في الحب فإنه محرز قصبات السباق. وكل من سره محفوظ؛ فلا يخاف الفراق.

والوصل كالرزق رب العرش قَدّرَهُ والناس ما بين مرزوق ومحروم

هذا وقد أكثر القلَم الهذيان، وأتىٰ بالهذر صنوان وغير صنوان، وقد تكلم وكلم وتحكم وما حكَم وأصاب وأخطأ، وكشف للبعض الغطاء. نعم، ولمّا خفت هذا البحر المتلاطم الأمواج، وهمت في هذه المهامة والفجاج نسيتُ إهداءِ السلام والتحيات، المعنبرة وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره، فأهدي إلى ذلك المقام الرفيع والشأو المنيع سلاماً، أرق من الشفاه العذاب، وأحلى من رحيق الرضاب وألطف من الخصر النحيل، وأسحر من الطرف الكحيل، وأندى من ورد الخدود، وألْيَن من معاطف القدود.

أخص به المولى الهمام، وأوحد الكرام ومولانا الإمام أبا بكرِ
أخا الفضل من قد عم سابغ جوده وهل هو خالي العذر من دنس العذرِ
طوت ذاته سرّ العلوم ونشرها ينمُ بما أخفى من الطيّ والنّشر

لا زال منير افهامه في سماء العلوم مشرقاً، وروض انضاره بمياه إنصافه مغدقاً، ولا برح فكره الوقاد بسبك عسجد المعاني وجودةِ العذب بقرب للزائر بعيد الأماني، ولا انفك كعبة للقصاد يطوف به آمال الوفاد وبحراً زاخراً لكل ظمآن يكرع من نميره كل عطشان:

ودم بأرغد عيشٍ في لذةٍ ونعيمِ
تنال ما تشتهيهِ من فضل رب كريمِ

---

(١) في «أ»: تسعف.

وعـذراً فقلبـي مـوثـق فـي يـد الهـوَى ... تقـول كمـا شـاء الغـرام ولا يـدري
شربت كؤوس الحب صرفاً فعربدت ... صفـاتـي فظـن النـاس أنـي أخـو شكـرِ
نعـم أنـا مـن راح الصبـابـة ثـامـلٌ ... وحَـاشٍ لـربـي مـا ثملـت مـن الخمـرِ

وكأني بالدهر وقد أسعد، وأعاد الأسير الهوَى ما تعود، فوقف مملوكك بين يديك وأنشد:

أضـاءت وجـوه السَّعـد وابتسـم البشـرُ ... ولاَحَـت بـروق اليسـر واتضَـح النّصـرُ
وغنت طيـور المجـد فـي دوحـة العُـلاَ ... وعَـمّ سَنـا الأفـراح فـارتقـص الـدهـرُ
وهبـت نسيـم الـروح فـي روضـة الهنَـا ... ففـاح لأزهـار الثنـايـا بهـا نشـرُ
ومـالـت غصـون الجـود حسرَى كـأنمـا ... سقـاهـا النـدَى راحـاً فمـايلهـا السُّكُـر
ونـامَـت عيـون النـائبـات فـأضحـت الـ ... ـخطوب ولا تمضي لها في الورَى أَمْرُ
بـرؤيـة وجـه المـاجـد الأوحـد الـذي ... لـه مقعـد فـوق السمـاك وَلا فَخـرُ
أبـو بكـرٍ البطّـاح مـن عـن علـومِـه ... وجـود يـديـه قـد روى البحـر والقطـرُ
فتًـى يشتـري الحمـد الجزيـل بمـالِـهِ ... فيفنـىٰ لـه مـالٌ ويبقـى لـه ذِكْـرُ
إذا مـا رأيـت البحـر يـزخـر مـوجـهِ ... لـدىٰ علمِـه لـم تـدر أيهمـا البَحـرُ
بلـى أنـا أدري أنّ بحـر علـومِـهِ ... جَـلا ورده والبحـر سـائغـهُ مُـرُّ
ولـو لا محـاق النـور بـل وكسـوفـه ... لأيْقَـن رأي وجهـه أنـه البـدرُ
ولو كان غيث السحب وقت انسجامِهِ ... يسـاوي عطـايـا كفـهِ أورق الصّخـرُ
ولـولـى التهـاب العـزم كـانـت قـلامـه ... إذا مسَّهـا يبـدو لهـا ورقٌ خُضْـرُ
فـلا زالـت الأيـام تتلـو بسـوحِـه ... أضـاءت وجـوه السعـد وابتسـم البشـرُ

قلت: كان رحمه الله ذا سُنَّة خلا أنه يحب المداراة والقول بالجملة والألفة، فَنَقم عليه كثيرون. وله كمال الحض على السنن، كان يرى إذا كانت الجمعة يوم عيد أن إحدى الصلاتين تجزي عن الأخرى، ويورد في ذلك حديث زيد بن أرقم أنه شهد مع رسول الله ﷺ عيدين اجتمعا في يومٍ وانه صلّى العيد ورخّص في الجمعة، ويقول هذا حديث صحيح هو في المستدرك وغيره، وحدّث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: قد اجتمع في يومك هذا عيدان فمن شاء أجزاه من الجمعة وأنّا مجمعُون.

وكان يرى أنه لا صلاة في يوم الجمعة إلا الجمعة فإن فاتت لم تكن الظهر بدلاً عنها، أي يرى سقوط ذلك الفرض ويُرتّب على ذلك ذم مَن تخلّف عن الجمعة ويقول هذا حديث رسول الله ﷺ يراجعه الإنسان فينظر ما يظهر له من ذلك. وكتبت إليه في صلاة العيد يوم الجمعة فقال: تجزى عن الجمعة والحجة ما في «المستدرك» أن وَهب بن كيسان قال: شهدت ابن الزبير بمكة وهو أمير فوافق يوم فطر أو أضحى يوم

الجمعة فأخَّر الخروج حتى ارتفع النهار فخرج وصعد المنبر فخطب فأطال ثم صلى ركعتين ولم يصل الجمعة فعاتبه عليه ناس من بني أميّة بن عبد شمس فبلغ ذلك ابن عباس فقال: أصاب ابن الزبير السُنّة، فبلغ ابن الزبير فقال: رأيت عمر بن الخطاب إذا اجتمع عيدان صنع مثل هذا. قال المترجَم له: فلم يبق إلا الإذعان سيّما مع قول ابن عباس أصاب السنة. قلت له: ففي سنن أبي داوود أن عطا زعم أن الناس في ذلك اليوم صلّوا الظهر وقد أتى، قال وفيها عن عطا أنه اجتمع يوم جمعة ويوم فطر على عهد ابن الزبير فقال عيدان اجتمعا في يوم واحد فجمعهما فصلاهما ركعتين بكرة لم يزد عليهما حتى صلى العصر، وهو عند النسائي كذلك، والظاهر منه أنه لم يصل الظهر، وابن عباس يذكر أنه وافق السنة المصطفوية. وانقطعت معه بهذا الموقف.

وقد دارت بيني وبينه في ذلك كله مذاكرات.

وفي فوات الظهر يوم الجمعة وقد ألزمته أن عدم ذكر صلاة الجمعة لا يدل على عدم فعلها، على أن النبي ﷺ صلى يوم عرفة بعرفة الظهر فلا يقال انه إذا لم يصل الرجل الجمعة فلا يصلي الظهر، وكذلك المسافر يصلي الجمعة ظهراً فأما تركها فلا.

وكان رحمه الله يخرج يوم عيد الفِطر مكبراً من بيته في جماعةٍ من أصحابه، فإذا جاء المصلي قبل مجيء الإمام لم يزل رافعاً صوته في جماعته بالتكبير. وكان إذا اشتد بالناس القحط وتأخر المطَر جمع ضعفاء الناس وأمرهم بحمل المصاحف على أكتافهم وخرج بهم إلى الصحراء يستسقي بعد تلاوة شيء من كتاب الله العزيز، ثم يصلي بالناس ويعود.

وكان يحب الدعاء بما حضر، وكان كثيراً ما يحض الناس على الصلاة على النبي ﷺ حتى أثبَتها سُنّةً بعد كل صلاة في كل مسجدٍ من مساجد صنعاء. واختلف عليه الناس في ذلك ودَارت في هذه المسائلات وهل الأولىٰ المأثور أم ما ذهب إليه المذكور؟ فكان يقول حديث: إذاً تكفَي همّك ويغفر ذنبك تقضي بأولوية هذا وإن ترك الإنسان المأثور.

وكان قد دعىٰ الناس في وعظة إلى حضور الجماعة عند سماع النداء، فأجابه خلق من أهل التجارة فكانوا يغلقون حوانيتهم ويخرجون منها إلى الصلاة، وألزم رجلاً أن يمرّ بالأسواق عند الأذان فيصيح في الناس الصلاة يا مسلمون الصلاة.

وله مناظرة مع رفيقنا محمد بن أحمد مشحم في تحلية السيف والجنبية بالمذهب، أنكر على المذكور لمّا رأى جنبيته وعليها مشخص ذهب، فطال الجدال بينهما وآل به الأمر إلى أن استفصل محمد بن أحمد عن دليله المخصص في جواز لبسها مع تحريم

لبس الذهب والحرير؟ فقال: عدم صدق اللبس عليها فإنها محمولة، فأجاب عليه برسالة سمّاها: برهان من ذَهب إلى تحريم تحليه الجنبية بالذهب. وجعل براعة استهلال الرسالة بعد البسملة: يا من أظْهَر الجميل وستر القبيح. وقد أقام فيها الحجة عليه بما صدق اسم الملبوس على الجنبية واستدل على أن لأمة الحرب وهي مثل السيف والرمح يقال لحاملها لابساً، وقال ثبت في الحديث أن النبي ﷺ خرج في بعض مغازيه لابساً لأمة حربه وصحح ذلك، وبنىٰ أن كل ما لبسه الإنسان يقال له ملبوساً وذلك لأدنى خلطه كما في ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾[1] ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾[2] وكما في قول الشاعر في مثل القاضي.

قاضٍ إذا التبس الأمران عنَّ له رأي يفرق بين الماء واللبن

ورأيت محمد بن أحمد يقول قام والله علينا بالحجة وكتَب إليَّ: ما قولكم رضي الله عنكم فيما روي عن النبي ﷺ من قرأ قل هو الله أحد فكأنما قرأ ثلث القرآن؟ وفي روايةٍ (قل هو الله أحد) تعدل ثلث القرآن، فصاحب «الاتقان» نقل في هذا الشأن كلاماً لا يساعده فهم أهل اللسان. وطالت المراجعة بيني وبَيْنَهُ في هذه المسألة لأنّا إن نظرنا إلى أن لكَ بكل حرف عشر حسناتٍ فكم حروف ثلث القرآن وكم حروف (قل هو الله أحد)؟ وذلك يقتضي أن يكون ثلث القرآن باعتبار الحروف أكثر فضلاً، وإن قلنا انها تعدل ثلث القرآن أي ثواب ثلث القرآن فالثواب مرتب على الحروف.

قال المؤلف غفر الله له: فلم يبق إلا أن ذلك من باب التفضيل من الله سبحانه وإنه يتفضّل بتضعيف ثواب القارىء لسورة الإخلاص حتى يبلغ فضله وينتهي إلى مقدار أجر ثلث القرآن، ويبقى معنى حديث: فأن لكَ بكل حرفٍ عشر حسناتٍ على بابه ولا معارضة بين ما يتفضّل به الرب سبحانه وبين ما يجعل الأجر فيه على القدر كما جعل في القرآن التفضيل على الحروف.

وقد تصدّر رحمه الله للوعظ من سنة ثمان ومائتين وألف، والتّفت عليه العامة والخاصة، وما زالت الأحاديث منه ومن حفظه وذلاقة لسانه بكل مكان، وقطَع الكل بأن اعلام وقتنا هذا لا حظّ لهم عنده في حسن البيان وفصاحة اللسان، فلقد كان يقعد وينصب بين يديه كتاباً في التفسير فيقرأ الآية ثم يغمض عينيه فتسمع منه بحراً متلاطماً، لا يترددُ في لفظه أو يُحصَر في كلمة. فسبحان الفاتح المانح.

وجَرت بينه وبين شيخنا إبراهيم بن عبد القادر مناظرة جرها الحسد فَغَلَبَه بفصاحة

---

(١) سورة البقرة، الآية (٢٢٣).

(٢) سورة البقرة، الآية (١٨٧).

اللسان وتمام البيان ثم تقاطعا فكان هو البادئ بالمسير إلى إبراهيم لكنه لم يقبله.

وكان رحمه الله تعالى يألَف المساكين ويحب مجالستهم ويسألهم الذكر والإبتهال إلى الله تعالى، فيذكرون الله مَعُه. وكان كثيراً ما يحتفل للمولد النبوي فيجمع الناس له في ربيع ويقرأ عليهم مولد النبي ﷺ وينشر فضائله، ويكلم الناس في هذا الشأن.

وانحرفت عنه قلوب كثير من الصدور والمنتسبين إلى العلم وبدّعوه فبدّعهم بحالاتهم وأنكر عليهم عما يلهم الكبار وأنكر طول أكمام قمصانهم ومشيهم الخيلاء وتجنبهم للضعفاء والمساكين واستطالتهم عمن لم يعرف أقاويلهم، وكان كثير الضحك منهم.

وكان ينشر فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وبثها في قصائده إذ كان العوام يتهمونه كما هو دأبهم، ولما اشتغل بالوعظ وكانت الحادثة عام ست عشرة ومائتين وألف[١] حبسه الإمام في جماعةٍ آخرين. ثم مُنع من الوعظ فعمل القصائد الملحونة وألقاها على المنشدين بالأبواب والأسواق والطرقات ينعي فيها على العمال والوزراء والقضاة وكل مفرط في دينه ومن يتساهل بشيء من الشرعيات، فوضعوا لها الألحان الرائقة فحفظها الصغير والكبير والرجل والمرأة والعالم والعامي.

وكان يقول: مُنعنا من الوعظ في المساجد فأدخلناه البيوت والمجامع، وقلّ ما ترَى حالاً منكراً بين الناس يخالف الشرع إلا وتجد كل أحد يقول قال السيد علي في قصيدته الفلانية كذا وفي القصيدة الفلانية كذا. وتحاشَى كثير من الناس من الغيبة والنميمة والكذب والربى والزنىٰ والحَلفِ وأكل المال بالباطل[٢]، وصلح به خلق لا يحصون كثرة.

وكان رحمه الله لا يري الرأي ولا القياس ولا التقليد ولا الاستحسان، ويقول بأنه لا منسوخ في القرآن أصلاً، ويشبهه بكتاب الملوك إلى عبيدها ويقول لو كتبَ ملكٌ إلى عبده أن اعتمد ما في كتابي ثم يرى فيه اعمل بكذا منه ثم يأتي مِن بعد: لا تعمل به لكان قبيحاً، وكان يقول: نسخ فقد نسخ لفظه. وكان يقول: قال الله تعالى: ﴿۞مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ﴾[٣] فهذا يدل على أنه تعالى يزيل تلك الآية

---

(١) ثورة أهالي صنعاء علىٰ وزراء الإمام المنصور التي أشار المؤلف إلى أسبابها ومجرياتها ضمن حديثه عن حوادث سنة (١٢١٦هـ).

(٢) ذكر الأستاذ عبد الله الحبشي أن له ديوان شعر؛ ولم يذكر مكان وجوده ـ مصادر الفكر الإسلامي ص (٣٩٣).

(٣) سورة البقرة، الآية (١٠٦).

عن كتابه ويُخْلِيها عنه ويأتي سبحانه بخير منها أو مثلها. وكان لا يدع مجالاً لمن زعم أن الآية الفلانية الثابتة في الكتاب منسوخة.

وكان يعجب الناس من حسن تصرفه فيما زعموه منسوخاً فإنه يرد بما يسلّمه الخصم، ومذهبه العمل بالحديث الضعيف فيما لم يجد في الباب غيره صحيحاً سيَما ما ورد في فضائل الأعمال فإنه كان يثابر عليها ما لم يعارض صحيحاً. وكان يتصوّف ويرى قبول عطيّة السلاطين ويُعين الضعفاء عند العظماء.

وكان أول أمره قد مهَر في اللهو ثم جانَبَهُ بالمرَّة وأقبل على التقوى بصدق عزيمة. وكان لا يلبس الحرير ولا يعْتَم بالوافر من الثياب ولا يطوّل كُمّه، ولا يدع الإتزار على حقويه، ولا يبلغ بالقميص كعبيه، ولا يلبس لباس الشُهرة، واتخذ له على رأسه وَفرة.

وكان يعيب معارف العلماء ويضحك منها ويحض على الحديث، وكان يأتي بالعجائب والغرائب وإذا تصرف في الشعر حَيَّر العقول. ولقد سمع بيتي الشافعي رضي الله عنه؛ وهما:

أذان المرء حين الطفل يأتي ... وتأخير الصلاة إلى الممات
دليلٌ أن محياهُ قليلٌ ... كما بَين الآذان إلى الصلاةِ

فقال رحمه الله ذو الجلال وأبدع:

صلاة الجنازةَ تأذينَها ... بأذنك طفلاً فكن ذا استقامَه
فذاك الأذان وتلك الصلاة ... ووقت الإقامة وقت الإقامَه

والنقل لبدائع روائع أشعاره طويل، ولو رمت أن أترجمه على التمام لجئت بمجلد ضخم. وله مؤلفات حسان[1]. مات بعلة الناصور ولما دنا أجله رأى في منامه كأن المؤلف غفر الله له جاءهُ فقام مسروراً وكتب إليّ وهو آخر شعرٍ قاله رحمه الله تعالى:

رأيتُ لطف الله في نومةٍ ... فقمت بعد النوم مستبشرَا
ولو أتاني شخصهُ يقظةً ... لكنت للراحةِ مستحضِرَا

وجئته رحمه الله فاستراح وأملاني ما قال في تلك الحال، فرحمه الله ورضي عنه.

---

(١) تفصيل أسماء مؤلفاته وأماكن تواجدها، أشار إليها الأستاذ عبد السلام الوجيه في كتابه: أعلام المؤلفين الزيدية ص (٦٥١).

ودَخَلَتْ سَنَةُ عِشْرِيْنَ وَمائَتَيْن وَألْف

فيها: رفع الإمام فتح سعيد عن بلاد بيت الفقيه، وأضافها إلى صالح بن يحيى العُلُفي.

وفيها: عزل الإمام عبد الله بن علي المستكا عن بلاد رداع وعقد لأحمد بن علي بن إسماعيل في شهر جمادى الآخرة.

وفيها: خلع الإمام حسن بن صالح الأكوع عن بلاد أنس لأكله حقوقها كما ادعاه وكيل الواسطة فلما وصل تربص أياماً وفرّ.

وفيها: عقد بها الإمام لإبراهيم بن يحيى بن إسماعيل بن إبراهيم فلم ينضبط له أمر، على أنه صادر أهل يكار[1] في عاشر شهر رمضان ودخل القرية وأحرقها. وقد كانت أذعَنت له البلاد إلا أنه لم يُحسِن تجميلها.

[إخضاع بلاد حجّة]

وفي محرم، بعث الإمام: عثمان بن صالح القرشي على بلاد حجّه بعد أن أبلي ابن حبيش في العام الأوّل، فسار بجندٍ وافر من حاشد وقصدوا قلعة جرافه وذلك لأن حمود بن محمّد[2] لمّا رأى أن الأمور قد تلاشت وضعف أمر المنصور وتسلّط عليه الوزير، فأرسل عليها الشريف محسن بن علي الحازمي في قوم من الموهبة وذلك علىٰ يد يحيى الجَيْشِي[3] رجل يُعد من سقط المتاع كان له معرفة بالزمر وضرب الطبل فاستدعى إليه ناصر بن يحيى الأحمر بعد أن كان قد ذهب إلى حمود وفتح له الطريق وساق الناس إلى جميع جهات حجة. فما زال عثمان بن صالح مناجزاً لمن بالقلعة شهرين وأياماً ثم بعث الإمام أثره عبد الله بن أحمد الشائف بعد أن بلغ انها لم تزل الزيادة من الشريف حمود تتصل والحاشديون قد خادعوا أميرهم عثمان بن صالح وأطلقوا لمحسن بن علي الحازمي الطريق، فما زال الطالع والنازل يذهب إلى حمود ويجيء، ولم يتضيق عليه الحازمي حال إلا في الظاهر، فلما بلغ حاشداً نزول بكيل علموا أن تمهيدهم للبلاد من سعادة جيش بكيل إذ كانت الجمالة مواجهة لبكيل فأصدقت حاشد

---

(١) يكار: المقصود هنا؛ هي قرية من خُمس بني فَضل بجبل ضُوران آنس. أما القرية المشهورة بهذا الاسم فهي تلك التي في قاع جَهران.

(٢) **الشريف حمود بن محمد الحسني التهامي**.

(٣) هكذا ورد اسمه في جميع النُسخ. بينما ذكره الذكتور حسين العمري باسم: الحبشي مائة عام من تاريخ اليمن الحديث، ص (١٣٤). رغم أنه ينقل عن هذا الكتاب. ولكن الأصح هو ما أثبتناه، ليس استناداً إلى ما جاء في نص الكتاب، ولكن لأن آل الجيشي هم عائلةٍ معروفةٍ في بلاد حجة. انظر كتابنا: معجم البلدان والقبائل اليمنية (١/ ٣٨٠).

المضايقة للذين بحصن جرافه[1] ودار الكلام على خروج محسن علي الحازمي في رجب وان يأخذ جميع ما معه ويذهب، ففتحوا له الطريق وتفرق أمر الموهبة ولم يبق في قيد حفظهم محل. وكان الشريف محمد بن مسعود قد طلع في حضرة حمود فتصافوا مع عثمان بن صالح فاشتد عليهم بمن معه من قبائل حاشد وبكيل، ثم غار يحيى بن هادي من قطعته فانفكت المحنة، وتجهزت الجموع إلى حجة كالضلعي وعبد الله بن أحمد الشايف ثم اشتدت وطأه عثمان بن صالح على من بالظهرين[2] فإن أصحابه انتهبوا البلاد وعاثوا فمال الناس عنه، وبلغ ذلك حمود بن محمد فبعَث علي بن حيدر فسار نحو الظّهرين فبلغ يحيى بن هادي الشايف توجهه إليها فخاف وأرسل أثقاله وأهله إلى صنعاء وبقي هنالك ومازجهُ الرعب وكاد أن يدخل مع الشريف غير أنه بقِي بنفسه ليذُبّ عن قطعته. وعاد الأمير عثمان بن صالح حضرة الإمام، وأقام الإمام عاملاً عليها النقيب يحيى الرضي في قبائل من قومه الصَيَد[3] فعلم الجيشي أنه ان تم للرضي السكون واختبر البلاد لم يأمَن على نفسه، فسار إلى ابن شمسان صاحب جبل حجة وكان قد وُهِّب غير أنه لم يتظهر بذلك المذهب فساروه على أن الأولى له الضبط لمعاقل حجة وحفظها وانه ان تسلق لذلك ملكها من بعد فسيّر ابن شمسان جماعة من أصحابه إلى الحِصون فأدخلهم بها، فبعث الإمام رفيقنا القاضي الوجيه عبد الرحمٰن بن يحيى الآنسي حافظاً للمحل ومانعاً من التربشات.

[جماعة شريف مكة يغيرون على الحجاج]

وفي آخر المحرم سارت الحجوج من المصريين واليمنيين والحضارم عن مكة وكان مجموعهم اثنتي عشرة مائة فبغتهم سالم بن شكبان وعثمان المضايفي بجره فباشروهم بالقتل والضرب والسلب ففرّ أولئك لا يجد الرجل منهم ما يستر به عورته، والجموع إذ ذاك حاطة على مكة وقد كَلّ الشريف وضعف فإنه عجز عن دفع من وصل باب مكة من فرسان الموهبين.

[الصراع بين الشريف حمود وأبو نقطه]

وفيها: تضربت أحوال حمود بِن محمد وأبي نقطه[4] وتواصلت كتبهم إلى سعود بن عبد العزيز يشكو أحدهما الآخر فبعث عليهم الأمير ربيع وآخر من أمرائه في جماعةٍ، فساروا على ساحل بحر جُدة لرفع الخلاف بين الرجلين فقصدوا أولاً حمود بن

---

(١) يقصد حصن الجِراف المطل على مدينة حجة.

(٢) حصن في طرف مدينة حجّة. أسفل القاهرة.

(٣) **الصَيَد**: من قبائل خارف الحاشدية.

(٤) الشريف حمود بن محمد الحسني التهامي. وأبو نقطه هو عبد الوهاب بن عامر الرُفيدي.

محمد فسألوه عن شكايته بأبـي نُقطه وذكَر أنه قد أعطى العهد علىٰ السمع والطاعة علىٰ يدي أبـي نُقطه وأنه لا يحيف في عهده ولا يميل عن وُدّه ممتثلاً للأمر في سائر البلاد سائراً في مراضي سعود كيف أراد فشكروا له ذلك وراحوا عنه إلى أبـي نقطة وبطل، لانهما معاً على ساحل واحد. ونفوذ أمر أميرين على محل خراب مُخِل وفساد عائد على سعود، فعاد ربيع في جماعته حضرة سعود وافصح له عن أمر الرجُلين فجنحَ سعودٌ إلى استقلال حمود بأبـي عريش وتهامَة اليمن مدافعةً للشر وخوفاً من تفاقم الأمر، لعلمه أن أبا نقطة من خالصي أصحابه ومن المتابعين له الملازمين لعتبات بابه، وتعقب ذلك أن طلب سعود حموداً وأبا نقطة فلم يأمر حمود على نفسه فأرسل الحسن بن خالد، فَسَار وأبدى له عن حمود الإعتذار وعاد.

[من وقعات علي حُميدة شيخ باجل]

وفيها: سار على حميدة على الأمير فتح سعيد متولي بيت الفقيه مناجزاً فكان بينهما حرب حار بعث فيه فتح سعيد بأربعة رؤوس باب الإمام.

[الشريف حمود يبعث بمجموعة جواسيس]

وفي صفر منها وصل ستة نفر من عبيد الأشراف على فرسانهم أفراسهم يشكون ضيق الحال بأبـي عريش وعموم القحط بجهة التهايم، وظهر بعد مسيرهم أنهم جواسيس لحمود بن محمد.

[اضطراب سعر الصرف]

وفيها: اضطربت أحوال التجار باليمن كله بسبب السكة لقلة فضتها وكثرة النحاس بها، وبلغ صرف القرش ثلاثمائة وخمسين حرفاً. وفي اليمن الأسفل بلغ أربعمائة وخمسين حرفاً، فما زال الصرف كل شهر ينمو ولم يقض الإمام للناس وطراً غير أنه تركهم يتعاملون به كيف شاءوا.

[الشكوى إلى الباب العالي من صاحب نجد]

وفيها: في شهر صفر سارت آغوات المدينة مع حاج الروم وقصدوا القسطنطينية يشكون تسلط صاحب نجد عليهم وأخذه للمدينة والهبوا بأن ذكروا ومجّوا اسم السلطان من الخطبة، غير أنه لم يرفع السلطان إليهم رأساً.

وفيها: اشتدّ الأمر بعض شدة فدخل آل المنصور بالله الحسين علىٰ الإمام يشكون ضُعفهم وحالهم وقلة ذات أيديهم ويفصحون له بأن أموالهم قد تسلط عليها الوكلاء فأكلوها فأودعهم الإمام السجن ولم يسكت إلا عن القليل النادر منهم.

[موالاة قبائل يام في حراز للإمام]

وفيها: جنح علي محمد شبام ومن والاه من قبائل يام على موالاة الإمام، وأفصحوا عن نزولهم من الحصون مكراً منهم وخداعاً، فتسلم منهم الأمير يحيى بن محسن حنش رهائن وصولحوا على ثلاثة عشر مائة قرش.

[عمارة دار جامع صنعاء]

وفيها: اشتغل الإمام بفتح عمارة دار الجامع بصنعاء، فهدم ما يلي القبلة منها واجتهد في اشادتها وأخرب خانات الوقف وأعادها تحت الدار مما يلي القبلة، وهدم قبة عابدين وكانت على قبور وأخرج عظامها وبنى محلها مفرجاً وقال الناس في ذلك وقالوا.

[تعرض بعض آل القاسم للسلب]

وفي سادس صفر خرج إسماعيل بن عباس بن إسماعيل بن محسن بن المتوكل وإبراهيم بن محمد بن يحيى بن الحسين بن المهدي صاحب الغراس[1]، وهما من اعلام آل القاسم. فقصدا جبل نقم[2] فلقيهما بأسفله رجلان من ذو حسين كانا سَايَراهُما من صنعاء فرجماهما وسلباهما ففرّا بعد ذلك، ومات من آخر ذلك اليوم إسماعيل بن عباس وأهدِر دَمُه خوفاً من صائلة ذو حسين، ثم تسلّم الإمام لإخوته مائتي قرش أرسلها إلى حاكم الشريعة.

[يام تعتدي علىٰ تربة ابن عُجيل]

وفيها: خرجت طائفة من يام وقصدوا تهامة ومروا بباب الحديدة وساروا إلى تربة أحمد بن العُجيل ثم إلى لعسان وحدود رَيْمه فافسدوا، وطلع جَمْع منهم إلى حراز خوفاً على قطعتهم من يحيى بن محسن حنش فوصلوا إلى علي محمد شبام وهو بـ (عتّاره) فضاق الأمر علىٰ يحيى بن محسن إذ كان قد حشد علي من بالحصون وأخرج من بحصن الظلفاع وحصن العِزّ وأرسل بجماعة من يام إلى باب الإمام، فبعث الإمام له زيادة عوضاً عمن طلع من حضرته حسبما قدمناه في العام الأول. وكان على هذه الزيادة محسن بن محسن حنش فما وصل حتى قيل له لو تقدمت لما حصل على أخيك ما حصل، فاستفصل الخبر فإذا هو بأخيه في قيد الأسر. وحاصل ما جرى عليه أن علي محمد شبامٍ ما زال يعمل المكر به ويخادعه ويعده بالطاعة ويمنيه، وكان قد أرسل من حصنه رسلاً إلى نجران يطلبهم للغارة ويلتزم لهم بالغرامة وتحمّل ديات قَتلاهم واحتمل

---

(١) **الغِراس**: من قرى بني الحارث في شمال شرق صنعاء بمسافة (٢٥) كيلومتراً.

(٢) **نُقُم**: هو الجبل الشامخ علىٰ مدينة صنعاء. حيث تقع المدينة في سفحه الغربي.

بما ينوبهم، فخرجوا وغمروا بمقصدهم تهامه حسبما قدمناه قريباً، وطلع منهم خمسمائة إلى قرية عتاره فعقدوا الأمر على الفتك وتفرقوا فرقاً وقصدوا مراتب يحيى بن محسن الثلاثة: الظلفاع والعِرّ ونوبة ثعيل.

فخرج فهزمهم وقتل منهم فعادوا إلى عتّارة وأظهروا التفاوت بينهم وبين علي محمد شبام، وتناجوا بينهم وجاءهم كتاب من الشيخ القمري وحسن إسماعيل وكانا عند يحيى بن محسن يخبرانهم بأنهم رأوا من يحيى بن محسن شدة عُظمى أوجبت له الأمن وحملته على التساهل بحصن الظلفاع وأنها لمّا كانت بهم هذه القتلة وأد أَمْنُهُ والتَزَمَا لهم بإِدْلائِهِم إلى حصن الظلفاع على الحبال فجاء النذير إلى يحيى بن محسن فلم يصدق ذلك لِمَا رأى من ذلّهم ورهبتهم له، وحذّرَهُ القاضي محمد بن أحمد الغشم من التفريط في التحريص فلم يسمع كلامه ونام الجيش ومَنْ بالحصن ولم يبق سوى المشائخ فإنهم احتفلوا وأَدْلوا جماعات (يام) ولم تشعر القبائل الإمامية والأمير يحيى بن محسن إلاّ بشفار يام على الحصّن وهم يقولون: مذبوح يا مذبوح، وكان فيهم النقيب جابر بن مانع والنقيب عبد الله بن نصيب بن نايف وغيرهم من أكابر القبيلة. فاشتد الناس وأرادوا الخروج فإذا الرصاص إلى أبواب البيوت والأماكن، فقتلوا عدّة من أصحاب يحيى بن محسن وانحاز بمكانه وكان قد أراد الخروج منه والذهاب إلى البيت الذي به القاضي لحصانته فرأى سَبْعةَ نفر بباب مكانه قُتَلاء، منهم صالح بن ناصر وابن السنة وهما كبيرا ذو حسين فانسلّ من طاقةٍ هنالك وخرج بزقاق إلى بيت القاضي وانثال إليه جماعة من أصحابه، وعاتبه القاضي على تفريطه بعد ان كان قد حذره ولسان القدر يتلو عليه:

وإذا حـذرت مـن الأمـور مقـدراً وفـررت منـه فنحـوه تتـوجَّـهُ

ولمّا ضاقت النفوس واشتد الحرب والبُؤس وذهب من الطائفتين الرؤوس طلب جُند الأمير يحيى التأمين ونصبوا ليام الراية وطلبوا العهد على أن لا غدر ولا خداع. فانثال جماعة يام إلى بيت القاضي وتسلّموا جميع ما في الحصن من متاع وقُرَاش وفراش ومال، واقعد كل رجل من أصحاب الدولة إلى جانبهِ رفيقاً من يام ودار بينهم العتاب وأظهرت يام الغلظة والشدّة في الكلام ثم طلبت خروج جند الدولة عن الحصن فقاموا ليخرجوا فوجدوا قبيلة يام قد صفت صفين وشهروا السيوف من الجانبين وخرج الكل من تحت ظل السيف حقيقة، وأنزلوهم إلى حصن كاهل فأرادوا الذهاب فأضافتهم قبيلة يام تلك الليلة ثم سيروهم من الغد واستفاضوا على جميع البلاد.

وسار يحيى بن محسن بمن معه إلى أخيه محسن بن محسن. وكان قد وصل

حصن شارقة[١] وقد حلم الأديم فذل من تحت محسن بن من قبائل ذو حسين لمّا رأوا بمن هم له زيادة، خلا أنهم ثبتوا على حصن (شارقة) وأخرجوا من به واتخذوه لهم حصناً، كل ذلك خوفاً من خداع أهل المحل لهم. ثم جاءه الرفع من الإمام فراح عن بلاد حراز بعد أن تفرق جيشه وذهبوا أيدي سبأ ولم يبق إلا في نفرٍ يسير من عقال بكيل وبعض الأفراد، فطلع إلى حجرة الحَيْمه[٢] منكسر الخاطر وبقي بها يومان وسار عنها فلاقىٰ قبائل همدان في بَوْعان[٣] فنهب أصحابه عليهم حمايل فالتف عليهم نحو ستمائة من همدان، فعاد الأمير يحيى بن محسن على أصحابه باللائمة فارجعوا ما نهبوا، فظنّ أهل همدان أن ذلك لذلٍ منهم فتحزّبوا وصفّوا، فانخزل من أصحاب الأمير يحيى مائة من ذو حسين وكروا على همدان فقتلوا سبعة نفر منهم وسلبوهم بنادق وسلاحاً وأصيب خمسة نفر من أصحاب الأمير يحيى ثم نهض من هنالك فوصل حضرة الإمام.

وافسدت قبائل يام ببلاد حراز فساداً عظيماً، وعدى جماعة منهم علىٰ من بالحصون ممن هو لَهُ موالاه مع الإمام وهو الشيخ علي بن يحيى الريمي شيخ اللّكمه[٤] فإنه خرج من حصنه وكذلك أهل الثلث[٥] فإنهم أصدقوا الوضع في الحرب وطلع الريمي شيخ اللّكمه الظلفاع وناوش حرباً وقتل جماعة وحزّ أربعة رؤوس وبعث بها إلى باب الإمام، وانتصرت قبائل حراز على يام.

[الشريف حمود يغزو بني قيس الطَوْر]

وفيها: طلع الشريف في قلةٍ من قومه إلى محفاة أطراف بني قيس[٦] فرأى كبير بني قيس وهو حسن بن سليمان القيسي أموراً أنكرها علي حمود فبعث إلى الإمام كتباً تخبره بسهولة الظفر على الشريف واشترط عليه الإعانة بالمال والرجال، فلم ترفع الدولة إليه رأساً فصادره بأهل البلاد حتى تكدر علىٰ حمود الحال فعاد.

---

(١) **شارقه**: حصن وقرية في منطقة بني مُقاتل من أعمال مديرية مناخه.

(٢) **الحجره**: قاع فسيح من أعمال الحيمة الخارجية، يشمل مجموعة قرى ومزارع ممتدة من سفح جبال مخلاف مذيور شرقاً وتنتهي غرباً بجبلي حَراز وعَانِز. وعليه اليوم طريق السيارات النافذة من صنعاء إلى الحُديدة.

(٣) **بَوْعان**: من قُرى بني مَطر في شمال الحيمة الخارجية. تخترقها اليوم طريق السيارات المشار إليها آنفاً، وتبعد عن صنعاء ـ غرباً ـ بمسافة (٣٠) كيلومتراً.

(٤) **اللّكمه**: من قرى اليعابر في شرقي مناخه.

(٥) **الثلث**: مركز إداري من مديرية مناخه، يضم مجموعة قرى منها العِرّ.

(٦) **بني قيس الطَوْر**: في الشرق الجنوبي من الزُهره.

[شيخ باجل: علي حميده يواجه قبائل يام]

وفيها: عدَى علي حميده على جماعة (يام) الذين قدّمنا ذكر نزولهم تهامة قريباً فتصافوا وظفر ببعض ما أجلبوا به من النهب.

[قبائل الدواسر تنهب في تهامة اليمن]

وفيها: انبثق بحر رجال الدواسر والعجمان وأهل الحجاز وجماعات من المدنيين وسالَ سَيْل أولئك إلى تهامه، فحوّزوا بيت الفقيه وزبيد وبلغوا إلى باب المخا فنهبوا من سائر المحلات.

وفيها: نزل جمع من الموهبة فضايقوا مكة والمدينة وقطعوا عنهما الميرة حتى بلغ القدح الطعام عشرة قروش فرانصة.

وفيها: في شهر ربيع الآخر تتابعت الأمطار وكثرت السيول ونزل خامس شهر جمادى الأولى سيل عظيم من الردمية غربي صنعاء[١] فتوجه إلى باب مسجد النزيلي وانصبّ إلى شراره[٢] فملأها، وجال هنالك حتى دخل باب السبح وتراكم، ومنفذه من بير السري فانحدر نحوها فخرب هنالك بيوتاً كسر الدائر الحائل ونفذ من باب مسجد أبي شملة وضرب جدارات كثيرة. وسالَ حتى بلغ غربي الروضة وبقي بتلك السوائل ثلاثة أيام. وهلك بشراره منه ثلاثة من اليهود.

ثم عقبه سيل نزل من جبل نقم وحط المطر على صنعاء ذلك اليوم فسَالت شوارعها وبلغت إلى باب شعوب فاجتاح عتبته السفلىٰ وسار بها إلى قريب الجراف، وخرب ما مرَّ به من البساتين وخدّد أخاديد. وكذلك الخارج من باب اليمن اجتاح عتبته السُفلىٰ وتلقاه النازل من نُقُم بالمحاريق[٣] فاخرب ستة من بيوت أهلها ولم يأت رجل إلى صنعاء إلاّ حدّثَ بالجُود والحمد لله تعالى.

[سجن أمراء الرّحَبه آل دُغَيْش]

وفيها: ظفرت الدولة على بيت دُغَيْش أمراء الرحبة بقرية عُلمان اسفل وادي ظهر، وأدخل الشيخ حسين دغيش في جماعة من أصحابه إلى باب الإمام وأحضر السيف وحي بهم إلى ديوان الشريعة فعوتبوا على تحكيمهم الطاغوت ونَبْذ أمر الإمام، ثم أودعوا السجن.

---

(١) هي منطقة بني رَدَم.

(٢) المقصود بشرارة ما يقال له اليوم: ميدان التحرير في وسط مدينة صنعاء. وفي شمالها الغربي يقع مسجد النزيلي، الواقع خلف المتحف الحربي.

(٣) **المحاريق**: منطقة في شمال باب شعوب.

[مقتلة لقبيلة يام حال نزولهم من حراز]

وفي آخر جمادى الآخرة سار جماعة من يام الذين كانوا بحراز فبلغوا إلى الحديدة فدار كلام بينهم وبين عامل الإمام بها في الذب ومنع الموهبة ومن يلوذ بحمود من النزول إليها والسعي في إصلاح الطرق وعلى أن يستنزلوا أصحابهم من حراز على أداء مالٍ معلوم، وسار جماعة منهم وكانوا نحواً من ماءتي نفر وخمسة وعشرين، وكان الأمير صالح بن يحيى قد أمرهم أن ينزلوا جماعاتهم من حراز فصادفوا غازية من الموهبة ما بين قرية القطيع وبندر الحديدة فتصافوا للقتال ودارت رَحَى الحرب بينهم واشتد الطعن والضرب فدارت على الموهبة، ولزم كبار يام منهم ستين أسيراً فسلبوهم مع غيرهم من الفارين بنادق وسلاحاً فقادوا سبعين مطية كانت الموهبة حمّلتها الأزواد وأخذوا فرساً جواداً من فرسانهم، وعُقِرت فرس للنقيب صالح بن قطيع اليامي وعادوا.

واجتمعت يام باجمعها وتلاحق من كان منهم بحراز وبقاع تهامه ومن في حواز الجبال، وأداروا الكلمة مع الأمير صالح بن يحيى فسيّرهم مع حسن بن حسين لحصار باجل فساروا فحاصروا به على حُميده ومن معه من الموهبة شهر شعبان بكماله فرموه بالمدافع فلم ينجع فيهم ذلك.

وكان على حُمَيده قد استنجد حموداً في ذلك الشأن وسأله المبادرة عليه بالغارة وإلاّ ذهب، وذهب من عنده فسار حمود في قومٍ واسعة وخيل كثير فكان مقدار مَن خرج به من الموهبة نحو سبعة آلاف وتبعه من أصحابه الذين صافاهم من ذو محمد وذو حسين وحاشد وسفيان ثلاثة عشر مائة، والتفّت عليه الفاف من أهل الشام والمشارقة وقبائل تهامه وكان صالح بن يحيى إذ ذاك بالحديدة رداً لحسن بن حسين ماداً له بالمال والرجال وفئةً لمن فرّ من الأهوال، فقامت الحرب بين الفريقين يوم الربوع خامس شهر رمضان فانكسر مركز الشريف حمود في ذلك اليوم لشدة ما لا قوه وصادروه من جند الدولة ولم يبق سوى حمود بن محمد في جماعةٍ من ذو محمد وذو حسين كان يكرّ بهم مرّةً ويفر أخرى فلما اشتدت الابطال من يام على حمود ومن معه انكسروا وفروا نحو حصن باجل بعد أن رأى من قَتلَى قومه ما يهيل فإنها حصرت القتلىٰ الذين ظهروا في يومهم سبعمائة نفس من جميع القبائل التي كانت معه. وبعث صالح بن يحيى إلى باب الإمام ثلاثة وأربعين رأساً فقلت عند أن رايتها: فتح الله للإمام بلاد التهائم، فكان ذلك تاريخاً. وعُقِرت فرس حمود تحته، وأخذت خمس خيل من فرسان أهل الشام وفرسين من فرسان آل جزيلان وفرس ناصر بن غنام وفرس من أفراس أهل الشام وفرس أخرى. واستولت يام على سوقه وسياقه جميعه وأتوا على متاعه وخيامه فحازوها وظفروا بخزانته من الباروت والرصاص والمال.

[نجـاة حمـود]

ولمّا تفرقوا حملوا المال بعد أن ذهب منه ما ذهب وكان مقدار ما اقتسموه خمسة وعشرين ألف ريال، ولم ينج حمود إلا بما عليه من الثياب واللأمة، وأسرت يام أسرى من جنود حمود. هذا كله بعد أن رأوا قتل كبيرهم عبد الله بن نصيب وابن عم جابر بن مانع وأخذ خيلهم ودروعهم وكانت في أيدي ذو حسين أصحاب الشريف، وأصيب الأمير حسن بن حسين برصاصة انحسم بعد ذلك جرحها، ودارت جموع يام في أصحاب الإمام علي حصن باجل[1] وحصروا الشريف حمود فيه خمسة وعشرين يوماً، فكاتبهم الشريف وبذل لهم ولراشد بشير المكرمي عشرين ألف فرانصة فتسلموا منها إذ ذاك تسعة آلاف فرانصة، ولمّا رأوا ما حازوه من الغنيمة خادعوا أميرهم حسن بن حسين وأظهروا له المسير بلادهم نجران، ولم يثبت على أمره سوى جابر بن مانع وحسن بن نصيب وبعض عقالهم، فجعلوا هدنةً عام، واشترط حمود في الهدنة ارتفاع حسن بن حسين وعلىٰ أن يكون لحمود من القحرا وما يليها من جهات الشام وللإمام من العبوس وما يليها من جهات اليمن[2]. وسارت قبائل يام وتحوّل الأمير حسن بن حسين بمن معه فحط في القُطَيْع.

ولم يبق حمود على تلك الهدنة بل بدا له تغييرها بعد ثمانية أيام إذ كانت الموهبة قد الزمته أن لا عهد لأولئك ولا ذمة، فسيّر يحيى بن على فارس على العبوس فسار إليه الأمير حسن بن حسين بقوم غير كثير إلى العبوس فقامت الحرب بينهما ودامت مراراً وأياماً وكانت تنكسر المجامع النجدية مرة بعد أخرى، وقتل من أصحاب يحيى بن علي فارس عدة، وبعث الفقيه صالح بتسعة رؤوس إلى باب الإمام، وأرسل حمود كتاباً يعتذر فيه أن ذلك من غير أمره وأنه باقٍ على ما بينه وبين صالح بن يحيى بن الهدنة. ولم يظهر في جند الإمام قتل لأن الأمير حسن بن حسين كان يأوي إلى ركنٍ شديد معقل الشيخ علي الجماعي والهيجه، فكان بسبب ذلك يقع العذر بأصحاب يحيى بن علي فارس. وعُقِرت خيل كثيرة من خيل الشريف، وقتل جماعة من العبوس[3] لشدة مباشرتهم وخروجهم على أوائك المرّة بعد المرة.

ثم جاء السيد محمد عقيل صاحب ظفار العلوي فأعاد شرع الهدنَة على عام،

---

(١) حصن باجل: هو الواقع أعلا مدينة باجل. حيث تقع المدينة في سفحه.

(٢) بلاد القَحرى من أعمال باجل في شرقي الحديدة وبلاد العبوس من سفح جبل بُرع إلى ساحل البحر، تتصل بها من شمالها بلاد القحرَى.

(٣) يرجع العبوس إلى قبائل علك.

وسلّم تجار الحديدة ستة آلاف فرانصه لأنهم هم الذين طلبوا الصلح والهدنة، وسار حمود بن محمد إلى الشام ولم يلبث في هدنته بل جاءته الطوائف النجدية تحضّه على الخروج، فخرج بعد ثلاثة أشهر من يوم الهدنة فكان ما سنقصه عليك عام إحدى وعشرين إن شاء الله تعالى.

[سيف الإسلام يتلقى رسالةً من العلامة محمد عابد السندي]

وفي آخر شهر جمادى الأخرة، من هذا العام، وصل كتاب من رفيقنا الشيخ محمد عابد بن أحمد بن علي السندي[1] إلى سيف الإسلام يتضمن رؤيا للإمام، وبعث بها إلى ولده سيف الإسلام قال فيها: الباعث على تسطي هذه الأحرف أن الحقير قد كان ليلة من الليالي كثير الاهتمام من أمر المخافة الحاصلة من البغاة فكنت في خلال ذلك حتى غلبتني عيناي فرأيت قصراً عظيماً مزيناً خارجه بنقوش الذهب لا يتمكن الناظر من رؤيته عند شدة لمعانه حين غشيان الشمس عليه فقلت لمن هذا القصر فقالوا لمن يعينه رسول الله ﷺ فبقيت منتظراً حتى رأيت أقواماً قدمت ورأيت النبـي ﷺ في أثرهم فنزل مع تلك الأقوام في فناء القصر وحان وقت صلاة الظهر فأذّن مؤذن وأقيمت الصلاة فكأنه ﷺ سُئل هل تؤدَى بكيفية صلاة الخوف؟ فقال لا ذهبت المخافة وجاء الأمان فلما فرغ ﷺ من صلاته أقبل على الرحيل فتقدم إليه أبو موسى الأشعري وكأني سألت عنه في المنام فقلت: من هذا؟. فقالوا: هذا أبو موسى الأشعري، فقال: لمن تعيِّن هذا القصر يا رسول الله؟ فأمر ﷺ بأن تعرض عليه الأمم فعرضت عليه أقوام حتى مرَّ رجل عظيم فقلت من هذا؟ فكأنه قيل ملك الروم وكأنه ﷺ خوطب من أجله فظهر لي من لفظه الشريف كل حزبٍ بما لديهم فرحون حتى مَرّ عليه رجل فيه دَنَاَه من أجل هيبته وله جلال من قومه، فقلت: من هذا؟ فكأنه قيل شريف مكة وكأنه ﷺ أعرض عنه ولم يلتفت إليه حتى مَرّ رجل من أقوام لم يكن مجتمعة بل مشتتة فقلت: من هذا؟ فكأنه قيل بأنه معوّد وكأنه ﷺ لم يتوجه إليه أيضاً حتى مر رجل شديد احمرار الثياب مع جلاله فقلت من هذا فكأنه قيل الشريف حمود فأمر ﷺ أن لا يترك فبقي في صورة الأسير حتى مرّ رجل عظيم

---

(١) وصفه عمر كحّاله بأنه: حافظ، فقيه، عالم بالعربية. قال: ولد في السند، ونشأ بها، وقرأ علىٰ علمائها، ثم هاجر إلى بلاد العرب مع أهله، وأقام بزبيد وولي قضاءها، ودخل صنعاء، ومكث بها برهة، ثم ذهب إلى مصر فأكرم وفادته محمد علي خديوي مصر، ورجع إلى الحجاز وولاّه محمد علي رياسة العلماء بالمدينة، وتوفي بها سنة (١٢٥٧هـ)، ودُفن بالبقيع. من تصانيفه: شرح تيسير الوصول إلى أحاديث الرسول لابن الديبع، شرح بلوغ المرام لابن حجر لم يكمل، المواهب اللطيفة على مسند الإمام أبـي حنيفة. معجم المؤلفين (١٠/ ١١٣).

وأشار زَبارة. نيل الوطر (٢/ ٢٨٠) قال: وهو غير الشيخ محمد عابدين محمد بن حياة السندي المكي أمير المتطوعة في جهاد الفرانسة المتوفى بمكة سنة (١٢١٣هـ).

مع أقوام كثيرة فقلت من هذا قيل لي ذلك ملك الأعاجم وكانه ﷺ خوطب من أجله فظهر لي من لفظه الشريف ما ظَهر في ملك الروم حتى مر رجل متوج بتاج مع أقوام من عشيرته إلى أن قرب من النبـي ﷺ فأخذ بيده وأجلسه عن يمينه ورأيت كأن التاج انتقل إلى النبـي ﷺ حتى مضت الناس فقلت من هذا؟ فكاني قيل لي ألم تعرفه هذا ملك اليمن فقربت عند ذلك حتى رأيت وجهه فإذا هو سيدي المنصور حفظه الله وأبقاه، فلما فرغ ﷺ أخذ بيده وأدخله القصر وكأني مع النبـي ﷺ في صورة خدام حامل لشيء من أشياء النبـي ﷺ وكأنه العَصَا والله أعلم، فلما دخلت معه ﷺ وجدت القصر مفروشاً بأنواع من المفارش حتى دخل مكاناً وسيعاً مفروشاً بأقسام من الديباج ورأيت مرتبة عظيمة فأمر النبـي ﷺ بلفظه الشريف: أصعد يا منصور وأثبت على الأمر ثَبّتك الله، فوالله هذا لفظه ﷺ وصَرف جماعة من الصحابة بأن يبقوا لديه حامين له منازعين مَنْ نازعه، ثم توجه النبـي ﷺ مع من بقي من الصحابة وبقي حمود مأسوراً معهم، فاستيقظت من النوم والمؤذن في أذان الفجر اسمع يقول: الله أكبر، فزدت فرحاً إلى فرحي واستبشرت لهذه الرؤيا غاية الاستبشار فقد ورد: من رآني فقد رأى الحق، وفي رواية: من رآني فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثّل بـي.

وكانت هذه الرؤيا ليلة الجمعة، فلما كان ادخال الفرح في قلب المسلم من أكثر المثوبات ما وسعني إلاّ رَقْم ما رأيته حتى تطلّعون عليه وتبشرون به سيدي المولى حفظه الله. انتهى الرؤيا بكماله وإنما أوردتها لجلالة الرأي وعلمي بتجريد الصدق. وقد صحبنا دهراً طويلاً ورافقنا في القراءة على شيخنا البدر الشوكاني وحججت مع الرأي عام ست عشرة ومائتين وألف فلاقينا الشيوخ واستجزنا إمام الحرمين الصالح بن محمد الفلاني المغربـي وأجازني واياه إجازة عامة، ورأيت إمام الحرمين يَجُلّه ويدنيه من محله لشغفه بالكتب الحديثية وشغلة رفيقنا هذا بصحيح أبـي عبد الله البخاري وتحرّيه لاتباع الدليل مع تظهره بتقليد الإمام أبـي حنيفة.

ولهذا الرأي سيَادة في الناس ووجاهة، رأيت سيف الإسلام يدنيه منه ويقرّ له بالمعرفة الخارقة في الطبّ، واستمع عليه سيف الإسلام صحيح أبـي عبد الله البخاري في جماعة.

وللمترجم له معرفة بصحيح البخاري كاملة فإنه ألف في مكرراته مؤلفاً بديعاً حسناً تلقاه الناس بالقبول وسمّاه (منحة الباري بمكررات أبـي عبد الله البخاري) فجاء بما عجَّب، وتناقله الناس في حياته. واشتغل بجمع الأمهات السّت في مجلد واحدٍ، ونسخ فتح الباري بشرح البخاري في مجلد واحد، ولمّا أكمل الأمهات جمع الأعيان من أبناء الزمان لذلك الشأن وأظهر السرور، وكذلك فعل عند اكماله لفتح الباري. ورغب فيه

الإمام المنصُور وجَمّل موقفه به وهو مع هذا إن وردت عليه أيام الحج لم يصبر عن السَّفَر إلى بيت الله تعالى، فحج نحواً من ست مرات.

ولا يزال ينتقل في التهائم والجبال شديد الأنِفَة قريب النفرة فيما يسوء، موقفِه محط رحال لاعلام الرجال، كثير الفوائد مقصود لأهلِ العلل متطبّباً حاذقاً يباشر الدواء في أول الأمر غير النفع العليل ظاهراً ثم يقهقر عنه آخراً.

لــو كــان فيــه ســلامــةٌ مــن حِــدّةٍ   عيــن الكمــال رمتــه مــن اشــراكهــا

وهو أول من أخرج إلى اليمن كتاب تحفة المؤمنين في الطب وقال هو أمتن كتاب في هذا العلم لا يساميه كتاب، وحكىٰ لنا أن مؤلفه خطه بالفارسية وإنما عُرِّب من بعده بأعوام وأنه التزم في المفردات والمركبات لازماً ولم يقلد السابقين في تجريبهم حتى خبر ما جربوه فإن كان صدقاً جزم به وقال مجرب وإن لم يصدق عنده قال جربوه أو قالوا مجرب أو نحو هذه العبارة، وأرانا في آخر كتابه ما ضنَّت به الحكماء ولم يظهروه وكتبوه بالقلم اليوناني ولم يسمح لنا ببيانه حتى وقفنا على ذلك القلم وتعريبه بخط إبراهيم العجمي الخارج إلى اليمن عام أربعة عشرة وهو هذا:

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض

× **بَ**

ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن و ه لا ي

فليحرص الإنسان عليها.

[إضافة وصاب الأسفل إلى أحمد بن علي سعد]

وفيها: أضاف الوزير علي بن حسينٍ الآنسي بلاد وصاب الأسفل (سوق الأحد) إلى أحمد بنٍ علي سعد، فبعث عليها عاملاً جائراً سلب الأموال، وطلب من الشيخ على سعادات مالاً لا يقدر على تحصيله، فبذل له ما يقدر عليه على ألا يصل مقامه، فلم ينجع في رسل أحمد بن علي سعد ذلك وقال: لا بد من وصوله إلى مقامي هذا، فأبىٰ خوفاً من أحمد بن علي سعد فألزمهم وقال: إن لم يأت بنفسه فأتوني برأسه، فامتنع فضربت رأسه وسط السوق. ولمّا بلغ الوزير ذلك أراد أن يعزله فبادر أحمد بن علي سعد بمملوك من مماليكه يحفظ البلاد، فحار الوزير ولم يدر ما يصنع.

[غزوة قبائل نهم إلى نُقم جبل صنعاء]

وفيها: في اليوم التاسع من شهر جمادى الأولى، وصل صباح ليلته جماعة من نهم يقودهم ابن حاتم وأبو لحوم وغيرهما طالبين للجوامك مظهرين للفساد فانتهوا إلى

أسفل جَبل نُقم وتفرقت جماعاتهم، فانتهبوا السفر والخارج من المدينة، ونزلوا على بيوت المحاريق فدخلوها ففرّ أهلها إلى صنعاء وبين المحل قدر رمية سهم، فسيَّر الإمام لمناجزتهم ولديه سيف الإسلام والفخري، فجاءت طريق سيف الإسلام من بير العزب وحاذا داعي الخير، وجاءت طريق أخيه الفخري باب شعوب، فالتفت قبائل نهم وكانوا نحواً من ستمائة وتعلّوا بالجبل وانفتح الحرب فثبت أولاد الإمام ثباتاً كلياً فقتلوا وجرحوا نحواً من الثلاثين، وكانت الدائرة على نِهم، وعاد سيف الإسلام والفخري إلى حضرة الخليفة ببير العزب.

وفرّت نهم من ليلتها قافلةً نحو بلادها، وتجمعوا مع من تخلف منهم، وساروا قاصدين بلاد اليمن الأسفل في خمسمائة مُبندَقاً، فوصلوا بلاد يريم، فجاءهم كتاب من أحمد بن علي سعد يستفهمهم، هل نزلوا بإذن من الإمام؟

وإن كانوا نزلوا من ذات أنفسهم فالرأي رجوعهم قبل أن يحق عليهم كلمة العذاب، فسكتوا عن الجواب، ووجّهوا جهة سُماره فوقع حرب بينهم وبين رتبة سُماره وساروا حتى بلغوا رباط المعاين[١] فخرج لهم مأمون الحَبشي متولي بلاد جبلة فصادرهم بالحرب، ثم ورد كتاب من أحمد بن علي سعد يستدعيهم لبعض شأنه فبادروا، وحثوا السير، فصعدوا المصنعة[٢]، فطلب المشايخ منهم، وألبسهم أغلال الحديد، وأودعهم السجن وحلف بالله، إن لم يرجعوا قومهم إلى يريم ليضربنّ أعناقهم، واستعطوه فأعطاهم، فسيّروا قومهم حتى إذا جاءت كتبهم من يريم فك أغلالهم وسيّرهم فساروا إلى أبـي حليقة وقد عاد من عتمة إلى بني غُصين من بلاد آنس[٣]، فزادت قوته بهم، فسار بهم إلى حضران محل آل راجح، وسيّر ابنه إلى أسلع[٤] فرأى ما منعه فلحق بأبيه، فاشتد أهل حضران على أولئك، وجاء يوم الأحد والعشرين من شعبان كتاب من بيت راجح مصحوب برأسين من قبائل أبـي حليقة، أفصح الكتاب عن خمسة من أصحاب أبـي حليقة واثنين من محل بيت راجح وما زال أبو حليقة حاطاً على إبراهيم الحضراني وبيت راجح وأهل المصنعة.

وفي ثاني شهر رمضان ارتفع عن حضران، ورجع بقومه إلى بني غُصين والمصنعة، وطلع ولده عائداً إلى بلاده بأطماع وافرة، وانتهب السفر بذراع

---

(١) رباط المعاين: هو المعروف باسم رباط الغيثي، وهو في قرية المَعَاين في الضاحية الغربية لمدينة إبّ على مسافة ميل ونصف الميل منها. وقد اتصل به عُمران مدينة إبّ.

(٢) المقصود هنا مصنعة آنس في منطقة الكينعة من مديرية ضُوْرَان وأعمال محافظة ذَمار.

(٣) بني غُصين: من مديرية ضوران وأعمال آنس.

(٤) أسلع: قرية في منطقة السُلَف بمديرية ضوران آنس؛ قريب من الأحصم.

الكلب)[1] وأخذ منه نحو خمسمائة رأس غنم فتلقاه القيرى في مائة نفر، فخشي على الأطماع، فوجهها مما يحاذي بلدة الكبس، ونفذ مناجزاً للقيري فقتل رجل من بني جَبْر وأصيب عبدٌ للقيري.

[حـوادث متفرقـة]

وفي هذا اليوم بنفسه وصل يحيى بن صالح بن عفرا صاحب وادي خَبّ وقد عاهد سعوداً، ودان بما دان به من تكفير أهل القبلة، ولكنه رأى فترة من قومه وميلاً عن صاحب نجد فسارع إلى باب الإمام وعقر ثورين على عرف القبائل واستعطف الإمام في حقوقه.

وفيها: أعاد الإمام وساطة عمران وحجّة لوزيره علي بن حسين الآنسي.

وفي: شهر جمادى الآخرة كسر الإمام السكة، وأخذ على الناس المعاملة بضربة أخرى.

وفيها: أخذ أبو حليقة مصنعة آنس، واستقر بها أياماً، وخرج عنها وراح إلى بلاد عتمة، وانتهب جماعات ومن ببعض حصون آنس قتلوا أربعة من أصحابه، وأصيب أحد أولاده فيها في آخرين.

وفي: خامس شهر رجب وصلت قبائل ذو محمد، حطّوا رحلهم ببيت الخولاني باب صنعاء، وكان الإمام قد أناطهم بالوزير علي بن حسين الأنسي فما زال بهم في مداراة إلى يوم حادي عشر رجب، وأدخلهم صنعاء، فتعقب دخولهم وصول جماعة منهم حطوا ببيت الخولاني في قبائل من ذو حسين، وأدخلوا.

وفي: يوم السبت عاشر شعبان، ارتجم قبائل ذو محمد بباب الإمام ببير العزب باب دار خليل، كل ذلك على التقدم لفصل الحقوق فخرج سيف الإسلام فسكنهم وأدخلهم على الإمام، فغل منهم بالحديد اثني عشر رجلاً وأودعهم السجن.

وفي يوم حادي عشر خرج أكثر ذو محمد مفاوتين، وقصدوا طريق اليمن الأسفل، وتنكّبوا لِما يعلمونه من وصول العامل أحمد بن علي سعد، فعدلوا من طريق القَرَش، فانتهى بهم السير إلى حراز، وتبعتهم جماعة من أصحاب محمد بن صالح جزيلان المحمدي، فأنست بهم الرعية لما وجدوه من عبث يام بهم.

وفيها: ظهر من مظاهر الحي القيوم الفَنَاء بالتهايم وحواز الجبال وباليمن الأسفل وما يقاربه لبلاد يريم وذمار، وخلت البيوت فكتب إليّ بعض أهل ذمار أنه عَدّ من بلدته

---

(١) لعله بيت الكلبي. قرية في عارضة ضوران.

الأموات إلى آخر جمادى الآخرة، اثنتين وعشرين مائة نفس ما بين رجل وامرأة.

وفيها: جاءت الأخبار بأن سعوداً طلب قبائله، وأمراءهُ الذين كانوا بباب مكة في حصارها، فطلب عثمان المضايفي من غالب بن مساعد فلم يهادنه.

وفيها: سيّر الشريف حمود: علي بن إسماعيل بن علي بن أحمد بن قاسم وأخاه عباس بن إسماعيل إلى مخلاف شَمْر، فاجتمعت عليهم من قبائل الأهنوم وغيرها، نحواً من اثنتي عشرة مائة، وقام الهاشمي أحمد بن المخنجف بالشرف الأسفل، وجمع قبائل آخره، فأجابته منها أسلم ومسروح والجرابح وصليل، وقصدوا علي بن إسماعيل، فقتلوا من أصحابه أربعة عشر نفراً، وأصيب ثمانية وولّى كل مَن هو على رأي حمود، فانكسر أمر علي بن إسماعيل.

وفيها: في رَجب انتصف الشيخ أحمد الحيمي صاحب هَوْزان من أعمال حراز على قبائل يام، فصادرهم لمّا قصدوا زرائعه حرباً حاراً، فاحتز ثلاثة رؤوس وبعث بها باب الإمام وهو بدار الصافية من بير العزب.

وفيها: توجه النعمان[1] بن الوليد من حضرة سعود بن عبد العزيز إلى نجران فحط على المكرمي ببدر، فبعث المكرمي إلى الوادي مستغيراً، فجاءته الغارة وتصافوا للحرب، فانكسر جمع النعمان وولّى مدبراً، بعد أن أخذت يام أكثر أمتعتهم وأسلحتهم وكانوا قد بعثوا إلى من بنجران وتهامة من يام، وكانوا قد تأهبوا للمسير فجاءهم الخبر بالنصر وكرّت جموع أخرى على نجران، وتملكوا ببدر محلاً، وعمروا به درباً عظيماً، وعاهدوا الله أن لا خرجوا منه حتى تذعن تلك الجموع من نجِران للدخول في الدين، وما زالوا به حتى كانت الفتنة بينهم وبين أهل نجران في العام الآتي.

[فساد خولان]

وفيها: خرج ابن فرحان صاحب بني شدّاد[2]، فجاءت طريقه على اليمانية، فتلقاه الشيخ القِيَري ـ بكسر القاف وفتح الياء المثناة من تحت وكسر المهملة ـ وأولاد الشيخ قاسم الصوفي، فسألوه عن مقصده؟ فغمَّر عليهم فقالوا: لا بد ما تفصح لنا عن خبرك، فَدَرْك الطريق وحفظها علينا، فإن كان مطلبك اليمن الأسفل حضرة أحمد بن علي سعد خلّيناك وشأنك، وإن كنت تريد بلاد آنس أو عتمة فلا نأذن لك ولا نفتح الطريق، فكذب وصرّح بأن مقصده اليمن الأسفل، ففتحوا له الطريق، فقصد بلاد آنس وانتهب (أَسْلَع)

---

(١) **وردت في «أ»**: النعمي.

(٢) **بني شدّاد**: من قبائل خولان العالية في مشارق صنعاء.

وطلع إلى حمير[1] مظهراً أن عندهم له مقاتيل، فانتهب وسلب وعاد، فتلقاه القيري وأولاد الصوفي، وقالوا له: إن كان لك محبة في السلامة، تركت ما أخذت ورحت وقطعت عن أمَلك المسير بعد هذا من بلادنا وإلا قامت الحرب بيننا، فرأى أن لا طاقة له بالملاقاة، فتسلّموا منه ما أخذ فراح بلاده، ودخل القِيري وأولاد الصوفي بالأطماع حضرة الإمام وفيها نحو خمسة وثلاثين رأساً بقراً.

[متفرقـات]

وفيها: أخبَر جماعة إثبات أنه رأى من قاع الضُلَع عدني (ثُلا) قرية القُمّامَه وقرية بني عُقيف، بعد أن كان ذلك مستحيلاً بحيلولة الإتمام بينهما، ورأى من باب عِدَانه قرية ضَيّان، وكانت في أوهاط قد حالت الجبال بينهما وبين هذه المحلات، ورُؤي من قاع ضِلع بلاد الروس، قرية نُغُض وكانت في غور، لا تُرَى من ذلك القاع فسبحان المقتدر على كل شيء.

وفيها: تخبَّطت آراء أهل الجَبل وعِيال سريح، واختلفوا على عاملهم البدر محمد بن الإمام، ونكث العهد أحمد بن عبد الله الضلعي، بعد أن أخرجه البدر محمد بن الإمام، وأظهر الفساد ببيته.

وفيها: وصل الخبر بأن عثمان المضايفي في نصف شعبان، نازَل جُدّة على أهلها فكسروه، وقتلوا من أصحابه نحواً من ستين نفساً، ووصلت ساعية من بندر جدّة تاسع وعشرين شهر رمضان إلى الحديدة تخبر بأن عثمان وسالم بن شكبان قد امتدت مطارحهم من باب مكة إلى باب جدة، وإنهم عمروا مسجداً ضراراً بالرغامة، وإنها جاءت أخبار بأن السلطان مجهز على صاحب نجد لأخذه المدينة المنورة.

وفيها: وصلت قبيلة من ذو محمد مع ابن عجلان من حراز، نزلوا على آنس وانتهبوا (أَسْلَع)، وعادوا إلى حدَقَة[2] فبعث عليهم إبراهيم بن يحيى جماعة فجازوهم، ثم تسلّموا ونزلوا علىٰ رأيه ووصل محمد بن أبي حِليقه إلى إبراهيم بن يحيى مظهراً للطاعة عنه وعن والده.

وفيها: سار محمد بن صالح جزيلان عن حراز إلى حُفاش وملحان، فكانت بينه وبين عامل حفاش إبراهيم بن علي الهمداني حروب، انتصف فيها إبراهيم بن محمد بن صالح. وأخرجه من البلاد وكان لديه جماعة من ذو محمد أولاد حسن بن مهدي، وضُربت لذلك الخبر البشارة بباب الإمام.

---

(١) حِمْيَر: مركز إداري من أعمال مديرية ضوران آنس.

(٢) حَدقه: من قرى منطقة ظُلَيم في جبل ضُوران آنس.

وفيها: خرج أحمد بن علي بن إسماعيل من رداع قاصداً حصن العيوي من أهل قيفة[1]، فكانت بينهم وقعة قُتل فيها من قيفَة ستة نفر وثلاثة جرحَى، وقُتل من جند الدولة أربعة، وبعث بعدها إلى الرياشية[2] رُسُلاً، يستدعي المشايخ فوصلوا إليه فتلقاهم وكساهم بعد الإذعان وتقرير القواعد.

وفيها: في كانون الأول برز من مظاهر شديد الإنتقام، بَرْد عام لم يعهد مثله فأخبر كثير من المسافرين، أنه هلك منه خلق لشدة البرد.

وفيها: في رابع عشر شوال انخسف القمر آخر الليل.

وفيها: ظهر نَجْم كالقمر وخرّ من جهة اليمن إلى الشرق، وذلك ليلة الأحد تاسع عشر شهر القعدة.

وفيها: وصل جماعة من المتّجرين ببلاد الحجاز، وشكوا ما لاقوه من قبائل سحار من النهب والسلب عداوة لهم في انقيادهم لصاحب نجد.

[نكول ابن الإمام بالصعر]

وفيها[3]: نكّل البدر محمد بن الإمام الشيخ محسن الصعر، وكان قد أفسد الطرقات وانحرفت عنه قلوب جماعات ودخل الشيخ أحمد الضلعي وأذعنت قبائل الجبل وعيال سريح بالطاعة.

[ابن جيش يُخضع كوكبان لسيطرته]

وفيها: بسط ابن جيش[4] على قُطَع من أهل كوكبان، فسار إليه عبد الله بن أحمد بن محمد بن حسين بمحطّه من المحويت، فدار الصلح على مال يتسلمه، ويخرج، واشترط عبد الله بن أحمد وصول جماعة من أصحاب ابن جيش إليه، فوصلوا فألبسهم الحديد.

[مُوفَد من سعود إلى صنعاء]

وفيها: وصل الحسن بن خالد الحازمي من حضره سعود بن عبد العزيز في جماعة من نجد فأخبر بشدة عظيمة، وأخبر عن تجهيز سعود علىٰ مكة، وذكر أنه ما راح عن الدرعية حتى جاءت الأخبار بأن مكة في أضيق الحصار، وأرشد إلى بيع البن ولو

---

(١) **قَيْفه**: بطن من مراد، ديارهم بالشمال الشرقي من مدينة ردَاع.

(٢) **الرياشية**: مقاطعة من أعمال رداع.

(٣) عام (١٢٢٠هـ).

(٤) سبق التعريف به، وأنه من ظفير حجّه. راجع الاشارة إليه في حوادث العام الماضي.

بأرخص الثمن، وقال: قد سمعت سعوداً يحرض على قطع البر والبحر، وجائتنا الأخبار بأن سعوداً سائر إلى العراق بنفسه، وسنقص عليك من خبره أحسن القصص.

وفيها: جاءت جماعة من المطوعة إلى بندر اللحية، فأحرقوا بها ما وجدوه من التنباك الخارج من البحر، وأمروا بالطاعة والصلاة، وأمروا بالمعروف ونَهوا عن المنكر. وتبعهم جماعات فأخذت صَبْيَا وضَمَد وجيزان وفرسان وثبتوا بها أمر أبـي نقطة، وكان حمود إذ ذاك بباجل، وجاءته الأوامر بالتقدم على تهامة اليمن فأذعن.

وفيها: استعان أهل البصرة بإمام مسكات، وهو سلطان بن أحمد على الموهبة، فخرج في مراكبه معيناً لهم بالزاد والمال والرجال، فصادر أهوالاً، ثم انتهى الأمر إلى هدنة بين الفريقين على يدي سلطان بن أحمد عاماً، فعاد وهو حذرٌ من القواسم وكانوا بالبحر، وكانت بينه وبينهم احَن، فلما جاءه الخبر بأنهم متوقعون له بالبحر ترك الدواب الكبار ونزل بأصغر داوٍ منها، ، وسار في الضعفاء من قومه قريباً من الساحل، وقَدّم مراكبه الكبار وأمرهم أن يظهروا قوة تدل على أنه بها، ففاجأه داوٍ من أصغر داوات القواسم في الليل، وقد سمع حرباً مع داواته الكبار، فقال: مَن بالداو الصغير من القواسم لمن بالداو الذي به سلطان بن أحمد: من أنتم؟ وكان الوقت قريباً من نصف الليل، فقال سلطان: اكتموا أمري، فكتموا أمره، فقالوا: أخبرونا من أنتم؟ فإن كان فيكم الإمام سلطان بن أحمد، خليتم بيننا وبينه. وطال الكلام بينهم فقام سلطان فيمن قام يسمع لجاجهم فضربت من داو القواسم رصاصة فلم تقع إلاّ علىٰ سلطان الإمام وهي رمية من غير رام، فصاح أهل الداو أنكم قد قتلتم أمامكم فقالوا: من هو؟ قالوا: سلطان بن أحمد، فحصل لهم القلق لعلمهم أنه كان فيه في الحادث، فلاموا أولئك لكتمهم، وحزنة الكل، وفقدوا لموته فاتكاً ماجداً، وقد أتينا على بعض أخباره في كتابنا «الرحلة» وذكرنا حليته وهيئته، وكان من قواعد دولته أن لا يجتمع عشرة من مسكات إلا فرق بينهم خشيةً من أن يعقد الناس بيعة لغيره. وذكرنا ما كان من أمره مع سائر القبائل من النصارى والمسلمين، فيطلب من هنالك.

[غزوة سعود إلى مشهد الغرَى]

وفيها: كانت غزوة سعود المعروفة بغزوة المشهد ـ مشهد الغرى[1]، قد كان في شهر رمضان آمراً على أهل الأحساء إبراهيم بن سليمان بن عُفَيْصان وهو أميرهم وقتنا هذا عام أربع وعشرين، وأخذ عليه أن يتوجه إلى ناحية السَمَاوَه من أعمال العراق،

---

(١) الغرَى: ضبطه البهكلي بغين معجمة مفتوحة. قال هو موضع قريب من صَبْيا من جهة اليمن يميل إلى الغرب. خلاصة العسجد ص (١٧٦).

فصبَّحُوا بادية من رعايا أهل الشمال، يقال لهم الخُكْرَه ـ بالخاء المعجمة المضمومة فكاف ساكنة فراء مهملة فتاء تأنيث ـ وكانوا في اثنتي عشرة مائة، فقتلوا من أهل تلك البادية ثلاثمائة رجل، وغنموا أربعين ألف رأس غنماً، وحازوا متاعاً لا يُحصَى ثم كرّوا راجعين، فنزلوا بمكانٍ، يقال له الزُلفَىٰ ـ بمعجمة مضمومة فلام ساكنة ففاء مكسورة فياء ـ فأتاهم الخبر أن سعوداً قد خرج غازياً، فصادفوه بأثناءِ الطريق بعد اقتسامهم الغنيمة، ثم توجّهوا معه إلى ناحية العراق وهو في مائة وعشرين ألفاً مقاتلاً، فلما قارب الغَرَى استشار الناس في أن يوجه عليهم سريّه أو يصبحهم بالجيش، فأشاروا عليه بتوجيه سريّه، فأدلج تلك الليلة حتى إذا كان من آخر الليل نزل قريباً من البلد وسرًا نحواً من ألفي رجل من خيار أصحابه ففاجئوا[1] البلاد وأبوابها مفتحة، فقتلوا مَن بالأبواب وفيهم زوَّار المشهد من الرافضة، وهم خمسمائة أو يزيدون قليلاً، ثم انتبه أهل البلاد، فصعدوا إلى القصور والمعاقل والحصون، فأزالوا السريّه بالرمي المتتابع، وقتلوا من جيش سعود نحواً من ستين رجلاً، حتى إذا طلعت الشمس، سار سعود بالجنود متوجهاً إلى البلاد، فأحاط بها من جميع جوانبها، واستشار الناس في حصارها، فأشاروا إليه بغير ذلك لقلة ازواد الناس، فأسعدهم إلى مشورتهم ثم وجّه سريةً إلى محلةٍ يقال لها الهندية. وهذا اسم نهر أجرته امرأة من العجم، اسمها هندية أخرجته من الشط إلى الغَرَى مسيرة يوم، نقل إلينا أنها أنفقت على أجرائه سبعين ألف ريال، فألفوا قافلة خارجةً من حُلَّةِ بغداد وهم نحو من خمسين رجلاً فقتلوهم وأخذوا ما معهم من الحمولة، ثم ارتحل سعود عنها فنزل قريباً من الشط[2] وحط الأجناد على مسير مرحلة زروعاً متصلة، ثم ارتحل من آخر النهار إلى الشط، ولم يقتل من أولئك إلا القليل، فأغار على باديةٍ تُسمى (آل بُعَيْج) ـ بموحدة فمهملة فتحتانية مثناة فجيم مصغراً ـ فأخذ إبلهم ومحلتهم، وعسكر بها ذلك اليوم وقد فرّ أهلها، ثم ارتحل من الغد، فما زال يسير نحواً من ستة أيام، وهو فيها يأخذ من لقي من أهل القرى على شط الفرات، ويحرق حللهم وقراهم، ويأكل زروعهم وثمارهم حتى نزل بمدينة السماوَه وهي على شط الفرات أيضاً، فحاصر أهلها ثلاثة أيام، والقتال في خلال ذلك كأين فانجلت عن خمسمائة قتيل من أهل السماوه ومائة وعشرين من جند سعود.

ثم ارتحل في اليوم الرابع فسار ناحياً جهة البصرة، فلما كان قريباً منها أرسل سريّه، فأغاروا على طريقها وقتلوا نحواً من مائتي رجل، وأخذوا نحواً من خمسين بغلة وشيئاً من متاع، ثم كرَّ راجعاً، وسار فنزل على مَآءٍ يقال له سَفَوَان ـ بمهملة ففاء فواو

---

(١) وَردت: ففجاؤا.

(٢) شط الفرات.

مفتوحات فألف فنون ـ فأقام عليه ثلاثة أيام؛ وليس به أحد. ثم استشار الناس في حصار أهل البصرة، فأشاروا عليه بغير ذلك لركة الخف والكراع وقلة الأزواد، وعِظَم ما لقوه من المشاق، فكرّ راجعاً.

[جموع سعود تدخل مكة]

وفيها: دخلت جموع سعود مكة المشرفة، بعد حصار من جمادى الأمراء ودخل من الأمر عثمان المضايفي، وسالم بن شكبان، وعبد الوهاب أبو نقطة صاحب عسير ومنصور بن ناصر الحسيني صاحب صَبْيَا، وغير هؤلاء وكانوا في نحو أربعين ألفاً، وأذعن غالب للدخول في جماعاتهم، وأَلْمَحَ في أموره إلى عبد الوهاب أبـي نقطة، وساءه دخول عثمان المضايفي فإنه احترس منه على أن غالب (لو تمكن منه لقتله)[1]، ولم يعط غالب أبا نقطه ولا غيره عهداً بل جعل ذلك إلى سعود، ولمّا واجهه الأمر، أخذوا عليه أبطال النوبه والتنباك، وصاح أهل نجد بالأمان، وضربوا مخيمهم من «المعلا»[2] إلى مِنى.

وفيها: وصل حجاج الترك عليهم الباشا، عبد الله بن محمد المعظم بعد مصادرة أهوال من الموهبة أهل حرب وتقطُّع وانتهاب.

[سالم بن شكبان]

وفيها: أيام الحج، الأمير سالم بن شكبان أمير بيشة وبلاد ذهبان ودرب العُقيده ودرب سلمان ووقشه وغيرها، أصابه الجدري واشتد به فمات، وكان شديداً في هذا الأمر خالص المودة، ناصح لسعود ووالده، وأقيم ولده سعد مقامه على صغر سنه، فإنه كان إذ ذاك في نحو ست عشرة سنة.

[أحمد بن إبراهيم بن عامر]

وفيها[3]: ثالث وعشرين ربيع الأول، أحمد بن إبراهيم بن علي بن إبراهيم بن أحمد بن عامر[4] أخو شيخنا الأستاذ علي بن إبراهيم، كان بطيء الحركة كثير الفكر محادثاً مماجناً، انقطع إلى علي بن محمد بن يحيى بن أحمد بن الحسين بن علي بن أحمد بن الحسن بن القاسم. وله مضحكات، قال لبعض الناس أين تذهب، قال آخذ

---

(١) العبارة التي بين القوسين جاءت صيغتها في «أ»: «لو أمكنه لقتله».

(٢) في «أ»: «المعلل» خطأ. وجاء في المعجم الجغرافي السعودي: المعلاَ من قرى العرضيّة الشمالية، بمنطقة القنفذة، في إمارة مكة المكرمة.

(٣) سنة (١٢٢٠هـ).

(٤) نيل الوطر (١/ ٥٧) عن ما هنا وإن أسقط اسماً من أجداده.

العلم عن أخيك. فقال: لقد خاب سعيك لو أتيتني لوجدت عندي علماً دفيناً، وسأله بعض الناس في أيامٍ قحط: أتأكل الحنيذ وتشرب القطر؟ قال: قد انقطع القطر من السماء. وسمع رجلاً يذكر الإمام[1] أحمد بن الحسن بن القسم بأنه يلقب بسيل الليل، وكان المترجَم له في تلك الأيام معه إدرار بول فقال:

إذا كان سيل الليل من تزعمونه فإني سيل الليل والصبح والعشي
فما لكم أعظمتموه ولم تروا لي الحق ما زَرْقا تُقاس بأعمشِ

وكان له مقرر من زكاة أهل شهارة يسوقها إليه جماعة من أهل الكدّ والغباوة، فبدا لهم أن لا يسوقوا إليه شيئاً، فخرج إليهم وهم في الحراثة وأخرج مبصرة مجسّمة من الزجاج فقابل بها ظَهْر كبيرهم في الشمس وهو متشاغل بالحراثة، فأحرقته فشكى، وقال ما هذا الحريق؟ فقال: هذه آيتي التي أحرقك بها فاستغفر الحراث وتاب وألزم نفسه سوق الزكاة إليه. وأنكرت عليه قبض الزكاة فقال: قدَحوا في نسبنا فأنقدحنا بأخذ الزكاة منهم. وقعد مع رجل من أبناء جنسه وهما في ثياب أخلاق وقاما وتلاقيا من الغد وإذا على جليسه ثوب جديد فمسَّه فقال: أكل لك ثوب؟.

[حميد بن المهدي العباس]

وفيها: يوم الجمعة آخر شهر ربيع الآخر، حميد بن المهدي العباس عن نحو ست وثلاثين سَنة.

[أحمد بن المهدي العباس]

وفيها: يوم الجمعة خامس شهر جمادى الآخرة، أحمد بن المهدي العباس[2]، مولده عام أربع وستين، كان رجل الكرم والفهم والذكاء والحفظ الباهر إخبارياً متأدباً. لا يمر بخاطره شيء إلا حفظه. خرَّجه المهدي العباس مع أخيه العَلَم بأحمد بن صالح بن أبي الرجال فبرعَا في الأخبار والأدب. جالسته، فرأيته من آيات الله الباهرة، يَتّقِد ذكاءً ويتكلم في المعارف جميعها، ويصف الماجريات على أتمّ أوصافها، وأكملها، وشارف في الفلك، فأدرك من معارفه ما إذا سُئل عنه أجاب وراجع كلام الحكماء فأدرك من معارفهم كثيراً، وكان ذا جودٍ وسخاء وكرم مفرط لا يدع سائلاً يسأله من نواله، فإذا لم يجد ما يعطيه ناوَله من ملبوسه أو مفروشه أو متاعه مع حدة في طبعه واتضاع وقرب جَنَاب ولين خطاب، لهذا رُمي بالجنون لإسرافه واتضاعه وحدته فحبس ببيته في بستان السلطان دهراً طويلاً، ثم أطلق وأنعم عليه ثم أُعيد إلى محلَه الأول ثانياً،

---

(١) في «ب»: الإمام المهدي.
(٢) نيل الوطر (١/١٠٨).

ومن أدبه الغَضّ ما أجاب به على بعض اخوانه لمّا كتب إليه أبياتاً أحفظ منها في ذم الهَوى.

فكم من فتًى في الحب يخفى غرامُه — وأجفانه بالدمع تسكب أحمره
وراح قتيلاً بعد أن طلّ ثأره — على مهجةٍ بين التراب مُعفَّره
فطوبى لمن قد عاش في الناس خالياً — فلا الشوق أبلاه ولا الحزن كدّره

فأجاب المترجم له:

ونظم بديع قد أَتَى جنح ليلةٍ — يحاكي نجوماً بالحنادس مسفره
وقائلة في الحب تنهى عن الهَوَى — وقد حاز من بين أهليه أوفره[1]
إذا هجرت دعدٌ فتًى قام منذراً — فلم لا يعيب الوصل دام له الشّرَه
وإن ليلة بالخل أشرق نورُها — فروَنقها يمحو من الهجر أسطره[2]
فصف ليلةً بالوصل فيها عجايبٌ — يمازج فيها أحمر الخد أصفَرَه
فقيمتها عندي هي الدهر كُلُّه — وساعتها ساوت من العُمر أكثره

ولما مات أرّخت وفاته فقلت:

هل على الدار من الدهر مخلَّد — وأحق الناس لو كان مُحمَّد
وإلى الرحمة يمضي الكل من — سيد حاز المعالي ومسوَّد
يا لها من معيةٍ أرّخ لها — في جِنان الخلد قُل قد حلّ أحمد

قلت: وامتدحه صاحبنا القاضي عبد الرحمٰن بن يحيى الآنسي فقال من أول قصيدة:

وفي الخلافة إذ حيّزت لآدم من — قبل التطوُّر في ماءٍ وصلصالِ
في مركز الملك من بيت بعقوتها — بالمحض من آل إسماعيل منهالِ
فتاً غَدى يتراءَى في مقنطره — منه كما يتراءَىَ كوكبٌ عالي
وإن من يتنادَى الخاطبون له — على المنابِر في سهل وأجبالِ
أخ له من أبيه حسبَهُ شرفاً — ورتبةً ذات إعظامٍ وإجلالِ

من قصيدة طويلة[3].

---

(١) في «أ»: أكثره.
(٢) في «أ»: أشطره.
(٣) أورد زَبَاره شطراً كبيراً منها في: نيل الوطر (١/٥٨).

[علي بن أحمد بن محمد بن إسحاق]

وفيها[1]: يوم الأحد ثامن جمادى الآخرة، علي بن أحمد بن محمد بن إسحاق[2]، قد قدمنا شيئاً من ماجرياته عام ست وتسعين، وذكرنا خلافه على الإمام المنصور وخروجه عن صنعاء مغمراً، واشتهر قوله، وقد لاقى زياد الحبشي[3] باب السبحة من صنعاء، فاستدعاه ليسير معه إلى ذهبان للأعراس الذي أَوْهَم الخليفة به، فلم يسعده لوحشةٍ بينهما. فَسُئل علي بن أحمد: لو خرج معك زياد من صنعاء؟، فقال: والله لو فارقها لفارَقَها[4]، وقوله في الوزير علي بن يحيى الشامي: وكنا نقنع لو أعاضونا بالشامي عراقي، وهي كلمة سُوءٍ إنما يعرف أهل صنعاء من لفظ العراقي اليهودي، وهذه الكلمة كانت في كتاب كتبه إلى بعض أصحابه يُعرِّفه أن سبب الخروج من صنعاء مفاوتته والوزير علي بن يحيى.

وذكرنا صلحه وكيف كان عام تسع وتسعين، ونزيدهُ هنا ذكراً، كان قد نشأ بحجر والده فقرأ عليه وعلى شيخنا الأستاذ علي بن إبراهيم بن عامر في الآلات، وشارف مشارف حسنةً[5]، وقرأ في الفروع قراءة خفيفة، وأسمع شيئاً من كتب الحديث سيّما ما يتعلق بشواهد المذهب، ثم مال إلى الأدبيات فنظم شعراً في الملحون، فأوسَع وتناقله الناس عنه وطار مطار الشمس، وبدا له مكاتبة القاضي أحمد بن صالح أبو الرجال، فكاتبه بكتاب طال نفحه وجوده، وسَطّره بأبيات فاخرة، أخبرني رفيقنا الإخباري علي بن إسماعيل النهمي أنه أعانه على ذلك المكتوب شيخنا الأستاذ علي بن إبراهيم بن عامر وأنه لم يكن له خالصاً، ثم لمّا صالحه الإمام، استقرّ بصنعاء، ونشر فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وألّف فيها مؤلفات ونظم في شعره كثيراً منها، وألقاها على الناس.

ثم بدا له مواصلة أهل الكَدّ والأعمال فجالسهم وطارحهم أحاديث الفضائلِ فحفظوها عنه، وكان يأمرهم بإنشادها فيجتمعون ويضعون لها لحناً هو المعروف الآن بالنشيد، ثم توسّع وانبسط للكبير والصغير، فكان يحضر مولد النبي ﷺ ويجيب من دعاه إليه كائناً مَن كان. ثم لمّا خرج الإمام المنصور عام عشر ومائتين إلى الروضة،

---

(١) سنة (١٢٢٠هـ).

(٢) نيل الوطر (٢/ ١٢٠)، البدر الطالع (١/ ٤٢٧)، أعلام المؤلفين الزيدية (٦٥٩)، مائة عام من تاريخ اليمن (١٠٢) هجر العلم (٣٤/ ١٥٨٨).

(٣) زياد الحبشي عامل حَيْس. وقد سبق الإشارة إلى أنه زاد في مقدار الضرائب المفروضة على وكيل ابن إسحاق في أملاكٍ له هناك، وكان ابن إسحاق يسخر من زياد ويدعوه بسخريةٍ زياد بن أبيه!

(٤) أي أنه لو فارق صنعاء لفارق الحياة لأنه لا بد قاتله ـ العمري: مائة عام ص (١٠٥).

(٥) في أ: مشارفة حسنة.

وكان المترجَم له مقيماً بها فتلقاه الإمام للسلام عليه، فسار من يومه ذلك عنها ونزل بحدّة متنزهاً لِعلْمه بقلة المساعد.

وحصل معه تَشوّش فبلغ الإمام ذلك وسمع باختلاف الناس إليه، واختلاف جماعة من آل صوفة ذو محمد، وقد كان خلافه أولاً بسعيهم فحبسه وبقي بالسجن إلى عام ثماني عشرة ومائتين ثم أطلقه، وكان سجنه بالقصر منفرداً مع ولده إسماعيل، ثم بعد أيام طلب من الإمام إطلاع أهله إليه، فأذن له في ذلك مع شدة التحرس عليه، واشتغل بالسجن بكتاب ألّفه في فضائل أمير المؤمنين رضي الله عنه، وكان قد قال في قصيدة بثّها في الناس في ذكر أمير المؤمنين رضي الله عنه:

كل من لم يقل بأنك خير الـ ـخلق بعد النبي فهو الهالك
كل من كان في الفضائل رأساً فهو بالاختصاص تحت نعالك

وكان رحمه الله تعالى مضيافاً كريماً خلا أن أكله من الزكاة والشُبَه لذا كان يرى الأكل مع الغير محللاً؛ حدّث الولي عبد الرحمٰن بن أحمد المندلق، قال: كان علي بن أحمد يجمع جيرانه ببير العزب ليلة من ليالي شهر رمضان، فينزلون عليه، فكنت أرى في منامي قبل الليلة التي يدعونا فيها أني أشرب خمراً فلا أشعر في يومها إلا بدعوته لنا فنجيبه، قال: وهذا كان يحصل لي في كل عام مرة حتى راح عنا فلم أر شيئاً.

وسأل الإمام أن يأذن له بالحج، فأذن له ولما وصل جُدّه وقلّ عليه ما ادّخره واستعدّه فأخرج سحاراته وصناديقه وملأها تراباً وحملها على الجمال؛ مراقبة من أن يقال: قد حاد عنه الزمان ومال، فدخل مكة والناس يقولون هذا ابن عم إمام اليمن. فلاقىٰ بها الأستاذ إبراهيم بن محمد الأمير فتخلل أحواله فوجده قد أفلس، فسعى في طلب الرزق له فلم يشعر إلا بوصول الشاه أبو الليث صاحب الهند وكان من المتصوفة المعروفة بالنقشبندية، فسار إليه وعرّفه منزل المترجَم له، وأنه ابن عم ملك اليمن وكان أبو الليث من ملوك تلك الديار متظهراً بمذهب الصوفية يَدّعي نيل معرفة أهل الأحوال على أتم صفة ويرغب في أن تؤخذ عنه تلك الطريقة، فأفهمه الأستاذ إبراهيم بن محمد الأمير، بأن مراد هذا الواصل أن يأخذ عنك هذه الطريقة، ولكني متحير في إسعافه وصوله إليك ولعله إذا تم ذلك فمن حقك (أن تتحفه بشيء من النفائس)[1]. فأسعفَه إلى ذلك ثم حَسّن للمترجم له الذهاب إلى أبو الليث فلما بلغه وصوله تأهَّب له تأهباً عظيماً وأظهر قوة من ملكه، ولمّا أخذ عنه تلك الطريقة وعاد لم يشعر إلا وقد بعث إليه بثلاثمائة ريال وأنواعاً من الثياب الفاخر على يدي إبراهيم بن محمد الأمير، فاستعان

---

(١) ما بين القوسين جاءت صيغته في «أ»: «أن تتحفه بما أمكنك من النفائس».

بذلك على زيارة النبي ﷺ، ولما بلغ إلى المدينة المنورة، أنشد عند القبر الشريف قصائد مطولة، ووضع لها اسماً وبثها بعد خروجه اليمن. وأنكر الناس عليه مجالسة محسن مسعود المعروف بألحان النشادين فألّف كتاباً، سمّاه: طالع السعود بفضائل محسن مسعود[1]. ولمّا مات أخبرني رفيقنا إسماعيل الحماطي[2] أنه رآه فسأله عن الموت، فأعرض عنه ثم التفت إليه وأملاه قصيدة ملحونة حفظ منها:

قد بلغت الأماني على رغم الحسود وشُفينا بعليا قلوبا
واجتنينا جنا الوصل في دار الخلود وانتشقنا شذا طيب طوبا

[ناصر بن محمد إسحاق]

وفيها: في يوم الثلوث سادس وعشرين شعبان، ناصر بن محمد بن إسحاق بن أحمد بن الحسن بن القاسم[3] هو أصغر أولاد أبيه، كان أديباً لطيفاً ظريفاً حَسَن الأخلاق حَسَن البادرة مغرًى برقيق الشعر، مائلاً إلى مجالس الأنس، لم أظفر منه باللقيا إلاّ بمنزله وقد دعاني مع الوزير الحسن بن علي حنش، فوقفتُ على الجليس الأنيس، وكتب إليّ بعد هذا كتاباً مطلعه في المقابلة بديع:

ما رأينا في عصرنا وبنيه لكل شبها ولم نجد لك مثلا
قد حويت الكمال طفلا وأحرز ت جميل الخصال والعلم كَهلا

وهي قصيدة طويلة قد أتينا عليها وعلى جوابها في غير هذا، وله مع القاضي البدر محمد بن علي الشوكاني والحسين بن أحمد السياغي ومحسن بن عبد الكريم بن أحمد وغيرهم مذاكرات في بيتي الجَلال «طالت»[4] المناقضة، وقد ذكر البيتين إسحاق بن يوسف في ترجمته للحسن بن أحمد الجلال والكلام في الاكتفاء والاقتباس والتورية في قوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا﴾[5] فأنه نازع في التورية، وما أطال الكلام في المسألة إلا معارضة لما دار في بيتي الزَمام المشار إليها في ترجمة شرف الدين بن إسماعيل بن إسحاق. ولمّا حضرتنا صلاة العصر ونحن بمنزله قال لنا: الصلاة الصلاة، فقد جاء أن

---

(١) تجنّب جميع من ترجم له الإشارة إلى هذا الكتاب. انظر: الوجيه: أعلام المؤلفين الزيدية، ص (٦٥٩).

(٢) **إسماعيل بن صالح الحماطي**: عَرّفه الأكوع بأنه عالمٌ أديبٌ شاعر حفّاظة، كثيرُ الرواية لبعض دواوين العرب، وطرائفهم. سكن مدينة ذمار ثم رحل منها، فسكن صنعاء حتى توفي بها سنة (١٢٣٢هـ). هِجر العلم (١/ ١٤٦).

(٣) البدر الطالع (٢/ ٣١٥)، نيل الوطر (٢/ ٣٧١)، هِجر العلم (٣/ ١٥٩١).

(٤) **وردت في** «أ»: طالب. مصحفه.

(٥) سورة النمل، الآية (٣٤).

عائشة رضي الله عنها قالت: «ما صلّىٰ رسول الله ﷺ الصلاة لوقتها الآخر حتى قبضه الله عز وجل». قلت: الحديث في المستدرك.

[سعيد الرشيدي]

وفيها[١]: صحوة يوم الخميس سابع شعبان. سعيد بن إسماعيل الرشيدي[٢] من رشيدة بلاد أنس[٣] مفتي الزيدية بصنعاء عن سبع وخمسين سنة، قرأ فقه الزيدية ومَهر فيه حتى برع، وتخرّج بعلي سعيد الذماري فأتقن، وتصدّر للافتاء بصنعاء، ونُصّب للقضاء أيام الإمام المهدي، وخضع في قضاه آخرين، وكان له رحمه الله ولع بكتب أبي الفرج ابن الجوزي فنسخ من مصنفاته كثيراً، وكان له ميل إلى كتب الحديث ومحبة لمطالعتها وإنصاف في القول، كثير السعاية عند الأمراء في إغاثة المحتاجين «متزلقاً»[٤] في ذلك، طَلْق الوجه كثير الحيَا، اجتمعت به في مجالس لا تُعَد، وأنكر عليه بعض الناس في بعضها رفع صوته في الكلام وسرعة مشيه في الطرقات، فسكت ثم كتب بعد أيام إلى المُنكر عليه يقول فيه أخرج ابن سعد عن سليمان بن أبـي حثمة، قال: قالت الشَفَاءِ بنت عبد الله[٥]، ورأت فتياناً يقصدون في المشي ويتكلمون رويداً وذكر الكلام المنقول في ترجمتنا لأحمد بن حسن بركات.

قال المؤلف غفر الله له: وأرسله الوزير أحمد بن إسماعيل فايع في بعض المهمات إلى اليمن[٦] ليكشف له عن حقائق بَلغت وكان مكذباً بها فسار وعاد فما زال ينعى الجور على الوزير وعامله محمد بن علي سعد ويصرخ بذلك في الناس.

وسار مرة للكشف عن حقائق وقف (ثلا) فعاد وصرح بالنعي على عماله ما عدا عبد الرحمٰن بن أحمد قاطن فإنه وصف عنه أمور من يخشى الله تعالى وذكر له مآثِر حَمِيْدَة لا يصنعها إلا من راقب الله عز وجل.

وسُئِل مرة عن يمين كف الطلب وهي التي تسمى يمين العَنَت، فكتب قد سألنا عنها أهل الحديث، فلم ينقلوا لنا عن رسول الله ﷺ حرفاً فيها، فهي بدعة، وقالوا لنا:

---

(١) سنة (١٢٢٠هـ).

(٢) نيل الوطر. (٢/ ٢)، مطلع الأقمار (٣٥٩).

(٣) رشيدة: قرية من مركز العدني بجبل الشِّرق، قريب من بيت الجمرة.

(٤) **وردت في** «أ»: متمذلقاً.

(٥) هي من المبايعات، ومن المهاجرات الأُوَل. انظر: أسد الغابة (٧/ ١٧٧) وسليمان بن أبـي حثمة هو ابنها. نفس المصدر (٢/ ٥٢١).

(٦) يقصد: اليمن الأسفل.

صحّ عن النبي ﷺ خلاف هذا فإنه قال البيّنة على المدعي واليمين على المنكر. قال المؤلف غفر الله له: ومن ذلك ما كتبناه عن والدنا عن شيخه الحسين بن عبد القادر أنه قال: من المنكرات تحليف المنكر ومع خصمه بَيِّنَةٌ عليه وقد يقول أحلف ولي ما جيت به، فهذا محرم يجب إنكاره لأنه من التلعُّب بالشرع وتفجير الغريم.

وكتب إلى شرف الدولة الحسن بن علي حنش وقد وعده بصلة للفقراء، فصدّر مكتوبه: الحمد لله ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾[1] وما أصدق قول عوف بن محكم.

ذكرت مواعيد الأمير بن طاهر ... ومثل العطايا في الأكفِ عداتُهُ
وزكيت ما لم أحوهِ مِن عطائه[2] ... وكنت كمن حلت عليه زكاته

[يحيى مرغم]

وفيها: يوم الثلوث خامس شعبان يحيى مرغم رئيس المؤذنين، بباب الخليفة. كان ذا وجاهة عند الإمام، نَقَل لنا بعض الناس أنه رأى كتاباً كتبه إلى الإمام المنصور يسأله على قضاء دين، يقول فيه: واعلم أيّدك الله «تعالى»[3] أن الله سبحانه إنما جعل الطلاّبين ليختبر بهم السّلاطين والأغنياء ماذا يصنعون في نعمة الله عليهم.

[محمد أحمد صالح خليل وزير الإمام]

وفيها: صبح الثلاثاء سابع شهر رجب الوزير محمد بن أحمد خليل الهمداني[4] ولّي الوزارة ووساطة باب الخليفة دهراً طويلاً وكانت مقررات قبائل بكيل وغيرهم مناطةً به وكان يتسلم لهم الأموال من سائر الوزراء فاستخانه الوزير الأعظم الحسن بن عثمان وحَسّن للإمام النكول به فنكل به وبقي بالسجن أياماً ثم أطلقه إلى أهله وحرم عليه الدخول والخروج فبقي ببيته إلى أن مات وكان ذا أدب غض وله لسان قائله وهو مقل في شعره وما استحسنت إيراده هنا ما كتبه إلى صاحبنا محمد بن الحسن المحتسب الهاشمي عاتباً عليه ومستشهداً بسؤاله لا قائلاً بعد خروجه من السجن:

ما كنت أحسب أن ودك في الحيا ... كابن الطُفيل ولا أبا حسّان
وجهي أبو المقداد منك من الحيا ... والقلب منك حكىٰ أبا سفيان

---

(١) سورة مريم، الآية (٥٤).

(٢) وردت في «ب»: عداتِهِ.

(٣) زيادة في ب.

(٤) نيل الوطر (٢/ ٢١٩).

وهذا مما يسأل به الناجي. فقوله: كابن الطفيل يريد عامر بن الطفيل، وأبو حسان هو ثابت ونصب أبا حسان لأنه معطوف على محل ابن الطفيل في لغة من يجعل اسم ان، وخبرها منصوبين كما في قوله: إن حُرَّاسنا أُسْداً، وعطف على محل ابن الطفيل لأنه ثاني مفعول أحسب. وقوله: وجهي أبو المقداد مبتدأ أوخبر ومثله القلب أبو سفيان، والمراد بأبـي المقداد هو الأسود وأبو سفيان هو صخر،

فهو يقول ما كنت أحسب أن ودك عامر ولا ثابت فإذا هو عامر ثابت فوجهي يحسباني ذلك أسود والقلب منه صخر. ومما كتبه إلى المذكور سائلاً مستشهداً:

وكل وفاءٍ كان في قوس حاجب   وأنت جمعت العدر في قوس حاجب

وكان المترجم له ينسب إلى البخل، كان أحمد بن محمد القرشي إذا خرج من مقامه قيل له: من أين؟ قال: من منزل محمد القرش، فيظن السامع أنه القرش الدلاّل فبلغه ذلك فأرسل مَن يسأله عن تنقّصه فقال: إني لا أعلم له عطية تتجاوز القرش فإن كره رسم هذا محاه عنه بالزيادة. ومثله خبر السيد مطهر بن الحسن الصعدي المعروف بأبـي الطحاطح لما مدحه بقصيدة بديعة فأحرمه فكتب إليه:

خليلنا الذي ثوى   هو العدوُّ الأزرقُ
هم بنو الدهر عليه   الدهران يُصدَّقُ
مدحته فظن أن   الأرض لي تستُغرقُ
والذنب اني جئته   لمديحه استرزقُ

فأرسل من يأمره بكتمها على جُعل فقال الجُعل بثها في الناس. وقد قدمنا ذكر مصادرة الإمام له عام إحدى عشرة ومائتين وألف.

[محمد بن يحيـى السعيدي]

وفيها: ليلة السبت ثامن من شهر رمضان، محمد بن يحيـى السعيدي المعروف بالخولاني[1] عن نحو ست وخمسين سنة. كان من الصالحين وممن له عناية بالسند والمثابرة عليها في جميع الحركات والسكنات لا يتكلم إلا فيما يعنيه ولا يبتدي الكلام إلا مع أهل العلم مثابراً على الحلال الطلق، شغل أكثر أوقاته بالتجارة لأرامل من أهل البيت المطهرين وفرض له جُعْلاً علىٰ ما لهن فقام بأودهن، كان لا يعدل بلطف الباري بن أحمد الورد خطيب صنعاء أحداً، أخذ عنه وعن أخيه عالم البلدة القاسم بن يحيـى الخولاني وعن عدة، وكان في باديء أمره قد اشتغل عن والده بعلم الفروع لذا سأله بعض الطلبة القراءة في الفروع فقال: إنها لا تساعدني الطبيعة على تقرير ما أصّلوه

---

(١) نيل الوطر (٢/ ٣٤٠).

فقالوا له: اذكر لنا الحق في المسألة فأسعدهم فلما قرأوا وبلغوا إلى قوله في الأزهار: أو جلالٍ قبل الاستحالة فإنه نجس يجب غسل الثوب مما أصاب الإنسان منها من ريق وعرق ولبن، فقال لهم: الذي صح تجنب ركوب الجلالة لا غير فلا يتعدّى هذا. فأعاد عليه بعضهم القول. وقالوا: فالواجب غسله من ذلك فقال: لا تقل هذا ولكن قل فإنا نشتهي غسله. فضحك السامعون فقال: هكذا نقول ولا نقول بوجوب الغسل فنكون قد تكلمنا على الله تعالى بما لم يقل. وقعدت معه يوماً فقال: ألا أفيدك؟ قلت: بلا، قال: روى عن أبي بكر الصديق أنه قال: ما تقولون في قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾[2] فقالوا: ثم استقاموا فلم يلتفتوا وقوله ولم يلبسوا إيمانهم بظلم بخطيئة، فقال: أبو بكر حملتموها على غير المحمل، ثم استقاموا ولم يلتفتوا إلى إلهٍ غيره. ولم يلبسُوا إيمانهم بظلم أي لشرك، ونسب هذا إلى الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي. رحمه الله تعالى.

[عبد الملك العُلُفي]

وفيها: ليلة السبت ثالث وعشرين شهر رمضان. عبد الملك بن أحمد الأموي، ولّي للإمام المنصور أعمالاً كثيرة، مرض مرضاً شديداً فرأى النبي ﷺ فأصبح في عافية وحدّث الناس برؤياه فكان صادقاً.

[أحمد بن إسماعيل حَنَش]

وفيها: ليلة يوم الخميس تاسع شهر القعدة. أحمد بن إسماعيل حنش[3] بصنعاء، أولاه الإمام المهدي القضاء ببندر الحديدة فما زال بها إلى حدود اثنتي عشرة ومائتين وألف ثم رفعه الإمام المنصور عنها، وكان ذا عفة وأمانة وأرسله الإمام المنصور إلى سرور بن مساعد متولي مكة المشرفة عام اثنين ومائتين ليقبض الصدقة الخارجة لأهل اليمن من صاحب الغرب فسار في شهر رجب واعتمر ولم يحج حتى مات وقبض تلك الأموال بعد موت الشريف سرور لأنه وصل إليه وهو في مرض موته، ولم يتسلمها إلا من غالب بن مساعد وقد قصصنا الخبر فيما مَرّ وعرض لنا في خلال قصاصته لنا مسيره إلى مكة خَبَر أن الدجّال لا يدخل مكة والمدينة قال: والعجب أنه يخرج من خراسان فقلنا الله أعلم لصحة ذلك فقال حدّث أبي بكر الصديق في أول مسند الإمام أحمد أنه قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن الدجال يخرج من أرض بالمشرق يقال لها خراسان يتبعه أقوام، كأن وجوههم المحان المطرقة.

---

(١) سورة فصّلت، الآية (٣٠).

(٢) سورة الأنعام، الآية (٨٢).

(٣) نيل الوطر (١/ ٦٦).

وَدَخَلَتْ سَنَةُ إِحْدَى وَعِشْرِينَ وَمائَتَيْن وَأَلْف

فيها: خلع الإمام علي بن حسين الآنسي عن التوسط لبلاد اليمن الأسفل وأناطها محمد بن عثمان الأموي.

وفيها: ترقّبت الأمراء من الموهبة رجوع أمر سعود بعد معاهدة غالب بن مساعد لهم ولِمَا يقضي به في دياره، وعاد الأمر لهم لإزالة ما قدّمناه عام عشرين وبحث الناس على الطاعة في المنشط والمكره وألزم الأمر النزول إلى جدة ودخولها وأخذ العهد على أهلها فأذعن غالب لكل ذلك إلا الدخول جدة، وقال: لا يكون إلا لنفرٍ يسير من قومه وقوم سعود فانخزل من جند سعود نحو العشرة، وكان غالب قد أرسل إلى أهل جدة أن اسمعوا وأطيعوا ظاهراً واحذروا أن يظهر بخاناتكم آلات التنباك، فنزلوا في جماعة من أصحاب غالب وعادوا وقد عاهدهم من بجدة واشترط غالب على أن لا يدخل جدة بعد هذا اليوم نجدي وعلى أنه لا بدّ له من أن يحفر خندقاً على سُور جدة لعلمه أنه لا يفلح أن يملكوا جدة، فأجابوه إلى ذلك وتعلّلوا بأن الموهبين ربّما دعت حاجتهم إلى التجارة والتصرف من جدة فضمن لهم أن يبني خارج الخندق سوقاً عظيماً يجلب إليه جميع المحتاج فجنحوا معه إلى ذلك، وبدا للشريف أن يقوي أمره ويشد عضده بأمير لئلاّ يتسلط عليه عثمان المضايفي فطلب من عبد الوهاب أبـي نقطه أن يزوجه ابنته لقربه منه وعدم وجود مناصر له دونه فأجابه إلى ذلك.

[الشريف حمود يستولي علىٰ الحُديده]

وفيها: نقض حمود الهدنة التي بينه وبين الأمير صالح بن يحيـى وكانت كما قدمناه في العام الأول لسنة واحدة فلم يشعر صالح بن يحيـى إلا وقد قيل له: هذه غوازي حمود بقاع بيت الفقيه وزبيد وكان صالح بن يحيـى ببيت الفقيه فحطت جموع الموهبة على بندر الحديدة وبيت الفقيه وامتدت بتلك الساحات خيل الموهبة فبلغت إلى حدود ابن عقلان صاحب الحجريَّة فخرج الأمير صالح في جنده فتصافوا فاشتدت قبائل الموهبة فانكسر وقتل من أصحابه غالب بن حسين عباس الهاشمي صاحب الروضة. وكان من رُمَاة التوابع وآخر من توابع الأمير صالح من أهل تهامة، وأسروا رجلين من خدم الأمير صالح.

والتفّت على الحديدة وبيت الفقيه جنود وافرة فضيقوا على من بهما، فكتب الأمير صالح إلى صنعاء أن الغارة الغارة والبدار البدار، فلم ترفع الدولة إلى إعانته رأساً فضاقت به الحيل فكتب إلى عبد الوهاب أبـي نقطة: من صالح بن يحيـى إلى الأمير عبد الوهاب أما بعد سلام الله عليك فإني قد أشهدتك على حمود بن محمد وأريد أن

تكون يدي ويدك واحدة على تهامة ولا يفصل أمره ويقطع شره إلا رأي يبرز من سعود وفي منع حمود من التعرض لتهامة اليمن ويكون الأمر بيني وبينك وأسرع الأمر فقد ضاق الخناق.

وفي خلال ذلك برز الأمر من صنعاء بضبط حسن بن حسين القرشي وكان بالحديدة وإيداعه الحبس، فضبطه جماعة التوابع وأودعوه الحبس، وكان سبب حبسه أن التوابع كتبت إلى الإمام أن الفقيه صالح لمّا فترَ.. جنح إلى معاهدة أبي نقطة، وهذا أمر يفضي بنا إلى ذلك، وكان في خلال ذلك بروز الأمر من أبي نقطة، بمنع الشريف من التعدي على الديار التي عليها صالح بن يحيى، وأرسل أبو نقطة إلى صالح بن يحيى بفرس من مراكيبه وكسوةً من الحساوي مع جماعة من قحطان، وصل بها زبران العسيري، وسار صالح بن يحيى إلى قبَّة ابن العجيل في جماعة من الدواسر فهدمها، وهدم سائر القباب، وكان يتفق بها من المفاسد ما لا يوصف، وكتب بذلك إلى أبي نقطه.

ولمّا رأى ما صادره به حمود بعث يحيى بن علي الرضي إلى الدريهمي خوفاً على الحديدة من أن يأخذها حمود، وكتب إلى أبي نقطه يستحثه الغَارة على الحديدة، وكتب إلى توابع الحديدة يأخذ عليهم أن يوهّبوا، وأن الأمر بأيديهم من بعد هذا.

وخرج صالح بن يحيى فغزَى المناصرة[١]، وقتل منهم نحو أربعين نفراً مستحجاً لهم بمقابلتهم لحمود، ففرّوا إلى سائلة الرباط، فبعث إليهم حميد بن عبد الله القرشي وهو إذ ذاك بـ(رَيْمه): إني سأمنع عليكم من صالح إن عدتم لما يجب عليكم إليّ، فأجابوه إلى ذلك فمنع عليهم، فشكاه صالح إلى حسن بن حسن عثمان فمال عنه، واشتد حمود على الحديدة، وجهَّز عليها سفائن من البحر، وصادرها بقومه من البَر. وجمَع صالح بن يحيى قبائل الزرانيق[٢] وقبائل من الدواسِر[٣]، كانوا على رأي أبي نقطه وتقدم بهم على زبيد فانتهبوها، وذهب مِن زبيد بنحو مائتي لك، وألزمهم التوهيب، فوهّبوا ولم يبق منهم سوى العامل. بولاد حسن الحبشي والقاضي أحمد بن حسن البهكلي، خلا أنها بَدرت من القاضي كلمة ترغب في الدخول مع الجماعة حتى يقضي الله أمره، فأرسل إليه بولاد الحبشي: أن بادر بوصولك إلى القلعة، فلم يسعد إلى

---

(١) **المناصرة**: قبيلة ومركز إداري من مديرية المنصورية وأعمال محافظة الحُديدة.

(٢) **الزّرانيق**: قبيلة ترجع في أصولها إلى عك، تسكن سهل تهامة، ومركز بلادهم مدينة بيت الفقيه. انظر كتابنا: معجم البلدان والقبائل اليمنية.

(٣) **الدَّواسِر**: من قبائل نَجْد، وهم حاضره وباديه، وتمتد منازلها من وادي الدواسر إلى الحوطة جنوبي الرياض. معجم قبائل العرب (١/ ٣٩٢).

ذلك، فأرسل عليه الخوقري وأمره أن يوصله إليه ولو كان على وجه الإهانة، فجاء به فحبسه بالقلعَة، فأوجب ذلك أنه فر من بعد وسار إلى الخَسعة ثم إلى أبو نقطه مستجيراً، وطالباً منه الأخذ بالثأر.

وعاد الفقيه صالح إلى بيت الفقيه وحمود لم يزل بمطارحه حاطاً على الحديدة نحو سبعة أشهر، ووقعت ملاحم كبرى ذهب فيها نحو خمسة وعشرين مائة قتيل من جُند الموهبه، وأخبر الناس عن كثرة القتلىٰ بساحات تهامة، وأنها تسلطت على أبدانهم الوحوش والطير، وكانت قد جاءت من عبد الوهاب أبي نقطه كتب إلى حمود: أن كُنْ عوناً لصالح بن يحيى على بندر الحديدة ولك ما استفضت عليه إلى بيت علي حُميده[1] وله ما وراء ذلك، وإنا دعوناك إلى إعانته لأنه لم يكن تحت يده من المسلمين: القليل، فأبَى ذلك حمود، وزعم أن له أربع مائة ألف قرش أنفقها في حصار البندر بأمر من سعود، فإن سلّمها له أهل الحديدة أو التزم بها عبد الوهاب عاد. فتفاقم الأمر وضاق الخناق بأهل الحديدة، وبلغ قيمة الحَكَم الطعام أربعة قروش، فاضطر توابع الحديدة إلى إخراج حسن بن حسين من الحبس ومالوا إلى ما دعاهم إليه صالح بن يحيى على وجع في قلوبهم فوهّبوا، وكتبوا إلى صالح بن يحيى أن يبادر بوصوله وقد حلم الأديم، وحالت الموهبة بينهم وبينه بالجيش العظيم.

واحتفل الإمام إذ ذاك بالتجهيز على تهامة ورجح نفوذ الماجد الهمام يحيى بن محسن بن علي بن محسن بن الإمام المتوكل المعروف بصاحب حجة وكان رئيساً عظيماً فخيماً قد أهمله الإمام من الأعمال دهراً طويلاً لا لشيء[2]، وجمع له ألف مقاتل من حي ذو محمد وذو حسين وثلاثين فارساً من فرسان صنعاء وجماعة من بطانة الإمام، فخرج من بير العزب بعد أن صلّى الجمعة يوم عشرين شهر رجب بمسجد حنظل[3] وعسكر ببعض جنده في بلدة عصر، وتتابع إليه قومه، وتقدم منهم من تقدّم إلى مَتْنه[4] وهو منتظر للبقية منهم ومتوقع لوصول أموال وعده بها الوزير، ثم لمّا لم تصل سار عن عصر يوم الأحد، فاستقر بمتنه أياماً، ينتظر ما وعده به الوزير ثم سار عنها إلى

---

(١) بلاد علي حُميدة هي «بَاجِل» ونواحيها.

(٢) كتب الدكتور حسن العمري يُعرِّف بالسيد يحيى بن محسن المتوكل فقال: إنه عُرف بشجاعته وقيادته لعدة حملات ناجحة ضد هجمات بعض القبائل وما شابهه من الاضطرابات أو العصيان، وقد توفي مع ابنه علي مسموماً في مدينة «زبيد» سنة (١٢٢١هـ) كما سيحكيه المؤلف. (مائة عام من تاريخ اليمن ص ١٠١).

(٣) **مسجد حنظل**: من المساجد العامرة في بير العزب.

(٤) مَتْنه: قرية في طرف حقل سُهمان، علىٰ خط طريق صنعاء الغربية. وهي مركز قبيلة بني مطر.

مَفْحق[1] فبقي بها أياماً ينتظر ما وعد به حتى كان يوم الإثنين عشرين شعبان، واختلف عليه أصحابه من البطانَه لعدم إقامتهم، ففارقوه بعد أن قاسوا شدة، وبعد أن كتبوا إلى الإمام أن لنا اثنين وعشرين يوماً من الإقامة، ودخلوا صنعاء، وظهر منهم الشرّ وكادوا أن ينتهبوا ما وجدوا، وثار من الفتنة أولها فتحرّب أهل الأسواق، واندفع الشر وأصبحوا يوم الثلوث، وتحرّبت التوابع والخيّالة، والتفّ جمعهم إلى شراره وخارج باب السَبْحه، وأظهروا المباينه بعد أن كتبوا كتاباً إلى الإمام أفصحوا فيه عن إهمالهم لتأخر جوامكهم وسباراتهم فأجاب الإمام عليهم: وصلَ تعريفكم وأنتم أصحابنا وخدمتنا وأنتم تعرفوا انقطاع المواد والدفاع من البر والبحر وما يصبر علينا ألا أنتم وما سيفوت عليكم شيء، وخرج الأمير فرحان ياقوت المهدي لتسكينهم وخاطبهم باللطف واللين، وأرسل الإمام ولده محمد إليهم، فخرج إلى شراره فقام الشر في وجوههم ثم كلمهم فاستمعوا وامتهل منهم إلى يوم الخميس خامس وعشرين شهر شعبان فعادوا.

هذا ويحيى بن محسن بن علي منتظر ما يصله من الدولة وكتب إليّ كتاباً استفصلني فيه عن الأمر فذكرت له أن لا تبقى فإنهم في شغل شاغل عنك، ولخروجك انقطع عنهم الشغل بك، فسار مسرعاً، وجاءت طريقه على رِمَع[2]، فتسلم ما معه من الحوالات الطعامية، وأنكر عليه قومه ذلك فوعدهم الخير بوصول البندر. هذا وباب صنعاء يشتعل ناراً، وقِدْر التهايم يغلي.

[فتور المنصور عن تطهير تهامة]

وفي آخر شعبان أظهر الإمام الحركة والنزول إلى البنادر بنفسه وأمر بضرب الخيام في وادي عَصُر ثم فتر عن الحركة وقال الناس وقالوا.

وفيها: قد كان بعث أحمد بن علي البرطي في قوم من حي بكيل فوصل بهم إلى مطرح أبو كرش وجاءته أخبار عن الشريف حمود فتحيّر هناك أياماً كتب إليه (الأمير محمد وفد الله) يستقدمه ويذكر له أن لا كيدَ في طريقه فسار، ودخل الحديدة، وكان من حملة أهل الشورى في إخراج حسن بن حسين من الحبس واستقلاله بالولاية والمفاوضة لحمود كما سنفصله إن شاء الله تعالى.

ولما بلغ الهُمام يحيى بن محسن [المتوكل] بندر زبيد وتلقاه (بولاد حسن) إلى خارجها، دخل في هيبة وطلب إليه الأمير بولاد فخاطبه بتسليم الإقامة[3] فتلكأ، فأغلظ

---

(١) مَفْحَق: قرية على خط طريق صنعاء الغربية، تبعد عنها بمسافة (٤٧) كيلومتراً.

(٢) رِمَع: وادٍ مشهور منابعه من جبال ريمه ووصابين، ويسيل إلى تهامة.

(٣) تسليم أزواد الجنود خلال إقامتهم.

له في القول، فأضمر له بولاد الشر وجاءه الخبر بأن الموهبة بالتحيتا[1] ـ مُصغَّر تحت آخره ألف مقصورة فأرسل من يأتيه بخبرهم فقيل له: إن بها ثلاثة آلاف فخرج فأوقع بهم بعد المصافة ضرباً باليد، فكانت ملحمة عظمى من انبساط الشمس إلى العصر، وانجلت عن أربع مائة وعشرة من الموهبة منهم ستون امرأة وثلاثة وخمسون رجلاً واحتزّ سبعين رأساً وأرسل بها إلى باب الإمام فوصلت يوم ثالث وعشرين شهر رمضان وعلقت هنالك، ولم يخرج هو بنفسه وإنما خرج ولده علي بن يحيى بن محسن، وكان رازيةً في البقية.

ورأيت في كتابه أن القتلَى مائتان وخمسون، وفي كتاب ولده أنها ثلاثمائة وخمسون رجُلاً وستون امرأة، وقتل من جند يحيى بن محسن: النقيب محمد بن صالح جزيلان ورجلان من ذو حسين، وجُرح من جند يحيى بن محسن نحو عشرين نفراً، منهم محمد بن هادي الشايف الملقب صوفان، ولمّا رأى ذلك الأمير بولاد، أرسل إلى الأمير يحيى وأولاده بخوافق الصيني بها لبن بارد فشرب منه علي بن يحيى ووالده وتجنبه الآخرون من أولاده، وكان مسموماً فمات يحيى بن محسن اليوم الثاني والعشرين من شهر رمضان[2]، وبقي بعده ولده إلى يوم ثامن وعشرين شهر رمضان، ومات، وترك الجند هملاً بلا راعي. وما زالوا هنالك إلى أوائل المحرم من سنة اثنين وعشرين وعادوا. وقد ضمينا شمل ما وقع في هذا العام بجهات تهامة وإن كانت الوقعات متباعدة الشهور.

وفي يوم السبت ثامن المحرم، انقضّ كوكب عظيم ولم يره أهل صنعاء ولكنهم سمعوا وجبة عُظمى، وأخبر به أهل البوادي.

[فساد بيت دغيش على الدولة وضبطهم]

وفي: يوم الخميس سابع عشر المحرم، وصلت غازية من بني الحارث أهل الرحبة إلى بلدة علمان[3] في جماعة من قبائل نِهم وأرحب وبني جرموز لينتصفوا من الشيخ مرشد العبادي، وسنذكرها ملفوفة وإن كانت الأسباب متقدمة. ففي العام الأول في شهر رجب قد كان شيخ الرحبة صالح بن حسين دغيش أظهر الحكم بالطاغوت، ووصلت إليه امرأة من أهل علمان تطلبه النصفة لها من أهل علمان، وكانوا شكوها إلى عامل صنعاء علي بن حسين الآنسي، وتضرروا منها، وأقاموا عليها الشهادة بأنها سرقت ثلاث مرات، وستر عليها الشيخ العبادي حتى حصل منها غيار في بعض الأموال المزروعة فشكاها الشيخ إلى العامل فأودعها النوبة سجن النساء، ثم جاء الشفيع فأُخرجت وقصدت بيت

---

(١) **التحيتا**: قرية غربي مدينة زبيد بمسافة (٩) كيلومترات.

(٢) سنة (١٢٢١هـ) = (١٨٠٦م).

(٣) **عُلْمان**: بضم العين واللام. بلدة أسفل وادي ضَهْر من جهة الشرق.

ابن دغيش، وانتسبت له وعيّرته بأنه جرَى عليها ما جرَى وهي من رعيته وكانت قد عَلِمت ميلانه عن الدولة وتغيّر حاله، فسيّر ابنه إلى علمان في جماعة لإمضاء حكم الطاغوت، كما قيل، وإثبات الجريرة وذبح خمسة عشر رأساً بقراً عند كل عاقل من عقال بني الحارث، فلما رأوه قد تحكّم فيهم، اعلموا الدولة بأمره فبعث سيف الإسلام جماعة من البطانَه فخرجوا وهجموا على جماعة ابن دغيش وهو فيهم فضبطوه مع خمسة وحَملوه إلى باب الإمام فأقامه في الشمس حافياً تحت دار الصافية ببير العزب، وأمر بإحضاره الديوان مجمع الحكام، ليقرروا ضرب عنقه فلم يصح بوجهِ الشرع ضرب عنقه، فتوقف الإمام عن ذلك، وأودع السجن حتى قامت القبائل المنكفَه، وبغتوا أهل عُلمان فجأة لمعرفتهم أن السبب في قبض بني دغيش هم أهل علمان، وكان أهل علمان حول زرايعهم فلم يشعروا إلا بالنذير من القرية: جاءت القوم يا قوم، فقاموا عن الزرايع وأرادوا دخول البلدة فحال بينهم وبينها الجيش، فتسلق البعض إلى الدخول من عرض البيوت، واشتدوا على أولئك فقتل من أهل الرحبة ومَن معهم ستة نفر وعشرة أصيبوا، وأصيب رجل من أهل علمان، وأرسل حاكم القرية محسن بن محمد شمس الدين أبو طالب رجلاً يقيم الراية لبني الحارث بعد دخولهم بيت الشيخ العبادي، ونهبوا جميع ما فيه، وأحرقوا بيتين حوله، فخرجوا عنه عائدين وأرسل أهل علمان إلى الدولة يشكون ما صنع بهم بنو الحارث، فأرسل الإمام ولده سيف الإسلام فالتفّت عليه قبائل الحَوَاز ومن بصنعاء من قبائل بكيل، وعسكر بهم في الروضة يوم الأحد ويوم الإثنين، فأرجف على أهل الرحبة فَفرّ أكثرهم، وكان قد دخل ابن هديّان وابن حنظل وابن فارع من مشايخهم مذعنين للطاعة، وتبرّوا من أفعال ابن دغيش، فبعث سيف الإسلام بأهل الخراب[١] وجماعة من القبائل، ليعرفوا من يقبل الخطاط ممن يمنعه؟ وتنافس أولئك المشايخ في أي بيتٍ من بيوتهم ينزل، فرجح النزول على ابن فارع ببير زاهر[٢]، وسار بين يديه من قبائل الحَوَاز[٣] أهل بني بهلول وسنحان وبلاد البستان وبني حشيش وهمدان، وخمسمائة من التوابع وثلاثمائة من ذو محمد، وقليل من ذو حسين عليهم يحيى بن هادي ولمّا وصل أهل الخراب والسابقين امتنع ابن هارون من قبول الخطاط، وكان قد عقر بالروضة على أن لا يقع عنه الخطاط، وأظهر إذ ذاك الفساد ابن الحاج فناجزوه ظهر يوم الخميس إلى المغرب وأحاطوا بحصنه وكان عنده جماعة من سمح نهم، وقتل جماعة من الطرفين، ثم خرج في الليل فاراً، ولم يدر أين ذهب ثم وصل ابن هارون

---

(١) المقصود هنا: خراب المراشي في بَرَطْ.

(٢) بير زاهر: من قرى سُدس الحدود بمديرية بني الحارث وأعمال محافظة صنعاء. تبعد عن صنعاء شمالاً بمسافة (٢٠) كيلومتراً.

(٣) أي القبائل المجاورة لمدينة صنعاء.

مذعناً خائفاً ووصل بعده بنو دُغَيْش، وعقروا رأسي بَقَر فقبل منهم ونزل عليهم وغلّهم سيف الإسلام بالحديد، وكذلك ابن صَبِر[1] وبني عاصم[2] واستدعى أهل بني جرموز[3] سيف الإسلام، وقبلوا خطاطه.

وعاد سيف الإسلام مؤيداً منصوراً ورؤساء القوم بين يديه، وسار من بيت دغيش إلى الغراس[4]، فزار جده أحمد بن الحسن يوم الجمعة تاسع وعشرين شهر الله المحرم، وسار آخر النهار إلى الروضة وعسكر بها، وشد رحله موجهاً صنعاء يوم الثلاثين. وخرجت أعيان صنعاء لتلقيه وتهنيه وبالفتوح عليه.

[اضطراب الصرف]

تخبّط صرف القرش، فبلغ زيادة النصف على ما رسمه الدولة، وشكا الناس قلة الفضّة به.

[الحرب بين ابن قملا صاحب خَبّ وجبل بَرَطْ]

وفيها: وصل الخبر بأن ابن قملا صاحب وادي خَبّ فتح الحرب بينه وبين أهل جبل برط وقُتل من الفريقين جماعة بعد أن دعاهم إلى معاهدة سعود، وعقرت خمس خيل على ذو حسين، وضربت النكفه من الجانبين.

[إصلاح سور بير العَزَب]

وفيها: أمر الإمام بإصلاح ما خرّب السيل من دائر بير العزب، بعد أن فرق بعض «الأموال»[5] على الضعفاء من أهل بير العزب معونة، فشكوا إلى الإمام ذلك، فألزم وزيريه الحسن بن علي حنش والحسن بن أحمد العلفي أن يقوما بأمره وإصلاحه.

[وصول البدر من عمران]

وفي يوم الجمعة ثالث عشر شهر ربيع الآخر، وصل البدر محمد بن الإمام مِن عَمْران بعد تخبط من أهلها وأبقَى له نائباً من عبيده، وتخبّطت الآراء أيضاً، وقد كانت تأتي محمد بن الإمام الكتب من الشرف وجهات شهارة وأعمال بلاد القبلة، مُفصحةً بأن

---

(١) **بنو صَبِر**: بفتح الصاد وخفض الباء. من قبائل بني حَكم إحدىٰ قبائل أرحب في شمال صنعاء.

(٢) **بنو عَاصِم**: من قبائل بني الحارث في شمال صنعاء.

(٣) **بنو جرموز**: منطقة في بني الحارث مركزها قرية الحَرَّة بفتح الحاء وتشديد الراء.

(٤) **الغِراس**: مدينة أثرية في أسفل جبل (ذي مرمر) بالشمال الشرقي من صنعاء بمسافة (٢٥) كيلومتراً. وفيها قبر الإمام المهدي أحمد بن الحسن بن قاسم بن محمد (ت ١٠٩٢هـ/ ١٦٨١م). وكان قد اتخذها مقراً لسلطانه.

(٥) **وردت في «أ»**: الأعوان.

يقدم عليهم ليحفظ البلاد من الموهبة، أو أن يرسل من يحفظها من طرفه، وضمنوا له فتح البلاد، وسعَى في ذلك ولكنه لم يجد مجالاً من صنعاء.

[فساد أهل خَوْلان]

وفي هذا العام تداعت قبائل خولان للفساد لسبب وذلك أن أهل ذي يَدْوَم[١] بعد مضي الأعوام من خراب حصنهم، وكان أخربه حميد بن عبد الله العلفي بواسطة حسن بن محسن راجح وغيره، وهم القابضون لحقوق ذي يدوم فبدَى لهم أن ينصبوا لهم شيخاً، ووقعت خيرتهم للقِيَري من غير مفاوضة لآل راجح، لعدم ذبِّهم عنهم وطلبهم للسياسة الحائرة فأصلحوا دايرهم بالعمارة واشترطوا على القيَري في مشيخته أن لا يطالبهم بشيء من الحقوق وإنها إلى بيت راجح وفرضوا له شيئاً من حبوبهم وأعنابهم وسائر ثمراتهم في كل ثمرة، فخرج بعض بني راجح للنكفة على أولئك وسار إلى الكِبْس فلم يلق أحداً ممن يُعوّل عليه، ثم سار فبلغ أقاصي خولان، محل سعيد بن سعيد بن مقري فوافا مَوت والده واجتماع الناس عنده للعزاء وفيهم الاختلاف فمن الجوف وأشرافه جماعة ومن العُجمان جماعة ومن السبع القبائل الخولانية وقبائل نِهم، فغنم ابن راجح تلك الفرصة فألقىٰ هو وأصحابه سلاحهم ومتاعهم وثيابهم وكشفوا عن عوراتهم، وسألوا القبائل سترها كما هي عادة أهل الطاغوت، فالتفّت القبائل وأجابوا لذلك ووضعوا قاعدة في الوفاء، وكان ذلك في ربيع الأول من هذا العام، وقام العكامي فتوسط بالصلح والسَّد على الأمر الجميل بطرح مشيخة القيري، وقام معه ابن المَسْمِيّ وابن الصُوفي صاحب حصن الظبيتين، والقاضي إسماعيل بن محمد بن يحيى بن أحمد الكبسي ومحمد بن حسين الكبسي، وقالوا: أمر الدائر إلى الشريعة، وضمنوا بالعقاير في بني شداد على شرع الطاغوت وفي سوق الحضارم مجمع خولان[٢] فأبىٰ ابن راجح هذا واشترط خراب ما قد عُمِر من الدائر وتعقّب هذا دخول جماعة من عقال اليمانيتين، منهم صالح الصوفي ومحمد بن صالح نُشَيْر ـ بالنون المعجمة مصغراً ـ بعقاير، ووجهوا القبض لستمائة قرش من ذي يدوم لبني راجح، فوصلوا بالعقاير إلى بني راجح، فعقروها قبل طلوع الشمس، فاختفىٰ آل راجح وظهر النساء والصبيان زاعمين أن رجالهم قد ذهبوا إلى الطوائف من بني جَبْر والأعروش والجوف وأنهم في إزعاج الناءِي فرجعوا بعد عقرها إلى سوق دلاّج، وتعاقدوا على أن من تأخر خرب بيته، وثبّتوا المراكز في حدود البلاد واعتذر أهل الجوف والعجمان وسائر من عند سعيد بن مقري ممن قد وهَّب وقالوا: لا نجيب إلى هذا الحكم ونحن ننهىٰ عنه، وكان من جميع هذه

---

(١) ذي يَدْوَم: من قرى اليمانية العليا في خَوْلاَن.

(٢) **سوق الحضارم**: محل من مركز «جبل بني جَبْر» من بلاد خَوْلاَن.

القبائل المجيب نحو ستمائة من خولان، فأخربوا حصن ذي يدوم على صلح، وطلبوا من القيري أن يتحول عن المشيَخَة، فتحوَّل. ولمّا استقروا ليلتهم بحصن ذي يدوم على تمام العهد أدخلَ أهل الحصن جماعة من أصحابهم ليلاً، فأثاروا الفتنة وحصل قتل من الطرفين، ثم انحسم الدَّاء بعد هذا.

[حوادث متفرقة]

وفيها: وقعت قتلة بين جماعة الموهبة بحجور وبين السادة بيت أبـي منصر، بعد أن انكف السادة في قبائل حاشد وبعثوا ثلاثة رؤوس إلى الإمام وهو بدار الصافية.

وفي: آخر ربيع الآخر وصل الأمير بُسر بن أرطأه، وأمير آخر من عبد الوهاب أبـي نقطه في جماعةٍ عن أمر صاحب نجد إلى بدر وأطراف نجران، وطلبوا من أولئك أن يدخلوا في الدين فدعوهم أربعة أيام، ثم كانت الحرب ودارت الدائرة على بُسر، وأحصى القتلىٰ من الموهبة، فكانوا ستمائة أو يزيدون، وأخذوا عليهم سلاحاً ومتاعاً ومالاً وخيلاً وإبلاً.

وفي هذا العام هلك الطاغية محمد بن سعيد أبو حليقة بعد طلوعه من جمعة آنس من المصنعة بلاد آنس.

وفي شهر جمادى الأولى أراد السيد شرف الدين بن أحمد متولي الديار الكوكبانية[1] أن ينزل بعض رُتَب لاعَه[2] وطردهم عنه وكانوا من عيال سريح فانكفوا في قبائلهم، فأجابوا وساروا إلى مسور، فضبطوه وأفسدوا على السيد شرف الدين وتحكموا وطلبوا إخراج العباس بن إبراهيم من السجن، ثم طلع محمد بن أحمد شرف الدين بنحو خمسمائة من أرحب وكان بأسفل بلاد كوكبان وضايق من بحصن مَسْوَر وتتبع عيال سريح في كل جانب.

وفي هذا العام حصل الفناء في الأعلام وسَرى الموت في جميع الجهات وكثر.

[حادثة السيد محمد عقيل مع الافرنجي]

وفيها: كانت ماجرية السيد محمد عقيل صاحب حصن ظفار مسكات[3]، وذلك أنه أرسل أخاه عبد الله إلى المخا، فكان قائماً هنالك مع أحمد الملة بباب

---

(١) **هو الأمير شرف الدين بن أحمد بن محمد بن الحسين بن عبد القادر**: الذي تولّى إمارة كوكبان بعد عمه عيسى بن محمد فشهر بالعدل والرِّفق. هجر العلم (٤/١٨٩٣).

(٢) **لاَعَه**: مركز إداري من مديرية الطويلة وأعمال محافظة المحويت. يقع في جنوب جبل مَسْوَر وكان في السابق من أعمال حجّه ـ (معجم البلدان والقبائل اليمنية).

(٣) مسقط.

الفرضة[1]، يتحاور في أمور التجارة، فمضى تاجر افرنجي فرجمه هنالك، فسبّه ولعنه فردّ عليه الأفرنجي وتخاصما فاشتدّ خصامهما، ثم تفارقا على وجع فلما كان من آخر النهار خرج الأفرنجي في ثلاثة من عبيده فتبعه عبد الله بن عقيل في سبعة من عبيده وشريف كان عنده من أشراف أبـي عريش فضربوا الأفرنجي وأصحابه بالعَصي، فصاح الفرنجي فخرج الحفظة من أهل الأدراك وخلّصو الفرنجي. ورفعت الشكاية إلى سلطان حَسَن عامل البندر، فأودع السيد عبد الله وأصحابه السجن، وأمر بتكبيلهم محتجاً عليهم بعدم رفعهم الشكاية إليه، فورد إلى البندر السيد محمد عقيل، وكان غافلاً فأخبر بما قد كان، فاشتد غضبه، وقال أيعتدي فرنجي كافر بالله، على مؤمن بالله من آل رسول الله ﷺ ولا تحصل الغيرة لله تعالى ولدينه؟ ووجد مجالاً في الصولة، وتكلم مع الناس وكانت له في تلك الأيام يداً إذ كان هو الساعي في الهدنة بين حمود وصالح بن يحيى، وخمدت نار الفتنة بسببه في تلك الأيام وإن كانت انتقضت عن قريب كما قدمناه لك في هذا العام، وأراد الفتك بالفرنجي والانتصاف من سلطان غير أنه لم يكن معه سوى ستمائة من عبيده، ولم يكونوا جميعاً إذ ذاك حوله بل البعض منهم متأخر، فانتظرهم فلم يشعر إلا بوصول رسول منهم، أن عامل المخا حجبنا عن الدخول وألزم صاحب باب الشاذلي[2] أن لا يأذَن لهم في الدخول فثارت عزيمته، وطلع إلى كاتب باش وتشكّىٰ من سلطان، وكان الكاتب له صاحباً فرفع الأمر إلى الأمير سلطان، فأخذ عليه أن يقرر عليه أن الحجة للفرنجي، وأن المعتدي أخوه، فاضطر إلى ذلك وقال: نعم. فطلب الأمير الفرنجي وجماعته، وأخرج السيد عبد الله، فلما مثل الجميع بين يديه، استغفر الله السيد عبد الله بن فعله بالفرنجي، وأخذ على الفرنجي أن يعظمه بحرمة الإسلام، ثم بدا للسيد محمد عقيل الرحيل عن بندر المخا، فتخلّص جميع ماله وما تحويه يداه وأظهر أنه راغب في النزول على صالح بن يحيى، ونجّل جميع ذلك إلى مراكبه، وقطع العلاقة عن بندر المخَا وسار إلى بندر اللحية ورغب في مداخلة حمود بن محمد، وأراد منه أن يسفح له كمران ليعمر به فأذن له في ذلك ولم تسعده الأقدار إلى ذلك.

[قبائل بَرَط تعتدي على صنعاء]

وفي يوم النصف من جمادى الآخرة وصلت قبائل القبلة آل جزيلان في جماعات آخرين، مظهرين للفساد فنهبوا باب صنعاء وقتلوا راعي غنم، وما زالوا يتخطفون، وطالبوا بحقوقهم المعتادة وكان الإمام قد طلب جنوداً واسعة من حاشد وبكيل، وكان آل جزيلان ومن معهم قد فارقوا البلاد قبل وصول طلاب الإمام وما زالوا إلى يوم ثاني

---

(١) باب الفرضه: من أبواب مدينة المَخا.

(٢) باب الشاذلي: من أبواب مدينة المَخا.

وعشرين من الشهر ومرّ بالطريق اثنا عشر رجلاً من المحاقرة[١]، فتلقفهم من ذو محمد خمسة نفر، وأرادوا سلبهم فقامت الإثنا عشر فقتلوا الخمسة، فسار الصايح في ذو محمد أن الخمسة قتلهم جماعة من المحاقره فقام أكثر مَن بالمطرح من بَرّ بيت الخولاني فقتلوا أربعة من المحاقرة، فانكفت سنحان على آل جزيلان، فقوضوا خيامهم من المحل وساروا إلى ضِبْر خَيره[٢] فاستعادت الدولة محمد بن صالح جزيلان فعاد وبلغ البطانة عَوده، وكان أهل المحاقره قد أخذوا على البطانه القيام معهم إذ كان عهدهم واحداً، فاجتمع البطانة بصنعاء، وقالوا: قد كان بيننا وبين ذو محمد من أيام سابقة صلحاً، فأما الان فقد ذهب بسبب قتلهم اخواننا من المحاقره. فسعى أكابر البطانه في ترك إثارة الشرّ، فطلب الإمام دخول ذو محمد إلى حضرته، فخافوا من اتباعه فقدّموا بنادق على شرع القبيلة، ودخلوا يوم سادس وعشرين جمادى الآخرة، ونَفذ الجماعة الآخرين غير ابن جزيلان المطلوب، وكان منهم مهدي بن صُوفه ومن إليه، فبلغوا دَنّ وصاب[٣] وأخذوا حصنه ونهبوا السوق، وفعلوا الأفاعيل فواجهتهم الرعايا بالطاعة، وأرسل الواسطة علي بن حسين الانسي جماعة من خولان لحصار ذو محمد فلما بلغوا مسجد زاجد[٤] التفت عليهم المحمدية، فَشَردوا، فأُرسل بعد ذلك السيد قاسم بن يحيى الشامي من بلاد خولان فنفذ فانكفَت ذو محمد عند أصحابهم المفاوتين من صنعاء، فقصدوهم فتحيّر السيد قاسم بالطريق ولم يقض مأرباً.

[الوهابيون يغزون بلاد رَيمه]

وفيها: عدت جماعة من الموهبة على قافلةٍ طلعت من التهايم، فوصلوا إلى الظُهرة ـ بضم المعجمة من بلاد ريمة[٥] ـ وقتلوا شيخين من مشايخها إحداهما على يحيى الشاوش، ونهبوا غير تلك القافلة ممن وجدوه.

وفيها: استولت الموهبة على باب موزع[٦]، وأخذوا حمائل منه عديدة.

وفيها: نهبت الافرنصيص[٧] مركب النواب الانكليزي باب عدن فأخذ منه نحو أربعين ربطة.

---

(١) **المحاقِره**: من قرى سَنحان، تقع جنوب صنعاء بمسافة نحو عشرة كيلومترات، جوار جِزْيز.

(٢) **ضِبر خيره**: قرية جنوب شرق صنعاء، وهي من بلاد سَنحان. تقع في السفح الجنوبي لجبل نُقُم.

(٣) **دَنّ وصاب**: هو جبل الدَّنْ في وصاب العالي، والذي يقع غربي قَفْر يَريم. به مركز وصاب.

(٤) **زاجد**: مركز إداري من مديرية وصاب العالي.

(٥) هي من قرى مركز بني سعيد بمديرية الجعفرية في بلاد ريمه.

(٦) **مَوْزَع**: صقع جنوب شرق ميناء المخا.

(٧) **الافرنصيص**: الفرنسيون.

[رؤيـا مناميـه]

ومن مظاهر القادر سبحانه وتعالى رَؤيا صبيَّةٍ لصبيّه ماتت قبلها، وكانت أمها قد تصدقت عنها بشيء من الملبوس، فأخبرت الرائية أنها رأت ذلك الملبوس على تلك الميتة، وأنها سألتها عن حالها، فأخبرتها عن سعة بعد الضيق، وأن الدنيا ليست شيئاً بالنسبة إلى الآخرة وأنهم يغدون ويروحون في حواصل طير.

وفيها: رأى بعض الصالحين بعض من كان يألفُهُ فسأله عن أحوالهم بالقبور فأخبره أن أهل القبور تتكشف لهم حقائق الدنيا قبل وقوعها، وقال له: كيف بكم إذا أقبل جيش الشام وكانت القتله بـ (رَيْده) وهي على مرحلتين من صنعاء، قال: ثم ماذا قال: ثم عَدْل كعدل عمر بن الخطاب لا نتأسف إلا على عدم إدراكنا له.

[خضوع قبائل ذو محمد لسلطة الدولة]

وفيها: يوم الخميس تاسع شعر شهر رجب، دخل قبائل ذو محمد وغيرها من قبائل القبلة باب الإمام في جمع عظيم خَيْل ورجل، فيهم من أَشْرَاف الجوف ويام وغيرهم كل بطل شجاع، وتأخر أفراد ذو محمد بكولة العَرج[(١)] ثم دخلوا. وندب الإمام ولده سيف الإسلام على نزوله تهامة يتبع يحيى بن محسن بن علي، وأضاف إليه بلدة عَمْران وما إليها، وما زالوا بصنعاء حتى أيسُوا من أن الدولة تريدهم، وتأخرت عنهم الإقامات وطال بهم البقاء بصنعاء، فخرجوا عنها مغاضبين وسيأتي تمام الخبر آخر هذا العام.

[الشيخ الجُماعي يقضي علىٰ الموهبه في وصاب]

وفي رجب[(٢)] أيضاً وصلت ستة رؤوس من أحمد بن علي سعد[(٣)]، يزعم أنه وقع حرب بينه وبين الموهبة في وصاب سوق الأحد، ثم أتبعها بتسعة عشر رأساً، وأخبر أنها من ملحمة كانت بينه وبين بني سوادة أهل الحجرية، كانوا قد جنحوا إلى الموهبة.

[وتغلغل الموهبه في تهامة وبلاد صعده]

وفيها: بعثت يام كتباً إلى القاضي عبد الله بن حسن البرطي يستنجدونه على الموهبة، ويذكرون له ما فعلوا معهم ويستنجدون معه أولاد همدان من زيد، وتكرر من كل كاتب منهم في كتابه: يا عبد الله يا عبد الله الغارة الغارة والحذر الحذر، ووصلت

---

(١) هي قرية الكولة على بعد بضع كيلو مترات غربي مدينة الروضة. هي التي عليها اليوم معسكر الحرس الجمهوري.

(٢) سنة (١٢٢هـ).

(٣) الشيخ أحمد بن علي سعد الجُماعي.

كتب من محمد بن علي وأخيه الحسين بن علي متولّيا صعدة، يفصحان للدولة بنزول ابن قعبان الوادعي ومن معه إلى حضرتهما، ونصحه لهما بأن يدخلا معه في الدين، وإن ذلك أسلم لهما ولبلادهما من إزهاق النفوس، وإذهاب الأموال، ووصل خبر بأن أهل نجران، أرسلوا إلى من بصعفان: أن الغارة الغارة، فسار منهم ستون نفراً وقصدوا قاع تهامة مظهرين أنهم قاصدون لحمود، فلاقاهم جماعة من أصحاب أبي نقطة، فبلَغنا أنهم قتلوهم عن آخرهم، واشتد الحصار على من بنجران من الموهبة المتابعة بعد بُسر بن أرطأة وقومه وأنه بلغ القدح الطعام بنجران خمسة عشر قرشاً حجراً، حتى قيل لنا أنها مالت طوائف من نجران إلى الدخول في معاهدة سعود غير أنهم رأوا ما المراد أن دينوا، وإذا هم يطلبونهم الحلقة من البنادق والسيوف والدروع فانثنوا بشدة وعادوا للقتال آخرا.

[ذو حسين تقتل رجلاً من بني نوف]

وفي يوم الأحد سادس شعبان، قتل جماعة من ذو حسين رجلاً من عيال سريح بباب شعوب فكمن جماعة من عيال سريح حتى رأوا رجلاً صبح الإثنين فقتلوه ظناً منهم أنه من ذو حسين، فانكشف [انه] من بني نوف فتحمّل ديته ذو حسين على شرع القبيلة.

وفي آخر رجب نزل النقيب علي بن سهل الخولاني على أحمد بن علي سعد فوصل إلى ذمار فقتل بعض أصحابه أمرأة من أهل ذمار عمّالة للخبز، «واختلف في قتلها أخطاءً أم عمداً»[1]. فالتفّ غوغاء أهل ذمار وحصروا عُصبَة علي بن سهل فالتجوا بباب العامل، فأقبلوا عليهم بالخشب والعصي فضربوهم فقتل أربعة نفر من خولان، وسلبوا جماعة منهم، ورجعوا بعد في فصل أمورهم إلى الحاكم، فاستعاد ما أُخذ عليهم ورده إليهم، وأمرهم أن يستجلوا على أنفسهم أنهم أهل الخطيّة ففعلوا وإنها لم تبق لهم معذرة في أهل ذمار.

[فساد بكيل في باب صنعاء]

وفيها: تغيرت أحوال قبائل بكيل القاطنين بصنعاء كما قدمنا قريباً فخرجوا مغاضبين، فأخافوا السُبل، ونهبوا المارة، وقتلوا كل من لم يتسلم إليهم بباب شعوب وتنكرت طباعهم وساءت أفعالهم، وخاف الناس حتى فَرَّ من له متاع ومال من بير العزب ودخل صنعاء مع أن على بير العزب حصناً حصيناً غير أن الناس أيسوا من أن الدولة تمنع عنهم، وأصاب الرعب قلوب الأكثر.

---

(١) وردت الجملة التي بين المعقوفتين بهذه الصيغة: واختلف في قتلها أَعلَىٰ الخطأ أم علىٰ العمد.

[الفرنسيون يستولون على سُفن لأهل المخا]

وفي شهر رمضان وصلت الكتب من بندر المخا مُخبرةً بالحوزة للبندر، وأفصحوا عن أن جماعة من الفرنصيص، تلقفوا عشرة داوات شاحنة بناً ودراهم لأهل المخا ومسكات وأهل الحديدة وبنقاله، فاستولى عليه الفرنجي، وذهب بهم إلى دياره، ولاقَى في حال مسيرة مركب آخر، فحازه وظفر به، وكان ذلك المركب للشريف غالب بن مساعد، وبه أموال جليلة له ولسائر تجار جُدّة وبه ما يقاوم خمسة لكوك من المال. فورد الخبر على الشريف فلم يعرض عن ذلك، بل قام له وقعد، وأرسل بكتاب يتبعهم طية كتاب كبير الفرنج، فوجدهم رسوله قد نزلوا بجزيرة مريس مما يلي سواحل بر الفرنصيص[١]، فبعث إليهم بكتاب كبيرهم بونابارته الذي عاهده به غالب وقد قدمنا ذكره وعلى ذلك الكتاب مهر بونابارته أي اسمه فوجدوه عهداً لازماً لهم، لا ينفكون عن موافقته، فأعادوا عليه المركب بجميع ما فيه فلما وصل أخذ غالب ما بِهِ من الأموال، وأحرم من له به مال، وقال: لم أستعده إلا لنفسي، وقد بذلت عليه ما يقاوم الذي به.

[سقـوط كوكـب]

ومن مظاهر العَلاّم «سبحانه وتعالى»[٢] في هذا العام ترامى الكواكب بالمشارق والمغارب، ولم يأت أحد إلاّ حَدّث عن رؤيتها سيما في شهر رمضان، وذلك لشأن من عظيم الشأن، ووقع كوكب على دارين من دور أكلةِ الربا وأهلك اثني عشر نفساً.

[فساد جَوْب غيمان]

وفي ليلة ثالث وعشرين شوال ورد رجل إلى الدولة من أهل جَوْب[٣] يخبر بأن ابن الفقيه وولده قد زاد شرهما وعَظُم أمرهما وردّا أوامر الدولة ونواهيها وأن البيت الذي هُوَ به قد ابتاع، فرأت الدولة في أن الصلاح في قبض الولد سيَما وهو الذي رمَى شيخ بلاد سنحان الشاطبي في المرة الأولى، فبعث الإمام غازية في آخر الثلث الأول من الليلة الأخرى، وتقدمهم البائع لِلبيت فما وصلوا حتى فتح لهم الأبواب، وأدخلهم على الرجل وولده فألبسوهما حِلَق الحديد، ولم يقوموا بهما في الحال بل طلبوا العشاء منهم فأشار الولد إلى النساء أن يصحن في قومهن فلم يشعر جند الإمام[٤] إلاّ بالصياح فانثالت القبائل من كل جهة وتمت لهم الكلمة ولم يخرج أصحاب الدولة إلا في رجب، وقُتل

---

(١) لعل المقصود مرفأ مرسيليا في جنوب فرنسا على المتوسط.

(٢) زيادة في ب.

(٣) المقصود هنا: جَوْب غيمان، وهي من قُرى بني بُهلول في جنوب شرق صنعاء بمسافة نحو (١٧) كيلومتراً.

(٤) ورَدت في «أ»: جند الدولة.

السيد عباس بن إسماعيل عباس صاحب الروضة وأحمد بن علي صبره وكانا رجلي أهل الروضة في الشدّة، وورد الخبرُ على سيف الإسلام بذلك الأمر فبعث عليهم العساكر إلى ريمة بن حُمَيْد وتداعَى الشر حتى أجاب أهل غَيْمان، وكان خروج جند الإمام يوم السبت آخر يوم من شوال، وانقسم الرماة نصفين: نصف على غيمان والنصف الآخر على جَوْب، ودخلت البطانة بيتاً من بيوت غَيْمان (بِفَلْسٍ فَلَسوا[1] فاشتدت عليهم عساكر غَيْمان) ونزل مَن بالحصن، فانهزم جند الدولة، وقُتل حال الهزيمة سليم المنصور وثلاثة معه، وقتل معه من أهل غيمان وجَوْب ستة نفر، ومدت بنو جَبْر وخولان جوباً بأنفسها، وما زال الأمر متفاقماً. وخرج الفقيه علي بن إسماعيل فارع إلى هنالك ولم يقف على طائل بعد ترادف الجموع ودار بعد هذا الصلح بين جوب والدولة واشترطت الدولة دخول ستة نفر منهم في السلاسل وعلى أن يعقروا أربع عقاير، وكان دخولهم يوم الجمعة سادس شهر القعدة وضمنوا في الوجه بتسلم دية المقاتيل، وارتفعت الدولة على دَخَن فإنه لم يمر الأسبوع حتى خرجت (جَوْب) إلى (أَسْنَاف) وأخذوا ثلثمائة رأس غنماً وقتلوا رجلين من أهلها.

[حسين أبو حِلَيقه إلىٰ ذِي سُفال]

وفي شوّال سار أبو حليقة بجماعةٍ وكان قد سأله الوصول الشيخ الكامل صاحب ذي السفال وكانت ذو محمد ومن علىٰ رأيها قد تحكمت بأمواله وانتهبوا دواباً من بقره وغنمه وجماله فوصل في أربع مائة نفر من أصحابه ومن سار معه فوصل إلى الكامل وفتح الحرب بينه وبين القبائل البكيلية بعد أن حكّمه الكامل في أمواله وبذل له مخازنه ففتك فتكة عظمى أسال بها الدماء وعظمت بها على ذو محمد الدّهما وقتل بيده نحو ثمانية عشر نفساً وقُتل من أصحابه تسعة نفَر ولما رأت المحمدية ما جرى على أصحابهم جنحوا إلى الصلح والمداراة.

[بيت أبو منصر]

وفي أول القعدة سار السادة بيت أبو منصر إلى مغربٍ عَنس وقبضوا التربة وادّعوا أن إبراهيم بن يحيى متولي جهة آنس قبض منهم أموالاً ومطلهم بها وكانوا قد توجهوا أولاً بأربع مائة من قومهم نحو آنس فلم يجدوا مسلكاً فعادوا على عَنس لما كان واسطة ابراهيم بن يحيى الحسن بن علي حنش وكلا البلادين له فتحرك إبراهيم بن يحيى وخرج الفتى فرحان حسن الحبشي لمصادرة بيت أبو منصور وكان قد استدعى إليه الشيخ علي ناجي القَوسي صاحب الحدا فانفتح الحرب حتى خرج بيت أبو منصور من التربة وكانت ماجريات يطول شرحها.

---

(١) **الفَلْس**: بفتح فسكون. هو نَقبُ جدار من الجدران. **الأرياني**: (المعجم اليمني).

[إصابة الشريف حمود]

وفيها: تواردث الكتب من الحديدة باستنجاد الغارة وأفصحوا فيها على أنهم مدينون فعاجل الدولة ذلك الأمر وبثوا على سيف الإسلام أن ليس لها سواه فخرج عن صنعاء سابع شهر القعدة وكان الجيش العظيم قد ذهب إلى اليمن الأسفل فوعدوه به وسيروا معه طائفة يسيرة من بني الحارث وبني حشيش والتوابع فخرج بهم يوم السبت السابع من ذي القعدة عقب الظهر والتف معه بطانة أخوته عبد الله ومحمد وكان قد استدعىَ من بجوب من اتباعه فتشرطوا وتلاشت الأمور وظهر من الوزير حسن بن حسن عثمان الخداع في صورة النصح فإنه ضمن لسيف الإسلام بالأموال والرحال ولم يزل مناظراً من ذلك اليوم إلى صبح يوم الجمعة رابع عشر القعدة ثم نهض من عصر منكسر الخاطر وخرج في يوم السبت الأمير سعد غدارة بثمانين خيالاً وستمائة من التوابع وقد قدم الإمام قبل خروج سيف الإسلام أحمد بن علي العِكام في نحو أربع مائة وانقطع عنهم المدد من صنعاء، فما زالوا مترقبين بالطرقات. وكان سيف الاسلام قد أضيفت إليه ـ في هذا العام ـ بلاد عمران فأرسل إليها قبل خروجه محمد بن محسن حنش في قلة من التوابع وكانت قد أفسدت البلاد من عيال سريح وجبل عيال يزيد وغيرهما، ولما أيس سيف الإسلام من الإغاثة وعدم الوفاء من صنعاء وبلغه أن القبائل التي كان نظرها إليه قد تلاشت أمورهم مع الدولة وحصل الفوت بينهم ووصله الخبر بطلوع ذلك الجيش صنعاء آخر شهر القعدة، فوصلوا باب صنعاء في اليوم السادس والعشرين منها، طالب أن تناط به بلاد حَرَاز، ففهموا من ذلك أنه سيكتفي بها ويذهب إلى تهامة فأسعدوه، وطلع إلى حَرَاز، وأعرض عن نزول تهامة صفحاً، فإنه رأى أموراً منكرة على أنها جاءته كتب من حمود بن محمد مخبره بالتفاف الناس عليه، وتوجههم إليه وانقيادهم لطاعته، وأن حموداً قد مال إلى الدخول في جماعته عن جميع تلك الأمور، وسيَّر سيف الإسلام الأمير سعد غدَّاره فيمن مَعهُ، وقال: امتثلوا ما أمرتم به من صنعاء، فطالبوه في الإقامة، فأقامهم. ولمّا وصلوا إلى صنفور جاءهم الخبر بأن الأمر غير ممكن لكم سيما مع قلتكم فلم يثنهم ذلك، وساروا لبقية خمسٍ من ذي الحجة، فلاقاهم حمود بن محمد بـ (المكيمنيه) فحال بينهم وبين الحديدة، فتقدم عليهم في نحو ثلاثة آلاف أكثرهم من حاشد وبكيل، وكان الأمير سعد في خمسين خيالاً ومائة وخمسين رجالاً، وكان عدتهم تنيف على أربع مائة، خلا أنه تأخر بصنفور والجبال جماعة لا إقامة لهم، وذهب كلٌ قِبَل وجهه، فلما تواجه الجمعان تصافوا ودارت على جند الدولة قبائل الشريف من كل وجهة، فأصدقوا الفعل في جند الشريف، فأصيب فرسانه ورجاله، وذهب كثير منهم قتلاً بالرصاص، وأصيب حمود في فخذه، وأصيب ولده في وجهه، وقتل من أصحاب

المنصور نحواً من ثلاثين راجلاً وتسعة نفر من الخيالة.

[خديعةً من الشريف حمود أوقعت بجيش المنصور]

ثم إن حموداً لما رأى ثبات جماعة المنصور، ورأى منهم ما لم يكن له في حساب أمر بنصب الراية لهم، ودعاهم إلى المسالمة، فاغتروا به، وحملهم على ذلك شدة الحر وعدم الماء وقلة الأزواد، ورأوا أن لا ملجأ ولا منتجَى منه في تلك الحالة إلا إليه، فساروا فخاب فيهم وتسلّم سلاحهم وخيلهم وعددهم وقراشهم، غير أنه خاطبهم باللين ونسبهم إلى الغباوة ومَنّ عليهم، واعتذر إليهم، وقال: ما كنت على هذا الشرط بعد نصب الراية ولكنكم ترون من معي من جماعة الموهَبة، وأنه قد أخذ عليّ في الشدة، وعَطَف بعد هذا على الحديدة، وجاء الخبر إلى صنعاء في حال الواقعة، فإن الناس تحدثوا بها في يومها، وسار أصحاب الإمام من قاع تهامة في قيد الذل والمهانة وباينوا سيف الإسلام، وكان قد أرسل إليهم من حراز بالثياب والملبوس والطعام، ولقاهم إلى الطريق، فعدلوا عنه، وساروا نحو صنعاء وقد لاقوا ما لاقت الصحابة في حنين، وعادوا عن قاع تهامة بخفي حُنَيْن، والأمر لله العلي الكبير، وكان ما كان مما لست أذكره.

وكانت هذه الواقعة مغلقة لباب تهامة وفاتحة لعلائق السكون والسآمة وسيأتي بقية نشر الخبر وطي بساط تهامة ودخولها تحت حكم الشريف في العام الآتي مفصلاً إن شاء الله تعالى.

[حسين مشرح]

وفيها: يوم الاثنين ثالث شهر محرم، الحسين بن أحمد مشرح[1] حافظ باب السبحة بصنعاء. حضر بمجلس الوزير حسن بن علي حنش وبين يديه جماعة يستملون في البدر التمام شرح بلوغ المرام، فقال: لو كان لي نسخة حضرت هذه القراءة فناوله محمد بن إسماعيل حنش جزءاً آخر من كتب الحديث، وقال: هذه لك ففتحها ولم يجد بها شيئاً مما يُملي الوزير، فأخذه الكبر، فأوهم أنه ينظر في دفتره ما ينظرون، وأنهم لو فهموا أنه لم يعرف المحل الذي يقرأون فيه كان عندهم ناقصاً، فكان الوزير يسأل أعندكم هذا اللفظ بعينه، فيقولون: نعم، فيلتفت محمد بن إسماعيل حَنَش إلى المترجم له ويقول: كيف اللفظ عندك، فيقول: كما عندكم، فلما أكمل الوزير القراءة قال محمد بن إسماعيل: رأيتم شدة حضور النقيب حسين مشرح؟ قالوا: نعم قال: انظروا في كتابه، فنظروا فإذا هو كتاب آخر، فضحكوا منه فقال: هكذا الخونة يصنعون لعنهم الله تعالى.

---

(١) نيل الوطر (١/ ٣٧٤).

[محمد بن إسماعيل الأكوع الصنعاني]

وفيها[1]: يوم الربوع خامس شهر محرم، محمد بن إسماعيل الأكوع[2] صحب محمد بن هاشم، عن نحو سبعين سنة. حدّث عن نفسه بأن والده كان[3] مُثَمِّراً (خراصاً)، وأنه أراده على ذلك العمل قال: فكرهتُ حتى ألجأني أبي إلى أن أنفرَد عنه، وقعدت بدُكَّانٍ في السوق قال: فلامني الناسُ، وقالوا: هذا محضُ العِصْيان، ثم قال: فرجعت إلى أبي، ثم سرتُ للتَثْمِير أول مرةٍ وعدت وأنا كارهٌ، ثم المرة الثانية فلم أشعر إلا بعجوزٍ، قد أقبلت بثيابٍ خَلِقَةٍ وهي تقول: أسألك بمن سوَّاك لا ظلمتني في خَرْصِ هذه ـ أي المزرعة ـ فإن لي صبيةً يتضاغون ليس لهم إلا الله تعالى، قال: فعقدت مع الله عهداً أن لا أُثَمِّر بعدها طرفاً[4] من الأرض.

قال المؤلف غفر الله له. وكان أديباً لطيفاً طاهر اللسان حسن الصوت ذا نغمة، تشاغل به أهل الفن والصناعة بحسن صوته ليس إلا فأما الصناعة بالضرب بالعود فكان لا يحسنها، وكان يرى فضلاً لأهل الفن على غيرهم فيقول: اشتغلوا بالمباح واتركوا ثلب الأعراض، ومالوا عن حسد أهل الدنيا، وقال: يوماً: لقد مات كثير عزة وعكرمة مولى ابن عباس في يوم واحد فاجتمعت قريش في جنازة كثير ولم يوجد لعكرمة من يحمله وقال الناس: مات اليوم أفقه الناس واشعر الناس، قال: وقلت أنا لما مات أحمد بركات ـ ورجل غاب عن المؤلف اسمه ـ مات اليوم أشعر الناس، وخليع الدهر فلان.

وكان شحيحاً إذا طولب بالصوت لا يستمتع به إلا إذا خلي ونفسه، وكان يقول هؤلاء يتكسبون بالصناعة فلا يحسنونها وربما ضَرِب الرجل منهم عليها فأنّى تجود. قال: ولقد رأيت رجلاً من أهل الهوى والصبابة طلَب رجلاً مغنياً فجاءه الرسول وقال: أجب فلاناً. فقال: أنا رجل مغنٍ مفلس وزوجتي الآن ماتت ولا كفن لها وراجع نفسه، وقال: حالتان متباينتان ثم نهض في ليلته وهو حزين كئيب فارتاح لوصوله صاحب المنزل قال: فلقد رأيت المغني في حال السماع تنحدر دموعه وصاحب المنزل كذلك فعجبت من المغني فسألته عند قيامه، وقلت: ما عهدت منك البكاء، فأما صاحب المنزل فإن له أشجاناً موجبه فقال: أنا والله الليلة ماتت زوجتي فأنا أغني وأبكيها أما سمعتني أقول:

---

(١) سنة (١٢٢١هـ).

(٢) نيل الوطر (٢/ ٢٤٠)، تاريخ أعلام آل الأكوع ص (١٣٩).

(٣) **وَرَدت في «أ»**: بأنه كان والده.

(٤) **الطرَف**: الموضع أو القطعة المحدودة من الأرض المزروعة. تاريخ آل الأكوع ص (١٣٩).

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا انيسٌ ولم يسمر بمكة سَامِرُ

قال: فما رأيت أعجب من هذه الحالة. وحدثني من أثق به أنه اجتمع بالمترجم له وكان في الفاف من علماء صنعاء بمنزل محمد بن هاشم في بير العزب وكان قد تنحّى، ومال خلف شجرة منفرداً يتغنى بصوته فسمعه رجل من أهل العلم قال: فأدرك طرباً شديداً حمله إلى أن عاد إلى جماعته وقال: بحق الله، إلا ما تبعتم على همْسٍ من الخطا لئلا يتحول الرجل عن حالته، فساروا فسمعوه، قال: فوالله ما بقي رجل من أولئك إلا طالبه بالنزول عليه بعدها.

وحدّثني أنه جالس أكثر أهل الصناعة فما منهم من رجل إلا انتقد عليه في ترفعه وتكبير صوته. وكان مغراً بذكر الخمرة وما شربها فيما أعلم أبداً، لذا كان يكثر من تفضيل خمريات أبي نواس، على سائر الشعراء من الناس، وكان يقول ما ألطف ابن خطيب، دارياً في قصيدته التي أولها:

هات اسقني الصهباء يا مؤنسي قد فاح عرف الورد والنرجس
والكأس قد رَق وراق الهوَى وعاد بالوصل الزمان المسي

وكان يَطرب لمعانيها وما فيها من الخلاعة.

[قاسم بن عبد الرحمٰن]

وفيها:[1] يوم الربوع سابع صفر، قاسم بن عبد الرحمٰن بن قاسم بن حسين.

[يوسف بن زيد بن المهدي]

وفيها: يوم السبت سابع صفر يوسف بن زيد بن يوسف بن المتوكل.

[عبد الرحمٰن المهدي]

وفيها: صبح الخميس خامس وعشرين صفر، عبد الرحمٰن بن المهدي العباس[2] كان أديباً ظريفاً خفيفاً تَحيفاً لطيفاً شاعراً في الملحون مجوداً للمعاني فيه ناقداً خبيراً. وقال شيخنا الأستاذ علي بن إبراهيم بن عامر: لاقيته بمجلس فرأيت رجلاً مخلوقاً من طينة اللطف، قال: وسألني عن حديث علي رضي الله عنه في قسمه (والذي فلق الحبة وبرأ النسمة) قال فقلت له إذا ولد الصبي فهو نسمة فإذا تقلّب ظَهَر البطن فيقال له رقبة قال فعجب وقال: وأنتم تفرقون بين النسمة والرقبة؟، فقلت له: نعم قد جاء في الحديث: مَن أعتق النسمة وفك الرقبة كان له كذا، وأن النبي ﷺ قال في حديثه: عتق

---

(١) سنة (١٢٢١هـ).

(٢) نيل الوطر (٢/ ٣٢).

النسمة الانفراد بعتقها وفك الرقبة الإعانة في ثمنها انتهى. وله بسيف الإسلام اتصال ووداد وكان منقطعاً إليه نازلاً عليه مكرماً لديه، وكان محبوباً عند الخاصة والعامة.

[إسماعيل القاسمي]

وفيها: ليلة الربوع سابع وعشرين ربيع الآخر، إسماعيل بن محمد بن عبد الله بن الحسين بن القسم أخو يحيى بن محمد قاضي القضاة.

[عباس المهدي]

وفيها: ليلة الثلوث سادس جمادى الأولى، عباس بن محسن بن يوسف بن المهدي صاحب المواهب.

[حسين بن أحمد السيّاغي] **وفيها**: ليلة الجمعة تاسع جمادى الأولى، رفيقنا القاضي العلامة الحسين بن أحمد بن الحسين السيّاغي الحيمي الأصل، الصنعاني النشأة والمولد[1]. مولده عام ثمانين ومائة وألف، اجتهد من باديء أمره في الطلب وتسامت همته لأرفع الرتب. شعراً:

أدرك لكن كان من بعد اللتيَّا والتي
فجاء كالمسك الذي يُعَزَ الأرضِ تُبْتَي

وحدثني أنه كان يظن أن لا ينال ما ناله الأمثال:

أطلب ولا تضجر من مطلبٍ فآفة الطالب أن يضجرا
أما ترى الحبل بتكراره في الصخرة الصمّاء قد أثّرَا

فما زال يدأب في الطلب حتى جمع من العلوم والمعارف ما ساما به كل عارف، أخذ في الآلات أجمعها عن شيخنا القاسم بن يحيى السعيدي المعروف بالخولاني وعن شيخ مشايخنا حسن بن إسماعيل المغربي، ولما جدّ في الطلب رافق مشايخه في السماع على شيوخهم، وكان ذا ورع شحيح محافظاً على الديانة، كثير الصمت، لا يتكلم فيما لا يعنيه له اشتغال بالطاعة، وقيام الليل وسكن بإحدى منازل أبي الرجال شامي الجامع المقدس، فقصده الطلبة إلى منزله وورد عليه الأعلام، وكتب بخطه المَشْق البديع كثيراً من المصنفات، وعانا في الخط طرائق كثيرة فجاد فيها، وطارح الأعلام من مسائل اللغة والكلام بجُل ما يتشتت معانيه على الأفهام فتجلت بمذاكرته المسائل، وتجلت بفوائده المصنفات والرسائل، وألف مؤلفات بديعة، سيّما في علم

---

(١) نيل الوطر (١/٣٦٦)، هِجر العلم (٣/١٥٢٩)، أعلام المؤلفين الزيدية (٣٦٢)، البدر الطالع (١/٢١٥)، الموسوعة اليمنية (٣/١٦٦١).

الشريعة، فإنه اعتنى بشرح مجموع زيد بن علي «عليه السلام»[1]، فجاء بديعاً حسناً. وسمعته يقول لم أر لأصحابنا الزيدية من ناصر ولا رأيت من يقوم لهم ويثابر فترى مؤلفاتهم خالية عن طرائق التحقيق عاطلة عن حلا التنميق والتدقيق وقد عمدت إلى مجموع زيد بن علي فوضعت له شرحاً يضاهي أجل مؤلفات الأوائل أهل المذاهب، وقد خرّج أحاديثه بملكه راسخة وضعّف وصحح وجمع بين الأحاديث ورجّح، خلَى أنه فاجأه الحِمَام وقد بقيت منه بقيّة للتمام[2]. وله أنموذج لطيف حل به لغز إسحاق بن يوسف فمشاه بالروح وبناه على قواعد من التصوف وعلم المعقول والكلام، وشرح كل بيت بما يحتمله وإن تكلّف في البعض فلا يخلو كلام أحد من النقص، والذي يظهر لي بعد مراجعة ذلك اللغز أنه في الشمس وليتأمل الناظر فيه بجدة مطابقاً[3]، وعانا طريقة الشعر فأدركها، وكاتب به أدباء الوقت كمحمد بن هاشم وسعيد بن علي القرواني، واشتغل بمطالعة كتب الأدب وحفظ منها كل مستحب، ونظر فيما أخذ المتأخرين مِن المتقدمين فقال:

تأملت في نظم القريض وما جرَى ... عليه الأُولَى سنّوا لنا السنن الحسنى
فلم أر إلا ناقلاً لفظ شاعرٍ ... بلا حشمةٍ أو مَن يغير على المعنى

وطالع كتب الأخبار والتواريخ وحفظ محاسن ما نقله السابقون، وكان لطيفاً ظريفاً خفيفاً حسن المداعبة، وله مناظرة مع إسماعيل بن أحمد الكبسي[4] في قضية يطول شرحها محصلها أن إسماعيل بن أحمد رأى من أحد الحكام تناقضاً في خصومه كان حكم له أولاً فيها بما يتوجه شرعاً ثم نقض ما حكم به جَوراً، فسار للإنكار عليه إلى ديوان الإمام مجتمع الحكام فلما وصل لم يتلقاه أحد منهم سِوى علي بن زيد بن عثمان الوزيري المتقدم الذكر ولمّا لم يجد عندهم ما يردع ذلك القاضي وضع قصيدة طويلة نقم فيها عليهم وأنكر فيها ملبوسهم، فتصدّى المترجَم له للرد عليه، وأفضى ذلك إلى

---

(١) زيادة في «ب».

(٢) وقد أكمله عباس بن أحمد بن إبراهيم أحد تلاميذه، وطُبع معه سنة (١٩٢٨م) في أربعة مجلدات تحت عنوان: «الروض النضير، شرح مجموع الفقه الكبير». كما أتمه أحمد بن أحمد السياغي، وقد طُبع في جزئين.

(٣) طبعه المركز اليمني للدراسات والأبحاث بعنوان: «تحفة المشتاق إلى شرح أبيات المولى إسحاق» ـ وهو إسحاق بن يوسف المتوكل ـ انظر نيل الوطر (١/ ٣٦٩) وما قبله.

(٤) **هو إسماعيل بن أحمد بن عبد الله الكبسي**: المعروف بالمُغَلِّس، عالم له مؤلفات، دعا إلى نفسه بالإمامة من ظفير حجّة سنة (١٢٢١هـ)، ثم رجع إلى بلدته الكِبْس فاشتغل بنشر العلم. مات سنة (١٢٤٨هـ).

التسلسل كما سنشير إليه. فمن قصيدة إسماعيل بن أحمد مفتخراً ومتشكياً:

إنـي مـن القـوم الـذيـن رَمَـت بهـم ... كـرب الـزمـان ببحـر هـولٍ مـزبـدِ
قـوم غـدَى الصبـر الجميـل شعـارهـم ... بـل هـم منـابتـه ومنهـم يبتـدِي
صحـب الـزمـان فمـا رعَـى لـذمـامهـم ... حقـاً وأوردهـم أجـاج المـوردِ
ظِـل الأنـام بظـل حملهـمُ وقـد ... جلـت حلـومهـمُ عـن الـرأي الـردي
قـد أحكمـوا مـا حكّمـوا فيـه بـلا ... ميـل عـن العـدل القـويـم الأحمـدي
كـالبـرق فـي فصـل القضـا فـإذا شـرَى ... أسقَـى بعـذب الحـق قلـب المُكْمـدِ
أنظـارهـم تجلـو البصـائـر كلمـا ... طمسـت بجهـلٍ كـاكتحـال الأثمـدِ

حتى قال في ذلك:

فبهـديهـم فصـل القَضـا لا هـدي مَـن ... جعـل السيـاسـة للشـريعـة كـاليـدِ
إن السيـاسَـة مسلـك لكنهـا ... سبـبٌ لإقـرار الخصيـم المعتـدي

حتى قال في ذم الحكام في أخذهم الأموال على الأحكام:

إن كنـت ذا مـالٍ وكُبـر عمـامـةٍ ... تـزهـو بملبـوس وفـرط تَحَـدُّدِ
بـذّال مـا لـك للظـريـف فثـق بمـا ... يشفيـك بـالقلـم الجليـل الأوحـدِ
كـم لابـسٍ تلبيسُـه أبـداً علـى ... مَن في الجهالةِ في الحضيض الأوهدِ
والألمعـيِ الفـذ كـم ظهـرت لـه ... لمحـات تلبيـسٍ فلـم يتـردد
أو مـن نَشَـا فـي حليـةٍ وحصـافـةٍ ... غيـر المبيـن كمـن نشَـى فـي السـؤدد
كـم مـن لبـاسٍ هيّـنٍ مـن تحتِـه ... شمـس وصـرفٌ قـد طُـوي بـالعسجـدِ
فـلأصغـرا المـرءِ عنـوان لـه ... لا حسـن ملبـوس الفَتـا فلينقـدِ
كـم كـان بيـن المـرتضىٰ بلبـاسـه ... مـا بيـن جلمـود والثـرَى والفـرقَـدِ
فـالعـزّ فـي التقـوَى ولبـس ثيـابهـا ... لا الثـوب إن سـتـر القبيـح لمـرتَـدِ
واخـو المعـالـي لبسُـه مـاقـد حـوَى ... فـي النـاسِ مـن شـرفٍ وفخـر سـرمـدي
إنـي رأيـت النـاس غـايـة فخـرهـم ... لبـسٌ غـدَى أحبـولـة المتصيَّـد
فليبـك فينـا ضـارع لخصـومـةٍ ... وليسبـل العبـرات ثـم ليجهـد
ولقـد شققـت القلـب لا حيبـي علـى ... فقـد الشـريعـة إذ ثـوت فـي الملحـد

فأجابه المترجم له بقصيدة طويلة، ناقضه بها منها:

ولقـد تعجَّـب كـل ذي لُـبٍّ علَـى ... مـا قلـت مـن تضييـع سنـة أحمـد
أتقـول ذلـك والشـريعـة نيِّـرٌ ... أرجـاؤهـا بتبلـج وتـوَرُّدِ
فيهـا البهَـا ليـل الـذي بسعيهـم ... وبُحْسـن مقصـدهـم بيـانُ المعتـدي

متمسكيـــــن بحـــب آل محمـــدٍ ... مـا بيـن هـادٍ بـالعلـوم ومهتـدي
وتعيبهـم بلبـاسهـم حتـى لقـد ... صيَّـرتـه أحبـولـة المتصيّـدِ
أو مـا سمعت مقـال مـولانـا الـذي ... تحـت اللـواء لـه سنحشـر فـي غـدِ
حَسِّـن ثيـابـك مـا استطعـت فـإنهـا ... زَيـن الـرجـال تقيـك شمـت الحُسّـدِ

وهي طويلة وقد أتينا على المقصود منها، ووجّهها إلى شيخنا الحسن بن يحيى بن أحمد الكبسي ليبلغها إلى إسماعيل بن أحمد، فأبلَغها وأصحبها منه أبياتاً فناقض إسماعيل بن أحمد بجواب على الجواب فقال:

ويح العذول إذا سرت من أرضنا[1] ... نسمـات مسكٍ شـابهـا بـالمفسَـدِ
هيهـات لا ينفـك عـاطـر تبـرنـا ... ويـدوم فـي الأرجـاء يـروح ويغتـدي
أيظـن أن مسـامعـي حُليـت بمـا ... أمـلاه مـن زُورٍ وقـول مُفَنَّـدِ
كـلا ولكـن عتبـهُ أغـرَى علـى ... فـرط الغـرام فمـا الهـوَى بمفنِّـدِ

حتى قال بعد تفريع طويل:

قلـتُ اللبـاس لـه التحـاكـم نـافعٌ ... فـأجبـتَ قـال المـرتضـى لـم ينقـدِ
فجهلـت قصـدي وارتكبـت ظـلامـة ... حتـى جنيـت جنـايـة المتَعَمِّـدِ
اجعلـت زهـواً بـاللبـاس مـوافقـاً ... للسنّـة البيضـا بـرأيٍ أسـودِ

وتسلسل الكلام إلى تجهيل، فتركناه. فلما بلغت الحسين ناقض وقال من أبياته:

أمـا جـوابـك يـا ضيـاء فـإنَّـه ... وافَـى بكـل تَهَـدُّدٍ وتحـدُّدِ
وهـدرت ممـا لا يليـق ورودَهُ ... مستحميـاً لسهـام شـاوٍ وصُـرَّدِ

وأخذ يستدل فيها وبعث بها على يد الحسن بن يحيى فأصحبها الحسن أبياتاً انتصر فيها لأسماعيل بن أحمد فصَّل فيها الأدلة وما يحل منها وما يحرم، فعتب عليه الحسين ولامه على ذلك وسار بذلك إلى شيخنا علي بن عبد الله الجلال طالباً منه تصديقه في قوله أو تكذيبه، فأنشأ علي بن عبد الله قصيدة نحواً من ستين بيتاً، فصَّل فيها ما يجوز لباسه وما يحرم، ومال فيها إلى رأي الحسين كثيراً. منها وهو محل الفائدة يخاطب السفير:

فـاحـرص علـى آثـاره متـأسيـاً ... يـا نجـل يحيـى يـاكـريـم المحتـدِ
واستعمـل الإنصـاف غيـر مـرجـح ... رأي القـريـب علـى الخصيـم الأبعـدِ
واعطـف علـى قـول الحسيـن مـوجهـاً ... أقـوالـه مـن غيـر فَـرط تَـرَدّدِ

---

(١) وردت في «أ»: إذا سرت من نحونا.

فلقـــولـــه وجـــهٌ فـــإن أدلـــةً في الطيبـات كثيـرة لـم تُجحـدِ

فأبرزها الحسين إلى إسماعيل بن أحمد فناقض وجهل، ولا حاجة بنا إلى التطويل فإنَّ هذا مقام تحاسد وتنافس. قال المؤلف غفر الله له: الحق جواز كل ملبوس ما عدا الذهب والحرير، وكذا الثوب المعصفر وماعداها فجائز إذا خليٰ عن الكبر والشِهرة ففي مستدرك الحاكم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أنه كان يستجيد لرسول الله ﷺ ولأصحابه الحلَل بألف درهم وبألف ومائتي درهم، قال الحاكم على شرط الشيخين ولم يخرجاه وفيه من حديث أنس أن سيف بن ذي يزن[1] أهدى النبي ﷺ حلةً أُشتريت بثلاثة وثلاثين بعيراً وناقةً، فلبسها النبي ﷺ مرّة، قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وفيه من حديث جابر قال: خرجنا مع النبي ﷺ في بعض مغازيه، فخرج رجل في ثوبين متخرقين يريد أن يسوق الإبل فقال له رسول الله ﷺ: ما له ثوبان غير هذا؟ قيل إن في عيبته ثوبين جديدين قال: أئتوني بعيبته، ففتحها فإذا فيها ثوبان. فقال للرجل: خذ هذين فألبسهما ودع المتخرقين، ففعل ثم ساق الإبل فنظر رسول الله ﷺ في أثره كالمتعجب من بخله على نفسه بالثوبين. فقال له: ضرب الله عنقك فالتفت الرجل فقال في سبيل الله؟ فقال في سبيل الله. فقتل يوم اليمامة، قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم وفيه من حديث أبي هريرة أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني رجل حُبِّب إليّ الجمال وأعطيت منه ما ترى حتى ما أحب أن يوفقني أحد بشراك نعلي أو شسع نعلي أفمن الكبر هذا؟ قال: لا ولكن الكِبَر من بطر الحق وغمص الناس، قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، فهذه تشهد لما قاله الحسين إذا خلا ذلك عما ذكرنا، ولعل إسماعيل يريد في كرمه مهما كان ذلك محرماً فهو ممقوت، ولعل اللابس عنده لفاخر الثياب ربما داخله الكبر ولا يسلم من هذا إلا القليل، وفي مستدرك الحاكم عن نافع بن جبير بن مطعم عن أبيه قال: يقولون فِيَّ التيهُ، وقد ركبت الحمار، واعتقلت الشاة، ولبست الشملة، وقد قال رسول الله ﷺ: من فعل هذا فليس فيه شيء من الكبر. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه والقادر الزاهد له درجة ففي المستدرك عن أنس الجهني عن أبيه عن النبي ﷺ قال: من ترك اللباس وهو يقدر عليه تواضعاً لله تعالى دعاه الله عز وجل يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره من خلل الإيمان أيها شاء، قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقد قدمنا كلاماً في الملبوس بترجمتنا لعلي بن إبراهيم الأمير.

ولنعد إلى تمام حلية المترجم له، وقد ذكرنا أنه عانا الشعر، وسننقل له أجود ما

---

(١) وفاة سيف بن ذي يزن قبل الهجرة بنحو خمس سنوات!

كاتب به فمن ذلك ما كتبه إلى سعيد بن علي القَرواني:

سر الهوَى فيك مفهومٌ ومنطوقُ لَهُ على صفحات الدهر تحقيقُ
حاولت إخفاء حالي في الهوَى فرَقًا عمَّن له بسهام العذل تفويقُ
فكلما رُمت كتماً في تصوّرِه أنبا بِهِ من غزير الدمع تصديقُ
يا راعياً ثمرات الوُدّ في مُهَج سألت بها نهراً بالدمع مسبوقُ
لما سكنت فؤادي ظل مبتهجاً خفوقه أبداً رقصٌ وتصفيقُ
فارفق بأوطانك اللاتي نزلت بها فحقها بذمام العهد محقوقُ
هذا محبك أضحَى في هواك لَهُ روحٌ بعسّال قَدٍّ منك مرهوقُ

منها:

أما النسيم فخانتني أمانتهُ إذ نَم مكتوم سرَى وهو موثوقُ
فشافه الروض ما أخفيته فإذا زهر الحدائق نحوي منه تحديقُ
كيف الخلاص ونار الشوق مضرمةٌ كذهن من فضله في الناس مدفوقُ
عذب الموارد مشهور المحامد محمود المقاصد من يغشاه مرزوقُ
حلو الشمائل سبّاق الأماثل مبروز الفضائل قد قامت لها سُوُقُ

ومن مستجاد شعره ما كاتب به أديب الوقت محمد بن هاشم قال:

زعم الواشون في الحب جناحاً كيف يسلو من هوى البيض الملاحَا
كيف يسلو من إذا هَبّ الصّبَا سلبت منه فؤاداً مستباحا
أو أنار البرق وهناً خالُهُ صارماً والى على القلب الجراحا
أو رقا الورقا على أفنانها وتغنت ظنه شجواً فناحا
لست أدري هل تباريح الجوَى لم تجد غيري مناخاً ومراحا
أم كذا المشتاق في حالاتهِ لا يرى في دهره قط ارتياحا
لح في تبريحه لمّا رأى في ابتسام الثغر طلعاً وأقاحَا
وتجلوا عن خدود غادرت جلنّار الورد هزؤاً ومزاحَا
أسبلوا فرعاً كليل فاحم ثم قالوا بعد هذا لا صباحَا
ماسَت الأغصان ليناً مثلما لاقت القضبان في الروض الرياحَا
نهلوا من خمر كاسات الصبا حين لم يرتشفو في الطاس راحا
أيها الجيرة من ذي سَلَم والأولى عن صَبِّهم بانوا انتزاحا
هل لمن أضحَى قتيلاً في الهوَى دية أم هدراً يغدو مباحا
يا لثارات المحبين فقد ذهبت أرواحهم ظلماً صراحا
بجفون اللحظ شاموها ضباً وكذا القامات هزوها رماحَا

والعيـــون النجـــل مهمـــا نظـــرت بعثـوا مـن نحـوهـا المـوت المبـاحـا
هكــــذا مـــــن رام أرام النقــــا يتحسّــىَ كـؤوس الحـب ذبـاحـا
ولهــم لــو أحسنــوا منــدوحــةٍ بتعــانــي النظـم بـالبـدر امتـداحـا
سيـــد الأســـرة فـــي آلٍ ومَـــن بـذ أهـل العصـر فضـلاً وسمـاحـا

وجرى بحضرته ذكر المعلقات السبع، فقال كانوا يسمونها المذهبات، لأنها كتبت في القباطي بماء الذهب وعلقوها بالكعبة لاختيارهم لها، وقال لنا: قد كانوا يسمونها الشمط وأصحابها وقع اختلاف فيهم، وجُلّة النَّقَله على أنهم امرىء القيس والنابغة وزهير والأعشى ولبيد وعمرو وطرفة وأسقط بعضهم عنترة والحارث بن حلزة وأثبت الأعشى والنابغة. وقال لنا بموقف آخر سُئِل لبيد: من أشعر العرب؟ فقال الملك الضليل، قيل: ثم مَن؟ قال الشاب القتيل قيل ثم من؟ قال الشيخ أبو عقيل يعني نفسه. وقال لنا: الخلاف بين السابقين في أشعرهم؟ طويل جداً لم يستقروا الذي تطمئن إليه النفس، المروى عن رسول الله ﷺ في امرىء القيس في أنه أشعر الشعراء وقائدهم إلى النار يعني شعراء الجاهلية، وكان دعبل يقول: لا يقود قوماً إلا أميرهم.

[عبد الرحمٰن المحرابـي]

وفيها:[١] يوم الأحد حادي عشر جمادى الأولى، عبد الرحمٰن بن يحيـى المحرابـي الهاشمي[٢]. كان ذا عمل بالسنّة مجانباً للبدعة هادياً للمسترشدين، صابراً على مشاق التعليم، له صناعة في الهداية، مسهلاً مسدداً مقارباً ضحوكاً مع شدة الفقر والحاجة، منكسر الخاطر من الله تعالى، كثير البكاء من خوف الله، ذا مرائي في النوم كثيرة أخذ عن البدر الأمير وعن الحسن بن زيد الشامي وبه تخرج سالكاً طريقته.

لازمه ألم النقرس فصبر وكان يقول أفعال ربنا كلها على مقتضى الحكمة ابتلاني بنقرس مع بلغمية الطبيعة فتراني أتطلب الدواء الحار ولا مال عندي، وابتلى رفيقي أحمد بن محسن الحيي بنقرس مع طبيعة دمويّة وهو ذو غنا ينفع في علته كل باردٍ مبتذل موجود فللّه الحمد.

وكان يزوره الزائر فيرى من صبره، وشكره مالا يعبر عنه الوصف. وربما قعد الرجل عنده في مرضه ومعه شيء من الهم فيعجب منه ويقول: تراني وأنا بهذا الحال وانه يسرني مالك وللهم، أما تعلم أن وراء ذلك الموت وما سواه أهون منه، ثم يفتح له باب الطمأنينة والرضا بمر القضا والصبر على الشدة ويتكلم في ذلك بما جاء عن سيد

---

(١) سنة (١٢٢١هـ).
(٢) نيل الوطر (٢/ ٣٩)، هِجر العلم (٤/ ١٩٥١).

البشر ﷺ فيخرج عنه الزائر سليم الصدر راضياً بالأمر.

قعدت يوماً عنده فسمعته يقول: ما زاد على الكفاف فهو فقر يفتقر الإنسان إلى حفظه ولذا ترى السلاطين مفتقرين إلى الأموال لأن مطالبهم متسعة في المأكول والمشروب والملبوس والمفروش والمنكوح ولذلك يظلمون لأنهم مفتقرون إلى الحاشية من الخدم والعبيد والأعوان فيطلبون لهم أرزاقاً فائضة يسمو بها صغيرهم على كبير الناس في جمع مشتهياته ثم أنهم يفتقرون إلى مالٍ معدود للنوائب والمصائب، قال رحمه الله تعالى: وهذا كله نحن لا نفتقر إليه مع ما قد تكفل الله تعالى به من الرزق، قال: وما أحسن ما قال الشاعر:

غِنَا النفس ما يكفيك من سدّ خلةٍ ... فإن زاد شيئاً عاد ذاك الغنَى فقرا

قال: وأحدثكم عني وعن خليفة الوقت المنصور، أني أزمعت على الخروج إلى الروضة لزيارة بعض إخواني، وكان محتاجي في خروج ذلك اليوم نصف قرش، فسألت الله تعالى فيسره فلما خرجت إذ بالمنصور خارج إلى الروضة فرأيت نفسي ورأيته فقالت لي: خرجت منفرداً لا خادم ولا جيش ولا آلات ولا خيل، فقلت: الحمد لله الذي أغناني عن هذا وجعله مفتقراً إليه. ورأيت الناس من حوله يسألونه ويقدمون عليه وهو يأمر الخدم أن يدفعوهم عنه فقلت: لولا تلك الحاشية لأيس من الحياة، وأنشد:

أغنى الأنام فقير في ذرا جَبَلٍ ... لا يعرف الوشي منسوجاً ولا التاجَا
وأفقر الناس في دنياهم رجلٌ ... أضحى إلى الجحفل الجرَّار محتاجا

ثم قال: ولو لم يكن له من المحنة إلا إخراج المال الذي يتطلب وفرته فإنها تتوجه إليه المطالب وهي شوهاء مكفهرة فيسألها بإخراج شيء مع شدة التأسف لعلمه بإقبال اختها فيغضب فتتنغص معيشته، وأنشد:

إن الفقير الذي أضحى يخوّفه ... ديناره أن يولى عنه غضبان

وقال لي: أكتب هذا واحفظه واحفظ عني قول الأول:

إذا شئت أن تلقى أخاك معبِسّاً ... وجذاه في الماضي كعبٌ وحاتِمُ
فكشّفه عما في يديه فإنما ... تكشف أخلاق الرجال الدراهمُ

وقال: لو لم يكن بالغنى الذي يجمع المال إلا شؤم العبودية له «تعَس عبد الدرهم تعسَ عبد الدينار، تعسَ عبد الخميصة» لكفاه. وما زال ناعياً أمر الغنى، حتى قال: قد ذهب بعض الناس إلى أن مَن استعبده الدرهم والدينار ليس بعبدٍ لله، وجعله داخلاً تحت

قوله تعالى: ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ۝٨٣﴾[1] أي لا مَن كان عبداً للهوَى وعبداً للدرهم والدينار. قلت له: أنت في صحة الحديث ـ أعني تعس عبد الدرهم الخ على يقين؟ قال: نعم هو في البخاري من حديث أبي هريرة، فقلت له: لعل الحديث في عبد الدرهم والدينار المراد به مَن لم يخرج زكاتهما لحول الحول عليهما فيكون من الذين يكنزونهما، فقال هذا غير ما في الحديث فلسنا بصدد النصاب، فقد كان الحسن بن زيد الشامي يحدثنا بحديثٍ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الدينار كنز والدرهم كنز والقيراط كنز». ثم قال: إن للدرهم والدينار مواضع توضعان فيها فقد أوضحها الله ورسوله وترى النفس حائدة عن تلك المواضع وهذا سرّ فتنة المال، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾[2]. وفي «الترمذي والمستدرك عن كعب بن عياض ما أراه إلاّ رفعه «إن لكل أمةٍ فتنةً، وإن فتنة أمتي المال». وقال: انظر هذا فإنه إنما أراد به الحلال، وقال: انظر إلى الملوك، إذا فضلت أموالهم، صرفوها في البناء وحلي النساء وحلي الخيول وتوسّعوا في العقار وأكثروا في الملبوس والمطعوم والمنكوح وربما تجاوزوا ذلك فأسرفوا، فقد بلغنا أن بعضهم بلغ من تبذيره، أن جعل نصل سهامه ذهباً، ورمَى به إلى عدوّه، وقال شاعره ولا بد أن يسأل عن قوله:

وقد صاغ من ذهبٍ نصله ... فأبدَى من المَنّ ما لم يُمَن
يداوي الجريح به جرحه ... ويُشرى به للقتيل الكفن

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾[3].
قلتُ: رحم الله المترجَم له فلقد قمت مِن عنده، وأن الفقر أحب إليّ من الغنى.

وحدّثني أنه كان له أخ في الله تعالى، يألف المقابر، قال: فصحبته فخرجنا يوماً ومررنا بقبرين مفتوحين فقام عليهما كالذاهل وقال: أتنظر هذا القبر، يلتئم تارة، وينفتح أخرى، قال: قلت لا، قال: إنه والله لكذلك قال: فلم أر شيئاً مما قال، فالتفت وقال لي: والله إنه لكذلك ولكن لننظر من يقع به فجيء في اليوم الآخر برجل قد قتل أمّه فألقي به.

ومما أخذنا عن المترجَم له قال: في مسند الإمام أحمد حديث عن صفوان بن عمر عن المشيخة أنهم حضروا غضيف بن الحارث الصحابي حين اشتد سوْقه. فقال: هل منكم أحد يقرأ ياسين؟ قال: فقرأها صالح بن شريح السكوني فلما بلغ أربعين آية

---

(١) سورة صَ، الآية (٨٢، ٨٣).
(٢) سورة التغابن، الآية (١٥).
(٣) سورة الإسراء، الآية (٢٧).

قبض، قال: فكان المشيخة يقولون إذا قرأت عند الميت خَفَّف بها.

[عثمان بن صالح العُلُفي]

وفيها: ليلة الجمعة ثالث وعشرين جمادى الأولى، عثمان بن صالح بن عبد الله الأموي عن اثنتين وثلاثين سنة، وقد قدّمنا له ذكراً عام تسع وعشرين وكان لطيفاً، ذا خلق حَسَن، اشتغل بالأدب وحصّل فيه كتباً ومال بقلبه إلى شراء الكتب الحديثيه.

[ناصـــــر غُلَيْـــــس]

وفيها: يوم الإثنين خامس عشر جمادى الأولى، ناصر غُلَيْس[1] عن اثنتين وثمانين سنة، وهو صاحب علي بن إبراهيم الأمير. كان سائساً لجمل وكان به يعتاش، ما قرأ القرآن ولكنه كان ثابت القَدَم في الإيمان، لا ينظر في السماء، إلا حصل معه شبه الذهول ولا ينظر في نجم أو سحاب أو جبل أو شجر أو حجر إلا سبّح الله تعالى، ولا يسمع صوتاً إلا ذكر الله سبحانه، ولا يسمع بأحد إلا قال: لا إلـٰه إلا الله العالم به وبما أسر من أمره، وكان إذا جاءته فاكهةٌ عجب لها ولصانعها تعالى وقال: سبحانه ما أجل صنعته، جل جلاله وعظم شأنه. وكان إذا سمع التالي لشيء من كتاب الله تعالى أصغي إليه، فيفهم عنه فهماً باهراً، ثم يبكي بكاءً خفياً، ثم يسجد كائناً بالمسجد أو بالبيت أو بالطريق، قال علي بن إبراهيم الأمير: لم أر من يصدق عليه قول الحق تعالى: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩﴾[2] سوى هذا. فقال له بعض الناس أنه لا يتحرى مواضع السجود، فقال: دع عنك هذه، وانظر إلى قول الله تعالى: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩﴾ ولقد سمع قول الله تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ﴾[3] فقال: لرضاه عنهم فلما سمع: ﴿هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ﴾[4] فقال: الحمد لله الذي أنعم عليهم جميعاً، فلما سمع قوله: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾[5] بكى وسجد وقال: ما هذا الرب؛ سبحانه وتعالى الذي يمتن عليهم ثم يسلم عليهم بعد هذا. قال: بعض الناس والله ما علمت أن هذا سلامٌ عليهم إلا من هذا الأعرابـي.

وانقطع إلى علي بن إبراهيم الأمير دهراً طويلاً، وكان ربما ورد عليه فألفَى بمقامه من أعيان الناس، فيستمع إلى كلامهم ثم يقول: لا تذهب ساعتكم سُدىً دعوا هذا الحديث وأسمعونا شيئاً من كلام الله تعالى أو من كلام رسوله.

---

(١) نيل الوطر (٢/ ٣٦٩).
(٢) سورة مريم، الآية (٥٨).
(٣) سورة يسٓ ، الآية (٥٥).
(٤) سورة يسٓ ، الآية (٥٦).
(٥) سورة يسٓ ، الآية (٥٨).

قلتُ: رأيته في طريق صنعاء غير مرة يحضر آذان العصر أو الظهر فيعدل إلى ماء فيتوضأ منه ويصلي، وإن جَمَله واقف لا يتحرك عن مكانه وإن ضُرِب، فإذا فاجأه ونَهَم عليه سار. وقد عجب الناس له ولجمله.

وكان رحمه الله مبتذلاً في الناس وما علمنا أنه تكلم في رجلٍ بسوء، وكان طلق الوجه حَسَن الحديث عارفاً للرجال خابراً للأحوال، قلت: ولمّا بلغَ والدي رحمه الله تعالى موت المترجم له قال: ما أحقنا أن نقول في مثله بمقال الأول:

وا أسفا من فراق قومٍ ... همُ المصابيح والحصونُ
والمدن والمزن والرواسي ... والخير والأمن والسكونُ
لم تتغير لنا الليالي ... حتى توفتهمُ المنون
وكل جمرٍ لنا قلوبٌ ... وكل ماءٍ لنا عيونُ

ثم قال: يا لطف الله أما رأيت مواضع الدموع بخده ظاهرة من شدة بكائه لخوفه من الله تعالى وخشيته، وقال: ذلك من الذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر.

[علي بن أحمد الحَكمي]

وفيها: يوم الثلوث سابع وعشرين جمادى الأولى[(١)] **علي بن أحمد الحَكمي**[(٢)] نسبةً إلى بني حكم أهل أرحب[(٣)]، القاضي بصنعاء. كان له ملكة بمعرفة فروع الزيدية قد أفتى وحكَم، وكان صالحاً ذا عفة وورع وزهد وكان باراً بأمه. وله القضية المشهورة[(٤)] لما سأل الإمام المهدي أحمد بن محمد قاطن. وقال: هل تعرف رجلاً صالحاً ذا فقهٍ وورع شحيح نقيمه ببلدة سيّان لفصل القضاء بين أهل بلاد سنحان؟ فقال: لا أعلم على هذا الشرط سوى علي بن محمد الحكمي، فاستدعاه الإمام فوجده صالحاً للحكم فألزمه السير إلى سيّان فاعتذر بأن المتوسط عليها بين الخليفة وبين الرعية علي بن حسن الأكوع الوزير فقال: الإمام نعم ولكنا نسمع عنه أنه كثير الصدقة لفقهاء الجامع فقال: نعم ولكنها تبلغني عنه مظالم وسياسات لا تجوز فقال الإمام: لا تبتئس منه فأمرك منا وإلينا، وليس له أن يتوسّط عليك فارفع إلينا بالعدل وكلمتك مقبولة، ثم خرج عن موقف الخليفة المهدي فبعث إليه بكسوة وليس بها عمامة فكتب إلى الإمام أنْ وصلت الكسوة خلىَ أن ليس بها عمامة وهي من زي أهل القضاء ولا بُدّ لي من مركوب

---

(١) سنة (١٢٢١هـ).

(٢) لم أجد له ترجمةً في غير هذا.

(٣) فقرةً مضافةً في حاشية الأصل بقلم المؤلف.

(٤) كما أضاف المؤلف المادة المذكورة في عرض مسوّدة الأصل.

لأني خرجت من مقامك. فبعث إليه بعشرة قروش قيمة عمامة وعشرين قرشاً قيمة مركوب، فلما وصل ذلك خرج عن صنعاء ووصل سيّان فبعث إليه متوليها بغنم وشمع فلم يقبلها، فعجب المتولي ونزل إليه للسلام عليه في الليل وبيد المتولي شمعة فقال: أسرجها فأسرجها حتى إذا همَّ المتولي بالذهاب عنه قال: خذ شمعتك ولم يرض ببقاها.

فقام بالأحكام ورفع بكل ما لم يوافق شرع سيد الأنام إلى حضرة الإمام فكان منفذاً أحكامه، ولقد بعث في بعض الأيام كتاباً إلى الإمام يشكو المتولي في ظلامه فتلقى الكتاب واسطة الباب علي بن حسن الأكوع فأخفاه فبلغ المترجم له فكتب إلى القاضي أحمد بن محمد قاطن باجراً وقال في آخره: وحال صدرت وأنا على عزم من سيّان. فأبلغ القاضي أحمد كتابه إلى الإمام فوقع الإمام على كتاب القاضي أحمد: القاضي علي بن أحمد منا وإلينا فليرفع بمقتضى الوجه الشرعي.

ولمّا مات الإمام المهدي رحل عن سيان في اليوم الثاني إلى حاكم الديوان يحيى بن محمد فاستنكر دخوله وقال: ما أوجب الدخول؟ فقال: لعلك ما علمت بما صنع الإمام المهدي بعلي بن حسن الأكوع من أجلي، وقد رأيت الآن أن الاعتماد على علي بن حسن في صوابه وخطأه كان، فأولاه المنصور الحكومة بصنعاء واستقر بها حتى مات.

[عبد الله بن أحمد شرف الدين العوّامي]

وفيها: ليلة الإثنين عاشر جمادى الآخرة[١] رفيقنا عبد الله بن أحمد شرف الدين العوّامي[٢] عن نحو خمس وستين سنة. وكان له عمل النظارة في وقف سَنَاع[٣]، وكان يحضر موقف أحمد بن صالح أبي الرجال في كل وعد مرّة ولما مات استمر على ذلك بموقف أخيه محمد بن صالح، وكانت تدور بذلك الموقف أدبيات يقلّ أن تمرّ بالبال وكان الناس يتناقلونها وتدور بمجالسهم. وكان ذا سنة ظاهرة أرسل إليّ أن أبعث لفلان

---

(١) سنة (١٢٢١هـ).

(٢) نيل الوطر (٢/ ٥٦)، هِجر العلم (١/ ١٦٠)، نشر العرف (١/ ٧٤٥) وفيه تدريج نسبه كالتالي: عبد الله بن أحمد بن حسين بن صلاح بن المطهر بن تاج الدين بن المطهر بن علي بن محمد بن الهادي بن أحمد بن محمد بن سليمان بن القاسم بن يحيى بن الحسين ابن الإمام الداعي يوسف بن المنصور يحيى بن الناصر أحمد بن الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، المعروف بالعوّامي بالعين المهملة والواو مشددة والميم فياء النسبة إلى بني العَوّام البلاد المعروفة في جنوب مدينة حجّة ومن أعمالها.

(٣) سَنَاع: قرية في سفح جبل عَيْبان، في الطرف الغربي الجنوبي من مدينة صنعاء.

بصدقة، ففعلت فعاد عليّ جوابه: وفقك الله لمراضيه وجنبك شر معاصيه، تَعلم أن الصدقة تطفيء غضب الرب وتمنع ميتة السوء وانّا كتبنا عن الحسن بن زيد الشامي حديثاً نسبه إلى ابن عساكر عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «كان فيمن كان قبلكم رجل يأتي وكر طائر، إذا أفرخ فيأخذ فرخه، فشكَى ذلك الطير إلى الله عز وجل ما يصنع ذلك الرجل، فأوحى الله تعالى إليه إن هو عاد فأهلكه، فلما أفرخ خرج ذلك الرجل فلما كان في طريق القرية لقيَه سائل فأعطاه رغيفاً من زاده ومضى، حتى أتى ذلك الوكر فوضع سلّمه ثم صعد فأخذ الفرخين، وأبواهما ينظران، فقالا: يا ربنا إنك وعدتنا أن تهلكة إن عاد فأوحى الله إليهما أو لم تعلما أني لا أهلك أحداً تصدق في يومٍ بصدقه ذلك اليوم بميتة سوءٍ».

وأخرج ابن راهويه والحاكم والبيهقي في السنن عن أنس عن رسول الله ﷺ: «أوحى الله تعالى إلى يعقوب تدري لم أذهبت بصرك وقوّست ظهرك وصنع أخوة يوسف به ما صنعوا انكم ذبحتم شاة فأتاكم مسكين يتيم وهو صائم فلم تطعموه منها شيئاً فكان يعقوب بعد إذا أراد الغداء أَمَر منادياً فنادى أَلاَ من كان صائماً من المساكين فليفطر مع يعقوب.

أخذ المترجم له عن القاضي أحمد بن محمد قاطن وعن لطف الباري بن أحمد الوردِ وعن عبد الله بن محمد الأمير وعن والده، ولازم أهل الأدب منهم مَنْ قدّمناه أولاً، ومنهم محمد بن هاشم وسعيد بن علي القرواني وطبقتهم، وقال الشعر الحَسَن وكان له فيه ملكة قوية إذا شاء قال مِنْ غير إعمال فكر ونظر. حبسه البدر الشوكاني في محنة الرتب القائمين على أموالهم ببني العوام فبقي أياماً لا يقدر على تسليم المفروض عليه فرقّ له حال ولده يوسف فطلب أن يخرج والده ويبقى هو بمحله، فأخرج وسجن الولد. وقال لي بعد خروجه لقد قلت أبياتاً لا أدري هي نتيجة فكري أم محفوظة لي وأملاها إملاء مُوَدّع:

أَلاَ هل فتًى يستعمل الفكر ساعةً	فينظر عُقبَى هذه الدار بالفكر
ولكنه في غفلةٍ عن مآله	وعن هول يوم الجمع في موقف الحشرِ
فتنظره يسعى ويجهل أنَّهُ	إلى الموت يسعى جاهلاً وهو لا يدري
وما هي إلا ليلة بعد ليلةٍ	وعام إلى عام وشهر إلى شهر
مطايا يقربن البعيد من الردى	ويسلمن أشلاءَ الأنام إلى القبر
ويتركن أزواج الغَيُور لغيره	ويقسمن ما يحوي الشحيح من الوَفرِ

وكان ذلك آخر موقف بيني وإياه حتى أتاه الحِمَام، وكان قد انقطع آخر عمره ببير العزب مقبلاً على كتب الحديث ملازماً للعمل به لا تفتر لسانه، عن ذكر الله تعالى

مقتصداً في مأكوله ومطعومه وملبوسه، لا يلبس إلا البياض وكان حسن المحاظرة، واتصل به علي بن حسن مرغم المقدم الذكر، فحدثني أنه كان إذا جاء إلى منزله رَغّبهُ في الحج ترغيباً تاماً ويذكر له ما أعد الله تعالى للحجاج والعمار ويزيد ذلك ما تأنس إليه النفس ويحيى به عند رؤية البيت والتعلق بالأستار، والشفاعة لمن زار المختار، قال: فعزمت في بعض السنين على الرحيل وجدّيت معه فلما حَان الوقت أذنته بالمسير ودعوته إلى ما شوقني له وكتبت إليه:

أيا أيها المولى الذي صح أنني	رهين أياديه الجسام أسيرها
بعثت من الأشواق نحوك داعياً	إلى روضةٍ في الحسن عز نظيرها
وقد كُسيَت أزهارها من زبرجدٍ	مطارف وشي الطراز زهورها
فقد برزت كالخود في حسن منظرٍ	وأحسن عاداتً الرياض نظيرها
وقد غردت فيها الحمام تغنياً	بألحان شجو والغرام يثيرها
وتغريدها يغني اللبيب غناً فإن	أردت غناءً فالسماع هديرها
إذا ما الصبا فيها تمشيت فإنما	يعبر عن طِيب الزمان عبيرُها
فإن زمان اللهّو ساقي مسرّةٍ	وأناته كاسات راح يديرها
فبادر إلى جَمع السلامة واغتنم	غنائم أنسٍ قد دعاك سرورها

قال: وكنت أعلم من حاله في دعائي إلى الحج أنه ليس بالصادق في الشوق لذا رغّبته وصرت مثله في الترغيب فأجاب بقوله:

إني قفوت خَيْر الرُسل في سننٍ	فيه أضاءت شموس الفرض والسُنَنِ
ما حج في كل عامٍ بعد هجرتِه	ولا صحابتُه في سالف الزّمنِ
ولا الأئمة من أعلام أمتِه	في الغرب والشرق والشامات واليمنِ[1]

قال فكتبت إليه عن مغالطته واعتذاره بما يلزمه، فقلت:

هذا جوابك لا يجري على سننٍ	لكن مغالطةٍ يا واحد الزمَنِ
في كل حينٍ ترينا الشوق منك إلىَ	تلك المعاهد كالمولوع بالوطنِ
فلا تغر على المولى الوجيه ومَن	حاز المعالي إرثاً من أبي الحسن
فأنت لمّا طلبت الشوق قلت لنا	قلبي يجد ألماً إن لم يحج فِنِيَ
لا كان ذا القلب يا مقلوب تصحبُه	وهكذا أشوقكم للحد والكفَنِ

قلت: كان علي مرغم إذا زار أخاً له، قال: قُمْ بنا إلى المقبرة فهي أول منازل

---

(١) وردت في «أ»: والساحات واليمنِ.

الآخرة فإذا تشوق إليها أكثر من هذه التي نحن عليها، فأجاب:

وقيتُ يا ذا المعالي حادث الزمن مسلَّماً من صروف الدَّهر والمَحنِ
ولا برحت لمن أولاك مستنداً تُولي الجميل وتولي طيب المننِ
وافا جواب جوابٍ قد بعثت به لي حجة ليس يخفَى عن فتًى فطن
أودعته ما يقر العين ناظِرَهُ ويطرب السمع مهما مَرَّ في الأُذُنِ
حتى تَبلّج وجه الحق متَضحاً كالشمس إلاّ علىٰ من قال لم يَزنِ
هذا ودمعي عَلى الخدَّين منسجمٌ لذكر مَكّة مثل العارض الهتِنِ
ومغرم القلب شوقاً نحوها فلذا أقام روحي بها فرداً بلا بَدَنِ
فليعجب الناس مني إنّ لي بَدَناً لا روح فيهِ ولي روحٌ بلا بَدَنِ
والقلب أضحت به الأفهام حائرةً كبلبلٍ ضل حيراناً على فَنَنِ

قلت: قد قدمنا في ترجمتنا لعلي بن حسن مرغم ذِكراً ألمّ بمعرفته بالعروض والقوافي والفلك ودعسة الفيل ـ وهي آلة تشبه الإصطرلاب ـ وسألت المترجم له، فقال لي: قد كان يدعي ذلك ولا يصح لي شيء منه فإنه كان يحضر مجالس أهل هذه العلوم فيتلقّىَ منهم ما أورده ويصحح ما فاهوا به وحرروه، فيظن الظان ذلك وليس بشيء. وقد قدمنا ما كان يهزأ منه إبراهيم الرشيدي في قراءته لعدم إحسانه لها، وحديث علي مرغم أكثرُه عند المترجَم له مفصّلاً، وحدّثني أنه كان يعمل أعمالاً لا يقبلها المعقول ولكنه ساعده الحظ فتحدث عنه الناس ولو كان اليسير مما جرى منه مع غيره لَعُدّ مِن المجانين، ولقد حدّثني عنه أنه قال له: لو أردت لأريتك مكّة عياناً، ولكني أرى على قلبك غيايَةً كالسحابة، قال: فقلت ما يرفعها ويزيلها؟ قال: التوبة. قال: فقلت له: إني أستغفر الله وأتوب إليه، وحلفت له بالله، لقد أخلصت في استغفاري وزدته شهادةُ أن لا إلـه إلا الله مخلصاً من قلبي في تلك الحالة، وقلت له: أهذا يرفع ما بي؟ قال: نعم. ولكن ثمة شرط وهو أن تقعد بمكانٍ خالٍ أربعين صباحاً تذكر الله تعالى لا تكلم أحداً، فقلت له: وهل كان لك ذلك قال: نعم. قلت لَهُ: فهاتني شاهداً واحداً يشهد لك بهذا وإلا فسآتيك بشهود يشهدون لله أنك من يوم عرفت يمينك مِن شمالك ما تخليت عن الناس عشرة أيام ولا صنت لك لساناً في هَذَرْ الكلام، فبكَى وقال: أوقعتنا الألسن في المهالك.

[يوسف بن عبد الله العوّامي]

وفيها: صبح يوم الجمعة رابع عشر جمادى الآخرة[1] يوسف بن عبد الله بن أحمد

---

(١) سنة (١٢٢١هـ).

شرف الدين العوّامي[1] عن ثمان وثلاثين سنة تقريباً، كان باراً بأبيه وقد قدمنا في ترجمة والده هنا ما دَلّ على برّه. لازَم عبد الله بن محمد الأمير وأخذ عنه، وكان عالماً زاهداً عفيفاً عاملاً بالأثر جيّد النظر، أجتمعت به ليلةً في جماعة من الأصحاب فأخذ واحد منهم كنوزاً ليشرب، فقال: إن كان مخمراً فاشرب وإلاّ حركته، ففي مسلم من حديث عمر أن النبـي ﷺ: «نهَى أن يشرب الرجل بالليل في إناءٍ حتى يحركه إلاّ أن يكون مخمراً». قال المؤلف غفر الله لهُ: صَدَق ففي مسلم عن عمر عن النبـي ﷺ: «لا يلغ أحدكم كما يلغ الكلب ولا يشرب باليد الواحدة كما يشرب القوم الذين سخط الله عليهم ولا يشرب بالليل في إناءٍ حتى يحركه إلاّ أن يكون إناءً مخمراً، ومن شرب بيده وهو يقدر على إناءٍ يريد التواضع كتب الله تعالى له بعدد أصابعه حسنات وهو اناء عيسى ابن مريم إذ طرح القدح فقال: إن هذا من الدنيا.

وفيها: ليلة الأحد ثالث عشر شعبان، عبد الله بن علي طامش[2] عن خمس وخمسين سنة، كان ذا تقوى وورع شحيح، أخذ عن أبيه، وكان لا يأكل إلاّ الحلال وكانت حرفته التجارة في الصفر والودع والصيني، ولقيته ببعض الطريق فحدثني عن حديث حدثه عن أبيه وقال عزاه إلى رسول الله ﷺ أن الأنبياء كلهم يدخلون الجنة قبل سليمان بن داود عليه السلام بأربعين عاماً، وان فقراء المسلمين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بأربعين عاماً، وان أهل المدينة يدخلون الجنة قبل أهل البوادي بأربعين عاماً. قلت هكذا حدثني والحديث أخرجه الطبراني من حديث معاذ عن النبـي ﷺ إلا أن تمامه هكذا، وان أهل المدن يدخلون الجنة قبل أهل الرستاق بأربعين عاماً لفضل المدائن والجماعات والجمعات وحِلَق الذكر. وإذا كان بلاءٌ خُصّوا به دونهم.

وَدَخَلَتْ سَنَةُ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِيْنَ وَمائَتَيْن وَأَلْف

وهي سنة العجائب والغرائب والنوائب والمصائب.

فيها: عقد الإمام بذمار لولده البدر محمد يوم الإثنين سابع وعشرين محرم.

وفيها: عقد الإمام ببلاد رداع لأحمد بن علي بن إسماعيل.

وفيها: عقد سيف الإسلام ببلاد حراز للشيخ مرشد خليل.

وفيها: غرة المحرم وصلت قبيلة ذو محمد وذو حسين أصحاب يحيى بن محسن بن علي بن محسن بن المتوكل من زبيد بعد أن ناظروا أياماً أن يبعث الإمام إليهم

---

(١) نيل الوطر (٢/ ٤٢٣)، وقد تقدم له ذِكر في ترجمة أبيه.

(٢) نيل الوطر (٢/ ٩١).

أميراً مُدبِّراً وكانوا قد شكوا من انقطاع الأرزاق من الجوامك والسَبَارات على أنهم ما تركوا التَعدي على أهل البندر فإنهم استخرجوا أرزاقهم بيد القهر وعاثوا بزبيد مرتين أو ثلاثاً.

[حمود يستولي على التهايم اليمنية]

وفيها: عادت الطائفة الذين فاجأهم حمود بـ (المكيمنيه) مسلوبة، وقد قدمنا ذكر مسيرهم وكيفيته وأنه كان قد سبقهم أحمد بن علي العنسي في جماعة ذو محمد وغيرهم خلا أنه لمّا وصل حطّ خارج الحديدة وسالم في الأمر، وانخدع بالمال لحمود بن محمد، فلما نزل سعد غداره[1] وأصحابه، وفاجأهم حمود وحصل القتال الذي شرحناه أولاً لم يكن من أحمد بن علي غارة بل كان من أعظم الأسباب على ذهاب البندر فإنه راسَلَهُ حمود بمال فمال معه، وكان في جملة أصحابه الذين لاقوا جند الإمام وأحرب مَعهُ، وأصيب من أصحابه جماعة برصاص جند الدولة وتبطأ بعد مسير الأمير سعد غدارة. ثم طلع إلى صنعاء وحَطَّ خارجها يوم الأحد ثامن عشر صفر، فأهدر الإمام دمه مع دماء أصحابه، وحصل القطع مع الخاص والعام بالظفرة عليه من الدولة لضعفه، ومرض أصحابه الذين وصلوا باب صنعاء، وكان أكثرهم قد ذهب البلاد، ولم يكن معه يومئذٍ إلا مائتين، منهم المريض ومنهم المصاب، ثم بدَى للإمام بعد يومين تأمينه، وصاح الشَوَش بالأسواق والطرقات بأمانهِ لأنه كان قد اشتد ومنَع الداخل والخارج، وقبض الجباية وتحكّم أمراضه في الناس، فبلغه التأمين فلم يصدقه، وما زال يتخطف وينهب إلى منتصف ربيع الأول، ورحل بمن معه عائداً نحو بلاده، وشرحنا بعض حال سعد غدارة وأصحابه من مَيلهم عن سيف الإسلام، وعدم قبولهم لتكرمته لهم وتوجههم إلى صنعاء حضرة الإمام، ووصفهم ما لا قوة من المشاق، ومسيرهم إلى بين يدي حمود وسلبه لهم السّلاح والخف والحافور والكراع وإشفاقه عليهم وعدم علمهم وجنوحه إلى المَنّ عليهم وما أصيب به في ذلك اليوم وما خاطبهم به من اللوم في نزولهم مع علمهم بما هو عليه من القوة وكثرة عدده واستعراضه لهم واحداً بعد واحد، وكانت التوابع بالحديدة قد اشتدوا لمّا بلغهم التجهيز، وصابروا البلاء طمعاً في وصول المجهزين، فلما بلغهم ما كان بـ (المكيمنيه) من الامتحان، رأوا أن ما دعاهم إليه صالح بن يحيى أولاً من الدخول في طاعة سعود هو الأولى فعمدوا إلى الحبس وأخرجوا حسن بن حسين القرشي وجنحوا إلى الترهيب، وكتبوا بذلك إلى الأمير صالح بن يحيى وجادت بوصل حيث لا ينفع الوَصْلُ، فإن حموداً بعد تلك الفتكة عاد على الحديدة وقوّى

---

(١) **سعد غدارة**: هو من خواص الأمير أحمد بن المنصور علي.

مطارحه وزاد في الحرص[1] عليها، واشتد عليهم الحصار من البر والبحر، ولم يعد لهم من الأمير صالح بن يحيى ما يأنسوا إليه، فإنه بعد ذلك خاف على نفسه، وخشي ان خرج أن يتلقاه حمود، وقد ضعف حالاً ومالاً فسعى جماعة من المطاوعة ممن يرجع إلى أبـي نُقطه، فأفصحوا بأنها مشروطة لصالح فقال حمود: ذاك قبل أن يرتد أهل الحديدة عن الإسلام فأما بعد هذا فلا شرط، فطلب أهل الحديدة بحط الحِلقة وجمع آلات الحرب، وأعاد على المطاوعة بأنه إذا قد أخذ الحِلقة فلهم أن ينيطوا أمرها بصالح، لكن بعد أن يسلم غرامته وما أنفقه في حربه وحصاره لها، فلم يطق صالح ذلك وسمع حمود وبعض المطاوعة الساعين في الصلح يقول: أما أخذ الحلقة من أولئك بعد الردَّة فإنها سنّة ماضيَه لا نصدّك عنها. وقَدمّنا في العام الأول ما كان من حمود ومن حسن بن حسين ما هو واقع في هذا العام لارتباط الكلام بعضه ببعض، غير أن حموداً لما علم أنه ظهَر على الحديدة قرَّب الكلام، وكاتب إلى التوابع: إني قد جنحت معكم إلى الصلح على أن تكون البندر ناصفتين بيني وبين صالح، فرضوا بذلك لعلمهم أن لا طاقة لهم على شيء مما يريدون، وخرج إليه بعض الناس من أهل الحديدة وسأله الرفق إن دخل فقال له: لا حاجة لي بالدخول ولكن سأرسل علي بن حيدر. ثم دخلها علي بن حيدر وقبض قلعة الدولة، وحمود كان بالقُطَيع بعد قتلة المكيمنية، يعالج جرحه وجرح ولده وأصحابه، ويصول بالإرعاد والإبراق ولمّا كان نصف الليل جاءه الخبر بأن علي بن حيدر قد قبض قلعة الدولة، نهض من القطيع وسار إلى خارج الحديدة، وضرب مخيمه على الماء الحلو عند شروق الشمس، فنظر إليه أتباع الدولة وأكابر التجار فخرج عقال التوابع وبعض التجار يقودهم حسن بن حسين فوصلوا واستقاموا له، وتكلموا معه بأنه قد فصل الخوض بينهم وبين علي بن حيدر على أن ناصفة الحديدة ترجع إلى صالح فغضب، وقام من حينه، وقال: ما أمرت علي بن حيدر أن يمضي بهذا ولم يستطع أحد أن يراجعه، وقيل لحسن بن حسين: لو تكلمت معه. قال: لا أقدر، ثم سار بهم فدخل الحديدة أول شهر صفر. وقال: إنه سيعيد حسن بن حسين كاتباً للبندر فرأى أن ذلك في حيز المستحيل، فتقدم إليه وقال: يا شريف حفظك الله لا قدرة لي على البقاء وإني أسألك الذهاب إلى بيت الفقيه، فأجابه إلى مراده، وأخذ عليه أنه إن سار فلا يدير كلاماً في نزع شيء من بيوت الأموال التي بالحديدة، وحصَّل له خمسة وثلاثين بعيراً تحمل أثاثه ومتاعه فعدل حسن بن حسين إلى علي بن حيدر وقال: لك مني ألفا قرش على أن تكتم عني ما سأحمل من بيت المال. فانخدع له فحمل نحو مائة وعشرين بعيراً من نفائس القماش وغيره، وأخرجها إلى الساحل فحُملت في السنابيك إلى الساحل المقابل

---

(١) وردت: وزاد في التحريس.

للدريهمي، فتلقاها صالح، ولم ينتبه لذلك حمود حتى جاءهُ الطريف، فأخبره فكان فوت بين حمود وبين علي بن حيدر أوجب عليه حمود الذهاب عن البندر إلى بيته وبلغ حموداً خروج طامي بن شعيب في خمس عشرة مائة عسكراً ونحو مائة وخمسين خيالاً، وكان إذ ذاك بالحديدة، فخرج عنها حرصاً على أن لا يراها طامي،

وأقام حمود بالقطيع مناظراً له، فبلغه خروجه عن الحديدة فتنكب عن الطريق، وقال: لا أوجهه لأن مقصودي أواجهه بالبندر فأما وقد تنكب عنه فلا أواجهه. وسار طامي إلى بيت الفقيه وبه الأمير صالح، فلما وصل إليه سُرّ به صالح بن يحيى فبقي عنده أياماً قلائل وأراد طامي أن يستقر بالقلعة فلم يجبه إلى ذلك صالح، فأسرّها في نفسه، وعيون حمود تغدو وتروح عليهما. ثم إن طامي بن شعيب أفهم صالح بن يحيى أن خروجه إنما كان للإصلاح بينه وبين حمود فعلم حمود أن وراء هذا شرٌ طويل، فقطع الطريق على بيت الفقيه حرصاً على أن لا ينال أبو نقطة وأميره أملاً. وأرسل حمود بجماعة من أتباعه وخاصته من الموهبين، أن يدخلوا إلى بيت الفقيه، وأن يتزيّوا بزي جماعة صالح فينهبوا أصحاب طامي خديعة منه ومكراً ليتوهم طامي في صالح العَيب والخداع ففعلوا ذلك فتوهم طامي ذلك وأعاد على صالح الكلام في طلوعه القلعة فأبَى عليه ورتّبَ الصومعة، فاتهم لذلك صالح ووجد منه، وسعى في إخراج مَن بها فآل الأمر إلى فتنة بينهما في البندر، وحصل الحرب من بيت الحلبي وكان به طامي إلى القلعة وبها صالح، وألجأ صالح بن يحيى إلى أن يكتب إلى حمود يشكو من طامي وصنيعه.

ومن نكدَ الدنيا على المرء أن يُرى عدواً له ما من صداقته بُد

وكتب طامي إلى حمود يشكو صالح وما صنع، هذا كله وقد سار حمود إلى زبيد في ربيع الأول وحصرها في الظاهر، وكان الأمير بولاد والبهكلي الذي بزبيد قد كاتبو حموداً في بولاد وقد رضي به، ولم يرض بصالح بن يحيى ولما استولى عليها، أعاد بولاداً بأن جعل له مما لا يحمل ما أخذه منها، وأرسل معه جماعة بحفظه وأخرج من بها من أصحاب الدولة، وقبض من أهلها أموالاً جمّة، ولما رأى حمود ملاحظة السعادة له لتمام الشقاق بين طامي وصالح أغرَى جماعات من قومه وهدَّر قوم طامي، فشرِدوا وتوجّهوا إلى جهات رَيمة فبلغوا إلى بني الظبيبي، وكانت قد وصلت دعوة صاحب نجد إلى بني الظبيبي وأن جماعة منهم وهبّوا ففتحوا الطريق لجند طامِي وانتهى سيرهم إلى مدينة العبيد من بلاد آنس[1]، فصادرهم الشيخ علي الأسعدي حتى أخرجهم من حدود آنس وبعث صالح إلى حمود بن محمد يطلب منه الولاية على بيت الفقيه، فسكت

---

(١) مدينة العبيد: هي المعروفة اليوم باسم مدينة الشِرق، وقد أُلغي اسم مدينة العبيد.

وأرسل إلى طامي أن أخوة الإسلام بيننا وبينك وقد وقع عليك من المشركة ما وقع[١]، فشك طامي في أن ما صادرهم هُم مِن المسلمين أم من غيرهم. ثم عاد وتقدم حمود على بيت الفقيه فنهب صالح بن يحيى وأخرج من بالقلعة وتحكم في أمواله وبَدّد أصحابه وشردهم ثم أولاه العمل عليها. قال[٢] الأمير (محمد بن وفد الله): ليس في الخبر أن صالحاً أغرى جماعات قومه بل الأمر الصادق أن فتح الله تولى عتب الرجال وأسدهم وكتب بأمره إلى حمود مكراً بصالح، فبعث حمود من زبيد رُسُلاً إلى صالح يلزمه الوصول إلى حضرته وإلا كان هلاكه، وكان قلب عبد الرحمٰن البهكلي مع حمود لذا أشار علىٰ صالح بالسير إليه فسار صالح، فوقف بين يدي حمود فقال له: بيت الفقيه قد دخلت في مملكتي وقد جعلتك عاملاً عليها، فسار ولما دخل بيت الفقيه إذا بالنقيب فتح الله وكافة العساكر والقاضي عبد الرحمٰن قد تنكرت أخلاقهم[٣]، وكان طامي هنالك فأخذوا على صالح أن يطرد طامي بن شعيب فسقط في يده، فشكىٰ أمرهم إلى طامي بأن القاضي وفتح الله وجميع العساكر قد عاهدوا الشريف، فأشار طامَي علي صالح بأمر وقال له: سأخرج إلى وادي نبع فإذا استقريت به فأخرج إلي وصحبتك القاضي وفتح الله وأحمد حنش ناظرة العسكر، فاستدرجهم صالح للخروج معه فخرجوا فلما قاموا بين يديه، أمر بالقاضي وبعض من النقباء وأودعهم حبس الدريهمي، وغلّ فتح الله وأحمد حنش بالحديد وأركبهما على مطية وسار بهما إلى الدرعية، وبلغ حموداً فأرسل رجلين علىٰ ذلول إلى عبد الوهاب فسأله الشفاعة في الرجلين عند سعود فأسعفه وشفع فيهما، فخرجا وردهما إلى الشريف وأبقَى صالحاً ببيت الفقيه شهراً، وهو يريد إخراجه منها خلا أن طامي بن شعيب أبقَى من نقباء الشرق رجلين نافع وفايع الأول بنون ففاء مهملة والثاني بفاء فألف فمثناة تحتانية فمثناة فمهملة، فأشار الشريف إلى من بالبندر أن يهدروهما ويكون إليه واحدة عليهما ومن بقي من المطاوعة والنجديين فلا ينهروا أحداً منهم ففعلوا ذلك فخرجا خائفين وتوجها إلى الشرق، ولم يبق بحضرة صالح سوى ثلاثة نفر مطاوعة فطلبهم حموداً إليه، فوصلوا فأكرمهم وكساهم ونفذهم إلى تهامة الشام واستبد بالتهايم اليمنية، وهذا أصح خبر من غيره.

وفي خلال ذلك كتب حمود قبل دخول زبيد إلى سلطان حسن وهو عامل المخا، أن استمع وأطع وخوّفه وحذره ووعده الخير إن أجاب وكان هذا، وقد تشتت جمع الموهبة بقاع تهامة، وتخطّفوا خارج المخا، وبلغت خيلهم إلى قريب عَدَن، وتوجهت

---

(١) هكذا كانوا يكفّرون أهل اليمن!

(٢) من هنا إلى نهاية الفقرة. مادةٌ مضافةٌ في هامش مسودة المؤلف.

(٣) وردت في «أ»: وقد تنكّرت طباعهم.

طائفة من الأشراف نحو (حَيْس) وحاصروها، وانجلت عن مائة قتيل من حيس فجنَح سلطان إلى الهدنة والمسالَمة، وبعث إليه بأربعة آلاف قرش وكسوة، فقبل المال ولم يلبس الكسوة غير أنه هادنه. وكان حمود لمّا توجه إلى زبيد حاصرها حصاراً شديداً حتى أخرج عنها بولادٍ حسن في العشر الوسطى من صفر، فحمّل منها أموالاً لا تُعَدّ ولا تُحصَى وصادر أهوالاً من الموهبة. ولمّا علم بولاد أنه مشرف على التلف سلط النار على أكثر الأموال، وحصل قتل وحريق من الجهتين وقد لممنا شعث الخَبَر هنا، وإن كان في غضونه ماجريات فقد أخّرناها بالاستيفاء بوجهٍ جلي، فمما كان في غضون ذلك أنه بعد أيام الحج تكلم عبد الوهاب أبو نقطة مع سعود في شأن حمود وهما في المدينة المنورة في جموع لا يحصيها إلا الله عز وجل وقال: إن أحواله أحوال المرتدين، وأنه لا يدين بهذا الدينً إلا ظاهراً. فقال له سعود: لهم الظاهر والله يتولى السرائر وهو خير مِن مرتد مجاهد.

[رسالة مفتعلة من سعود إلى الإمام]

وفيها:[1] وصل كتاب بعد أيام الحج مفتعل نسبه الفاعل إلى سعود، وجاء به حفيظ الدوسري ولم يبلغه إلى الإمام وإنما أرعد به وأبرق، لفظه: بسم الله الرحمـٰن الرحيم والعاقبة للمتقين، والله الذي لا إلـٰه إلا هو لتسيرن السيرة الحسنة أو لأبعثن إليك أقواماً يحبون الموت كما تحبون الحياة، ويرغبون في الآخرة كما ترغبون في الدنيا والسلام. وكان ذلك الكتاب صادعاً للقلوب مفزعاً مروعاً، ووصل به حُفيظ الدوسري، ولمّا رأى الإمام نشطةَ النجدية وتملكهم للرعية، هالَهُ ذلك وسعَى فيما يطفي نار تلك المهالك، فأشار عليه حاكم حضرته البدر الشوكاني بسلوك طريقة العدل، وضمن له على الله تعالى أن يكفيه جميع مهماته، وأنه إن استعمل ذلك بنيّة صادقة كُفِي مهمّاته، فبادر الإمام بجمع الحكام والوزراء ومشايخ الأسواق، وأعلن بنشر العدل، وأمر بهدم خانات أهل الجبا المعمورة على أبواب صنعاء، وأعلن بتحريم الربا، وأعلن بإسقاط المرجوعات والقَبَالات وضمانات الأسواق، وبعث معلمين الخير والصلاة، ومنع الشرطة، وزجَر البغايا ونفى القائم عليهن، وأن كل متعدٍ تناله حدود الله. وبعث بها إلى جميع بلاده، وكتب حاكمه المجتهد إلى سائر الأقطار رسالةً سُمِّيت بمستهلها (طلوع شمس عدل). وظهرت حاجة الدولة إلى مال يحرسون به المملكة وتفتحت لهم مطالب وتنكدت الأحوال فمالوا إلى الأوقاف التي للضعفاء والمساكين والوصايا والقراءات، فطالبوا أهلها بالزكاة فأظبروا بأهلها، وتسلّموا من متولي الأوقاف إسماعيل بن حسن الشامي خمسمائة قرش ومائة قدح طعاماً، وتشكّى من ذلك وتوجّع وقال الناس في هذا

---

(١) سنة (١٢٢٢هـ).

وقالوا، وكل محب حذّر القوم شؤم ما حلى لهم فليحذروا أو ليأكلوا ولما عزموا على العدل.

ومما في غضونها ما كان في يوم الخميس خامس عشر شهر صفر من إنفاذ علي بن محمد المراجل الكبسي(١) بكتب من الدولة إلى حضرة سعود، يشرحون له بعض الحال ويذكرون له ما صنع حمود ببلادهم وكيف صادر الرعايا بالقتال، وتكلم في هذا الرسول كل إنسان بلسان له مقال، وتذاكر وارسل(٢) الملوك ومَن كان الأولى بالإرسال. وسيأتي الخبر، وكان الداعي إلى هذا الخبر أن القاضي عبد الرحمٰن بن حسن البهكلي قاضي الإمام ببيت الفقيه، كتب إلى الحسن بن الحسن بن عثمان(٣) كتاباً طويلاً حاصله أن حمود بن محمد قد تغلب على جهات التهايم وأن الأولى بالدولة أن تبعث(٤) رسولاً مُكَمّلاً إلى سعود لحسم المادة بينهم وبينه، فعرض ذلك ابن عثمان على الإمام فاستدعى حاكم حضرته البدر الشوكاني وألقى إليه ذلك الكتاب فنفر عن تلك الطلبة وقال: مثل هذا لا يحسن فإنه سينفتح به شر كبير ويترتب عليه خطر خطير، وحذر من ذلك وأنذر، خَلا أنه ما زال ابن عثمان يقوم لذلك ويقعد واستحسن ذلك لعدم تدبير منه ونظر وأبرم في نفسه التمام وحمل الإمام على ذلك المرام، وسولت له نفسه إرسال علي بن محمد المراجل، فكان ما كان على أن. البدر الشوكاني لمّا لم يجد مجالاً من ذلك وبُدًّا قال: ومن تمام شرطكم أن لا يتعلق رسولكم بشيء مما فيه قيل وقال(٥)، وإنما هو حامل للكتاب وعايد بجواب، وأنه لا يجيب إلى خروج أحد من حضرة سعود فإن ذلك فتنه. فجنح ابن عثمان إلى ذلك وأمر الرسول بحاصل ما قاله البدر فلم تنتج الرسالة إلا بما كانوا يحذرون.

[خســـــوف القمـــــر]

ومن: مظاهر العلاّم سبحانه وتعالى خسوف البدر عند التمام ليلة رابع عشر شهر ربيع الأول، وأخذ فيه الخسوف نحو الربع من بعد صلاة المغرب، وتبعه من مظاهر القاهر طلوع الشمس آخر يوم من ذلك الشهر منكسفةً وان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينخسفان لموت أحدٍ ولا لحياته وإنما يخوّف الله تعالى بهما عباده، فإذا رأيتم ذلك فصلوا وادعوا ﴿وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً﴾.

---

(١) ستأتي له ترجمة في تاريخ وفاته، سنة (١٢٢٣هـ).

(٢) وراسل: (وأرسلَ).

(٣) الوزير حسن بن حسن بن عثمان العُلفي.

(٤) وَرَدت: أن يبعثوا.

(٥) أي ليس له حق التفاوض.

ومن: المظاهر الباهرة تأخر الغيث عن وقته المعتاد، ومقاساة العباد للشدة في جميع البلاد.

[تزايد مظاهر النهب في طريق ذمار]

وفي: يوم الإثنين سابع وعشرين محرم خرج البدر محمد بن الإمام من صنعاء متولياً لذمار ومصلحاً للطريق فسار وقصد ما يلي مدينة ذمار من جهات الحدا وعَنْس، وذلك بعد فساد منهم طويل، فأنه ما زال المسافر على ظهر الخطر فقد كان القتل والانتهاب أمر معروف غير منكور وتخطف أهل الحدا وأهل خولان ومن له رغبة في الفساد بالطرق، فقطعوا المارة وقُتِل بسببهم خلق وذهبت أموال لا تحصيها الأقلام، وآخر حمولةٍ أُخذت في آخر عام إحدى وعشرين من حمائل صهبان والعربيين وبلاد خُبان حباً وسمناً وعسلاً ودراهماً منها مائة ناقة محملةً طعاماً للإمام وثلاثين بعيراً محملة للحسين بن أحمد الأموي وعشراً محملة للوزير الحسن بن علي حنش، فلما استقر البدر محمد بن الإمام بـ(زراجه)[1] والتّفت عليه قبائل خولان وجماعته من التوابع ووصل الشيخ صالح الصوفي الخولاني وجماعة بني جَبْر ووصل إليه مشايخ من أهل الحدا، وكانوا قد تلقوه إلى القُبَّتَيْن[2] وقال القاضي علي بن مهدي الكبسي للبدر: اعلم أنه قد اجتمع بين يديك الآن ما لم يجتمع من أهل الفساد لأحد قبلك فإن ضبطتهم حزِمت البلاد من الفساد وإلا عادت كما كانت فلم يفعل شيئاً من ذلك، ورغب في تسلّم الاداب بعد أن صال هنالك وأرعد وأبرق وصالت طائفة قومه صولة عظيمة، وتبطوا عن الحركة أياماً فوجههم إلى جهات السَّبَله وكومان[3] فحصروا السبلة وتسلموا جماعة من أهلها، فألزمهم إرجاع ما قد أخذوه فسلّموا بعضاً وكتموا بعضاً، وتسلّم الشيخ علي بن ناجي القوسي والشيخ سعد مفتاح البخيتي[4] وسيّرهم في جماعة آخرين بعد أن تسلم منهم الآداب وسار بهم إلى ذمار، فدخلها وقد قام له ذكر طويل وفشى في الناس خبره ولاحظته العيون إذ كان في تلك الحال قد أمَّن المسافر وفتح الطريق لصنعاء وكانت مغلّقة.

[البدر من حراز إلى صنعاء والتخابر مع الشريف حمود]

وفي: غرة صفر نهض سيف الإسلام من حَراز، وكان بحصن كاهل متوجهاً إلى صنعاء، وكان قد رام الصلاح فلم يتهيأ له بعدم المساعد وعظم المنافس، على أنها

---

(١) زرَاجه: من قرى الحدا. تبعد عن مَعْبَر شرقاً بنحو (١٣) كيلومتراً. وفيها عاصمة مديرية الحدا.

(٢) القُبتين: محل جنوب مدينة صنعاء. المقتطف من تاريخ اليمن ص (١٥٠).

(٣) منطقتان من بلاد الحدا. هما سبلة بني بُخيت وكومان سنامه أو كومان المحرق.

(٤) هما زعيمي قبيلة الحدا.

جاءته الكتب والرسل من حمود بن محمد تطلب منه الوصول إليه والنزول عليه ويفصح له أنه سيدخُل في جَمعه ويكون من المُعِينين له والقائمين بشأنه فرأى ما قد جرَى لَهُ من الأهوال، وما خدعه به الوزير ابن عثمان من تأخير الرجال عنه والأموال، فجنح إلى السكوت مع علمه بالظّفر والاستيلاء غير أنه رأى نفسه أكبر من أن تحتاج لِذا مالٍ عن قصد ما وجّه إليه، وقد كان رام أن يُخرِج قبائل يام الطغام من بلاد حَراز، فلم يتيسَّر له ذلك مع أنه أصلح من شأنها وهدَّ من أركانها، وخافه القريب والبعيد، وضبط كثيراً من أهل الحصون، وتسلّم منهم أموالاً، وأقام الجيش الذين كانوا مَعهُ، وبعث بمدد للنازلين إلى تهامة، وتأخر علي بن محمد شبام من الوصول إليه لعلمهِ بذنبه. ولما أزمع على الرحيل سعى الوزير ابن عثمان مع الإمام في منعه من دخول صنعاء وبعث إليه يأمره بالمسير (عَمْرَان) فلم يلتفت إلى ذلك وعلم أن هذا الشّر لا ينحسم داؤه حتى بلغ (المساجد) من أعمال حضور[1] عازماً على دخول صنعاء. ووصلت قبائل بني الحارث وهمدان وسنحان حطّوا بأطراف البلاد.

ولم تزل المراجعة بينه وبين الإمام في الدخول والوزير بالمنع يَصُول. وكان السفير محمد بن علي عبد الواسع يذهب تارةً ويجيء أخرى، وكان في عزم سيف الإسلام لو رأى تمام المنع لدعَى بصنعاء إليه، وجَمَع المحاط على صنعاء غير أنه لاحَظ برّه بوالده وأثره على مشتهَى نفسه، فراجعه باللين وسعى في الدفع والتسكين، واجتمع الوزراء بحضرة والده، وأفصح الوزير الحسن بن علي حَنَش، والوزير علي بن حسين الانسي في ذلك الموقف بسوء التدبير في منعه من الدخول، فنظر المنصور في صدق ذلك فجنح إلى دخوله، وكان قد رأى الناس يخرجون إلى سيف الإسلام أفواجاً، فأذن له بالوصول، فدخل من آخر يومه إلى حضرة أبيه وقد فقد الحاشية من عالم العبيد، ولمّا سار عن حراز أبقى بها الشيخ مرشد خليل في قبائل من نهم وهمدان وحاشد، فنفذ بهم إلى لهاب[2] وأخذ حصن رخام وأبقى جماعةً بـ (كاهِل) ثم استدعاهم من رخام وقدم على حصن الصنصل[3] ووصل الحرب بينه وبين أهل الحصن يوماً كاملاً وتسلمه بعد أن قُتِل من أصحابه نحو العشرة وأصيب منهم بالرصاص نحو العشرين وقُتل نحو العشرين من الرعية أيضاً، وتسوّر أصحابه على ذلك الحصن بالسلالم ثم ارتفع عنه قليلاً، فبقي بالقرب منه عشرة أيام، ونفذ جماعة من قومه على حصن بني مرّة[4]، فغلّقوا الأبواب

---

(١) **المساجد**: قرية بجوار طريق صنعاء الغربية. تبعد عنها بمسافة نحو (١٥) كيلومتراً.

(٢) **جبل لهاب**: مركز إداري من مديرية مناخة في بلاد حَراز.

(٣) **الصنصل**: حصن وقرية بجبل لهاب.

(٤) هو قريب من حصن «كاهل» وهما من مركز اليعابر بمديرية مناخَه.

دونه، فأرسل إليهم أني لست بمحارب، ولكني عامل، فخرج إلى أصحابه منهم رجلان فلم يجدوا كيداً، فأدخلوا معهم جماعة، واستفصلوا منهم مطالب الشيخ مرشد؟ فقالوا مطلبه وصول رجلين من مشايخكم إليه. فأسعدوا إلى ذلك ولمّا وصلوا إليه أبقاهم لديه، وأرسل من يقبض الحصن ثم سار إلى كاهل، وأرسل إلى الشيخ الريمي يسأله الطاعة والإذعان على يدي جماعة فلم يتم له أمر وعادوا إليه بخفى حنين، فبعث أربعمائة من قومه فحصر حُصن الريمي أسبوعاً، فاستغار الريمي أهل عَرْجَز[1] فحصل الإصلاح على دخول الشيخ مرشد وتسليم الحقوق، فدخل الحصن ثم رجع عنه إلى كاهل وفرّق الجيش من بعد ذلك، ثم أرسل إلى المِدْعِي يدعوه فرد الرسل، فعزز بِرُسُل آخرين في خمسين نفراً، فتسلّموا الدور التي تحت حصنه ورتبوا المراتب الضابطة، فاعملوا على أصحاب مرشد الحيلة بأن يلقوهم ويفتحوا[2] لهم تلك الدور وأنعموا عليهم فلم يشعروا بعد ذلك إلا بجماعة من أرحب كان قد أعدهم المِدْعِي، فضبطوا المحل ضبطاً محكماً بحيث لا يقدر أصحاب مرشد أن يقيموا للشر شعاراً، وآل الأمر إلى خروج أصحاب مرشد في قيد الذل والمهانه وتخبّط أمره هنالك فبغته الرفع من صنعاء، وسيأتي ما كان من أمر مرشد عند وصوله باب صنعاء قريباً إن شاء الله تعالى.

ولمّا استقر سيف الإسلام بصنعاء وتواردت الأخبار بتخبّط الحديدة، وحصر حمود لها وحصر ما قدمناه آنفاً في دخولها وما زال قِدْر الفتن يغلي في التهائم، وكان الإمام يجمع وزراءه وأكابر دولته، فيدبِّروا أمراً ويفسد مع ما تبع هذا من الإمساك وعدم المَدد من سائر البلاد المُفضي إلى الهلاك، وكانت تدور الأمور في المشكلة المهيلة فيدعونها ويعودون إلى السهلة القليلة حتى شَبَّه حديثهم خادمهم علي يحيى الجوفي بحديث ألف ليلة وليلة، وفرّ من عند الإمام سعد عبيلة الحبشي، وحبس الإمام بعد فتنة المكيمنيه فتح فيروز وسعد غدّار غيظاً وحنقاً إذ ألقوا الخيل والسلاح إلى عدوه حمود بن محمد.

وفي صفر أيضاً بلغ الإمام وصول توابعه وجنده الذين كانوا بالحديدة، فأخَّرهم بـ (مَفْحَق) فأفصحوا عن أن لنا نحواً من ست سنين نصادر الأهوال ونطلب المدد بالرجال والأموال، وأنتم لا ترفعون لنصرتنا رأساً. وكان بدا للإمام تسفير بعض جنده وعبيده من الذين لاقوا حمود بن محمد.

---

(١) قرية عرجز: من مركز الثلث بمديرية مناخه. قريب من جبل العرّ؛ وهما مواجهان لحصن كاهل.

(٢) وردت في «أ»: يفسحوا.

[كبير مشائخ بكيل يُحذِّر من سوء الحال]

وفيها: طلب يحيى بن هادي الشايف من الإمام الفَسْح والذهاب بأهله إلى بلاده لما رأى من سُوء العاقبة وتكدر الحالة وتنكر الأيام، فدخل على الإمام وأفصح له ببعض الخبر، وقال له يا مولانا أنت الخليفة وكل رجل ممن حولك مُخَرِّب لملكك ساع في ضعف دولتك وأولهم أنا، وقد صارت البلاد في أيدي من عرفت فأن ستنتبهوا من الغَفلة وإلا فالأمر صائر إلى الغير ولسان الحال ينشد ما قاله أبو الطحاطح صاحب البَونية.

مـا لـي ولـلأمـر هـذا للـوزيـر ولا	جهـد لـه فـدعـونـا وانظـروا العجَبـا
قـد كـان مـن قبلنـا المهـدي أخـا ثقـةٍ	يستـدفـع الشـر بـالحسنـى إذا وثَبـا
إذ كـان يعطـي وعنـد الصـدق مـذهبـه	بـادٍ وقـد فـاز لمـا زحلـف الكَـذِبـا

ثم قال يحيى بن هادي أما أنا فمزمع على السير واعلم أيدك الله تعالى أن المجهز من حضرتك لا يواري شخصه عن صنعاء إلا وقد صار أكبر عدوٍ لك لأن الوزير يلجئهُ إلى رزق يومه، وهو مخاطب بنكاية عدوّك في أطراف البلاد، فهذا ما لا يستقيم. فأذن له الإمام بالمسير، وأخذ عليه بقاء بعض أصحابه، فقال هذا لا يستقيم[1] لأن مشورتنا لا تصلح إلا مع اجتماع الكل والذي يتخلف عنا لا بد أن يميل بنا الرأي لفقده يميناً وشمالاً. ثم راح عن صنعاء.

[تردي حال التوابع من القبائل والجنود]

وفيها: يوم الخميس تاسع عشر ربيع آخر، تجمّعت التوابع وطلبوا أرزاقهم من الجوامك والسَّبَارات[2] بعد طوال المواعدة من الدولة، فقصدوا سيف الإسلام فواجههم، واستمهل منهم فلم يمهلوا، بل خرجوا عن صنعاء، ونهبوا السَّفر وفعلوا الأفاعيل، وتلاشت الأمور، وانقدح[3] الشر، وصال المحذور وذهب الناس، وبقي النسناس وتفرق جمع العساكر، واشتد الأمر على الوارد والصادر، وانثال جمع من الفرسان والرجّالة إلى البدر محمد بن الإمام وهو بـ (ذَمار)، فرأى أموراً منكرة وحالة غير مدبرة، فتوسّع للناس ومَدّ يده إلى بلاد آنس وخُبَان وقعطبه ومغرب عنس وبايَنْ، رأي الوسائط، وبعث إلى المخادر شرذمة من العساكر، ورأى أنه قد توسط في البلاد، وأرسل إلى جميع نواحي اليَمن الأسفل يدعو الناس إلى الثبات، وبعث بخمسمائة من جنده إلى بلاد آنس ليقبضوا الحقوق، وكان بها صبي من بيت حنش متولياً، ورفع من

---

(١) وردت في «أ»: لا يتم.

(٢) جمع سَبَار: أي الجراية اليومية من الحبوب وحاجات الطعام الأخرى. (الأرياني: المعجم اليمني).

(٣) وردت في «أ»: وانقدحت الشروط.

مغرب عنس فرحان حسن حَنش وسيره على عامل رداع أحمد بن علي بن إسماعيل بعد أن رفع يده عن العمل، وأرسل بنحو مائتي نفر إلى محمد بن علي بن إسماعيل إلى يريم وإلى مغرب عنس بنحو مائة وخمسين وإلى جهات عتمة وقعطبه، وكان بقعطبه صبي من الأموية متولياً فتكلم في جانبه ذلك الصبي فحفظ الطرقات وأراد ضبطه فما قدر إلا أن (آل الفَرِح) مالوا مع محمد بن الإمام، فأخرجوا ذلك الصبي من قعطبه فسار إلى يريم وتحيَّر بها أياماً لا يدري أين يذهب. وأرسل إلى أحمد بن علي سعد متولي اليمن الأسفل يحظه على طاعته.

كل ذلك لاستنكاره حال الإمام وصادر جمعاً من الولاة، وتحكّم فيهم ونقَم على الدولة هذه الأمور، وشرح حاله مع تلك الديار يطول وهذا أمرٌ عند كل عاقل إن سَكتَ عنه أفضى إلى ذهاب الدولة وقيام العدو بأتم صوله، لذا رَغّب الجند في الوصول إليه ونزل المُفلس من الأتباع عليه،

وشكىٰ الوزراء لوالده ما صنع، فأرسل إليه سنان الطواشي ليوقفه فلم يلتفت إلى ما جابه ولم يرى التعلق بسببه. فما زال الإمام يبعث بكتب إلى جميع العمال ومشايخ البلاد أن يردوا من وصل من أصحابه، وأن لا يقبلوا له رأياً ولا تدبيراً، وأن ذلك عن غير رأي منه. وكان البدر محمد قد كتب إلى العمال، أنه قد فُوِّض في الأمر جميعه ولم يُبالى بما ورد من صنعاء وكانت الوسائط تحمل والده على الدعاء عليه.

[خروج آل إسحاق عن طاعة الإمام]

وفي: ربيع الآخر خرج بقية الأعلام عن صنعاء: عبد الكريم بن أحمد بن محمد بن إسحاق وإسماعيل بن علي بن أحمد وأولاد عبد الكريم، وقصدوا بلادهم (دَنّ وصاب) بعد الشدائد، وظهور الجفا من الزمان وركة الدّولة.

فقد هزلت حتى بَدَا من هزالها ... كلاها وحتى رامها ابن مغلّسِ

[دعوة السيد إسماعيل بن أحمد مَغَلّس]

فإنه خرج تلك الأيام من الكباسية إسماعيل بن أحمد مغَلِّس[1] إلى الظّفير[2] في

---

(١) ترجمه زَباره، فقال: كانت له معرفة تامة وفطرة سليمة وفاهمة قوية، وهو صليب الديانة كثير الطاعة. دعا إلى نفسه بالإمامة وتلقب المتوكل. ولم يزل بالظفير إلى سنة (١٢٢٤هـ) ثم انتقل إلى صعده بعد أن أضرب عن الدعوة، وبقي بها نحو ثلاثة عشر سنة ينشر العلم فاستفاد الكثير من الطلبة. وفي آخر أيامه انتقل إلى مدينة ذمار فبقي بها نحو شهر حيث لقي ربه سنة (١٢٤٨هـ) وقيل: سنة (١٢٥٠هـ).

(٢) **المقصود ظفير حجّة**: وهي بلدة وجبل شمال مدينة حجّة بمسافة نحو (١٥) كيلومتراً.

شهر صفر وصَحْبه علي بن حسن العجل من وكلاء الخصام، وقصدوا يحيى الجيشي وناصر بن يحيى الأحمر وكانا إذ ذاك قد وَالَيا حموداً، فلما وصلا هنالك اطمأنا، وكاتبا محمد بن علي بن قاسم صاحب صعدة[1] وحمود بن محمد وبعثوا إلى صنعاء بكتب وإلى ذمار وإلى سائر البلدان يدعون القبائل إلى الطاعة، ولمّا وصل كتاب مغلس إلى حمود أرسل له رزقاً يسيراً، وأحاله علىٰ محمد بن علي صاحب صعدة، إذ كان من أهل هذا الأمر فبعث ابن مغلس إلى محمد بن علي يدعوه إلى طاعته ولقّب نفسه بالمتوكل على الله فتضاحك الناس من أمره:

يا ربة البيت إني صاحب البيت ... عندي من الرزق خلاًّ ناب عن زيْتِ
قالت ادامٌ فأين الخُبز قلت لهَا ... عندي النكاح إذا جعتي استمديتي
قالت وقد ضرطت هذا الجواب وَمَا ... صيت الدعا منك إلا مشبهٌ صِيتي

ومن العجب إقبال محمد بن علي علىٰ هذا الرجل فإنه لامه على ذلك القريب والبعيد وخالفه أخوه الحسين بن علي فإنه تنكّب عن هذا بعد أن جاءه هذيان الكبسي. لا جرم فإنها كانت سجيته ضعيفة ومخيلته خفيفة، وكتبت إليه وإلى أخيه الحسين بن علي في ذلك أبياتاً استحسنت إيرادها هنا وكانت بعد مفاوضة بيني وبين البدر حاكم حظرة الإمام محمد بن علي الشوكاني وهي هذه:

أعلىٰ النصايح كلها في العالم ... نصحي الذي لسراة آل القاسم
أهل الذوابل والعواسل والعلَى ... وحماة دين محمدٍ من قادمِ
من يأنفون عن الدناةِ مَن لهم ... شرف بَنُوه بكل سيفٍ قاصِمِ
أكرم بهم من فتيةٍ أحبب بهم ... من أسرةٍ في المُدلهَم الناجِمِ
قوماً يرون الأمر فيهم لا سوى ... ويكف طبعَهمُ يداً لمخَاصِمِ
من أين للغير التخلق بالعُلَى ... وهموا بهذا الأمر افتك قائمِ
إني نظرت إلى الفراش على سرا ... ج علاهم وقعت بحتف الحايمِ
تبغي الزعانف أن تكون لها يدٌ ... طُولَى على الأمجاد آل القاسِمِ
كلا ومن فَطر الخلائق كُلها ... لا كان ذلك نازلاً في آدمِ
ما دام منهم واحدٌ يمشي علىٰ ... ظهر البسيطة هاتكاً للظالِمِ
هذا أبوكم قاسمٌ ملأ الدَّنَا ... قتلاً ليبقى ذكره في العَالَمِ
وأقام عنه ولاة أمرٍ منكمُ ... يردون حوض الموت أول قادمِ
فمضوا وأبقَى كل صدرٍ منهمُ ... ظهراً لهذا الأمر غير مزاحمِ

(١) هو المولى محمد بن علي العلوي الرَّسِّي.

ولكــن شنــار الــدولــة الغــرآء فــلا — أَلْفَــا الصغيــر حفيــف ذل الخــادم
وقبــائــل اليمــن الأســود عليكــمُ — مُلْتَفَــة للنصــر فــي المتفــاقِــمِ
أفتجعلــون إلــى سخيــفٍ أمــركــم — هــذا لعمــري الخــزي عنــد الحــازِمِ
ولتنــدمَــن علــى أمــورٍ جمَّــة — ولتقــرعــنّ عليــه ســن النّــادِمِ
قــل للحسيــن[1] واحسَــن الأقــوال مَــا — نصــح الحبيــب حبيبــه فــي النــاجِــم
إنــي بنصحــي قــد أفــدتُ وكلمــا — أبــديتــه فســواه غيــر مُــلاَئــم
ونصيحتــي لعمــومكــم وأخصُّهــا — لمحمــد بــن علــي بــن القــاســم
مــولــى الشهــامــة والكــرامــة والعلَــى — وابــن الخــلافــة فــي ســلالــة هــاشــم
مــن لا تميــل بــه الــوســاوس مــن فتًــى — ألقــى الأمــور إلــى دَنــي ظــالِــم
يَــا بئــس مَــن أَلقَــى ويــا بئــس الــذي — يلقــى إليــه وبئــس مسعــىً النــاقِــم
لا زال هــذا الأمــر فيكــم دائمــاً — أبــداً ودمتــم فــي العُلْــوّ الــدائِــم

ولمّا وصل هذا النظم إلى الحسين بن علي، وأرسله إلى محمد، ونعَى عليه إجابة الرجل، وبيّن له سُوء غلطه، أعاد الجواب أنه إنما تابع لعدم قدرته ولم يبايع كما بايع الإمام عامة رعيته مشروطاً عليه بعدم قيام الإمام من آل القاسم، وثانياً أنه أراد في باطن الأمر إيقاظ همم آل هاشم.

[سيطرة الشريف حمود علىٰ تهامة اليَمن]

وفيها: ومنها طلب سعود قبائل عسير والدواسر وسائر قبائل الحجاز وأهل الشرق، فراحوا عن حمود بعد أن ألقى إليه كتاب من سعودٍ يُقرّر أمره على ولاية البنادِر، ويحضه على مناجزة كل كافر، فتخلت تهامة عن لوث الاراء، واستبد حمود منها بالأمَام والورَى:

يــا لــك مــن قنبــرةٍ بمعمــر
خَلــي لــك الجَــوّ فبيضِــي واصفــري
ونَقِّــري مــا شئــت أن تنقــري

والتفَت حمود بعد هذا على مدينة زبيد، فسوَّرها وفرّق النفقة عليها أثلاثاً، ثلثاً على بيت المال، وثلثاً على الأوقاف، وثلثاً على الرعية وتجار المحل وأهل الغِنا، ووصل إليه عقلان[2] شيخ الحجرية في أربعين من مشايخها وعاهده على الحجرية

---

(١) الحسين: الإمام الزاهد التقي الحسين بن علي المؤيدي.

(٢) لم أجد له ترجمةً، ولعل آل عقلان الموجودين في قرية الصلب بني يوسف بالحجريّة هم من ذريته. انظر عنهم كتاب: من تاريخ عشائر محافظة تعز ص (٢٤)، تأليف: الدكتور قائد طربوش.

والعدين وإبّ وجبلة وغيرها من الجبال.

ووصل إليه عبد الرب صاحب المكلاّ[1] معاهداً له علي المخا، فقال على أن بيننا وبين أميرها هدنة، فقال: نؤخر الأمر حتى تنقضي الهدنة. ثم تنكّب حمود عن زبيد لمّا بلغه أن علي بن حيدر ومنصور بن ناصر صاحب صبيا، قد قصدا الدرعية لبعض الشأن، فأرسل في أثرهما حيدر بن ظافر وكان إذ ذاك بالزيدية فسار حتى بلغ أبا عريش، واستفصل خبرهما فقيل له ذهبا بأموال واسعة وهدايا نافعة إلى سعود، فرتّب بعساكر تهامة أبا عريش، وقبض بيت علي بن حيدر.

[تشييد دروب القَناوص]

وفي: يومِ السبت ثالث عشر جمادى الأولى، وصلني كتاب من تهامة بأن حموداً، خرج من زبيد آخر نهار الجمعة رابع جمادى، وحط يوم السبت بالقناوص[2] المُسمّى مخرط كشيرب وشيّد دروبه بالنورة، وان خروجه ذلك كان لمّا بلغه من نزول جماعة من (يام) بلغوا فَجّ حَرَض، أراد بذلك مصالحتهم وخوفاً مما قاله الناس عن أنهم نزلوا عن أمرٍ من الإمام لقبض البنادر فأصلح من شأنهم.

[أهل المحويت يطلبون الأمان من الشريف حمود]

وفيها:[3] طلب أهل حُفاش وملحان من حمود الأمان، وأرسل إلى العامل عبد الله بن أحمد الماس كسوة فاخرة، فلبسها يوم الجمعة لمبرا من الناس. كذا قيل. ولا أعلم لهذا صحةً إلا أنه بعد ذلك نقل إلى نقلاً متواتراً. وهذا في شهر ربيع الأول، وفي ربيع الآخر بعث له حمود بحملين نحاسٍ، ووعده الخير وأنه سيصله بأموالهم التي في زبيد، وجمع الشريف في تلك الأيام أموالاً ما عرفها أيامه الأولى، ووصلت الأخبار في جمادى الأولى بارتفاع يحيى بن ناشع حافظ الدرب الذي عمره أبو نقطة وأمرآء الموهبة بقريب بدر، وأنها اشتدت عليهم يام، وأخرجتهم منه ونهبتهم أموالاً لا يحصيها إلا الله تعالى[4]. واختلف الناس في سبب خروجهم، فقيل: أن ياماً دَسّت لهم سموماً

---

(١) **هو عبد الرب بن صلاح بن سالم بن أحمد بن نجم الكسادي**: الذي تولّى حُكم المُكلاّ بحضرموت بعد وفاة أخيه، وبقي يحكم المُكلا إلى أن توفي سنة (١٢٤٢هـ). راجع عن تاريخه: كتاب «إدام القوت» ص (٥٠) تأليف: العلامة عبد الرحمٰن بن عبيد الله السقاف المطبوع بتحقيقنا.

(٢) **القَناوِص**: مدينة ما بين الزُهرة جنوباً والزيدية شمالاً. تبعد عن مدينة الحُديدة بمسافة (٨٦) كيلومتراً.

(٣) سنة (١٢٢٢هـ).

(٤) «**تعالى**»: زيادة في «ب».

في السمُون التي كانت تبيعها منهم في الأسواق التي كانوا يأمنون بها كل متصرف، فأصابهم من ذلك الألم المدنف فهلك الأكثر. وقيل: بل أصابهم داء من الله. وقيل: انها انقطعت عنهم الميرة من أخوانهم وأنهم إنما قعدوا منتظرين للغارة عليهم، ويصدُق هذا أنه لمّا وصل يحيى بن ناشع إلى عبد الوهاب، عقب عليه وبكته، وقال: إن الأمر كان على أنك تزورنا وتتعاهدنا بالعساكر في كل شهر مرة أو مرتين، فآل الأمر بنا إلى ما ترى ولا ندري ما في غاياتك. فعاد عبد الوهاب عليه وعلى قبائل عسير باللوم، وحملهم على العود إلى الدرب واستخلاصه فمنعوا من الرجوع، ونفذ يحيى بن ناشع إلى الدرعية طالباً من سعود إحضار عبد الوهاب للشريعة في ذلك وقال لَهُ: تعلم أن هذه القبائل قد عصت الله ورسوله، ولم يتم للنبي ﷺ فيهم أمر حتى صالحهم، وأنه يسع الإنسان ما وسع رسول الله ﷺ فعذره وكان بلغ قبائل عبيدة ورفيده وخولان وسَنْحان وبني جُماعة ووداعة ما كان من ذلك الأمر، وهموا بنقض العهد الذي بينهم وبين أبي نقطة وقال قائلهم: لا يسع الإنسان سوى ما يطيق فأما الحمل على ما لا يطيق فلا، وطلب يحيى بن ناشع من سعود العَوْد، فأصلح شأنه وشأن أبي نقطة.

[زلازل في اليمن، وظهور نار في جبل الكبريت]

وفي: يوم الإثنين ثامن جمادى الأولى، بدَا من مظاهر شديد الانتقام زلزلة لم يبق محل باليمن إلا أخبر أهله عنها، وأدركناها بصنعاء ضحى ذلك اليوم ارتجفت منها البيوت، وجاءت الأخبار بسقوط كثير من الأبنية وهلاك عالم من الناس، وأنه خسف بمحل من اليمن الأسفل أكبر علمي بأنه حمَّه عارم، وظهرت نار بجبل الكبريت[1] من أعمالً عنس.

[شيخ هَمْدان يرتفع من حراز]

وفي: يوم الإثنين سادس جمادى الآخرة، وصل مرشد خليل باب المنجل مرفوعاً من حراز كما قدمنا إلى ذلك الإشارة فانتهب المارة، وسلب جماعة من أهل صنعاء، وقَتَل أصحابه رجلاً يقال له علي المجدوب، وأصابت ولده طعنه.

[شيخ جبل مَسَار متولياً بلاد حراز]

وفي: يوم الربوع، أرسل سيف الإسلام على بلاد حراز مهدي[2] مرجز شيخ جبل مسار متولياً، وأصحبه الحبشي مأمون علي في اثني عشر نفراً، فخرج عن صنعاء ماشياً على قدمية لا يعرفه أحد.

---

(١) هو الجبل المعروف باسم: جبل اللِّسي، ويقع شرق مدينة ذمار.

(٢) ورد هكذا وربما أنه: هادي.

[نار في مقبرة الجنَادبه أهل أرحب]

وفي: هذا الشهر أو قبله بأيام، ظهرت نار من مقبرة الجنادبة أهلِ أرحب[1]، وسمعوا قبل ذلك بالمقبرة أصواتاً مهيلة، فنسأل الله العافية في الدنيا والآخرة. وهذه المقبرة أكثر أهلها السارقون وهذه من مظاهر العزيز الرحيم.

[وصاعقةً تقتل أحد آل الكبسي]

ومن المظاهر وقوع صاعقة بـ (قَرْوَى)[2] في محل يقال له بشار فدخلت بيتاً، وبه محمد بن حسين الكبسي وعبد الرحمٰن بن يحيى بن أحمد الكبسي، فقتلت عبد الرحمٰن وأصابت محمد بن حسين في خاصرته ثم خرجت فحفرت بالمقبرة حفرة لا يشعرون بحفرها، فلما خرجوا ليقبروه إذا بها مفتوحة فظنوه قبراً قد فتح من قبل، فأدلوا به عبد الرحمٰن بن يحيى، وأخبرهم من رأى الصاعقة تحفر هنالك تلك الحفرة وهذا من العجب.

[ارتفاع الصرف وتأخر المرتبات]

وفي: يوم الخميس وصلت قبائل ذو حسين في محمل عظيم، ووقفوا بالغراس متنبئين أمر الدولة، فأظهر الإمام تجهيز الحسين بن أحمد الأموي إلى عمران وحجة والتهايم، فاستوقفوا القبائل أياماً طويلة، ولم ينجز ذلك العزم. ومسّ الناس الضر، وارتفع صرف القرش، وشكى الناسِ قلة الفضة، فكسره الإمام وضرب ضربة آخرة وبثها في يوم الأحد ثالث عشر جمادى الآخرة، وذهبت بِكَسْرِها أموال على الناس عظيمة.

وفي: يوم الجمعة ثامن عشر جمادى الآخرة، تكلم الناس في تأخير جوامكهم وسَبَاراتهم فلم يخرج أولاد الإمام للصلاة.

وفي: الجمعة الآخرة رابع وعشرين جمادى الآخرة، تحزَّبت الأجناد، لتأخر السّبَارات والجوامك، ولم يحضر أحد من أولاد الإمام المصلى لعلمهم بما الناس عليه من الوجع، ولما انقضت صلاة الجمعة، توجهت التوابع وقصدوا قصر صنعاء، وأرادوا ضبطه وفتح دار الضرب، فمنعهم الشريف علي بن ناجي وأصحابه، وأغلقوا الباب الأوسط، وقتل رجل من أصحاب عبد الله بن الإمام، وقام عُقلاء الناس لدفع الفتنة كالنقيب فرحان ياقوت، فأخذوا عليهم الصبر إلى الليل، فإن تخرج أرزاقهم وإلا عادوا فسكن شرهم قليلاً وتحمل الدولة دية القتيل.

---

(١) الجنادبة: قرية في أرحب، تقع جوار بيت مَرّان.

(٢) قروي: وادٍ في خولان بمشارق صنعاء. من محلاته: بَشار، بَهْران، الجعراء. وهي بفتح الواو.

[تغيير الولاة من صغار السن]

وفي: أواخر جمادى الآخرة، جمع البدر محمد بن الإمام جماعة من عقلاء أصحابه، واستشار أهل الرأي منهم في أمر من وفد عليه من العساكر والفرسان المغاضبين للدولة، وشكى قلة ذات اليد، وقد كان أولا نفَّذ إلى جهات آنِس. وقال له علي سعيد الحاج[1]: الرأي أنّا نحفظ قبائلكم هذه الشهرين ونقيمهم من بلاد الإمام.

فأرسل الرسل على بلاد آنِس وغيرها حسبما قدمنا، وكانت قد اجتمعت لدية نحواً من ثمانمائة من التوابع ونحواً من أربعين فارساً من الأبطال، فحفظهم ورأى رأي علي سعيد صواباً، ولما رأى ما يصنع الصبي ولد يحيى حنش بضوران من المنكر أغاضه ذلك، وعلم أنه سيفضي الأمر بهم إلى الهلاك لذا بايَنَ الوسائط، وتحدث بسلب عبد الله بن حسين أحمد متولي قعطبة، وكان صبياً مراهقاً، فخرج عن قعطبة وسار إلى يريم خائفاً يترقب الهلاك، وكان قد تكلم جانب البدر محمد بن الإمام، وتنابذ البدر محمد بن الإمام ومحمد بن علي بن إسماعيل متولي يريم. وكان قد طلبه مالاً فمنع فسار إليه في جيش جرار من ذو محمد وذو حسين والحدا وخولان وغيره، فحصره في شهر رمضان، خلا أنه أضر بأهل بلاد يريم وكاد أن يتسلّمها، وبعث رسله إلى جميع بلاد يريم فتسلّم منهم حقوقاً، وعاث جنده بما حوالي يريم، فأخربوا القُرى وأحرقوا أبوابها وأخشابها وهدموا مساجدها، فلم يظفر عليه بطائل، وكان قد جُرّ المدفع الكبير المشهور، فلم ينفع في رميه شيئاً. ومَسّ الضعفاء من ذلك الحصار وَجَع شديد، وعاد خائباً بخداع مع أصحابه خدعهم محمد بن علي بالمال فخانوه. ونفرَ من الجهات الولات الأولين، فَمِن رَدَاع أحمد بن علي بن إسماعيل وأعاده إليها، ومن آنس حسن بن يحيى حنش وكان صبيا لم يبلغ الحُلم ومن قعطبة عبد الله بن حسين بن أحمد الأموي وكان تلك الأيام صبياً لم يبلغ الحُلم، ومِن مغرب عنس فرحان حسن حنش وكان ذا عَيَايَه وأبقاه لديه، وبعث على أهل المخادر خمسين من عساكره وثلاثة من خيّالته، وطلب من بني الوادعي ومن أهل شعب يافع[2] حقوق البلاد، بعث إلى أحمد بن علي سعد وأرادهُ على الاتحاد غير أنه لم يتم له أمر لعدم المساعدة.

وفي غرة رجب، خرج البدر محمد بن الإمام عن بلدة ذمار متوجهاً بلاد آنس، وكانت قد أضيفت إلى إبراهيم بن يحيى بن إسماعيل بن إبراهيم بن المهدي، واستناب بها عبد الله بن حسين بن حسين، فلم يشعر قبل هذه الأيام البدر محمد بن الإمام إلا

---

(١) **علي سعيد الحاج**: من مشائخ قَيْفه في بلاد رَدَاع.

(٢) **شِعب يافع**: منطقة بالقرب من مدينة جِبله، علىٰ بعد نحو ميلين منها.

بوصول ابن وازع عاقل الجبل[1]، ووصول علي بن محمد غيلان خزان ضوران وجماعة آخرين يسألونه الوصول وأن يحفظ عليهم المحل فسار، واستصحب معه القسم بن إبراهيم بن عبد الله الظفري، وكان قد نزل عاملاً على مغرب عنس فحيّره لديه وسيّره معه، واستصحب القاضي زيد بن محمد العنسي حاكم ذمار والقاضي حسين بن حسن العفاري وغير هؤلاء، وخرج بهم وهم يعلمون أن لا يُقضَى له وَطر، لارتباش العالَم، وتخبّط الآراء وعدم الثقة بمن وصل، فلما وصل رصابه[2] عسكر هنالك، ثم سار عنها بمن مَعهُ وبلغ إلى البستان[3] وهو قاطع بالطلوع إلى الجبل، فلم يشعر أصحابه إلا بالرمي والرد لمن تقدّم، ومضت الرصاص يميناً وشمالاً، وأصيب بين يديه نفر فعطف ومال إلى البيوت التي بأسفل الجبل وأكثر أصحابه بالمدرّج، وكرّت الخيل عائدةً. وعلم أنه قد خُدع، وأنه لا ذِمّة لأحد. وبات في ليله كثير الشجن والنكازه، وكان القاضي علي بن حسين الحَلالى قد نزل إليه فنهبه بعض أصحابه، فكساه وسكّن روعته وعاد من اليوم الآخر لم يقض وطَراً، وتوجه بعد مسيره إبراهيم بن يحيى من صنعاء، فوصل البلاد وقابله مشايخها بالقبول.

[عالمان من نجد]

وفي: أواخر جمادى الآخرة وصلت رسل متولي نجد بلاد كوكبان، واستقروا بحضرة شرف الدين، فأكرمهم وفيهما رجلان من علمائهم أحدهما عبد العزيز بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن عبد الوهاب بن عبد الله بن عبد الوهاب بن موسى بن عبد القادر بن راشد الدرعي، يجتمع مع محمد بن عبد الوهاب داعية نجد في راشد ولا يعلمون ما وراء راشد إلا أنه كتب إليّ ابن المبارك وعبد العزيز أنه يمكن أن يكون عند أهل الدرعية علم بالنسب المتجاوز لهذا القدر، يعرف فقه الحنابل معرفة تامة وله مشارفة على الحديث ورغبة في أهله وإطلاع على بعض أحوال العرب وحفظاً للسيرة النبوية وأيامها، رجلاً طوّالاً خفيف العارضين رضي الوجه لسناً فصيحاً، طلق اللسان شديد السطوة قد خالط ما دعاهم إليه ابن عبد الوهاب عظامه ودمه ودان بما دان به من تكفير أهل القبلة وتعصّب لسعود تعصّباً كلياً، وله مشارفة في التفسير، وميل إلى مصنفات ابن كثير، لذا اعتنى بنسخ تفسيره بصنعاء.

والعالم الآخر عبد الله بن مبارك بن عبد الله بن حَمُد بن راشد بن بُشَيِّر مصغراً مشَدّد الياء التحتانية لا يتجاوز في عد نسبه بُشير، وهو من بيت وزراهُ لملوك الأَحْسَا،

---

(١) هو جبل عِيال سريح في جنوب عَمْران.

(٢) رصابه: قرية في قاع جَهْران، شمال ذمار بمسافة (١٨) كيلومتراً.

(٣) البُستان: من قرى جبل ضوران آنس. عِدادها من مركز بكيل.

وَلي والده الوزارة لثلاثة من كبراء الأحساء لَعْدَن بن عُرَيْعِرِ ولعبد الله بن عبيد الله، دخل مبارك هذا بلاد الهند فجابها، ورحل إلى ممالك الفرنج فتعلم هنالك صنائع عديدة كالصياغة والخياطة والاسكافه والبناء وغيرها وكان شاعراً، ودخل العراق فحظي عند ملوكها، هذا وهو في الشباب ثم عاد إلى الأحساء ـ وهي محل ولادته ـ فوزر لمن ذكرنا، وهم أهل بيت مدنيون رمى بهم الزمان عن المدينة إلى الاحسا.

وكان هذا المترجَم له ممن دخل تحت ولاية سعود عام أخذه للأحساء فنقله عنها لمعرفته، فإنه كما خبرناه له معرفة تامة بالنحو والصرف وهو مالكي المذهب عارفاً بمذهب مالك أتمَّ المعرفة، أديباً ظريفاً لطيفاً خفيفاً فيه رقّة أهل الحضر وسلاستهم مع رصانة وتؤده وحذق باهر، جهير الصوت طويل القامة بطي الحركة كثير الصمت، بعينه نقطة بياض من الجدري، له يد في الأدب طولى. استقر بكوكبان.

ولمّا[١] حالت قبائل بكيل بينهم وبين الدخول إلى حضرة الإمام، كتب ابن المبارك هذا الكتاب المصحوب بهذه الأبيات المعدودة في فصل الخطاب. إن أبهى ما رقمته رؤوس الأقلام، وأبهر ما ولدته نتائج الأفهام. وأسنى ما توشحت به هواطل الطروس. فكان بمنزلة التيجان من الرؤوس. سلام يتنفس من أرجائه نفائس الروائح. ويشدو بعذب ألفاظه كل غادٍ ورائح، يؤُمّ سوح عز الملة والدين. علي بن العباس أمير المؤمنين. وبعد أبان الله لنا ولك معالم التحقيق. وسلك بنا وبك سبيل السعادة والتوفيق. لا يَخفَى على جنابك الشريف. وقدرك العالي المنيف ما أوجب المسير إلى هذه البلاد. وتلقّي هول ما لا يستطاع من المشاق والأنكاد من السعي في إصلاح هذا العالم الضعيف. وانقاذهم من دركات المظالم والتخويف. وما يصحبه من إصلاح ذات البين. ورفع ما على أفئدتهم من الرين. حسبما صدر إلينا من حضرة جنابك الحسيب. ومن بحبوح رحبَك الخصيب. من وصول الجمالي علي بن محمد الكبسي المراجل. وفقنا الله وإياكم طريق الرشاد، وأمدنا بنوافح الألطاف والأسعاد. فحال من دون حائل. أوجب التمثل بقول القائل:

أبىٰ دهرنا اسعادنا في نفوسنا	واسعفنا فيمن نحب ونكرمُ
فقلت له نعماك فينا اتمها	ودع غيرنا ان الأهم المقدمُ

فالمطلوب من جنابك الإسعاف فيما ذكرناه. والتحيل في دخولنا لبذل ما قصدناه. وأنا والله في أأنس مكان. وعند أحسن جيران. قد ضاق منا الذرع والفنا. وأدركنا النصب والعنا. فلم يحل لنا منام. ولم يعذب لنا شراب ولاطعام. مع ما نحن إليه من

---

(١) من هنا مادة مضافةً في حاشية مسودة المؤلف. تنتهي عند ختام قصيدة ابن المبارك إلى الإمام.

الألف إلى الوطن. وتذكُّر من هناك من الشجن. فإن لم يحصل لنا الإسعاف فيما ذكرناه. فليرجع إلينا الخبر. ونرجع مع الأثر الذي قد أثرناه. فإنا لم نقدم لغير ذلك والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وهذا ما أنشد لسان المقال، بعد مشاهدة ما غير قشيبُ البال:

ما بالرزايا وما بالناس من بأس   إذا صفا لك ما تهوَى من الناس
وطاب عيشك في أمنٍ وفي دعةٍ   ودار بينك والخلان بالكاس
ولم يحل دون ما يممت داهية   فيما تجاوزها من شدة الباس
وقد قضى الله في صنعاء بأقضية   يقضي العجائب منها كل مكياس
جاءت بكيل فحطت في جوانبها   واستوقفت عند أرجاها بحرّاسِ
وقطعتِ سَبل الساعين واتخذت   من بغيها كل جبّاءٍ ومكّاسِ
ظلماً وبغياً وعدواناً بلا سبب   رماهم الله بالضراء والبأسَ
وزاد ما بهموا غيظاً بغيظهم   وصولنا لجنابٍ منك ميّاسِ
يتلو الحنيفيّة السمحاء إلى جهةٍ   قد اطلع الدهر فيها كل أنجاسَ
وفد الإمام الذي خاضت صواعقه   وصدر كل شريف كابن عباس
سعد السعود سعود المرتقى فلك الـ   ـعليا إلى فلكٍ من غير أمراسِ
صعب البديهة لا تكبو قوادمه   عند الخطاب ولا يَعنَى بسواسَ
ضخم الدسيعة قد عمت فواضله   شرقاً وغرباً وأغنت كل مفلاس
ما البحر ما القطر إلا من فضائله   قد كُوِّنا وهو بحر غير مقياسِ
كالشمس عم ضياها كل ناحية   من البلاد مقيماً كل خناسَ
ترى العفاة بأرجا داره حِلَقاً   من كل قطرٍ حداهم قاتم اليأس
فيرحلون بمن لا أداء به   من الرغاب في أمن وإيناس
ما بالغضنفر من بأس كنجدته   يوم الهياج أبيّ غير شماس
أعدَى الرفان على أنيابه حرباً   وقادهم بصفا قلب وإحساسِ
ذلت أكاسرة الدنيا لهيبته   وأقبلت نحوه سعياً على الرأسَ
جاء الجمالي عليّ طالباً ثقة   فأسعدوه بأمرٍ غير متعاس
فيه السلام كذا الإنعام للضعفاء   وللرعايا وللمنصور ذي البأسِ
الهاشمس أبا الأملاك من شهدت   كل الأنام بعدلٍ منه في الناسَ
الفاطمي كريم المحتدى نسباً   أطاعه كل قوادٍ وسُوّاسِ
من كان في يمن الدنيا له رهجٌ   ودولة تستذل الصعب بالناسَ
ما ساد أبناء صنعاء مثله ملك   ولا بلى خبرٌ عنه بقرطاس
يعطي الرغائب من قبل السؤال له   ويستفيد ثناء الناس بالناس
علّ الإمام يرى أحوالنا فإذا   ثنى العنان فيُهدي طيب الفاس

فــإننــا فــي شبــام بئــس منــزلــة كنَــى بهــا حلــف إبــلاس وإفــلاس
لا يستطيــع خــروجــاً مــن دويــرتنــا كــأنمــا نحــن فــي مسجــان حبّــاس
لا نستضـــيء بنـــورٍ نستـــريـــح بـــه ولا يـــروحنـــا ريـــحٌ بنسنـــاس
فعـــل المضـــارع لاسيـــن تنفسُّـــهُ ولا تســـوف مـــن سيـــن بـــإبـــلاس
فيـــرســـل الجنـــد تحمينـــا ويمنعنـــا مـــن شــر كـــل عـــدوٍ فـــاجـــر خـــاس
ثـــم الصـــلاة علـــى المختـــار سيـــدنـــا مِـــن مَـــن رعـــد بتـــرحـــابٍ وابجـــاسِ

قال السيد يحيى بن المطهر بن إسماعيل بن يحيى بن الحسين بن القاسم[1] أنه أجاب عن هذه القصيدة حسب أمر المنصور.

أمــا الــرزايــا ففــي أخــلاق نسنــاســي وتــدعــو إلــى الشــر والتهــويــس والبــاس
هــل قــال مثــل مقــال الغمــر فــي شــرفٍ تتمنــى عليــه بخيــر ســادة النــاس
يـــا للـــرجـــال أفيقـــوا أي مكـــرمـــة لمنجـــد فـــي مخبـــر الغـــيّ خنـــاس
وحـــدّث القـــوم عـــن صنعـــاء وســـاكنهـــا وكـــل فـــرد غـــدىَ كـــالعيـــن فـــي الـــراس
ومـــن مقيـــم صـــلاة كـــلّ آونـــةٍ كمـــا خـــالـــط القلـــب منـــه نـــزرٍ وســـواس
ظـــل الـــذي قـــال فـــي أبيـــاتـــه حنقـــاً مـــا بـــالـــرزيـــا ولا بـــالنـــأي فـــي بـــاس
أم قـــالـــه نـــائـــل راش النصيـــر إلـــى نحـــو العـــدو بهيمـــا ذات أقـــواس
وهـــات لـــي يـــا فـــاتـــك النفـــس منقبـــة بجبهـــة الفضـــل يجلـــو كـــل اغـــلاس
فكـــم حـــوت مـــن همـــام بـــاذخٍ شـــرفـــاً وجهبـــذ كـــاشـــم فـــي العـــلا راســـي
وزاهـــد عـــن حســـاب المـــال مـــال فـــلا تـــراه يضـــرب أخمـــاســـاً بـــأســـداس
وحـــافـــظٍ لعلـــوم مـــا لهـــا طـــرفٍ أضحـــى بمـــا نـــال عنهـــا طـــافـــح الكـــاس
كـــم صلّـــو مـــن أصـــول عنـــه قـــد أثـــرت فـــي ظلمـــة الجهـــل تهـــدي كـــل نبـــراس
ومـــن أديـــب تغـــذّى بـــالفصـــاحـــة مِـــن ثـــدي البـــلاغـــة لا مـــن طـــيّ قـــرطـــاس
وعـــدّ عـــن ذكـــر مـــن خـــاضـــت صـــواعقـــه فـــؤاد كـــل شـــريـــف كـــان عبّـــاس
وقـــولـــك الـــزور لا تكبـــو قـــوادحـــه عنـــد الخطـــاب ولا يغنـــي بـــوســـواسِ
فـــإنمـــا الشـــرق منـــذ الشـــر منبعـــثٌ ومطلـــع القـــرن بـــالتنصيـــص للخـــاسِ
فـــأول الغـــرب قـــد أبـــدَى مُسيلمـــة يتلـــو سجـــاحـــاً وكـــم تـــالٍ لمقيـــاسَ
اليـــس إبليـــس شيـــخ القـــوم فـــي أُحُـــدٍ قـــد صـــاح زوراً بهـــدم الشـــامـــخ الـــراسِ
وقليَـــمُ فـــي بكيـــل بئـــس مـــا صنعـــوا لأنّهـــم نعـــم فتـــاك لمبتـــاسِ

(١) له ترجمة في كتاب المؤرخ زبارة: نيل الوطر (٢/ ٤١١). والقصيدة الرّد، جاءت في النسخة «ب» وليس لها أي إشارة في النسخة الأصل، ولعلها أُقحمت إلى الكتاب، لأنها لا تتوافق مع منهج المؤلف في اختياراته الشعرية.

اتنكـــرون علـــى الجُهّـــال فعلهـــم وفيكـــمُ كـــل جبّـــاء ومكّـــاسِ
هـــذي البنـــادر منهـــا الظلـــم متسـعٌ والحـاكـم العـدل مـن يـأتـي بحسّـاسِ
الخ . . .

وكان لمّا أستقرّ[1] بكوكبان يسأل عن أعلامها، فوصِف له كلٍّ منهم، وفقد منهم عبد الله بن عيسى[2] فسأل عنه فقيل له انه بالأهجر[3] فاستغرب ذلك الاسم فكتب إليه:

جَرى ذكـر هجر في خروق المسامع سُحَيْـراً ففـاضـت مقلتـي بـالمـدامـع
وقلـت عسَـى طيـفٌ يَلُـم بـذكـرهـا يقـرّب لـي منهـا إذاً كـل شـاسِـع
إذا مـرَّ ذكـراهـا تـذكـرت جيـرتـي وأخـوان وُدٍّ فـي جميـع المـواضـع
لئـن هجـرتنـي حيـن إن كنـت غـائبـاً خيـالـي إذا يغـزوهُـمُ فـي المضَـاجِـع
ويـدنيهـمُ منـي وإن كنـت نـائيـاً ثنـائـي عليهـم بـابتـذال المطـامـع
كـأنـي بهـم يـومـاً إذا مـا تنـادمُـوا علـى كـأس بنت البن وسط المجامع
حـديثهـمُ فينـي إلـى وقـت بينهـم وإن وقعـوا منـي علـى كـل بـاقـع
فللَّـه مـا أحلـى وأهنـىٔ حـديثهـم وإن وقعـوا منـي علـى كـل بـاقِـع
هـو الفخـر إن فـاخـرت يـومـاً منـازعـاً ففـاخِـر بِـه إن شئـت كـل منـازع
رأيـت النّـدَى والفخـر يشـدو بـذكـره أنـا عَبْـد عَبـدُ الله معطـيّ مـانعـي
فقلـت شـراءً قـال «لا» بـل وراثـةً وحـاشـايّ أن آتيـه مـن كَـفّ بـائـع
فـأنسـانـي الـلائـي أبـاهـي بـذكـرهـم وكـانـوا كـأن لـم يجلسوا فـي الشـوارعَ

ولمّا استقر هنالك رغب في أدبه أهل كوكبان، ودعوه من مكانٍ إلى مكان، وطارحوه مع عبد العزيز غرر المسائل، وأوقفه عبد الله بن عيسى عالم المحل على مؤلف للقاضي العلامة البدر محمد بن علي الشوكاني، انتصف فيه[4] لِمَا صنعه القاضي يحيى بن صالح السحولي رحمه الله في منع المسلمين من التقاط الأذَى لو قَيْد الحمامات، فإن القاضي الصدر يحيى بن صالح ألزم اليهود التقاط الأزبال والأذَى. ومَنعَ المسلمين ذلك ميلاً إلى شرف الإسلام وصيانة عن التلوث بما دونه في الخباثة كالمتلبس بالأذَى والأزلام، فلما وقف عبد الله بن مبارك على ذلك المؤلف قال:

---

(١) الضمير عائد إلى ابن المبارك.

(٢) **هو العلامة الفقيه الأديب الشاعر عبد الله بن عيسى بن محمد بن الحسين شرف الدين**: مات سنة (١٢٢٤هـ)، وله مؤلفات عديدة. انظرها في كتاب الأستاذ عبد السلام الوجيه: أعلام المؤلفين الزيدية، ص (٦٠٧).

(٣) **الأهجر**: قريةٍ وواد أسفل جبل كوكبان.

(٤) **في «أ»**: انتصر فيه.

معترضاً لمباحث في تلك الرسالة. وقد نقلت ما قاله ابن المبارك لحضوره عندي، ولم أنقل كلام القاضي لعدم اطلاعي عليه حال الكَتْب. فقال: وقد رأى القاضي استدل بآية ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾[1]. فاستدل القاضي بأن قوله: ﴿وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ يقتضي انزال الصغار بهم، فقال ابن مبارك ما لفظه: أخرج الآية من حيّز التفسير إلى حيز التعبير فأن الله سبحانه بعث نبيه فأمر بقتلهم أو يُعطوا الجزيه عن يدٍ وهم صاغرون فقوله: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ﴾ أي قاتلوهم واقتلوهم إلا أن يعطوا الجزية، فإذا اطمأنت نفوسهم على أدائها إليكم في وقتها المضروب فكفّوا عنهم ولا تقاتلوهم ولا تقتلوهم ولا تعرضوا لشيء من خفر ذمة الله، ثم قال: وقول القاضي وهم صاغرون. يحتمل وجهين، أحدهما: أن تكون الواو للحال فيكون تقدير الكلام إلا أن يعطو الجزية في حال صغارهم، وذلك بأن توطأ عنقه وتعلوه يد المسلم، وما سِوى هذه الهيئة من الهيئات لا يلتفت إليها لأن الحال قيد في عاملها، وجملة ﴿وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ خال من الضمير أي الواو في يعطوا أو يكون للاستئناف. فينقطع الكلام عند قوله عن يدٍ، لأن قوله عن يدٍ تتضمن معنًى: وهم صاغرون، فمعنى عن يدٍ عن قهرٍ وإذلال ويكون ﴿وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ جُملة خبريّة لفظاً إنشائيّة معنًى أي فاستصغروهم، أفيكون قوله عن يدٍ متقدم على وهُمْ صاغرون. والتقدير حتى يعطوا الجزيةَ وهم صاغرون عَن يدٍ أي عن أمر من الله لرسوله وعباده المؤمنين، واليد الأمر. يقول لا أفعل حتى يأتيني يد منك، ودعوَى أن الجملة الإسمية تقيد الدوام والاستمرار مسلّم لكن إذا تقدمها واو الحال صرفها عن ذلك لأن الحال تكون لازمةً كقوله: خلق الله الزرافة يَدْيَها أطول من رجليها وتارة تكون متحددة؛ كجاء زيد ضاحكاً أو هو يضحك.

فلا يكون الصغار لازماً لهم، بل يحدث وقت أخذ الجزية منهم، ولا يلزمهم فيما عداه فمهما وُجد الأعطا وجد الصغار، وحيثما عدم انعدم. وأيضاً الصغار صفة فتوجد بوجود سببها وتنعدم بانعدامه، أو سبب يَنْوَجِد بانوجاد مُسببه، وينعدم بانعدامه. أو علّة تَنْوَجد بانوجاد معلولها، أو أن الصغار علة والإعطاء حكم والعلة تدور مع الحكم وجوداً وعدماً، اللهم إلا أن يقال أنهم قابلين لذلك، ومظنة له وإن لم يلزمه إياهم على الدوام، هذا إذا مشينا على أن الجملة حالية، وأما إن قلنا انها للاستئناف كما أسلفناه، وأنها خبريّة لفظاً إنشائية معنا سلّمنا ما قيل من أنها تفيد الدوام والاستمرار، لكن تسليماً لا يصل إلى ما أراده المدّعِي من إلزامهم بالتقاط الأزبال لأنهم غير مكلفين بذلك. ولا يُدان الله تعالى به ولا يتعدّى حكم الله فيهم، وحمْل الآية عليه تكلّف وتعسّف وإخراج

---

(١) سورة التوبة، الآية (٢٩).

للنظم الكريم عن معناه الحقيقي بل والمجازي ولا يقدح في ذلك أن خصوص السبب لا ينافي عموم الحكم لأنا نسلم ذلك ونقول: إن الآية نزلت في مَنْ كان في عهده وزمانه وما قصرناها عليهم بل اتبعناها خلفهم إلى يوم القيامة وحكمناها فيهم. ودعوَى أنه يلزم من لفظ الصغار إجراؤه على جميع مشتقاته باطل لأن ضربهم بلا سبب من الصغار وحبسهم بلا سبب كذلك، ونهب أموالهم كذلك، ولا قائل به فكيف يُقال أن إلزامهم بالتقاط الأزبال من الصغار المذكور. ودعوى أنّا إذا لم نلزمهم بذلك احتجنا إلى غيرهم من المسلمين وهو محرمٌ عليهم ولا يجوز إلحاق هذا العار بهم، غير مسلمة أيضاً لأنه غير محرم على المسلمين مع الحاجة، لأنه لا يحرم على المسلم إلا إذا تلطّخ بالنجاسَة من غير ضرورة، وأما مع الحاجة فلا. وقد كان كثير من العلماء والزهاد يُخرِجون كُنَفَهم بأنفسهم، ويجب التحرز ما استطاع.

وأما آية ضرب الذلّة فقال: دعوَى أنه يلزم من ضرب الذلة عليهم إلزامهم بالتقاط الأزبال محض احتيال واسترسال مع أدنى طيفٍ من خيال، وتلميحه بأن هذا من الأسباب التي لم يمنع الشارع منها دعوَى واهية إذ المنع تواتر وتكاثر وتظاهر عن الله وعن رسوله وذلك بأن لا يتعدَى حكم الله فيهم ولا نتجاوز ولا نبتدع ولا نخترع، فليت شعري هل منعه يساوي هذا المنع أو يقاومه فبقي على المدعي الإتيان بدليل يتضمن منطوقاً أو مفهوماً إجبارهم على ذلك، ودعوَى أن إجبارهم على ذلك من أبلغ أنواع الذل والصغار مسلم لكن الأمر في مثل ذلك متوقف على نص الشارع الثالثة، قوله تعالى: ﴿لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞ﴾[1] قال المراد منها خزي كثير أو خزي عظيم، لأن اللفظ لا يتبع حتى يساعده المعنَى، ودلالة المعنى أقوى من دلالة اللفظ. والمراد بالتنكير هنا والتهويل والتعظيم لا التكثير ولا المجموع، ولا خزي أشنع وأعظم مما ألزمه الله رقابهم من حرب الجزية والقتل والسلب انتهى. وقد رَدّ عليه البدر الشوكاني رَدّاً لم يظهر، ولعلها ذهبَت به أيدي الضياع.

وقد أخذ ابن المبارك عن الحسين بن غنام علم الفقه والنحو وقليلاً في الحديث وعلم البيان وشيئاً من المنطق، وعن عبد الوهاب بن غنام في الرسالة لابن أبي زيد في فقه مالك، وفي شرح الألفية لابن هشام في النحو، وعن الحسين بن راجح في تلخيص المفتاح وفي عقود الجمان في المعاني والبيان، وعن عثمان بن خضروه في التصريح لخالد بن أبي بكر الأزهري، ولم ينقل لنا أحد شيئاً من تراجم هؤلاء المشايخ، وأكبرهم شهرةً الحسين بن غنام[2]. وهو الشيخ حسين بن أبي بكر بن عبد الله بن غنام.

---

(١) سورة البقرة، الآية (١١٤).

(٢) **الحسين بن غنام**: هو مفتي الأحساء، ومن تلاميذ محمد بن عبد الوهاب والمتعصبين لدعوته =

قال ابن المبارك: هذا النسب محفوظ عنه، وهو إمام فاضل متضلع من علم الفقه، يأتي بالمسألة الفقهية فيسرد فيها أقوالاً وتعليلات لا يتمكن الإنسان من نقلها. برَعَ في علم اللغة ونبغ في علم النحو، وملك أزمة علم الأصول والحديث، وتصدَّر للإفتاء والتدريس وهو في ثلاث وعشرين سنة بالإحساء، مولده عام اثنتين وخمسين بعد مائة وألف، وله في الإنشاء يدٌ طولى. قلت وله القصيدة الطائية التي نقلها الناس.

وأما عبد الوهاب بن غنام، فهو أخو الشيخ الحسين، ونسبه ظاهر متضلِّع من فقه مالك.

وأما الحسين بن راجح فهو الحسين بن أبي بكر بن محمد بن راجح. رجل متضلّع من علم المعاني مشارك في النحو والفقه.

وأما ابن خَضَروة فهو علي بن خضروة بن علي بن عثمان. قال ابن المبارك: وهذا النسب محفوظ عنه وهو إحسائي لا يُجارَى ولا يُباري في علم الفقه والنحو ليس إلا، وهو في هذا العام قاضٍ بالإحساء.

قلت: وكان مع ابن المبارك وعبد العزيز من رسل سعود رجل يقال له ابن سعدون وابن هُوَيْشِل، فأما ابن سعدون فهو من القُوَيعِيّة وهو محمد بن سعدون بن مانع بن محمد بن غيلان بن محمد بن ميمون. وأما ابن هويشل فهو عبد الله بن محمد بن علي بن هويش. وقد تعرضنا لذكر هؤلاء لئلا يخلو كتابنا هذا من تحقيق أحوال يرغب النبيه في الاطلاع عليها.

ولمّا استقروا بكوكبان حجبهم حسن بن حسن بن عثمان كراهة لهم، وزاده غيظاً أن كاتبوا سيف الإسلام وحاكم الحضرة البدر الشوكاني وأن مما أرسلوه إليهم كتاباً بليغاً، وأعرض ابن عثمان عن تسيير قبائل ذو محمد الحاطة على صنعاء وأغراهم بجماعة النجديين، فتحدثوا بأنهم لو يظفروا بأحدهم أو بجملتهم لما تركوهم على الحياة، فعافت الرسل البقاء، وهمُّوا بالعَود، فبادر سيف الإسلام إلى إرسال جماعة وافرة من أصحابه واستنزلهم من كوكبان، ومنَع عليهم من قبيلة همدان إذ كانوا قد تحشّدوا وأرادوا الفتك بهم فما أمكنتهم الفرصة، على أنهم قد فعلوا ولكنهم خافوا سطوة سيف الإسلام، ودخلوا صنعاء يوم الخميس سادس شعبان فأنزلهم سيف الإسلام ببير العزب، وبعث إلى عبد العزيز بكسوة فلبسها ثم استقدمه، فدخل على الإمام وهو

= السلفية. توفي بالأحساء عام (١٢٢٥هـ). وَرَدَ ذلك التعريف في «معجم المؤلفين» وأورد له أسماء مؤلفاته، ومنها: تاريخ نجد، العقد الثمين في شرح أحاديث أصول الدين، روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعدد غزوات ذوي الإسلام.

بدار الاسعاد في جمع، وكان الإمام قد أمر بإركابه على فرس جواد من خيله، ولما دخلوا على الإمام حيّوه بالتحية المشروعة، وصافحوه السلام مصافَحة، وخرجوا عنه، فأنزلهم بجواره. فنزلتُ عليهم وأخذتُ ما لديهم فرأيتهم ينكرون المشاهد والقباب والدعاء لغير الله تعالى كيا محمد يا علي ويشرّكون المعتقد، ويجزمون بوجوب حضور صلاة الجماعة في كل وقت، وينكرون الزنا والربا والجِبَا، ويوجبون طاعة أميرهم سعود بن عبد العزيز ويرمون من خالفه بالكفر ولا يحاشون أحداً، خلىٰ أن لهم محبة للدنيا عظيمة وتهالك عليها وتنافُس فيها، لهذا خادعهم سيف الإسلام بالمال فأحبّوه ورأوا له قدراً، ورفعوا له ذكراً، وحاموا حوله، وترددوا إليه، وكان منع أولاً من دخول الناس عليهم ومنعهم من الخروج إليهم ثم أطلق لهم العنان، فخرجوا وقصدوا الأعلام إلى منازلهم، فنزلوا بالقاضي العلامة البدر محمد بن علي الشوكاني وبالمحدث الهاشمي عبد الله بن محمد الأمير، ونزلوا عليَّ، وذكروا لي محبتهم لملاقاة حَفَظة السنة، فاجتمع بهم عندي خلق كالعلامة إبراهيم بن عبد القادر، وإبراهيم بن محمد يحيى[1]، وإبراهيم بن عبد الله الحوثي، والحسن بن يحيى الكبسي في أناس آخرين.

وسألني عنهم بعض المتأدبين فترجمتهم له. فرغب في مكاتبتهم، فبعث بقصيدة زوّدها أحمد بن مبشر العسيري اعتذاراً عن عدم وصوله ليستطلع ما هم عليه غير أنه لمّح في قصيدته إلى تهوين أمرهم[2] فبرزت منهم هذه المحذره بعد اجتماعهم على ما حرره المتأدب رفيقنا وقد أَعْرَبت عن سلوكهم طريقة الترويع والزجر والتقريع للمخالف.

تخطّتْ منك قافيةٌ عِشَاءً ... فأحطت في مسالِكها[3] السَّواءَ
وقد زعمت وفاءً من أبيها ... لقد كذبت وما أَلَفت وفاءَ
ولا برق ولا ابتسمت عيون ... ولا دمع لمن أهدَى الثناءَ
ولا حمّ الطريق لساكنيهِ ... فتثنّى عزمٍ مَن عزم اللقاءَ
لقد طلع الهدى من كل وجٍ ... عليكم طلعةً تبري العَمَاءَ

---

(١) العلامة المحقق إبراهيم بن محمد يحيى المهدي. نيل الوطر (١/ ٤٢).

(٢) وفي ديوان شعر السيد العلامة يحيى بن المطهر بن إسماعيل بن يحيى بن الحسين بن القاسم الصنعاني المتوفى سنة (١٢٦٨هـ) أنه الكاتب لهذا الوفد النجدي القصيدة المشار إليها مع تلميذه أحمد بن مُبشر العسيري، وأولها:

ابرق بالحِمَا القبلي اضاءَ ... بمتسع النطاق يرى بهاءَ
ام ابتسمت ليوث بني حنيف ... غداة اشيمة يهدي السناء

(الحاشية ـ النسخة ب)

(٣) وردت في «ب»: فأحطت في ممالكها.

تبـدّا مـن حِمَـا نجـدٍ إليكـم وأشـرق فـي ديـاركـم سنـاءَ
ومـا استبصـرتمـوا منـه بـرشـدٍ ومـا استضـويتمـوا منـه ضيـاءَ
وقـد حـان الـرحيـلُ ومـا ارعـويتـم ومـا استسقيتمـوا منـه رُوَاء
فمـا هـذا التمـادي والتـوانـي ونبـذكـمُ حفـايظنـا وراءَ
وقـد زعـم المخبّـر مـن قـريـبٍ بـأنـا حيـث نطّلـع البَـراءَ
سنـرحـل مـن ديـاركـمُ ولمّـا يمينـاً بـالـذي سَمَـك السمـاءَ
لئـن رُمْـتَ ركـاب الـوفـد عنكـم والفينـا منـازلكـم خـلاءَ
ليعقبنـا عليكـم كـل جـزءٍ يسيـل الـدمـع منكـم والـدمـاءَ
أفيقـوا مـن ضـلالتكـم افيقـوا ولا تـرجـو لعـزتكـم بقـاءَ
تشـافهتـم بنـا ولـذاك عيـبٌ تُشَـافهكُـمُ بمـن حـل البِنَـاءَ
متـى حـرم المـزور لقـا حبيـب مخـافـة كـاشـح يبغـي الـرداءَ
فـذلـك مسكـن لا خيـر فيـه ولا للسـاكنيـن بـه حيـاءَ
وأرض الله واسعـة ففيهـا تجـد بـدلاً وعـن ضيـقٍ فضَـاءَ
وأمنـاً فـي البـلاد وخفـض عيـش وعَـدلاً واسعـاً يكفـي البـلاءَ
وفعـلاً لـلأوامـر واجتنـابـاً وبحثـاً فـي العلـوم لمـن يشـاءَ
ومـن يبغـي المقـام بـأرض قـوم يـرى سـواسهـم بقـراً وشـاءَ
عـذيـري منـك أنـي لسـت أدري أحُمْقـاً مـا أراه أم جَفَـاءَ
تقـاعـدت الـرجـال عـن المعـالـي وأخطـوا جـانبـاً عنهـا وراءَ
أسـائـلٍ مَـن لقيـت ولـم أوافـي بـداركـم ذوي إلا العنـاءَ
وجهـلاً بـأرضٍ سـاكنـوهـا يـوافـون السعـادةَ والهنـاءَ
وإحسـان الصنيـع لكـل سـاع يجـاوزُ مـن ديَـارهـمُ البِنَـاءَ
وكـلا قـد بلـوت فلـم أجـد فـيّ غـرائـز رجـل داركـم دُهـاءَ
وهـا أنـا قـد أشـرت فهـل مصيـخٌ يصـدِّق مـن نصيحتـي البِنَـاءَ

وقال[1] السيد يحيى بن المطهر بن يحيى بن الحسين بن القاسم[2] أنه أجاب على هذه القصيدة أولها:

بـروق مطـامـع أضحـت تـراءَ وسحـب تلهـف سكبـت غثـاءَ
أتـاهـم مِـن عسيـريّ نظـام يحـاكـي الغـص لينـاً وانثنـاءَ

(١) زيادة في النسخة ب. وليس لهذه الفقرة أي إشارة في نسخة المؤلف، ولا شك أنه تم إقحام القصيدة في الكتاب.
(٢) هكذا. والأصح: إسماعيل بن يحيى بن الحسين. نيل الوطر ٢/ ٤١١، أعلام المؤلفين.

فقالـوا في الجـواب عليه قـولاً … تضَحّـك فـي ديـارهـم النسـاءَ
سـاءلـت أخـا صُـداءٍ عـراضِـه … فعـد إلـى شـرا لامـي كسـاءَ
يظنـوا أنهـم أسـدٌ ولكـن … علـى مـن يمـلأ الآذن العـواء
سـؤلٌ يـا هـداة العلـم عمّـن … يـؤدي كـل واجبـه وفـاءَ
ورعـد مـن أقـاويـل لقـومٍ … إلـى حجـر الحجـا القـىَ غثَـاءَ
يضمـن علـى جهـم واللطـف فيه … ليعـذر عـن زيـارتهـم وفـاءَ
تـوعّـد أهـل صنعـاحيـن ينـاءوا … بسيـل الـدمـع منهـم والـدمـاءُ
فعـذراً ثـم عـذراً لـي فهـذا … أوان حصـاد زرعهـم الجفـاءَ

وهي قصيدة طويلة من أبياتها:

فيشهـد أن فـالِقُنـا إلـهٌ … وان لسيـد السعـداء نبـاءَ
يصلـي راعبـاً ويصـوم شهـراً … والحـج بيـت مـن سمـك السمـاءَ
ويـأتي بـالـزكـاة كمـا استقـرت … ويطلـب مـن بفضلـه الـرضـاءَ
ويكفينـا ظهـور الحـائـريـن … أعـن قلـبٍ لـه فتشـت جـاءَ
ويجتنـب القبـائـح امتثـالاً … ويعصـي جـاهـلاً لا اعتـداءَ
أفـرق بيـن مـن هـذي حـلاه … ومـن جحـد الشـرائـع اجتـراءَ
وفـي الشـرع قـد جـاء مـن دليـل … بـأن الحكـم بينهمـا سـواءَ
فتكفيـر المـلا يجـري بشـرطٍ … دليـل القطـع كـان لـه اقتضـاءَ
ابينـوا أيهـا الأعـلام هـذا … عسَـى لمقصّـرٍ يقـع ارعـواءَ
فهـل فـي المصحـف لكـم دليـل … يبيـح دم البـريّـة والسبـاءَ
قصـارى مـا أبـانـوه اشتـداداً … علـى سـدّ الـرزائـع لا سـواءَ
فمثلـك يـا ذرائـع جـرّ هـذا … علـى أهـل البسيطـة افتـراءَ[1]

وقد قدمتُ لك أنهم لمّا تحيّروا عن دخول صنعاء بكوكبان، وأزمعوا على الرجوع، كتب إليهم الإمام أن اسكنوا حتى تنفذ قبائلنا الحائلة بيننا وبينكم إلى تهامة، فجهّز حسين بن أحمد الأموي آخر نهار الإثنين تاسع شعبان، وكان الإمام في هذه الأيام، قد استيقظ ورأى أن لا محيص من استدراك ما فات من بنادره، فوجّه الحسين بن أحمد في جيشٍ ضخم، فسار بهم وتوجه إلى الحدا، فعاث بها وضبط الشيخ علي بن ناجي القوسي وسعد مفتاح بعد أن تخلّص بهما من الحدا أموالاً جمّة، ولمّا سار وأراد الدخول إلى ذمار وبها البدر محمد بن الإمام حصل الخوف والحذر من كل واحدٍ

(١) إلى هنا تنتهي الفقرة المُقحمة في النسخة (ب).

منهما، وجمع البدر جُنداً يمنعه من الغيلة، وكتب الحسين بن أحمد إليه كتاباً يخبره فيه أنه لا غرض له سِوى السلام عليه، فأذن له بعد أن حجبه، وواجهه في عالم مِن أهل السلاح. ولمّا سار وبلغ إلى يريم طلب جماعة حسين بن أحمد بن محمد بن علي بن إسماعيل متوليها ضماناً منه وممن بحضرته من القبائل، وكان لديه سعيد أبو حليقة مرتباً في الأطراف، فعرض محمد بن علي ذلك على سعيد أبـي حليقة فأبىٰ ذلك وقال: والله لا أجبناهم إلى شيء فيه علينا تبعه، ولكن يدخلون على حكمنا، ونبت القول بهذا، فما وجدت المحمدّية بدًّا من الدخول على ضيم هنالك، فَادَا نفسه الشيخ علي بن ناجي القوسي وسعد مفتاح بمالٍ فتسلّمه الحسين بن أحمد، وفك عنهما الغَلّ، ثم سار متوجهاً جهة قعطبه مظهراً لإصلاحها وفي الباطن الانتصاف لولده من آل الفرح[1] فإنهم الذين أعانوا البدر محمد بن الإمام بإخراجه من قَعْطَبه، وكانوا لمّا بلغهم نزول حسين بن أحمد متوقعين سطوته فأهبُّوا له أموالاً واسعة، يستدفعون بها شره غير أنه لما أشرف على البلاد خانه يحيـى بن هادي[2]، وكان آل الفرح قد أرسلوا إليه أن يأتيهم بخبر، فسار إليهم فجعلوا له جُعلاً على رد الحسين بن أحمد، فرضى منهم بذلك وعاد فخدعه وأبان له مشقة منازلتهم، وجعل له عليهم نزراً يسيراً، ورأى الحسين بن أحمد من قومه رغبة عنه إن لم يسعد يحيـى بن هادي. فراح عنهم، وبلغ إلى إبّ وجبلة فاستقر ببلادها، وجاءت منه كتب مفصحة بانحراف أحمد بن علي سعد عامل الجهات اليمنيّة، وأنه لم يواجهه، وانه أعفاه من المواجهة، وأرسل إليه بحوالات الإمام على أهل بلاده، فأهملها فطلب منه الضيافة ـ فتبطّا، ولم يصنع معه من المعروف شيئاً، وإنها لذلك تنافرت طبائع حي بكيل، وساروا فحطوا باب مَيْتَم[3]، وحصلت بينهم وبين بعض عبيد أحمد بن علي سعد حرب وقتل نفر من أصحاب الشيخ أحمد من بعد جنح للصلح والمسالمة، وأرسل إلى حسين بن أحمد بأثنـى عشر ألف قرش، وما كان ذلك من هذا الشيخ إلا خوفاً من أن يقبضه الحسين بن أحمد، فقد كان متشوشاً من آل أميّة.

هذا وقد عاثت يام[4] بقاع تهامة وجرت بينهم، وبين جند الشريف وقعات في الطلب بدم عبد الله بن نُصَيْب المقتول عام أول مع صالح بن يحيـى، وكان حمود مستشرفاً غرّه يأخذهم بها، فبعث عليهم طلائع فيها يحيـى بن علي فارس الذي وصل حضرة الإمام صنعاء، فتبادرت خيل يام على كبكبة كان فيها يحيـى بن علي فارس،

---

(١) آل الفَرِح: بفتح فكسر. من أعيان منطقة عمّار في بلاد النادرة.

(٢) يحيـى بن هادي الشايف. كبير آل الشايف رؤساء ذو حسين من بكيل.

(٣) مَيْتم: وادٍ في شرقي مدينة إبّ، قد امتد عُمران المدينة إليه.

(٤) وردت في «أ»: «بكيل».

فأثخنوهم ضرباً بالسيوف وطعناً بالرماح، ووقعوا على يحيى بن علي فارس، فضربوه حتى برَد وصاح صريخهم، هذا بعبد الله بن نُصَيب، ثم طاست الخيول وتوثب أبطال نجران على جمع حمود، فألفوه، فكانت ملحمة ذهَب بها من جنده تحت السيف نحو المائتين، وغلّوا بالحديد مثل ذلك، وساروا إلى بلاد الضَّحِي فحطوا هنالك. هذا في شهر رمضان.

وفي: شوال جاءت الأخبار بأنهم قصدوه ثانية، فكانت ملحمة كالأولى ذهب بها من جنده جَمّ غفير، وجاءتهم كتب من الإمام على يد الحسين بن أحمد تستقدمهم عليه، وتطلب منهم الوصول إليه والدخول في جماعته، فمالوا إلى المراد وأجابوه بالإسعاد، وكان حسين بن أحمد قد سار عن بلاد اليمن، وتوجه إلى حيس وقاع تهامة، فبلغ بقومه إليها صبح عيد الفطر، فلما فرّ حسين بن أحمد من خارجها، لم يشعر قومه إلا بالرمي عليهم من جهة الورَى والصايح يقول: الله أكبر على المشركة. فعطف به يحيى بن هادي علىٰ حيس وقام الحرب بينهم أكثر ذلك اليوم، فكانت الدائرة على مَن بجيش الموهبة يام، فإنها استفاضت أجناد الإمام على المدينة، وأخذوا منها أموالاً لا تحصيها الأقلام من الذهب والفضة واللؤلؤ وسائر الحلي النفيسة والثياب الفاخرة، وقتلوا من صالحي أهلها وأطفالهم ونساءهم شيئاً كثيراً، وبعث إلى باب الإمام بخمسين رأساً في عشرة من الأسرَى، فوصلت يوم الجمعة بعد العصر حادي عشر شوال،

ثم سار حسين بن أحمد إلى موشج[1]، فلاقىٰ أصحابه جماعات من الموهبة، فكانت ملحمة، ذهب بها تحت السيف خلق، وبعث إلى باب الإمام أربعين أسيراً، فأودعهم الإمام السجن فساء عبد العزيز ذلك فتشفّع فيهم فشُفِع وأطلقوا، وكانوا يغدون ويروحون بالطرقات، واختلفوا إلى عبد العزيز مرات. وارتفع الجند الإمامي عن موشج، وساروا جهة زبيد، وكان لهم إذ ذاك صَولة، ولمّا قاربوا زبيداً جاءتهم كتب يام بأنهم قد ضربوا مخيماً خارج زبيد، وقد ناوشوهم حرباً حاراً، وقطعوا الطريق، فزحف الحسين بن أحمد بجنده وضيّق علي من بالمدينة تضييقاً شديداً، حتى كادوا يتسلّموا، ثم لم يشعر إلا بوصول جماعات من أكابر أهل زبيد، قد خرجوا إليه، وأفصحوا له بالتسلم والإذعان والطاعة، واشترطوا تأمين البلد، وترك الأشراف النازلين عليهم بأن يذهبوا إلى حمود، وسارت الأخبار إلى حمود بذلك فظن أنه هالك، فكتب إلى الحسين بن أحمد، أنك لا تعبأ بما هو أمامك، وقد أرسلت إلى مَن بزبيد أن يخرجوا عنها، وليكن تقدمك إليّ فإني لم أدع بالحديدة أحداً من حرمي وسائر نساء الأشراف، وهذه مفاتيح البلاد سألقيها إليك، وسأكون لديك عَضُداً وأزيدك مَدَداً، فحاد حسين بن أحمد عن الطريق،

---

(١) مَوْشَج: قرية ساحلية في جنوب مدينة الخُوْخَه، فيما بينها وبين مدينة المَخا.

وأبىٰ إلا أن يتسلم هو ومن في البنادر إليه، فبعث حمود بكتب حسين بن أحمد إلى الإمام، فأهملوا رسول حمود أياماً، ولمّا رأى حمود صنيع الدولة عاد بالمال يخادع القبائل في ليلة عزمهم دخول زبيد، وقد فسَّح أهل زبيد للحسين بن أحمد الدور، وفتحوا الحانات والسماسِر[1] لأصحابه، فانخدعوا وجاءتهم الأخبار، بأن الإمام هدَّر بصنعاء جماعاتهم مع يحيى بن عبد الله العنسي، وسنقُص الخبر عليك، فجعلوا تلك معذرةً، وقالوا: نحن نقاتل هاهنا في حفظ بلاد الإمام، وهو يضرب أعناق أخواننا بصنعاء، فراجعهم الحسين بن أحمد، فلم يسمعوا له قولاً، فدعته (يام) إليها وأفصحت له أن ينزل عليها وأنه لا يجرح صدره مما فعلته بكيل، فلم يلتفت إليهم، وانفرجت القضية عن أهل زبيد في ليلة الدخول، فعاد مع ذو حسين داخلاً في خيانتهم وعيبهم، وذلك في شهر الحجة، وبادر مسرعاً بالوصول حضرة الإمام. وقال عبد العزيز أبا الله أن يتم للمشركة أمراً أبرموه، وكتب بالبُشرَى إلى دياره، وهنأ حموداً بالفتح عليه وكفاية الشرّ. ولما قارب الحسين بن أحمد صنعاء، بعث إليه الإمام بكسوة فاخرة، وحمَّلة للدخول فوصل حضرته ولم يسمع منه ما يؤلم، وقد أتينا على قضية الحسين بن أحمد وإن كان في غضونها ما جرَيات عديدة، فالمقصود لنا لم شعث الخبر بمحل والعود على ما وقع في غضون ذلك..

[ثورة عامة أهل صنعاء]

..ففي: يوم الربوع ثارت العامّة بصنعاء، وتجمعت إلى باب الإمام، وضجّت بالشكاية لما نزل بهم من الضرّ والحاجة الماسة، إذ كانت طائفة من القبائل تلك الأيام محاصرة باب صنعاء أربعة أشهر وعشراً عدّة المتوفّى عنها، فامتنع بهم دخول الأرزاق المجلوبة من جميع الآفاق، وزادت الشكاية إلى أنه لا يمكن خروج رجل من المدينة إلا برفيق من البغاة، يجعل له على أمانِهِ جُعلا، وهو على خطر من سفك دمه، وإنما يخرج الرجل لا يدري ما يقع عليه من السلامة وعدمها، وإنها غلت عليهم الأسعار، وبلغ بهذا السبب القَدَح الحِنْطَة[2] ستة قروش حجراً، وأنه لا يحل السكوت، وقد استرعاه الله. تعالى، فلمّا رأى الإمام عليهم من المصيبة ما شكوا أباح لهم قتل من وجدوا من بكيل الداخلة صنعاء، ففاشوا بالأسواق والأزقة والطرقات فلم يجدوا أحداً.

وفي: يوم الخميس عادوا إلى باب داره، يشكون له الضرّ، ويسألونه إزالة بكيل عن الباب. وقال: قائلهم لا معنى للإمام إلا ذلك وإلا كان لفظاً مهملاً، وشكوا ما

---

(١) جمع سمسره. وهي أماكن الإقامة أو ما يشبه الفنادق اليوم.

(٢) القَدَح: بفتحتين. هو أكبر وحدة كيل في اليمن. ويساوي القَدَح الواحد ما يملأ تنكتين من الحبوب.

صنعته المحتكرة للطعام. فبعث إلى حملة الطعام وأحضر الموكلين بكشط السوق، وأنزل كبيرهم إلى باب داره، وضرب على رجله قيداً، ودعىٰ اليهودي المناطة به دار الضرب وضرَب علىٰ رجله قيداً، وقال له: شكىٰ الناس لعبك بالضربة وكثرة النحاس الذي بها، فسمعت عبد العزيز يقول: مـا أفلح والله من أهمل الناس، وفيه شيء من قوة.

وفي: يوم الخميس رابع شهر رمضان سئمت قبائل ذو محمد من البقاء خارج صنعاء، ولاموا أنفسهم على حصار المدينة. وقال قائلهم: إن الله لا يصلح عمل المفسدين، وأزمعوا على السير والتنفيس على الضعفاء، فتنحّوا يوم الجمعة خامس شهر رمضان عن طريق باب اليمن[1] وساروا إلى ذَهْبان[2] وصالحتهم الدولة من بعد ذلك.

[نزول قبائل يام أرض تهامه]

وفيها:[3] وصلت الأخبار بنزول يام إلى قام تهامة وقد قَدّمنا لك في هذا العام ما كان بينهم وبين حمود بن محمد. وكان حمود قد عسكر بجيش جرّار من بكيل وحاشد وبلاد الأهنوم، واستعد عدة عظيمة، ولكنه لم يكن له نصر في ذلك إلا بعود حسين بن أحمد.

وفيها: وصل جماعة من الذين خرجوا مع مغلس[4] وعلى وجوههم آثار الجوع ظاهرة، فدخلوا صنعاء.

[قبائل حاشد تسيطر على جبل حَبَران]

وفيها: خرج الأحمر والجيشي ونزلوا على صافية الإمام بـ(حجّة) وأخذوا حَبَرَان ـ بمهملة فموحدة فألف فنون مفتوحات[5] ـ فلاقوا جماعة القاضي عبد الرحمٰن بن يحيى الأنسي، وناوشوهم الحرب حتى أخرجوهم من تلك المحلات، واستولوا على صافية الإمام وما حولها، فدبَّر القاضي حيلة لعدم المعين حتى أمكنته الفرصة فضيق عليهم الطرق حتى أخرجهم منها ولم يبلغ عنه تحقيق الكيفية، وبَدَى للأحمر حبس يحيى الجيشي، وطالبه بديات قتلى من العصيمات وغرامة لاحِقة له.

---

(١) **باب اليمن**: أحد أبواب مدينة صنعاء القديمة. ويقع في الجهة الجنوبية منها.

(٢) **ذهبان**: من قرى بني الحارث في شمال صنعاء. وقد اتصل بها عمران مدينة صنعاء.

(٣) سنة (١٢٢٢هـ).

(٤) هو إسماعيل بن أحمد الكبسي. راجع: (العمري: مادة عام ـ ص ١٥٥).

(٥) حَبران: حصن في شمال غرب مدينة حجّة.

[عساكر الإمام تعتدى على الناس بعد قطع أرزاقهم]

وفي: يوم الجمعة العشرين من شهر رمضان، خرج توابع الإمام وعساكره عن صنعاء، وغاضبوه لتأخير أرزاقهم، فنهبوا السّفر، وطمعوا من تجار الحضارم، وسلبوا من وجدوا، ونالوا من الحرام ما نالوا، وعادوا فكان الولاء بينهم وبين اخوانهم من أهل الادراك وحفظة أبواب المدينة على أن يغلقوا الأبواب، فلا يدخل إلى صنعاء أحد ولا يخرج منها أحد فجدُّوا في ذلك، وأظهروا معصية الله، وهتكوا حرمة الشهر الحرام، فأصبحوا به مفطرين مجاهرين:

يا عمرو ان هجرت سلماً تعود على   أهليك باللوم لا حييت يا عمرو

وقال عبد العزيز وأصحابه: أيكون المستحّل عندكم معذوراً والله لا أشك في كفركم، قلت له: لا والله لكن الأمر بالمعروف أقسام ثلاثة، فنحن لا يمكننا باليد واللسان، وقد فعلنا **على** خوف، وليس لنا إلا القسم الثالث فوالله إن قلوبنا منكرة غير راضية، وإنا في هذا على وجع. فبادَر بالكَتْب إلى حاكم الحضرة ليقيم عليه الحجة في تصريحه بالتكفير، وأصبح الناس في يوم السبت ممنوعين من دخول صنعاء والخروج منها.

وفي ليلة الأحد سار الحاكم محمد بن علي الشوكاني والوزير الأعظم حسين بن حسن بن عثمان وعبد الله بن الإمام، فنزلوا على سيف الإسلام بدار الذهب، ودار الخوض بينهم على حسن النظر بفتح الأبواب، وإنالة الجند أرزاقهم، ففتحت صبح الأحد.

وفي: يوم الإثنين حادي وعشرين شوال، خرج السيد أحمد بن عبد الله بن المهدي العباس عن صنعاء، وسار إلى الروضة لأمورٍ بينه وبين حسين بن عبد الله الكبسي والقاضي محمد بن يوسف الكبسي وإسماعيل بن أحمد الكبسي.

وفي: هذا اليوم وصل القاضي يحيى بن عبد الله بن حسن البرطي إلى حضرة الإمام، ومرَّ من شرقي الروضة وسار في الليل إلى الوزير حسن بن حسن بن عثمان وهَمّ بقتله، ولكنها عاقته موانع.

وفي: يوم الثلوث، ثاني وعشرين شوال، سار القاضي يحيى بن عبد الله البرطي إلى حضرة الإمام بدار الاسعاد، فلاقَى الوزير حَسن بن حسن عثمان وأراد قَتله، وسلّ سلاحه بساحة الدار، فطعنه فحال الثياب بين الحد وبين جسده، وأصابت حسن بن حسن طعنة في ساعده، فألقى نفسه طريحاً فظن أنه قد بَرد، فقام مملوك حسن عثمان فطعنه القاضي في جبهته، وخرج مسرعاً وبيده السلاح، ثم ضرب عَضُد أحد البوابين،

وخرج موهماً للناس أن الأسد خرج عن بيته، فشرّد الناس خوفاً من الأسد وتوجه في تلك الحالة قِبَل بيت عبد الله مشوير وكيل القضاة، ودخل الوزير على الإمام ودمه يسيل، فأهدر الإمام قبائل ذو حسين، فتلقتهم العامة بالطرقات والأزقّة، فقتلوا منهم ثمانية عشر نفراً،

ثم سار سيف الإسلام عن رأي أبيه، فحَصَر القاضي بذلك البيت عند مدرسة الإمام شرف الدين، واستدعى سيف الإسلام بالمدفع وأراد رميه إن لم يخرج، وما زالت المُحاصرة له من ظُهر إلى آخر نهار ذلك اليوم، فطلب الخروج إلى وجه سيف الإسلام وطلب منه الأمان وأعطى ذلك وأودع السجن وكاد الناس أن يقتلوه لولا حماية سيف الإسلام عليه.

وفي: يوم الربوع وهو اليوم الثاني، أمَّن الإمام ذو حسين، وكانوا قد اختلفوا بالكنف والغارات.

[حركة آل الكبسي في الروضه]

وفي: يوم الخميس دعَى الإمام عند طلوع الفجر يحيى بن عبد الله العنسي وولده صالح، وعمه يحيى بن حسن العنسي، وأمر بضرب أعناقهم باب قبّة البكيرية، ونجم في تلك الحال أمر أحمد بن عبد الله بن المهدي ومن والاه من الكباسية[1] فرتبوا الروضة وبينها وبين صنعاء نحو ثلاثة فراسخ، وعمدوا إلى دور الإمام ففتحوها، وأخذوا أكثر ما بدار راجح من الآلات والفراش والنحاس وسائر المتاع، وأخذوا من دار البشائر ما أخذوا، ومَاجَت الأمور بالروضة، وأكثروا من حفظها، ورتبوا أطرافها، وبعثوا بالكتب والرسل أولاً إلى القاضي عبد الله بن حسن البرطي يثيرون كامنه بما صنع الإمام بأولاده من ضرب أعناقهم ويهوّلون الكلام في الشفاعة، ولم تتحرك الدولة بشيء من ذلك وبعثوا الكتب إلى سائر الأطراف وأرسلوا إلى محمد بن الإمام بذمار يدعونه إلى الإجابة فأهملهم وتحزّبوا أحزاباً، وأعلنوا الكلمة بأنهم آمرون بالمعروف ناهون عن المنكر، وأنهم ما فعلوا ذلك إلا كثرة ما وقع من الخبط والتغاضي في هذا العام والذي قبله، فإنهم أيقنوا بأن لا سماع للدولة ولا محرّك لنبضهم، فتوثّبوا وتستروا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولقد ركبوا من المنكرات شيئاً لا تفعله الدول، ونهبوا من وجدوا ومنعوا الداخل والخارج من الروضة، وتحرك سيف الإسلام لهذا الشأن، فمال أولاً إلى الرفق بأهل الروضة، وأسعدهم إلى مطلوبهم من إجراء الأحكام على وفق إرادة الشارع،

---

(١) راجع كتاب الدكتور حسين العمري: مائة عام من تاريخ اليمن ص (١٥٤).

وألزم القاضي أحمد بن محمد الحرازي[1] بالخروج إلى أهل الروضَة لينظر أمرهم ويقررهم على وجهٍ جلي فوصل وقد تغيّرت طباعهم، فالتفوا عليه ونفروا عمّا جاء به، وأسمعوه منكراً من القول. فسار عنهم آيساً من صلاحهم وقصد وادي ظَهْر، وكان قد أرسل سيف الإسلام وزيره الحسن بن علي عبد الواسع[2] وغيره فلم ينجوا إلا بعد مقاساة وعناء، فلما رأى ذلك عزم على الخروج وقد كان وصل المثنى بن علي صَبِر[3] بطلب من الدولة إلى ضِبْر بيت الخولاني[4] في صحبة سعيد بن مقري، وكان المراد تجهيزهم على الروضة فأخّر حسن بن حسن عثمان عنهم الإقامة فمالوا إلى التخطف باب صنعاء ووضعوا الجِبَا على الداخل والخارج، فصولحوا على عداة فصاروا وعاد سيف الإسلام متفقِداً لأمور الروضة وعازماً على الخروج لحصار أهلها. وبعث من قبائله الحفظة على الطرق، فأقام بجماعة على الجراف وجماعة في الحشيشيه[5]، ثم خرج عن صنعاء وسار إلىٰ الجراف وقد طلب بني الحارث[6]، وأمرهم بالإقامة في أسفل الروضة وبني حُوات[7] وطلب بني البستان[8] وأبقاهم أولاً بـ (حدّه) ثم استقدمهم في جماعة أخرى فأنزلهم في الروضة مع جماعة من ذو محمد وهمدان، وأنزلهم بـ (ذَهْبان) واستدعى بني حِشَيْش وأقامهم بالبكرة والصفرا شرقي الروضة، وكان خروجه عن صنعاء في عشر الأواخر من ذي القعدة وأمر بقطع الغيول النافذة إلى الروضة، وضيّق على الخارج منها، وتلقّف من الطرق الرسل الذاهبة من حضرتهم إلى خولان، وقد كانوا كتبوا إلى سعيد أبي حليقة وإلى الكِبس، فغَارَت جماعات من الكبس، ولامهم أبو حليقة على ذلك، وقال: هذا مما لا يمكن، فأظهروا في الروضة أن أبا حليقة قد أجابهم إلى ذلك، وما علموا أن ذلك مما يوجب الدمار، وقد كان أنزل الكباسية ابن داود من الشَّرَفه في جماعة، ووصَلَتهم في خلال ذلك نحو أربعين سارقاً من خولان، ولمّا ضاق بهم الحال لم يشعر سيف الإسلام إلا بوصول عيال عامر وهم الذين ترتّبوا في باب

---

(١) كان شيخ شيوخ الفقه بصنعاء، ووفاته سنة (١٢٢٧هـ).

(٢) هو القاضي حسن بن علي بن أحمد بن عبد الواسع العلفي: ذكره الشوكاني بأنه «أحد رؤساء الدولة وأعيانها، وهو كثير الخير، كثير العدل، قوي العقل، محمود السيرة طيب السريرة» البدر الطالع (١/ ٣٧٥). وكان بمثابة السكرتير لولي العهد.

(٣) صَبِر: من قادة خَوْلان.

(٤) **الخولاني**: موضع في أعلا جبل حَضُور من بلاد بني مَطَر في غربي صنعاء.

(٥) **الحشيشيه**: هي منطقة في شرق الروضة.

(٦) **بني الحارث**: منطقة وقبيلة شمال صنعاء. تمتد منازلها إلى بلاد أرحب شمالاً.

(٧) **بني حُوات**: من قرى بني الحارث.

(٨) **البستان**: هو ما يُعرف اليوم باسم بني مَطَر.

الحديد، جاءوا ليلاً في أربعة نفر من الأشرار المقيمين للفساد، فأبدوا ما في ضمائرهم، وطلبوا الأمان، وسألوه الرفعة لشأنهم، وأنهم سيفتحوا له محلات بالروضة، فمال معهم إلى طلبتهم وحبس رجلين منهم عنده بالجراف، وأرسل مع الآخرين نقيب العسكر علي بن ناجي الشريف[(١)]، فسار في نحو ثمانين رجُلاً. فنزلوا بهم على نوبة الصُلْبي شرقي الروضة، فدخلوها ليلاً، فأقاموا بها عشرة منهم وأنزلوا عشرة آخرين ببيوت حولها وعشرة بدار السيَّالة وعشرة بالقرب من بير الروضة، وأمر نقيب العسكر علي بن ناجي عشرةً أن يذهبوا إلى عاقل الروضة[(٢)] ابن الدَّحَيْدِح فيضبطوه ويأتو به ففعلوا، وأمر جميع من قد رتبه أن لا يظهروا أنفسهم حتى يضرب مرفعه وتقرح بندقه، فإذا فعلَ ذلك ضربوا بنادقهم وصاحوا من مراتبهم صيحة واحدة، فأسفرت صبيحة تلك الليلة عن هَوان أهل الشر، وسقط في أيدي الكباسية وعلموا أنه أمر قُضِي بليل، وكان ذلك صبيحة الثلوث سابع وعشرين القعدة، ودخلها سيف الإسلام آخر نهار الربوع ثامن وعشرين القعدة، ولقيته جموع من يام وهو مار في طريقه إلى الروضة فسيّرهم معه، وأنزلهم بيت الحسين بن عبد الله الكبسي، والتفت جنوده عليها من جميع الجهات، وفرّ جميع من هو مترتب في الأطراف، وانحازوا إلى بيت محمد بن يوسف. فنازلهم سيف الإسلام، وحصرهم ووصل إليه بني سريح يوم ثاني دخوله، فأرسلهم على دار محمد بن يوسف، فضايقهم يوم الخميس وتسلمهم وتسلّم ما في دورهم يوم الجمعة. وترك جميع ما حازوا هنالك نهباً بين أصحابه[(٣)]، وألبسهم حلق الحديد، وأعتقلهم بدار راجح، باب الروضة، وأرسل بأحمد بن عبد الله إلى قصر صنعاء، وصلّى تلك الجمعة بقبة جدّه محمد بن الحسن[(٤)]. وما زال متتبعاً هنالك بمآثر المثيرين للفتنة، فهدم بيوتهم وتركها عِبْرَة، وسار إلى دار البشائر وتفقّد ما بها، ولمّا قرر أمورها وتسلّم الآداب من أهلها صلّى الجمعة الثانية بالجامع، وراح متوجهاً حضرة والده المنصور، وبين يديه المثيرين للفتنة آخر يوم الجمعة ثامن شهر ذي الحجة الحرام.

[مقتل رَجُل في مسجد داود]

وفي: شهر القعدة وجد رجل مقتول بمنزلته في داود[(٥)]، فأخبر جيرانه أن رجلين من الحدا كانا يأتيانه، وإنهما ناما تلك الليلة عنده فقتلاه، وأخذا ما في منزلته، وفرا عن

---

(١) «الشريف» مضافة بقلم مختلف. ولعله: الشايف.

(٢) في «أ»: عاقل الشرطة.

(٣) وردت في «ب»: نهباً لأصحابه.

(٤) هي القبّة القائمة إلى اليوم في حارة الدّرب، شرقي الروضة. وفيها ضريحه.

(٥) هو مسجد داود في وسط صنعاء القديمة بالقرب من حارة طَلْحه. مساجد صنعاء ص (٥١).

صنعاء، وكان أحد القاتلين أعمى والآخر أخوه فبادر حاكم الحضرة البدر برأي منه إلى عقال جهاته في الحدا، فظفر بهما من أصحاب الشيخ سعد مفتاح(١)، فضبطهما إلى الحضرة، فوصل أخو الأعمى إلى مطرح سيّان(٢) وفر بالليل، والأعمى وصل إلى حاكم الحضرة، واستفهمه وصادق فأودعه السجن ومات به.

[نماذج من مكاتبات إلى عبد العزيز بن أحمد]

وفيها: وردت الكتب على عبد العزيز بن أحمد من عسير والطائف واللحية، يذكرون لها فيها غزوات، وقد أحببت نقل الكتب برمتها لتكمل الفائدة وليطّلع المتشوف لألفاظهم، وأسقطت من الكتب الآخرة ما وافق، وأثبت ما زاد على الكتاب الأول، فمنها كتاب لفظه:

من عمر بن إبراهيم وأخوانه إلى الأخ عبد العزيز وأخوانه، سلّمهم الله من الآفات، واستعملهم بالباقيات الصالحات، وأعاذهم من حوادث البليات. سلام الله عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد فموجب الخط إبلاغكم السلام والسؤال عن حالكم لا أحال الله بكم سوءاً ولا مكروهاً. ومما نخبركم أن الإسلام مقبل والشرك إن شاء الله مدبر، ومن قِبَل الأخبار فسعود سلّمه الله عازِم على الحج وملزم الناس وحاضّهم على الاحتمال، ألفىٰ علينا بذلك عبد الله الشُقري من مكة ويذكر أنه ألفي عليهم عبد الرحمٰن بن حسن وسليمان بن عبد الله فعبد الرحمٰن بمكة يذكر الناس وسليمان في جدة وعبد الرحمٰن بن نامي في المدينة يذكر الناس، ويذكر أنهم ألفوا عليهم طروش من نجد يذكرون الحيا ولله الحمد ونبشرك أن الأمير برغش أخذ بلداً في يم العراق يقال لها عانه وأخذ أموالاً كثيرة على أهل الجزيرة وطاح منهم غُربان على الإسلام وباشة بغداد ذُبح ولله الحمد والذي تسبّب في ذبحه حرمته بنت سليمان باشة وأخوها وصار في بغداد اختلاف بين قبائل عقيل والكرد، ولله الحمد وحمود بن ثامر كُفّت عيونه، وقَلَّط ولده، واختلف هو وعماته ونرجو أن يكون هذا نصراً للدين إن شاء الله. ونبشرك أن مكة والمدينة ثابتين على الإسلام، والشريف ممشاه مع سعود زين، ولله الحمد. ومن قبل علوم تهامة طبوها يام على دخول في رمضان، وجرى بينهم وبين مطرح الشريف ما حصره حمود، ويذكران أن غدا من يام أربعة وعشرين، رحال منهم عباس المكردي سيئتهم ومن حاشد مثل وبعد هذا طرحوا حول بيت الفقيه والعنفي حسين بن أحمد طارح علىٰ حيس ومطارح الشريف في زبيد وبيت الفقيه وفي الحديدة، ومطرح في باجل، والشريف برأسه مطرحه في قناوص ومتحري للمسلمين في كل يوم يطب عليه من

---

(١) **سعد مفتاح**: هو سعد مفتاح البُخيتي من مشائخ الحَدا.

(٢) **سيّان**: من قرى سَنحان في جنوب صنعاء. بجوار الطريقة القديمة من صنعاء إلى الحَدا.

الربع، وسعود أمر على شهران وابن شكبان يتصون حموداً إن شاء الله، وهو متحري لهم وعن أمر بدء المسلمين على مطرح حيس، وأخذوا عليهم ثمان ركائب، ولحقهم فزعة خيل للشايف، وعقروا عليهم سبعة أفراس، وذبحوا منهم ثلاثة رجاجيل، والشايف مُصَوَّب، ونرجو إن شاء الله ينصر دينه ويخزي عدوانه، وتجيكم من الأخبار ما يسر خاطركم، إن شاء الله. والأسعار من نجد زينة، ولله الحمد حب على ستة أصواع، والتمر على عشرين والدهن على صاع، وألقهوه على ريال ونصف، والوَرس بيع على ريالين، وسلّموا على أرواحكم، وأنتم في أمان الله وحفظه والسلام».

وفي كتاب من عبد الله بن زيد الشقري، وفيه: ونخبرَك أن السّيل من نجد إلى تهامة في آخر رمضان وأول الفطر، وعبد الرحمـٰن بن حسن في مكة مطوع وسليمان بن عبد الله وإبراهيم بن حسن في جُدّة، والذي مع عبد الرحمـٰن بن حسن: عبد الله بن صقر ورجاجيله من العشر الأواخر من رمضان، وألفى علينا طارش ونحن في اللحية يذكر أن فهيد بن شكبان الفئ من الدرعيه يذكر أن باطنها أخذ ثلاث ليال غيث، كذلك نخبرك أن ممشا الشريف زين قال لعبد الرحمـٰن بن حسن يوم واجهه: ترا مكة تحت يدك لا ترفع لي رأس ما شفت تغَيَّر فغِيّره والمدينة واكده ولله الحمد، ومصر فيهِ اختلاف وحاج الشام يُذكَر أنه دَزّ[1] لسعود صلح والأمور على ما تحبّ، القهوة في الدرعية بستة ونصف، والمسلمين حافين بالمحمل، والأسعار في مكة والطائف زينه، ونحن ظاهرين من مكة مظايا الفطر الأول ثلاثة عشر يوم وحال التاريخ في اللحية مظايا الفطر الثاني.

وفي كتاب من عبد الله بن سليمان بن نفيسة، فيه: «ونخبرك أن برغش قطع على أهل الجزيرة وهجّوا كل الغُربان[2] غربان الجزيرة إلى جبل سنجار[3]، وغار عليهم عند جبل سنجار، وأخذ كسب ما له عدو أباعر وخيل، وذبح ذبحة عظيمة على أهل عانة[4]، وأخذها وأقبل منه البشير. وهو غادي يطالع الكُرد، وأرجو إن شاء الله ينصر دينه، كذلك ابن عنصيان[5] غزا وذبح له عروا، وغزا غزواً من الدرعية بعد العيد، وفي خبره من الزيادة بالمعنى، وممشا الشريف زين ولله الحمد، قال لعبد الرحمـٰن: ترا عصاك سيفاً افعل ما ترا ولا تخشى أحداً. وفيه. ونخبرك بأنه جاء مكتوب من منصور بن ثامر، ويذكر أن أخاه حمود كُفَّ وولاّ ولده ووقع حلفٌ في الشمال، وان عبد المحسن ابن

---

(١) دَزّ: أي أرسل.

(٢) **الغُربان**: السُفن.

(٣) **سِنجار**: مدينة عراقية بسفح سنجار قرب الحدود السورية ـ (المنجد في الإعلام).

(٤) **عانه**: بلدة مشرفة على الفرات بين الرّقة وهيت. (معجم البلدان).

(٥) **وردت في «ب»**: ابن غفين.

ثامر وده بالإسلام، وباشة بغداد ذبح وفيه ولا قدرنا نفصّل لك الأخبار لأن الكَتْب على عجل والسلام.

وكتاب آخر من ثلاثة نفر، أوله من جمعان بن ناصر وعبد الله بن عيسى وسعد بن سعيد فيه: ونحن عزم علينا الإمام الله يحفظه في آخر شعبان، ولزم علينا بوصول الشريف حمود لأجل الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، وخروجنا من القويعية آخر يوم من شعبان وحيناً علي بيشة، بمشى على السعه الشعة، لأجل ضعف الركاب وأهللنا هلال شوال عند بني شعبة، وألفينا على الشريف جزاه الله خيراً في القناوص بلاد صليل في أيام اشتغال، وجمع الناس علينا وقت الضحى وبعد المغرب، ونقرأ عليهم في التوحيد، وحال تاريخ الخط ليلة الاثنين، لعله سادس شهر القعدة ونحن عازمين إن شاء الله على النشرة آمين بيت الله الحرام، ونرجو أن نحن نتفق بالإمام.

وكتاب من حمود بن محمد فيه: وأعداء الله يام فقد نزلوا على تهامة، ودأبهم الحسرات والله سبحانه وتعالى ناصر الحق في كل أوان، والجُند التي وُجِّهت من صنعاء على بلاد المسلمين أيضاً في الخسران المبين، ولعل قد بلغكم ما حصل بهم من الأخذ والقتل، وحال الرقم وقد المطارح من يمنا مقابلين لهم والوصال من المسلمين يصل ومَنْ وَصَل زلمناه[1] نحوهم، وما النصر إلا من عند الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، وسلموا لنا على من لديكم من أخوانكم والسلام.

[سعود الأول يحج من عائلته]

وفيها: حج سعود وورد حاج الشام بعد أن تسلّم منهم الصرّ[2] ولم يصل منهم كسوة للبيت، فكساه سعود خرقة حمراء ومحل الحزام خرقة من الزَرْبَفت وحج بأهلها في هوادج الزَرْبَفت[3] والجوخ، وأخبر بأنهم رأوا من حلل الهوادج نساءه مكسيات الحلي الذهبية اللؤلؤية والحلل الفاخرة الناعمة الثياب، ولما استقر بمنَى أرسل عبد الوهاب أبي نقطة بأن يطلب من حاج اليمن المعاهدة، فوصلوا باب دار الشريف غالب بمنى وبها سعود، فقعدوا زمناً طويلاً، ثم أمر بهم إلى عبد الوهاب فساروا إليه أفواجاً، فقعد لهم وأخذ عليهم العهد فعاهدوه على الكتاب والسنة، وأبرز الدفتر فأثبت أسماء العُصَب منهم وحذرهم الخلاف ووعدهم الوصول باب صنعاء ببير البانيان، وفتش عن جماعات من يام كان يظن أنهم في أهل اليمن، فلم يجد أحداً.

---

(١) **زلمناه:** أي أرسلناه.

(٢) **الصرّ:** ما يُصرّ من النقد.

(٣) **الزَرْبَفت:** نوع من القُماش الفاخر.

[جوهر غانم المهدي]

وفيها: ليلة السبت رابع شهر الله المحرم، نقيب الدرج جوهر غانم المهدي، وكان من بقية من تابع النقيب الماس في الدين، وكان صالحاً يحب المساكين، وكان قد اتخذ أحمد بن محمد العُلُفى جليساً، وأقيم مقامه أخوه نصر الله المهدي.

[محمد بن أحمد لطف الله جَحّاف]

وفيها: شهر ذي القعدة الحرام، أخي محمد بن أحمد بن لطف الله بن أحمد بن لطف الله بن أحمد جَحّاف[1] في بَرّ عجَم بمحل يقال له مرسا مبارك وهو ذاهب للحج، ولما ورد خبر موته وسمع شيخنا إبراهيم بن عبدّ القادر بمحل الموت، قال مؤرخاً لعام الموت وكتبه إليّ شعرياً، رحمهما الله جميعاً:

أمحمــــد قـــد نلـــت فـــي	دار البقـــا اسنـــي الجـــوائـــز
عـــــدلاً أقـــــول أراك منــــا	فـــي الحيـــاة أجـــل جـــايـــز
وتفـــاؤلاً أرخـــت فــــي	مـــرســـا مبـــارك مـــت فـــايـــز

قلت. كان رحمه الله تعالى قواماً لليل صواماً بالنهار واشتغل بكسب الحلال، وكان يقول: قطمير من الحلال أنفع من قدح مال يؤخذ بالشبهة والاستحلال، وله شعر يسير لم ننقل منه إلاّ ما في ترجمة والدنا رحمه الله، عند ذكرنا لوفاته عام ثلاث وعشرين.

وَدَخَلَتْ سَنَةُ ثَلَاثٍ وَعِشْرِيْنَ وَمِائَتَيْن وَأَلْف

هي سنة الفناء والجدب والدمار وفرار الناس من البوادي إلى المدن لشدة الجوع والحاجة، وسرىَ ذلك في هذا العام حتى أكل الناس العظام والميتة، وذبحوا الفأر والهرّ والكلب، وأمسكت السماء غزاليها، وجاء مطر في وسط شهر صفر فأخرجت الأرض ما أمسكت من العام الماضي وعجب الناس من خروجه بعد الأياس وعدم القدرة على الزرع في هذا العام غير أنه لم ينفع.

[سعود الأول يأمر بأخذ ودائع الحرم]

وفيها: ورد سعود المدينة فخافه أهلها لمخاطبته لهم بالتخشين وترك اللين وتشريكه الأكثر منهم، وسلبه الإيمان بخطابه عنهم، وتوعّد النافذ منهم إلى الشام لا لتجارة ولا لغيرها. وقال من أراد ذلك فلا يعود فإن عاد أرحصنا ماله وأبحنا دمه، فشرد كثير من أهلها، وذهب الشام. ولما دخل الحرم النبوي أمر بفتح الحجرة، وسلب

---

(١) نيل الوطر (٢/ ٢٣١).

الودائع التي عليها والكنوز التي بها وحملها إلى رَحِله فكانت شيئاً عظيماً، وقال شاعره عند هذه من قصيدة:

وقد أودعوا فيها كنوزاً لماجدٍ ... يقيم قناة اللين منهُ التشدُّدُ
فما لابن عثمان وإن كان فاخراً ... بأمواله الحظ الذي لك يسعدُ
ولا لأباليس العراقين قوة ... تظاهيك والعين البصيرة تَشهدُ
وكلهمُ عبد العصا ودليل هـ ... ـذه أنهم إن قمت للشي يقعدوا
وقد أبلسوا لا بورِكَت حركاتهم ... ومالُوا إلى اللذات طبعاً وأخلدوا
سيوليهموا سلب الرعايا مذلة ... ويدليهم الخسران فيما تعوَّدوا
أتعلم منهم من يقمي الصلاة في البلاد وبالمعروف والخير يرشد

وقرّر بعد هذه أمر المدينة، وسار عنها ناحياً إلى الدرعيه، وأخبرني من شاهده وقد نزع الفص الأبيض المسمّى بالكوكب الدرِّي، وراح به من يومه، ورآه من اليوم الآخر على القبر الشريف، فسأل عن رجوعه ولأي سبب رُدّ فقيل له: إن بعض الناس حذره من أخذه، وقال: يا سعود هذا مشوم ما تَعرّض له أحد إلا خُدع في ملكه، فأعاده محله.

[مشائخ الحدا مع البدر ضد الإمام]

وفيها: تخطّف علي بن ناجي بالحدا وقطع الطريق وسلب المسافر وفعل الأفاعيل بعد فراره من حسين بن أحمد العُلفي فإنه كان قد ضبطه وسيّره معه إلى يريم قريناً لسعد مفتاح ثم صالحهما على مالٍ يؤديانه، ولما استقر علي ناجي بَعَث إلى سعد مفتاح، وقال له: إنا قد أدركنا من الضيم والذل ما ترا فهل لك في استخلاص ما أخذوه علينا من الطريق، فقال: لا إلا أن تكون حمولةً[1] لآل أمية فإني في ذلك على رأيك ومذهبك، فسارع إلى الأخذ والانتهاب وقَتَل من وجد وأحرق بالنار، ومنع الطالع من اليمن والنازل إليه حتى سلك الناس مفاوز آخره على وجَل منه، وبلغ ثمن الحنطة في المبادي إلى ثمانية قروش عدديّة، والدّولة مع ذلك لا ترفع لها رأساً وليس العجب من شيء إلا من البدر محمد بن الإمام كيف يترك هذا مع علمه بلحوق الضعف لعباد الله على أنه قد كان يعتذر بمعاذير الله أعلم هي تخلصُه عند الله كذا حدثني سعد مفتاح.

[عَزل يحيى حَنَش]

وفيها: غُيِّر علىٰ يحيى بن محسن حنش الأمر الذي كان أبرمه مع الوزير في ضبط بلاد آنس حسداً، وتوجه إليها إبراهيم بن يحيى بن إسماعيل بن إبراهيم بعد ولايته لها

---

(١) في ب: جُملةً.

المرّة الأولى ولوثه واضطراب أمور الدولة معه وامتناعه من أن يرتفع من البلاد إلا بعد اللتيّا واللّتي.

وفي: هذه الأيام طالبت قبائل خولان يحيى بن محسن حنش بما لهم من المال فاعتذر بأن المطالب عليه متوجهة مع الولاية، فأما وقد عُزل فلا وجه لها فصادروه، وغاضَهُ من جوابات نائب الواسطة، فعلم أن غير ناجي ففرّ إلى ذمار حضرة البدر محمد بن الإمام فأدناه من محله ورفع له قَدْرا.

[رحيل صاحب نجد من صنعاء مغاضباً]

وفيها: يوم الثلوث صفر رحل صاحب نجد عن صنعاء عبد العزيز وجماعته بعد طول المدة مع عدم الفائدة، وكانوا قد غاضبوا مرات، وأرادوا الخروج عن صنعاء، فثبطهم سيف الإسلام وهم يرجون أن يتم لهم مأرباً، وكان عبد العزيز كثيراً ما ينكر ما يفعله العوام من الذبائح لابن علوان، ويكفرهم بالاعتقاد والرضَى. وسمعت سيف الإسلام يقول لعبد العزيز: سأعطيك جماعة وافرة من عساكري، وجعل لك كتاباً تنفذ بهِ إلى محل ابن علوان فتهدمه، فرغب أولاً غير أنه ما زال يسأل حتى علم أن لا طاقة له بذلك لشدة اعتقاد الناس فيه. وكان قد طالب بالكتب إلى سعود بالإفصاح له عن الحال، فشرحوا ذلك لسعود وأنه سيتأثّر عن المباشرة بالأمور مرة واحدة شر طويل لِمَا عليه قبائل اليمن [الأسفل] على كثرتها من هذه الاعتقادات، وكان سيف الإسلام قد توسع لهم وأنزلهم بداره المرة بعد المرة، ولمّا ذهبوا أنالهم أموالاً وأجابهم إلى ما سألوه، ولمّا انفصلوا عن صنعاء جاء منهم تَهدّد وإرجاف بعد بلوغهم حصن كوكبان. ولما بلغوا إلى سعود شكوا ما لاقَوْه غير أنه حصل الاختلاف بينهم، فرأى مطامحهم الدنياوية قد أفسدت عليه ما أَمّل، وهدَمت من بنيانه ما أسسه وأصَّل فأهمل أمرهم وتركهم في الذلة والضيق، فبلغنا عن حالهم والركة التي لحقتهم ما قضينا منه العجب.

[حافظ بـلاد الحجريـة]

وفي يوم الجمعة خامس وعشرين ربيع الأول، وردت كتب من حافظ اليمن الأسفل أحمد بن علي سعد تخبر بطلوع جماع من الموهبة على محفوظه من البلاد، وأنه واجههم عبد الوهاب أحد خدمه، فأوقع بهم وتقطع لهم بالطرقات من بلاد الحجرية حتى استولى على أكثر سلاحهم ومتاعهم الذي أجلبوا به.

[البدر يتعقب ذو محمد إلى دار سَلْم]

وفي يوم الأحد سابع وعشرين ربيع الأول، مرت طائفة من ذو محمد من باب صنعاء، وليس معهم من الخيل والإبل إلا ناقة واحدة وفرس، وكان سيف الإسلام في جماعة من الخيل والعسكر، وتبعه فخر المعالي عبد الله بن المنصور، وبلغوا دار

سَلْم[١] فوجدوهم قد جدوا في السير فبت السير فظفر بثلاثة أسرى وقتل رجلين منهم وعاد آخر اليوم.

[الشريف حمود يكاتب آل شرف الدين]

وفي: ذلك اليوم بعث شرف الدين بن أحمد متولى الديار الكوكبانية[٢] بكتب جاءته من حمود بن محمد يذكر أنه وصل بها رجلان من قومه يدعوه وقومه إلى التوهيب، واشترط عليه عود الرسولين من يومهما فحيّرهما حتى ينظر ما يعود عليه من الإمام، وأصحب كتب الشريف كتاباً منه يذكر للإمام أني سأكفيك أمر حمود إن أرسلتني على الأطراف، وأعنتني على أهل الخلاف أو أن يرسل أميراً من صنعاء يحسم هذا الداء، وسأرسل أحد إخوتي أو لا يكون بشيء من ذلك ولعل الله يجعل فرجاً ومخرجاً. فأرعد الإمام بجوابه وأبرق وحذره الاغترار، وحظه على الشدة على الأشرار، وأن الإرهاب من أولئك سراب.

[ارسال قبائل خولان لاصلاح بلاد حَراز]

وفي: هذا الأسبوع، سيّر سيف الإسلام إلى حراز النقيب سعيد أبو حليقة في نحو ستين من أصحابه قبيلة خولان ليصلح بهم حصن شبام، ويستنزل منه الطغام، فسار أصحابه، وتحير بعدهم أياماً، سار منها إلى سيّان فطلب إليه بعض قبائل نهم وبني حِشَيْش، فوصل إليه عدّة منهم، وطلبوا منه أن يحملهم. وحظّه سيف الإسلام على تسييرهم معه لمّا كانوا طالبين للمعيشة، فرغبوا في النزول على بلاد الحدا لأخذ علي بن ناجي القوسي وأخذ ما انتهبه على المارة، فاستأذن في ذلك الوزير بن عثمان، واشترط عليه الإقامة، فأذن له وضمن بتمام شرطه فتقدم بهم، فانتهبوا بعضاً من قرى الحدا، وتنحوا لم يقضوا وطراً لتخلف الشرط. فترك القوم هنالك وسار عنهم إلى حراز وذلك يوم السبت عاشر ربيع الآخر، وكان سيف الإسلام قد بعث له بنحو ثلاثة آلاف قروشاً فرانصة، فتسلمها وسار وأرجف بمسيره على أهل الحصون. وانتهب وسلب خلئ انها خادعته جماعة من أهل الحصون بالمال على ارتفاعه عنهم، فبذل له على محمد شبام ألفي قرش وصاحب لهاب ألف قرش، فطمع في ذلك العاجل، فأظهر مسيره عن حراز في العشر الأول من جمادى الأولى.

---

(١) دار سَلْم: بفتح السين وسكون اللام. قرية في جنوب شرق مدينة صنعاء، قد امتد عُمران صنعاء إليها.

(٢) **هو الأمير شرف الدين بن أحمد بن محمد بن الحسين بن عبد القادر:** تولّى إمارة كوكبان بعد عمه عيسى بن محمد فشهر بالعدل والرِّفق. وجرَت حروب بينه وبين المتوكل أحمد بن المنصور علي وكذا ابنه المهدي عبد الله بن المتوكل. مات سنة (١٢٤١هـ). نيل الوطر (٢/ ١٠).

[الإمام يفوض ابنه شئون الحدا]

وفي وتعلل بعدم إقامة سيف الإسلام له ولأصحابه فسار وسط جمادى الأولى، وفي ذلك اليوم وصل خبر من ضوران أن ابن وازع وجماعةً من أهل الجبل، نهبوا حمولة كبيرة من قاع جهران نحواً من ثلاثمائة بعير عليها الحبوب، وانضم إلى ابن وازع جماعة من بيت أبو خيرة والزيادي وعيال الأسدي، وأخافوا السبيل، فتحيّرت المارة، وانقطع المسافر، وصار الناس في أمرٍ مريج، وفقدوا بصنعاء الطعام فنزلوا باب الإمام، يشكون الضر والحاجة وهو بدار الجامع. وذلك يوم الإثنين ثاني عشر ربيع الآخر. وارتفعت الأصوات هنالك وكثر اللغط، ودخل كثير منهم الجامع فجأروا بالدعاء والشكوى إلى الله، وأنكروا عدم تنجيز أبو حليقة والسكوت من علي بن ناجي القوسي فوعدهم الإمام وداراهم، وجمع في تلك الحال أرباب دولته كما هي العادة المستمرة، وقيل له أن أبا حليقة في جندٍ واسع، وقد خافه القريب والبعيد فلو بعثته على الحدا لكان خيراً. وقد قدّمت لك أنه سار إلى هنالك، وأن الوزير ابن عثمان لم يَفِ بشرطه، ورأى الاعتذار من التوسط على الحدا، فألقى الحدا على سيف الإسلام مكراً به وخداعاً له، وقدمت القول مع أبـي حليقة بمسير حراز.

[أحمد بن علي سعد يبعث بتقارير عن عمله]

وفيها: وصلت كتب من أحمد بن علي سعد يشرح فيها حال واقعة بينه وبين الموهبة خارج المخا، وأنه انتهب عليهم ثلاثمائة ظهر، وسبب غارته أن يحيـى أخاه سيّر ثمانين حِملاً بناً صافياً إلى البندر، فتقطعه الموهبة.

وجاءت منه كتب أخرى تفصح عن أنه نزل عليهم ثانية إلى حوالي حَيْس، وانتصف منهم. وجاءت كتب أخرى أفصح فيها عن أن أحمد العامري سار من وصاب الأسفل، وبلغ إلى حدود زبيد ووقف بالتُريبه[1]. وكتب أخرى أفصحت عن أن أحمد علي سعد أرسل إلى حيس جماعة، وأمرهم بالنفوذ إلى نخل زبيد فساروا فانتهبوا من حدوده بنخل زَبيد.

[فتح فيروز إلى بلاد الحدا]

وفيها: بعث سيف الإسلام على الحدا فتاه، فتح فيروز في مائة وعشرين من التوابع، وذلك يوم الثلوث سابع وعشرين ربيع آخر، ولما خرج انضم إليه الصوفي صاحب اليمانيتين، فسار الجميع والرجا من سيف الإسلام حاصل في صلاح طريق اليمن الأسفل، فأثّر بعض تأثير.

---

(١) **التُريبة**: تصغير تُربه. قرية كبيرة بجوار مدينة زَبيد من الجهة الجنوبية الشرقية. انظر كتابنا: معجم البلدان والقبائل اليمنية.

[شدة الجوع يؤدي إلى أكل الأطفال]

وفي يوم السبت غرة جمادى الأول، بَعث متولي سَنْحان برجل قَتَل صبيّين وأكلهما من شدة الجوع، فضَرب الإمام عنقه بباب اليمن وأخبر أنه وجد لحم أحد الصبيين مراً والآخر حلواً، وازداد في هذا الشهر الجوع، وانقطع الجلب إلى صنعاء، ومس الناس الضر والحاجة، فأخرجوا المتاع من الحُلِي والملابس والدخَر والمفاخر والنفائس وبيعت بثمنٍ بخسٍ، وتأخر المطر عن الناس، وأدركهم الأياس وزادت الشدة للحوادث التي سنذكرها لك هنا.

[باشه بغداد يغزو بلاد نَجْد]

وفيها: ورد الخبر بأن سعوداً عاد من المدينة المنورة مغيراً على بلاده، وكان قد بغت أطراف عليٰ بلاده باشة من بغداد، فعاث هنالك والتقى هو وجيش سعود، فذهب من الفريقين خلق تحت السيف.

[الرفيدي يغزو المخا]

وفيها: في جمادى الأولى سار عبد الوهاب[1] بنفسه يريد المخا ومعه مرسوم من سعود، فوصل إلى أم الخشب[2] في خمسة عشر ألفا، ولم يبق بينه وبين أبـي عريش سوى مرحلتين، فوصل وقد جمع حمود قبائله، فكان جنده بـ (صَبْيَا) نحواً من أربعة آلاف، وبأبـي عريش قريباً من ذلك، فعاد وأرسل الأمير طامي بن شُعيب باثنتي عشرة ساعية يقصد بندر المخا، فجهّز حمود سواعيه، فالتقى الجمعان بالقرب من جزيرة فرسان، فتصافوا بالسواعي فكانت الدائرة على طامي ففر إلى فرسان. وكتب إلى عبد الوهاب يخبره بما كان فبعث عبد الوهاب إلى سعود، فأجابه لا بد من مناظرة بينكم في مكة هذا العام، وأمره بأن يكف السواعي عن القتال في البحر وقد قصصنا بعض الخبر.

[اعتداء حمود إلى أطراف كوكبان]

وفيها: حرر شرف الدين بن أحمد متولي كوكبان بكتاب آخر يذكر فيه اعتداء حمود على أطراف ديارهم، وطالب الإمام الإعانة على دفع ذلك الهاجم، وإلا فسبيله سبيل الشريف ومن سبقه.

[سكّ عمله باسم الشريف حَمود]

وفيها: برزت ضرَبه لحمود بن محمد مكتوب بأحد جَنْبَتَي الدرهم: ضُرِب في الزهراء، وفي الأخرى: المُلك لله. فأوهَنت وهوّنت.

---

(١) عبد الوهاب بن عامر الرفيدي: المعروف بلقب أبو نُقطه.

(٢) أمُّ الخَشَب: من قرى وادي بَيْش في جازان.

[عزل الظفري من ولاية مغرب عنس]

وفيها: رفع قاسم بن إبراهيم الظفري الهاشمي عن مغرب عنس بمن معه من ذو محمد خلا أنهم قالوا لا طاعة للعزل عنها إلا بتسليم ما هو لنا من الحقوق، فسار عنهم وتركهم وجاء مرسوم بولاية القطر الآنسي. وقبل أن يصلها بعث من يأتيه بأحوال المشائخ فجاءه مخبراً عنهم بأنهم لا يرضون عاملاً عليهم بجماعة من ذو محمد فتحيّر بمغرب عنس ووصل إليه بعض عبيد الواسطة متولياً على مغرب عنس، فأخرته قبائل ذو محمد عن التقديم والتأخير، فضعف أمره وتلاشَى وفرّ عنه أصحابه إذا لم يجدوا مجالاً للمعيشة معه لبسط القبائل على البلاد، فأواه شيخ من مشائخ البلاد، ولم يصلح شيء من شأن البلاد بعد هذا إلى عام خمس وعشرين.

[عزل إبراهيم بن يحيى من بلاد آنس]

وفيها: رفع إبراهيم بن يحيى من بلاد آنِس، فامتنع من الطلوع إلى حضرة الخليفة وأراد البسط، فمنعته الرعية وأفصح عليه بعضهم أن هذا الجاهل الذي غرّك بالنزول من موقف الحسن بن علي حنش لا ينفعك، فخرجَ عن المدينة، متخطفاً بالطرقات، وقَطَع المارة بقاع جهران، ونهب قوافل الطعام، وتحرّك لتحركه جماعة كابن وازع والزيادي وغيرهما، وما زال إبراهيم بن يحيى جائلاً هنالك ناشراً لعلم الفساد إلى العشر الأولى من شعبان، وهجم على المصنعة من بلاد آنس، فرتَّب حصنها بجماعة مَعهُ، ثم خرج منها اليوم الثاني، فقصد جبل الشرق، فوقع منه على حصن رشيده[1] وصحبته مائة نفر من ذو محمد ونهم، وأظهر لهم مرسوماً بخط نائب الوزير الحسن بن علي حنش باسم الإمام بأنه قد أقطع رشيده إبراهيم بن يحيى، فتمسك به وصال بسببه. وتَعقّب هذا الخبط وصول مرشد الدميني في جماعة من ذو محمد فقبض حصن أسلع من بلاد آنس[2]، وتَعقّب ذلك وصول النقيب مهيوب الجمرة[3] الخولاني فوقع على بيت سلم[4] من بلاد آنس، وتَعقّب ذلك وصول المثنى بن علي صَبِر، فوقع على هداد من بلاد أنس، وتعقّب ذلك وصول سعيد بن مقري الخولاني فوقع على مَعْبَر من بلاد آنس. وصارت بلاد آنس بسبب يحيى بن علي حنش وإبراهيم بن يحيى نهبةً لأهل الفساد، وكثر الخبط والعوث واللوث، وصار محمد بن الإمام يطالب أخاه سيف الإسلام أن يوليه على بلاد ضوران ومغرب عنس، ويذكر له هذه الدواهي الحاصلة عليها.

---

(١) **رشيده**: حصن في عدني جبل الشِّرق.

(٢) **حصن أسلع**: من مركز السلف بمديرية ضوران وأعمال آنس.

(٣) **وردت في «أ»**: مهيوب الجمدة.

(٤) لعله بيت سلمان في شرقي جبل الشرق، قريب من قرية حَضْران.

ثم وصل العَلَم قاسم بن إبراهيم الظفري إلى هذه البلاد وهي تشتعل بنار الفتن، فدبّر أمورها وعانا مَن بها، وأخرج من كل محل مَن بسط عليه، وصال بها، وجال وغلبت سياسته قوة المفسدين ونحّىٰ الأشرار إلى جهات وأخرجهم منها بعد اللتيّا والتي. وكان سيف الإسلام قد رأى هذه الأمور وعلم أن نائب حسن بن علي حنش قد أفسد عليه البلاد فسعىٰ في نزع أملاك أبيه المنصور التي باليمن وغيره، والأوقاف عن بيت حنش وأفصح لوالده بأنهم لا يصلحون لها، فجعلَ عليها المنصور ولد أخيه عبد الله بن إسماعيل بن الإمام المهدي ووسّطه على مغرب عنس أيضاً، وشارف على هذه الأمور حسن بن حسن عثمان على دنو أدباره.

[الدولة تستعيد ما قدمته لقاضي برط العنسي]

وفيها: وصلت الكتب من القاضي عبد الله بن حسنٍ البرطي بالخروج عن بلاده طلباً بدماء أهله، وكان قد صُولح بمالٍ، وتعهَّد على أنه يُسلِّم له لا يخرج بعد ذلك، فجعلوا له ستة آلاف قروشاً فرانصه فتسلمها وكيله بصنعاء، فوصل إلى الجوف، وطلب القبائل والناس في الشدة والضرورة، فاستعادت الدولة من وكيله ما قبض وبقي هنالك أياماً يعسكر.

ونجمَ في خلال ذلك ناجم من كوكبان، ووصلت الأخبار بوصول الشريف حيدرٍ ظافر في خمسة وعشرين فارساً وأربعمائة من مختار عسكر حمود، فاستقروا أولاً بـ (شبام) وظهر لحمود[1] أن مكاتبة شرف الدين كانت بمواطأة بين الشريف وبينه، وكان شرف الدين قد كتب كتاباً أولاً صرح فيه بأن أمر سعود لا يُدَافَع وأنه يحسن حسم المادة مَعهُ، فلم يلتفتوا إليه فكتب كتاباً آخر فصدّره بقوله:

تنبّهـي يـا عـذبـات الـرَّنـدِ　　　كـم ذا الكـراهـب النسيـم النجـدي

وكان في هذا البيت إشارة واستهزاء، ثم أعاد كتاباً آخر صدّره بأبيات نصر بن سيار[2] المكتوبة إلى مروان بن محمد الحمار[3].

أرىٰ خلـل الـرمـاد وميـض جمـرٍ　　　فيـوشـك أن يكـون لهـا ضـرامُ
فـإن النـار بـالعيـدان تُـذكَـى　　　وأن الحـرب أولهـا كـلامُ

---

(١) **وردت في «أ»**: وظهر للدولة.

(٢) **نصر بن سيّار**: أمير وشاعر عربي. حاكم خُراسان الأموي، مات سنة (١٣١هـ).

(٣) **مروان بن محمد**: أخر الخلفاء الأمويين في الشام. مات سنة (١٣٢هـ). يُعرف بمروان الحمار لجرأته في الحرب.

الأبيات المعروفة، فتيقظ سيف الإسلام لذلك ورأى الوزير غير مبالٍ بما جرى في تلك المسالك. وانبثق بعد هذا بحر الشر، وتفتحت طرقه، وتناقل الناس أخباراً منها أن القاضي بباب صنعاء مطالب بالدماء في جيشٍ جرار، وأن حموداً غير تارك للنقم والإنكار، وأن الأشراف الذين طلعوا إلى كوكبان قد أشرفوا إلى صنعاء وما إليها من البلدان، وأن الرعايا قد أرتبكت، ورُسُل سعود بخفي حنين قد ذهبت، والبنادر قد أُخِذت، والمدد قد قل، والمقاتل قد كَلّ، وقلوب الناس موجعة، وأحوال الأطراف مفزعة.

وحكى بعض الناس أنه رأى كتباً من شرف الدين بن أحمد إلى القاضي يحضّه على الاتحاد، وصح ذلك بكثرة من طلع من حضرة ذلك الناد، وأنه مِن بعد كَتَب إلى الشريف بالتغاضي والمحاملة لأحوال القاضي، فانعقدت الكلمة بينهم.

وصار الناس في أضيق من حلقة الفأس فما زال سيف الإسلام يسعى لترميم الأحوال ويحاذر جانب الطاعة لوالده ويصبر مع مشارفة الذهاب على طارفه وتالده، فعقد مجمعاً مع الوزير ولوائح التدمير قد ظهرت في التدبير، فأنتج ذلك المجمع رأياً ضعيفاً، فطلبوا لهذا الفادحِ قبائل من نهم بعد علم الوزير بأن القاضي قد أصلح الأمر بينه وبينهم، فرتّب بهم الروضَة ووادي ظَهْر وبير العَزب، وأمر الناس بأن يحملوا أرزاقهم، فأنكر ذلك سيف الإسلام وقال: هذا مما يجر إلى الفساد والانخرام، فأبىٰ الوزير إلا ذلك، ولمّا استقرت (نِهْم) بهذه المحلات مترتبة سار القاضي عن بلاد أَرْحب وكتب في خُفيه إلى جماعة نِهم بأن يفسحوا له أسافل الوادي بعد أن يناوشوه حرباً كاذباً، ففعلوا فدخل في جنده ليلة السبت سادس عشر جمادى الأولى وكان هنالك من توابع صنعاء الشريف ناجي الجوفي خلا أنه في قلّة فلم يستطع الرّد لأولئك، فترك مراتبه لعلمه بضياع الطريق عليه، وعدم المنصر، فتنحّىَ، ودخلت قبائل نهم إلى صنعاء وكتب القاضي إلى الوزير بخداع كبير مضمونه: أني قد وردت إلى هنا، وأنا في الطاعة والمراد إرسال الأرزاق لأصحابي فإن سلمت رجعت فسلمت له الإقامة، فاستوطن وخرج إليه يوم وصوله في شهر جمادى الأولى جماعة من المتوسطين، منهم أحمد بن علي البرطي والنقيب محمد بن سَبْتَان والنقيب أحمد شريان، فوصلوا إليه وهو بأطراف الوادي وقد فاش أصحابه بقاع عُلمان، وقد قُتِل من أصحابه الشجعان كل باسِل، واشتد عليهم من أهل علمان جماعة كانوا بدار العبادي، فقتلوا من أكابر بكيل نحو ثلاثة عشر نفراً، وكان مع القاضي عالم من النساء والصبيان، أخرجهم الجوع عن بلادهم معه، وحصل في النساء قتل أيضاً، وما زال القاضي يناوش أهل علمان حتى أُلجِئوا إلى صلحه والدولة لا تتحرك، وكان قد كتب إلى أهل القرية كتاباً يطلب منهم رجلين من السادة ورجُلاً من

العرب ورجلاً من الأجبار لخَبَر خير، فلما وصل كتابه إذ هم نجوَى، فانعقدت المشورة على خروج اثني عشر رجلاً، فلما وصلوا إليه أبان لهم بخداعه ومكره أنه لا يسعهم الإعراض عنه، وأنهم إن لم يدخلوا تحت كلمته جَرّ ذلك إلى الدّمار وأبان لهم أن في يوم الخميس ستظهر دعوة من كوكبان وستطلع عليهم جموع الشريف حمود من الغرب وقال: فهلّموا إلى البيعة قبل حلول القَتلة والهيعة، فقالوا له: لا سبيلٍ إلى ذلك فأنا تحت ركاب الخليفة ولن ننزع بيعةً نحن عليها، فلما لم يجد فيهم مجالاً أعادهم، ولما اجتمعوا بالقرية قال قائلهم: قد رأينا جماعة أهل الفساد، ونحن من أهل القوة والاستعداد، وأجمع أمرهم على خروج الليل للإنتهاب، وقتل من وجدوه. ففعلوا ذلك، فظفروا بطائل، وكانوا يجتمعون فيقصدون المحل فيسلبون ما فيه من البنادق والسلاح والإبل، فأضر ذلك بأصحاب القاضي، وما زالوا يشكون والقاضي ينكر أنهم هم ويحيل ذلك على أرحب. ولما أَنَس من جانب أهل القرية أماناً عاد لمخادعة الإمام، وأنه على رأيه له لا عليه، وتارة إلى صاحب كوكبان بأنه ناهض بقوته إليه، وتارة إلى الشريف يَعِدهُ ويُمَنِّيه، هذا والشريف حمود يصول ويرعد ويبرق ويتحدث بأن محاطه قد بلغت كوكبان وأنه لاحق بهم للمحطة على صنعاء، وأرسل في هذه الأيام كسوة إلى شرف الدين بن أحمد وحصانا اسمه المجاهد وخمسمائة قرش، واستمال شرف الدين فمال إليه وعوّل عليه فبرزت أوامر فيها تَحكيمهُ لحمود، فكتب إلى شرف الدين إبراهيم بن عبد القادر بن أحمد بن صنعاء كتاباً أطلعني عليه ينعا أمره، وما صار إليه ويذكر له أنك كنت مستقلاً بالدولة فصرت الآن محكّماً لهذا الذي لا يوبه له، وإن طالت بنا الإيام لَترينّ من حوادثها ما يصرعك عن هذا المقام.

[تــردى الأحــــوال]

وفي هذه الأيام وسيف الإسلام ينبه الإمام ويعود على الوزير في ذلك المرام، فلا يرى سديداً ولا ينظر حميداً، واضطربت الأحوال، وماجت الأمور وانفتحت الشرور، وأقبل المحذور، فوصل بنو الشايف، فحطّوا خارج صنعاء، فدار الكلام معهم فتارة يسمعون أن المراد منكم التوجه إلى بلاد لاعَه[1] لتقطعوا الطالع من تهامة وتحوّزوا مَنْ بكوكبان، وتارة تسعون في الصلح بيننا وبين القاضي، وتارة تذهبون بمحطتكم على حصن كوكبان.

واختلفت الآراء وزادت الشدة وكثر القتل بالطرقات، واختل أمر الحدا وانتقض، فقتلوا كل مسافر وقتلوا كل تاجر، وسار جماعة منهم إلى مقهاية العِرَاصي[2]، ووجدوا

---

(١) جبل في جنوب جبل مَسْور المنتاب. وكلاهما شمال غرب كوكبان.

(٢) هي القرية المعروفة اليوم باسم «المقهاية» وعِدادها من سواد الحدا.

بها خمسة عشر نفراً فقتلوهم عن آخرهم وأخذوا ما معهم، وسلبوا قافلة كانت مقبلة عليها أموال جزيلة، وساروا إلى الذراع[1] وقتلوا به الطالع والنازل، وكانت تُعَدّ قتلاهم في كل يوم اثني عشر رجلاً ثلاثة عشر أربعة عشر إلى عشرين، ورأى أهل ضوران ما صنع أهل الحدا، فتشددوا في الفساد وانتهبوا من طرق عديدة.

[شكوى جنود الإمام وفرارهم من صنعاء]

وفيها: خرج جند الإمام مغاضباً إرسالاً كارهين للدولة لقلة المدد وتباعد الأرزاق والجوامك، فمنهم مَن نحَى بلاد كوكبان، وكان خروجهم ليلاً من الخندق العدني، وقالوا كانت الأرزاق تأتينا كل شهر ثم باعدتموها وجعلتُم رزق الشهر لشهرين ثم باعدتموها فجعلتم رزق الشهر مع حقارته لثلاثة أشهر، وكانت الشكاية منهم مع حصول القحط والجدب حتى بلغ القدح الحنطة عشرة قروش فرانصي وكذلك الذرة، وبلغ سعر القدح الشعير ثمانية قروش ثم تعالى السعر حتى بلغ القدح الحنطة اثني عشر قرشاً، وبلغ الرطل السمن قرشاً عددياً وكذلك السليط، وأخرج الناس ما بقي من ذخرهم ونفائسهم فباعوه بالتافه، وحُسِب رزق الجندي في الثلاثة الأشهر فكان له في كفاية أسبوع، وكثر الجوع وأكل الناس الحشائش والحرشات والجِيَف، وتأخر عنهم المطر، وكثرت الفتن وكثر الموت.

[القاضي السحولي مندوباً لإقرار الصلح مع القاضي العنسي]

وحصل مع الدولة شك في أمر القاضي الباغي من متابعته لأهل كوكبان وكثرت المراسلة بينهم من الوادي، فأرسل سيف الإسلام القاضي البدر محمد بن يحيى السحولي أن يكتب إلى القاضي الباغي يستطلع أخباره مع أهل كوكبان، فكاتبه والسفير بينهم النقيب محمد سبتان ـ عاقل الزواملة ـ وأحمد بن علي برطي، فسارا إليه فكان جوابه بالأيْمَان المغلظة أن ليس له رغبة فيهم ولا مَيْلاً إليهم ولا تعويلاً عليهم وأنه يعلم أن العطيّة منهم قليل، والعَنَا بهم طويل وأنه إنما عرف بالدولة القاسمية وأما طلوع جواباته إليهم فلكثرة دعائهم له إلى ناديهم على أنه مُظْهِر في الرعية فيهم ليبدو له من أمرهم ما يرفعه إلى دولته.

[انتقال مندوب حمود من كوكبان]

وفيها: خرج الشريف حيدر بن ظافِر[2] بجماعته من كوكبان إلى خَلَقَه[3] فهزمه

---

(١) المقصود هنا (ذراع الكلب) من قرى زَراجه بالحدا.

(٢) حِيدر بن ظافِر: هو ابن أخي الشريف حمود.

(٣) خلَقة: قرية في شرق مدينة شِبام كوكبان.

أهلها، فقصد سواد شبام فهزموا أهله فقصد بني الحجاجي[1]، فهزموه فعاد بأصحابه منكسر الجناح ثم قصد حصنِ العروس[2]، فلم ينل من أهل طائلاً فسار إلى حصن الظفيري[3]، فلم يجد مجالاً وكان سيف الإسلام قد شحن هذه المحلات بالرتب القوية، وحصل الخوف على ثلا وكانوا قد أضافوها وعمران وكحلان إلى صالح بن يحيى القرشي عقب طلوعه من تهامة، فأرسل مقدمته إلى ثلا.

ووصلت من حمود يوم الخميس اثني عشر مائة قرش إقامةً لأصحابه الذين بكوكبان فتسلمها شرف الدين، وأخرج منها مائتي قرش للقاضي عبد الله يتالفه بها، نزل بها السيد علي القاره[4] ولما عاد قبضته قبائل همدان، وأعطىٰ شرف الدين ذو محمد بيت مضمون المُصَاحبين له مائتي قرش، وعُدَّت هذه من سقطاته كيف يرجو القاضي ويتالفه بهذا النزر اليسير، ولمّا قارب شرف الدين وقت الضحَى من ذلك اليوم، ضُربت مرافعة وخرج بجماعة ذو محمد إلى خَلقَه قاصداً للمناجَزة ومُغِيراً على السيد علي القارة، فلم يظفر بطائل، وقُتِل من أصحابه رجل وخرج ثلاثة نَفر من آل مضمون، وعاد فلما كان يوم الجمعة بعد الصلاة، أخبرنا عنه أنه خرج وناظر جماعته من ذو محمد ومن تبعه فلم يلحقه أحد فعاد مغموماً، وما زال من بحضرته من جند الشريف ينهبون المارة بوادي النعيم لتأخيره إقاماتهم، وكان بعض منهم يقصدون الناس إلى بيوتهم، لأخذ الرخصة في المتعة، فنفرت منهم القلوب، وأظلمت الأحوال، وكلم الأخ يوسف الأمير شرف الدين فيما جاءهُ من مال الشريف، وقال له: لعلك صرفت شيئاً منه في غير أصحاب الشريف، وكان اكتال منه حباً، وصار من بكوكبان في أمر مَرِيج، وأدركت الشريف حيدر بن ظافر هنالك علة الاستسقا وإطلاق البطن، وأدركه الجدري فنفر أصحابه من كوكبان خوفاً من العدوَى، وهَلَكت علىٰ الشريف خمس خيل، فلما كان يوم الربوع رابع شهر جمادى الآخرة مات الشريف حيدر بن ظافر بكوكبان وحضر الصلاة عليه شرف الدين، ودفن هنالك وتغيرت طبائع أصحابه، وشرد منهم القوي وتأخر الضعيف إلى ثلاثة أيام وأجلوا من كوكبان.

---

(١) **الحجاجي**: هو مركز إداري من مديرية الطويلة وأعمال محافظة المحويت، في غربـي كوكبان.

(٢) **العروس**: جبل في بني مطر، يحاذي جبل كوكبان من جهة الجنوب.

(٣) **حصن الظفيري**: هو شرقي وادي الأهجر، يتبع في أعماله بني مطر، يقع جوار حصن ريشان.

(٤) **هو علي بن علي بن محسن**، من آل **شرف الدين**. عُرِف بلقب «القاره» نِسبةً إلى قارة أحمد من قرى مَسْوَر. وكان عالماً في الفقه، أديباً شاعراً. تولّى القضاء في كوكبان، ثم انتقل إلى صنعاء فاتصل بشيخ الإسلام الشوكاني فجعله من حكام الدّيوان بصنعاء. توفي سنة (١٢٥٠هـ). هِجر العلم (٣/ ١٦٥٤).

وكان سيف الإسلام قد أرسل قبل موت الشريف بيومين رجلين من حذاق أصحابه على طريق الكتم ولم يكونا ممن يتصل بجناب شرف الدين، وأمر القاضي البدر محمد بن يحيى السحولي أن يكتب معهما كتاباً إلى شرف الدين يقرر عليه سوء ما صنع من الإرسال لأولئك الأشراف، وفي الباطن من سيف الإسلام الخلاف فإنه استطلع بهما خبر عباس بن إبراهيم[1] وكان بسجن شرف الدين، فتحايَلا في وصول الخبر إليه في مرادهما، واستفصلاه على لسان بعض إخوته وَرَأيَا هل يمكنه الخروج والقعود على دَست إمارتهم والقبض على شرف الدين أم ذلك غير ممكن؟ وضمن له سيف الإسلام بالإعانة، فَحَملا الكتاب أولاً إلى شرف الدين ولا يظن بهما إلا خيراً، فأجاب عن الأطراف التي نبهه القاضي البدر علىٰ إخلاله بها بأن قال بعد كلام: فإنه وصل جوابكم الكريم وخطابكم القويم، ونحن نعلم أن الجالب لذلك محض المودّة وخالص النصيحة وهي واجبة لله تعالى ولرسوله ﷺ وللمسلمين، خلَى أنه إذا عرف السبب بطل العجبٍ، ولا بد من الجواب عن الأطراف التي ذكرتم في الجواب حتى يُعيد صفاته، فأولاً ما ذكرتم من خوض الأراجيف فإنما هي كاسمها وعاقبتها ما نعلم فقد عرفتم صحة الوقائع بالتواتر شعراً.

وليس يصح في الأذهان شيءٌ ... إذا احتاج النهار إلى دَلِيْلُ

قلت وهذا لأن القاضي ذكر له أن أمور حمود أراجيف ليس الإثم، قال شرف الدين: وثانياً أنه يكبر منا خلاف ما ذكرناه من الحث والتحريض على القتال، فقد كان ذلك والخرق رقيع، وممكن سَدّه من بعيد فأنتم لا تنكرون تحذيرنا من أنه سينتهي إلى هذا، وترك المقاتلة لهم قد ورد فيه أثر عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إلا بشروط مع أنه قد قاتلهم لكن مَنْ لنا بمثله، وذكرتم أنه لا مساغ لجلب المفسدة العُظمَى بمجرد

---

(١) **هو العباس بن إبراهيم بن محمد بن حسين عبد القادر.** ترجمه القاضي إسماعيل الأكوع فقال: كلّفه أبوه باعتقال أخيه عبد القادر بن محمد بن حسين، أمير كوكبان ليخلو له الجو فيتولى إمارة كوكبان، فلمّا توفي إبراهيم بن محمد خلفه ابنه العباس على إمارة كوكبان فنافسه أخوه يحيى الذي اغتنم فرصة انفراد أخيه عباس فدخل عليه ومعه مجموعةٌ من أعوانه، فضربوه، ثم اعتقلوه. وكان يحيى يخشى من أخيه عبد الله الذي يميل إلى عباس. وكان في شبام فأرسل إليه عباس بن محمد بن يحيى الذي أعانه علىٰ اعتقال أخيه عباس ليعتقله فالتقيا في عَقبة كوكبان فامتشق عبد الله بن إبراهيم حسامه وهوى به على عبّاس بن محمد ليقتله، فلم ينجح، واستل عباس جنبيته وطعن عبد الله فأرداه قتيلاً. وقد أجمع أعيان كوكبان علىٰ اعتقال يحيى بن إبراهيم في اليوم الثاني لاعتقاله لأخيه العباس وكادت الدنيا تكون دار جزاء. وتولى إمارة كوكبان عمهما عيسى بن محمد بن حسين. توفي العبّاس بن إبراهيم سنة (١٢٣٨هـ). هِجر العلم (٤/ ١٨٩٤).

ما ذكرنا فنحن نقول ان دفع المفسدة عن النفس والمال واجب ولا مفسدة في موادعتنا ومهادنتنا لهم وقبول ما جاؤوا به مما لا يمكنه العقل ولا الشرع، وأما ما ينكره العقل والشرع، فما يحسن ساعةً ترقبه. وذكرتم أن المولى يرى لنا الحق الأكيد إلى غير ذلك مما ذكرتم فأنتم تعلمون أنا باذلون النصيحة والموالاة هذه المدّة المديدة، ونكتب إليهم عند كل متفقه أوامر نخشَى وقوعه ولا يقبلون ما نشير به ولا ما ننصحهم فيه، وصارت تتفق من رعايا المولى من الإقدامات وإيواء كل محدث، وتحزبهم وبغيهم ما قد علمتم، فالمولى لا يلتفت إلى ذلك بل قد يحصل التهيج والإغراء من بعضهم مع المنافسة، ثم ما ينضاف إلى ذلك من التقصير في جانبنا من قطع المقررات والصلات والعوائد والكسَوات حتى أنه يحال شيء ولا يسلَم، وتكرّر في ذلك المواعيد التي لا وفاء بها، وغير ذلك ما يطول شرحه، ولم يقدح ذلك كله في خاطرنا، ولم ننزعج له كما يفعله غيرنا إن حصل بعد هذا حتى جاءنا ما لا نطيق رَدّه ولا احتماله مع ما قد أصاب بلادنا من الشدائد والامتحانات التي قد عرفتم أسبابها، فكتبنا إليكم وإلى المولى بصورة الحال، وحصل الاستئذان في أحد أمورٍ، أما وأرسلتم لنا بمادّه التي يمكن بها الدفع والنفع أو الإذن بالموالاة أو أقل الأحوال تسليم المنكسر من المصروف حتى نعمر قصَبَات ندفع بها ما استطعنا فلم يكن شيء من ذلك فلم نشعر إلا وقد وقيل صدرت بعد نفوذ الولد فلان. فهل بعد هذا شيء؟ فإن رددناه، تصدّينا لمحاربته نحن وصرنا سبابة المتندم، ودريّةً للرماح، فلم نجد بُدّاً من فتح الطريق، مع ما قد رأينا من عدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتحكّم القبائل بحكم الطاغوت، وعدم الصلاة والصيام في كثير من المحلات وأغلب الجهات، وما أشرتم إليه من خروج الصفي أحمد لإصلاح أمر الطرقات العَدنية فإن خرج فلا سبيل له علينا، وما أشرتم إليه من اجتماع تلك الجموع بصنعاء، وأنه قد يكون توجيه ذلك إلينا فإن خرجوا، فالاستعانة بالله تعالى والبلاد محفوظة بأهلها بعون الله تعالى وغيرهم. ولو اجتمع أهل الأرض على ضرّ أحدٍ لا يريد الله تعالى له المضرّة فإنه لم يؤثر شيئاً، ولو اجتمع أهل الأرض على نفع أحدٍ لا يريد الله نفعه فإنهم لا يقدرون على النفع، وما أشرتم إليه من حال الفقيه صالح مع مَن أشرتم فلم يكن منه صدق الموالاة، وظَهَرت عليه أمورٌ عند الشريف توجب نكث العَهْد الذي بينه وبينه، وأمور أخرى مالنا حاجة في ذِكرها مع انه أبقَى عليه وتركه في بيت الفقيه وطلع راغباً إلى الطلوع ولم يأخذ عليه شيئاً مما حمله، بل طلع بحمولة كبيرة قد بلغكم أمرها. ولقد بالغنا في تبقية الخطبة كما هي، فلم نعذر عن ذلك، فتركنا اسمنا مع ذلك، وقلنا: ترك الجميع أَرْضَى للجميع، وقد علم الخاص والعام ما أردنا بمصالحة الشريف من صيانة البلاد والعباد ودفع ما لا يُستطاع ردّه مع أنا قد بلغنا الآن خروج أبي نقطة، وثلاثة من الأمراء معه، وهذا الكتاب وصل من الشريف منصور بن ناصر صاحب

صبيا مخبراً للشريف حمود بذلك في جموع عظيمة. نسأل الله أن يكفي الجميع شرّ مضلاّت الفِتَن ما ظهَر منها وما بَطن، ونقول: أن نِيّتهُ صنعاء والجبال وهذه من آثار مَنْ خرج إلى هنا من هنالك، وذلك بعد أن تصفّحوا حقائق الأحوال فإنا عثرنا على بعض الكُتب من عبد العزيز إلى سعود، وفيه التحريض له على جهاد اليمن، وفيه عجب العجاب فإنه ذهب وهو منحرف، ولعلنا نرسل بصورة ذلك إليكم. وهذا الكتاب يعود إن شاء الله، والمقصود في ذلك كله رضاء الله، وصلاح النية رأس كل أمر وفي الصدر ما لا يسعه المسطور، ومرادنا إرسال من يودعكم ما لدينا مشافهة، والله حسبنا، ونعم الوكيل ونعم الناصر والمعين والسّلام وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله».

وقد نقلناه هنا مُستَوفياً لِيطّلع النبيه على ما حرّر فيه، فقد اشتمل على معاذير وإلزامات وهو بخط عبد الله بن عيسى بن محمد. وأما جواب العباس بن إبراهيم وأولاده وهو المقصود أولاً، وبالذات على لسان أخوته من آل إبراهيم بن محمد أخوة عباس، ففيه أولاً شكوى مَيْل الدولة عنهم إلى شرف الدين لغير سبب واستماعهم لمن أراد قضاء غرضه فيهم، فأوجب ذلك الضرر على الدولة، والثاني أن الدولة تساهلت من أول ابتداء هذا الأمر، وسهّلوا في أطراف البلاد حتى حصل الطمع في الرأس، فطمع فيهم الضعيف حتى صارت الدولة كما قال الشاعر:

طال هذا الرقاد منكم وأجفا ... نُ المواضي مكحولة بالسهادِ
فإلَى كم يكون هذا التواني ... وإلى كم يكون طول التمادي
وأرى الحلم منكم والتغاضي ... غير مجدٍ في ملتي واعتقادي

وإذا كانت الهمّة القاسمية الحسنية باقية، فقد استدللنا عليكم بما قيل فيكم:

بني القسم المنصور أين حَمِيّةٌ ... عُرِفتم بها في كل جيْلٍ ودَيْلَمِ
تركتم بها الأتراكَ منكم أذلةً ... وخضّبتمُوا بيض الصوارم بالدمِ

فما لها الآن إلا تشمير الهمّة، وإظهار القوة وهي لديكم موجودة، وبذل النفوس والأموال، والآن وقت إخراج ما جمع الإنسان، فبعد هذا الوقت لا يرجَى لها نفعاً إلا إعانةً وغنيمةً للأعداء، كما قد صاروا مصرين عليها:

لمن تطلب الدنيا إذا لم ترد بها ... سرور محبٍ أو إساءةُ محرم

والأمر محتاج إلى تدبير ومبادرة على الفور وعدم قبول المضعف للعدوّ والميل إلى كلام المنجمين، فالسيف أصدق أنباءً من الكتب، وقال الشاعر:

لا تخدعنك بالفتور لواحظ الظبيات إن ظبائها لا تفتُرُ

واستطردوا ذكر إصلاح البيَن بين الأخوة، وأوردوا قول الشاعر:

ما في افتراق القول إلا أنه ... يوهيكموا ويقوي الأضدادا
لا تصبحوا كالنار يأكل بعضها ... من بعضها حتى تصير رمادا
لا تطمعوا في أن يكون صلاحكم ... في الاختلاف الموجب الإفسادا

وذكر ترغيباً طويلاً وحثاً جميلاً، وأخذ في الاستدلال لذلك بحديث: المرء كثيرٌ بأخيه وبقول الله تعالى: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾[1]، ﴿وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾﴾[2] وذكر محبة الناس لهم وميلهم إليهم، وختمه بقول الشاعر:

لا يخدعنّك لِيْن منطقها وَلاَ ... قسمٌ يحف بأحرف التأكِيدِ

وقد داخلنا الأخبار وأخرنا لأجل الأنتساف.

[من أخبار الموهبة في وصاب]

وفي يوم الأحد رابع وعشرين جمادى الأولى، وصل أربعة عشر رأساً من وصاب سوق الأحد من محمد، نجاده لوقعةٍ بينه وبين الموهبة هنالك انتصف منهم.

[أخبار الصلح مع القاضي العنسي]

وفي يوم الربوع رابع شهر جمادى الآخرة، تقارب صلح القاضي عبد الله بن حسن، علىٰ أن يسلم له ستة آلاف غرامة خروجه، تِسلم له معجلاً أربعه آلاف وألفين بالغرَاس، على أن يتحوّل من الوادي فلم يفعل.

وفي يوم الجمعة رابع عشر جمادى الآخرة، خرج القاضي البدر محمد بن يحيى السحولي من حضرة الإمام إلى القاضي عبد الله البرطي، ليأخذ عليه العهد في الذهاب إلى البلاد، وأصحبه الإمام اثني عشر ألف قرش وثلاث كسوات وثلاث أفراس مشدودة ودرعين، وأقطعه جهات (الأَمْلوك) بالقرب من (الشِّعِر) فرضي بذلك وأخذ منه القاضي البدر عَهدُ الله أنه موالي للموالي معادي للمعادي وأنه غير غادر ولا ناكث، وضمّوا إليه في العهد جماعته، فحلفوا ومدوا أيديهم على المصحف، وارتفع القاضي البدر من الوادي يوم الجمعة الأخرى والقبائل لم تنهض من الوادي، وسارت قبائل ذو محمد إلى ضِبْر حَدّين)[3]، واستهمّوا على تأمين حمائل الناس، فما زالوا على الجباية لكل مار

(١) سورة القصص، الآية (٣٥).
(٢) سورة طه، الآيتان (٢٩، ٣٠).
(٣) ضِبْر حَدّين: هو الجبل الواقع أعلا دار الرئاسة، في جنوب مدينة صنعاء. وكان المصريون قد أطلقوا عليه اسم جبل النّهدين لأنه يُشبه نهدي المرأة.

وأرادهم سيف الإسلام للغزو على بعض بلاده. وهم علي بن منصر وناجي البحر وحسين بن مرشد وغيرهم، فتشرطوا شروطاً تعسّر فحبسهم سيف الإسلام، ثم أطلقهم بعد يومين، وعسَّروا ذلك بأن اشترطوا إقامة الرجل في كل يوم قرش ونصف وبعض منهم قال قرشين ولم يتم ما أراده.

وفي يوم الجمعة سادس جمادى الآخرة، توجه محمد صوفان الشايف من ضِبْر حَدّين، وسار نحو بلاد كوكبان بأمرٍ من سيف الإسلام مأذوناً له أن يَمُد يده أين شاء من بلاد كوكبان، وبقي إلى يوم السبت تاسع وعشرين جمادى الآخرة، ودخل محمد صوفان وجماعته صنعاء، وكانت محطته بالصروم ولم يقض وطراً وتعلّل في سبب قدومه تأخر الإقامة عنه.

وفي هذا اليوم وقع صلح محمد بن الإمام على يد سيف الإسلام على أن يتولى الحدا، فقد كان ذلك الفساد وقتْل العباد بسبب سكوته عن علي ناجي القوسي حتى نسب الناس إلى البدر محمد أنه كان قد فرض لنفسه جبايةً على الجمل قرشاً وعلى الحمار ربع قرش وعلى الرجل ثمن قرش، وقاسَى الناس لذلك شدائد.

وفي يوم الخميس ثالث عشر جمادى الآخرة، تجمع الناس لما أصابهم من الضر والحاجة، وقصدوا باب الإمام، وجأروا إلى الله. تعالى[1] بالدعاء، وحظّوا الإمام على مناجزة القوسي، فلم يَعِدُ لهم جواب فقصدوا أبواب الرؤساء والعُظَماء ممن لَهُ علاقة بالإمام فصاحوا بأصواتهم فلم يُشكوا.

وفيها: عاد يوسف بن إبراهيم الأمير إلى الشريف حمود.

وفيها: توجه محسن محمد الضلعي في ستين نفراً إلى حراز، مصلحاً ما تركه أبو حليقة فوصل إلى مفحق فتحيّر لعدم مقابلة أهل البلاد، ولمراجعة على محمد شبام للدولة في أنها تكون كتابة البلاد إليه، وأنها عهدته من سابق مع ضمانه لإصلاح المتغير من أحوال البلاد فجنح سيف الإسلام إلى ذلك، وأرسل من ينظر صحة هذا الخبر، ويتفقّد أمور على محمد شبام فلاح لهم منها الصلاح، فجعلوا ذلك لَهُ وسار محسن محمد الضلعي فلم تطل أيامه لعدم الرأي وسوء التدبير.

[النجرانيون يستولون علىٰ دَرْب جازان]

وفيها: أو في التي قبلها كاتب الشيخ سالم بن حسين كبير من كبراء (يام) سعود بن عبد العزيز ومال إليه وعاهده، فسار إليه أربعة من كرباء (يام)، فراجعوه فأبا إلا الطاعة

---

(١) **تعالى**: زيادة في ب.

لسعود، ولم يصغ إلى شيء من أقاويلهم، وكان له بوادي نجران حصن منيع وبه بئر بها ماء عذب، وكان قد ملاه بالشحنة خوفاً من أن يحوز عدو وأرسل جماعة من الموهبة، وكان قد اشترط على سعود البعث على[1] بدر لئلا يكون لنجران عليه سبيل فإن بدراً بعد أخذه تنكسر به الشوكة، فأجابه ثم سيّر الجنود، فوصلت أوائلهم، فضربوا ثلاث خيام، فتكلم عبد الله المكرمي عند ذلك بمقتضى ما عنده من الفلك ومعرفة الطالع فقال: هي ثلاثة أيام ثم هزيمتهم سحراً من ذلك المكان، ولم تغب شمس يوم وصولهم حتى نصبوا على بدر حسين خيمة، فأرسل المكرمي إلى نجران بأن يرسلوا إليه مائتي رجل متسلحة، فوصلت وقامت الحرب على ساق ثلاثة أيام، فلما كان سحر ليلة الرابع بعث رسولاً إلى نجران أن احضروا، فخرجوا إليه إرسالاً، فكانت هزيمة الموهبة، ووقعت (يام) على أجزل المتاع غنيمة إلا القليل، وأسروا من الموهبة خلقاً كثيراً، وقتلوا قتلاً ذريعاً، ولما ولّوا الأدبار دعىٰ القاضي عبد الله المكرمي قبائل نَجْران، وأمرهم المسير على درب سالم بن حسين وعنده سبعون رجلاً من قبائل سعود، فحطّوا عليه ثلاثة أشهر، لا يدعون مصاوَلة من بهِ ليلاً ونهاراً، وفي الشهر الثالث أرسل المكرمي أخاه يوسف ليقوي المطارح ويُعلمه أن الظّفر بأولئك لايح، فكان يوم حادي عشر شوال، وجاء الأمر بتثبيت المطارح وإذكاء العيون على المحارس، وذكر أن مقتضى الطالع خروجهم، وكانت قبائل يام قد حفروا سرداباً تحت الأرض قدر خمسين ذراعاً، فأدرك سالم بن حسين بالقرب من دربه ضرب الفؤوس والمعاول، فأمر بأن يحفروا مكاناً مقابلاً لأولئك أَرادَهُ للفتك بهم فلما أحسوا الضرب ظنوا أنهم تحت حصنه، فحطوا هنالك أربعة أقداح باروتاً وملحا وختموه، وألقوا عليه النار، فانقض كالرعد القاصف، فكان دون الحصن غير أنه اقتلع خمساً من نخيل سالم، وشقشق الصلبة التي حول حصنه، ولم يبق بين الحصن وبين ذلك المحل المنقض سوى ذراع، فخاف أصحاب سعود من أولئك، ورأوا الحرب من ظاهر الأرض وباطنها، فتركوا الحصن وخرجوا عند أن غابت الشمس، ويام مشتغلة عنهم ذلك الوقت فعلموا بخروجهم فتبعوهم فما ألفوا بالحصن أحداً، ولم يلقوا سوى سالم بن حسين وولده فجاؤوا به إلى خيمة يوسف بن علي، فاستجارا به فأجارهما وأسلمهما، واستولى النجرانيون على جميع ما بالدرب، وعادوا عليه بالخراب، فهو إلى عامنا ثلاثة وعشرين لا يرى منه إلا الرسوم، واستصفى القاضي عبد الله نخيلة وزرايعه لنفسه. قال بعض الناس هذا كان في سنة تسع عشرة ولم يكن بهذا العام ولا بالذي قبله.

[سيطرة الوهابيون علىٰ نجران]

وفي هذا العام أغارت الموهبة على نجران فخرجوا في أقوام لا يحصيها إلا الله.

---

(١) في م: إلى.

وكان محطتهم في العِذَار بينهم وبين بدر مقدار ميل، ثم تقدموا على بدر خيلاً ورجلاً، وكانت النجرانية قد تداعت وأنزلت ببدر منها خمس عشرة مائة، فسألوا المكرمي عن قدومهم، فقال الطالع يحكم بأن لا يظهر منكم حربٌ حتى تبلغ رجالهم بحما السور، وقال إذا رأيتموهم قد لاصقوا سور المحل فأخروا عليهم، فلما كان ذلك خرج من بالحصن فكانت الهزيمة إلى بلاد سنحان، فبلغ سعوداً فجهز من قبائله مِنْ شَمْر إلى الأحساء إلى شهران إلى عسير إلى اللمع إلى جميع الحجاز والدواسر، ونفذ عليهم الأمر وألزمهم المسير على رأي عبد الوهاب، فسار بهم فنزلوا حوالي بدر لثلاث بقين من جمادى الآخرة، فداروا علىٰ بدر من جميع جهاتها، قيل إن الجملة مائة ألف راجلاً وراكباً، وكان في هؤلاء المتصدقة الذين تصدقوا بأرواحهم في سبيل الله وإلى الجنة، فكان أول حرب معهم يوم الجمعة من طلوع الشمس إلىٰ وقت صلاة العشاء، ويام ببدر لا تتحرك. وكان شعار الموهبة: قد حمى سوق الجنة يا متصدقينا، وكان إلى ليلة الخامس من رجب وباتت المطارح في دوران، فألزمهم عبد الوهاب صبيحتها أن يباشروا العدو، فقالوا: إنك لا ترضانا أما نظرت قتلانا قد امتلأت بها الأزقة وجافت منها الأودية فقال: أبشروا بالجنة، وعقبى الصبر النصر، وإنكم مصبحون هؤلاء المشركين، فاشتدوا رحمكم الله. فلما أضاء الفجر طلب عبد الله المكرمي أصحابه ومن يلوذ بجنابه، وحرّضهم على الصبر والصدق، فلما طلعت الشمس قامت الحرب بينهم إلى الظهر بعد أن ذهب من الفريقين كثيرون، وكان درب آل هضبان أسفل وادي بدر قريباً من الحمضة[1] عند الدرب الذي بنا به القصر عبد الوهاب فهنالك ألزمهم عبد الوهاب أن ينقلوا الحجارة بالليل لعمارة الدرب، وجعله مقابلاً لدرب آل هضبان فأشاده وبنىٰ لَهُ محارس ومتارس ونَصَب به مدفعين عظيمين ورَمَى بهما إلى الدرب أربع جليلات فعاجل إلى هضبان إلى القاضي عبد الله أن يجعل لهم صارفاً للرصاص، فكانوا بعد يرمون فتعلو على البناء أو تنخفض إلا رصاصتين فإنهما أصابتا جانباً من درب آل هضبان وكان الآمر لعبد الوهاب بينا ذلك الدرب سعود بن عبد العزيز[2] ولمّا طالت المدة ورد عليهم منه أمر أن يرتبوه بخمسمائة منهم، وأن يجعلوا فيه الكفاية التامة من جميع ما تدعو إليه الحاجة، ووصل من سعود علمه البناء فكانوا مائتي عمار، وأمر عبد الوهاب أن يأمر المحاط كلها بنقل الحجارة من الجبال والأودية، فكان الحرب دائماً قائماً.

وفي خلال هذه الأيام خرجت (يام) على مطرح الفهرة[3] فحملوا حملة صادقة،

---

(١) **هضبان والحمضه**: من قرى نَجْران. «المعجم الجغرافي».

(٢) **هو سعود بن عبد العزيز الأول**. المتوفىٰ سنة (١٢٢٩هـ/ ١٨١٤م).

(٣) **الفهره**: من سراة عَبِيده، بمنطقة عسير «المعجم الجغرافي».

فوقعوا على أولئك، وانتهبوا المتاع، وقادوا النعم وكانت الهزيمة، فصاح رجال يام للنساء، فخرجن فأمرن بنقل ما في مطارح النجديين إلى البيوت، ثم كرت جموع الموهبة على أولئك الخارجين ففرت منهم يام، ولجأوا إلى البيوت وقُتل منهم جمع ولكنه بعد ذلك أيس عبد الوهاب من فلاح القوم وأيقن أن لا سبيل إلى أخذهم، فاستعجل العَمَلَه من النجارين والحدادين والحفارين للبور، وأقام في أزلة عظيمة، فأكملوا جميع أعماله ولما استتموا طلب المكرمي قومه، وقال: الطالع يقضي بفترة العدو فمن أراد الغنيمة فهي له في هذه الخمس الليالي، فلما تغشاهم الليل إذا بصالح بن حلسة ـ بحاء مهملة مكسورة فلام ساكنة فمهملة فتاء تأنيث ـ وكان في خمسة وعشرين من بني عمه، فقيل: ماذا؟ فقال: حرس على محلتنا أقدر عددهم المائة، فخرجوا معه ليناوشوا أولئك فتوسط فإذا بهم خمسمائة رجل من أبطال نجد، فصاحت النجرانية صيحة عظيمة، فأنهزم الحرس، وقد قتل منهم أربعة وثلاثين وجهاً، فقالت يام: هذه مصداق ما قال سيدنا، فخرجت طوائف كل لحمة في وجه من وجوه الموهبة، فنحوا المطارح عن محالها وكان القصر قد كمل، وأبقوا به العَمَلَه وقد علموا حصانته، وأمر القاضي عبد الله أن يخرجوا من يوم ثاني بعد طلوع الشمس لحرب من كان من الموهبة بالجهة الشرقية، فكان يوماً عبوساً، فإنها التحمت المطارح وما زالوا إلى الظهر، وكانت هزيمة المحاط التي بالشرق، وفي اليوم الثاني اجتمعت الأمراء إلى عبد الوهاب، وأفصحوا له أنهم قد أدوا الحق الذي عليهم، فتوجه لهم إلى الحمضة، وأرادت يام الخروج، فمنعهم المكرمي وكانت الشدة بيام قد بلغت كل مبلغ مع جدب وتعب، فتراجعت إليهم نفوسهم، ورأوا أن لهم عدواً لا يدع الغارة عليهم، وسيأوي كل موجه بسهام الحرب إليهم، فأقاموا عليه خمسمائة من رجالهم، وجعلوا الحرب بينهم نوبة دائرة، وكان جُمْلَة من بالدرب خمسمائة رجل بخمسمائة بندق من فاخر السلاح، ولديهم من اللامة السيوف والحراب والدروع شيء واسع، ورأى المكرمي أن ياماً قد شغلت عنهم والخمسمائة الحاطّون عليهم قد تفرقوا لمعايشهم، فأمر أخاه أن يأمر الشوش أن يصرخوا: أَلاَ إن عبد الله بن علي يأمركم بالمسير على العدو صُبح غد، وأَمَّر أولاده على لحام يام، فخرج الموهبون فكان جُشم وآل فاطمة على النجديين من سَنْحان ووادعة وعبيده وآل سليمان وكهلان والدواسر، وكانت (مواجد) على جماعة عسير أصحاب عبد الوهاب، وأهل اللمع وبيش وبيشة، فلم تأتِ هاجِرة اليوم إلا وقد غلب آل فاطمة وجشم على من يليهم، وأخرجوهم من الحدود، وكان عبد الوهاب في جموعه مقابلة له (مواجد) وكانت قليلة بالنسبة إلى من بمخيم عبد الوهاب، فمدتهم جشم وآل فاطمة، فرأىَ اجتماعهم على محطته ففروّا مَنْ معه وداخلهم الفشل وقد قيل: أن الرجل الذليل كان يقبض على الخمسة الستة بجميع ما معهم ويسلبهم، هذا وأهل الحصن باقون

بحصنهم قد بهتوا من هول الحرب، وقد فجعُوا وداخلهم الفشل، وكان عند مغيب الشمس. وأمرهم المكرمي بأكرام الأسرَى. وفي اليوم الثاني وهو اليوم العاشر من شعبان، كتب أسماء الظافرين بالأسرَى فباتوا ببدر وهم أكثر من رجالها، وأذكوا العيون بالليل على الأسرَى.

وفي صباحِ الحادي عشر أمر بإخراجهم إلى وادي بدر، وقد نصبت له هنالك خيمة وضرب سَهْم القُرعة بين رجال يام أيهم يسبق في الرصد، فكان سهم مواجد أولها وبعدها جشم وبعدها آل فاطمة، فأرصدوا الرجال المأسورين والبنادق المسترية والخيل، وكم قتل الرجل من الموهبة، ولم ينتظم. وما زالوا يرصدونهم إلى مغيب الشمس، فتأخر آل فاطمة، فكانوا في اليوم الثاني، فلما أكمل ذلك فتحت يام على المَكرَمي، ما لحقهم من الشدة والتعب وسألوه الإذن في السير إلى أهليهم مقدار نصف شهر، ويعودوا للمحطة على القصر، فأذن لهم ولم يبق ببدر سوى أربعين مبندقاً قد مارسوا الحروب، فوصلوا إلى محلهم فزرعوا زرائعهم وقاموا بمحتاجاتهم، وما زالوا مدة شهرين إلى عاشر شوال، وطلبهم القاضي عبد الله فالتفوا عليه، فضربوا خارج بدر بيوت الشعر، فكانت أربعة وخمسين بيتاً، وفي الشهرين التي غابوا فيهما ما زال الأربعون يناوشونهم حرباً على طرقهم. ثم أقبلت طوائف يام مراتب على الحصن، فجعلوا نُوبةً بالحجر شامي الحصن، ونوبة على أكمة غربـي الحصن ونوبة على أكمه شرقية ومن الجهة اليمنية جعلوا عليها نوبة على أكمه، ودارت بينهم المشورة لما طال مكث أهل الدرب بأن يجعلوا دَبَباً في الأرض، ثم فرّقوا له في تلك الحالة اثني عشر فرقاً باروتاً عن أربعة وعشرين قارحاً صنعانياً، فإذا بلغوا في الدبب محاذاة الحصن، ألقوا الباروت، وسلّطوا عليه النار، فيكون آخر العهد بالدرب وأهله. وبعثت يام عبيدها وأهل الكد منهم فشرعوا في الحفر والحرب بينهم لا ينكف حتى أتت عليهم ستة أشهر، وتقارب الدبب، ونادَى من بالحصن: أنا نطلب منكم الذمة، ونسألكم أماننا ودعونا نخرج بما علينا من السلاح، ونذهب ديارنا. فأبىٰ المكرمي إلا أن يخرجوا بستر عوراتهم، وجاءت أخبار بأن سعوداً قد أمد من بالحصن بزيادة، وبعث لهم بالأزواد، فاشتدت يام، وعاجلوا حفر الدبب.

وفي هذه الأيام جاءهم سيل عظيم فمر على الحصن، فدخله، إذ كان على ممر السيول، فاجتحف أكثر الأزواد التي به، وظهر بهم مرض وأصابهم العَكَب والعرج والتشنج في الأعصاب، فنادوا بالخروج على حكم يام، وأن يكون خروجهم إلى وجه القاضي يوسف بن علي المكرمي، فاجتمع بقومه، فقالوا: ذلك ما كنا نبغي وقالوا: تعلم أنا قد جعلنا جميع ما في الحصن طعمة لك. ولما خرجوا أحصوهم، فلم يزيدوا

على المائة، وكانوا حين دخلوا خمسمائة لكنما ذهبت أرواحهم موتاً وقتلاً، فأكرمتهم المكارمة يومين، واختلف يام في بقاء الحُصن وخرابه، وكان الأمر على خرابه، وكتب يوسف بن علي إلى سعود يقول في كتابه: وأمّا الدرب فكما قال تعالى: ﴿قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾[1] ولمّا سيّر أولئك من بدر كَسَى أميرهم يحيى بن ناشع، ومات أكثرهم بالطرق ولم يبق منهم سوى خمسة نفر، وكان الذي وقع عليه القاضي يوسف خمسمائة بندق، وشيء واسع من الباروت والرصاص والفتيل، وأربع مائة سيف وثلاثمائة ورق، وأعبي جوخ وحساوي وعامدي ومفارش وأربعمائة سبيكي وخمسمائة عدة بخمسمائة طيَّار، وبقوا بالحصن عشرين يوماً ثم هدموه فأتعبهم، فسلّطوا عليه الباروت وألقوا عليه الفتيل المَلْصي من خارجه، فسرت النار في الفتيل حتى اتصلت بالباروت فسمع له قَرْحة كالرعد القاصف، فذهب ولم يبق منه سوى شناحب.

[القاضي العنسي يعسكر في أطراف صنعاء]

وفيها:[2] يوم الجمعة ثالث عشر تحوّل القاضي عبد الله[3] عن الوادي[4] بعد أن سلب جميع ثمراته من أعناب وحبوب وغيرها، وسار ناحياً إلى أسفل عَصُر[5] وضرب مخيمه هنالك، وازدادت بقربه من صنعاء الشدة على الناس، والدّولة في تواني من أمره، وما زالت الكتب تدور بين محمد بن الإمام وبين القاضي من حال خروجه من بلاده، وقد كان القاضي يريده لأمور في نفسه ليقضي به غرضاً، فما أسعده وكان يغالطه بالكلام، ويحضه في الكتب على طاعة الإمام.

[بداية اضطراب أمور الدولة]

ورمقت القبائل للضعف الهائل والحال الحائل إلى محمد بن الإمام فكاتبته قبائل ذو محمد، وأرادوه لأمرٍ فاستبقاهم وهو بذمار ووعدهم الخير، وكاتبه كُبراء ذو حسين، وتوجهت إليه أولاً قبائلُ ذو محمد عليهم أحمد بن علي العنسي، فلمّا وصلوا حضرته وجههم إلى مغرب عنس، فدخلوها واستقرّ أمرهُ بها، ونفذ الرسول، وبسط على المطالب، وراسل القاضي عبد الله بن أحمد البرطي وعمه عبد الله بن حسن، وكان قد ختم الأمر بينهم وبين الدولة، وكتب إليه محمد صوفان الشايف يستفهم[6] أمره، فطلب

---

(١) سورة يوسف، الآية (٤١).

(٢) سنة (١٢٢٣هـ).

(٣) عبد الله بن حسن العنسي.

(٤) وادي ظَهْر.

(٥) عَصُور: بفتح فضم، قرية وواد في طرف مدينة صنعاء من جهة الغرب.

(٦) وردت: يستفضح.

منه الوصول، فسار إليه وكان صوفان قد أريد على إصلاح حُفاش وما حاذاها[1] ليخبط رعاياها، فما التفت «إلى الدولة»[2] وسار مسرعاً نحو محمد بن الإمام، فنهب المارة بـ (القُبّتين) وسار عنها وانتهب بـ (خِدَار)[3]، ووصل إلى البدر محمد بن الإمام وهو خارج عن ذمار إلى الحدا، فشاور محمد بن الإمام أصحابه في استقدامه فقالوا: لا بدّ لنا منه، فوصل في محمل عظيم، فجعله مقدماً في الحرب. فسار اليوم الثاني من وصوله، ففتك ببعض القرى ونهب[4] ما فيها، وعاد بالاسلاب والرؤوس. وسيَّر محمد بن الإمام ذو محمد على بلدة نُونَه[5]، فساروا فحاصرها وجاؤوا إليه في اليوم الثاني بخمسة روس من أهلِ نُونَه، ووعدوه قبضها وخرابها فصالحتهم الحدا على أربعمائة قرش ويدَعُون لهم نُونَه فتركوها، وعادوا بالمعاذير،

واضطربت الأمور على البدر، وكتب إليه القبائل كتباً أظهرتها، وأشاعت أنها نزلت من حضرة سيف الإسلام، فطوى أمره لمّا ظن أنه قد خُدع في أمر ذمار، فصالح علي بن ناجي القوسي على أن يضمن له حفظ البلاد عن المتعدي، ووعده علي بن ناجي الوصول إليه ووصول سعد مفتاح. وما زالت الأحوال متضعضعة وارتطمت الأمور بالوزير ابن عثمان، وظهر تدميره في تدبيره فإنه كان يصالح الطائفة حتى يختم أمرها ثم يدعه نسياً منسياً، فينشأ من ذلك فساد لا ينحسم.

[العنسي يحاول السيطرة علىٰ شعوب]

وفي هذه الأيام نهض جماعة من أصحاب القاضي عبد الله بن حسن العنسي وسط الليل وأرادوا أخذ شعوب غيلةً، ففطن لذلك أهل شعوب، فاشتدّوا ورموا فقتلوا صالح بن رابة والنقيب صالح بن أحمد بن صالح بن عفرا وآخر من ذو حسين يقال له كلفوت وكان من الأشرار.

[قبائل بني مطر تغزو كوكبان]

وفي مفتتح رجب، أرسل سيف الإسلام جماعة أهل بلاد البستان[6] عليهم علي بن حسين عبد الواسع لحصار كوكبان، وأمره أن يقف في الحدّ الفاصل بين بلاد البستان

---

(١) من بلاد المحويت.

(٢) زيادة في أ.

(٣) خِدَار: قرية جنوب صنعاء بمسافة (٣٠) كيلومتراً. والقبتين: في أطراف صنعاء القديمة.

(٤) في «أ»: وانتهب.

(٥) نُونَه: من قرى زراجه بالحَدا.

(٦) هم قبائل بني مَطر في غرب صنعاء.

وبين أهل كوكبان، فساروا وقد أفسد العروس[١]، فاشتد على مَنْ به وتسلّمه قهراً، ثم ناوش الحرب أقرب من يكون إليه من أهل الحدود، ثم سار على من بـ (شبام كوكبان) بعد أن برزوا له، فهزمهم ثم حاصر بيت عضبان[٢]، وتسلّمه قهراً وقتل رجل من أصحابه راعياً، وجيء إليه في حال المصاف برأس شيخ وادي النعيم[٣].

[الشريف حمود يغزو بلاد الشرّف]

وفيها: جاء الخبر بتقدم الشريف حمود بجماعات من بكيل ويام والدواسر على بلاد الشرف، فتصافوا للقتال فكانت الدائرة على جمع الشريف، وقُتِل من قومه عايض بن صالح الشايف وأخوه صالح بن صالح الشايف وغيرهما وكَرّوا راجعين إلى الشريف، فأهمل في ذلك الحال أمر الشّرف[٤]، وبدا له أن يرسل النقيب حسن بن عبد الله جزيلان[٥] ورئيساً آخر من بني الشايف لأخذ حُفاش، فساروا إلى الصفقين[٦]، فالتفّت عليهم القبائل فانهزموا، وساروا إلى أذرَع[٧] من بلاد آل محمد بن حسين أهل كوكبان، فأخذوها واستقروا بها غير أنهم لم يجدوا مسلكاً فراحوا عنها.

وفيها: تَنَمّر عبيد الشريف عليه وأخذتهم العصبية لمّا رأوه بَكّت واحداً منهم ولامه. فمال الشريف في تلك الحالة إلى التسكين ثم غلّهم الحديد من بعد وأرسلهم إلى كمران[٨]، فحبسوا هنالك.

[القاضي البرطي يُشَدِّد حصار صنعاء]

وفي صباح يوم الربوع رابع وعشرين رجب، تحوّل القاضي البرطي من وادي عَصُر إلى باب اليمن[٩] فتمم الحصار للمدينة، وأدرك الناس الجوع الشديد وهلك من هلك بصنعاء ولم يقدر أحد أن يُخرج الأموات إلى المقبرة، وظن الظان أن ما بصنعاء سوى

---

(١) من حصون بني مطر. في محاذاة كوكبان.

(٢) قرية في جبل العروس من بني مطر.

(٣) **وادي النعيم**: هو الوادي الواقع أسفلَ جبل كوكبان، ما بينه وبين الأهجِر.

(٤) **الشرف**: سلسلة جبلية في شمال غرب حجّه، تشمل: المحابشة والشاهل والقُفل وكُحلان والمفتاح وأسلَم.

(٥) من كبار مشائخ ذو محمد.

(٦) **الصفقين**: بلدة في منطقة بني دَهمان من بلاد حُفاش وأعمال محافظة المحويت. انظر كتابنا: معجم البلدان والقبائل.

(٧) **أذرع**: حصن وقرية لبني حمادي من مديرية بني سعد وأعمال محافظة المحويت.

(٨) **كَمَران**: جزيرة في البحر الأحمر قُبَالة مرفأ الصليف.

(٩) الباب الجنوبـي لمدينة صنعاء القديمة.

النسوان وصال القاضي بباب صنعاء صولة عظيمة، وتخطّف أصحابه بالطرق العدنية والقبلية، وكانوا يغزون إلى غيل المهدي المتوسط بين الروضة وصنعاء، فيقتلون هنالك وينهبون ويعودون لا تلحقهم لائمة.

[تدنّي أوضاع الناس]

وزادت الضيقة، واشتدت الأمور، وجرحت الصدور، وأيس من الصلاح الجمهور، وبلغ القدح الحنطة إلى اثنتين وأربعين مائة حرف، عن اثنَين وعشرين قرشاً عددياً، عن عشرة ونصف فرانِصَة، وبلغ الشعير عشرين مائة، عن عشرة عددي عن خمسة فرانِصَه، وبلغت الذرة ثمانية فرانِصَه[1]، وظهر في الناس ألماً مُنكَراً قيل أنه طاعون، وكان يظهر بإقدام الناس وَرَم فمَن ظهر به عَلِم أنه قد حضَر أجله، وكنت أرى من يأكل الميتة، فإذا وقعت تهالكوا عليها، وماتت أمرأةً بصنعاء فكتَمت أمرها امرأة أخرى، وادّخَرتها طعاماً، فجافت فعلم الناس بها، فأخرجوا ما بقى ودفنوه.

وذكرت لسيف الإسلام أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وأن الله سائله عن هذه الأمور، وأن طاعته لوالده بالسكوت محض العصيان لله تعالى فقال: انظر هل أجمع الناس على هذا؟ فقلت له من غير نظر أنا أعلم علماً يقيناً، فسكت عني، وما زال يَسعَى مع الوزير[2] في حُسْن التدبير فلا يساعده عليه، وأظهر له الخلاف، وسلك جادة الاعتساف وكلما لان سيف الإسلام وتلطّف تعجرف منه الوزير واستنكف، وتكلم الناس بكلام لا يسعه حلم السلطان ولا يصبر عليه أدنى إنسان، وقالوا في هذا الشأن بما شان. وكان قد عُذِل الإمام من هذا الوزير، فأبت محبته له إلا ترك الاستماع في جانبه، على أنه قد جلب عليه المصائب، وأوقعه في شرك النوائب. ولما تأخرت أرزاق البطانة وقاسوا ما لم يقاسهِ ابن إنسانه، التفوا على سيف الإسلام إلى باب دار الذهب، وأفصحوا عن مرادهم، وظهرت الشرية في وجوههم، فَسكّنهم. فلم يسكنوا.

---

(١) كتب الدكتور حسين العمري تعليقاً على هذا الكلام، فقال: كان سعر القدح الحنطه في العام السابق حين حاصرت صنعاء قبائل ذي محمد قد بلغ ستة قروش، وقد ضج الناس لذلك. أمّا في هذه الأزمة الشديدة فقد ارتفع سعر القدح إلى اثنين وعشرين قرشاً عددياً أي عشرة ونصف ريال فرنصي (قريب خمسة وستين دولاراً) وهذا مبلغ كبير لا طاقة لأحد في احتماله في ذلك الوقت إلاّ قلة من الأغنياء وميسوري الحال. مائة عام من تاريخ اليمن ص (١٥٩).

(٢) **هو الوزير حسن بن حسن بن عثمان العلفي**: راجع ما كتبه عنه المؤلف. من أنه لمّا نُصِّب بدست الوزارة (بعد والده) خَبَط وعاث ولاث وقدّم وأخر، وتلاشىٰ به أمر الدولة. إلى آخر الكلام الذي نقله زبارة. نيل الوطر (١/ ٣٤٤) وكذا القاضي إسماعيل الأكوع هِجر العلم (٣/ ١٤٤٩). على عكس ما كان عليه والده ـ الذي أبان عن كفاءةٍ وحَزمٍ، وتبصرٍ بالأمور.

ذكر ابتداء دولة سيف الإسلام أحمد بن الإمام[1]

ولما كثرت القالة من البطانة، أرسل إلى الوزير: أن الجُند قد شكت تأخر الأرزاق، ومسَّها الضعف لعدم الإنفاق، وقد شرد منهم الأكثر فليكن منك المبادرة لهم بما فيه ترك الشغلة، ورفع المحنة وإلا فالأمر على خطر،

فاعتذر عن التسليم ومال إلى العِدات الكاذبة، فأرسل سيف الإسلام إليه يطلبه النزول عليه، وكان الوزير في تلك الأيام معتلقاً لا يواجه أحداً من الناس إلا رؤساء القبائل من خلف شباك من الحديد صنعه بعد ما جرَىٰ له ما جرَى من محمد بن عبد الله العنسي ببيت الإمام، فلما وصل إليه رسول سيف الإسلام اعتذر من النزول عليه فجمع سيف الإسلام الجند، وأمرهم بحفظ الطريق، وأرادهم على إخراجه إليه من غير قتل ولا قتال ولا شهرة للسلاح إلا أن يعصي أو يأمر أحداً بأن يقاتل[2]، وعزَم على الفتك به، فبعث للأعيان فاعتذر من الوصول حاكم الحضرة البدر محمد بن علي الشوكاني لألمٍ كان به ووصل إلى موقف سيف الإسلام القاضي أحمد بن محمد مشحم، والقاضي محمد بن يحيى السحولي، والقاضي أحمد بن محمد الحرازي والقاضي عبد الرحمٰن بن يحيى الآنسي. وجاء إلى مقامه صنوه فخر الإسلام، وكان قد أرسل الوزير ابن عمه حسين بن محمد عثمان إلى مقام سيف الإسلام، فقبض عليه وبعث إلى الحسين بن أحمد، فوصل وبعث إلى سائر آل أميّه، فاجتمع هنالك مع من سبق محمد بن علي بن عبد الواسع وحسين بن أمير الدين وأحمد بن محمد، وعرف بعد هذا الوزير أنه إن لم ينزل عليه هلك، فسار بعد المراسلة الطويلة من سيف الإسلام إليه، وخرج بين صفّي العساكر ودخل إلى حضرته فكلمه سيف الإسلام فأبدَى له شيئاً من معذرته فلم يُعنّفه بل قال له: قد ألجأت الناس الضرورة، وعَظُمت عليهم المصيبة، وتحوّزوا وماتوا، وأنت معرض عن هذا الأمر. فشرَع في المعذرة فتكلم القاضي أحمد بن محمد الحرازي بكلمة الحق لمّا سمع الوزير وهو يقول: ما تركت جهداً في الترميم والصلاح، واستشهد على ذلك القاضي البدر محمد بن يحيى السحولي لمشارفته في أمور بكيل، وكان اعتذاره بعدم وجود المقاتل، فقال القاضي أحمد بن محمد الحرازي: قد والله أضر الأمر بالكبير والصغير، وانتهكت الحرمات وتقطعت السُبُل ومات الناس، وبلغت القلوب الحناجر، وعلى فرض أنا نصدقك في هذه المعاذير، فإن كان الجُند قد عدموا فعلى هذه العمائم أن تخرج للمقاتلة، وأشار إلى

---

(١) عنوان من وضع المؤلف. أمّا الدكتور حسين العمري الذي كتب عن هذه الفترة، فقد وضع عنواناً ـ لِما كتب ـ هو «انقلاب الأمير أحمد». انظر العمري: مائة عام من تاريخ اليمن. ص (١٥٨).

(٢) في «أ»: أو يأمر أحداً بأن يرمي.

عمامته، فأجاب الوزير بلسان طلق: إني ما زلت ساعياً في الصلاح بجهدي كما يعلم الله ومَن بذَلَ جهده عُذر. وعاد الوزير مستشهداً للقاضي البدر محمد بن يحيى السحولي، فمرّض خوضه تمريضاً ولم يصدقه على دعواه، ولامه شِبه لوم، وسكت الآخرون عند ذلك إلا ما كان من القاضي عبد الرحمٰن بن يحيى الآنسي فإنه تكلم بكلامٍ لم أفهمه لحصول لغط في الموقف.

ثم التفت سيف الإسلام فقال: هؤلاء أتباع الدولة قد شكوك ولا محيص من تخليص ما هو لهم فالتزم بذلك، ففتح سيف الإسلام طاق مفرجه إلى ميدانه وقد حَاصُوا حَوصَة حُمر الوحش، فسكّنهم وأمره سيف الإسلام أن يتكلم معهم فتكلم وقال: امهلوني إلى يوم الأحد، فقالوا: لا نمهلك ولا نصدقك إلا إذا كان الأمر من سيف الإسلام وهو الذي يضمن بما هو لنا فلا بأس عليك. وكانوا في تلك الحالة غير عاذرين للوزير من إزهاق روحه ولكنهم أعظمو مقام سيف الإسلام، فأغلق الطاق ثم قام وأمر بتسيير القضاة، فخرجوا عنه قبل غروب الشمس، واستبقَى سيف الإسلام أخاه الفخري، ولم يأذن لأحدٍ من آل أُميّه بالذهاب، وأوهمهم جماعة سيف الإسلام بأنه مُضَيِّفاً لهم، وكان فيهم القاضي محمد بن عبد الواسع خلىٰ أنهم أدركوا الوقيعة بهم، فما زالوا منافسين في خروج أحمد بن محمد لقضىٰ الأمور التي يخافون ظهورها، فاستأذنوا في ذلك سيف الإسلام فقال: يخرج فخرج فرأى العبيد قائمة بالسيوف حول المقام، فخاف على نفسه ذهاب روحه فعاد يشكو ما رأى من تغيّر الجند، وحَفَظه الأبواب، فاستأذن الوزير ثانيةً، فقال سيف الإسلام يخرج، فخرج ثانية فرأى ما رآه المرة الأولى، فعلم أنه لا محيص من القبض عليهم جميعاً، غير أنها بقيت شائبة اجلالهم بذلك المقام، فلما حضرت الصلاة، قمنا إلى مسجد الدار، فصلّينا.

واستدعىٰ فخر الإسلام آل أميّة من المفرج، وهو لا يعلم ما أضمر لهم سيف الإسلام، ولمّا قضينا الصلاة استدعانا سيف الإسلام، وأمر فتاه ريحان أن يغلق على آل أمية ذلك المسجد وقضِيَ الأمر وانفرج الكرب وأمسوا في مصيبةٍ وشدة وعلموا انقضاء المدة.

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيسٌ ولم يسمر بمكة سامِرُ

والتفت سيف الإسلام على تدبير الأمر خوفاً من تلاشيه، فأرسل للخدم والحجاب الذين بباب أبيه، فوصلوا ولفّ على بابه العبيد والخيّالة وأمر بالكَتْب إلى جميع العمال في تلك الحال ليقرر أمرهم، وبعث على باب دار الجامع التي بها والده حفَظَة، ورتّب بالعساكر ما حولها من الدُوْر والخانات وصوامع الجامع، وأمَر الرتب أن تمنع السائر من تحت الدار ليتم له مأرَبهِ، ولما مضىٰ وقتاً من الليل سيّر جماعة آل أمية إلى السجن، ولم

يبلغ الإمام ما كان لأن أرباب دولته قد كان حضروا بباب سيف الإسلام، وألقوا أمورهم إليه، وأصبح الإمام وأمره قد تشعَّب، وأراد أن يُعيد ذلك الأمر الذي ذهب، فاستدعى بالوزير فقيل له أنه بالسجن، فأراد أن يخرج فلم يشعر إلا بالرمي عليه إلى باب المكان الذي هُوَ به، وأصيبت هنالك جارية من جواريه في يدها، وأرسل سيف الإسلام أخوته الصغار، وأذن لهم بالدخول على الإمام، ولم يشعر إلا بوصول علي بن عبد الله الشايف، وقد نزل من مقام الإمام فعجب سيف الإسلام من دخوله وكيف أمكنه ذلك، وكان علي بن عبد الله قد تحدث بأمور كان فيها هلاكه لولا حلم سيف الإسلام عليه فحذره من العَود، وطلع النقيب نصر الله إلى الإمام فأبدىٰ له الإمام أنه يريد الخروج إلى القصر فقال: لا سبيل إلى ذلك لأن الرتب والعساكر قد التفت به، ولم يبق مجالاً للخروج. فاستدعىٰ بالأعيان فاستأذنوا سيف الإسلام في الدخول فأذن لهم فسار القاضي العلامة البدر محمد بن علي الشوكاني والقاضي أحمد بن محمد الحرازي والقاضي محمد بن يحيى السحولي، فشكَى ما صنعه ولده، فأصدقوه الخبر، وأفصح له البدر الشوكاني باستصواب ما دبره سيف الإسلام، واستحسن صنع ما فعل. فقال لهم: هذه كحركات المنصور بالله الحسين مع والده قالوا: لا سوى فهذه محض الطاعة من غير شك، وحَسّنوا صنيع ولده وأنه الأولى بالتدبير في هذه الأمور، ولولا ما صنع لكان الخطر متسعاً، فأبت نفسه أن تقبل الصلاح فقال له الشوكاني: إن راجعت رأيت ما تكره، وأخاف أن يأمر ولدك بما لا يمكن تداركه، وقد فعَل أمراً يحمده الخاص والعام والرأي أمضاك لفعله، واتخاذك له وزيراً مدبراً، وإلا فالأمر خطر. فلمّا سمع ذلك، علم أن لا مجال لشيء مما يريده من الأحوال، فرضي وأرسل إلى مقام ولده القاضي العلامة البدر محمد بن علي الشوكاني عافاه الله لتقرير القواعد، وتمهيد أمر الدولة. وانفصل الأمر منه على أن يكون ولده وزيراً مدبراً لجميع البلاد، واشترط لنفسه حقوق بلاد يريم، وعلى أن الخطبة والسكّة، وأُبّهة الخلافة غير متحولة عنه، فقال ولده: ليس المراد إلا حفظ المملكة والذَّبّ عن ضعفاء الناس وحَلف بالله لا لَهُ إرادةً في هذا الأمر ولكنه اتسع الخُرق، وضاق بالناس الحال، ولست بِمُغَيِّر من أمور دولته شيئا.

فرضي بعد ذلك وأراد الخروج إلى دار الاسعاد، وتشاءم بدار الجامع، فسار عنها، وقد حمد أمر ولده وقرّت عينه بذلك، وكانت تلك الحادثة آخر نهار السبت سابع وعشرين شهر رجب، ولم تزل التهاني مِن القاصي والداني تَرِد علىٰ سيف الإسلام، والحمد لمن بيده الحَلّ والإبراء.

وفي يوم الأحد أيضاً، ثامن وعشرين رجب وصلت من البدر محمد بن الإمام كتب مخبره بتقدمه على بلاد الحدا كما وصفنا لك أولاً، وسيمّر بك شرح أحواله المتجددة،

وأصحب الكتابين رأسين من قَتلَى الحدا.

وفي يوم الإثنين ثالث الوقعة بالأمويين، جمع فخر الإسلام جماعة جنده، وأنزلهم بالبيوت التي حول داره بيت المجزبي وحول دار الإسعاد لأوهام طرأت[1] عليه، فجمع سيف الإسلام الحكام إلى حضرته، وأشهدهم على ذلك وقرر أنه لم يصدر منه ما صدر إلاّ لموجبات أخلّت بأمر الدين، وأنزلت الضر بضعفاء المسلمين، وأنه رفع الشر، فأقروا له بذلك، وسار القاضي البدر محمد بن يحيى السحولي إلى فخر الإسلام، وعاد وقد أصلح شأنه مع سيف الإسلام، وتعقب نزول فخر الإسلام إلى أخيه، وأشعر الناس سيف الإسلام أنه من أدخل رجلاً من العسكر إلى داره فلا يلومنّ إلا نفسه.

[تدهور أوضاع تهامة]

وفيه: أيضاً، وصل كتاب من أحمد بن محمد قماط الهاشمي صاحب الحديدة يحقق عن أحوال البندر وذكَر من ضعفه وركته وما صار أهل البندر فيه من المصادرة بالفرق الجابرة والقرض الكاذبة والمعونات في كل شهر، وأن الشريف حبس جماعة من الأغراب أهل الهند الكش وغيرهم، فانحرفت عنه القلوب وذكر تقتيراً في أرزاق الجُند، وأنها اتسعت المطالب، وأن الشريف استدان من عبد الكريم بنحو ثلاثين ألفاً ولم يقدر على قضاها، وذكر ضعفاً في العساكر الحافظ للقلاع، وذكر مباينة العبيد للشريف مع ركونه عليهم في مهماته، وأشار إلى كثير مما أسلفناه.

وفيها: تحرك عبد الوهاب أبو نُقطه فقصد الشريف ونهب ساعية شاحنة من سواعيه تمراً وطعاماً، وتحرك الشريف لذلك عن فترة، وطلب جماعةً من قبائل اليمن ممن لا يستعان بهم لفرار الأقوياء عنه.

وفيها: وصل مَرْكباً من الأنجليز[2] إلى بندر الحديدة مخلصاً لجماعة أرسلهم كبير من الانكليز إلى جدة، فنزلوا بالحديدة، فوضع عليهم حمود مطالب غير معهودة، فلما وصل المُرسَل هتك حُرمة أصحاب الشريف، ونهب ساعيتين لبني الزين[3] بعد أن حصل من الأشراف الوعد له بالوفاء وإرجاع ما أخذوا على جماعته، وأنزل الفرنجي عسكره إلى البندر فتسلم بيد القوة ماله وراح.

وفي هذه الأيام، وصل كتاب من متولي الديار الكوكبانية شرف الدين بن أحمد يستعطف سيف الإسلام، وصَدّرَهُ:

---

(١) طرأت: (طَرت).

(٢) وَرَدت بالقاف: الأنقليز.

(٣) هؤلاء بني الزين أهل تهامة.

هم الناس في الدنيا ولا بد من قَذًا   يلــم بعيــن أو يكــدر مشــربُ

[طلوع سيف الإسلام القصر لإثبات الأمور]

وفي يوم الجمعة ثاني شهر شعبان، طلع سيف الإسلام إلى القصر مثبتاً لأمره ومقرراً لأرباب الدولة وناظراً في الصلاح، ومنفذاً للأمور ومشتداً على مَنْ بخارج صنعاء من القبائل، وآخذاً عليهم إرجاع الأسلاب مع وفائه لهم بجميع المطالب، وملزماً لهم البقاء على الوفاء بالأرزاق منه، وبدئ له التجهيز على البلاد الكوكبانية.

وفي يوم الخميس ثامن شهر شعبان، خرج في جيش كثيف متمشياً من القصر وقصد باب اليمَن، فسار حتى قارب بيت يحيى بن هادي الشايف قبلي بير العزب، فالتقاه جماعة من أصحاب القاضي عبد الله، فقبّلوا كفه، ودعوا له بالبقاء، وتلقّاهم بالبشاش وضمن لهم الوفاء.

[سيف الإسلام يحاول اخضاع كوكبان]

وفي يوم الجمعة، سيَّر فتاه الأمير فيروز أحمد وجماعة بكيل وأميرهم القاضي حسن بن عبد الله إلى كوكبان للمحاصرة، وكتب سيف الإسلام إلى سائر القبائل من أهل الحيمة وبلاد البستان وهمدان وعيال سريح أن يلتقوا مع الأمير فيروز، وأن يكونوا على مقتضى تدبيره وتحريره[1] فساروا واجتمعوا عليه في يوم الأحد وتقدم بهم يوم الإثنين، فكانت قتلة بينه وبين أهل حَبابَه[2] وقتلت ذو حُسين رجلاً من أهلها فاحتزوا رأسيهما وبعثوهما إلى سيف الإسلام في ستة من الأسارَى ونهبوا باب شبام مائة رأس غنماً واثني عشر حماراً وعشر بقرات، وما زال الحصار على حَبَابه وطلَع جَمْع من قبائل الأمير فيروز أحمد إلى بركة الحلب في الضلع خارج حصن كوكبان وأكثر الجمع من ذو حسين وهمدان محاصرين لحبابة.

وفي يوم السبت رابع وعشرين شعبان، افتتحت حبابة صلحاً[3].

وفي يوم الأحد قبض أصحاب سيف الإسلام على الفلاحي صاحب ضلع همدان وكان يتاوي الأشرار ويخيف السُبُل، وأراد أن يدافع عن نفسه، فأثخنوه ضرباً وطعناً، وحملوه إلى سيف الإسلام وهو بالقصر فأودعه السجن.

---

(١) وتحريره: زيادة في «أ».

(٢) حَبَابَة: بفتحات. بلدة كبيرة في شمال شِبام كوكبان.

(٣) جاء في حاشية الأصل تعليقاً لصاحب النسخة، نص: لم تفتح حبايه لا بصلح ولا بسيف، بل ساروا عنها عاجزين بعد أن كان يجهز عليهم أهلها إلى بطاوحهم، وعانوا منهم وأخذوا سلاحهم وأبلهم. هذا الحق.

[تربّش أحوال البدر محمد في ذمار]

وفي خلال هذه الأحوال بدا للبدر محمد بن الإمام الإعراض عن حفظ مغرب عنس والبلاد التي كان قد توجه إليها، وجمع من التف عليه من القبائل، وأفصح لهم أن الرعية قد شكت محمد بن علي بن إسماعيل لعسف وجوره وأنه غير تارك له، ولم يشعر محمد بن الإمام إلا بوصول كتاب منه يذكر فيه حال البدر ويستشهد بقول المتنبي:

لـولا المشقـة سـاد النـاس كلهـم الجـود يفقـر والأقـدام قتـال

فاستشاط غضباً وشبَّت نار غضبه جماعة العبيد، وكان يميل معهم أين مالوا، ورأى كثرة من اجتمع لديه، فاستدعاهم إليه، فساروا بين يديه لحصار مدينة يريم، وكان رأياً معكوساً، فإنه أقدم على حصار الضعفاء والمساكين في شهر الصيام، وحلول الضبط لذلك المحل، فلم يستطع، وأخرب أحزابه المساجد والقُرى، وانتهكوا الحرمات، وكان قصده الخبرة، فتسبب عنه الفساد، وقد كان دعاه سيف الإسلام إليه، وأراده على النفوذ إلى كوكبان فلم يجب إلى ذلك، ولما سار حمل معه المدفع الكبير المعروف بالضوراني، فحط جرانه بـ(المَرْيَمه)، خارج بلدة يريم وصاول أهلها، ورمَى بالمدفع، ففزع الناس إلى المساجد، وابتهلوا بالدعاء، وسألوا الله الفرج، ثم مَدّ يده في البلاد وأرسل جنده إلى أغوراها والأنجاد، فتسلم منهم أموالاً، وكان حين خرج شَرَط على قبائل بكيل أن لا إقامة عنده لهم ولا كفاية، وأذن لهم في النزول على الرعايا، وكان يزعم أن الحامل له على ذلك كتاب من والده الإمام، أرسله إليه على ضرب من الكتم والخفيَة، فصار يصول به، ويحتج بما فيه.

ولمّا بلغ سيف الإسلام ذلك، قام لهذا وقعَد وأنكر على والده ذلك الأمر الذي سَوّد، فأنكر والده الإمام ذلك، وكان الكتاب مشتملاً على تفويض البدر في البلاد، فعلم سيف الإسلام، أنه إن خَلي الإمام وشأنه ذهب الناس، فاستدعى القاضي العلامة البدر محمد بن علي الشوكاني، وأفصح له عن ذلك الأمر الذي قد وقع، وطلب منه أن يعهد والده اليمين المغلّظة في إنكاره فحلف على ذلك، وتأكَّد عليه في عدم الخوض من الأوامر والنواهي، وأنهم إنما بتوا القول بعد الوقيعة بابن عثمان على أن لا يخوض في شيء وأن أمر السكة وأُبّهة الخلافة له، وولده وزيره وإليه التقديم والتأخير.

ولمّا ضاق بأهل يريم الحصار من البدر، كتب متوليها محمد بن علي إلى علماء ذمار وصدر ذلك إلى الحسين بن يحيى الديلمي[1] ومَنْ بالمدينة من العلماء والفضلاء

---

(١) وصفه القاضي الأكوع بأنه عالمٌ محققٌ، ولا سيّما في الفقه. اشتغل بالتدريس في ذمار، وتوفى سنة (١٢٤٩هـ). هِجر العلم (٢/٦٤٧).

ورؤساء الناس، يذكر لهم: إني وليت هذا القطر بأمر من الخليفة، فإن كان عندكم أن نكث البيعة مباح، وأنه لا لوم عليّ في طاعة البدر، وخلع بيعة الإمام أرشدتموني وإن كان الأمر بالعكس زجرتم الرجل، وقد راقبت الله في أمره وإلا فالأمر عليّ يسير. فلما وصل كتابه إليهم، أبلسوا وطلعوا إلى علي سعيد الحاج وزير البدر وهو من جُفَاة عنس وأعرابها أهل الغلظ فقال: ليس له جواب سوى إن فعل البدر هذا عن رأي أبيه، فكان ذلك من الجوابات المسكتة.

وكان الحصار قد استدام على أهل يريم من آخر شعبان وشهر رمضان وشوال ونصف القعدة، وأفطر البدر ومن معه من الناس شهر رمضان بناءً على أن ذلك الجهاد في سبيل الله تعالى، وما زال سيف الإسلام يراجع أخاه البدر في الرجوع، فلم يلتفت فعلم أنّ الصلاح في طلب القبائل التي بحضرته، وكانت الأخبار تأتي بأنهم قد خدعوا البدر، وتسلّموا من محمد بن علي متولي يريم أموالاً، وفسحوا لجماعته من خولان الطريق فدخلت إليه خولان وغيرها، وسار الطلب للقبائل يوم الخميس آخر شهر شعبان فتلاحت القبائل، وتناجت في طلب سيف الإسلام لهم، وعادت جواباتهم يطلبون المغلبات، حتى كان يوم الجمعة ثاني وعشرين شهر رمضان، وأرسل سيف الإسلام من حضرته علي بن عبد الله الشايف لإصلاح أمر القبائل الحاطّة على يريم، وإطلاعهم إلى حضرته صنعاء، وأمرهُ أن يدبر الخوض مع علي سعيد الحاج، وهو إذ ذاك بذمار يُدَبِّر أمور محمد بن الإمام، فلما بلغ علي بن عبد الله الشايف إلى سيّان، فاجأه علي سعيد الحاج بها فسأله عن سبب وصوله، فقال: نأخذ الأمر من سيف الإسلام ونطلب تدبيره، وشكىٰ أحوال محمد بن الإمام فعاد به علي بن عبد الله إلى سيف الإسلام، فتلاشىٰ بذلك أمر البدر، ووهَت عزيمته، وفُلّ حَدّه بطلوع علي سعيد خلىٰ أن علي سعيد لم يرح في إهانة ولا ضعف بل سمعته وهو يشيد أمر البدر، ويرفع من قدره، ويحط من قدر محمد بن علي ويتحدث بأن البدر سيبلغ الأطراف، ويأتي على أهل الخلاف، وما زال البدر بـ (المَرْيَمه) صائلاً محرباً لا يلوي على طائل، وكان سيف الإسلام قد رأى في تلك الأيام من حسن التدبير حجر بلاد ذمار لفتح فيروز، وأرسل إليه جماعة من عسكر الباب، وفيهم يحيى بن محمد من آل يوسف بن المهدي وليس بشيء. وكان قد ضمن بضبطها، وأبان اتحاده مع علي ناجي فلم يأتي بطائل حتى كان رابع عشر شهر القعدة، وعاد خائباً فوصل في جيشه إلى ذَمار وثابت إليه نفسه، ورأى أن المغالبة والمعاكسة في ذلك الأمر تؤدي إلى انفصام عقد النظام، ورأى من جماعته[1] الطغام خداعاً ومكراً، فكتب إلى سيف الإسلام كتاباً يشترط عليه شروطاً، وطلب عهدهُ على أمور ماضية،

---

(١) في ب: جيشه.

وأفصح له عن أنه هنالك متحمل لأعباء الولاية، وأن محتاجه طويل، وأمره جليل، وطلب العهد على إجراءِ كفاية مِن مدرهم وطعام، فبادر سيف الإسلام إلى طلبته، وكتب له عهداً على ظهر مصحف، وطلب منه عهداً على السلوك والدخول تحت الأمر، فتعهّد وكتب عهده كذلك.

ولمّا أبان لبطانته ما أبرمه مع سيف الإسلام من الطاعة أبوا من ذلك وعصوا وما زال أمرهم مختبطاً وتشرّطوا شروطاً زائدة فساسهم، وأظهر لهم أن طلوعه ليس إلاّ للاتفاق بسيف الإسلام والرجوع إلى مدينة ذمار، فتناجوا ذات بينهم ورأوا قبائل بكيل قد تركته وسارت عنه إلى حضرة سيف الإسلام، فسكن أمرهم قليلاً، وتعللوا بالبقاء والثبوت على ذمار وبلادها، وكان من بحضرته من القبائل البكيلية قد باينوه لمجيء طلاب سيف الإسلام لهم فساروا عن البدر ولمّا وصلوا باب صنعاء انتهبوا من وجدوه من المارّة.

وفي يوم الثلوث ثامن وعشرين شعبان، وصل السيد عبد الله بن أحمد الزين[1] صاحب كوكبان إلى حضرة سيف الإسلام، وكان في عصبةٍ بـ (حَجَر الزكاتي)[2]، فخرج فقبضه آل عفراء جند الإمام فبذل لهم مالاً على الخلاص فلم يتركوه، فتخلص في بعض الليالي، وفكّ عنه غل الحديد وفك القيد، وأطفأ السراج بعد أن نام جماعة الحرس، وخرج فوصل إلى شرف الدين فأراده على الرجوع فلم يسعده، وكتب إلى سيف الإسلام خفيه في أنه يريد الأمان والوصول إلى حضرته، فأجابه بخط وزيره علي بن إسماعيل فارع أن يبادر بالوصول، وكتب سيف الإسلام اسمه على ذلك الأمان ووعده الخير في كتاب آخر، ولم يشعر سيف الإسلام في يوم عاشر من شهر رمضان إلا وقد ورد إلى بابه فتلقاه، وأدناه من مقامه .

وفي يوم الثلوث خامس شهر رمضان، بعث أهل الأهجر برأسي بقر إلى سيف الإسلام إظهاراً لطاعتهم لَهُ.

وفي يوم الربوع سادس شهر رمضان، وصل الشيخ إبراهيم بن أحمد عيسى صهر علي بن صالح العماري[3] من حضرة شرف الدين بن أحمد ساعياً في الاصلاح فلم يعبأ بوصوله.

---

(١) من آل عبد القادر: ترجمه الشوكاني فقال: له عِرفان تام ونَظم رائق، وكرم فائض، ورياسة كاملة، وأخلاق شريفة، ولطافة تامة. (نيل الوطر).

(٢) حجر الزكاتي: من قرى مديرية شبام كوكبان.

(٣) تولّى الوزارة وكان محل حضوة مع المهدي العباس وولده المنصور علي. مات بصنعاء سنة (١٢١٣هـ). وقد سبقت له ترجمة في عام وفاته.

وفيها: عَدَت قبيلة همدان على حصن الطويلة[1]، فأغار عليهم عبد الله بن أحمد بن محمد بن حسين[2] في جماعةٍ من ذو محمد، فحصرهم بجوانبها وأخرجهم أسرى وقتل واحداً منهم، وأودعهم السجن بالطويلة، فانكفت عليه همدان.

وفي رابع عشر شهر رمضان، كانت القتلة باب كوكبان انتصف فيها جند سيف الإسلام[3]، وضيّقوا على من بالحصن وكمنوا ببركة الخلب، فقال شرف الدين: مَن للقوم فليسوا بشيء، فقام من فرسان قومه علي بن عباس بن محمد بن مهدي وعبد الله بن أحمد بن مهدي المعروف بالمقضاب وغيرهما، فخرجوا ففاجأتهم همدان فالتحموا، واحتُزّ رأس علي بن عباس ورأس عبد الله بن أحمد في خمسة آخرين، وأسروا جماعة منهم، فغلّوهم الحديد، وبعثوا إلى سيف الإسلام بالروس فأرسلها إلى باب والده.

[غارة بكيل من عند الشريف حمود إلى كوكبان]

وفيها: طلعت جماعة من بكيل من حضرة حمود بن محمد غارةً لشرف الدين فوصلوا الطويلة، وبعث سيف الإسلام النقيب عبد الله بن أحمد الشايف إلى بلاد حجة ليصلح حال أولئك. فأدركهم وقد دهمتهم الحُمّىٰ لمفارقة تهامة، فساروا عنها متشائمين. ولمّا لم يصلح أمر شرف الدين سلّط سيف الإسلام رعايا الإمام على بلاده فتخللت قبائل الحيمة وأهل بلاد البستان وهمَدان وعِيال سريح وسائر القُبل ببلاد كوكبان، فضبطوها وانتهبوها فطلب شرف الدين بعد ذلك الصلح والرجوع إلى الطاعة والتبري من حمود، علىٰ أن تُرفع المحاط من دياره، وأذعن برفع جماعاته عن حُفاش وملحان وكان قد قبض عليهما وأنزل جماعة آل مضمون إليهما. فجنح سيف الإسلام إلى ذلك وأرسل القاضي البدر محمد بن يحيـى السحولي ليقبض منه عهود الله على ترك الخلاف والدخول تحت الطاعة كما هي عادة الأسلاف، فوصل إليهم وإذا هم في حيرة من أمر حمود إذ كانت طائفة من قبائله المعينة لشرف الدين تلك الأيام هنالك تضرب في

---

(١) **حصن الطويلة**: جبل في غرب كوكبان، من بلاد المحويت.

(٢) **هو العلامة التقي عبد الله بن أحمد بن محمد بن الحسين بن عبد القادر**. وبقية نسبه مع ترجمته في: نيل الوطر (٢/ ٦١)، قال: ولمّا تولّى صنوه المولىٰ شرف الدين بن أحمد إمارة كوكبان وازره وناصره وتصدّر لأمور البلاد والنظر فيها، مع مشاركة قوية في العلوم. ووفاته بعد سنة (١٢٣٢هـ).

(٣) جاء في هامش الأصل تعليقاً لصاحب النسخة نصه كما يلي: لم تنتصف فيها جُند الإمام كما ذكر المؤلف، بل كانت الوقعة الأولى رابع عشر شهر رمضان وخرج لهم من كوكبان كل فالك طَعّان، فكانت الدائرة علىٰ جُند الإمام فولّوا الأدبَار وتبعهم جُند شرف الدين إلى جروف قِيرَه.

مركزها حماية على شرف الدين، فطلب من القاضي البدر التأني والصبر حتى يأخذ من حمود هدنة أو يجري معه صلحاً، فصَبَر أياماً، وأنكر على شرف الدين ما فعله من فتح دار الضرب وغشه للناس فقال: إنما فتحها لعدم وصول شيء من مقرراتنا، وثانياً أني لم أغير السكة بل جعلتها باسم الإمام، وألزم خطيبه أن يعيد ذكر الإمام بعد محوه.

وصار سيف الإسلام يطالب بما أنفقه في ذلك المخرج من الأموال، وأفهم القاضي البدر أن ما ملكته قبائل الدولة من البلاد فلا مجال لارجاعه، وأنه قد أخذ عنوة، فما زال القاضي البدر يراجع في ذلك حتى تركهم على ما كانوا عليه قبل الخلاف.

[ابن قملا يغزو حضرموت]

وفيها: غزا ابن قملا[1] بداوة حضرموت في جمع من الموهبة، واصطلح مع الكثيري على جُعْل، واشترط الكثيرين منعه للموهبة من النزول بدياره، فالتزم له بذلك فحمل متاعه وما يملكه من وادي خَبّ، واستقر بأطراف حضرموت ويقال أنه تسلّم شِبام حضرموت.

وفي شوال باين يحيى بن ناشع الأمير عبد الوهاب أبا نقطة ورحل عن عسير إلى حمود بن محمد، فتلقّاه وأجله وأنزله أحسن منزل، فانتهب عبد الوهاب دوره وسلب ما بها من الأموال ثم هدمها وأفصح للناس أنه ارتد عن الإسلام وأباح دمه.

وفيها: في شهر جمادى الأولى، غزا سعود بن عبد العزيز سواد العراق بعد أن عبر الجسر بجنودٍ جرارة، وسيّر امرأة بين يديه، فخرج باشه بغداد في ألفاف كالجراد المنتشر فتصافوا للجلاد وكانت الدائرة على سعود وحجز بينهم الليل، وأصبحوا من اليوم الآخر متصافين فكانت الدائرة على سعود وانكسر ولم يحجز بينهم سوى الليل، وأصبحوا من اليوم الثالث متصافين، وقام من أمر سعود اثنا عشر أميراً مصابرين للجَلاد، بحر الحِدَاد، فأتت عليهم جنود العراق، فكانوا طُعَمه للسيوف، ولم يدر أين ذهب الاثنا عشر الأمير أقتلاً أم تغريفاً أم فراراً، وذهب خبرهم كالأمس الدابر، ولم يعِد من الأمراء بين يدي سعود سُوى عثمان المضايفي[2]، وسعد بن سالم بن شكبان وإبراهيم بن عفيصان أمير الأحسا والقطيف، وعاد سعود منكسر الخاطر وأغذّ في سيره ناجياً جهة الدرعية، فلما قاربها ضرب مخيمه بالبريه وقعد معسكراً ثلاثة أيام، وأضاف الأمراء والجند يوماً طلب أرزاقهم من بداوات الرعية، فساقوا إليه زكاة الماشية فكانت نحواً من عشرة آلاف

---

(١) **ابن قملا**: من مشائخ وادي خبّ في الجَوف، وكان قد قاد كثير من الحملات لصالح النجديين.

(٢) ورد اسمه في جميع المواضع من الكتاب: المطايفي. وقد صححناه من كتاب الأعلام (٢٠٨/٤).

رأس من الغنم وذلك يوم عاشر رجب، ثم صرف الجنود وألزمهم النزول على ديارهم حتى إذا حان وقت الحج أقبل كل أمير بحجاج بلاده، وسيّر في تلك الحال عثمان المضايفي ليحفظ المدينة، وأمره أن يقيم بالطائف أخاه عبد الرحمـٰن خوفاً من داهم السلطان إذ كانت الأخبار قد وردت بقيام السلطان محمود، فنزل عثمان المَضَايفي بالمدينة.

[أمير مكة يطرد جماعة المطاوعة من مكة]

وفيها: أخرج غالب بن مساعد[1] جماعة المطوعة من جدة ومكة لأمور صدرت منهم لم يكن لغالب قدره على احتمالها وراح الخبر إلى الدرعية بذلك، فأقام سعوداً وأقعد، فبعث عليه عبد الله بن الشيخ وعبد الرحمـٰن بن نامي في ثلاثمائة من الدواسر وأهل الحوطة وأهلِ الحرج، فنزلوا على المدينة، وساروا عنها إلى مكة، فتلقاهم الشريف غالب وأجلّهم وأنزلهم بدوره على غيظ وضيم، فتعللوه وأرادوا اختباره، فألزموه حضور قراءة الأصول والقواعد، توطأ لهم واعتذر عن حضور الدرس، وأقام عن حضوره وكيله محمد العطاس[2]، وجاء رجل إلى غالب في يوم جمعة، وقد سمع خبراً كاذباً بأن السلطان قد جهّز على ديار نجد فصاح بأعلىٰ صوته: سلامات يا ابن مساعد أبشِر بتجهيز السلطان، فأمر عبيده بضربه لئلا يشتهر عنه سرور تُغيِّر شأن سعود.

[قيام سلطان الروم محمود]

وفيها: [3] قام بالروم سلطان الإسلام محمود[4] بتدبير شيخ الإسلام ووزير الختام، وكان قد قام قبله السلطان مصطفى أياماً لم تطل منها ولايته، فنعى الناس سكوته عن رد الحاج، وصده عن بلوغ المسجد الحرام، وكان محمود أشد الناس انكاراً لذلك فقلّد

---

(١) سبق التعريف به، **وهو غالب بن مساعد بن سعيد الحسني**: من أمراء مكة تولى إمارة مكة بعد وفاة أخيه سرور سنة (١٢٠٢هـ). في أيامه قوي الإمام سعود بن عبد العزيز بنجد، وهاجمت جيوشه الحجاز، فقاتلها الشريف غالب، وتقهقر إلى جِده. ثم أظهر الطاعة لسعود، حتى كان كأحد عُمّاله، وعاد إلى مكة واستمر في الإمارة إلى أن زحف محمد علي باشا (والي مصر) بجيش كبير من الترك وغيرهم لقتال السعوديين، فتحوّل الشريف عن ولائه لآل سعود، فاستخدمه محمد مدة قصيرة ثم قبض عليه وأرسله إلى مصر سنة (١٢٢٨هـ) فأقام أشهراً وأرسل إلى الأستانة فنفته حكومتها إلى سلانيك فتوفي فيها سنة (١٢٣١هـ). وكان فيه دهاء. الاعلام (١١٥/٥) وله ترجمة مُوسَّعة في كتاب «البدر الطالع» للعلامة البدر محمد بن علي الشوكاني.

(٢) عالم فاضل: مولده بمدينة حريضة في حضرموت. رحل إلى المدينة المنورة وأقام بها (١٣) عاماً. كان كثير الرحلات في سبيل الدعوة إلى الله. توفي سنة (١٢٣٦هـ).

(٣) سنة (١٢٢٣هـ).

(٤) سلطان عثماني.

عُهد المسلمين، وخلع مصطفى وزعم بعض النقلة أن مصطفى قتَل سليمان الذي قبله، وأن محموداً طلب بدم سليم من مصطفى، فَعُزل مصطفى وأمَّنوه من القتل، لأنه ـ يومئذ ـ لم يبق من آل عثمان سوى مصطفى ومحَمود، ونقل آخرون أن السبب لولاية مصطفى سكوت سليم عن رد الحاج من باب مكة، وقالوا لم يقتل سليم ومع بُعدَ الديار لا ندري ما الصحيح من هذه الأخبار، وإنما ننقل في كتابنا بصيغة الجزم ما صح لنا، وقد قيل فيما نقله بعض من وصل إلينا من مكة عن رجل من أهل اصطنبول أنه قال: تفقّد السلطان محمود بعد القعود على دست السلطنة أمر الوزراء، فوجدهم نصارىٰ قد تستروا بالإسلام، فضرب أعناقهم بعد تسلطهم على كثير من ديار الإسلام، وأنه عقد هدنة بينه وبين ملوك الأطراف على السكون ثلاثين سنةً.

[غزوة أبـي نُقطة إلى بداوات يام]:

وفيها: غزا عبد الوهاب أبو نقطة في جمادى الأولى إلى بَدَاوات (يام) وعاد بغنائم، فوافاه مرسوم من سعود يأمره بالقبض على بندر المخا، فسار بنفسه في اثني عشر ألفاً، وعسكر بأم الخشب على يومين من أبـي عريش، فوجدها محصنة من حمود بن محمد بنحو ثلاثة آلاف مقاتلاً عليهم الحسن بن خالد، فبعث عيناً إلى صَبْيَا لينظر ما بها فوجد منصور بن ناصر بها في مثل قبائل الحسن بن خالد ولم يجد ثغراً مما تحوزه ولاية حمود إلا وبه جمع مانع من تخطيه، وكان عبد الوهاب قد أرسل طامي بن شعيب صاحب الخسعة في اثنتي عشرة ساعية في البحر متوجهة إلى المخا، فجهّز حمود في البحر داوات شاحنة. فلم يجد عبد الوهاب مسلكاً في البر ولا في البحر فعاد بالشكاية على سعود بأن حموداً أخذ جمعاً كثيراً من المشركة وتحجر واسعاً، وبعث بكتاب وَصَلَه من حمود يذكر فيه: وأنك يا عبد الوهاب إن كان لكَ عقل، وبيدك أمر فامض طريقاً غير هذه التي ولايتي بها، وعليك بجبل نجران وسبيل صعدة ومَنْ بديار المشركة لتفوز بالأجر والمَغْنَم. فأعاد سعود الجواب بأنه لا يسعك المراجعة في مثل ذلك ولا بد منه وصولكما أيها الأميران شهر الحجة للمناظرة بين يدي بمكة، فلما بلغ الرسول إلى عبد الوهاب بهذا الجواب، أرسله إلى حمود، فوقف عليه وقال للرسول خيراً، وأقام له عذراً.

فلما حان وقت الحج بعث حموداً الشريف يحيـى بن حيدر ولد أخيه بمناظرة عبد الوهاب، وكان سعود قد ألزم عبد الوهاب أن لا يمنع البحر من سواعي حمود الداخلة به وبقومه، مع أنه كان قد برز منه أمر لغالب أن لا يدع ساعية للمشركة، فنزل بجدة وكان سعود قاطعاً بوصول حمود في هذا العام لكثرة تخلفه من قبل وإبدائه المعاذير، ووصل عبد الوهاب وطلب سعود يحيـى بن حيدر ولامه وبكّته وسبَّه وسب

أباه وتهدد حموداً ونسبهُ إلى الرّدة، وسمع يحيى بن حيدر كلاماً خشي فيه إزهاق روحه، فتلطف وحسَّن القول فلم يُسْمَع منه، وظهرت الأحن وانقدح سعود من ذلك. وقد قدمنا الخبر هنا فيما يشمله وسيأتي تمامه قريباً.

وفيها: قبض حمود بندر المويلح تصغير مالح بين مصر ومكة وهو مما تعود ولايته إلى غالب، فأنزل به طائفة من قومه أراد بقبضه ضبط السواعي النافذة من السويس.

[ظهور الساحر اللاحجي]

وفيها: ظهر ممخرق ساحر بـ(جُمعه آنس) يقال له أحمد اللاّحجي، وادّعىٰ الخلافة وتلقّب بالهادي، وبث في تلك الجهات دعوته ثم أدّعىٰ النبوّة فافتتن به الغواة الطغام، وكان من قبل معروفاً بالشر في تلك المحلات، وأنه غاب عنها دهراً طويلاً ونزل بمسكات على جماعة من السحرة، فأخذ عنهم طريقه في السحر وعاد بعد أعوام، ولم يعرفه سوى قليل من الناس وشكك عليهم بالمعرفة، وكان يلقي من أوهامه ما يفتتن به العامي وأنه كان يضرب بطن الرجل بالسيف، فيتخيل إليه أنه أخرج من بطنه كلاباً صغاراً فيقول الناس ما هذا الذي وقع من بطن فلان فيقول ذلك الغِل والحقد والحسد، وكان المتولي لجهات آنِس تلك الأيام العلامة العلم قاسم بن إبراهيم الظفري[1] فبرز إليه الأمر من سيف الإسلام بأن يقصد الجهة التي بها هذا الساحر فإذا وقع عليه غلة بالحديد وأقامه بين الناس وضرب عنقه هنالك ليكون أشد في الزجر، فساس بضرب من الخداع حتى أودي وظفر بخمسين رجلاً من أتباعه، فضرب رأسه وبعث به إلى حضرة سيف الإسلام.

[اضافة دَنّ وصاب إلى ولاية أحمد علي سعد]

وفيها: قبض جند الإمام على من بحصن (دَنّ وُصَاب) من ذو محمد، وجاءت الأخبار بأنهم قتلوا الشيخ فاضل وولده وستة أنفار معه ممن أفسدوا، وصالَح ذو محمدد وبعث سيف الإسلام إلى أحمد بن علي سعد بولاية الدن وأعماله.

[يام تغزو فج حَرَضْ]

وفي يوم الخميس ثالث شهر الحجة، وصلت قبائل يام إلى فج حَرَضْ لمطالب لهم عند حمود، فأرسل عليهم علي بن حيدر وحسن بن خالد أميرين في الفاف من قبائل

---

(١) هو العلامة القاسم بن إبراهيم بن عبد الله الحسن الظفري الحسني الصنعاني: تولّى أوقاف بلاد جبله، ثم وُلِّي ولايات منها بلاد آنِس. توفي سنة (١٢٢٧هـ). نيل الوطر (٢/ ١٧٢)، البدر الطالع (٥٥٠) تحقيق الدكتور العمري.

تهامة والجبال، فلما دنت يام من بجيلة[1] فرّت عساكر حمود إلى الزهراء، فسارت يام على أثرهم وكبيرها جابر بن مانع، وانتهى سيرهم إلى الواعظات[2] فنزلوا بها لا يقيلون لموجود عثرة، فراسلهم حمود بعد ذلك وبعث لهم بمال، فبتّوا القول معه على تسليم ثلاثين ألفاً فرانصة، فرضي وجاءه خط من سالم بن جبعان وأولاد نصيب، وأبىٰ جابر بن مانع من ذلك وقالوا له: يا جابر لا بد أن توافقنا على المصالحة فقال: امضوا إليه لقبضها وأما أنا فلا أبرح حتى أقيم أمر الدين فإني غير راغب في دينه الجديد ولي إمام بصنعاء لا أحيد عن موالاته، فسار ابن جبعان وأولاد نصب إلى حمود في جمع من قومهم على رأي جابر بن مانع فظهر لحمود خديعتهم له، فأبا من تسليم ذلك والصلح معهم حتى يأتي جابر بن مانع فخرجوا عن مقامه وهم على رأي جابر.

وفي خلال هذه المراسلة بين حمود ويام أرسل سيف الإسلام رجلاً من حذاق جنده بكتب إلى حمود يستطلع أخباره وينظر أمره الذي كان عليه أيام نزول سيف الإسلام إلى حراز وهل هو ثابت القدم على الولاء أم لا؟ وعلم سيف الإسلام انقداح سعود من حمود لعدم دخوله معه هذا العام وأنه لا يأمن بعد هذه الكرّة على نفسه من سعود، ورأى سيف الإسلام شهامة هذا الشريف وشجاعته وحسن تدبيره وسياسته للأمور وضَبطه لأحوال الجمهور فانتهز منه فُرصَه، إذ كان تلك الأيام واقعاً بين شفرتي المقراض لا يدري إن باين سعوداً ما يأتيه من قبل سيف الإسلام من اليمن، فلما وقع حمود على الكتاب جوّد الجواب بلين الخطاب:

لـم تهيـج لـي غـرامـاً لـم يَكُـن إنمـا جـاءت لمـا عنـدي مـزاجَـا

وذكر أنه ما يريد إلا الإصلاح وأنه ما زال يسعى مع المنصور في دفع هذه الشرور وحال ما بينه وبينه ابن عثمان، وبعث إلى سيف الإسلام بعهد الله وميثاقه أنه باذلٍ للنصح وساعٍ في الصلح، على أن ما دخل تحت حوزته أيام المقاتلة فإليه على شرط الإعانة من سيفَ الإسلام فيما ورد من الشام، وأن على سيف الإسلام الإعانة بألف مقاتل في الداهم العظيم أو البعث بمال يقيم ألف مقاتل، وعلى أن ما جاء سيف الإسلام مِنْ دَاهٍ مخالف فعلى حمود ما عليهم. فتلكأ سيف الإسلام من ذلك، ورأى أن معظم البلاد المؤدية للخراج هي البنادر التي حازها حمود في ذلك، فمال إلى تسليم ما كان يبعث به إلى سعود لكن هذا على شرط سكون الهَزاهِز. وأفصح حمود بأن ابن عثمان كان فيما

(١) **بجيله**: قرية كبيرة في جنوب الزُهرة ومن أعمالها. يقع في شمالها مجرى وادي مور، حيث تستقي منه. وفيها إلى اليوم ذُريَّة الشريف يحيـى حيدر.

(٢) ديار الواعظات في وادي مَوْر.

سلف قد استبد بأمر البنادر، وأن ليس لهم منه من منافعها شيء، فَبُتّ القول هكذا، وأخذوا عليهِ أن لا يبقَى أحداً من أصحابه بقاع تهامة وحواز المخا، وسيأتي تفصيل ذلك في العام الآتي إن شاء الله تعالى.

[وصول سعود إلىٰ مكة]

وفي مستهل الحجة وصل سعود إلى مكة في قلّة من قومه وضعفٍ مجاوز لم يُعهد في مثله، فقعد بالمحصب وورد عليه عبد الوهاب أبو نقطة وعثمان المضايفي في قلةٍ من الجند حتى قيل أن خيلهم الجميع لم تبلغ ستمائة فرساً. وظهر على اتباع سعود الحاجة الماسة والفاقة فإنهم ما زالوا يسألون بشوارع مكة، فابتذلهم الناس فأظهر غالب قوة وبأساً واستدعا بمن حوله من أهل الجبل والعبيد الفرسان، وبرز في نحو أربعمائة عنان عليها الأشراف والعبيد وأنزل أبطاله الذين بينبع وفرسانه الذين بجدة، ووصل يحيـى بن حيدر من قبل حمود مناظراً لعبد الوهاب بالنيابة عن حمود، وقد قدّمنا ما كان أولاً. قال بعض الناس: حدثني بمكة من حضر موقف المناظرة بين عبد الوهاب ويحيـى بن حيدر، وأنه سمع يحيـى بن حيدر وهو يقول الموجب لتأخر حمود اشتغاله بأمر الدين ومقاتلته للمشركين، وأن عبد الوهاب يتكلم بكلام كاد سعود يقتل به يحيـى بن حيدر، وقد قيل لولا شفاعة غالب حالت بينه وبين قتله بالمراسلة طي الكتب، لما نجىٰ يحيـى بن حيدر فإن غالباً أبدَى من التأويل لحمود ما سكّن غضب سعود. على أن عبد الوهاب قال لسعود: يا محفوظ ترا حموداً قد ضرب السكة باسمه، وأنت أمير المؤمنين لم تضرب، ما هذا إلا طالب للملك. فازداد غضب سعود، وقد كان يقول حمود أبو مسمار، وانه قال هذا العام: حمود أبو حمارٍ، وهذا إنما كان بعد أن عرض سعود على يحيـى بن حيدر الولاية لجهات التهايم، ورغبة في ذلك، وأعاد عليه بأنه لا يصلح لتلك الديار سوى حمود بن محمد وأنه لا يدفع القبائل سواه لكماله وثباته. ولم يُنزل غالب بن مساعد سعوداً في هذا العام بدوره ولا أضافَهُ كما يفعل في السابق، ولمّا كانَ يوم التروية صعد عبد الرحمـٰن بن نامي المنبر وأمر رجلاً من أهل مكة أن ينادي: أَلاَ أن الناس قد اختلفوا في رؤية الهلال فنأخذ بالاحتياط، ورأينا الوقوف يوم الربوع ويوم الخميس، فوقف الناس الربوع وكان الخميس عيداً، فوقفوا به، ثم نزلوا. ورتّب الشريف مداخل مكة ومخارجها، ووضح للناس أنهم وقفوا يوم عيدهم الخميس،

ولمّا نزل سعود إلى البيت أمر بأن تُنْزَع كسوته، وكسا الكعبة عباءة حساوي قيلانية، وهي من أفخر ما عندهم، وتصدق بنزر يسير حتى نقل حُضّار الحرم أن الذي تصدق به في حجر إسماعيل سبعة عشر ديناراً، أعطاها سبعة عشر رجلاً، وخمسين ريالاً فرقها على خمسين رجلاً، فتكلم الناس على شُحِّه وبخله وحرصِه، وقالوا: لا نعلم

تاجراً صغيراً ينقص هذه العطية. وأدركت أهل مكة الحاجة الماسة بهذا العام لعدم وصول جيش الشام، وتخلّف باشة سلطان الروم وانقطاع الصّر لعدم دخول الحجيج مكة، وتحدث الناس بأن السلطان قد ضعف وتأول بعض الناس بتأويل فقال: لم يتخلف جيش السلطان إلا بمناجزته الكفرة بتلك البلدان. والله أعلم ما كان.

[الوزير علي بن حسين الآنسي]

وفيها:[1] يوم الثلوث سادس عشر محرم، علي بن حسين بن أحمد الآنسي[2] الوزير، وُلِّي صنعاء وكتب لسيف الإسلام، وَوُلِّي أعمالاً توسّط بينه وبين الإمام فيها الوزير أحمد بن إسماعيل فايع، وكان سايساً جماعاً للأموال، لا يتحجر عليه. رحمه الله، ولما مات أحمد بن إسماعيل فايع أنيط به ما كان متعلقاً به فما قام، فأُخِّر، وأدركته علة الاستسقَاء زمناً طويلاً.

[علي بن صالح السحولي]

وفيها: يوم الخميس سلخ ربيع آخر، القاضي علي بن صالح بن يحيى السحولي، وكان ذا خُلُق حَسَن.

[أحمد بن حسين المهدي]

وفيها: يوم الخميس، سلخ ربيع آخر، أحمد بن حسين بن عبد الرحمٰن بن المهدي محمد بن أحمد.

[الشريف حيدر بن ظافر]

وفيها: يوم الربوع رابع جمادى الآخرة الشريف حيد بن ظافر بكوكبان بعلة الاستسقاء والاسهال.

[عبد الله بن علي غشام]

وفيها: يوم الجمعة، عبد الله بن علي غشّام[3] عن نحو خمس وستين سنة. كان به دعابة مع شدّة في الدين وصلابة، يقوم الليل فيحييه بالعبادة، إذا رأيته في صلاته قلت اسطوانة ثابتة لا يتململ فيها، وتراه مقبلاً على الله تعالى مستغرقاً. وكان يحب الاجتماع به في منزله، بعد صلاة العشاء، فيستفيد معارفاً، ولا يحب إطالة السمر فإذا أدركهُ النوم ولم يقم من عنده قام إلى السراج فأطفاه، ويقول قال الله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَظۡلَمَ

---

(١) سنة (١٢٢٣هـ).

(٢) نيل الوطر (٢/ ١٣١).

(٣) نيل الوطر (٢/ ٨٨) عن ماهنا.

عَلَيْهِمْ قَامُواْ﴾[١]، فيتضاحك من عنده ويقومون عنه. وسمعته يقول: مهما أنت في صحةٍ من جسدك فالغنيمة الباردة، يريد أن يغتنم الإنسان الطاعة فيستكثر منها، وكان يحضر صلاة الجماعة لا تفوته التكبيرة الأولى مع الإمام. وسمعته يوماً وهو يقول: من صبر لقسمة الله تعالى وصبر على أذَى أولاده، فهو الحاج المجاهد، فقلت له: هذا من كلام القُصّاص، فقال: نَقلت هذا من خط إمام السنة محمد بن إسماعيل الأمير، فسألته نقل ذلك فأراني شيئاً كتبه بخطه ولفظه: سُئِل السيد العلامة محمد بن إسماعيل الأمير عما تقولهُ العامّه الحج علي باب البيت، ألهذا أصل من السنة يرجع إليه أم لا؟ فأجاب ما لفظه: أخرج الديلمي في مسند الفردوس عن أبي هريرة مرفوعاً: طوبَىٰ لمن بات حاجاً وأصبح غازياً، رجل مستور ذو عِيال، متعفف قانع باليسير من الدنيا، يدخل عليهم ضاحكاً ويخرج عنهم ضاحكاً، فوالذي نفسي بيده انهم هم الحاجون الغازون في سبيل الله تعالى.

[حسن بن حسين بن هادي المطاع]

وفيها: أيضاً ليلة الجمعة سادس جمادى الآخرة، الحسن بن حسين بن هادي المطاع[٢]، كان مِضيافاً كثير الخير مثل أبيه لا يأكل إلا مع الضيف مقصوداً إلى منزله في الشتاء والصيف مفتوحاً بابه سهلاً حجابه، قريباً جنابه، ذا سُنةٍ وحياءٍ من الله تعالى يحضر صلاة الجماعة ويشيع[٣] الجنازة ويعين على نوائب الحق، يجتمع بمن ورد عليه فلا يمر الليل حتى يدعوه إلى الذكر والتسبيح، وحَجّ مرتين ماشياً، ومات بعلة الاستسقاء.

[عبد الرحمٰن بن أحمد قاطن]

وفيها[٤]: يوم الجمعة ثامن وعشرين جمادى الآخرة، عبد الرحمٰن بن أحمد قاطن. كان لا يتكلم فيما لا يعنيه وقوراً كثير الحياء ذا سنةٍ وعمل بالدليل وزهد محقق وعفاف في مثله لا يلحق، أخذ عن والده القاضي رحمه الله تعالى. أثنى عليه سعيد بن إسماعيل الرشيدي لما سار لطِيَافة أموال الأوقاف بـ(ثُـلا) فعاد وهو يقول: لا إلـه إلا الله، إن من عباد الله تعالى من خلقه الله تعالى للخير ويسّره له، منهم عبد الرحمٰن بن أحمد قاطن، ما مررنا بمورد نهر أو مستظل أو تسوية لطريق إلا وسألنا من فعل هذا؟ فقالوا: عبد الرحمٰن، وحدثونا عنه بما جريات يطول ذكرها، وأخبرونا

---

(١) سورة البقرة، الآية (٢٠).
(٢) نيل الوطر (١/ ٣٢٣)، هِجر العلم (٢/ ٩٦٠).
(٣) **وردت**: وتشييع.
(٤) نيل الوطر (٢/ ٢٥) عن هذا النص.

عنه أنه جمع للأوقاف خيرات واسعة فائضة على محتاج أهل الوظائف، وأنال الفقراء والمساكين، كسَى عاريهم وأطعم جائعهم، ومات ولم يترك درهماً ولا ديناراً، وكتب إليّ يوماً أن قُل لفلان يتصدق فهو صاحب مال واسع وما أدري نكبته إلا لعدم الصدقة، وعندي كلام نقلته عن والدي وهو من تعرف قال: أخرج البيهقي في شعب الإيمان عن أبـي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إن نفراً مروا على عيسى ابن مريم فقال: يموت أحد هؤلاء اليوم إن شاء الله تعالى، فمضوا، ثم رجعوا عليه بالعشي ومعهم حزم الحطب، فقال: ضعوا، فقال للذي قال يموت اليوم حل حطبك فحله فإذا حية سوداء، فقال: ما عملت اليوم؟ فقال: ما عملت شيئاً، فقال: انظر ما عملت؟ قال: ما عملت شيئاً إلا أنه كان معي في يدي فلقة من خبز فمرّ بـي مسكين فسألني فأعطيته بعضها، فقال: بها دفع عنك».

[محمد بن أحمد مشحم]

وفيها:[1] يوم الأحد سادس رجب، رفيقنا محمد بن أحمد مشحم[2] القاضي بصنعاء، وُلِّـي قضاء رَيْمَه أياماً، وسيّره الإمام عنها إلى بندر الحديدة، فقعد بها دهراً حتى كان الحريق بالبندر من حمود بن محمد وانتهابه للبندر، فتحوّل إلى صنعاء وقد أدركه ألم الدِقّ[3] فما زال في نحول حتى مات. أخذ عن البدر الشوكاني مرافقاً لنا في العربية، وأسمع في جملتنا عنه سنن الترمذي، وقال في حديث أن النبـي ﷺ كان يصلي أربعاً قبل الظهر يفصل بينهن بالتسليم على الملائكة المقربين والأنبياء والمرسلين ومن تبعهم من المسلمين والمؤمنين، فقال: لمّا سمع شيخنا البدر يقول: المراد بهذا الفصل بالسلام المعروف بين الركعتين الأولتين والركعتين الأخيرتين، فقال المترجَم له إن مشينا على الظاهر فالمراد أنّا نقعد في الثانية فنقول هكذا: السلام على الملائكة المقربين وعلى الأنبياء والمرسلين ومن تبعهم من المسلمين والمؤمنين ثم ننهض ولا نسلم يميناً ولا شمالاً، قلت هذا الذي لا يؤخذ بسواه. وأخذ عن شيخنا إبراهيم بن عبد القادر بن أحمد، وله معه مناظرة في مسألة حرمة الزكاة على الهاشميين، فقد كان شيخنا إبراهيم يرى حلّها ويتمسك بأمور خفية، فيقول في قوله ﷺ: «إنها لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد أنه لا يقتضي التحريم»، وأنه كقوله ﷺ: «لك الفراغ» فنازعه القاضي بأنه ورد في لفظ آخر أنها لا تحل لمحمد ولا لآل محمد، فأجاب بأن نفي الحل لا يستلزم الحرمة، فقال القاضي: لا نعرف للشارع كلاماً في نفي الحل إلا والمراد به الحرمة، وكان هذا

---

(١) سنة (١٢٢٣هـ).

(٢) نيل الوطر (٢/ ٢٣٥)، البدر الطالع ص (٦٣٢) وفيه تدريج اسمه الكام.

(٣) الدِقّ: داء تعرفه العامة بالسخونة الرفيعة. (المنجد في اللغة).

عرفاً له كقوله تعالى: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ﴾[1] وكقوله تعالى: ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا﴾[2]، و ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا﴾[3]، وفي قوله تعالى: ﴿فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾[4] أعظم دليل على أنه لا يخلف الحل إلا الحرام، والمقابلة تشهد بذلك في مثل قوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾[5]. وهكذا الأحاديث: لا يحل لرجل يؤمن بالله واليوم الآخر أن يدخل الحمام إلا بمِئزر»، «لا يحل مال امرءٍ مسلم إلا بطيبة من نفسه». وآل الأمر أن القاضي قال لشيخنا: لو وقفنا على هذه الأصول التي أصّلها السابقون ووزنا بها الأحكام الشرعية لضللنا، وإنما توزن هذه الأصول بكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ لا على ما يقولون، وأنشد القاضي:

والدعاوَى إن لم تقيموا عليها ... بَينـاتٍ أبناؤها أدعِيَاءُ

قلت: وهذه الطريقة التي قالها القاضي إنما نلقاها عن رفيقنا علي بن إبراهيم الأمير، وهو أخذها عن والده إبراهيم بن محمد، وقال لي القاضي يوماً: لولا ما ترى من تجهيل الأعلام لمن فاه بهذا الكلام لألحقنا من اعتمد أكثر هذه الأصول بأهل البلادة الطغام.

قلت: ولنا كتاب لم يكمل سميناه (فنون الجنون في جنون الفنون)، أوردنا فيه من هذيان الأوائلِ كثيراً من المسائل، وقد خبرنا معارفهم، ووجدناهم طوائف مختلفة المذاهب والآراء فترى في المسألة الواحد ثلاثة مذاهب وأكثر، وتنظر كل طائفة تؤيد كلام سلفها، ويردون على من خالفهم بأنواع الردود. وهذا دليل اختلال الأصل، ولا نجد حرفاً واحداً ينقل عن خير القرون بأن مذهب فلان الصحابي.. في المسألة الفلانية. كذا، ومذهب الآخرة يخالفه، بل كانوا إذا اختلفوا رجعوا إلى الظواهر التي لا يخالطها شيء من التأويل، فإذا قال قائل باجتهاده: كذا رَدّ عليه الآخر، بأني سمعت رسول الله ﷺ يقول كذا، ولم يؤثر عن أحدٍ منهم أنه قال العام بعد التخصيص ليس بحجة، أو أنه قال: يُبنى العام على الخاص.. تَقدم أو تأخر. أو قارن أو قال العام المتأخر ناسخ في أنواع هذه المسائل. وتراهم يفجعون طالب الحق بخوضهم الشبيه بالرطانه، فيقولون: أخذنا ذلك بتنقيح المناط، وتخريج المناط، ومسالك العلة، والمصالح المرسلة، والما أصدق في المسألة، وإنما هذه القواعد استحلاها الآخرون،

---

(١) سورة الأحزاب، الآية (٥٢).
(٢) سورة النساء، الآية (١٩).
(٣) سورة البقرة، الآية (٢٢٩).
(٤) سورة التوبة، الآية (٣٧).
(٥) سورة البقرة، الآية (٢٧٥).

وأتقنوها وخلدوها في دفاترهم على أن المؤصلين لها ليسوا ممن عرف السنَّة حق معرفتها، ولكنهم أفنوا أعمارهم في تنقيح قواعد دقيقة، وقالوا: كلٌ على أصله، فليتهم قالوا: كل عمل ظاهر الشريعة، لَسَلِموا. فهات قُل لي: لو ناظرت النبـي ﷺ في أن: هل يُبنىٰ العام عَلى الخاص أم ينسخه؟ ما ترىٰ في المسألة، تجيب ليس لك إلا التخمين في هذا والهوس والتعصب لمعارفك والمكابرة، وربما قلت لقائل أنه رجل مجنون، وغاية ما تخمنه وتهوس به أن تقول: كان هذا مركوزاً في فهم النبـي وذهنه، فبئس ما قلت وبئس من ساعدك عليه.

ولنعد إلى تمام ماجريات المترجَم له فإنها مما تروّح الخاطر، وهو خير ما يشتغل به مكثر الدفاتر، فأخبَرني أنه رأى رجلاً من العامة، يتخلق بزي مَنْ قَدّمته من المحققين، وهو يقول: أنا قد أصلحت بين أهل مذهبنا وغيرهم في القول بأن الفرجَين من أعضاء الوضوء، وأصّلت قاعدة وهي أن الرجل إن فَسَا عقب الاستنجاء أو فسا ودبره يعرق استنجَىٰ. وكان القوي مذهبنا لأن الريح مع البله يتطبع حوالي الدبر كفنجان القهوة إذا غسل وجُمِّر، فإن الدخان يلصق به، وإن فَسَا ولم تكن ثمة بلّة في الدبر كان القوي مذهب الآخرين فلا يستنجي من الريح كفنجان القهوة إذا جُمِّر علىٰ غير بلّه فإن الدخان لا ينطبع به. فقلت للقاضي رحمه الله تعالى: فما رأيت هذه القاعدة، فقال: يكفينا فيها المشاهدة، وإنما في كلامه رائحة ضعيفة وإن كان فيه شمة من القياس، فقلت: رحم الله ابن حزم يروي له بعض الناس حكاية مع رجل من أهل القياس جاءهُ بليمون، فلم يجده بمنزله فألقى اللّيمون[1] من طاقة منزله واحدةً بعد واحدة، فلما جاء ابن حزم وعرف المُهْدِي له أخذ بعض دهن بيض دجاج وسار إلى مُهدِي الليمون في حال غفلته عن منزله، فألقى البيض من طاقة منزل الرجل واحدةً بعد واحدة حتى وسّخ فراشه بما سال من الزلال، فأنكر على ابن حزم صنيعه، فقال له ابن حزم: عملت بمذهبك في القياس فرأيت الليمون الأصل والبيض الفرع، والحكم المجازاة على الهدية والعلة الجامعة بينهما، كون كل واحد منهما كروي الشكل[2]، فتبرا ذلك المقيس من القياس، وهذا القياس وما في الحكاية الأولي من قبيل واحد لو وجدنا المساعد وفقدنا المعاند، وكان لي بالمترجَم له كمال الصحبة ففرق بيننا الزمان بكف الغربة، فكتب إليّ بعد عوده من غيبته:

لعمـــرك مـــا مـــال الســـرور وانمـــا	مـــلال نفـــوس الفـــاتـــريـــن أمـــالَـــهُ
أمـــا لليـــالـــي أن تـــرد الـــذي مضـــى	أمـــا للهـــوى عَـــوداً إلينـــا أمـــالَـــه

---

(١) وردت: اللّيم.

(٢) وردت: كري الشكل.

وذو قامةٍ كالغصن يعلوه مرسلٌ ... من الليل أسندنا إلى الظلم حاله
ضللنا بما أرخاه من ليل فرعه ... وقد أطلع الوجه الجميل هلالَهُ
وقلنا بلطف الله يرجع ما مضى ... وينسى الفتى خطباً دهاه وهالَهُ
فتى القوم في كل المعارف نابذ ... المخالف إن أمرٌ حكاه وقالَهُ
وشاعر هذا العصر غير مدافع ... إذا قال القىٰ في الرقاع كمالَهُ
إذا كان جَحّاف ابن مرهبةٍ بهِ ... يفاخر ألقى ما عليه وما لَهُ

فأجبته بقولي:

زمان مضى كنا نحيل انتقاله ... ولا نتوخى ساعةً ما زواله
دهتنا خطوب بددت عقد ... نضمنا الفريد وكنا لا نخاف انحلاله
وماحت كموج البحر تضر به الصبا ... يميناً وقد رد الدبور شماله
بعيشك هل خادعت بالسحر قبلها ... محباً رأى في طي ذكر وصاله
تذكرني ما لست أدري لحاله ... شربت مداماً أو تصورت حالَهُ
وكنا كذي عزم سيحدث توبَةً ... لحادث أيامٍ تلافىٰ ضلالَهُ
نرى أنها لا تنقضي دون عمرنا ... مسرّاتنا والحب يطوي حياله

[محمد بن أحمد لقمان]

وفيها:[١] يوم الثلوث خامس عشر رجب، محمد بن أحمد لقمان الهاشمي[٢] حافظ مسودة الأوقاف بصنعاء، عن سبعين عاماً تقريباً. أخذ عن القاضي أحمد بن صالح بن أبي الرجال ولازم أحمد بن صلاح الخطيب، ولزم أقاويل المعتزلة، ورغب عما سوى ذلك المذهب، وكان كثيراً ما يخوض في القدر ومسألة التفضيل مع الجزم بأن الحق ما دان به لا ما خالفه فيه غيره كائناً من كان، فغدت معه في مواطن فسمعته يقول في بعضها: كان أبو بكر بن عياش يقول: لو أتاني أبو بكر وعمر وعلي في حاجة لبدأت بحاجة علي قبل حاجة الشيخين لقرابة علي من رسول الله ﷺ ولئن آخر من السماء إلى الأرض أحب إليّ من تقدمه عليهما، فقال: ما أحسن الأولى وأقبح الأخرى. وكان تياهاً بنفسه معجباً برأيه لا يستقر فهمه على شيء، قال رزق بن سعد الله وقد طارحه مسائل رأى منه اضطراباً في تقريرها بعد أيام، فسأله بعض الناس عن المترجَم له؟ فقال: شيئان لا يستقر عليهما شيء لشدة العوج بهما؛ قُبّة فلك الروضة، وذهن محمد لقمان.

ولاقيته مرة بموقف شيخنا البدر الشوكاني، فسأله عما يقول الأشعرية أن القدر

---

(١) سنة (١٢٢٣هـ).

(٢) نيل الوطر (٢/ ٢٣٣) إستناداً على هذا النص.

سايق بمثناه تحتية لا سابق بموحدة، أي دين قادهم إلى ذلك؟ فقال له البدر: ما قالوا هذا تصريحاً، ولكنهم ألزموه إلزاماً فأبى أن يسلّم، وقال: بلىٰ قد قالوه وصرحوا به. فانتصر شيخنا البدر للمقالة التي جزم بها. وقال ما تقول في زيد الذي سبق في علم الله تعالى أنه يقتل عمرواً في يوم كذا في محل كذا، ألزيد في نفسه اختيار أم لا؟ قال: بلى له اختيار. إن شاء قتله وإن شاء ترك، فقال له شيخنا: قد سلّمت أنه سبق العلم بأنه سيقتل عمرواً في يوم كذا في محل كذا فكيف يقدر على الترك؟ فقال: لأنه مختار فقال له شيخنا: كيف يصنع بعلم الله تعالى أينقلب جهلاً باختيار زيد؟ فقال: علم الله تعالى تابع لاختياره، فقال له: لا تقل هكذا في علم الله يتبع الاختيار أو لم يتبعه لا بد وأن يقع فلا يقدر زيد أن يتخلف عن ما سبق في العلم فالله سبحانه عالم بما يختار، فانقطع واحمرت عيناه وقام عن الموقف.

وكان رحمه الله تعالى جيّد الخط، كتب بيده مصاحب عديدة، وكان الناس يتنافسون في خطه.

[شرف الدين بن اسماعيل بن محمد بن إسحاق]

وفيها:[1] ليلة الإثنين سابع وعشرين رجب، شرف الدين بن إسماعيل بن محمد بن إسحاق بن المهدي أحمد بن الحسن[2]. مولده شهر محرم سنة أربعين ومائة وألف بـ(دَنّ وصاب الأعلىٰ) وسار به والده إلى شبام صنعاء، ودخل صنعاء مع جده محمد بن إسحاق من شبام عام أربع وأربعين، فنشأ بها في حجره، وتخرج به في طلبه، فأسمع عليه قواعد الاعراب وحاشية السيّد محمد المفتي على الكافية والكافل لابن لقمان، ثم لازم والده العلامة الضياء إسماعيل بن محمد، فأخذ عنه الخبيصي والجامي والمنهل الصافي وتلخيص المفتاح مع حضور سائر المطولات في هذه الفنون ومراجعتها، ولازم عمه العلامة المحقق أحمد بن محمد إسحاق، وعن أحمد بن الحسن بن إسحاق في شرح الغاية وحاشية سيلان والفواصل في نظم الكافل، وأسمعها على والده المصنف لها، وعن يحيى بن الحسن إسحاق، وعن قاسم بن محمد الكبسي في البحر الزخار، وعن عدة من الأكابر. وعنه أَخَذ يعقوب بن محمد بن إسحاق في الأصول والآلات، والصادق بن محمد في هجرة حوث وعلي بن هادي عَرْهَب، وعبد الله بن صالح الجلْبي، وعلي بن إسماعيل، وولده العلامة إسماعيل بن شرف الدين، ومحمد بن الحسن المحتسب، والحسن بن علي بن حميد الدين، وخَلْق لا يأتي

---

(١) سنة (١٢٢٣هـ).

(٢) نيل الوطر (٢/ ١١)، البدر الطالع ص (٢٨٩)، أعلام المؤلفين الزيدية (٤٧٧)، معجم المؤلفين (٤/ ٢٩٧)، الأعلام (٤/ ٢٣٥)، هِجر العلم (٣/ ١٥٩١).

عليهم العَد. ولازمه في صغره العلامة الولي إبراهيم بن محمد ملازمة تامة، وما زال على ذلك.

وكان المترجَم له رحمه الله تعالى قد تنقل في البلاد، فدخل حوث ووصاب أيام خلاف أحمد بن محمد وهو الذي أنكر عليه الضربَة لمّا برزت، وأنكر عليه الدعوة، وذكر له: أن الدعوة كانت للإمام المهدي ضربه لازب لا يجوز نكثها وإنما صحبناك لأمور المعاش ومقرراتنا، ومن حق النصيحة أن لا تضرب هذه الدراهم، فإن الغش فيما ضربته ظاهر. وأنكر عليه استماع أحمد بن أمير الدين القائم على دار الضرب، وسار من وصاب في الصلح الأول، والحَاطّ عليهم أحمد بن المنصور بالله الحسين، فطلع صنعاء وصحبته عبد الله بن لطف الباري، فتم به مراده. ورحل إلى برط وإلى بلاد أرحب في آخر أيام المهدي. وقد ذكرنا شيئاً من هذا في أول كتابنا عند ذكرنا لدخول المترجَم له من بلاد أرحب، وله رحمه الله تعالى أشعار كاتب بها، فمنها:

لعمرك ما خلاّ الزمام فأشرقا ... وَأفرغه في قالب اللطف ريّقا
وما أن كسا الحسناءَ حسناً وإن غدَى ... على أنفها الأقنَى هلالاً معلقا
سوى ما استطار القلب عند نشيدِهِ ... وقاد النُهي نحو المعالي تشوُقا
وأسكرني منها شمول ولم أكن ... علمت قريض الشعر راحاً مُعَتّقَا
فلله ما منت بهن قسر ريح ... فهنَّ أزمّات الحسان محققا

وأجاز هذه الأبيات القاضي العلامة يحيى بن صالح السحولي رحمه الله فقال:

بقيت ضياء الدين كالبدر مشرقا ... ولا زال جيْد العصر منك مطوّقَا
ودمت لتبدي من علومك جوهراً ... تنظمه عقداً نفيساً معلقا
صدَقت وَايم الله أن محمداً ... ختام لأهل الفضل والعلم والتقا
وإن قريض الشعر منه غدَى لنا ... رحيقاً حلالاً بل شمولاً معتقا
جزاك الذي أعطاك فضلاً عن الذي ... برزت به جَدّاً كريماً موفّقا

فأجاب المترجَمُ لَهُ رحمه الله تعالى[1]:

أعالمنا حبر العلوم المُحققِا ... وأوحدها قاموسها المتدفقا
ومن حاز غايات الفضائل عن يدٍ ... وجاز ولم يرض النهايات مرتقا
ومن حُمدت في الناس آثار علمِه ... وعمّت عموم الغيث غرباً ومشرقا
وخص به فصل الخطاب كما غدَى ... بحكم القضا في المشكلات موفقا

---

(١) «تعالى»: زيادة في ب.

هو الفرد إلا أنه في صفاتِه ... يشاهد في عَين الحقيقة فَيْلقَا
إلى أدبٍ غضٍّ يسيل لطافةً ... فَسيّالُه منه اكتسى الروض رونقا
أتاني نظامٌ منك عزّ نظيرُهُ ... وحرك أعطاف النشاط وشوقَا
واطرب حتى الروض مالت غصونه ... ارتقاصاً وبالأوراق للروح صفقا
لعل قوافي الشعر منك سَواحرٌ ... فيا للنُهي من ذي الهدى ما الرقا رقىٰ
وقلدتني منه بعقدٍ فصُولُهُ ... أضاءت فمنها كوكب الصبح أشرقا
وأوليتني ما أبتغيه من الدعا ... فشكراً لما أسديته ولك البقا

وله مجيباً على محمد بن إبراهيم بن محمد[1] وقد هنأه بموهوب فقال:

دامت معاليه التي ... طابت وطالت فيه ذكرا
ولذا حلالي منشداً ... مصداق ما قد قيل شعرا
لا غرو إن حزت الكمالَ فقد حواه أبوك طرا
وأراه خصّك بالنفيس ... سماحةً منه وبرّا
وبعثت لي درر البَلاغة ... مهدياً لا زلت بحرًا
ونظمتها في سلك تهنئةٍ ... عَلَت بالنظم قدرًا
فشممت طيب أريجهِ المسكي ... طاب وفاح نشرًا
لا زلت موصولاً بأوفرِ ... نعمةٍ شفعاً ووتْرًا

وكانت تفتر مراجعته في غير كتاب مع سعة إطلاعه وطول باعه، فإذا راجع البحث ونوقش أبان عن معرفةٍ تامةٍ. وكانت إليه في أخريات أيامه أرزاق آل إسحاق، وكان مسموع الكلمة ملحوظاً لا يدع الاجتماع بمن ورد إليه، ولم ينقم عليه أحدٌ أمراً إلا ما كان منه بين يدِي المنصور من تحسينه لأخذ الجبا. وتقريره، أمرهُ وقوله أنه جَرى عليه السلف من الآباء وهم أكمل، وهذه كلمة لا بدّ أن يسأل عنها، والله تعالى يغفر له. على أن المنصور قد كان مزمعاً على ذلك، وكَتَب إلى الآفاق في منع الجِبَا، ولم يدع من أشربت قلبه البدع ذكر كلمة المترجم له حتى أُعيد الجِبَا كما كان. ولقد رأيت كلاماً حرره المهدي أحمد بن الحسن إلى المتوكل على الله يطلب منه إسقاط ما ألفوه من الجِبَا ببندر المخا، ويذكر أنها أضعفت التجارة، وسأله أن يسمح له بها فلم يفعل وأعاد جواباً في تقرير أمر الجبا لا يستند إلى دليل وبرهان بل إلى محض الاستحسان. فرحم الله المهدي أحمد بن الحسن، فلقد صدع بالحق.

---

(١) هو العالم التقي محمد بن إبراهيم بن محمد بن إسحاق. انظر ترجمته في كتاب زَبارة: نيل الوطر (٢/٢١٢).

وله رحمه الله رسائل ومسائل وأجوبة تأتي في مجلد ضخم، سُئِل عن هؤلاء العَوام الذين لا يقيمون صلبهم في الصلاة، ما حكمهم؟ فأجاب: ثَبت في الحديث أنه عليه الصلاة والسلام رأى رجلاً يصلي لا يقيم صلبه في القيام فقال: أما هذا؟ فلو مات على هذا لمات على غير ملة محمد ﷺ، والصحيح أنه موقوف من قول حذيفة، أخرجه رُزين وأخرجه البخاري موقوفاً أيضاً، وأخرج أبو يعلى في مسنده والبغوى وابن خزيمة والطبراني في الكبير وسعيد بن منصور عن أبي عبد الله الأشعري عن أمير الأجناد خالد بن الوليد ويزيد بن أبي سفيان وشرحبيل بن حسنة وعمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ أبصر رجُلاً لا يتم ركوعه ولا سجوده، فقال: لو مات هذا على ما هو عليه لمات على غير ملة محمد ﷺ فأتموا الركوع والسجود فإن مثل الذي يصلي ولا يتم ركوعه ولا سجوده مثل الجائع الذي لا يأكل إلا التمرة والتمرتين لا يغنيان عنه شيئاً. هذا كله في الجامع الكبير للسيوطي، قال في الهَدي النبوي: وكان دائماً يقيم صلبه إذا رفع من الركوع وبين السجدتين ويقول: لا تُجزَى صلاة لا يقيم فيها الرجل صلبه في الركوع والسجود. ذكره ابن خزيمة في صحيحه قال: فهذا يدل على أن صلاة العوام غير مجزية لهم، وأنهم لم يتوبوا عن ذلك كانوا كقاطع الصلاة تُضرَب عنقه إن لم يصل، ولا يغرنك أقوال الفقهاء أن العامي هنا قد وافق أبا حنيفَة، فالحق لا يعرف بأبي حنيفة.

ودار الكلام بحضرته في حديث أبي داود وإن مما أدرك من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستحي فاصنع ما شئت، فقال: الظاهر أن الذي يتضح به معناه أي إذا صنعت ما لا يستحيا من فعله فاصنع ما شئت لأن الحياء الزاخر منك مفقود.

[عبد الله بن علي العمري]

وفيها:[1] يوم الأحد ثامن وعشرين رجب، عبد الله بن علي العمري[2]، بفتح العين المهملة وسكون الميم بعدها راء مهملة فياء النسبة. كان ذا صمتٍ ورصانة وولّي العمل على أملاك الإمام المنصور، وكان والده عاملاً على صنعاء أيام الإمام المهدي، وله ماجريات وأخبار تناقلها الناس.

[حسن بن قاسم بن محمد بن إسحاق]

وفيها: يوم الثلوث يوم الثلاثين من رجب، حسن بن قاسم بن محمد بن إسحاق.

[أحمد بن شرف الدين]

وفيها: يوم الجمعة سادس عشر شعبان، أحمد بن شرف الدين بن عبد الرحمن بن المهدي محمد بن أحمد.

---

(١) سنة (١٢٢٣هـ).

(٢) نيل الوطر (٢/ ٨٧)، هِجر العلم (٣/ ١٤٥٨).

[الحسين بن عبد الله بن الكبسي]

وفيها: يوم السبت رابع شعبان، الحسين عبد الله الكبسي[1] بالسجن مبطوناً، وكان عالماً متقناً متفننا ذا سُنَّة، أخذ الأمهات عن قاسم بن محمد الكبسي، ووُلِّي إمامة الجامع بالروضة، ولمّا سار الأستاذ عبد القادر بن أحمد عن كوكبان عام سبع وتسعين استدعاه آل شمس الدين للتدريس وفصل الأحكام، وسار بأهله إلى كوكبان، واستقر بها دهراً يقضي وينشر المعارف، وتخرج به هنالك عدة، ثم باين أهلها وانقطع بوطنه الروضة فأُعيد للإمامة بها. وكان فيه شيء من بلَه فإنه قام مع غوغاءِ العوام في فتنة الروضة، وذهب عنه في تلك المحنة ما جاء في موقظ الفتنة، ونبذ عن عنقه بيعةَ المنصور، ولامه وعذله في ذلك الجمهور[2].

قلت: رأيت القاسم بن محمد الأمير، وقد كتب إليه ما ورد في خلع البيعة، وما أوصى النبـي ﷺ فيه بالصبر حتى تلقاه وإن ظهر من المنكرات ما ظهر ما لم نرى كفراً بواحاً، فألزمه الدخول معه والقيام وبكَّته فأيس قاسم بن محمد من فلاحه فلزم بيته، وعُدّت خارجية من المترجَم له، وأعقب أمره سل السيوف، وخراب الديار، وقبض عليه مع من قبض، وما زال بالسجن حتى قضى نحبه،

وإنّ مما حدثنا به وقد نزلنا عليه بالروضة في عدّة من الأعلام، فقال: قال في كنز العمال حدثنا عن الشعبي قال: خرج علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوماً بالكوفة فاستسقى ماءً فخرجت إليه جارية بإبريق ومنديل، فقال لها: يا جارية لمن هذه الدار؟ قالت: لفلان القسطال. فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا تشرب من بئر قسطال

---

(١) البدر الطالع (٢٣١)، نيل الوطر (١/ ٣٨٠)، أعلام المؤلفين الزيدية (٣٧٨)، مصادر الفكر الإسلامي ص (٢٦٥).

(٢) هو ما سبق الإشارة إليه في حوادث العام الماضي، عندما أظهر الكباسية وآل أبـي طالب الخروج عن طاعة الإمام المنصور. وانضمَّ إليهم جميع أهل الروضة طوعاً وكرهاً ـ بحسب تعبير الشوكاني ـ ووصل إليهم بعض القبائل وردّوا أمر الدولة، وطردوا العامل، وراموا خلع الإمام المنصور، وكتبوا إلى جميع الأقطار اليمنية. وكاد صاحب الترجمة أن يدعو إلى نفسه، وعرض عليهم الإجابة إلى كل ما يطلبونه. وقد انتهت المسألة لمّا خرج إليهم أحمد بن الإمام بجيش واسع وناجزهم، وأسر صاحب الترجمة وجماعة من الكباسية، ووصلوا بهم إلى تحت طاقة الخليفة. قال الشوكاني: وبالغت في الشفاعة لهم من القتل بعد أن كان قد وقع العزم عليه، وقمت بالحُجة الشرعية المقتضية لحقن دمائهم، فأودعوا السجن. البدر الطالع ص (٢٣٢)، تحقيق: الدكتور العمري الذي فصّل الحادثة في كتابه مئة عام من تاريخ اليمن، ط (٢)، (١٥٤ ـ ١٥٨).

ولا تستظلن في ظل عشار، انتهى. والقسطال بضم القاف الذي يحفظ الذهب ليبدله بالفضّة. قلت: الحديث أخرجه ابن عساكر ولم يكن في رجاله من تكلم فيه.

[تقي بن أحمد العنسي]

وفيها:[١] ليلة السبت خامس عشر شعبان، تقي بن أحمد العنسي[٢] عن خمس وسبعين سنة، كان براً تقياً فاضلاً ناسكاً عالماً، ذا سُنَّةٍ ظاهرة وتقوى ومراقبة، أخذ عن الحسن بن زيد الشامي ولازمه، وأخذ عن الحافظ البدر المنير محمد بن إسماعيل الأمير، وعن القاسم بن محمد الكبسي وعن عبد الله بن لطف الباري، وتضلع من السنة وعَضَّ عليها بناجذه، كان يحيي ليله بالصلاة، ولا تفتر لسانه عن ذكر الله تعالى، مشغول الأوقات بالطاعة، فإذا اجتمع بخلّانه لم يكن عنده سُوى الجد، كثير العوائد جم الفوائد مستنبط من الأحكام، ظاهري خالص.

سأله بعض أخوانه عن الصبر ماذا هو؟ فقال: إن تركت الشكوَى فأنت من الصابرين، وسألته عمَنْ تُحمَد صحبته من الناس؟ فقال: من وجدت قلبه منكسراً من مخافة الله صحبته، فإن الله عنده. وردَ بهذا الأثر الصحيح

وعُدت معَهُ مريضاً فلما رآه المريض قال: يا تقي ادع الله لي فقال: بل أنت ادع لنفسك لأنك مضطر، والله تعالى يقول: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾[٣]. وقعد مع جماعةٍ يتذاكرون حقيقة الزهد؟ فقال: هو كما قال الشبلي: الزهد نسيان الزهد.

وسأله رجل عن قول الله تعالى: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾[٤] أي هذه الأيام هي؟ فقال: منها يوم مسخ بني إسرائيل قردةً وخنازير. قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾[٥]. ومنها يوم نتق الجبل عليهم، ومنها يوم فلق البحر لموسىٰ وقومه، ومنها يوم أصحاب الجنة المذكورين في سورة نون، ومنها يوم صاحب الجنة المذكور في الكهف، ويوم أصحاب الفيل، ويوم شفاء أيوب، ويوم احياء عيسى للموتى، ويوم تكلّمه في الطفولة، ويوم خسف قارون وداره والخلق ينظرون إليه، وغيرها من أيام الله تعالى. وقال هذه الأيام كلها تدل على أن أيام النبوآت

---

(١) سنة (١٢٢٣هـ).

(٢) نيل الوطر (١/ ٣١١).

(٣) سورة النمل، الآية (٦٢).

(٤) سورة إبراهيم، الآية (٥).

(٥) سورة البقرة، الآية (٦٥).

مع الأنبياء وأعدائهم معجزات بالمرة وخوارق بيّنة تقود إلى طاعة الله تعالى.

وسُئل عن الراسخ فقال: هو الذي يعرف الوعد والوعيد، والثواب والعقاب، والموت والمعاد، والجنة والنار، العارف بالحلال والحرام، لا من شغل فهمه بدقائق الموسوسين من الحكماء واليونانيين، وسمت العالم هو الذي يسجد ويخشع ويبكي إن تُلي عليه كلام الله تعالى، ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾﴾[1]، فالقسْمُ هذا هو العالم الراسخ المهتدي المُجتبَىٰ، قال الله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩﴾[2]. وكان رحمه الله تعالى محافظاً على صيانة اللسان من الغيبة والنميمة واللغو بجميع أنواعه لا يحلف بالله تعالى لا براً ولا فاجراً، بل يقول مكان اليمين: حرام ما فعلتُ كذا، أو: حرام لأفعلن كذا.

بعثه الإمام المهدي العباس في خراب قباب القبور لعلمه بثباته، وبعثه مرة أخرى لتعليم العامة الصلاة بالوادي، وسيّرة للقبض على سعد يحيى بـ (الجَبِي).

وكان يشهد الجمعة والجماعة، ويمشي خلف الجنازة ويجالس الضعيف والمسكين، ويسعَى في حاجة الأرملة. وكان يرتزق من حوش الوقف بصنعاء، فإليه أعمال أهل النجارة والعمارة، وما يتعلق بشأن الوقف وكان له خُصَماء يودون إزالته من عهدته فلم يقدروا على ذلك[3].

[محمد بن يوسف الأكوع]

وفيها: يوم الخميس ثالث وعشرين شعبان، محمد بن يوسف الأكوع[4] الحاكم

---

(١) سورة الإسراء، الآيات (١٠٧ ـ ١٠٩).

(٢) سورة مريم، الآية (٥٨).

(٣) وذكَر زبارة في كتابه «نيل الوطر» أنه بعد وفاته قام بعمله في كتابة الوقف ولده الفقيه العارف أحمد بن تقي بن أحمد العنسي وكان فقيهاً عارفاً ورعاً فاضلاً توفي سنة (١٢٤٣هـ)، وقام من بعده بعمله في كتابة حوش الوقف ولده الفقيه الورع الفاضل محمد بن أحمد بن تقي بن أحمد العنسي واستمر في ذلك مدة حتى كان وصول الأتراك إلى صنعاء اليمن في سنة (١٢٨٩هـ)، وظهور الخمر وبعض المنكرات بصنعاء فهاجر عن صنعاء إلى طِيبه وسكن المدينة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام حتى مات بها في نيف وتسعين ومائتين. نيل الوطر (١/٣١٣) وتجدر الإشارة إلى أن حفدته يُعرفون اليوم بلقب (آل تقي) ومن أبرزهم الأستاذ مطهر تقي وكيل وزارة الأعلام الأسبق، رئيس الهيئة العامة للسياحة.

(٤) تاريخ أعلام آل الأكوع، ص (١٦٠).

بصنعاء، وكان كثير الصمت، كثير التلاوة، ذا سمت وهُدَى[1].

[محمد بن إسماعيل الخولاني النشّاد]

وفيها:[2] يوم الأربعاء تاسع وعشرين شعبان، محمد بن إسماعيل الخولاني[3] المنشد المضحك، كان محبوباً عند الخاصة والعامة لكثرة ظرفه وحركاته المعجبة، اتصل بالإمام المنصور وأولاده، واستدعاه الخاص والعام من الوزراء والأمراء والحكام، وكان رحمه الله تعالى لا يحابي أحداً مع كثرة المجون ومحبة الدعة وملازمة الخلاعة باللسان طبيعة لا تطبعاً، حلو النادرة سريع البادرة ذا سنةٍ ظاهرة، وكان في طاعة والديه آيةً ظاهرة إن جاءه شيء من المال لم ينفق منه إلا عليهما لركة الحال، وكان إذا صحب أحداً حامَى عنه بالمواقف، وذب عن عرضه، وكان مبتلىً بالشك في الوضوء، وكان لا يساعد أحداً على شيء من أمر الطاعة وكان يراها خالصةً لله تعالى، فإذا قال له أحد صلّ، قال: لا أصلي لك، وكان يميل إليه الصبي الصغير السن والكهل والشيخ، وكان لا يعمل في شيء حتى يسأل أهل الحديث عنه، ولا يعمل بفتوى المقلدة، وكان يحفظ من أشعار القدماء المولدين[4] شطراً صالحاً فينشده بالمحافل بأحسن[5] نغمه.

[إبراهيم بن عبد القادر الكوكباني]

وفيها:[6] يوم الربوع ثالث عشر شهر رمضان، شيخنا إبراهيم بن عبد القادر بن أحمد[7]. مولوده ثامن عشر شهر رمضان عام تسع وستين بكوكبان وبه نشأ، وتخرج بأبيه فأخذ عنه في العربية جميعها فأتقن وفي الأصول أسمَع عليه شرح الغاية وجَمْع الجوامع للمحلي وشرحه، وقرأ على والده شرح التهذيب للشيرازي والسعد وشرح الشمسية، واستمع عليه الأمهات، واستجازه فأجازه في جميع مروياته، ولما رحلَ والده عن كوكبان كان في صحبته فتجملت بحضرته ووالده صفحات الدفاتر، وتحلى بعلومها

---

(١) **أوردها القاضي إسماعيل الأكوع:** ذا سمت وهدوء.

(٢) سنة ١٢٢٣هـ.

(٣) نيل الوطر ٢/ ٢٤٥ اعتماداً على هذا.

(٤) **وردت عند زباره:** أشعار المولّدين والقدماء.

(٥) **في «أ»:** بِحُسن نغمه.

(٦) سنة (١٢٢٣هـ).

(٧) البدر الطالع ص (٣٨)، نيل الوطر (١/ ١١)، هِجر العلم (٤/ ١٨٩٦)، أعلام المؤلفين الزيدية (٥٢)، ومنه: شعراء اليمن ترجمة (٢٨) ص (١١٤ ـ ١٢٢)، نفحات العنبر ـ خ، معجم المؤلفين (١/ ٤٩)، الموسوعة اليمنية، ديوان الشوكاني (١٤١)، الجامع الوجيز ـ خ، التقصار (٢٦٤)، الأعلام (١/ ٤٨)، مصادر الفكر الإسلامي.

الأكابر، وكان سهل الجناب لين الخطاب كثير الحياء، محباً للخير صابراً على تعليم الطالب، منافساً في التفهيم ضارباً صفحاً عن الأخبار التاريخية، أكثر مجالسه مذاكرة العلم، سهلاً منقاداً صدراً في الاعلام مشاراً إليه بالبنان. وعنه أخذ رفيقنا العلامة إبراهيم بن عبد الله الحوثي وإبراهيم بن محمد يحيى وعبد الرحمٰن البهكلي، ومحمد بن أحمد مشحم ويحيى بن المطهر، وحسين بن محمد العنسي ومحمد بن علي العمراني ومحسن بن عبد الكريم بن أحمد بن إسحاق والوزير العلامة الحسن بن علي حنش مع مرافقتي له في شرح الغاية وحاشيتها، وعنه أخذنا صحيح أبي عبد الله البخاري بكماله، وأسمعت عليه منفرداً سنن أبي داود سليمان بن الأشعث، وعنه خلق لا يحصون من أهل الجبال والتهائم.

وقد كاتبه الجلة من البلدان الشاسعة، وله مؤلفات صغيرة[١]، منها فتح المنان في حكم بيان الختان. ومنها كشف المحجوب عن صحة الحج بمال مغصوب، والقول القَيِّم في حكم تلوم المتيمم، وأنباه الأنباه في حكم الطلاق المعلق بأن شاء الله، وإبانة المقال في حكم التأديب بالمال، وكان قد وضع حاشية على ضوء النهار، ولم تبرز. وله شعر رائق سَهِل عذبٌ قليل، فمنه ما أجاب به على الحافظ الأستاذ عبد الله بن محمد الأمير قال:

زارت فـوافـت بـالحِمَـى مكمـدَا	مبلبـل الأشـواق يشكـو الصَّـدَا
عقيلـةٌ لـو أن لـي قـدرةً	فرشـت مـن عينـي لهـا الأسـودَا
جـاءت إلينـا مـن قصـور العُـلا	فصـار لـي دهـري بهـا مُسعِـدَا
تنفـثُ بـالسحـر ولكنّهـا	قـد أرشـدتنـا لطـريـق الهُـدَا
وافَـت إلـى ريعـي نهـاراً فلـن	تجعـلَ عنـدي لليـالـي يَـدَا
كـأنـه حيـن بـدت شمسُـه	عـرّض لعبـد الله عـالـي المَـدَا
مجتهـد العصـر ونضّـاره	ومَـن لأركـان الهُـدَى شَيّـدَا
العـالـم المِفضـال مَـن زُيِنَـت	علـومـه المتهـم والمنجـدا
وسيّـد العتـرة فـي وقتـه	ومَـن بـه التعليـم والاقتـدا
مَـن فـاخَـرت صنعـاء بِـه غيـرهـا	لـذاك يُـدعَـى فـي المَـلاَ أوحَـدَا
يـا قمـر العلـم الـذي نـوره	يجلـو ظـلام الجهـل لمَّـا بَـدَا
شـرّفتنـي إذ جـاء مـن عنـدكـم	عقـدٌ مـن الـدر غَـدَى مُفْـرِدَا
قلـدتنـي منـهُ بمـا زانَنِـي	فـأعجـب لمـن قُلِـد قـد قَلّـدَا

---

(١) انظر: قائمة مؤلفاته مع أماكن تواجدها في كتاب الأستاذ عبد السلام الوجيه: أعلام المؤلفين الزيدية ص (٥٢).

وإننـــي والله أولـــى بـــأن أطلـب منـك العـذر بـادي بَـدَا
فـي حقكـم لا يمتـري عـاقـلٌ وحبّكـم فـي القلـب قـد أكّـدَا
فكيـف لا أقصـدكـمُ لاثمـاً لكفـك الطـاهـر بحـر النّـدا
وانـك الكعبـةُ للعلـم والكعبـةُ لا بـد وأن تُقصـدا
والله يبقيـك لنـا سـالمـاً تغيـظ أهـل الـزيـغ والاعتـدا
فـي نعمـةٍ ليـس لهـا غـايـةْ مـوفقـاً فـي الختـمِ والابتِـدَا

وكان كثيراً ما يطرح المسألة على الأعلام، وقد بَوّب البخاري باب طرح الإمام المسألة، فمما طرحه بموقف فيه عالم من الأعيان، أن قال: ما الفائدة في الاستثناء المنقطع؟ فتكلموا في حده وما قيل فيه ولم يتفقوا على فائدته، فقال: فائده: رفع المجاز والاذعان لشمول العموم لكل فردٍ فرد فقولك جاء القوم إلا حماراً، يفيد شمول العموم للإفراد وأنه لو قدّر أنه تخلف منهم أحَد لما كان إلا الحمار على أنه ليس منهم بخلاف المتّصل فإنه مبين لمجاز العموم.

ومما طرحه بموقف آخر، أن قال: ما الفرق بين التأكيد والإتباع فإن التأكيد والإتباع مثل قولك جاء القوم أجمعون، والإتباع كقولك حسن بسن. فحاروا في ذلك، فقال: التأكيد ينفي احتمال المجاز مع التقوية، ولا يكون على زنة المتبوع، والتابع يكون على الزنة ولا يفيد سوى التقوية، وقد يكون الإتباع بمعنى الأول فيكون مؤكداً، وقد يكون معنى التابع غير المتبوع، قال: ومن الأول: جديدٌ قشيبٌ فهما بمعنى واحد، ولا يختلفان مفهوماً، ومثل: قسيمٌ ونسيمٌ فإنهما بمعنى الجهل. ومن الثاني قولهم عطشان نطشان، أي قلق فمعنى نطشان غير معنى عطشان، ومثل شيطان لَيطان أي لصوق للناس، من قولهم لاط فلان بفلان أي لصق به ولاط حبّه بقلبي، قال: وربما جاء للتتميم، مثل حسن بسن فإن معناه حسن كامل الحسن.

قال: ومن الإتباع ما لا يُفرد كما في قولهم: خبيث نبيث، الذي ينبث شره أي يستخرجه. وسائغ لايغ وكثير بثير وحقير نقير. ومن الإتباع ما يُفرد كما في قولهم غِني مَلِي وفقير وَقير وخائب هايب وخفيف ذفيف أي سريع. قال: وأما حيّاك الله وبياك، فإن العطف يقتضي التغاير على أنَّ آدم سأل عن بيّاك فقيل له: أضحكك. ويقدم كلام في الإتباع بترجمة يحيى بن الحسن بن إسحاق أول الكتاب.

وسأله بعض الناس عن العلوم المحمودة وأيّها الأجل؟ فقال النافع في دنياك وآخرتك، فقال السائل: كلها نافعة؟ فقال: معاذ الله تعالى، وكَتَب إليه كتاباً يحذره من تضييع العمر فيها وقال آخره:

وما جاء من علمٍ يخالف ما أتَى عن الله من أصل الشريعة والفرع
فذاك ضلال ليس يرضاهُ غيرَ من يرى أنه يستبدل الضُرّ بالنفعَ
وعلمٌ أتَى من غير مشكاة أحمدٍ فأصحابه في ظلمة الجهل بالقَطعَ
نقِسه إذا اخترنا القياس طريقة بزايفٍ فليس وجهه عدَم النَّفع
وما كل قول صادق عن إصابةٍ فيسلم عن إيراد نقضٍ وعَن مَنْع
فخذ منه واترك بالظنون كثيرة وما كل قوسٍ صادق السهم في الوقع
فلا علم ألا ما أتانا عن الذي أتىٰ رحمةً يهدي إلى السنن الشرعيَ

[علي بن محمد الكبسي]

وفيها:[1] يوم السبت سادس عشر شهر رمضان، علي بن محمد بن حسين المراجل[2] رسول الإمام إلى سعود وابن أمير حاج اليمن، عن خمسٍ وثلاثين سنة.

[زيد الفضلي]

وفيها: يوم الأربعاء عشرين شهر رمضان، زيد بن عبد الرحمٰن الفضلي القاضي بصنعاء، وكان أجل الفاصلين لو ساعده الزمان.

[أبو الطحاطح المطهر بن حسن الصعدي]

وفيها: في شهر رمضان مُطهّر بن الحسن الصعدي المعروف بأبي الطحاطح[3] النازل ببير العزب الشاعر المفلق. مولده بصعده آخر نهار الجمعة عاشر رجب عام ست وستين ومائة وألف، ونسبه في نسب الآل معروف فهو مطهر بن حسن بن مهدى بن محمد بن صلاح بن محمد صلاح بن محمد بن صلاح بن الحسن بن جبريل بن يحيى بن محمد بن سليمان بن أحمد بن الإمام الداعي[4] كذا نسب نفسه، وبصعدة نشأ، وتخرج هنالك بأعلامها. حدثني أنه نظم الشعر قبل البلوغ وهو بالمكتب لسبب اقتضَى ذلك وهو أن معلّمه كان يقدم صبيان أهل الثروة ويؤخره فوجد من ذلك فكتبَ في

---

(١) سنة (١٢٢٣هـ).

(٢) نيل الوطر (٢/ ١٥٧)، وقد سبق الحديث عنه في أخبار سنة (١٢٢٢هـ)، وأنه أنفذه المنصور في خامس عشر صفر سنة (١٢٢٢هـ).
بكتب إلى حضرة سعود النجدي يشرح له بعض الحال وما صنع الشريف حمود بن محمد بتهامة وكيف صادر الرعايا بالقتال.

(٣) نيل الوطر (٢/ ٣٥٨).

(٤) هو الإمام يحيى بن المحسن بن محفوظ بن محمد بن يحيى بن يحيى بن الناصر بن الحسن بن عبد الله بن محمد بن القاسم بن أحمد بن يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب. ذلك كمال تدريج النسب.

لوحه الخشب إلى المعلم.

قـــدمـــــت أولاد الغنـــــا وتـــركتنـــي فيهـــم أخيَـــرا
والله لا أفلحـــــتَ حيـــن رأيتنـــي فيهـــم حقيـــرًا

فلما رآها المعلم خاف لسانه فقدمه عليهم، وما زال في حال التعلم حتى بلغ رشده، وحفظ القرآن من المصحف، وانتقل إلى جامع الهادي يحيى بن الحسين عليه السلام، لتحصيل علم فرائض الإسلام، فقرأ الفروع الزيدية، وحقق ونَقَم على جماعات كان يسمعهم يهتفون بالأموات، فانتهره شيخاه لم أدر مَنْ هُمَا من آل بَهْران وقالا له: لا بأس بذلك فإن الله سبحانه ينفعنا بسرهم، فقال: لِعل سرهم لا ينفعهم فكيف ينفعكم، أو مـــا قـــرأتـــم ﴿ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾[1] ﴿فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا﴾[2] ﴿فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾[3] فأغاضتهما الحجة، فقالوا: جاهل، وما علموا أنهم أحق برسم الجهل، فبعدّاه عن موقفهما فكتب إليهما:

أوُلـــى النهـــى ليســـت العلـــوم إلا لمـــــن قلبُــــهُ سليـــــمُ
فـــالغـــل بيـــن الأنـــام لـــومٌ وحملـــه فـــي الأنـــام شُـــومُ
إن تحســـدانـــي فقـــد حَبَـــانـــي بـــالعلـــم ربُّ السّمـــاء العليـــمُ

ثم صرح بذلك المذهب بين ظهرانيهم ونابذهم وعاداهم، ثم سار عن صعدة عام تسعة وثمانين ومائة وألف إلى صنعاء، ففعل قصيدة يمتدح بها إمام العصر المنصور مهنئاً له بالخلافة، فطاب له مسكنها، فاتخذها دار وطن، وراح عنها إلى صعدة وعاد فمال إلى طريقة السالكين، فتروّض وتخلَى حتى فعلت به الرياضات وفعلت، وتبينت له الخفيات وظهرت، فتحدث بأنه المُنتَظر المشار إليه في أحاديث سيد البشر ﷺ، في الآصال والبُكَر، واشتغل بعلم الملاحم، فحدّث أنه وجد بها وصفه بالمنتظر القائم، حتى كتب في الرسائل والخطب لقبه الهادي الداعي إلى دين الله، وحدّث أن أباه الحسن رأى النبي ﷺ قبل ولادته بثلاثة أشهر وهو يقول له: إذا جاء لك ولد فماذا تسميه؟ فقال: بأسمك محمد. فقال لا بل هو المطهِّر بكسر الهاء. وإلى تلك الرؤيا أشار بقوله:

أنـــا المطهـــر مـــن تعلـــو بـــه الهمـــمُ ومَـــن بـــه يعـــرف الإكـــرام والكـــرَمُ
أنـــا سلالـــة يحيـــى بـــن المحسّـــن مـــن ســـارت بـــأخبـــاره الأعـــرابُ والعجـــم
فصرت أقفو القوافي في أثرهم عجلا فيلتقـــي عنـــدهـــا الحـــافـــور والقـــدم

---

(١) سورة الإسراء، الآية (٦٧).
(٢) سورة الجن، الآية (١٨).
(٣) سورة الشعراء، الآية (٢١٣).

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي ... وأسمعت كلماتي من به صمم
أنا المطهر سمّاني النبي أبي ... وفي السماية سمّوني وتلك سُمُو

ولما استطالت رياضته، حدث أنه يأتيه جبريل عليه السلام وملك اسمه رؤقائيل تارة وروحانيةٌ آخرون، وأنه ينشق لهم حائط منزله فيدخلون فيراهم عياناً، وأكثر ما يأتونه وهو بين النوم واليقظة وربما جاؤه في أقبح صورة، فيقسم عليهم أن لا يعودوا إليه بها، فيأتونه كأجمل ما يكون ويسمونه بالمهدي المنتظر، وقد أورد عليه بأن المهدي المنتظر اسمه محمد بن عبد الله فيقول: نعم وهو أنا كما أشار إلى ذلك علم الجفر، وفي ذلك قولي:

أسلطان عز الله قام بنا العِزُّ ... على رغم أنف الحاسدين ومن يهزُ
أنا الهادي الداعي المطهر من دعا ... إلى الله لما جاء في جفره الرمزُ
تطيع لي الأقطار شرقاً ومغرباً ... ونجداً وشاماً والتهائم والحجزُ
وأملك مَن في الأرض إنساً وجنة ... بأمر إلهي من له الملك والعز
وأدعو إلى الدين الحنيف ونصره ... ونصر إمام لن يشاب به العجزُ
وانصره بالسمر والبيض والقنا ... فيكثر في أعدائه الضرب والوخز
أنا الهادي المهدي والملك الذي ... به الدين والمجد المؤثل يعتز
أنا ناصر الإسلام بالله عاجلا ... سريعاً بإذن الله قد صدق الرجز

وفي هذا كما ترى علمه بأن الناس مستهزئون به، وسألته عن قوله وأدعو إلى الدين الحنيف ونصره ونصر إمامٍ، والبيت الذي بعده إلى مَن يعود الضمير؟ فقال لي: هذا لسان العرب هكذا وقد سمعتهم يذكرون شيئاً مثل هذا يقولون له التجريد فهو مثل قول أبي الطيب: (لا خيل عندك تهديها ولا مال) البيت، وقال: فهو يعود الضمير إليَّ وَعَليَّ.

ولمّا قدم عام الدعوة المنصورية أقام بصنعاء تسعة أشهر، ثم عاد بلاده فلم يطب له بها البقاء، لأمور منها عدم الارتزاق الذي تهيَّأ له بصنعاء، ومنها أنه وجد والده يدعو الناس إليه، ويقول أنه هو المهدي المنتظر، فتنازعا تلك الدعوة فلم يسعه إلا الارتحال إلى صنعاء لعدم المعارض له بها، وقد كان أبوه يخرج على حمارٍ صغير قصير فيلتمس عسكراً يمر به ليتبَع من خلفه على حماره فيظن الرآئي له أنه قائد ذلك العسكر.

ولمّا نزل بصنعاء اتخذها دار وطن، ولَذّ له بها السكون فنزل بالبونيه[1] من بير

(١) البَوْنيه: من أحياء مدينة صنعاء. وهي اليوم في جنوب قاع العلفي، قريب من المستشفى الجمهوري.

العزب، فنظم بها المستجاد من الأشعار، وافتض من خرائد معاني الأفكار الأبكار، واشتهر في الأدباء أي اشتهار.

وطار ما بين أهل النظم صيته بسليقة صادقة وفكرة سابقة، لا يدانيه في الارتجال أحد من الرجال، ولا يتلعثم عند الاقتراح عليه بحال، مع أنه لم يعرف العربية، ولا شارف على شيء من معارفها الظاهرة والخفية، لذا تعثَّر النُقّاد على مجال في شعره للانتقاد، مع قلة ذلك في شعره، ومع هذا فلا يكترث بمن لحنه بل، ينصت عند ذلك، ويبدله بأجود وأجود. وحدّث أنه لا يحسن النظم، وأنه إنما يأتيه روحاني يُسمى أبو الطحاطح. وبذا كان يكنى.

وكان بخيلاً جماعاً للمال، مبتذلاً في ملبوسه وعيشته، يأخذ من الغنم المذبوحة الرأس، ويقول: أنه كثير الفوائد، ولا يقدر أحد من الجزارين أن يخونك فيه، وبه العيون والآذان، والغلاصم واللسان، واللهات وما حول القرن، وفيه الدماغ وهو ألذّ ما فيه، وبه العظام اللطيفة، المطبقة على اللحم الخفيف اللطيف. وكان لا يسلخ رأس الكبش، وإنما يلقيه في النار حتى يذهب الشعر، ثم يلقيه في القدر وينضجه وكان قليل المبالاة بحفظ ناموس الأدب، فيقف مع الصبيان والعوام بقارعة الطريق، ويقوم على حلق المشعبذين واللاعبين بالقرود وغيرهم، وكان إذا رأى صبيَّة جميلة مال إليها، وسألها عن أهلها، ثم يعشقها ويشبب بها، وهذا دأبه. وكان يعتم بالعمامة، فتبقى الدهر الطويل على حالها، لا تنقض حتى تسود، وتنقطع مما يلي رأسه، ويعلوها الوسخ وربما رمت الطيور عليها ذرقها. ويلبس القميص فيمر به العام متسخاً لا يحدث نفسه بغسله، ثم يتمخّط في أكمامه فيزدريه رائيه. ولم يمل إلى الزواج أو التسري، وكان يجمع من كتب الكيمياء والسيمياء ويطالعها ويجزم بما فيها وأنها بأيسر مباشرة تكون له منفعلة، وقد عُدَّ في فحول الشعراء ومجيديهم. وله ولع شديد بمن نظم ونثر.

وَرَد عليَّ زائراً مستنشداً لبعض أشعاري فأملتيه شيئاً منها، فقال لي: أنت خطيب الشعراء ثم قال: قد قلت فيك قصيدة ـ وأملاني قصيدة تامة، أحفظ منها صدرها وهو:

اسكتَّني يا باشة الشُعراء ... بفصاحةٍ فاقت على البُلغاءِ
يا من حوَى ذات الكمال بذاتِه ... وعَلاَ على الكرماءِ والخطباءِ

ثم رمى نفسه بالعيّ والنهاهة، وقال: من ألان لا أعدّ نفسي شيئاً، وتضاءل، وتصاغر مع أني أمليته شعراً دون شعره، وكان يحب المعارضة للسابقين في مخترعاتهم، ويتتبع الغرائب في براعاتهم، أنشده بعض الناس بيتي الأصمعي:

إذا بارك الله في ملبسٍ ... فلا بارك الله في البُرقعِ

فمنـــه تـــريـــك عيـــون المهـــا ويكشـــف عـــن منظـــرٍ أشنـــعِ

فاشتغل بهذا المعنى ولزم الطرقات أو يرَى مبرقعة فوقعت عينه بعد شهور على صبيّة من آل الأكوع مبرقعة، فأنشد مرتجلاً:

أسـرت فـؤادي مقلـة مـن بـرقـع ومضـت ومـا غمضـت عيـون تـولعـي
ودَعَتـهُ فـي بحـر الغـرام فقـال مَـن؟ قـالـوا فتـاة مـن بنـات الأكـوع

قال: وفي قولنا ومَضَت من التورية أمّا من الوميض أو المضي. وله في الغزل باع طويل، ومنه من محاسن شعره وأفانين سحره:

بـالأعيـن النجـل التـي لحظـاتهـا كَسَـرتْ قلـوبـاً فـي الهـوى كَسَـراتهـا
آليـت مـا بيـض الظبـاء بنُجَّـل أبـداً ولـم يَـكُ للظبـاء فتكـاتُهَـا
مـا خلـت أعظـم فتنـةٍ لـذوي النهَـىَ مـن مقلـةٍ تصمـي القلـوب رمـاتهـا
تصطـاد ألبـاب القلـوب[1] ببـاتـرٍ مـن فـاتـر فتهـم بـي مـرضـاتهـا

وله مقطع غزلي بديع مُضَمَّن بيتاً حسناً:

هَتَـفَ القلـب يـا غـزالـة جـودي فلقـد أتلـف الغـرام وجـودي
ذبْـت وجـداً مـن الغـرام فـلا صَبْـرَ علـى حـرّ نـار ذات الـوقـود
كـم قتيـلٍ كمـا قتلـتُ شهيـد ببيـاض الطلـى وورد الخـدود

وله متغزِلاً من قصيدة غالبها الجودة:

بـدا محيـاهُ أم شمـسٌ وأقمـارُ فـي جنتـي خـده مـاءٌ وأنهـارُ
وردي خـدٍ تُغيـر البـدر طلعتـهُ وثغـره بـارق واللحـظ بَتّـارُ

وله من قصيدة مخمّسة يعارض بها ابن أبـي الشمال:

مُكْعَبَـة النهـد عـريـضٌ صـدرهـا مُـدْعَجـة العيـن صغيـرٌ ثغـرهـا
طـويلـة العنـق دقيـق خصـرهـا كـأنهـا البـدر وذاك عمـرهـا
مـن ليلـة الميـلاد خمـس عشـر

وله مشيراً إلى نزاهته ونجابته من قصيدة غراء هذى:

ولقـد أقـول لهـا وقـد خـافـت مـرا وَدَتـي أنـا السنـي لسـتُ بـرافِضـي
لا أشتهـي المخصـوص منـك وإنمـا أملِـيْ أقَبِّـل لـؤلـؤاً فـي وَامِـضِ

---

(١) في «أ»: ألباب الأسود.

وله من قصيدة لم يُنسج على منوالها:

أقسَــم القلــب[1] وأكَّــد قسمَــهْ ... بحســـام اللحـــظ لمَّـــا قَسَمَـــه
انّـــه أورَى غـــرامـــاً جـــائـــراً ... فـي الحشـا قـد شـبَّ نـار الحُطَمَـه
وأعــاد القلــب خلــواً فــي الهــوَى ... ودمـــوع العيـــن مـــن قلبـــي دمـــه
مـــن غـــزال فـــاق نـــوراً وسنـــاً ... كـلّ مـن فـي الكـون مـن ذا حتَّمـه[2]
مـــا محيـــا البـدر والشمـس سِـوى ... أو همـــا طيـــف خيـــالٍ أوهمـــه

وله في فن الهوَى والغرام أخبار حسان، وفي طبعه رقة ولطافة لولا ما أدركه من فرط الحدة. وقد قصد الأشراف آل شمس الدين إلى حصن كوكبان، وحدّث عنه وعنهم بماجريات يطول بنا نقلها لا حاجة إليها، ومدح الصارم إبراهيم بن محمد وذم منهم جماعات بعد مديحهم، وهو كثير التلون في القضايا يمدح ويهجو[3] في حين واحد، ولا يرَى على نفسه شيئاً من نسبة التناقض. يَقْصُر عند هجوه ابن حجاج، ويحجم عند معارضته الماهر في اللجاج، لم أر في الأيام من أدركته حرفة الأدب المحقق سواه فإنه صفر اليدين، يسعى بِجدّه فيرجع بخفي حنين، رَثّ الهيئة متسخ الثياب، فراشه التراب، ومنزله مرتاد الهوام والذباب، إذا وافىٰ المجالس كان إنسها، وإذا ذكرت الفصاحَة كان أدبه نفسها، يسترسِل في الكلام، ويطيل من أملا محاسن النظام، يضحك الجليس، ويروّح الأنيس. له لسان طلق، حلو الإملاء، كثير النوادر، جم النظائر، يخرج من القضية إلى أختها، وإلى نقيضتها إلى ما لا نهاية له. ما وَقَف على شيء إلا حفظه، فإذا أملاه لا يكاد يخطي في نسْقِهِ مع سرعةٍ وانحدار، ومن مديحه قوله في العباس بن إبراهيم بن محمد وهو بكوكبان:

هـــذا الهمـــامُ المـــاجـــدُ العبـــاسُ ... هـــذا سَنَـــام الـــدِّيـــن هـــذا الـــراسُ
هـذا ابـن إبـراهيـم أكـرم مـن نشـا ... هـــذا بِـــه أَعْـــلا الكِـــرام يُقـــاسُ

فتأخرت جائزته عن هذه القصيدة، فعاد مناقضاً لها بالهجو فما أحسن وقال:

عبـاس عينـك بـالتسـاهـي غـامِضَـهْ ... وسيـوف هجـوي مـاضيـاتٌ وامِضَـهْ
أَتظُـنّ أنـي عـاجـزٌ عـن هجـوكـم ... وجيـوش شعـري رافعـات خـافضـه
بـاروت طبعـي فـي بنـادق حِـدّتـي ... ورصـاص هجـوي قـاتـلاتٌ قـارضـه

---

(١) في «ب»: أقسم الحبّ.
(٢) في «ب»: من ذا جَسَّمه.
(٣) في «ب»: ويذم.

ما عرضكم إلى النَشانِ لوقعها فإذا إذا وقعت أعدت الخافضه
فأجز وأنجز وأعط نفسي سؤلها ما دام أُسْدُ الهجو عنكم رابضَه
فشياة عرضك عند ذيب فصاحتي لا يستطيع لها الجميع مداحضَه
ألاَ بجودٍ زاخرٍ متلاطمٍ ومكارمٍ في طولها متعارضه

ولمكارم أخلاق العباس بن إبراهيم لم يلُمْه، ولم يحرمْهُ، بل أعطاه فأنعم وزاده فيما به تكرّم، فاستحيىٰ، وأنشد قصيدة يمتدحه يقول فيها:

عباس أنت الجود والاخصابُ والآخرون وجودهم إجدابُ

وطعَن عليه في الشعر جماعة من آل شمس الدين، فقال مرتجلاً بحضرتهم:

قوافي الشعر ترتدفُ ارتدافاً فَلاَ تخشى عَليَّ ولن تخافا
فإني أفصح الفصحاء جميعاً وأغزرهم لمن شاء اغترافا
وإني سَاءني تمجيد شخصٍ أَرَى إعظامَهُ جِيَفاً تَجَافَى

قال: ثم زجرني أبو الطحاطح وغيَّر القافية ليريهم قوة الساعد، فقال:

بحور الشعر من كل القوافي ترادف ظاهرٌ منها وخافِي
فيا نفس المطهر لا تخافِي فأني في الفصاحة بحر قافِ

فقال العلامة علي بن محمد بن أحمد صاحب الدار المرجلة: دعوهُ فقد أراكم سرعة بادرته وأخاف عليكم منه ما تحاذرون من شؤم إشاعته، فسكت عنهم ولمَّا أراد المسير من حضرتهم بعد أن أعطوه بعض مرامه همَّ بالدخول عليهم للغداء يوم مسيره فمنعه الحاجب، فكتب إليهم هذين البيتين، وأرسلهما مع رفيقه وهما:

أحرمتموني إذ حججت إليكمُ قبل الطواف وقبل ما أتمتعُ
ما كان قُرصْ أخي وقُرْصي زَائداً في ملككم أو هو يضرُّ وينفعُ

وما زال منقطعاً إلى المنصور مادحاً له، وله فيه قصائد عديدة منها:

أيا شمس مجدٍ في الكمال هو البدرُ وبَرٌ كريمٌ في النوال هو البحرُ
عليك سلام الله ما هبَّت الصبا وما غنت الورقاء وما همل القطر

وكان المنصور يبعث إليه بالهدايا والجوائز، وأنه كساهُ مرّةً حُلَلاً ما كساها وزيرَهُ الأعظم وقد كان يجود بالنفائس، وكان سيف الإسلام أحمد بن الإمام يدنيه من منزله للتعجب على طُرفَه، وكان ينزل إلى موقف سيف الإسلام شهر رمضان كله، ومن ممادحه فيه:

يا صفوة الأمجاد في مجده   يا من علا مجداً على كل عال
لا زلت في خيرٍ وفي نعمةٍ   فأنت للمجد كمال الكمال
أنا المحب الداعي المنتظِر   جوابك الفيّاض بحر النوال
انجز وبادر يا صفي الهُدَى   فكم وكم طال عليّ المطال
واسْلَم ودُمْ يابن إمام العُلَى   يا أمجد الأمجاد فيما يُقال

وله يمتدح الوزير العلامة الحسن بن علي حنش من قصيدة مطلعها:

إلى غرة الأمجاد في غرة الزَمن   إلى شرف الإسلام والماجد الحَسَنْ

وسأل الوزير يوماً أن يكسوه وشكى شدة في البرد، فتأخر عنه جواب الوزير، فكتب إليه:

يا أحسن الناس اسماً   ومَن إذا قال أعطَى
أنت الذي لست ترضىٰ   رَدِّي إذا جئت قَطّا
وما نسيت ولكن   أبطا جوابك أبطا
وإن نسيت لشغلٍ   فاعقِد بفهمك خَيْطا

وقال بعد هذا: ولا يخفاكم أن النبي ﷺ كان يعقد الخيط في إصبعه لئلا يَنسى. قال المؤلف غفر الله له: صدق فهو مما رواه أبو يعلى عن عبد الله بن عُمران النبي ﷺ كان إذا خاف أن ينسَى الحاجة، ربط في إصبعه خيطاً ليذكرها. وله قصيدة يمتدح الإمام المنصور بها لمّا نصّب للشريعة بديوانه القاضي العلاّمة البدر محمد بن علي الشوكاني، تقدمت في ترجمته. وله في النقض والتهجين على من أحب الدّعَة أشعار طائلة كثيرة من مستجادها قوله:

لا تحسبن المجد أكل عصيدةٍ   وسماط فالوذٍ وفت ثريدةِ
أوْ نَوبة تشدو بترجيع الغنا   أو لعبة بصوافنٍ وجريدةِ
ما المجد إلاّ الصبر في يوم الوغَى   ونوال مالٍ والسنين شديدة
وبهمَّة تسمو على هام العُلا   بالعزم والإقدام وهي مفيدةِ
تتفاضل الأمجاد في حركاتها   وإذا توقّت في الجهاد شهيده
بالعزم والإقدام يكتب رفعةً   حقاً وآراء الكرام رَشِيدَةِ

وقد قدمنا أنه سلك طريقة السالكين، فمن شعره المشير إلى ذلك قوله:

فؤادي في غرامك في نواحي   وغيري في البكاء وفي النواح
إذا سكر الأنام بخمر حُبٍ   لغير الله عنه بتّ صاحي

وإن هاموا بلوعة كل مجدٍ ... بجدّهمو عدلتُ إلى المزاح
فما وجدي ولوعاتي وشوقي ... وحبي في الصبابة للملاح
سوى للذكر ذكر حبيب قلبي ... إلٰهي فهو ريحاني وراحي
حبيب لا يقاس به حبيبٌ ... يعين على الهداية والصلاحِ
هو الحيُّ الذي أحيْا وحيًّا ... هو القيومُ قام به ارتياحي
به أدعوه يغفر لي ذنوبي ... فأظفر بالمُنَى قبل الصباحِ

وله في الشعر الملحون يدٌ طولى، وقد تركنا للاختصار كثيراً من أخباره والأشعار.

[عبد الله بن عامر الهَبَل]

وفيها: يوم الخميس أحد وعشرين شهر رمضان، عبد الله بن عامر بن أحمد بن زيد الهبل، بالروضة.

[علي بن أحمد بن حسين المغربي]

وفيها:[1] يوم الثلوث ثالث شوال، علي بن أحمد بن حسين المغربي[2]، كان زاهداً فاضلاً مشغولاً بالعلم، لم ينطق ابتداءً إلا لضرورة. لا يدع الصلاة في جماعة، يلازم جامع صنعاء[3] ليله ونهاره.

[إبراهيم بن عبد الله الحوثي]

وفيها: يوم الأحد ثامن شوال، رفيقنا إبراهيم بن عبد الله الحوثي[4] العلامة الفهامة الهاشمي الحمزي الحسيني، من بيت العلم والفضل المشار إليهم، المجتهد المطلق. مولده بصنعاء سنة اثنتين وتسعين ومائة وألف، نشأ في حجر أبيه فغذّاه لبان المعارف فأقبل بفهم صادق، ورغوب. كامل، فأدرك. حقق العربية بجميع أنواعها،

---

(١) سنة (١٢٢٣هـ).

(٢) نيل الوطر (٢/١١٨) عن هذا النص. وزاد: طريقته كطريقة أخيه الحسين بن أحمد المتوفى ثاني القعدة سنة (١٢٢٣هـ).

(٣) الجامع الكبير.

(٤) نيل الوطر (١/١٧)، البدر الطالع ص (٣٩)، هِجر العلم (١/٥١٦)، أعلام المؤلفين الزيدية ـ ومنه: شعراء اليمن الترجمة (٢٩) ص (١٢٢)، معجم المؤلفين (١/٥٢)، مصادر الفكر الإسلامي، المؤرخون اليمنيون في العصر الحديث للعمري (٨٤ ـ ٨٦)، طبق الحلوى في تاريخ اليمن، هامش (٣٣)، مصادر أيمن السيد (٢٨٦ ـ ٢٨٧)، فرجة الهموم ط (٢)، ص التقصار ص (٢٦٤)، بغية الأماني والأمل خ.

فأخذ عن عدة من مشايخنا كالقسم بن يحيى الخولاني في شرح الغاية، وعن رفيقنا إبراهيم بن محمد يحيى في المعاني والبيان والصرف، وعن شيخنا علي بن عبد الله الجلال في عدّة فنون. ورافقنا في سماع الحديث وغيره على شيخنا الأستاذ علي بن إبراهيم بن عامر، وعن الأستاذ عبد القادر سماعاً مع غيره، وانقطع بآخرة إلى شيخنا إبراهيم بن عبد القادر ولم يُفضِّل عليه أحداً من الناس. وقد طالع كلام الحكماء اليونانيين فحفظ أقاويلهم وناظر بها واحتج عليها وقطع في تحصيلها الدهر الطويل، وتولّى التدريس بالجامع أياماً قلائل ما رأيت أحداً يلقي الدروس مثله، ما أذكره إلا وصغر في عيني كثير من الأعيان، ولقد تأملت محاسنه وفكّرت في سعة محفوظه مرّة وقلت: هذا رجل عاش مدة خلافة المنصور بل لم يبلغ منتهاها ولا عرف من الزمان مبداها، وأدرك بفهمه ما أدرك من علوم الأوائل، وأعجب منه، وأقول سبحان الفاتح الذي لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع ولولا أنه كان حريصاً على الولايات سائلاً لها مستشرفاً لما قدمت عليه أحداً من فضلاء عصره، وابتلىٰ بالنقم على الأعيان والتلميح المحرق، وكان له إدراك في علم الفلك يسير، ومشارفة على الاسطرلاب بالفهم، ومعرفة لِعلم اليونانيين كل ذلك تفهماً لا عن شيخ،

وكان كثيراً ما يلهج بطريقة المشائين والاشراقيين، وقد ناظر اليهود وباحثهم، ولم يجادلهم إلا بالتي هي أحسن، وكان كثيراً ما يسأل الفروعي عن الأصول فيهجّن عليه، ويسأل الأصولي عن الفروع ويهجّن عليه، ويسأل هذا بالمواقف العامة عما لا يعلم. وبهذا عابه الأكثر، ومما كتبه إليّ ملغزاً أيام صباه:

يـــا بـــدر دُمــت طـــالعـــاً ... تكشـــف ديجـــور العشـــا
إنـــي رأيـــت قـــاعـــداً ... غـــازلـــه المـــوت مَشَـــا
ومـــا مشَـــى قـــط فهـــل ... تـــدلـــي لتســـآلـــي رشـــا

فأجبته بقولي:

يـــا بـــدر فـــي العليـــا نشـــا ... بـــالطـــرف والقلـــب مَشَـــا
كـــاتبـــت مَـــن إن ســـف مَـــن ... راح البـــلاغـــة انتشـــا
فهـــو علـــى الـــرق وان ... كـــاتبتـــه مُخـــرمِشـــا
إن كثـــرت مـــاشيـــةُ الشخـ ... ـــص فقـــل لـــه مَشـــا

وما أدري في قول الله تعالى: ﴿أَنِ ٱمْشُواْ وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ﴾[1] دعاء لهم بكثرة الماشية وزيادتها ـ أم لا؟ يُنظر.

---

(١) سورة ص، الآية (٦).

وكانت بيني وبينه إلفة ومحبة، حتى رآني وقد كتبت أبياتاً مرتجلة بحضرة الصارم إبراهيم بن عبد القادر، وهي أول ما قلته فتنكرت طباعه وجرَى منه ما ذكرناه في كتابنا ديباج كسرا. وكان رحمه الله تعالى شغفاً بالرّد لأقاويل من لم يصحبه، وهو معذور، إذ كان ذلك لشرهِ الشباب مع فهم يشتعل ذكاءً. وقد خبط في اشيا، وجازف مجازفةً أوقعته في اغتياب الآخرين لهو الله يغفر لنا وله.

وكان في حفظه للقواعد المؤصّلة آيةً باهرة.

ورحل عن صنعاء بكتابه الذي رصفه على التراجم المُسمّى «نفحة العنبر»[1] إلى حصن كوكبان، فتلقّاه أهلها بالفضل والإحسان، وتنقل في دورهم ومنتزهاتهم، ورغب فيهم كمال الرغوب، ونظروا لَهُ مَحلاً، وأعظموه إعظاماً تاماً وراح عنهم،

وكان رحمه الله تعالى محباً للاجتماع طروباً يستنشد الشعر ممَّن يصوغ له لحناً، اشتغل بكثير من المنشدين. وفي طبِعه لطف ورِقّة وسلاسة، وقد أخذ عنه عدة. وله مع القاضي عبد الرحمٰن بن يحيى الانسي وقفَة، شغلت القاضي ودلهته به، فكتب إلى المترجَم له عام سبع عشرة[2]:

بيْنـايَ انظـر دهـري عـاطـلاً تَفِـلاً ... إذا بـه ذو بَصيـصٍ حليُـه أَرِجُ
بجـامـع العلـم إبـراهيـم إن سُبْلـهُ ... إلـى كـل علـمٍ واسـع نهـج
وقـد تـوقّـل منـه ذروةً بـذخـت ... بحيـث بـازغـة المـريـخ تنتهـج
وكـان منـه مـع الاكفـاء فـي درج ... إن لـم تصلهـا فـلا تجتـازهـا دَرجُ
أمّـا ذكـاهُ وَوُسْعَـى حـافظيّتـه ... فـالفـرد ليـس لـه كفـوٌ فيـزدوج
ولا أرى كـابـن عبـد الله عـارضـةً ... قـويّـة تفـرج الضِيْقـا فتنفـرج
لقـد جلبـت إليـه يـوم ذي عـرضٍ ... فغـرقتنـي مـن دامـائـه الخُلَـجُ
ودارستنـي علـومـاً جمّـة أمـمٌ ... فـي نطقـه فكـأن القـوم مـا درجـوا
كـذاك مـا هـو شـابـا فـي عُـرانقِـهِ ... فكيـف وهـو بعشـر الكهـل متشـجُ
وقـىٰ كمـالـك إبـراهيـم واهبُـهُ ... إيـاك عيـنَ حسـودٍ صـدره حـرج
ولا خـلا منـك مـزهـو بكـونـك مـن ... عصـرٍ ومصـرٍ وأخـوان ومبتهـجُ

فأجاب المترجم له بقوله:

---

(١) اسمه الكامل: نفحات العنبر في تراجم نبلاء اليمن في القرن الثاني عشر. في ثلاثة أجزاء. يقوم بتحقيقه حالياً الباحث والمحقق القدير الأستاذ عبد الله بن عبد الله الحوثي.

(٢) سنة (١٢١٧هـ).

جاءت على غير وعدٍ بعدما انقطعت ... عنها الظنون وذابت دونها المهجُ
لكن رأت من رقيب خلّةً فأتت ... في روعة الظبي بالقناص تنزعج
فقد سرت وكماة الحيّ دائرةٌ ... من حولها وسيوف الهند تختلج
حتى قضيت لبانات بها بعدت ... عن التصوّر لولا أنه الفرج
ما كنت أحسب دهري قط يسعدني ... بها ولا بسموط زانها البلج
إن كان سحراً أتاني أو كؤوس طلاً ... فالقول حق ولا إثم ولا حرج
جاءت إلى الرق فيه حين كاتبني ... فردت رقاً وما في قصتي عوج
من واحد في المعالي لا نظير لهُ ... ومن علا النجم قد أضحت له درج
علاّمة العصر زين الدهر أفضل مَن ... بفيْصل الحكم منه يُقطع اللّججُ
وما عجبت لشيءٍ مثلما عَجبي ... من مثله في بني الأيام ينتج
وما أردت بمثل غيره ومتى ... رأيت للشمس مثلاً إن زَهَت سرج
يا سالكاً طرق العلْيا وما وضحت ... بها لغيرك من طرقٍ فتنتهج
شرفتني بدرارٍ منك لستُ لها ... أهْلاً وإن قلت أهلاً حين تندرجُ
لكنها من أياديك التي عبقت ... فكل نادٍ بها عن نشره أرج

ومما كاتبه القاضي عبد الرحمٰن بن يحيى قوله:

يا ناوي الغور ترامَى بِهِ ... وَجْنَا وساع الخَطْو شمْلالُ
قل لنائي الحي حي اللوَى ... حيث تناصَى الطلح والضالُ
هل سألت تاكن عن مغرمٍ ... بها وعنها الدهر سأَلُ
يسأل عنها البرق وَهْناً وما ... الطايش إن سُوئِل عَقّالُ
ويَسْتَصِحُ الريح أخبارَها ... وهل حَوى الصحّة مِعْلاَلُ
ويسأل الركب يوصيهموا ... والركب قدَّام وقُفَّالُ
فلي من القادم قولٌ كما ... مِني مع القافل أقوالُ
كذلكنْ منيه أم ناعمٌ ... منها على ظاهرها البَالُ
لآلي مع الغادي وَصَاةٌ ولا ... عني من الرايح تَسْآلُ
تقيةً لم أدرِ أو سلوةً ... ودون غيب القلب أقفالُ
تكن كما شاءت فحبِّي لها ... حُبّي ولو حالت بها الحالُ
أمِيْلُ بالطَّبْع إليها ولا ... يترك مَنْ بالطبع فَعَّال
ما أنسه لا أنس توديعَها ... قائمة والبين زوَّال
في طوقها بدرٌ وخشفٌ وفي ... ثيابها رمحٌ وارمالُ
فهل عسى عيشي بها عائدٌ ... عليّ فيما زعم الفالُ

بـآخـر السـورة مـن يـوسـفٍ أن بهـا الأحبـاب تَفْتَـالُـوا
بجمعهـم مـن بعـد تفـريقهـم والـدهـر حـالٌ بعـدهـا حـالُ
كـل مقـامـات المعـالـي سـوى مقـام إبـراهيـم أشكـال
وهـل تسـاويـه ومـا كـوكـب النهـار والأقمـار أمثـالُ
إن لـه القـدح المعـلاَّ إذا سـاهـم بـالأقـداح مفضـالُ
وأنـه الـراسـخ فـي العلـم مـا تـراسخـت فـي الأرض أجبـالُ
وإنـه الحبـر الـذي زُينـت بكـونـه فـي عَـدِّهـا الآلُ
وهـو مـن الحكمـة فـي رتبـةٍ تنـاولـوا منهـا فمـا نـالُـوا
مـا حـل ملطيـه أو سَـامِيَـا بمثـل مـا نعـرفـه حَـالُ
بـه فثـاليـس وَلَـوْمَنْـدَسٌ وانكسـاغـوَّرس جهّـالُ
يعـرف مـن تـدقيقهـا مَـن بهـا المهـدي بمـن هـو بهـا الضّـالُ
كمثـل يحيـي جـده واضـع الشـامـل فـي نقـد الـذي قـالـوا
وفضـل إبـراهيـم ذو نـدحـةٍ لهـا أصـابيـحٌ وأحـوالُ
فكيـف تفصيـل ثَنـائـي لَـهُ ومـا وفـالـي منـه أجمـالُ
خُـذهـا ولـو بُصِّـرتُ مـا حـاكهـا إليـك مـن فكـري مِنـوالُ
وأنـت تستعـرض فـيْ سَلكهـا الجـزعـة والخـرزَة لآلُ

وكان رحمه الله قد حفظ قواعد أصول الدين والهندسة، وأحكم في تحرير اقليدس بالدعوى، وأوهم أنه أوضح منه رموزاً، وبحث في ذلك، وناظر وشارف على الطبيعي والإلٰهي، ونظر في كتب التصوف وحصّل فوائد، واطّلع على معارف. وأولاه آخر أيامه رفيقنا محمد بن إسماعيل الشامي[1] النظارة على أوقاف سَنَع وبيت سَبَطان[2] ولم ينَل من الأعمال على شدة طلبه لها سوى هذا، وكان ينزل على العلامة عبد الرحمٰن بن الحسن بن عبد الرحمٰن وعلى علي بن إسماعيل النهمي وعلى علي بن محمد المعروف بالبنوس. ولما مات رحمه الله تعالى وُلّي والده ذلك العمل، وهو معدود في فحول العلماء الأذكياء، كثير الذكر، مقبل على العمل، ذو سنةٍ ظاهرة.

[إبراهيم بن أحمد اليعمريّ]

وفيها:[3] يوم الجمعة أحد وعشرين شوال، إبراهيم بن أحمد بن حسن

---

(١) ستأتي له ترجمة في تاريخ وفاته عام (١٢٢٤هـ).
(٢) قريتان متجاورتان في سفح جبل عَيْبان الواقع غربي مدينة صنعاء.
(٣) سنة (١٢٢٣هـ).

اليعمري[1] الولي الصالح. أجمع علماء عصره، وفضلاء مِصره أنه أورع مَن عرفُوه وأزهَد مَن جالسوه، مولده في الروضة تقريباً سنة خمس وستين، ونشأ بها فقرأ القرآن، وتعلم العربيّة، وأخذ عن حسين بن عبد الله الكبسي، وعن محمد بن عبد الله بن لطف الباري، ولازم رفيقنا علي بن إبراهيم الأمير دهراً طويلاً، ولازم المسجد الجامع بالروضة، لا يتكلم فيما لا يعنيه ولا يسأل أحداً حتى يكون هو الذي يبدأ بالسؤال فيه، وأحب الخلوة والانقطاع إلى الله تعالى[2]، وظهرت على يديه كرامات لا يجحدها أحدٌ من علماء عصره، وانثال الناس عليه وقصدوه للتبرك به والدعاء منه، وكان له يد على عفاريت الجن، ومن هذا حدّث الناس بالعجائب عنه.

جاءه ليلةً رجل من البادية فشكىٰ إليه صرعاً بولده فقال: ما صنعتم قبل هذا؟ قال: ما صنعنا شيئاً، فقال: اتبعني فتبعه، قال البدوي: فرأيت شيخاً في الليل عظيماً وقد تصاغر. فقال لي: تأخر فتأخّرت ففاجأ ذلك الشيخ طويلاً ثم راح عنه الشيخ فدعاني وقال: إن أهلك ضربوا هُرَّة وهي بمكان الطعام، فأصاب ولدك ما أصاب، فمرهم أن يكفوا عنها وألزمه اللحوق به إلى بيته، فأعطاهُ رقيةً، وقال متى ورد على ولدك ذلك جعلتها في عنقه وأحذركم أن تعودوا لضرب الهُرَّة.

وجاءه رجل آخر فقال: إنها ذهبَت عليه أموال ومتاع بالسرقة، فأعطاه قرطاساً، وقال: اضرب عليه مسماراً في المكان الذي سُرِقت منه فلم يشعر الرجل إلا بالذي أخذ المال وقد جاء إلى المسروق وقال: استرني وهذا مالك فراح الرجل إلى المترجم له. فقال له: استر عليه، واقبض مالك، وأعد عليّ القرطاس، فلما حاز الرجل المال، فتح القرطاس فإذا فيه: ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَـٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[3].

قال والدي رحمه الله تعالى: صحبت المترجَم له في الصغر مع الصبيان، فكان إذا سمع الأذان، راح عنا إلى المسجد الجامع، فإذا قضيت الصلاة عاد. وانكسرت بمكانه الذي هو بهِ خَشَبَه فنصب لها دعامه وسط المكان فقيل له في ذلك فقال هكذا أخف، وذهبتُ إليه بمال من الوزير الحسن بن علي حنش فرآه وقال: لا حاجة لي به أردده عليه أو تصدق به على من شئت، واستدعاه الوزير فلم يرح إليه، واعتذر عن ذلك فسأل بعض أصحابه أن يدعوه إذا جاء إليه، فراح يوماً إلى ذلك الصاحب فدعا الوزير فجاء، فقعد قليلاً، وقال للوزير: اتق الله تعالى واعلم أن الله استعملك على ما أنت فيه وإنه

---

(١) نيل الوطر (١/ ٥) البدر الطالع ص (٣٢). وفيه ـ وهو غير دقيق ـ إبراهيم بن حسن بن أحمد.

(٢) «تعالى»: زيادة في «ب».

(٣) سورة يوسف، الآية (٦٤).

ناظر ماذا تعمل فلا يجدك بمحل آخر، وقام عنه فأراده الوزير على الدعاء له، فقال: سأدعو، وقال: ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار وكررها ثلاثاً وقام عنه.

وحدّثني عنه أخوه عبد الله وقد سألتهُ ماذا يصنع في بيته؟ فقال: أمّا في الليل فيصلي ويبكي، وأما في النهار فيتلو القرآن ويعتبر، وقال لي: إنه ربما تشاغل بأهله، وذلك خوفاً على قلبه أن يذهب من تذكر أحوال الآخرة. وكان يحضر الجمعة والجماعة ويزور المريض، ويشيع الجنازة، ويقري السلام، ويلاقي الناس بالخُلق الحَسَن. وتكلم الناس بمحضره في أمر المعاصي، فقال من سرّته المعصية فلا نرجوه للخير، وقال: إنما تعجب الإنسان من مهابته لبني آدم وعدم مبالاته، وقال: عجبت لأصحاب السلطان، يأتونه بالتحَف متجملين فإذا قدموا على الله وجدتهم للذنوب متحملين.

[عبد الله بن محمد مشحم]

وفيها: [١] يوم الربوع خامس وعشرين شوال، عبد الله بن محمد مشحم[٢] عن ثماني وخمسين سنة تقريباً، تخرج به عدّة من الأعلام. أخذت عنه في النحو والصرف والمعاني، وعنه رفيقنا يحيى بن مطهر في الحديث، فاستمع عليه صحيح أبي عبد الله البخاري بمسجد الأبهر في جماعةٍ آخرين، وعنه محمد بن أحمد مشحم وخَلْق لا يحصون، وكان كثير الصمت بطيء الحركة لا يجيب في المسألة حتى يراجع نفسه حيناً مخافة أن تزل قدمه في أمرٍ شرعي.

[حسن بن أحمد المغربي]

وفيها: يوم الثلوث ثاني شهر القعدة، حسين بن أحمد بن حسين المغربي، وهو كأخيه السابق في السمت والإخبات، وأحد المعتذرين عن الولايات، وقد أريد على ذلك فأبىٰ.

[عبد الله بن سعيد القرواني]

وفيها: [٣] شهر القعدة، رفيقنا عبد الله بن سعيد القرواني[٤]، مولده ببيت سبطان من أعمال صنعاء عام خمس وستين ومائة وألف، نشأ فقرأ القرآن، وحفظه عن ظهر قلب، وقرأ العربية فتخرج بوالده، ولزم طريقة الأدب فجاء منها بما يستجاد، وكاتب

---

(١) سنة (١٢٢٣هـ).

(٢) نيل الوطر (٢/ ٩٥).

(٣) سنة (١٢٢٣هـ).

(٤) نيل الوطر (٢/ ٨٠).

كثيراً من الأعيان، وامتدح الخلفاء والوزراء. تناقل الناس شعره في وقته، وسَلك مذهب الافتقار والتصوف، وقد رحل عن صنعاء، وقصد أعيان زَبيد ولاقىٰ مشائخ الصوفية وأخذ عنهم وتلقّن معارفهم وحدّث عنهم بما جريات وتسلم لهم أموراً ألحقها غيرهُ بالمستحيل، وولّي أعمالاً عديدة وصحب والده في كثير منها، وكان إليه النهاية في عمل الألغاز والمعميات، مع عدم قدرته على حل شيء منها فممّا كتبه إليّ ملغزاً في لغزٍ:

أي شــيء تــراه فــي كــل رســم	ظــاهــر اللفــظ غــامــض التبيــانِ
فــاؤه العيــن للــذي قــد أنــاخــت	رحلنــا دون بــابــه فــي الأوانِ
عينــهُ فــاءٌ غــالــبٌ كــل قــرنٍ	قــد عَــلا فــي الــدنــا علــى الأقــرانِ
وبــه لامُــه بَــدَا كهــلال	واضــح بيّنــاً بعــد البنَــانِ
ضــده ضــد ضــدّهُ حَــلّ فيــهِ	ســاكنــاً كــالإنســان فــي الإنســانِ

وقد وجه بأسماء الملوك في زمننا فافهَم ذلك، فأسم المنصور على وفاء غالب العين وهو ملك مكة. ولمّا وصل إليّ وقعت على حلّه قبل استكماله، فأجبته بقولي:

إن لغــزاً ألغــزتــه ابــن سعيــدٍ	فيــه حلــي أضحَــى قــريــن البيــانِ
فهــو فيــه بــادٍ بضــربٍ مــن الإلغــاز لا زلــت فــي أَعَــزّ مكــانِ

وله من هذا الطراز في الألغاز، موجهاً بذلك إلى المؤلف، ولقد أبدع:

أي اسمٍ تــراه كــالشمــس فــي الصبــح	يقينــاً زاد الضُحَــى فــي السَمــاءِ
عينــهُ فــي البسيــط يــاء ولامٌ	ثــم نــون تعُــدّهــا بــالسَّــوَاءِ
وكــذا فــاءُهُ مــع البســط عُمــرٌ	لجميــع الأنــام فــي الانحــاءِ
ثــم لامٌ فــي البَسْــط حــاكــىٰ عليــاً	فــي عُلــى مجــدهِ وفُــرط الــذكــاءِ

فأجبته بعد حينٍ بقولي:

قــد أتــانــا لغــزٌ بــديــعٌ نــراهُ	فــي السمــاء واضحــاً وضــوح الضيــاءِ
حــل فــي أمــس قلبــه ولــذا حليــت مــن تحتــه علــيّ الــذكــاء
هكــذا فلتكــن مخــادعــة الأفهــامِ	للملغــزيــن فــي الأشيــاء

وكانت للمذكور فكرة صادقة وقريحة سابقة، يخترع من المعاني ما فات البديع

الهمداني، فمن مخترعاته وبدائع مشبهاته وحُسْن تعليلاته، قوله وقد رأى برأسه شيباً أيام صَباه:

كـأن مشيبَ الـرأس آن شبـابـه ... نجـومٌ رجـومٌ للغـوايـة والجهـل
أشعّـة أنـوار اليقيـن رمـت بـهِ ... عـن القلب كيما تتبع الفرع بالأصلِ

وحدّثني أنه طالع أخبار الدولتين الأموية والعباسية، فرأى عجباً من أولئك، وقال: ما رأيت أحق بالملك من الأموية، فإنهم كانوا يباشرون أمورهم بأنفسهم من غير أن يتخذ أحد منهم وزيراً، لذا استخلفوا الصين، وبلغوا إلى الأقصى من الأندلس. ولمّا أكمل مطالعة تلك الأخبار، ورأى امتداح الشعر لأكابر الصدور والأمراء وما نالوا منهم، فاجتهد في مديح من يعرف، قال: فلا وربك ما رأيت منهم من تهزّهُ أريحية كريم يسعف. قال: فوضعت في وصف هؤلاء الذين يحسبون الحديث عن أولئك أضغاث أحلام، ويستبعدون مما ينسب إلى الكرام شعراً:

إذا قـال شخـصٌ لقـومٍ رأيـت ... مـن البـذل فـي الكتْب كيتاً وكيتا
أجـاب الجميـع بـلا مهلـةٍ ... بخيـر يكـون وخيـراً رأيتـا

وقعدنا بموقف بعض الصدور من أهل العصر، فرأيته وقد استنشده شيئاً من شعره، فأملاه فلم يجدْ له مُصغياً، ورآهُ عنه متلاهياً إما خوفاً أن يقر له بالجودة والإحسان، وإمّا شحاً بأن ينيله بما يعين على الزمان، فأملاني من مكنون دره وجوهر شعره:

دأبُ الـزمـان وأهليـه إذا نطقـت ... لسـان حـرٍ ببعـض الشعـر إعـراضُ
كـأن كـل مقـول مـن مسـامعهـم ... وإن تنـاهـىٰ بـه الإحسـان مقـراض

ومن مخترعاته وحسن تصرفاته، يتشوق إلى الأيام المستقبلة على ظن إنجازها لما أملّه شعراً:

سقـىٰ الله أيـامـاً ستـأتـي بـواسمـاً ... بـانجـاز ميعـادٍ يطيـب بـه الـوصـلُ
وتنسـى بـأيـامٍ غـدت فـي تلعُّـب ... بـأفكـارنـا إذ ليـت يتبعهـا عَـلّ
فتلـك أمـانـي للخيـال وانهـا ... وقـوف ببحـرٍ خـاضـه أشعـب قبلُ

ومن بَدَائعه وروائعه يَنْعَى على الزمانِ أهله شعراً:

قـارون هـذا العصر إنْ مَا جـال فـي ... خـاطِـرهِ ذكـرُ النـدَى تنهَّـدَا
وإن دعـاه سـائـل لحـاجـةٍ ... أجـابـه وَحْيـاً ولكـن كـالصَّـدَا

ولما رأى الزمان يَمِيْدُ مَيَدَانِ السفينة، عَلِم أن النَّقص قد مَدّ شماله ويمينه،

وحالتِ الأحوال، وخابت في المرجُوّين الآمال، قال: على الارتحال مُقْسِماً بالجفا والمطال، ومعاهد بالبَين والانفصال، وكؤوس لوّام العذال، جازِماً بان الهجر منحه على كل حال، ومضمناً لمحسن بن المتوكل تناقله الناس، فنقله إلى غير ما أراد الشاعر فقال:

لا والجفا وصوارم العَذْلِ ومرارة التَّشعيب للوَصْل
ومعاهدِ للبَيْن قد عُمرت بِتَبَاين الأشباح والفصلَ
وكؤوس لُوّام تَدورُ بها كف الربيب على ضيا العقلَ
ما الهجر إلا مِنْحَةُ ظهرت[1] في حالي الترحال والمطل
فرشيقه الأعطاف ما سَمحت يوماً بغير رواشق النبلِ

ومن أجود ما نقلناه عنه هذه:

صبٌّ تعسّف في القريض طريقة تذر الدّراري الزهر في إيوانه
صب إذا اشتعلت بجنّة فكرهِ طلعت عَصَا الجوزاء من بنيانهِ
ينبو إذا لمع الوميض ببارقٍ ويرد سَيل الليل في إبّانه
يفري المهابة إن أجَن بسابقٍ يذر السَّوافي تحت قيد عنانهِ
وبنَات اغوَجٍ للطراد إذا انبرَت كفَّت أكف الغَيّ عن شنآنهِ
ونواظر العُذَّال ترنو حولَهُ شزراً وكلٌ طاعنٍ بسنانه
حتام ينفكّ الرقيب وطيفُهُ للطيف يبدو ذارع بلسانه
هل يُسْعِفنّ متيم بمرامِه والغصن ميّالٌ على أشجانه
والليل بينٌ والنهار هَوَاجرٌ ولرب عناءٍ طارقٌ لمكانهِ
ومواطر العبرات تسقي ربعَهُ فيُخال روض الخَدّ في بستانه
روضٌ أريضٌ بالغصون قد التحىٰ ونمت فروع العين في سيقانه
يزهو بأزهار الهوَى لمن ارتدَىَ ثَوْبَى تحرُمِه على خلانه
ونسايم الأرواح في ظل الحِمى تحكي انفتاح الجَوّ في حَورانه
والصّب عنه نازحٌ بحرانه وفؤاده نهباً لدىٰ أخدانه
أولاهموا علم الهداية في المَلاَ من فاق في العليا على أقرانه
وأولوا النُها والعلم مَنْ أخوانُهُ ابناء فاطمةٍ وليث طعانه
فهموا على النهج القويم كهالةٍ حاطت ببدر التم في أكوانه
وهُمُو هُمُوا في كل مجدٍ أو عُلاً كالحلقة الصَمّا على بنيانه

---

(١) في «أ»: بَرَزت.

داموا بأهَنى عيشة وفخارهم يَعلُو محل العِزّ من كيوانِه
ما أشرقت أوصافهم كشموسهم وأحلّت المحزون في سلوانه

وكان يتعجب من علم العروض، ويقول علمٌ سَاقط، وكتب إليّ شعراً:

يا ضياء الأنام دمت لحل الـ ـمشكلات المفتي لفك العقول
صَحَّ ان العَروض علم فضولٍ والفضولي يُرَى بلا معقول
فأفتِني لا بَرِحْت في قالَب الشعر لأي الأوزان مفتي الفحُوْل

وأجبته:

إن علم العروض يا ابن سعيد مثل علم المعقول والمنقول
والخليل الذي ابتداه فهل كا ن قديماً حديثه في مقولِ
ونَرى نظمك الذي فات قوماً لم يَفُتْهُم شيئاً من المحصولِ
ذاهبٌ بالألباب كالسحر والسحر عروض لنظمك المقبولِ
معجزات آيات نظمك حقاً فاعِلاتُن بالوزن في المعقول

ومما حدثناه قال: قالوا إن الرجل إذا ضُربت عنقه وألقى وسط الماء لم يلزم القَعر، جارياً كان الماء أو ساكناً، فإذا جَيّف انقلب، وظهر بَدَنُه كله مستلقياً إلاّ المرأة فإنها تظهر مُنْكَبّةً على وجهها لئلا يكون فرجها بادياً.

وله رحمه الله في الشعر نفس طويل وباع جليل، قد ملأ الدنيا بأشعاره، وزيّن وجوه الطروس بمحاسن آثاره، ما عسى ينقل الناقل منها وقد كلّت السن الأقلام في التعبير عنها، ولا غنىٰ بنا عن نقل قصيدته التي قالها قبيل وفاته وتخلّص آخرها بما يُرجىٰ له الفوز بها بعد مماته عارض بها مقصورة ابن دُرَيْد وتغاضىٰ بها عمّا يقول عمرو وزيد، سلك بها مسلك الهزل والمجون، فجاء بما يزري بابنة الزرجون، وسمّاها: تنبيه الغافل وتحصيل الحاصل، قال رحمه ذو الجلال شعراً:

فوائدٌ لم يدرها أهل الذكا وهي بمرآةِ العقول تُجتَلىٰ
فيها نكاتٌ شارداتٌ زمّها لومي باذن من صَغَا ومن وَعَا
انّ سَويّ الذات من إذا مشَى مشت به رجلاه في الأرض سوا
وظلّهُ يلحقه مِن خلفِه إن قابل الشمس وأولاه القفا
وإن دجاه الليل غاب ظلّه إلاّ إذا البدر اعتلاهُ بالسَنَا
وكل مَن يتبع ظل ذاتِه يسبقه الظل إلى ظل الحِمَا
واعلم هُدِيت الرشدان أدباً أبو البنين من مضى ومن أتا
وإن حوَّا أمّنَا وإننا من نسبٍ إلى التراب ينتمَى

وكـل حـيّ روحـه فـي جسمـه | والمـوت مغـنٍ والحيـاة فـي الفنـا
وكـل سبـتٍ تـابـع لجمعـةٍ | وثـالـث الاثنيـن يـوم الأربعـا
وكـل سبـع للجـديـديـن بهـا | تَقَلُّـبٌ وعِبَـرٌ وانطـوَى
وكـل مـن يغيـب عـن محلّـه | لـم ينـس ان اليـوم يـومٌ إن عَشَـا
وكـل مـن لـجّ بـوادٍ أو نَحَـا | نـاحيـةً فـي سيـره شـق الهـوَى
ولا يـرَى النـاس إذا مـا قـابَلَـهُ | عينـاهُ أجبـال النـواحـي والـرُبَـى
وإنـه مُـوَاجِـهٌ لقصْـدهِ | والـوجه فيـهِ عَيـنُ مَـرمَـى مَـن رَمـىٰ
كُـلُ جَليـل القـدر عنـد قـدرهِ | بـاقٍ وخـالـي الفكـر فـي حـال العمَـى
اقصـر فـلا اللـوم يفيـد مـن سَعَـى | إلـى ضـلالٍ ضَـلّ عـن سُبـل الهُـدَىٰ
ولا يغـرنـك سـرابٌ فـي الظمـا | وَرِد مَعيْـن العَيْـن تـدرك المُنَـى
ولا يكـن مـوردك العـذب كَمـن | يُـرويـه مـاء العَيـن مـن غيـر السَّقَـا
وخـض بلجـيّ غـدَى سـابغُـهُ | فـذاك بحـرٌ فـي الهـوَى قـد اعتـلا
قـامَ شـراعُ فلـكٍ فـي جـوّهِ | حتـى سَمـا فـوق السّمـاك المُـرتَقَـى
مَـن نظـر الآيـات يَعْـد نفسِـه | فنفسُـه تسمـو بـه إلـى السَمـا
هـل تسمعـن مـا حييـت أنهـا | كلّـت نجـوم الأفْـق مـن طـول السَّرَى
أو انّهـا قـالـت وقـلّ ضـوّهَـا | أو مـالـت الجـوزآء أو ضـل السُّهَـى
والفلـك الـدّوار يجـري دائمـاً | وحبلـه لـم يكـن محلُـول العُـرَى
وأوّل الشهـر الهـلال دائمـاً | ولا يكـون قمـراً إذا انقضَـى
والليـل لا يبـدو علينـا فـي الضُحَـى | ولا نـرى الصبـح إذا الليـل سَجَـى
والشمـس تبـدو كـل يـوم مـرّةً | ومـا رأينـاهـا تعـود القَهْقَـرا
والبـدر مثـل الشمـس إلا انّـهُ | والشهـب ليسـا بـالمسيـر بـالسَّـوَا
مـا عَلِـم النـاسُ ولا أوُلـوا النُهَـى | مـن أيـن تبـدو الـذاريـات للنَّمـا
ولا أوُلـو الأحـلام بـالبحـر وَمَـا | يمسكـه عـن فيضِـه إلـى الفَضَـا
ولا رأينـا جبـلاً ينقُصُـه | حفْـرٌ ولا غـارٌ علـى طـول المَـدَى
والأرض طيـن والجبـال فـوقهـا | وهـي علـى المـاء والسمـاء فـوقنـا
والغيـث يسقـي الأرض غيـر مفسـدٍ | ولا يفيـض سيلُـه علـى الـرُبَـىٰ
وكـل شـيء خـاضِـعٌ لله فـي | كـل الجهـات والسمٰـوات العُلـىَ
فعـدّ عمـا تشتهيـه إن تشـا | نَيْـل المـراد والبلـوغ للمُنَـى

حسن الخاتمة

يـا ليـت إنـي لـم أكنـه سـابقـاً | إن لـم يكـن عمـري بهـا إلا سُـدَى

ولّىٰ الشباب وانتحاني شيبه كما رمك أنجمه زهر الصبَا
لم أدر أنّي معتل مطيةً كالريح تسعىٰ بي إلى تحت الثَّرَى
لا تطلب الماء ولا ترعىٰ الكَلَى ولا تميل ساعةً مع السُرَى
وحادي الأضعان يحدُوها علىٰ شحطي إلى ما حفته من النوَى
لم يثنها عن المسير أملي ولا رجاي لانفتاح المُرْتَجي
تؤم وجهاً وهواي خلفها يكرّ خلفاً مسرعاً على القَضَا
تجاذبا مني الجديد مُذ مَشَت رجلي حتى أذنَيَاهُ لِلْبِلاَ
ورحت ما بين الجديدين بها ككرة مطلوبها شق الفَضَا
وليت انّي إن تَقضّى عُمري أبلغ بعد الموت غايات المنا
لكنني أسأل عن مثقال ما تحمله الذرة أو حبل الهَبَا
والعمل الصالح ينجي مَن نجَا وليس لي من صالح فيما أرَى
والله يهدي من ينيب للهدى ويجتبي من خصّهُ كُلاجتبَا
والعبد إن قابلهُ عدل فَلاَ ينفعه شيءٌ إذا وافا الجَزَا
والصادق الأوّاه يلقى نفسَهُ بين يَدي مولاه جَلّ وَعَلا
في كل حالٍ لا يميل لحظةً عن المراد راجياً منه الرّضَا
مواجهاً بقلبه قبْلَتَهُ ومعرضاً بكلّه عن السوا
عيناه في حال الرجا مسيلة دمع الحزين أن يلاقي ما أتىٰ
وأين مني هذه إن لم يكن تدارك لي من أجل من عَفَا
ورحمه الله العظيم شأنُهُ واسعه كعلمه لمن بَرَا

وكنت أرى أنه ما سبق إلى هذا، وحدّثني انه شيء عرَض له فرأيته في تاريخ القاضي أحمد بن خَلّكان في ترجمة علي بن عبد الواحد الفقيه البغدادي الماجن المعروف بصريع الدلا قتيل الغواني، قال ابن خلكان كان يسلك في شعره مسلك أبي الرقعمق، وله قصيدة في المجون ختمها ببيت، ولو لم يكن له في الجد سواه لبلغ به درجة الفضل وأحرز معه قصب السبق وهو:

من فاته العلم وأخطاه الغنى فذاك والكلب على حالٍ سوَى

فهذا محصَّل ما ذكر له ابن خلكان من الشعر ولم ينقل من قصيدته شيئاً، إما لعدم إطلاعه أو لعدم استجواده لها، فإن أبياته دون أبيات هذا الصاحب الذي ترجمنا له، وقد ظفرنا ببعض أبيات صريع الدلا المجونية التي عارض مقصورة ابن دريد على وجه الهَزْل والمجون:

من لم يرد أن ينتقب نعاله يحملها في كُمِّه إذا مَشَا

ومــن أراد أن يَصُـون رجلـه ... فلبسها خيرٌ لَـهُ مـن الحَفَـا
مـن دَخَلَت فـي عينِـه مَسَلَـةٌ ... فسَلْـه مـن ساعتِـه عـن العَمَـا
مـن أكـل الفَحـم تسـوّد فمـه ... وصـار صحـن خـده مثـل الـدجا
مـن ينفَـع النـاس ولـم يَـدَعْهُـمُ ... أن يضعفـوه فعليهـم اعتـدا
مـن شـرب المسهـل فـي وقـت الـدُوَا ... أطـال تـردداً إلـى بيـت الخَـلا
مـن أكـل الكـرش ولـم يغسلـهُ ... سـال علـى شاربـه ذاك الخَـزَا

[والد المؤلف: العلامة أحمد بن لطف الله جَحّاف]

وفيها[1]: آخر نهار السبت ثالث الحجة الحرام، والدي أحمد بن لطف الله بن أحمد بن لطف الله بن أحمد بن هادي بن أحمد بن جابر بن طاهر[2] ينتهي نسبه إلى جحاف بن مرهبة بن بكيل، مولده بصنعاء عام تسعة وستين، وبها نشأ وقرأ القرآن وحفظه عن ظهر قلب، ولما أكمله خرج به والده عن صنعاء إلى ذي جبلة، فأقام بها أياماً مع والده، وكان عاملاً على أوقاف اليمن الأسفل، فأدرك والده ومن صحبهما هنالك المرض فلم يشعر إلا بنعي والده من صومعة جامع ذي جبلة، قال: فقلت لمن حَولي أمات والدي؟ قالوا: لا، قال فأثار لي ذلك المرض حرارة برئت بها منه، ثم عدت إلى صنعاء، وأنا لم أبلُغ الحُلُم. وأقبل على هذه المعارف، وكفَله خاله الحسن بن صالح الحدّاد الثابتي المقدّم الذِكر عام ست وتسعين، وبه تخرج وحضر درس الأستاذ محمد بن إسماعيل الأمير ودرس ولده إبراهيم، وأخذ عن حامد بن حسن شاكر، وعن لطف الباري بن أحمد الورد الخطيب، وعن الحسين بن عبد القادر بن علي بن الحسين بن أحمد بن الحسن المقدم الذكر عام ثمانية وتسعين، وعن عدّة من أعلام صنعاء، ولازم المسجد الجامع بصنعاء، وقام بوظيفة الأذان دهراً طويلاً، وأحيا ليلهِ بالعبادة، وكان إذا قام للصلاة سمعت أنينه، فإذا دخل فيها أقبَل، وكان إليه خزانة الكتب الموقوفة بالجامع، وأناط به الإمام المنصور شيئاً من أمر الصدقات أياماً يسيرة، وما زال مقيماً بصنعاء حتى سار عنها للحج عام ست عشرة ومائتين وألف، وكنت رفيقه في ذلك العام، ما رأيت أصون لساناً ولا أحب للخمول منه. كان يقصد الجامع للصلاة، ثم يعود بيته، فيطالع كتب الرقائق كصفوة الصفوة لأبـي الفرج ابن الجوزي والإحياء للإمام الغزالي، فأراه يبكي طويلاً، وأريد على الأعمال فأباها، وكان له حافظة واسعة يطّلع على الشيء فيثبته حفظاً، وسمع رجلاً يذكر مضر الحمرا، وأنها إنما سميت

---

(١) سنة (١٢٢٣هـ).

(٢) نيل الوطر (١/ ١٨٠)، البدر الطالع (٥٧٩)، أعلام المؤلفين الزيدية (١٥٧)، معجم المؤلفين (٢/ ١٥٤).

حمرا لشبه أفعالها في الشدة بالنار المحرقة، فقال: ليس هذا مراداً لهم إنما الصواب أنه لما مات نزاد أبو مضر أخذ مضر من تركته الذهب، وهي تؤنث ولونها أحمر عند العرب فقيل: مضر الحمرا، وأخذ أخوه ربيعة الخيل، فقيل ربيعة الفَرَس. وكان قد طالع الأخبار والتواريخ، وأثبتها معرفةً، وحفظ من دواوين الأدب شيئاً واسعاً، وكان يحفظ أشعار البدر محمد بن إسماعيل الأمير إلا اليسير الشاذ منها، وكان وصولاً للرحِم محباً للخير يسعَى، فيما يظن فيه التأثير، ومما كان يوصيني به أن لا أجلس في غير حَلَقَة علِم إلا إذا كان الاجتماع طاهراً عن لوث الغيبة والنميمة، وكان يحضر الجمعة والجماعة ويعود المريض، ويشيع الجنازة ويقري السلام، ويكره السَّمَر بعد العشاء إلا في حاجة نفسه، فإذا كان الليل أحيا الليل بالدرس والصلاة، وفي آخر أمره كان يحضر درس البدر الشوكاني، وكان إذا صَلّى الفجر، حاذر النوم، وقال: رأيت في حديث أن: الصبحة تمنع الرزق، والصَّبَحَة بفتح الصاد المهملة والموحدة بعدها والمهملة وهي النومَة بعد الفجر، وإني تساهَلت في ذلك الحديث، فنمت يوماً فرأيت نهراً قد توجه إلى حَضيرة عِنَب لي فلمّا قاربَها تفرق يميناً وشمالاً لا لِعلّة، ففزعت لذلك الأمر وانتبهت مراجعاً لنفسي فإذا أنا فرطت في العمل بالحديث، وكان رحمه الله تعالى يرى العمل بالحديث الضعيف الداخل تحت العمومات، ويحتج به، ونسَخ بخطه الواضح لنفسه ما يزيد على ستين مجلداً في القطع الكبير الضخم من كتب الحديث وشروحها والتفسير وتواريخ الأمم وكتب الرقائق، واختصر صفوة الصفوة[1] حذف أسانيدها وذكر شرطاً هو في أول الكتاب، وكان يقول أن أبا الفرج ذكر اختصاره لحلية أبي نعيم لإدخاله أكابر الصحابة والتابعين في جملة المتصوفة، وإني قد نزّهت كتابي عن نسبة ذلك إليهم قال: فطالعَنا صفوة الصفوة فوجدنا أمرهما واحداً.

وكان له في الطب ملكة قويّة، ومعرفة للنجوم، ونعوذ بالله من الحكم بها، وكان كثيراً ما تأتيه الزَرَعَة فيسألونه عن الأوقات فيخبرهم بالصواب، وكان له شعر رقيق سهل منسجم، أكثر ما كاتبني به، وبينه وبين شيخنا إبراهيم بن عبد القادر مكاتبة، فمما كتبه إليّ من صنعاء عاتباً لتأخر كتابي عنه، وأوصاني به وأنا بوادي ضهر قوله رحمه الله تعالى:

يا بَدْر إني عنك راضٍ غفر الله لكا
تركتني في غربةٍ أرعىٰ السُّها والفلكا
فهات خبرني تركت الكتب ما عن لكا
فهل بلغت ما به ربك قد فضّلكا

---

(١) لابن الجوزي.

وهـل تيسـرت لمـا | الله لـه اهلكـا
ونلـت فـي طـاعـة مـو | لاك الـذي عـدلكـا
غـايـة مـا نـال امـرؤٌ | فـاز بنهـجٍ سلكـا
وإننـي أوصيـك نـوِّر | بـالتقـىٰ منـزلكـا
وأكثـر الـذكـر فبـالـ | ذكـر تسـر الملكـا
وقـل جـزى الله أبـي | خيـراً بلغـت سـؤلكـا
وقـل قـه الله عـذا | ب القبـر قـد أمَّلكـا
يـرد عنـك ملـكٌ | ذاك يقـول ولكـا
واصبـر فمـن يصبـر فـي | يـوم القضـا[1] لـن يهلكـا
ولا تـدع جمـاعـةً | لله قـد حمّلكـا
وإن أتـاك سـائـلٌ | فـي ذلـه قـد سَلَكـا
فَجـدُ لَـهُ بمـا تـرى | مـن قبـل أن يسـألكـا
وأكـرم الأخ ومـن | وافـىٰ مـن أجلكـا
واحـذر مـن الشيطـان أن | يـأتـي فيستـزلكـا
وراقـب الله فبـالـ | قبـى يفـك غلْبَكـا
أيَّـاك أن تغتـاب مخلـو | قـاً ضعيفـاً مثلكـا
وقـم بمـا فـي سنـة الـ | ـمختـار وأرشـد أهلكـا
وظـاهـر السنـة فـالـز | م مقتضـى مـادلكـا
وتـابـع المختـار مَـن | طـاب عـذراً سَلَكـا
تـأت إلـى الله تعـا | لـى بـالـذي حملكـا
واسلـم فـإنـي عنـك راضٍ غفـر الله لـك

فأجبته رحمه الله تعالى بقولي:

أهـلاً بنظـمٍ قلـت فيـ | ـه غفـر الله لكـا
فـي طيّـه عتـب مـن الـ | لطـف أرق مسلكـا
تضمّـن النصـح حمـا | ك الله مـا أعْـدَلكـا

قلّـدتني عقـدا بـه الفضـل غـدا مُفـذلكـا

أصبحـت فـي القـوم بمـا | أرسلـت ملكـا ملكـا
رأيـت رضـوانـك عنـي | فـي العـلا أحلّكـا

---

(١) في «أ»: يوم اللقا ـ تصحيف.

فما تنال الشمس في ... مظهرها محلكا
والبدر لا يدرك من ... إشراقه منزلكا
أما هديت مسلكا ... أعلى يسامي الفلكا
مولاي مملوكك في ... النصح المدا ماملكا
ولا انثنى لعاذل ... من غيه جهلكا
بل عالم في النصح ان ... الله قد كمّلكا
إني جزاك الله خيراً ... ما رأيت مثلكا
تهدي إلى الخير فما ... أعلى وأولى فعلكا
فقل لمن حاد عن ال ... منهاج ما أجهلكا
ومن أبي فلا يُبا ... لي أي داءٍ هلكا
طوبَى لعبدٍ في سبيل ... الله يوماً سلكا
وبايَن الناس وما ... لي قال هذا ولكا
وما أتى الصدر ولا ... الظهر ولا المملكا
ولم يقل لمن يميل ... عنه ما أعجلكا
ولم ير الفضل لغير ... الله فيما ملكا
هذا هو الفرد الذي ... بالخير صار ملكا
يا أبت ادع الله لي ... قُلْ غفر الله لَكا
واسْلَم ودُمْ في نعمةٍ ... تشكر من خوّلَكا

وكتب رحمه الله إليّ وإلى أخي محمد رحمه الله، من الروضة ونحن بصنعاء:

يا معشر الأولاد لا زلتمو ... في النعمة الخالدة التالده
قوموا بما أوجَبَه الله في الذ ... كر المبين الكامل الفائده
وعلّموا السُنّة من تعلموا ... أحوالَهُ القائمة القاعده
قولوا له إن نبي الهُدَى ... يدعو إلى مَكرُمةٍ واحده
وهي اتباع الحق والحق ما ... في السُنّة الهادية الراشدَه
وأيقظوا الأعيُن من نَومها ... في الليلة الحالِكة البارِدَه
ولتركعوا واسجدوا عن حياةٍ ... في الدُجَى شاكرةٌ حامده
فإن أولى الناس باللّهِ من ... باتت له جَبْهتُه ساجده
ولا تماروا تفشَلوا واصبرُوا ... على أذَى الحاسِد والحاسده
واسعَو لجمع المال من حِلّهِ ... فالله قد مَدَّ لنا المائده
لا تجمعوا الأموال من شُبهةٍ ... فهي بها بَعْد غدٍ بائده

ولا تكونوا عالةً تخسروا   وامضوا على الله للعائده
وجانبوا السلطان وأدعوا لَهُ   ففي السلاطين لكم فائده
ولا تقولوا بخروج كَمَا   تقول الرافضةُ الفاسده
وجانبوا الغَيبة لا زَلتموا   في نعمٍ شاملةٍ زائده

فأجبته رضي الله عنه وأرضاه:

نصيحةٌ سائقةٌ قائدَه   إلى الهُدَى سابقة رائدَه
بعثتَها طي كتاب حَكَى   آثارك القائمة القاعِدَه
بها إلى الروح عادت وقد   كانت لِنسْيَانِك لي شاردَه
أرشدتنا لابرحت من غوادي نصحك الحُسنى لنا عائده

ونحن ما زلنا على رِسْلِنَا   ندعو الذي يُصدِر في الوارده
حتى تلاها عن أقاويل مَن   قلّده في النِحلةِ الفاسِدَه
واختار قول المصطفَى مَذهباً   وحاد عن بدعته الحائدَه
وحكَّم الآثار حتى غدت   حالتِه صالحةً راشدَه
وصار ممتازه الشرع وَمَا   بالَىٰ بِمَن ناواه أو عانده
هذا على تفريطنا في الدُّعا[1]   وخَوْفَنا الحاسد والحاسِدَه
وربما نظفر إن كانت الأ   عمال بالله لنا شاهِدَه
وقلت لو أيقظتُموا أَعْيُنَاً   في الليلة الحالكة البارِدَه
لكنها من غير شكٍ قَسَت   قلوبُنَا المعرضَة السّامِدَه
فأدع لنا ندرك مطلوبك الداعي إلى أن نحرز الفائده
فخدمةُ الله قيامُ الفتَى   بين يَديه الليلة الهامِدَه
وإن أكسير الدعا هاطلُ   الدمع لمن جبهته ساجده
وقد سعينا في اكتساب الحَلال   الطّلق من مُتّسع المائِدَه
ولم نكن فيما تَرى عالَةً   على فتًى فاقتُه تالِدَه
وقد دعونا لسلاطيننا   بالنصر والتثبيت في الوارده
يا أبتِ ادع الله لي أنني   مُقَصِّرٌ ولتدعُ لِي الوَالِده

وأجاب أخي محمد بن أحمد جحاف رحمه الله تعالى، ولا أعرف له في الشعر العربي غيرها ـ وغير أشياء نادرة لا تُذْكَر ـ وفيها تشبيه ظريف:

---

(١) إلى سنن الهُدَى.

جـاء مـن الـوالـد والـوالـدَه نصحٌ بـديـعٌ كـامـل الفـائـدَه
فـي الـديـن والـدنيـا ولكـن مـا الأسبـاب فـي دكّـانـنـا راقِـدَه
كمثـل مـا تـرقـد بعـد العشـا فـي ليلـةٍ مظلمـةٍ بَـارِده
وسُنّـة المختـار مبغـوضـةٌ بيـن بنـي دهـري فقـل واحـدَه
فهـل تـرى التـاجـر فـي مضجـع يـدرك مـنِ واصلـةٍ عـائـده
واننـا لا نكـره الخيـر والأفعـال مـن أحـوالنـا شـاهـده
وأختهـا النـامـوس أعلَـى لَـدَى الأصحـاب مـن سنتـك الـراشـده

وكان رحمه الله تعالى مع سكوته عن مذهب الخائضين بالآراء لا يعدم الجواب والرد عليهم، كَتبت إليه في حال الصِبَا ان العجب من المعتزلة ترجح آيات الوَعيد على آيات الوَعْد، ويا عجباً من قومٍ دحضوا الرجا لصاحب الكبيرة وقضوا بخلوده في النار، وإن الله لا يغفر له وان تاب كما ذلك ظاهر قولهم في مثل القاتل كأنهم ما قرأوا ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[1]. فأجابني رحمه الله تعالى يا بني أرشدكَ الله إلى الصواب قد خَبَطت في هذا الكتاب فالمعتزله على خلاف ما تظن فهم مجمعون على قبول التوبة على الله للعبد ولعل الأكثر منهم يقول بأن قبولها واجبٌ على الله في القاتل، وغيره على أن عبارتهم هذه عباره من لا يدري ما يخرج من رأسه كأنهم إلى الوقاحة أقرب. ثم أفيدك أرشدك الله أن الخلاف قام بين المرجيين[2] والمانعين في الغفران مع عدم التوبة، فلا شك أن المعتزلة تحجّرت واسعاً ولا أخشى عليهم إلا من مثل هذه المسألة فإن الله تعالى عند ظن عبده به وهم على ذنوبهم يظنون أن الله تعالى لا يغفر لمن مات على غير توبة وله رحمه الله تعالى معي بحث نفيس كتبت إليه وهو بروضة سناع:

دارت مـذاكـرة فـي مَحبـط العِمـل فقـال قـومٌ بـأدنَـى الـذنـب والـزلـلِ
وقـال قـوم نـرى أمـر الكبـائـر والأ شـراك سيّـان فـي الأحبـاط وهـو جلـيَ
إن كـان عنـدك علـمٌ عـن محمـد ال مختـار جَـوّدت فـي التفصيـل للجُمَـلِ

فأجاب رحمه الله تعالى: يا بني علمك الله ما لم تكن تعلم. وفهمك آيات كتابه المحكم. هذا الجنَى الداني. قد دار بحضرة البدر الشوكاني. ورأيته جانحاً إلى أن الكبائر محبطة فما أدري صارفة مذهبية أم سفسطة ففي المقام كثير من أهل التفرطة.

---

(١) سورة النساء، الآية (٤٨).

(٢) يُشير إلى فرقة «المُرجِئَة» وهم فرقةٍ كلامية ظهرت في أوائل الإسلام. قالت: إنّ الخطيئة لا تُفقِد الإيمان. وهي تخالف المعتزلة. المنجد في الإعلام.

وسكت والدك لقصوره عند نفسه ولكونها سجيةً لا يفوه إلا بما ليس فيه تنفير. وهذا دأبه ودأب أبناء زمانه من كبير وصغير. ما عداك أرشدك الله تعالى. فإني أراك تصدع بالحق واني مع استعاذتي بالله تعالى من أهل الجهل عليك والأوغاد والسوقة ومن تراه من أهل الهيئات المغفلين. أرجوا الله أن ينصر بك الحق. وهاك جواباً بالذي قد طاب. وهو لديك إن شاء الله مستطاب. عوّلنا فيه على الثواب، ففتح الباب وأرشد إلى آيات الكتاب. فأقول: بُنيّ خَلِّ أقوال هؤلاء وراء ظهرك. وأنبذ قذاة المُقلّدين بظفرك. وان كنت أنا وإياك في تدقيق أولئك من القاصرين. فلن ترانا في اتباع الكتاب والسنة من الخاسرين. وقد أوردت لكن ـ شرح الله صدرك ويَسّر لك أمرك ـ ما قال الله تعالى في كتابه، فألزم منهج صوابه لتبلغ من الأمل الغاية:

الآية الأولى: في سورة البقرة: ﴿ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافرٌ فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ الآية ٢١٧[١].

الآية الثانية: في سورة آل عمران: ﴿ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم. أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والاخرة وما لهم من ناصرين﴾ الاية ٢٢.

الآية الثالثة: في المائدة: ﴿ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ الآية ٥.

الآية الرابعة: في المائدة أيضاً، ويقول: ﴿الذين آمنوا أهولاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم أنهم لَمَعكُم حَبِطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين﴾ الاية ٥٣.

الآية الخامسة: في الانعام: ﴿ولوا أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون﴾ الآية ٨٨.

الآية السادسة: في الأعراف: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡۚ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ الآية ١٤٧.

الآية السابعة: في براءة: ﴿ مَا كَانَ لِلۡمُشۡرِكِينَ أَن يَعۡمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلۡكُفۡرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ وَفِي ٱلنَّارِ هُمۡ خَٰلِدُونَ﴾ الاية ١٧.

الآية الثامنة: في براءة: ﴿ كَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمۡ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرَ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا فَٱسۡتَمۡتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمۡ فَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِخَلَٰقِكُمۡ كَمَا ٱسۡتَمۡتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُم بِخَلَٰقِهِمۡ وَخُضۡتُمۡ

---

(١) أرقام الآيات إضافة من عندنا.

كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ الآية ٦٩.

الآية التاسعة: في هود: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ الآيتان ١٥، ١٦.

الآية العاشرة: في الكهف ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ﴾ الايات ١٠٣ ـ ١٠٥.

الآية الحادية عشرة: في الأحزاب ﴿ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾ الآية ١٩.

الآية الثانية عشرة: في الزمر ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ الآية ٦٥.

الآية الثالثة عشرة: في سورة محمد ﷺ: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٨﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٩﴾ ﴾ الآيتان ٨، ٩.

الآية الرابعة عشرة: فيها أيضاً: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ الآية ٢٨.

الآية الخامسة عشرة: فيها أيضاً: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ ﴾ الآية ٣٢.

الآية السادسة عشرة: في سورة الحجرات: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ الآية ٢.

فهذه الآيات القرآنية كلها ما عدا الأخيرة مصرحة بأن الاحباط إنما يكون بالكفر على اختلاف الألفاظ واتفاق معناها ومؤداها، فإن كفر أحد بعد إيمانه وصار مرتداً ومات على ذلك فقد حبط عمله وإن عاد إلى الإسلام لم يحبط عمله، فلا يجب عليه قضاء حج وصلاة وصيام كان قد أدّاها لأن آية البقرة تشهد بأن الإحباط إنما يكون لمن مات مرتداً، قال الله تعالى: ﴿ومَن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة﴾. وأمّا مَن عاد إلى الإسلام فلا إحباط وإنما نأخذ بالآيات كلها مع الحكم للآية التي فيها الزيادة كآية البقرة، وقد وجدنا الكفر والشرك في الآيات

جميعها محبطاً، لكن نقول مع الموت على الكُفر والعياذ بالله تعالى، فتأمّل بُنَـى ما قلت لك وَدَعْ هؤلاء الذين تسمَع منهم وتنكِر. وقد رأينا جماعة من المُتحلّقين بأهل الحديث يقولون: إن الردة وإن لم تحبط العمل، فهي تحبط ثوابه. فعجبنا منهم يستقولون ما لم يثبت فيه نص عن صاحب الشريعة الغراء، وقد يقول مُتقوِّلون بغير ذلك، فمنهم من قال: إنها تسقط عن المرتد، إذا أسلم حقوق الله دون حقوق الادميين، وقال بعضهم: لا تسقط عنه من حقوق الله وحقوق الادميين شيء فأنت إذا جاءك المستدل عن رسول الله ﷺ بشيء فإن كان واضحاً في ذلك وإلا تركته وخِفى دليله فهذه شريعة ليلها كنهارها في أصلها وفرعها.

بقي علينا أن نتكلم معك في آية الحجرات، فإنا رأينا من يقول في الاستدلال أن من الذنوب ما يحبط العمل كرفع الصوت على رسول الله ﷺ كما يفعله الرجل استهانةً بغيره فنقول: إن كان رفع الصوت على رسول الله ﷺ استهانةً واستخفافاً، فهو كفرٌ صريح يحبَط به العمل إن مات عليه، والظاهر أن الآية إنما جيء بها للتعريض بالمنافقين كما في ﴿لئن أشركت ليحبطن عملك﴾، ثم هذا النهي إنما يتضح لك إذا طلبت حَل تركيبه فنقول: المعنى نهيناكم مخافة أن تحبط أعمالكم، وليس مخافة الإحباط إحباط، وربما قال القائل: من أين هذا التأويل؟ قلنا: من اللفظ العربي فهو مثل قولك: لا تنفق فوق المحتاج أن ينفد مالكَ وأنت لا تعلم. أي مخافة أن ينفد مالك، وعلى فرض لو سلمنا لهم ان رفع الصوت محبط للعمل فتلك خصيصة لرسول الله ﷺ وتكرمةً له مَن مولاهُ عز وجل، ولا يقاس عليها سائر المعاصي وإلاّ لَما خُصّت بالذكر. ثم أنه قد مضى رسول الله ﷺ ومضَى مَن رفع صوته، ولو سلّمنا لهؤلاء أن الكبيرة تحبط الأعمال لقلنا بكفر فاعلها، وهذه خارجيّة محضة فيها إهمال الموازنة.

وكان يقول يروى عن عمر بن الخطاب حديث أنه قال: مَن بَشّرني عن آذار فله دينار، ودليله ما قال الله تعالى في كتابه: ﴿إنّما مَثَلُ الحياة الدنيا كماءٍ أنزلناهُ من السماء، فاختلط به نباتُ الأرض ممّا يأكُلُ الناسُ والأنعامُ حتى إذا أخذت الأرضُ زُخرُفَها وازّيّنَتَ وظن أهلُها أنهم قادرُون عليها أَتاها أمرُنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأَنْ لَمْ تَغْنَ بالأمس﴾[1] في شهر آذار. فلعلَّ ذلك من عُمر خوفاً من قيام الساعة في آذار، وهذا إذا صح عن عمر حُمِل على وجه الاشفاق والحذر وإلا فعند عمر علمٌ بأن لها أشراطاً تتقدمها كما ثبت في الحديث الصحيح، وسألت والدي عن هذا الأخذ من الآية أَمْ مِنْ استنباطه؟ فقال هو مشهور عن السّلف.

---

(١) سورة يونس، الآية (٢٤).

وكان رحمه الله تعالى يقول: إذا طال الأمَل قَصّر العمل.

وكان يقول: فِرّ من الناس فرارك من الأسد فإن كانت الفضيحة والعياذ بالله يوم القيامة كان من يعرفك القليل،

وكان يختم القرآن في كل خمسٍ، وكان يكره السَّمَر بعد العشاء، إلا لأمر يهمه. وكان إذا إصابه السأَم والفترة فحضر وقت الصلاة رأيته أنشط ما يكون فيها. وكان إذا ذكر الآخرة بكىٰ. ولمّا حضرته الوفاة أسندته إلى صدري فقال لي والله لقد كرهتُ الدنيا وإن شوقي إلى الله وإلى لقاه شوق الظمآن إلى الماء. وكان في مرض موته إذا خرج عنه أهله خرجت روحه إلى طاق مكانه فإذا عادوا عادت قبل أن يدخلوا عليه فيحدثهم بأن روحه خرجت وتنقّلت بالمكان ورأيت جَسَده وما مسَّهُ من الضعف فيقول: لم أر من جسدي سوى بشر ملتفة على عظام، وكان كذلك.

[إسماعيل بن شرف الدين المهدي]

وفيها: يوم الإثنين سابع الحجة، إسماعيل بن شرف الدين بن عبد الرحمـٰن بن المهدي محمد.

وَدَخَلَتْ سَنَةُ أَرْبَعٍ وَعِشْرِيْن وَمائَتَيْن وَأَلْف

فيها: عقد سيف الإسلام ببلاد حُفاش وملحان عقود الولاية من سيف الإسلام لمحسن بن يحيـى بن محسن بن علي بن محسن بن المتوكل خامس عشر المحرم.

وفيها: عقد ببلاد آنِس لمحمد بن علي بن إسماعيل.

وفيها: خلع عن آنس قاسم بن إبراهيم الظفري، وخلَع محمد بن علي بن إسماعيل، وخلع إبراهيم بن يحيـى، وأحمد بن علي بن إسماعيل من العمالات.

وفيها: خلع عبد الله بن حسين الآنسي عن صنعاء.

وفيها: عقد بولايتها لعبد الكريم بن علي الجرافي يوم الربوع سابع وعشرين جمادى الآخرة.

وفيها: يوم الاثنين ثاني وعشرين شعبان خلع صالح بن يحيـى الأموي عن حراز.

[توجّه سعود نحو المدينة، وعبد الوهاب إلى الشريف حمود]

وفيها: توجه سعود نحو المدينة المنورة في جملةٍ من أصحابه وعادت الأمراء من مكة المشرفة نحو بلدانهم بعد أن أمر عبد الوهاب أبو نُقطة بأن يتوخّى حموداً ثلاثة أشهر فإن أزال المنكرات وبايَن المشركة وجانَب قبائل يام فَبِها ونعمت وإلاّ نازله. وبلغ

حموداً ذلك فصالَح قبائل يام وبذل لهم أموالاً جَمّة واستمالهم للمهمّة. فدخل عليه أكابرهم وعاهدوه على ذلك فاستبقاهم ولم يأذن لأحد منهم أن يعود بلاده، وسيمرُ بك ما كان منهم مع أبـي نقطه وكيف كان قتله.

[نهب ذو حسين الجِمال مِن الحِشَيْشيه]

وفيها: يوم الأحد رابع شهر محرم، خرجت قبائل ذو حسين من صنعاء نحو بَرَط بعد أن أنالهم سيف الإسلام حقوقاً واسعة ولما حاذوا قرية الحشيشية[١] انتهبوا نحواً من أربعين جملاً، ولم يشعر سيف الإسلام إلا بالصارخ يشكو فلبس لأمة حربه وخرج فيمن حضر من صحبه فتبددوا وتشردوا خوفاً منه، فتسلم منهم ما أخذوه، وأرجع النهباً إلى أهلها فرضَوا عنه وكانت خيله قد بلغت إلى الصفراء[٢] وعاد منصوراً.

[أخبار ضعف الأرض والجدب]

وفيها: ما زالت الأخبار تنقل عن أحوال الغلاء والجدب من جميع الجزيرة، وأخبروا عن الفَناء وانها تعطّلت البلدان والحصون والمعاقل وتفرغت من سكانها.

[قتلة الريمي وعلي محمد شبام في حَرَاز]

وفيها: يوم الثلاثاء ثامن وعشرين المحرم أوَى الريمي شيخ حراز جماعة من ذو محمد آل جزيلان. وقصد بهم حصن شِبام[٣] فدخله ليلاً وتسلم الباب وبيت الدولة والقَفله، وأنزل بها الرتب فثارت البغاة من يام وغيرهم خوفاً على أنفسهم وصادروا مَنْ بالباب من ذو محمد فقتلوهم وعادوا على من بالقفلة فقتلوا منهم جماعة، وعادوا على بيت الدولة فحصروا من به والجأوهم إلى الخروج فانجلت عن خمسة وعشرين قتيلاً من ذو محمد وأربعة عشر أسيراً، وطلع أهل العيان وأهل الثلث مغيرين[٤]، فلم يصلوا إلا وقد قبض على أولئك وأظهر على محمد شبام أن الريمي ومَنْ معهُ إنما أرادوا قبض الحصن للفساد. وأخبرني بعض أهل حراز أن مقصد الريمي ضبط الحصن للدولة واستنقاذه من علي محمد شبام لأنه كان قد تمادى في الفساد ولم تظهر منه طاعة إلا للمخادعة لذا جمع علي محمد رؤوس القتلى والأسرَى وأمر بإيصالها إلى سيف الإسلام فحال بينه وبين مراده العامل هادي مَرْجَز مفصحاً عليه بأن ثمة حِلف بين ذو محمد وقبائله همدان فدفنت الرؤوس بالطرق.

---

(١) الحِشَيْشيه: من القرى المجاورة لمدينة صنعاء في الجهة الشمالية منها، وقد امتد عُمران صنعاء إليها، وصارت اليوم جزءاً من المدينة. وبقربها موضع السجن المركزي.

(٢) نوع من المبالغة: ذلك أن الصفراء في جنوب صعده.

(٣) شِبام حَراز: جبل يُطِّل علىٰ مدينة مناخَه من الجهة الجنوبية.

(٤) العيان: من قرى مركز اليعابر في شرقي مناخة. والثلث: مركز إداري من مديرية مناخة.

[وصول الرؤوس من قَعْطبه]

وفي: يوم السبت ثاني صفر، وصلت أربعة رؤوس من قَعْطبه بعثها آل الفرح من قتلة كانت بينهم وبين السلطان حسين السقاف[1]. وكان قد تغزّىٰ بلاد قعطبه مرات.

[وصول الشريف محسن الحازمي بصلح حمود بن محمد]

وفي: يوم الجمعة غرة صفر، وصل الشريف محسن بن علي الحازمي مِن حضرة الشريف حمود بن محمد خاتماً للصلح ومفصحاً عن مراد حمود بأن البلاد التهامية قد كانت في أيدي الوزراء من آل أميّة وانها لم تَعُد على الدّولة بفائدة لوقوع الوزراء على خراجها، وأن اللائق عدم الالتفات إليها في جانب مُبَاينة حمود لسعود، و اشترط شروطاً طويلة وطلب الإعانة من الإمام بالرجال وما يقوم بها في الداهم الصائل، واشترط بعث ألف نَفَر من شجعان البطانة لدفع من ورد من نجد، أو يبعثوا إليه بمال يقوم بأمر ألف يختارهم هو. فأجابوه إلى ذلك، وما زال فِي حضرة سيف الإسلام، وبَتّ القول على استقلال كل واحد بما تحت يديه، وأن تُرفَع المضار والمتخطفين، وأن يؤمِّنوا السبيل، وأن يبعث كل منهما إلى عامله أن يكفّ عن الناس، وأن الاتحاد بين سيف الإسلام وبين حمود قد كان، فمن تعرّض لمسافر أو تاجر فلا يلومَنّ إلا نفسه ولمّا استتموا الصلح، بعث حمود خطاباً إلى محسن بن علي يأمره أن يبعثه إلى جميع من بقاع تهامة فيه أن حموداً قد أمّن الناس بتأمين سيف الإسلام لهم، هذا وسيف الإسلام بقصر صنعاء والشريف محسن وجماعته نازلون عليه هنالك، وما زال سيف الإسلام يرادف العَطاء ويكسو الشريف ومَنْ معهُ المرّة بعد المرّة.

[غزو بني ضَبْيان علىٰ بلاد سَنْحان]

وفي: صفر أيضاً، عَدَت قبائل بني ضَبْيان[2] على طائفة من سنحان[3] فأرسل سيف الإسلام رسلاً ثقالاً فوافوا جماعةً من سنحان قد ضبطوا بعض ما أخذه قومهم وتلك ثماني جمال، ودخلوا بها إلى سيف الإسلام آخر نهار السبت لعله سادس عشر صفر[4].

---

(١) صفة السلطان هنا غير دقيقة. فقد كان وزيراً.

(٢) بنو ضَبْيَان: من قبائل خولان العالية في شرقي صنعاء.

(٣) سَنحَان: قبيلة في جنوب شرق صنعاء كانت أرضها تُعرَف قديماً باسم بلاد ذي جُرْت نِسبةً إلى قبيلة تنتمي إلى زيد بن كهلان. انظر كتابنا: معجم البلدان والقبائل اليمنية.

(٤) في هامش الأصل تعليق بخط صاحب النسخة لعله القاضي محمد بن علي الشوكاني، جاء فيه: حقيقةً هذه القصة أن بني ضَبْيان أخذوا المسافرين بطريق السلطانية جِمالاً كثيرة وانتهبوا نهباً عظيماً=

[وصول القاضي السحولي من كوكبان]

وفيها: يوم الربوع رابع عشر صفر، وصل القاضي البدر محمد بن يحيى السحولي من كوكبان بعد أن دار بينهم وبين قبائل همدان تَرْكَ التَّعدِي علىٰ بلاد كوكبان، وتَرَكَ شرف الدين الضَّربَه، وأعاد للإمام الخطبة وقطع العلاقة من الشريف حمود بن محمد والدخول تحت الطاعة والسلوك في مسلك الجماعة.

[مصادرة محمد علي سعد لذو محمد]

وفي: هذا الشهر، صادر أحمد بن علي سعد جماعة من ذو محمد والدُّمَينات بالسَّحول[1]، وكانوا قد تعرّضوا لانتهاب المسافرين، فوصلت شكايا الدمينات إلى سيف الإسلام، أن يدفع عنهم صايل الشيخ أحمد فلم يصغ إليهم سيف الإسلام سمعاً.

[وصول الحمائل من تهامة]

وفي: هذا الشهر وصلت الحمائل من بنادر تهامة بالتجارة، فشكروا لسيف الإسلام ما صنع من الإصلاح.

[هدية من الشريف حمود]

وفي: صباح الجمعة حادي وعشرين صفر، وصلت هدية من حمود بن محمد: خمس خيل لسيف الإسلام، فكان لها موقع في صدور الخاصّة والعامة.

[سيف الإسلام يطلب أخيه من ذمار]

وفيها: بعث سيف الإسلام لأخيه محمد من مدينة ذَمار بعد ماجريات قد قصصنا بعضها فبادَر مسرعاً، وكان البدر قد اشترط أن تكون إليه بلدة رداع ومغرب عنس وعتمة مضافة إلى ذمار، ثم ترك ذلك وصالح على مال وطعام، مُجرَى في كل شهر من سيف الإسلام.

= ورجعوا بلادهم، فأغارت سنحات فلم يظفروا بهم، وكان سالم شُدَيْق طرف البلاد فتخطّف من ذلك النهب نحو عشر جمال ودخل بها هو وشيخ سنحان إلى صفي الإسلام في صنعاء فأجازه الصفي وقرّر له كيلة وجهرايَة، ولم يحصل له الوفاء بها فخرج شدِيق في شوال من هذه السنة فانتهب المسافرين في قاع سنحان بالقبتين انتهاباً عظيماً أول خلافة الصفي وأغار عليه سَنحان فلم يظفروا منه بشيء بل قتل منهم قتلى، وكذلك أهل اليمانية السُفلىٰ اعترضوه ولم يظفروا منه بشيء بعد قتل فيه وفيهم. وأمّا ما أخذ المذكور من سنحان فهو آخذ علىٰ قرية شَيْعان المواشي الراعيّة أجمع.

(١) **الدُّمينات**: هم آل دُمَينه، من قبائل ذو محمد، وأرض السحول: هي المنطقة الزراعية الممتدة من سفح جبل سُماره شمالاً وحتى سفح مدينة إبّ.

[الصواعق والبروق أثّرت في الروضة وغيرها]

وفي: العشر الوسطىٰ من صفر، أرسل الله تعالى المطر، فيه ظلمات ورعدٌ وبرق وصواعق، ذهَبت صاعقةً بصبي من أهل الروضة يقال له ابن الحيلة بكسر المهملة فمثناة تحتية، وضربت تلك الصاعقة وجه أُمّ الصّبِي، وذهبت صاعقة أخرى بقاع اليهود غربي بير العزَب، فقتلت يهودياً يقال له: البديحي بموحدة مفتوحة فدال مهملة فمثناة تحتانية فمهملة فياء نسبه ـ فكسرت عنقه وأصابت أباه فصرعته.

[دخول البدر محمد صنعاء]

وفي: يوم الربوع تاسع وعشرين صفر، دخل البدر محمد بن الإمام صنعاء، وخرج للقائه سيف الإسلام إلى قريب داعي الخَير[1]، فلما رآه البدر نزل عن فرسهِ مترجلاً لفرض السلام والمصافحة، وكان يوماً مشهوداً، وما زال ملازماً لأخيه لمّا رأى من أبيه ميلاً وانحرافاً.

[الشريف الحازمي يغادر صنعاء]

وفي: يوم الجمعة ثاني عشر ربيع، خرج الشريف محمد بن علي الحازمي عن صنعاء، وقد تسلّم عطاءً من سيف الإسلام وافراً، وبلغ في طلوعه حمود، أَمّلَهُ للصلح الواقع على وِفق الإرادة وظهور الاتحاد والاعتضاد على مَنْ جافىٰ النجديين، وذلك بعد أن بلغ ما بلغ من خطبة سعود بعرفات، وقول الخطيب: الا لا يَحجنّ بعد العام مشرك، وأول قتال نبدأ به في هذا العام قتال حمود بن محمد المرتد عن الإسلام المعافى الناكث ثم نثني بصاحب صنعاء ثم نكّر على الأروام.

[سيول غزيرة على الزْهرة]

وفيها: نزل سيل عظيم على الزهراء بقاع تهامة، وهي التي اختطها ومصّرها حمود بن محمود فكاد أن يجتاحها.

[حمود يوجّه علىٰ قبائل الزرانيق]

وفيها: وَجّه حمود على قبائل الزّرانيق[2] طوائف من يام وغيرها، فالتحموا قتالاً شديداً، وانجلت عن خمسمائة قتيل من الزرانيق، وثلاثمائة من يام، وقُتِل من الزرانيق رئيسها، وعاد كلٍ من الجيش بلَده.

---

(١) **داعي الخير**: قرية بالقرب من بيت مِعياد في جنوب مدينة صنعاء.

(٢) **الزرانيق**: قبيلة كبيرة تسكن سهل تهامة، ومركزها مدينة بيت الفقيه ويقال لمن في جنوبها أهل الطرف اليماني، ولمن في شمالها أهل الطرف الشامي. وهي قبيلة ترجع في أصولها إلى عك. راجع كتابنا: معجم البلدان والقبائل اليمنية.

[خســـوف القمـــر]

وفي: رابع عشر ربيع أول، خسف القمر واضمحل نوره في الثلث الأخير وانجلىٰ عند طلوع الفجر.

[بعض أفراد آل عبد القادر يتشكّى من أميرها]

وفي: يوم الإثنين ثالث وعشرين ربيع أول، وصل الهمام يعقوب بن إبراهيم بن محمد بن حسين بن محمود من كوكبان لا ئِذاً بسيف الإسلام متضجِّراً من شرف الدين بن أحمد لطول حبسه لأخيه عباس وبسطه على أموالهم المقطعة، فواجهه سيف الإسلام ببستان المتوكل وتلقاه بالبشر والبشاش وكان الجند عند وصول يعقوب قد التف بباب دار سيف الإسلام مترجيين خروجه على جماعة صالح الشايف وكانوا بـ (ضِبْر حَدَّين) عدني صنعاء فتسللوا عن المحل خوفاً من مفاجأتهم، ولمّا وصل يعقوب سأله عن حاله وحال أهل كوكبان وكيف كان مسيره.

[استقرار البدر في صنعاء]

وفي: يوم السبت ثامن وعشرين ربيع أول، وصل جمع البدر محمد بن الإمام في أهله وحشمه من ذمار يصحبهم رأس أهل الفساد علي بن ناجي القوسي[١] وتمنّى الناس قتله غير أن سيف الإسلام رأى وصوله بعهد يمنع من قتله، فتركه حتى خرج من صنعاء هارباً لمّا سمع من كثرة أقاويل العامة.

[وصول قاسم الظفري معزولاً من ضوران]

وفي: يوم السبت رابع ربيع آخر، وصل قاسم بن إبراهيم بن عبد الله الظفري من ضوران معزولاً، وتوجهت عمالتها لمحمد بن علي بن إسماعيل بن إبراهيم معزولاً عن يريم بعبد الله بن أحمد بن صلاح الخباني. ولمّا خرج عن خُبَان[٢] أصابته عِلّة وفشَى في العامة كذباً وزوراً ان محمد بن علي بن إسماعيل دس عليه السُمّ ثم شُفِي.

[قافلة من حضرموت]

وفي: وفي يوم الجمعة حادي عشر بن ربيع الآخر، وصلت قافلة من حضرموت مع السمعي وهو رفيق لها من خولان، فسار جماعة من الشَرَاعبه السَرَق أهل نِهم معها حتى إذا قاربوا صنعاء وقت صلاة الجمعة رأوا غَنم أهل صنعاء فوقعوا على مائة رأس

---

(١) **القوسي**: هو زعيم قبيلة الحَدا

(٢) **خُبان**: بضم ففتح. صقع من ذي رُعين في شرق جنوب يريم، يُعرف اليوم باسم مديرية الرِّضْمة ومديرية السَدَّة.

منها، وسمع سيف الإسلام الصارخ لهذا عند أذان العصر فبعث في أثر أولئك خيلاً ورجلاً فلم يدركهم أحد. وكانوا قد قصدوا الطريق النافذة تحت حصن براش[1] وتقدم عليهم من الأمراء عبد الله بن المنصور ومحمد بن المنصور وعبد الله بن أحمد بن المنصور واتهم سيف الإسلام الشيخ المسْمِيْ وعيال الهَيّال[2] بأن ذلك النهب بمشورتهم فأودعهم السجن حتى تبين له براتهم فأطلقهم وصادر قبائل نِهْم وحَرّج عليهم الطرقات.

[قتل عبد الوهاب النجدي ـ أبو نقطه]

وفي: يوم الربوع ثاني وعشرين ربيع آخر، وصلت كتب من الشريف حمود مفصحة بوصول الأمير عبد الوهاب أبـي نقطه أمّ الخشب[3] في ألفاً وعسير، وأنه بعث من أبـي عريش طائفةً قوية مرضية فكانت ملحمة. ولما رأى أبو نقطة هذا الأمر وعلم أن حموداً لا تَنْجَع فيه المراجعة ولا يدع المصاولة والمدافعة استدعى الجيوش من كل وجهه فانضم إليه كثير من أمراء الشرق، فعسكر حمود بأبـي عريش واستعرض جنده فرآهم كَفواً فنزل بهم أطراف وادي بيش فتصافوا للقتال. وكان عبد الوهاب قد أرسل العيون لتأتيه بخبر القوم فنقلَت إليه العيون أن جُند حمود كُبراء (يام) فحلف عبد الوهاب بالله لاعاد حتى يقتل حموداً أو كبراء ذو حسين وأمر جنده بالشّدة على قبيلة يام وقال هُمْ أشد الكفَرة اللئام على أهل الإسلام، وكانت القبائل قد أخذت محلاتها قيام بجناح المَيسرة وذو حسين بجناح الميمنه وحمود في ستين فارساً من الأشراف ورُماة تهامة بالقلب، ولمّا رأى عبد الوهاب صَفّ أولئك خرج على فرسٍ مضهره وهو يقول: قتاني الله إن لم أقتل حموداً، فناشده أصحابه: الله والرّحِم أن لا تَخرج. فلم يلتفت وبرز فَواجَه الشريف وهو لا يعلم به وركض على فرسه والناس يظنون ان أبا نقطة حموداً ولم يشعروا به حتى عطف على جماعة ذو حسين فَفَتَل رمحه وأرسلهُ على حامل الراية البكيليّة فقتله فثار حي بكيل وقالوا: هذا والله أبو نقطة فرموه دفعةً واحدة فمزقت الرصاص ثيابه وأصابه منها ما أوهاه عن العطفة عليهم واشتدوا عليه فانحط عن فرسه فاقبلوا عليه ضرباً بالرماح والسيوف فقال: دعوني يا عدوان الله قَدْ فِيّ ما يكفي فتناولوه ليحتزوا رأسه فدهمتهم المشارقة وحالوا بينهم وبينه وخاض حمود وجماعة من أصحابه في صفوف أولئك وتهالك أكثر المشارقة على جناح المَيْسَرَةَ وبه يام فأصدقوا فيهم الضرب والطعن فأزهقوا أرواحهم، وداروا على سوقهم وسياقهم وجميع ما لهم من المِيْرَه والزانة وحصروها وأخذوها فانكسرت يام وولّوا الأدبار. وأقبل إذ ذاك الأمير

---

(١) **حصن براش**: هو الجبل الذي يقع خلف جبل نُقُم. وكلاهما يشمخان أعلا مدينة صنعاء.

(٢) **عيال الهيال**: هم من مشائخ قبيلة بني جَبْر من خولان.

(٣) **أمُّ الخَشَب**: من قرى وادي بَيْش من منطقة جازان. (المعجم الجغرافي للبلاد السعودية).

حَشر الدوسري يطلب المنازلة ويقول: أين عَشْر لِحَشْر أين عَشْر لحشر؟ عليكم يا أهل الشام بالمشركة. وحَمَل يضرب بسيفه يميناً وشمالاً فتفرق عنه الناس. وكان قد حمل قبله عبد الله بن عامر أبو نقطة وقد عاف الحياة لقتل عبد الوهاب فلم يشعر أصحابه الا بانتكاسِه عن فرسِه لرصاصةٍ جاءته من قبائل حمود، فخرج ولده سليمان بن عبد الله بن عامر فأدركته رصاصة، وخرج ثلاثة من آل أبـي نقطة أولاد عمه فقتلوا. وكانت قبيلة يام قد ذهبت وولت منهزمة خائبة ذليلة. فقال حمود لمن بقي وعلم أنه مأخوذ إن لم يهرب: يا أولادي حفظكم الله إلزموا الطريق فما عاد هي ساعتكم، فسمعه طوائف نجد فاشتدوا عليه فأخذوا خزانته وسلبوه مِيْرَته وماله وضموا ذلك إلى ما قد سلبوه علي يام وعقروا فرساً للشريف. لا يُفَضِّل عليها فرساً، وكان من قبل قد أركب كبراء يام وفرسانها على خيله واستعرضهم فكانوا مائة وثمانين فارساً هلك أكثرهم، وعُقِرت تلك الخيل جميعها في حال الانكسار، وقُتلت تحت علي بن حَيْدر ثلاث من الخيل وانتُهِبت يام بعد أن ولّوا الادبار إلى أبـي عريش ولم يشعر حمود بمنزلهم بعد الانكسار، وأما هو ومن معه فكانت الذلة قد داخلتهم حتى قال لي بعض جيش أبـي نُقطه: والله لقد رأيت حموداً في نحو المائة من أصحابه وهو يغذ السيّر خوفاً ممن خلفه وليس خلفه سوى أربعة نفر أحدهم الأمير حشر، وانتهىٰ بهم السيّر إلى صَبْيَا فدخلوها فوجدوها خاوية على عروشها، فحط بقلعتها ثلاثمائة من سحار وسار.

وطار في جمع نجد قتل أبـي نقطة[1] فحزنه الكبير والصغير، وكان رئيساً لا يساوون به أحداً فما زالت غوازيهم تنزل على تهامة غازية بعد غازية وهو يصاولهم، وكتب حمود إلى سيف الإسلام يخبره بما كان ويبشره بقتل هذا السلطان ويطلب منه قبائل برط لأنه رأى فترَه من يام وعلم أنه لا ينجع فيهم المال ولا المراجعة بحسن المقال، لأنهم بما صودروا به ذلّوا، وحَلَف الكثير منهم بالله لا عاد إلى تهامة. فبعث سيف الإسلام بكتب إلى قبائل بكيل يَحظّهم على المسير إلى الشريف، فجاءت كتب من القاضي عبد الله البرطي في طيها كتب من حمود بن محمد يخبر بأنه أنتصف من النجود وانه قد استغنى في تلك الحالة عن وصول الجنود، فبعث سيف الإسلام إلى الشريف بتلك الكتب لئلا يظن به التَواني فصدقه في ذلك.

[الشريف حمود يكتب إلى صاحب شهاره]

وما زال حمود يكتب إلى كل كبير وصغير بقتله أبـي نقطة ويصف تلك الحالة،

---

(١) **هو عبد الوهاب بن عامر المتحمي الرفيدي العسيري**: من آل أبـي نقطه. تولّى إمارة بلاد عسير بعد وفاة أخيه محمد سنة (١٢١٥هـ). ومدة حكمه تسع سنوات. الأعلام (٤/ ١٨٣)، والمقتطف من تاريخ اليمن للجرافي ص (٢٥٩).

فمن كتبه التي رأيتها ما كتبه إلى علي بن إسماعيل بن علي صاحب شهاره:

«بسم الله الرحمـٰن الرحيم، وبعد حمد الله؛ مَنْ جَعل العاقبة المتقين ووعد أوليائه بالنصر على الظالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الأمين، الذي أخبرنا عن هذه المارقة بأن كل خارجة منهم تنقطع وهي لأختها لاحقة، وعلى آله الطاهرين وأصحابه الراشدين شحاك المارقين، فصدّرت للسلام عن أحوال قارّة، وأمور سارَّة. بعد وصول كتابكم. وحمدنا الله تعالى على عافيتكم وما صَدّ عن التحقيق. إلا الاشتغال بجهاد هذا الفريق. وقد قدر الله سبحانه في سابق علمه وأكّد ذلك بإيجاب جهادهم في كثير من الأحاديث وكرّر فوافقنا جمعهم في بَيْش. فأخذ الله تعالى منهم في ذلك اليوم كل باطل وطيش. وقتل قائدهم عبد الوهاب. ومن لا يحصَى معه مِن أولئك الأحزاب، وعُقِرت من خيلهم أكثر من الخمسين، وولّوا مدبرين. ثم خَفَّت اقدام بعض من معنا سبب العجَب الذي نَهى الله عنه، ﴿ويوم حُنينٍ إذ أعجبتكُم كثرتكم، فلم تغن عنكم شيئاً﴾[1]، ثم انتقلنا إلى أبـي عريش ودارت الحربُ بيننا وبينهم، وكلما توجه لهم جمعٌ اعترضناه فيعذبهم الله بأيدينا ويُخزهم وينصرنا عليهم إلى أن قارب قتلهم في تلك المرة الألَّفَين أو يزيد، ثم ولّوا منهزمين، لا يلوي بعضهم إلى بعض، ولا يهتدون إلى إبرام ولا نقض، وضاقت عليهم الأرض حتى كان هاربهم إذا رأى غير شيء ظَنَّه رجُلاً، ثم في شهر رمضان وصل جمعان منهم ابن شكبان وابن دَهمان لمجرد رأوا جمعنا، ولّوا الدُبُر والساعة موعدهم بل الساعة أدهىٰ وأمرّ[2]، ثم وصلت هذه الأيام المضايفي[3] وكافة عسير، يوم أحد وعشرين في شهر شوال فوصلوا إلى أطراف ضمد بمجَرَّد أن، رأوا جمعنا تفرّقوا أيدي سباً، وأمعنوا في الأرض هرباً، ورجعوا بخفي حنين بعد أن أصاب منهم الذل والفشل ما ظهر لكل ذي أذنين وعينين، وهذا من فضل الله علينا وعلى الناس، ولكن أكثر الناس لا يشكرون، والحمد لله الذي صدَقْنا وعده، وهزم الأحزاب وحده ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

[أبو حليقه يَدّعي حقوقاً في بلاد حُبَيْش]

وفيها: شهر جمادى الأولى، نزل حسين أبـي حليقة للفساد وأخذ بثأر العناد وتعلل بأنها كانت لوالده قطعه ببلاد حُبَيْش تغلّب عليها العَمَلةُ والشركاء، فقابله أحمد بن

---

(١) سورة التوبة، الآية (٢٥).

(٢) يستمد عبارته من قوله تعالى: ﴿أم يقولون نحنُ جميعٌ منتصرٌ، سَيُهزم الجمعُ ويولّون الدُّبر، بل الساعة موعدهم والساعة أدهىٰ وأَمَرُّ﴾ سورة القمر، الآية (٤٦).

(٣) وَردت: المطايفي.

علي سعد بجنود وافرة جرّاره[1]، فحوّزه وقتَل جماعة من أصحابه وضيّق عليه غاية التضييق، وأنزله بالذلة والمهانة، وكان قد قبض حصناً ببلاد حبيش تسلّمه منه.

[عامل رَدَاع يضبط أولاد اسماعيل بن إبراهيم]

وفيها: ضبط الشيخ علي سعيد الحاج عامل ذمار[2] أولاد إسماعيل بن إبراهيم: أحمد بن علي بن إسماعيل والي رداع وإبراهيم بن يحيى بن إسماعيل عامل آنِس، وكانا قد رفعا رؤوسهما للفساد، فحبسهما بذمار وضيّق علىٰ محمد بن علي بن إسماعيل بذمار وأطلق له عمالة آنِس.

[شيخ حراز يعتدي علىٰ صهره]

وفيها:[3] عدا الشيخ السهيلي صاحب حراز على صهره إسماعيل الريمي وعلي الريمي واحتزّ رؤسهما وبعث بها إلى حضرة سيف الإسلام، وجاءت كتب من صالح بن يحيى العلفي شارحة لِما كان فنصب سيف الإسلام الرأسين في بستان المتوكل.

[فرع من قبيلة بكيل يقصد آنِس]

وفي: ليلة الثلوث، لعله العشرون من جمادى الآخرة، وصل جماعة من الدَمَيْنَات متسللين إلى بلاد آنس، فبلغ سيف الإسلام أنهم بشرقي الروضة، فسيَّر عليهم جماعة من عسكره ليلاً، فلم يظفروا عليهم سوى بَعِير تركوه هنالك وشردوا خوفاً من سيف الإسلام، وبَعَث الطلب في أثرهم فوجدوهم قد توجّهوا إلى حصن الملاحي صاحب آنِس واستدعائه لهم، فألزم سيف الإسلام أهل البلاد بِحفظ أولئك، فما زالت الرعية تبعث العيون عليهم من كل وجهة، ووصل محمد بن علي بن إسماعيل بن إبراهيم من ذمار متولياً فحط بصنعة آنس.

[إلغاء تولية حميد العلفي بلاد ريمه]

وفي: العشرة الآخرة من شهر جمادى الآخرة، حجر سيف الإسلام بلاد كسمة والجبي علىٰ حميد بن عبد الله العُلُفى لولده الفخري ولقاسم بن إسماعيل فارع، وكان الناس يتوقعون من حميد فساداً وعناداً، وكان السبب الباعث أن سيف الإسلام أحال علىٰ حميد ثلاثة آلاف قرش معونة لحمود، فلم يسلمها، ووصل كتاب من حمود فيه الشكوى من حميد، فرأى الصلاح في خلعه. وكتب سيف الإسلام إلى حمود أن يقطع عليه الطريق من تهامة وبَدَا لحميد أن يسير عن كسمه إلى الجبي ليثبت الأمور، فكانت

---

(١) «جرارة»: زيادة في ب.

(٢) هو من مشائخ قيفه وكان متولياً عمالة ذمار ورَدَاع.

(٣) سنة (١٢٢٤هـ).

صاعقة في تلك الليلة أخذت جانباً من دار حميد، فَتنحَّى إلى بيت إسماعيل جابر، فجاء مطر هُدِمت به الدار، فتحوّل بأهله إلى المنار، فجاءهم رعد وبرق فيه ظلمات وصواعق ونار، فقال بعض أولي الأبصار: لا فرار من الإدبار، واحتفل سيف الإسلام بالطلب للقبائل لذلك المهم.

[النزاع بين أهل الوظائف]

وفي: يوم الأحد تاسع رجب، وصل جماعة أهل آنس بالدميني في جماعةٍ من آل أحمد بن كول وذو موسى وغيرهم[1] وعلى أعناقهم الاغلال فاستعرضهم سيف الإسلام بالبستان، ولحق حي بكيل ضراً ومهانة، وكان فيهم رجل من بني حشيش قد قتل برأيهم رجلاً وأقر بذلك، فضرب سيف الإسلام عنقه بعد ثلاث، وهو أول رأس ضرب بين يديه، وتقدم في حال عرضهم النقيب يحيى بن هادي الشايف[2] يتشفّع فيهم من القتل فشفعه سيف الإسلام، وأمر بهم إلى السجن.

وقام سيف الإسلام من ذلك المقام إلى مقام آخر قد اجتمع فيه كثير من الأعلام لفصل الخصام بين عمال الوقف، وأهل الوظائف، وكانت لا تزال الشكايا تأتي إلى سيف الإسلام المرّة بعد المرّة من أن العمال قد بسطوا على ما أخرجت الأرض من الثمار، وحازوها وأحرموا أهلها وأنه حصل الاستبداد الكلي، وكان بالمقام البدر الشوكاني والفخر عبد الله بن محمد الأمير والوجيه عبد الرحمٰن بن يحيىٰ الانسي والوزير علي بن إسماعيل فارع، والعلامة يحيى بن محسن الحبوري، وحضر كاتب الوقف محمد بن صالح أبي الرجال وعبد الله بن المنصور عامل الوقف وكاتبه يحيى بن محمد الشامي، وقام الناس بقبة المَفْرج في بستان المتوكل عن يمين سيف الإسلام ويساره، وفتحت الدعوى من العلماء والمتعلمين قبل المتوظفين، وشكوا أن لهم من الأوقاف لم يعهدوا على طول السنين أنه قد وصل إليهم منها شيء وأن عمّال الوقف صاروا آكلين لها[3] وأحال شمس الإسلام الجواب على الكاتب فأخرج الدفتَر في الحاصل وقرر عمالات للناظر والمعين له وللكاتبين الآخرين والعمال والصيب وللزُرّاع والحاصل والحاصد والكيّال والجمّال والخزّان والساقي للأموال والشاقي فيها. وحوالات ينظرها الناظر لشخص يفد عليه أو سائل يصل إليه، فبعد هذا لم يبق من الغلة سوى القليلِ وألزمهم سيف الإسلام بأن من العدل أن يُسوّىَ بين المتوظفين وأهل الأعمال الاخرين.

---

(١) من قبائل بكيل.

(٢) من زعماء القبيلة.

(٣) وَرَدت: متاكلين لها.

وكان أعظم الناس كلاماً بذلك المقام العلامة يحيى بن محسن الحبوري فإنه أذل العمال ونسبهم إلى سرقة المال وصاولهم بالمحاججة وردّ عليهم ما أوردوه من المقال، وانفصل ذلك المقام ولم يعودوا إلى شيء من تمام هذا الأمر.

[رسالة إلى أمراء كوكبان]

وفي: يوم الاثنين عاشر رجب سَيَّر شمس الإسلام عبد الله بن محمد الأمير إلى شرف الدين صاحب كوكبان يأمره بإخراج العباس ابن إبراهيم وعلى اختيار شرف الدين إن شاء أن يبقى العباس لديه بكوكبان بقي وان كره بقاءه فقد أذن له شمس الإسلام في الدخول حضرته، أو لم يرض بهذا ولا هذا عاد جوابه ونحن أدرى، وكتب الكتاب القاضي البدر محمد بن علي الشوكاني.

[القبض على جماعة من أرحب]

وفي: يوم الخميس ثالث عشر رجب، قبض شمس الإسلام على جماعة من أَرْحب من بني غانم كانوا قد توجّهوا ريمة مفسدين فغلهم بالحديد قريب (مَتْنه) جاء بهم أهل بلاد البستان فأقامهم في الشمس ثم سيّرهم السجن، وظهرت بأيديهم كتب من حَمِيد الأموي عامل (رَيمة) وكانوا نحواً من ثلاثين نفراً غير أنه شَردَ عشرون وصفه عشرة.

[الأميّر يُسيّر ولده لضبط حميد العلفي]

وفي: يوم الربوع العشرين من شهر رجب، سيَّر شمس الإسلام ولده عبد الله وشيَّعَه إلى (دار سَلْم) متوجهاً على حميد، وسيّر بين يديه قبائل نهم وخولان وجماعة من البطانة. فاستقر بدار سلم إلى يوم الربوع سابع وعشرين رجب وخرج شمس الإسلام يوم الخميس، وجعل له كاتباً قاسم بن إسماعيل فارع واناط جميع الأمور به وألزم ولده الإذعان له، وكان فخر الإسلام إذ ذاك في نحو ثماني عشرة سنة. وخرج شمس الإسلام صبح الخميس في عالم الدولة، فسار عن دار سلم وقت الضُحَى.

[شيخ الحيمة يتوسط للعليفي]

وفي: هذا الاسبوع وصل الشيخ حسين العَلِيّي صاحب الحيمة يستفدي بقاء حميد على أن يُسلِّم ألفي قرش وسيعجل بين يدي بقاه عشرين ألفاً فرانصة، فلم يسعده شمس الإسلام وبَتّ القول بتحوله.

[جلاء الوهابيون من تهامة]

وفي: تلك الأيام وردت كتب من حمود بن محمد بن أبي عريش مخبرة بإجلاء الموهبة عن تهامة اليمن.

[إطلاق العباس بن إبراهيم من الاعتقال]

وفي: يوم الربوع، أطلق العباس بن إبراهيم بن محمد بن حسين(1) من دار الاعتقال، وإنما فعل شرف الدين ذلك لشدة ما صارع من السطوة والصدمة الأولى، وكان ذلك الكتاب الطالب لشرف الدين إلى إخراج العباس بن إبراهيم بيد العلامة عبد الله بن محمد الأمير. ولمّا خرج من دار الاعتقال نزل في يوم الخميس على شرف الدين وراح عند آخر نهار الجمعة إلى داره. وكان بـ (كوكبان) يوم مشهود، وعاد عبد الله بن محمد الأمير بعد أن حرر القواعد بين العباس وشرف الدين بأن الأمر في الحل والعقد إلى شرف الدين، وليس إلى العباس من أمر الدولة شيء. وكان وصول عبد الله بن محمد الأمير إلى الوزير علي الله بن إسماعيل فازع فنزل عن بغلته غير متماسِك فحصل معه فك بكاهله الأيمن، وخرج عنه محمولاً إلى أهله بالروضة وانقطع عن الخروج والدخول فخرج شمس الإسلام عن صنعاء لعيادته يوم السبت سادس شهر شعبان، وبعث العباس بن إبراهيم إلى الوزير بكسوة فاخرة فلبسها.

[تولّي العلامة النهمي بلاد بني الحارث]

ولبقية ثلاث من رَجَب أناط شمس الإسلام ولاية بني الحارث وبني حشيش وما يليهم من (نِهْم) برفيقنا العلامة علي بن إسماعيل النهمي غير أنه لم يبق إلاّ شهرين وحُوِّلت الولاية لولده أحمد بن علي بن إسماعيل.

[إخضاع بـلاد ريمـه]

وفي: يوم الإثنين ثامن شعبان، تقدم الفخري عبد الله بن أحمد بن أمير المؤمنين علىٰ مَنْ بقلعة السبت من أعمال رَيْمه، وكان حميد قد رتّبها بأحمد بن عبد الملك الأموي، فاشتد له فخر الإسلام في مائتين من حاشد، ورَجُلين من بني أمية بعد حصار ثلاثة أيام، وتقدم إلى القلعة ذلك اليوم، ووصلت كتب إلى فخر الإسلام من العُقَّال الذين كانوا لدى حميد، يطلبون الأمان وأسعدهم إلى الوصول آمنين، ووصل كُبَّار السَّلَفية والجبل بنو الضَّبيبي والواحدي بالعقائر، وأناط شمس الإسلام عمالة بني قشيب بولده الفخري بعد نزوله منها، وكان قد ضبط شيخها أحمد بن أحمد عاطف وتخلَّصهُ أربعمائة قرش، وأرسل حميد في تلك الأيام بمال إلى جماعات حاشد يستعجلهم الوصول، فنزلوا في خمسمائة مقاتل من خَارِف والصَّيَد والكلبيين، وجاءت طريقهم

---

(1) هو العباس بن إبراهيم بن محمد بن حسين عبد القادر شرف الدين الكوكباني: انظر ترجمته وتفاصيل اعتقاله ودوافعها في كتاب القاضي إسماعيل الأكوع: هِجر العلم (٤/ ١٨٩٤)، وكذا كتاب الدكتور حسين العمري: مئة عام من تاريخ اليمن الحديث ص (٢٥).

(بَوعان) فتلقّاهم أهل الحيمة، فأوقعوا بهم بـ (يَفَعان) يوم الإثنين خامس عشر شعبان، ومضوا وقد قُتل منهم ثلاثة نفر، وجُرح عشرة، واحتَزّ أهل الحيمة رأساً واحداً بعثوا به إلى شمس الإسلام.

[التشديد علىٰ بعض آل العُلُفي]

وفيها:[1] يوم الربوع سابع عشر شعبان، شدد سيف الإسلام علىٰ حَسَن بن حَسَن عثمان وحسين بن محمد وحسين بن أحمد وهم بالسجن فضرب لهم القيود.

[الأمير أحمد يستطلع أمور تهامة]

وفيها: في شهر جمادى، سار أحمد بن إسماعيل فارع[2] عن صنعاء متفقداً لأحوال بندر المخا، وناظراً في أمر سلطان المتولي[3] بضربٍ من الخداع، فلم يحسن السياسة، وبَدَا له في آخر رجب أن يستميل أهل البندر بمال، وكان سلطان قد حاذره وأرصَد عليه العيون فرآهُ لاشي ولم يَعْبأ بِهِ، خلا أنه قرّب لَهُ مُشهّياته ورآه مائلاً إلى اللهو تارة والخلاعة تارة أخرى، وظهر منه أن نزوله لضبط سلطان ويتسلم البندر، فساءَ تدبيره ولم يشعر إلا بضبطه وضبط سعد غدارة، وكان شمس الإسلام قد أرسل سعد غدارة، وجماعة من البطانة، وأتبعهم السيد يحيى السراجي في جماعته، وياقوت محمد المنصور، وكانا في ثلاثين نفراً، فتلقاهما الأمير سلطان ورفع شأنهما مع اتخاذه جنداً من العَبَادِلَه[4] يمنعه من السطوة والمصاولة، وكانوا معه في إدراك البندر في نحو ستمائة أو يزيدون.

وبَلَغ الأمر إلى شمس الإسلام وعقبه استدعى أحمد فارع إلى صنعاء وتقوية البندر بالأمير سلطان، وكان قد اتخذ له يداً عند حمود بن محمد يمنعه من وصوله صنعاء إن ظفِر به الجند الامامي، وكان ذلك مشترطاً في صلح حمود، حتى كان ما كان في العام الآتي من القبض عليه أيام خلافة الإمام المتوكل.

---

(١) سنة (١٢٢٤هـ).

(٢) شقيق الوزير قاسم بن إسماعيل فارع. وكان هذا فقيهاً عارفاً وقد أرسله الأمير أحمد بن المنصور علي في مهمة تفتيشية استطلاعية لأمور تهامة.

(٣) **سلطان حسن:** الأمير العبد عامل المَخا، من الأمراء العبيد. انظر: كتاب الدكتور حسن العمري: مئة عام من تاريخ اليمن ص (١٦٦).

(٤) من قبائل لحج. وكان منهم السلاطين آل العَبْدلي الذين حكموا لحج. انظر: كتابنا: معجم البلدان والقبائل اليمنية.

[صالح العلفي ونقمة أهل حراز]

وفي: يوم الإثنين ثاني وعشرين شعبان، وصل صالح بن يحيى الأموي[1] من حراز إلى حضرة شمس الإسلام، وكان السبب الباعث أن أهل حراز نقموا عليه كثرة الواردات الغير اللازمة، واستحجوه بأنه فرّق عليهم عند سيره من صنعاء ألف قرش، فسلّموها ثم أتبعها ألفاً آخر فسلّوها، ثم فرض عليهم غرامته من يوم خروجه من صنعاء، وجعلها لكل يوم خمسين قرشاً، فأَبَوا ذلك قال صالح بن يحيى: وكان ذلك بالأمر من الوزير الحسن بن علي عبد الواسع، فتنكرت له طباع أهل المحل، قال: وبلغني أنه تحدث الأكثر بحضرة سيف الإسلام أن صالحاً مفسدٌ غير مراضٍ بما جرى على عشيرته فلم يسعه إلا الوصول حضرة شمس الإسلام.

[أبو حِلَيْقه ينجد حميد العُلُفي]

وفيها:[2] سار سعيد أبو حليقة بجماعةٍ من قبائل خولان ناشراً لأعلام الفساد، ومجيباً لحميد الأموي وكان قد بعث له باثنتي عشرة مائة قرش زلاجاً، وصادف وصولها مع مفارقة سعيد بن مقري لشمس الإسلام وخروجه من حضرته، فجاءت لما عند أبي حليقة مزاجاً، فاستدعاه وأراده أن يكون على هواه، فَختَل شمس الإسلام سعيد بن مقري ومن صحبه، وكان أبو حليقة قد ناظره بـ (الشَّرَزَه)[3]، فلم يصل، وحرَّج شمس الإسلام على أبي حليقة الطرق، فلم يرَى لنفسه مجالاً في النفوذ لقلة الصاحب، فعاد منكوس الراية ذاهب الرأي، واختلفت القبائل على حميد، وكتب أهل كسمة[4] إلى فخر الإسلام بالاستقدام، وشكوا له ما جرَى لهم من التضييق، وذكروا له أنه قُتِل رسولين من رُسُل شمس الإسلام بـ (كتفان)[5] واستغاثت الرعايا، وأيس حميد من الفلاح فنادَىٰ فخر الإسلام بالإصلاح، على أن تكون له حَوْره[6] من أعمال ريمة وكان قد استقطعها من الإمام المنصور، فلم يجبه إلى ذلك، وسار فخر الإسلام من (السَّلفية)[7] يوم الربوع رابع وعشرين شعبان، وطلع نقيل الحَسَل[8]، وحطّ بجيشه في بُكَال، وكانت قتلة بذلك

---

(١) من آل العُلُفي.

(٢) سنة (١٢٢٤هـ).

(٣) **الشَّرَزَة**: بفتح الراء والزاي. قاع في الربع الشرقي من سنحان.

(٤) **كُسْمه**: بضم فسكون. مدينة وحصن في رَيْمَه، بالشرق من منطقة بيت الفقيه.

(٥) **كتفان**: موضع من بلاد رَيْمه.

(٦) **حَوْره**: مركز إداري من مديرية الجبي في بلاد ريمه.

(٧) **السَّلفِيّه**: بلاد واسعة في جبال رَيْمه، تشكل واحدة من مديرياتها. وهي منطقة كثيرة القلاع والحصون.

(٨) **الحَسَل**: نقيل وقرية من قرى مركز بُكَال بمديرية الجَبِي في بلاد رَيْمه.

النقيل قُتِل بها من أصحاب حميد أربعة عشر نفراً.

[حميد العلفي يضع شروطاً للاتفاق]

وفي: أول شهر رمضان[1]، طلب حميد الاتفاق بفخر الإسلام وعُقَّال العسكر وكبار القبائل، فمال إلى ذلك قاسم بن إسماعيل فارع وأجابه فاتفقوا آخر نهار الربوع، ونزل حميداً مِن حصن المنار وحجب قاسم بن إسماعيل فارع أكثر النهار، وكان قد اشترط على الفقيه قاسم أن لا يأتيه في كثير من الناس، فسار في ستين نفراً، ونزل حميد في مائة وخمسين، فيهم من وجوه الناس: سنان الزنداني[2]، وناصر شُويط[3] وعلي العَنز[4]، والسيد حسين أبو منصر[5] ومحمد بن منصور الأبيض الحاشدي[6] وابن عمران[7]، وعزيز سُوَى وحسين أبو ذيبة[8] وابن الرّضِي[9] وكان قاسم بن إسماعيل فارع قد طلع بجماعته وفيهم هادي أبو لحوم[10] وأحمد السبوع وأحمد شليف وهو من كبراء نِهْم، وفيهم النقيب أحمد شريان الحسيني، وحسين بن مرشد المحمدي والسيد أحمد بن يحيى الشامي الخولاني والشيخ صالح الصوفي الخولاني والشريف حسن الجوفي.

[وكان حميد في هيئةٍ ضخمة ودار الخوض من حميد على شروط اشترطها]

فيها: أن يُحوِّل جميع ما معه من الخزائن والأموال، ولا يتعرض له فيها بحال، ومنها: أن يكون له جبل بُرَع[11] قطعه لا يمضي منها حكم للدولة. ومنها: أن تكون دية القتلىٰ الذين ذهبوا بنقيل الحَسَل على الدولة. ومنها: الجَبُورية لأمواله المشتراه

---

(١) سنة (١٢٢٤هـ).

(٢) من أرحب، يُنسبون إلى منطقة زِنْدَان.

(٣) من بني صُرَيْم إحدىٰ بطون حاشد.

(٤) من قبائل وادعة حاشد.

(٥) يُنسبون إلى السيد أحمد بن محمد أبو مُنَصَّر المقتول في ذِيْبين سنة (١١٤٧هـ)، وهو أحمد بن محمد بن أحمد بن نهشل بن حمزة بن نهشل بن وهّاس بن أحمد بن الإمام المنصور عبد الله بن حمزة بن سليمان الحمزي الحسني.

(٦) من قبائل خارف إحدى بطون حاشد. لهم قرية تُنسب إليهم تقع جوار بلدة عثار من قرى مديرية خارف وأعمال محافظة عَمران.

(٧) من قبائل خَمِر في حاشد.

(٨) أبو ذيبة: من قبيلة خارف إحدى بطون حاشد.

(٩) آل الرضى من أعيان خارف.

(١٠) كبار زعماء قبيلة نِهْم.

(١١) جبل بُرَع: وهو في جهة الشرق من مدينة باجِل في تهامة.

بـ (رَيْمه). **ومنها**: قبول الشفاعة في إخراج آل أميّة من السجن. **ومنها**: الضبط للرعيّة فيما بقي لجماعته عندهم. **ومنها**: إقامته هو وأصحابه شهراً أو زلاجهم بألف قرش،

ولم يسعده فخر الإسلام إلى شيء من هذه الشروط فطلب التأخير لوفقه أخرى، فسار عنهم إلى المنار، وجاءه الخبر بأن أبا حليقة في الشرزة وأصلاً إليه ممداً له، فأخلف الميعاد رجا أن ينتصر بأبـي حليقة، ثم لما لم يصل أظهر أن خَلْف الميعاد لفوتٍ حصل بينه وبين قومه، وكان قد حرَّر قاعدة في ضمان وجوه القبائل وكانت بيد الفقيه قاسم فأرسلها إليه، وبعد يومين أرسل يطلب الاتفاق فلم يسعده الفقيه قاسم إلى ذلك فَبَدا له، النزول من المنار إلى كسمة ليشدِّد مَنْ بها ويثبت أمرها، فخرج عشية الأحد خامس شهر رمضان فكاد جند سيف الإسلام أن يحولوا بين وبين العَود إلى المنار ودخل إلى النوبة التي كان عَمرها على كُسْمَه، وأرادوا حصره بها وتحدّث الناس أنه قد أَوَدَى به الزمان، فخرج وهم لا يعلمون على أنه قد كان قام بينهم الحرب، وقُتِل من جُند الدولة أحمد بن محمد بن طشة من جماعة السبوع، وهادي بن علي سَبْتان من أصحاب أحمد شريان، واثنان من خولان، وقُتِل من أصحاب حميد ثلاثة نَفَر، ولم يصح لنا هذا الخبر، على أن جند الدولة كتبوا بذلك والله سبحانه أعلم.

[باذيب يعود من جاوة بتجارة بديله]

وفي: هذا العام[1] عاد عبد الله أبو ذيب الحضرمي[2] من بلاد الجاوة، وكان بعثه غالب بن مساعد[3] بشيء من النفائس والأحجار البديعة والالات الفاخرة التي أعطاه سعود بن عبد العزيز عام أخذه المدينة مما كان معلقاً على قبر النبي ﷺ فباعها لَهُ وعاد بثمنها تجارة واسعة.

[أحمد بن عبد الله المهدي]

وفيها: يوم الثلوث سادس محرم، أحمد بن عبد الله بن المهدي العباس، وقد تقدم له ذكر في خروجه إلى الروضة، ونصبه الخلاف مع أهلها والقبض عليه وإيداعه السجن.

[هـادي الدحومـه]

وفيها: يوم الثلوث سابع وعشرين محرم، هادي بن محمد الدحومة بدال مهملة مفتوحة فحاء مهملة مضمومة فواو فميم فتاء تأنيث، كان من أمناء الشرع وكان يكره مَن

---

(١) سنة (١٢٢٤هـ).

(٢) لم أجد له ترجمة، وهو من آل باذيب أهل مدينة شِبام حضرموت، ينتمون إلى كِنده.

(٣) الشريف غالب بن مساعد الحسني، أحد أمراء مكة.

دعاه بالفقيه، ويظنها رتبة دنية. قال له بعض القبائل يا سيدنا هادي، فقال له: تأدَّب يا حمار قُلْ يا قاضي قضقضوا رأسك.

[محسن مُفَضّل]

[illegible] محسن بن عبد الله بن مفضل[1] الهاشمي من آل الوزير[2] المنجم صاحب الزيج، كان مشغولاً بالكواكب وأمورها، وكانت تبدر عنه فيما ينسب إليها بوادر مضحكة، فربما قال هذه الزهرة العاهرة فعلت معي كذا، وهذا المريخ المخنوث فعل معي كذا، وينسب الأفعال إليها. وكان لا يستقر على حالٍ من القلق فتارة بصنعاء وتارة ببير العزب وتارة بحدَّةٍ، كل ذلك يفعله على حسب تأثيرات النجوم عنده، ويتوخّى هذه المحلات لدفع المفاسد الحاصلة من النيرات، فكل محل يراه بحسب طالعه منحوساً يتحول عنه أو مسعوداً فينزل به، وكان في عناءٍ من ذلك وله قضية مشهورة:

وهي أنه بنى بيتاً في بير العزب وارتقب له وقتاً يؤسسه فيه فرأى أن أوسط الثلث الأخير مثل من الليل قبيل الفجر أمكن وقت للعمارة فأحضر العَملة والعمّارين، وقال: إذا سمعتم صاحب المنارة في مسجد حنظل يسبح قبل الفجر ألقيتم الحجارة على الأرض، ففعلوا وأصبح يتحدث أنه قد اختار وقتاً وضع بيته فيه لا يهدمه الدهر فما هو إلا أن خرج منه العمّار وأكمله وسقط على الأرض يوم ثاني إكماله، ولمّا سقط واجتمع بالجماعة الذين ذكر لهم أنه جعل الأساس بوقتٍ لا يهدمه الدهر ضحكوا منه وجاروه في دعواه وقالوا له على جهة السخرية في صورة الصدق: قصَّرت في النظر، فقال: هو الظاهر أتعلمون من أي جهة كان الخلل؟ قالوا: نعم السبب أن الثريا في حال التأسيس قابلت القطب فحصل ما حصل. فقال: الآن عرفتم فقد والله كان ذلك مع أن أولئك لا يريدون غير أن المفاتح التي فوق الباب يقال لها: الثريا ولا يريدون القطب سوى العمود الذي أَوْسَط البيت، ولمّا صدقهم زاد عجبهم منه وقَدَحوا في معرفته، وكان لا يصدق الحوادث الواقعة حتى يراجع الزيج فمن المضحكات أنه انخسف القمر ليلة وهو سامر، قال: فسمعت تهليل الناس وتسبيحهم فخرجت انظر ما الشأن الذي يسبح له الناس، فإذا القمر منخسف، فعجبت وترددت في ذلك وراجعت الزيج فوجدته صحيحاً.

---

(١) نيل الوطر (٢/ ٢٠٧).

(٢) آل مُفَضّل: هم فرع من آل الوزير يُنسبون إلى المُفضّل بن منصور بن الأمير العفيف المنتصر الملقب الوزير بن المفضل الكبير بن الحجاج عبد الله بن علي بن يحيـى بن القسم بن يوسف الداعي بن يحيـى بن أحمد بن الإمام الهادي يحيـى بن الحسين بن الإمام القسم الرّسي الحسني. نيل الحسنيين ص (٢٣٠).

[محمد بن الحسن الأهجري]

وفيها:[1] يوم الثلوث حادي عشر صفر، محمد بن الحسن الأهجري الهاشمي[2]، كان ذا دينٍ ظاهر وتواضع وخُلق حَسَن، عرف الدولة المهدوية والمنصورية وأربابها وكان عارفاً بأحوالها معرفة تامة نقلنا عنه من الأخبار كثيراً، وكان ذا وجاهةٍ في الناس داخَل الصدور والأكابر، وكانت إليه كتابة حُفاش. تزوج سيف الإسلام ابنته، وأبقاه على حاله.

[عبد الكريم بن عبد الله المتوكل]

وفيها: يوم الربوع سابع وعشرين صفر، عبد الكريم بن عبد الله بن أحمد المتوكل[3] كان أحد الساعين مع الإمام المهدي في مخاذلة آل أحمد بن المتوكل القاسم بن الحسين بتعز. ولما سلّموا الأمر إلى الإمام المهدي طلع فأكرمه الإمام وأعطاه عطاءً واسعاً، وأقام له دولة بحضرته، وقد نقل عنه أحوالهم بتعز رفيقنا علي بن قاسم حنش في تاريخه.

[إسمـــاعيــل الطّـل]

وفيها[4]: يوم الخميس عاشر ربيع الأول، إسماعيل بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل الطل[5] الصعدي الأصل الحجي مولداً ومنشأ. مولده عام أربع وستين ومائة وألف، نسبه في آل بهران أهل صعدة أو في آل الدواري تردد في ذلك هو بنفسه، قرأ القرآن ولما خرج من الكتاب اشتغل بالأصوات والنَّغَم فاستجود صوته رعاء الشاء والإبل وتحدث الرعاة عن حسن صوته،

ولما استحكم في النغم، عَرض له شيطان فقوَّله الشعر فبرَع في جَودَه سبك النظام فتناقل عنه الشعر كثير من الطغام والأعلام، فأخبرني بذلك عن نفسه قال: وإن شيطان يهودي لا دين له بملّة غير اليهودية، ولما برزت عنه القصائد الحسان شك في نسبتها إليه عُلَماء البَيَان، وظنُّوا بِهِ الظنون وكانوا يقولون لعله وقف على ديوان لم يقف عليه أحد قبله فانتحل ما فيه ونسَبه إلى نفسه، وليس ذلك بشيء. وسيأتي لك ذكر ما امتحنه به

---

(١) سنة (١٢٢٤هـ).

(٢) نيل الوطر (٢/ ٢٤٨) وقد سبق أن ذكره المؤلف في ترجمته للأمير سعد بن يحيـى العُلفي المتوفى سنة (١١٨٩هـ).

(٣) نيل الوطر (٢/ ٥٣).

(٤) سنة (١٢٢٤هـ).

(٥) نيل الوطر (١/ ٢٨٥).

الأكابر وكنت من قبل أظن به الظنون حتى كان عام سبع ومائتين وألف، واجتمعت به عند شيخنا الصارم إبراهيم بن عبد القادر في موت أبيه، وبتنا ليلة في مكان فاستيقظت من نومي فزعاً من هذرمته وزمزمته ورأيته انتصب قائماً ثم وقع على الأرض يُهَذرم ويزمزم، فازددت عجباً، فلما أصبحنا إذا به يدعو بداوة وقرطاس، فأنشأ مرثية بديعة للاستاذ عبد القادر وألقاها بين يدي ولده الصارم، ولزم موقف الضياء عبد القادر بن محمد بن حسين متولي الديار الكوكبانية أياماً، وانقطع إليه ونال منه ما أقامه، وامتدحه مرة بقصيدة فنزع عنه ملبوساً وألقاه على الطل، ونزع كل من حضر الموقف من ملبوسه شيئاً وألقاه عليه فقال له: أنا المعري حقيقة، وكان في تلك القصيدة قد عرض بمديحها بكل واحدٍ من أولئك الحاضرين ولازم حضرة إبراهيم بن محمد بن حسين وحضرة ولديه العباس ويحيى، وكان يدخل إلى صنعاء فيقف بها أياماً قليلة ويعود، حتى كان عام تسعة عشر ومائتين وألف، فنزل بها، واتخذها دار وطن. ورغب الأكابر في سماع إنشاده للشعر، ولزم سيف الإسلام، وتردد إلى دوره بصنعاء والقصر، ولزم حضرة الوزير الحسن بن علي حنش، وحضرة البدر الشوكاني وكان راوية لأشعاره، وأشعار القاضي عبد الرحمٰن بن يحيى الانسي، وأشعار أحمد بن الحسن الزهيري، وأشعار الجاهلية ينتخب منها محاسن. وما زالت تتنقّل به الأحوال من محل إلى محل، وتقذفه الموامي من جبل إلى جبل[1]، وكان إذا وصل محلاً واستطابه تزوّج به واستقر فيه قدر ما يرتاح خاطره ثم يروح عنه إلى محل آخر، وكان إذا جاء له ولد سمّاه اسمين اسم يضعه شيطانه واسم يضعه هو، وكان لا يسمع صوتاً إلاّ حكاه حكاية تامة، ووصف بحضرة الوزير الحسن بن علي حنش أنه سمع خطبةً عن خطيب الحرمين الشريفين عبد الرحمٰن كتك ـ بكاف مفتوحة وتاء فوقانية مثناة آخره كاف ـ وقال: سمعته ثلاث جُمِع يخطب بمدرسة كوكبان حضره عبد القادر بن محمد وأراد أن يذكر لي السلطان فلم يأذن له فألزمه الوزير أن يخطب بها كما سمعه فكان مما حفظه عن كتك:

«الحمد لله الباقي وكل من عليها فان، فإن الذي لا يزول ولا يحول ولا يتغير بتغيّر الحدثان. وأشهد أن لا إلـه إلا الله، الشهادة المنجية من النيران، والصلاة والسلام على محمد سيد ولد عدنان، وعلى آله سفن النجاة والتابعين لهم بإحسان، أما بعدُ. أيها العاصي، أما آن لك أن تتوب عن المعاصي، أما آن، فَرجلٌ عبد الله ورَجُلٌ عَصاه هل يستويان؟ فإن كان والعياذ بالله من أهل الشقاوة ففي الدرك الأسفل من النيران، وإن كان من أهل الفوز والنعيم فروح وريحان، فشتّان ما بينهما شتّان، ثم قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ولمن خاف مقام ربه جنتان».

---

(١) في «ب»: «من جَيل إلى جيل» ـ تصحيف.

وكان محفوظه من النوادر والعجائب كثيراً، وكنت كثيراً ما أجتمع به في موقف الوزير الحسن بن علي حنش، وإنّا قعدنا يوماً كانت به مساجلة بحضرة الوزير بيني وبين عبد الله بن سعيد القرواني في أبياتٍ أدبية، فألزمه الوزير أن يجيز بيتاً من المتساجَل فيها فلم يستطع وكتب إلى الوزير معتذراً له.

أيا شمس لا تطلب الطلُ في ... مقامك شعراً دعاه الشجونْ
فما اجتمع الطلّ بالشمس في ... محل وذا قط ما لا يكون
إذا طلعت لم يرَ واضعاً ... رواه بحيث تراه العيون

وهذا كما تراه فيه حسن تعليل بديع، وأمّا شعره الذي نسبه الناس إلى انتحاله، فمنه ما أنشده بحضرة عبد القادر بن محمد ممتدحاً له:

كم بين أكناف العذيب وحاجر ... منّا صريع نواظرٍ ومحاجر
أنْسَيْنَهُ ذنب الهوى وشَغلْنَهُ ... بالوجد عن ذمّ الشباب الغادرِ
أسهرتَ يا وسَنَ الجفون جفونه ... ورقدت عن ليل الكئيب الساهِر
قلبي ملكت فهل لهُ من معتقٍ ... ودمي سفكت فهل له من ثائر
مالي وللسُمْر الدقاق تركنني ... بقديم صبوتها حديث السامري
من كل مائسةٍ بليت بقدّها ... وقوامها وعدمت أجر الصابر
أسفي بذات الخال ليس بمنقض ... هو أوّل ما آن له من آخرِ
لولا الأسىٰ لجنيت وردة خدّها ... سحراً على كأس العتاب الدائر
ولقد رأيت وما رأيت كَسِربها ... أقمار تمٍّ في ظلام غدائري
وغصون بانٍ أينعت أطرافها ... فبرزن في ورق الخضاب الناضِري
يا عاذلي وأَخَا الصبابة ربما ... يشكو إلى غير الشفيق العاذر
قد كنت ترحم لو مررت بخاطري ... فوقفت في رسم السنو الداثر
جهلاً يلوم على السقام ولم يذق ... وجِد المشوق ولا حنين الذاكر
يبكي على جسمي السقيم ولو درَى ... كان البُكاء على الفؤاد السائرِ
دعني وما شاء الزمان فإنهُ ... لا يرعوي لمقام ناهٍ آمر
ولقد بصرت[1] على الليالي والندى ... بأبي العُلىٰ والملك عبد القادرِ
حاز المآثر قضّها بقضيضها ... وغدىَ يمنّ علىٰ الورى بمآثر

فأنكر جماعة الحاضرين نسبتها إليه وشك الممدوح في ذلك، فاقترح عليه تماماً

---

(١) في ب: ولقد نصرت.

للقصيدة يذكر فيه حديقة ظفران[١] الساكن فيها ووصف نهر الزجاجة الذي أيمن دائر[٢] ظفران ويذكر لقبه فيها ويعيد المديح آخراً، فذهب المترجَم لَهُ عنهم وجاءه شيطانه فألقى عليه:

يـا حبـذا ظفـران مـن مستنـزهٍ ... يـزهـو بـزهـرٍ فـي ربـاه نـاضِـرِ
روض تجمـع فيـه مـا فـي غيـره ... متفـرقـاً ممـا يـروق لنـاظـر
وإذا عـراك الشـك فيمـا قلتـهُ ... فـأخـل الريـاض لناظريـك وناظري
مـا شعـب بـوّان يقـاسُ بـه وكـم ... مـن أوّل يُنسـى بِحُسـن الآخـر
روض يضـوع المسـك مـن أزهـاره ... حتـى يُظـن الأفـق جـون التـاجـر
ولـذا جـرت أنهـاره فـي أثـر مـا ... قـد ضـاع مـن أثـر النسيـم العـاطـر
روض حكـى أخـلاق مـن حـاز العُلـى ... وسمـا علـى بـدر السمـآء الـزاهِـر
أسـدٌ تحـاذره الملـوك وغـابـة ... ممـا عليـه مـن القنـا المتشـاجـر
أَنَّـىٰ يَـرى فضـل الغمـام وجـوده ... يغنـي الأنـام عـن السحـاب الهـامـر
مـا فـات إلا الطـل وابـل فضلـه ... وهـو الحقيـق بجـوده المتكـاثـر
وإليكهـا غـرا يـرق للطفهـا ... مـآء الـزجـاجـة عـن يميـن الـدائـر

فلما[٣] أكمل الأوصاف الصحاح على وفق الاقتراح، سلم له الأكثر، وحسد البعض غيظاً واستكبر. ومن محاسن شعره وأفانين سحره، وقد رثىٰ طفلةً ماتت عليه، وبكاها وظهر من آخر أنه ما أبكاها، وكان قد سماها هُميلة.

تبكـي المقـامـط والمثـابـت والثـدى ... لهُمَيْلـةَ الطـل القـرينـة للنـدا
مـا قـارنـت حمـلاً لحتّـىٰ قـارنَـتْ ... نعشـاً وحتـى أوردوهـا الملحـدا
مـا واصلـت أهـلاً لحتـى فـارقـت ... أحبـابهـا مثـل ابـن دايـة والحـدا
مـا بيـن يـوم وصـالهـا وفـراقهـا ... إلا كمـا شمـت الـوميـض المبعـدا
ولكـم سقيـط الطـل فـي تحصيلهـا ... عـامـاً فعـامـاً قبـل أن يتـولـدا
كـم ليلـةٍ ظَلْمـاء يطلـب فجـرهـا ... متـوكئـاً بعصـايـةٍ متجـدّدا
كـم فـي تطلبهـا سعَـى فـي ليلـةٍ ... ليـلاً بقـائـم رمحـه متقلـدا
ولكـم طـوى فيهـا البسـاط مغـرداً ... ولكـم لهـا راح البسيطـة منشـدا
ولكـم علـى رمـل الغـدير تسـابقـت ... أخفـافـه طـوراً وطـوراً منجـدا

---

(١) منتزّه جميل في كوكبان.

(٢) في ب: أيمن سُوْر.

(٣) النص كاملاً. ساقط من النسخة «أ» المصوّرة بالميكرفيلم.

قد كنت أرجو خبرها مستبشراً   بثمارها فإذا بها ذهبت سدا
لم يجر كأس لبانها في حلقها   حتى جرَى في أثره كأس الردا
من بطن أمٍ قد بدت وتغيبت   بطن الثرَى فما عدا مما بدا
فكأنها برق تألق بالحما   ثم انطفا فكأنه ما ابتدا

ومن شعره المستجاد، وأملاه بأجل ناد، يمتدح سيف الإسلام في هذا العام:

يا من تعظّم شأنه وتكبرا   ما كان حق محبكم أن يُهجَرا
لو أن بُعدكم تمثّل ليلةً   لثنت غياهبها الخيال عن السرا
ولئن عذَرت فَسِّنةٌ مأثورة   ما حلت عن شم الليالي والورا
أنقع بذكر الصبر جر فؤاده   أولى فحدث حصيلته عن الكرا
حجبَوك بدراً في الهوادج طالعاً   وثنوك ظبياً في الأكلة أحورا
ما هذه الغزلان بين كناسها   لكنها الأسد الضواري والشرا
من كل ماضي اللحظ زهَّد قومه   في البيض حتى أنها ما تشترا
لدن القوام رشيقة تغنِي برغم الحي أن يدعا الوشيح الأسمرا
بأبي وبي غضبان ما عاينتهُ   إلا لهيت عن النقاب الجوذرا
لو كنت شاهد ليل صدغيه على   وجناته لرأيت ليلاً نيّرا
أسفي على وصل عفت أيامُهُ   وصفا قربٍ بالبعاد تكدرا
حكم الهوَى أني ًأضل ويهتدي   ورضا الجمال بأن ينام وأسهرا
ولرب ليلة موعدٍ وافيتُهَا   لما ركبت لها الصباح الأسفرا
واليوم قد أضحى اللقاء كوعده   حلماً وقد لبّى المراد مزورا
يا سائق الأصغان ينتجع الحيا   والعيس ينفح بالأزمة والبرا
يمم ندا نجل الخليفة تلق   غايات المنى وتنال حظاً أوفرا
ورأيت بحراً زاخراً ورأيت سُحْباً ماطراً وبصرت بدراً مسفرا
ولقيت كل الفاضلين كأنما   رد الإله نفوسهم والأعصرا
بدر المواكب والكتايب في الوغا   والصبح يعرف وجهه من أبصرا
وكأنما البدر المنير يحفُّهُ   زهر النجوم يشق ليلاً معكرا
في نوره وسنائه وجلاله   نَجل الإمام إذا توسط عسكرا
أعني صفي المجد سيف الملك مَنْ   في كفه بحر يصب الجوهرا
خلق يفوح أريجهُ فكانما   حملت نسيم الروض مسكاً أذفرا
تلقاه دون لقائه ان جئته   كالصبح إذ سبق النهار المنورا
ما زار حضرته الكريمة سائلٌ   إلا وأصدر عن فِتَاةٍ مكثرا

والطّـل قـدافـا بمـدحـك للنـدَى مـن كـوكبـان لكـي يعـود مظفـرا

[محمد بن إسماعيل الشامي]

وفي يوم الخميس سادس وعشرين شهر ربيع أول[1] محمد بن إسماعيل بن الحسن الشامي الهاشمي[2] مولده بصنعاء عام أربع وتسعين ومائة وألف، وبها نشأ فقراء القرآن، وتخرج في النحو بأحمد بن إبراهيم بن محسن بن المؤيد ومحمد بن محمد البنوس ثم لازم رفيقنا إبراهيم بن عبد الله الحُوثي دهراً طويلاً حتى مات، وأخذ عن شيخنا علي بن عبد الله الجلال. وكان ذا فاهمة صحيحة، عرف النحو والصرف والمعاني والبيان والأصول الفقهية، وعانا نظم الشعر فأجاد، وسلك مسلكاً سلم له فيه النقاد. وكاتب شعراء صنعاء وطارحهم معاني الأدبيات واشتغل بالبديعيات اشتغالاً طويلاً، ثم مال بعد ذلك إلى كتب الحديث. وحضر درس البدر الشوكاني والفخر عبد الله بن محمد الأمير، وطالع شروح الأحاديث وراجع الأكابر فيها وأورد الاشكالات على محققيها.

وكانت بينه وبين الأخ إبراهيم بن عبد الله الحُوثي[3] في أول الأمر منافسة وانمحىٰ عنهُ ما كان يجد، وصحبهُ بعدها الدهر الطويل واسمعَ عنه وأسند مستفاداته إليه ولما اعتذر والده عن النظر لأمور الأوقاف ـ كما قَدّمنا في عام ثلاث وعشرين ـ قلّده الإمام على يد ولده فخر الإسلام نظارتها، فقام بها واجتهد وافرغ وسعهُ في نظمها أينما وجد، خلا أنها صادفته شدائد لجدب السنين فلم يرضَ بأحواله أهل الغفلة من المتوظفين وعذره كثير من المنصفين.

وكان مُكثراً مِن أمر الشعر شغفاً بالمجالسة، متحبباً إلى كل كبير وصغير، متوجعاً للضعيف والمسكين والفقير، ذا سنّةٍ قويّة وهمّةٍ علية، مع نظرٍ في الأحوال ورصانة في الأقوال إن سمع بموقف ما يدعو إلى الغيبة والنميمة واللغو أسترسل في محاسن القضايا وغالط. مات بعلّة البحران، وَوُجِد تحت رأسه مكتوباً بخطه:

يـا أكـرم الأكـرميـن العفـو عـن غـرقٍ فـي السيئـات لـه ورد واصـدارُ
هـانـت عليـه مـواضيـه التي عظمـت عِلمـاً بـأنـك للعـاصيـن غفـارُ

---

(١) سنة (١٢٢٤هـ).

(٢) البدر الطالع (٢/ ١٣٠)، نيل الوطر (٢/ ٢٤١)، هِجر العلم (١/ ٣٢٠) وأورد زَبارة في نيل الوطر تدريج نسبه كالتالي: محمد بن إسماعيل بن الحسن بن يحيى بن المهدي بن هادي بن علي بن الحسن بن محمد بن صلاح الشامي الصنعاني الحسني.

(٣) هو مؤلف «نفحات العنبر» والمذكور في حوادث السنة الماضية، وهو عام وفاته سنة (١٢٢٣هـ).

فـامنُن علـيّ وسـامحني وخـذ بيـدي | يـا مـن لـه العفـو والجنـات والنـارُ

قعدت معه بمجلسٍ فاسترسل فيه وحل متمذهب فيما أصّلهُ الفقهاء من أنه لا نكير في مختلف فيه فقلت: هذا لا يصح. فرأيت من المتكلم انحرافاً ولوماً، فسكت خاطره وقلت له: هذا موجود في كثير من الكتب المحررة في الفروع وعليه عمل الناس ورأيتُ أن الإجمال مع ذلك من أهم ما يكون لعلمي أنه لا يجدي فيه شيء، وفي اليوم الثاني كتب إلى الأخ محمد هذه الأبيات نصيحةً:

إيـــاك إيـــاك يـــابـــن أحمـــد | ان تتبـــع القـــول غيـــر مسنـــدْ
وخـــذ بمـــا صـــح مـــن دليـــل | عـــن خـــاتـــم الأنبيـــاء محمّـــدْ
وقـــم لأنكـــار مـــا تـــراهُ | مخـــالفـــاً للهـــوى المشيـــد
دع قـــول مَـــن قـــال لا نكِيـــر | فيمـــا بـــه الاختـــلاف يـــوجـــد
فـــإن هـــذا المقـــال فيـــه | لمصـــدر الشـــرع والهـــدى رَدْ
بـــالقلـــب بعـــد اللســـان انكـــر | ان لـــم تكـــن تستطيـــع بـــاليـــد
ولا تـــدع مسلكـــاً لغـــاوٍ | إنّ اَمْ نهـــج الـــرشـــاد الحـــد[1]

فأجاب لطف الله غفر الله تعالى له:

إنـــي أرى المنتقـــى محمـــد | راوي الأحـــاديـــث عـــن مُسَـــدّد
مـــوفقـــاً لا يخيـــس مثقـــا | ل ذرةٍ عـــن مقـــال أحمـــد
هُـــداه بـــادٍ لحـــاضـــريـــه | وعلمـــه بـــالـــرشـــاد يشهـــد
وقـــولـــه مثـــل نقـــل صخـــرٍ | فـــي القلـــب لا ينمحـــي ويبـــرد
وافـــا بـــهِ مُنكـــراً سكـــوتـــي | فـــي مـــوقـــفٍ فيـــه صـــرت أبْلَـــد
فـــأنـــت مثلـــي سكَـــت هَـــلا | صـــدفـــت غـــاوٍ عـــن الهُـــدى صـــدّ
وانـنـــي لا أديـــن يـــومـــاً | بغيـــر مـــا قلـــت يـــا مُحمّـــد
فلـــم أزل مُنكِـــراً بقلبِـــي | ان مـــا استطـــاع اللســـانَ واليَـــد

ودارت بيني وبينه مفاكهات أدبية طويلة لولا خشية الإسهاب لاوردتُ منها ما طال وطاب، ومما استجودت إيراده ورأيته في انهَى درجات الاجادة ما مدَح به سيف الإسلام في وقعته بقبائل نِهْم في سوائل نُقُم:

هـو الربـع مـن حزوى تبدّت معالمـه | أثـار الـذي أخفـى مـن الـوجـد كـاتمِـه
ودار بـأعـلا الـرقمتيـن فحـاجـرٌ | الا جـادهـا هطـاّل دمعـي وسـاجمـه

---

(١) إلى هنا سقطت صفحتان من النسخة «أ» عند تصويرها بالميكروفيلم، وهي نسخة السيد العلامة محمد المنصور.

أبيتُ أعزي النفس عنها وإنما تَضمُ على نيران شوقي حَيازِمه
وأرصد أفلاك الدراري كأنما أراعي حفاظاً حين تمشي سوائِمِه
وحاكيت لولا ربة الخال عارفا سهيلاً ولما يشتكي الليل قائمه
كأن النجوم الزهرُ مدت حبائلاً فما انتهضت بالليل منها قوائمه
بَدَانِي عذولي بالملامة غِيْرَةً فلا كان من تثنيه عنها لوائمُه
فما صادق الحب الذي دون وصلها تروّعه بالحيّ يوماً أراقِمُه
أَتمنعُني عن وصلها البيض والقَنَا ويوم جلادٍ عابس الوجه قاتِمهُ
بلى منعتني عن هواها مَدَائحي لمن طاب ذكراهُ وعمّت مكارمه
فتى ما سَقت إلا المعالي رياضَهُ ولا فتحت إلا بمجدٍ كمائمه
لَهُ في العُلاَ بيتٌ رفيع بِنَاؤُه طوال عوالي السمهري دَعَائِمُه
صفي الهُدى بحر النَدى قاصم العُدَا بسيف الرّدَى تباً لمن لا يسالِمه
لَهُ في الوغى تدبير رأي مُسدَّدٍ وجزمٍ تباريه مُضِي صوارِمُه
كيوم بوادي القصر لمّا تجمّعَت ثعالب نِهْم فَرّقتها[1] ضَراغِمه
إذا رام قصداً للأعادي بجحفل رأينا عقاب الطير قد حام حائمُه
لقد سل ملك العصر سيفاً لملكةً فلا المجد مخفيه ولا الضرب ثالِمهُ
فيا عجباً ممّن تمادَا بجهْلِهِ وظنّ بأن العُصْمَ من ذاك عاصِمُه
ألم يعلموا ان الاناة عقيبها وعيدٌ فإن لم يغن أغنت عزائمه
لذلك قد أنشدت بيت قصيدةٍ وفي الطيّب الكندي مِنْ قَبْل نَاظِمه
تحاربه الأعداءُ وهي عبيده وتدَّخِر الأموال وهي غنائمه

[محمد بن محسن العُلُفي]

وفيها[2]: محمد بن محسن العلفي الأموي[3] الشاعر المطبوع المجيد بـ (المَخَا)، الناثر الناظم صاحب سعيد بن علي القَرواني ومحمد بن هاشم. أصله من جَعْلَل[4] وسكن بصنعاء، وكان فريد عصره، وشعره مطبوع. تخرج بـ (أبكر بن علي البطّاح)[5]

---

(١) في «أ»: مَزّقتها.
(٢) سنة (١٢٢٤هـ).
(٣) نيل الوطر (٢/ ٣٠٦)، هِجر العلم (٣/ ١٤٤٩ ومنه: الحدائق المُطْلِعة ـ خ.
(٤) جَعْلَل: بفتح فسكون ففتح. قرية في منطقة بني الرّاعي بمديرية بني مَطَر وأعمال محافظة صنعاء. انظر كتابنا: معجم البلدان والقبائل اليمنية.
(٥) وصفه الأكوع بأنه عالمٌ مبرزٌ في اللغة والنحو والمنطق واوصولين، شاعرٌ أديبٌ. قَدِم إلى صنعاء واتصل بعلمائها، وطارحهم الشعَر، واستقر فيها حتى وافته منيته سنة (١٢٠٣هـ) وقيل: سنة (١٢٠٤هـ). هِجر العلم (٤/ ٢٠١١).

بزبيد ومجالسة محمد بن هاشم بصنعاء، وحضر درس البدر المنير محمد بن إسماعيل الأمير، وعمل بالدليل، وصحب علي بن إبراهيم الأمير وأكابر المشائخ. وكان إذا نظم أعجب السامعين ما يلقيه عليهم.

وكان يذكر من علوم السالكين شيئاً فيعجب الناس ويقول لهم أتدرون من أين أخذت هذا؟ من أبكر بن علي البطاح وطبقته ومحمد بن هاشم. وكان له ميل إلى أهل الأحوال، نزل أيام إقامته بزبيد كاتباً إلى آل المشرع فأخذ عنهم ومال إليه الشيخ عبد الرحمٰن وكان يجلّه ويشهر حاله بين الناس وكان يأخذ من الأعمال ما لا يتعلق به شيء من الظلم، أولاه النظر على الكتابة بزبيد الوزير حسن بن عثمان ثم رفعه عنها فانقطع بصنعاء دهراً طويلاً ثم جعل له كتابة بندر المخا فسار لها فطالت به المدة ومات هنالك عن نحو الثمانين.

وكان سمحاً جواداً لطيفاً ذا عفة واشفاق لا يدع الواصل إليه الصلة والإعانة، وقد عدّه جماعة من الناس في متأخري الأموية كعمر بن عبد العزيز في متقدميها:

وشتان ما بين اليزيدَيْن في الندى ... يزيد سُليم والأغَرّ حاتم

ولنورد شيئاً من مقطعاته فمنها ما كتبه إلى المؤلف غفر الله له من بندر المَخا في صدر كتاب شعراً:

قِفَا خبراً عن حالة التّوم فالنوى ... لما جدّ بي في الحب عنه نهاني
وقولاَ للطف الله ما بال وصفُهُ ... صَفَا لسوَى نائِي المحلّة عاني

وكان الجواب في صدر كتاب المؤلف شعراً:

صِفَا لي صَفَا البدر المُنير بن محسنٍ ... فما شأنه غير التمام لشأني
ولا تسألاهُ عن محب سَلاَ بِهِ ... ولا تذكرا أمري ولا تصفاني
فإني به مُغرَى على كل حالةٍ ... دَنىٰ لي بوصلٍ أم نأَىَ وجَفاني

ولمّا وقف على ديوان الصبابة ورأى به هذا المقطع:

بالذي الهَم تعذيـ ... ـبي ثناياك العذابا
والذي صَيَّر حَظِي ... منك هجراً واجتنابَا
والذي البَس خَدّيك ... من الورد نُقَابَا
ما الذي قالته عَينا ... ك لقلبي فأجابَا

فقال رحمه المتعال:

كنت في خلوة الشباب[1] فقالت لي عيناك كن مُعَنَّى فكنتُ
ولو اسطعت حال ارسال طرفي قبل توجيه أمرها لفررتُ
غير أني ثملتُ مِن خمرة التفتير فاستشعرت بأني شربتُ
لا وساق من الدلال ادار الخمـ ـر صرفا في غفلةٍ فدهشتُ
ما شربت المدام يوماً ولكن كنت لمّا دَنا بِفِيه هَمَمْتُ

قال بعض الناس بهذا البيت كمل المعنَى، فقال الاستاذ عبد القادر بن أحمد:

لا ولا قد هممت قط ولم يَدْ نُ ولكن وهُمتُ فيه وهمت

وقال سعيد بن علي القرواني مُذَيلاً:

لا ولا قد دنوت منه ولكنـ ـي تمنيت ومض برقٍ فشمت

وأجازه آخر فقال:

لا ولكن سود اللحاظ أسرَّت بمعان من الهوى ففهمتُ

وأجازه السيد محمد بن هاشم بن يحيى مذيلاً فقال:

وبُروق الاطماع تبدي من الوهم خيالاً من المنى لا يبتُ

وقال الأخ علي بن إبراهيم الأمير وقد دَخَلت الشمس من كوَّةٍ علىٰ حبيب تام الملاحة والفتوَّة.

لا تعجبوا للشمس وقت دخولها[2] نحو الحبيب فعندها ما عندنا

فقال محمد بن محسن:

وتوّد لو صَعَد السماء وأن تُرى برجاً له ويُرى كطلعتها لَنا

وله قصيدة قد تناقلها الناس كقصيدة محمد بن هاشم وسعيد بن علي القرواني جدّية المُعرب هزلية الملحون مطلعها:

أأصحابنا لا أوحش الله منكم فؤاد شجٍ ما بان مذ غاب عنكموا
سكنتم سواد القلب منه فَعزّ أن تشاهدَه عين وحيث سكنتموا

وله:

---

(١) في «أ»: خلوة السُّلُو.
(٢) في «ب»: وقت طلوعها.

ولما أمرت القلب بالصبر قال لي | رويدك إن الصبر سائغة مُرُّ
وقلت لطرفي خفف الدمع قال لي | إليك فلا نهي لديك ولا أمر
فما حيلتي ان لم تطعني جوارحي | وماذا عسى يُجدي الملام لي العذر
واني لراضٍ بالغرام وإنما | فراري من الهجران لا خُلق الهجر
فإن كان يرضَى من أحب تباعدي | رضيت به قسراً وإن شق بي القسر
عسى الدهر[1] يرثى لي فينظم شملنا | وأنّى يُرَجَّى الجدل من خصمه الدهر

[يحيى بن إبراهيم شرف الدين]

وفيها[2]: شهر ربيع، يحيى بن إبراهيم بن محمد بن حسين الهاشمي الكوكباني[3] بكوكبان عن ستة وستين سنة. مولده عام سبع وخمسين. وقد قدمنا له ذكراً في الحوادث وما جرَى له من المحنة وسِجنه مع أخيه العبّاس بن إبراهيم نحو اثنين وعشرين سنة وأدركه المرض بالسجن قبيل موته فطلبت له الشفاعة من المتولي شرف الدين بن أحمد لشدة المرض فأسعف إلى إخراجه مشترطاً عَوده إن عُوفي، فبقي بعد خروجه من السجن ثلاثة أيام ومات. أخذ عن عمه عيسى بن محمد وعن علي بن محمد بن علي. وكان مقداماً شجاعاً وله القضية في أَسرِه وذهاب آل ناشر بهِ واستخلاصه، وقد قدمناها. وكان سمحاً كريماً، مدَحه شاعر الوقت أحمد بن حسن الزهيري بقصيدة يقول فيها:

ومدحي ليحيى بن الميامين عن هوى | دخيل الهوى ما دونه في الهوى دَخْلُ
لمن تفرح الدنيا بيوم قدومه | وتصطف تلقاء وجهه الخيل والرجل
وتمرح بيض العاديات بحمله | وتهتز في اعطافهنَّ القنا الذّبل
ويستأنس الجيش البعيد بقُربِه | فيحلى لها المرعى ويحلو له الأكل

منها:

فوسّعتها والسيف يفتح ما دنىٰ | إليه ولو رضوا على بابه قُفْلُ

ومن شعره ما أجاب به على القاضي عبد الرحمٰن بن أحمد البهكلي وقد كتب شعراً إلى الأستاذ عبد القادر بن أحمد فقال على لسانه:

أَدِر حديث اللوَى والأجرع | وعيشنا والكؤوس تَترّعُ

---

(١) في ب: عسى الحب.
(٢) سنة (١٢٢٤هـ).
(٣) نيل الوطر (٢/ ٣٧٥)، أعلام المؤلفين الزيدية (١٠٨٦)، مصادر الفكر الإسلامي (٣٥٣)، هِجر العلم (٤/ ١٨٩٥) وعنه: الحدائق المُطْلَعة، نفحات العنبر، المواهب السنيّة.

ووقفـــةٍ فـــي ريـــاضِ حـــزوَى حـــازت معـــانـــي الســـرور أجمـــعُ
وجمعنـــا فـــي ريـــاض جَمْـــع وروض عصـــر الشبـــاب أمـــرَعُ
والنهـــر يجـــري بهـــا نميـــرٌّ والـــدوح فيـــه الحمـــام تسجَـــعُ
فلـــي بتلـــك القبـــاب بَـــدْرٌ بحسنِـــه والقَبَـــا مقنّـــعُ
تمنعـــه البيـــض والعـــوالـــي عـــن أن يُـــرى والجمـــال أَمْنَـــعُ
قـــد بَـــرَّحَـــت دارَهُ وقلبـــي وادمعـــي مَـــوردٌ ومـــرتَـــعُ
لـــذاك خِفـــت احتـــراق قلبـــي وهـــو بِـــه لا أراه يفـــزَعُ
لله أيـــامنـــا تقضّـــتِ والبيَـــن اشطـــانـــه تقطّـــع
أذكـــرهـــا مـــا شممـــت طيبـــاً أو شمـــت بـــرق الغـــويـــر يَلْمَـــعُ
حكَـــى سَنَـــا لفظهـــا نظـــامـــاً وافَـــى إلـــى ســـوحنـــا المُمَنَّـــعُ
فـــأرّج الكـــون منـــه نشـــرٌ فـــي طيّـــه قـــد طـــواه أَرْوعُ
مـــن زاد فضـــلاً وطـــاب أصـــلاً فـــالفضـــل مـــن فـــرعـــه تَفـــرَّع
أَعنـــي وجيـــه الهُـــدى ومَـــن لـــي بحـــال شـــرع الـــرســـول يَشْـــرَع
مـــن فـــاخـــر الغـــور شهـــب نجـــدٍ منـــذ نشـــأ فـــالغـــويـــر أروَعُ
كـــم حَـــلّ مـــن مشكـــلات علـــم مُـــذْ حَـــل مـــرأىَ لـــه ومَسْمَـــعُ
بـــالله إن جـــزتمـــوا ديـــاراً المســـك مـــن تـــربهـــا تضـــوَّعُ
قِفـــا لَهـــا واعقـــلا قِـــلاَصـــاً أضحـــت لِمُـــرّ السَـــرَى تجَـــرّعُ
وبلّغـــاه السّـــلام عَنّـــي فهـــو لَـــدَى البعـــاد ينفـــع
وعـــن ســـراةٍ سَمَـــوْا فخـــاراً لهـــم رؤوس الملـــوك تخضَـــعُ
إن لَفَـــح العـــالميـــن جَـــورٌ فظلمهـــم للهجيـــر يـــدفَـــعُ
لا زلـــت فـــي نعمـــةٍ مُقيمـــاً فـــإنـــه بـــالحنيـــف يَصـــدَعُ

وهذا يدل على جوده سبكه، ووقفت على مؤلفٍ له سمّاه: الدر المنضد في مدادح الرئيس إبراهيم بن محمد[١] ترجم فيه ممتدحي والده وأورد أشعارهم التي قالوها فيه.

[قاسم بن حسين العمراني]

وفيها[٢]: يوم السبت سابع وعشرين ربيع الأول، قاسم بن حسين العمراني[٣] أمين الشرع، كان فقيهاً زيدياً صالحاً زاهداً ذا مروءة وحياء وحُسن خُلق، يُعدّ في الذين

---

(١) منه نسخة في مكتبة جامع صنعاء، تحت رقم: (١٥) (أدب) المكتبة الغربية.
(٢) سنة (١٢٢٤هـ).
(٣) نيل الوطر (٢/ ١٧٥) عن هذا النص.

يمشون على الأرض هوناً، لا أعلم من حاله سوى الصلاح. وكان له بآخر عمره القضية المشهورة: لمّا عشق المارد ابنته واشتغل بالأذية لهم في البيت الذي يلي مسجد معاذ [بصنعاء] فجمع له الأفاضل من الناس وأمرهم بالدرس والتلاوة فكان المارد يظهر لهم صوته يعارضهم القرآن، ولم ينجع فيه خلا أنها ليلةً من الليالي كثرت التلاوة لكتاب الله من الحاضرين ففرَّ المارد عن البيت كالنسر الطائر ليلاً، ولمّا بلغ قاسم العمراني أن الأترج يمنع الجنّ من دخول المسكن اتخذ منه فكان يرى ظروفه تمشي على الهواء، واستطال به ذلك الأمر وشاع هذا الحادث في الناس وقصده بعض أكابر القضاة ليلة ليسمع ما يتحدث به المارد وكان قد ذهب المارد الأول وخلفه آخر فسأله القاضي عنه فزعم أنه ملك وان الله تعالى أرسله للقبض على المارد الأول وانه تفلّت ذلك المارد على أهله من جبل الكبريت بذمار واستدرج عقل ذلك القاضي حتى وقر في قلبه انه ملك ولم يأته بعدها.

[أحمد عبد الملك المتوكل]

وفيها: يوم الاثنين سلخ ربيع الأول، أحمد بن عبد الكريم بن عبد الله بن أحمد بن المتوكل. تقدّم لأبيه ذكر في هذا العام.

كان رحمه الله تعالى لطيفاً ظريفاً عانا الطب وادعىٰ معرفته له، وكان ينسب أخذه ومعرفته إلى علم يحيى بن محمد بن عبد الله.

[الحسين بن المنصور]

وفيها: يوم الخميس ثاني عشر ربيع الآخر، الحسين بن عبد الله بن المنصور بالله الحسين.

[محمد الحثره]

وفيها: يوم الأحد عشرون ربيع الآخر، محمد بن عبد الله بن عبد الرحمـٰن بن المهدي محمد المُلقّب الحثرة بالمهملة المكسورة فالمثلثة الساكنة فالراء فتاء التأنيث.

[حسين بن علي الأكوع]

وفيها[1]: يوم الثلوث ثاني عشر جمادى الآخرة، حسين بن علي بن حسن الأكوع[2]، كان قد وزر مع أبيه أيام الإمام المهدي، ولما كانت الدولة المنصورية لاحظته السّعادة فوزر مع الإمام المنصور، خلا أنه كان لا يتحاشى مقام الخلافة فنكل به

---

(١) سنة (١٢٢٤هـ).

(٢) نيل الوطر (١/ ٧٣٨٢) تاريخ أعلام آل الأكوع (٦٦)، هِجر العلم (٤/ ٢١٢٣).

مع والده[1] قال بعض الناس: رأيت عبرةً وهي أنه ورد كتاب من محمد حسين بن علي الأكوع وهو في دست الوزارة، فرأيت مَنْ بالمجلس وقد أنصتوا يستمعون ما فيه ثم تناقلته الأيدي ووقعت عليه الأبصار فرأوا من جمال الخط ما أبهرهم، فلما كان يوم الجمعة آخر يوم من وزارتهم وَرَد منه كتاب ونحن بذلك المجلس وقد عظم صيته كل العظم فلم أر من يهش بلحظه، أو يستمع للفظه فما زلت متعجباً بقية يومي، فلما أصبحنا يوم السبت كانت الوقيعة والنكال بهم.

[محمد بن حسين إسحاق]

وفيها: يوم الربوع رابع وعشرين جمادى الآخرة، محمد بن حسين بن حسن اسحاق بن المهدي.

[عبد المؤمن الأبيض]

وفيها: تاسع وعشرين جمادى الآخرة، عبد المؤمن بن علي بن حسين بن علي بن المتوكل وهو آخر المشايخ من بني الأبيض، ولم يكن بذاك ركب يوماً على فرس جواد، ودخل في حاشيته الخليفة المنصُور فجعل يتمايل ويقول: لم يفتنى من الأوصاف سوى الخليفة، وإلا فقد صدق الوصف بالبيت الشهير:

ما هزّ عطفيه بين البيض والأَسَلِ ... مثل الخليفة عبد المؤمن بن علي

[علي بن يحيى حنش]

وفيها: يوم الأحد سادس عشر رجب، رفيقنا علي بن يحيى بن أحمد حنش[2]، مولده عام خمس وخمسين تقريباً، نشأ بذي جِبْلَه، فقرأ بها القرآن، وارتحل عنها إلى صنعاء مهاجراً، فنزلَ بها على إسماعيل حنش وزير الإمام المهدي والناظر على مخازين الحبوب، فأدناه منه وكان يأويه الليل إلى منزلة من منازل قبة الإمام المهدي العباس، فدأب في القراءة على إسماعيل بن محمد، وحضر درس البدر المنير محمد بن إسماعيل

---

(١) روَى صاحب كتاب «صفحات مجهولة من تاريخ اليمن» وصفاً لحادثة التنكيل به، ونقلها مؤلف كتاب «أعلام آل الأكوع» ص (٦٧)، قال: وفي يوم الربوع (٢٢) جمادى الآخرة (١٢٨١هـ) أرسل السيد حسينُ المتوكّل للفقيه حسين الأكوع وصنوه محمد وحبسهم، ويوم ثاني صبح الخميس استدعاهم إلى (ميدان دار الذّهب)، وأمر بضرب أعناقهم، فوصل أعيانُ الناس للشفاعة، ولم يَقْبل من أحدٍ حتى وصل الشيخُ محسنُ مُعيْض، وعقر ناقةً لقبول الشفاعة فقبلها على تسليم دراهم ثم صلبوهم إلى قُبَيل الغداء، وأمر بهم عند الأمير تيمور فبقوا يومهم لديهم، ونزلوا الحبس، وكثر عليهم التغليظ والقيود وطبقوا عليهم، وتهددوهم بالضرب ونحوه من أنواع الإهانة، ثم ما زالوا يُسلّمون دراهم.

(٢) نيل الوطر ٢/ ١٦٥.

الأمير، وأخذ عن القاضي أحمد بن محمد قاطن، وعن قاسم بن محمد الكبسي وعن لطف الباري بن أحمد الورد الخطيب وعن الأستاذ عبد القادر بن أحمد وولده إبراهيم، وتولى أعمالاً منها النظر لمغرب عنس وجمعة آنس، وكان أكثر عمله بالمحلّين، فعاماً ينزل بمغرب عنس، وعاماً ينزل بجمعة أنس، وكان الوزير العلامة الحسن بن علي حنش يخلفه بالمحل الذي ينزل به عاماً فعاماً، وولّي قبض زكاة صنعاء عاماً، فقرر عليهم ما لا يلزمهم، فشكوه إلى الله تعالى وما زالت تلك في نفسه حتى قبضه الله تعالى، وكان كثير الصلاة، كثير الصوم كثير الذكر، حج البيت الحرام عامين، وكان قريب الدمعة ليناً ذا سنّةٍ، وكان له شعر حسن.

[محمد بن صالح أبي الرجال]

وفيها[1]: يوم الإثنين رابع عشر شعبان، محمد بن صالح بن أبي الرجال[2] كاتب الوقف، الشاعر المجيد والأديب الأريب الفريد، الإخباري التاريخي، يحفظ الماجريات المطولة، ويورد القضايا العذبة المسلسلة، يملي على الأسماع أحسن ما يملي، ويكتب بكفه أجود ما يكتب ويُستحلَى، قد تناقل الناس أشعاره، على عزّتها، ورغبوا في حضور مقامه لسماع كلامه، لا يسمع قضيةً إلا وجاء بالأشباه والنظائر، وعارض بما يستحق في بطون الدفاتر، وكان للخليفة شغف به، يدخل عليه كل جمعة بعد الصلاة فيتعجب من لطفه وطرفه، وأولاه كتابة الوقف بعد موت أخيه أحمد، وجعله وزيراً لأخيه العَلَم تجري عن نظارته أمور بلاد الحيمة، وعزله بعد ذلك عنها بسنوات، وأقرّه على الكتابة. وله مع الإمام المنصور لمّا توسع في البناء وشراء البيوت ببير العزب نصيحة أثرت بعد أن طلبه المنصور بموقفه ولامه، والأعمال بالنيّات ما طاب وظهر فلله وما خبث فلغير الله.

ترجمه القاضي في الدمية بقوله: هو روضة الآداب، وأحد الأخلاء والأحباب، له الفكرة الوقادة والنفس الأبية المنقادة، والبصيرة العالية النقادة، أوحد أهل زمانه، ويتيمة عقد أوانه، ليس له في فهم الحقائق نظير، والغوص على المعاني الدقيقة لو يطير:

هيهات لا يأتي الزمان بمثله ... ان الزمان بمثله لبخيل

لو تمثل اللطف لما كان إلاّ محمد بن صالح، أو الذكاء لما كان إلاّ من ذكاء لفظه فايح، كم جرت ما بينه وبين أخيه من مفاكهات أدبيَّة، فيغلب ويورد عليه إيرادات، فينسفُها ويغرب، وهو لا ينكسر إلا إذا ظهر له الحق، وإلا فهو الذي لا يسبق بل لا يلحق.

---

(١) سنة (١٢٢٤هـ).

(٢) نيل الوطر (٢/٢٦٨)، البدر الطالع (٢/١٧٦)، هجر العلم (١/٥٦٦).

وله شعر رائق ونظم فائق، وأورد له القاضي هذه الأبيات النفيسة وهي من بدائعه وروائعه.

تـوقـع سُلـويّ أن أبيـت سـوى القِـلاَ ... فـلا أنـا يعقـوب ولا أنـت يـوسـفُ
أتحسبنـي فيمـا نعتـك صـادقـاً ... وقـال المحيـا البـدر ليلـة ينصـفُ
وهـا أنـت ذا عنـي مُـوَارٍ محجـبٌ ... ولـم أنكـر النـوم الـذي كنـت أعـرفُ
وصـدقتنـي أن قلـت لحظـك صـارم ... فـأعلمـه تعلـم أن قـولـي زخـرفُ
فـلا الخـدّ وردٌ لا ولا القـدّ ذابـلٌ ... ولا الثغـر بـرقٌ لا ولا الـرتـق قـرقـفُ

وأجاب أحمد بن حسن بركات بقوله:

إذا كنـت يـا بـدر المعـارف تنصـف ... فدعواك حمل الحب كالحسن زخرفُ
تقـول لمـن تهـواه أغـرقنـي البكـا ... متـى لحظـة بـالـدمـع عينـك تـذرفُ
وتـزعـم أن الجسـم فيـه نحـافـة ... وأنـت بمـا فيـه مـن الشحـم أعـرفُ
وقلـت بـأن النـوم عنـك مجـانـبٌ ... وهـل سـاعـة بـالسهـد طـرفـك يطـرفُ
وكـم قلـت نـار الحـب بيـن جـوانحـي ... تشب وقلبي من لظى الهجر يرجفُ
وهـا أنـت ذا فـي شهـر تمـوز حـابـس ... لنفسـك فـي حـرّ الظهيـرة مـوقـفُ
وقلـت لفقـدان الأحبـة لـم أذق ... طعاماً وجسمي من جوَى البين مدنفُ
ونحـن إذا حـان الطعـام تـزاحمـت ... عليـه لنـا أيـدٍ عـن الـزنـد تكشـفُ
فـأكثـرنـا أكـلا هـو العـاشـق الـذي ... يشـار إليـه بـالبنـان ويعـرفُ
أخا الفضل إن أخطأت في النظم فاغتفر ... إسـاءة عبـدٍ بـالإسـاءة يـوصـفُ
وأن تكـن الأخـرى فقـد فـاز بـالمُنـى ... أخـو ظمـأ مـن بحـر فضلـك يغـرفُ

قال القاضي أحمد في الدمية: وهذا الجواب منه من باب الاحتساب، لأنه لم يوجّه إلى أحمد بن حسن بركات هذا الخطاب والله أعلم بالصواب. وقال: وهذا المسلك الذي سلكوه والنحو الذي انتحوه من أن العشق أكثره دعاوي، هو الظاهر من حال الناس وإن اعتذر بعضهم في سِمَن جسمه وتنعمه كما قال خالد الكاتب:

وقـائلـةٍ مـا بـال جسمـك فـي الهـوَى ... صحيحـاً وأجسـام المحبيـن تسقِـمُ
فقلـت لهـا قلبـي بحبَـك لـم يسبـح ... لجسمي فجسمي بـالهـوَى ليس يَعْلـمُ

أخذه من قول إبراهيم بن المهدي لما دخل على المأمون وهو سمين، فقال له المأمون:

جسـم الـذي يعشـق معـروفُ ... لأنـه أصفَـر منحـوفُ
ليـس كمـن يـأتيـك ذا جُثَّـةٍ ... كـأن للـذبـح معلـوفُ

فقال إبراهيم مجيباً:

وقائل لست بالمحب ولَو كنت محبّاً هزلت مذ زَمَنِ
فقلت ما شاع ما بليت به فالقلب فيه البلا ينزفني
أحب قلبي وما درَى بدني ولو درىَ لم يقم به سمنِي

ومن شعره العذب:

زف مشمولة كأسك وتنبّه من نعاسك
فلقد انهكها يا سيدي طول احتباسك
واجْرِ في حلبه لهو مطلقاً فيه شماسك
مع ندمانٍ تراهُ فاسقاً في زي ناسك
أريحي لم يزل بالراح للراحة ماسك
ما التمست الإنس إلا كان من فوق التماسك
يا شديد الباس رفقاً لا تذب قلبي ببأسِك
أتظن القلب عن حُبِّك يسلو ورأسك

وكان رحمه الله تعالى يجيء من محفوظات بما يسترق الألباب، ويسلب بما يُحبِّر به من حديثه العقول، فيتعجّب الناس منه ومن حركاته ويستحسنونه في جميع حالاته. وكان قصيراً أبيضَ مشرباً بالحمرة، سريع الحركة سريع الجواب حسن الاستماع كثير العجب ممن جاء بالمستغرب، كثير السؤال عن الأحوال، متطلعاً إلى ملاقاة الأمثال، صين اللسان، ثبت الجنان، ذا دينٍ وورع، يُعدّ في أكابر الشيعة. قال الشعر وهو لم يبلغ الحلم.

جلس إليه محسن بن حسين الهاشمي وإسماعيل بن حسن النهمي الوزير ببعض المساجد ولم يعرفاه، فسألاه عنه، فانتسب لهما فعرفاه، وأنشدهما على حداثته:

يا أيها الرامي بسهمي لحظَهُ إني أراك حَويت ما لا يُحْتَوَى
مَا خلت مثلك من يصيب بِلَحْظه طير الفؤاد على خفوقٍ في الهوَى

فقال له محسن بن حسين قد جاء هذا للصرّدر.

رميتم القلب وظني أنكمُ تحبون إذ ترمون شيئاً خافقا

وكان إذا لقي شيئاًمن شعره تناقلته الألسن، وأُملي في المحافل، وخُلِّد في الدفاتر. ومما نقله كل سامع ما ضرب به المَثَل لاهل المجامع فيمن يغشى المنكرات ويتجنب شيئاً من المقبحات:

كـأنـك حيـن تغشـى كـل نُكْـرٍ   وتخشَـىٰ فـي ابنـة الكَـرْمِ افْتِضَـاحَـا[1]
زُهَيْـرٌ حيـن مَـرَّ بجَمْـعِ قـومٍ   بهِـم هَـرِمٌ فقـال عمّـوا صَبَـاحـا

يشير إلى ما رواه صاحب الأغاني عن الأصمعي، قال: حلف هَرِم بن سنان أن لا يمدحه ولا يسلّم عليه زهير إلاّ أعطاه غرّةً عبداً، أو وليدة، أو فرساً، فاستحيا زهير من السلام عليه ومدحه. فكان إذا رآه في ملاءٍ قال: انعموا صباحاً غير هَرِم بن سنان وخيركم تركت. ومما تناقله الناس مما أوردناه له في ترجمة إسماعيل بن علي بن حميد الدين البيتين وقد سبقا، وأركبه الإمام المهدي على جوادٍ يُسمّى الرازقي فقال:

للـرَّازقـي علـى الجيـاد فضيلـة   فـي فعلـه المتـواسـع المتضـايـق
إن كـانـت الأفعـال أرزاقـاً لهـا   مقسـومـةً فـالفضـل فضـل الـرازقـي

وقصدني مرةً إلى منزلي ببير العزب، فكان مما أفادناه في المنكر، أنه لا يمنع من مواصلة فاعله لعظم شأن الهجر للمسلم، واستدل بقول الله تعالى: ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين﴾[2] فقال بعض الناس فعمله عمل لا يرضاه الله، فقال: بعضك لعمله لا ينافي مواصلته قال الله حاكياً: ﴿إني لعملكم من القالين﴾[3] أي من المبغضين. فعلى هذا إنما يبغض الإنسان مِنْ فعل المحرمات عمله لا صاحبها.

ومما سمعتُهُ يقول بذلك الموقف وقد ذكرنا عجائب الدنيا وما يذكر من جبل قاف؟ قال: يقولون إنه سئل أبو زيد أبلغت جبل قاف، فقال: جبل قاف أمره قريب الشأن في جبل كاف وجبل عين وجبل صاد، فقالوا: وما هذه؟ قال: جبال محيطة بالأرضين السُفلىٰ، وحول كل أرضٍ منها جَبل بمنزله جبل قاف، علىٰ أن جبل قاف أصغرها وأرضه أصغرِ الأرضين، قال: وقد حكى هذا ابن عربي في فتوحاته وذكر أن الحروف مسماة في الآخرة جبال قائمة.

واجتمعت به بموقف آخر فكان من حديثه في قدرة الله تعالى، أن قال: العجب من المريض تراه الأيام ذوات العدد لا يأكل شيئاً، وتراه حياً عائشاً مع استعداد جوارحه للضعف، وهو أضعف من الصحيح، على كل حال ما هذه إلا قدرة تخضع لها القلوب، قال: وربما مات الصحيح القوي جوعاً، والمريض أشد حالاً منه والمريض أكثر أياماً في بعد الطعام عنه، فهذه قدرة بديعة يقابلها موت الذي تصيبه التخمة والهيضة فيموت.

---

(١) في نسخة: (الجَناحا).

(٢) سورة الممتحنة، الآية (٨).

(٣) سورة الشعراء، الآية (١٦٨).

وقال لنا يوماً: هل تعلمون ولداً ووالده ووالد والده ووالد والد والده الأربعة كلهم من أصحاب النبي ﷺ قلنا: لا. فقال القسم من محمد بن أبي بكر الصديق بن أبي قحافة إتبعتهم صحابة[1].

وحدّثنا بمنزله قال: كان حماد الراوية قد قرأ القرآن من المصحف، فصحّف في ألفاظٍ مع صحة المعنى، وقد نقلناها عنه منها. (والعاديات ضبحاً) قرأها بالصاد المهملة. ومنها (ونبلوا أخباركم) قرأها بالمثناة التحتانية، ومنها (إلاّ عَنْ موعدةٍ وعدها إياه) بالباء الموحدة. ومنها (بل الذين كفروا في عزةٍ وشقاق) قرأ في غرةٍ بالغين المعجمة والراء المهملة. ومنها (ومن الشجر ومما يعرشون) قرأ يغرسون بالغين المعجمة والسين المهملة. ومنها (قال عذابي أصيب به من أشاءُ). قرأها بالسين المهملة. ومنها (هم أحسن أثاثاً وريّا) قرأها بالزاي المعجمة. ومنها (ليكونَ لهم عدواً وحزناً) قرأها بالراء المهملة والباء الموحدة، ومنها (وما يجحد بآياتنا إلاّ كل ختار كفور) قرأها بالجيم والباء الموحدة. ومنها (يوم يُحمَى عليها) قرأها بالغين المعجمة. انتهى.

ومما نقلناه عن القاضي وقد سمع قول الحسن بن محمد الجرموزي الهاشمي فقال: ليس في الحروف ما يبنى على السكون إلا الألف لعدم تقطعها في مجرَى الحروف فهي بمنزلة الصوت الخارج من المزمار الذي لم توضع الأصابع علىٰ ثقبه فإذا حركت الأصابع على ثقبه كانت نغماته بمنزلة سائر الحروف، ولا يشارك الألف في ذلك المعنى سوى حرفي المد واللين الياء المكسور ما قبلها كقنديل، والواو المضموم ما قبلها كعنقود، فإنهما لا تقطيع لهما كالألف، ويذهب لِينهما إذا انفتح ما قبلهما بخلاف الألف.

واجتمعت بالقاضي في جماعة من أهل العلم فكان مما حدثنا ان قال: ما ترون في الجامع الصغير للاسيوطي؟ فقلنا كتاب جليل، قال فهل يعمل الإنسان بمقتضى ما فيه من غير بحث على أسانيد متونة؟ قلنا لا لأنه لم يشترط فيه نقل الصحيح وإنما صانه عما تفرّد به وضاع، فقال: اذكرتموني شيئاً؛ سمعت أخي أحمد بن صالح يقول سمعت محمد بن إسماعيل الأمير يقول حديث: (من كثرت صلاته بالليل حَسُنَ وجهه بالنهار) حديث باطل تفرّد به وضاع وهو يقدح على السيوطي في قوله:

---

(١) جاء في حاشية الأصل تعليقاً، نصه: يُنظر في هذا فأن محمد بن أبي بكر ما ولد إلاّ بعد موت النبي ﷺ فضلاً عن إبنه القسم. ولو فرض هذا في عبد الله بن الزبير باعتبار والدته اسماء بنت أبي بكر فأنها هي وأبوها وجدها وولدها عبد الله صحابيون.

صُنْتُه عما تفرّد به وَضّاع.

قال المؤلف غفر الله له: هذا الحديث عزاه في الجامع إلى ابن ماجه من حديث جابر بن عبد الله وقد أورده ابن الجوزي في الموضوعات، وقال الذهبي: فيه ثابت بن موسى الضبي الكوفي العابد. قال يحيى كذاب، وقال غيره خبر باطل، وقال الحاكم لم يثبت عن المصطفى ولم ينطق به قط علماء الحديث. انتهى.

فهذا كما ترى قد تفرد به وضاع.

وتمام ترجمة محمد بن صالح.

نجز الكتاب، على التمام وهو آخر من مات من الاعلام بدولة الإمام بن الإمام.

ونسأل الله تعالى حسن الختام. وقد تهيأ المؤلف غفر الله له لذكر حوادث السنين والأيام بدولة مولانا الإمام بن الإمام أمير المؤمنين المتوكل على الله رب العالمين أحمد بن المنصور بالله علي بن المهدي لدين الله العباس.

وكان تمام رصفه والفراغ من رقم حرفه بالجبل العالي البنيان، الراقي على مراقي البلدان، المصافح بجنباته بازغة كيوان، حصن كوكبان، صُحبة قمر الخلافة، والحُر الآمن من المخافة، أمير المؤمنين وسيد المرسلين المتوكل علي الله رب العالمين؛ أحمد بن أمير المؤمنين المنصور بالله، تاسع وعشرين شهر ربيع الآخر عام ثمان وعشرين ومائتين وألف، والحمد لله أولاً وآخراً، باطناً وظاهراً، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً.

فهرست عام